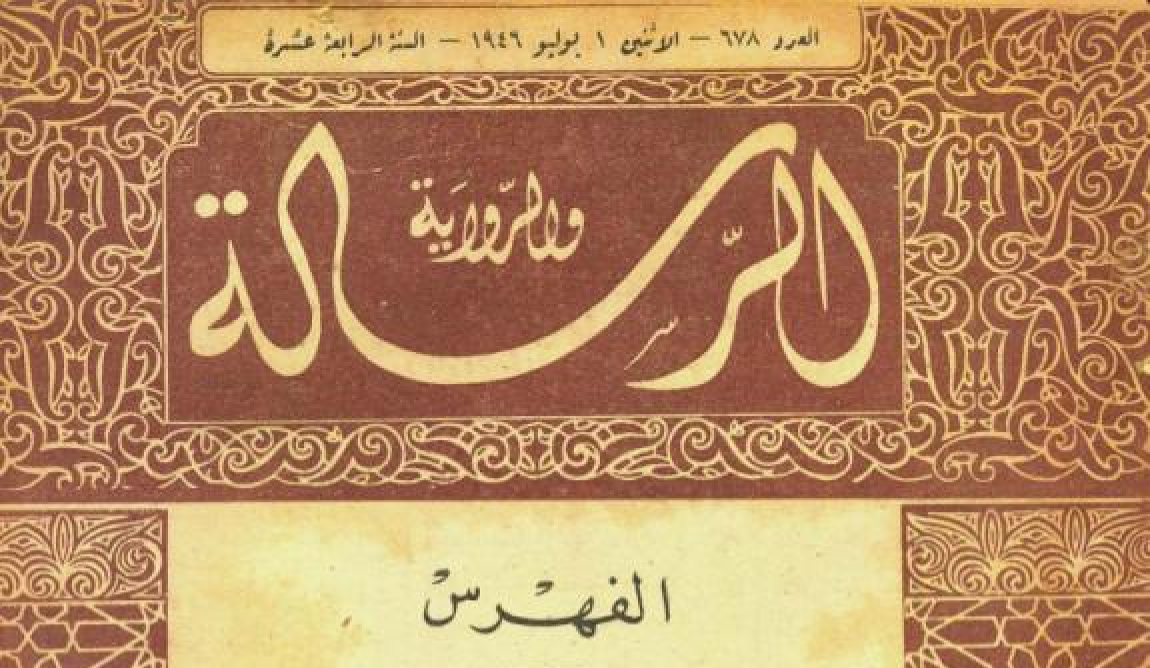



## الفهرس

صفحة




مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٧٨ — الاثنين ١ يوليو ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة




الفهرس





مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

## وزارة الأوقاف

# إعــلان

تعلن وزارة الأوقاف شهر مزاد تأجير أطيان زراعية بالوجهين القبلى والبحرى مساحتها ٥١٣١٧ فدانا على جملة صفقات بجلسات علنية بمراكز التفاتيش فى المواعيد المحددة لكل تفتيش ويعلن عنها بلوحة الإعلانات بالوزارة والتفاتيش — وقررت ما يأتى :

١ — أن تكون مدة التأجير سنتين فى جميع التفاتيش عدا الصفقات التى تزرع قصباً فتكون مدة التأجير فيها لثلاث سنوات .

٢ — أن تعتمد الوزارة فى أول جلسة نتيجة التزايد إذا كان العطاء بأجر المثل المعتمد أو بأكثر منه .

٣ — أن يكون التأمين النقدى موازياً ٥٠٪ من إيجار سنة ما لم يكن بالأطيان مخازن للوزارة فإن وجدت فيكون التأمين ٣٠٪ فقط على أن يدفع منه ٢٠٪ وقت العطاء ويكمل فى مدى أسبوع من تاريخ إخطاره بقبول عطائه بصفة مبدئية .

٤ — ترد التأمينات النقدية لأربابها فى آخر الجلسة متى كانت عطاءاتهم غير مقبولة ما لم يوجد مانع من ردها .

٥ — ويمكن الاطلاع على الشروط وقوائم المزاد بالوزارة والتفاتيش — وعلى من يرغب فى الدخول فى مزاد استئجار أى صفقة أن يعاينها قبل الجلسة ويطلع على جميع البيانات الخاصة بها ويعتبر دخوله فى المزاد إقراراً منه بالمعاينة والاطلاع على البيانات .

٦ — مستحقو الأوقاف الأهلية المشهورة أطيان تابعة لأوقافهم مدعوون لحضور جلسات التزايد المعلن عن مواعيدها بالتفاتيش مع الرجاء بالعمل من جانبهم على زيادة عدد الراغبين فى التأجير .

إذا لم يكن التأمين نقداً كما تقدم يكتفى بتقديم أحد التأمينات الآتية قبل الدخول فى المزاد :

١ — خطاب ضمان من بنك معتمد بقيمة إيجار سنة ويراعى فى خطاب الضمان أن تكون مدة الكفالة بحيث تنتهى بعد مضى ستة أشهر من آخر يوم محدد لانتهاء مدة العقد .

٢ — أوراق مالية مقبولة لدى الحكومة المصرية لا تقل قيمتها عن إيجار سنة حسب تقرير الوزارة .

٣ — أن يقدم للتفتيش قبل الجلسة المحددة للتزايد بأسبوعين على الأقل ضمان بتأمين عقارى مصدق عليه من قلم المساحة المحلى توازى قيمته إيجار سنة مصحوباً بجميع مستندات الملكية وشهادات تصرفات من المحكمة المختلطة لمدة عشر سنوات سابقة لتاريخ الجلسة أو إيصال دال على سداد رسوم طلبها مصحوباً بقيمة ١٠٪ من عطائه نقداً ولن يقبل أى تزايد ما لم يقدم صاحبه تأميناً طبقاً للشروط المبينة بهذا الإعلان ٣٦

## وزارة الأوقاف

تعيد الوزارة شهر مقاولة أعمال كسح خزانات ومجارير المساجد والمحلات التابعة لها على اختلاف أنواعها ( ما عدا الجهات التى تقوم المجالس البلدية والمحلية والقروية بأعمال الكسح فيها ) عن سنة ٤٦ / ١٩٤٧ المالية بالمناطق الآتية : —

١ — المنطقة الرابعة وتشمل تفاتيش طنطا والنشاوى والقرشية .

٢ — المنطقة الخامسة وتشمل تفتيش القليوبية والمنوفية والشرقية .

٣ — المنطقة السادسة وتشمل تفاتيش المنصورة وشاوة والمحلة وتقبل العطاءات بقسم المخازن والمشتريات لغاية ظهر يوم الإثنين الموافق ٨ يولية سنة ١٩٤٦ وذلك على مقتضى الشروط الموجودة بالوزارة والتى يمكن الحصول عليها من خزانتها نظير مائة مليم .

وتقدم العطاءات على النموذج المعد لذلك بالشروط نفسها داخل مظاريف مختومة بالشمع الأحمر ويجب أن يصحب العطاء التأمين الابتدائى المقرر والمنوه عنه بالشروط وكل عطاء يقدم تلغرافياً أو يقدم بدون تأمين لا يلتفت إليه .

وعلى مقدمى العطاءات ملاحظة وضع فئة عطاءاتهم على أساس وضع فئة لكل منطقة على حدة من المناطق والوزارة لا تقبل شروط عدم التجزئة لأن كل منطقة من المناطق وحدة قائمة بذاتها . ٧٢

14 me Année No. 678

Lundi—1—7—1946

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٨ « القاهرة في يوم الإثنين ٢ شعبان سنة ١٣٦٥ — ١ يوليو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

من صميم الحياة:

# اليتيمان...!

للأستاذ على الطنطاوى

أحسّ (ماجد) أنه لم يفهم شيئاً مما يقرأ، وأن عينيه تبصران الحروف وترىان الكلِم ولكن عقله لا يدرك معناها. إنه لا يفكر في الدَّرس، إنما يفكر في هذه المجرمة وماجرَّت عليه من نكد، وكيف نغَّصت حياته وحياة أخته المسكينة وجعلتها جحيما متسعراً. ونظر في (المفكرة)[1] فاذا بينه وبين الامتحان أسبوع واحد، ولابدَّ له من القراءة والاستعداد، فكيف يقرأ وكيف يستعد؟ وأنَّى له الهدوء والاستقرار في هذا البيت وهذه المرأة تطارده وتؤذيه ولا تدعه يستريح لحظة، وإذا هى كفت عنه انصرفت إلى أخته تصبّ عليها ويلاتها؟... هل يرضى لنفسه أن يرسب في أولى سنة من سنى الثانوية وقد كان (في الابتدائي) المجلِّى دائما بين رفاقه، والأول في صفه[2]؟.

وإنه لفى تفكيره وإذا به يسمع صوت العاصفة... وإن العاصفة لتمرّ بالحقل مرة في الشهر فتكسر الأغصان، وتقصف الفروع، ثم تجىء الأمطار فتروى الأرض ثم تطلع الشمس، فتنمى الغصن الذى انكسر وتنبت معه غصناً جديداً، وعاصفة الدار تهب كل ساعة، فتكسر قلبه وقلب أخته الطفلة ذات السنوات الست، ثم لا تجبر هذا الكسر أبداً... فكأن عاصفة الحقل أرحم وأرق قلباً وأكثر (إنسانية) من هذه المرأة التى يرونها جميلة حلوة تسبى القلوب... وما هى إلا الحية في لينها ونقشها، وفي سمّها ومكرها. لقد سمع سبها وشتمها وصوت يدها، شَلَّت يدها، وهى تقع على وجه الطفلة البريئة، فلم يستطع القعود، ولم يكن يقدر أن يقوم لحمايتها خوفاً من أبيه، هذا الرجل الذى حالف امرأته الجديدة وعاونها على حرب هذه المسكينة وتجريعها غصص الحياة قبل أن تدرى ما الحياة... فوقف ينظر من الشباك فرأى أخته مستندة إلى الجدار تبكى منكسرة حزينة، وكانت مصفرة الوجه بالية الثوب، وإلى جانبها أختها الصغرى، طافحة الوجه صحة، بارقة العينين ظفراً وتغلباً، مزهوّة بثيابها الغالية... فشعر بقلبه يثب إلى عينيه ويسيل دموعاً؛ ما ذنب هذه الطفلة حتى تسام هذا العذاب؟ أما كانت فرحة أبيها وزينة حياته؟ أما كانت أعزّ إنسان عليه؟ فمالها الآن صارت ذليلة بغيضة، لا تسمع في هذا البيت إلا السب والانتهار، أما التدليل فلأختها، التى تصغر عنها سنتين، والطُّرَف لها، وهى البنت المفردة، على حين قد صارت هى خادمة في بيت أبيها، بل هى شرّ من الخادم، فالخادم قد تلقى أناساً لهم قلوب، وفي

(١) وتسمى في مصر (النتيجة) واصطلاحنا أصح
(٢) ويسمى في مصر (الفصل).

قلوبهم دين فيعاملونها كأولادهم، وأبوها هو لم يبق فى صدره قلب ليكون فى قلبه شرف يدفعه أن يعامل ابنته ، إبنة صلبه ، معاملة الخادم المدلّلة . لقد كتب الله على هذه الطفلة أن تكون يتيمة الأبوين ، إذ ماتت أمها فلم يبق لها أم ، ومات ضمير أبيها فلم يبق لها أب !

وسمع صوت خالته[1] تناديها : تعالى وِلك[2] يا خنزيرة !

وكان هذا هو اسمها عندها : (الخنزيرة) لم تكن تناديها إلا به ، فاذا جاء أبوها المساء فهى البنت : تعالى يا بنت ، روحى يابنت ! أما أختها فهى الحبيبة : فين انت ياحبيبتى ؟ تعالى ياعينى !

وعاد الصوت يزمجر فى الدار : ألا تسمعين أختك تبكى ؟ أنظرى الذى تريده فهاتيه لها ! ألا تجاوبين ؟ هل أنت خرساء ؟ قولى : ماذا تريد ؟

فأجابت المسكينة بصوت خائف : إنها تريد الشكولاتة ...

— ولماذا بقيت واقفة مثل الدبّة ! إذهبى فأعطيها ما تريد !

فوقفت المسكينة ، ولم تدر كيف تبيّن لها أن القطعة الباقية هى لها . لقد اشترى أبوها البارحة كفًّا من الشكولاتة ، أعطاه لابنته الصغيرة فأكلته وأختها تنظر إليها ، فتضايقت من نظراتها فرمت إليها بقطعة منه ، كما يرمى الإنسان باللقمة للهرّة التى تحدق فيه وهو يأكل ، وأخذت المسكينة القطعة فرحة ، ولم تجرؤ أن تأكلها على اشتهائها إياها ، فخبأتها ، وجعلت تذهب إليها كل ساعة فتراها وتطمئن عليها ، وغلبتها شهوتها مرة فقضمت منها قضمة بطرف أسنانها ، فرأتها أختها المدللة فبكت طالبة الشكولاتة ...

— وِلك يا ملعونة فين الشكولاتة ؟

فسكتت ... ولكن الصغرى قالت : هناك يا ماما عندها ، أخذتها الملعونة منى !

واستاقت المرأة ابنتها وابنة زوجها ، كما يساق المتهم إلى التحقيق ، فلما ضُبطت (متلبسة بالجرم المشهود) ورأت خالتها الشكولاتة معها حلّ بها البلاء الأعظم !

— يا سارقة يا ملعونة ، هكذا علمتك أمك ... تسرقين ما ليس لك ؟

وكان ماجد يحتمل كل شىء ، إلا الاساءة إلى ذكرى أمه ، فما سمعها تذكرها ، لم يتمالك نفسه أن صاح بها :

— أنا لا أسمح لك أن تتكلمى عن أمى .

فتشمرت له واستعدت ... وكانت تتعمد إذلاله وإيذاءه دائما ، فكان يحتمل صامتاً لا يبدو عليه أنه يحفلها أو يأبه لها . فكان ذلك يغيظها منه ، وتتمنى أن تجد سبيلا إلى شفاء غيظها منه ، وها هى ذى قد وجدتها ...

— لا تسمح لى ؟ أرجوك يا سعادة البك اسمح لى أنا فى عرضك ... آه : ألا يكفى أنى أتعب وأنصب لأقدم لك طعامك وأقوم على خدمتك ، وأنت لا تنفع لشىء إلا الكتابة فى هذا الدفتر الأسود . لقد ضاع تعبى معك أيها اللئيم ، ولكن ليس بعجيب أنت ابن أمك ...

— قلت لك كفّى عن ذكر أمى ، وإلا أسكتّك .

واقترب منها ، فصرخت الخبيثة وولولت وأسمعت الجيران ...

تريد أن تضربنى ؟ آه يا خائن ، يا منكر الجميل ، ولى ... يا ناس ، يا عالم ، الحقونى يا اخواتى ...

وجمعت الجيران ، وتسلل ماجد إلى غرفته أى إلى الزاوية التى سمّوها غرفة ، وخصوه بها لتتخلص سيدة الدار من رؤيته دائماً فى وجهها !

* * *

ودخل الأب المساء وكان عابساً على عادته باسراً لا يبتسم فى وجوه أولاده ، لئلا يجترئوا عليه فتسوء تربيتهم وتفسد أخلاقهم ، ولم يكن كذلك من قبل ولكنه استنّ لنفسه هذه السنّة من يوم حضرت إلى الدار هذه الأفعى وصبّت سمّها فى جسمه ، ووضعت فى ذهنه أن ماجداً وأخته ولدان مدللان فاسدان لا يصلحهما إلا الشدة والقسوة ...

وكانت الخبيثة إذا دنا موعد رواحه إلى الدار ، تخلع ثيابها وتلبس ثياباً جديدة ، كما تخلع عنها ذلك الوجه الشيطانى وتلبس وجهاً فيه سمات الطهر والطفولة ، صنعه لها مكرها وخبثها ، ولا تنسى أن تنظف البنتين وتلبسهما ثياباً متشابهة كيلا يحسّ الأب بأنها تفضل ابنتها على ابنته ! ...

دخل فاستقبلته استقبال المحبّة الجيلة ، والمشوقة المخلصة ، ولكنها وضعت فى وجهها لوناً من الألم البرئ تبدو معه كأنها

---

(١) امرأة الأب تدعى فى الشام خالة .

(٢) ولك كلمة شامية محرفة عن ويلك تردد دائما .

المظلومة المسكينة ، ولحقته إلى مخدع تساعده على إبدال حلته وهناك روت له القصة مكذوبة مشوّهة فملأت صدره غضباً وحنقاً على أولاده ، فخرج وهو لا يبصر ما أمامه ، ودعا بالبنت فجاءت خائفة تمشي مشية المسوق إلى الموت، ووقفت أمامه كأنها الحمل المهزول بين يدي النمر . فقعد على كرسي عال ، كأنه قوس المحكمة وَوَقَفَها أمامه ، كالمتهم الذي قامت الأدلة على إجرامه ، وأفهمها قبح السرقة ، وعنفها وزجرها ... وهو ينظر إلى ولده ماجد نزراً ، وكانت نظراته متوعدة منذرة بالشرّ ، ولم يسع ماجداً السكوت وهو يسمع اتهام أخته بالسرقة وهي بريئة منها ، فأقبل على أبيه يريد أن يشرح له الأمر ، فتعجل بذلك الشر على نفسه

انفجر البركان وزلزلت الدار زلزالا ، وأرعد فيها صوت الأب المغضب المهتاج :

— تريد أن تضرب خالتك ياقليل الحياء ، يا معدوم التربية ، يا ملعون ؟ حسبت أنك لو بلغت الرابعة عشرة قد صرت رجلا ؟ وهل يضرب الرجل خالته ؟ إنني أكسر يدك يا شقي !

— والله يا بابا موصحيح ...

— ووقاحة أيضاً ؟ أمابقي عندك أدب أبداً ؟ أتكذب خالتك؟

— أنا لا أكذبها ، ولكنها تقول لك أشياء ليست صحيحة .

عند ذلك وثب الأب وانحط بقوته وغلظته وما آرعت به نفسه من مكرها زوجته ، انحط على الغلام وأقبل يضربه ضرب مجنون ذاهب الرشد ، ولم يشف غيظَ نفسه ضرْبه فأخذ دفتره الأسود الذي أودعه دروسه كلها ، فمزقه تمزيقاً ... ثم تركه هو وأخته بلا عشاء عقوبة لهما وزجراً ...

***

تمشي الزوجان وابنتهما ، وأويا إلى مخدعهما ، والغلام جاثم مكانه ينظر إلى قطع الدفتر الذي أفنى فيه لياليه ، وعاف لأجله طعامه ومنامه ، والذي وضع فيه نور عينيه ، وربيع عمره ، وبنى عليه أمله ومستقبله ... ثم قام يجمع قطعه كما تجمع الأم أشلاء ولدها الذي طوّحت به قنبلة ... فاذا هي آلاف لا سبيل إلى جمعها ، ولا تعود دفتراً يقرأ فيه إلا إذا عادت هذه الأشلاء بشراً سوياً يتكلم ويمشي ... فأيقن أنه قد رسب في الامتحان ، وقد أضاع سنته ، وكبر عليه الأمر ، ولم تعد أعصابه تحتمل هذا الظلم ، وأحسَّ كأن الدنيا تدور به وزاغ بصره ، وجعلت أيامه

تكرّ راجعة أمام عينيه كما يكرّ فلم السينما ...

رأى ذلك الوجه الحبيب ، وجه أمه ، وابتسامتها التي كانت تنسيه آلام الدنيا ، وصدرها الذي كان يفزع إليه من خطوب الدهر ، رآها في صحتها وشبابها ، ورأى البيت وما فيه إلا السلم والهدوء والحبّ ، ورأى أباه أباً حقيقياً تفيض روح الأبوة من عينيه الحانيتين ، ويديه الممتلئتين أبداً بالطُّرَف واللُّطف ، ولسانه الرطب بكل جميل من القول محبَّب من الكلام ...

ويكرّ الفلم ويرى أمه مريضة فلا يهتم بمرضها ، ويحسبه مرضاً عارضاً ... ثم يرى الدار والاضطراب ظاهر فيها ، والحزن بادٍ على وجوه أهلها ، ويسمع البكاء والنحيب ، ويجدهم يتعمدون به ، ويخفون النبأ عنه ، ولكنه يفهم منهم أن أمه قد ماتت . ماتت ؟ إنها كلمة تمرّ عليه مراً هيناً لا يأبه لها ، وكان قد سمع بالموت ، وقرأ عنه في الكتب ، ولكنه لم يره من قريب ولم يدخل داره ، ولم يذقه في حبيب ولا نسيب ، غير أن الأيام سرعان ما علمته ما هو الموت حين صحا صبيحة الغد على بكاء أخته الحلوة المحبّبة إلى أمها ، والتي كانت محببة تلك الأيام إلى أبيها ، ففتح عينيه فلم يجد أمه إلى جانبها لترضعها وتضمها إلى صدرها ، واشتد بكاء البنت ، وطفق الولد ينادي : ماما ... ثم جفا فراشه وقام يبحث عنها ، فوجد أباه وجما من قريباته ، يبكون هم أيضاً ... فسألهم : أين أمه ؟ فلم يجيبوه . وحين أراد الغدوّ على المدرسة ، فناداها فلم تأت لتعدّ له حقيبته وتلبسه ثيابه ولم تقف لوداعه وراء الباب تقبله وتوصيه ألا يخاصم أحداً وألا يلعب في الأزقة ، ثم إذا ابتعد عادت تناديه لتكرر تقبيله وتوصيته ، وحين عاد من المدرسة فوجد امرأة غريبة ترضع أخته ... لماذا ترضعها امرأة غريبة ؟ وأين ماما ؟ !

ويكر الفلم ، ويرى أباه رفيقاً به حانياً عليه يحاول أن يكون له ولاخته أماً وأباً ، ولكن هذا الأب تبدل من ذلك اليوم المشؤوم وراى ذلك اليوم المشؤوم ، يوم قال له أبوه : ستأتيك يا ماجد أم جديدة ... أم جديدة ؟ هذا شيء لم يسمع به ، إنه يعرف كيف تجيء أخت جديدة ، إن أمه تلدها من بطنها ، أماهذه الأم فمن أين تولد ؟ وانتظر وجاءت الأم الجديدة ، وكانت حلوة ، ثيابها جميلة ، وخدودها بلون الشفق ، وشفاهها حمر ، ليست كشفاه الناس . وعجب من لون شفاهها ، ولكنه لم يحببها

ولم يمل إليها ، وكانت فى أيامها الأولى رقيقة لطيفة ، كالغرسة الصغيرة ، فلما مرت الأيامَ واستقرت فى الأرض ومدّت فيها جذورها ، صارت قاسية يابســة كجذع الدوحة ، وإن كانت تخدع الرائين بورقها الطرىّ وزهرها الجميل ... ولما ولدت هذه البنت انقلبت شيطانة على صورة أفعى مختبئة فى جلد امرأة جميلة . والعياذ بالله من المرأة الجميلة إذا كانت فى حقيقتها شيطانة على صورة أفعى !

وانطمست صور الماضى الحبيب ، واضمحل الفلم، ولم يبق منه إلاهذه الصورة البشعة المقيتة ، ورآها تكبر وتعظم حتى أحاطت به وملأت حياته ، وحجبت عنه ضياء الذكرى ونور الأمل ... وسمع قهقهة فانتفض وأحسّ كأن رنينها طلقات (متراليوز) قد سقط رصاصُه فى فؤاده ، وكانت قهقهةَ هـذه المرأة التى أخذت مكان أمه يتخللها صـليل ضحك أبيه ... وأنصت فاذا هو يسمع بكاء خافتاً حزيناً مستمراً ، فتذكر أخته التى نسيها ، وذكره جوعه بأن المسكينة قد باتت بلا عشاء ، ولعلها قد بقيت بلا غداء أيضاً ، فان هذه المجرمة تشغلها النهار كله بخدمتها وخدمة ابنتها ، وتقفل دونها غرفةالطعام ، فلا تعطيها إلا كسرة من الخبز ، وتذهب فتطعم ابنتها خفية ، فاذا جاء الأب العشية ، ولبست أمامه وجهها البرىء... شكت إليه مرض البنت وضعفها :

— مسكينة هذه البنت ، إنها لاتتغذى ... انظرإلى جسمها ، ألا تريها لطبيب ؟... ولـكن ماذا يصنع لها الطبيب ، إنها عنيدة سيئة الخلق ... أدعوها للطعام فلا تأكل ، وعنادها سيقضى على صحتها ...

فينادبها أبوها ويقول لها :

— ولك يا بنت ما هذا العناد ؟ كلى وإلا كسرت رأسك !

فتتقدم لتأكل ، فترى المرأة ... تنظر إليها من وراء أبيها نظرة الوعيد ، وترى وجهها قد انقلب حتى صار كوجه الضبع فتخاف وترتد ...

فتقول المرأة لزوجها : ألم أقل لك ، إنها عنيدة تحتاج إلى تربية ؟

فيهز رأسه ، ويكتفى من تربيتها بضربها على وجهها ، وشدّ أذنها ، وطردها من الغرفة ، ويكون ذلك عشاءها كل عشية !

تذكر ماجد أخته فقام إليها فرفعها وضمها إلى صدره .

— مالك ؟ لماذا تبكين ؟ إسكتى يا حبيبتى ؟

— جوعانة !

جوعانة ؟ من أين يأتيها بالطعام ؟ وقام يفتش ... فأسعده الحظ فوجد باب غرفة الطعام مفتوحا ، وعهده به يقفل دائماً ، ووجد على المائدة بقايا العشاء ، فحملها إليهـا فأكلتها فرحة بها مقبلة عليها ، كأنها لم تكن من قبل الإبنة المدللة المحبوبة ، التى لا يرد لها ، لو طلبت ، طلب ، ولا يخيب لها رجاء . وآلمه أن يراها تفرح إذا أكلت بقايا أختها وأبها يسرقها لها سرقة من غرفة الطعام ، وعادت صور الماضى فتدفقت على نفسه وطغت عليها ورجعت صورة أمه فتمثلت له ، وسمعها تناديه ... لقد تجسم هذا الخيال الذى كان يراه دائماً ماثلا فى نفسه ، حتى ردّه إلى الماضى وأنساه حاضره ... ولم يعد يرى فى أخته البنت اليتيمة المظلومة ؛ وإنما يراها الطفلة المحبوبة التى تجد أماً تعطف عليها ، وتحبها ...

ونسى دفتره الممزق ، ومستقبله الضائع ، وحياته المرّة ، وطفق يصغى إلى نداء الماضى فى أذنيه ... إلى صوت أمه ...

— قومى ياحبيبتى ، ألا تسمعين صوت أمك ، تعالى نروح عند ماما !

فأجفلت البنت وارتاعت ، لأنها لم تكن تعرف لها أماً إلا هذه المرأة المجرمة ... وخافت منها وأبت أن تذهب إليها . لقد كان من جناية هذه المرأة أنها شوّهت فى نفس الطفلة أجمل صورة عرفها الإنسان : صورة الأم !

— تعالى نروح عند ماما الحلوة : أمك ... إنها هناك فى محل جميل : فى الجنة ... ألا تسمعين صوتها ؟

وحملها بين يديه ، وفتح الباب ، ومضى بها ... يحدوه هذا الصوت الذى يرنّ فى أذنيه حلواً عذباً ؛ إلى المكان الذى فيه أمه !

* * *

وقرأ الناس فى الجرائد ضحى الغد أن المسس وجدوا فى المقبرة طفلة هزيلة فى السادسة من عمرها ، وولداً فى الرابعة عشرة ، وقد حُملا إلى المستشفى ، لأن البنت مشرفة على الموت ، قد نال منها الجوع والبرد والفزع ، ولا يمكن أن تنجو إلا بأعجوبة من أعاجيب القدر ، أما الغلام فهو على أبواب الجنون ، فهو لا يفتأ يذكر الامتحان ، والدفتر الأسود ، وأمه التى تناديه ... والمرأة التى تشبه الأفعى !

( دمشق ) **على الطنطاوى**

# ناثان الحكيم

للدكتور جواد على

ناثان تاجر يهودى وهبه الله مالا غزيراً لما كثر أبناء جنسه ، ووهبه عقلا كان خير دليل له فى الخروج من مآزق الأمور ، وفطنة كانت سلاحا فتا كا يستعمله فى التغلب على خصومه .

وكان هذا اليهودى الذكى يعيش فى أرض فلسطين فى عهد السلطان صلاح الدين عيشة ناعمة يحسد عليها . وكان يرابى فيقرض الأمراء والسلاطين . وكان السلطان الأيوبى العظيم قد اقترض منه مبلغاً عظيما من المال ، لقاء فائض فاحش . وأراد السلطان كما تصوره الرواية الامتناع عن الدفع ومصادرة أموال اليهودى بطريقة لا يتمكن فيها هذا المرابى من الدفاع عن نفسه ومن إقامة الدعوى عليه .

فطلب منه ذات يوم أن يجيب عن موضوع طالما اهتم به وشغل باله به هو قضية الأديان ، وأى تلك الأديان أفضل ! وما هو الدين الحق من بين هذه الأديان . وكانت غاية السلطان من هذا السؤال هو إيقاع اليهودى فى الفخ حتى إذا ما أجاب جواباً يناقض عقيدته وفضل ديانته على ديانة المسلمين أوقع به عقاباً صارما وجزاه جزاء كبيراً فيصادر أمواله ، ويصبح عندئذ فى حل من الدفع .

أدرك ناثان ما كان يقصد السلطان من هذا السؤال ، فالتفت إليه وطلب منه أن يقص عليه قصة من القصص المعروفة هى قصة والد شفيق كان له ثلاثة أولاد يحبهم حباً جما ولا يميز بينهم أبداً ؛ وكان له خاتم ثمين ورثه عن أجداده ويريد المحافظة عليه بحيث يبقى فى الأسرة ، فلا يخرج منها . ولما كان لا يريد التفريق بين أبنائه ولا التمييز فيما بين هؤلاء الثلاثة فى الدرجة حار فيما يصنع ، أيعطى الخاتم للابن البكر فيزعج بذلك الأخوين ويعكر بينهما صفو الأخوة وهو حريص جداً على أن تبقى رابطتها قوية فيما بين أبنائه ، أو يعطيه لشخص آخر من الأسرة ، وفى هذا العمل مخالفة لوصية الآباء ؟

وكان الرجل ذكياً ، تمكن بذكائه من إيجاد حل أرضى به أولاده الثلاثة . ذهب إلى صائغ قدير كلفه بأن يصنع له خاتمين يشبهان هذا الخاتم تماماً بحيث لا يمكن التفريق بينها وبين الخاتم الأصلى . وقد صنع الصائغ ما طلب منه وأجاد الصنعة حتى صعب على الصائغ نفسه تمييز الخواتم الثلاثة .

ولما توفى ذلك الوالد الشفيق تسلم كل واحد من أولاده الثلاثة خاتما . وبعد مضى أمد ادعى كل واحد منهم بأن خاتمه هو الخاتم الحقيقى ، خاتم الأسرة . وقد حاول كل واحد منهم البرهنة على أن ما قاله هو الصحيح .

فلما سمع صلاح الدين بهذه القصة استحسنها ، وامتدح ذكاء « ناثان » وقربه إليه ، وغدا منذ ذلك الحين من أقرب الناس إليه ، وهى قصة تمثل وجهة نظرة الإنسانيين الذين نظروا إلى الأديان بنظرة التسامح نوعاً ما . أما القصة نفسها ، فقد كانت معروفة فى أوربا ، وقد أخذها هذا الأديب « لسنك » ، وسبكها فى قالب « دراما » شعرية ، تمثل آراء الشاعر ومشاعره أحسن تمثيل . حتى لقد قال الفيلسوف الألمانى « شليكل » « إن هذه الدراما تمثل نفسية لسنك فمن عرفها عرف لسنك كل المعرفة[١] » .

فى سنة ١٧٥٢ للميلاد كان شاعرنا صاحب القصة فى مدينة « ويتنبرك » « wittenberg » . وكان قد تفرغ لكتابة رسائله « Briefen » وفصول « الإنقاذ » « Rettung » بعد أن حنكته التجارب ، وبعد أن تخرج من مدرسة « فولتير » تلك التى أنشأها هذا الأديب الفرنسى العظيم فى قلب العاصمة البروسية وفى قصرها . تعلم على هذا الأديب شيئاً كثيراً ودرس عليه أصول النقد الأدبى التى عرف بها تلك الأصول التى أثارت فى نفس صاحبنا الميل لدراسة الآداب الغربية ولا سيما آداب الشعب الإيطالى سليل الرومان ، وآداب الشعوب الشرقية ، ولا سيما الأدب العربى وتاريخ المسلمين[٢] .

وكان مما قرأه (لسنك) من آداب الايطاليين بعض مؤلفات الفيلسوف الايطالى « كاردانوس هيرونيموس » « Gardanus Hieronymus » « ١٥٠١ — ١٥٧٦ » وكان هذا الفيلسوف

(١) راجع Robertson. Nathan the wise, London. 1901. P. 1.
(٢) The Encyclopaedia Britannica vol 13 14 ed P. 967.

الإيطالى الكاثوليكى حر النزعة بالنسبة إلى رجال وقته ، واسع التفكير ، يعتنق مذهباً يعارض مذهبه ، هو مذهب « وحدة الوجود » يرى أن كل ما فى الطبيعة حى يجرى فيه ماء الحياة حتى المادة الجامدة لا تخلو من الحياة . وأن الخالق فى الكون جميعه والكون جميعه فى الخالق بحيث لا نستطيع الفصل بين الاثنين . هذه هى الحقيقة ، حقيقة الله فى الكون ، إلا أن قليلا من الناس من يدرك هذه الحقيقة ، وقليل من الناس من يحاول الإدراك وفهم الحقائق[1] .

كانت فى آرائه هذه جرأة بالطبع بالنسبة إلى العالم الذى عاش فيه ، جرأة خلقت له مئات من المشاكل والمصاعب فيما بعد . وكان يرى بالإضافة إلى كل هذا بأن الأديان واحدة لها أهداف واحدة هى النظم الأخلاقية وضبط حياة الإنسان ، فيجب أن تستخدم هذه النظم فى خدمة الغرض الذى من أجله نشأت ، وللمحافظة على الوحدة ، ولذلك حذر من الخوض فى المواضيع الدينية والمشاكل الدينية باللغة المحلية ، لأن هذا الجدل يدعو إلى تبلبل رأى الأمة وتفرق صفوفها . أما فيما عدا الجدل من عقيدة فيصح لكل مواطن أن يعتنق ما يشاء من العقائد ، وله أن يدين بأى دين[2] .

وبهذه الفكرة كتب الفيلسوف الإيطالى أفكاره فى : « De Subtilitate » تلك المحاورة « ديالوك » « Dialog »[3] الفلسفية التى ينبرى فيها رجال يمثلون أربعة أديان للدفاع عن عقائدهم ودياناتهم التى يعتنقونها ، الديانة اليونانية الرومانية ، والديانة اليهودية ، والديانة المسيحية ، ثم الديانة الإسلامية . وقد حدث فى هذه المحاورة كل محام بما كان يعتقده أصحاب ذلك الدين . فتحدث على لسان الوثنى ، وتحدث على لسان اليهودى ، وتحدث على لسان المسيحى ، وتحدث على لسان المسلم ، وذكر دليل كل واحد منهم . وهذه محاورة جريئة بالطبع ، أوقعت المؤلف فى مزالق الكلام ، وهوجم على محاورته هذه هجوماً عنيفا اتهم

(١) راجع عنه قاموس الفلسفة لشميد مادة « كاردانوس » وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى الانكليزية واللغات الأخرى

(٢) راجع Schmidt. P. 92.

(٣) محاورة وقد كانت فنا من فنون الأدب عند اليونان راجع Hiryel. The Dialog 2. vol. 1895.

بأنه قصر فى دفاعه عن عقيدة المسيحيين ، وأنه أظهر المحامى المسيحى بمظهر المحامى الضعيف الذى لا يملك حججاً قوية لإفحام خصمه ، وقد كان فى ذلك متعمدا لا محالة[1] .

تأثر (لسنك) بآراء هذا الفيلسوف . وانبرى على الرغم من تفاوت عهده عنه للدفاع عن آرائه فدافع عنه فى « Vindicate » دفاعا أوقعه فى مثل ما وقع فيه ذلك الكاتب المفكر . ذكر بأن الفيلسوف لم يكن مقصراً فيما كتبه ولم يكن متعمداً إضعاف دليل المسيحيين . وكل ما فعله هو أنه صاغ دليل النصارى على لسانه . ولم يتمكن النصارى من إبراز أدلة أقوى من تلك الأدلة ، ولم يتمكن المسيحيون من إيراد حجج أقوى من تلك الحجج التى دونها كاردانوس[2] فأضاف بهذا القول دليلا جديداً على تلك الأدلة التى كان يذكرها الناس فى إثبات مروق (لسنك) وزوغانه عن جادة الحق .

ولم تكن دراسة الفلسفة فى ذلك العهد من الدراسات التى يرتاح لها رجال الدين ، وكان لسنك وهو فى مكتبة « ولفنبتل » « wolfenbiittel » يقرأ كتب الفلسفة بنهم ويقبل عليها فى ساعات فراغه كل الإقبال . ولم يكتف بالمطالعة بل صار يخرج كتب الفلسفة إلى الأسواق ويشوق الناس إلى دراستها ، وكانت أحب فلسفة إليه هى فلسفة «رايمارس» « Reimarus » (١٦٩٤ ١٧٦٨ م)[3] . وهذا الفيلسوف هو على رأس الفلاسفة الذين عرفوا باسم « Popularphilosophi » . وقد شاعت فلسفتهم فى القرن الثامن عشر على الأخص . وكانت تحاول تبسيط مبادىء فلسفتها وتقريبها من أذهان الناس للحصول على أكبر عدد ممكن من الأتباع[4] . وكان هذا الفيلسوف من أولئك الفلاسفة الذين اعترفوا بوجود إله هو أساس هذا العالم وسببه . غير أنه كان كأكثر الفلاسفة « التوضيحيين » ينكر خوارق العادات ولا يؤمن بالمعجزات ، ويجحد تدخل الله فى شؤون العالم وفى شؤون الأفراد وكل ما فى الكون من مخلوقات . وكان يدعو

(١) Roberstson P. 10.

(٢) Robertson Jntroduction

(٣) Robertson Intro . وقد أخرج لسنك بعض مؤلفاته Schmidt, P. 546, Straus 1862.

(٤) راجع Schmidt. P, 500

إلى « الديانة الطبيعية العقلية » ويهاجم أسفار التوراة والأناجيل وينتقدها انتقاداً مراً ، لذلك تعرض بالطبع إلى حملات رجال الدين عليه وإلى نقد قوى مرير[1] .

تعرض لسنك إلى نقد رجال الدين ، إلى نقد « كوتزة » « Goetze » على الأخص فكانت بينهما مهاترات علمية تدخل فيها أناس من عشاق الجدل الفلسفي الديني ، وقد تمكن « كوتزة » هذا من إثارة مجالس الأقاليم على لسنك ، فأصدرت تلك المجالس أمراً إلى دوائر الرقابة تطلب فيه ألا يسمح للسنك بنشر أى شيء إلا بإذن من الحكومة ، فكان فى هذا القرار توفيق لرجال الدين .

وكان (لسنك) قد اطلع على آراء فيلسوف إيطالى آخر هو « بوكاجيو » « Boccoccio » ( ١٣١٣ — ١٣٧٥ م ) الكاتب الإيطالى الفيلسوف .

وقد وجه هذا العبقرى كزميليه دانتى « Dante » ( ١٢٦٥ ١٣٢١ م ) و « بتركا » « Petrarka » أنظار قومه نحو مثل جديدة ، نحو المثل الإنسانية التى تدعو إلى التسامح فى مقابل تعصب الكنيسة وتمسكها بآرائها الدينية . وقد حث قومه على دراسة الشعر واللغة والفلسفة ، وقد مهد هو وزملاؤه بذلك الطريق لما سمى فيما بعد باسم : « عصر النهضة والأحياء » « Renaissance »[2] .

واتصل لسنك عن طريق الترجمة بهؤلاء فقرأ ديكامرون Decamaron لبوكاجيو ، وكان هذا الأثر الأدبى المهم قد ترجم إلى الألمانية فى القرن الخامس عشر للميلاد وطبع فى « أوكسبرك سنة ١٤٨٩ للميلاد » . ومنه استل صاحبنا مادة « ناثان الحكيم » . أخذ من « دكامرون » عناصر القصة الأولى ، وأضاف إليها بعض العناصر الجديدة التى كانت شائعة عند الأوربيين فى ذلك الوقت . ولعل بوكاجيو نفسه كان قد أخذ قصصه من القصص الأوربية القديمة التى كانت شائعة قبل ذلك العهد فى أسبانيا حيث عاشت الأديان الثلاثة كان الناس يتحدثون عن ملك متسامح

(١) Scharer Article Lessing

(٢) Vorlander History of Pbilossphy P, 205.

حكيم وعن قصة الخاتم ، وفى أوربا تحدث الناس عن السلطان صلاح الدين وعن تساهله بالنسبة للمسيحيين واليهود .

وقد تطورت هذه القصة وأمثالها بمرور الزمن فنصت فيما بعد على أن الخاتم الحقيقى كان يعرف من بين الخواتم الأخرى بما كان يظهر منه من الأعمال الخارقة والمعجزات . وكان هذا دليلا على أنه هو الأصل وهو خاتم المسيحيين[1] . كما تطورت صورة ناثان إلى أن جعل لسنك صورة هذا الشخص تنطبق على صورة صديقه الفيلسوف اليهودى « موسى مندلسن Moses Mendelssohn » ( ١٧٢٩ — ١٧٨٦م ) والكاتب الذى عاش فى مدينة برلين . وكان شخصية فذة معروفة فى أوساط تلك المدينة حتى تمكن بفضل منزلته من تخفيف حدة البروسيين بالنسبة لليهود[2] .

وقد ساعد « مندلسن » صاحبنا كثيراً وسعى عند تاجر من تجار مدينة « هامبرك » حتى أقرضه مالا طبع به بعض كتبه . وتأثر بكثير من آراء مندلسن ؛ فأخذ بأفكاره بالنسبة إلى الفلسفة اللاهوتية والأديان ولا شك فى أن لتلك القصص الدينية التى كان يسمعها من « موسى مندلسن » دخلا فى صقل عقلية لسنك وفى قصة « ناثان الحكيم » .

واستعان لسنك بعنصر آخر هو التاريخ الشرقى ذاته .

وكانت أوربا فى هذا العهد ولا سيما فرنسا قد تذوقت الأدب الشرقى وأقبلت عليه ، وصار الأدباء يبحثون بين ثنايا القصص الشرقى لينسجوا منه نسيجاً جديداً . وكان فولتير الذى تعرف عليه لسنك فى برلين ، والذى اتصل به اتصالا وثيقاً ، فى طليعة هؤلاء الكتاب الذين استعانوا بالخيال الشرقى وبتاريخ الشرق . ولفولتير هذا مسرحية زيير « Zaire »[3] وكانت هذه المسرحية قد اكتسبت شهرة واسعة ومثلت فى برلين ، وكان لسنك بالطبع ممن حضر التمثيل ودرس الرواية وله « دراما محمد Mahamet » . تأثر لسنك فى « ناثان الحكيم » بقصة « Zaire » كثيرا

(١) Robertson. P, 30

(٢) The Encyc'opaedia Britauica Art Lessing.

(٣) راجع معجم لاروس مادة « Zaire »
Robertson Nathan London 1912 Uviversity Cembridge,

حتى إننا لنجد أوجه التشابه ظاهرة فى كثير من المواضع ، كما تأثر بآراء فولتير وبأفكاره السياسية ، حتى أما كن النقد تكاد تكون واحدة . وقد استعار منه حتى المصطلحات التى كان قد تخصص بها فترجمها إلى الألمانية .

صور « صلاح الدين الأيوبى » فى هذه الرواية وفى الروايات الأوربية الأخرى بصورة الملك الفيلسوف ، بصورة فيلسوف حديث يحمل آراء القرن الثامن عشر ويبشر بها بين الناس . فيدعو إلى « المذهب الإنسانى » الذى استولى على أفئدة الناس فى ذلك الوقت . ويحث الناس على اتباع الفلسفة التى كان يدعو إليها لسنك وأمثاله . فهو ملك شرقى وفيلسوف غربى فى آن واحد[1] .

ولم يكن لسنك من المستشرقين كما أنه لم يكن من المؤرخين ، ومعلوماته التاريخية عن الشرق معلومات عامة مأخوذة من هنا ومن هناك . أخذ حياة صلاح الدين من كتاب « تاريخ صلاح الدين سلطان مصر وسوريا » للأب دى مارين «Abbé Marin» الذى طبع سنة ١٧٥٨ م . كما أخذ معلوماته عن تاريخ

(١) Robertson . Introduction . P. 20

الخلفاء من كتاب « تاريخ العرب فى أيام الخلفاء » للأب «دى ماربنى» « Abbé demarigny » وقد طبع هذا الكتاب بالفرنسية عام ١٧٥٠ للميلاد واستفاد من كتاب «التاريخ العام» « Universal History » الذى طبع بمدينة لندن عام ١٧٥٩[1] .

وحاول لسنك الرجوع إلى المصادر الأولى، إلا أننا نشك فى قدرة هذا الشاعر على ذلك لأنه لم يكن يعرف العربية ، على أنه كان يستعين بالكتب المترجمة عن العربية . مثل ترجمات «Abbertus schulteus» وترجمة جلان(١٧٠٤ — ١٧٠٨) لألف ليلة وليلة[2] والترجمات الأخرى ، وكان يستعين بالمستشرقين أنفسهم أمثال المستشرق ريسكى « Reiske » الشهير . ومع ذلك فإن قصة « ناثان الحكيم » لا تمثل التاريخ كما تمثل الأفكار الإنسانية والمبادىء الفلسفية التى تمثل نفسية هذا الفيلسوف .

( بغداد ) جواد على

(١) Lessing . Entwurf . Robertson . Intro

(٢) نفس المصدر .

على هامش النقد :

# « دفاع عن البلاغة »

تأليف الأستاذ الزيات

للأستاذ سيد قطب

( تتمة )

هل هناك مذهب جديد ؟

كان هذا هو السؤال الذى جعل الجواب عليه هو الفصل الأخير من الكتاب ، وناقش فيه من يدعون إلى العامية ، ومن يدعون إلى الرمزية . والعامية ليس من الضرورى أن تكون عامية اللفظ ، فهى عامية التعبير وعامية التفكير . وقد لا تكون الألفاظ عامية ، ثم تكون طريقة الأداء عامية ، كما تكون كذلك طريقة التفكير

وفى سياق بحث الموقف الحالى للأساليب العربية شرح تطورات أساليب النثر العربى شرحا مختصراً وافياً دقيقاً ، ولخص مذاهبه تلخيصا جميلا مفيداً ، ورتب على هذا التطور نتائجه المنطقية ترتيبا بارعا وصادقا فى الوقت ذاته .

وفى اعتقادى أن هذا الفصل هو أبرع فصول الكتاب وأدقها وأصدقها . وهو كذلك بحث جديد فى المكتبة العربية ، لم يلخص من قبل مثل هذا التلخيص .

وأحب أن أشرك القارىء معى فى تقدير قيمة هذا الفصل الجيد من فصول الكتاب .

جاء فى ص ١٢٥ :

« ... إن المذهب الكتابى أو الشعرى إما أن يكون مرحلة تطور لمذهب يتقدم به مبتدعوه ، وإما أن يكون رد فعل لمذهب يغلو فيه متبعوه . فأسلوب عبد الحميد بن يحيى إنما كان الطور الأول للاسلوب العربى الضيق الموجز ، دعت إليه مقتضيات المجتمع الجديد من تشعب أطراف الدولة ، وبدوّ ثمار الحضارة ، ودنو العربية من الفارسية . وأسلوب ابن المقفع الذى ظهر فى فجر الحضارة العربية كان طوره الثانى ، دعا إليه اتساع الخلافة ، وتنوع الثقافة ، وشدة اختلاط العرب بالفرس . ثم كان طوره الثالث أسلوب الجاحظ الذى اقتضاه نقل العلوم الأجنبية ، وازدهار المدنية العباسية ، وانتشار المقالات الإسلامية ، وتعقد الحالة الاجتماعية ، وتولد المعانى الحضرية ، واقتباس الآراء الفلسفية . ثم أترف المسلمون ، وتقلبوا فى أعطاف النعمة ، وتأنقوا فى مظاهر العيش ، فظهر طوره الرابع فى أسلوب ابن العميد المنمق المسجوع . وإلى هنا كان التطور فى النثر الفنى تطورا طرديا يسير من الضيق إلى السعة ، ومن الجزالة إلى الرقة ، ومن الترسل المتوازن إلى الصنعة المطبوعة . فلما ضعفت الخلافة وقام بالأمر غير أهله بدت على الكتابة أعراض الفساد والوهن ، فكثرت المعانى المزيفة ، وانتشرت الصنعة المتكلفة ؛ وكان من ذلك مذهب القاضى الفاضل وهو الطور الخامس من أطوار الأسلوب العربى ، غلا فيه أصحابه حتى أفسدوا الفكرة بالتفاهة والمبالغة ، وشوهوا الصورة بالزخرف الكاذب والسجع المجتلب . ومن هنا كان رد الفعل بظهور طريقة ابن خلدون ، إذ رغب عن السجع ، وزهد فى البديع ، وسار باللفظ وراء المعنى . وقد صرح بذلك فى كلامه عن كتابته لأبى سالم أحد ملوك الأندلس قال :

« وكان أكثرها يصدر عنى بالكلام المرسل ، بدون أن يشاركنى أحد ممن ينتحل الكتابة فى الأسجاع ، لضعف احتمالها وخفاء المعانى فيها على أكثر الناس ، بخلاف المرسل ، فانفردت به يومئذ ، وكان مستغربا عند من هم من أهل هذه الصناعة »

« وآثر النابغون من خريجى المدارس المدنية الحديثة الذين وقفوا على آداب الفرنجة ، الطريقة الخلدونية على الطريقة الفاضلية ، لجريانها مع الطبع ، وملاءمتها لروح العصر ، ومشابهتها لأساليب الغرب ، فظهرت مهذبة عذبة فيما كتب قاسم أمين ، وفتحى زغلول ، ولطفى السيد ، ومن جرى مجراهم . وانفرد بالأسلوب البديعى رجال دار العلوم ومن يمت بسبب إلى الأزهر ، من أمثال الشيخ حمزة فتح الله ، وتوفيق البكرى ، وحفنى ناصف ، ومن حذا حذوهم . وبدت على أسلوب هؤلاء مظاهر التكلف ، فأسرفوا فى المحاكاة ، وأوغلوا فى الصنعة ، وتشددوا فى القياس ، وتصعبوا فى استعمال اللغة . كما بدت على أسلوب أولئك مظاهر التطرف ، فتجوزوا فى القواعد ، وتسامحوا فى اللغة ، واستخفوا

بجمال الصياغة ، وهبطوا إلى مستوى العامية . وفى ذلك الوقت نشأت على أقلام عرب لبنان النازحين إلى الأمريكتين طريقة ثالثة فيها الفكرة والطرافة والحركة والتنوع ، ولكن فيها الركاكة والتساهل والدخيل والعجمة . فكان من رد الفعل الذى لا بد منه لهؤلاء الطرائق الثلاث أن تنشأ طريقة رابعة تأخذ من محاسنها وتخلو من مساوئها فترتضيها الأذواق جميعا . تلك كانت طريقة إحياء الأسلوب العربى الخالص مكمَّل النقص بما فاته من صور البيان ، لانقطاع أهله عن مسايرة التمدن الفكرى الحديث. استبانت هذه الطريقة فى نثر المنفلوطى ، كما استبانت فى شعر البارودى . ثم نهجها الكتاب الموهوبون المطبوعون فتميزت بالرقة والدقة والسلامة والرصانة والقصد . ثم نبغت طائفة من الكتاب جمعوا بين ثقافة الشرق القديم وثقافة الغرب الجديد ، فبلغوا بالنثر الفنى منزلة لم يبلغها فى عصر من عصوره . فالأسلوب الذى كتب به المنفلوطى والبشرى والرافعى ، ويكتب به العقاد وطه حسين والمازنى ، هو ثمرة التطور الحديث فى الأدب والعلم والفن والحضارة . وهو وإن اختلف بين الكتاب فى القوة والضعف ، والعمق والضحولة ، والدقة والتجوز ، والتركز والانتشار ، يشترك فى الصفات الجوهرية للغة وهى الصحة والنقاء والمرونة ، وفى الخصائص الأصيلة للبلاغة وهى الأصالة والوجازة والتلاؤم ... ... »

لقد استطردت فى الاقتباس من هذا الفصل القيم ، لأننى معجب بتصوير هذا التطور والتسلسل فى ذلك الحيز الضيق بمثل هذه النصاعة ؛ ولأننى أريد أن أدعو وزارة المعارف للانتفاع بهذا الفصل خاصة — إن لم يكن بالكتاب كله — فى مدارسها ومعاهدها بدل تلك الفصول القاصرة البائسة التى يدرسها طلاب المدارس الثانوية !!

***

والآن وقد استعرضت وناقشت الأسس العامة فى كتاب « دفاع عن البلاغة » يعن لى أن أناقش بعض الموضوعات الفرعية التى جاءت هنا وهناك فى الكتاب

يناقش المؤلف رأيا لأميل زولا فى البلاغة ، واستعراض هذه المناقشة مفيد فى بيان رأى المؤلف وزيادة إيضاحه .

قال إميل زولا :

« ليس من مطلق الحق — وإن عارض بوفون وبوالو وشاتوبريان وفلوبير — أن الكاتب يكفيه أن يعنى كل العناية بأسلوبه ليشق له فى الأدب طريقا يبقى على الأبد . إن الشكل عرضة للتغير والزوال بسرعة . ولا بد للعمل الكتابى قبل كل شىء أن يكون حيا ؛ ولا يمكن أن يكون حيا إلا إذا كان حقا . والكاتب لا يظفر بالخلود إلا إذا استطاع أن يوجد مخلوقات حية »

ثم يقول بعد ذلك :

« وهل نستطيع أن نتبين الكمال الفنى فى أسلوب هوميروس وفرجيل ونحن نقرؤهما مترجمين ؟ »

ويعلق الأستاذ الزيات على هذا الرأى فيقول :

« وهذا القول ظاهر البطلان ، لأن المخلوقات الحية التى يلدها ذهن الكاتب ، لا يتسنى لها البقاء على توالى الأعقاب والأحقاب إلا بالأسلوب كما قال شاتوبريان »

« أما قوله : « وهل نستطيع أن نتبين الكمال الفنى فى أسلوب هوميروس وفرجيل ونحن نقرؤهما مترجمين ؟ » فرماه أن روائع اليونان والرومان لم تخلد على الدهر إلا بمعانيها المبتكرة ووقائعها المشوقة ، وعواطفها الصادقة ، وشخوصها الحية ،بدليل أننا نقرؤها اليوم بمعانيها لا بمبانيها ، وبفكرها لا بصورها . فلو كان خلودها منوطا بدقة الصياغة وجودة الصناعة لما عاشت بالترجمة . ثم يترتب على ذلك خطأ القول باتحاد الصور والأفكار فى الأسلوب ، لأننا حين نقرأ الإلياذة مثلا فى الفرنسية أو فى العربية لا نقرأ منها عين الموضوع .

« والحق الذى تؤيده الدلائل أن جمال الأسلوب وحده هو الذى ضمن الخلود لهذه الروائع ؛ فإن الثابت بالسند المتصل والخبر المتواتر أنها كانت آية عصرها فى البلاغة ، ولولا ذلك ما روتها الرواة ولا ترجمتها التراجم »

ونحن نرى أن إميل زولا كان على كثير من الحق وهو يقول : « والكاتب لا يظفر بالخلود إلا إذا استطاع أن يوجد مخلوقات حية » وليس هذا القول « ظاهر البطلان » كما يرى الأستاذ الزيات ؛ كما أن تعليق الأستاذ بعد هذا صحيح ، ولا تتناقض صحته مع صحة رأى زولا فى شىء . فالمخلوقات الحية التى يلدها ذهن الكاتب لا يتسنى لها البقاء إلا بالأسلوب »

ولكنها يجب أن تكون « حية » ليحتفظ الأسلوب لها بالحياة وإلا عجز عن منحها الحياة !

وكذلك نحتاج إلى شيء من التحفظ في تعليق الأستاذ على خلود روائع هوميروس وفرجيل ؛ فليس الأسلوب «وحده» هو الذي ضمن لها الخلود ، فلا بد من عنصر آخر حي مع الأسلوب ، كما اتفقنا من قبل ، الأستاذ وأنا ، على هذا الأصل الكبير (في أول مقال)

ويستطرد الأستاذ في تعليقه فيقرر في شأن الترجمة رأيا صحيحا نرجو أن ينتفع به من يتصدون لترجمة روائع الأدب العالمي ! ذلك حين يقول في ص ٧٢ :

« والترجمة الصحيحة لا تنقل أفكار الكاتب أو الشاعر وحدها عن الأصل ؛ إنما تنقل مع ذلك إشراق روحه ، وسمو إلهامه ، ولطف شعوره ، ونمط تفكيره ، وخصائص أسلوبه . فلو أن تراجمانا ضعيف العربية من تراجم المحاكم حدثته نفسه أن يعرض لإحدى روائع شكسبير فنقلها نقلا لفظيا بأسلوبه الذي يترجم به عروض الأحوال ، أو أصول الأحكام ، فهل تقول إذا استطعت أن تقرأ ما كتب إنك قرأت شكسبير ؟ أم ترى أنك قرأت ألفاظا كالعظام المعروقة المبعثرة ، لا تمثل من أي حيوان معنى من معانيه ، ولا صورة من صوره ؟ ... الخ »

وهذا دستور جيد للترجمة . وأشهد أني أقرأ في هذه الأيام مترجمات لا أدري إن كانت على رأي البحتري ، إن كان صنع إنس لجن ، أم صنع جن لإنس ! فلعل من يتصدون للترجمة ينتفعون بهذا الدستور القويم !

***

وأخيراً نقف أمام لفتة طيبة تقرن فحولة الفن بفحولة الأمة عامة وفحولة البطل منها خاصة ؛ وهي لفتة صادقة ولكننا لا نثبتها هنا لمجرد الصدق ، بل للتوجيه أيضا :

جاء في ص ١٢٢ :

« وازن بين عصر وعصر في الأدب ، أو بين أديب وأديب في الأسلوب ، تر الفرق بينهما إذا حللته لا يخرج عن قوة الرجولة في هذا وضعفها في ذاك . فعصر الجاهلية عند العرب واليونان ، وعصر الفتوح عند المسلمين والرومان ، وعهد الفروسية عند الفرنسيين والطليان ، كانت أزهى عصور البلاغة ، لأن الرجولة كانت فيها بفضل النزاع والصراع في سبيل الحياة والغلبة والمجد والمرأة أشد ما تكون تماما واضطراما وقوة . فلما قتل الترف الرجولة ، وأذل العجز النفوس ، زهقت روح الفن ، وذهبت بلاغة الأسلوب ، وأصبح أدب الأديب سخفا وزيفا وثرثرة »

وجاء في ص ١٢٣ :

« إن الأدب البليغ كامن في البطل على أي صورة كان . فهو إن أنتجه برّز فيه ، وإن لم ينتجه شجع عليه . لذلك ازدهر الأدب في ظلال أغسطس وبركليس والرشيد وسيف الدولة . وما دام كبراؤنا لم يخلقهم الله من الأبطال ولا من عباقرة الرجال ، فهيهات أن ينتجوا الأدب أو يفهموه أو يحبوه أو يعضدوه أو يقدموا أهله . وسيظل هذا النور الضئيل من الأدب القوي الحر محصوراً في ظلام العمى والجهل ، حتى تقوى الأمة فينتشر ، وينبغ فيها القادة فيزدهر . وسيعيش رجاله القلال المخلصون معتكفين في المكاتب اعتكاف النساك في الصوامع ، يمثلونه على بصر الطبيعة ، وينشدونه على سمع الزمن ، حتى تقوى دولة الحق والجمال ، فيجلسوا في الصدر ويمشوا في المقدمة »

إن الذي يقرره الأستاذ عن الصلة بين فحولة الأدب وفحولة الأمة أو الفرد صحيح ؛ ولكني لا أوافقه في تشاؤمه من العصر لأنه لم يوجد فيه بعدُ أغسطس وبركليس والرشيد وسيف الدولة. إن الأدب لم يعد اليوم في حاجة إلى أمير يرعاه أو كبير يشجعه . لقد انتهى عهد الأمراء والكبراء . والعصر عصر الشعوب والأفراد . والأمة العربية الناهضة اليوم بمجموعها عوض عن أمراء الإقطاع في عهد سيف الدولة . فللأدب العالي أن يزهو اليوم مستقلا بنفسه ، وللأدباء اليوم أن يسيروا في الأرض غير معتمدين على ذراع أمير أو كبير .

وما نظرت يوما إلى الأديب في نفسي وإلى أي أمير أو وزير أو كبير إلا وجدتني أكبر وأشد قوة ، وإلا وجدت هذا الأمير أو الوزير أو الكبير في حاجة إلى رعايتي قبل أن أكون في حاجة إلى رعايته ! وهذه هي الدعوة التي يحسن أن نهتف بها للأدب والأدباء ليترفع بعض من لا يترفع منهم ، عن الزلفى للأمراء والوزراء والكبراء ![1]

**سيد قطب**

---

(١) فصل من كتاب (كتب وشخصيات) يصدر قريبا

الأدب في سير أعلامه :

# ملتن . . .

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال . . ]

للاستاذ محمود الخفيف

— ١٨ —

حربه على القساوسة :

وأردف ملتن هذا الكتيب بكتيب ثان في يوليو سنة ١٦٤١ رد به على (أشر) أحد كبار الأساقفة ، وكان كتيبه الثاني صغيراً ، وقد عد رده على هذا الأسقف جرأة عظيمة ومبالغة منه في الثقة بنفسه ؛ وذلك أن أشر كان من أوسع الأساقفة أفقاً في تاريخ الكنيسة ومسائلها ؛ قضى نحو ثمانية عشر عاماً من عمره في هذه الدراسة حتى أصبح من أفذاذ طائفته . وقد جادله ملتن جدالا عنيفاً ، ولجأ إلى المنطق في مجادلته . ومن أمثلة ذلك قوله « ترجع الأسقفية إما إلى أصل إنساني أو إلى أصل إلهي ، فان كانت الأولى جاز القضاء أو الإبقاء عليها حسبما توحي المصلحة ، وإن كانت الثانية وجب أن يقوم الدليل على ذلك من الكتاب المقدس ، فانه إن لم يقم هذا الدليل فلن يكون لأي تأكيد إنساني لها أية قيمة يعول عليها » ، وبعد أن يعجز ملتن خصمه بمطالبته بهذا الدليل يستعرض ما اعتمد عليه من المراجع فيسفهها ويسخر منها في لغة هي أقرب إلى السباب منها إلى النقد ، ولن يخشى ملتن أن يسجل في كتيبه احتقاره لآباء الكنيسة القدامى وزرايته عليهم وعلى كل من يخالفه سواهم فيما يذهب إليه مهما يكن من خطره أو سلطانه ...

ولم يلبث أن أعقب في السنة نفسها كتيبه الثاني بثالث ، وذلك أن (هول) رد على جماعة سمكتنسي بكتيب جديد يدافع به عن كتيبه الذي سماه الإعلان المتواضع . فانبرى له ملتن وراح يسخر منه ما وسعته السخرية ، وجرى في ذلك على طريقة عجيبة ، فهو يورد رأياً من آراء هول ويسوقه مساق التحدي في صيغة سؤال أو اعتراض ثم يجيب عليه متهكماً ساخراً حتى لا يتورع أن يرد على أحد الاعتراضات بضحكات يثبت صورتها هكذا ... ها! ها! ها! على نحو ما يفعل الطلاب إذ يتجادلون في أمر من الأمور .

ولم يستطع ملتن أن يملك زمام قلمه إذ كان يرد على أحد المتحمسين من الفئة التي يبغضها ويحاربها في عنف بالغ ، لذلك جاء من عبارات الهجاء والفحش بما نعجب كيف يصدر مثله ممن كان له مثل ثقافته وأدبه ونفسه الشاعرة وحسه المرهف ، وتلك في الحق عجيبة من عجائب عقله وخلقه ...

وفي مستهل سنة ١٦٤٢ نشر ملتن كتيباً رابعاً ، وجمع في هذا الكتيب كل ما واتته به ثقافته ودراسته من المعرفة وكل ما جادت به قريحته من الآراء وساقها جميعاً حربا على خصومه القساوسة ، وكان في هذا الكتيب أكثر عناية بالشرح والاقناع منه بالسخرية والاقذاع ، لذلك جاء خلواً من الحشو بريئاً من هجر القول وإن لم تكن لهجته فيه أقل حماسة منها في سالفيه ، ولهذا الكتيب الرابع أهمية من ناحية أخرى ، وذلك أن ملتن أبان فيه بعض آرائه في الدين والسياسة .

ففي الدين أعلن تمسكه بالبرسبيتيرية وأنها خير نظام لإدارة الكنيسة ، فلا يصح أن يترك لهؤلاء القساوسة الإشراف على الكنيسة فيرتفع بعضهم فوق بعض درجات ، ويتخذوا من مناصبهم الدينية سلاحاً للعدوان والطغيان والجشع ، وإنما يجب أن يكون المشرفون على إدارتها قوم يرضى عنهم الناس ويختارون بمشيئتهم ويكونون في مناصبهم سواء ، وهو في ذلك إنما يشير باتباع نظام كلفن في حماسة وإخلاص .

وذكر أحد القساوسة في هذه المعركة أن آدم هو أول قس ، فكان مما رد به ملتن على ذلك قوله : إنه إزاء ما يراه من شدة ولوعهم بالقديم في الدفاع عن قضيتهم يوافقهم فيما يزعمونه ، بل إنه يذهب في القدم إلى أبعد مما ذهبوا ؛ فاذا كان آدم في البشر هو أول قس ، فقد كان إبليس من قبل آدم هو في الملائكة القس الأول . ويخرج ملتن من ذلك بنتيجة وهي أن القساوسة في أصلهم ينتمون إلى الشيطان ، فحسبنا من بغض هذا النظام أنه من عمل الشيطان .

ويؤمن ملتن بعقيدة الثالوث على الرغم من فكرته السامية التي تجلت في إنكاره تصور الله وتحديده ويصلي مستعيذاً بهذا الثالوث ككل من يؤمن بهذه العقيدة في أصلها ؛

ويميل ملتن إلى الاعتدال والتسامح فى معاملة أهل المذاهب الأخرى من غير البيوريتانز ، فوجود هؤلاء المخالفين أمر طبيعى لأن هؤلاء يعدون قبل الإصلاح الجديد كالآلام الشديدة التى تسبق كل وضع ؛ وما من شىء يتغير من حال إلى حال فى عالم المادة إلا بعراكه مع العناصر الأخرى المضادة له ، وفى المصنوعات لا بد من ذهاب بعض المادة فى التسوية والتهذيب ، وما من تمثال من المرمر يقام أو من صرح يبنى إلا إذا أزيل كذلك شىء مما علق به .

ولا يسع ملتن إلا الموافقة على عقوبة الطرد من الكنيسة ولكن على ألا يستعمل هذا الحق إلا بمنتهى الحذر وبعد التحرى الدقيق وطول الأناة والوثوق من أن المذنب يستحق تلك العقوبة .

ولا يزال ملتن فى كتيبه هذا مواليًا للملكية ، وغاية مايسمو إليه أن يتخلص الملك وأن تتخلص انجلترة من طغيان القساوسة . وفى رأيه أن القساوسة هم الذين يوحون إلى الملك الطغيان والاستبداد ، لأنهم بتعصبهم وحرصهم على مناصبهم ومغانمهم يكرهون كل رأى حر ، ومتى لمحوا رأيًا حرًا رأوا فيه نذر الفتنة وخوفوا الناس من عواقبه وأشفقوا على النظام والهدوء من الفوضى المزعومة ، هذا إلى دسائسهم وسوء مكرهم وافترائهم الكذب على من يخشونه من الناس ؛ وإنه ليرى فيهم بذلك وبغيره أصلح أداة للطغيان . ولقد اعتادت الكنيسة أن تتخذ من الكتاب المقدس سلاحا تشهره فى وجه الحرية ، ووسيلة إلى الجشع الذى لا يشبع والطموح الذى لا يقف عند حد .

وجاء فى كتيبه هذا فيما جاء من آرائه طعن شديد على الجامعات ؛ فما إن زال ملتن حانقًا على الجامعة وأسلوب التعليم بها بعد أن تركها بعشر سنوات ؛ وجاء رأيه عن الجامعات عرضًا فهو يعجب كيف أن أناسًا علم من أمرهم أنهم أهل ثقافة وعلم يدافعون عن الكنيسة بكتاباتهم ؛ ويرد ذلك إلى أنهم اكتسبوا ما يسمونه علمًا فى الجامعات ، فقد قصدوا إليها يبتغون المعرفة الصحيحة ، ولكنهم لم يجدوا هناك إلا ألوانا من السفسطة وضروبًا من تعاليم القساوسة سدت بها حلوقهم فعاقت دخول الفلسفة الصحيحة ، كما حنق أصواتهم إلى الأبد ما امتلأت به حناجرهم من لغو ميتافزيقى ...

وفى سنة ١٦٤٢ نشر القس هول وابنه كتيبًا عنيف اللهجة نابى العبارات وجها فيه إلى ملتن مطاعن شديدة تناولت فيما تناولت شخصه ومسلكه إبان طلبه العلم بالجامعة ، وكأنما أرادا أن يحارباه بسلاح من أسلحته لكى يذيقاه مرارة المطاعن الشخصية . والحق أنهما أوجعاه وملآ قلبه بكتيبهما هذا غيظًا شديدًا وحنقا ولا سيما أنهما افتريا عليه ماليس من خلقه ونسبا إليه ما هو نقيض ما عرف عنه من استقامة وطهر وعفة حرص عليها أشد الحرص سرًا وعلانية حتى باتت من أبرز صفاته وأخصها ...

اتهمه هول وابنه أنه لسوء مسلكه فى الجامعة قد لفظته كما تلفظ الحلوق القىء ، فذهب إلى منعزل على مقربة من لندن حيث كان يقضى نهاره فى الفسوق والفجور وليله فى أماكن ومواخير الفساد ، وحيث راح يغازل أرملة غنية بغية الزواج بها .

ورد ملتن بكتيب كان خامس هاتيك الكتيبات فذكر أنه ما كان ليعبأ بما يقولان لولا أنه لصلته بجماعة سمكتمنسى ولإخلاصه لواجبه فى القضية التى هو بصددها يحرص على أن يطهر اسمه مما حاولا أن يلصقاه به ، ومهد بهذا الحديث طويل عن نفسه يعد تاريخًا لحياته حتى ذلك الوقت ...

نفى عن نفسه أن الجامعة لفظته ، فها هو ذا يحمل شهادة من أكبر شهاداتها ، ولقد كان هناك كما يعرف أهلها جميعًا موضع التوقير والمحبة ، وكان يقضى أصباحه فى قراءة أعظم المؤلفين وفى تقوية بدنه بالرياضة ، أما أمساؤه فلم يعرف فيها فجورًا ولا لهوًا اللهم إلا ما كان يشاهده من تمثيل مسرحيات الكلية فى كمبردج إن كان يعد هذا من الفجور .

ويشير ملتن إلى عزلته بعد أن ترك الكلية وإلى دراساته التى أخذ نفسه بها فى غير رفق ، هنالك حيث قرأ فيمن قرأ أفلاطون ونده زينوفون قراءة درس وتمحيص و « حيث أعنى إذا تكلمت عما علمته من الحكمة والحب الجانب الحق منهما ، ذلك الجانب الذى ليس غير الفضيلة كأسه الساحرة التى يطاف بها على من يستحقونها فحسب . أما الذين لا يستحقونها فتطوف عليهم شيطانة نزلت باسم الحب وأهانته بكأس مزاجها شراب مسكر ثقيل ؛ وتعلمت كيف تبدأ فى النفس وكيف تنتهى فيها أولى غايات الحب وأهمها فتلد توأميها السعيدين : العلم والفضيلة .

ويعد ملتن قارئيه أنه سوف يتكلم عن الحب الصحيح أكثر مما تكلم وذلك « فى وقت هادئ لا شتائم فيه ، لا فى هذه الحلبة القائمة إذ ينبح الخصوم بالباب كما تعلمون » .

ويعود إلى حيث العفة فيقول : « إن من يحب ألا يخلق

دونه الأمل فى أن يكتب مايعظم وقعه فى النفس فعليه أن يكون هو نفسه قصيدة صحيحة ، أعنى مزيجاً من أجمل الأشياء وأشرفها بهذه الفكرة يصحبها جمال فى طبيعتى وكبرياء شريفة فى نفسى ونظرة منى سامية إلى ذاتى سواء فيما سلف من حياتى وفيما استقبل منها ؛ بهذا كله لا أزال أعلو على ذلك التدهور العقلى الذى لا بد أن ينحط إلى أسفل منه من تقر نفسه الفسوق والفحشاء » .

ويقول إنه قد تعلم كمسيحى أن فقدان العفة فى الرجل وهو أكمل الزوجين جنساً وهو صورة الله ومجده ، أكثر عيباً منه فى المرأة التى هى مجد الرجل فحسب ؛ وأن فى الجنة ألحاناً قدسية لن يفهمها إلا من لم يدنس بالنساء بدنه . وتطرق من هذا إلى قوله إنه ككل عاقل يفضل أن يتزوج بعذراء فقيرة على أن يتزوج بأرملة غنية .

وينتقل ملتن بعد الدفاع إلى الهجوم ، فيعود إلى التنديد بالأساقفة وجمود عواطفهم وتعصبهم وجهلهم وحماقاتهم على نحو لا يسهل معه أن نقول أيهما كان أقذع لفظاً وأخش هجواً : ملتن أم خصمه هول .

بهذا الكتيب الخامس تنتهى الحرب بين ملتن والقساوسة ، وهى جانب من جوانب دفاعه عن الحرية ، وهو هنا إنما يدافع عنها أمام التعصب الفكرى الذى هو من أشد أعدائها خطراً عليها .

ولا بد من نظرة إجمالية فى هذه الكتيبات الخمسة بعد أن بينا موضوع كل كتيب منها والدافع الذى حمل ملتن على كتابته .

يخطئ من ينظر إلى هذه الكتيبات على أنها عمل أدبى ، فما كانت فى الواقع إلا حرباً قوامها الحماسة والعنف ، لا يعنى صاحبها إلا أن يصيب فيصمى ، أو يضرب فيهزم ، وشتان بين هذا وبين العمل الأدبى الذى يقيمه صاحبه على أساس من الفن وتكون قوامه فكرة إيجابية فيبنى كما يهدم ويتبين ما يأخذ مما يدع ، ويتفنن فى إبداع الصورة وفى اختيار اللفظ وإحكام النسج لكى يجمع بين وضوح الفكرة وجمال الأداء .

لهذا كان يجمع ملتن فى كتيباته هذه بين السمو والإسفاف والبلاغة والركاكة والجودة والغثاثة ، والحجة الناصعة والشتائم المقذعة ، والفلسفة الرصينة والتفاهة الشيئنة ، والغرض النبيل والطعن الشخصى الوبيل ، لا يعنيه إلا أن يؤلم ويوجع ويشفى سخيمة صدره ، وأن يكون من وراء كتيباته أثر عميق فى أذهان الناس وتقومهم وضجيج شديد يتجاوب العصر صداه . ولقد نجح فيما أراد نجاحا كبيراً فهز نفوس قومه هزاً قوياً وزلزل القساوسة زلزالا شديداً .

وكان أسلوب ملتن فى الجملة أسلوب الشاعر العظيم إذا كتب على غير أصالة منه فى النثر ، لذلك كان يأتى بكثير من الصور والأخيلة الشعرية فى مجازاته وتشبيهاته واستعاراته ويستغرق فى المحسنات اللفظية ما وسمه الاستغراق ، كما كان يعمد إلى الميثولوجيا أحيانا فيخيل إليك من بعض فقراته أنك تلقاء شعر لا ينقصه إلا الوزن والقافية ، على أنك تقع بين الفينة والفينة على صفحات له يشرف بها على الغاية من بلاغة العبارة وإشراق اللفظ ومتانة السياق وبراعة الاتزان بين الجمل والاتساق .

أما آراؤه التى أوردها فيها وإن لم يقصد إلى ذلك فترينا أنه كان حتى ذلك الوقت مؤمنا بعقيدة الثالوث فى أصالتها وإن كان برسبتيرياً من حيث إدارة الكنيسة ، بيوريتانياً من حيث المذهب مع شئ غير قليل من الاعتدال ، ملكياً من حيث السياسة ، كما ترينا أن أقوى عواطفه يومئذ كانت عاطفة الدفاع عن الحرية وشدة محبته إياها ...

على أن حبه الشديد للحرية سينتهى به فيما سنرى من تطور فكره إلى انطلاقه من تلك الآراء جميعاً ، فينفر من عقيدة الثالوث ومن مثيلاتها من العقائد لأنها تستند إلى العقل ولا تتفق مع ما يجب من حرية الفكر ، وينفر من البرسبتيرية لأنها نظام جامد لا تسلم له أن يعيش ويفكر كما يرى ، وينفر من الملكية لأنها سوف تقيم الدليل فى السنوات المقبلة على تمسكها بالاستبداد وكراهتها روح الحرية .

ولقد كانت هذه الكتيبات آخر ما كتب وقلبه عامر بالأمن ونفسه متطلعة إلى النصر ، فلسوف تنهار الآمال واحداً بعد واحد ؛ فيتزوج بعذراء فيجد الصدمة الأولى لآرائه وكبريائه فى هذا الزواج ويكون من أشد ما يعكر عليه مستقبل حياته ؛ وتظهر له البرسبتيرية وليست أقل تعصباً وحماقة من الأسقفية ؛ ويلتفت باحثاً عن الحرية فلا تنزل من السماء كما أمل واستبشر لتجعل من انجلترة مدينة الله على الأرض ، ويقلب الشاعر كفيه فى حسرة ويبتئس قلبه الكبير وتتكدر روحه العظيمة فيفقد الثقة فى الأرض ومن عليها ويتجه ببصره صوب السماء ، ويلتمس فى التغنى بألحان فردوسه العزاء .

( يتبع ) **الخفيف**

# الشاعران المتشابهان

## الشابى (التونسى) والتجانى (السودانى)


للأستاذ أبى القاسم محمد بدرى


[ تتمة ما نشر فى العدد الماضى ]

### تصوير الأحداث الوطنية :

الشاعران اشتركا فى البواعث التى تستفز الإنسان إلى المنطق بشعر متفق فى المعنى والغرض لما بينهما من التشابه فى كثير من نواحى الحياة كما قدمنا ، فكلاهما عاش حياه مليئة بالأهوال ، زاخرة بالكفاح والنضال . وبرم كل منهما بما يجرى بين أهله وقومه ، مستهجناً حياة شعب يعانى متاعب الاستعباد وآلام الاستبداد . ولقد بذل كل منهما جهده فى تصوير أحوال شعبيهما حفزاً للشعور ، واستفزازاً للنفوس المكلومة لتصحو من غفوتها ، وتهب من رقدتها ، وتنهض وتركض حتى تلحق بركب الأمم المسرع العجلان الذى لا يعين العاجز ولا ينتظر المتخلف الكسلان . إنهما أجادا وأفادا ، كأحسن ما يطلب ذلك من شاعرين عظيمين أديا رسالتيهما فى البلاغ والبيان أداء كاملا واضحاً فى مبناه ، قوياً فى معناه ، مؤثراً بألفاظه وموسيقاه ، قال الشابى مخاطباً شعبه .

ليت لى قوة العواطف ياشعبى فألقى إليك ثورة نفسى
ليت لى قوة الأعاصير لكن أنت حى يقضى الحياة برمس
أنت روح غبية تكره النور وتقضى الدهور فى ليل حدس
أنت لا تدرك الحقائق إن طافت حواليك دون حس وحس

إلى أن قال : —

فى صباح الحياة ضمخت أكوا    بى وأترعتها بخمرة نفسى
ثم قدمتها إليك فأهرقت    رحيق ودست يا شعب كأسى
فتألمت ثم أسكت آلا    مى و كفكفت من شعورى وحسى
ثم نضدت من أزاهير قلبى    باقة لم يمسها أى إنس
ثم قدمتها إليـــك فمزقت    ورودى ودستها أى دوس
ثم ألبستنى من الحزن ثوباً    وبشوك الصخور توجت رأسى

ثم قال لما يئس من الإصلاح وبرم بالحياة وحينما ذهبت صحته أدارج الرياح ولم يسمع قومه الأنين والنواح : —

هأنا ذاهب إلى الغاب يا شعـ    ـبى لأقضى الحياة وحدى بيأسى
هأنا ذاهب إلى الغاب علَّى    فى صميم الغابات أدفن نفسى
ثم أنساك ما استطعت فما أنـ    ـت بأهل لخمرتى ولكأسى

ولكن هيهات أن ينساه وهو قد ترعرع فوق أرضه ونشأ تحت سماه . إنه يحثه للنهوض ويدفعه للعمل السريع بعد سكب روح الأمل البديع فيه ، وذلك يتضح فى خطابه الطير الذى يدرى معنى الحياة ، ويعرف أن طيب عيشها لا يتاح لمن سلبت حريته ، ومات حسه وبلد شعوره ، وانطفأت جذوة آماله ، وغاض معين أحلامه .

سوف أتلو على الطيور أناشـ    ـيدى وأفضى لها بأحزان نفسى
فهى تدرى معنى الحياة وتدرى    أن مجد النفوس يقظة حس

ويتبين لك عند إنعام النظر أنه لم ييأس من الإصلاح بل كان يستبعد زمنه ؛ لأن شعبه لم يبلغ سن النضج ولم يقف على سوقه ينافح ويكافح ليرد حريته المسلوبة فيحظى بكمال استقلاله ، ويرغم غيره من الأمم على احترامه وإجلاله . وفى القول التالى يؤنب بنى قومه لما استخفوا بقوله ، وأشاحوا معرضين عن سماع صوته .

أيها الشعب أنت طفل صغير    لاعب بالتراب والليل يمسى
أنت فى الكون قوة لم تسسها    فكرة عبقرية ذات بأس
أنت فى الكون قوة كبلتها    ظلمات العصور من أمس أمس
والشقى الشقى من كان مثلى    فى حساسيتى ورقة نفسى
هكذا قال شاعر ناول الشعـ    ـب رحيق الحياة فى خير كأس
فأشاحوا عنها ومروا غضابا    واستخفوا به وقالوا بيأس
« قد أضاع الحياة فى ملعب الجن    فيا بؤسه أصيب بمس »
« طالما حدث الشياطين فى الوا    دى وغنى مع الرياح بجرس »

ويشبه التجانى الشابى فى رقة الإحساس ودقة المشاعر . فهو نفس مرهفة مضطرمة ، وقلب خفاق بلواعج الحب لوطنه ، والإخلاص لقومه ، يثور لأحزانه ويتألم لآلامه وأشجانه . وقلب التجانى هو قلب الشاعر الصادق الذى يعد بمثابة أداة تصوير واعية تلتقط ما يتساقط عليها من ألوان الحوادث ومشاكل الوجود ، ومسرات الحياة وحسراتها . عبرت نفس التجانى الثائرة عما يجيش فى قرارتها بهذه الأبيات الشاكية الصارخة فى قصيدة مطلعها ( ثورة ) فقال .

من لهذا الأنام يحميه عنى ... قلمى صارمى وطرسى مجنى

هو فنى إذا اكتهلت وما زا ... ل على ريّق الحداثة فنى

نهلت من دمى الحوادث واستر ... وى يراعى مما يدفّع دنى

إلى أن يقول : —

وطنى فى الصبا الذى والتمائم ... ل ونفسى ومن أحب وخدنى

هـذه يا أبى تصاوير ما تبـ ... رح دنياى أو تزايل كونى

يصنع الغاب مزهرى، ويشيد الر ... مل عرشى ، ويبعث اللهو أمنى

تلك عرسى وإنها صنع نفسى ... بيدى صغتها وذلك ابنى

هى دنيا الصبىّ لا جنة الشيـ ... خ تفيض النعيم من كل لون

ثم يخاطب وطنه فيقول : —

قف بنا نملأ البـلاد حماساً ... ونقوض من ركنها المرجحن

هى للنـازحين مورد جود ... وهى للآهلين مبعث ضن

يستدر الأجانب الخير منها ... والثراء العريض فى غير من

أبطرتهم بلادنا فتعـالى ... ابن أثينا «واستكبر» الأرمنى

ثم يختمها بهذا البيت الرائع الذى يدل على صدق الوطنية وقوة الشعور بكرامة القومية . —

يابلادى أخلصتك الخير واستصـ ... فيت ودى إليك من كل مين

ماذا ترى فى هذا الشعر الرصين والنفثة القوية المنبعثة من فؤاد مجروح وصدر معذب بالحرقة والأنين ؟ يتألم ويرسل صوته داويا كالريح ، مجلجلا كالرعد ، نافذاً كالسهم فى قلوب المواطنين ونفوس الشباب العاملين .

**صور الحب والجمال :**

ليس فى الوجود إنسان دقيق الشاعر مرهف الإحساس لا يخفق قلبه للحب العذرى الطاهر ، ولا يفتتن بمنظر الجمال الساحر الجذاب ، ويتعلق بالحسن فى جميع مظاهره المادية والمعنوية .

وما دامت النفس البشرية تشعر بهذه العاطفة الجامحة فأنها تجد فى الشعر خير معبر ناطق لما يلابسها من متباين الحس ومختلف الشعور ؛ وأصدق محدث ينطق بما توحى به بيئة كل شاعر ومحيطه الذى نشأ فيه ، وبما يؤثر عليه فى حياته من متنوع الحوادث ومتعدد الخطوب .

لقد خفق قلب الشابى بالحب حينما خاطب محبوبه بهذه الأبيات فى قصيدة عنوانها ( أيتها الحالمة بين العواطف ) .

أنت كالزهرة الجميلة فى الغا ... ب ولكن ما بين شوك ودود

فافهمى الناس إنما الناس خلق ... مفسد فى الوجود غير رشيد

والسعيد السعيد من عاش كالليـ ... ل غريباً فى أهل هذا الوجود

ودعيهم يحيون فى ظلمة الإثـ ... م وعيشى فى طهرك المحمود

كالملاك البرىء ، كالوردة البيـ ... ضاء ، كالموج فى الخضم البعيد

كأغانى الطيور ، كالشفق السا ... حر، كالكوكب البعيد السعيد

أودع الشابى فى الأبيات المتقدمة فنه وروحه وفكره . فهو حسن فى الصياغة والتخييل ، وبارع فى التشبيه والتمثيل ، ومن أكثر الشعراء وقوعاً على المعنى الطريف والفكرة العميقة .

فهل لنظيره التجانى شعر يشبهه فى روعة المعنى ودقة المبنى .

إن التجانى وايم الحق وحيد عصره ونسيج دهره فى الإبداع فى شعر الحب والجمال . وإليك قصيدة تمثل أصدق تمثيل فنه الرائع، وفكره البارع ، وخياله العميق ، وتعبيره الدقيق . اسمه يقول وهو المحب الواله المفتون :

**جمال وقلوب**

وعبدناك يا جمـال وصغنا ... لك أنفاسنا هياماً وحبا

ووهبنا لك الحيـاة وفجّر ... نا ينابيعها لعينيك قربى

وسمونا بكل ما فيك من ضعـ ... ف جميل حتى استفاض وأربى

وحبـوناك ما يزيدك يا لفـ ... ظ وضوحاً ، وأنت تفتأ صعبا

إلى أن قال :

من ترى وزع الفاتن يا حسـ ... نُ ومن ذا أوحى لنا أن نحبا

من ترى علّم القلوب هوى الحسـ ... ن وقال اعبدى من السحر ربا

من ترى ألهم الجمال وقد أعطـ ... اه من جبرة الحوادث غضبا

أن يبث الهوى مفاتن فى جفـ ... ن بليغ وأن يجود ويأبى

من ترى وثق العرى بين مسحو ... رين اتما هما جمالا وقلبا

إنه صانع القلـوب التى تنـ ... صب فى قالب المحاسن صبا

**تصوير الحالات النفسية :**

إذا عرفنا أن فى مكنة الشاعر العبقرى أن يُنطق الشخوص عن نفثات صدورهم ، وصيحات قلوبهم ، وحسرات نفوسهم

فى تعبير قوى ونغم سحرى ، ومعنى علوى ، ينتقل به التأثير إلى نفوس السامعين فتتحرك عواطف القارئين بوحى الصورة المحسّة فى الوصف الشعرى ؛ فإن فى استطاعته من غير ما مشقة أو نصب أن يصور خلجات نفسه ، ونبضات قلبه ، وإحساس روحه ، صوراً شعرية ، هى فيض العاطفة المنفعلة ، ووحى الوجدان الصادق الذى عرف حقائق الوجود فى نفسه معرفة الواقع الملموس ، لا المتخيل المحسوس .

للشابى قصائد كثيرة يصور فيها مطالب حسه ، وشجون نفسه ، تصويراً عذباً صادقاً تحس فيه حرارة الأيمان ، وصدق العواطف الباكية الناحبة . قال أبياتاً فى قصيدته ( فى ظل وادى الموت ) :

نحن نمشى وحولنا هاته الأكـ ... وان تمشى ؛ لكن لأية غايه ؟
نحن نشدو مع العصافير للشمـ ... ـس ، وهذا الربيع ينفخ نايه
نحن نتلو آية الكون للمو ... ت ، ولكن ماذا ختام الروايه ؟

إلى أن قال :

قد رتعنا مع الحياة طويلا ... وشدونا مع الشباب سنينا
وعدونا مع الليالى حفاة ... فى شعاب الزمان حتى وعينا
وأكلنا التراب حتى مللنا ... وشربنا الدموع حتى روينا

وفى قصيدة أخرى عنوانها ( الأبد الصغير ) يقول :

يا قلب إنك كون مدهش عجب ... إن تسأل الناس عن آفاته وجموا
كأنك الأبد المجهول قد عجزت
عنك النهى واكفهرت حولك الظلم
يا قلب كم من مسرات وأخيلة ... ولذة يتحامى ظلها الألم
غنت بفجرك صوتاً حالماً مرحا ... نشوان ثم توارت وانقضى النغم

ثم يعدد ما انتابه من آلام وأحزان عقبت ما كان فيه من مسرات ولذائذ فيقول :

كم قد رأى ليلك الأشباح هائمة ... مذعورة تتهاوى حولها الرجم
ورفرف الألم الدامى بأجنحة ... من اللهيب وأن الحزن والندم
تمضى الحياة بماضيها وحاضرها
وتذهب الشمس والشطآن والقمم
وأنت أنت الخضم الرحب لا فرح ... يبقى على سطحك الطاغى ولا ألم

ثم يصور أحلامه التى نسجها فتلاشت ، وأكاليل نخاره وزينته التى أفنتها العواصف ، وآمانيه النضرة بمباهج الفردوس ومتع الجنان ، حيث اختفت وزالت . كل ذلك يعطيك فكرة عن نفسه التى برمت بالحياة لزوال ما فيها من نعيم أو جحيم ، لأنها تستقر بعد الحياة الفانية فى دنيا الخلود شابة نضرة مثل الطبيعة لا شيب ولا هرم . كأنها لم تعرف السار البهيج والقاتم الحزين من صور الحدثان وظروف الزمان . إنه يقول هذا المعنى فى هاته الأبيات :

يا قلب كم ذا تمليت الحياة وكم ... راقصتها فرحا ما مسك السأم
وكم توشحت من ليل ومن شفق ... ومن صباح توشى ذيله السدم
وكم نسجت من الأحلام أردية ... قد مزقتها الليالى وهى تبتسم
وكم ضفرت أكاليلا موردة ... طارت بها زعازع تدوى وتحتدم
وكم رسمت رسوما لا تشابهها ... هذى العوالم والأحلام والنظم
كأنها ظلال الفردوس حافلة ... بالحور ثم تلاشت واختفى الحلم
تبلو الحياة فتبليها وتخلعها ... وتستجد حياة ما لها قدم
وأنت أنت شباب خالد نضر ... مثل الطبيعة لا شيب ولا هرم

إن التجانى لا يقل عن الشابى مقدرة فى صوغ الانفعالات الوجدانية والحالات النفسية فى صورة تخيل لقارئها أنه يناجى نفسه ويحاور ضميره ، لا أنه يقرأ قطعة ممتازة لشاعر ممتاز .

نقدم لك منها هذه القصيدة العصماء فى روحها ومعناها ، وفيها تحمل من أسى وشجى ومن دموع وآلام . هى قطعة تفجرت من نفس ممزقة ونفثة من صدر مصدور عانى تنكر الصديق ، وجفاء الناس ، وقسوة المرض ، وتكالب المصاعب والمصائب . يقول هذا الشاعر وهو على فراش الموت مخاطبا صديقه « أنيس » :

أرأيت الصديق يأكله الدا ... ء ويشوى عظامه المخراق
ماردٌ هده السقام ولكن ... صبره الجم للضنى دفاق
جف من عوده الندى فتعرى ... وتنفت من حوله الأوراق
وذوى قلبه النضير وقد كا ... ن له فى زمانه تخفاق
وأنا اليوم لا حراك كأن قد شد ... فى مكمن القوى أوثاق
بت أستنشق الهواء اقتسارا ... نفس ضيق وصدر نطاق
وحنايا معروقة وعيون ... عاثرات ورجفة ومحاق
لى رجاء فى رحمة الله لما ... وسعت فى الحياة ما لا يطاق

أبو القاسم محمد بدرى

مدرس بالمدرسة الثانوية بأم درمان ( السودان )

# ظُرْف الفقهاء

[ مهداة إلى الأستاذ على الطنطاوى ]

للأستاذ على العمّاري

تحدث الأستاذ على الطنطاوى فى مقالين سابقين نشرهما فى مجلة الرسالة عن غزل الفقهاء : وقد أوحى بهما إليه جدل كان بينه وبين أحد المتزمتين الذين ينكرون على العالم أن يطرب ويهتز، ويرون أن من واجب العالم أن يترفع عن الشعر وعبثه . وقد أفاض الأستاذ الطنطاوى — كعادته — فذكر كثيراً من شعر الفقهاء فى الغزل ، ونشر صحائف طيبة من حيوات هؤلاء العلماء الفضلاء .

وقد رأيت أن لهؤلاء ناحية جديرة بأن يتأملها مثل هذا الرجل الذى يحرم طيبات الفكر على العلماء !

تلك هى ناحية « الظرف » . فقد كان كثير من الفقهاء على جلالة أقدارهم ، وسمو منازلهم، يهتزون للشعر ، وتأخذهم الأريحية عند سماعه ؛ وربما صدرت عنهم أشعار فكهة رائعة .

ولعل خير ما نهديه لمثل هذا الرجل هذه القصة :

كان القاسم بن سلام رحمه الله إمام أهل عصره فى كل فن من العلم ، وكانوا يعدونه أعلم من ابن حنبل والشافعى مع دين وورع ، وقد جاءه رجل فسأله عن الرباب فقال هو الذى يتدلى دون السحاب ، وأنشد لعبد الرحمن بن حسان :

كأن الرباب دوين السحاب ... نعام تعلق بالأرجل

فقال الرجل لم أرد هذا فقال : الرباب اسم امرأة وأنشد :

إن الذى قسم الملاحة بيننا ... وكسا وجوه الغانيات جمالا
وهب الملاحة للرباب وزادها ... فى الوجه من بعد الملاحة خالا

فقال لم أرد هذا أيضاً ، فقال لعلك أردت قول الشاعر :

ربابة ربة البيت ... تصب الخل فى الزيت

فقال هذا أردت . قال له القاسم من أين أنت ؟ قال من البصرة قال كم أعطيت للملاح ؟ قال : أربعة دراهم . قال : اذهب استرجع منه ما أعطيته وقل له : لم تحمل شيئاً فعلام تأخذ الأجرة[1] ؟ !

(١) معجم الأدباء جـ ١٦ ص ٢٥٩ طبعه دار المأمون

فهذا كلام له وزنه فى تقدير الرجل : وهو جدير بأن نوجهه إلى كل رجل ينكر قيمة الشعر ، وينتقص محاسنه .

وإن المتصفح لتراجم العلماء ليرى فيها نفحات أدبية ، ولطائف شعرية ، تروع وتعجب ، ولا يمكن لمثلى فى هذا المقام أن يستقصى ، وإنما هى نماذج أنشرها وفيها غناء .

كان أبو حازم الأعرج من فضلاء التابعين ، وله فى الزهد والورع أخبار وأحاديث ، وقد خرج يوما يرمى الجمار فإذا هو بامرأة حاسر قد فتنت الناس بحسن وجهها وألهتهم بجمالها ، فقال لها : يا هذه ، إنك بمشعر حرام وقد فتنت الناس وشغلتهم عن مناسكهم فاتقى الله واستترى ، فإن الله عز وجل يقول فى كتابه العزيز ( وليضربن بخمرهن على جيوبهن ) فقالت : إنى من اللائى قيل فيهن :

أماطت كساء الخز عن حر وجهها ... وألقت على المتنين برداً مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ... ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

فقال أبو حازم لأصحابه : تعالوا ندع الله لهذه الصورة الحسنة أن لا يعذبها الله بالنار . فجعل أبو حازم يدعو وأصحابه يؤمنون ، فبلغ ذلك الشعبى فقال : ما أرقكم يا أهل الحجاز وأظرفكم ! ! أما والله لو كان من قرى العراق لقال اغربى عليك لعنة الله[1]

وهكذا تأخذ الأريحية هذا العابد المتزهد فيكون مثلا فى رقة العاطفة وتقدير الجمال ؛ فهو لم ينسك نسكا أعجميا ، ولا جفا طبعه وغلظ حسه فيغمض عينيه ويسد أذنيه دون هذه البدائع .

وربما بلغ الشعر ببعض الفقهاء إلى أكثر مما نتخيله ، ولكنها سجاحة النفس ، وقوة تأثير الشعر فيها ، قال أصحاب القاضى محمد بن عيسى الأندلسى : ركبنا لبعض الأمر فى موكب حافل من وجوه الناس إذ عرض لنا فتى متأدب قد خرج من بعض الأزقة سكران يتمايل؛ فلما رأى القاضى هابه وأراد الانصراف، فخانته رجلاه واستند إلى الحائط وأطرق . فلما قرب القاضى منه رفع رأسه وانشأ يقول :

ألا أيها القاضى الذى عم فضله ... فأضحى به فى العالمين فريدا
قرأت كتاب الله تسعين مرة ... فلم أر فيه للشراب حدودا
فإن شئت أن تجلد فدونك منكبا ... صبوراً على ريب الزمان جليدا
وإن شئت أن تعفو تكن لك منة ... تروح بها فى العالمين فريدا
وإن أنت تختار الحديد فأن لى ... لسانا على مر الزمان حديدا

(١) زهر الآداب جـ ١ ص ٢١٠ ( المطبعة الرحمانية )

فلما سمع القاضى شعره وميز أدبه أعرض عنه وترك الإنكار عليه ومضى لشأنه[١]

وقد ذكر صاحب نفح الطيب طرفة أخرى لهذا القاضى الذى عم فضله قال : خرج القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى إلى حضور جنازة ، وكان لرجل من إخوانه منزل يقرب من مقبرة قريش فعزم عليه فى الميل إليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت له جارية

طابت بطيب لثاتك الأقداح وزها بحمرة وجهك التفاح
وإذا الربيع تنسمت أرواحه نمت بعرف نسيمك الأرواح
وإذا الحنادس ألبست ظلماؤها فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طربا على ظهر يده . قال الراوى : فلقد رأيته يكبر على الجنازة والأبيات على ظهر يده[٢]

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر فقد حدث الأصمعى قال أنشدت محمد بن عمران قاضى المدينة وكان أعقل من رأيته :

يا أيها السائل عن منزلى نزلت فى الخان على نفسى
يغدو على الخبز من خابز لا يقبل الرهن ولا ينسى
آكل من كيسى ومن كسرتى حتى لقد أوجعنى ضرسى

فقال : اكتب لى هذه الأبيات ، فقلت أصلحك الله هذا لا يشبه مثلك وإنما يروى مثل هذا الأحداث قال : اكتبها فالأشراف تعجبهم الملح[٣] .

على أن أجمل ما فى هذا الباب هذه القصيدة الفكهة الرائعة التى نظمها قاضى الجماعة بغرناطة ، وكان على جانب عظيم من الفقه والدين ، وقد صرفها فى أغراض كثيرة من الدعابة والظرف فجاءت تحفة رائعة زاد فى روعتها وزنها وقافيتها ، ذكرها المقرى فقال : ومن مجون الأندلسيين هذه القصيدة المنسوبة لسيدى أبى عبد الله بن الأزرق وأثبتها كاملة فى كتابه النفح وهى ستة وتسعون بيتا ابتدأها القاضى فقال :

عِمْ باتصال الزمن ولا تبال بمَن

ثم شبب فيها فأحسن إلى أن قال :

لا أم لى لا أم لى إن لم أبرد شجنى
وأخلعنّ فى المجـ ـون والتصابى رسنى

(١) مطمح الأنفس
(٢) جـ ٢ ص ٩٦٨
(٣) زهر الآداب جـ ١ ص ٢٠١

وأخذ ينصح صاحبه باتباع نهجه ، والسير على سنته ، وإلا فهو أحمق مائق .

وإن تسفه نظرى ومذهـبى ودينى
فالصفع تستوجبه نعم ونتف الذقن

وجرى ملء عنانه يمزح ويمجن حتى التفت إلى الماضى فبكى عليه وتحسر على أيامه ولياليه .

أفدى صديقا كان لى بنفسـه يسعدنى
فتارة أنصحـه وتارة ينصحـنى
وتارة ألمنـه وتارة يلمـنى
وربما أصفعـه وربما يصـفعنى
دهر تولى وانقضى عنى كطيف الوسن
يا ليت هـذا كله فيما مضى لم يكن

وقد يجد ويقوى ويأتى بالمعنى الفحل ، واللفظ المتين .

كأننى ولست أد رى الآن ما كأننى
والله ما التشبيه عنـ ـد شاعر بهين

ثم أخذ فى تعداد الأطعمة التى يتشهاها بشعر سافر لا مواربة فيه ولا التواء .

هـل للثريد عودة إلى قد شـوقنى
تغوص فيـه أنملى غوص الأكول المحسن

وبعد أن أفاض فى هذا إفاضة مليحة أخذ يخاطب صاحبه :

إيه خليـلى هذه مطاعـم لكننى
أعجب من ريقك إذ يسيل فوق الذقن
هل نلت منها شبعا فذكرها أشـبعنى
وإن تكن جوعان يا صاح فكل بالإذن
فليس عنـد شاعر غير كلام الألسن
يصور الأشياء وهى أبداً لم تكن
فقوله يريك ما ليس يرى بالممكن[١]

وأظن أننا بعد هذه النماذج فى حل بأن نسوق إلى هؤلاء الذين يحرمون علينا طيبات القرائح ، وثمرات الأدب ، هذا الذى روى عن شيخ من شيوخ قريش وسادتها ، فقد سئل أبو السائب المخزومى : أترى أحدا لا يشتهى النسيب ؟ فقال : أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا .

علي العماري
المدرس بالأزهر

(١) نفح الطيب جـ ٢ ص ٨٣٤ .

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧٦٩ — يارب ... !

نظر ابن السبابة إلى مبارك التركى على دابة فرفع رأسه إلى السماء وقال : يارب ، هذا حمار ، وله دابة ، وأنا إنسان ، وليس لى حمار ...

٧٧٠ — لما رضينا ولغضبنا

فى الأغانى : أنشد المهدى قول المؤمل :

قتلتِ شاعرَ هذا الحى من مضر    والله يعلم ما ترضى بذا مضر

فضحك وقال : لو علمنا أنها فعلت لما رضينا ولغضبنا وأنكرنا .

٧٧١ — وفى جهنم ماء

قال محمد بن مسروق البغدادى : خرجت ليلة فى أيام جهالتى وأنا نشوان وكنت أغنى بهذا البيت :

بطور سيناء كرْم ما مررت به    إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفى جهنم ماء ما تجرعه    خلق فأبقى له فى الجوف أمعاء

فكان ذلك سبب توبتى واشتغالى بالعلم والعبادة .

٧٧٢ — وإن تركته أخذ فى الترهات

ذكر أعرابى رجلا بسوء الأدب فقال : إن حدثته سبقك إلى ذلك الحديث ، وإن تركته أخذ فى الترهات .

٧٧٣ — قد صحح مذهبكم

قال محمد بن هلال الصابى : خرج قوم من الديلم إلى اقطاعهم فظفروا باللص المعروف بالعراقى فحملوه إلى الوزير المهلبى فتقدم باحضار أحمد بن محمد القزوينى الكاتب وكان ينظر فى شرطة بغداد

فقال له المهلبى : هذا اللص العيار العراقى الذى عجزتم عن أخذه فخذه واكتب خطك بتسلمه .

فقال السمع والطاعة إلى ما يأمر به الوزير ، ولكنك تقول ثلاثة وهذا واحد فكيف أكتب خطى بتسلم ثلاثة .

فقال : يا هذا . هذا العدد صفة لهذا الواحد ، فكتب يقول : أحمد بن محمد القزوينى الكاتب : تسلمت من حضرة الوزير ، اللص العيار العراقى ثلاثة وهم واحد رجل ، وكتب بخطه فى التاريخ .

فضحك الوزير وقال لنصرانى هناك : قد صحح القزوينى مذهبكم فى تسلم هذا اللص .

٧٧٤ — أسأل الله أن يديم لنا بقاءك

روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار :

أمر عبد الله بن الزبير لأبى الجهم العدوى بألف درهم فدعا له وشكر فقال : بلغنى أن معاوية أمر لك بمئة ألف درهم فسخطتها وقد شكرتنى .

فقال أبو الجهم : بأبى أنت ! أسأل الله أن يديم لنا بقاءك فانى أخاف إن فقدناك أن يمسخ الناس قردة وخنازير ، كان ذلك من معاوية قليلا وهذا منك كثير ، فأطرق عبد الله ولم ينطق .

٧٧٥ — طلبناه فى النهار فما وجدناه

دخل اللصوص على أبى بكر الدبابى يطلبون شيئا فرآهم يدورون فى البيت .

فقال : يا فتيان . هذا الذى تطلبونه فى الليل قد طلبناه فى النهار فما وجدناه .

٧٧٦ — قد سحرتنى

الخصائص لابن جنى : الأخبار فى التلطف بعذوبة الألفاظ إلى قضاء الحوائج أكثر من يؤتى عليها ، ألا ترى إلى قول بعضهم وقد سأل آخر حاجة .

فقال المسئول : إن علىّ يمينا الا أفعل هذا .

فقال له السائل : إن كنت ( أيدك الله ) لم تحلف يمينا قط على أمر فرأيت غيره خيرا منه فكفرت عنها له وأمضيته ، فما

أحب أن أحنثك[1] ، وإن كان ذلك قد كان منك فلا تجعلني أدون الرجلين عندك .

فقال له : قد سحرتني . وقضى حاجته .

## ٧٧٧ — جيش بأبي

ضرب الحجاج البعث على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جرد فتضمه إليها وتقول : ( بأبي ) جزعا عليه ، فسمى ذلك الجيش « جيش بأبي » وأحضر ابن عبدل لجرد فوجد أعرج فأعفى فقال في ذلك :

لعمري لقد جردتني فوجدتني كثير العيوب سيء المتجرد
فاعفيتني لما رأيت زمانتي ووفقت مني للقضاء المسدد

## ٧٧٨ — لما التقينا مات الكلام

أبو محجن حبيب بن عمرو الثقفي :

لما رأينا خيــلا محجلة وقوم بغى في جحفل لجب
طرنا إليهم بكل سلهبة وكل صافى الأديم كالذهب
وكل عضب ، في متنه أثر ومشرفي كالملح ذي شطب
لما التقينا مات الكلام ودار (م) الموت دور الرحى على القطب
إن حملوا لم نرم مواضعنا وإن حملنا جثوا على الركب

## ٧٧٩ — فأين الحس

قال دهمان النلال : مررت ببشار يوما وهو جالس على بابه وحده وليس معه خلق ، وبيده مخصرة يلعب بها ، وقدامه طبق فيه تفاح وأترج . فلما رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسي إلى أن أسرق ما بين يديه ، فجئت قليلا قليلا وهو كاف حتى مددت يدي لأتناول منه فرفع القضيب فضرب به يدي ضربة كاد يكسرها .

فقلت : قطع الله يدك أنت الآن أعمى ؟

فقال : يا أحمق ، فأين الحس ؟

## ٧٨٠ — فهم لذلك مستأهلون

محاضرات الراغب :

قال ابن سيرين : مكتوب في كتاب سوء الأدب : إذا أتيت منزل قوم فلم ترض بما بأ كاون ، وسألتهم ما لا يجدون ، وكلفتهم ما لا يطيقون ، وأسمعتهم ما يكرهون ، فإن لم يخرجوك فهم لذلك مستأهلون .

## ٧٨١ — ما بقي له شيء

الفهرست لابن النديم : سعيد بن حميد كاتب شاعر ، مترسل ، عذب الألفاظ مقدم في صناعته ، جيد التناول للسرقة ، كثير الإغارة . قال أحمد بن أبي طاهر : لو قيل لكلام سعيد وشعره : ارجع إلى أهلك ما بقي له شيء .

---

الجرجاني :

لو نفضت أشعاره نفضة لا نتشرت تطلب أصحابها[1]

## ٧٨٢ — أنت أسد فاطلب لنفسك لبوة

قال الفضل بن محمد الضبي : حدثنا بعض أصحابنا أن جارية لأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ذات ظرف وجمال مرت برجل من بني سعد — وكان شجاعا فارسا — فلما رآها قال : طوبى لمن كان له امرأة مثلك ، ثم انه أتبعها رسولا يسألها ألها زوج ؟ ويذكره لها ؟

فقالت للرسول : ما حرفته ؟

فأبلغه الرسول قولها . فقال : إرجع إليها فقل لها :

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي مقارعة الأبطال في كل شارق
إذا عرضت لي الخيل يوما رأيتني أمام رعيل الخيل أحمى حقائقي
وأصبر نفسي حين لا حر صابر على ألم البيض الرقاق البوارق

فأنشدها الرسول ما قال . فقالت : ارجع إليه وقل له : أنت أسد فاطلب لنفسك لبوة فلست من نسائك .

## ٧٨٣ — عقلنا حين ليس لنا فضول

جعفر العبدي :

وكان المال يأتينا فكنا نبذره وليس لنـــا عقول
فلما أن تولى المـال عنا عقلنا حين ليس لنا فضول

---

(١) حنثه : جعله حانثا ، وحنث في يمينه يحنث حنثا : لم يف فوجبها ( المصباح )

(١) ومما قيل في ( بشاعر ) من دفتر
وأبو الدفاتر لا يزال يجيئنا بقصيدة قد قالها من دفتر

من الأدب الغربي :

# في مقبرة ريفية ...!

لتوماس جراي بتصرف

للأستاذ محمد رجب البيومي

الظلام الرهيب يطغى على الكو ن كجيش يسد عرض الفضاء
حام فوق القبور يُرخى سدولاً حجبتْها فما تلوح لرائى
حيث أصحابها يتيهون فى النو م سكارى كشاربى الصهباء
سئموا ظلمة القبور فخلّت ظلمة الليل فوقها كالوباء
لا يرون الضياء يبدو مع الشمـ ـس وضيئاً كطلعة الحسناء
لا ولا البدر حين يشرق فى الأ فق على الكون نائباً عن ذُكاء
يوقظ الديك كل غافٍ على الأر ض وهمْ مثل الصخرة الصمّاء
لا حنين الناعورة الحلو يشجيهـ ـم وإن هزّ مسمع الجوزاء
لا نسيمُ المراوح العذبُ غادٍ حين يحمى الهجير فى الرمضاء
لا ولا الموقد الدّفىء يسرّى عنهمو ما جناه برد الشتاء
كل هذا قد شاهدوه عيانا حين كانوا فى عالم الأحياء

---

هذه الأرض منذ عهد قريب لم تكن غير بقعة جرداء
فمشى القوم بالمحاريث والفأ س يشقّونها بكل اعتناء
يبذرون النبات فيها جنيناً ثم يعطونه شهى الغذاء
فإذا الأرض بعد وقت يسير تتراءى كجنةٍ فيحاء
ونْجها لم تَصُنْ جميلاً فألقتْ أهلها فى قرارة الظلماء
ثم عادت فبدّدتْهم جميعاً لم يكن عندها أقل الوفاء

---

ربّ شيخ قضى الحياة مع الر يف إلى أن مضى على الحدباء
كان جمّ الذّكاء لكن أتى الحقـ ـلُ على ما فى رأسه من ذكاء
آه لو كان قد تعلّم حتى يرفع العلم قدره فى السماء
علّه مثل شكسبير نبوغاً أو كلتون سيد الشعراء
فهو كالدرة الثمينة ضاعتْ فى القرار السحيق تحت الماء
أو كزهر نما بعيداً عن النا س فولّى عبيره فى الهواء
قتل الحظ كيف حارب ذا العقـ ـل وأرخى العنان للأغبياء

---

ها هو المضجع الوثير مهيّأ للذى يستريح بعد العناء
هو كالواحة الخصيبة يسعى نحوها من يضيق بالصحراء
حلّ فيه جماعة ما استفادوا من لذيذ الحياة غير الغثاء
لا الوسام الأنيق يسطع فى الصـ ـدر جميلا كبسمة العذراء
لا النياشين ضاحكاتٌ عليهم كأزاهير روضةٍ غنّاء
رُبّ ذى رُتبةٍ أحالته وحشاً مجرماً لا يمل سفك الدماء
كان من قبلها ملاكا وديعاً فغدا مثل حيّة رقطاء

---

خبّرونى ماذا يلوح لعينى فوق تلك المقابر الخرساء
كل قبر عليه لوحٌ عريض مُثقلٌ بالنعوت والأسماء
ينظر الزائر المحبّ إليـه ثم يبكى على الحبيب النّائى
كم ثكول أتتْ تزور ضريحاً قد ثوى فيه صفوة الأبناء
وصديق يصيح أين صديق كيف أرنو لوجهه الوضّاء
يقرأ اللوحَ ما على اللوح إلا جمراتٌ تشب فى الأحشاء

---

ليت شعرى ماذا سيكتب عنى حين أغفو فى باطن الغبراء
سيقولون عاشق ضيّع العمر وراء الطبيعـة الحسناء
يجتلى حسنها الأنيق طروباً حيث تبدو فى بهجةٍ ورواء
فى ابتسام الصباح إذ يتجلى فى احمرار الأصيل عند المساء
فى شطوط البحار والماء ساج فى المروج الفسيحة الخضراء
تخذ الكون مسرحاً يتسلّى فيه عمّا به من الأدواء
لا ينال القوت الضرورىّ إلا بشقاء ما بعدَهُ من شقاء
قطع العمر فى الحياة فقيراً مثل باقى أفرادها الفقراء
يبذل الدمع للمساكين حتى لم تعدْ فى عينيه قطرة ماء
لم تُنله الحياة غير صديق كان فى ليلها كبدر السماء
كان ريحانة الفؤاد ولكن ويْلتا ! قد مضى لدار البقاء

محمد رجب البيومي

# رباعيات عثمان ...!

للأستاذ عثمان حلمي

آذنت آية الدجى بالزوال ... وسرى كالمنى نسيم الشمال
حاملاً للحياة نفحاً من العطـ ... ـر وروحاً جديدة الآمال
مُعلناً فى براءة آية الفجـ ... ـر كما فى براءة الأطفال
وكأن النجوم حيرى وقد أد ... ركن فى صمتهن قربَ المآل

وبدا الصبح ساكناً فى ظلال ... من جلال عجيبة الأشكال
رافعاً رأسه المضيئة فى الكو ... ن على كل مستقرٍ وعال
ساحباً ذيله على النجم حتى ... لم يدعْ منه غير مثل الذبال
فتوارى من السموات نجمٌ ... سار فى إثره من النجم تال

وتجلت على الربى والمروج ... لمحات من الصفاء البهيج
فعلى جانب السماء من الشر ... ق شبيهٌ بالنار ذات الأجيج
ذات لون مُوَرّد أرجـوا ... نىّ وروح فى الشمّ ذات أريج
هتفتْ بالرجاء همساً بذات الـ ... صدْع لما هفت بذات البروج

ورنا حاجب من الشمس ساج ... صامت فى لهيبه الوهَّاج
فتراءى لكل عين على الأفـ ... ـق منيراً كشعلة من سراج
واستحالت لآلىءُ الطلِّ فى الدو ... ح إلى محض سائل رجراج
وسرتْ موجة من النور يتلو ... ها سواها من هذه الأمواج

صورة إثر صـورة تتوالى ... شهد الطير حسنها أشكالا
فتغنى ما شاء للصبح إكبا ... راً وغنّى لنـوره إجلالا
وأفاق الإنسان من موته الأصـ ... ـغر واستقبل الحياة نضالا
فمضى فى طلابه الرزق يسعى ... وتمادى ضجيجه وتعـالى

وبدا فى الحياة يوم جديدُ ... صارمٌ وجهه الجديد المجيدُ
كلما عجَّ فى الوجود على الصمـ ... ـتِ على الصمت عجَّ فيه الوجود
وتجلى النهارُ واستعلت الشمس ... وكدَّ الشقىُّ والمجـدودُ
ومن الغيب خلفه وهو يجرى ... كيفما كانت الحياةُ شهودُ

ومضى فى الزمان هذا النهار ... وتوالت بما جنى الأخبارُ
وطوى الغيب صفحة فى سجل ... سطرته بكفها الأقـدار
ولكم أضمرت سواها من الما ... ضى ومرَّت فما لها آثار

هكذا فات ذلك اليومُ فى العمـ ... ـر وفاتت بمثله الأعمارُ

ما ترى الشمس بعد طول الغروب ... كيف مالت هزيلة للمغيب
وهى تهوى بين السحاب إلى البحـ ... ـر وتخطو إليه خطو الهيوب
وكأنى بها على الدهر ملَّتْ ... سعْيَها بين جيئة وذهوب
صورة لو فطنتَ تأخذ بالألـ ... ـباب من حسنها العجيب المهيب

صـورة تلك تمقتها السماء ... كم تغنى بحسنها الشعراء
فلقد تبعث السرور وقد يهـ ... ـتاج منها لدى الشجىِّ البكاء
والتقى البحر بالسماء مع الشمـ ... ـس ولكن هيهات هذا اللقاء
خدعة فى العيون أم ضلت الأبـ ... ـصار أم قـد أصابها إعياء

هاهى الشمس مسَّت الأفق مساً ... وارتمى قرصُها من البحر رمسا
فهوى فيه صامتاً وانتهى الأمـ ... ـر فما تستبين فى الكون جرسا
غير همس فى الأذن لم تدر معنا ... ه وخاف فى النفس يهمس همسا
ربما مال بالنفوس إلى اليأ ... س وإن لم تصب من العمر يأسا

ها هى السحب بين بيض وحمر ... رابضات وبين دُكن وصُفر
لوَّنتها كما تشـاء يد الغيـ ... ـب ولم تستعن بدهن وحبر
فتوالت شتى المناظر حتى ... لم تقع مقلة على مستقر
يا لها من يد أجدت لعمرى ... ما أجادته بين طى ونشر

فوداعاً أيا رفاق شبابى ... ووداعى الأخير يا أحبابى
ربما دارت الليالى علينا ... فالتقينا من بعد طول اغتراب
إنما نلتقى شخوصاً سوى أشـ ... ـخاصنا من بعد هذا الغياب
بدلتنا يد الزمان سوانا ... إن قضت بعد غيبة بالإياب

لم هذا التغيير والتبديل ... وإلام التحوير والتحويل
لجسوم على المدى وعقول ... ونفوس على الليالى تحول
كل حب إلى زوال وإن جد ... لعمرى وكل حسن يزول
مايحا الميت الجماد ولا الحـ ... ـى ولا سالم ولا معلول

لم لا نلتقى لغـير فراق ... ربما ساقنا لغـير تلاق
ما لنا من يد على البعد والقر ... ب وكل الأمور محض اتفاق
لم هذا والعمر يوم إذا ما ... طال بين الغروب والإشراق
طال منى على الحياة سؤالى ... لم لا نلتقى لغـير فراق

**عثمان حلمى**




**معهد الفقه الإسلامي للجامعة العربية :**

قدم الأستاذ عبد الرزاق السنهوري باشا رئيس اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية مذكرة للأمانة العامة للجامعة يقترح فيها إنشاء معهد للفقه الإسلامي تنفيذاً للرغبة التي أبداها مؤتمر الجمعية المصرية للقانون الدولي .

وقد صدرت المذكرة بمقدمة عن الغاية من إنشاء المعهد أشارت إلى مكانة الفقه الإسلامي بين النظم القانونية العالمية ، وأنه لا يقل في قوة السبك ، وحسن الصياغة ، وسمو المنطق ، ودقة التحليل عن الفقه الروماني أو الانجليزي ، وهو فوق ذلك التراث القانوني للشرق العربي . ثم أشارت إلى حركة الاجتهاد وإلى إقفال بابه والحكمة منه ، وقالت إنه كان على الفقه بعد ذلك أن يستكمل حظه من الاستقرار بعد أن استوفى نصيبه من التطور ولكن هذه الحال لم تبق إلا إلى حين إذ لم يلبث الزمن أن دار دورته وتابع السير إلى الأمام . هذا والفقه الإسلامي واقف والعالم يمشي ، ثم انفرجت مسافة الخلف بين الفقه والحاجات المتجددة حتى أصبح من العسير على الأمم العربية في العصر الحاضر أن تستبقي الفقه مادة تستقي منها قوانينها الحديثة وقد أخذت هذه الأمم تهجر الفقه الاسلامي فعلا ولجأت إلى القوانين الغربية المتطورة التي تماشي مدنية العصر .

ومن هنا نشأت أزمة الفقه الإسلامي منذ أول القرن التاسع عشر وهي أزمة تحتاج إلى علاج طويل حتى يعود إلى الفقه الاسلامي مجده الأول بشرط أن تبدأ من الآن في إيجاد بيئة تعاد فيها دراسة هذا الفقه الجليل وتتحقق هذه البيئة بانشاء معهد للفقه الاسلامي .

أما الوسائل التي يتذرع بها المعهد لتحقيق الغرض منه فيقترح أن تكون بانشاء المعاهد الآتية :

أولا — معهد تدريس يمنح الشهادات والدبلومات الجامعية يلتحق به الحاصلون على ليسانس الحقوق من إحدى الجامعات العربية .

ثانياً — معهد لتكوين الباحثين في الفقه الاسلامي على الأسلوب الاسلامي العلمي الحديث ويكون بتخصيص جوائز دراسية للنابغين من الطلبة المتخرجين في المعهد الأول .

ثالثاً — معهد للبحوث الفقهية العالية يضع فيه الأساتذة مؤلفات حديثة ويرتبون الكتب القديمة ترتيباً علمياً .

رابعاً — معهد لنشر المخطوطات من كتب الفقه التي لم تنشر لليوم .

خامساً — معهد يضم مكتبة جامعة في الفقه الإسلامي تشتمل على المؤلفات الفقهية القديمة والحديثة .

وينبغي أن يلحق هذا المعهد كله بإحدى جامعات الدول العربية حتى يتسنى له منح الشهادات والدبلومات ، وأفضل هذه الجامعات في الوقت الحاضر هي جامعة فؤاد الأول لاسيما وأن كلية الحقوق بها قد نظمت دراسة في الفقه الإسلامي .

ويقترح أيضاً أن يكون للمعهد عندما يستكمل نموه ستة كراسي : اثنان للفقه الإسلامي واثنان للقانون المقارن وكرسي لتاريخ الفقه الإسلامي وكرسي لأصول الفقه .

**هي للجاحظ وليست للعسكري :**

نقل حجة العرب النشاشيبي في ( نقله ) البليغة الحكيمة بالعدد ٦٧٥ من مجلة « الرسالة » الغراء عن كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري هذه العبارة :

« قد رأينا الله تعالى إذا خاطب العرب والاعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي (والحذف) وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطاً [1] » .

وهذا القول ليس من كلام العسكري وإنما هو من إنشاء الجاحظ وأسلوبه ، وقد أورده في الجزء الأول من كتاب الحيوان ص ٤٦ ( طبعة الساسي ) ثم نقله العسكري من غير أن يعزوه إلى صاحبه كعادته في كثير مما نقل في كتابه .

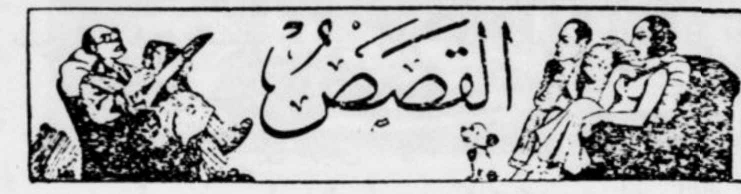
وإنصافاً لأبي عثمان — الذي كان أول من نبه على هذا المعنى — رأينا أن نصحح ماجاء بكتاب الصناعتين ، وأن يكون ذلك على صفحات « الرسالة » الغراء .

محمود أبو رية

**إصلاح :**

في الكلمة ( كتاب أحمد شاكر الكرمي ) الرسالة ٦٧٧ ص ٦٩٧ س ٨ : « قالها منذ أربع وثلاثين سنة » صوابها : « قالها منذ إحدى وثلاثين سنة »

(١) كلام الجاحظ : أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام




# كلـوديت ...!

للأستاذ نجاتي صدقي

كان يلذ لسعيد وهو فى باريس أن يتنزه فى كل عصر على الرصيف المحاذى لنهر السين بالقرب من نوتردام دي باري ، وكانت رفوف الكتب القديمة المعروضة للبيع على حائط النهر الجنوبى تجذبه إليها ، وتأخذه بروائعها التاريخية والأثرية والفنية .

ووقف مرة عند أحد تلك الرفوف يقرأ عناوين كتبها ، وكان غواة الكتب القديمة ، والرسوم التاريخية يقفون إلى جانبه أيضاً ، يتصفحون المجلدات وينعمون النظر فى الصور الهزلية والفنية ، فان راق لهم شيء ابتاعوه وإلا انتقلوا إلى رفوف أخرى يبحثون وينقبون .

وبينما كان سعيد مستغرقاً فيما هو به ، إذا بمجموعة من الكتب تنهار إلى جانبه وتتبعثر ، ويعقبها صوت نسوى يتمتم متأسفاً ، فالتفت إلى يسراه ، فوجد فتاة فرنسية ترفع الكتب عن الأرض وتعيدها إلى مكانها ، وكان الواجب يدعوه إلى مساعدتها ، فراح يجمع ما بعثرته ، وكانت هى تشكره مبتسمة ، وكان هو يجيبها مبتسما بان لا شيء يستحق الذكر ...

وبعد أن أعادا الكتب إلى مكانها ، لمح الشاب أن الفتاة أبقت بيدها كتابا قرأ على غلافه « العقد الاجتماعى » لجان جاك روسو .

فقال لها بلهجة لا تخلو من الاستغراب : عفواً أيتها الآنسة أهذا هو الكتاب الذى كنت عنه تبحثين ؟

قالت : أجل ...

قال : أتهمك مثل هذه المواضيع ؟

قالت : تهمنى جداً ...

قال : ولكن الموضوع شائك ... ويخيل إلىَّ أن الفتيات لا جلد لهن على مطالعة الكتب المرهقة للدماغ .

قالت : هذا خطأ شائع ... نحن فى فرنسا نطالع كل شيء ، نطالع كل ما يطالعه الرجل ... ونفعل كل ما يفعله ، ولا ينقصنا إلا حرية الانتخابات .

وإذ رأى سعيد أن الفتاة مثالية جريئة متوثبة انتظر حتى ابتاعت الكتاب وهمت بالذهاب فاقترب منهـا ، وقال بصوت خافت :

— ألدى الآنسة أى مانع للتعرف إلى شاب شرقى ؟

فأطرقت الفتاة قليلا ، ثم رفعت رأسها وحملقت فى وجهه وقالت :

— إذا كان هذا التعارف يرضيك ، فليكن ، إسمى كلوديت رانجون تلميذة فى المدرسة الطبية ...

قال : ولى الشرف بأن أقدم لك نفسى : أنا سعيد اللبَّان ... من الشرق ... وأقطن باريس مؤقتاً ...

وسارا معا بمحاذاة نهر السين إلى أن عبرا الجسر المؤدى إلى اللوفر ومنه إلى حديقة التويللرى ، فتجولا فى دروبها بين الزهور والرياحين وكانا يتنقلان فى حديثهما من موضوع إلى آخر ، إلى أن قالت الفتاة فى معرض كلامها عن جان جاك روسو ونظرياته التى أودعها فى « العقد الاجتماعى » .

— أجل ... يجب أن نعود إلى أمنا الطبيعة ... ألا تكفى خيرات الأرض لإعاشة الناس ؟ ... وما الأفضل للمرء : أأن يعيش فى جو خانق من دخان المصانع والمعامل ، أم أن ينشىء بيته فى الغابات الواسعة ، ويستنشق الهواء الطلق ، ويشرب المياه العذبة ، وينام وينهض على تغريد الطيور ؟

قال : أتعنين بذلك إقامة مخيمات ؟

قالت : كلا إننى أعنى إعادة تنظيم معيشة الناس طبقاً لحياتهم الفطرية الأولى ، ولكن على مستوى عال من العلم والثقافة ...

ثم أخذت تقنعه بأن الإنسان جبل من طينة طيبة ، غير أنه فى مراحل تطوره خرج عن اتجاهه الطبيعى وأساء التصرف بما منحته إياه الطبيعة من خيرات وغدا مخلوقاً شاذاً أنانياً جائراً ، وخلصت إلى القول بأن البشرية لن تجد الراحة والطمأنينة إلا بوضع عقد اجتماعى يكفل للناس حقوقهم .

أخذ المساء يسدل ستاره على باريس وبدأت العاصمة الفرنسية تبدو رويداً رويداً بلباس السهرة المحلى بالألوان الزاهية ، وكانت الأرض تلفظ جماعات من الناس عائدين إلى بيوتهم ، وتبتلع غيرهم ممن يسكنون الضواحى ... ولما بلغا فى مسيرهما محطة مترو ( الأوبرا ) قالت له كلوديت : إلى هنا ينتهى بنا المطاف ... استودعك الله ...

قال : عفواً ... لقد شوقتنى بحديثك عن حياة الغابات ،

أفلا تعرفين غابة بالقرب من باريس تكون بمثابة نموذج صغير للمكان الطبيعي الذي تودين المعيشة فيه ؟ ...

قهقهت كلوديت وقالت :

– بلى ... أعرف غابة ( كلامار ) ...

قال : هل لنا أن نتنزه فيها يوم الأحد ؟

فهبطت الفتاة درج المترو وقالت ( انتظرني يوم الأحد الساعة العاشرة صباحاً عند مدخل محطة ( مونبارناس ) ومنها سنذهب إلى ( كلامار ) فالى اللقاء ! ...

***

أي شعور غريب يستولى على المرء إذا ما ولج الغابة ؟... طرق سعيد وكلوديت غابة ( كلامار ) فكانت الأشجار الباسقة تحجب عنهما نور الشمس ، ما خلا خيوط لها ألوان قوس قزح تسربت من خلال الأغصان ، وأنارت الدغال التي سقطت عليهما وساعدتهما على اجتياز دروب الغابة المعوجة وشعاب مسالكها الضيقة ... وكانت الغربان تنعق هنا وهناك وهدير المياه يصل إلى مسامعهما ، فيحمل لهما الهواء في طياته رذاذها المنعش، وكان حفيف الشجر يبدو لهما كما لو أن رتلا من السيدات يسرن بالقرب منهما وهن يجررن أذيال أثوابهن ... ما هذا الجو الساحر الذي يكتنف سعيداً ؟ وماهو هذا الدغل الرائع الذى سلبه عقله ؟

وبعد أن استراحا قليلا على الحشائش الأبدية الاخضرار ، بادرت كلوديت سعيداً قائلة : ( كيف تشعر الآن ؟ ألا تفضل المقام في هذا المكان على أي نزل في الحي الثامن من أحياء باريس ؟

لم يحر الفتى جواباً وإنما استغرق في تأملاته ، وكان يحس بوجل لا يدرى سببه ، فالأشجار المحيطة به ، واحتجاب النور عنه إلا ثلاثة خيوط ملونة اخترقت الدغل الذي هو فيه ، ونعيق الغربان فوق رأسه ، ورطوبة المكان الذي يحف به ، وحفيف الأغصان الذي يهدهد مسمعيه ، كان لهذه العوامل كلها أثرها في نفسه ، فتذكر الجنة ، وتذكر آدم وحواء ، فالتفت إلى كلوديت فوجدها قد أسندت رأسها إلى الشجرة وعلى ثغرها ابتسامة الرضى ..

انقضى النهار ، وحل المساء ، فأقفرت الغابة من المتنزهين وركنت الطيور إلى أوكارها ، وأرخى الليل سدوله ، فلم ير الفتى والفتاة من النور إلا ما كان يشع من أعينهما ، ولم يسمعا من الأصوات إلا ما كانا يصدرانه من نفثات ، ولم يجدا شيئاً يدرءان به عن نفسيهما برد الليل إلا ما كان يجرى في عروقهما من دم متدفق مشبع بحرارة الشباب ...

ثم عادا إلى باريس ، وقد تأبط سعيد ذراع كلوديت ، وأسندت هي رأسها إلى رأسه ، وكانت تحدثه عن الحب الخالد ، وارتباط القلوب الأزلي ، وكان هو يؤكد لها ذلك أيضاً ، ويشكر المصادفات التي أدت إلى تعارفهما والجمع بينهما .

ولما أخذا مكانيهما في القطار ، قال لها الفتى على حين غرة : لقد نسيت منهجك في الغابة ...

قالت : وأي منهج تعني ؟

قال : كتاب ( العقد الاجتماعي ) .

قالت : شيء تافه ... وإني لأرى يا حبيبي الآن أن أقر لك بحقيقة الأمر ... إنني لست من أتباع روسو ولا غيره ... رأيتك تقف عند بائع الكتب القديمة فرأيت في ملامح وجهك بأنك من أهل الشرق الذين تكتنف نفوسهم الغموض والأسرار ... فهذا الشعر الأسود وهاتان العينان البراقتان ، وهذان الحاجبان المقطبان ، وهذا الأنف القوقاسي ، وهذه الذقن المعوجة ، وهاتان الشفتان المنفرجتان ... وهاتان الوجنتان البارزتان ... كل هذا ما حدا بي لكي أتحرش بك ... أما كتاب روسو فقد وقع في يدي مصادفة وكان من حسن حظي أنني عرفت عنه شيئاً ... والآن دعنا من هذه القصة فانك لي أفضل من كل العقائد ... أنت لي إلى الأبد . انس هذا الحادث ... لقد نسيت أنا أهلي من أجل الحب ! ...

وبلغا باريس وافترقا على أن تزور كلوديت سعيداً في فندقه في مساء اليوم التالي .

لم يدر سعيد ما الذي حدث له في تلك الليلة ، فقد كان قلقاً وكانت نفسه مضطربة ، وكان في حيرة من عبث هذه الفتاة الباريسية بالمبادىء والعقائد . وما إن طلع النهار حتى رحل من الفندق إلى غيره ... وقال لصاحبه ( قل لمن يسأل عني بأنني عدت إلى الشرق ) ...

وبعد مرور شهر على هذا الحادث ، مر سعيد برفوف الكتب القائمة على ضفة السين بالقرب من جسر سان ميشيل فشاهد منظراً مروعاً ...

شاهد شاباً شرقياً يساعد كلوديت في جمع كتب تناثرت على الأرض ! ...

**نجاتي صدقي**




# سقطت فى الانتخابات...

تأليف الأستاذ حنفى محمود جمعه

بقلم الأستاذ صديق شيبوب

لا أدرى ، أأواسى الأستاذ حنفى محمود جمعه لفشله فى الانتخابات أم أهنئه لأجله . أما المؤاساة فللجهد الذى بذله ولم يثمر ، وللمال الذى أنفقه ولم يفد ، وللآمال التى عقدها حينا فتبددت . وأما التهنئة فلأنه خرج من المعركة الانتخابية التى خاض غمارها فى أواخر سنة ١٩٤٤ بكتابه الناجح « سقطت فى الانتخابات[1] » ولولا فشله فى تلك الانتخابات لما كتبه ، فلعله كان يتحرج من كشف النقاب عن دخائلها ، وعما يجرى فيها من أمور مخالفة للقانون ، وعن الوسائل التى يتذرع بها المرشحون للفوز ، وعن الوسطاء من المرتزقة الذين ينتهزون الفرصة ليبتزوا مال المرشح . وعن الناخبين من الجهال الذين يتقاضون ثمن أصواتهم ، وعن رؤساء النقابات ومشايخ الحارات الذين يقدمون عددا معينا من الناخبين ... إلى غير ذلك مما تجده مفصلا فى الكتاب .

وقد عرف الأستاذ حنفى محمود جمعه كيف ينسق الحوادث وكيف يرويها حينا فى سذاجة مقصودة ، وكيف يحللها أحيانا فى تفكير صحيح مستقيم ، وكيف يستخلص طورا العظات البالغة من تقلباتها ، وكيف يترك طورا للقارىء أن يتولى بنفسه استخلاص تلك العظات .

والحق أن الكتاب ملىء بالدروس القيمة التى يجب أن نتدبرها لأنه يعالج ناحية هامة من حياتنا القومية ، ويقدم صورة ملموسة للانتخابات التى تجرى بين ظهرانينا ، ويصف العوامل المحلية التى تؤثر فيها . ولا شك أن العوامل التى تؤثر فى الانتخابات متعددة الوجوه متبدلة الأنواع ، تختلف باختلاف البيئات والبلدان والشعوب .

ويكفى أن نعرف أنها عند جميع الأمم تكلف مبالغ باهظة من المال لنقدر تلك العوامل الكثيرة ، فالاعلانات والحفلات والرحلات وما إليها من أنواع الدعايات التى تستدعى نفقات طائلة لا يستطيع أن يتكبدها جميع الناس أو جميع الأحزاب .

فإذا تجاوزنا هذه العوامل المادية إلى العوامل الأدبية والاجتماعية اضطرنا الحديث إلى التنويه بصفات المرشح التى تجعله محبوبا من ناخبيه مرغوبا فيه ، وإلى الإشارة إلى نفوذه فى الدائرة التى يتقدم فيها وعصبيته وجاهه ... كل هذا يحملنا على التقرير بأن الانتخابات التى تبدو حرة لأول وهلة أى أنها حرة من تداخل السلطات الحاكمة وفرض نظرياتها وأغراضها على الناخبين تظل خاضعة لمؤثرات خارجية واسعة النطاق ، ولعوامل مختلفة يصعب تحديدها ويجعلنا نعنى فى بعض الأحيان بالتفاوت بين النائب وبين المهمة القومية التى يضطلع بها ...

فإذا عدنا إلى العوامل المحلية ، وجدنا أن بمصر قلما يقبل العقلاء على الانتخاب لسبب ذكره المؤلف ، ولا شك أن الوعى القومى يزداد انتباها بنسبة زيادة المتعلمين وأخذهم أنفسهم بالواجب الذى يمليه عليهم هذا الوعى بأن يتقدموا لصناديق الانتخاب ، وأن يفهموا أن ذلك فرض قومى لا مناص لمواطن حرى بهذا الإسم من تأديته .

ولا أريد أن أطيل الحديث فى هذا الباب مما يوحيه كتاب الأستاذ حنفى محمود جمعه ، ولكنى أردت أن أشير إلى العيوب التى تعترض الانتخابات لتداركها واصلاحها .

فإذا عدنا إلى ما فى الكتاب وجدنا أن الصورة التى يجلوها للحوادث كاملة فى مجموعها طيبة التناسق بين أجزائها حتى ليصح أن نقول إن كتاب « سقطت فى الانتخابات » قصة من أجمل القصص لا تنقصها قوة البناء وجودة الربط بين الأجزاء ومتانة التأليف . وهو أيضا قصة من قصص المغامرات فيها الأخذ والرد والكر والفر ، والصراحة والحيلة ..وفيها تحليل لشخصيات عديدة ممن لقيهم المؤلف ، وممن عرضوا عليه خدماتهم ، وممن

(١) طبع مطبعة السفير ، ويقع فى ١٨٤ من القطع المتوسط ، وثمنه عشرون قرشا .

قصد إليهم ، وكل هؤلاء من طبقة الشعب ، القليل منهم من انصاف المتعلمين وأغلبهم من الجهال ، وفيهم المخلص والماكر والمحتاج ، وفيهم ثرى الحرب الجاهل ، وفيهم النفعى المتقلب ، وفيهم الزعيم الذى يحتاج لمالأة السلطات المحلية لتدعيم نفوذه ، وفيهم « الفتوة » الذى يبغى الشغب للشغب ، ويدع شجاعته وبأسه فى خدمة من يدفع ثمنهما .

وفى الكتاب صور شتى للتفكير الشعبى الساذج وهو أحيانا تفكير سليم . فهذا أستاذ بمدرسة أهلية يعلم تلاميذه الهتاف بحياة المرشح الذى يؤيده ، لأن من عادة الصغار أن يرددوا فى منازلهم الأناشيد والهتافات التى تعلموها بالمدرسة ، وهكذا يؤثرون على آبائهم وذوى قرابتهم . وكذلك يطوف صبية يوم الانتخابات هاتفين لأحد المرشحين ليؤثروا فى الناخبين الأميين الذاهبين إلى الانتخاب فيؤدوا صوتهم للاسم الذى تردد بآذانهم وعلق بأذهانهم فى آخر لحظة ، وتسير حوادث القصة فى لين وهوادة ، فمن تفكير فى الترشيح ، إلى دفع تأمينه ، إلى خوض المعركة الانتخابية ، وهى معركة كلامية فى الخطب التى تلقى ، وفكرية فى تدبير وسائل الدعاية ، ومادية من حيث إنفاق المال وبذله عن سعة ، وواقعية من حيث تحدى المزاحمين وإثارة الشغب عليهم وعلى أنصارهم ... إلى غير ذلك مما كان يثور الأستاذ حنفى عليه فى دخيلة نفسه ، لأنه محام ومن رجال القانون الذى يأبون إلا ما يسيغه ، ولكنه كان يضطر مرغما إلى الخروج عليه تحت تأثير أنصاره وردا لحملات منافسيه . ولعله كان يكثر من إلقاء الخطب لأنه قدير عليها بحكم مهنته ، وقد شاء أن يتحدى مزاحميه فى هذا المضمار ، فنشر فى الصحف يدعوهم إلى النزال فيه ( تعالوا اخطبوا إذا قدرتم واعرضوا معى صحائفكم وما أنتم بقادرين ) ولكنه ظهر بعد ذلك أن الأصفر الرنان فى تعبير القدماء ، وأوراق النقد المتداولة بلغة هذا الزمان ، أبلغ حجة وأجلى بيانا من بلاغة المنطق وفصاحة اللسان .

وفى كتاب «سقطت فى الانتخابات» غير هذا وذاك من صور سكندرية شعبية بحتة استطاع المؤلف أن يبرزها فى الإطار الخليق بها .

هذه العناصر التى عددناها تجعل من كتاب « سقطت فى الانتخابات » قصة كاملة كما قلنا ، قصة مغامرات واقعية لأنها مستمدة من صميم الحياة ، وقد عاش المؤلف حوادثها ، وعاش أمثالها غيره من زملائه الذين رشحوا أنفسهم فى الانتخابات . وفى واقع الحياة من المغامرات ما لا يصل إليه خيال القاص البارع .

كان يتراوح فى ذهنى وأنا أطالع هذا الكتاب ذكرى الجهاد الأدبى الذى حمل رايته بالاسكندرية نفر من الشباب فى أوائل عهد « جماعة نشر الثقافة » أى منذ أكثر من اثنتى عشر سنة أو يزيد . وقد تخلف البعض بعد ذلك منصرفين إلى أعمالهم واستمر البعض الآخر بحكم المهنة ، وعرف غير هذين الفريقين كيف يوفق بين عمله وبين الاشتغال بالأدب . وكان ولا يزال من هذا الفريق الأخير الأستاذ حنفى محمود جمعه ، فهو المحامى الذى تقدر مواهبه دائر القضاء وتظهر مهارته فى جلسات المحاكم وهو كذلك الأديب المتمكن الذى كانت له جولات موفقة فى الأقصوصة ، والذى كانت له مكانته بين زملائه من أعضاء تلك الجماعة . ويعرف أخصاؤه أنه ظل مخلصا للأدب ، ووفيا لأصدقائه الأدباء ، ولا أدل على ذلك من كتابه : « سقطت فى الانتخابات » ، الذى تجلى فيه روح الأديب ، وإحساسه ودقة ملاحظته ، وصدق حكمه على الناس ، والحوادث . وإذا كان من السهل على الإنسان أن يلاحظ الحوادث فى دقة وانتباه إذا شاهدها عن كثب مشاهدة الرائى المستقل عنها فانه من أصعب الصعاب أن يحسن الملاحظة ، وأن يخلص فى الحكم على الحوادث إذا خاض غمارها بنفسه ، وكان من أشخاصها أو أبطالها كما يقولون . وفى هذه الحال قلما يستقيم صدق الاحساس ودقة الملاحظة إلا للأديب الذى تعود ذلك أى الذى تعود أن يتجرد من نفسه ، ويتخلص من شعوره وأنانيته .

وهذا ما فعله الأستاذ حنفى محمود جمعة فى كتابه « سقطت فى الانتخابات » فهو يروى ما له وما عليه ، ويتندر من نفسه ومن غيره وهو نوع من الفكاهة المستملحة التى يسميها الانجليز ( هيومر ) ويسير فى سرد الحوادث متنقلا فى كثير من اللباقة ، بين السذاجة والطرافة والبراعة ، وبعد: ألم أكن صادقاً فى حيرتى بين مواساة الصديق الأستاذ حنفى محمود جمعة لفشله فى الانتخابات وبين تهنئته لهذا الفشل وقد أفاد الأدب بكتابه الطريف ، ونبه إلى نقص فى الحياة الاجتماعية والقومية .

أما مواهبه الأدبية ، وبراعته الفنية ، واطراد أسلوبه وسلاسته ، فانها مزايا ظاهرة يتبينها كل مطالع كتاب « سقطت فى الانتخابات » وهو كتاب قيم جدير بالتقدير والثناء .

صديق شيبوب

**إعلان**

مجلس مديرية قنا يعلن فى مناقصة عامة توريد :

١ — أدوات مدرسية وخامات أشغال الأطفال .

٢ — ملابس وبطاطين لأطفال مؤسستى تربية البنين .

٣ — أدوات وخامات الأحذية والنسيج والقش والطباعة والموسيقى لمؤسستى تربية البنين .

والقوائم والشروط الخاصة بذلك ترسل لمن يطلبها من إدارة المجلس نظير دفع مبلغ مائة مليم ثمنا للقائمة الواحدة من القوائم الثلاث على أن يقدم الطلب على ورقة مدموغة من فئة ٣٠ مليما ولا تقبل طوابع البريد وقد تحدد يوم الثلاثاء ٩ يولية ١٩٤٦ آخر ميعاد لقبول العطاءات وظهر يوم الأربعاء ١٠ منه لفتح المظاريف ٥٥٤٩

الأستاذ صلاح الدين المنجد يقدم :

# الظرفاء والشحاذون فى العصر العباسي

—

وهو كتاب طريف لطيف ممتع

لا تستطيع أن تتركه حتى تقرأه كله

**وقد طبع فى « مطبعة الرسالة » طبعا متقنا**

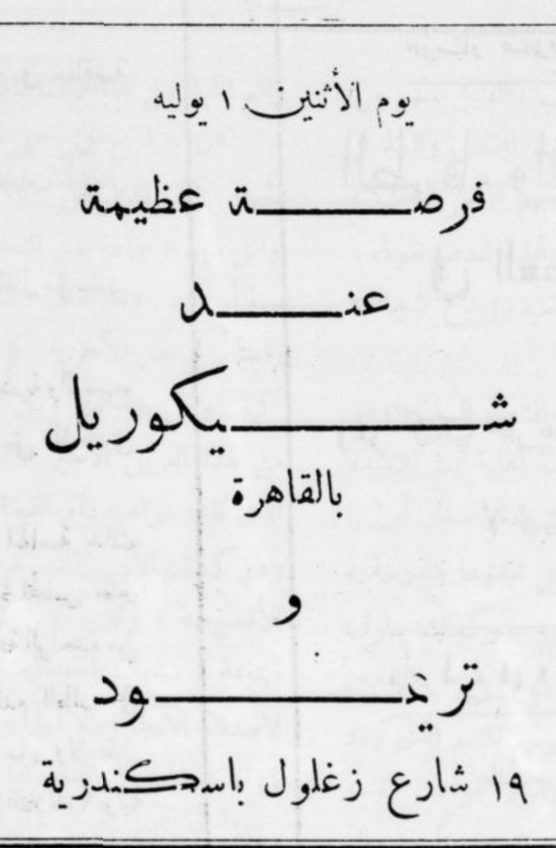
يطلب من دار « الرسالة »

ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٢ قرشاً غير أجرة البريد

| إسم الفرع | محل انعقاد الجلسة | تاريخ الجلسة |
|---|---|---|
| تفتيش المنتزه | المنتزه | ٢٠ / ٧ / ١٩٤٦ |
| منطقة رشيد | رشيد | ٢٣ منه |
| تفتيش البحيرة | دمنهور | ٢٤ منه |
| » الخزان | » | ٢٧ منه |
| » دسوق | دسوق | ٢٩ منه |
| منطقة دمياط | دمياط | ٢٠ منه |
| تفتيش المنصورة | المنصورة | ٢٢ منه |
| » شاوة | المنصورة | ٢٤ منه |
| » قلين | قلين | ٢٧ منه |
| » طنطا | طنطا | ٢٠ منه |
| » القرشية | القرشية | ٢٢ منه |
| » النشاوى | القرشية | ٢٤ منه |
| » الشرقية | الزقازيق | ٢٧ منه |
| » القليوبية | بنها | ٢٠ منه |
| » الجيزة | الدقى | ٢٢ منه |
| » القبة | القبة | ٢٤ منه |

| إسم الفرع | محل انعقاد الجلسة | تاريخ الجلسة |
|---|---|---|
| تفتيش المحلة | دمرو | ٢٧ منه |
| » بنى سويف | بنى سويف | ٢٠ منه |
| » الفيوم | الفيوم | ٢٢ منه |
| » ببا | ببا | ٢٤ منه |
| » مغاغة | مغاغة | ٢٧ منه |
| » المنيا | المنيا | ٢٠ منه |
| » أسيوط | أسيوط | ٢٢ منه |
| منطقة طهطا | طهطا | ٢٤ منه |
| منطقة سوهاج | سوهاج | ٢٧ منه |
| تفتيش قنا | قنا | ٢٩ منه |

تعلن وزارة الأوقاف أنها حددت مواعيد الجلسات تأجير أطيانها إبتداء من سنة ١٩٤٧ الزراعية الموضح بالكشف عاليه فعلى من يرغب فى استئجار أى صفقة أن يتصل بالتفتيش المختص لمعاينتها والحضور بالجلسة المحددة لها .





# سكك حديد الحكومة المصرية

## تسير قطار إكسبريس بين القاهرة ودمياط ( رأس البر )

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه ابتداء من ٢٤ يونية سنة ١٩٤٦ ولحين صدور إعلان آخر يسير قطار إكسبريس ( درجة أولى وثانية وثالثة وعربة بولمان ) بين القاهرة ودمياط يغادر القاهر فى الساعة ٠٠ ٨ ويصل إلى دمياط فى الساعة ٥٠ ١١ ويعود من دمياط فى الساعة ١٥ ١٧ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٠٥ ٢١

وذلك وفقاً للمواعيد الآتية : —

| المحطات | | ٩٣٩ إكسبريس درجة ١ و ٢ و ٣ وعربة بولمان | المحطات | | ٩٤٠ إكسبريس درجة ١ و ٢ و ٣ وعربة بولمان |
|---|---|---|---|---|---|
| مصر | قيام | ٠٠ ٨ | دمياط | قيام | ١٥ ١٧ |
| بنها | وصول | ٤٠ ٨ | المنصورة | وصول | ١٨ ١٨ |
| | قيام | ٤٥ ٨ | | قيام | ٢٧ ١٨ |
| الزقازيق | وصول | ١٧ ٩ | الزقازيق | وصول | ٤٠ ١٩ |
| | قيام | ٢٢ ٩ | | قيام | ٤٦ ١٩ |
| المنصورة | وصول | ٣٣ ١٠ | بنها | وصول | ١٩ ٢٠ |
| | قيام | ٤٥ ١٠ | | قيام | ٢٥ ٢٠ |
| دمياط | وصول | ٥٠ ١١ | مصر | وصول | ٠٥ ٢١ |


( طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين — عابدين )


العدد ٦٧٩ — الاثنين ٨ يوليو ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

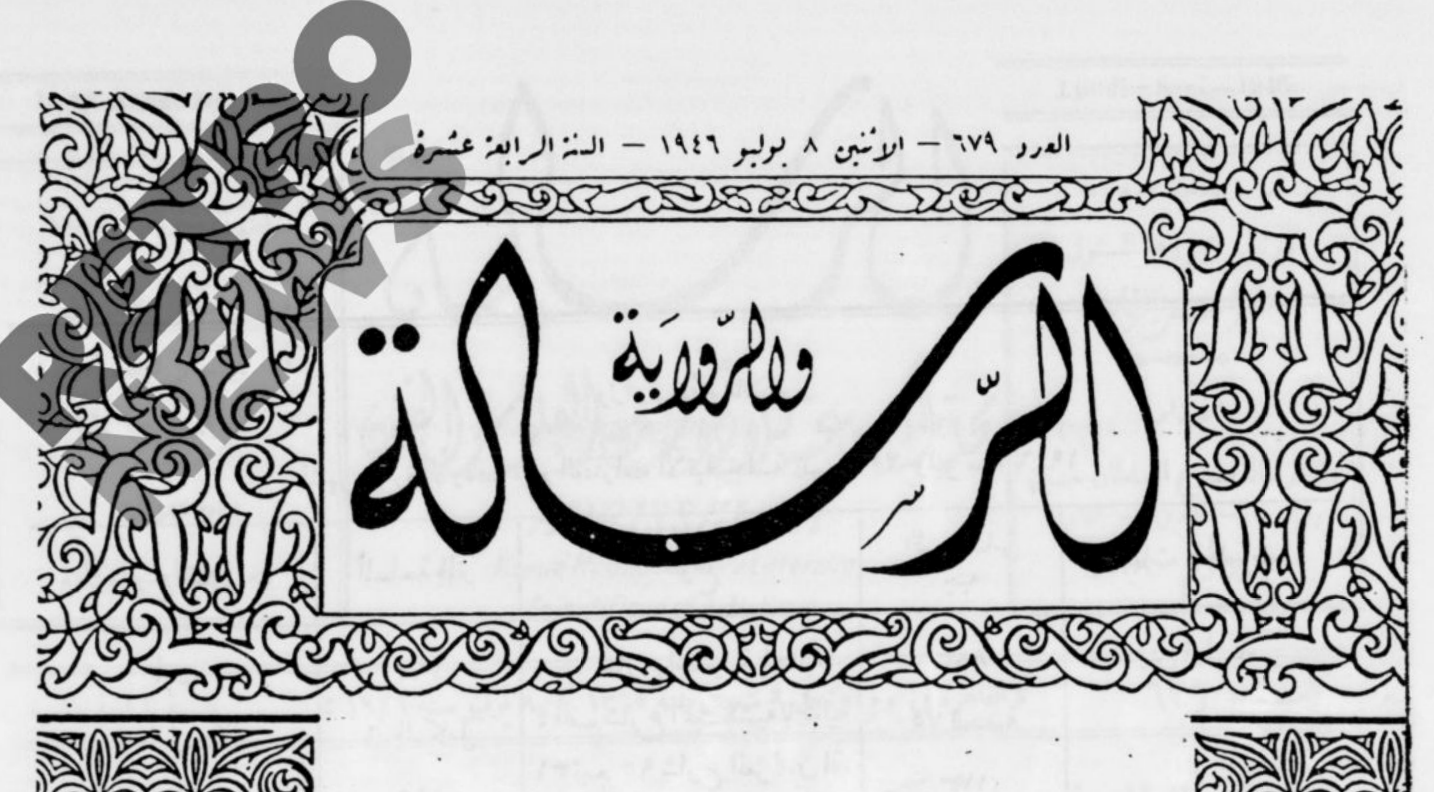



# الفهرس



مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٧٩ – الاثنين ٨ يوليو ١٩٤٦ – السنة الرابعة عشرة




# الفهرس



٢٧٠٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

## وزارة الأوقاف

تشهر وزارة الأوقاف بيع العقارات الآتية بجلسة السبت ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٦

| نوع العين | المساحة بالمتر | الموقع | الثمن الأساسى جنيه | جهات الجلسات |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| أرضه | ٢٩٤ | ١٤ شارع الحسينية بالجمالية | ٨٨٣ | تفتيش أول بمصر |
| ٩ ط فى دكان | ٦ بالكامل | ٤ ألف شارع التمبكشية بالجمالية | ٧٥ للحصة | » |
| ٣ حواصل | ١١٥ | ٣١ تبع ٩٥ شارع المعز لدين الله بالجمالية | ١٧٣ | » |
| أرض | ٨٦ | درب سعيد بشارع القاصد ببنى سويف | ٥٠ | تفتيش بنى سويف |
| | جلسة | يوم الأحد ٢١ يوليو سنة ١٩٤٦ | | |
| عقار | ٧٩٦ | تبع ٤ شارع الرويعى | ٣٣٦٦٨ | تفتيش ثان بمصر |
| » | ٧٢١ | » | ٣٠٤٩٠ | » |
| » | ١٢٠١ | ٣ و٣ ألف و٣ ب شارع الرويعى | ٢٩٧١٩ | » |
| منزل | ١٠٤ | ١٣ درب السماكين بباب الشعرية | ٧٢٨ | » |
| دكانان | ١٢ | تبع ١ عطفة البصاص بشارع البنهاوى | ٢٠٠ | » |
| مكتب | ٣٧ | شارع العادلى ببندر أسيوط | ١٤٧ | تفتيش أسيوط |

14 me Année No. 679

Lundi—8—7—1946

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ شعبان سنة ١٣٦٥ — ٨ يوليو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة



## بين الالهام والحكمة !

للاستاذ عباس محمود العقاد

نقلنا عن الجماعة الإسلامية فى لاهور أنهم يعدون حضرة مرزا غلام أحمد القاديانى مجدد القرن الرابع عشر ، ويثبتون أنه ما ادعى النبوة قط كما قال بكلامه : « إننى لا أدعى النبوة . وكل ما أدعيه أننى محدث ، وأن معنى المحدث هو الذى يسمع كلام الله . كلا . ما أنا مدع للنبوة ، وما مدعى النبوة عندى إلا خارج على الدين ، وإنما يكذب على الذين يحسبوننى من أولئك المدعين » .

وقد شاءت المطبعة أن تضبط « المحدث » بكسر الدال ، ولا أدرى كيف وقع ذلك ؛ لأن الكلمة التى تليها تفسرها وتمنع أن تكون على صيغة اسم الفاعل ، إذ كان الذى يسمع كلام الله هو المحدث بصيغة اسم المفعول . وإنما المحدث بكسر الدال هو الذى يتكلم وليس هو الذى يسمع الكلام .

ولهذا أصاب الأستاذ « السهمى » حين ردها إلى التطبيع ، وأشار إلى تفسير المحدث فقال : « جاء فى الحديث تفسيره أنهم هم الملهمون ، والملهم هو الذى يلقى فى نفسه الشىء فيخبر به حدسا وفراسة ، وهو نوع يختص به الله من عباده الذين اصطفى مثل عمر ، كأنهم حُدثوا بشىء فقالوه ... » .

ولكن المسألة كبرت بعد ذلك ، لأن المراد أن يكون هناك خطأ ينسب إلى العقاد على ما يظهر . فكتب الأستاذ الطنطاوى يقول إن السهمى لم يصحح الخطأ فى تفسير العقاد ... فقد ذكر أن المحدث هو الذى يسمع كلام الله . مع أن الذى قالوه فى المحدث أنه الملهم ... » .

ثم كبرت مرة أخرى فقال كاتب بتوقيع منصف يخاطب الأستاذ الطنطاوى : « لو أعاد الأستاذ الطنطاوى قراءة ما كتبه السهمى لوجده قد صحح الكلمة وتفسيرها بما نقله عن كتاب النهاية لابن الأثير ... » .

فعجبت لهذا التصحيح فى غير موضع للتصحيح .

وعجبت لتسمية هذا التصحيح تصحيحا لتفسيرى أنا ، مع أننى أروى عن القاديانى فيما أقول .

فتصحيح التفسير كلمتان اثنتان ليس فيهما حرف واحد صحيح ؛ لأنه لا تفسير لى أولا فى تلك الكلمة المنقولة ، ولأنه لا تصحيح هناك ولا موجب للتصحيح على وجه من الوجوه .

ولماذا يخطىء الذى يقول إن المحدث بفتح الدال هو الذى يسمع كلام الله ؟

إن المحدث لغة هو الذى تتحدث إليه ، وليس هذا هو المعنى المقصود بالكلمة فى الحديث المنسوب إلى النبى عليه السلام ، إذ لو كان هذا هو المعنى المقصود بها لكان كل إنسان من خلق الله محدثا بغير استثناء . ولم يكن ذلك شأن عمر بن الخطاب وحده أو شأن أمثاله من الملهمين . فما من أحد إلا وقد تحدث إليه أحد فهو محدث بهذا المعنى « اللغوى » الذى لا تمييز فيه .

فالمحدث المقصود إذن هو الذى يستمع حديثا من غير الناس أو يستمع حديثا من عالم الغيب . وكل حديث من عالم الغيب فهو إما حديث من وحى الله وملائكته أو حديث من وحى إبليس وشياطينه . ولا تحتمل الكلمة معنى غير هذين المعنيين ، بل لا تحتمل إلا معنى واحدا حين يكون الموصوف رجلا من القديسين وطلاب القداسة ، وهو الاستماع إلى وحى الله ، أو تلقى الإلهام من الله ، ولا فرق بين القول بهذا أو القول بذاك .

فأين هو التصحيح إذن فى التفسير كائنا من كان صاحب الكلام المفسر ؟

ولماذا قال النبى عليه السلام « محدث » ولم يقل « ملهم » إذا كان من الخطأ أن نقول إن المحدث هو الذى يتلقى الحديث من عالم الغيب !

على أننى لم أنس الإلهام فى المقال نفسه لأننى ختمته بتلخيص كلام القاديانى حيث يقول : « إن الإلهام درجات تبدأ بالحدس الصادق وتنتهى بعين اليقين وهو أعلى مراتب الملهمين ، وإنه من الخطأ أن نخلط بين الإلهام الفنى والإلهام الدينى ، لأن الإلهام الفنى قد يكون فى الشر كما يكون فى الخير ، وقد يقال إن اللص وهو يحاول سرقة المكان سنحت له خاطرة ملهمة لتيسير السرقة ثم لتيسير الهرب من الحراس ، وليس هذا من الإلهام الربانى فى شىء ، وإنما يكون إلهام الله فى سبيل الحقائق العليا والكشف عن الأسرار الروحية ، والنفاذ إلى لباب الخلق وبواطن الحكمة الإلهية ، وهذه منزلة يرتقى إليها طلاب الوصول إلى الله ، ومنهم ميرزا أحمد القاديانى فى رأيه وآراء مريديه ؟ » .

فإذا كانت مادة « حدث » لا تقبل تفسيرا فى المصطلح المقصود غير سماع الحديث من عالم الغيب ، وكان الإلهام من المعانى التى ذكرناها فى هذا السياق ، فأين موضع التصحيح ، وأين موضع التنبيه مرة بعد مرة إلى التصحيح ؟ وهل حصل أولم يحصل ولا يزال فى حاجة إلى تحصيل ؟

إن « المحدث » بفتح الدال لا تحتمل معنى واحدا حين يوصف بها الرجل الصالح غير سماع الحديث من وحى الله ، وإنما الإلهام هو تفسير لهذا التحديث وليس هو بالتصحيح ، فليس الإلهام إلا أن تتلقى إشارة من الله أو من عالم الغيب ، ومتى كانت المادة مادة « الحديث » فالإشارة المقصودة هى الحديث أو ما فيه معنى الحديث ، وإلا لكانت التخطئة لاستخدام الكلمة فى هذا الموضع وليست للتفسير والتوضيح .

* * *

ومن طرائف هذه التصحيحات « تصحيحة » أخرى وقفنا عليها فى رسالة عن « عبد الله فكرى » للأستاذ محمد عبد الغنى حسن وصلت إلى منذ أسابيع .

فنحن نعتقد أن عبد الله فكرى باشا رحمه الله كان من أنبغ كتاب الدواوين فى عصره ، وقد كتبنا عن هذه المدرسة فى مقالاتنا عن شعراء القرن التاسع عشر ، فقلنا إن أشياع تلك المدرسة كانوا فى تلك الفترة كثيرين ثم قلنا : « إن الذين بلغوا منهم جهارة الشأن قليلون ونريد جهارة الشأن فى المنصب كما نريدها فى الأدب ، فإن قليلا من الديوانيين من ضارع عبد الله باشا فكرى فى صحة اللغة ، وبراعة التركيب ، وسلامة الفهم والتفكير » .

أما الشعر فرأينا فى الرجل أنه لم يكن من كبار الشعراء و « أن قصائده فى الحكمة هى ألصق بوصايا المتأخرين ونصائحهم منها بالحكم المطبوعة التى كانت تتخلل قصائد الشعراء عفوا فى أدب الجاهلية والخضرمة وفحول القرن الثالث والقرن الرابع . فهى بكلام المعلمين أشبه منها بكلام الشعراء ، وبوصايا الآباء المحنكين أشبه منها بالخبرة المطبوعة التى تعبر عنها قرائح أهل الفنون ، ومن ذلك قصيدته الرائية التى يقول فيها :

إذا نام غر فى دجى الليل فاسهر    وقم للمعالى والعوالى وشمر

ثم قلنا : « فهذه وأشباهها نصائح معلم وليست وحى شاعر ، ولا نعرف بين كبار الشعراء فى العالم كله واحدا صرف إليها شعره وجعلها من أغراض فنه » .

وهذا كلام فى رأى الأستاذ عبد الغنى يحتاج إلى تصحيح لأنه لم يفهمه ولم يحاول فهمه ، بل حاول تصحيحه ليكون من المصححين ولا يكون من الفاهمين .

فهو « أولا » يسأل مستهولا : « ما دخل كبار الشعراء فى العالم كله فى ميدان هو بشعراء العربية أشبه ؟ » ثم يقول « لقد نظم كثير من شعراء العربية مثل هذه القصيدة الفكرية فى

عصور مختلفة فما حط ذلك من شاعريتهم . ولقد أوردت أبياتا من قصيدة ابن سعيد المغربي تزكية لقضية أرى من الحق أن أدافع عنها . فإذا احتج محتج بأن المغربي من شعراء العصور المتأخرة نسبيا ، فإن الجواب عندنا حاضر عتيد ، وهو أن بشار ابن برد من شعراء القرن الثاني ترك لنا أبياتا في المواعظ والحكم فيها كثير من وحي الشاعر »

وهو « ثانيا » يقول ليصحح لا ليفهم « إن الحكمة سواء لبست ثوب النصيحة والموعظة أو ثوب الحكمة المطبوعة ليس من الضروري أن تكون وحيا شعريا . ولقد فرق النقاد قديما بين الشاعر والحكيم حتى قالوا إن المتنبي وأبا تمام حكيمان والشاعر البحتري . فالمقابلة بين نصائح المعلم ووحي الشاعر هي مقابلة في غير موضعها ولا بابها . وقد يكون المعترض على حق لو أنه قابل بين نصائح المعلم وحكمة الحكيم »

هكذا قلنا مصحَّحين بفتح الحاء .

وهكذا قال السيد عبد الغني مصححين بكسر الحاء .

ويؤخذ من هذا وذاك بالبداهة أن التصحيح أيسر من الفهم الصحيح بكثير ، وأن السيد عبد الغني يفضل « أن يصحح » على « أن يفهم » ولا جناح عليه في تفضيلاته وتصحيحاته ، لأن الإنسان معذور في هذه الدنيا إذا هو عدل عن جانب العناء إلى جانب الرخاء .

ومن ثم وجب عليه أن يصحح بكسر الحاء ووجب علينا أن نصحح بفتح الحاء لأنه لا شأن لكبار الشعراء في الدنيا بتحقيق الملكة الشعرية وتمحيص الآداب العربية ؛ فإن كبار الشعراء شيء ، والآداب العربية شيء آخر لا يتصل به ، ولا يستدل به عليه .

ووجب عليه أن يصحح بكسر الحاء ، ووجب علينا أن نصحح بفتح الحاء إذا أنكرنا على أحد أن يكون شاعرا مطبوعا في أغراض الحكمة ، بعد أن قال بشار بن برد في تلك الأغراض ما قال :

ووجب عليه أن يصحح بكسر الحاء ، ووجب علينا أن نصحح بفتح الحاء إذا قلنا إن الملكة الشعرية غير المنظومات الحكمية ولم نقل إن التعليم غير حكمة الحكيم .

وقياسا على ذلك قد أصبحنا مصححين ناجحين ، فنقول وعلى الله القبول : إن أشعر الشعراء طرا وأحكم الحكماء شعرا هو السيد أبو الفتح علي بن محمد البستي حيث قال :

زيادة المرء في دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وحيث قال :

الدهر خداعة خلوب ... وصفوه بالقذى مشوب

وأكثر الناس فاعتزلهم ... قوالب ما لها قلوب

فلا تغرنك الليالي ... وبرقها الخلب الكذوب

ففي قفا أمنها كروب ... وفي حشا سلمها حروب

وإنه كان ينثر في الحكمة كما ينظم فلا تعوزه القافية ولا التحسين وإن أعوزته التفاعيل والموازين . ومن ذلك أنه قال : « حد العفاف الرضى بالكفاف » وأنه قال : « من سعادة جدك وقوفك عند حدك » وأنه قال : « المنية تضحك من الأمنية » وأنه قال : « من أصلح فاسده أرغم حاسده » وأنه قال : « إذا بقي ما فاتك فلا تأس على ما فاتك » . فلا جرم كان أشعر الشعراء وأحكم الحكماء ، وحق له أن يقول في شمم وإباء وعزة وخيلاء :

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله ... وليس له ذكر إذا لم يكن نسل

فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي ... فإن فاتنا نسل فإنا بها نسلو

نعم وأصبحنا مصححين ناجحين غير فاهمين ولا متفهمين ، لأننا رجعنا إلى الفوائد الفكرية ، فوجدنا فيها هذه النصائح الحكمية : « وينبغي للولد أن لا يدخل المحل الذي تكون أمه واضعة فيه المأكولات مثل العسل والسمن والفاكهة وغير ذلك إلا بإذنها ، ولا يمد يده لشيء يرفعه من مكانه إلا بعلمها ، فإنه يتعب والدته المشفقة اللينة القلب عندما تطلب ذلك الشيء ولا تجده . فليحذر غاية الحذر من كل ما يؤدي إلى تعبها وتغير قلبها »

فلما رجعنا إلى الفوائد الفكرية ووجدنا فيها هذه النصائح الحكمية ، قلنا هي ملكة شعرية لا تعوزها غير الأوزان العروضية لأنها تنظم في اللغة العربية ، ولا تنظم بالافرنجية في اللغات الأجنبية ، وكله عند العرب صابون ، كما يقول المصححون الذين يصححون ولا يفهمون ، بل كل قول مليح ، إذا عجز الإنسان عن الفهم وقدر على التصحيح .

**عباس محمود العقاد**

من صميم الحياة :

# وحى الشيطان ... !

للأستاذ على الطنطاوى

[ على أرباب الأقلام أن يوقظوا النيام وليس عليهم أن يحيوا الموتى . . ] على

وهذه (أيضاً) قصة من قصص الحياة ، (ألفتها) و (مثلتها) على مسرحها ، وهى قصة واقعة أعرف زمانها ومكانها وأشخاصها ، ولكنى لن أصف شيئاً من ذلك ولا أشير إليه ، لأنى لا أريد أن أسوء أحداً ولا أن أعرِّض به ، إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت ، وما فى التعريض بالناس نفع للقراء ولا لى وما أكتب تاريخاً إنما أسرد قصة ...

***

وقعت هذه القصة فى بلد من بلدان هذا الشرق العربى الذى يقف اليوم حائراً فى مَجْمع الطرق ، لا يدرى أين يسلك ولا إلى أين يتّجه ، والذى يعيش عيشة تحكى الثوب المرقّع ، فيها شىء من الجاهلية وشىء من العصور الاسلامية الأولى ، وشىء من عصر الانحطاط ، وشىء من فرنسا ومن انكلترا ومن روسيا ولكنه لا يكاد يأخذ من كل (شىء) إلا أسوأ ما فيه .

وكان مما أخذ أهل ذلك البلد عن أمريكا ، أنهم عملوا من بناتهم فى المدارس مثل المجندات فيها ، وما جندت أمريكا المجندات فى هذه الحرب إلا (للترفيه ...) عن الجنود ، فممّن نريد أن (نرفه ...) نحن ؟ !

وانتشرت هذه البدعة فى مدارس البنات حتى بلغت هذه المدرسة ، وأراد القائمون عليها إعداد هذا اللباس العسكرى للطالبات ، ولم يكن بدّ من الاستعانة بخياط فبحثوا حتى وجدوا خياطاً أخبروهم أنه رجل أمين صاحب خلق متين ، وجاءوا به ليقيس أجساد الطالبات ، وجعلوا يدخلونهنّ عليه واحدة بعد واحدة ، وهو ماضٍ فى عمله ، يغضّ من بصره إلا عما لا بدّ من رؤيته ، ويترفق فى جسّه ومسّه ، إبقاء على طيب الذكر ، وحرصاً على صناعته ، ولعنة الله عليها من صناعة ، أن يخيط الرجل ثياب النساء ، ولعن كل من يرضى بها . ولبث كذلك حتى دخلت هذه الفتاة ، وكانت بنت ست عشرة كاعبا غِرّة مكلثمة[1] بيضاء ذات غضاضة وبضاضة وخَفَر ، من رآها رأى ملامح طفلة حلوة فتانة بطهرها وجمالها ، فى وجه خَوْد عذراء ، على جسم راقصة مِفَنّة ، فى ثياب عروس ... فلما رآها وقام للقياس ... ومدّ يده إليها أحسّ بقلبه يجب وجبانا منكراً ، وبأنفاسه تتلاحق حتى كاد يدركه البُهر ، ولم يكن قد أصابه ذلك من قبل ، وقد (طالما) رأى فتيات أجمل منها وأبهى وقمن أمامه بالغلائل ومسّهن وقاسهنّ ، فما صنعن به مثل هذا ، وما كان تقياً ولا عفيفاً ، ولا يمتهن هذه المهنة رجل ويخيط للنساء ويبقى عفيفاً ، ولا تمشى إليه لتخيط عنده عفيفة ولا شريفة ولكنه لم يكن مشهوراً بالفجور ، ولم يكن ماجناً مستهتراً فمن هنا عدّه أهل هذه الأيام ... أميناً صاحب خلق متين !

وأحسّ بالفتور فى أعصابه ، ولكنه تماسك وتحامل على نفسه حتى أتمّ القياس ، وتكلم فعجب فى نفسه أن وجد صوته يتهدج ويخرج مبحوحاً مخنوقا ، وما عهده كذلك ... وخاف أن يفتضح فاستأذن فى الانصراف ، وخرج وفى نفسه عواطف متضاربة : فهو يرجو العودة إليها ويريد الفرار منها ، وهو قد سعد بلقائها ولكنه يتمنى أن لم يكن عرفها . ولما وصل إلى دكانه لم يستطع أن يبقى فيه ، وأحسّ كأنه قد افتقد شيئاً ، وأنه يحيا فى فراغ مخيف ، وكان له ، (وتلك من لعنات هذه الصناعة) عاملات وكان يأنس بهن ويلهو ، فأعرض اليوم عنهن ولم ينظر إليهن ، ووجد تراخياً فى بدنه وشيئاً مثل الدوار فى رأسه ، فترك الدكان وذهب إلى أقرب قهوة إليه ، فألقى بنفسه على كرسىّ فيها وأغمض عينيه وراح يحلم يقظان ، ولم يكن يتخيل الفتاة بلحمها ودمها وجوارحها ، وإنما كان يرى لها صورة غامضة عجيبة فيها كل ما كان يحلم به من ألوان السعادة

(١) من العامى الفصيح ، والعامة تقولها بالتاء بدل الثاء على عادة الشاميين.

وصور الجمال ، ولم يكن يفكر فى ( وصالها ) إنما كان فى فكره التقديس لها والرغبة فيها والخوف منها والغيرة عليها من عيون الرجال بل من عين الشمس التى تراها !

وهذا هو الحب العذرى ، من النظرة الأولى ، وإن أنكره العلماء ، وأقاموا الأدلة على إبطاله . لقد عشقها وهو لا يعرف اسمها ، ولا دارها ، ولا مطمع له فى الوصول إليها .

***

ومرّت الأيام ولا أصف لك كيف مرّت عليه ، وعاد إلى المدرسة ومعه الثياب ليجرّبها على صاحباتها ، ودخلت البنات عليه ، وخلعن أمامه ولبسن ، وتحركن وحركن ... وتكلمن وسمعن ... ولكنه لم يسمع ولم يَرَه ، وكان ينظر إليهن كما ينظر النائم إلى خيالات تجوز به وهو غارق فى لجج الكرى ، وكان فكره معلقاً بتلك وحدها ، وكان يتمنى لرغبته فيها أن تمرّ الدقائق مسرعة حتى يراها ، ويرجو لخوفه منها أن يبطىء الزمان حتى يتهيأ للقائها ... وكان كلما دخلت واحدة اضطرب وخفق قلبه يحسبها هى ... حتى جاءت ...

وكان لطول ما فكر فيها وخلع عليها خياله من سمات الجمال وأحاطها به من التقديس والاكبار ، لا يراها فتاة جميلة كالفتيات بل ملكا هبط من سمائه ، أو حوراء من حور الجنان نزلت إلى الأرض ، وكان يقدس كل شعرة منها ، وكان يخشى أن يمسّ طرف ثوبها ، لأنها كانت عنده كالزهرة التى يذبلها اللمس ، فكان يخاف عليها ويرعاها من بعيد ، ويحسّ الرغبة بأن يمرّغ وجهه بتراب قدميها ، وأن يقبل حذاءها ... حماقة من حماقات العشاق ...

ولم تكن البنت قد سفرت من قبل ، أو خالطت الرجال ، فهى لا تزال مستحيية ، فتهيبت أن تجرب الثوب ووقفت ... فأعانها الدرس وأنزل بيده جواربها ، وخلع عنها ثوبها ، وبقيت بـ (الشّلحة)[1] ، فلما أبصرها الخياط كذلك ، ورأى الدرس وهو يعينها على نزع الثوب عنها ، اهتز كأنما مشى فيه تيار كهربائى ، واجتمع فى قلبه دمه كله ، فخفق حتى كاد يخرج من صدره ، وشحب وجهه حتى صار بلون قشرة الليمون ، ثم دارت به الدنيا ، ولم يعد يشعر بشىء ...

لقد أغمى عليه فحملوه إلى دكانه ، ولم يعد إلى المدرسة أبداً .

***

وهام الرجل بها ، وزهد فى كل امرأة من أجلها ، ولم يبق له فى الحياة مطمح سواها ، فرحمه جماعة من جيرانه ، وذهبوا يخطبونها له من أبيها ، وأخذوه معهم ، فلما عرف ما جاؤوا له ، أباه عليهم وردّهم ، فخرج الشاب وقد ضاقت به الدنيا ، ولم يجد سبيلا يسلكه إلا سبيل الفجور ... فأوغل فيه ، وسخر ماله وشبابه لافساد الفتيات ، فأفسد منهن العشرات ، وهنّ يتهاوين عليه كما تتهاوى الفراشات فى النار . ومرّت الأيام ، وسمع أن البنت قد خطبت ، وعقد العقد ، وزفّت إلى بعلها .

هنالك أيس الرجل فانقلب شيطانا ، واستحال ذلك الحب فى نفسه بغضاً ، وكذلك يكون البغض الشديد من علامات الحب الشديد ، وأقسم ليدمرن حياتها وحياة أهلها ، ولو دفع ثمن ذلك ماله كله وحياته ، واستوحى الشيطان الأكبر ، ورفاق السوء ...

وهبط عليه ( وحى الشيطان ) !

فاستعان بمن يعرف من الفتيات من رفيقات البنت ، وأغراهنّ بالمال وبالمتع أن يأتينه بها إلى داره مرة واحدة ، وحلف لهن بالأيمان المؤكدة أنه لا يمسّ جسدها .

واحتلن عليها وزعمن لها أن رفيقة لهن مريضة فهن يُحببن أن يزرنها معها ، ورضيت وضربت لهن موعداً ، فأخبرن به الرجل فأعد عدة الانتقام .

***

ولما وصلن إلى الدار تأخرن عنها حتى صارت من داخل ، ثم رجعن وأغلق هو الباب دونهن وبقيت وحدها ، ونظرت فاذا الدار خالية ففزعت وركضت نحو الباب ، فاعترضها الرجل وأخرج مسدساً ضخما ، وهددها بأنه قاتلها به إن لم تخلع ثيابها كلها ، وحلف لها إنها إن فعلت لا يمسها بيده ، ولا يدنو منها ، ويدعها تمضى بسلام ، ونظرت الفتاة فاذا هو على صورة الوحش

(١) عامية يقابلها فى الفصيح المجول أو الاتب .

الهائج ، أو الشيطان الغضبان ، فارتاعت وجعلت ترجع حتى التصقت بالجدار ، وهو يسلط عليها بريق عينيه وفوهة مسدسه ، فلم تجد مناصاً من الامتثال .

فألقت خمارها عن رأسها ، ثم نزعت معطفها بيد ترتجف من الرعب ، ووقفت ، فاستحيْت ، فانفجرت تبكى وتنشج ، وتتوسل إليه :

— أرجوك ، أنا فى عرضك ، أبوس رجليك ... ارحمنى استرنى ، ماذا عملت لك ، إنى امرأة شريفة ولى زوج ...

فزأر فى وجهها :

— بَسْ !

وأوهمها أنه سيطلق المسدس ، ثم رماه وراءه واستلَّ سكينا طويلة أدناها منها حتى وجدت حدَّها على عنقها ، وقال :

— اخلعى !

فخلعت الثوب ، فقال :

— اخلعى كل شيء !

فعادت إلى توسلها وبكائها ، وعاد إلى قسوته وتهديده .

فرمت (الشلحة) ، والقميص ، وبقيت بذلك (السكاسون) الذى يشبه خرقة بين رجليها ، وصُدْرة الثديين ، فصرخ بها حتى نزعتها ، ووقفت أمامه كما ولدت أمها ...

ومرت لحظة ، ثم أعرض عنها ، وقال لها : البسى واذهبى . وصدق وعده فلم يمسسها .

فلما خرجت رفع ستارة ، وقال للمصور :

— هل أخذت الصورة ؟

— قال : نعم ، أخذت لها ثلاث صور !

***

خرجت وما تصدق أنها نجت ، فلما بلغت دارها سقطت مريضة ... وكانت هذه الواقعة كابوسا على صدرها ، ما تفارقها ذكراها ، فى يقظتها ولا فى كراها ، وهجرت رفيقاتها جميعاً رفيقات السوء ، واتخذت لها ملاءة ساترة ... ولكنها أخطأت فلم تنبىء بما جرى لها زوجها ، ولم تصدقه خبرها .

ثم كان الفصل الأخير من الرواية :

وصل الخبيث حبله بحبل الزوج ، وتزلف إليه حتى جمعته به سهرة ، فأحضر معه طائفة من أصحابه الفساق ، وكان قد بيّت معهم أمراً ، فلما احتدم الحديث وحميت السهرة ، وزالت الكلفة وجاءت الالفة ، أدار الخبيث الحديث حتى وجهه وجهة الحب والغرام ، وانطلق يقص قصة لفقها ، فلما انتهى منها ، أخرج الصورة وقال :

— وهذه صورة صاحبتى فيها ، انظروا إلى جسمها وجمالها !

ودفعها إليهم فتناقلتها الأيدى ، وكلما رآها واحد من أصحابه قال :

— وأنا أعرف هذه الفتاة ومعى صورة أخرى لها .

حتى وصلت إلى يد الزوج ، فنظر فيها ، فأحسَّ كأن لطمة انحطت على وجهه ، فأظلمت منها عيناه ولم يعد يبصر ما حوله . لقد كانت صورة زوجته !

ودمّر بيتان ، وعوقب بريئان ، ونجا المجرم الأول بلا عقاب ، وهو القرد الذى جاءنا تقليده بهذه البدعة المخزية ، بنظام (الرشدات) !

**على الطنطاوى**

مما لم ينشر للرافعي :

# أمن عصر العقل إلى عصر القلب ؟
# أم من عصر العقل إلى عصر المعدة ؟

## مشكلة الفقر والغنى بين العلم والقانون والايمان

للمرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

يزعمون أننا فى عصر العلم ، وفى دهر القانون ، ويريدون أن يسلبوا الناس إيمانهم ، كأن الإيمان هو مشكلة الإنسانية ؛ مع أنه لا حل لمشكلاتها إلا به . إن مسألة الغنى والفقر ، وما كان من بابهما لايحلها العلم ولا القانون إذ هى من مواد القضاء والقدر فى إنشاء الآلام والأحزان وأضدادها التى تقابلها ، وما كان فوق الإنسانية من السماء قوة لا تحد ، وتحت الإنسانية من القبر هوة لا تسد ، فلا نظام إلا على تصريف النفس أمراً ونهياً ، وتأويل الحياة معنى وغاية ، فان لم يكن الشأن فى ذلك مقرراً فى الغريزة على جهة الإيمـان ، فلن يكون العلم والقانون على ظاهر النفس إلا ثورة بما فى باطنها ، ولن يبرح الناس على ذلك بعضهم من بعض كالهارب منه وهو مضطر إليه ، أو كالمضطر إليه وهو هارب منه ، وكلٌّ من كلٍّ فى معنى من معانى النفس لا إنسانية فيه

ما زاد العلماء على أن خلقوا فى ساعدَى الحياة هذه العضلة البخارية ، وذلك العصب الكهربائى . فمن لم يستطع أن يتوقى ضربة الحياة المدنيـة بعدة من قوة ، وعتاد من مال ، طاحت به فدكته دكّ الخسف ، ووضعته من الناس موضع الحبة من الرحى الدائرة . فما بينه وبين أن ينهار موضع يستمسك عليه ، وإنمـا هذا الموضع هو إيمـان المؤمن إذ يعطف على الضعفاء أو يُسعِدُ أو يَبَرُّ بما كتب عليه أن يرق لهم من ذات نفسه ويتحنى ويتوجع .

ومتى كان العلم والدين يقومان جميعاً على تنظيم الطبيعة فى مادتها وإنسانيتها لم تجر الإنسانية إلا على بقاء الأصلح فى الجهتين ، فاذا تخلى بها العـلم وحده فلن تجرى أبداً إلا على ناموس بقاء الأصلح فى ظاهرها لإيجاد الأفسد فى باطنها .

لن يصلح الإنسان للحياة الطيبة — ما دام بهذا التركيب الذى لن يتغير — إلا إذا وازن بين بيئته التى هو يوجهها وبين طباعه التى توجهه ، فقيد أشياء فى قيودها ، وأطلق أشياء من قيودها ، وجمع فى مقبوا نفسه حداً بحرية وديناً بعلم . بيدَ أن طغيان العلم فى هذه المدنية قد مرد على طباع[1] الإنسان وشمائله فى كل موضع من الحياة لا تكافئه فيه قوة الدين فاذا هو يزين الشهوات ، وإذا الشهوات تطوع المغامرة ، وإذا المغامرة تجلب المنازعة ، وإذا المنازعة تدفع إلى الحرص ، وإذا الحرص يتصرف بالحيلة ، وإذا الحيلة تهلك التقوى ، وكان فى تقوى الإنسان إيمانه ، وكان فى إيمانه رحمته ، وكان فى رحمته الأثير الإنسانى الذى تعيش فيه الروح . وعلى ذلك يقع فى الإنسان من النقص بمقدار ما يزيد له العلم ، فاذا هو منحدر إلى السقوط مقبل على المحق راجع إلى الحيوانية بأكثر مما يحتمل تركيبه منها .

أو لا يرى الناس أن تفوق أمةٍ على أمة لم يعد فى هذه المدنية إلا معنى من معانى القدرة على أكلها ... ؟

ومضى العلم على شأنه ذلك حتى جعل الإنسان آلة من آلاته التى غمر بها الدنيا فأصبح من لا إيمان له يتعسف خسائسه[2] لايدرى أين يؤم منها وأين يقف ، فلا يتسفل بقوة إنسان ولا بضراوة وحش ، ولـكن بقوة آلة من الآلات الـكبرى ودقتها وسرعتها وإتقانها ... حتى لا رذيلة من رذائل هذه المدنية إلا هى مفتنة فى تركيب على نسق الأمور المخترعـة ، وكأن الآلات العمياء مازادت إنسانها شيئاً إلا أن قالت له كن أعمى ، وكأن المدنية الملحدة ما عدت أن جعلت لوحشية تعمل أعمالها الفظيعة بتأنق وتمدن نسى الناس الإيمـان أو انسلخوا منه ، فاذا أيديهم تموج بأسباب الفضائل[3] تحـكمها ولا تضبطها ، وما كان الإيمان الصحيح إلا التقوى[4] ، ولا كانت هذه التقوى إلا عملا من أعمال الإرادة غايته إيجاد الغرائز العليا فى الإنسان بالأسلوب الذى لا تخلق الغريزة العملية فى النفس إلا به ، وعلى النحو الذى

(١) أى مرن عليها واستمر وبلغ بها الغاية التى تخرجها من جملة ما عليه الطبع الانسانى الـكريم .

(٢) يتخبط فيها على غير هدى .

(٣) ماجت اليد بالشئ ، إذا اضطربت به كأن أيديهم لا تضبط أسباب الفضائل من ضعفها عنها

(٤) الاسلام كله فى كلمة التقوى كما بيناه مفصلا فى كتابنا إعجاز القرآن ) فانظره . وكلمة التقوى من معجزات هذا الدين . ولقد قال ( هكسلى ) قسيم داروين الشهير : « إن الدين هو إجلال المثل الأعلى من الأخلاق ومحبة العمل على تحقيقه فى الحياة » وكل هذا من قول أستاذ القرن التاسع عشر . وكل ما سبقه به الفلاسفة والحـكماء ، وكل ما جاء وما سيجىء هو من معانى ( التقوى ) فى الإسلام لا تضيق الـكلمة عن شىء منه .

لا تصلح فى الحياة إلا عليه . أظهر آثار الإيمان تحديد الغايات الإنسانية وتنسيقها والملاءمة بينها ، فان إطلاق الغاية لـكل إنسان على شأنه وسبيله كيف درّت معيشته[1] وكيف دارت أهواؤه يجعل طرق الناس متداخلة متعادية فيقطع بعضها على بعض ويقوم سبيل فى وجه سبيل ، فلا تحل عقدة إلا من حيث تُقرض أختها ، ولا يتخلص خيط من خيوط اللذات الملتبسة المتشابكة إلا قاطعاً متقطعاً معاً . وأنت إذا بحثت عن الوحدة التى تحاول ضم الإنسانية المتنافرة وردها إلى مرجع واحد لم تجدها فى غير إيمان المؤمنين ، فهو أبداً يقابل فى كل نفس ما تطغى به الحياة على أهلها ، ولا عمل له إلا أن يحذف الزيادات الضارة بالإنسان من بيئته ، وبالبيئة من إنسانها ، وهو بهذا حائل فى كل مجتمع بين أن تنقلب أسباب السمو العقلى فتعود من أسباب الدناءة والخسة .

وإنما محل الإيمان من أهله فوق محل الحكومة ممن تحكمهم ؛ فهو الأمر والنهى بلغة الدم والعصب ، وهذه الغايات التى تتألف من أجلها الحكومات كأمْن الناس ونظامهم وسعادتهم هى أنفسها محكومة بمسائل تأتى من ورائها فى طبائع الناس وعاداتهم ومعايشهم ومصالحهم ، فان لم تكن فى النفوس من الدين أصول تأمر وتحكم ، وفى الطباع من اليقين أصول تستجيب وتخضع ، رجعت الحكومة فى الناس أداة مسلطة لا تغنى كبير غناء فى الخير والشر . إذ يحتاج الخير أبداً إلى قوتها تحميه ، ويحتال الشر أبداً على قوتها تستنقذه ، ومتى لم يكن الخير إلا بالقوة فاحتياجه إليها شر ، ومتى لم يكفّ الشر عن القوة فاحتيالها عليها شر مثله ، فاذا تضعضعت من الأديان هذه الدعائم الراسية ، وفرّط من الانسانية هذا الفارط الذى ليس فى الأرض كِفاء منه — لم تجد حسنة فى حكومة من الحكومات إلا معها من طبيعتها سيئة ، ، ولم تجد سيئة إلا هى سيئتان ، فلن تكون الحياة حينئذ إلا تعقيداً أشد التعقيد من طغيان القادرين عليها بالمال والغنى ، ومن حقد العاجزين عنها بالفقر والحاجة .

والغنى القادر على متع الحياة ولذاتها هو دائماً فى فلسفة العاجز قادر بلا قدرة ، كما أن الفقير الضعيف هو دائماً عند نفسه عاجز بلا عجز ، ولا أدل على ذلك من تعبيرهم عن معناه بالـكلمة التى تشبه أن تكون هى أيضاً معنى بلا معنى ... وهى الحظ . فلا بد للناس من الحدود التى تبنى بين كل ضدين من أحوال الإنسانية جداراً يعطف نفساً على نفس بالرحمة ، ويرد قوة عن قوة بالصبر ، ويكف عادية عن عادية بالتقوى ، ويحقق عوامل التوازن بين أسباب الاضطراب فى الجماعات المتصادمة ليقرّ كلَّ مضطرب فى حيز إن لم يمسكه فيثبت فيه لم يفلته فيعدو على سواه . فاذا عملت المدنية على هدم هذه الحدود ، وتركت قوة الإيجاب فى طبيعة الحياة بغير قوة قلبية سليمة من الإيمان فى طبيعة النفس ، كشفت للانسان عيوبه ببلاغة من تعبير شهواته فزادتها رسوخاً فيه كما تقول للص : إنك لتسرق وستصبح غنياً تمر يدك فى الذهب تنفق وتستمتع على ما تشتهى . فما تراك قلت له لا تكن لصا وتعفف ، بل قلت له كن غنيا واستمتع . ويومئذ يغبر البؤس ويتشمر الفقر كما نرى لعهدنا فى الأمم التى فشا الإلحاد فيها ، فليس من بعد إلا أن يتحول الفقر عن صورته البيضاء فى سكب الدمع إلى صورته الحمراء فى سفك الدم ، وكان سؤالا فيعود اغتصابا ، وكان الأسفل فيرجع الأعلى ، وكان يفرضه الحق فاذا هو الحق نفسه . والله لـكأن المسكين فى هذه المدنية هو الجزء اللئيم الذى طرده الغنى من نفسه وتبرأ منه وأمات ما بينه وبينه ، فاذا هما اعترضا فى مذهب من مذاهب الحياة ، نفر الغنى كأنما يرى قبره يدنو منه ، وأطبق عليه البائس بمعانى النقمة والاهانة يقول له ما أنا إلا لؤمك أنت .

إن من الشجر شجرة تنبت فى القفر تعتصر ماءها من بين رمل وحجر ، وتمتص غذاءها من لؤم الجدب ، فاذا حان أن يزهر عودها شوك فلا يكون فى عقده ونبره[1] إلا شوك ، فاذا ازدرعوها فى الخصب وخضلها الماء[2] ، وساغت لها الطبيعة ، ثم حان أن يزهر عودها ملسه كرم الأرض[3] ؛ فاذا فى موضع كل شوكة زهرة كأنها كلمة الحمد . وكذلك مثل الفقير بين الملحد والمؤمن

ترى أيخرج الإنسان فى هذه المدنية من عصر العقل إلى عصر القلب ، أم هو منحدر من عصر عقله إلى عصر معدته ؟

وكان على هذه الأرض أغنياء مؤمنون فيهم من كرم الحس شبه الفقر ، ومساكين مؤمنون لهم من كرم الصبر شبه الغنى ، فهل تنقلب المدنية من الغنى المحض والفقر المحض إلى مادة تخلق اللحم الحى وأخرى لا تخلق له إلا الظفر الحى ...؟

وكان اختراع الإنسان فى المادة الجامدة ، أفتراه يجىء يوم على الناس يكون أعظم اختراع فيه للانسان الأخير أن يعيد إلى الأرض إنسانها الأول الـكريم ؟

**مصطفى صادق الرافعى**

(١) كناية عما تتفق به أسباب العيش وتجتمع وتزكو .

(١) النبر النتوء الذى فى العود . (٢) بله الماء .
(٣) نعمته وأدمجته وأزالت نتوءه .

# مســـكين ... !

للاستاذ صلاح الدين المنجد

جلس بسام على صخرة مشرفة على طريق القرية الضيق ، يلهو بقذف الحصى ، ويرنو إلى الأضواء الراعشة ، وهى تخفق فى السهل البعيد . وكان الناس قد آووا إلى دورهم ، مذ طفلت الشمس للمغيب . فتلك كانت عادتهم فى هذا المصيف المتوارى فى ثنايا الجبال . وكانت الطرقات قفراً ، والليل هادئاً ، والقمر يقطع السماء بدلال واطمئنان ، تحف به النجوم باسمات ، يتنادين ويتغامزن ، كأنهن حسناوات يتبعنه فى لجة البحر ...

وطرق سمعه صوت ناعم رخيم نبهه ، فأرهف أذنيه ، وحدق بعينيه ، ثم قفز من الصخرة ، يتلفت يمنة ويسرة . فلمح فى طريق تخرج من سفح الجبل ، فتترامى على صدره ، وتغيب فى قمته ، شبحين ينحدران وسط الظلام ؛ فى مشيتهما ميسان وفتور . وقد استند رأس برأس برفق ، واشتبك ذراع بذراع بعنف ، وغرقا فى تمتمات وغماغم ، شغلتهما عما يحيط بهما ، من طبيعة وسنى ، وقمر ضاحك ، ونسيم رطب ، ونجوم ساطعات .

وتقدم الشبحان يميسان . فخفق قلب بسام ، وظن أنه حبيب يغازل فتاته فى هذا الليل الوسنان . فخطر على قلبه أن يعبث بهما فيقلد عواء الكلاب ليرعبهما ، ولقد هم ... لولا أن حدق ثم حملق ، ثم بلع ريقه ، وخفق قلبه ، وذهل ... لقد لمح ، تحت ضوء القمر ، حسناءه ، زهرة الياسمين ، التى فتنته ذات يوم ، فى قاعة الدرس ، إنه يوم مسحور ... أبصر به جمال الحياة يشع فى عينين زرقاوين كالبحر ، وشعر أشقر مجدل كسنابل القمح ، وفم رقيق كأنه الجرح يقطر الدم ، وينفح العطر ... فراح هيمان بها ، لا يصحو من حبه ولا يفيق .

وفار الدم فى عروقه ، ورمى بحصوات كانت فى يده . وساءل نفسه عما تفعله الآن ، وقد انتشر الليل ؟ ترى أهى تحب فتى غيره ؟ وكيف تحب ، وهى له وحده ؟ . وهم أن يهجم على هذا الذى معها فيهشم عظامه ، ويسحقه . فاقترب مغيظاً ... ولكنه ما لبث أن تبين أن الذى معها فتاة ، وليس فتى . فشعر بتيار بارد يجرى فى عروقه ، وتصبب العرق من جبينه ... وبهت ...

وضحك ، بعد برهة ، من نفسه كالمجنون . وعاد إلى الوراء خطوات ، فاختفى وراء صخرة ضخمة ... وحدثته نفسه أن ينتهز الفرصة فيكلمها . فهذه فرصة لن يجد مثلها . الجو صفو ، والحب شديد ، والرقباء بعيدون .

وهو ما انفك ، مذ عرفها فى المدرسة ، يحاول الكلام معها ويود التقرب منها ، فلا يستطيع . فكان يكتم هواه ويتجلد . وربما زور فى نفسه جملا حلوة ، وكلمات ناعمات ، آملا أن تتصل بينهما المودة ، فيحدثها بها ... ولكنه كان يفشل دائماً فيما كان يحاوله . فقد كان أستاذه القصير يقلقه ، وكان رفيقه الشيخ المتعصب للدين يزعجه . فهؤلاء أوانس يحرم على الشبان كلامهن ، أو النظر إليهن .

وشعت فكرة التحدث إلى حسنائه ، فى نفسه كالشمس . وشعر بقوة تدب فى جسمه . وأخذ قلبه يخفق ... ورفع رأسه ليرى الشبحين ... وهم أن يوقفهما ، فقد اقتربا منه . وظن أنها ستفرح بلقياه ... فلقد كان يخيل إليه أنها تحبه ، ودلائله على هذا لا تعد . كم مرة عمد إلى كتب الأدب ، فاستفتى صفحاتها ، فكانت تغريه . كم مرة فتح دواوين الشعراء ، ليعلم (حظه منها) فكانت الأشعار تبشره . حتى لو كانت القصائد على غير مايشتهى . إنه كان يقنع نفسه أن الشاعر كان يقصد غير ما قال ... وكم مرة نظرت إليه نظرة ، قد تكون عابرة ، فقضى الليالى يفسر النظرة ويقول لنفسه : إنها لتحبنى ... فكيف لا تفرح الآن ، إذا رأته أمامها ... إنها لا تفرح فقط ، بل ستلقى بنفسها عليه ، وستقول له خذنى ... فهأنذى بين يديك ... !

وتقدمت زهرة الياسمين ، فتبين من معها . إنها رفيقتها بنفسجة فسر . ترى من يجامل منهما ؟ وكيف يغازل زهرة الياسمين ؟ ألا تغار هذه البنفسجة ؟ وقال : اوف ، هذه مشكلة جديدة ... إن زهرته قد تنكره أمام صاحبتها ، وقد تسمعه قارس الكلام ... ولكن كيف يقدم لها ما زور فى نفسه من كلمات غزلات ، وقد صنعها لها وحدها ؟

ومر الشبحان ، فتقلص بسام ، واختبأ ، وحبس أنفاسه . ثم عاد فرفع رأسه ، لقد ضاعت الفرصة . مرت ولم يكلمها

لا بد من التحدث معها . ولـكنه لم يفـكر قط فى رفيقتها هذى ولم يحسب لها حسـاباً ... وخطا خطوات ... واتجه نحوها . فسمع هامساً يهمس فى أذنه : « أنت شاعر ... وأديب ... ! » فرفع ، بلا شعور ، رأسه ، ونفخ صدره . وامتلأ زهواً . وردد بنفسه : « نعم ... أديب ، لى من سعة المعارف ، فى الشعر ، ما يسهل لى كل عسير . ثم أنا شاعر ... وشعرى رقية للحسان وسحر ... سأحدثها . فإذا أعوزنى الأمر ، نثرت ما حشوت به رأسى ، من أشعار ، كالزهر » .

واندفع ... تاركا عن يمينه صخرته التى كان يجلس إليها ، ثم مشى بحذر نخلف وراءه الطريق الوعرة التى تقوده إلى بستان القرويات الثلاث اللواتى أبغضن الرجال ، فتبادلن ، كما زعموا الحب . ثم عرج فجأة ، فإذا هو وراء الفتاتين ، على بعد أمتار ... لقد أدركهما .

ولـكن كيف يبدأ الحديث ؟ هذه مشـكلة ثانية ... وأخذ يتذكر ، وقد اطمأن أنه وراءهما ، ما كان زوره فى نفسه . لقد نسى بعض ما زور ... إن فيه : « أرأيت إلى الوردة التى عشقها البلبل ، يازهرتى ، فطاف فى الدنيا يجمع لها اللآلئ ويزينها بها ، ويغنيها فى الصباح والمساء من الغناء ما يبهجها . إنك لأجمل منها عند ما تبسمين ... » ولـكنه تلعثم ... ترى أتليق هذه الـكلمات ؟ إنها خيالات شاعر يغازل بها الورق ، لا الحسان ... ! ثم ، أتفهم عنه ما يقول . كان يعتقد أن المرأة ليست جديرة بهذا ولـكنه كان يجد نفسه مسوقاً نحوها مفتوناً بها ... !

وحاول أن يذكر جملة أخرى ... « أنت يا زهرتى ، بين أنشودة وبنفسجة ، لـكالشمس تبدو رفافة بين غمامتين تضحك للدنيا وتغمرها بالنور ... » فأعجب بما قال وزهى . ولـكنه فطن أن أنشودة غائبة ، وأن فى الليل القمر . وإذن ماذا يقول ؟ وتنبه . لقد كادتا تصلان إلى السفح . وها هو ذا طريق القرية يبدو ، بل ها هى ذى دار حسنائه ، تلمع سقوفها الحمر ، تحت ضياء القمر ، إنها قريب ، فى رأس الطريق . ونادى من أعماق نفسه : « يا رب ... يا رب ! » وقبض على أصابعه ، وضغط على أسنانه وفار الدم فى وجهه . كيف يحدثها ؟ كيف يبدأ الحديث ؟ وبم يحدثها ؟ وتأفف . ولعن هذه الدراسة الطويلة التى قطع شبابه بها ، ثم هو يجبن عن التحدث إلى فتاة ، بأنه بارد بليد . ولم يجد شفاء لنفسه غير سباب أرسله إلى أستاذه ورفيقه .

وشعت فى رأسه فـكرة فتمتمت بها كأنه يخاف أن تفر . بعد أسابيع سيرسل ، وترسل ، للتدريس . لقد جمعتهما المهنة . فلماذا لا يتخذ ذلك سبيلا إلى التحدث . ولقد كان يغيظه أن يراها تناجى رفيقتها وهو قريب منهـا ولا تناجيه . يا ويحهما . كأنهما عاشق وحبيب .

وبلغ السفح ، وهو يمشى على رود . ويئس وفـكر فى الرجوع ، وانثالت على رأسه فـكر جديدة : « هيا ، لأتعثر عمداً فأتدحرج أمامهما ... عندئذ تقفان ... وعندئذ أحدثها ... » وهم وتشجع ولـكنه جبن . لقد خاف أن يتبعثر شعره الذى صففه ورجّله .

وخشى أن تضحـكا منه وتهزءا به ، فأجفل ، ووقف ، والفتاتان مسرعتان .

ورآهما وقد بلغتا طريق القرية تهرولان فجمد بصره . وشعر كأن فى عنقه حبلا يشـد به نحوهما . فهرول هو أيضاً بلا وعى ، وأخذ وهو يهرول يلوم نفسه ويشجعها ويدفعها أن تحييهما ، فالتحية مفتاح الحديث . وأسرع فى العدو وقد خاف أن يفوته إدراكهما . لقد بلغتا القصر ... هذا القصر الذى زينت جدرانه بالياسمين ، وتدلى فوقه زهر أحمر يسمونه « الزهر الفرحان » . وأسرع ... وجهد نفسه ... وفى عينيه نار ، وفى قلبه نار ... آه ! ليت الطريق تطوى ... وليت قلبه لا يخفق ... ليستطيع إدراكهما ...

وبلغ القصر ، وهو يلهث . فتشجع ، وابتسم . وفى اللحظة التى فتح فيها فاه ليقول بصوت راعش :

— مساء الخير يا آنسة ... مساء الخير ...

كان باب القصر يغلق ... وزهرة الياسمين ، تغيب ...

وأغمض عينيه ، وشحب وجهه ، وأطرق برأسه . ثم مضى وفى عينيه دمعه .

وردد النسيم الهائم فى تلك الليلة تحيته اليائسة ، وتهامس الزهر العارش ... « إنه مسكين ... إنه مسكين ! » .

صلاح الدين المنجد

# شكسبير العــــاشق

للأستاذ يوسف روشا

كان جون شكسبير ، والد الشاعر ، فلاحا . ويقول بعض الرواة إنه كان جزاراً . وليس ببعيد أن يكون الرجل قد اتخذ هاتين الحرفتين فى آن واحد ، فقد كان جم النشاط سريع الانسجام لا يحجم عن المغامرة فيما يعرض له من الشئون ، فتحسنت حاله بسرعة إذ نراه فى سنة ١٥٥٦ — ولم يمض على وفادته على « ستراتفورد » سوى خمس سنوات — قد ابتاع دارين أنيقتين وانتخب نائباً عن هذه البلدة ، ثم قام بعد هذا بقليل بأكبر صفقة فى حياته وذلك بزواجه من « مارى أردن » ابنة المزارع الغنى ، فاستقامت حاله وارتفع فى مدة وجيزة من مزارع بسيط إلى مصاف أعيان البلدة .

ولد وليم شكسبير فى سنة ١٥٦٤ ولا يزال اليوم الذى ولد فيه موضوع أخذ ورد ، فمهم من يقول إنه ٢٢ أبريل ، ومنهم من يزعم أنه ٢٣ أبريل ، فليس فى هذا ما يهم ، إنما الذى يعنينا أنه ولد فى ١٥٦٤ وكان الصبى الأول والطفل الثالث لجون ومارى شكسبير .

لم يرسل جون ابنه وليم إلى المدرسة إلا عند بلوغه السابعة من عمره . وليس من شك فى أن وليم ، وما عرف عنه من توقد فى الذهن ونفاذ فى البصيرة ، كان قد التهم بسهولة ويسر كل ما تلقاه فى مدرسته ، وليس هذا الذى تلقاه مما يغنى ، ذلك أنه لم يكن يتعدى النحو وشيئاً قليلا جداً من اليونانية واللاتينية اللتين لم يتقدم فيهما تقدما ملموساً ، حتى أن « بن جونسن » ، وقد كان معاصراً للشاعر ، قال عنه مرة إن معرفة شكسبير باللاتينية قليلة وأقل منها معرفته باليونانية .

على أن حال الأب المالية أخذت فى التدهور حتى اضطر آخر الأمر إلى إخراج كافة أبنائه من المدرسة .

لا نعرف شيئاً عما كان يفعله الشاعر من الثالثة عشرة إلى الثامنة عشرة من عمره ، وأغلب الظن أنه كان يساعد أباه فى مهنته كجزار ، إلا أن سوء الحظ لازم جون شكسبير ، فأخذ ينحدر رويداً رويداً إلى هاوية الإفلاس والفقر المدقع ، فساءت أخلاق وليم وانضم إلى جماعة من الأشرار يسرقون الغزلان من حدائق الأغنياء !

ولكن اقتحام الحدائق واختطاف الغزلان لا يعدان شيئاً بجانب ما كان يقوم به وليم شكسبير من غزواته الغرامية ، فقد وجه سهامه ، وهو لا يزال فى الثامنة عشرة من عمره إلى فؤاد « آن هاتوى » ابنة فلاح ، فصادها !

كان وليم مشبوب العاطفة ، زير نساء ، كما تدل عليه أشعاره وخاصة قصيدته « فينوس وأدونيس » . ومن المؤكد أنه لم يكن يقصد من مغازلة « آن » سوى العبث وإشباع الشهوة ، ذلك أنه لم يكن يحبها ، كما تبين فيما بعد ، ولكن المسألة تطورت وأرغم آخر الأمر على أن يتزوجها .

كانت « آن » تكبره بثمانى سنوات ، وبعد ستة أشهر من زواجها وضعت له صبية أسماها « سوزان » ولا ريب أن هذا هو السبب الذى من أجله أرغم وليم على الزواج .

على أن هذا الزواج كان نكبة على الشاعر ونعمة على الأدب الانكليزى خاصة والأدب العالمى عامة .

ذلك أنه لو لم يتزوج « آن » هذه لما نزح إلى لندن ولما عرف تلك الفتاة ذات الشعر الناعم والحاجبين الأسودين التى جرعته الصاب والعلقم ، والتى من أجلها أخذ يخرج تلك الروائع الخالدات ، ينفث فيها سمه ، وينفس بها عن كربه .

لقد كان وليم ، كما أسلفنا ، زير نساء ، لا يكف عن رمى شباكه هنا وهناك لاصطياد الكواعب ، وكانت « آن » زوجته شديدة الغيرة ، شكسة الطبع ، فكان الخلاف بينهما يتسع والحالة تزداد سوءاً يوماً بعد يوم .

إن غلمته العارمة ورعونته الهوجاء هما اللتان ورطتاه وقيدتاه بهذه الأنشوطة فلا مناص له الآن إلا أن يقطع الحبل . لقد كان عليه أن يختار أحد أمرين ، إما أن يكون مخلصاً لطبيعته وفنه ، وإما أن يذعن لعرف المجتمع وواجبه ؟ فاختار الأول وفر إلى لندن ، ولقد عاد هذا الاختيار على العالم بأكبر فائدة .

ولقد حاول الشاعر أن يعتذر عن هذه الزلة بهذا البيت :

« الحب طفل غرير ليس يدرى ما الضمير »

لا نريد أن نقف طويلا لنتبع خطوات شكسبير فى لندن مخافة أن يطول بنا الكلام فيلهينا عما نحن بصدده. يقول الرواة إن أول عمل قام به الشاعر عند هبوطه على لندن هو إمساك الجياد عند أبواب المسرح مقابل جُعل، ثم تدرج قليلا قليلا إلى أن أصبح ممثلا ومؤلفاً للمسرح.

يذهب « فرانك هارس »، الناقد الانكليزى الشهير إلى أن حياة شكسبير فى لندن حتى سنة ١٥٩٧ — السنة التى تعرف فيها إلى « مارى فتون » — كانت سعيدة إلى حد ما على الرغم من هذه السحابة القاتمة المتغلغلة فى نفسه. لقد كان، وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره أعظم شاعر ومؤلف للمسرح أنجبه التاريخ، وكانت أواصر الصداقة تربطه مع « الارل أوف ساوثمتن » واللورد هربرت « بمبروك »، وهما شابان ارستقراطيان عريقان فى المجد، وهذان قرباه إلى القصر.

ومن طريف ما يذكر أن الملكة « اليزابيث » شاهدت مرة رواية « الملك هنرى الرابع » فأعجبت « بفلستاف »، تلك الشخصية الجذابة المرحة، فأوعزت إلى شكسبير رغبتها فى أن ترى « فولستاف » عاشقاً قد تيمه الحب. فنزولا على رغبتها أخرج شكسبير فى مدة لاتتجاوز الأسبوع مسرحيته «زوجات وندسور المرحات» فكان نصيبها الفشل، ذلك لأن الفن العالى لا يخضع للمؤثرات الخارجية ولا يصدر إلا من منبع واحد هو وحى الفنان!

والآن مَن هذه السيدة « مارى فتون » التى سيطرت على فؤاد الشاعر وأضرمت فيه نار الحب؟ إنها وصيفة الملكة «اليزابيث»، فى التاسعة عشرة من عمرها ومن عائلة عريقة فى المجد. لقد وصفها شكسبير بأنها امرأة لا كالنساء، فارعة القوام، شاحبة اللون، عيناها وحاجباها سوداوان، غجرية الطبع، متغطرسة، متمردة، خليعة، من أرومة عريقة فى المجد وصاحبة مركز رفيع.

هذه هى المرأة التى جن بها الشاعر، فما هى صفات شكسبير ومؤهلاته حينذاك؟

لقد كان فى الرابعة والثلاثين من عمره، ضعيف البنية، محطم الأعصاب، خجولا، فقيراً، شاعراً. ولكن أغلبية الشعب فى ذلك العصر، عصر البطولة الجسمية، لم تكن تحفل بالشعر والشعراء، وكانت تفضل مصارعة الديكة على أية تحفة فى الفن والأدب.

لذلك لم يجد شكسبير من نفسه الشجاعة لبث هواه اللاعج لحبيبته بنفسه، فرجا صديقه «اللورد هربرت» أن يقوم عنه بهذه المهمة فقبل، ولكن « مارى فتون » تشبثت باللورد الشاب الوسيم وبادلها هو أيضاً الحب وخلفا الشاعر يندب الصداقة والوفاء.

على أن شكسبير لم تخمد جذوته بل زاد وجده ضراما على مر الأيام، فما انفك يصب جام غضبه على العاشقين فى مسرحياته وقصائده، يصرح حيناً ويلمح أحياناً. فى مسرحيته « جعجعة ولا طِحْن » يذكر الحادثة بصورة جلية على لسان « كلوديو » ناصحاً للعشاق ومحذراً لهم من الوقوع فيما وقع هو فيه إذ يقول: « حقاً إن الأمير يبثها غرامه ويستهويها لنفسه. إن دعائم الصداقة تكون ثابتة متينة فى كل شىء ما عدا أمور الحب؛ فنصيحتى للمحبين ألا يتخذوا وسيطاً بينهم وبين من يحبون، بل ليبثوا غرامهم بأنفسهم، ذلك لأن الجمال نوع من السحر لا تلبث الأمانة أن تذوب أمامه وتتلاشى ».

ولقد تشتد بالشاعر الأزمة ويضيق « بمارى » ذرعه فيرعد ويزبد مهدداً إياها بأنه سيهجوها أقذع الهجاء وأقساه؛ ولكن فاته أن امرأة « كمارى فتون »، التى كانت تلد نغلا بعد نغل دون ما حياء أو خجل، لا يهمها ما يكتب عنها بعد ما ذاع أمرها بين الملأ، وأغلب الظن أنها كانت تقابل التهديد بشىء غير قليل من السخرية والاستخفاف.

إذا أردت أن تعرف رأى شكسبير فى « مارى فتون » هذه فما عليك إلا أن تقرأ مسرحيته «أنطونيو وكليوباترة» فما «أنطونيو» سوى « شكسبير » وما « كليوباتره » سوى « مارى فتون » وإليك البيان.

« أنطونيو »: إن مكرها لا يكاد يتصوره عقل إنسان.

« أنوبربس »: مهلا سيدى لاتقل هذا. إن عواطفها لمن أنبل العواطف وإن حبها لصاف نقي لا تشوبه أية شائبة

الأدب في سير أعلامه :

# ملتن . . .

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال ... ]

للأستاذ محمود الخفيف

— ١٩ —

## الزواج والصدمة الأولى :

لم يكن زواج هذا الشاعر الفيلسوف أمراً من أمور حياته الشخصية فحسب ، يتدبر قصته من يريد أن يستكمل فهم شخصيته ويحيط به من جميع أقطاره ، ليقف منها على ما هو بسبب من خلقه أو عاطفته ، وإنما كان هذا الزواج وما وقع له فيه إلى جانب ذلك حادثاً أثر في تفكيره وفلسفته ، فعمد إلى توضيح فكره في كتيبات جديدة جرت عليه مخالفة من دافع عنهم من البرسبتيريز إياه ، وأدت به إلى مخاصمتهم ومحاربتهم ؛ ثم استقر أثر ذلك الزواج في نفسه حتى كان ناحية من نواحي فلسفته في قصيدته الكبرى فيما بعد ...

في أواخر ربيع سنة ١٦٤٢ ، ذهب ملتن إلى الريف في غير غرض معلوم اللهم إلا ما ظن أصحابه من طلبه الاستجمام ، وقضى ملتن زهاء شهر في قرية فورست هل ، وتقع على نحو خمسة أميال من اكسفورد ، وهي المقاطعة التي نبتت فيها أرومته فقد كان جده لأبيه أحد الموظفين في الغابات الملكية هناك .

ونزل ملتن ضيفاً على ريتشارد پوول ، وكانت بين أسرة پوول وأسرة ملتن صلة معرفة ومودة .

وعاد ملتن إلى لندن فما كان أعظم دهشة أصحابه إذ رأوه يأتي ومعه ماري پوول زوجا له ، وكانت فتاة في السابعة عشرة من عمرها ، وكان هو يومئذ يتشرف على الخامسة والثلاثين ؛ ولطالما رأوه عزوفا عن الزواج منصرفا عنه إلى كتبه وشعره ، يسرف أحيانا خياله الشاعر ويغلو في وصف العفة حتى ليجعلها في أن يعيش الإنسان أعزب أبدا !

وجاء مع العروس سيدات وفتيات من أهلها فأقمن في بيت ملتن أياما نعمن فيها بما أقامه من زينات ومباهج وأفراح أحاط بها هذا العرس حفاوة منه بعروسه ، وشوقا منه إلى المسرة وقد تحمل سأم العيش وقسوته زمنا طويلا في حرب القساوسة ومكابدة الدرس ومعاناة التعليم .

وانصرف أهل العروس وتركنها في كنف زوجها الشاعر الفذ والفيلسوف المرموق المكانة ، ولكنها ما لبثت أن لحقت بهن ولم يكد ينتهي شهر العسل ، الأمر الذي دهش له أصحابه أكثر مما دهشوا لزواجه المفاجيء .

وكانت العروس قد أرسلت إلى أمها تسألها أن تكتب إليها لتحضر إلى بيت أبيها لتقضي هناك بقية الصيف ، وما كان أبواها ليجيباها إلى ما طلبت ولم يكد يمضي عليها شهر في بيت بعلها ، لولا أنهما ظنا أن وراء طلبها سراً حملها عليه ؛ وكان ملتن يجهل ذلك السر فوافق على رحيلها لأنه أيقن أن لا شيء أجدر من

---

« أنطونيو » : لكم وددت أني لم أرها قط .

« أنوبربس » : ولكن تكون في تلك الحالة يا سيدي قد فاتتك قطعة من الفن مدهشة ؛ وتصبح رحلتك بدونها جافة عقيمة

بهذه الأسطر الوجيزة عبر لنا شكسبير عن رأيه في « ماري فتون ». إنها شر لابد منه

ثم يصيح على لسان « انطونيو » والحسرة تكاد تمزق أحشاءه « إلى أين قادتني مصر ؟ »

إلى الهاوية ولا ريب .

كان ذلك في ١٦٠٨ وكان قد مضى على تعرفه « بماري فتون » إحدى عشرة سنة ، ذاق في أثنائها الأمرين ، فانطوى على نفسه ، وأخذ يخرج تلك المآسي الرائعة ، حتى وهن جسمه ، وانهدت أعصابه ، ونال منه الإعياء فانسحب إلى « ستراتفورد » ، مسقط رأسه ، ليقضي ما تبقى من حياته القصيرة تحت عناية ابنته ورعايتها .

( بغداد ) يوسف روشا

نصيحة أمها بأن يصلح شأنها ويبث فى قلبها شعور الواجب نحو زوجها ؛ فرحلت عنه عذراء كما جاءته عذراء ...

وحل الموعد الذى حددته لعودتها ولكنها لم تعد ، فكتب إليها ملتن فلم تجبه ، فأرسل إليها رسولا بكتاب منه فأصرت على صمتها وأهانت الرسول ، فوقع فى وهمه أنها لن تعود أبداً ، وابتأست نفسه بما فعلت وامتلأ منها قلبه غيظا وحنقا

وحار أصحابه فى أمرها كما حار من كتبوا حياته من بعد إلى أى شىء يردون مسلكها ! أكان ذلك منها لأن زوجها بيوريتانى من أنصار البرلمان فى حين كان أبوها من أتباع الملك وأنصاره وقد اشتعلت نار الحرب بين الجانبين ؟ أم كان ذلك لأنها كانت من قبل فى موطن يعج بالحياة والأنس حيث كان يغشى جند الملك بيت أبيها بين الفينة والفينة فتقع عيناها هناك على وجوه جديدة وتسمع أنباء جديدة ، فانتقلت منه إلى بيت شاعر عاكف على كتبه وأوراقه تشيع فى أنحائه الوحشة ويسود السكون ولا تسمع فيه من الأصوات إلا بكاء من يضربهم ملتن من طلابه ؟ أم نال من كبريائها أن أباها كان مديناً لأسرة ملتن بمبلغ من المال عجز عن أدائه ، فإن دخله من أرضه ومن مال زوجته لم يكف نفقات عيشه إلا بجهد نظراً لكثرة عياله ولما كان يهبط داره من الجند وغيرهم من أنصار الملك ؟ أم خيل إليها أنها وهى ابنة سبعة عشر عاما لم تحس بين يدى زوجها وقد كان عمره ضعف عمرها ما كانت تحس به لو أنها كانت بين يدى شاب فى مثل سنها ؟ أم أن ما بينها وبين زوجهامن تفاوت عظيم فى الثقافة ومن اختلاف فى النظر إلى الحياة نتيجة لهذا التفاوت قد جعلاها تخجل من نفسها وتحس ضآلة شخصيتها إلى جانبه وتشعر أنها غير حقيقة بأن تدخل على نفسه من السرور ما يطمع فيه رجل من زوجته ؟

كل أولئك فى الواقع كان خليقا أن يلحق الفشل بهذا الزواج . أما أهل العروس فقد عولوا على ألا يردوا هذا الفشل إلا إلى الخلاف فى السياسة والدين بينهم وبين ملتن البيوريتانى البرسبتيرى الذى يميل إلى جانب الرؤوس المستديرة كما كان يسمى جند البرلمان بينما هم ينحازون إلى جانب الفرسان كما كان يسمى جند الملك فى هذه الحرب الأهلية الدائرة الرحى

على أنهم يحسون بينهم وبين أنفسهم أن ذلك لا يكفى وحده للمباعدة بين الزوج وبين عروسه على صورة لا تكون إلا النفور أحدهما من الآخر نفوراً لا تجدى معه حيلة ، ولا تفسره إلا تلك الأسباب التى ذكرناها مجتمعة ، فقد انقضى شهر العسل ولم يقض منها وطرا ، وكان النفور من جانب العروس لأن الزوج ظل يدعوها بكتب متلاحقة لتعود إليه فلم يجد منها إلا إعراضاً وإصراراً ... ...

وحق اللوم على ملتن فهو الذى اختارها زوجة له ، وكان جديراً أن يتدبر ما بينها وبين أبيها من فوارق وما بينه وبينها من تفاوت ؛ على أن عين الحب عمياء كما يقول شكسبير ، وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما يقول أبو الطيب ، وقد كان ملتن كما رأينا فى سالف مواقفه سريع التأثر بسحر المرأة يتهافت على ما يصوره له خياله الشاعر من الجمال تهافت الفراشة على الضوء ، فقد أحب كما علمنا من أمره وهو فى صدر شبابه فتاة وقعت عليها عيناه لأول نظرة فى زحمة لندن ولم يرها بعد ذلك أبداً ، حتى لقد عول على الهرب من لندن مخافة أن تصيده سهام كيوبيد . ولقد تعرض لهذه السهام فى إيطاليا كما رأينا ، وما زال يتحاماها وهو الحريص على عفته حتى وقعت عيناه على هذه الفتاة الريفية وكانت تهجس أحاديث الزواج فى نفسه كما تبين فى رثائه صديقه ديوداتى ، فأقبل على الفتاة وقطع أمره فى غير روية ، فما به خوف اليوم من كيوبيد والمسألة مسألة زواج — وهكذا تصيده السهام ويملك قلبه الحب

واختلف مؤرخو حياة الشاعر فى هذه الفتاة أكانت جميلة ساحرة أم كان حظها من الجمال بحيث لا يصل إلى حد الفتنة ؟ فمنهم من يؤكد سحر جمالها ، وحجته أنها لو لم تك كذلك ما بلغت من نفس الشاعر بمثل هذه السرعة وهو الذى لا تخطىء الجمال عيناه . ومنهم من يؤيد الرأى الآخر وحجته أنه لم ترد فيما ذكر الشاعر عنها إشارة إلى سحرها ، وما افتتن ملتن منها إلا بما رآه من وداعتها وخفرها ونضرة الريف فى محياها وجسدها ، والشاعر خليق أن يضيف بخياله إلى محاسنها جمالا فترى عيناه فيها ما لا يرى غيره من الناس . على أن هؤلاء وهؤلاء لا يتجاوز

كلامهم الاستنتاج فلم يقع أحد منهم على دليل لما يقول ؛ ومهما يكن من شيء فإن عين الحب عمياء، وعين الرضا عن كل عيب كليلة ، ولقد كان ملتن تلقاء فتاة قروية فى السابعة عشرة إلا تسكن فارهة الجمال فقد كانت فى روعة الشباب ، وقد جمع للزواج عزمه ، فما أمهل أن تريه عيناه فيها من معانى الجمال والطهر والعفة فى بيت أبيها الريفى ما يتغلب فى خياله الشاعر على كل عقبة ... ...

ولقد أقض الألم مضجعه لهذا الفشل وقد كان يطمع أن يسكن إليها ويجد بين يديها مودة ورحمة ، كما ملأ الحنق نفسه لما أصاب كبرياءه برفضها العودة إليه وإهانتها رسوله ، وقد كان يظن أن نصيحة أمها وحزم أبيها سيعودان بها إلى الصواب ... ...

ولا ريب أن ملتن كان يستشعر فى نفسه الخجل والندم كما استشعر الألم ، وذلك أن اختياره مارى بوول متأثراً بمظهرها على هذه الصورة العاجلة إن هو إلا اندفاع العاطفة فى فورة من فوراتها ، وإلا فماذا دفعه إلى هذا الاختيار ولم يك يعرف مارى بوول من قبل حتى يظن أنه أنس فيها من الصفات ما يهتم به شاعر مثله كالذكاء والثقافة وبراعة الحديث وما يتصل بها ؛ وكان خليقاً وهو الذى طالما افتخر بامتلاكه زمام نفسه وطالما اعتقد أنه قادر على كبح جماح عاطفته أبدا ، أن يندم ويألم فقد سيطرت عليه عاطفته ، وتغلب الجسد فى نزوعه الشديد نحو رغبة له انقدت ، وليته حقق بالزواج تلك الرغبة ؛ فلئن تزوج فما هو بمتزوج إذا صح هذا التعبير ، ثم إنه أخذ يطفىء فى نفسه جذوة جسده ووقدة عاطفته مستعينا بالصبر والصوم ؛ ولقد أثر انقياده لعاطفته على هذا النحو على ما كان فيه من كبرياء أثرا عميقا فى حياته وفكره سوف يظهر فى فلسفته وفنه .

ومما زاده غما وألما أنه كان بعد أن هجرته زوجه لا يستطيع بالضرورة أن يتزوج غيرها ، وهذا فى ذاته قيد ، وإن نفسه لتنفر من كل قيد وتستعصى على كل قيد ؛ وهل كان يستطيع أن يحمل نفسه على قبول هذا القيد لأن الدين أو لأن الكنيسة تحول بينه وبين الطلاق إلا وفق شروط معينة ؟ ومتى خضع إلا لما يهديه إليه فكره ، وقد نزع إليه وجدانه وتعلق به إيمانه ؟ وإذا كان هو نصير الحرية الذى دافع عنها أمام تعصب القساوسة فكيف يتخاذل عن نصرتها الآن ؟ ألا يستطيع أن يدع الجانب الشخصى من فشله فى زواجه فلا يتعرض له ثم يخلق من الحادثة فى ذاتها موضوعا عاما ؛ فيكتب دفاعا عن الحرية فى ناحية من نواحيها وأعنى بها الناحية الشخصية ؟ بلى إنه لقادر على ذلك وإنه لفاعله ، وإنه لنصير الحرية الشخصية اليوم .

ويمكننا أن نتصور حالته النفسية فى هذا الموقف ، فهذا رجل ذو كبرياء وأنفة ، طالما افتخر بتغلبه على شهوات نفسه ، وقد عاش حتى الخامسة والثلاثين من عمره عيشة الطهر والعفة مستعينا بعزمه المصمم على قهر وساوس الشباب ، يسمو فى طهره على الناس ليكون أهلا لرسالته التى يستشرف لها ، ويقبل على دراساته ليتهيأ لما يتطلع إليه ، ثم إذا به يجد نفسه ، وقد ارتطم فى ورطة بسبب انقياده لعاطفته بعد طول امتناع ، ولئن كان ما وقع فيه لم يعد كونه أمرا مشروعا هو الزواج ، إلا أن فشله فى اختيار زوجته كان نتيجة تسلط عاطفته على عقله أو تغلب جسده على روحه ، وإن ذلك ليشعره بينه وبين نفسه أنه لم يعد إنساناً كسائر الناس ؛ ولكم نال ذلك من كبريائه وأدخل الغم على نفسه ، فضلا عن أن ما انتهى إليه إنما هو حد من حريته .

على أن كبرياءه تأبى عليه إلا أن يلتمس مخرجا لنفسه فما يطيق أن يذعن ، ويجد ذلك المخرج فى تقريره أن العاطفة فى ذاتها من الأمور المشروعة التى وضعها الله فى الإنسان ، وما لم تنطو على جريمة فلن يضير المرء أن تقوده إلى خطأ ؛ ويستنكف أن يشير إلى مسألته الشخصية ، فيعمد إلى فلسفة عامة فى الزواج والطلاق ينفس بها عن نفسه ويرأب بها ما تصدع من كبره ، فإذا كانت العاطفة أمرا مشروعا فوجب أن تكون العلاقة بين الزوجين على أساسها ، فيكون الزواج اتفاق عاطفتين أو التقاء روحين ، فإن كانت العلاقة على غير هذا الأساس ، وكانت مجرد التقاء جسدين ، أو كانت العاطفة من ناحية لا تقابلها مثلها فى الناحية الأخرى بطل الزواج ووجب الطلاق ؛ وهو إنما يبتكر بذلك سببا للطلاق لم يتجه إليه أحد قبله ، ومرده إلى المنطق لا إلى

شريعة سماوية أو قانون بشرى ؛ على أن كلامه هذا فى الوقت نفسه ينطوى على تأنيب منه وزجر لنفسه ، وإلا فهل فكر قبل اختياره مارى هل كانت عاطفتها تجاوب عاطفته ، أم كان الأمر أمر افتتان بها لم يتمالك عنده نفسه ؟ وإذا فهو الملوم وحده .

ولكنه يقدر وقوع الخطأ ، فقد يخدع الإنسان فيمن يخطبها لتكون زوجه ، ويحس أنها تبادله عاطفة بعاطفة ؛ فإذا وقع الخطأ فهلا فما السبيل إلى تجنب ما يجره ذلك الخطأ من عواقب هى شر منه ؟ لا سبيل فى رأيه غير الطلاق ، وإلا فكيف يتباعد الزوجان ولا يستطيع كلاهما أن يتزوج غير الآخر ؟

بهذه الآراء البالغة الجرأة والخطر فى أمر له أهميته وخطورته فى المجتمع قذف ملتن الناس فى كتيب نشره فى أغسطس سنة ١٦٤٣ وسماه « قانون الطلاق ونظامه » ، ولم يك غافلا عما كانت مثل هاتيك الآراء خليقة أن تثيره من سخط وغضب ودهشة تشبه الجزع فى الأوساط جميعاً ، ذلك أنه كان يدرك أنه كان طلعة فى تناول الموضوع على هذا النحو ، ولكنه كما يقول الانجليز أحرق القوارب كلها من ورائه وليس يبالى أيبلغ ما يريد أم يهلك دونه .

ويزخر هذا الكتيب بحماسة شاعر عظيم تدفعه للكلام روح قوية نبيلة وألم يملأ جوانحه لما لحق كبرياءه ، وغضب عاصف كما هاج البحر ثائر كما تأججت النار ، ولذلك تقع فيه على مظاهر الحماسة قوية رائعة ، فيرسم الشاعر طائفة من المثل العليا للحياة الزوجية ، ويصور الألم والخيبة التى تعقب الزواج الفاشل ، ويبدع إذ يستند إلى المنطق والعقل فى براهينه ، وإذ يسوق الأدلة التى تؤيد رأيه من الانجيل ، وإذ ينقض ما ينهض فيه حجة عليه ، ويبلغ ذروة الإقناع والفصاحة إذ يدعو إلى تحرير العقل من حرفية القانون ، وهو فى ذلك كله يصل من البلاغة إلى ما لم يصل إليه فى كل ما كتب قبله ، والحق أنك تجد فى هذا الكتيب ملتن الرجل وملتن الفيلسوف وملتن الشاعر على خير ما يكون من حالاته فى ذلك جميعاً وإن كان النثر وسيلته وأداته .

وكان يعتقد ملتن أنه خرج من الشر الذى لحقه بخير يسوقه للناس جميعاً ، فهو يخيل إليه أن ما انتهى إليه من رأى فى الطلاق إنما هو خلاص للبشر من قيد بغيض ظالم يوبق أرواحهم ويريهم مثل حياة الجحيم فى هذه الدنيا ، وذلك هو معيشة الزوجين معاً على رغمهما لأنهما ارتبطا برباط الزواج .

وكانت تخف عنه آلام نفسه كما ذكر أنه إنما يكتب ما يكتب ليخفف عن الناس آلامهم ، فلا ضير أن يتحمل الألم ما دام الناس سيفيدون مما حاق به من سوء المصير ، على أنه أنفة منه وتكبراً حريص على ألا يشير بشىء إلى مسألته الشخصية .

( يتبع ) **الخفيف**

بمناسبة عمال اليوم :

# واجبات الانسان ...

للزعيم الايطالي يوسف مزيني

بقلم الأستاذ عامر عبد الوهاب

نشر مزيني هذا المقال عام ١٨٦٠ موجهاً كلامه إلى الطبقة العاملة فى إيطاليا قال : أود أن أتحدث إليكم عن واجباتكم ، وأود أن أتحدث إليكم كما يوحى إلى قلبي عن أقدس ما نعرف من الأشياء : عن الله سبحانه تعالى ، وعن الإنسانية والوطن والأسرة . اصغوا إليّ إصغاء محبة ، كما سأتحدث إليكم حديث مودة . إن كلماتي لهى كلمات اليقين الذى صهرته السنون الطوال التى قضيتها فى كد ونظر ودرس . واعلموا أنى أبذل قصارى جهدى فى تأدية الواجبات التى سأشرحها لكم وسأستمر فى تأديتها إلى آخر رمق من حياتى . قد أخطئ ولكن قلبي متشبع بالحق . قد أخدع نفسى ولكنى لن أخدعكم ، لذلك أرجو أن تستمعوا إليّ كأخ ، ولكم أن تحكموا بحرية فيما بينكم إن كنت أتكلم بلسان الحق . واهجرونى إذا ما شعرتم أنى أنطق عن الهوى ، ولكن اتبعونى وسيروا على نهج خطتى إذا ما تبين لكم أنى رسول صدق مبين . إن الخطأ بلية تستحق الإشفاق ، ولكن إذا عرف الإنسان الحق ولم يهتد بهديه فى أعماله ، فذلك جرم تستنكره السموات والأرض !

لماذا أتحدث إليكم عن واجباتكم قبل أن أتحدث إليكم عن حقوقكم ؟ لماذا وأنتم تعيشون فى مجتمع يبغى كله الإجحاف بكم طوعاً أو كرهاً ، وفيه يحرم عليكم دواماً أن تمارسوا الحقوق التى تخص الإنسان ، والذى كتب فيه أن يكون البؤس نصيبكم ، وما يعرف بالسعادة من حظ غيركم من الطبقات ؟ لماذا أخاطبكم عن التضحية لا عن الغلبة ، أخاطبكم عن الفضيلة والتهذيب الخلقى والتربية لا عن الرفاهة المادية ؟ هذه مسألة لا بد لى أن أشرحها قبل أن أتابع حديثى ، لأنه هنا يتبين الفارق الحاسم بين نظريتنا وبين النظريات الأخرى التى تشيع الآن فى أوربا . هذا فضلا عن أنها مسألة يضطرم بها العقل المتبرم ، عقل العامل المتألم !

« نحن فقراء مستعبدون أشقياء ، فتحدث إلينا عن أحوال أنعم من حالنا ، وكذلك تحدث إلينا عن الحرية والسعادة . نبئنا إن كان مقضياً علينا أن نذوق البلاء إلى الأبد ، أو أننا سنترفه بدورنا . توجه بحديث الواجب إلى سادتنا ، إلى الطبقات المتحكمة فينا والتى تعاملنا معاملة الآلات ، والتى تحتكر لنفسها الخيرات التى هى حق للجميع . تحدث إلينا عن الحقوق وعن الوسائل التى تؤيد هذه الحقوق ، كما تحدث إلينا عن قوتنا . انتظر حتى نظفر بمكانة يعترف بها ، وحينئذ يجمل بك أن تخاطبنا عن الواجبات والتضحية »

هذا ما يقوله كثير من رجالنا العاملين وهم يتابعون الأساتذة والهيئات التى تساير ميولهم . هم ينسون شيئاً واحداً فقط ، ذلك أن النظرية التى يثيرونها قد دان بها الناس منذ خمسين عاماً دون إحداث أى أثر من الاصلاح المادى فى حالة الشعب العامل .

إن كل ما حدث فى الخمسين عاماً الماضية فى سبيل الخير والفلاح ضد الحكومات المطلقة والأرستقراطية الوراثية ، إنما حدث باسم حقوق الإنسان ، باسم الحرية كوسيلة ، وباسم الصالح العام كغاية الوجود ، فكل أحداث الثورة الفرنسية ، بل وجميع الثورات التى تبعتها وقلدتها كانت نتائج (إعلان حقوق الانسان). وإن جميع مؤلفات الفلاسفة الذين مهدوا لها كانت تقوم على نظرية الحرية وعلى قاعدة تعريف كل فرد ما له من الحقوق . إن جميع المدارس (المذاهب) الثورية نادت بأن الانسان قد خلق للسعادة ، وبأن له الحق فى أن يسعى لها بكل ما يملك من الوسائل ، وأن لا حق لغيره فى أن يصده عن هذا المسعى ، كما أن له الحق فى أن يزيل كل ما يصادف من العوائق فى هذا الطريق . ولقد زالت العوائق وتحققت الحرية ودامت سنين فى بلاد كثيرة ولا تزال كائنة فى البعض ، فهل تحسنت حال الشعب ؟ وهل حققت الملايين التى تعيش بكدحها اليومى أتفه نصيب من الهناءة التى رجوها والتى وعدوا بها ؟

كلا ، فحالة الشعب لم تتحسن ، بل لقد زادت ولا تزال تزيد سوءاً فى كل بلد تقريباً ، وعلى الأخص هنا ( فى إيطاليا ) ، حيث أسجل أسعار حاجيات المعيشة التى أخذت فى الارتفاع ، وأجور الطبقة العاملة التى هبطت فى كثير من فروع الصناعة ، بينما

السكان آخذون فى الازدياد .

ولقد اشتدت حال العمال زعزعة واضطراباً فى كل بلد تقريباً كما ازدادت أزمات العمل التى قضت بالعطل والخمول على آلاف من العمال ، وإن الزيادة السنوية فى تعداد المهاجرين من قطر إلى قطر ، ومن أوربا إلى النواحى الأخرى من العالم ، والزيادة المستمرة فى عدد الجمعيات الخيرية ، والزيادة فى مخصصات الفقراء ومساعدات المعوزين ، كل أولئك كاف فى إثبات ما نقول ، والشاهدان الأخيران يدلان كذلك على أن العناية العامة آخذة فى التيقظ لآلام الشعب ، ولكن عجزهم عن تخفيف هذه الآلام إلى أى حد محسوس يدل على استمرار مروع فى شيوع الفاقة بين الطبقات التى يجهدون فى معاونتها

ومع ذلك فالواقع أنه حدث فى الخمسين عاماً المنصرمة أن زادت ينابيع الثروة العامة ، وكثرت خيرات الحياة ، وتضاعف الإنتاج ، واشتد نشاط التجارة ، واتسعت دائرتها وسط الأزمات المتلاحقة التى لا مفر منها إذا انعدم النظام . كما أن المواصلات أصبحت مأمونة وسريعة فى كل مكان تقريباً ، وهبطت أسعار السلع بسبب انخفاض أجور النقل . ومن جهة أخرى ، فنحن نرى الآن كيف أن فكرة الحقوق المتأصلة فى الطبيعة الإنسانية أضحت مقبولة على العموم

نعم مقبولة ، ولكن لفظاً وخداعاً ، حتى عند أولئك الذين يسعون فى اجتنابها فعلا . فلماذا لم تتحسن حال الشعب ؟ ولماذا نرى استهلاك المنتجات بدلا من أن يكون مقسطاً على السواء بين جميع أعضاء المجتمع الأوربى نراه محصوراً فى أيدى فئة قليلة تكوّن أرستقراطية جديدة ؟ ولماذا نرى الانتعاش الذى أصاب التجارة والصناعة لم يؤد إلى يسر الأكثرية ، بل إلى ترف الأقلية ؟

إن الجواب يتضح لأولئك الذين ينعمون النظر قليلا فى الأشياء . فالناس نتاج التربية . وهم فى سلوكهم يصدرون عن مبدأ التربية الذى طبعوا عليه ؛ فالرجال الذين ألهبوا نيران الثورات حتى اليوم إنما أثاروها بوحى فكرة حقوق الفرد . وها قد حققت هذه الثورات أمنية الحرية : الحرية الشخصية ، وحرية التعليم ، وحرية الاعتقاد ، وحرية التجارة ؛ بل الحرية فى كل شىء ولكل إنسان ولكن ما فائدة إعلان الحقوق لمن لا يملك وسيلة لاستخدامها ؟ وماذا تعنى حرية التعليم لأولئك الذين لا يجدون وقتا أو واسطة للانتفاع بها ؟ أو حرية التجارة لمن لا يملك شيئا يتاجر به ، لا رأس المال ولا النسيئة ( الائتمان ) ؟ بل لقد حدث فى جميع البلاد التى أعلنت فيها هذه المبادىء أن المجتمع كان يتكون من فئة تمتلك الأرض وتحوز النسيئة ورأس المال ومن جماهير غفيرة لا تملك غير أيديها ، وكان عليها أن تزاول الأعمال اللازمة للطبقة السالفة على أية شرائط حتى يتسنى لها أن تعيش كما كان عليها أن تصرف اليوم كله فى الكدح الآلى المطرد الممل . فهل كانت الحرية بالنسبة لهؤلاء الذين قضى عليهم أن يكافحوا الجوع سوى خدعة غادرة وسخرية لاذعة ؟ أما لو كان القصد من الحرية شيئا خلاف ذلك ، لكان إذن يتعين على الطبقات المترفة أن توافق على تقليل ساعات العمل وزيادة الأجر وتعمل على نشر التعليم المجانى المتماثل للجماهير ، كما تسعى فى جعل أدوات العمل فى متناول الجميع ، وأن تقدم مكافآت مالية للعمال الذين تثبت كفايتهم ونبل غايتهم .

ولكن لماذا يتعين عليهم أن يقوموا بذلك ؟ ألم تكن الرفاهية الغرض الأسمى من الحياة ؟ ألم تكن الخيرات المادية مرغوبة قبل كل شىء آخر ؟ لماذا ينتقصون من حظهم هم لأجل نفع غيرهم ؟ أليس على كل إنسان أن يساعد نفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلا . وإذا ما كفل المجتمع حرية استخدام الحقوق الإنسانية لكل من توفرت فيه القدرة على ذلك ؛ فيكون حينئذ قد أدى كل ما يطلب منه . أما إذا كان هناك أى فرد يعجز بحكم ظروفه القهرية عن استخدام أى حق من هذه الحقوق ، فما عليه إلا أن ينعى حساب نفسه ولا يلوم سواه .

لقد كان من الطبيعى أن يصرحوا بذلك ، وفعلا فقد صرحوا به . وهذا الاتجاه العقلى الذى ساد الطبقات المميزة بالثراء والذى تحكم فى نظرها إلى الفقراء سرعان ما أصبح الوجهة التى انتهجها كل فرد نحو الآخر . فعنى كل إنسان بحقوقه هو وبترقية حاله دون السعى فى إعانة غيره . وإذا اصطدمت حقوقه بحقوق سواه حينئذ تكون حرب ، لا حرب الدماء ؛ بل حرب الذهب والخداع . حرب أدنى شهامة ورجولة من الأخرى ، ولكنها

تمدلها فى الدمار ، ويالها من حرب وحشية لا يألو فيها من وفرت وسائله ، وبزت قوته فى سحق الضعيف أو الأخرق سحقا لا هوادة فيه . وفى حومة هذا القتال المستمر أشربت قلوب الناس الأنانية ، والشره فى استلاب خيرات الحياة لذواتها دون غيرها . وهكذا كانت حرية الإعتقاد معولا يهدم صرح الإيمان كما كانت حرية التعليم سببا فى بث الفوضى الخلقية .

أليس من شأن الناس إذا فقدوا رابطة مشتركة ، وانعدمت من بينهم وحدة العقيدة الدينية ، ووحدة الغرض ، وصارت الهناءة بغيتهم الفريدة ؛ أليس من شأنهم حينئذ أن يسعى كل منهم فى سبيله الخاص دون النظر فيما إذا كان فى ذلك عدوان على إخوانه. إخوانه إسما وأعدائه فعلا ؟ هذه هى الحال التى صرنا إليها اليوم بفضل ( نظرية الحقوق ) .

يقينا إن الحقوق كائنة ؛ ولكن حيث تصطدم حقوق فرد بحقوق آخر ، كيف نستطيع أن نأمل التوفيق والتسوية بينها من غير الاستناد إلى شيء أسمى من جميع الحقوق ؟ وحيث تتعارض حقوق فرد أو أفراد كثيرين وحقوق الوطن فإلى أية محكمة ندعى ؟ إذا كان الحق فى الرفاهية فى أقصى حدودها يتقسط كل شخص حى فمنذا يفض النزاع بين العامل وصاحب العمل؟وإذا كان الحق فى الحياة هوأول وأقدس حق لكل إنسان ، فمنذا يطلب تضحية هذه الحياة لمنفعة بقية الناس ؟ أستطلبونها باسم الوطن أم باسم المجتمع أم باسم فريق من إخوانكم ؟ ما الوطن فى نظر من أتحدث عنهم سوى البقعة التى نضمن فيها حقوقنا الذاتية كل الضمان . وما المجتمع سوى مجموعة من الناس الذين اتفقوا على استخدام قوة الكل لتأييد حقوق كل فرد ؟

وهل بعد أن علمت الفرد مدة خمسين عاماً أن المجتمع إنما يقوم على غرض تأمينه على ممارسة حقوقه ، هل بعد ذلك تطلب إليه أن يضحى بها جميعاً فى سبيل المجتمع وأن يستسلم إذا دعت الضرورة إلى الكدح المتواصل أو السجن أو النفى باسم إصلاح المجتمع ؟ وهل بعد أن بشرته فى كل مكان بأن غرض الحياة هوالخير والهناءة، هل بعد ذلك تأمن أن ينصرف عن هذا الخير بل وعن الحياة نفسها ليحرر وطنه من الأجنبى أو أن يجهد فى إسعاد طبقة لا تربطه بها صلة ؟ وكيف بعد أن تحدثت إليه أعواماً عن الفوائد والمصالح المادية تستطيع أن تحرم عليه وقد ألفى الثروة والجاه فى متناول يديه أن يمد تينك اليدين ليأخذ حظه منهما حتى ولو كان فى ذلك ضرر لإخوانه ؟

أيها العمال الإيطاليون . ليس ذلك من خواطر فكرى المجردة عن حقائق الواقع بل هو تاريخ عصرنا نحن . ذلك التاريخ الذى تسيل على صفحاته دماء الشعب . سلوا جميع الرجال الذين حولوا ثورة سنة ١٨٣٠ إلى مجرد تغيير طائفة من الأشخاص بأخرى . بل وإن شئتم مثالا فإنهم اتخذوا من جثث إخوانكم الفرنسيين الذين راحوا ضحية قتال (الثلاثة أيام) مدارج يرتقون عليها إلى عرش العظمة والسلطان . إن جميع مبادئهم إلى ما قبل عام ١٨٣٠ كانت تقوم على تلك النظرية العتيقة نظرية حقوق الإنسان لا على عقيدة الإيمان بواجباته . إنكم تدعونهم اليوم خونة مارقين ، ولكنهم فى الحقيقة لم يكونوا إلا مصدقين لنظريتهم مستمسكين بها . فجاهدوا أخلص الجهاد ضد حكومة شارل العاشر لأن تلك الحكومة كانت شديدة العداء للطبقات التى نشأوا منها حتى انتهكت حقوقهم وبالغت فى حرمانهم منها ، وحاربوا باسم الرفاهية التى لم ينعموا منها بالقدر الذى ظنوا أنه يجب أن ينعموا به . فعذب البعض بسبب حرية الفكر . ووجد آخرون من ذوى العقول الجبارة أنهم منسيون مبعدون من الوظائف التى يشغلها ناس دونهم كفاية . ثم زادتهم مظالم الشعب حرقة وغضبا ، فشرعوا يكتبون فى جرأة وإيمان عن الحقوق التى تلزم لكل إنسان . بيد أنهم لما أمنوا على حقوقهم السياسية والفكرية ، وانفتح أمامهم سبيل الوظائف ، وتحققت لهم الرفاهية التى سعوا من أجلها حينئذ نسوا الشعب . نسوا أن الملايين التى تقل عنهم ثقافة وطموحا . كانت تجاهد لتقرر حقوقا أخرى ، وتحقق هناءة من نوع آخر ، وأخلدوا إلى الطمأنينة ، ولم يعودوا يهتمون بأحد غير أنفسهم . لماذا تدعونهم خونة . أليس الأجدر أن تدعوا نظريتهم نظرية غادرة ؟

( البقية فى العدد القادم )

عاصر عبد الوهاب

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧٨٤ — النبي والفيلسوف

الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي :

إن أبا سليمان ( المنطقي السجستاني — محمد بن بهرام — يقول : ... صاحب الشريعة مبعوث ، وصاحب الفلسفة مبعوث إليه ، وأحدهما مخصوص بالوحي ، والآخر مخصوص ببحثه ، والأول مكفيّ ، والثاني كادح ، وهذا يقول : أُمرت وعُلّمت ، وقيل لي ، وما أقول شيئاً من تلقاء نفسي . وهذا يقول : رأيت ونظرت واستحسنت واستقبحت ، وهذا يقول نور العقل أهتدي به ، وهذا يقول : معي نور خالق العقل أمشي بضيائه . وهذا يقول : قال الله وقال الملك ، وهذا يقول : قال أفلاطن وسقراط .

٧٨٥ — لقد جئتم شيئاً إدا !

رسالة الغفران لأبي العلاء :

حكى لي عن بعض ملوك الهند وكان شابا حسنا أنه جدر فنظر إلى وجهه في المرآة وقد تغير فأحرق نفسه ، وقال : أريد أن ينقلني الله إلى صورة أحسن من هـذه . وحدثني قوم من الفقهاء ما هم في الحكاية بكاذبين ولا في أسباب النحل جاذبين أنهم كانوا في بلاد محمود وكان معه جماعة من الهند قد وثق بصفائهم ، يفيض عليهم الأعطية لوفائهم ، ويكونون أقرب الجند إليه إذا حل أو إذا ارتحل وأن رجلا منهم سافر في جيش جهزه ، فجاءه خبره أنه قد هلك بموت أو قتل فجمعت امرأته لها حطباً كثيراً ، وأوقدت ناراً عظيمة ، واقتحمتها والناس ينظرون ، وكان ذلك الخبر باطلا ، فلما قدم الزوج أوقد له ناراً جاحمة ليحرق نفسه حتى يلحق بصاحبته ، فاجتمع خلق كثير للنظر إليه وأن أصحابه من الهند كانوا يجيئون إليه فيوصونه بأشياء إلى أمواتهم هذا إلى أبيه وهذا إلى أخيه ، وجاءه إنسان منهم بوردة وقال : أعط هـذه فلاناً يعني ميتاً له ، وقذف نفسه في تلك النار . وحدثت من شاهد إحراقهم نفوسهم أنهم إذا لدغتهم النار أرادوا الخروج فيدفعهم من حضر إليها بالعصى والخشب . فلا إله إلا الله ، لقد جئتم شيئاً إدّا ! ! !

٧٨٦ — فضح الموت الدنيا

في ( شرح النهج ) لابن أبي الحديد : قيل لخالد بن صفوان : من أبلغ الناس ؟

قال : الحسن[1] لقوله : فضح الموت الدنيا !

٧٨٧ — وبقيت الدنيا

وقف بأبي العيناء رجل من العامة فأحس به فقال من هذا ؟

قال : رجل من بني آدم .

قال : مرحباً بك . أطال الله بقاءك ، وبقيت في الدنيا ما ظننت هذا النسل إلا قد انقطع .

٧٨٨ — إياك أن تلقى الله كذابا بخيلا

في ( كتاب المنظوم والمنثور ) لأحمد بن أبي طاهر : قال بعض الأعراب مررت يوم عرفة ببيت ، بطُنُبه[2] كبش مربوط ، فسمعت رجلا في البيت يقول : وا سوءتي من ضيفنا هذا ! أتانا وما عندنا ما نقربه إليه . فقالت له امرأته : أبافلان ، إياك أن تلقى[3] الله كذابا بخيلا ! أوليست هذه شاتك مربوطة بفنائك ؟

(١) في ( الوفيات ) : قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجاج بن يوسف الثقفي . فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن .

(٢) الطنب : حبل الخباء ، البيت .

(٣) إياك أن تلقى الخ : من أن تلقى كما في شرح الكافية وابن عقيل وفي ( كتاب سيبويه ) : لا يجوز أن تقول إياك زيدا وكذلك أن تفعل إذا أردت إياك والفعل فاذا قلت إياك أن تفعل تريد إياك أعظ مخافة أن تفعل أو من أجل أن تفعل جاز ، وإذا قلت : إياك الأسد تريد من الأسد لم يجز كما جاز في أن ، إلا أنهم زعموا أن ابن إسحق أجاز هذا البيت في شعر :

إياك إياك المـراء فإنه ... إلى الشر دعاء وللشر جالب

كأنه قال : إتق المـراء . قال الشنتمري : إسقاط حرف العطف ضرورة والمعروف في الكلام إياك والمراء وإياك والأسد ولا يجوز إياك الأسد ، وفي ( البردة وشرحها ) كلام في ذلك

قال : هذه نسيكتي غداً .

قالت : وأيّ نسيكة أعظم أجراً ، وأحسن ذخراً من ذبحك إياها لضيفك .

٧٨٩ — بالتوهم . . .

فى ( الأغانى ) : كان كثير ( الشاعر ) كيسانياً برى الرجعة ، وكان يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى ( فى أى صورة ما شاء ركبك ) ويقول : ألا ترى أنه حوله من صورة فى صورة . ولما قال — وهو يعنى محمد بن الحنفية — :

هو المهدى خبرناه كعب أخو الأحبار فى الحقب الخوالى

قيل له : ألقيت كعبا ؟ قال : لا . قيل : فلم قلت : خبرناه كعب ؟ قال : بالتوهم ...

٧٩٠ — فكان الخسوف حداداً على فقده

قال بعض المؤرخين : مما يدل على ظرف محمد بن أحمد الحداد الوادى آشى [١] أنه فقد سكناً [٢] عزيزاً عليه ، واحتاج الحال إلى تكلف سلوة ، فلما حضر الندماء وكان قد رصد خسوف القمر فلما حقق أنه قد ابتدأ أخذ العود وغنى :

شقيقك غُيِّب فى لحده وتُشرق يا بدر ، من بعده
فهلا خسفت فكان الخسوفُ حداداً لبستَ على فَقْدِه [٣]

وجعل يردد الشعر ، ويخاطب البدر ، فلم يتم ذلك حتى اعتراه الخسوف ، فعظم من الحاضرين التعجب .

٧٩١ — إنها شهادة يا فتح . . .

قال صاحب الحدائق : إن الفتح بن خاقان ذكر الوزير ابن الصائغ الفيلسوف فى قلائد العقيان [٤] فقال فيه : ( هو رمد جفن الدين ، وكمد نفوس المهتدين . يعتقد أن الزمان دور ، وأن الإنسان نبات له نور ، حمامه تمامه ، واختطافه اقتطافه ) فبلغ ذلك ابن الصائغ فمر يوما على الفتح بن خاقان وهو جالس فى جماعة فسلم على القوم وضرب على كتف الفتح وقال : ( إنها شهادة يا فتح ) ومضى ولم يدر أحد ما قال للفتح . فتغير لونه ، فقيل له : ما قال لك ؟ فقال : إنى وصفته — كما تعلمون — فى ( قلائد العقيان ) فما بلغت بذلك عُشر ما بلغ منى بهذه الكلمة ، فانه أشار إلى قول المتنبى :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

٧٩٢ — صارف الهم

ابن المفارقى :

لايصرف الهم إلا شدو محسنة أو منظر حسن تهواه أو قدح

٧٩٣ — ما وجد بريداً غيرك

جاء رجل إلى وهب فقال : إن فلانا شتمك .

فقال : أما وجد الشيطان بريداً غيرك .

---

قال رجل لحكيم : عابك فلان بكذا .

فقال : لقيتنى بِقِحتكَ بما لم يلقنى به لحيائه .

٧٩٤ — من فى مسيلمة . . .

صلى أعرابى بقوم فقرأ :

أفلح من هينم فى صلاته
وأخرج الواجب من زكاته
وأطعم المسكين من مخلاته

فضحك القوم فالتفت إليهم وقال :

أشهد أنى أخذته مِن فِي مسيلمة .

٧٩٥ — سوى أن يرى الروحان يمتزجان

ابن الرومى :

أعانقها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تدان
وألثم فاها كى تموت حرارتى فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولم يك مقدار الذى بى من الهوى ليشفيه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله سوى أن يُرى الروحان يمتزجان

---

(١) نسبة إلى وادى آش . فى ( النفح ) من أعمال غرناطة وادى آش ويقال وادى الأشات وهى مدينة جليلة قد أحدقت بها البساتين والأزهار وقد خص الله أهلها بالأدب وحب الشعر .

(٢) سكنت إلى فلان : استأنست به وفلان سكنى من الناس (الأساس) والسكن كل ماسكنت إليه واطمأننت به من أهل وغيره ( اللسان ) .

(٣) خسف القمر : ذهب ضوؤه ، وخسف بالبنا على مالم يسم فاعله .

(٤) لما عزم الفتح على تصنيف ( قلائده ) فاوض ملوك الأندلس ووزراءها وأعيانها من أهل الأدب ، وسألهم إنفاذ شىء من أقوالهم ، « وكانوا يعرفون شره وثلبه » فجاءته الأقوال والأموال .. ولم يحفل ابن الصائغ به . فسطر فى ( القلائد ) ما سطر .

# رباعيـــات عثمان ...

للأستاذ عثمان حلمى

كنتُ يوماً أسمى على غير قصد   أتملى حسنَ المدينة وحدى
ليس لى غايةٌ ولا كنتُ أسمى   لمكانٍ يممته أو لوعد
خالىَ النفس من تكاليف نفسى   لا أرى أن أسومها أىَّ جهد
غير سخرى بمن أراه من النا   س لمن يستحق سخرى ونقدى

---

فإذا بى أمام بنيانِ دارٍ   طمستْ زهوَها يدُ الأقدارِ
كتبَ الليلُ والنهارُ عليها   أسطراً لا تروق فى الأنظار
أمسها غيرُ يومهـا وبعيدٌ   بين محض الصفاء والأكدار
فلقـد أيقظتْ دفائن نفسى   وأثارتْ مرارة التذكار

---

هى كانت بالأمس لى مهد درسى   وبعيدٌ ما بين يومى وأمسى
وبعيدٌ بين الطفولة فى الخلــق وبين المشيب فى كل نفس
وبعيدٌ بين الأزاهر والشو   ك بعيد فى كل ذوق وحسٍّ
وبعيد بين النضارة والقبــح وبين المنى وبين التأسى

---

كلُّ شىء فوق الثرى للفناء   من ضروب الجماد والأحياء
لا حفيظ من الليالى إذا جدَّ   ت ولا فى بقائها من بقاء
بيديها معاولُ الهـــدم أيا   نَ وأنَّى اغتدتْ يدُ البنَّاء
ساخرات بالهمس فى كل حال   من غرور الضحوك والبكَّاء

---

هـهنا ههنا قضيتُ قليـــلا   من حياتى ضحكتُ فيها طويلا
ما عرفتُ الهمومَ فيه ولا كنــتُ أرى فى طفولتى مستحيلا
مشرق الوجه كالصباح جميل ال   نفس لا أستحب إلا الجميلا
بين لهوى البرىء والدرس لا أد   رك للهمِّ فى الحيـاة سبيلا

---

نوِّرى يا نضـــارةَ الأطفال   لجمالُ الحيـــاة فى الأطفال
واسخرى بالوقار والجدِّ والآ   لام سخراً وبالأسى والملال
فترة أنتِ فى الزمان إذا مرَّ   تْ ضربناً رجوعها فى المحال
فإذا عدت فى الخيال وفى الذ   كـــرى كفانى الرضى بهذا الخيال

---

هاهى الساحة التى كنتُ أجرى   بينها خلف صاحبٍ لىَ يجرى
لم تزل تعبث الطفولة فيهـــا   عبثاً لم يشبْ بلؤم ومكر
هـهنا ضاحك وها هوَ لاهٍ   طافحِ النفس من صفاء وبشر
وهنا لاعبٌ وها هو غرٌّ   لم تنرْ وجهه ابتسامةُ ثغر

---

هـذه صورةٌ أعادتْ لذهنى   كلَّ ما مرَّ فى الطفولة منّى
فتأملتُ كيف تجرى حياة ال   ناس جرياً ما بين وهْنٍ ووهن
يرجع الشيخ مثلما كان طفلا   شادخ النفس فى الهدى والتأنى
وتظل الأيام فى نشوة الدهـــر على نغمة الفنــــاء تغنّى

---

أيها الطفل لا يســؤْك خطابى
وامض إن عشت فى سبيل الشباب
حفنة أنتَ من صميم التراب   جُبِلتْ من متاعبٍ وعذاب
فتقبَّل فيها وجودَك واجعل   لك حصناً منها منيع الجناب
وليكن فى كيان جسمك قلب   وادعٌ طاهرٌ كماء السحاب

---

سوف تدرى مرارةَ الحرمان   وتُعانى قســاوة الإنسان
وتُعانى من التجارب ما عا   نيتُ منها وما لبثتُ أعانى
كلما دارتْ الليـــالى تعلم   ت جديداً من مستجدِّ الزمان
وتعلمت كيف يسخر بالحـ   ق دعاة الضـــلال والبهتان

---

ستُعانى تضارب الأهواء   من ضروب الصحاب والأعداء
وتغيم الشكوك فى جو إيمـا   نك سوداً تحكي غيوم السماء
وترى عينـاك الكريه وكم تسـ   مع ما لا يروق فى الأنباء
مقبلٌ أنت فى الصباح بما أمَّـ   لت فيه ومدبرٌ فى المساء

---

سوف تطوى بالرغم عنك الشبابا   ذاهباً حيث لا تُرجِّى إيابا
حيث يأتيك منذرٌ من بياض الشـ
يب يطوى عن مقلتيك الحجابا
بعد جمٍّ من الصعاب وقد آ   منتَ أن الحياة كانت صعابا
وتلفت لم تجـــد غير نفس   قدَّمتْ عنك للزمان حسابا

---

ستلاقى من الأسى ما تلاقى   ثم تمضى والهم فى الأرض باق

وترى الحكمة انجلت فى اختلاف الـ ناس أو فى تفـــاوت الأرزاق

وهنا لا ترع من العيش إن جا هدت يوماً وعدت بالإخفاق

لك أن لا تنام فى طلب الرز ق ولو ذُقتَ فيه مرّ المذاق

لهفَ نفسى على النضارة لهفى وعلى القوة استحالتْ لضعف

وعلى الطلعة المليحـــة والقـــد وما يظهر الشباب ويُخفى

بُدلٌ الحسن فيك بالرغم عن أنفـــك - قبحاً شهدته رغم أنفى

فتأمل إن عشتَ وجهك فى المر آة وابسم واقذفبها أى قذف

---

ضحِكتْ منك يا أخى المرآة وتجلَّت فى مقلتيكَ السماتُ

فالتجاعيد فى جبينـك والجفـ نين فيها إذا فطنتَ عظاتُ

والسطور التى كتبن على الخد ين عما كابدتَهُ مُنْبِآتُ

فتبسم فهكذا تسخر الأيـــام منا وتستبد الحيـــاة

---

لست أناى فى الأرض من أن تُمسَّا لا ولا أنت أرهفُ الناس حسًّا

هذه قسوة الحيـــاة بلونا ها وقد أنذرت بما هو أقسى

غامض ما نراه فيهـــا ويزدا د غموضاً ما لا نراه والبسا

عجز الخلق عن معالجة الغيـــب وقد أوسعوه ظناً وحدسا

---

مصبح فى ســلامة ثم أمسى ليس يدرى تحت الثرى كيف أمسى؟

حيرةٌ ما لها لدى العقل أُفقٌ واضح أو لها لدى الرشد مرمى

كيف مات الشباب فى أول العمـــر وعس الشيوخ فى العمر عسَّا

قصة هـذه الحياة فمن شـــاء تأسى أو شاء لا يتأسى

---

همس الموتُ فى صميمك همسا دون علم وسوف يعطيك درسا

فتـــأمل رفاق عمــــرك لمَّا رُكسوا فى الثرى على الموت ركسا

كلما مات واحد مات جزء منك وازددت فى وجودك وكسا

يقطعٌ منك فى التراب توارت دسها الموت فى ثرى الأرض دسا

---

فالذى كان للمجالس أُنسا صار للترب والجنادل أُنسا

والذى كان للجمال مثالا نكس الدهر حسنه فيه نكسا

والذى كان أجهر الناس صوتاً صار لا يستطيع فى القول نبسا

والذى كان للرفاق حبيباً ما استطاعوا له على القرب لمسا

---

كلُّ ما فى الحياة هذا خداعُ ظل يُشرى فى سوقها ويباعُ

وتظل العيون تفتنُ بالمظـ ـهر فيها وتختلُ الأسمـــاع

زخرف يستر الحقائق بالبا طل فيها ومحض مين يشاع

ما بدا الشر مظلم الوجه إلا ستر المظلم الكئيب خداع

---

كم حياة باسم الحياة تضاع ضيَّعتها الأغراض والأطماعُ

ما استطاعت رذيلة أينما كا نت ظهوراً أو ساغها الإجماع

فاستعارتْ من الفضيلة ثوباً نمَّقته براعةٌ وابتـــداع

رب عات سلاحه أينما يبـ ـطش حلم وحكمة واتضاع

عثمان حلمى

---




### فى معرض الكتاب العربي :

زرت معرض الكتاب العربى الذى أعدته وزارة المعارف ، فكانت زيارة ممتعة ، لأنى حصلت فى ساعة ونصف ساعة ما لم أكن لأستطيع أن أحصله فى عشر سنوات لو أنى عكفت على متابعة تاريخ الكتاب العربى والصحافة العربية

وطفت بأقسامه المتباينة ، فلحظت كيف تطورت الطباعة وتقدمت . كانت الكتب فى عهد محمد على تطبع على ورق عريض ذى هامش واسع ، يحيط بالكتابة إطار مزخرف أو عادى . أما اليوم ، فقلَّ من يُعنى من المؤلفين والناشرين باتباع هذا النظام العتيق !

وشهدت خلاصة تفكير المصريين من أيام محمد على إلى يومنا هذا معروضة عرضاً شهياً فى مكان واحد ، فحسبت نفسى فى بستان يانع حوى ما دنا من قطوف الثقافة وثمارها

وتأملت كتاباً عنوانه « الأدلة القطعية على عدم دوران الكرة الأرضية » صدر فى عهد عباس الأول — إن لم تخنى الذاكرة — فأغرقت فى الضحك ، لأن ما كان يعدُّه المؤلف إذ ذاك «أدلة قطعية» أصبحنا نعده اليوم «حججاً واهية بالية» !

ورأيت كتاباً آخر عنوانه « وفيات الأعيان » ، فضحكت كذلك لأن مؤلفه لم يجد ما يكتب عنه إلا أن يسرد تواريخ وفيات الأعيان ! كأن الدنيا وما فيها لا تهمه ، وكأن الإصلاح الاجتماعى لا حاجة لنا إليه ، وكأن الكتَّاب فرغوا من الكتابة فى جميع الموضوعات ، ولم يبق سوى الكتابة عن وفيات الأعيان !

وشاهدت الكتب الأولى للأساتذة : محمد حسين هيكل باشا ، وطه حسين بك ، وأحمد أمين بك ، وأحمد حسن الزيات ، وتوفيق الحكيم ، وسواهم ممن تصدروا الحركة الثقافية المصرية ، فكانت كتباً طريفة

وقرأت فى مجلة كان يصدرها الأستاذ سلامة موسى فى عام ١٩١٤ — وقد نسيت اسمها — أن الدكتور طه حسين تشرف بمقابلة الخديو قبل سفره إلى فرنسا للدراسة ، فسأله الخديو عما ينوى التخصص فيه فأجاب : فى الأدب وتاريخه . وعاد الخديو يسأله : لماذا لا يتخصص فى الفلسفة ؟ فقال الدكتور طه : إن الفلسفة أفسدت الدكتور منصور فهمى (باشا فيما بعد) ! وطبعت المجلة إلى جانب هذه الدعابة صورة للدكتور طه فى زيه الأزهرى

ورأيت مجلة كان يصدرها « أحمد أفندى لطفى السيد » ، ويشترك فى تحريرها « اسماعيل أفندى صدقى » و « عبد العزيز فهمى أفندى » ! !

غير أنى لاحظت أن المعرض كاد يكون قفراً من الكتب العربية التى طبعت فى البلدان الشقيقة . فلا يشاهد المرء فيه — إلا عرضاً — كتباً لمؤلفين سوريين ولبنانين وعراقيين وحجازيين وأردنيين وفلسطينيين ، وكان يجدر بوزارة المعارف — ولا سيما المنظمين منها لهذا المعرض — أن تدعو البلدان العربية الشقيقة إلى الاشتراك فى هذه الحركة الثقافية المحمودة . والكتاب عادة خير ما يعرف الناس عن الشعوب الأخرى . وأحسب أن هذه الملاحظة جديرة بعناية وزارة المعارف وسائر الوزارات التى تزمع أن تنظم معارض مماثلة ، فقد أصبح الشرق العربى فى وحدة ينبغى العمل على تعزيزها وتنميتها

وليت وزارة المعارف تعنى بأن تنشئ متحفاً للنهضة الثقافية فى العالم العربى كمتحف فؤاد الصحى ، أو الزراعى ، أو متحف البريد ، أو متحف الآثار ، ليستطيع المتشوقون إلى الوقوف على النهضة الثقافية وقوفاً عابراً الإفادة من زيارته . والمعروف أن دار الكتب لا يتيسر للمرء فيها أن يلقى نظرة عابرة على ما احتوته خزائنها من مؤلفات ، كما يستطيع رواد المتاحف الأخرى .

**وديع فلسطين**

### نص المحكم فى الفعل ( كفل ) :

رأيت بمناسبة ما دار من البحث حول « كفل المال وكفل به » فى الرسالة الغراء أن أطلع على نص كتاب المحكم ، وهو المعجم المشهور للامام ابن سيده فى إحدى مخطوطات دار الكتب المصرية ، فإذا هو يقول فى الجزء الثامن (فى مادة الكاف

واللام والفاء ) : « ... وكفل المال وبالمال : ضمنه ، وكفل بالرجل يكفُل كفْلا وكفولا وكفالة ، وكفِل وتكفَّل به كله ضمنه ، وأكفَله إياه وكفله ضمَّنه »

( ع . م )

( دار الكتب المصرية )

## في رباعيات الأستاذ عثمان :

فى العدد ٦٧٧ من أعداد الرسالة الغراء اطلعت على « رباعيات عثمان » للأستاذ الشاعر عثمان حلمى ، وعنّ لى فيها ما يأتى :

يقول الأستاذ الشاعر :

خلّ دنياك كيف شاءت وصلها   ما جنا إن أوسعتك مجونا

والمشاهد أن الشطر الثانى بصورته السابقة مكسور ، فقد أسقط الشاعر سبباً خفيفاً من التفعيلة الأولى فى الشطر الثانى

وفى بيته :

إن موج الحياة يحمل فى مدّ   ه وفى جزره صنوف الهلاك

نراه أضاف سبباً خفيفاً فى أول الشطر الثانى منه ...

وكذلك فى قوله :

لم أجد فيما مضى من حياتى   لىَ عذراً فى الهم أو فى الشكاة

نجد نقصاً فى الشطر الأول بسبب خفيف ... والصحيح أن يقول :

لم أجد فيما (قد) مضى من حياتى   ... ... ... ... ...

وفى البيت :

ونصيب الشباب فى العيش لايف   ضل فى حسنه نصيب الشيب

خطأ مطبعى فى كلة ( الشيب ) وأصلها ( المشيب )

كل ما سبق من الهنات الهينات مغفور ، ولكن نعتب على الشاعر قوله :

لا تلمنى وانظر إلى تكوينى   فظنونى من كنهه ويقينى

حيث أتى ( بالتشعيث ) فى العروض ، وهو آخر الشطر الأول ، مع علمه بأن التشعيث لا يدخل إلا فى الضرب ، وإن كان من العلل غير اللازمة

وجواز دخول التشعيث ما جاء فى قوله :

ومحيط الإنسان أكبر جان   هو أو رحمة على الإنسان

حيث وقع فى الضرب وهو آخر الشطر الثانى من البيت

وبعد ، فالقصيدة لا يغض من قيمتها ما سبق التنبيه إليه ، فالجوهر جوهر حيثما كان !

وفى الختام أهدى السلام لناظم الرباعيات ... مع التقدير .

**عدنان أسعد**

( الزيتون )

## إلى الأستاذ على الطنطاوى :

أضع بين يدى الأستاذ هذا التعليق على كلمته التى عرض فيها لديوان « الصيدح » :

١ — ذكر الأستاذ الكبير ديوانى فى معرض النقد ، ولم يذكر وجه النقد أو أسبابه .

٢ — عرض لهذا الديوان بعد مرور ثمانى سنوات من صدوره ، أى بعد أن أصبح المؤلف نفسه غير راض عنه ، لأنه من شعر الصبا ، فقد وضع الشعر منذ أحد عشر عاما ، حين كان المؤلف فى التاسعة عشرة طالباً يؤدى امتحان « البكالوريا » .

٣ — وبرغم هذا فإن الدوائر الأدبية تقبلته قبولا حسناً . وإنى أتحدى الأستاذ أن يقتبس من شعر الديوان ما لا يدل على صدق التعبير ، أو لا يصدر مثله عن شعور أو لا يتفق مع القاعدة .

٤ — إن النقد لا يسوءنى ، وحبذا لو بصرنى ناقد بالخطأ فأتجنبه ، أما التجنى من غير دليل ، فإنى أعده تحاملا من غير مبرر ؛ وأنا أعرف أن الأستاذ ليس بشاعر ، ومع أن هذا لا يمنع من تمكنه من النقد ، إلا أنى أحسب أنه لو كان يقول الشعر لتذوق حلاوته فى هذا الديوان .

٥ — إن لى أسوة فى غيرى من الشعراء المبرزين ، لأتعزى ، فقد طلع على الناس الأستاذ على محمود طه ، والدكتور إبراهيم ناجى بديوانيهما سنة ١٩٣٣ ، فسلط عليهما النقاد ألسنة حداداً ، وقال الدكتور طه حسين لأحدهما فى ختام نقده : لا أكتمك يا سيدى الدكتور أنك لست على شىء ! وقال الأستاذ سيد قطب : نظرت فى الكتاب الأول فإذا هو تافه كله أغلاط ، لا يستحق أن ينظر فيه ؛ كانت حملة شديدة لم ينقذهما منها أو ينصفهما فيها إلا أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات . حتى دارت الأيام فإذا الشاعران ملء الأسماع والقلوب ، لا يقولان إلا المعجب المطرب .

والسلام على الأستاذ الطنطاوى « الكاتب » الحصيف المتمكن الذى أجله .

( القاهرة )   **خليل جرجس خليل**




# إيــلو . . . !

للأســتاذ عبد الحق فاضل

... إيلو ، أو إيلا ، أو إيلى ، أو إيلين ، أو ما تشاء من أسماء التحبب والتدليل . ولكن « اليزا » هو اسمها الصحيح الذى سماها به أبواها وعمداها به فى الكنيسة .

جميلة فى غاية الجمال . وذكية جداً ، ولبقة جداً .

لها عينان براقتان ، وفم صغير رقيق الشفتين يلذ لك أن تتابع بعينك تثنيهما وتلويهما حين تتحدث اليك ، وأن تراقب بأذنك تكسر الألفاظ عليهما فى عذوبة ورشاقة ودلال ... بارعة فى تصريف الأحاديث بلباقة نادرة وظرف أخاذ . وهى إذا تحدثت اليك عبرت لك عن مرادها بكل جوارحها — بعذوبة صوتها ، وإشارات يديها ، وحركات رأسها ، وتثنى جسمها الغض ولحاظ عينيها اللامعتين . فجسمها كله يتكلم وكله يبتسم ، حتى ليخيل اليك أن ثوبها وزينتها أيضاً وسيلة عندها من وسائل التعبير ! فأنت لهذا مضطر إلى الإصغاء اليها بكل جوارحك أيضاً ، والافتتان بمحاسنها بكل قلبك وعقلك جميعاً .

لعوب طروب لها مراح العصفور ونشاطه ، وودود ظريفة تحملك على الإعجاب بها والهيام بكل وسيلة . فهى لذلك معتدة بنفسها ، تعرف قيمة جمالها وسحرها ، وهى لذلك أيضاً تعنى بأناقة ثوبها وزينتها ما وسعتها العناية .

لم أرها ! ... ولكن أمها هى التى حدثتنى عنها وسردت على قصة مأساتها المحزنة وفاجعة موتها قبل أن تتم الخامسة من عمرها غماً وكمداً ... فهى طفلة صغيرة كما ترى ! ولكن ذلك لم يمنعها أن تكون غاية فى الجمال ؛ ولا أن تكون ذكية جداً ولبقة جداً ولا أن تكون زينة البيت وريحانته ، ومتعة الأهل والأصدقاء والزائرين ، ولا أن تكون مدركة لذلك كله شاعرة بقيمتها ، ومكانتها فى كل قلب ، معتدة بنفسها مزهوة بجمالها ، معنية ما وسعتها العناية بأن تكون خليقة بكل هذا الإعجاب وكل هذا التقدير ، طامعة فى المزيد . فقد كانت أبداً تخلق حول نفسها جواً صافياً من المرح والسرور ، ولا تطيق أن ترى عابساً أو حزيناً أو شخصاً منصرفاً عنها إلا بذلت جهدها لإخراجه من صمته وإدخال السرور على قلبه ولفت نظره إليها . فما يلبث ، مهما كان مهموماً أو بليداً ، أن يجاريها ما استطاع ويسر ما وسعه السرور ويضحك ما واتاه الضحك ، ويتخفف من همومه ولو إلى حين .

على أنها لم تكن تدرك أنها طفلة ! فكانت تحاكى الكبار وتقلدهم فيما يصدر عنهم من قول أو فعل أو إشارة . ومن بوادر ذلك مساعدة أمها فى أعمال البيت والقيام على مراقبة نظافته والعناية بشؤونه ! ومن ذلك أيضاً أنها ما كانت تبخل على أحد بالنصيحة وإمداده بالرأى الصائب فى رفق العقلاء المجربين وتوددهم ودماثتهم .

وكان يشق عليها أن يوجه اليها انتقاد ، فيحمر وجهها ثم تحتال على الاعتذار فتحسن الاحتيال ، وتشفع عذرها بابتسامة خجول ، وتعد بألا تعود .

ولعل سر هذه الفتنة التى اختصت بها إيلو أو إيلا أو إيلين هو هذا التعقل والتوقر المكتسبان بتقليد الكبار ومحاكاتهم وهى بعد فى بكور هذه الطفولة البريئة الجميلة ، المحبوبة بطبيعتها . فكان المزاج من الطفولة والنضوج ، وفيه هذا التوافق المصنوع والتناقض المطبوع ، سحراً خالباً غالباً تنفتح له القلوب بلا مقاومة ولا عناء .

كان حديث أمها فى بدئه عادياً طبيعياً تتخلله الابتسامات ، ثم أخذ صوتها يكتئب ويرتعش ؛ ثم شرعت تروح عن نفسها بالتنهد والتحسر بين حين وحين كلما اقترب الحديث من آخره ، وكانت تزيدنى رغبة فى الانصات اليها هذه اللكنة الأرمنية الحلوة التى لم تقو على مغالبتها عشرون سنة أقامتها فى بغداد بين زوج عراقى وجيرة عراقيين .

قالت :

« ... فلما بلغت ايلو عامها الرابع رزقت غلاماً كان شؤماً

على نفسه وشؤماً على أخته وعلينا . فقد مات بعد موت ايلو بأسبوعين ، بعد أن قضى عليها وأفسد صفو حياتنا . وكان أول عهدها به أنها رأت كتلة صارخة من اللحم تضطرب فى المهد ، فدنت منه فى حذر وأنعمت نظرها فيه ، وإذا طفل لم تره من قبل وصراخ لم تألفه فى البيت . فرابها أمره وأوجست منه خيفة ، والتفتت إلى تقول :

ماما ... ما هذا ؟ ! فقلت لها : إنه أخوك وديع . فقالت : أخى ! ولم يصيح هكذا ؟ إنى لا أحبه !

إنها لا تحبه ... كلمة سبقت منها كأنما ألهمتها إلهاماً قبل أن تعرف خطرها أو تدرك سببها أو تعلم ما سيكون لها فى حياتها وموتها من شأن . وقد زادتها الأيام بغضاً له كلما رأت أن له عندنا أهمية أو قيمة ، أو وجدتنا نكترث له أو نعنى بشؤونه . فهى يشق عليها أن تجدنا نصرف عنها ولو جزءاً من عنايتنا ورعايتنا إلى أخيها وديع أو أى مخلوق سواه ، وهى تفهم من ذلك أننا نزدريها ونراها غير خليقة بالاستئثار بكل حبنا وعنايتنا .

وعبثاً كنا نحاول — أبوها وأنا — إقناعها بأن لها المنزلة الأولى وأنها وحدها الأثيرة عندنا ، وإننا لا نحفل وديعاً إلا رأفة به ، وإننا سنتخلص منه يوماً ما ونريحها ونريح أنفسنا منه . وكنا نتظاهر معها باحتقاره ونجاريها فى تعداد عيوبه ومثالبه . وكنت أتحاشى أنا إرضاعه أو مداعبته أمامها ، ولكنها كانت تراقبنى فترانى أحياناً متلبسة بتقبيله أو ملاعبته فتعاتبنى بنظرة أبية وتنصرف ، كأنها تقول : إنكم تخدعوننى !

قالت لى يوماً : ماما ... ما ذا تصنعون بهذه الخليقة الحقيرة ؟ إنه مجنون يبكى ويصرخ بلا سبب ! وقذر جداً . يحدث فى ثيابه وفراشه ونفسى تشمئز منه ! وليست فيه فائدة لنا . انى أحسن منه ، وعاقلة ونظيفة ! فلماذا لا تلقونه فى الطريق ؟...

فقلت لها : لا يا بنيتى ، إنه صغير مسكين ، ومريض . ولهذا ترينه يبكى .

فقالت : لا يا ماما . إنه يكذب ! إنه لا يبكى بل يصرخ فقط ، ولا تسيل من عينه دمعة واحدة ! فلو ألقيته فى الطريق للكلاب لا سترحت منه ، فإنه يتعبك كثيراً وأخاف عليك أن تمرضى !

فأجبتها لو ألقيناه فى الطريق يا ايلو لحق علينا غضب المسيح فلنشفق عليه إكراماً للمسيح حتى يشفى من علته — فنتركه وشأنه . ما قولك فى هذا يا ايلو ؟

فقالت : ولماذا يغضب المسيح ... أتراه يحب المجانين والقذرين ... ؟

فقلت : لا ، ولكنه يحب الضعفاء والمرضى ، ويوصينا بالعناية بهم والعطف على بؤسهم .

فقالت مغضبة : لماذا يا ماما لا يحب المسيح الأصحاء النظاف والعقلاء ، ويؤثر عليهم الذين فراشهم منتن مثل وديع الكلب ؟ أليس المسيح جميلا وطيباً كما تقولون . إنى أبغضه !

ورأت بعد ذلك أن الجدال والمنطق وحدهما لا يعودان عليها بفائدة ، فراحت تبرهن لنا ولمن يتصل بها وبنا عملياً على أنها كفء لكل تقدير وإكبار ، وأنها وحدها الجديرة بكل الإعجاب والاهتمام . فصارت تستيقظ مبكرة مع العصافير ، وتلقى نظرة شاملة على البيت وتشرع بانتقاده وتصف فساد نظامه بخطاب موجز ، ثم تأخذ بترتيبه على رأيها ووضع كل شىء فى محله . وتغسل أوانى الشاى وتنصب المائدة قبل أن أشرع أنا بإعداد الشاى نفسه . ثم تأخذ بالمكنسة لتنظف الدار ! وتجشم نفسها من المشقة والنصب ما لا قبل لطفولتها به ، فأمنعها سدى وترفض أحياناً حتى أن أساعدها . وأنا أعلم فيم تشق على نفسها كل هذه المشقة وفيم تتكلف كل هذا العناء ، فتتفطر مرارتى من الحزن ...

ثم تعمد إلى نفسها فتفيها حظها من التزيين والتجميل ، وترتدى أنظف ثيابها وأجملها فى عينيها ، وتجلس إلى المرآة تصفف شعرها وتمشطه حتى ترضى عن نفسها . فإذا جاءنا زائر خفت وبشت فى وجهه ، وقد لحظت أنها ضعفت ثقتها بنا فصرفت عنايتها إلى الزائرين ... تسعى بين أيديهم وتسائلهم إن كانوا عطاشاً لتأتيهم بالماء ، وتقدم إليهم السكر لعل الشاى أقل سكراً مما يشتهون ، وما تفتأ تتودد إليهم وتعرض عليهم محاسنها وتباسطهم وتغنى لهم وتستميلهم بمرحها ورشاقتها وفكاهاتها حتى يأخذوها فى الأحضان ويوسعوها ضماً وتقبيلا ، ويؤدوا لها حقها من المديح والإعجاب . فتتنهد وتنفض إليهم جملة حالها ... وتنكشف سريرتها فإذا كل هذا اللعب والمراح أشبه برقص الطائر الذبيح ...

تأخذ بانتقاد عدوها وديع ، وتنتقص أمامهم منه . وأصل عيوبه ومخازيه عندها أنه بكاء وقذر . وتشكو إليهم ظلامتها وبثها ، وتشكو إليهم أننا مع كل هذا نحبه وندلله ولا نضن

عليه بالعطف والإيثار . فتحكمهم بيننا وتطلب إليهم أن ينصفوها منا . فاذا حكموا لها ، وهم دائماً يفعلون ذلك ، نظرت إليّ فى عتب ورجاء . وإذا أكدتُ لها أننا لا نباليه ولا نقيم له وزناً أطرقت فى يأس وهزت رأسها الصغير كأنها لا تريد أن تقول لى فى صراحة : إنك تكذبين يا ماما !

ولكنها مع كل ما تضمره لوديع من بغض وموجدة لم تحاول يوماً أن تؤذيه أو تمسه بسوء ، فقد كنت أرقبها إذا اختلت به مخافة أن تمتد إليه يدها البريئة بشر ، غير أنها لم تفعل من ذلك شيئاً ، وإنما كانت تكتفى بأن تحدجه بنظرات ساخطة حزينة ثم تنصرف عنه .

وكانت لنا جارة صديقة لم تُرْزق ولداً ، اسمها مارى ، تصلنا بها قرابة بعيدة ومودة وثيقة . وكانت مشغوفة بحب إليزا حتى ما تكاد تنقطع عن زيارتنا وقضاء شطر من نهارها عندنا قرب حبيبتها إيلين كما كان يحلو لها أن تسميها ، فقالت لها مرة :

أنظرى يا أختى مارى ! إنهم لا يزالون يحبون هذا النجس وديعاً ، وقد رأيت ماما تقبله أمس ! وهى تسهر الليالى عليه وتخف إليه كلما بكى لترضعه وتهز أرجوحته المنتنة ! أنا أكنس البيت كل يوم وأطوى ثياب بابا وأعين ماما ... ونظيفة وجميلة ! وهذا المجنون وديع الذى لا يكف عن الصياح قذر ... ورأسه صلعاء !

فلاطفتها مارى وأكدت لها أنها واهمة ، وأننا نحبها ونؤثرها ولا نقيس بها إنساناً . فقالت : لا يا أختى ، إنهم يخدعوننى ويكذبون علىّ ... لو كنت مكانهم لأطعمته الكلاب أو أعطيته الشحاذين القذرين مثله .

فقالت لها مارى : اطمئنى يا أختى إيلين . سنخلصك منه قريباً ، إنه قبيح بكاء لا خير فيه .

وأسرَّت إلى مارى بعد ذلك أنها ستأخذ وديعاً عندها طيلة نهار الغد . ثم تزعم لإيلين أن كلب مارى ، وكان لها كلب عظيم الخلقة ، قد افترسه وأراحها منه لترى ما عساها تصنع أو تقول . وأخذته فى اليوم التالى خلسة إلى دارها ، فدهشت إيلو ذلك النهار أنها لم تر وديعاً ولم تسمع له نأمة . ومضت إلى فراشه مرات عدة فلم تجده . فراحت تطوف البيت وتتحرى الغرف صامتة متلصصة لترى ماذا حل به فلم تفز بطائل . فاذا فرغت من التفتيش عادت إلىّ تدور حولى وتطيل النظر فى وجهى لعلها تقرأ فى أساريره ما يجلو لها الخبر اليقين ... فلما ضاقت ذرعاً بالصمت والكتمان ، سألتنى :

— ماما ... أين وديع ؟ فقلت لها :

— وديع القذر ؟ ماذا تريدين منه يا إيلا ؟ ... فقالت :

— أين هو ؟ إنه ليس فى البيت ! فأجبتها :

— مسكين ! لقد أكله كلب مارى .

— صحيح يا ماما ؟ هل أكله كله ؟ !

— نعم . التهمه عن آخره !

فتورد خداها وبرقت عيناها ، وصاحت :

— فلأُقبلك إذن ! وألقت نفسها فى حضنى تغمر وجهى بقبلاتها ، وأخذت تضمنى بشدة غريبة وهى تدس رأسها فى صدرى كأنما تريد أن تدخله فى أضلاعى . فسالت دموعى على هذه الصغيرة المعذبة اللعوب . وخشيت وخامة العاقبة متى اطلعت على جلية الأمر ، فلم أك أقدر أن يصيبها كل هذا الفرح الجنونى البرئ .

ثم تركتنى وهرعت إلى الأرجوحة لتأخذ منها الفراش ، وبذلت جهداً عنيفاً حتى أخرجته فأمسكت من أحد أطرافه كأنما تحاذر أن تتنجس يدها منه ، وراحت تجره وراءها فى صحن الدار . وصادف دخول أبيها فى تلك اللحظة فأخذها بين ذراعيه وسألها ما تصنعين يا إيلى ؟ فقالت له :

— بابا ، ألست تدرى ! إن كلب مارى قد أكل وديعاً كله ، ولم يترك منه ذرة واحدة ! فلنرم فراشه فى الطريق ، وأرجوحته أيضاً وثيابه . كلها قذرة ووديئة .

وما كادت تفلت من بين يديه وتأخذ بالفراش من جديد حتى دخلت علينا مارى وعلى ذراعها وديع وهى تقول :

— إنه بكَّاء مزعج حقاً تخلصونى منه !

ولا تسل عما أصاب إيلو . فقد بهتت ووجمت ، واصفر وجهها ، وأفلت طرف الفراش من يدها . ولم تعد تقوى على الوقوف فقعدت من فورها على الأرض مستندة إلى الجدار . ثم انتبذت ناحية منزوية من تلك الغرفة ( وأشارت بيدها إلى الغرفة التى عنتها ) فى ذلك الركن . وطفقت تبكى بكاءاً متصلا أبكانا نحن الكبار ، إذ لم يستطع كل بغضها لوديع أن يسيل لها دمعة من قبل ، ولم تعودنا يوما وهى الطروب اللعوب أن نراها تبكى أو تشكو من شيء ، فقد كانت أبداً كما قلت لك لاعبة ضاحكة

السن نشيطة خفيفة الظل والحركة — تكظم الغيظ وتداري أحزان قلبها الغض باللعب والمزاح . ولكنها شعرت هذه المرة أنها أهينت في صميم كبريائها . وقد قالت لنا ونحن نحاول عبثاً أن نسترضيها ونمنيها الوعود : إنكم لم تعودوا تحبون إيلو ... تزدرونها وتضحكون عليها .

وظلت تبكي بلا انقطاع رغم ما بذلنا من جهود ، وظل جسدها يضطرب ويهتز بين أيدينا من الانتحاب والشهيق كالسعفة تعبث بها ريح هوجاء .

ولم تذق عشاء تلك الليلة ، ولا أحسبها نامت فقد كانت تتململ في فراشها تململ السليم ، فاذا ناديتها أودنوت منها أغمضت جفنيها وتناومت ... ولم تنهض على عادتها باكرة في الصباح ، ولم أشأ أن أوقظها حتى علا النهار ، فقامت متثاقلة مسترخية محمرة العينين منتفخة الأجفان من السهر والبكاء ، ولم تعن بالبيت أو تلق بالا إلى نظامه أونظافته ، ولاجفلت زينتها ، أومرآتها ، ولا غيرت ثوباً أو مشطت شعراً ، ولا رحبت بزائر ولا صديق . وخلا المنزل من لعبها وقفزها وأوحش مذ ذلك اليوم . وكان كل ما تفعله أن تقابلني وتجلس أمامي في المطبخ أو في الصحن أو في الغرفة ، خافضة الرأس ساكنة الأطراف مغرقة في الوجوم والتفكير مستسلمة إلى الحزن الصامت واليأس الأليم . وأخذ جسمها يذوي ويذوب كالشمعة المحترقة يوماً بعد يوم ، وغاضت ابتساماتها وخبا ضوؤها وخفت صوتها . فراعنا الأمر وتحيرنا ماذا نفعل . ولم يكن في عزمنا أن نتخلى عن وديع أو نعهد به إلى مرضع أو مربية فقد كان أثيراً عندنا حقاً إذ لم يكن لنا ولد ذكر سواه ، ولم يكن بيدنا مالا ننفق منه على المربيات والحواضن لو أردنا ذلك . وحار في أمرها الطبيب وكثر ما تناولته من الأدوية والعقاقير صابرة طيعة لا تتمرد ولا تقاوم ، وقد ذقت مرة دواء كانت تشربه فوجدته مراً حاداً كريهاً تعافه النفس ؛ وعجبت كيف كانت تشربه في طوعية واستسلام فارقته وأعفيتها من شربه ، كأنها تنازلت عن إرادتها إذ لم تعد تنتفع بها ، أو رفضتها ورمت بها في وجهنا . فلم تبد رغبة في شيء أو تتذمر من أمر . حتى أن ماري اقترحت عليها مرة أن تأخذها عندها لتعتني بها وتقوم على راحتها وتسليتها وتتبناها فقالت نعم . فسألتها أنا هل ترغبين حقاً أن تمضي مع ماري إلى دارها ؟ فقالت نعم . فقلت أم تؤثرين البقاء عندنا ؟ فلم ترد على أن قالت نعم ! فنظر بعضنا في وجوه بعض قانطين حائرين .

ولبثت عند ماري أياماً لم تزد حالها فيها إلا سوءاً على سوء ، فلم نجد بداً من استرجاعها . وشرع أبوها يطوف بها المتنزهات ويقتني لها الملاهي والألاعيب والحلوى أصنافاً وضروباً ، ولا يألو جهداً في تسليتها والترويح عنها ، في غير جدوى .

ومالي أطيل عليك وأثقل على نفسي ونفسك ... إن ذكرى أيامها الأخيرة لتحز في فؤادي كالمدية الكليل ، وتشب في ضلوعي مثل النار ... وجدناها ذات صباح جثة هامدة في فراشها شاخصة إلى الأرجوحة ببصرها كما يشخص القتيل ببصره إلى القاتل ... » .

واختنق صوتها بالبكاء ، وانهمرت من عينيها الدموع . فلم أتمالك أن أخرج منديلي وأجفف به عيني الدامعتين .

هذه هي قصة إيلو أو إيلا أو إيلين أو ما تشاء ... كما سمعتها من أمها . لقد كانت ذات نفس كبيرة وحس دقيق رهيف ، جاوزت حد الطفولة في الشعور بالعظمة والكبرياء ... غيوراً يهمها أن تكون ملحوظة أبداً معنياً بها لا ينازعها في ذلك منازع ولا يزاحمها على منزلتها عند أبويها إنسان . فمانت شهيدة بطلة بعد أن ناضلت وجاهدت ، وأبلت أحسن البلاء ؛ وحيدة لا معين لها ولا نصير ، شجاعة صابرة لا يعروها ضعف ولا جزع ، ولا ينال من بشاشتها أو يخرجها عن سجيتها خور ولا قنوط ... حتى خذلها الأهل وعز النصير ، فأيقنت بالفشل وأدركت أن جهودها ضائعة لا محالة ، وأنهم لم ينصفوها ويقدروها قدرها على حال . فألقت سلاحها وانسحبت من الميدان في إباء وحسرة وسكون ، وأسلمت قلبها الغض إلى الأحزان ، وفوضت أمرها إلى الله . وهكذا انتحرت تلك الكرامة البريئة المؤذاة !

ومع أني لم أرها ... ثم مع أني قد مضى على سماعي نبأ مأساتها عام أو يزيد ، فاني ما زلت تعودني ذكراها من آن لآن فأحزن عليها حزني على القريب والحبيب . لكأنني رأيتها وعرفتها ولاعبتها وأحببتها كل الحب وكلفت بها أيما كلف ، ثم ... كأنني فقدتها الساعة

( طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين — عابدين )





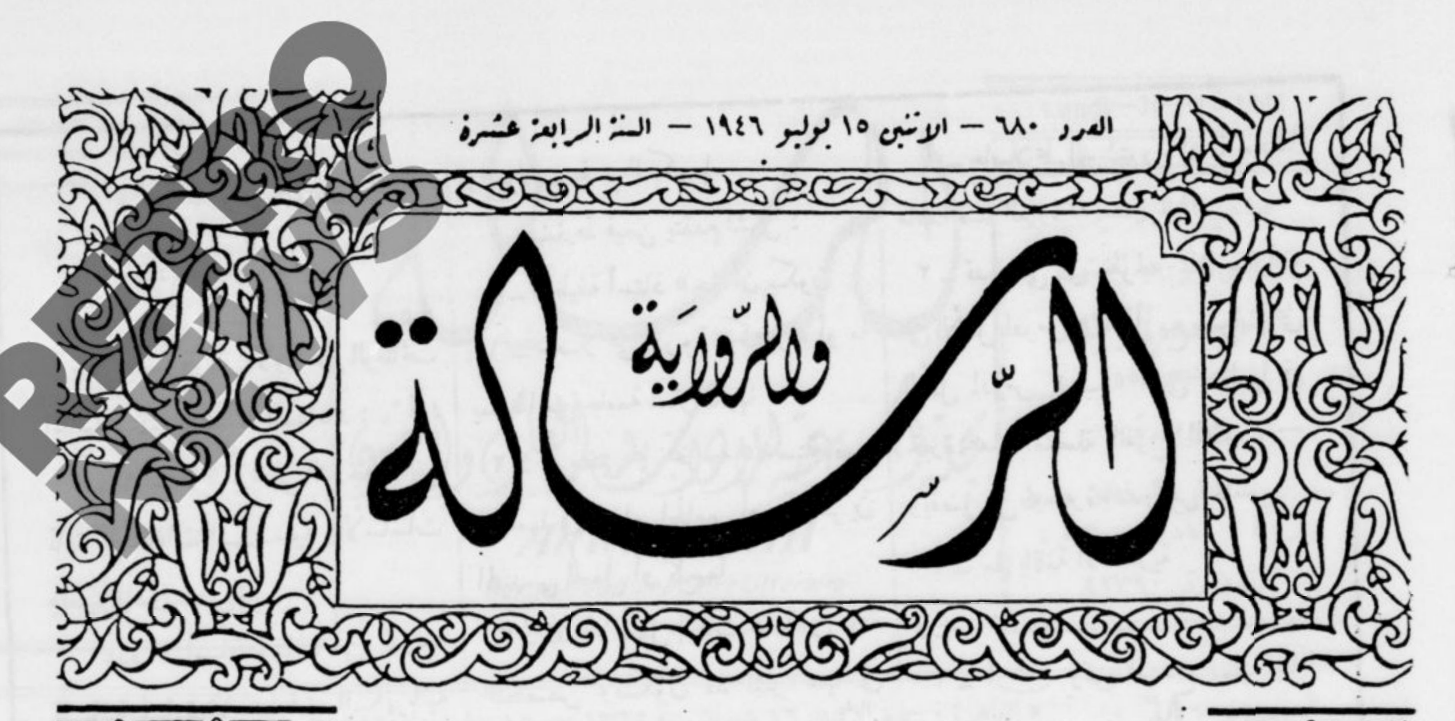


# الفهرس



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٨٠ — الاثنين ١٥ يوليو ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة




الفهرس



٢٧٠٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

## جامعة فاروق الأول

إدارة المستخدمين

تعلن جامعة فاروق الأول عن الوظائف الخالية بكلية الهندسة المبينة بعد :

عدد ١ أستاذ « ج » من الدرجة الثانية لمادة الإنشاءات المدنية والأساسات بالقسم المدنى

عدد ١ أستاذ مساعد من الدرجة الثالثة لمادة الاختبارات الكهربائية وأجهزة القياس

عدد ١ أستاذ مساعد من الدرجة الثالثة لمادة الري وتصميمات الري

عدد ١٣ مدرس « ا » و « ب » من الدرجتين الرابعة والخامسة للمواد الآتية :

١ ـ التصميم المعماري بقسم العمارة
٢ ـ للرسم النظري بقسم العمارة
٣ ـ الإنشاء المعماري بقسم العمارة
٤ ـ الهيدروليكا بالقسم المدنى
٥ ـ الخرسانة المسلحة بالقسم المدنى
٦ ـ لمقاومة المواد بالقسم المدنى
٧ ـ الانشاءات المدنية والاساسات بالقسم المدنى
٨ ـ نظرية الآلات الكهربائية والمحولات بقسم الكهرباء

ويشترط فيمن يتقدم لشغل :

١ ـ وظيفة أستاذ «ج» أن يكون

١ ـ حاصلا على درجة دكتوراه أو ما يعادلها من جامعة معترف بها

٢ ـ قد مضى على تخرجه ١٥ سنة قضى معظمها فى التعليم الجامعى أو فى التمرين الهندسى العملى أو كليهما

٣ ـ قد قام بعمل إبحاث هامة فى مادة التخصص ويكون قد نشر عنها فى الجهات المعتمدة

٤ ـ ملما باللغة الانجليزية.

٢ ـ وظيفة أستاذ مساعد أن يكون :

١ ـ حاصلا على الدكتوراه أو ما يعادلها من جامعة معترف بها

٢ ـ قد مضى على تخرجه عشر سنوات على الأقل قضى معظمها فى خبرة عملية فى فرع اختصاصه — ويفضل من له خبرة بالتدريس الجامعى

٣ ـ له إبحاث علمية فى الفرع الذى تخصص له

٤ ـ ملما باللغة الانجليزية

٣ ـ وظيفة مدرس «ا» أو «ب» أن يكون :

١ ـ حاصلا على الدكتوراه أو ما يعادلها ماعدا قسم العمارة

٢ ـ قد مضى على تخرجه ثمان سنوات على الأقل لمدرس «ا» وأربع سنوات على الأقل لمدرس « ب » قضى معظمها فى خبرة عملية متصلة بالفرع المطلوب — ويفضل من له خبرة بالتدريس الجامعى

٣ ـ ملما باللغة الانجليزية

ويجب :

١ ـ أن يرفق المرشح بطلبه بيانا عن تاريخ حياته العلمية والجهات المختلفة التى اشتغل بها والمدة التى قضاها فى كل منها والأعمال الهامة التى اشترك فى تنفيذها

٢ ـ أن تقدم طلبات موظفى الحكومة عن طريق المصالح التى يعملون فيها وأن يبين فيها الدرجة والماهية وتاريخهما وإذا كانت اللوائح المالية المقررة لاتبيح منح المرشح الدرجة والماهية المعلن عنهما فان هذا الاعلان لا يكسبه الحق فيهما

وترسل الطلبات برسم عميد كلية الهندسة فى ميعاد لا يتجاوز آخر يوليه سنة ١٩٤٦

٥٦٠٧

# إعلان

عن مباراة فى التأليف المسرحى والسينمائى

## بوزارة الشئون الاجتماعية

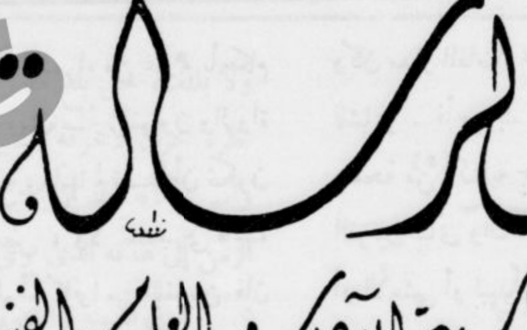
بمناسبة تنفيذ مشروع الارشاد الاجتماعى عن طريق السينما والمسرح المتنقل ، تعلن وزارة الشئون الاجتماعية عن حاجتها لمسرحيات وسيناريوهات قصيرة لايستغرق عرضها أكثر من خمس عشرة دقيقة ترمى إلى معالجة أمراض المجتمع المصرى كتعدد الزوجات والطلاق والقمار وتعاطى المخدرات ومشاكل العامل الصناعى والزراعى وستمنح الوزارة مايقع اختيار لجنة التحكيم عليه من هذه المسرحيات والسيناريوهات مكافآت مالية تتناسب وقيمتها الفنية .

وآخر ميعاد للاشتراك فى المباراة آخر أغسطس سنة ١٩٤٦ وترسل باسم حضرة مدير إدارة البحوث الفنية والارشاد بوزارة الشئون الاجتماعية .

٥٦٦٠

14 me Année No. 680

Lundi—15—7—1946



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٨٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٦٥ — ١٥ يوليو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة



من الفصول المزبرة على كتابنا (فى أصول الأدب) :

# النقد عنـــد العرب

## وأسباب ضعفهم فيه

ذكرنا فى ختام المقالة الأولى أن حظ العرب من تاريخ الأدب قد ضؤل لأنه فرع من التاريخ العام ؛ وفن التاريخ العام بمعناه الصحيح لم يكن فى طوقهم لعجزهم عن وسائله وجهلهم بعلومه . ثم أفضنا فى المقالة الثانية فى بسط العوامل المؤثرة فى الأدب لنوضح العلاقة الوثيقة بين التاريخ السياسى والتاريخ الأدبى

وفى هذه المقالة نذكر نقصاً آخر فى الوسائل الضرورية لمؤرخ الأدب وهوضعف أدبائنا القدامى فى النقد واعتسافهم طرائق الحكم فيه . والنقد كما علمت داخل فى تعريف تاريخ الأدب بمعناه الأخص [1] ؛ فالعجز عنه أو الضعف فيه يستلزم حتما ذلك النقص الذى نراه واضحاً فى أكثر ما صدر عن أسلافنا من تعليل أو موازنة أو حكم . فإن من يطلع على ما أثر عن السلف من الموازنة والنقد يجد الخطأ فى الأقيسة ، والخلل فى الموازين ، وذلك لتحكم الذوق الخاص ، واستبداد الهوى المطلق ، وإرسال الناقد الحكم على غير قاعدة مرسومة ولا مذهب معين . وربما اكتفوا فى تقديم شاعر أو تفضيل بيت بالعبارة العامة ، أو الإشارة المبهمة ، أو الهتاف الموجز كقولهم : ولله دره إذ يقول ... وهذا مما لم يسبق إليه أحد ... وما أحسن هذا البيت ! ...

هذا أبو منصور الثعالبى قد أفرد فى كتابيه : الإيجاز والإعجاز، وخاص الخاص ، بابا مسرف الطول لوسائط قلائد للشعراء ، رتبهم فيه ترتيباً زمنياً من عصر الجاهلية إلى عصره ، ثم حكم على كل شاعر بجملة من جزاف القول لا تعليل فيها ولا فائدة منها ، كقوله : يقال إنه أمير الشعراء ، وأمير شعره قوله : .. ، ومن جوامع كلمه قوله ... وأمير شعره وغرة كلامه قوله ... وليس للعرب مطلع قصيدة فى مرثية أوجز لفظاً وأحسن معنى من قوله ... وأمدح بيت قالته العرب فى الجاهلية قوله . . ومن لطائف كلامه وطرائفه قوله ... فلما أراد الإسهاب والاستيعاب فى كتابه : ( يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ) عُنى باللفظ المختار والسجع الرائق والاختيار الحسن ؛ ولكنه لم يعن بالخطوط التى تميز كلاماً من كلام ، ولا بالحدود التى تفرق بين شاعر وشاعر . فلو نقلت ما قاله من المدح فى شاعر إلى شاعر آخر لما تغير المعنى ولا اضطرب السياق . والأمر كذلك فى كل ما أُلف من الكتب على طراز اليتيمة كدمية القصر للباخرزى ، وخريدة القصر لعماد الدين الأصفهانى ، وريحانة الألباء لشهاب الدين الخفاجى ، وسلافة العصر فى محاسن أعيان العصر ، لابن معصوم المحبى

كذلك فعل الأدباء اللغويون كالأصمعى فى كتابه « فحول

(١) راجع ص ١٣ من الطبعة الثانية من كتابنا « فى أصول الأدب » الذى سيظهر قريباً .

الشعراء » ، فقد توخى فيه تمييز فحول الشعراء من غيرهم بأحكام لا أسباب لها ، وأقوال لا غناء فيها ؛ ومثله سائر اللغويون والرواة الذين سجل الأصفهانى آراءهم فى أغانيه ، فإنها لم تعدُ أن تكون آراء شخصية لا تقوم على دليل ناهض ، ولا تعتمد على قاعدة عامة . وسواء أكان النقاد من الأدباء أم كانوا من اللغويين فإن أحكامهم كانت تصدر على الشاعر فى جملته ، أو على بيت أو بيتين أو ثلاثة من قصيدته ...

ولم نعثر على مثال من النقد البيانى لقطعة كبيرة من الشعر إلا فى كتاب إعجاز القرآن لأبى بكر الباقلانى ، حين حاول أن يبين ما جاء من العوار فى نصف معلقة امرئ القيس ، على أنه لم يستطع الإنصاف ولم يبرأ من الهوى .

ولقد أكثر البيانيون من سرد الأبيات المفردة مستشهدين بها على قواعد المعانى والبيان والبديع ، ولكن أحداً منهم لم يوفق إلى عقد باب للنقد البيانى يضع فيه قواعده ويرسم حدوده ويبين غايته .

نعم ، ألف قدامة بن جعفر كتاباً سماه ( نقد الشعر ) يقول فى أوله : « العلم بالشعر ينقسم أقساماً ، فقسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه ، وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعه ، وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته ، وقسم ينسب إلى علم معانيه والمقصد به ، وقسم ينسب إلى علم جيده ورديئه ، وقد عُني الناس بوضع الكتب فى القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة ، فاستقصوا أمر العروض والوزن ، وأمر القوافى والمقاطع ، وأمر الغريب والنحو ، وتكلموا فى المعانى الدال عليها الشعر ، وما الذى يريد بها الشاعر ، ولم أجد أحداً وضع فى نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً ، وكان الكلام عندى فى هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام » ولكن المؤلف لم يخرج عن السنن المألوف فى ذكر ما يحسن أو يقبح فى الأبيات المفردة أو المقطوعات القصيرة ، على منهج لا يختلف عن مناهج المتأخرين من أصحاب البيان والبديع

والحال فى الموازنة كالحال فى النقد سواء بسواء . تنازع علماء الأدب فى أى الشعراء أشعر ، وذهب الخلف بينهم كل مذهب ، فلم يتفق ناقدان على رأى ، ولم يجتمع رأيان على شاعر ، وكان مدار المفاضلة على الأبيات المفردة من الشعر والصفات العامة للشاعر . فأبو زيد محمد بن الخطاب القرشى أضاع ثمانى عشرة صفحة من كتابه جمهرة أشعار العرب فى أن من علماء اللغة فى القرنين الثانى والثالث من كان يقدم امرأ القيس أو زهيراً أو النابغة أو الأعشى أو لبيداً أو عمرو بن كلثوم أو طرفة ، ولكنك إذا نظرت فى أسباب المفاضلة لم تجد فيها ما يقنعك على أن تتابع واحداً منهم فيما يرى . وإذا قرأت ( باب المشاهير من الشعراء ) فى كتاب العمدة لابن رشيق القيروانى ، وهو فصل نسخ أكثره جلالُ الدين السيوطى فى كتابه ( المزهر فى علوم اللغة ) لم يزدك اختلاف العلماء فى الحكم على الشعراء إلا ريبة وحيرة . ولقد تشعبت الآراء ، وتعارضت الأهواء فى الموازنة بين جرير والفرزدق والأخطل ، ثم بين مسلم بن الوليد وأبى نواس وأبى العتاهية ، ثم بين أبى تمام والبحترى والمتنبى ، ولكنك لا تدرى إلى اليوم علام استقر الرأى وكيف انحسم الخلاف . ولعلك لا تجد الفرق بعيداً بين حكم يصدر جواباً عن سؤال أو عرضاً فى مقال ، وبين حكم يصدر عن روية وبحث فى كتاب قائم بذاته ، فكتاب « الموازنة بين الطائيين » لأبى القاسم الحسن بن بشير الآمدى ، يبتدئ بذكر أخطاء أبى تمام كقوله : ( وقال :

ضحكات فى إثرهن العطايا ، وبروق السحاب قبل رعوده

فأقام البرق مقام الضحك ، والرعد مقام العطايا ، وإنما كان يجب أن يقوم الغيث مقام العطايا لا الرعد ) . ثم يستطرد إلى تخطئة الشعراء القدامى فى المعانى ، ثم ينتقل إلى سرقات أبى تمام ويعود إلى تخطئته فى المعانى ، ثم يعقد باباً لما فى شعر أبى تمام من قبح الاستعارات ، وباباً فى سوء نظمه وتعقيد ألفاظ نسجه ، ثم باباً فيما كثر فى شعره من الزحاف واضطراب الوزن ؛ وينتقل بعد ذلك إلى البحترى فيسلك فى الكلام عنه الطريقة التى سلكها فى الكلام عن أبى تمام ؛ ثم يخلص إلى الموازنة بين الشاعرين فيقول : « وأنا أذكر بإذن الله الآن فى هذا الجزء المعانى التى يتفق فيها الطائيان فأوازن بين معنى ومعنى ، وأقول أيهما أشعر فى ذلك المعنى بعينه . فلا تطلبنى أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندى على الإطلاق ، فإنى غير فاعل ذلك ؛ لأنك إن قلدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد ، وإن طالبت بالعلل

والأسباب التي أوجبت التفضيل فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمي من نعت مذهبيهما وذكر مطلوبيهما في سرقة معاني الناس، وانتحالها وغلطهما في المعاني والألفاظ، وإساءة من أساء منهما في الطباق والتجنيس والاستعارة ورداءة النظم واضطراب الوزن وغير ذلك مما أوضحته في مواضعه وبينته، وما سيعود ذكره في الموازنة من هذه الأنواع على ما يقوده القول وتقتضيه الحجة، وما ستراه من محاسنهما وبدائعهما وعجيب اختراعهما، فإني أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما في الأشعار التي أرتبها في الأبواب، وأنبه على الجيد وأفضله على الرديء، وأبين الرديء وأرذله، وأذكر من علل الجميع ما ينتهي إليه التخليص وتحيط به العناية، ويبقى ما لم يمكن إخراجه إلى البيان ولا إظهاره إلى الاحتجاج، وهي علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة. وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج، وإلا لا يتم ذلك، وأكلك بعد ذلك إلى اختبارك، وما تقضي عليه فطنتك وتمييزك»

(للكلام بقية) أحمد حسن الزيات

من التاريخ الإسلامي:

# قضية سمرقند (*)

للأستاذ علي الطنطاوي

كانت ليلة ميتة لا يتردد في صدرها نفس من نسيم، ولا تبدو فيها حركة حياة، عمياء لا تبصر فيها عين من نجم يسطع في السماء، أو مصباح يزهر على الأرض، وقد آوى كل حيّ في (سمرقند) إلى مضجعه، ونامت المدينة تحت أثقال من الصمت والظلام، ولم يبق متيقظاً فيها إلا هذا الرجل الذي خرج من داره، يخوض لجة الليل ماراً إلى غايته، ولا يقف ولا يلتفت حتى بلغ قصر الأمارة فألقى عليه نظرة، لو كانت نظرة تحرق لأحرقه الشرر المتطاير منها، ثم أوسع الخطو، وأسرع كأنه يريد أن يجنب نفسه مرأى هذا القصر، وأن يسابق الزمن إلى هدفه الذي يرمي إليه ...

وفارق المدينة واحتواه الغاب، وطنّت في أذنيه أصوات هوامه وحشراته، وكان الغاب موحشاً غارقاً في ظلمتين، ظلمته وظلمة الليل ... ولكن الرجل لم ينتبه إلى وحشته وظلامه، وقد كان له من ضخامة المطلب الذي يسعى إليه، وعظم الخطر الذي يقدم عليه، شاغل عن التفكير في ثقل هذه الليلة، وانفراده في الغاب، والخوف من أن تنشقّ هذه الظلمة المتراكبة حوله عما يؤذي ويروع ... حتى إذا بلغ الصخرة التي تقوم عند باب المعبد وقف وأحجم، وخالطته هيبة شديدة، ووقر على صدره شيء لم يجد مثله في الغاب الموحش، ولم يكن غلاماً تفزعه الأشباح، ولا كان الجبان الرعديد، ولكن ما وضعوه في نفسه وهو صغير من أسرار المعبد وعجائبه، جعله يشب ويكتهل ولا يزال أمامه مثل الطفل الصغير وكان فارس البلد غير مدافع، وبطل المعارك المكفهرة، ولكن المعبد غير الميدان، ولئن واجه في الميدان رجالا مثله، ففي المعبد قوى لا يراها، وخفايا لا تصنع معها شجاعته شيئاً ... ولم يدخله قط، إنما يدخل المعبد هؤلاء النفر من الشيوخ الذين مارسوا من أنواع العبادة والرياضات ما جعلهم أهلا لدخوله، ثم لا يخرجون منه أبداً، ولا يجوز لهم أن يعودوا فيروا نور الشمس ولا زهر الروض، وكان يشعر بأن لهؤلاء الكهنة مهابة في قلبه ومحبة، ويحسّ بالخوف منهم وهو الذي يواجه الأبطال الصناديد، ويقدم على الموت الأكيد غير خائف ولا وجل. وطال وقوفه عند الصخرة وهو يتهيب أن يقرعها بيده على نحو ما أمروه أن يفعل إذا هو وصل ... وجعل يحدق في الظلام فرأى كأن شخصاً عظيم الهامة، له لحية بيضاء عريضة قد نبع من الأرض، ففزع وارتاع، ولكنه سمع صوتاً إنسانياً يناديه باسمه ويدعوه إلى أن يتبعه، فعلم أنه الحارس الموكل بباب المعبد، فلحق به وقلبه يخفق تطلعاً إلى ما وراءه من خفايا وأسرار، فاجتاز به سرداباً طويلا ملتوياً تضيئه مصابيح نحاسية منقوشة، يخرج منها لهيب أزرق يتراقص فيلقي على الجدران

(*) النص التاريخي لهذه القصة في ستة أسطر من الصفحة (٤١١) من فتوح البلدان للبلاذري طبعة مصر ١٩٣٢).

الصخرية ظلالا عجيبة ، وفى السرداب تماثيل ( آلهة) ذات صور بشعة مرعبة ، يومض من عينيها ضوء أحمر فيكون لها منظر يخلع قلوب الجبابرة ... وفى السرداب شقوق يدخل منها الهواء فيصفر صفيراً مخيفاً كأنه صوت سرب من البوم ... ثم دخل به غرفاً منقورة فى الصخر حتى انتهى به إلى قاعة الكهنة الذين لا يراهم أحد لأنهم لايخرجون من المعبد ، وقلّ أن يدخلوا أحداً عليهم ، والذين كانوا هم حكام البلد وملوكه وأصحاب الكلمة فيه ، لا يجرؤ على مخالفة أمرهم أحد إلا حقّت عليه لعنة ( آلهة ... ) المعبد ، ذات الوجه البشع المرعب ...

* * *

لم يستطع الرجل من دهشته أن يدير نظره فيما حوله ، أو أن يملأ عينيه من الكهنة ومن كان معهم ، وسمع كلاما ينصب فى أذنيه بصوت خافت رهيب كأنما هو يسمعه حالماً ... وفهم أن المتكلم يذكر ماضى سمرقند وسالف مجدها ، وكيف هبط عليها هؤلاء المسلمون هبوط البلاء ، فأزاحوا عرشها ، وحطموا جيشها ، وحكموا وملكوا أمرها ، ثم أفاض فى الكلام على الخطة التى اختطها لإفساد أخلاقهم ودينهم ، وإضعافهم وإلقاء الخلف بينهم ، وكانت خطة شيطانية ارتجف لسماعها ، ثم عاد المتكلم فقال :

— غير أنا رأينا أن نرجئ خطتنا ، ونرمى آخر سهم فى جعبتنا ، وذلك أنا سمعنا أن لهؤلاء القوم ملكاً عادلا يقيم فى دمشق ، فأزمعنا أن نرسل إليه رسولا يرفع إليه شكايتنا ، ويشرح له مظلمتنا ، ثم نرى ما هو فاعل ، وقد اخترناك لمعرفتك العربية وجراءة جنانك لتكون أنت الرسول ؛ فهل أنت راض ؟ قال : نعم . قال : امض بتوفيق الآلهة ... !

* * *

وخرج وما تسعه من فرط الزهو الأرضُ ، وأحس من الخفة والنشاط أنه سيطير ، ورأى ظلامَ الليل أبيضَ مضيئاً ، ولقد اعتدّها نعمة كبرى أن دخل المعبد وكلم الكهنة ، وكان موضع ثقتهم ونجواهم ، وأن أولوه شرف القيام بأضخم مهمة عهدوا بها إلى أحد ، وشعر أن حرية قطر سمرقند وشرفه فى يمينه ، وأنه هو المحامى عنه والمنافح دونه ، وكان لفرط شجاعته يتمنى لو كلفوه حرب المسلمين وإخراجهم من بلده ، ولم يكن يعرف مبلغ قوتهم ، وجلال ملكهم ، وأن هذا القطر كله فى جنب دولتهم كالساقية التى جاءت تغالب البحر ... ولو مدّ البحر وأزبد وهاج لا قتلع الساقية من منبعها فشربها فضاعت فيه فلم يبق لها أثر ، فلما شد رحاله وسافر ومضى يقطع الليالى الطوال ، والأسابيع والشهور ، وهو لايفتأ يمشى فى ظلال الراية الاسلامية المظفرة ، لم يلق عصا التسيار ولم يبلغ العاصمة ... من سمرقند إلى بخارى إلى بَلْخ إلى هرات إلى قزوين إلى الموصل إلى حلب إلى دمشق ... دنيا من الخصب والحضارة والمجد ، وبلاد كانت ممالك كثيرة ما مملكة منها إلا وهى أعظم وأضخم من سمرقند ...

وما سمرقند فى جانب ملك كسرى وخاقان ؟ فأين ملك خاقان وكسرى ! لقد ابتلعته المدينة المتوارية بين الحرّتين وراء رمال الجزيرة ، تلك القرية التى هزّها محمد بيمينه ، فولدت الأبطال الذين انتشروا فى آفاق الأرض وملكوها ... وأنبتت رمالها جنات الشام والعراق وفارس وخراسان ... وهذه البلاد الخصبة المرعة التى ليس لها آخر ... وكان كلما تقدم ورأى جديداً من دنيا الاسلام تمتلىء نفسه فرقاً من لقاء الخليفة ...

وأفاق يوماً من ذهوله ، بعد ما صرم فى هذه الرحلة أشهراً ، على صوت الدليل ، وهو يهتف باسم ( دمشق ) .

هذه دمشق سرة الأرض ؛ هذه سدة الدنيا ، هنا التُّقى والعلى والمجد والغنى والجلال والجمال ... من هنا تخرج الكلمة التى تمضى مطاعة حتى تنتهى إلى بلده سمرقند ، وتمضى من هناك حتى تبلغ أرضاً أبعد وأنأى ، حتى تجوز أسبانيا ، هنا يقيم الرجل الذى ملك ما لم يملكه فى سالف الدهر قيصر ولا كسرى ولا الاسكندر ولا خاقان ... والذى لا يجد من جبال الصين إلى بحر الظلمات من يخالف عن أمره ، أو يردّ قوله ...

ولكن كيف الوصول إليه ؟ وأنّى لغريب منكر مثله بالدخول عليه ؟ وخالط قلبه اليأس ... فسأل عن خان ينزل فيه فأرشد إلى خان أمضى فيه ليلته ، فلما أصبح أخرج ثيابه فلبس أحسنها ، وخرج ليلقى الخليفة ... وأقبل على أول إنسان لقيه يريد أن يسأله عن ( القصر ) ، فاعترته هيبةٌ شديدة ، وخاف من مواجهة الرجل الذى يحكم نصف الأرض ، والذى لا يبلغ ملك

شاهنشاه العظيم ولاية واحدة من ولاياته ، يحكمها أمير من أمرائه ... وذكر كيف كانت تتصدع الأفئدة خوفاً من لقاء كسرى ، وتقف الملوك على بابه ، وكيف كان يقتل على الظِّنَّة ، ويأمر بضرب عنق الرجل يقول كلمة لا تعجبه ، أو يأتيه في ساعة يكون فيها لَقِسَ النفس ضيق الصدر ، وتلمَّس عنقه وتخيَّله من الفزع مضروباً ، وتصور رأسه طائراً عن جسده ، فطارت معه حماسته وشجاعته ... وكره لقاء الخليفة ، وفكر في العودة إلى بلده سالماً قبل أن يحيق به مصاب لا ينفعه معه مجد يناله ، ولا وطن يحرره ، ولا كاهن يرضيه ... وغرق في مخاوفه وأفكاره ، وجعل يسير على غير هدى ، وكلما مرَّ على قصر من قصور دمشق ، ورأى بهاءه وعظمته ظنه قصر الخليفة ، تخفق قلبه واضطرب ... حتى رأى قصراً ما له في جلاله نظير ، له باب هائل ، عرضه مثل الشارع العظيم ، له قوس مشمخرة عالية ، ذات مقرنصات ونقوش ، قائمة على اسطوانتين من المرمر الصافي ، ورأى الناس يدخلون ويخرجون لا يسأل أحد أحداً ، ولا يمنعه حاجب ولا بواب ، فأيقن أنه قصر الخليفة ، وتشجع وشدَّ من عزمه ودخل يقدم رجلا ويؤخر أخرى ... فلما لم ير أحداً قد منعه سكنت نفسه ، ونظر فإذا هو في صحن واسع ، إذا كنت في طرفه لا تستطيع أن تتبيَّن من هو في الطرف الآخر ، قد فرشت أرضه بناصع الرخام فهو يلمع كالمرايا ، والناس يجلسون عليه ، وحوله جدران عالية ، ما رأى قط بناء أرفع منها ، وهي مزخرفة بأعجب الزخارف والنقوش ، وفي وسط الصحن بركة واسعة يتفجر منها الماء ، فيضرب به شعاع الشمس فيكون له منظر عجيب ... ونفذ من الصحن إلى قاعة لا تقل عنه سعة ، ولا يدانيها بهاء وجمالا ، قد قام سقفها على أساطين الرخام ، تحمل أقواساً فوقها أعمدة أصغر منها ، فوقها أحناء وطاقات معقودة ، تتدلى من السقف سلاسل الذهب والفضة تحمل المصابيح والثريات ، وجعل يمشي خلال الناس ذاهلا ، لا يدري ماذا يصنع فاصطدم برجل كان يقوم ويقعد ويذكر اسم الله ... وتلفت الرجل إلى اليمين وإلى الشمال ، ونظر إليه فرآه غريباً ، فسأله عن حاله ، فسبق لسانه إلى الحقيقة فأخبره أنه جاء من بلده يريد لقاء الخليفة ، ثم تنبه وقدر أن الرجل سيرتاع لذكر الخليفة بلا تعظيم ولا تبجيل ، وأنه سيدفعه إلى الشرطي فيستاقه إلى السجن ... فرأى الرجل ساكناً هادئاً كأنه لم يسمع نكراً ، وسمعه يقول له :

— أتحب أن أدلك على داره ؟

— قال : أوليست هذه داره ؟

— قال الرجل مبتسماً : لا هذا بيت الله ، هذا المسجد ، أصليت ؟

صلى ؟ وكيف يصلي وهو على دين سمرقند ، ذلك الدين الذي لا يعرف منه إلا هذا المعبد المملوء بالأسرار ، وتلك الآلهة المخيفة ذات الوجه البشع المرعب ... وجعل يفكر : أين هذا المعبد من معبده المختبىء في بطن الصخر ، وأين هذا النور وهذا الجمال ، من تلك الظلمة وذلك القبح ؟ وشكَّ لأول مرة في عمره في دينه الذي نشأ عليه !

وأعاد الرجل سؤاله . فقال له : لا لم أصلِّ ، ولا أعرف ما الصلاة ...

— قال : وما دينك ؟

— قال : أنا على دين كهنة سمرقند ؟

— قال : وما دينهم ؟

— قال : لا أدري !

— قال : من ربك ؟

— قال : آلهة المعبد الرعبة ...

— قال الرجل : وهل تعطيك إن سألتها ؟ وهل تشفيك إن مرضت ؟

— قال لا أدري ...

ورآه الرجل ضالا جاهلا ، فألقى في هذا القلب الخالي أصول الدين الحق بوضوحها واختصارها وجمالها ، فلم تكن إلا ساعة حتى صار رسول كهنة سمرقند مؤمناً بالله ورسوله محمد الذي جعل الله به العرب سادة الدنيا ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ...

ثم قال الرجل قم الآن أدلك على دار الخليفة ، وإن كانت هذه هي الساعة التي يعالج شأنه فيها وشأن عياله ، وينفرد بنفسه .

وتبعه وهو يفكر في جمال هذا الدين وسموه ، وقد زالت الغشاوة عن عينيه فأدرك الآن سرَّ هذه الفتوح وهذه القوة التي لم يقم لها شيء . أين هذه الديانة السافرة الواضحة التي تجعل كل

# تونس المجـــاهدة ...

## أليس لها من نصير ؟

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

يا له من ظلم عبقرى ، وجور ليس له ضَهِى [١] ، ذلك الذى تصبه فرنسا ورجالها المستعمرون على القطر العربى تونس من سوط العذاب ، لا تعرف فى ذلك عدلا ، ولا ترعى عهداً ، ولا يصدفها [٢] عن البغى حق إنسانى ، ولا كرامة أدبية ، ولا حرمات واجبة الرعاية ، حتى صار أحب الأشياء إلى القاسطين من رجالها ، وذوى الغشمرية من ممثليها فى تلك البلاد أن ينكلوا بأبنائها ويسوموهم الخسف ، ويذيقوهم ضروب العذاب وألوان النكال !

هل أتاك حديث هؤلاء الفرنسيين وما اكتسبوا من سيئات؟ وهل قرع سامعتيك — فى هذا الوقت الذى يتشدق فيه الدعاة بمبادئ الديمقراطية والحرية — نبأ تلك الفظائع والقوارع التى يشيب من هولها الولدان ، وتقشعر من سماعها الأبدان ، إذ اندلعت نيران الثورة بإقليم الساحل من القطر التونسى ، لما شعروا به من فداحة الظلم وثقل الجور واهتضام الحقوق . فاندفعت الجنود والكتائب الفرنسية نحو القرى الآمنة ، واقتحمت الدور الوادعة ، وأهلها عزل من كل سلاح إلا سلاح الحق والإيمان ، فاعتقلوا الرجال ، وأخذوا الرهائن ، وانتهبوا البيوت ، ودكوها بمعاول الهدم والتخريب !

ولم يكتف هؤلاء الجنود ومن يأتمرون بأمرهم من الرؤساء بهذا العدوان الآثم ، وهذه الجرائم التى لا يقرها عرف ولا قانون ، فطوعت لهم أنفسهم إحياء ما كمن فيها من غرائز دونها غرائز الحيوان الذى حرم نعمة النطق والتفكير والتربية والتهذيب، فاستباحوا الحرمات ، وهتك العلوج أعراض النساء المسلمات ، وعرضوهن عاريات ، إمعاناً فى التنكيل ، وإيغالا فى الإذلال والتعذيب [١] ! !

فكيف تستطيع فرنسا وقد اجترح رجالها هذه السيئات ، واقترف جنودها تلك الآثام أن تواجه الأمم المتحضرة وتجلس معها جنباً إلى جنب ، وتشترك معها فى تقرير مصاير الأمم وحرياتها ، وأن تدعى لنفسها أنها ميزان من موازين القسط ، وأنها من سدنة الحرية والإخاء والمساواة ؟ !

(١) ضهى : شبيه (٢) يصدفها : يصرفها

(١) راجع صحيفة المصرى الصادرة فى ١ — ٧ — ١٩٤٦

---

واحد من أتباعها كاهناً لها ورجلَ دين ... من تلك الديانة المجهولة الخفية ... أين ...

وخرج من المسجد ، من باب غير الذى دخل منه ، فما راعه إلا الرجل يقول له ، مشيراً إلى باب من ألواح الخشب ، غير مصبوغة ولا منقوشة : هذه داره !

هذه ؟ ! أيمكن أن تكون دار الخليفة دون دور السوقة من رعيته ، وقد مرّ عليها فرأى فيها بهاء وجلالا ؟ ونظر إلى الرجل يحسبه يسخر منه فرآه جاداً ، فتركه وتقدم من الباب وهو شاك فيما قال الرجل ، ونظر فرأى كهلا قائماً يصلح بالطين جدار المنزل وامرأة تعجن ... فترك الباب ولحق بالرجل مغيظاً محنقاً فقال له :

— ما كان لك أن تكذب علىّ وتسخر منى ، أسألك عن دار الخليفة فترشدنى إلى دار طيان ؟

— قال : ومن الطيان ؟

— قال : صاحب الدار .

ووصف له ما رأى .

— قال الرجل : ويحك هذا والله أمير المؤمنين الذى ليس فوقه إلا الله . وهذه المرأة ، ألا تدرى من هذه المرأة ؟ هذه زوجة الخليفة عمر وبنت الخليفة عبد الملك، وأخت الخليفتين الوليد وسليمان ، وأخت هشام ويزيد وسيكونان خليفتين ، هذه أمجد امرأة فى العرب ، ولقد كان أمير المؤمنين أرفه الناس عيشاً ، وأكثرهم طيباً . ولكنه كان رجل فيه عرق من عمر بن الخطاب فنزع به عرقه من عمر إلى ما ترى ، فعد إليه فاقرع بابه وانفض إليه شكاتك ، ولا تخف ، فوالله ماهو بالملك المتكبر ، ولا الحاكم الجبار ، ولكنه عند الله متواضع هيّن ليّن ، فاذا رأى الحق أمضاه فلم يقف دونه شىء ، وإذا غضب لله كانت العواصف والصواعق دون غضبه قوة ونفاذاً ... فاذهب موفقاً .

( البقية فى العدد القادم )

**على الطنطاوى**

ألا إنهم يخادعون الناس ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ! !

هذه الأمة التونسية كرمت محتداً وطابت أرومة : إنها عربية تجرى فى عروقها فضائل العرب ومزاياهم من الشهامة والبسالة والنجدة ، والانطباع على الشجاعة وحب الحرية والذود عنها ، ومقت الذل ، وإباء الضيم ، والحرص على الشرف والكرامة

وإنها لمسلمة قد أشربت حب الإسلام ، واستمكنت وصاياه ومبادئه من نفسها حتى سِيط بلحمها ودمها ، فأيقنت أن الإسلام والذلة لا يجتمعان ، وآمنت بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وعرفت أن من أجلّ تعاليم الإسلام ووصاياه الجهاد فى سبيل الله والحق ، الذى يراد منه دفع الفتنة والبلاء ، ويراد منه دفع العدوان عن الوطن والبلاد ، ويقصد منه رد الاعتداء على الأنفس والأعراض والأموال والحق والحرية لا يقومان فى هذه الحياة إلا على أساس الجهاد المشروع والدفاع المحتوم الذى لا محياص عنه ولا مناص . فجهاد تونس وسائر الأمم التى سلبت حريتها مشروع ، ولاشك فى مشروعيته ولا امتراء ، وما أصيبت البلاد الشرقية بما أصيبت به إلا من التقصير فى أداء هذا الواجب ، والتفريط فى المحافظة على هذا السياج الذى هو السبيل الوحيد لحماية الحق وحفظه :

« إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ، يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » !

أدّت الأمة التونسية ، وستؤدى واجبها فى الدفاع عن حريتها وحقوقها وبلادها ، وستنهض بأعباء ذلك كله غير حافلة بالضحايا تقدمها ، والدماء الطاهرة تسفكها ، والأنفس والأموال تبذلها .. !

ولكن الأمم العربية والإسلامية عليها تبعات وواجبات لهذه الأمة المظلومة المضطهدة ، ستسأل عنها أمام الله ، وأمام التاريخ والأجيال القادمة !

إن تونس المجاهدة العانية ، والجزائر المغلولة المصفدة ، ومراكش المغلوبة على أمرها ، لا تقل مآسيها وكوارثها عن الخطر الداهم والبلاء النازل بفلسطين . فعلى الأمم العربية والإسلامية أن ترعى قضايا أمم المغرب العربية الإسلامية كما ترعى قضية فلسطين!

وإنا لنطالب الجامعة العربية بمزيد من العناية والرعاية لتلك القضايا ، حتى تتم للجامعة وحدة أبنائها فى المشرق والمغرب ، وتتحقق عزتهم ، ويتمتعوا بحقوق السيادة والإنسانية . وستظل الجامعة العربية — فى رأينا — ناقصة البنيان غير عالية الذرا ، حتى تضم إليها تلك الأمم ، وتكفل لها حياة العزة والكرامة ، وعيشة الرغد والسعادة . وإنى لأرفع الصوت عالياً مناشداً الأمم الإسلامية والعربية ، وحكوماتها فى اليمن والحجاز والعراق وسورية ولبنان ومصر والهند ، أن يهبوا لنصرة إخوانهم المستضعفين بشمال أفريقية ، وذلك بالاحتجاج على دولة فرنسا ، وتبليغ سفراء الدول وهيئة الأمم المتحدة صيحاتهم واستنكارهم لموقف فرنسا حيال الأمة التونسية ، كما نرجو من الجامعة العربية أن تختار من هذه الأمم المظلومة من يمثلها فى الجامعة ، حتى تبدأ نشاطها الفعلى فى الدفاع عنها ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، وهو ولىّ العاملين وناصر المجاهدين !

**حسن أحمد الخطيب**

بمناسبة عيد العمال اليوم :

# واجبات الإنسان ...

للزعيم الإيطالي يوسف مزيني

بقلم الأستاذ عامر عبد الوهاب

( تتمة ما نشر في العدد الماضي )

لقد كان في فرنسا في ذلك الوقت كاتب يجب ألا تنسوه أبدا . كان أكبر عقلا وأرجح فكرا من كل أولئك جميعاً . كان حينئذ خصمنا ولكنه كان يؤمن بالواجب ، وواجب تضحية الحياة جميعها للصالح العام والسعي وراء الحقيقة ونصرتها . درس الناس والظروف دراسة عميقة ، ولم يقبل أن يضله غرور الثناء أو يثبط اليأس عزمه . فكان إذا سار في طريق وفشل لجأ إلى سبيل آخر سعياً منه وراء تحسين حال الجماهير . ولما أرته الحوادث أنه لا يوجد غير قوة واحدة قادرة على تحقيق هذا الغرض ، أي حينما أثبت الشعب أنه في ميدان العمل أفضل وأصدق إيمانا من كل من يتظاهر بخدمة قضيته أصبح ذلك الرجل ( لامينيه ) Lamennais مؤلف كتاب ( كلمات مؤمن ) الذي قرأتموه جميعا ، أصبح رسول القضية التي تجمعنا فيها آصرة الأخوة . إنكم ترون بينه وبين الرجال الذين تحدثت عنهم الفارق بين أصحاب نظرية ( الحقوق ) وبين دعاة الواجب . فالأولون حينما يحصلون على حقوقهم الذاتية يغشى نفوسهم ميل رجعي فيجمد بهم العزم عن متابعة الجهاد . أما الأخيرون فلا ينتهي عملهم في هذه الأرض إلا بانتهاء حياتهم .

وإذا كانت هناك شعوب يغلب عليها الاستعباد ، ولا يسلم فيها الكفاح من ألوان الظلم والإضطهاد ، ولا تكاد تتحقق فيها خطوة واحدة نحو الإصلاح إلا ببذل النفوس وإراقة الدماء ، وحيث يلزم أن تكون المساعي المبذولة في محاربة المظالم العليا محوطة بسياج من الكتمان والخفاء ، غنية عن سلوى الشهرة ونشوة الثناء أي عهد وأي حافز على المثابرة يحمل ناساً في تلك الشعوب على الثبات في سبيل التقدم بينما هم ينحدرون بالجهاد الشعبي المقدس إلى حضيض النزاع من أجل حقوقهم فحسب ؟

أرجو أن تذكروا أني أتكلم عن العموميات لا عن الشواذ التي تعرض في جميع مذاهب الفكر . وإذا فرضنا أن فترت الحماسة ، وضعفت نزعة محاربة الظلم ، هذان العاملان اللذان يحفزان الشباب بطبيعة الحال على الكفاح ، ماذا يمنع حينئذ أن يتسرب الإعياء والملل إلى نفوس أولئك الرجال ، ولم يمض عليهم في الجهاد غير بضع سنين لقوا فيها من أسباب الحبوط والقنوط ما لا مرد له في مثل هذا السبيل ؟ لماذا لا يفضلون أي لون من ألوان الدعة على حياة مضطربة يهيجها النزاع الدائم وتحيق بها الأخطار من كل جانب ، وليس ببعيد أن تنتهي يوما ما في قرارة السجون أو على حبال المشانق أو في غياهب النفي ؟ تلك هي القصة الشائعة في هذا العصر عن أغلب الإيطاليين الذين تشبعت أفئدتهم بالأفكار الفرنسية العتيقة ، وإنها لقصة مفجعة حقا . ولكن كيف يمكن تغييرها إلا بتغيير المبدأ الذي يترسمونه ويسترشدون به ؟

كيف وعلى أي اعتبار نحملهم على أن يستلهموا من الخطر والفشل حافزا يضاعف قوتهم ، وعلى ألا يقفوا بالجهاد بعد عدة سنين بل يثابروا عليه حتى الممات ؟

من ذا يقول لإنسان : ثابر على الكفاح من أجل حقوقك ، إذا كان هذا الكفاح نفسه يكلفه أضعاف ما يكلفه التنازل عنها ؟

وحتى لو كان هناك مجتمع قائم على أساس يفوق أساسنا نصفة وعدلا فمن ذا يستطيع في هذا المجتمع أن يقنع فردا آمن بنظرية الحقوق فقط بأن عليه أن يسعى لأجل الغرض العام ، ويبذل جهده في نصرة القضية الاجتماعية ؟ لنفرض أنه ثار وأنه أحس في نفسه القوة فيقول لك : مالي وللعهد الاجتماعي ؟ لا بد لي أن أنكث به لأن ميولي ومداركي تتجه بي ناحية أخرى . ولي حق مقدس مطلق في أن أفسح لها طريق الظهور والنشوء ، وأفضل أن أكون في حرب مع كل إنسان فأي جواب حينئذ تردون به عليه بينما هو يستمسك بنظريته في الحقوق ؟ وأي حق لكم لأنكم أغلبية في أن ترغموه على طاعة قوانين لا تتفق ورغباته وأمانيه الشخصية ؟ .. وأي حق لكم في معاقبته إذا ثار عليها ؟

وإذا كانت الحقوق تتقسط كل فرد على السواء حتى لم يعد هناك مجال لأن يظهر فرد مستقل بنفسه عن باقي الأفراد الذين

يعيشون معه فى هيئة واحدة . وإذا كان المجتمع لا يزيد عن الفرد حقوقاً ، وإن زاد عنه قوة فكيف إذن ترومون أن تقنعوا الفرد بأن يدع إرادته تفنى فى إرادة أولئك الذين هم إخوانه سواء فى الوطن أو فى الرابطة الكبرى رابطة الإنسانية ؟ أيكون ذلك عن طريق الإعدام أم عن طريق السجن ؟ إن الجماعات التى عاشت حتى الآن استخدمت هاتين الوسيلتين ، بيد أن ذلك هو سبيل الحرب ، أما نحن فنبغى السلام .

ذلك ضغط تعسفى ، أما نحن فنريد التهذيب .

نقول التهذيب ، وإنها لكلمة كبيرة تلخص نظريتنا كلها . أليست المسألة الحيوية التى تشغل عصرنا هى مسألة التربية ؟ لهذا يجب علينا ألا نقيم نظاما جديدا على أساس العنف . ذلك لأن أى نظام يقوم على هذا الأساس لا بد أن يكون نظاما جائرا حتى ولو كان أفضل من سابقه . إن علينا أن نستعين بالقوة فى هدم القوة الغاشمة التى تعترض الآن كل سعى فى الاصلاح .

وبعد ذلك نبدى ما نعتقد أنه أفضل النظم لتبت الأمة فيما تبتغيه منها . وهى حرة فى إبداء إرادتها . كما نعلّم الأفراد بكل وسيلة ممكنة أن يتعهدوا ما يستقر عليه رأى الأمة ، وأن يسيروا وفاقا له فى أعمالهم . إن نظرية الحقوق تعيننا على أن نثور ونهدم الحوائل ولكنها لا تكفل وفاقا منيعا دائما بين جميع العناصر التى تتكون منها الأمة . إننا لن نصل بنظرية السعادة والرفاهة كغرض أولى للحياة إلا إلى تكوين رجال أنانيين يعبدون المادة وينقلون شهوات النظام القديم إلى النظام الجديد الذى لا يلبث أن يفسد فى بضعة شهور . لذلك كان لزاما أن نتفقد مبدأ من مبادىء التربية يسمو فوق أمثال تلك النظريات ويرقى بالناس إلى مثل فضلى ، ويعلمهم الجلد فى التضحية ، ويربط بينهم وبين إخوانهم دون أن يجعلهم يعتمدون على آراء رجل فرد ، أو على قوة المجموع . هذا المبدأ هو الواجب .

يجب أن نقنع الناس أنهم — وهم أبناء رب واحد — يلزمهم أن يطيعوا قانونا واحدا فى هذه الأرض ، وأن كلا منهم يجب أن يعيش لا لنفسه بل لغيره ، كما نعلمهم ألا يكون غرض حياتهم الحصول على قدر من السعادة قل أو عظم ، بل أن يسعوا فى تحسين وترقية حالهم وحال غيرهم من الناس . كما نذكرهم أن محاربتهم للظلم والضلال فى سبيل نفع إخوانهم ليست حقا فحسب ، بل واجباً حتمياً عليهم أبد الحياة . ومن الإجرام أن يتهاونوا فى نفاذ هذا الواجب .

أى إخوانى عمال إيطاليا ! افهموا ما أقول فهماً صحيحا صادقا . إذا قلت إن علم الناس بحقوقهم ليس كافيا فى أن يعينهم على نفاذ أى إصلاح دائم أو يعتد به ، فلست أسالكم أن تنبذوا هذه الحقوق ، إنما أقصد أنها لا يمكن أن تتحقق إلا كنتيجة للواجبات النافذة ، وأن على الإنسان أن يبدأ بالأخيرة كى يصل إلى السابقة . وإذا قلت إن اتخاذ السعادة أو الرفاهة أو المصلحة المادية غرضا للحياة ، إنما يؤدى إلى إخراج أناس أنانيين ، فلست أعنى ألا تسعوا مطلقا وراء هذه الأشياء ، بل أقرر أنه إذا جرى الناس وراء المصالح المادية فقط واعتبروها غاية لا وسيلة فانهم يسوقون أنفسهم إلى هذه النتيجة السيئة الخطيرة : ذلك أنه لما أصبح الرومان الأقدمون فى عهد الأباطرة لا يطلبون غير العيش واللهو تدهوروا إلى أحط دركات الشعوب . ولما استناموا إلى مظالم الأباطرة الوحشية الخرقاء كان حتما عليهم بعد ذلك أن يصبحوا عبيدا أذلاء للغزاة البرابرة

وفى فرنسا وغير فرنسا كان أعداء أى تقدم اجتماعى يجهدون فى نشر بذور الفساد ، وتضليل عقول الناس عن مناحى التغيير ، بتشجيع النزعات المادية ، فهل لنا بعد ذلك أن نعين العدو بأيدينا ! إن الإصلاح المادى ضرورى . وعلينا أن نسعى فى الحصول عليه لأنفسنا ، ولكن لا لأن الأمر الفرد المحتوم على الإنسان هو أن ينعم بالطعام والمسكن ، بل لأنكم لا تستطيعون أن تشعروا بشىء من الكرامة أو أى معنى من معانى سمو النفس إذا كنتم منهمكين كما أنتم الآن فى مغالبة مستمرة للعوز والفاقة . أنتم تشتغلون عشرا أو اثنتى عشرة ساعة فى اليوم ، فكيف تستطيعون أن تجدوا وقتا تثقفون فيه أنفسكم ؟ وأكثركم لا يكاد يحصل من الرزق على ما يكفى لإعالتهم أو إعالة أسرهم ، فكيف تستطيعون إذن أن تجدوا وسيلة لتثقيف أنفسكم ؟ إن زعزعة خدمتكم وما يعتريها من فترات الإنقطاع الكثيرة تتراوح بكم بين الجهدة والبطالة . فكيف تكتسبون عوائد النظام والمواظبة والمثابرة ؟ وزهادة أرزاقكم تذهب أى أمل فى توفير ما يكفى

يوما ما لنفع أولادكم أو عونكم أنتم فى شيخوختكم ؛ فكيف يتيسر لكم أن تربوا فيكم خصائل الاقتصاد ؟ بل إن كثيرين منكم تضطرهم الفاقة إلى أن يحرموا أطفالهم — لا نقول من مهاد التربية إذ أية تربية تستطيع نساء العمال البائسات أن يقدمنها لفلذات أكبادهن — بل يحرمونهم من حنان أمهاتهم ورعايتهن ، ويرسلونهم فى سبيل بضعة دريهمات إلى المصانع حيث يكابدون أعمالا ضارة بصحتهم . فكيف نأمل وهذه هى الحال أن تزهر المحبة العائلية ويسمو قدرها ؟

وإذا كنتم محرومين من الحقوق المدنية ومن الاشتراك — سواء بالانتخاب أو بالتصويت — فى القوانين التى تنظم أعمالكم وتتحكم فى حياتكم فكيف تشعرون بفخار القومية وتحسون بأية غيرة على الدولة أو ولاء أكيد للقوانين ؟ إن العدالة لا تقسط عليكم كما تقسط على الطبقات الأخرى فأنى لكم أن تتعلموا إجلال العدالة وحبها ؟ إن المجتمع لا يعاملكم معاملة فيها شىء من العطف فأنى لكم أن تتعلموا العطف على المجتمع ؟ فأنتم إذن فى حاجة إلى تغيير فى شؤونكم الحيوية يعينكم على رقيكم الأخلاقى ، وأنتم فى حاجة إلى الإقلال من العمل حتى تتوفر لديكم بضع ساعات من اليوم تنفقونها فى تثقيف عقولكم ويلزمكم أن تعوضوا عن عملكم جزاء موفوراً تدخرون منه ما يطمئن قلوبكم على المستقبل ، ويطهر نفوسكم فوق كل شىء من الميل إلى الاقتصاص وعواطف الانتقام وشهوة النيل ممن تحامل عليكم ظلماً وعدوانا . يجب أن تسعوا إذن من أجل هذا التغيير ، ولا بد أن تحصلوا عليه ، ولكن على أن يكون وسيلة لا غاية . جاهدوا من أجله لتصلحوا من أحوالكم لا لتحققوا سعادتكم المادية فحسب ، وإلا فأى اختلاف يكون بينكم وبين طغاتكم ؟ إنهم لم يكونوا طغاة إلا لأنهم لم يفكروا فى شىء سوى الرفاهة واللذة والسلطان . ويجب أن يكون غرضكم الأسمى فى الحياة ترقية حالكم . ولن تستطيعوا أبداً أن تخففوا من شقائكم إلا بإصلاح شؤونكم . أما إذا قصرتم جهادكم على تحقيق أغراض مادية أو إنشاء نظام خاص فلا بد أن يقوم بينكم آلاف من الطغاة . إن تغييراً يحدث فى النظام الاجتماعى لا يكون له معنى إذا حملتم فى قلوبكم أنتم وغيركم من الطبقات شهوات اليوم وأنانيته . إن النظم كبعض النباتات التى تخرج سماً أو شفاء ، وفاقا للطريقة التى تستخدم فيها . لذلك نرى الرجال الأخيار يحيلون الأنظمة الفاسدة صالحة ؛ بينما الرجال الأشرار يحيلون الصالحة فاسدة . وعليكم أن تقوموا الطبقات التى تجور عليكم اليوم قصداً أو عن غير قصد ، وتقنعوهم بما عليهم من الواجبات . بيد أنكم لن تفلحوا فى ذلك إلا إذا بدأتم بإصلاح أنفسكم ما استطعتم إلى ذلك سبيلا .

فإذا سمعتم إذن ناساً ينادون بضرورة انقلاب اجتماعى ويحدثونكم بأنهم قادرون على تحقيقه بدعوى حقوقكم فقط فاشكروهم على حسن مقاصدهم ، ولكن أشفقوا من النتيجة . إن آلام الرجل الفقير معروفة — على الأقل — للطبقات المترفة ولكنها إن عرفتها فهى لا تحس بها .

ولقد كان من نتيجة عدم الاكتراث السائد الذى نشأ من عدم وجود عقيدة عامة كما كان من نتيجة الأثرة التى ولدتها مداومة التبشير زمناً طويلا بنظرية الرفاهية المادية ؛ كان من نتيجة ذلك أن الذين لم يتذوقوا طعم الشقاء تعودوا على مر الأيام أن ينظروا إلى هذه الآلام كضرورة سيئة للنظام الاجتماعى ، وأن يتركوا أمر علاجها للأجيال القادمة .

وليست الصعوبة فى أن تقنعوهم ، بل فى أن تزيلوا عنهم كابوس الجمود ، وأن تحفزوهم إذا ما اقتنعوا إلى العمل وإلى لم شملهم ، والتعاون معكم تعاونا أخوياً فى سبيل خلق نظام اجتماعى يكفل القضاء — إلى الحد الذى تجيزه ظروف الإنسانية — على آلامكم أنتم ، وعلى مخاوفهم هم . والآن ندرك أن هذا من عمل الإيمان ، الإيمان بالرسالة التى قدرها الله على الإنسان فى هذه الدنيا . والإيمان بالمسئولية التى تقع على كل من لا يؤدى هذه الرسالة ، وبالواجب الذى يحتم على كل فرد أن يجاهد دواما باذلا التضحية الذاتية من أجل قضية الحق . أما نظريات الحقوق على شتاتها ، ونظريات الرفاهة المادية فليس لها من أثر غير أن تحملكم على القيام بالمحاولات التى طالما بقيت منفردة موقوفة على قوتكم فحسب ، فلن يقدر لها فلاح ، فضلا عن أنها لا بد أن تؤدى إلى ارتكاب أشنع الجرائم الاجتماعية بإثارتها حربا أهلية بين الطبقات .

أيها العمال الإيطاليون ! أى إخوانى ! لما أتى المسيحُ وغيّر وجه الأرض لم يتكلم عن الحقوق ، لا إلى الأغنياء الذين لم يكونوا فى حاجة إلى الحصول عليها ، ولا إلى الفقراء الذين ربما كانوا يسيئون استخدامها فى مجاراتهم للأغنياء . لم يتكلم عن الفائدة أو النفعية إلى أمة أفسدتها الفائدة وأضرتها النفعية ؛ إنما تكلم عن الواجب . تكلم عن المحبة والتضحية والإيمان . قال « يجب ألا يتصدّر الناس إلا من أحسن بعمله إلى الناس أجمعين » فما أن نفذت هذه الأفكارُ إلى سمع مجتمعٍ لم يبق فى فؤاده أىُّ بريق فى الحياة أحيته من جديد ، وتسلطت على الملايين بل على العالم ، ونهضت بتربية الجنس البشرى نهضة جديدة .

أيها العمال الإيطاليون ! إنا نعيش فى عصر كعصر المسيح . إنا نعيش فى وسط مجتمع فاسد شبيه بعصر الامبراطورية الرومانية ، ونحس فى نفوسنا بضرورة تغييره وبعثه بعثاً جديداً ، ولمّ جميع أعضائه وعمّاله تحت راية إيمان واحد ، وقانون واحد ، وغرض واحد . أى أن الواجب علينا أن نرعى جميع المواهب التى أنعم الله بها على عباده ، وأن ننشّئها على غرار الحرية والتقدم ، وأن نترسّم حكم الله فى الأرض كما فى السماء . أو بعبارة أفضل أن تكون الحياة الدنيا إعداداً للحياة العليا ، وأن يسعى الناس ليدنوا حثيثاً من الوحى الإلهى .

لقد كان كل عمل من أعمال المسيح يمثل العقيدة التى نادى بها ؛ كما كان حوله رسل أخرجوا هذه العقيدة إلى حيز الوجود فى كل أفعالهم . فسيروا على نهجهم ، وسوف يكون النصر لكم . بشّروا بالواجب إلى رجال الطبقات التى تعلوكم ، وأدوا بقدر ما فى مكنتكم واجباتكم أنتم . بشّروا بالفضيلة والتضحية والمحبة ، وكونوا أنتم مُثُلَ الفضيلة والتضحية والمحبة . اعلنوا فى شجاعة عن حاجاتكم وآرائكم ، ولكن فى غير غضب أو حقد أو تهديد . إن أبلغ التهديد — إذا كان هناك من هو فى حاجة إلى التهديد — لهو القول الرصين لا الفائر .

وإذ تنشرون بين أقرانكم فكرة عن حظوظهم المقبلة ، فكرة عن الأمة التى ستكسبهم اسماً وتربية وعملا وأجوراً عادلة وتبعث فيهم شعور الكرامة وتبوئهم مراكز الرجال ، وبينما تضرمون فى نفوسهم نيران الحماسة للجهاد المكتوم الذى لا بد أن يتأهبوا له حتى يفوزوا بتحقيق هذه الأمانى ، برغم جميع قوى حكومتنا السيئة ، وبرغم قوة الأجنبى . بينما تقومون بذلك كله فلا تنسوا أن تثقفوا أنفسكم ، وتهذبوا أحوالكم ، وتتذاكروا واجباتكم وتؤدوها .

هذا واجب غير ميسور على الجماهير فى جانب كبير من إيطاليا ، ولا يمكن تحقيق خطة فى التربية الشعبية فى بلادنا بدون تغيير فى حالة الشعب المادية . بل وبدون ثورة سياسية ، والذين يخدعون أنفسهم فيجرون وراء ذلك الخيال وينادون به كتمهيد لازم لأى محاولة فى التحرر إنما يدعون دعوة خرقاء ليس إلا . أما القلائل الذين يمتازون بينكم بظروف طيبة ، ومكّنتهم الإقامة فى البلاد الأجنبية أن يكتسبوا شيئاً من وسائل التربية الحرة ، فأولئك هم الذين يستطيعون أن يقوموا بهذا الواجب . ولذلك يتحتم عليهم أن يقوموا به ، وهؤلاء القلائل إذا ما تشبّعوا بالمبادئ الحقة التى ترتكز عليها تربية الأمة كانوا كفاية فى أن ينشروها بين الألوف كنبراس يهديهم سبيلهم ، وحصانة تحميهم من الأوهام والنظريات الخاطئة التى ستصادفهم فى حياتهم .

( ترجمة )

**عامر عبد الوهاب**

---

# صــور سودانية . . .

للاستاذ عباس حسان خضر

[ هذه الصور من وحى عهد كان لنا بالسودان ، وكان لنا فيه أهل بأهل وإخوان بإخوان . . . ]

**المقرن :**

هنالك على مبعدة من الخرطوم ومقربة من أم درمان[1] يلتقى النيلان : الأبيض والأزرق . وكم وقفت أشاهد هذا الاقتران الدائم الخالد ، وكم تفرجت بمرأى الموجة الزرقاء تجد فى أثر البيضاء ، هذه تتدلل وتلتوى ، وتلك لا تيأس ولا تنى ، حتى تدركها آخر الأمر ، فتمتزجان ... وقد تعطف البيضاء على الزرقاء ، فتسيران كحبيبين يمشيان الهوينى عِطفاً إلى عِطف ، حتى إذا قطعتا شوطاً أمنتا بعده أعين الرقباء امتزجتا ...

ولست أنسى تلك الليالى القمرية التى كان مديرو حديقة المقرن ينظمون فيها حفلات موسيقية راقصة ، ولم يكن همى أولئك الراقصات من بنات الروم اللائى يملأن الخرطوم ، ولا موسيقى الجيش المصرى — لم يكن أولئك ، وهن قيد النواظر ... ولا هذه ، على جلال خطرها ، ليمنعانى من التسلل بين الأشجار على شاطئ النيل الأزرق ، حتى أبلغ ذلك الرأس الذى ينتهى عنده الشاطئان المنتهيان ، فانظر كيف يتم اتحاد النيلين ، على اختلاف اللونين ... ثم يحتضن الشاطئان الباقيان النيلَ المتحد ، فيسير بينهما ، يبعث الحياة فى واديه ، ويومئ بالوحدة بين بنيه ...

**ساقية المرغنى :**

والنيل الأزرق قبل أن يلتقى بالأبيض يمر بشمال مدينة الخرطوم متجهاً إلى الغرب ، وعلى شاطئه مما يلى المدينة شارع طويل واسع جميل ، يبتدئ من شرق الخرطوم إلى غربها ، ثم يدعها سائراً مع النيل الأزرق إلى المقرن

(١) ليس التقاء النيل الأبيض بالأزرق عند الخرطوم كما يقول الجغرافيون ، وإنما هو أقرب إلى مدينة أم درمان ، وهو بعيد عن الخرطوم نحو ( ١٥ كيلو ) .

وذلك الشارع من أجمل شوارع الدنيا ... يقع فيه قصر الحاكم العام ، وقصر السيد المرغنى ، ومنزل مفتش الرى المصرى ، وفندق فخم يسمى ( الجراند أوتيل ) ، وما عدا ذلك دور لكبار البريطانيين . وقد وقفت على جانبيه أدواح ممتدة الأغصان كثيفة الأوراق ، تكاد تسقف الشارع ، فتقى السائرين لفحة الرمضاء ؛ ولا تقع العين من خلل أشجار الطوارين إلا على صفحة النيل الزرقاء الصافية من جانب ، وحدائق الدور الكبيرة الحافلة بشتى صنوف الثمار والأزهار من الجانب الآخر ، حتى تصل إلى قصر السيد المرغنى الزعيم الدينى الكبير الذى يلهج الشعب السودانى باسمه فى حركاته وسكناته — فترى هناك فى مقابلة هذا القصر على حافة النهر ساقية يجرها ثور ، تحمل الماء الى حديقة القصر ، وهى خاصة خُصَّ بها ذلك السيد الجليل ... ولا تستهن بهذا الغلام الذى يحث الثور إذا توانى ، فهو يشعر شعوراً قوياً ببركة سيده ، ويثلج قلبه للقيام بهذه الخدمة ، ويزدهى ببلوغه هذه المرتبة ... ترى ذلك على وجهه ، وتلمحه فى ابتسامته الراضية المفترة عن أسنانه البيضاء الناصعة ...

وبعد ، فما ذا تقول هذه الساقية ، أو عم تعبر موسيقاها الواهنة فى أنينها ... القوية بتأثيرها ؟

فهمتها مرة تتألم لوحدتها فى هذه البقعة التى جعلت الدنية فيها رفع المياه بالطرق الآلية الحديثة ، وبودها لو ترى لها جارات أمام قصور سادات كسيدها ... ومرة أخرى أدركت ما ترمى إليه من ترتيلها المتصل الدائب الذى لا ينقطع إلا إذا غفل الغلام عن وقفة الثور ، كأنها تدل على جدوى العمل المتصل فى يقظة الراعى ... ومرة ثالثة سمعتها تزهى بأنها تروى وتطرب ... وكثيراً ما قالت لى : أنت اليوم هنا ، وغداً تكون هناك فى الشمال ... فهل ستذكرنى ؟

**ربيع السودان :**

فى الوقت الذى يشتد فيه البرد بمصر حين يكون الشتاء — ينعم السودان بجو دافئ مشرق ، تنبعث فيه الحياة ، ويدب النشاط فى كل شئ ، ينشط الإنسان بعد أن ران عليه صيف طويل ثقيل ، وتهش نفسه للطبيعة التى لانت له بعد شدتها ، وتهدى

إليه الأزهار شذاها مع الهواء الذى ينسى برقته ما كان من لفحه وهبوبه[1] ، ويكون النبات الذى ترعرع على فيضان النيل قد نضج وآتى أكله ، فتكثر الخضروات ، وتعم الخيرات …

فى ذلك الوقت (من أواخر ديسمبر إلى أوائل مارس) يكون الجو فى السودان معتدلا ، لا يكاد الإنسان يشعر ببرد إلا فى الليل ، فإذا ما طلعت الشمس صبت حرارتها على الأرض كأنها مدفأة كهربية ، وكأن الأرض كلها غرفة عملت فيها المدفأة عملها ، فما ينتصف النهار ، وتحمى الشمس ، ويحل وقت الغداء ، حتى يلذ أكل البطيخ الدائم هناك ، كأنك فى صيف القاهرة !

ونحن فى مصر لا نكاد نتمتع بالربيع ، إذ ينقلب البرد إلى حر ، لا يفصل بينهما إلا أيام قليلة كأيام السعادة ، تشوبها تغيرات فجائية كما تشوب السعادة طوارئ الهموم والأكدار ؛ أما السودان فإن الطبيعة تعوضه الربيع ( الذى يسمونه شتاء ) عن قسوتها عليه سائر العام بطول الصيف وشدة القيظ

**جمال الليل :**

ولولا ليالى الصيف الجميلة لكان شواظاً من نار ، فالليل هناك فى الصيف متعة أى متعة ! لا يجلس أحد ولا ينام تحت سقف ، فلكل بيت له حديقة أو فناء ، حيث توضع (المنجريبات) فى المساء ، و ( المنجريب ) : سرير صغير ، خفيف المحمل ، لين المرقد ، ولم أر أجمل من ليل كنت أقضيه على ( عنجريب ) فى حديقة منزلى بالخرطوم ، تتنزل إلىّ أشعة القمر من خلال أوراق الشجر ، كأنها روح من السماء يهبط على نفسى بالطمأنينة والرضى … وتنعشنى نسمات الليل الرفيقة ، وينقع غلتى كوز ماء من ( الزير ) الصغير الذى يأخذ من ( المنجريب ) مكان ( الكومدينو ) من السرير فى حجرة النوم …

وماء ذلك ( الزير ) فى ذلك الليل هو الذى يشبه عمر بن أبى ربيعة وَجْدَه بحبيبته بالوجد به إذ يقول :

قال لى صاحبى ليعلم ما بى : أتحب القتول أخت الرباب ؟
قلت وجدى بها كوجدك بالعذ ب إذا ما منعت طعم الشراب

**عيون المها :**

وما دمنا بصدد روائع فى السودان ، فلا مفر من تينك العينين اللتين تبدوان فى وجه المرأة السودانية ، ولا تكاد ترى منها غيرهما ، وهما حسبك ! فهى ملففة بالملاءة البيضاء ، ترى فتور عينيها فى مشيتها ؛ تصطنع الأناة والتمهل ، وتعد ذلك من تمام الجمال والدلال !

ولست أدرى ما ذا أقول فى تلك العيون ولم يدع الشعراء شيئاً يقال فيها إلا نسبوه إلى « عيون المها … ؟ » على أننى قد رأيت المها ، وتأملت عيونها ، فلم أجد فيها شيئاً من جمال عيون السودانيات …

ويظهر أن إخواننا السودانيين يخشون السهام التى تنطلق من تلك العيون ، فلم يسمحوا بعد للمرأة أن تنزل إلى جانبهم فى ميدان الحياة العامة ، فنواديهم خالية منها ، وهى تحوم حولها ، فما أشبه ذلك بما وصفه الشاعر :

كأن عيون الوحش حول خبائنا
وأرحلنا الجزْع[1] الذى لم يُثَقَّبِ

**عباس حسان خضر**

(١) الجزع : خرز فيه بياض وسواد تشبه به العيون .

(١) تهب فى السودان ريح شديدة تسمى ( الهبوب ) وهى تأتى بعد فترة سكون يشتد فيها الحر ، وتكون محملة بالرمال ، وتسوق سحاباً ثقالا ، ويخيل إلى من ينظر إلى مهبها أنها جدار قائم من الأرض إلى السماء ، فيظلم الجو ويشتد الأمر على الناس حتى تهدأ العاصفة بنزول المطر الغزير ، فيصفو الجو وتهبط درجة الحرارة ؛ ويكون ذلك فى يولية وأغسطس وقليل قبلهما وبعدهما ، وتسمى هذه الفترة هناك ( فصل الخريف ) .

*مما عثرنا عليه فى أضاميم ( الرسالة ) :*

# الملك الثـــائر ... !

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

**مقدمة :**

[ هذه الأقصوصة تحتوى نزعتين : النزعة الأولى سخط النفس من شرور الحياة وآلامها ، والنزعة الثانية تهوين أمرها على النفس، لأن رفض الألم رفض للسعادة ؛ إذ الاحساس الذى يحس السعادة لابد أن يحس الألم . ورفض الشر فى الحياة رفض للخير ، إذ الخير فى محاربة الشر، ولأن الرحمة نفسها التى تدعو إلى هذا السخط ما كانت تكون لولا الشر . والقصة هى قصة ملك عصى ربه وهبط إلى الأرض كى يدعو الناس إلى محو الشر فآذوه وأخذوا به كل شر؛ وخسر رضوان الله كما خسر رحمة الناس وعدهم ومحبتهم . والمراد العظة وتحبيب الحياة والثقة بالله ] .

نُبِّئتُ أن ملاكاً ثار من حزَنٍ     يسائل الله فى خلق الرزيئات

( قول الملك الثائر يناجى الله ) :

تكلمَ الشر فابعث منك هاتفة     من الجوامع تُرضى فى المناجاة[1]

الأرض منـــبره وهو الخطيب بها     يدعو النفوس إلى هُوْج المطيَّاتِ[2]

فارحم مسامع لم تسمع نجِيَّكَ أو     نفساً لضوئك ترنو فى الخصاصات[3]

وارحم عيونا إلى مرآكَ ظامئـــة     آبت من النحس فى شك كليلات[4]

إذن أعرْها لحاظاً منـــك صادقة     تدحو لهـا العيش محمود الصحيفات

وابعث لنا حكمة مما خُصصْتَ به     فحكمة لك تُطفى حرِ غُلاَّت

ندرى الوجودَ كما تدرى الوجود بها     ونرتضيــه بأرواح أبيَّـــات

(١) تكلم الشر أى أنه أغرى الناس بمغرياته وجوامع الكلم التى تجمع الحكمة العاملة المقنعة .

(٢) منبره أي منبر الشر فيرجو الملك من الله أن يبطل حجة الشر الخطيب بكلمة منه تجمع الحكمة. الهوج جمع، أى أن الشر يحمل النفس على الحمق والجنون .

(٣) نجيك أى نجواك والخطاب لله عز وجل، والخصاصات الثقوب، أى أن النفس تتطلع إلى ضوء الله من ثقوب باطل الدنيا الذى يحجب ضوءه .

(٤) آبت أى عادت ورجعت وكليلات أى متعبة .

فما الخلود ولا الفردوس من أرَبى     ولا كِلالٌ لمعصـــوم السجيات[1]

حتى أرى الناس لا دمع ولا حزَنٌ     ولا شقاء بإجرام وغمَّات

سأبلغ الأرض آسَى مثلما حزنوا     وأبرئُ الناس من جرح البليات[2]

إن الجهاد على النقص الذى طبعوا     عليه أفضل من عصم السجيات

فالسيف أفضل مشهوراً وإن صدئت     بالصون ما درنت منه بصفْحاتِ[3]

( صوت من السماء ) :

اهبط إلى الناس واندبهم إلى خلق     كما تشاء على تقوى وإخبات[4]

وارغب بهم عن شرور أنت ناقمها     وداوِ ما استطعت كلْمَ المصمئلات[5]

أوردْهمُ الخُلُقَ الأعلى لعل لهم     إلى الدنيات طبعاً غير منصات[6]

فان فشلت فلا غَرْوٌ فان لنا     فى الخلق حكمة مخبوء العلامات

( سعى الملك الثائر واضطهاد الناس إياه وفشله ) :

سعى إلى الناس ساع نحو خيرهمُ     يدرُّ للخير أرواحاً بكيَّات[7]

فياسعدهم لو أنهـــم جَنَبوا     ما يجنب السعدَ من حرص المباراة[8]

عزيز عاداتهـــم للشر رائدهم     كم قدسوا العادَ تقديس الديانات[9]

(١) أى أن الثائر يأبى كل هذا الخير ، والنعيم ما دام الشر والشقاء فى الحياة .

(٢) آسى أى أحزن من الأسى

(٣) أصلت السيف جرده من غمده وصدئ الحديد علاه الوسخ والصدأ ، ودرن أصابه الدرن أو الوسخ والتاء فى صدئت إشارة إلى صفحة السيف . والمعنى هو أن محاربة النفس للشر مع ما طبعت عليه من النقص أفضل كما أن السيف المستعمل أفضل من السيف الذى لا فضل فيه وإن أصابه الدرن من الاستعمال .

(٤) أخبت إلى الله خشع له .

(٥) الكلم الجرح والمصمئلات المصائب والكوارث واسطعت أى استطعت .

(٦) أوردهم أى اجعله موردا لهم ومنصات إلى الشىء أى منقاد إليه

(٧) الناقة البكى القليلة اللبن ، ويدر يستنزل الدر أى اللبن والمراد خير النفس .

(٨) أى إن جشع التنافس فى الدنيا مما تطلب به السعادة ولكنه كثيرا ما يؤدى إلى ضياعها

(٩) تقديس العادات ليس مقصوراً على العادات الفاضلة والعاد العادات

تبني المُحالَ فتبغي الخير أجمعه — هيهات لو عزّيت نفس بهيهات

كشّفتَ عيب نفوس أنت ناصحها

فاحمل عن الخلق آلام الشقاوات (١)

ثارت به الناس كالأغوال يقدمهم — إليه كل عريق في الجهالات

وحمّلوا خُلقه من سوء خلقهم — وكم رموه بأدناس الرمايات

ومزّقوه بأظفار كما خُضبت

فواتك الوحش من دامي الفريسات

وعلّقوه على جزعٍ وقيل له

اصعد كما رمت في مرقى السجيات (٢)

ماراعه أن رأى الأشرار ترجمه — وإن توجّع من وقع النكايات

حتى إذا ما رأى الأبرار تظلمه — غرارةً وانصياعاً للسّعايات

بكى لبعض ذوي خير ومامنيت — نفس بأوجع منه في العداوات

من كل لحظ بضوء الخير مُنبعثٍ

يدجو عليه بتقطيب السخيمات (٣)

تلك النفوس التي عاف السماء لها — وثار يغضب جبار السماوات (٤)

يُكفّرُ الناس بالآلام قاطبة — عن الخطايا وعن شر الدنيّات

وعن رضاء بعيش جلّه نقمٌ — وعن ولوع بنعماء ولذات (٥)

هم يعذرون بمدح الخير شرّهمُ

تكفير من لم يُطق هجر الخطيئات (٦)

لسان بَرٍّ بثلب الشر منطلق — مثل الأفاعي وماقلب بعزهاةِ (٧)

ماأنكر الناس شراً غير ضائرهم — أينكرون شهيات الغريزات

(صوت من الجحيم : إبليس يتكلم) :

ناداه في النار إبليس فقال له : — هوّن عليك ولا تولَع باعنات

قد شاء ربك إن الشر عدته — في صيغة الخير في قدْرٍ وميقات

أنا الشقيُّ بما لم أجنه أبداً — من خلق نفسي ومن آثام زلاتي

(قول الثائر الساخط) :

فقال ذو شقوة بالجزع منتصب — يكلمُ الله في نجوى السريرات

أَنِلْ حتىَّ شقاء الخلقِ قاطبة — وطهر الناس من ضيّر الجريرات

إن يظلموني فمن بالشر يجبلهم — أو يصلبوني فمن باري الجنايات

هل يَعذرُ الشر أن الخير غايته — أم هل يُهوِّن آثامٌ بغايات

(مصير الثائر) :

تَخَلّصتْ روحه كالطير سابحة — في الجو تنشد مخضرَّ النباتات

طارت إلى الملأ الأعلى فما لقيت — لها قراراً ولم تظفر بمهواةِ

لا في الجحيم ولا الفردوس مسكنها

حيرى المسالك من فقد القرارات

ترى الملائك حول العرش آسية — تأسى الملائك من إثم وزلات

(صوت من السماء) :

يا ناقم الشر هلا كنت مُضطلعاً

بالجزع والصلب قبل الكارث الآتي

عصيت ربك في كبرٍ وفي جهلٍ — لما بَرِمْتَ بأيلام الملمات (١)

الخلقُ للخلق ربح لو فطنت له — كمغنم الحي من أسلاب أموات

والشر والخير لا يُرجى افتراقهما

فارفض إذا اسطعت نعماني ولذاتي

حتى العقول وحتى الفضل أجمعه — ولذة النفس في بذل المروءات (٢)

ومُرتضى الخير لو يسعى إلى دنس — لباء منه باخلاف الملالات

ومرتضى الزهد مسعود بعفته — ولذة المنع إنماء الخيالات

برحمة قد نماها الشر تنقمه — ورحمة المرء من وخز المصيبات (٣)

إن كان سخطك خيراً في مراحمه — أجزت خلقي بأرواح رحيمات

فالشر للخير مردود وإن أسيت — منه النفوس بأنّاتٍ وآهات

وباحث سرَّ عيش غير مُدركه — كالطفل ينشد أفلاك السماوات

**عبد الرحمن شكري**

---

(١) هذا البيت تفسير لسخط الناس على ناصحهم وطالب الخير والسعادة لهم لأنه بنصحه يظهر عيوب نفوسهم واحمل عنهم أي بدلا منهم .

(٢) صلبوه ، وقولهم اصعد كما رمت من قبيل السخر .

(٣) السخائم والسخيمات الأحقاد .

(٤) عاف السماء لها أي من أجلها ومن أجل تعاستها .

(٥) جله أكثره .

(٦) من أسباب شدة ولوع الناس بمدح الخير ميلهم إلى التكفير بمدح الخير عن شر أعمالهم وهذا لا ينفي أن تكون هناك أسباب فاضلة لمدحهم الخير .

(٧) عزهاة أي زاهد ولها معان أخرى والثلب الذم والانتقاص .

---

(١) برم بالشيء ضجر وسئم .

(٢) ذلك لأن نمو العقل البشرى كان بسبب مكافحته للمصائب والآلام والشرور؛ فالذي يريد حياة لاشر فيها يريد إنساناً لاعقل له وكذلك الفضائل إنما نمت لأنها هي محاربة الشرور .

(٣) الرحمة تنتمي إلى الشر أي لو كانت الحياة لاشر فيها لما عرفت النفس الانسانية الرحمة

# تعالوا نكفر بالمدنية !

للأستاذ عبد الحميد ياسين

ان من حق الأسماك والحيوانات الأخرى فى المحيط الهادى ، بل من واجبها أن تبتهج وتلهج بالثناء على جمعية حماية الحيوانات فى سويسرا حين تقرأ — كما قرأنا بالأمس — نبأ الاحتجاج الشديد الذى قدمته هذه الجمعية إلى الرئيس ترومان على تجربة القنبلة الذرية فى مكان ما فى ذاك المحيط .

حقاً ، إن المدنية قد بلغت الذروة فى السمو ، والشعور الإنسانى قد بلغ حداً من الإرهاف لم نكن نحلم به

لقد ساء هذه الجمعية تعريض حياة الأسماك للخطر من جراء تجربة القنبلة الذرية فاندفعت تحتج عليه ؛ أما أنا فسرعان ما عادت بى الذاكرة طاوية أشهراً عشرة إلى اليوم الذى أسقطت فيه إحدى القلاع الطائرة الأميركية هدية نفيسة صغيرة الحجم غالية الثمن على مدينة هيروشيما اليابانية . لقد كانت هذه أيضاً قنبلة ذرية ، بل أول واحدة تفتقت عنها عبقرية مدنية الغرب ، وأهدتها إنسانيته الرفيعة . كان لهذه القنبلة دوى وانفجار ، ودخان ونار ، وحرق وهدم ، وموت مخيف ، أودت بحياة مئتى ألف من الناس ، وأصابت كثيرين بعاهات . وبعد أيام معدودة تلتها قنبلة أخرى أهديت إلى مدينة أخرى فى اليابان كانت أقوى أثراً وأشد فتكا

عدت أبحث فى زوايا الذاكرة عن نبأ استنكار أو استهجان أو احتجاج أوحت به العاطفة الإنسانية الرفيعة إلى جمعية فى سويسرا أو غيرها من البلدان الموغلة فى المدنية ، فلم أجد شيئاً . ثم جعلت أفكر ، فهدانى الفكر إلى تعليل بدا مقبولا : إذ قلت لنفسى : لو استنكرت جمعية كهذه عملا كهذا ، أو استهجنته ، أو احتجت عليه ، لفسر ذوو الحول والطول عملها بأنه مناهض للقوى الديمقراطية ، وأنعموا عليها وعلى القوم الذين تقوم بين ظهرانيهم بقنابل صاعقة ماحقة بغية التأديب والتهذيب

وفكرت فى سويسرا ، تلك البلاد البالغة الذروة فى المدنية والرق الإنسانى ، وذكرت أنها كانت مقراً لعصبة الأمم ، وأنها فندق أوربا فى الصيف والشتاء وما بينهما . فقلت : لعل هذه الصيحة من جمعية فيها تذكر الناس بأنها لا تزال الفندق الفخم الذى عرفوه ، ليعودوا إليها بمنظمتهم العالمية الجديدة ، حيث الجو الإنسانى مؤات ، والعواطف النبيلة السامية تملأ الأرجاء .

وكدت أسبح بحمد الرغيف الذى يوحى سياسات الدول ، ويقرر مصاير الشعوب ؛ ولكنى آثرت الاتئاد والتروى ، وأعدت النظر فى احتجاج تلك الجمعية ، فرأيت فيه نفاقاً لا ينكره إلا أعمى ، ولا يسكت عليه إلا مأجور ، ولا يستسيغه إلا ذو ذهن بليد ، وشعور مثلم ، وخيال مهيض الجناح . ودعوت الله أن لا يجعلنى وبنى قومى من المنافقين العمى المأجورين ، وجئت أدعو الناس ، دعوة خالصة لوجه الله ، أن نكفر بهذه المدنية ونؤمن بالله وحده !

( القدس ) عبد الحميد ياسين

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٧٩٦ — ما أكثر العبر وأقل الاعتبار

شرح النهج لابن أبي الحديد :

( ما أكثر العبر وأقل الاعتبار ) ما أوجز هذه الكلمة ، وما أعظم فائدتها ! ولا ريب أن العبر كثيرة جدا بل كل شيء في الوجود فيه عبرة . ولا ريب في أن المعتبرين بها قليلون ، وأن الناس قد غلب عليهم الجهد والهوى ، وأرداهم حب الدنيا ، وأسكرهم خمرها ، وأن اليقين في الأصل ضعيف عندهم ، ولولا ضعفه لكانت أحوالهم غير هذه الأحوال .

## ٧٩٧ — ما خلا لذة الهوى والسلافة

في ( نفح الطيب ) :

قال الوشاح الحسن أبو الحسن المريني : بينما أنا أشرب مع ندماني بإزاء الرصافة ( في قرطبة ) إذا إنسان رث الهيئة ، مجفو الطلعة قد جاء فجلس معنا . فقلنا : ما هذا الاقدام على الجلوس معنا دون سابق معرفة ! فقال : لا تعجلوا علي ، ثم فكر قليلا ورفع رأسه فأنشدنا :

اسقنيها إزاء قصر الرصافه ... واعتبر في مآل أمر الخلافه
وانظر الأفق كيف بدل أرضا ... كي يطيل اللبيب فيه اعترافه
وبرى أن كل ما هو فيه ... من نعيم وعز أمر سخافه
كل شيء رأيته غير شيء ... ما خلا لذة الهوى والسلافه

قال المريني : فقبلت رأسه ، وقلت له : بالله من تكون ؟ فقال : قاسم بن عبود الرياحي الذي يزعم الناس أنه موسوس[1] أحمق ، فقلت له : ما هذا شعر أحمق ، وإن العقلاء لتعجز عنه ، فبالله إلا ما تممت مسرتنا بمؤانستك ومنادمتك وإنشاد طرف أشعارك ، فنادم وأنشد وما زلنا معه في طيبة عيش إلى أن ودعناه وهو يتلاطم مع الحيطان سكرا ، ويقول : اللهم غفرا !

## ٧٩٨ — بين ملك وعالم

قال ياقوت : لما خرج عضد الدولة لقتال عز الدولة بختيار ابن معز الدولة ، دخل عليه أبو علي الفارسي فقال له : ما رأيك في صحبتنا .

فقال له : أنا من رجال الدعاء ، لا في رجال اللقاء ، فخار الله للملك في عزيمته ، وأنجح قصده في نهضته ، وجعل العافية زاده ، والظفر تجاهه والملائكة أنصاره ثم أنشده :

ودعته حيث لا تودعه ... نفسي ولكنها تسير معه
ثم تولى وفي الفؤاد له ... ضيق محل وفي الدموع سعه

فقال له عضد الدولة : بارك الله فيك ، فإني واثق بطاعتك وأتيقن صفاء طويتك . وقد أنشدنا بعض أشياخنا بفارس :

قالوا له إذ سار أحبابه ... فبدلوه البعد بالقرب
والله ما شطت نوى ظاعن ... سار من العين إلى القلب

فدعا له أبو علي وقال : أيأذن مولانا في نقل هذين البيتين ، فأذن فاستملاهما منه .

## ٧٩٩ — لا . . .

كان يعقوب الكندي بخيلا وكان يقول : من شرف البخل أنك تقول للسائل : ( لا ) ورأسك إلى فوق ، ومن ذل العطاء أنك تقول : ( نعم ) وأنت برأسك إلى أسفل .

---

في ( الكنز المدفون ) : وصف بعض النبلاء بخيلا فقال : هو جلم[1] ( أي مقص ) من حيث جثته وجدت ( لا[2] ) .

---

(١) وسوس فعل لازم فاللام بكسر الواو الثانية . في اللسان : أبو منصور : إنما قيل موسوس لتحديثه نفسه بالوسوسة . في المصباح : الوسواس : مرض يحدث من غلبة السوداء يختلط معه الذهن في التاج : الوسوسة والوشوشة : كلام خفي في اختلاط .

(١) اسم يقع على الجلمين كما يقال : المقراض والمقراضان ( اللسان ) ويجوز أن يجعل الجلمان اسما واحدا على فعلان وتجعل النون حرف إعراب ، ويجوز أن يبقيا على بابهما في إعراب المثنى ( المصباح )

(٢) ومن قول بعضهم في ( لا ) :

لا في الكلام تقص أجنحة المنى ... فلذاك يشبه شكلها المقراضا

٨٠٠ — بل أنت كما قال فى هذه القصيدة

قال ابن جنى : حدثنى المتنبى قال : حدثنى فلان الهاشمى من حران بمصر قال : أحدثك بظريفة : كتبت إلى امرأتى بحران كتابا تمثلت فيه ببيتك وهو :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كاس ولا سكن

فأجابتنى عن الكتاب وقالت : ما كنت (والله) كما ذكرت فى هذا البيت ، بل أنت كما قال الشاعر فى هذه القصيدة :

مهرت بعد رحيلى وحشة لكم
ثم استمر مريرى وارعوى الوسن (١)

٨٠١ — ما جمعته أنت فى بيت واحد

حدث بعض آل نوبخت قال : جاء النظام يوما فسألنا عن منزل أبى نؤاس فقلنا له : إنه يسكن تلك الغرفة ، وأومأنا إلى غرفة كان ينزلها وكان له غلام أسود وحمار أسود قال : فاستأذن عليه وقال له أنشدنى قولك :

تركت منى قليلا من القليل أقلا
يكاد لا يتجزا أقل فى اللفظ من لا

فأنشده فقال له النظام : أنت أشعر الناس فى هذا المعنى ، والجزء الذى لا يتجزأ منذ دهرنا الأطول نخوض فيه ما خرج لنا فيه من القول ما جمعته أنت فى بيت واحد .

٨٠٢ — أقول له اسكت

أنشد ابن الجوزى فى بعض مجالس وعظه :

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى
على رياض يكاد الوهم يؤلمنى

فى كل معنى لطيف اجتلى قدحا وكل ناطقة فى السكون تطربنى

فقام إليه شخص وقصد العبث به فقال : يا مولانا قولك وكل ناطقة فى السكون تطربنى فان كان الناطق حمارا ؟

فقال له الشيخ : أقول له : اسكت يا حمار .

٨٠٣ — لا تقل ذلك فانك أميرنا

قال بعض الأمراء لجنده : يا كلاب !

فقال أحدهم : لا تقل ذلك فانك أميرنا(١) ...

٨٠٤ — الحق رحمة الله عليه !

كتاب عين الأدب والسياسة ، وزين الحسب والرياسة لعلى ابن هذيل :

إن الحق والباطل اصطحبا فى سفر ، فمشيا إلى الليل ، فلما نزلا قال الباطل للحق : اذهب فأتنا بشىء نفطر عليه . فذهب الحق فلم يجد شيئا من حله فرجع ، فقال له الباطل : ما صنعت ؟ قال ما أجد شيئا حله . فقال الباطل : أجلس حتى آتيك ، فذهب فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء بشىء ، فقال للحق : كل . فقال : ما أراه من حله ولست بآكله . فقال له الباطل : بعثتك لتأتينى بشىء فلم تجد شيئا ، فلما ذهبت أنا وجئت بما نفطر عليه حرمته على ، فنازعه فوثب الباطل على الحق فقتله ثم قال : إن أهل الحق قد علموا أنه خرج معى ، ولا بد لهم أن يطلبونى به ، فعمد إلى حطب فجمعه ثم أضرم عليه النار حتى صار رمادا ثم ذهب وتركه فجاء أهل الحق فقالوا : ما فعل الحق ؟ قال : لا علم لى به ، فقالوا : خرج معك ، فقال : نعم ، ولا أدرى ما فعل . فخرج أهل الحق يطلبونه حتى وقفوا على الموضع الذى أحرقه فيه الباطل ، فقالوا : هذا رماد الحق ، وهذا موضع ناره ، فجمعوا رماده ، وصنعوه مدادا يكتبون به .

فهذا ما بقى من الحق ، فأما الحق بعينه فقد ذهب ...

---

(١) فى شرح العكبرى : المرير جمع مريرة وهى القوة من الحبل واستمر استقام وفى الأساس : استمر مريره واستمرت مريرته : استحكم وفي التاج : استمر مريره أى استحكم عزمه ، وقال ابن شميل : يقال للرجل إذا استقام أمره بعد فساد : قد استمر ، والعرب تقول : أرجى الغلمات الذي يبدأ بحمق ثم يستمر ، وأنشد للأعشى يخاطب امرأته :

يا خير انى قد جعلت استمر أرفع من بردي ما كنت أجر

(١) في ( خلاصة الأثر ) للمحبي : كان بعض الوعاظ يعظ طائفة من الناس فنظر منهم أعراضا ولغطا فقال : ألا اسمعوا يا بقر ! فقال بعضهم : قل : يا ثور ..

من حياة اليونان القدماء وطرائف أحاديثهم :

# حفلة الشـــاعر...

للأستاذ ماجد فرحان سعيد

« نقلت عن الانجليزية من كتاب ( الخبوات الخالدة لعظماء الفلاسفة ) لمؤلفيه هنرى توماس ودانا لى توماس » .

أحيا أجاثون Agathon الشاعر الأثينى القديم حفلة ساهرة فى بيته ، دعا إليها نخبة ممتازة من خيرة أصحابه ليشاركوه سروره بمناسبة فوزه بالجائزة الأولى لروايته التى مُثِّلت فى « الملهى الإغريقى ». وكان المدعوون يتناقشون فى أحد الموضوعات التى يجدون فيها ألذ متعة وأمتع لذة — وهوالحب ، فجرب كل واحد بدوره أن يبسط رأيه فى معنى هذا الموضوع الشائق .

فاستهلّ فيدروس Phaedrus الموضوع بقوله : « الحب أقدم الآلهة ومن أشدها قوة . فهو ذلك القانون الذى يحوّل الشخص العادى إلى بطل صنديد ، لأن العاشق يستحيى ويربأ بنفسه أن يظهر أمام محبوبته بمظهر الجبان الرعديد . ولو قُدِّر لكم أن تجهزونى بجيش من العشاق ، لاستطعت أن أدوّخ العالم بأسره »

فيوافق بوزانياس Pausanias على هذا ويزيد عليه قوله : « نعم ! ولكن يجب عليك أن تميز بين الحب الأرضى والحب السماوى ، أعنى أن تميز بين جاذبية جسمين من جهة ، وائتلاف روحين من جهة أخرى . إن الحب الجسمانى المبتذل ، يتخذ أجنحة ويطير عند ما تذوى زهرة الشباب . وأما الحب الروحانى الرفيع ، فهو سرمدى خالد » .

وعندئذ يفاجئنا الشاعر الهزلى أريستوفانيس Aristophanes بنظرية طريفة جديدة فى الحب ، فيقول : « فى الأيام القدامى ، كان الجنسان متحدين فى جسد واحد ، وكان هذا الجسد مستديرا كالكرة ، مجهزاً بأربع أيد وأربع أرجل ووجهين ، ينتقل من مكان إلى آخر بسرعة مدهشة ، إذ يثب وثبات منقلبة متتابعة . ومع ذلك ، كان هؤلاء الناس قوماً جبابرة ، ليس لطموحهم حد . فلقد رسموا الخطط ، ووضعوا التصاميم ، كى يتسلقوا أجواء السموات ويهاجموا الآلهة . ولكن خطرت على بال زيوس Zeus خطة غريبة رائعة إذ قال : لنقسم الواحد منهم شطرين ، فيكون للشطر نصف القوة ، وهكذا نضاعف عدد ضحايانا ... وبالفعل شطرهم إلى ذكر وأنثى ، ومنذ ذلك الحين تولدت فى كل من هذين الجنسين رغبة عنيفة فى الاتحاد مرة ثانية . وهذه الرغبة الملحة لاتحاد الجنسين هى ما نسميه الحب » .

ولقد عرضت بعد هذا التفسير الفكاهى لنظرية الحب تعريفات أخر مشوقة ؛ ولكن طلب أخيراً من سقراط Socrates ضيف الشرف أن يدلى ببعض التعليقات على الموضوع .

فابتدأ سقراط حديثه بهذه التوطئة : « ماذا يمكننى أن أقول بعد أن خلبتنى آيات هذه البلاغة الساحرة وأسرت فؤادى ؟ لقد تحولت إلى حجر صلد ، وأصبت بالعى والحصر . إذ كيف يتسنى لبلاهتى أن تبارى مثل هذه الحكمة الرائعة ؟ ! »

وبعد أن يرمى عن كاهله هذا العبء الثقيل من « التوطئة السقراطية » التى تتميز بأدبها التهكمى ، يتقدم إلى جرح « حكمهم ببلاهته » على حد تعبيره . فيفند حججهم بعدة أسئلة متتابعة — نقول هذا غير غافلين أنه كان عميد المدرسة التى نهجت لنفسها الطريقة الاستجوابية فى التعليم .

ثم يعمد إلى اتباع هذه العملية التدميرية بعملية إنشائية من عنده ، فيفضى إليهم بالحديث التالى : « الحب هو جوع الروح البشرية إلى الجمال الإلهى . فالعاشق لا يكتفى بوجود الجمال ، بل يهفو إليه ويحاول أن يخلقه ، ويعمل على تخليده بزرع بذرة الخلود فى الجسد البشرى . ولهذا السبب يحب كل من الجنسين الآخر ، من أجل التناسل وتمديد الزمان إلى الأبدية ، وكذلك يحب الآباء أبناءهم لأن أرواح الآباء المحبين لا توجد الأبناء فحسب بل توجد شركاء ، وزملاء وخلفاء فى البحث الدائم عن الجمال » .

وما هو هذا الجمال الذى نسعى لتخليده بواسطة الحب ؟ هو الحكمة والفضيلة والشرف والشجاعة والعدل والايمان . أو بكلمة جامعة : الجمال هو الصدق ؛ « والصدق هو الطريق الوحيد الذى يؤدى مباشرة إلى عزته تعالى » .

فتشرق وجوه الضيوف تقديرا وإعجابا ، ويعلو هتافهم استحسانا لما قاله هذا الفيلسوف الحافى ، ثم يسترسلون فيما يختص بحفلة المساء ، إذ يستهويهم السمر ، ويمعنون فى شرب الخمر . وما هى إلا دقائق ، حتى يحسر الفجر لثامه ، فيصيح الديك ،

هذا العالم المتغير !

# عشنا بالطاقة الذرية !

للأستاذ فوزى الشتوى

الشمس تعلمنا

هل تعلمنا الشمس كيف نستخرج الطاقة الذرية بأبسط الوسائل ومن أكثر العناصر انتشاراً فى العالم ؟

كل القرائن تقول نعم . فهى ترسل إلينا بإشعاعاتها منذ القدم . وهى تغذينا بطاقتها الذرية طول عمرنا وعمرها . وتستغل فى هذا السبيل أبسط العناصر وأكثرها فى الوجود وهو غاز الإيدروجين . فهذا الهواء حولك جزء منه إيدروجين ، وهذا الماء الذى تغتسل به وتشربه أو تسبح فيه مؤلف من الإيدروجين والأكسوجين .

ومن ثم يسيل لعاب العلماء والحكومات ورجال الصناعة . بالمعلم « الشمس » تشرق على كل مكان ، ويستطيع كل إنسان أن يرقبها ، ويدرس طريقتها فى فلق ذرات الإيدروجين وإرسال طاقتها . والإيدروجين أيضاً موجود فى كل مكان تطرقه . ومن المعروف أن الخالق لا يحب التعقيد بل يلجأ فى تدبيره إلى البساطة المتناهية . وأول علاماتها فى هذا الصدد أن الإيدروجين هو أبسط العناصر ، فتتألف ذرته من كهرب موجب واحد يدور حوله كهرب سالب واحد .

ومن ثم يبدو بعد الشقة بين كمال قدرة الخالق ونقص قدرة الإنسان ، وقد بدت حكمته فتركنا نسمى بعقلنا حتى اكتشفنا الطاقة الذرية من أعقد طريق ، وبأعقد الوسائل والمواد ، ثم استغللناها فى الدمار والخراب . فعرفناها عن طريق اليورانيوم أعقد العناصر ، وبآلات بالغة الضخامة ، ثم استخدمناها لقتل البشر ودمار المدنية ، أما هو فكانت وسائله على النقيض تماما . ويكفى أن نقول إن الشمس مصدر الحياة .

وليس هذا مجال التوسع فى هذا الحديث فنحن قبل بحث جديد لا يعرف سوى الله مداه . فقد وفق الإنسان إلى استخراج الطاقة الذرية ، ولكن من اليورانيوم والبلوتونيم أعقد العناصر المعروفة وأبهظها تكاليف ، فضلا عن أن بقاعا شاسعة من الأرض لا تملك منهما شيئا . وقد تكلف الرطل الواحد من العنصر الأخير ٢٥ ألف دولار حين صنعته المصانع الامريكية لقنبلتى هيروشيما وناجازاكى .

الطاقة من الإيدروجين :

والمعروف أن الشمس توالى غذاء عالمنا بالحرارة والإشعاعات الناتجة من فلق ذرات الإيدروجين المحيط بها وهى كسائر النجوم التى تراها تتلألأ فى السماء تستخدم الطاقة الذرية . وهى لا تحترق كما قد يتوهم البعض لأن كتلة الشمس أو النجوم لا تسمح ببقائها كل تلك الحقب من السنين بل المعروف أن تضاؤلها بطىء مما لا يتفق مع طبيعة الاحتراق .

وتستخدم الشمس الطاقة الذرية الناتجة من الإيدروجين ببطء بالغ وبطريقة غير معروفة ، فلا تحول من كتلته إلى أكثر من واحد فى المائة . وهى نسبة أكبر من النسبة التى تحول من ذرة اليورانيوم التى تبلغ واحداً فى الألف تبعاً لأحدث الوسائل العلمية ، ويقدر أن الشمس ستعيش على هذا المنوال من استخدام طاقتها الذرية ٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة .

---

ويغادر أكثر الضيوف البيت ؛ ولا يبقى هنالك غير ثلاثة وهم : سقراط ، وأجاثون ، وأريستوفانيس فيتناول هؤلاء بنت الحان من كأس كبيرة تدار عليهم واحداً فواحداً ، وفى الوقت نفسه سمع سقراط يشرح للشاعرين اللذين أخذ النعاس يراود أعينهما ، بأن الكاتب المتفوق فى الروايات الهزلية ، يجب أن يكون كاتباً متفوقاً فى المآسى . وبينما هو كذلك ، يغفو اريستوفانيس وأجاثون فيضجعهما سقراط بكل هدوء وراحة ، ويعب من الكأس للمرة الأخيرة على ذكرى إله الخمر ديونيساس Dionysus ، ويذهب لمباشرة عمله اليومى ، ألا وهو توزيع الحكمة على أبناء أثينا .

ماجد فرحان سعيد

ومن الطبيعي أن الطاقة الناتجة من فلق ذرة الإيدروجين ستكون أقل من الناتجة من ذرة اليورانيوم، ففي ذرة الأول جسيمة واحدة، وفي ذرة الثاني بضع مئات من الجسيمات. ولكن وفرة الإيدروجين وكثرة ذراته ستعوض النقص أو تفوقه، ففي رطل الإيدروجين الواحد ما يقرب من ٢ وأمامها ٢٦ صفراً من الذرات. وقدر ثمن الطاقة الناتجة من هذا الرطل بمبلغ ٥٧٠ مليون دولار.

حقيقة إن العلماء لم يوفقوا لاستخراج الطاقة الذرية من الإيدروجين كما وفقوا إلى استخراجها من عنصر اليورانيوم؛ ولكنهم يعتقدون أن تحويل ذرة الإيدروجين إلى طاقة أيسر من تحويل ذرة اليورانيوم، ومن ثم يحرصون إلى التوسع في دراسته على سطح الأرض وفي الشمس أيضاً.

**بساطة تغري:**

وقد اتجه العلماء إلى استخراج الطاقة الذرية من اليورانيوم ٢٣٥ لأن كتلة ذرته الكبيرة نسبيا وكثرة جسيماتها التي تعد بالمئات تسهل فلقها بخلاف الإيدروجين الذي تتألف نواته من جسيمة واحدة لا يتيسر النفاذ إليها بالوسائل المعروفة. ولكن بساطة تركيبها قد تساعد العلماء في حل كثير من ألغاز الذرة. ومثال ذلك المتعادلة Nivtron التي توجد في الذرات الأخرى ولكنها ليست في الإيدروجين.

ويظن أن المتعادلة تتألف من جسيمتين تعادل إحداهما كهارب الأخرى ومن ثم لا يبدو لها أثر في مدارات الذرة الخارجية. وليس لها كهارب سالبة Elictrons ولكنها ذات تأثير كبير في استخراج الطاقة الذرية من اليورانيوم أو من أي عنصر آخر، فالغالب أن الإيدروجين هو العنصر الوحيد الذي يخلو منها.

ولم يصل العلماء بعد إلى الطريقة التي يمكن بها تحويل المتعادلة إلى كهرب موجب أو تحويل الكهرب الموجب إلى متعادلة برغم مابذلوه في هذا السبيل من جهد نظراً لأهميته وما قد يسفر عنه من تحول خطير في مجال تركيب نواة الذرة واستغلال ذرات العناصر كلها في إخراج الطاقة الذرية فضلا عما ينتاب الصناعة ذاتها من انقلاب خطير.

**الأشعة الكونية مفتاح!**

ويدرس الدكتور جون هويلر من جامعة برنستون بأمريكا الأشعة الكونية حتى يحصل على مفتاح يتوصل به إلى تحويل نواة الإيدروجين إلى طاقة. والدكتور هويلر هو أحد العلماء الذين ساهموا بقسط وافر في أبحاث عنصر اليورانيوم. وهو يرى أن نواة الإيدروجين قد تؤدي إلى نتائج كبيرة القيمة.

وقد أدت دراسة الأشعة الكونية إلى العثور على جسيمة ذرية أطلقوا عليها اسم ماسون Mison وهي ثمن كتلة الكهرب الموجب وتنتج حين تصدم الأشعة الكونية النشطة كهربا موجبا فتبدو كقطرات الماء الساقطة من «دش» الحمام.

وتنطلق جسيمات «الماسون» مسافة قصيرة في الجو ثم تختفي قبل وصولها إلى الأرض. ولم يوفق العلماء لمعرفة سر اختفائها أو إلى العوامل التي تؤثر عليها. وإن كان المعروف أن الأشعة الكونية التي تطلق رذاذ «الماسون» ذات نشاط يصل إلى مائة بليون الكترون فولت.

**هل وصلنا!**

وفي رأي الدكتور هويلر أن نشاطا قدره بليون الكترون فولت يكفي لفلق ذرة الإيدروجين وإنتاج هذا الرذاذ الذي يمكن تحويله إلى طاقة. وفي رأيه أيضاً أن مائة مليون الكترون فولت قد تؤدي نتائج مشجعة.

وقد تيسر أخيراً لبعض شركات الكهرباء الإمريكية أن تصنع آلة تنتج هذا السيال الكهربائي كما أن العالم الامريكي لورانس الأستاذ في جامعة كاليفورنيا صنع مدفعاً لتحطيم الذرة (سيكلوترون) بهذه القدرة.

ولهذا ينتظر أن تدخل فكرة الدكتور هويلر في مرحلة التجارب العملية في أمد قريب لفلق ذرات الإيدروجين. وعندئذ تصبح دراسة الأشعة الكونية مرشداً يقود البحث ولكن بأدوات صنعها الإنسان وعرف كيف يتحكم فيها ويستغلها.

فوزي الشتوي

حزب الاستقلال المراكشي كما يرى :

# مراكش والوحدة العربية

ثلاثة اتجاهات تسيطر الآن على الحالة السياسية في مراكش

١ — المراكشيون تحت زعامة حزب الاستقلال يريدون الاستقلال التام وضم بلادهم إلى دول الجامعة العربية .

٢ — الفرنسيون الرسميون ، والرأسماليون المستحوذون على الأرض والمالية ، يريدون إبقاء ما كان على ما كان ، وإكراه المراكشيين على الرضوخ لإرادتهم بالطغيان والتحدي .

٣ — طائفة من اليساريين الفرنسيين ومن بينهم من له مسؤولية في حكومة باريز الحالية يريدون إلغاء عقد الحماية المبرم بين الحكومة المغربية وحكومة فرنسا سنة ١٩١٢ ، وإبداله بعقد آخر تدخل به مراكش في حظيرة العائلة الفرنسية ، على شكل يشير من قرب أو من بعد إلى شكل جمهوريات القوقاز التابعة للاتحاد السوفياتي .

هـذه هي الاتجاهات العامة في هذا القطر العربي الذي عاش ثلاثة عشر قرنا مستقلا مرهوب الجانب حتى طوقته الدسائس الأجنبية فأرغم على الخضوع لإملاء ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ أي معاهدة الحماية .

وقد كان هذا الإملاء كما يذكر القراء نتيجة حتمية لاتفاق ١٩٠٤ الذي تنازلت فيه بريطانيا العظمى عن مراكش لفرنسا في مقابل تنازل فرنسا لبريطانيا عن مصر .

وكان الاحتلال الأجنبي سبب محنة عظمى للشعب المراكشي، الذي ظل يدافع عن استقلاله بالسلاح ويعلن الثورة تلو الثورة ، سواء ضد الفرنسيين أو ضد الأسبان ، منذ إملاء ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ إلى أواخر سنة ١٩٣٤أي طيلة اثنين وعشرين سنة كاملة لم يمر منها يوم واحد ( أقول يوم واحد ) لم تكن فيه الحرب معلنة في ناحية ما من نواحي الأقليم المراكشي بجميع أهوالها وويلاتها المعروفة .

وقد ابتدأت مقاومة المراكشين السياسة في شكل أحزاب عصرية منظمة منذ سنة ١٩٣٠ ، فكان الفرنسيون يقابلون بالتشريد والرصاص والسجن كل طموح سياسي يظهره المراكشيون لتحسين حالتهم .

وفي ١١ يناير سنة ١٩٤٤ طرأ تغيير جوهري على موقف المراكشيين السياسي من فرنسا وذلك بالمذكرة التي رفعها حزب الاستقلال إلى جلالة الملك وإلى اللجنة الفرنسية بالجزائر ( حكومة الجنرال دي جول ) والتفت حولها الشعب بأكمله رغم التدابير الجهنمية التي لجأ إليها الفرنسيون لإقناع الأمة بالسكوت والاستسلام والتنازل .

ولـكن الفرنسيين يضعون الشعب المراكشي، كما قلت ، بين احتمالين لا ثالث لهما ، إما البقاء تحت نظام النهب والأرهاب والمحق التدريجي، كما كان الحال في الماضي؛ وإما الاندماج في حظيرة العائلة الفرنسية ، أي الانتحار وتحدي كل إحساس طبيعي يشعر به المراكشيون في نفوسهم .

أما المراكشيون فهم في أعماق قلوبهم يشعرون أنهم عرب ويشعرون أن تطورهم وحضارتهم يجب أن يصبا في قالب لغتهم العربية ، وقد عرفوا العربية واتخذوها لغتهم قبل أن يتكون الشعب الفرنسي وقبل أن توجد الفرنسية بقرون ، لذلك يعتبرون أن مستقبلهم مرتبط ارتباطاً طبيعياً بمستقبل الأمم العربية الأخرى ، مرتبط بمستقبل العرب ، من الوحدة الثقافية والعاطفية ، ولا مانع من ارتباطه بالوجهة الاقتصادية التي تعد محور السياسة اليوم ، وهم بأجمعهم ينتظرون بفارغ الصبر اليوم الذي توقع فيه حكومة مراكش المستقلة على دستور الجامعة العربية وتصبح عضواً عاملا بين بقية الأعضاء العاملين العرب ، وبذلك يصبح المراكشيون عاملا نشيطا لتثبيت السلم العلمي كما كانوا عاملا نشيطا لـكسب الحرب .

والمراكشيون يريدون أن يسترجعوا استقلالهم السياسي أولا لأنه حق من حقوقهم الطبيعية ، لا يقبل أي مناقشة ، وثانياً لأنهم يرون في الاستعمارين الفرنسي والأسباني ، خطراً يهدد كيانهم كأمة . وقد اتخذ في مراكش ، وبالأخص الاستعمار الفرنسي، وسيلتين لمحو الشخصية المراكشية ، والقضاء على كيان الأمة . فمن جهة ، باتباع السياسة المعروفة بسياسة الإدماج وهي تتخلص في الإدارة المباشرة للبلاد ، ونزع أراضي الفلاح بالقوة وتقديمها للمعمر الفرنسي ، وإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية، لغة البلاد الوطنية، والاستيلاء على رؤوس الأموال؛ ومن جهة أخرى بمقاومة نشر التعليم ، وإهمال الصحة العامة ، وخنق الحريات ، وتأسيس نظام بوليسي مرعب يحاول بجميع الوسائل الدنيئة ،




## حول مذكرة السنهوري باشا :

قرأت فى « الرسالة » الغراء كلمة أشارت فيها إلى ما تضمنته مذكرة السنهورى باشا التى تهدف إلى إنشاء « معهد الفقه الاسلامى للجامعة العربية » ... والفكرة جليلة قويمة ... ولكنها أهملت دعامة الفقه الإسلامى ، وحصنه الحصين ألا وهو « الأزهر » إهمالا تاماً ، ولم تشر إليه من قريب أو بعيد ! ! فقد أشارت « الرسالة » إلى المعاهد التى تقترح هذه المذكرة إنشاءها .

أولها : « معهد تدريس يمنح الشهادات والدبلومات الجامعية يلتحق به الحاصلون على ليسانس الحقوق من إحدى الجامعات العربية » ... عجباً ! ! أليس للأزهريين الحق فى دخول هذا المعهد وهم أولى به ؟! ولماذا حرموا منه ؟ ! ... ثم ذكرت أنه ينبغى أن يلحق هذا المعهد باحدى جامعات الدول العربية ، وأفضل هذه الجامعات هى جامعة فؤاد الأول ! ! ... وكأن الأزهر الذى حافظ على دراسة الدين الإسلامى ألف عام وخرَّج من خرَّج من العظماء ليس أهلا لأن يلحق به هذا المعهد ، وهو الذى يجمع بين أبناء العروبة من قديم الزمن ! وقد جعلته أمم العروبة مناراً به يهتدون وكعبة إليها يحجون ! ... وإنى لا أشك فى أن الأزهر محتاج للتجديد كما نادى بذلك أستاذنا الجليل « الزيات » ... ولا ريب فى أن الأزهر سينال حقه من التجديد والأصلاح عما قريب لما نعهد فى شيخه الأكبر من حب للتجديد وإيمان بالاصلاح .

## تصحيح :

طالعت ذلك البحث الفياض للأستاذ أبى القاسم بدرى عن « الشاعران المتشابهان » ... وقد ذكر من شعر أبى القاسم الشابى رحمه الله هذين البيتين :

« أنت روح غبية تكره النو ر وتقضى الدهور فى ليل حدس
أنت لا تدرك الحقائق إن طا فت حواليك دون حس وجس »

وصحة المصراعين الأخيرين « فى ليل ملس » ، « دون مس وجس » وذكر كذلك هذا البيت :

« أيها الشعب أنت طفل صغير لاعب بالتراب والليل يمسى »

وصحة المصراع الأخير « والليل مغس » كما جاء فى « الرسالة » الغراء عدد نمرة ٦٦٤ فى قصيدة « ليتنى ... ! » ... وأورد من شعر التجانى رحمه الله هذا البيت هكذا :

« وأنا اليوم لا حراك كأن قد شد فى مكمن القوى أوثاق »

وهو من البحر الخفيف . وصحته :

« وأنا اليوم لا حراك كأن قد شد فى مكمن القوى أوثاق »

وهذه ملاحظات يسيرة لا تغض من قيمة البحث الجليل .

ابراهيم عبد المجيد النزى

## حول معرض الكتاب العربي :

كتب صديق الأستاذ وديع فلسطين فى « الرسالة » الغراء كلمة عن « معرض الكتاب العربى » الذى أقامته وزارة المعارف بدار الجمعية الزراعية الملكية ؛ وقد تعجبت كثيراً حينما وجدت الأستاذ يقول فى أثناء حديثه :

« ورأيت كتابا آخر عنوانه « وفيات الأعيان » فضحكت كذلك ، لأن مؤلفه لم يجد ما يكتب عنه إلا أن يسرد تواريخ وفيات الأعيان ! كأن الدنيا وما فيها لا تهمه ، وكأن الاصلاح

---

قتل الإحساس بالكرامة فى نفس المراكشى لتسهيل السيطرة عليه .

وليس من شك فى أن الفرنسيين ، ومثلهم الأسبانيون ، كانوا ينتظرون من وراء هذه السياسة انقراض أمة لتحل مكانها أمة أخرى ، فتصبح مراكش امتداداً لفرنسا أو لأسبانيا فى قارة أفريقيا ، وهو حلم ردده الجنرال ديجول لجنرال فرنسا الجديدة ، فى خطاب له وهو فى طريقه إلى بلاد السوفيات ، وهو نفسه الحل الذى يقترحه ( اليساريون ) الأحرار فى لهجة أدبية تقدمية ، معادية للاستعمار وأساليبه الرجعية الغاشمة كما يزعمون .

أما الشعب المراكشى فهو يعرف ما يريد ، وغايته واضحة لاغبار عليها ، وهو يطمح الآن لعقد معاهدتين أساسيتين ، معاهدة يحصل بها على استقلاله التام ، والأخرى يدخل بها كعضو عامل فى وسط دول الجامعة العربية .

( مراكش ) ( خبير )

الاجتماعي لاحاجة لنا إليه ، وكأن الكتّاب فرغوا من الكتابة في جميع الموضوعات ، ولم يبق سوى الكتابة عن وفيات الأعيان ! » اه .

أهـذا كلام يقال ؟ . وهل يدل ذلك الحكم على أن الأستاذ فلسطين قد طالع شيئاً في كتاب الوفيات أو عرف قيمته في المكتبة العربية ؟ ...

إن كتاب « وفيات الأعيان » أيها الصديق من أمهات المراجع التاريخية التي لا يستغنى عنها مؤلف أو أديب ، وهو لم يقتصر كما فهمت خطأ على ذكر وفيات المشهورين من الناس ، بل أوجز الحديث عن حياتهم وأعمالهم وصفاتهم وولاداتهم ووفاتهم ، واسم الكتاب كاملا هو : « وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان » ، وقد ألفه صاحبه شمس الدين أبو العباس أحمد ابن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الشافعي ، وانتهى من ترتيبه بالقاهرة المحروسة سنة أربع وخمسين وستمائة هجرية . أي منذ أكثر من سبعة قرون ، وقد شرح ابن خلكان في مقدمة كتابه جانباً من غرضه فيه فقال :

« ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء ، بل كل من له شهرة بين الناس ، ويقع السؤال عنه ذكرته ، وأتيت من أحواله بما وقفت عليه من الإيجاز ، كيلا يطول الكتاب ، وأثبت وفاته ومولده إن قدرت عليه ، ورفعت نسبه على ماظفرت به ، وقيدت من الألفاظ مالا يؤمن تصحيفه ، وذكرت من محاسن كل شخص مايليق به من مكرمة أو نادرة أو شعر أو رسالة ، ليتفكه به متأمله ، ولا يراه مقصوراً على أسلوب واحد فيمله ، والدواعي إنما تنبعث لتصفح الكتاب إذا كان مفننا » .

وتعبير ابن خلكان بأن كتابه « مختصر » فيه تواضع العلماء القدامى ، وإلا فكتابه ليس مختصراً ، بل هو موسوعة كبيرة لو طبعت على ورق حديث لبلغت آلاف الصفحات ، وقد وصف أحد الأدباء كتاب الوفيات فقال إنه « روضة يانعة الأزهار ، متدفقة الجداول والأنهار ، بل كنز بالفرائد حافل ، ولبدائع المحاسن شامل كافل ، لما حواه من تراجم أكابر الفضلاء ، وتضمنه من فكاهات الأدباء والشعراء ، مع ترتيب عجيب ، وأسلوب فائق غريب ، وضم الشوارد ، واقتناص الأوابد ، وضبط غريب مبانيه ، وتهذيب مقصده ومعانيه » .

وحياة ابن خلكان بعد هذا أيها الصديق لاتدل على أنه كان تافهاً أو ضعيف المنة ، فله من علمه وأدبه ومؤلفاته وفقهه مايرفعه إلى مصاف العظماء من الرجال ، وله فوق هذا شعر في غاية الرقة والجمال . فهو القائل في الغزل :

أنا والله هالك آيس من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي !

وهو القائل أيضاً :

تمثلتمو لي والديار بعيـــدة نخيّل لي أن الفؤاد لكم مغنى
وناجاكموا قلبي على البعد والنوى
فأوحشتمو لفظاً ، وآنستمو معنى !

لقد ظلمت « وفيات الأعيان » يا وديع وظلمت صاحب الوفيات . ورحم الله ابن خلكان إذ يقول في آخر خطبته التي قدم بها الوفيات : « حرسنا الله تعالى من التردي في مهاوي الغواية ، وجعل لنا من العرفان بأقدارنا أمنع وقاية ! » .

هذا ولقد لاحظتَ أن المعرض قد خلا من الكتب التي صدرت في الأقطار الشقيقة ، وهذا صحيح ، فقد زرتُ المعرض كما زرته ، ولاحظتُ أنا فوق ما لاحظته أنت . أن المعرض قد خلا من قسم للكتب الأزهرية ، مع أن الجامعات والمعاهد العليا ودور الطباعة والنشر قد مثلت في هذا المعرض ؛ وكم كنت أتمنى أن يطلع الناس في هـذا المعرض على نماذج من الكتب الأزهرية القديمة والحديثة ، ويرون كيف تطور التأليف الأزهري على مر العصور ، وكم كنت أتمنى أن يشاهد الناس كتب الباجوري والشرقاوي والأشموني والسيوطي والصبان والدردير وغيرهم ، وكم كنت أتمنى أن يرى الناس في هـذا المعرض مؤلفات أو مطبوعات المراغي ومصطفى عبد الرازق والصعيدي وعرفة ومحيي الدين وعوني وعبد القادر ويوسف موسى وغلاب وماضي وقرقر وبدير والخضر وغيرهم !! ...

ليت شعري ! كيف فات الأزهر هـذا وعلى رأسه اليوم الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق خريج السوربون وصاحب المؤلفات العديدة ؟ ... لئن فات الأزهر هذا اليوم نرجو مخلصين ألا يفوتهم يوم يحتفلون بالعيد الألفي للأزهر . ولكن متى يكون هذا الاحتفال ؟ .

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف




# مجنـــون . . . !

**للقصصي الفرنسي جي دي موباسان**

**بقلم الأديب م . كمال جلبي**

مات الرجل الفذ الذي اهتزت له مجالس القضاء الفرنسية قاطبة ، وانحنت لموته رءوس الحقوقيين وأعضاء مجالس الشورى انحناء احترام وخضوع لوجهه الهزيل الذي كانت تضيئه نظراته الحادة .

كان عدو اللصوص والقتلة لأنه الوحيد الذي يقرأ أفكارهم الرهيبة ويكتشف أسرار الجرائم التي ارتكبوها ، فبنظرة واحدة إلى أحدهم يعرف أسراره المدفونة .

مات الرجل في الثانية والثمانين من العمر ، فشيعت نعشه حسرات شعب كامل ؛ وسار وراءه جنود الحكومة لابسين البناطيل الحمر ؛ يتقدمهم أعاظم رجالات فرنسا ويندبه أصحاب الربطات البيضاء بدموع صادقة .

وقد وجدوا بعد موته في غرفته الخاصة التي تحوي أوراق كبار المجرمين مذكرات بعنوان « لماذا »

**٢٠ حزيران سنة ١٨٥١ :**

انتهت جلسة اليوم بعد حكمي على بلوندل بالإعدام .

لم قتل هذا الرجل أولاده الخمسة ؟ ولم تظهر علائم اللذة على هؤلاء إذا قضوا على غيرهم ؟

نعم ! نعم ! يجب أن يكون القتل لذة ، ولعلها تكون أعظم اللذات جميعها ! أليس للموت شبه عظيم بالحياة ؟

الحياة والموت ! !

كلمتان تتألف منهما قصة المجتمع ، نعم المجتمع كله ؛ أي كل ما هو كامل ؟ إذاً لماذا يولع الإنسان بالقتل ؟

**٢٥ حزيران :**

فكر في مخلوق حي ، يسير وينظر ويضحك ... مخلوق ؟!

ما هو المخلوق ؟

هو كائن يحيا بحركة نظامية ، وبفكر ثاقب يدير تلك الحركة الكامنة فيه ، ولا يشغل هذا الكائن فراغاً لأن رجليه اللتين يسير بهما لا تتعديان وجه الأرض . إذن فهو حبة حياة متحركة لا أدري مم تكونت ! تبدو بسيطة كأحقر الأشياء ، وأتفهها كأن لا قيمة لها مطلقاً .

**٢٦ حزيران :**

لِمَ يعد القتل جريمة ؟ نعم لماذا ؟

فقانون الطبيعة لا يعاقب القاتل ، والقتل كما أرى فريضة على كل كائن : فانه يقتل طلباً لعيش رغيد ؛ يقتل لأنه عرف لذة القتل ؛ فالحيوان يقتل في كل لحظة من وجوده — والرجل لا ينقطع عن القتل ، بل يقتل ليتغذى ، ويرى في القتل ضرورة ، لذلك رأى في الصيد لذة — وقد لا يشعر الطفل بالنشوة إلا إذا خنق صغار الحشرات وصغار العصافير التي تصل إليها يده ؛ وكل هذا لا يطفىء شهوة القتل الملتهبة فيه .

لم يكفه الحيوان فعدا على رفيقه الإنسان . وقديماً كانت القرابين البشرية تقدم للآلهة ، فاستعيض عنها حديثاً بالجرائم التي جعلت القتل جريمة يكافحها القانون بالإعدام أو بالسجن !

والحقيقة أننا لا بد أن نؤدي واجبنا نحو هذه الغريزة الطبيعية التي ينتج عنها الموت الوشيك . وكثيراً ما تحف غلواؤنا عند ما نرى أمم الأرض تتطاحن ، ونسمع بشعوب تذبح أخرى ، وتكون هنالك مجازر دموية تهيم بها الجيوش ؛ فترى أهالي المدن الثملين بخمرة النصر مع نسائهم وأولادهم يطالعون بانتباه على ضوء المصباح أخبار مجازرهم الفظيعة .

هل فكر أحد بأن شعوب الأرض تكره تلك المذابح التي نسميها الحروب . أبداً ! إذاً فلم نثني عليهم بشتى أنواع الثناء ، ونلبسهم الجوخ الثمين محلى بالذهب الوهاج ، ونقلدهم أوسمة يحلون

بها صدورهم ، ثم نغدق عليهم ألقاباً عظيمة فستصبح « مودة » النساء لهم مسخرة مع إرادة الشعوب عامة ، أليس ذلك لأنهم مسخرون لقتل الإنسان ؟ إذن فالقتل نظام أودعته الطبيعة صدر الإنسان ليصيب السعادة الدائمة والشرف الرفيع !

القتل هو القانون ، والطبيعة تحب الشباب الخالد ، فتحث أبناء الحياة على ترك الحياة ، وكلما أهلكت رهطاً أحيت آخر مثله .

**٢ تموز :**

الكائن ؟ ! ما هو الكائن ؟

هو كل شيء ، وهو لا شيء ؛ فهو انعكاس الكون . وتصغير العالم ، هو تاريخ ، وشكله مرآة لأعماله ، فكل مخلوق محيط في هذا العالم !

إرحل وابحث عن الأجيال تر الكائن لا شيء . اصعد في زورق وابعد عن الشاطىء المزدحم بالمخلوقات فلا ترى شيئاً بعد برهة ، ومن هنا نستدل على حقارة الإنسان . اقطع أوروبا بالقطار السريع وتطلع من بابه الصغير تر رجالا لا يحصون مجهولين ، يحرثون الحقول ... ويتراكضون في الشوارع ، وفلاحين بلهاء لا يعرفون سوى فلح الأرض مع نسائهم السمجات اللاتي لا يتقن سوى طبخ الحساء لرجالهن وأولادهن .

اذهب إلى الهند ، إلى الصين ، تجد الحال هي الحال : أناس يولدون ويشقون ثم يموتون دون أن يتركوا أثر نملة .

زر بلاد الزنوج الآوين إلى بيوت من الطوب ؛ زر بلاد العرب البيض القابعين تحت خيامهم القائمة المتموجة مع الرياح تر حقيقة المخلوق المنعزل الذي نعتناه بلا شيء

والعقلاء من البدو والحضر ينظرون إلى الموت نظرهم إلى الأمر الذي لابد منه ، فلا يكترثون له . والجريمة كذلك في نظر البدو الذين نشأوا وتأصلت في نفوسهم منذ نشأتهم فكرة الأخذ بالثأر كأنها شيء طبيعي . أما أهل الحضر فلا يتأثرون بهذه الجرائم وإن كانت أفكارهم لا تتعدى حدود اعتبارها أمراً طبيعياً لازماً لإطفاء شهوة القتل ، والقتل تنتقل عدواه من بيت لآخر ومن مقاطعة لأخرى .

تأمل في أشخاص العالم المجهولين !

المجهولين ؟

وصلنا أساس البحث ! ؟

قلنا إن القتل جريمة لأن القانون أحصى عدد المخلوقات وسجلها وأطلق عليها أسماء عديدة ، ثم قدسها رجال الدين فإذا هي في حمى القانون يدفع عنها عدوان القتلة السفاكين ؛ والمولود الذي لا يسجل لا يعترف القانون بوجوده

الطبيعة تحب الموت ، ولا تعاقب القتلة ؛ وهي نفسها تدافع عن الإنسان الذي جعله القانون سلعة في يده يفعل به ما يشاء ، لأنه خول نفسه الحق فيه ، فتراه يعد مئات الألوف للحرب منتظراً أن يسقط أسماءهم من سجلاته . ولكننا نحن الضعفاء لا يمكننا تبديل أي اسم حتى ولو من سكان الأقضية ، بل الواجب علينا أيضاً احترام حياة الكائن ، مع احترام سلطة الحكومة المدنية التي تملك الهيا كل البلدية .

قف وادع الله يا ابن الطبيعة !

**٣ تموز :**

في القتل غرابة ولذة مقرونتان بالسرور ؛ فإذا كان المخلوق الحي العامل تحت سلطتك وتمكنت من عمل جرح صغير واحد في جسده ووقفت ترى المادة الممزجة الحمراء تسيل أمام عينيك ثم يفقد ذلك الجسم الحياة ، فلا ترى بعدئذ سوى كتلة لحم لين ، بارد عديم الحركة التفكير .

**١٥ آب :**

لقد قضيت حياتي بالمحاكم ، أعدم ، وأميت ، بكلام رقيق يخرج من فمي ، وتنفذه المقصلة في الذين أماتوا بحد السكين ، أنا ! أنا ! ماذا يكون مصيري إذا أصبحت كأحد هؤلاء القتلة ! ؟ من يدري ؟

**١٥ آب :**

من يدري ؟ لا أحد !

أيفكر امرؤ بأني قاتل ولا سيما إذا انتقيت كائناً لا فائدة تعود عليّ من حذفه ؟

١٧ آب :

الشهوة ، الشهوة ، نعم ، تمتلكني شهوة القتل كالدودة حابية في جسمي وفي عقلي ، إني متعطش إلى رؤية الدم وبجانبه الموت ، حيث تسمع أذناى صوتاً فظيعاً يناديني ، ويذكرني بآخر صرخة تخرج من المحتضر . لعل في القتل لذة ، وخصوصاً إذا كانت الضحية كائناً مطلق الحرية واسعها يملك قلبه الهادئ الرزين بنفسه .

٢٢ آب :

لا يمكنني الصبر ، فقتلت حيواناً إطاعة لتلك النزعة الحمقاء التي تغالبني .

لخادمي « جان » عصفور في قفص ثمين ومعلق بنافذة الدار ، وقد أرسلت خادمي ذات يوم لقضاء حاجة ، وبعد أن ذهب أخذت العصفور الصغير في يدي فشعرت بجسمه الحار ، وبنبضات قلبه المتفاوتة ، ثم صعدت به إلى غرفتي ، وأخذت أضغط عليه شيئاً فشيئاً إلى أن أحسست بدقات فؤاده السريعة . لقد كان المنظر وحشياً مع فظاعته . كدت أخنقه . ولكن لا فائدة لأني لن أرى دمه يسيل ، فأخذت المقص وجملت رقبته ثلاث قطع ؛ ففغر السكين فاه ، وأراد التخلص بكل ما أوتي من قوة ، ولكن أنى له ذلك ويداي كالحديد تطوقان عنقه ؟ لقد كان عملي يسترعي الدقة والانتباه ، فكنت أعمل بتؤدة ! !

الدم !... الدم !... ما أجمله !!

أحمر قانٍ ، صاف ! لقد أردت أن أخضب به لساني ، وفعلا كان ذلك ! إن هـذه الكمية القليلة لا تبعث النشوة ، لكنها لذيذة ! ضاق نطاق الوقت للتمتع بهـذا المنظر ؛ فقد حان حضور خادمي .

آه ! لو كان بدل هذا العصفور ثور لكان أبهى وألذ .

يالي من شقي ! لأني أصبحت كالقتلة : غسلت المقص بيديّ ، وحملت الجثة الهامدة إلى مثوى أعددته لها في الحديقة ، ودفنتها تحت شجرة « فريز » .

لا يمكن لأحد معرفة هذا المكان ، وسآكل كل يوم حبة من هذه الشجرة الحمراء .

بكى خادمي عصفوره كثيراً بعد عودته ، وظن أنه طار من قفصه . أيمكنه اتهامي ! ؟ لا ... لا ... ! !

٢٥ آب :

الأمر بسيط : ذهبت للنزهة مرة في غابة «فيرن» لا أفكر في شيء مطلقاً ، وإذا ولد صغير يأكل خبزاً عليه قليل من الزبدة على قارعة الطريق . وقف ليراني ماراً بجانبه ، وعندما اقتربت منه حياني قائلا :

— نهارك سعيد ، يا سيدي الرئيس .

وهناك ... طرأت عليّ فكرة « قتله » فرددت عليه :

— أنت وحدك هنا يا ولدي ؟

— نعم يا سيدي الرئيس .

— ألا يصحبك أحد من أقاربك أو أصدقائك في هذه الغابة العظيمة المقفرة ؟

— أبداً يا سيدي الرئيس .

لقد عصفت في رأسي شهوة القتل وأثرت في نفسي كما تفعل الخمرة برأس شاربها .

اقتربت منه ببطء خوفاً من أن يفر كما كان يخيّل إليّ . ضغطت على عنقه بعنف ، فنظر إليّ بعينين لهما كيان البحر عمقاً والسماء صفاء و ... لم أشعر طول عمري بمثل هذا الإحساس الغريب الذي سيطر عليّ . لقد أمسكت يديه الصغيرتين بساعديّ القويتين المفتولتين ، بينما كان جسمه يتطاير في الهواء كما تتطاير ريشة الطير على سفود . ثم همدت حركته ، ووقفت أنفاسه . وهنالك أحسست بتوائب دقات قلبي العنيفة ؛ مسكين ذلك الصغير ، لقد رميت جثته في حفرة وغطيتها ببعض الحشائش ثم عدت .

تناولت غدائي هادئ الأعصاب كأني لم آت شيئاً ! لقد شعرت بخفة نفسي التي عادت فجددت شبابها الأول ، وقضيت سهرة الليلة عند مدير الناحية . إنهم وجدوني سريع النكتة ، خفيف الروح ، في تلك الليلة ، ولكني لم أر الدم ، لذلك لم أك مطمئناً تمام الاطمئنان .

٣٠ آب :

عثروا على الجثة ، والسعي جار لمعرفة القاتل ؛ أنا مطمئن فلن يرفع الستار عن المجرم .

**أول أيلول:**

أوقف قاضي التحقيق رجلين من عابري السبيل كانا يجوبان تلك الناحية ، وقد أخلى سبيلهما لأن الأدلة غير كافية لأدانتهما.

**٢ أيلول :**

بكى أهل الطفل أمامي متضرعين ! ! ألا ما أعذب قولهم !

**٦ تشرين أول:**

إن شهوة القتل تمتلكني وهي متأصلة في عروقي ، تجري مع دمي ، وهذا ما يدفعني إلى القتل كابن العشرين عند ما يتيمه الحب

**٢٠ تشرين أول :**

جريمة أخرى :

ذهبت بعد الغداء ناحية النهر أتريض ، وهناك رأيت صياداً نائماً تحت شجرة حور ، وكان الوقت ظهراً . تطلعت حولي فاذا بمعول في أرض مجاورة مزروعة بطاطس ، فأخذت المعول ، ثم عدت أدراجي إلى الصياد ، فرفعته بين يدي كالهراوة وضربته ضربة واحدة بحد ذلك المعول قطعت رأسه . تدفق الدم الوردي الخداع بغزارة ، وانحدر إلى ماء النهر الجاري !

عدت أدراجي بخطوات مريبة ، آه ، ... ! لو شاهدوني لعرفوا فيَّ قاتلا وحشياً مريعاً .

**٢٥ تشرين أول :**

أحدث مقتل الصياد ضجة عظيمة بين الأهلين وفي الدوائر ؛ واتهم في ذلك ابن أخي المقتول لأنه كان يصطاد معه .

**٢٦ تشرين أول :**

رأى قاضي التحقيق أن ابن الأخ مجرم وكل من في البلدة يعتقد ذلك ، مسكين ذلك الحمل ! ! ؟

**٢٧ تشرين أول :**

دافع الصبي عن نفسه دفاعا ضعيفاً ، لقد حلف أيماناً مغلظة بأن عمه قتل أثناء غيابه ، وهو في البلد يشتري خبزاً وجبناً .

ولكن من يصدقه ؟

**١٥ تشرين الثاني :**

بالموت ! بالموت ! بالموت !

حكمت على الطفل البريء ! وقد أحسن المدعى العام فكان ينطق كالملاك ، وذكر الأسباب التي دعت إلى إدانة الطفل ، وهو أنه وريث عمه الوحيد .

لقد رأست جميع جلسات محاكمته وسأذهب لأرى مصرعه .

**١٨ آزار سنة ١٨٥٢ :**

انتهى كل شيء هـــذا الصباح . مات الطفل بسرور وبشجاعة مما زاد في ابتهاجي ! ما أروع رأسه المتطاير ، وما ألذ دمه المتدفق كالسيل ! نعم كالسيل ! آه لو مكنوني من الاستحمام فيه والاستلقاء عليه حيث أشعر بسريانه في شعري وعلى وجهي ، وأقوم بعدها مصبوغاً بالأحمر القاني .

ما أفظع الحقيقة لو عرفوها !

والآن أستطيع أن أنتظر وأن أسهر الليالي لا يثير دهشتي أحد ، ولا يعكر صفوي معكر ...

... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...

لم تنته المذكرات بعد . وهي تحوي عدة صفحات أخرى بدون جريمة جديدة . وأقر الأطباء الذين كلفوا بدرس المذكرات بأن هذا الضرب من المرض العقلي هو أقل أثر لما نفكر في عصرنا المادي الذي زاد فيه السقوط الأخلاقي والجنون العصبي

(حلب) م . كمال حلبي

وزارة الأوقاف

# إعـلان

تعلن وزارة الأوقاف شهر مزاد تأجير أطيان زراعية بالوجهين القبلى والبحرى مساحتها ٥١٣١٧ فداناً على جملة صفقات بجلسات علنية بمراكز التفاتيش فى المواعيد المحددة لكل تفتيش ويعلن عنها بلوحة الإعلانات بالوزارة والتفاتيش — وقررت ما يأتى :

١ — أن تكون مدة التأجير سنتين فى جميع التفاتيش عدا الصفقات التى تزرع قصباً فتكون مدة التأجير فيها لثلاث سنوات .

٢ — أن تعتمد الوزارة فى أول جلسة نتيجة التزايد إذا كان العطاء بأجر المثل المعتمد أو بأكثر منه .

٣ — أن يكون التأمين النقدى موازياً ٥٠٪ من إيجار سنة ما لم يكن بالأطيان مخازن للوزارة فإن وجدت فيكون التأمين ٣٠٪ فقط على أن يدفع منه ٢٠٪ وقت العطاء ويكمل فى مدى أسبوع من تاريخ إخطاره بقبول عطائه بصفة مبدئية .

٤ — ترد التأمينات النقدية لأربابها فى آخر الجلسة متى كانت عطاءاتهم غير مقبولة ما لم يوجد مانع من ردها .

٥ — ويمكن الاطلاع على الشروط وقوائم المزاد بالوزارة والتفاتيش — وعلى من يرغب فى الدخول فى مزاد استئجار أى صفقة أن يعاينها قبل الجلسة ويطلع على جميع البيانات الخاصة بها ويعتبر دخوله فى المزاد إقراراً منه بالمعاينة والاطلاع على البيانات .

٦ — مستحقو الأوقاف الأهلية المشهورة أطيان تابعة لأوقافهم مدعوون لحضور جلسات التزايد المعلن عن مواعيدها بالتفاتيش مع الرجاء بالعمل من جانبهم على زيادة عدد الراغبين فى التأجير .

إذا لم يكن التأمين نقداً كما تقدم يكتفى بتقديم أحد التأمينات الآتية قبل الدخول فى المزاد :

١ — خطاب ضمان من بنك معتمد بقيمة إيجار سنة ويراعى فى خطاب الضمان أن تكون مدة الكفالة بحيث تنتهى بعد مضى ستة أشهر من آخر يوم محدد لانتهاء مدة العقد .

٢ — أوراق مالية مقبولة لدى الحكومة المصرية لا تقل قيمتها عن إيجار سنة حسب تقرير الوزارة .

٣ — أن يقدم للتفتيش قبل الجلسة المحددة للتزايد بأسبوعين على الأقل ضمان بتأمين عقارى مصدق عليه من قلم المساحة المحلى توازى قيمته إيجار سنة مصحوباً بجميع مستندات الملكية وشهادات تصرفات من المحكمة المختلطة لمدة عشر سنوات سابقة لتاريخ الجلسة أو إيصال دال على سداد رسوم طلبها مصحوباً بقيمة ١٠٪ من عطائه نقداً ولن يقبل أى تزايد ما لم يقدم صاحبه تأميناً طبقاً للشروط المبينة بهذا الإعلان

# لجنــــة القاهرة للتـــــأليف والنشر

١١ ميدان الخديو اسماعيل

تقـــدم كتابها الأول :

## حـــرية الفـــكر

تأليف ج . بيورى

تعريب وتقديم الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

الثمن ٢٠ ص

متعهد التوزيع — دار القرن العشرين . ص . ب ١٩٢٤ — القاهرة

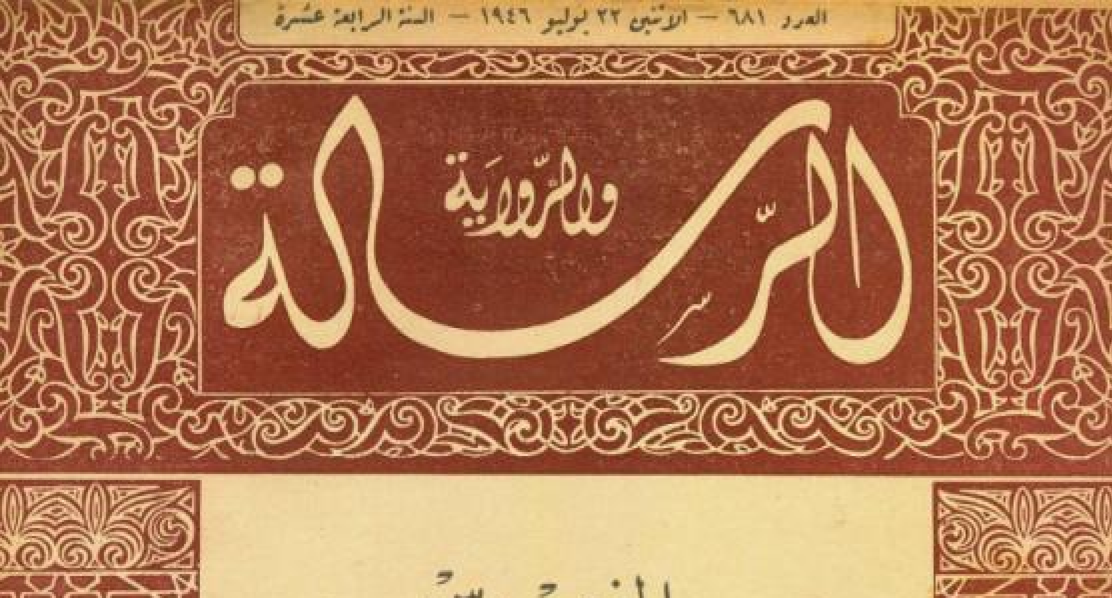
# سكك حـــديد الحكومة المصرية

## خط مصر الأسكندرية

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه يسير الآن قطاران فاخران سريعان ( درجة أولى وبولمان ) بين القاهرة والأسكندرية فى المواعيد الآتية :—

| | | ٩٩٣ | ٩٩١ | | | ٩٩٢ | ٩٩٠ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| مصر | قيام | ٨ر٣٠ | ١٧ر٣٠ | الأسكندرية | قيام | ٨ر٠٠ | ١٧ر٠٠ |
| طنطا | قيام | ٩ر٤٤ | ١٨ر٤٤ | سيدى جابر | قيام | ٨ر١٠ | ١٧ر١٠ |
| سيدى جابر | قيام | ١١ر٢٢ | ٢٠ر٢٢ | طنطا | قيام | ٩ر٤٩ | ١٨ر٤٩ |
| الأسكندرية | وصول | ١١ر٣٠ | ٢٠ر٣٠ | مصر | وصول | ١١ر٠٠ | ٢٠ر٠٠ |

العدد ٦٨١ — الاثنين ٢٢ يوليو ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



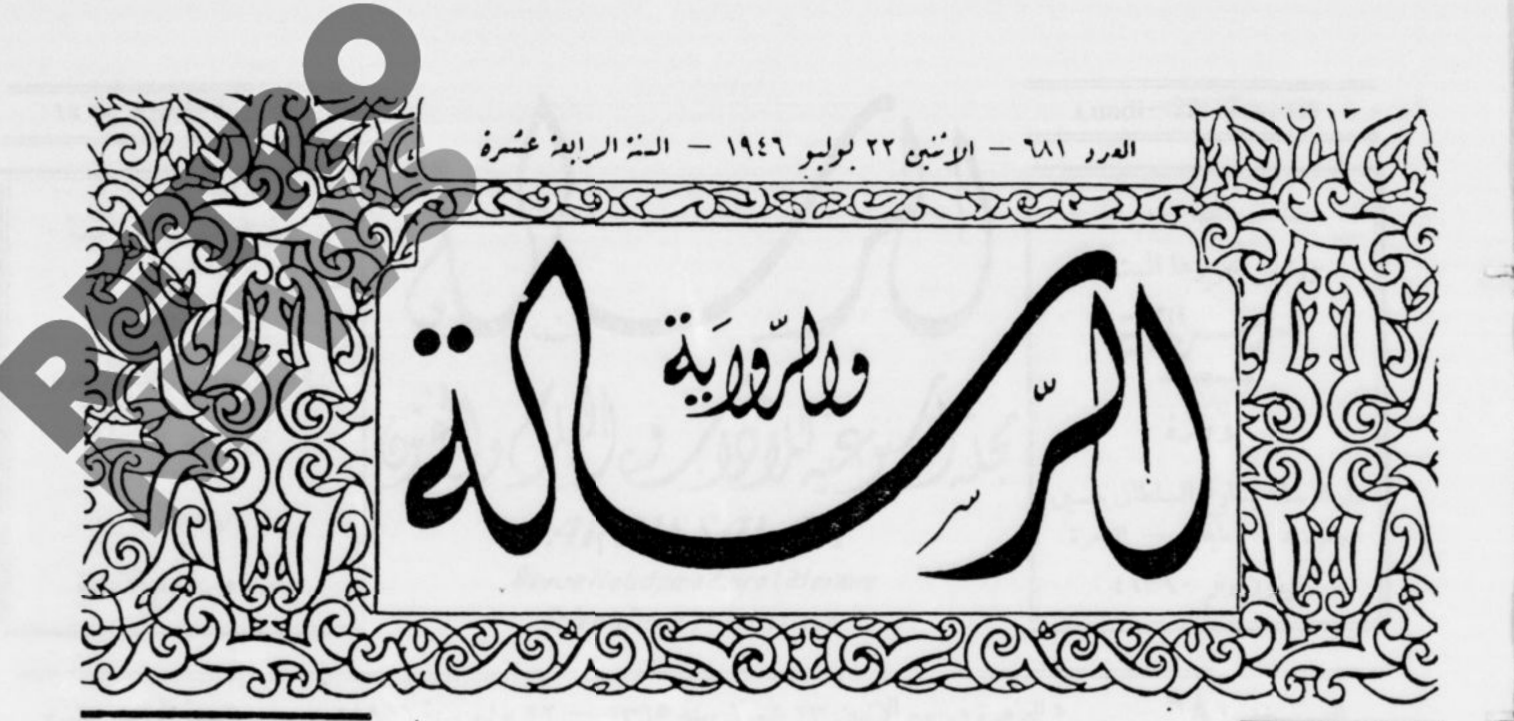

## الفهرس

صفحة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٨١ — الاثنين ٢٢ يوليو ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

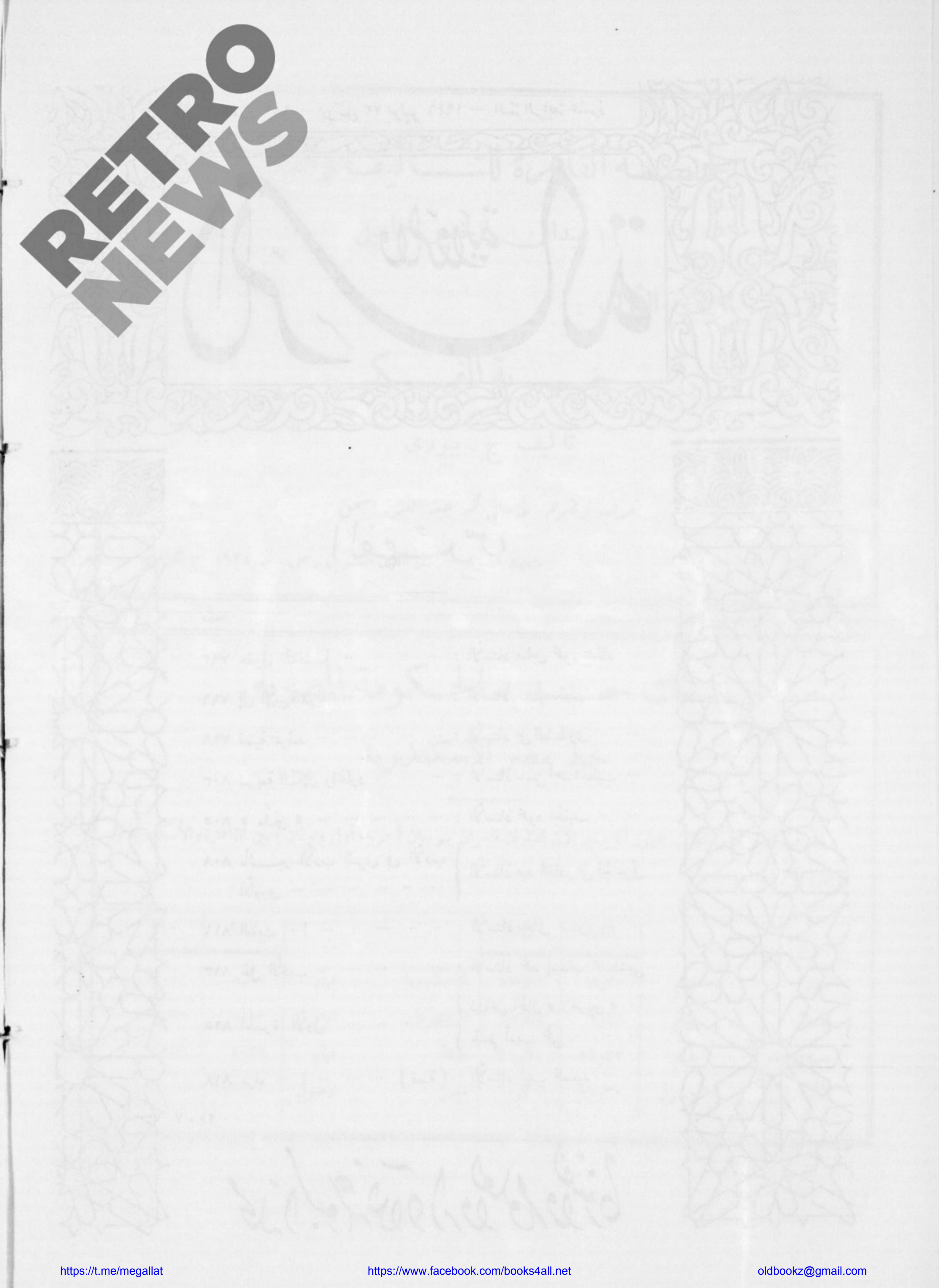



## الفهرس



٢٧٠٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



14 me Année No. 681

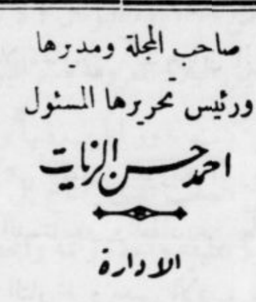
Lundi—22—7—1946

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique




الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٨١ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٥ — ٢٢ يوليو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة



## حقوق المناقشة

للأستاذ عباس محمود العقاد

للمناقشة حقوق .

ولا يرعى للمناقشة حقها من يناقش طالب المعرفة والانصاف كما يناقش طالب الحزازة والادعاء ، أو يناقش المفيد المستفيد كما يناقش المفترى الذى يضيع على القراء أوقاتهم فى شفاء ضغن ومرضاة غرور .

فلا بد من تفرقة بين المناقشتين .

ومن حق الكاتب على نفسه ألا يخاطب المخلص المهذب الذى يصدق النية فى سؤاله والرد عليه ، كما يخاطب إنسانا يغمطه حقه وينحله ما لم يقله ويسيء فهم ما قاله ويتعالى عليه بالباطل وهو منه فى مرتبة دون مرتبة التلميذ من الأستاذ .

ومن حق القراء على الكاتب ألا يسوى أمامهم بين من يخدمهم فى طلب الحقيقة ، ومن يخدم نفسه فى شهوة مريضة لا تعنيهم ولا تعنى الأدب والثقافة .

ومن حق الأخلاق على من يرعاها أن يكشف هذه الأمور ويعطيها ما هو واجب لها من التنبيه والتعقيب .

ونرجو أن يكون فيما تقدم جواب للسائل الأديب الذى يسألنا عن « يوم نعمنا ويوم بؤسنا » كما سماهما وهو يشير إلى أسلوبنا فى الإجابة على أناس بالرفق واللين ، والإجابة على أناس آخرين بالشدة والتقريع . ونقول له إننا لو فعلنا غير ذلك لكنا مخطئين ، لأن الناس لا يسألون جميعا بنية واحدة ولا لغرض واحد ، وينبغى أن يكون الجواب على حسب اختلاف الأغراض والنيات ونرجو أن تكون فيما يلى أمثلة من المناقشات التى تنجم عن سوء الفهم أو سوء النية أو عنهما معا فلا تجاب إلا كما ينبغى أن تجاب .

***

من الحقائق الأدبية التى لا تحتاج إلى عناء كبير فى تفصيلها أن نظم الحكم الشائعة والأمثال المتواترة يتيسر لكل من يقدر على النظم أو على وزن التفاعيل ، ولا يدل حتما على ملكة شعرية ولا على حكمة فطرية ، وأن ورود بعض الحكم فى أشعار الفحول المطبوعين لا يثبت لنا أن كل قائل ينظمها هو شاعر مطبوع يضارع أولئك الفحول المطبوعين .

هذه من البدائه التى لا تحتاج إلى عناء .

وقد أشرنا إليها فى كتابنا عن شعراء مصر وبيئاتهم وقلنا فى سياق الكلام على عبد الله فكرى باشا : « إننا لا نعرف بين كبار الشعراء فى العالم كله واحدا صرف إليها شعره وجعلها من أغراض فنه » .

وهذا أيضا صحيح ، لأن كبار الشعراء فى العالم معروفون ، وليس نظم الحكم والأمثال من الأغراض التى تتعذر على من دونهم من الشعراء بكثير .

وعلى مكان هذه الحقيقة من البداهة لا مانع عندنا أن يجهلها بعض الناس ، وأن يتشككوا فى عمومها وشمولها ، ولكن المانع عندنا أن يُعتبر تقريرنا لها « جريمة تهويل » واقحام للدعاوى فى غير موضعها ... كأننا نزج بأسماء كبار الشعراء فى مقام لا يدعونا إليه إلا المباهاة بذكرهم ، والظهور بهذه المباهاة !

وهذا الذى صنعه السيد عبد الغنى حسن حين سأل مستهولا : ما دخل كبار الشعراء فى العالم كله فى ميدان هو بشعراء العربية أشبه ؟ » .

فان هذا الاستهوال نفسه لهو غاية ما يمكن من الادعاء مع جهل الصواب وقلة الرغبة فى الفهم الصحيح .

فلو أن السيد عبد الغنى كلف عقله عناء الفهم قبل أن يستكثر علينا هذه العبارة لفهم أننا لم نذكر فيها كلمة واحدة يتأتى حذفها بغير اخلال بالمعنى المقصود .

فتحقيق الملكة الشعرية لا يكون بالرجوع إلى صغار الشعراء ولا أوساط الشعراء ، ثم هو لا يكون بالرجوع إلى كبارهم فى قطر واحد ، لأن التقاليد الموضعية قد تولع بعض الشعراء فى قطر من الأقطار بأسلوب لا يرتضيه كل شاعر كبير . ولا سبيل إلى التحقق من الملكة المطبوعة إلا إذا عرضناها على « كبار الشعراء فى العالم كله » وعرفنا حظها منهم أو حظهم منها ، فنعرف هل هى عرض فى شعرهم أو هى أصل صميم .

فللشعراء الكبار فى العالم كله دخل فى هذه المسألة ولم نقحمهم نحن ثمة لغير مناسبة ولا دلالة . وإذا كان السيد عبد الغنى يفهم أننا نتكلم فيما لا نعلم حين نتكلم عن كبار الشعراء فى العالم كله فليس له علينا حق الحمد والتسبيح ، ولا حق الاطراء والمديح!

* * *

وأغرب من السيد عبد الغنى حسن فى تصحيحاته وتهويلاته سيد آخر من بيروت يدعى « عمر فروخ » ... ولعله من أصحاب العلم والأدب بالرخص « الأمريكانية » أو « الفرنسيوية » التى ابتلى بها الشرق العربى فى الزمن الأخير .

وصلت إلينا لهذا الفروخ رسالة عن ابن الرومى يقول فى مقدمتها : « قال سليمان البستانى : وكأنى بابن الرومى وفيه لمحة من كنيته إلى جرثومة أصله أو عرفانه ، كانت تحمله على تحدى هوميروس فى كثير من أساليبه ومعانيه وتشبيهاته . وقرأ عباس محمود العقاد هذا فبنى عليه فصلا تاما من كتابه ابن الرومى ٢٦٣ — ٣٠٢ وبعض فصل ... »

ثم تناول هذا الفروخ قلمه الأحمر وتفضل بتوزيع الدرجات والتوبيخات فقال : « لقد غفل البستانيان والعقاد عن طبيعة الاجتماع وفاتهما كثير من حقائق التاريخ وأسس الأدب . ان الوراثة العرقية أو وراثة الدم تؤثر فى الاستعداد العام أو فى الذكاء الفطرى وفى الصفات الجسمانية ، ولكنها لا تؤثر فى اتجاه التفكير ولا فى الانتاج الأدبى . ثم ان ابن الرومى نشأ فى بيئة عربية يجهل اللغة اليونانية وكذلك أبوه ، ولم يكن من سبيل لاتصاله بالأدب اليونانى القديم أو المتأخر ، وأن عبقرية ابن الرومى لم تتكون إلا كما تتكون كل عبقرية غيرها من عوامل فى البيئة وعناصر الشخصية ... »

ثم رفع هذا الغر مقرعة المعلم على رؤوسنا وراح يهزها ويقول « إن بعض المتأدبين عندنا تأخذهم حمية الانشاء فيندفعون فى كتابة خيالية ، من غير تحقيق أو اهتمام بما كتبه العلماء والباحثون ... »

فهل علم القارىء إذن ماذا نحن وماذا هذا الفروخ المجهول ؟

هذا الفروخ المجهول معلمنا نحن المتأدبين ، وحذار أن تخطىء فتزعمنا من الأدباء ! ! وهو يتربع الديوانية ويتبختر الفطحلية ، ويعجب لهؤلاء التلاميذ الذين يسودون الصفحات بالانشاء ، ولا يفقهون ما قاله العلماء ، ولا يعرضون عليه كتبهم ليوزع عليها الحمراء والخضراء ، من درجات التصحيح والاملاء .

وما الذى اخطأنا فيه نحن المتأدبين ، فأدبنا هذا الفروخ على هذا الخطأ المبين ؟

أخطأنا لأنه افترى علينا ، ولأن الذى قلناه نقيض ما نسبه إلينا . والعجيب أنه يذكر الصفحات ، وهذا الذى قلناه فى تلك الصفحات :

قلنا : « ربما كان القول بأن ابن الرومى رجل حساس متوفز الأعصاب ملبّى المزاج نشأ فى حضارة زاهية فأجابته وأجابها ، وأخذت منه وأخذ منها ... أقل فى العجب من تفسير عبقريته بأنها عبقرية يونانية علي اعتبار أنها موروثة عن آبائه اليونان .

إذ من هم آباؤه اليونان؟ لا ندرى أهم من اغريق الجزر، أم من اغريق البلاد المعروفة باسم اليونان، أم من اغريق آسيا الصغرى التى كانت تدور الحرب فيها وحولها بين المسلمين ودولة الروم. ومن الصعب الذى يحتاج إلى التفسير أن نقول إن هؤلاء الاغريق جميعا سليقة واحدة وأمة واحدة وعنصر واحد ينحدر منه الرجل وينتقل إلى بيئة أخرى وينجب الأبناء فى بيئته الجديدة فيجتمع فيهم كل ما تفرق من خصائص العبقرية الفنية التى تسمى الآن بالعبقرية اليونانية. ثم نحن لا نعلم أن الاغريق فى قديم عهدهم كانوا عنصرا واحدا ينتمى إلى سلالة واحدة، لأن امتزاج الأنساب بينهم وبين الأسيويين ثابت لا شك فيه، واقتباسهم من عقائد الأسيويين وفنونهم ولغاتهم ثابت كذلك أقطع ثبوت...

ولا يمكن أن نجزم برأى فى وراثة الفطرة الفنية ولا سيما الفطرة فى الشعب كله حتى لو عرفنا الأصل الذى تحدر منه ابن الرومى بين أصول اليونان الكثيرة. فقد كان فى بلاد اليونان نفسها ألوف من أبناء الشعب اليونانى المحاطين بالبيئة اليونانية فى جميع ظواهرها وبواطنها، فلم ينبغ منهم فى عصر ابن الرومى شاعر مثله ولا نبغ منهم فى العصور السابقة التى أزهرت فيها آدابهم وفنونهم شاعر من طرازه فى جميع خصائصه وملكاته. فلو أننا نقلنا ابن الرومى من الأدب العربى إلى الأدب اليونانى لكان فذا فى أدبهم كما كان فذا فى أدبنا ... ولو أننا بحثنا مزية أصيلة فى الفطرة اليونانية تنتقل مع الدم وتسرى فى خلال التكوين لأعيانا أولا أن نحصر هذه الفطرة، ثم أعيانا بعد ذلك أن نحصر هذه المزية. فنحن لا نفسر عبقرية الشاعر حين نسميها بالعبقرية اليونانية، ولكننا نصفها فى كلمات موجزة وصفا يقربها إلى الأذهان، ويطبعها بهذا الطابع المعروف عند المطلعين على الآداب ...»

فالعبقرية اليونانية التى نطلقها على ابن الرومى هى إذن صفة أدبية فنية لم نجزم بوقعها من الوراثة العرقية، ولا أهملنا الإشارة إلى هذه الوراثة لأنها مما لا يجوز إهماله، فكيف قوّلنا الفروخ ذلك الكلام فى تلك الصفحات وهذا ما قلناه فى تلك الصفحات؟ هذا ما قلناه فى كتاب قرأه الألوف ولم نقله فى كلمة شفوية أو مقال غير معروف، وهكذا افترى علينا ذلك الفروخ بما شئت لاسمه من تقديم أو تأخير فى الحروف. فما ذا يقال لمثل هذا؟ أيناقش مناقشة الأكفاء؟ أيخاطب خطاب العلماء والفضلاء؟ كلا، بل ذلك خليق أن ينخع نخعا من تلك الجلسة الفطحلية وتلك الحبوة الديوانية، ثم تنزع من يده العصا التى يهزها هز المعلم على رؤوس معلميه ليحس بها فوق رأسه ويقال له بحق: إن العقاد يا هذا ليتواضع غاية التواضع حين يسمح لأساتذتك أن يجلسوا بين يديه جلسة التلميذ المستفيد. فتأدب أيها المسكين، لأنك لا من الأدباء ولا من المتأدبين.

***

ومخلوق آخر يسمى الشنوق، يشكو المجاعة ولا طعام لمخنوق! ويتحدث عن «المجاعة الأدبية فى مجلة الأديب ... وهو حديث لا يقال فى مجلة، ولا يقال فى السوق ...

قال: «وإذا بعباس محمود العقاد يترك ابن الرومى ونتشه والعبقريات ليكتب فى كل موضوع كخادمة المنزل التى تصلح لجميع الغرف ...»

فالعقاد ملوم إذا كتب فى موضوع واحد، والعقاد ملوم إذا كتب فى أكثر من موضوع، والعقاد مكذوب عليه لأنه لا يزال يكتب عن أبى الشهداء، وعن باكون وعن أثر العرب فى الحضارة الأوربية، وعن هذه الشجرة، وعن غير هذا وذاك، ولكن ينبغى أن يلام والسلام، وأن يطلب منه إطعام من لا يقبل الطعام، وأن يفك الحبال عن الحلوق والأقدام، ليأكل الشنوق ويمشى من يعجز عن القيام.

لا يا عبد الله ... ما هكذا تكون الأشباه.

ليس العقاد خادمة، فى كل غرفة حائمة، بل هو سيد فى نعمة دائمة، له فى كل غرفة مائدة، وعلى كل مائدة حلوق طاعمة ... ولكنه لا يفتح حلوق الشنانيق، لأنها حلوق صائمة، ليس لها فى القائمة حساب ولا لها فى الحساب قائمة.

وهكذا يكتب لهؤلاء ... فعلى من اللائمة؟ ...

**عباس محمود العقاد**

من لغو الصيف :

# إلى الأســـكندرية...

للأستاذ ســـيد قطب

إلى الاسكندرية ...

لا بد من تغيير الهواء فى هذا العام ... فها هى ذى أعصابى تعلن الثورة ، وتعلنها وتعلنها ، ثم تمل من هذا الإعلان فتضرب إضرابا تاما وتنام ! ... وهاهوذا الطبيب والطبيب والطبيب ، لا يجدون فى جعبتهم — بعد أن أتناول نصف ما فى صيدلية حلوان من الأدوية حقنا وتجرعا وبلعا — إلا أن يقولوا : غير الهواء !

لا بد من تغيير الهواء فى هذا العام ... فقد انقضت سبع سنوات عجاف ولم أغادر فيها حلوان شتاء ولا صيفا إلا أياما فى الصعيد — فى مطلع الصيف — « للتفتيش » ! التفتيش لحساب وزارة المعارف ( ولا أدرى متى تغير هذا العنوان ، ومتى تغير — تبعا لهذا - وظيفته فتجعلها مثلا « التوجيه » اسما ومعنى ) . لم يكن تفتيشا فى الواقع . لقد كان نفيا !

كانت الحرب ، وكانت الأحكام العرفية ، وقال الوزير : لابد أن يفصل هذا الموظف أو ينفى من الأرض أو يشرد فيها . فقد أبلغتنى إدارة الأمن العام عنه أشياء !

إدارة الأمن العام ؟ أى إدارة الأمن العام ! ... وأبلغتنى أنه يعمل لحساب المعارضة ... ثم إن « دوسيهه » ليس نظيفا . فيه إنذاران على كتابته فى الصحف مقالات سياسية وهو موظف !

موظف . أى عبد . لا رأى له فى قضية بلده ، ولو لم يكن لهذا الرأى صفة الحزبية !

وأبلغت أننى منفى من الأرض . وقررت أن أستقيل ! وأباها الرجل الأريحى الدكتور طه حسين . وقال : لن تصنعها وأنا هنا فى الوزارة !

قلت : ولكننى لن أخضع لأهواء الوزراء . واجهونى بما يقال عنى ، ثم اصنعوا ما تشاءون . وسأصنع كذلك ما أشاء !

قال : وإذا استقلت فماذا تصنع وأنا أعرف أعباءك الثقال ؟

قلت : أصنع ما يتهيأ لى ، فلست من عجزة الديوان !

قال : لن تستطيع أن تصنع شيئا فى هذه الأيام . فالأحكام العرفية تملك أن تنقلك إلى أى مكان ، وأن تلزمك الإقامة فى هذا المكان ، حتى لو استقلت من الحكومة ! فخير لك أن تقيم فيه موظفا ، ولا تقيم فيه منفيا !

قلت : معذرة يا سيدى الدكتور ؛ فإنى أفضل أن أقيم هناك منفيا ! ثم ... ثم ... إننى سأكون بطلا فى عهد الوزارة القادمة ! ( ولم لا ؟ ألم تتدهور البطولة عندنا حتى صارت تكتسب بالنقل إلى جهة نائية فى عهد من العهود ، أو بالتخلف عن درجة استثنائية كالزملاء ! ) .

وقال الرجل :

— أتنفى لى أنك أتيت ما نسب إليك ؟

— قلت : وهل أدرى ما ينسب إلى ؟

— قال : أشياء، جلست فى بار اللواء ، وقلتها لبعض الجالسين والأصدقاء عن بعض الوزراء ! ومعارضات سرية للعهد الحاضر تنفيذا لخطة حزبية معينة

— قلت : لقد اعتدت أن أنشر آرائى ، وأن أوقعها بامضائى . فليس من عادتى أن أثرثر فى المجالس بشىء ! أو أن أعمل فى الخفاء ! .

— قال : وأنت عندى مصدق . فدع لى الأمر . وسأحدث أزمة من أجلك لو اقتضى الحال ! .

ووفق الرجل بين أريحيته الكريمة وتشدد الوزير . فكلفنى أن أقوم بمهمة تفتيشية فى الصعيد لمدة شهرين اثنين ، أختار فيها من الجهات والمدارس ما أشاء ، وأكتب له تقريراً شاملا عن دراسة اللغة العربية فى المدارس على اختلافها ، وأفصل اقتراحاتى فى إصلاح هذه الدراسة بصفة عامة !

ووجدت فى ذات المهمة ما يغرى ، وفى أريحية الرجل ما يخجل ... فنفذت التكليف .

نفذته متناسيا — بل ناسيا — تلك المهزلة ، مهزلة الاتهام . لقد أخطأ الوزير . أخطأ . فلم أعد أجد فى حزب من هذه الأحزاب ما يستحق عناء الحماسة له والعمل من أجله . كلهم سواء

أولئك الرجال! رجال الجيـل الماضى . للجميع عقلية واحدة لا تصلح لهذا الجيل -- عقلية أنصاف الحلول كلهم نشأوا وفى قرارة نفوسهم أن انجلترا دولة لا تقهر ؛ وأن الفقر مرض مستوطن ... وكلهم يؤمن — إن كانت قد بقيت لأحد منهم طاقة الإيمان بشىء، — أن الله خلق الدنيا فى ستة أيام !

هؤلاء جميعا لم يعودوا يصلحون لقيادة الجيل . أعصاب منهوكة . وقلوب خاوية من الإيمان الحار بشعبهم وأمتهم . كلهم يستحقون « المعاش » ، كلهم سواء ، لا يستحقون من الجيل الجديد الحماس !

***

إلى الاسكندرية ...

فقد انقضت سبع سنوات عجاف لم أغادر فيها حلوان شتاء ولا صيفا ، إلا لهذا « التفتيش » ! ولم أبصر فيها وجه البحر يسفر ، ولم أستمع فيها إلى صوته يجيش ... وكيف ؟ ولم أكن « غنى حرب ! » بل موظفا وصاحب قلم ؟ ! موظفا فى وزارة المعارف . لا فى وزارة التموين ، ولا فى وزارة التجارة ، ولا حتى فى الأشغال أو المواصلات ! . وصاحب قلم للأدب أو السياسة القومية ؛ لا للدعاية الانجليزية والأمريكية ولا للسياسة الحزبية فأنى لى بوجه البحر فى تلك السنوات العجاف ؟ !

وهبنى كنت أجد المال الذى أجارى به أغنياء الحرب ومأجورى الدعاية أو الحزبية ، فما يحملنى على أن أكون من أهداف طيارات المحور ، ولست ضابطا ولا جنديا فى الجيش المصرى الذى احتمل ضحاياه فى أثناء الحرب ، دون أن يفوز بشرف الحرب !

لقد كان موقف الساسة المصريين حرجا حقا !

فهم لا يعلنون الحرب على المحور — ولهم العذر — فلم يعلنونها ؟ ليقاوموا احتلالا متوقعا ، وهم فى احتلال واقع ؟ ! لينصروا الديمقراطية ، والديمقراطية تفعل بهم الأفاعيل ؟ ... أم لا يعلنون الحرب ، ومصر تحتمل ويلاتها بلا مقابل ، وتهدد فى النهاية بأنها إذا لم تعلن الحرب فستحرم من مؤتمر الصلح . ( ثم تعلنها وتحرم من مؤتمر الصلح أيضا ! ) .

أم لا تعلن الحرب ، ولا تساهم فيها ؟ ... هناك معاهدة الشرف والاستقلال ، وهناك الشيخوخة الروحية ، وهى أشد « شرفاً » من معاهدة الشرف والاستقلال ! ! !

إنهم رجال الجيل الماضى ! أولئك الذين لا يعرفون متى يحسن اللاعب أن ينسحب من الميدان !

***

إلى الاسكندرية ...

فقد انقضت سبع سنوات عجاف لم أغادر فيها حلوان شتاء ولا صيفاً إلا لذلك « التفتيش » السياسى العجيب !

ولكن ما هذا ؟

أهذه محطة القاهرة ؟ أم ذلك يوم الحشر الأكبر ؟ ما بال الناس هكذا يتدافعون بالمناكب ، ولا يعرف حميم حميما ؟ أهذا قطار ؟ أم حمام الثلاثاء ! وإن كنت لا أعرف حمام الثلاثاء . ولعل الدكتور زكى مبارك يعرفه فله قصيدة عن ليلة الثلاثاء . لا بد أنها كتبت هناك !

فلنزاحم ، على شدة ما أكره الزحام !

الحمد لله ! لقد وجدت مكانا ... مكانا للحقيبة فى « طرقة » العربة . فى الممر ... وهل ذلك شىء هين ؟ إن السعيد من يجد لحقيبته مكانا فى هذا الممر . إنه بعد أن يهدأ القطار ويروق ، وينزل المودعون الذين يكظون الفراغ كظاً ، يستطيع أن يتخذ من حقيبته مقعداً ، بينما الآخرون يقفون طول الطريق خفافا أو ثقالا يحملون بعض متاعهم ، مالم يحوه على أقدام المسافرين ! ! !

وجلست بعد فترة ووقف الآخرون . وسار القطار ... وفى الزحام الشديد وقعت عيناى على سيدة شابة جميلة واقفة تحمل شيئاً ، شيئاً أثمن من كل ما يحمل المسافرون ... تحمل جنيناً !

وبمقدار ما يثير فى نفسى منظر الشابة الحامل من الأسى ، يثير فى نفسى كذلك الاحترام والإشفاق .

فأما الأسى ، فعلى ذلك الجمال الضائع . كلما تخيلت هذه الشابة فى رشاقتها الفاتنة ، ثم فى هذه الكظة التى عيّر بها ابن الرومى — سامحه الله — إحدى المغنيات ! إنه أسى يكمد نفسى ويؤذيها بقدر ما ترتفع فى هذه الشابة درجة الجمال !

وأما الاحترام والإشفاق فلهذه التضحية النبيلة التى تبذلها

الفتاة للحياة — أرادت أم لم ترد . وشعرت أم لم تشعر — التضحية بالجمال — أعز شيء في هـذه الحياة — وبالراحة ، وبالذاتية كلها في النهاية التضحية إلى حد الفناء !

أقول وقعت عيناى على هـذه السيدة الشابة الجميلة تحمل كنزها وكنز الحياة في حرص وإشفاق . وتحركت في نفسى كل هذه المعانى ، فوقفت متنازلا عن مقعدى الخاص — على ما برجلى من ألم وما بأعصابى من تعب — لهذه السيدة المضحية ... فجلست شاكرة ...

وفجأة همس في أذنى أحد الواقفين: خسارة ! إنها لا تستحق، إنها من بنات صهيون !

وتفرست في ملامحها فرجحت رأى الزميل — الزميل في الوقوف — وكدت أنا الآخر أندم على ما صنعت لولا نظرة إلى الحمل الثمين !

قلت :

ليت الصهيونيين يعلمون ماذا يفعلون ! إنهم بموقفهم الإجرامى في قضية فلسطين يكادون يجردون نفوسنا حتى من العطف الإنسانى ، والروح الآدمى على أبناء صهيون ، وبناته الملاعين !

ماذا يكسب أولئك الصهيونيون من عداء العرب ؟ العرب الذين عطفوا عليهم وآووهم — على مدى التاريخ — والعالم كله يسومهم سوء النكال ؟ !

ماذا يكسب أولئك الصهيونيون من خطتهم الحمقاء التي تثير عليهم سبعين مليونا من العرب ، ومائة مليون على الأقل من المسلمين الآخرين في مشارق الأرض ومغاربها ، دون أن تكسبهم صداقة حقيقية من أحد في هذا الكوكب الأرضى — ولا في كواكب السماء — ! فهـذه أمريكا التي تشترى أصواتهم الانتخابية ونفوذهم المالى بتصريحات جوفاء ، لا ترضى بأن تبيح لهم الهجرة إلى بلادها الواسعة الغنية ، بدل هذه التصريحات الجوفاء . وهذه انجلترا التي تحميهم بالمدافع والدبابات لا تشارك في تخفيف محنتهم بإيوائهم في مستعمراتها الواسعة !

لقد كان لهم من صدور العرب الكرام حصن رفيق رحيم في عهود التشريد المديدة ، ففقدوا بحماقتهم في النهاية هـذا الحصن الرفيق الرحيم !

هذا كل ما جنوه من سياستهم الأثيمة الحمقاء .

***

إلى الاسكندرية ...

وها هى ذى مشارفها تبدو . الركاب يتحركون . يتحركون — ولا مؤاخذة — حركة بغـلة الشاعر القاهرى الظريف — البها زهير — أو بغلة صديقه على الأصح :

لك يا صديق بغـلة ... ليست تساوى خردلة
تمشى فتحسبها العيو ... ن على الطريق مشكلة
تهتز وهى مكانها ... فكأنما هى زلزلة
وتخال مدبرة إذا ... ما أقبلت مستعجلة
مقدار خطوتها الطويـلة . حين تسرع : أنملة
أشبهتها بل أشبهتك كأن بينكما صلة !

***

إلى الاسكندرية ...

فقد أوصيت زميلا كصديق البها زهير ! أن يختار لى منزلا هادئاً فاختاره — حفظه الله — على هواه .

أما قصة ذلك المنزل ... فإلى حديث آخر من « لغو الصيف » الذى اخترته في هـذا الأوان بعداً بنفسى وبالقراء عن معارك النقد الحامية ، وعن مضايقة عباد الله المؤلفين ، وكفى الله المؤمنين القتال ! ! !

**سيد قطب**

من التاريخ الإسلامي :

# قضية سمرقند

للأستاذ علي الطنطاوي

( تتمة ما نشر في العدد الماضي )

مضى السمرقندي نحو دار الخليفة يتعثر في مشيته ، يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، تتقد نار الحماسة في نفسه فيخطو ، ثم تعصف بها رياح الشك فيقف ، وكان يطربه الخيال إلى ملوك بلده ، فيتصور تلك الحجب على القصور ، وأولئك الحجاب على الأبواب ، والسيوف المصلتة والرماح المشرعة ، ثم يبصر هذه الدار ... وهذا الذي قالوا إنه أمير المؤمنين ، فيزداد به الشك ... إنه يعرف السلطان الذي يحكم بالبطش ، والرعية التي تطيع بالخوف ، أما سلطان العدل وطاعة الحب ، فشيء لم يعرفه في بلده !

واستقر في نفسه أن الرجل يسخر به ، فعدا وراءه حتى لحقه وقال له :

— ناشدتك الله أيها الرجل ، هل هذه الدار هي دار أمير المؤمنين ؟

— قال : نعم والله إنها لهي داره ... هذه دار الرجل الذي أورثته سيوف قومه تيجان الملوك الأربعة : كسرى وقيصر وفرعون وخاقان ، فكانت هامته أرفع من أن يبلغها تاج منها ، فما سمت إليها إلا ( العمامة ) تاج العرب ... هذه دار الرجل الذي جبيت إليه ثمرات الأرض ، فكال الذهب كيلا ، وأعطاه لمستحقه باليدين ، ومنح الفقراء الجوهر ، وقسم في المحتاجين الدرر ، وبقي هو وأسرته بغير شيء ... لأن نفسه أكبر من أن يملأها كل ما في الدنيا من ذهب وجوهر ، إنها أكبر من الدنيا ، فلذلك حقرتها وطمحت إلى ما هو أعظم منها : إلى الجنة ! !

وما هجر الحياة ومناعمها ليأوي إلى غار في جبل فيعتزل الناس ، أو إلى مسجد فيناجي الله ، إذن لزاد العباد واحداً ، ولما كان في ذلك حديث يروى ، ولا عجب يؤثر ، ولكنه زهد في الدنيا وهو رجل الدنيا وواجدها ، وإليه أمرها ، وبيده بعد القدر صلاحها وفسادها ، فهو في اللجة ولا يبتل ، وهو ( في اللهب ولا يحترق [1] ) ، هو زاهد ولكن في رأسه عقل حكيم ، وفي صدره قلب بطل ، وفي فيه لسان أديب ، فهو يدير بعقله هذا الملك الواسع ، بقضائه وماليته وداخليته وخارجيته ، وسلمه وحربه ، وهو القائد وهو المفتي وهو المعلم ... أداره أحسن إدارة وأقومها ، فاستقر الأمن ، ونامت الثورات ، وقعد القائمون بالمعارضة ، وسكت الناقمون على بني أمية ، وتصافى الشيعي والخارجي ، والمصري واليماني ، والأسود والأحمر [2] ، واصطحب في البرية الذئب والحمل [3] ... وهو يواجه بقلبه أحداث الدهر ، فترتد عنه الأحداث ارتداد الموج عن صخر الشاطئ ، وهو يصوغ ببيانه الحكمة العليا أدباً خالداً ...

سمع غداة بويع بالخلافة مكرهاً ، هدة ارتجت منها الأرض ، وكان منصرفاً من دفن أمير المؤمنين سليمان فقال : ما هذا ؟ قالوا : مراكب الخلافة قربت إليك لتركبها ، بالسروج المحلاة بالذهب ، المرصعة بالجوهر ، فقال : مالي ومالها ؟ نحوها عني وقربوا لي بغلتي ، وأمر بها أن تباع ويدخل ثمنها بيت مال المسلمين ، فقربت إليه بغلته فركبها ، وجاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة ، فقال له : تنحّ عني ، مالي ومالك ؟ إنما أنا رجل من المسلمين .

ومشى بين الناس ، راكبا على بغلته ، بلا موكب ولا حربة ولا راية ولا طبل . الرجل الذي يحكم الأندلس ومراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والحجاز ونجداً واليمن وسورية وفلسطين والأردن ولبنان والعراق والعجم وأرمينية والأفغان وبخارى والسند وسمرقند ... مشى ومشى الناس بين يديه حتى دخل المسجد ، فقام على المنبر ، فقال :

أيها الناس : إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه ، ولا طلب له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت بيعتي من أعناقكم ، فاختاروا لأنفسكم .

فصاح الناس صيحة واحدة : إننا اخترناك ورضينا بك .

---

(١) هذه الجملة من مأثورات الرافعي رحمه الله .
(٢) كناية عن العرب والعجم ( من كناياتهم ) ..
(٣) أنظر سيرة عمر لابن الجوزي وسيرته لابن عبد الحكم .

ومشى إلى الخضراء، وما الخضراء؟ جنة الأرض التي جشر إليها كل ما في الأرض من كنوز وطرف، القصر الذي أزرت عظمته بالخورنق والسدير وغمدان والايوان، فأمر بستورها فأنزلت، وببسطها ونمارقها فطويت، وبطرفها وكنوزها فحملت، وأمر ببيع ذلك كله ووضع ثمنه في بيت المال، وأمّ داره هذه.

فقال الناس: إنه رجل صالح، ولكن الملك له أهل. إن الملك لا يقيمه إلا قويّ أمين ابن دنيا ...

ظنوه أمّ داره يقبع فيها يسبّح ويهلل، فإذا به يُجدّ قلمه ويُعدّ قراطيسه ويكتب من فوره بيده، إلى أقاليم الأرض، منشوراً فيه الدستور الذي لا يقوم إلا به الملك، وينفذ الكتب من ساعته. فعلموا أن خليفتهم زاهد في الدنيا، ولكنه ابنها وأبوها ...

فعل ذلك كله من الصباح إلى الضحى، ثم ذهب يقيل، فأتاه ابنه عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، ماذا تريد أن تصنع؟ قال: أي بنيّ أقيل. قال: تقيل ولا تردّ المظالم؟ قال: أي بني إني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، وإني إذا صليت الظهر رددت المظالم. قال: يا أمير المؤمنين، من لك أن تعيش إلى الظهر؟ فترك مقيله، وخرج فبعث مناديه ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، فاني منصفه من نفسي ومن آل بيتي ومن الناس أجمعين ... ولقد والله فعل أكثر مما قال!

نعم يا أيها الغريب، هذه دار أمير المؤمنين، فلا يغررك صغرها وضيقها، وعطل أبوابها من الزخرف وجدرانها، وأنه لا حاجب عليها ولا جند ببابها، فان هذه الدار أكرم من كل قصر حملته على ظهرها هذه الأرض[1]، فامش إليها ولا تخف!

***

فعاد السمرقندي، فلما دنا من الدار سمع ضجة ورأى ولدين قد شجّ أحدهما الآخر شجة منكرة، ورأى الخليفة يخرج بنفسه فيأخذ الولدين؛ فيراه، فيسأله، فيقول: إني متظلم يا أمير المؤمنين فيقول له: مكانك حتى أعود إليك. ويدخل بالغلامين ويسمع السمرقندي صوت امرأة تصرخ، «ابني» فيعلم أنها أم الولد المشجوج، وتدخل الدار مُرَنِّبة. فترى الولد الآخر، فتقول ابني.

(١) الدار هي المدرسة السمساطية اليوم وقد قرروا هدمها!!

ويسمع القصة فيعلم أن ابن أمير المؤمنين قد خرج يلعب مع الغلمان فشجه ابن هذه المرأة. وتقول المرأة: ارحموه، إنه يتيم فقير. ويرق قلب السمرقندي ويشفق على هذه المرأة أن تضرب عنق ابنها أمامها، وهو طفل لا ذنب له ولا يسأل عن فعلته، وإذا بأمير المؤمنين يقول لها: أما له من عطاء؟ فتقول: لا. فيقول: سنكتبه في الذرية

وتخرج المرأة شاكرة داعية، ويسمع السمرقندي فاطمة بنت عبد الملك تقول مغضبة: فعل الله به وفعل إن لم يشجه مرة أخرى فيقول الخليفة: إنكم أفزعتموه[1]

وخرج الخليفة فدعاه، فسأله عن حاله، فشكا إليه قتيبة، وأنه دخل سمرقند غدراً من غير دعوة إلى الإسلام ولا منابذة ولا إعلان

فقال الخليفة: والله ما أمرنا نبينا بالظلم ولا أجازه لنا، وأن الله أوجب علينا العدل في المسلمين وغير المسلمين، يا غلام ... قلماً وقرطاساً!

فجاءه الغلام بورقة قدر إصبعين، فكتب عليها أسطراً وختمها وقال له: خذها إلى عامل البلد!

***

ورجع يطوي هذه الشقة مرة ثانية، وكلما وصل إلى بلد دخل المسجد فوقف في الصف كتفه إلى كتف أخ له في الإسلام، ووجهته وجهتُه، وفي قلبه إيمانه، وعلى لسانه تسبيحاته وتكبيراته .. أحس أنه عضو في هذه الجمعية الكبرى، وأدرك عظمة هذا الدين وحلاوته، إذ يؤم المصلين واحد منهم فلا قساوسة ولا كهان، ويصلون في كل أرض فلا معابد ولا تماثيل، ويقفون جميعاً صفاً واحداً فلا كبير ولا صغير، ولا مأمور ولا أمير، وشعر بعظم هذه الدائرة التي تطيف من حول الكعبة تمر على السهل والحزن، والعامر والغامر، والمدينة والقرية، يقوم فيها عباد لله، هم رهبان في الليل وجنّ في النهار، خاشعة قلوبهم وأبصارهم وجوارحهم، يقفون أمام رب العالمين، فلا يبالون الدنيا كلها بلذائذها وآلامها وخيرها وشرها!

(١) سيرة عمر لابن الجوزي طبع محب الدين الخطيب سنة ١٣٣١ ص ١٧٦.

ولم تثقل عليه هذه المرة سمة دنيا الإسلام لأنها دنياه ، ولم يجد لهذه السفرة مشقة ولا تعباً ، لأنه كان كلما انقضت الصلاة وجد فى المسجد ( فى كل بلد يمر عليه ) من يسأله عن حاله ، فإذا علم أنه غريب أنزله داره ، وقدم له قراه ، ومنحه عونه ، فكان يقابل بين مجيئه كافراً وبين عودته مسلماً ، وكيف كان يشعر بطول الشقة ، وبعد الطريق ، وألم الغربة ، فصار يتقلب فى النعيم ، ويحمل على أكف الإخوان ، فيدرك سر المسجد وجمال هذا الدين!

* * *

ووصل إلى المعبد ، ولكنها لم ترعه هذه المرة تماثيله ولا مصابيحه ، ولم يمتلئ قلبه فرقاً من أسراره وخفاياه ، فقد أضاء له الإسلام ظلمة الحياة فرأى حقائقها من أوهامها ، وعلم أن هذه الأصنام التى نحتوها بأيديهم وسموها آلهة . لا تنفع ولا تضر ، ولا تمنع عن نفسها ضربة الفأس ولا لهب النار ، ولكنه كتم إسلامه ، وقرع الباب قرعة السر ، ففتح له ورآه الكهنة بعد أن حسبوا أنهم لن يروه أبداً ، ووصف لهم ما رأى ، فكادت أعينهم تخرج من محاجرهم دهشة ... وأيقنوا أن قد جاءهم الفرج ، وأمروه نحمل الكتاب مختوماً إلى العامل ، فإذا فيه أمر الخليفة بأن ينصب قاض يحتكم إليه كهنة سمرقند وقتيبة ، فما قضى به نفذ قضاؤه !

وأطاع العامل ونصب لهم قاضياً جميع بن حاضر الباجى ، وعين موعد المحاكمة

* * *

ولما عاد فأخبر الكاهن الأكبر ، أظلم وجهه بعد إشراقه ، كما تربدُ فى سماء النهار الصحو السحب السود ، وخبا ضياء الأمل الذى بدا له فحسبه فجراً صادقاً فإذا هو برق خلب .. وأيقن أن هذه المحاكمة فصل جديد من كتاب غدر المسلمين ...

... وجاء اليوم الموعود ، واحتشد أهل سمرقند من كل قاص منها ودان ، وجاء الكهنة الذين كانوا محتجبين لا يراهم من أحد ، وجاء القائد الفاتح قتيبة ، وكانت المحكمة فى المسجد فقعدوا ينتظرون القاضى

ولم يكن الكهنة يأملون فى شىء ... وفيم يأملون ؟ فى أن يحكم لهم القاضى المسلم بطرد المسلمين من سمرقند ؟ يحكم لهم هم المغلوبين على أمرهم ، المخالفين للقاضى فى دينه ، الذين لم يبق لهم حول ولا طول ؟ وعلى من يحكم ؟ على القائد المظفر الفاتح الذى لم يطأ أرض المشرق قائد أعظم منه ، ولا أكثر ظفراً ، ولا أعظم فتحاً ، اسكندر العرب : قتيبة !

كانت القلوب تخفق ارتقاباً لأعجب محاكمة سمعت بها أذنا التاريخ ، وكانت الأبصار شاخصة إلى باب المسجد الذى يدخل منه القاضى الفرد الذى وضعت فى عنقه أعظم أمانة وضعت فى عنق قاض ، والذى ألقى بين حجرى الرحى ، فبها هنا مصلحة أمته ، وسيادة دولته ، والبلد المظيم الذى خفقت فوقه راية الإسلام وامتلكه أهله . وهناك الحق والشرف . وإنها لمزلة أقدام القضاة وإنها لمحنة الضمائر ...

وكان صاحبنا السمرقندى يقرأ الشك والارتياب فى وجوه أهل بلده وفى أوجه الكهنة ، كما يقرأ المرء فى صحيفة منشورة أمامه . أما هو ، وأما المسلمون فلم يكونوا يشكون ، ولم تكن تداخلهم ريبة فى أن الحق والشرف فوق مصلحة الوطن ، وما الوطن ؟ إن وطن المسلم دينه فحيثما صاح المؤذن : الله أكبر ، فثمة وطنه ... وأن جهاده للحق ، فإن جاء الحق زهق معه كل باطل ولو كان فيه نفع الأمة ، وكان فيه الغنم الأكبر .

ونظروا فإذا رجل له هيئة الأعراب ، هزيل ضئيل الجسم شاحب اللون ، قد لاث على رأسه عمامة له ، ووراءه غلام ، فجاء حتى قعد على الأرض محتبياً ، وقام غلامه على رأسه . أهذا هو الرجل الذى أتى ليحكم على قتيبة المظيم وعلى أميره وعلى مصلحة دولته ؟ أهذا هو قاضى المسلمين ؟ وانطفأت آخر شعاعة من الأمل فى نفوس الكهنة . ونادى الغلام ، باسم قتيبة بن مسلم ، هكذا بلا إمارة ولا لقب ، فجاء حتى جلس بين يديه ، ونادى باسم كبير الكهنة فأجلسه إلى جانبه .

وابتدأت المحاكمة ...

* * *

وتكلم القاضى فإذا صوته يخرج خافتا ضعيفا فقال للكاهن :

— ما تقول ؟

— قال : إن القائد المبجل قتيبة بن مسلم قد دخل بلدنا غدراً من غير منابذة ولا دعوة إلى الإسلام :

— قال القاضى لقتيبة : ما تقول ؟

— قال : أصلح الله القاضى ، إن للحرب خدعة ، وهذا بلد

عظيم قد أنقذه الله بنا من الكفر ، وأورثه المسلمين .

— قال : أدعوت أهله إلى الإسلام ، ثم إلى الجزية ، ثم إلى القتال ؟

— قال : لا .

— قال : إنك قد أقررت ، وأن الله ما نصر هذه الأمة إلا باتباع الدين واجتناب الغدر . وإنا والله ما خرجنا من بيوتنا إلا جهادا فى سبيل الله . ما خرجنا لنملك الأرض ولا لنعلو فيها بغير الحق . حكمت بأن يخرج المسلمون من البلد ، ويردوه إلى أهله ، ثم يدعوهم وينابذوهم ويعلنوا الحرب عليهم [1] .

ورأى الكهنة وأهل سمرقند وسمعوا ، ولكنهم كذبوا عيونهم وآذانهم وظنوا أنهم فى حلم ، ولبثوا شاخصين ، حتى أن أكثرهم لم يلحظ أن المحاكمة قد انتهت وأن القاضى والقائد قد انصرفا ، وجعل صاحبنا السمرقندى المسلم ينظر فى وجه الكاهن الأكبر ، فيحس أن نور الحق قد أشرق على قلبه الذى رققته العزلة والتأمل ، وكان الكاهن ينظر إلى عالمه الذى طالما أحبه وآثره فيراه عالما ضيقا مقفراً ، وينظر إلى دنيا الإسلام فإذا هى خصبة واسعة مزهرة بالخير والعدل والجمال ، وما عالمه ؟ فجوة معتمة وسط الصخر الأصم لا يبلغها شعاع الشمس ولا ضياء القمر ولا زهر الربيع ولا جمال المجد ولا جلال الإيمان ...

وسطع النور فى قلبه فرأى أن ديانته كهذا المعبد ، فأين هذا المعبد من معبد الإسلام ، وهو الأرض الطهور التى تمتد حتى تصل إلى بلاد ما سمع بها ... أين ضيقه من سعتها ، أين ظلمته من نورها ، أين سقفه الواطى من سمائها العالية ... ؟ إنه ألحد فى دينه وخرج من المعبد وقد حرم عليه الخروج منه فلن يعود إليه أبداً . أيعود الجنين إلى بطن أمه بعدما رأى بياض النهار ورحب الكون ؟ أيعبد مرة ثانية تلك الآلهة ذوات الوجه البشع المخيف بعد ما عرف رب الأرباب وخالق كل شىء ...

لا . لقد ماتت ديانة المعبد ومرت أيامها ، فهل لما مر مآب ، هل يعود أمس الغابر ؟

وإنه لفى تفكيره ، وإذا الجو يموج بصليل الأبواق وزجف من أرعاد الطبول ، ونظر فإذا الرايات تلوح على حواشى الأفق القريب فسأل : ما هذا ؟ قالوا : لقد نفذ الحكم وانسحب الجيش .

هذا الجيش الذى لم يقف فى وجهه شىء من مدينة يثرب إلى سمرقند ، والذى اكتسح جيوش كسرى وقيصر وخاقان ردته كلمة من شيخ هزيل خافت الصوت ، ليس معه إلا غلام بعد محاكمة لم تستمر إلا دقائق ، ولكنه سينذر وسيعود إلى القتال ، أفتقوى سمرقند على ما عجزت عنه الممالك كلها ؟ أترد صخور هذا المعبد سيل الحق الدافق ، وتأ كل ظلمته نور الإسلام ؟

لا . لقد قضى الله أن يمحو الفجر سدفة الليل . لقد أطل على العالم يوم جديد ، فلن نتوارى من نور هذا اليوم فى ظلمة المعبد .

وأقبل يسأل أصحابه : ماذا تقولون ؟

فيقول السمرقندى المسلم : أما أنا فلقد شهدت أنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

فيقول الكاهن : وأنا أشهد .

وتتزلزل سمرقند بالتكبير ... ويعود الجيش المسلم إلى البلد المسلم ، لم يبق حاكم ولا محكوم ، صار الجميع إخواناً فى الله !

**على الطنطاوى**

(١) كذلك ، لا كما صنعت لجنة التحقيق التى اختاروا رجالها من أكابر قضاة انكلترا وأميركا ، وائتمنوها على شرف القضاء السكسونى الذى كان الجهلة منا يضربون بعدله الأمثال ، وبعثوها تدور البلاد ، تسأل كل رائح وغاد ، هل فلسطين حق لأصحابها الذين يسكنونها ، أم هى حق لجماعة اللصوص الذين جاؤوا يسرقون البيوت من أصحابها ، فدارت حتى دير بها ، وصعدت إلى السماء ، ونزلت إلى الأرض ، وبحثت ونقبت فظهر لها أن الحق مع اللص ، فحكمت بطرد صاحب الدار منها ليدخلها اللص ويقيم فيها !

# شريعة الكمال والخلود

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

**تمهيد :**

فكرت اللجنة القانونية والثقافية بالجامعة العربية فى عدة مشروعات ثقافية وقانونية ، يعود نفعها الجم وخيرها العظيم على الأمم العربية والإسلامية ، بل إن هذا الخير يتجاوز هذه الأمم إلى سائر أمم العالم ، ومنها أمم أوربة التى ضربت بسهم وافر فى العلوم الإنسانية والمدنية والثقافة القانونية .

وكان من خير تلك المشروعات وأسدها وأعظمها نفعاً وأبعدها أثراً ما أشارت به من إنشاء معهد للفقه الإسلامى يكون تابعاً للجامعة العربية به إحياء تالد مجده ، وبعث الدفين من كنوزه الثمينة وجواهره النفيسة ، وفيه ينشأ الباحثون وتغرس فيهم ملكة الفقه والتشريع ، والبحث والتحليل ، فيخرجون علماء نافعين ، وفقهاء باحثين ، يجمعون وينظمون ويحسنون العرض والتبويب ، ثم لا يلبثون أن يكونوا رجال ترجيح واجتهاد ، وبذلك يحيون عهد سلّافهم الأولين وأئمتهم المجتهدين .

فكرة — لعمر الحق — ما أجلّ خطرها ، وما أعظم أثرها ، ثلجت لها نفوس المؤمنين ، وبهجت بها أفئدة المصلحين — قوّى الله رجال الجامعة وأمدهم بروح منه ، حتى يحققوا هذه الأمنية ، فتنتصر الشريعة الإسلامية ، وتتبوأ مكانها الرفيع بين شرائع الأمم الأخرى .

وإنهم بذلك العمل الجليل لجديرون

وقد رأيت — بهذه المناسبة — أن أبين — فيما يأتى — كمال هذه الشريعة وخلودها ، وأن أدفع ما وجه إليها من شبهات:

**وفاء الشريعة الإسلامية بحاجات الأمم فى كل عصر :**

الشريعة الإسلامية أعدل الشرائع وأحكمها وأقواها أركاناً وأرسخها دعائم ، وأبقاها على تناسخ القرون والأحقاب ، فهى باقية ما بقيت الحياة الدنيا ، لا مبدل لها من دون الله ولا ناسخ ، وهى يسر ورحمة ، وحكمة ونعمة

أساسها رعاية المصالح ودرء المفاسد ، وغايتها إسعاد البشر فى معاشهم ومعادهم . ولا غرو فهى قبس من نور هداية الله ، ومشتقة من سَنَا وحيه ، ووذيلة[1] مجلوة انعكست فيها سمات الرسالة وإرشاد النبوة ، ثم هى إلى ذلك مضمار لتصاول قرائح المجتهدين من العلماء ، وميدان لذوى الأفكار الحرة المخلصة لله وللحق ، استهدوا بهديه ، وسعوا وفى يدهم مصباح هدايته ، فعرفوا من كتاب الله وسنة رسوله وجوه المصالح العامة والحكم التشريعية السامية ، وقواعد التشريع وأصوله العادلة ، وبها حكموا على الحادثات الجزئية والمسائل الفرعية ، فاستقام لهم من ذلك كله تشريع قيم ، واستوى منه قانون سماوى ، سداه جلب المصالح ، ولحمته درء المفاسد — انتظم جميع ما يحتاج إليه الأفراد والأمم من عبادات ومعاملات ، وأحكام مدنية وتجارية ، وشئون جنائية ، وأحكام سياسية واجتماعية : فقد نظم علاقة العبد بربه ، وحدد علاقة الفرد بأسرته ومجتمعه ، وبين علاقة المجتمع بالفرد ، ووضع أساس النظم والعلاقات بين الأمم بعضها وبعض

ورائده فى ذلك كله تحقيق العدل والمساواة بين الناس كافة ، لا فرق بين عربى وعجمى ، ولا بين أسود وأبيض ، ولا بين ملك وسوقة ، ولا بين ضعيف وقوى ، لا مقصد له إلا إقرار الحق والمعدلة — ألا ترى إلى قوله جل شأنه : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن[2] قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى »

وورد فى النهاية فى غريب الحديث : « لا قُدِّست أمة لا يؤخذ لضعيفها من قويها » أى لا طهرت . ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« القسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا[3] »

(١) الوذيلة — المرآة

(٢) شنآن — بغض .

(٣) الطرق الحكمية ص ٢١٦

وفسر الميزان بالعدل فى قوله تعالى : « الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان » ، وفى قوله : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ».

هذا هو دستور التشريع الإسلامى . العدل مبدؤه وغايته ، والحق قوامه وشرعته — سنّ ذلك سيد الخليقة ومصلح البشر خاتم الأنبياء والمرسلين ، ثم سار على سنته خلفاؤه الراشدون ، فقد جاء فى كتاب عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى : وآس بين الناس فى وجهك ومجلسك وعدلك ، حتى لا ييأس الضعيف من عدلك ، ولا يطمع الشريف فى حيفك [(1)] » .

فليت شعرى — إذا كانت شريعة الإسلام قد بلغت المدى فى الحرص على العدالة والمساواة ، ووصلت الغاية فى الاستمساك بالحق والاعتصام بحبله المتين ، ولها من الأصول الراقية والقواعد السليمة والمبادىء السامية ما يعتمد عليه فى وضع الأحكام عند عدم النص — ما الذى حدا الولاة على [(2)] تنكب أحكامها ، والحكام أن يبحثوا عن قانون غير قانونها حتى تجرءوا فى عصور مختلفة ، وفى عصرنا هذا على مخالفة الشرع ؟ !

زعموا أن لهم فى ذلك حجتين — نقول ذلك فرضاً وتوسعا وإلا فهما فى الحقيقة وهمان أو شبهتان داحضتان :

*حجتهم أو شبهتهم الأولى :*

توهموا أن الشريعة ناقصة لا تقوم بمصالح الناس ولا بسياسة الأمم وحاجاتها ، ولا تساير تطور الزمان ، ولا تفى بمختلف الأحوال وما جدّ من ضروب المعاملات — فطوّعت لهم أنفسهم تعدى حدود الله ومخالفته فى كثير من أحكامه وأوامره ، وهو خطأ عظيم وضلال مبين ، فإن الله تعالى أوجب على الحكام القيام بالقسط فى كل شىء مع التزام ما بينه من كليات الشريعة وأصولها ومبادئها — فحكمه كما يقول ابن القيم دائر مع الحق ، والحق دائر مع حكمه أين كان ، وبأى دليل صحيح كان . فأى تشريع يقر العدل ويجرى مع الحق هو من الشريعة غير خارج عن نطاقها .

على أن سعة أصول الشريعة الإسلامية وتعددها ، وسمو قواعدها ، ورجوع علمائها إلى الإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والاستصحاب وسد الذرائع عند الاجتهاد واستنباط الأحكام ، ثم بحوث المجتهدين فى الفقه الإسلامى وتوسعهم فى البحث ، وما أمرنا به من الاجتهاد عند عدم النص ، ومن ترك التقليد — كل أولئك يهدم هذه الشبهة من أساسها ، فلا يكون هناك نقص فى الشريعة ، وإنما النقص فينا وراجع إلينا — معشر القادرين على الاجتهاد — لأننا فرطنا فى أداء هذا الواجب .

وإن فى الشريعة الإسلامية من بحوث المجتهدين السالفين فى المسائل المدنية والجنائية والمعاملات ما يدحض هذه الشبهة .

فمن ذلك أنهم أجازوا الحبس فى التهم والضرب فيها — غير أنهم قسموا المدعى عليه فى دعوى الجناية والأفعال المحرمة كدعوى القتل وقطع الطريق والسرقة ثلاثة أقسام : فإن المتهم إما أن يكون بريئاً ليس من أهل تلك التهمة ، أو فاجراً من أهلها ، أو مجهول الحال .

فإن كان بريئاً لقرائن شاهدة لم تجز عقوبته اتفاقاً . وإن كان مجهول الحال لا يعرف ببر ولا فجور — فهذا يحبس حتى تنكشف حاله عند عامة علماء الإسلام .

وإن كان معروفاً بالفجور فحبسه أولى من حبس المجهول ، ويسوغ ضرب هذا النوع من المتهمين عند كثير من العلماء ، وقيل لا يضرب المتهم [(1)] .

أضف إلى ذلك ما حفلت به كتب الفقه من تعدد آراء الفقهاء واختلافهم فى المسائل الاجتهادية حتى فى العبادات ، مما يدل على خصب الشريعة الإسلامية وتقبلها لاختلاف الرأى فيما يصح فيه الاجتهاد .

فهل الشريعة الحرة التى فيها رُغْب وسعة ، والتى تجود بمثل هذه الآراء ، ويترعرع فى أحضانها وفى ظل مبادئها وقواعدها وأصولها أئمة الاجتهاد وأعلام الفقه والتشريع — ترمى بالنقص ، وهى تصلح أن تكون مرجعاً للحكام يأخذون منها ما يناسب الأحوال فى كل عصر ومكان ! !

ومما يُدْحض أيضاً شبهة نقص الشريعة اتساع باب التعزير والعقوبات فيها : فإن المعاصى ثلاثة أنواع : نوع فيه حد ولا كفارة

---

(١) مفتاح السنة ص ١٣٠ — نقله عن سنن الدارقطنى .
(٢) فى الأساس : حدوته على كذا بعثته .

(١) راجع فى ذلك الطرق الحكمية لابن القيم .

الأدب في سير أعلامه :

# ملتن . . .

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال ... ]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٢٠ —

الزواج والصدمة الأولى :

وفي فبراير سنة ١٦٤٤ أعاد ملتن طبع الكتيب ورتبه . فقد عاب الناس طبعته الأولى ، وقدم ملتن لطبعته الثانية بمقدمة فزع فيها إلى البرلمان أن يؤيد آراءه فيصدر بها قانونا مدنياً للطلاق ، وإلى مجمع البرسبتيرز أن ينظر فيما يقول نظرة العطف فيسدي إلى المسيحية صنيعاً يبقى على الدهر ... ولا يفوته إذ يلجأ إلى البرلمان أن يشير إلى رسالة انجلترة في هذا العالم ، فلئن اعتنقت انجلترة ما يذهب إليه من رأى ذاع هذا الرأى حتى يملأ الدنيا ، ويهيب بالنواب قائلا بعد أن يسرد الأمثلة على سبق انجلترة في العلم والدين « لا تدعوا إنجلترة تنسى سوابقها في تعليم الأمم كيف تعيش » ، ولا يفوته كذلك أن يلجأ إلى الاسبتيريين أن يمتدح ما اجتمع في مجلسهم من تقوى وعلم وحصافة .

كانت الفكرة الأساسية في كتيبه « قانون الطلاق ونظامه » هي أن الزواج والحب يجب أن يكون أساسهما التوافق والانسجام العقلي والروحي بين المرأة والرجل ؛ فاذا لم يتحقق هذا التوافق في الشعور والفكر بطل الزواج ، وكان الطلاق من حق الرجل متى طلبه .

وللدفاع عن هذه الفكرة الموجزة بسط ملتن القول فنظر في الزواج قديماً وحديثاً ، واستعرض آراء الأقدمين ، وآراء آباء الكنيسة الأولين ، وراجع ما جاء في الإنجيل ليأتي بما يؤيد رأيه ، ثم عمد إلى المنطق بعد الدليل النقلي فدافع عن رأيه في قوة وإيمان ، وأتى بطائفة من الآراء استقر بعضها في نفسه

---

فيه كالزنا والسرقة وشرب الخمر والقذف ؛ ونوع فيه كفارة ولا حد فيه كالقربان في الإحرام وفي نهار رمضان ؛ ونوع لا كفارة فيه ولا حد كالنظر إلى الأجنبية واليمين الغموس عند الإمامين أبي حنيفة وأحمد .

فالنوع الأول لا تعزير فيه لوجوب الحد ، وفي الثاني قولان للفقهاء — أما الثالث ففيه التعزير وجوبا عند الأكثرين ، وجوازاً عند الشافعي .

والتعزير يختلف باختلاف الجرائم ، وبحسب حال المذنب نفسه ، ولذلك قد يكون بالتوبيخ والزجر بالكلام ، ومنه ما يكون بالحبس أو بالضرب أو بالنفي عن الوطن ، وقد يكون بالقتل . وللفقهاء أقوال أربعة في صفة التعزير وقدره ، وقد بسطنا القول في ذلك في العدد ٦٤٨ من الرسالة . ومن هذه الأقوال أن التعزير موكول إلى اجتهاد ولي الأمر يقدره وَفْق المصلحة وعلى حسب الجريمة .

وبعد فماذا ترى فيما سقته لك من النصوص والمذاهب والآراء الفقهية في العقوبات التي تدخل في باب التعزير ، وفي غير العقوبات من الأحكام الاجتهادية الأخرى ؟

ولا ريب أن كل منصف يحكم بكمال الشريعة وسعتها ، وأنه لا عذر لمن يترك شريعة الإسلام إلى غيرها من القوانين .

وبطلت بذلك دعوى الجاهلين أو الخراصين وهي أن الشريعة لا تستطيع أن تمد الحاكمين في العصر الحاضر — وبخاصة في القانون الجنائي — بالأحكام الصالحة ، فإن للمشرعين المحدثين مجالا أي مجال في الرجوع إلى آراء أئمة الإسلام واختيار الصالح لنا منها ، أو في استنباط أحكام جديدة فيما يدخل في باب التعزير على أن نحافظ على أصول شريعتنا ونراعي مقاصدها ونتزل على الحكم من نصوصها ، وبذلك تستطيع الأقطار الإسلامية أن تضع قانونها الجنائي أو أي قانون آخر على أساس من الشرع قويم .

( للبحث بقية ) حسن أحمد الخطيب

حتى ظهر كجانب من فلسفته فى قصيدته الكبرى فيما بعد .

اشتدت ثورة ملتن على الجسد وفتنته وما فى سيطرته من شر وضلال ؛ ولكنه أكد أن قهره فى استطاعة أولى العزم من العقلاء الذين يغلبون الحكمة على العاطفة ، وما يسلم ملتن بغلبة الجسد أبداً وتسلطه على العقل والحكمة وهو الذى تسلط جسده مرة فى فورة من فوراته على حكمته الوثيقة وعزمه الطويل ، وإنما يعبر بهذا الإنكار عن ثورته الكامنة فى نفسه على الجسد وقد بقى هذا المعنى فى حسه حتى كان حديث غواية آدم فى « الفردوس المفقود » وما كان لسحر المرأة من أثر فى هذه الغواية .

وساق ملتن هذا المعنى إلى معنى آخر ، وذلك أن الشر هو أن تتغلب العاطفة على العقل وأن يضل الوجدان البصيرة ، أما العاطفة فى ذاتها والوجدان فى ذاته فلا ضير منهما ، ولا يحق اعتراض سبيلهما إلا أن يطغيا على الحكمة ؛ فان لم يفعلا فليتخذا مجراهما طليقين ... ، وما كانت قصة هبوط آدم من الجنة إلا قصة تسلط العاطفة على العقل .

ويطبق ملتن ذلك على الزواج فيقول إنه إذا لم يتم التوافق العاطفى بين الزوجين ، فان الاتصال الجسدى ضرب من انحطاط البهيمية حتى مع الزواج ؛ وعلى ذلك فان الاحساس بفقدان الميل بين الزوجين أو بالقصور العقلى من أحدهما تلقاء الآخر ، أو بتنافر العقلين ، تلك العلل التى يكون مردها إلى أسباب فى طبيعة النفس لا يمكن تغييرها ، إنما هى مبررات للطلاق أوجه من الجمود وأحق ، فالطلاق أمر يرد من حيث مشروعيته إلى ضمير الانسان ، ولا وجه عنده لأن يخضع الانسان لعبودية قانون الكنيسة الذى يجعل الإثم المادى أعظم من الإثم العقلى والروحى وأشد خطراً ...

ولا يسع من يقرأ هذا الكتيب إلا العطف على الشاعر إذ يعبر عن مقدار ما يحيق بالنفس من عذاب إذا منى المرء بالفشل فى زواجه ولم يتح له ما يتطلع إليه من وراء الزواج من « حديث طيب ملؤه السرور بين الرجل والمرأة يريحه وينعش نفسه بعد ما ذاقه من مساوئ العزلة » وما أشد ألمه وأقسى خيبته « إذا كان نصيبه زوجة خرساء لا روح لها فانه يظل أكثر عزلة من ذى قبل ، ويبقى فى تحرق وشوق أشد على طاقة المرء من التحرق الجسدى وأدعى منه إلى التفكير فيه والاهتمام به » ، ويصف الشاعر هذا التحرق وصفاً شعرياً بقوله « أن الماء الغزير لن يطفئه لا ولا الفيض يغرقه » ، وفى التطلع إلى مثل تلك السعادة الزوجية وإلى مثل ذلك الحب الصحيح « يقضى المرء أيام شبابه وليس فيها ما يلام عليه » ، ويجهل بذلك كثيراً مما كان خليقاً أن يرشده متى شاء أن يختار زوجة فيدع هذه ويأخذ تلك عن بينة كما يفعل عند الزواج من قضوا صدر شبابهم فيما لا يخلو من اللوم ثم إذا به يجد نفسه « مقيداً قيداً وثيقاً إلى من لا تجاوب بينها وبينه ولا تواؤم بين طبعها وطبعه ، أو كما يحدث غالباً إلى صورة من الطين تطلع من قبل ليكون شريكها فى اجتماع حلو ملؤه الفرح ، ويجد فى النهاية أن قيده لا انعتاق منه ؛ ومثل هذا حتى لو كان أقوى مسيحى فانه لامناص على أهبة أن ييأس من الفضيلة ويقنط من رحمة الله ، وهذا بلا ريب سبب ذلك الفشل ، وذلك اليأس الحزين الذى نراه فى طائفة كثيرة ممن يتزوجون » ، ويصور ملتن بخيال الشاعر مقدار ما يكون بين زوجين فى مثل تلك الحالة من خلاف بقوله : « حين تتنافر أفكارهما وروحاهما وتتباعدان كلاهما عن الآخر كبعد ما بين الجنة والجحيم » .

ويتساءل ملتن كيف يتسنى الاختلاط الجسدى الوثيق بين زوجين يكره أحدهما الآخر كرهاً شديداً فعالا ، ويود لو يعتزله اعتزالا ثم هو يعيش معه أبداً ؟ » ؛ وينزه ملتن الله عن أن يكون ذلك قصده من الزواج فيقول : « هل فتح الله لنا ذلك الباب الذى يكون منه الخطر والمباغتة ، باب الزواج ليغلقه من دوننا كما يغلق باب الموت فلا تراجع ولا أوبة ؟ » ، ويعود إلى تصوير ما يؤول إليه مثل ذلك الزواج الفاشل فيقول « لا بد أن يقضى ما لم تقع معجزة من معجزات الصبر فى كلا الجانبين ، لا إلى ألم مرير ، وحنق شديد فحسب ، وهما مما يوبق الأذعان لله ، بل إلى استهتار يائس فاجر ، إذ يجد المرء نفسه فى غير ذنب من جانبه قد جرته نوبة من الخداع إلى فخ من فخاخ الشقاء » .

وماذا عسى أن يصنع من منى بمثل هذا الجد العاثر ؟ ... أيتسلل إلى سرير جاره كما يتبع عادة فى مثل هذه الخيبة ؟ أم

يدع حياته النافعة تذهب هباء فيما لا يجدى ؟ كلا ؛ إن الأقرب إلى الرجولة أن يقضى على شقائه بالطلاق ، فانه إن بقى على ما هو عليه ولم يستطع أن يحسب جلب على نفسه جديداً من الضر ، ولذلك فان من يعمل على فصم تلك العروة إنما هو ذلك الذى يعلى قدر الحياة الزوجية ولا يقبل أن يشينها .

ويرى من يقرأ كتيبه هذا أن الناحية العاطفية أقوى فيه من ناحية المنطق ، ومرد ذلك إلى أن الشاعر إنما يصف ما عانى من ألم نتيجة لما رزئ به من خيبة ، فهو يتحدث حديث الخبير ، كما أن حديثه هو إلى الشكوى أقرب منه إلى الدرس وفى ذلك سحره وقوته .

ولئن أبت عليه كبرياؤه أن يشير إلى ذلك ، فان من يقرأ عباراته وليس يعلم قضية زواجه خليق أن يحس تلقاء ما تزخر به من حياة وحرارة أنها متنفس نفس متألمة ، وشكاة قلب معذب . وكذلك ينم عنه فى كتيبه هذا تلمسه العلل لمثل ما وقع فيه من خطأ ، فكل امرئ عرضة لأن تخدعه المظاهر فتجره إلى ما لا يحب « وإن أكثر الناس عقلا وأقواهم تمكناً من أزمة نفوسهم هم أقل الناس تجربة فى مثل هذه الأمور وأجدرهم ألا يعرفوا أن ما تقع عليه أعينهم فى عذراء من صمت خجول إنما يخفى وراءه ذلك الجمود وذلك الكسل الطبيعى الذى لا يصلح قط لحوار » وتكاد تلخص هذه العبارة قصة زواج ملتن بمارى پوول فانه كما ذكرنا لم يك يعرفها من قبل ورأى فى صمتها وقد مال إليها عذراء فحسب ...

ومما يتعلل به ملتن من طرف خفى إشارته إلى عقيدة القدر المحتوم فهو يؤمن بها اليوم وإن أنكرها غداً ؛ فلن يفر المرء مما قدر عليه وينطبق ذلك الزواج بالضرورة كما ينطبق على غيره .

ويجد ملتن فى هذه القضية فرصة لتجديد طعنه على القساوسة فيقول إن ما يدعيه البابا ورجال الدين من اختصاص فى أمور الزواج إنما يقوم على الاغتصاب ، فان الزواج والطلاق من اختصاص رب الأسرة كما قضى بذلك الله ، وكما تقضى طبيعة الأشياء وكما ارتضى المسيح ، ولكن بابوات روما اغتصبوا ذلك الاختصاص « وقد رأوا ما يصيبون من مغانم ومن سلطة تفوق سلطة الأمراء أنفسهم من وراء قضائهم فى هذه الأمور وإبرامها »

وينتهي ملتن إلى قاعدة سوف تنمو فى ذهنه ويتسع مداها فى فكره ومؤداها أن لا قانون يتقيد به الرجل الحكيم .

ويبين ملتن مبلغ ما يسديه المشرعون من خير إلى الانسانية إذا أخذوا بآرائه فى الطلاق . فيقول : « إنهم بذلك يرفعون كثيرين ممن لا حول لهم من المسيحيين من أعماق الأسى والحزن حيث لا قبل لهم قط بأداء أية خدمة لله ولا لأحد من عباده ، ويخلصون كثيرين من نفوذ الطوائف المظلمة المضطربة ، وينقذون كثيرين من الإباحية البهيمية الجامحة وكثيرين من الشقاء الموئس ويعيدون الانسان إلى كرامته الصحيحة وإلى حقه الطبيعى ؛ ويعودون بالزواج من وضعه الحالى كفخ من الفخاخ ومسألة من مسائل الحظ يأتى منها الخطر إلى حالته المرجوة إذ يكون المرفأ الأمين والملجأ الاجتماعى السعيد .

وفى يوليو سنة ١٦٤٤ نشر ملتن مقالا مطولا جعل عنوانه « رأى مارتن بوسر فى الطلاق » ؛ ورد بهذا المقال على مخالفى آرائه التى تضمنها كتيبه « قانون الطلاق ونظامه » ؛ وقد أخذ هذا الكتيب يثير عليه سخط البرسبتيريز حتى أنهم شددوا عليه النكير فى كنائسهم ، ووضع مجمع وستنستر إسم كتيبه فى قائمة الكتب التى لا يصح أن تقرأ واعتبر مؤلفه من الخوارج أو « المستقلين » ؛ وطلبوا إلى نقابة الطابعين أن ينظروا فى أمره ليلقى جزاء طبعه كتيبه بغير تصريح مخالفاً بذلك قانون الطبع ؛ ولكن التجاءهم إلى قانون الطبع ورغبتهم فى مصادرة كتيبه لم يجدهم شيئاً فقد أوشكت أن تقع مقاليد السلطة فى إنجلترة فى يد كرمويل وأحس الناس أن فجر الحرية يوشك أن يهل على البلاد نوره .

وستتسع مسافة الخلف بينه وبين البرسبتيريز فيكون هذا الخلف هو الصدمة الثانية لنفسه بعد الصدمة الأولى وهى فشله فى زواجه ؛ ويرى بعض المؤرخين أن غضب البرسبتيريز عليه ، ونعتهم إياه بنعوت سوف نذكرها فى حينها كان ألم وقعاً فى نفسه من هجران زوجته إياه ...

( يتبع ) **الخفيف**

# تأثير الأدب العربي في الأدب الأوربي

للاستاذ عبد القادر على الجاعوني

**المقدمة :**

فى هذا العصر الذى تجتاح فيه مدنية الغرب الأقطار العربية فتنقل إليها علومها وآدابها ، يحسن بنا أن نلقى نظرة إلى الوراء ، لنرى كيفية تمثيل الآداب العربية للدور نفسه فى عصور مضت ، وكيف أن احتكاك العرب بالغربيين كان له أثر ظاهر فى آدابهم .

ومن البديهى أن يكون التأثير ضئيلا فى منطقة الآداب ، وأن يكون بارزاً ملموساً فى منطقة العلوم ، لأن الأمم تتعصب لآدابها وتأنف أن تدخل فيها عناصر أجنبية من تلقاء نفسها .

ولهـذا رأينا العرب تهافتوا على العلوم الفارسية واليونانية وغيرها ، أما آدابهم فظلت محافظة على صبغتها العربية وقلما تأثرت بآداب هاتين الأمتين .

ولقد مثل الغرب نفس الدور ، فقد تهافت على نقل العلوم التى اشتغل بها العرب إبان نهضتهم العلمية ، ووقف مكتوفا أمام الآداب العربية إما مستغرباً أو مترفعاً إزاء الآداب الشرقية التى برزت أمامه بأثواب لم تألفها عينه من قبـل ، وليس من المعقول أن يكون ذلك التأثير قد حصل دفعة واحدة بل إنه اتخذ سبيلا تدريجياً حمل بين طياته كثيراً من العناصر الفنية ، وشيئاً من الأفـكار الشرقية ، وبدعاً من الظلال الشعرية ، وغير ذلك مما لا يقع تحت حصر .

**تاريخ هذا التأثير فى القرون الوسطى :**

( من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر )

لمـا حلت اللغات الوطنية « Vernacular » محل اللغـة اللاتينية ، وشاع استعمالها بدلا منها ، ظهر فى فرنسا نوع جديد من الشعر يدل على وجهـة اجتماعية جديدة ، وكان هذا الشعر شديد الشبه بنوع ظهر فى الأندلس العربية ، ولهـذا شاعت النظرية القائلة بأن شعراء جنوبى فرنسا — بروفانس — تأثروا بالأدب الأندلسى .

وهذا الشعر الجديد الذى ظهر فى فرنسا ، قد صوّر الحب — كما صوره الغزل العربى — بشـكل جديد ، مثير للشعور ، غنىٌّ بالصور الخيالية ، مفعم برقة الاستعطاف وشدة التيتم الذى يقرب حد العبادة .

ومن المرجح أن هذه الطريقة فى الغزل لم يكن منشؤها العادات الاجتماعية فى ذلك العصر ؛ لأن المرأة كانت منحطة ، ولأن الفروسية تأبى أن تفرض على رجالها هذا النوع من التصنع العاطفى لمنافاته للروح الحربية ومخالفته مُثُل الكمال التى فرضتها الكنيسه فى تلك العصور .

وبقيت هذه النظرية قائمة حتى القرن التاسع عشر عند ما قام النقاد يطلبون وثائق خطية عليها وعندما أخفقوا فى إيجادها تحولوا إلى الطرف الآخر وقالوا بنفيها .

أما الأبحاث الحديثة فقد بينت لنا أن الشعراء المغنين تروبادور « troubadours » فى فرنسا قد أخذوا من الأندلس أساليب الغزل الجديدة .

قال الأستاذ « جب » « Gibb » فى تراث الاسـلام « The Lsgacy of islam » فى القرن الحادى عشر بلغ الشعر قمة ازدهاره بعد أن مرت عليه قرون طويلة يتابع فيها نموه ، والغزل لا يزال أكثر أنواعه شيوعا يفتتحون به كثيراً من قصائدهم . هذه كانت طريقة الجاهليين تبعها الشعراء فى عصور التمدن الإسلامى . إذ ذاك كثر الشعر الغنائى وصقلته المدنية ، وزادته أناقة ورقة مصطنعة ، وأصبح الغزل فى أقصى حالاته نوعاً من التصوف . وفى وسط هذا الهوس ظهر الشعراء العذريون ونظريتهم الأفلاطونية التى وجدت فى الأندلس مرتعاً خصباً ، وأشهر من دان بهـا ابن حزم صاحب « طوق الحمامة » الذى عدها من وسائل تزكية النفس .

هذه الروح الرومانطيقية المغالية هى التى انتقلت إلى منشدى القرون الوسطى وشعراء الغرب الغنائيين وولدت فيها بعد الشعر الخيالى . أما كيفية انتقالها فيقول الباحثون إن ذلك جرى بواسطة الزجل أو الشعر العامى الذى استنبطه عرب الأندلس ، وأدخلوا فيه شيئاً من روح الشعر الغربى وأسلوبه ، فنسج على منواله الأسبانيون ، وأصبح هذا الزجل الشعبى حلقة الاتصال بين الشعر الغربى وشعر أوربا الجنوبية . لقد عثروا مؤخراً على

مجموعة أشعار أسبانية من نوع « الڤيلانسيكو » وهو الشعر العامى الذى لا يختلف عن الزجل العربى ، والمجموعة لابن قزمان الذى عاش فى أوائل القرن الثانى عشر . وكل ما فى شعره يدل على أصل عربى إلا اختلافاً قليلا فى طريقة الوزن الذى يعتمد على الحركات لا على المقاطع كالشعر الانكليزى .

وأخيراً كل القرائن تجتمع لتظهر أن هـذا الغزل الجديد بروحه وطريقته كان مصدره الغزل العربى فى الأندلس ، ولا يخفى أن الغزل شاع فى الشعر العربى من أقدم عصوره .

**فى صقلية وإيطاليا :**

ولم ينحصر تأثير الشعر الأندلسى فى فرنسا فحسب ، بل تعداها إلى إيطاليا وصقلية ، ولقى الشعر العربى مشجعاً من الملوك والأمراء النرمنديين فقد استعمل الشعراء الإيطاليون أوزانه لنظم أشعارهم إلا أن « بترارك Petrareh » لم يرق له هذا الأدب الدخيل فثار عليه وعلى العرب فى كتاباته .

ومن النواحى التى أثر فيها الأدب العربى : ناحية القصص والأمثال فقد ثبت مؤخراً لدى الباحثين أن كثيراً من القصص والأمثال فى ألمانيا وفرنسا ترجع إلى أصول عربية ، وكما انتقلت الألفاظ على ألسنة السوّاح والتجار ، والمحاربون من الصليبيين كذلك تنوقلت القصص والحكايات والأمثال إلى آدابهم ، ويرجح أن أبو كاشيو « Boccaccio » قد نقل حكاياته الشرقية من مصادر شفهية .

ومن البديهى أن الأدب العربى ملىء بالأمثـال والقصص ذات المغزى الأخلاقى والأدبى الذى تسرّب بعضه — فيما أعلم — من مصادر هندية أوفارسية أو يونانية ، ولقد صادفت هذه الأمثال قبولا مرضياً عند الغربيين فنقلها اليهود استحسانا إلى الآداب الغربية ، من ذلك كتاب السندباد المتحدر من أصل هندى ؛ ثم مجوعة حكم وأمثال ، وأقوال فلسفية ترجمت إلى الأسبانيـة واللاتينية أو غيرها . وهذان الكتابان كان لهما أثراً خاص فى النثر الأسبانى الذى اعتمد على النثر العربى فى أول عهده وكانت الترجمة الأولى لكتاب ( كليلة ودمنة ) فى أوربا من العربية إلى الأسبانية . أما فى باقى اللغات فقد نقل عن ترجمة لاتينية قام بها أحد اليهود ثم انتشرت فى الأقطار الأوربية .

وأخيراً وصلت بعد تغيير وتحوير إلى اللغة الفرنسية تحت اسم جديد أمثال « بيدبا » المنقولة رأساً عن الفارسية وكانت أحد المصادر التى استقصى منها لافونتين الشهير أمثاله الموضوعة على ألسنة البهائم .

وعرف الأسبان فن المقامات عند العرب فنسجوا على منوالها فى بعض رواياتهم ، وفى جملة ما وضعوه كتاب يدعى « الفارس سيفار » يروى سلسلة مغامرات مقتبسة من أصول عربية .

ولا نزال نرقب الباحثين فى إثبات ما لرسالة الغفران من التأثير فى الآداب الغربية ، إذ المظنون أنها كانت أحد العناصر التى أدخلها « دانتى » فى تأليفه رواية « الكوميديا الآلهية » .

* * *

ثم كان عصر الانبعاث ، وهو عصر إحياء الآداب اليونانية القديمة والانصراف عما سواها ، ولم يلبث الناس أن سئموا الأنظمة البيانية وجنحوا إلى الخيال والألوان . فى سنة ١٧٠٤ ترجمت روايات ألف ليلة وليلة » إلى الفرنسية وكان هذا نتيجة للأسفار ، وبدء الاستعمار فى الشرق ونتيجة انجذاب الغربيين بسحر الشرق الذى ما زال يستهويهم بغرائبه وأسراره وألوانه الزاهية قال مارتان فى كتابه : « الشرق فى الأدب الفرنسى » إن دراسة الشرق فى أوربا ابتـدأت فى القرن السابع عشر ، وتكوّنت ونمت فى القرن الثامن عشر الذى يعـد بحق عصر الأدب الشرقى فى أوربا . هـذا القرن الذى كثر فيه البحث العلمى الجاف ، وكثرت فيه الويلات والانقلابات فكان أهله متعطشين إلى الخيال ، ولذا كثر فيه التأليف فى موضوعات شرقية وامتلأت الروايات بأبطال شرقيين ، فوضع « راسين » مثلا روايتـه بازيد ثم ظهرت روايات « ڤولتير » التمثيلية الشرقية والرسائل الفارسية لمونتسكيو وفى انكلترا ظهرت «رؤيا مرزا» و « راسلاس » .

على أن هذه التآليف المقلّدة كانت على جانب من الضعف والركاكة ، ولهذا يهملها تاريخ الأدب العربى لأنها شوهت قسما

من صفحاته . وكان لحركة الاستشراق التى بدأت فى فرنسا صدى فى أوربا ، وكانت ألمانيا أسبق الجميع إلى اقتباس بعض مظاهر الأدب الشرقى . وقام كثيرون من شعراء ألمانيا « الرومانطيقيين » يستوحون الخيال الهندى والفارسى وكان قائد الحركة هردر « Herder » وبعد « lehlegel » ، « Hammer» وكان « جوته » أول من اعتمد الأسلوب الخيالى الشرقى لأنهم أرادوا أن يتعزوا بالخيـال عن الحقائق المؤلمة . على أن تآليفهم الأدبية لم تكن ذات قيمة تذكر لأن التقليد غلب عليها ، إلا أنها أدّت للأدب خدمة جليّ إذ فتحت للأدباء باباً جديداً ما يزال يلجه الكثيرون .

أما فى فرنسا ، فقد كتب « فكتور هوجو » قصائده المعروفة « بالمشرقيات » « Les Oientales » وصدرها بهذه الجملة « فى عهد لويس الرابع عشر كان جميع الناس « هلينيين » أى طلاب الثقافة اليونانية ؛ أما اليوم فجميعهم مستشرقون أى طلاب للثقافة الشرقية » ، لكنه مع شغفه بالثقافة الشرقية لم تبلغ معرفته بها الحد الذى وصل إليه الكتاب الألمان أمثال غوتى وسواه .

وفى انجلترا نرى نفس هذه الحركة التى تهتم بالسطحيات ، ولا تتغلغل إلى جوهر الأشياء ؛ فهناك قام سكوت يسعى لإبراز رواياته الشرقية بحلّة شرقية . واقتدى به غيره من الروائيين كما فعل بيرون قبل ذلك ، ونجح فى تحبيب الشرق إلى الغربيين ، وتبعه فى ذلك مور فى روايته « Galla Rookh »

ففى هـذه الأحوال جميعها أخطأ أدباء الأدب الغربى فهم الأدب الشرقى ، واستعملوه للتزيين والتلوين أى أخذوا منه القشور وأنكروا الحقائق المنطوية تحتها ، وأعرضوا عن الميراث المعنوى الذى قدمه الشرق للعالم . ومع هذا فالقرن التاسع عشر لم يعدم كاتباً يبين لنا الصلة الجوهرية بين الشرق والغرب فى شخص فتزجرلد « ftitzogerald » فنقل « رباعيات عمر الخيام » إلى الانكليزية ، وقد أبدع فى نقلها حتى قيل إنها إنكليزية بقدر ماهى فارسية .

**الخلاصة :**

هناك ثلاثة أدوار ظهر فيها تأثير الأدب الإسلامى فى الغرب وجاء بنتائج متماثلة إن لم تكن متعادلة . أولها فى العصور الوسطى ، ثم بعد مرور عصر الانبعاث فى القرن الثامن عشر ، ثم فى القرن التاسع عشر ، وكان التأثير على أشده فى القرون الوسطى عندما اقتبس الغرب عن الشرق بعض العناصر الفنية التى دخلت فى تكوين أدبه . أما بعد سيادة الأدب اليونانى فلم يأت الاحتكار إلا بنتائج ضئيلة ، وكانت المنتجات الأوربية الشرقية أشبه شىء بنوادر أو تحف غريبة تثير الفضول ولا تتعدى التقليد . هذا فى القرن الثامن عشر ، أما فى القرن التاسع عشر فقد ظهر فى ألمانيا حركة مثمرة لم تدم طويلا . وفى سائر أوربا كان الناس فى القرن الماضى ينظرون شزراً إلى كل ماهو أجنبى . وقد أسكرهم التبجح بالسيادة العالمية . أما فى القرن الحالى فقد أخذوا يغيرون وجهة نظرهم ، ويشعرون أن دائرتهم مهما اتسعت فهى أضيق من أن تشغل العالم بأسره ، وتأكدوا بأن هنـاك خارج منطقتهم كنوزاً يجب أن تكتشف .

( القدس ) **عبد القادر على الجاعونى**
بكالوريوس فى العلوم

« فلسطينيات » :

# العـــابث . . . !

للأستاذ نجاتي صدقي

من يجتز ميدان المغربي بتل أبيب ، وهو يشبه في الظاهر ميدان سنت ميشيل بباريس ، ير في طرفه الأيسر مقهى صغيرا ، جميل الهندسة ، حسن الترتيب ، فاخر الأثاث ، يؤمه عادة أهل الفن والأدب من يهود تل أبيب ، كما يتردد إليه عدد لا يستهان به من المهاجرين والمهاجرات ، يتعارف بعضهم إلى بعض ويتبادلون الآراء ويحتسون الجعة على أنغام الموسيقى الهدهدة .

ولا يجوز قط اعتبار هذا المقهى مكاناً لترفه اليهود فقط ، فمن رواده الدائمين أيضاً بطل قصتنا هذه «عزيز» ، وهو شاب تجاوز الثلاثين ، فلم يدع بابا في الحياة إلا طرقه ، ولم يترك حرفة في المجتمع إلا مارسها ، وهو في طبعه محب للمغامرات له شذوذه ، كما أنه يتذوق الأدب ، ويبدي آراء جريئة في السيكولوجي ، ويجيد الإنكليزية ، ويتكلم العبرية قليلا ...

وفي إحدى الأمسيات جاء « عزيز » المقهى وبصحبته صديق مزارع من شمال فلسطين ، أنعم الله عليه بالثراء وسعة العيش ، وحرمه العلم وسعة المدارك ، وجلسا إلى مائدة ، وكانت ملامحهما تدلان على أنهما من مهاجري بلغاريا أو رومانيا ، فلم يكترث بهما أحد ، في حين أنهما كانا يبديان اهتماماً زائداً بجلاس المقهى ، ويخصان الغانيات الفاتنات من بنات يهوذا بنظرات كلها عطف وشوق ...

وإذ كانا يتناولان الكأس الرابعة من الوسكي في جو اختلطت فيه ضجة الحاضرين بلحن ( الفولغا ) لحا من خلال الدخان الكثيف امرأة ممشوقة القد ، شقراء الشعر ، زرقاء العينين ، ترتدي معطفاً قوزاقياً ، تلج المقهى وهي تتهادى في مشيتها . فما إن وقفت عند بنك الساقي حتى انتصب « عزيز » واقفاً ، وتقدم نحوها بأدب مخمور وقال :

— أتأذن لي مولاتي بكلمة ؟

— تفضل ...

— مولاتي ، لا ريب في أنك من أهل القوزاق ... إني لأرى تموجات نهر الفولغا تتلاقى مع تموجات شعرك الذهبي ، أنت لحن الفولغا الحي ... أنت أنشودة نظمتها الحياة ...

ارتبكت المرأة لهذا الأطراء المفاجيء ، وأجابته مبتسمة — أأنت شاعر ؟

قال — كلا ، لست شاعرا ، ولكنني أعبد الفن ... أنا عربي أومن بأن ليس للفن والجمال حدود عنصرية أو إقليمية .. فبتهوفن معبود العالم بأسره ، وروفائيل سيد الرسامين ، وآينشتين يعترف بفضله كل مخلوق ... و ...

وإذا برجل مديد القامة عريض المنكبين يقطع على « عزيز » خياله ، ويتطلع في وجهه مبتسما ...

قالت المرأة للشاب — هذا زوجي ...

وقالت لزوجها — إنه فنان عربي ... ظن أنني قوزاقية ولم يدر بخلده أني من كوينسبرج ...

قال الزوج — يسرنا جداً أن نتعرف إلى شاب عربي . لقد قضينا عشر سنوات في تل أبيب لم نزر خلالها مدينة يافا قط .. نحن نسمع عنكم ولا نراكم ... والواقع أننا نوهم أنفسنا في هذه المدينة بأننا لم نخرج من أوروبا قط ، فترانا ننشيء بيوتاً غربية الطراز ، ونعيش في المقاهي ... أي إننا لا نسكون في بيوتنا إلا وقت تناول الطعام والنوم ... وإذا ما مللنا المقاهي تجولنا في الشوارع أو ذهبنا إلى دور السينما والموسيقى ... ونحن على الجملة نشعر في حياتنا خارج منازلنا كما لو أننا في منازلنا ... فنساؤنا يسرن في الشوارع وهن يرتدين عباءة البيت أو السراويل الفضفاضة ، أو لباس البحر ... أجل هكذا نعيش ، أما يافا فأقسم لك بأن كثيراً منا لا يعرف بالضبط أتقع هي في جنوب تل أبيب أم في شمالها ... أرجو المعذرة على هذه الغباوة التي هي أشبه بحلم لذيذ ...

وبعد لحظات كان الأربعة يجلسون حول مائدة واحدة ، وقدم «عزيز» زميله إلى الزوج وزوجه بوصفه كاتباً مفكراً يعنى بتصوير الحياة أكثر من عنايته بهندامه ...

وتوالت الأنخاب ، وأظهر الثرى القروى كرمه الحاتمي ، فذهلت السيدة البروسية ، وارتاح زوجها لهذا التعارف السعيد ...

ودارت بينهم أحاديث منوعة تخللتها النكات الموفقة والتافهة ، وافترقوا على أن يكون اللقاء فى اليوم التالى ، فى بيت «عزيز» بيافا لتناول الغداء ...

* * *

— أهلا وسهلا أدون ايسبرجر . أهلا بالسيدة « القوزاقية » هه .. هه .. أعرفكما بقرينتى .. وهذا زميلى بالأمس . وهؤلاء أصدقائى .. وقدمت السيدة أيسبرجر باقة زهور لقرينة صاحب الدعوة وتناولوا أكلا عربياً صرفاً ؛ فسر الضيفان لهذا الحادث الخطير فى حياتهما الفلسطينية ، وانصرفا وهما يلهجان بالثناء العاطر على « عزيز » وكرمه ولطفه ..

وفى اليوم التالى ردت الزيارة إلى تل أبيب ، وكانت زهور وغداء ، وملاطفات وعدم فهم متبادل لما يقصد من هذه الصداقة ... ثم كان وداع على أن يكون اللقاء فى المستقبل فى المقهى الذى حدث فيه التعارف ...

ولما حل مساء اليوم التالى لهذه الزيارة أحس « عزيز » أن شيئا يقلقه ، ويشغل فكره ، ويثير أعصابه ، فأسرع إلى حانة ماوطلب من العرق أولا وثانيا وثالثا تخيل له أنه يسمع لحن الفولغا ؛ وتراءت له السيدة « القوزاقية » كما أرادها أن تكون ، فلم يقو على الاصطبار حتى يحين اللقاء ( فى المستقبل ) .. فعقد النية على المجازفة مهما كانت العواقب . . وإذ كانت ميزانيته لا تسمح له بالإسراف توجه إلى زميله المزارع الثرى وسأله — أأنت مستعد للبذل فى سبيل ربة الجمال ؟

قال — ومن هى ؟

قال — السيدة ايسبرجر ...

قال — كل ما أملك فداء لها .. وإنى للجمال لعابد ...

وفى الساعة الحادية عشرة من الليل كان عزيز وزميله يترنحان ثملين فى شوارع تل أبيب ، فقادتهما أقدامهما إلى دار ايسبرجر ثم صعدا إلى الطابق الثانى ووقفا أمام باب الشقة .. تردد « عزيز » فى الضغط على الزر الكهربائى ، فالعاطفة تحثه على الضغط ، و الفكر المكبوت بالخمر يوحى إليه خيبة الأمل .. وأخيراً مد أصبعه نحو الزر وضغطه ، فمرت ثوان دون جواب ، فأعاد الضغط وإذا بنور يشع فى الداخل وبخطوات تقترب من الباب مسرعة ثم فتح الباب وياله من منظر : السيدة ايسبرجر بلباس النوم ، وشعرها مسدول على كتفيها ، وقفت أمام الزائرين الليليين مشدوهة ، وقد عانقت نفسها بذراعيها من الخجل والبرد معاً ...

فبادرها « عزيز » قائلا — ( شالوم ... مدام ! ... ) .

لقد توقعت السيدة ايسبرجر أن يكون الطارق فى تلك الساعة المتأخرة أى مخلوق من أهلها ومعارفها لكنها لم تتوقع قط أن يكون هذا الطارق « عزيز » وزميله ... والواقع أنها ذعرت لمرآهما ، وانعقد لسانها فى فمها فراحت تحدق فيهما النظر محاولة استجلاء ما فى نفسيهما ، فأجاباها بنظرات حائرة شاردة ... وقد تدلت شفتاهما السفليان قليلا . . ولما استعادت المرأة رباطة جأشها ، دفعت الباب فى وجه الزائرين غير المنتظرين ، وصرخت ...

هرول «عزيز» وزميله إلى الشارع ووقفا عند مصباح كهربائى يلهثان ثم خاطب المزارع عزيزاً بقوله - أتضللنى أيضاً ؟ أين ربة الجمال ؟ أعد لى خمسة جنيهات أنفقتهما عليك هذه الليلة .

فأجابه « عزيز » ما الذى تعنيه بقولك هذا ؟ إننى دعوتك إلى زيارة أدبية فنية فقط ... وجل قصدى من هذه الزيارة إفهامك ماهية الجمال من حيث هو فن إيحائى ! ...

قال المزارع — ماذا ؟ ... ماذا ... ؟

قال — الجمال يا عزيزى على نوعين : مجرد ، وفنى ... فالمجرد هو الجمال اللانسكى البلورى ، وأما الفنى فهو جمال تقاطيع الوجه الدالة على ماهية النفس ...

قال — دعنا من الهذر ، إننى لم أنفق ما أنفقته هذه الليلة لأسمع منك هذه الثرثرة . لن أبرح هذا المكان حتى تأتينى بربة الجمال

قال - صه ... لاترفع صوتك وإلا فضحتنا ، وأساء القوم الظن فينا ... وحاول المزارع المطالبة بحقوقه ... لكن « عزيز » استوقف سيارة ، ودفعه إلى داخلها ، وقال للسائق : إلى يافا . . أسرع ...

قص على « عزيز » قصته هذه وقال :

بودى أن أذهب مرة أخرى إلى السيدة ايسبرجر لأبين لها حسن نيتى من تلك الزيارة الليلية فما رأيك ... ؟

نجاتى صدقى

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٨٠٥ — أصدق مع الله في جميع أحوالك

الفتوحات المكية : أخبرنى الثقة عندى عن الشيخ أبى الربيع الكفيف المالقى كان بمصر يخدمه أبو عبد الله القرشى . فدخل عليه الشيخ وسمعه يقول فى دعائه : اللهم يارب ، لا تفضح لنا سريرة ، فصاح فيه الشيخ وقال له : الله يفضحك على رؤوس الأشهاد يا أبا عبد الله ، ولا شىء تظهر لله بأمر وللناس بخلافه ، أصدق مع الله (عز وجل) فى جميع أحوالك ، ولا تضمر خلاف ما تظهر ...

## ٨٠٦ — طفيلى

دعا رجل قوماً فجاءوا وأتبعهم طفيلى ، ففطن به الداعى فأراد أن يعلمه أنه فطن به فقال : ما أدرى لمن أشكر منكم : لكم إذ أجبتم دعوتى أم لهذا الذى تجشم من غير دعوة .

## ٨٠٧ — فإن ترد الزيادة هات قلباً

أبو الفوارس سعد بن محمد :

تشربش أو تقمّص أو تقبّا ... فلن تزداد عندى قطّ حُبّا[١]

تملّك بعض حبك كلَّ قلبى ... فإن تردِ الزيادةَ هاتِ قلبا

(١) تشربش : لبس ثوباً ذا شرابيش أى أهداب . فى التاج : الشربش كجعفر هدب الثوب جمعه شرابيش مولد وقد ذكره ابن دحية استطراداً فى تفسير حديث ( تقبي ) القباء كسحاب لبسه فى ( التاج ) : « القباء من ملابس الأعاجم فى الأغلب ، وقيل عربى من قبوت الشىء إذا ضممت عليه أصابعك سمى به لانضمام أطرافه » وتقبا فى البيت مبنى على حذف آخره والألف للاطلاق . ( قط ) فيها لغات وفتح القاف وتشديد الطاء مضمومة أفصحها . وهى للنفى فى الماضى كما فى الدرة والمغنى والقاموس وقد جاءت فى الاثبات كما فى البخارى « أكثر ما كنا قط » وفى غير الماضى كما فى الكشاف « لا يبقى لأحد قط » وللمازنى الغرناطى :

تكتب العلم وتلقى فى سفط ... ثم لا تحفظ ، لا تفلح قط

## ٨٠٨ — وما أقدر أن أتكلم بالفارسية

قال ابن جنى فى كتاب النوادر الممتعة : بينا أبو علقمة النحوى يسير على بغلة إذ نظر إلى عبدين أحدهما حبشى والآخر صقلبى ، فإذا الحبشى قد ضرب بالصقلبى الأرض ، وأدخل ركبته فى بطنه ، وأصابعه فى عينيه ، وعض أذنيه وضربه بعصا كانت معه فشجه ، وأسال دمه . فجعل الصقلبى يستغيث فلا يغاث ، فقال لأبى علقمة : إشهد لى . فقال قدمه إلى الأمير حتى أشهد لك ، فمضيا إلى الأمير ، فقال الصقلبى : إن هذا ضربنى وشجنى واعتدى علىَّ ، فجحد الحبشى ، فقال الصقلبى : هذا يشهد لى ، فنزل أبو علقمة عن بغلته وجلس بين يدى الأمير ، فقال له الأمير عم تشهد يا أبا علقمة ؟

فقال : أصلح الله الأمير بينما أنا أسير على كودنى[١] هذا إذ مررت بهذين العبدين فرأيت هذا الأسحم قد مال على هذا الأبقع[٢] فخطأه[٣] على فدفد[٤] ثم ضغطه برضفته[٥] فى أحشائه حتى ظننت أنه تدمج[٦] جوفه وجعل يلج بشناتره[٧] فى جحمتيه[٨] يكاد يفقؤهما ، وقبض على ضارتيه[٩] بعبرمه وكاد يجذهما جذاً ، ثم علاه بمنسأة[١٠] كانت معه فعفجه[١١] بها . وهذا أثر الجريال[١٢] عليه بيّناً ، وأنت أمير عادل .

فقال الأمير : والله ما أفهم مما قلت شيئاً .

فقال أبو علقمة : قد فهمناك إن فهمت ، وعلمناك إن علمت ، وأديت إليك ما علمت ، وما أقدر أن أتكلم بالفارسية ...

فجعل الأمير يجهد أن يكشف الكلام فلا يفعل حتى ضاق

(١) الكودن : البغل ، البرذون الرومى

(٢) الأبقع : الأبرص ، من فيه بياض وسواد

(٣) خطأه : صرعه .

(٤) الفدفد : الغليظ من الأرض

(٥) رضفتاه ركبتاه

(٦) مراده شق بطنه

(٧) شناتره : أصابعه .

(٨) الجحمتان : العينان . لغة يمانية .

(٩) الصنارتان : الأذنان بلغة حمير .

(١٠) المنسأة : العصا .

(١١) عفجه : ضربه .

(١٢) الجريال الأحمر : فالاستعارة للدم .

صدره ، فقال للصقلي : أعطني خنجراً . فأعطاه وهو يظن أنه يريد أن يستقيد له من الحبشي ، فكشف الأمير رأسه وقال للصقلي : شجني خمساً وأعفني من شهادة هذا .

٨٠٩ — هذا مقال من لا يموت حتف أنفه

قال أبو خالد الخزاعي الأسلمي : قلت لدعبل[1] : ويحك ! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ، ووترت الناس جميعاً ، فأنت دهرك شريد طريد هارب خائف . فلو كففت عن هذا ، وصرفت هذا الشر عن نفسك . فقال : ويحك إني تأملت ماتقول فوجدت أكثر الناس لا يُنتفع بهم إلا على الرهبة ، ولا يُبالَى بالشاعر — وإن كان مجيداً — إذا لم يخف شره . ولمن يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب إليك في تشريفه ، وعيوب الناس أكثر من محاسنهم . وليس كل من شرّفته شرف ، ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة — ولم يكن ذلك فيه — انتفع بقولك ، فاذا رآك قد أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك على نفسه ، وخاف من مثل ماجرى على الآخر . ويحك يا أبا خالد إن الهجاء المقذع آخذ بطبع الشاعر من المديح المفرع[2] .

فضحكت من قوله وقلت : هذا ( والله ) مقال من لايموت حتف أنفه[3] .

٨١٠ — تكتب برجليها

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :

في سنة ( ٥٧٦ ) قدمت امرأة إلى القاهرة عديمة اليدين ، وكانت تكتب برجليها كتابة حسنة ، فحصل لها القبول التام .

(١) قال دعبل : كنت جالسا مع بعض أصحابنا ذات يوم فلما قت سأل رجل لم يعرفني أصحابنا عني فقالوا : هــذا دعبل ، فقال : قولوا في جليسكم خيراً كأنه ظن اللقب شتما . في ( اللسان ) : الدعبل الناقة الشديدة وقيل الشارف : ( المسنة الهرمة )

(٢) المفرع : العالي الطويل .

(٣) أحمد بن أبي كامل : كان دعبل ينشدني كثيراً هجاء قاله فأقول له : فيمن هــذا ؟ فيقول : ما استحقه أحد بعينه بعد ، وليس له صاحب فاذا وجد (غضب) على رجل جعل ذلك الشعر فيه ، وذكر اسمه . قال محمد بن الأشعث : سمعت دعبل يقول ما كانت لأحد قط عندي منة إلا تمنيت موته .

٨١١ — كأن عليه من حدق نطاقا

أنشد المتنبي سيف الدولة قصيدة قافية ، وكان السري الرفاء حاضراً وأول القصيدة :

أيدري الربع أي دم أراقا وأي قلوب هذا الركب شاقا

فلما قال :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

فقال السري : هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون . ثم إنه حم في الحال حسداً وتحامل إلى منزله ومات بعد ثلاثة أيام .

٨١٢ — نار المتنبي

أنشد بعضهم بيتاً من الشعر . فقال : هذا البيت لو طرح في نار المتنبي لأطفأها ، إشارة إلى قوله :

ففي فؤاد المحب نار جوى أحر نار الجحيم أبردُها

٨١٣ — أقوى جند لإبليس

في ( محاضرات الراغب ) لما ضُربت الدراهم والدنانير صرخ إبليس صرخة ، وجمع أصحابه فقال : قد وجدتُ ما استغيث به عنكم في تضليل الناس ؟ فالأبُ يقتل ابنـه ، والابنُ يقتل أباه بسببه .

٨١٤ — لينفق ذو سعة من سعته

إسحق بن عمار : سألت ابن عباس عن الرجل الموسر المتجمل يتخذ الثياب الكثيرة والجباب والطيالسة والقُمُص يصون بعضها ببعض ويتجمل بها ، أيكون مسرفا ؟

فقال : إن الله يقول : « لِينفقْ ذو سعة من سعته » .

٨١٥ — المال ...

الكلم الروحانية في الحكم اليونانية :

قال فورس ( ملهى الاسكندر ) للاسكندر : إذا سألت الحكماء عن شيء فسلني .

فقال له : ما الذي ينتفع به الرجل عند الكبر ؟

قال : المال .

فأعجب الاسكندر .

# الحسرة الأولى ...

Le premier Regret

لشاعر الحب لامرتين

[ قال لامرتين : « . في أحد أيام سنة ١٨٣٠ ، بينما كنت داخلا كنيسة في باريز ، إذ بصرت هناك بتابوت فتاة انطفأ سراج حياتها ولما تزل صبية ، قد حمل على الأيدي وأسدلت عليه ملاءة بيضاء ، فذكرني هذا التابوت بموت غرازيلا graziella وهاجت الذكرى شجني ، فطفقت أبكي وأنشج نشيجاً محزناً ، ... ثم عدت إلى غرفتي ونشرت بين يدي مذكراتي عن تلك الخادنة ، ونفست هذه المقطوعة - التي ستقرؤها الآن — وكتبتها في دفتري ، والقلب واجف ، والدمع واكف، وسميتها الحسرة الأولى Le premier Regret : وها هي ذي ] :

---

هناك على سِيف المحيط المصطفق ،

حيث يقذف بحر « سورانت » بأمواجه الزرقاء ،

فتتكسر تحت قدمي شجرة البرتقال ،

وثَمّ صخرة صغيرة ، ضيقة الحجم ، متساوية الطول والعرض كانت قريبة من الطريق اللاحب ، تحت الصباح العَبِق بشذى الأزهار فكانت للغريب الهائم منتدىً ومزاراً .

وأزهار الخيريّ الباسمة قد سترت تحت أغصانها اسماً منقوشاً على هذه الصخرة ، نعم ! قد سترت اسماً لم يردده الصدى قط فلم يك معروفاً عند أحد ! ولكن المسافر الذي أنهكه السير ، يجلس هناك أحياناً ليستريح ، ثم يزيح الحشائش عن الصخرة ، فيقرؤ عمرها وتاريخ وفاتها ، ويقول وعيناه تشرقان بالدمع أسفاً وحزناً :

لقد عاشت ست عشرة عاماً ! ولعمري إنها سِنٌّ مبكِّرة إلى الموت ، »

ولكن ! ليت شعري ! لِمَ أحمل نفسي على استذكار تلك الذكريات الغابرة ؟

فلندع الهواء يخف ، والنسيم يرف ، والموج يصطخب ، وتعالي هنا ، أيتها الخواطر المضطربة ، والعواطف الملتهبة ! عودي إليّ قليلاً ، لعلي أرغب في التأمل والعزاء ، ولا أجهش في الحزن والبكاء !

إن القارئ ليقول : «لم تعش وا أسفاه إلا ستة عشر عاماً» !

— أجل ! لقد عاشت كذلك ! ولكن هذا العمر القليل ، لم يسطع قط فوق جبين أزهى من جبينها ، ولم تتأمل قط عين — حبيبة إلى كمينها — إذ تنظر إلى سناء الشاطئ الملتهب ، وجلال الخضم المضطرب !

لقد أبصرتها أنا كذلك ، حتى أن وجداني قد طبع شخصها الحي في نفسي ، تلك النفس التي تحتفظ بكل شيء ، فلا تموت صورة فيها ولا تمحى

نعم لم تزل حية في نفسي ! فكأن عينيها الساجيتين ترمقان عيني بنظراتهما ، وكأننا كنا سوية نُلقي بأحاديثنا الأولى في اليم ، وشعرها المغدودن الفاحم يستسلم إلى أنفاس النسيم ويسترسل معها ، فتداعبه تارة ، وتستخف به أخرى ،

ثم يلقي هذا الحجاب الهائم ظله الكثيف ، على وجهها اللطيف . وإذ كانت ترهف أذنيها ، لتسمع أنشودة الصياد الذي يتخبط في ظلام الليل ،

ولتنصت إلى أنفاس النسيم العبقة ، حيث تنثر نضارتها وزهوها ،

ولقد أرتني القمر المبتهج وهو يصعد في السماء ، كأنه زهرة جميلة في الليل ، ترقب نحرها الجميل ؛ وإلى الزبد الفضيّ المتلألئ ، كنا ننظر سوية ، فتلتفت إليّ ، وبحنان تقول :

« أخبرني ، لماذا أرى كل شيء يضيء في هذا الفضاء ، فيتشعشع في نفسي بمثل هذا السناء ؟

إن هذه الحقول اللازوردية ، وقد مُلئت بالنيران المتوهجة ، وإن هذه الرمال الذهبية ، وقد تكسرت فوقها أواذيّ المحيط ، وإن هذه الجبال الشماء إذ تضارع بعلياتها أذن الجوزاء ، وهذه الخلجان المكللة بتلك الغابات الصماء ، وهذه الأضواء التي تنبعث من ضفة الدأماء ، وتلك الأنغام التي تقذف بها الأمواج ، إن كل ذلك لا يثير نفسي ، ولا يهيج حسي ، بلذة مبهمة ، أو سرور لا عهد لي بمثله !

ليت شعري ! كيف لا أحلم بمثل هذا اليوم ، وكيف لا أبتهج

بهذه المناظر ؟ هل صعد إلى قلبي ذلك الكوكبُ الدرّى ، فأنار ظلامه ، وبدّد أوهامه ؟

وأنت أيها القمر اللألاء ، سلْ الليالى الحلوة الطلماء ،

وقل لها : هل تضارع ليالى بلادك — إن غبتُ عنك — هذه الليالى فى البهاء ؟ »

— وإذ ترمق بنظرتها الوديعة أمها الرؤوم ، حيث كانت على كثب منا . ثم تتطرح على نفسها من السقم ، وتُلقى بجبينها فوق ركبتىْ أمها ، فيعقد السكرى الهنيء ، أهدابَ عيونها الوُطف .

ولكن ، ليت شعرى ؟ كيف أحمل نفسى على استذكار هذى الذكريات الغابرة ؟

فلندع الهواء يحف ، والنسيم يرف ، والموج يصطخب ،

وتعالى هنا ، أيتها الخواطر المضطربة ، والأفكار الملتهبة !

عودى إلىّ قليلا ، لعلى أرغب فى التأمل والعزاء ، ولا أجهش فى الحزن والبكاء !

لله ما أصفى أديم عينيها الساجية ! وما أحلى حمرة شفتيها المفترّة !

ولشد ما ترد عينها نظرى خاسئاً وهو حسير !

إن بحيرة « نيمى Némi » لجميلة المنظر ، لا تستخف بأدعها نسمة ، ولا تعبث بسطها تأمة ، ولكنها رائقة السطح ، لازوردية الماء ، تشبه بزرقتها أديم السماء !

كنت تستطيع أن ترى أفكارها السانحة ، من خلال نفسها الحالمة ، قبل أن تتعرف إلى شخصها ،

فجفناها الفاتران ، لم يغمضا قط على عينيها الوديعتين ، فيحجبا عنا نظراتها البريئة ، وجبينها المشرق ، ولم تغضنه تباريح الهموم ، ولم تضغطه آلام أوشجون ، فالكل يطفر مرحاً فى نفسها وحسها :

أما هذه الابتسامة العذبة الفتية ، فلقد ماتت على فمها البارد .

وكانت من قبل تغمر شفتيها المفترتين ،

كأنها قوس قزح ، صافى اللون ، مبشر بيوم صحو جميل !

إن من القسامة البارعة ، والجهارة الرائعة ، أن يكون هذا الوجه الفاتن مرئياً من كل عين ، لا يحجبه ظل ، ولا تخفيه ظلمة .

فلقد كان هذا القناع اللطيف ساطعاً ، لا تمر بسمائه سحابة .

مضيئاً فى كل نفس ، حبيباً إلى كل قلب !

وخطاها الحائرة المترددة ، كانت تسترسل هائمة أو تعدو راكضة ، كأنها موج مستبد ، هدهده النهار واستخف به ،

وصوتها الرنان العذب ، كان صدى صافياً ورجيعاً نقياً لنفسها الوليدة ، وطالما كان موسيقى حلوة لتلك النفس التى يغنى فيها كل شىء ،

فيشرح الصدر ، ويبهج النفس ، حتى يصعد إلى طبقات الأثير حيث يذوب ويتلاشى .

ولكن ليت شعرى ! لم أحمل نفسى على استذكار هذى الذكريات الغابرة ؟ فلندع الهواء يحف ، والنسيم يرف ، والموج يصطخب ،

وتعالى هنا أيتها الخواطر المضطربة ، والعواطف الملتهبة !

عودى إلى قليلا . لعلى أرغب فى التأمل والعزاء ، ولا أجهش فى الحزن والبكاء !

كما ينطبع نور الصباح على العين ، كذلك انطبعت صورتى فى قلبها ؛

ولكنها لم ترن بعينها أبداً ذاك اليوم .

وفى الساعة التى أحبت فيها ، رأت العالم كله فيضاً من الحب والحماسة !ولقد امتزجت معها فى حياتها الخاصة ، وتطلعت من نفسها إلى ذلك الذى استفله الطرب ، فأخذ يمر أمام عينيها ، وإلى تلك السعادة الزائلة ، والأمل المقيم فى السموات العُلى !

لم تفكر قط فى مرور الزمن ، أو ضياع الوقت ،

فساعة واحدة كانت تشتف وجودها ، وتضيق بها ذرعاً ، وحياتها قبل أن يجمعنى الدهر بها ، لا تحتاج إلى ذكرى .

إن مساء أحد تلك الأيام الجميلة كل حظى من الدنيا ونصيبى من الحياة !

لشد ما كانت تركن إلى الطبيعة الضاحكة ، إذ تبسم إلينا ، وتفترّ عن ثغرها الضحوك أمام ناظرنا ،

ولشدّ ما كانت تسكن إلى الصلاة الهادئة ، والدعاء البرىء ، وما أكثر ما كانت تأخذ طريقها إلى المذبح المقدس ، حيث تنثر فوقه الأزهار الفواحة بالأرج ، وقلبها يطير فرحاً ، عكس ما يكون باكياً متقبضاً ؛ إذ تجتذبنى لألحق بها إلى هيكلها ، فأقفو أثرها ، كأننى غلام وضيع ، أو طفل مطيع ، وصوتها الخافت يناديني ويقول :

« لنصل معاً يا أخى ، فإننى لا أفهم للصلاة معنى بدونك ! ولا أستطيع أن أخبت لك إذا لم تكن حاضراً بقربى ! »

ولكن ليت شعرى ؟ لم أحمل نفسى على استذكار تلك الذكريات الغابرة . فلندع الهواء يجف .. الخ !

هلا نظرتم يا صحابتى إلى الماء النمير ، يتدفق فى حوضه . كأنه ينبوع لا يفور؟ هلا أبصرتموه وقد عقد نطاقاً مستديراً ، كما تفعل البحيرة بشاطئها الضيق الصغير ؟ هلا نظرتم إلى زرقته الصافية ، وهو فى ذمة الهواء السارى وفى كنف الشعاع الملتهب ، الذى جفف ماءه ، وأضوى معينه ؟ وإذ ذاك يقذف الأوز بنفسه فى جوفه ، ليعوم فوق أديمه الرجراج ، وهو يغمس عنقه بين ثناياه المتموجة ؛ فيزين تلك المرآة السائلة ، دون أن يكدرها ، أو يمسها بسوء ويهدهد نفسه وسط الماء ، الذى يعكس النجوم المتألقة فى كبد السماء .

ثم يضرب الماء المصطفق بجناحيه المبللتين ، ليأخذ سمته ، مسفاً نحو نبع آخر ، فيمحو بطيرانه صفحة السماء المنعكسة ، فى جوف الماء الصقيل ؛ وتسقط منه ريشة ، تكدر صفاءه ، وتنزع عنه رواءه ، كأن نسراً كاسراً ، وهو عدو جنسه الألد ، قد بعثر رفاته المزقة ، ورمى بها إلى كل موجة ، فذهبت بها أباديد ، وإذا باللازورد الساطع ، للبحيرة المرحة ، يغدو موجة قاتمة ، تصعد فوقها الرمال الميثاء ! وأنا شبيه بذلك الطائر يا صحابتى !

ولقد ذوى كل ما فى نفسها ، عندما بعدتُ عنها وشطَّ بىَ النوى ، نخبا ذلك الشعاع المضىء فى نفسها ، وصعدت جذوتها الهامدة الأخيرة سريعةً نحو السماء ، كيما تعود أبدا بعد ذلك !

لم يكن فى أَملها ولا فى مرجوّها أن تنتظر ثانية أملا بعدها ، ولم تكن لتذوى املـها بالريب ، أو لتطغىَ على ألمها بالحياة

لقد تجرعت كأسَ الألم دهاقاً فغرق قلبها بأول دمعة حرّى سقطت من عينها !

ما أشبهها بذلك العصفور الصغير ! إنهما ليتفقان فى الدعة والهناء ، وإن قلَّ عنها ذلك فى الحسن والبهاء !

أتراه عند المساء وقد غشى جناحه عنقه لينام نوماً هادئاً لذيذاً ؟ وكذلك هى : فقد رقدت مثله ، يغشاها يأس قاتل ، وضنى مبرّح ، إلا إن رقادها كان مبكراً . فلم يكن لليلها صباح ، ولا لنومها يقظة !

ولكن ليت شعرى ؟ لم أحمل نفسى ... الخ ...

خمسة عشر عاماً قضتها تحت التراب ، وما رثى مصيرها أحد ، ولا بكت ملجأها عين ،

فسرعان ما غشى النسيان - وهو ثانى كفن الموتى — تلك الطريق التى تؤدى بنا إلى شاطئ الحياة ؛

لم يزر أحد وا أسفاه هذه الصخرة التى طمسها الدهر ودرسها ، لم يفتكر بها أحد ، ولم يندبها باكٍ ! إلا مخيلتى فقد قضت لبانتها من حق الذكرى وحق الدعاء !

إذا ما قضيت موجة أيامى الأخيرة ، فأحسست بدنو أجلى ، رأيتنى أستذكر فى قلبى جميع من فقدهم فنسيهم ، ثم أرسل عينى نحو تلك الأطلال الخاشعة والآثار الدارسة ، فأذرف الدمع ، وأسكب العبرات ، حزناً على تلك النجوم النيرة ، التى خبا ضوؤها المشتعل ، وانطفأ سراج حياتها من سمائى المتعذرة !

ولقد كانت هى أول الشهب الآفلة ، من نهار بهى جميل ؛ فضوؤها اللألاء لا يزال ينير ظلام قلبى ، ويُضرم ما بقى حذوة حبى !

ولكن ليت شعرى ؟ لم أحمل نفسى .... .. الخ ... ...

كلُّ حظها من الحياة شجيرة شائكةٌ ذات خضرة باهتة خطمتها رياح البحر الشديدة ، وهشمتها أشعة الشمس المحرقة . ورغم هذا بقيت ضاربة بجذورها تحت تلك الصخرة ، دون أن تخلع عليها ظلها ، كأنها حسرة مضنية ، تأصلت جذورها فى القلب. وغبار الثرى كسا أوراقها طبقة بيضاء ، فاستلقت على الأرض ، وانعطفت أفنانها ، فجذمتها أسنان الماعز الحادة .

ثم تتفتح زهرة ناصعة فى فصل الربيع ، كأنها رضاب الثلج ، فتفخر هذه الشجير يوماً أو بعض يومين ،

ولا تلبث الريح بعد ذلك أن تطوقها ، وتنثر ورقها ، قبل أن ينتشر عرفها الشذىّ ؛ وعصفورٌ صغير ، شجى اللحن ، حزين النفس ، يقع على غصن الشجيرة المنعطف فيغرد تغريداً شجياً ، هو إلى الحزن والبكاء ، أقرب منه إلى الترجيع والغناء ! —




# عــــزاء . . . !

للأستاذ لبيب السعيد

قطع الشك اليقين . إن سكوت أبيه هو سكوت الموت .
لقد مات ككل الذين ماتوا من الأهل والجيران والمعارف ، وإلا فما هذا الصراخ فى البيت ، ولم النحيب ، ولم احتشاد هؤلاء الأقارب والقريبات وقد أقبلوا بقطع من الليل على غير عادة ؛ ولأية مناسبة يقيم الفراشون سرادقا ، وفيم قول الناس : تجلد .. البقية فى حياتك ! بل — وما أشد وما أعظم  كيف يتحدث إليه شيوخ الأسرة كالمستشيرين فى أمور فاجعة : الكفن والمغسلين والمقبرة والمقرئين .. ، وكيف طلعت صحف النهار حاشرة اسم أبيه فى زمرة الموتى ، وكيف ترد عليه البرقيات بالعزاء من شتى الجهات ؟

---

إيه أيتها الزهرة ، التى طالما أذوتها الحياة ،

رددى القول معى : « ألا توجد هناك أرض ، نعود فيها إلى الحياة ثانية ، فتزدهر فيها أنفسنا ونعيش فيها عيش السعداء الناعمين ؟

هيا اصعدى إذن ! إصعدى أيتها الروح الذاوية ، وتذكرى مضى الساعات الخالية . إن ذكرياتك المحزنة لتساعدنى أن أنفث زفرة الحزن الباقية !

إذهبى معها ، أيتها النفس حيث تذهب وتمضى ! ودعينى لوحدى أيتها الأفكار المضطربة

لقد طفح قلبى بالذكرى
فدعينى أنوح وأبكى

(حماه : سوريا) **أديب لجمى**

الأمر إذن لا ريب فيه . وأخواته إذ تنفرد كل منهن الآن فى حجرة باكية ولهى ، إنما يبكين أباهن الذى انتاشه الموت منهن فجأة ، والذى يدركن على غرارة صباهن أنهن بعده أصبحن ولا رجاء لهن ولا جناح يرف عليهن أصبحن بذل اليتيمات . وإخوته وهم لم يتخطوا بعد سن اليفاعة إذ يلبسون الأربطة السوداء ويذيلون الدموع فى حزن أخرس تارة وحزن ثائر تارة ، و يسيرون مترنحين يتحاملون على أنفسهم ، إنما يقع لهم هذا لأن الدهر الضرار بت آمالهم ورابهم فى أبيهم . وأمه إذ تذرع البيت ذاهلة حيرى مولهة إنما تفعل لأن مصابها فيمن هو من هولها ولبناتها وبنيها ، سلبها سكينتها وهد أعصابها هدا .

وانفجر « فؤاد » يبكى ، لقد كان عليه — فيما يحس — أن يبكى لأمه وأخواته وإخوته ، وأن يحزن ويخاف لاقلب واحد ولكن بثمانية قلوب .

وسار خلف نعش أبيه فياض الشؤون يعض على شفتيه كالتصبر ، أو يفتحهما عن ابتسامة هستيرية مزعجة ، ويسكت فترة لينطق بكلمات مضطربة فترة أخرى .

وأوقفوه فى الليل عند باب السرادق يتلقى العزاء مع كبار الأسرة ، فكان يتلقى ألفاظ المواساة بوجوم صامت أليم . كانت هذه الألفاظ لا تكاد تفتق سمعه ، كانت تسبح لديه ، وكان أقواها وأفصحها أعجز من أن يشفى داء الثائر أو يداوى جرحه الفائر . وانفض المعزون وانفض « فؤاد » إلى نفسه ...

ما أعظم فجيعته ! أبوه مات ، وكان على أبيه أن يموت ماجداً كما مات من لم يكدحوا فى الحياة قدر كدحه حتى ممن عرفهم فؤاد فيما اجتاز من شبابه . ولكن ، وا ذلاه ! إن الحياة لم تمكن أباه من شىء ، لقد أفقدته التجارة ثروته ، ولم يدع له الجهاد فى سبيل الرزق فرصة فسيحة للجهاد فى سبيل غرض كبير ... لقد مات بعد طول النصب وفرط اللغوب ولكنه لم يورث بنيه رفعة ولا ثروة ولا مجدا ... تركهم بقلوب كسيرة ، ومثله كان جديراً بما بذل من ذات نفسه أن يترك بنيه فى مقام كريم ونعمة .

هذه أفجع شعب المصيبة ! هكذا قال فؤاد لنفسه .

وجاء شيخ الحارة ، ومعه معاون المجلس الحسبى ، يحصيان تركة الميت ...

ياخجلتنا ! إن التركة ليست إلا حطام ثروة . كل شيء أودى به الحرص على شيء واحد نشأ « فؤاد » فرأى أباه يردد لفظه ويتغنى بمعانيه : الشرف .

وأحس فؤاد بتمه ويتم أخوته أقوى ما يكون الاحساس ، وتبدت له المصيبة فادحة مروعة ، فبيتهم اليوم بيت أرملة وصبيان وصبيات لا مال لهم ، فهم حريون ألا ينجحوا فى الحياة لأنهم فقدوا عصبها . وهم بعد لا يملكون الاسم الضخم الذى يوارون فيه فقرهم ، أو الجاه البعيد الذى يعتصمون به من العالم الساخر .

وريع فؤاد ، ورخصت عبراته ، فهى مبذولة كلما رأى إخوته وأمه ، وكلما رأى الأقارب أو الأباعد ، وكلما رأى أحباءه ، وكلما رأى أعداءه ، وكلما رأى غنيا أو ماجدا ، وكلما رأى فقيرا أو مغموراً ، وكلما سمع عن المباهج أو عن الأحزان .

وشعر أنه ما دام كبير إخوته فقد أصبح أباً لهم بعد أبيهم ، وعليه أن يضمن لهم دوام الدعة ، وأحس أن بينه وبينهم فرقا كبيراً فى السن . إن الأربعة والعشرين عاما التى سلخها طفرت فجأة فصارت ستة وخمسين كم كانت سن أبيه .

وجاءت ليلة الجمعة الأولى ، فأضاء فناء البيت والمناظر ، وقعد يستقبل المواسين من ذوى قرباه ومن خاصة أبيه ، والحزن ينهشه نهشا ، والجزع على مستقبله ومستقبل إخوته وأخواته الذى مازال فى ضمير الغيب يهفو بقلبه .

واستمع فى غير اكتراث كعادته إلى كلام المواسين ، وغلبه البكاء كعادته أيضا فانخرط فيه ...

وجاء رجل لا عهد لفؤاد به تحف به شمائل الطيبة ويتم مظهره عن يسار ؛ جاء يسأل : أليس هذا هو بيت المرحوم الشيخ حامد أبو ابراهيم ؟

— بلى هو ، تفضل ...

ودخل ، وهو يهتف بالجالسين : عظم الله أجركم !

وشرب القهوة ، ثم اتجه بوجهه إلى فؤاد الذى كان إلى جواره وسأله : أنت كبير إخوانك يا بنى !

— نعم .

أجمل الله عزاءكم ياحبيبى ، ورعاكم الله الكريم ! لقد قرأت نعى أبيكم العظيم فى الجريدة ، فآثرت الحضور بنفسى لقضاء حق التعزية .

ودهش فؤاد للنعت الكبير الذى يضفيه الرجل على أبيه ، فمتى كان مثل أبيه عظيما وهو الرجل الذى مات ولم يخلف ثروة تدفع الخجل على الأقل أمام رجال المجلس الحسبى ؟ إن العظيم فى المجتمع هو الذى يورّث ذريته بيوتا وطينا وغلات وجواميس وحميرا ، ولكن أباه أفنى كل شيء قبل سفرته البعيدة . لقد مات وماله ما يخلد ذكره أو حتى ما يكفل ذكر اسمه يوما ، ولقد ترك من خلفه ذرية ضعافاً يخاف عليهم ...

ووضع الرجل يده على كتف فؤاد ، واتجه به إلى منظرة ليس فيها زحمة ، وحدثه : إسمع يابنى ، إن مصابكم كبير حقاً . لقد عرفت أباك لأول مرة منذ عشرين عاما . والظن أنك لا تعرف ذلك . كان أبوك وقتئذ عنوان التاجر الناجح ولو أنه كان محدود رأس المال . وجئت إليه أشترى صفقة أرز ، ولم يكن معى غير مئتى جنيه آملت أن أدفعها له عربونا عن الصفقة على أن أبيعها حالا فأتمكن من أداء حقها والانتفاع بربحها . وتضمنت الشروط أن أدفع باقى الثمن فى عشرة أيام وإلا صار العربون حقا له . وإذا تحسنت الأسعار فله أن يعتبر البيع باطلا . ذلك يابنى كان ومازال العرف التجارى السائد .

وخطر لى فجأة السفر إلى الاسكندرية لبيع الصفقة الكبيرة ففجأنى حادث اصطدام أدخلنى المستشفى شهراً لم يدر خلاله أحد من أهلى أو معارفى شيئا عنى . وكنت لاقيت الحادث فى أجل مستأخر فسلمت .

وغادرت المستشفى إلى بلدى ، فكيف كانت السوق وقتئذ ؟ لقد عرفت والحسرة تقطع فؤادى أن السعر ارتفع إلى نحو الضعف فقدرت فى شأن الصفقة ما لابد من تقديره ، وأيست من العربون ، ودخلت بيتى مهموماً محزوناً . ولم أكد أطمئن زوجتى على حالى ، حتى قدمت إلى برقية بتوقيع أبيك نصها : « نقدر أنك تأخرت لسبب قاهر ، فاطمئن . البضاعة لك » ولم أصدق ما قرأت ، وتخالجتنى الريب ، أتكون خدعة من أحد عرف بالأمر ؟ أتكون سخرية من سمسار شامت ؟ أتكون . .

أتكون .. ؟ وقدمت على أبيك فى متجره توا ، ومعى مصوغات امرأتى وبناتى ، ووجه الأمل يبيض فى وجهى حيناً ويسود حيناً فاذا بأبيك يستقبلنى مبتسما كأن لم يكن تأخير ، وكأن لم تكن شروط لصالحه .

وعرضت عليه — وكرمه الرائع يبهرنى — أن يشاركنى ربح الصفقة ، فرد فى شـــدة كريمة : هذا لن يكون !! وكانت هذه الصفقة بالذات بدء تقدمى فى الحياة .

وأخرج الرجل من حافظته برقية كاد البلى يتلفها ، وأطلع عليها « فؤاداً » . فأمعن فؤاد النظر إليها فى استغراب بالغ . إنها من أبيه حقا ، وإن عليها لخاتم مصلحة البرق فى المدينة من حوالى عشرين عاما حقا . واستطرد الرجل قائلا : هذه يابنى شهادة العظمة فى أبيك . وإنى لأحتفظ بها تقديراً لمأثرته ، بل تبركا بمروءته .

وربت الرجل كتف فؤاد وهو يقول : كفكف دموعك يابنى ، هذه قصة أبيك ، ألا ترضى بها عزاء !

ورفع فؤاد رأسه الخافض، وابتسم فى رضى وازدهاء ، وكأنه أمسك بزمام مستقبله ومستقبل ذويه ، وكأنما أضاءت له الظلمات ، وكأنما شاهد عناية الله تشجعه وتحف إخوته وتكلؤهم جميعاً .

وختم المقرئون السهرة ، فنهض المعزون وفيهم الرجل ، وخف فؤاد إلى الباب يشكر لهم مواساتهم ، وما انصرفوا حتى صعد إلى أمه وإخوته وأخواته ، يقفز إليهم السلم قفزا غير خاشٍ دموع أمه التى كانت تحز قلبه ، ولا وجل من إجهاش أخواته الذى كان يهدم له انهداما ، صعد غير متعثر ولا مضطرب ونادى :

يا أولادى ! — هكذا ينادى فؤاد الآن أسرته — جاءنا العزاء ! ها كم قصة أبيكم ، لكم من روحه قدوة ووحى وإمام واسمعهم القصة ...

ونظر بعضهم إلى بعض فى زهو ... وكأنما امتلأوا قوة ، وكأنما انبثق الأمل فى نفوسهم انبثاقا ، كأنما انتشر عليهم رواق الأمان فجأة . وعلت وجوههم ابتسامات حلوة ، وترقرقت فى المآقى الدموع : دموع الفرح لا دموع الأحزان .

لبيب السعيد

---

## وزارة المعارف العمومية

**المراقبة العامة للثقافة**

**إعلان**

تعلن وزارة المعارف عن حاجة حكومة البحرين إلى المدرسين المصريين الآتى بيانهم : —

٢ — مدرسين للغة العربية أحدهما للابتدائى والآخر للثانوى

٢ — مدرسين للغة الإنجليزية للابتدائى

٣ — مدرسين للرياضيات والرسم للابتدائى

٢ — مدرسين للجغرافيا والتاريخ للابتدائى

٥ — مدرسين من التعليم الأولى

وسيكون استخدام من يقع عليهم الاختيار بعقد لمدة سنتين من تاريخ مغادرتهم القطر المصرى ويمنحون ضعف المرتب . و ٤٠ ٪ من راتبهم فى مصر إعانة للحكومة المصرية بحيث لا تقل عن خمسة جنيهات ولا تزيد على عشرة فى الشهر . ٢٥ ٪ من هذا الراتب إعانة غلاء من حكومة البحرين كما تهيئ حكومة البحرين لكل مدرس مسكناً مناسباً غير مفروش أو تدفع له ٢٥ روبية فى الشهر بدل سكن. وتتحمل هذه الحكومة مصاريف السفر للمدرس ولزوجته فقط بالدرجة الثانية ذهابا وإيابا عند بدء العقد ونهايته .

وتقدم الطلبات إلى المراقبة العامة للثقافة فى موعد لا يتجاوز آخر يولية سنة ١٩٤٦ ٥٧٠٩

---

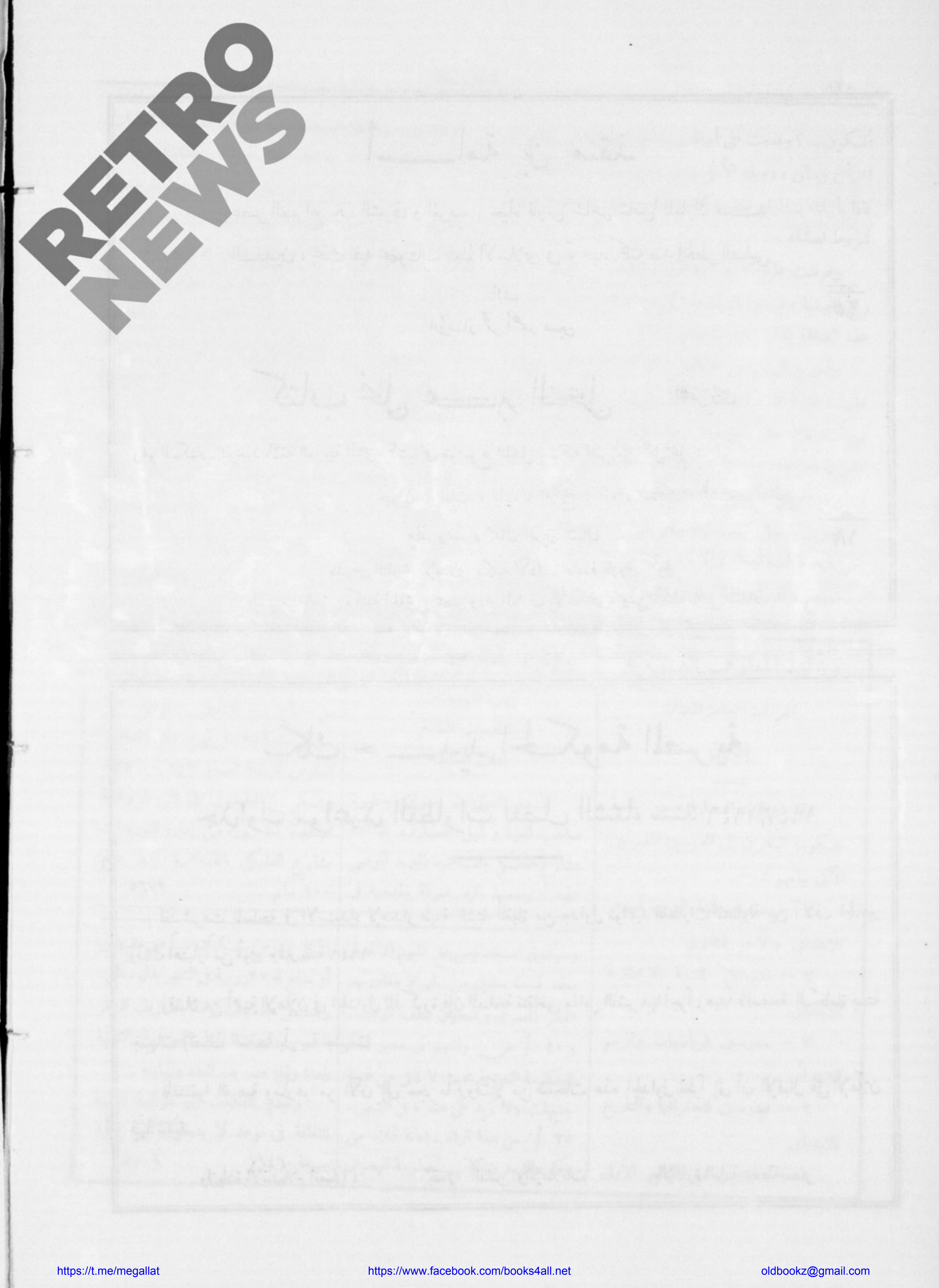
## وزارة المعارف العمومية

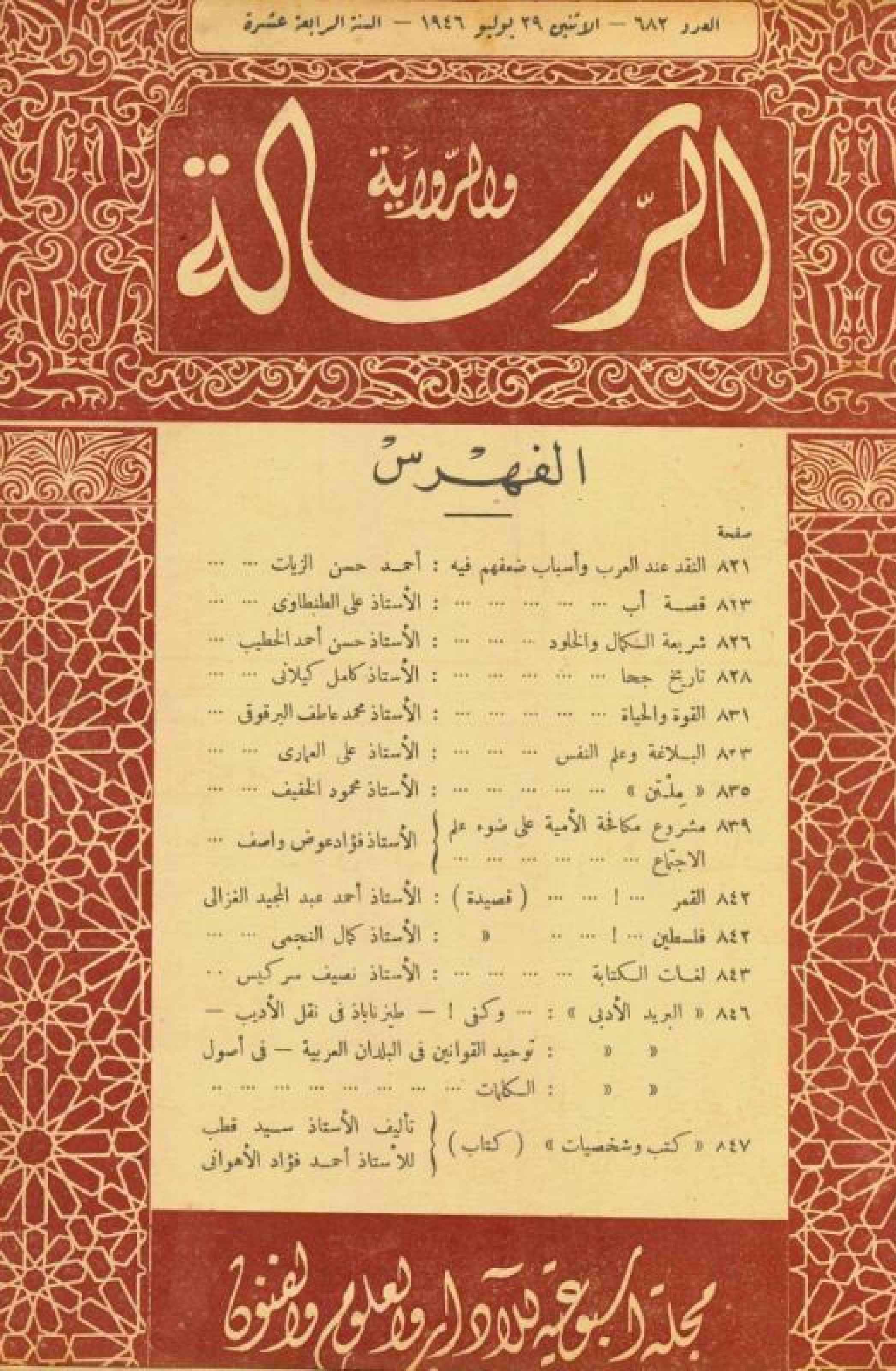
إدارة التوريدات

المناقصات العامة

إعلان مناقصة

تقدم العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة وكيل المعارف المساعد بشارع الفلكى بالقاهرة بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميه فى داخل الصندوق المخصص لذلك فى إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم الأثنين الموافق ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٦ عن توريد عدد وادوات المدارس الريفية لعام ٩٤٦ — ٩٤٧ ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع الفلكى بالقاهرة نظير دفع ١٠٠ مليم . ٥٦٧٩





العدد ٦٨٢ — الاثنين ٢٩ يوليو ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

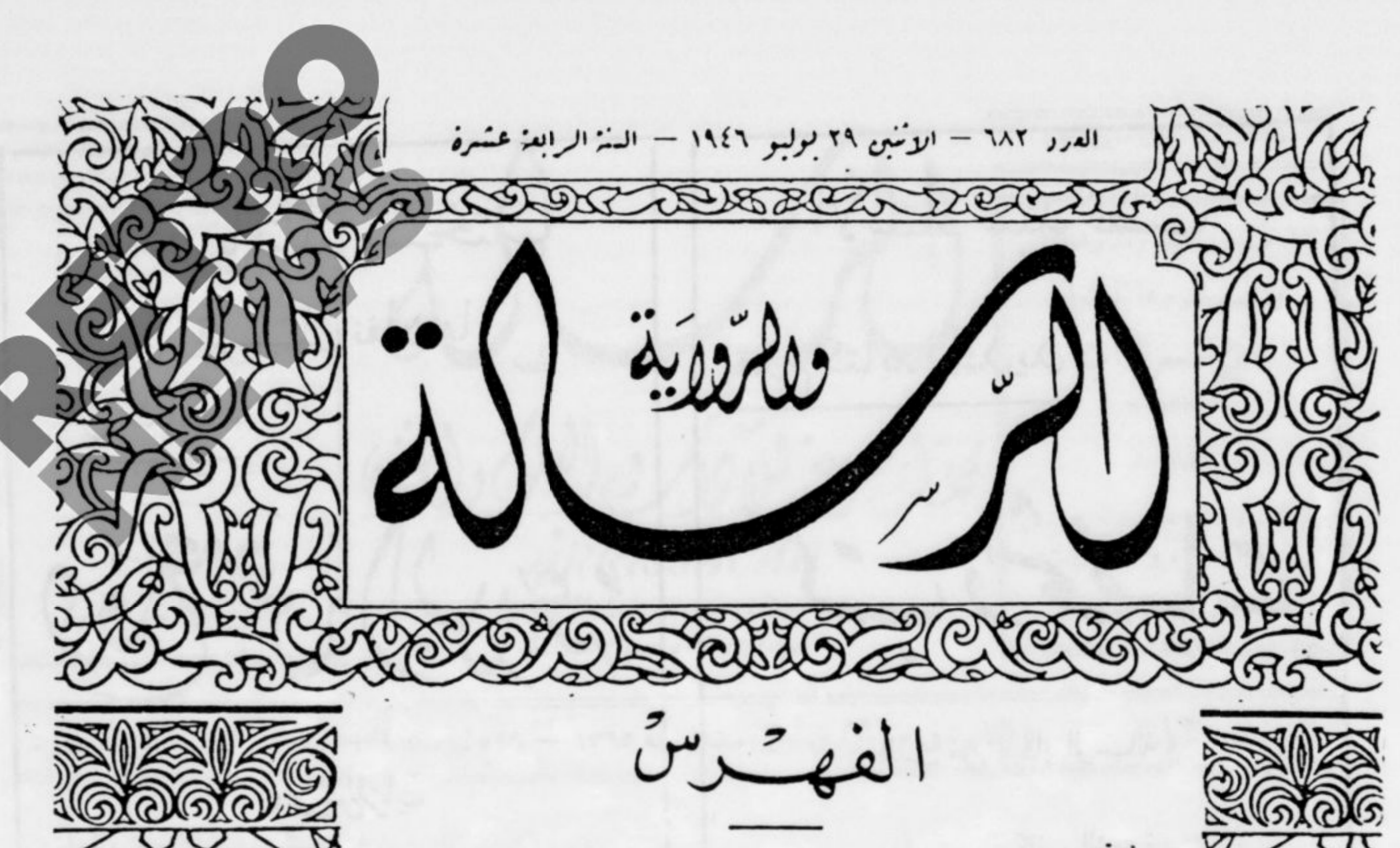
# الرسالة والرواية

## الفهرس



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٨٢ — الاثنين ٢٩ يوليو ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

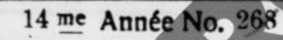



## الفهرس



٢٧٠٩

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون


14 me Année No. 268

Lundi—29—7—1946

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

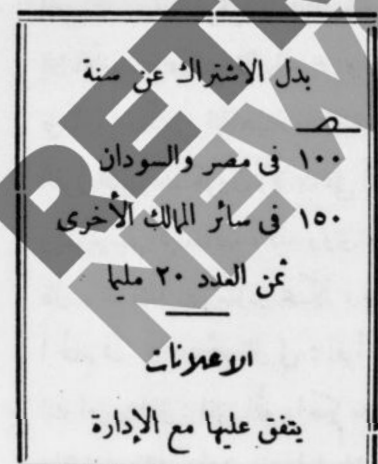
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠


بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٨٢ « القاهرة فى يوم الإثنين أول رمضان سنة ١٣٦٥ — ٢٩ يوليو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة


# النقد عنـــــد العرب

## وأسباب ضعفهم فيه

— ٢ —

فأنت ترى أن الموازنة التى قام بها الآمدى إنما كانت بين أبيات مفردة اختارها من مطالع أبى تمام فى الوقوف على الديَّار ونحوه [1]، واختار ما يقابلها من مطالع البحترى ، ثم علق على هذه الأبيات تعليقاً موجزاً لا يتصل بموضوع القصيدة ولا وحدتها ولا غرضها ولا سياقها ، كأنها لم تكن عضواً فى جسم ولا جزءاً من كل ؛ ولذلك تفرغ من الكتاب وأنت لا تدرى أى الشاعرين أفضل . وهذا النحو الذى نحاه الآمدى فى الموازنة والحكم هو الغالب على رجال الأدب فى تلك العهود . فكثيراً ما تجدهم يقولون : فلان أوصف الشعراء للقوس ، أو أنعتهم للخيل ، أو أمدحهم للناس ، لأنه قال بيتاً واحداً فى وصف قوس أو نعت فرس أو مدح ملك . ولم أقف على موازنة بين قطعتين كبيرتين من قصيدتين إلا فى كتاب ( المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ) لضياء الدين نصر بن الأثير الجزرى المتوفى سنة ٦٣٧ فقد وازن بين قصيدتين فى وصف الأسد للبحترى والمتنبى ، وبين قصيدتين فى الرثاء لأبى تمام والمتنبى ، وإن لم تكن الموازنة تامة من كل وجه ...

ومن الظواهر التى تسترعى نظر الباحث أن اللغويين والبيانيين قد أغفلوا نقد المنثور إلا ما اتصل بالقرآن الكريم والحديث الشريف . وقد ظهر أثر هذا الإغفال واضحاً فى كتاب نقد النثر المنسوب إلى قدامة بن جعفر فإنه بكتب البيان والبديع أشبه . ولعله لو وجد ما يحتذيه فى هذا الباب من كلام الأدباء لما بان عجزه ووضح قصوره . وما ذكره ابن الأثير فى كتاب المثل السائر إنما دار على الرسائل المسجوعة دون غيرها من أنواع النثر .

فما سبب قصور العرب عن النقد البيانى ، وما علة هذا النقص الذى استتبع نقصاً مثله فى تاريخ الأدب ؟

سبب ذلك أن أسبق الأدباء إلى النقد هم اللغويون والنحاة . كانوا هم قضاة الشعر فى أواخر القرن الثانى وفى القرن الثالث ، إليهم يحتكم الشعراء ، وعنهم يأخذ الملوك والأمراء ، حتى قال الخليل بن أحمد : « إنما أنتم معشر الشعراء تبع لى ، وأنا سُكّان السفينة إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدتم » . وغرض هؤلاء اللغويين والنحاة من النظر فى الشعر إنما كان جمع الشواهد على غريب الألفاظ وصحة القواعد ، وتسجيل معانى الشعر ومَن ابتكرها ومن سرقها . فكلما كانت القصيدة أحفل بالشواهد وأجمع للغريب كانت أجود ، وكلما كانت المعانى أرسخ فى القدم وآصل فى الابتكار كانت أفضل . ومن ذلك كان أغلب النظر مقصوراً على الأبيات المفردة الشاهدة على صحة الكلمة ، أو سلامة القاعدة ، دون نظر إلى علاقتها بالقصيدة . وكان الرأى مجمعاً على تقديم الشعر الغريب على المأنوس ، وتفضيل الشاعر القديم على

(١) ذلك فى الجزء المطبوع وقد علمنا أن للكتاب بقية قيمة لم تطبع

المحدَث . وقد أغرقوا فى إيثار الجاهلى على الإسلامى من غير ميزة إلا الأقدمية ، حتى قال أبو عمرو بن العلاء : « لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما فضلت عليه أحداً » . وكان شعراء القرن الثانى ينكرون ولا بد على أقطاب اللغة والأدب هذا التحكم ويسألونهم الإنصاف ، فقد روى صاحب الأغانى أن حماداً الأرقط قال : « لقينا ابن مناذر بمكة ، فأنشدنى قصيدته : كل حى لاقى الحمام فمودِ ... ثم قال لى : اقرأ أبا عبيدة السلام وقل له : يقول لك ابن مناذر : اتق الله واحكم بين شعرى وشعر عدى بن زيد ، ولا تقل ذلك جاهلى وهذا إسلامى ، وذاك قديم وهذا محدث ، فتحكم بين العصرين ، ولكن احكم بين الشعرين ، ودع العصبية »!

وأخذ هذا الإنكار ينتشر ويشتد كلما ورفت ظلال الحضارة فصقلت الألسنَ وأرهفت الأذواق ، حتى هب جماعة من بلغاء الكتاب فى أوائل القرن الثالث ينقضون أحكام اللغويين والنحاة ويبنون الأحكام الأدبية على قواعد أقرب إلى التسوية والموضوعية ؛ فقد قال الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ : « طلبت علم الشعر عند الأصمعى فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبى عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ، ومحمد بن الزيات » . وقال أيضاً : « رأيت أناساً يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها ، ولم أر ذلك قط إلا فى رواية غير بصير بجوهر ما يروى ، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان ، وفى أى زمان كان » . وقال عبد القاهر فى دلائل الإعجاز : « روى أن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر سأل البحترى عن مسلم وأبى نواس أيهما أشعر ؟ فقال أبو نواس . فقال : إن أبا العباس ثعلباً لا يوافق على هذا فقال : ليس هذا من شأن ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله ، إنما يعلم ذلك من دُفع فى سلك طريق الشعر ومضايقه وانتهى إلى ضروراته »

ثم سلك ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هذا المسلك فقال فى كتاب الشعراء : « ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار إليه ، سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل بين الفريقين وأعطيت كلاً حظه ووفرت عليه حقه ؛ فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله . ولم يقصر الله العلم بالشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوماً بين عباده فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً فى عصره ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين ؛ وكان عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته . ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم . وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا ، كالخزيمى والعتابى والحسن بن هانىء وأشباههم . فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه وأثنينا عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه ، كما أن الردىء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه »

وأخذ مذهب التسوية بين القدامى والمحدثين يذيع على الأفواه ويُروى فى الكتب ، حتى شاع الترف والسرف والظرف فى حياة الناس فتفننوا فى أساليب العيش ، وتأنقوا فى أفانين الكلام ، واستحدث العراقيون ألوان البديع ، وأخذ البيانيون ينقبون عن أنواعه فى عبقريات المولدين ، كما كان اللغويون والنحاة ينقبون عن شواهد اللغة والنحو فى كلام الجاهليين والمخضرمين ، فبان شأوهم على المتقدمين فى هذا المضمار ، وأخذت سوقهم تنفق ، وكفتهم ترجح ، حتى ظهر فى العلماء من يتعصب لهم ويتعزز بهم . وأشهر هؤلاء ابن الأثير ، فقد ناضل عنهم فى مواضع متفرقة من كتابه المثل السائر ، ومن ذلك قوله . « ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم فى اتباع من قصر نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف فى اللفظ الجزل واللطيف ، فمتى وُجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل . ولقد اكتفيت فى هذا بشعر أبى تمام حبيب بن أوس ، وأبى عبادة البحترى ، وأبى الطيب المتنبى ؛ وهؤلاء الشعراء هم لاتُ الشعر وعُزّاه ومَناته ، الذين ظهر على أيديهم حسناته ومستحسناته . وقد ضمت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء » وقال فى موضع آخر : « إن فى الشعراء المتأخرين مَن فاق المتقدمين . والذى أدانى إليه نظر

من صميم الحياة :

# قصـــة أب . . . !

للاستاذ على الطنطاوى

[ مهداة إلى أخى الأستاذ عبد المنعم خلاف الذى لا يزال يؤمن بالانسان ... ! ] « على »

دخل علىّ أمس ، بعد ما انصرف كتاب المحكمة ، ولبست معطفى لأخرج ، رجل كبير يسحب رجليه سحباً لا يستطيع أن يمشى من الضعف والكبر . فسلم ، ووقف مستنداً إلى المكتب وقال :

إنى داخل على الله ثم عليك(١) ، أريد أن تسمع قصتى ، وتحكم لى على من ظلمنى .

قلت : تفضل ، قُلْ أسمع .

قال : على أن تأذن لى أن أقعد ، فوالله ما أطيق الوقوف .

قلت : أقعد ، وهل منعك أحد من أن تقعد ؟ أقعد يا أخى ، فان الحكومة ما وضعت فى دواوينها هـذه الكراسى وهذه الأرائك الفخمة إلا ليستريح عليها أمثالك من المراجعين الذين لا يستطيعون الوقوف ، ما وضعتها لتجمل من الديوان ( قهوة ) يؤمّها ( البطالون ... ) الفارغون ، ليشتغل الموظف بحديثهم عن أصحاب المعاملات ... ويضاحكهم ويساقيهم الشاى والمرطبات ، والناس قيام ينتظرون لفتة أو نظرة من الـ ( بك ) !

لا . لسنا نريدها ( فارسية ) كسروية فى المحكمة الشرعية ، فاقعد مستريحاً فانه كرسى الدولة ، ليس كرسىّ أبى ولا جدى ، وقل ما تريد ...

* * *

قال : أحب أن أقص القصة من أولها ، فأرجو أن يسعنى صبرك ، ولا يضق بى صدرك ، وأنا رجل لا أحسن الكلام من أيام شبابى ، فكيف بى الآن وقد بلغت هذه السنّ ، ونزلت علىّ المصائب ، وركبتنى الأمراض ... ولكننى أحسن الصدق ولا أقول إلا حقاً ..

كنت فى شبابى رجلا مستوراً أغـدو من بيتى فى حارة ( كذا ) على دكانى التى أبيع فيه الفجل والباذنجان والعنب ،

(١) تعبير عامى لا بأس به ، وقد أبقينا على مثلها فى حديث الرجل

---

الاجتهاد دون التقليد ، أن جريراً والفرزدق والأخطل أشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية ، وبينهم وبين أولئك فرق بعيد . وإذا استُفتيت قلت إن أبا تمام والبحترى والمتنى أشعر من الثلاثة المذكورين ، وليس عندى أشعر منهم فى الجاهلية ولا فى الإسلام ... وإذا أنصف الناظر وترك التحامل ثم ترك التقليد عرف أن حرف الميم وحرف اللام من شعر أبى الطيب المتنى قد ضمنا من الجيد النادر ما لم يتضمنه شعر أحد الفحول من شعراء العرب » .

مما تقدم نستخلص أن علماء اللغة والنحو والبيان لم ينظروا إلى القصيدة باعتبارها كُلاً تتساوق أجزاؤه إلى غرض واحد ، وإنما نظروا إلى ما تشتمل عليه أبياتها من غريب الكلم أو أصيل التراكيب أو محسنات اللفظ ، وجعلوا ذلك سبب التفضيل وعلة الاختيار وأساس الحكم . وقلّ منهم من فطن إلى وحدة . القصيدة كالحصرى القيروانى حين أشار إلى ذلك فى زهر الآداب وروى عن الحاتمى قوله : « مثل القصيدة مثل الإنسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فى صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه وتعفّى معالمه . وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون فى مثل هذا الحال احتراساً يجنبهم شواهد النقصان ، ويقف منهم على محجة الاحسان ، حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال وتأتى القصيدة فى تناسب صدورها وأعجازها ، وانتظام نسيبها بمديحها ، كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا ينفصل جزء منها من جزء . وهـذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم ولطف أفكارهم ، واعتمادهم البديع وأفانينه فى أشعارهم » ؛ ولكنهم لم يبسطوا هذا الرأى ولم يطبقوه فيما عالجوه من النقد والموازنة .

( للكلام بقية ) أحمد حسن الزيات

وما يكون من خُضر الموسم وثمراته ، فأربح قروشاً معدودات أشترى بها خبزى ولحمى ، وآخذ ما فضل عندى من الخضر فيطبخه (أهل البيت[1]) ونأكله وننام حامدين ربنا على نعمائه ، لا نحمل هماً ولا نفكر فى غد ، ولا صلة لنا بالناس ولا بالحكومة ، ولا نطالب أحداً بشىء ، ولا يطلب منا شيئاً . ولم أكن متعلماً ولا قعدت فى مدرسة ، ولكنى كنت أعرف كيف أصلى فرضى ، وأحسب دراهمى ... ولقد عشت هذا العمر كله ولم أغش ولم أسرق ولم أربح إلا الربح الحلال ، وما كان ينغّص حياتى إلا أنه ليس لى ولد ، فجربنا الوسائل وسألنا القابلات ولم يكن فى حارتنا طبيب ولم نحتجْ إليه . فقد كان لنا فى طبّ (حُسُو العطار) وزُهوراته وحشائشه ما يغنينا عن الطبيب والصيدلى . وإذا احتجنا إلى خلع ضرس فعندنا الحلاق ، أما أمراض النساء فردٌّ أمرها إلى القابلة ، ورحم الله أم عبد النافع قابلة الحارة ، فقد لبثت أربعين سنة تولد الحاملات ولم تكن تقرأ ولا تكتب .

أقول إنا سألنا القابلات والعجائز فوصفن لنا الوصفات فاتخذناها ، وقصدنا المشايخ فكتبوا لنا التمائم فعلقناها ، فلم نستفد شيئاً ؛ فلم يبق إلا أن ننتظر أول جمعة فى رجب لنقصد (جامع الحنابلة)[2] ، فلما جاءت بعثت (أهل البيت) فقرعت حلقة الباب وطلبت حاجتها فنالت طلبها[3] ... وحملت ...

وصرت أقوم عنها بالثقيل من أعمال المنزل لأريحها خشية أن تسقط حملها وأكرمها وأدللها . وصرنا نعد الأيام والساعات حتى كانت ليلة المخاض فسهرت الليل كله أرقب الوليد ، فلما ابتلج الفجر سمعت الضجة وقالت (أم عبد النافع) : البشارة يا أبا ابراهيم ! جاء الصبى .

ولم أكن أملك إلا ريالا مجيدياً واحداً فدفعته إليها .

وقلّبنا الصبى فى فرش الدلال ، إن ضحك ضحكت لنا الحياة ، وإن بكى تزلزلت لبكائه الدار ، وإن مرض اسودت أيامنا وتنغص عيشنا . وكلما نما أصبعاً كان لنا عيد ، وكلما نطق بكلمة جدت لنا فرحة ، وصار إن طلب شيئاً بذلنا فى إجابة مطالبه الروح ...

وبلغ سن المدرسة ، فقالت أمه : إن الولد قد كبر فماذا نصنع به ؟

قلت : آخذه إلى دكانى فيتسلى ويتعلم الصنعة .

قالت : أيكون خضرياً ؟

قلت : ولم لا ؟ أيترفع عن مهنة أبيه ؟

قالت : لا والله العظيم ! لابد أن ندخله المدرسة مثل عصمه ابن جارنا سموحى بك . أريد أن يصير (مأموراً) فى الحكومة فيلبس (البدلة) والطربوش مثل الأفندية ...

وأصرت إصراراً عجيباً ، فسايرتها ، وأدخلته المدرسة ، وصرت أقطع عن فمى وأقدم له ثمن كتبه . فكان الأول فى صفه ، فأحبه معلموه وقدروه وقدموه ...

ونجح فى الامتحان ، ونال الشهادة الابتدائية . فقلت لها : يا امرأة ! لقد نال ابراهيم الشهادة ، فحسبنا ذلك وحسبه وليدخل الدكان .

قالت يوه ! ويلى على الدكان ... أضيع مستقبله ودراسته ؟ ! لا بد من إدخاله المدرسة الثانوية .

قلت : يا امرأة ، من علمك هذه الكلمات ؟ ما مستقبله ودراسته ؟ أيترفع عن مهنة أبيه وجده ؟ قالت : أما سمعت جارتنا أم عصمة كيف تريد أن تحافظ على مستقبل ابنها ودراسته ؟ قلت : يا امرأة . اتركى البكوات ... نحن جماعه عوام مستورون بالبركة ، فما لنا وتقليد من ليسوا أمثالنا ؟

فولولت وصاحت : ودخل الولد الثانوية ، وازدادت التكاليف فكنت أقدمها راضياً ... ونال البكالوريا .

قلت : وهل بقى شىء ؟

قال الولد : نعم يا بابا . أريد أن أذهب إلى أوربا

قلت : أوربا ؟ وما أوربا هذه ؟ !

قال : إلى باريز ...

قلت : أعوذ بالله ! تذهب إلى بلاد الكفار ؟ والله العظيم إن هذا لا يكون !

وأصر وأصررت وناصرته أمه ، فلما رأتنى لا ألين ، باعت سوارى عرسها وأقراطها ، وذلك كل ما لها من حلى اتخذتها عدة على الدهر ، ودفعت ثمنها إليه فسافر على الرغم منى !

وغضبت عليه وقاطعته مدة ، فلم أرد على كتبه ، ثم رق قلبى وأنت تعلم ما قلب الوالد ؟ وصرت أكاتبه وأسأله عما يريد ... فكان يطلب دائماً .

---

(١) كذلك يكنى الشاميون عن الزوجة إلى اليوم على عادة العرب من كراهية التصريح بذكرها .

(٢) فى الصالحية على سفح جبل قاسيون وكان يسمى دير الحنابلة وكان قائماً قبل أن يبنى آل قدامة حى الصالحية من نحو ثمانمائة سنة .

(٣) خرافة دمشقية وثنية كان أستاذنا الشيخ بهجة البيطار يشدد الحملة عليها كل سنة .

ارسل لى عشرين ليرة ... ارسل لى ثلاثين ... فكنت أبقى أنا وأمه ليالى بطولها على الخبز القفار وأرسل إليه ما يطلب !

وكان رفاقه يجيئون فى الصيف وهو لا يجىء معهم ، فأدعوه فيعتذر بكثرة الدروس ، وأنه لا يحب أن يقطع وقته بالأسفار !

ثم ارتقى فصار يطلب مئة ليرة . . وزاد به الأمر آخر مرة فطلب ثلاثمئة !

تصور يا سيدى ما ثلاثمئة ليرة بالنسبة لخضرى تجارته كلها لا يساوى ثمنها عشرين ليرة ، وربحه فى اليوم دون الليرة الواحدة ؟ ويا ليته كان يصل إليها فى تلك الأيام التى رخصت فيها الأسعار ، وقل العمل ، وفشت البطالة ، ثم إنه إذا مرض أو اعتل علة ، بات هو وزوجته على الطوى ... فكتبت إليه بعجزى ونصحته ألا يحاول تقليد رفاقه ، فإن أهلهم موسرون ونحن فقراء فكان جوابه برقية مستعجلة بطلب المال حالا !

وإنك لتعجب يا سيدى إذا قلت لك إنى لم أتلق برقية قبلها فى عمرى . فلما قرع موزع البريد البـاب ودفعها إلى ، وأخذ إبهام يدى فطبع بها فى دفتره ، انخرطت كبدى من الخوف ، وحسبتها دعوة من المحكمة ، وتوسلت إليه وبكيت ، فضحك الملعون منى وانصرف عنى ، وبتنا بشر ليلة ما ندرى ماذا نصنع ، ولا نعرف القراءة فنقرأ ما فى هذه الورقة الصفراء ، حتى أصبح الله بالصباح ولم يغمض لنا جفن ، وخرجت لصلاة الغداة فدفعتها لجارنا عبده أفندى فقرأها وأخبرنى الخبر ، ونصحنى أن أرسل المبلغ ، فلعل الولد فى ورطة وهو محتاج إليه !

فبعت دارى بنصف ثمنها ، أتسمع يا سـيدى ؟ بعت الدار بمئتى ليرة ، وهى كل ما أملك فى هذه الدنيا ، واستدنت الباقى من مراب يهودى دلونى عليه بربا تسعة قروش عن كل ليرة فى الشهر ، أى أن المئة تصير فى آخر السنة مئتين وثمانية ! وبعثت بذلك إليه وخبرته أنى قد أفلست !

وانقطعت عنى كتبه بعد ذلك ثلاث سنوات ، ولم يجب على السيل من الرسائل التى بعثت بها إليه !!

ومر على سفره سبع سنين كوامل لم أر وجهه فيها ، وبقيت بلا دار ، ولاحقنى المرابى بالدين ، فعجزت عن قضائه ، فأقام على الدعوى ، وناصرته الحكومة علىّ لأنه أبرز أوراقاً لم أدر ما هى فسألونى : أأنت وضعت بصمة اصبعك فى هذه الأوراق ؟

قلت : نعم . فحكموا على بأن أعطيه ما يريد وإلا فالحبس . وحُبست يا سيدى . نعم حبست وبقيت ( المرأة ) وليس لها إلا الله ، فاشتغلت غسّالة للناس ، وخادمةً فى البيوت ، وشربت كأس الذل حتى الثمالة

ولما خرجت من السجن قال لى رجل من جيراننا : أرأيت ولدك ؟ قلت : ولدى ؟ ! بشرك الله بالخير . أين هو ؟ قال : ألا تدرى يا رجل أم أنت تتجاهل ؟ هو موظف كبير فى الحكومة ويسكن مع زوجته الفرنسية داراً فخمة فى الحىّ الجديد

وحملت نفسى وأخذت أمه وذهبنا إليه ، وما لنا أمنيـة فى العيش إلا أن نعانقه كما كنا نعانقه صغيراً ، ونضمه إلى صدورنا ونشبع قلوبنا منه بعد هذا الغياب الطويل . فلما قرعنا الباب ، فتحت الخادمة ، فلما رأتنا اشمأزت من هيئتنا ، وقالت : ماذا تريدون ؟ قلنا : نريد ابراهيم . قالت : إن البك لا يقابل الغرباء فى داره ، إذهبا إلى الديوان . قلت : غرباء يا قليلة الأدب ؟ أنا أبوه . وهذه أمه.

وسمع ضجتنا فخرج ، وقال : ما هذا ؟ وخرجت وراءه امرأة فرنسية جميلة

فلما رأته أمه بكت وقالت : ابراهيم حبيبى ؟ ومدّت يديها وهمّت بالقاء نفسها عليه ، فتخلى عنها ونفض مامسته من ثوبه وقال لزوجته كلمة بالفرنساوى ، سألنا بعد عن معناها فعلمنا أن معناها ( مجانين ) !

ودخل وأمر الخادم أن تطردنا ... فطردتنا يا سـيدى من دار ولدنا !

وما زلت أتبعه حتى علقت به مرة فهددنى بالقتل إذا ذكرت لأحد أنى أبوه وقال لى : ما ذا تريد أيها الرجل ؟ دراهم ؟ أنا أعمل لك راتباً بشرط ألا تزورنى ولا تقول إنك أبى ! !

ورفضت ياسيدى الراتب وعدت أستجدى الناس ، وعادت أمه تغسل وتخدم حتى عجزنا وأقعدنا الكبر والمرض فجئت أشكو إليك فـاذا نصنع ؟

فقلت للرجل : خبرنى أولا ما اسم ابنك هذا وما هى وظيفته ؟

فنظر إلىّ عاتباً وقال : أتحب أن يقتلنى ؟ !

قلت : إن الحكم لا يكون إلا بعد دعوى ، والدعوى لا تكون إلا بذكر إسمه .

قال : إذن أشكو شكاتى لله .

وقام يجرّ رجله يائساً ... حتى خرج ولم يعد !

**على الطنطاوى**

# شريعة الكمال والخلود ...

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

( تتمة ما نشر فى العدد الماضى )

بينا فى مقالنا السابق كمال الشريعة الإسلامية وسعة مباحثها وعدالة أحكامها ، ونفينا عنها الشبهة الأولى التى وجهت إليها ، وهى قصورها ، وأثبتنا وفاءها بحاجات الأمم ومطالبها فى كل عصر بما فيها من نصوص محكمة ، وقواعد سامية ، وأصول على وجه الدهر قائمة

وفى هذا المقال ننظر فى الشبهة الثانية ، وهى أن العقوبات التى قدرتها الشريعة فى الحدود قاسية ، بل أسرف بعض الغالين فقال : إنها وحشية لا تتفق مع روح المدنية : فقد حكمت برجم الزانى إذا كان محصناً ، وبجلد غير المحصن مائة جلدة ، وقضت بقطع يد السارق ، وبجلد شارب الخمر والقاذف ثمانين جلدة .

ولدحض هذه الحجة وإزاحة تلك الشبهة نقول : إن جميع الشرائع والقوانين السماوية والوضعية ترمى فى غايتها إلى المحافظة على الضرورات الخمس : النفس والعقل والمال والنسل والدين ، إذ يترتب على التفريط فيها والاعتداء عليها التنازع والتظالم وسفك الدماء وفقد الأمن فى الأنفس والأموال والأعراض ، وانتشار المفاسد والشرور

ولكن القوانين الوضعية — وبخاصة القوانين الأوربية — تجانفت عن المحجة ، وحادت عن الجادة ، وتنكبت الصراط السوى ، فلم تستطع المحافظة عليها بما يقطع دابر الفساد ، وذلك لأنها لم تحرم الزنا إلا فى حالات معينة ، وأباحته عند الرضا فى أكثر الحالات محتجة بالمحافظة على الحرية الشخصية ، فكانت عاقبة ذلك كثرة اللقطاء الذين حرموا تربية الآباء وشفقتهم ، وانتشار الأمراض السرية التى تفتك بالصحة فتكا ذريعاً ، والإحجام عن الزواج الذى ترتب عليه بقاء كثير من النساء فى حالة من المسكنة والبؤس والتعس والشقاء . وفى الحالة المعينة التى حرمت فيها الزنا لم تفرض إلا أيسر العقوبات ، فظلت الحال على ما هى عليه من انتشار البغاء وتمكن الشر والفساد

أما الاحتجاج بالحرية الشخصية فمردود ، فإن من القواعد المسلم بها أن للانسان مطلق الحرية الشخصية إلا فيما يعود بالضرر على نفسه أو على غيره . وقد ثبت بالتجربة والمشاهدة أن الزنا ضار بالزانيين صحيا وأدبيا ، ثم يتعدى الضرر منهما إلى غيرهما من أسرتيهما ، وهو تدنسهما بفضيحة الجناية على الأعراض ، وهى عند من لم تمسخ طبائعهم لا تقل ضررا عن التعدى على الأنفس بالقتل ، ولهذا نرى الأفراد فى الأمم حتى اليوم — خصوصا فى الأمم الشرقية ومنها مصر — يحفزهم دافع الشرف إلى الانتقام لأعراضهم ، وبذلك كثرت جرائم القتل من أجل الزنا.

كذلك أباحت هذه القوانين الغربية تعاطى المسكرات بحجة الحرية الشخصية ، وما دروا أن هذه الحرية قاتلة بشهادة الأطباء الذين قرروا ضررها وإيذاءها للجسم وتأثيرها فى الكبد .

هذا إلى إضاعتها للمال فى غير مصلحة ولا فائدة محققة ، وجنايتها على العقل ، وذلك شر عظيم قد يؤدى إلى مفسدة كبرى ؛ فقد يقتل السكر ، وقد يهجر زوجه وولده ويخرب بيته ، وقد يجنى حتى على عرضه . وليس أدل على ذلك مما قرأناه فى الصحف أن رجلا مدمنا هجرته زوجه لذلك ، فسطا فى غيبة عقله وضياع رشده على عرض ابنته الصغيرة ، ثم تعدى أيضا على عرض ابنه الذى لم يتجاوز إحدى عشرة سنة .

هاتان جريمتان متأصلتان فى نفوس البشر لأنهما صادرتان عن جبلة تزين للناس حب الشهوات . وقد رأيت أنهما مصدران لكثير من الشرور والآثام والمفاسد التى تنخر عظام الأمم ، وتدع المجتمع سقيما بالأوصاب والعلل الاجتماعية ، مهدداً بالانحلال والفناء .

أفترى مع هذا أن عقوبة الحبس أو التغريم زاجرة أو رادعة أو متكافئة مع الآثار السيئة والعواقب الوبيلة التى أسلفنا ذكرها ؟ لا شىء من ذلك يكون رادعا ، أو يكون من شأنه اجتثاث هذه الجرائم فلم يبق إلا أن تكون العقوبة بدنية لأنها أنفذ فى النفس أثرا ، وأشد وقعا ، وأبلغ فى زجر الجانين وردع غيرهم وأدنى إلى إصلاح النفوس وتطهير القلوب .

بقيت السرقة والقانون الأوربى يعاقب عليها كما تعاقب الشريعة الإسلامية ، غير أن العقوبة فى القانون الأول بغير القطع كالحبس ، وفى الشريعة الإسلامية بقطع اليد .

وحكم الشريعة أولى بالاتباع وأحق بالمراعاة وأجدر بالتقدير فإن السارق يأخذ خفية ويعتدى على صاحب المال فى غفلته ، فهو جبان فى اعتدائه ، نذل فى خديعته ، يستلب منه أعز شىء لديه بعد حياته وعرضه ، وقد يرتكب جريمة القتل مع السرقة ، بل كثيرا ما تقع هذه الجريمة كوسيلة يتذرع بها الى إتمام سرقته أو للفرار من تبعاتها ، فيقتل من غير تفريق ولا تمييز ، حتى الطفل فى مهاده ، والشيخ الهِمّ فى فراشه .

فإذا كانت عقوبة السارق . وهو الذى يهدد المجتمع بأمضى الأسلحة وأخسها — هى الحبس ، فهل ينزجر بها ويرتدع ؟ ! وهل تؤثر فيمن تحدثهم أنفسهم بارتكاب هذه الجريمة ؟ ، وهل يتحقق بذلك الأمن على النفوس والأموال ؟ ! كلا ، ولهذا نرى السرقات لا تقل ولا تنقطع ، بل نراها تكثر فى مضاعفة وازدياد لأن العقوبة غير زاجرة ، ومن ثم نرى اللصوص فى هذا العصر الذى يزعم قادته أن قطع اليد لا يتفق مع روح المدنية — ينظمون أنفسهم ، ويكونون عصائب قوية مسلحة كأنها حكومة داخل حكومة ، لا يبالون الأموال ولا الأرواح ، كما نشاهد ذلك فى الولايات المتحدة وغيرها .

ولو كانت العقوبة بدنية فى مثل هذه الجرائم المهددة للأمن المثيرة للشر والفساد ، القاضية على راحة المجتمع وطمأنينته لا نحسم الشر من أصله ، ولقلت هذه الجرائم ، ولسلم المجتمع من رجزها وتطهر من رجسها — كما نشاهد آثار ذلك اليوم فى البلاد الحجازية فى عهد حكومتها السعودية ، وقد كانت من قبل مسلوبة الأمن لا يطمئن فيها مقيم ولا ظاعن على نفسه ولا على ماله .

وقد جاء فى تقرير بعثة الشرف المصرية الموفدة إلى الحجاز فى سنة ١٣٥٥ — الهجرية ما يؤيد ما ذهبنا إليه من أن تنفيذ حدود الله تعالى كفيل باستتباب الأمن وراحة البلاد ، وقاطع لدابر الفساد ، وأن تنفيذ أحكام شريعته يفضى إلى خير العواقب ، ويؤتى أطيب الثمرات — قالت البعثة فى هذا التقرير :

« لا يفوتنا أن نذكر مع الإعجاب حالة الأمن فى تلك البلاد — تعنى بلاد الحجاز — فإن الأمن هناك مستتب موطد الأركان فى كل مكان ، وبخاصة فى الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة وإلى عرفات وإلى المدينة المنورة ، مع كثرة القبائل الضاربة فى جوانبها ، وقد كانت من قبل مصدرا للسلب والاعتداء على حجاج بيت الله ، وفرض الضرائب غير المشروعة عليهم . ويرجع الفضل فى ذلك كله إلى يقظة رجال الحكومة العربية السعودية وضربهم على أيدى العابثين بأشد العقوبات كقطع يد السارق ، وقطع أيدى وأرجل قطاع الطريق من خلاف . ومما يدعو إلى تمام الرضا والإعجاب أن تنفيذ العقوبة مرة واحدة كاف غالبا فى عدم تكرار وقوع الجريمة التى تستوجبها » .

ذلك والشرع الإسلامى الحكيم لم يحدد العقوبات إلا فى أمهات الجرائم وكبائر المعاصى ، وهى التى يضطرب لها حبل الجماعات وتشقى بها الأمم ، وهى فى خمسة مواطن :

١ — فى الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا ، وهم قطاع الطريق .

٢ — والذين يقتلون النفس بغير حق

٣ — والذين يرمون المحصنات الغافلات

٤ — والزانية والزانى

٥ — والسارق والسارقة .

وما عدا ذلك من الجرائم لم يحدد العقوبات فيها ، بل ترك للحكام وأهل الرأى من العلماء والمجتهدين أمرها ليلاحظوا ملابسات الجريمة وحالة المجرم ، وما يناسب البيئة ويتفق مع أحوال الأمة فى مختلف عصورها . وذلك ما أسلفنا شرحه فى مبحث التعزير .

وكان من حكمة الله — جل شأنه — ورحمته بالناس أنه بين لهم العقوبات فى المواطن الخمسة السابقة ، إذ لو وكل إلى عقولهم استنباطها — وهى جد خطيرة — لذهبت بهم الآراء كل مذهب ولعظم الاختلاف واشتد الخطب ، فكفاهم أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين مئونة ذلك ، وتولى بعلمه وحكمته ورحمته تقديرها ، ورتب على كل جناية ما يناسبها من العقوبة ويليق بها من النكال

على أنه لم يفت الشارع أن العقوبات فى الحدود بدنية ، وأن بعضها — لعظم الجرم — شديد كما فى الزنا ، وأن الخطأ إذا تبين بعد تنفيذها جسيم ، ولذلك احتاط لها عند إثبات أسبابها وتحقيق ما يوجبها ، ومن ذلك درء الحدود بالشبهات حتى صار قاعدة من قواعد الفقه الإسلامى ، والأصل فى تقريرها ما أخرجه الترمذى والحاكم من حديث عائشة : « أدرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله ، فإن الإمام

# تاريخ جحـــا . . .

للأستاذ كامل كيلانى

١ — خرافة وجحوان :

منذ خمسة عشر قرناً ، تنقص بضعة عقود — أعنى تنقص عشرات قليلة من السنين — ولد « خرافة » ذلكم القاص العربى المخضرم البارع ، الذى عاش فى العصرين : الجاهلى والإسلامى .

وقد عاصر «خرافة» — فيمن عاصر — جحوان الصحابى : جد «أبى الغصن عبد الله دجين بن ثابت» الملقب بجحا : شيخ الفكاهة الشرقية الباسمة الساحرة ، ورمز الدعابة الفلسفية المرحة الساخرة .

وقد كان « خرافة » — فيما يقول عارفوه — طرافاً وصافاً ، بارع المقال ، رائع الخيال ، يروى للناس عجائب من أخبار العفاريت والجن وطرائفهم وملحهم ، ويقص عليهم من ذلكم غرائب معجبة يزعم لمعاصريه أنها حدثت له .

٢ — حديث خرافة :

كان « خرافة » فيما يقول المفضل الضبى فى أمثاله — معاصراً للنبى ، وقد حدثه ببعض أحاديثه فأعجب بها ، كان يحدث الناس أحاديث طريفة شائقة ، منها الحديث التالى :

خرج « خرافة » — ذات ليلة — فلقى ثلاثة من الجن فسبوه (أى : أسروه) فقال أحدهم : « نعفو عنه » وقال الثانى : « نقتله » ، وقال الثالث : نستعبده (أى : نجعله عبداً لنا) . »

فبينما هم يتشاورون — فى أمره — إذ ورد عليهم رجل ، فقال « السلام عليكم » فقالوا « وعليك السلام » قال « وما أنتم ؟ » قالوا : « نفر (أى : جماعة) من الجن أسرنا هذا الرجل ، فنحن نأتمر فى أمره »

فقال : « إن حدثتكم حديثاً عجيباً أتشركوننى فيه ؟ » قالوا : « نعم » قال :

« إنى كنت ذا نعمة ، فزالت وركبنى دين ، فخرجت هارباً ، فأصابنى عطش شديد ، فسرت إلى بئر ، فنزلت لأشرب ، فصاح بى صائح من البئر ، فخرجت منها ولم أشرب .

فغلبنى العطش فعدت ، فصاح بى ، ثم عدت الثالثة فشربت ولم ألتفت إليه فقال : اللهم إن كان رجلا فحوله امرأة ، وإن كانت امرأة فحولها رجلا . »

فإذا أنا امرأة .

فأتيت مدينة فتزوجنى رجل ، فولدت منه ولدين ، ثم عدت إلى بلدى فمررت بالبئر التى شربت منها ، فصاح بى — كما صاح فى الأول — فشربت ولم ألتفت إليه . فدعا — كالأول فعدت رجلا كما كنت .

ثم عدت إلى بلدى فتزوجت امرأة فولدت منها ولدين .

فلى اثنان من ظهرى واثنان من بطنى .

فقالوا له : « إن هذا لعجيب ، أنت شريكنا . »

* * *

فبينما هم يتشاورون إذ ورد عليهم ثور يطير (أى : يسرع فى سيره) ، فلما جاوزهم ، إذا رجل — بيده خشبة — وهو يحفز فى أثره (أى : يجرى خلفه) ، فوقف وسلم ، فردوا عليه مثل ردهم على صاحبهم .

---

أن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم : « ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعاً » :

بذلك البيان الذى ورد فى هذا البحث يقتنع كل منصف بأن العقوبات التى قدرها الشارع فى الحدود قد دعت إليها الحكمة واقتضتها مصلحة الأفراد وسعادة الجماعات وسلامة الأمم ، وبهذه الأحكام التى بينا لك وجوه المصلحة والنفع فيها تجلت لك حكمة الشرع الإسلامى فيما شرعه من الحدود ، ووضح لك أنها — دون سواها — هى التى تتقرر بها المصالح وتندفع بها الآثام والمفاسد . وبذلك ثبت كمال هذه الشريعة وسعتها وعدالة أحكامها ، وأنها بما قامت عليه من أصول وقواعد ، وبما تغذى به من الأحكام الاجتهادية — صالحة على الدوام لكل أمة فى أى عصر ، تفى بحاجتها ومطالبها وتساير ما يطرأ عليها من مختلف التطور والأحوال .

حسن أحمد الخطيب

---

راجع القياس فى الشرع الاسلامى لابن تيمية و بن القيم ص ١٥٠ من الطبعة السلفية

فقال : إن حدثتكم بحديث أعجب من هذا أتشركوننى فيه ؟ »

قالوا : « نعم »

قال : « كان لى عم ، وكان موسراً ، وكانت له ابنة جميلة ، وكنا سبعة إخوة . وكان لعمى عجل يربيه ، فانفلت .

فقال : « أيكم يرده لى ، فابنتى له . »

فأخذت خشبتى هذه واتزرت ثم حفزت فى أثره — وأنا غلام — فلا أنا ألحقه ، ولا هو يكل . »

فقالوا : إن هذا لعجيب . فأنت شريكنا »

* * *

فبينما هم يتشاورون إذ ورد عليهم رجل على فرس أنثى ، وخلفه غلام على فرس ذكر . فسلم — كما سلم صاحباه — فردوا عليه كردهم على صاحبيه . فسألهم فأخبروه الخبر .

فقال : إن حدثتكم بحديث أغرب من هذا أتشركوننى فيه ؟ » فقالوا : « نعم » وهنا تحدثنا الأسطورة أن الرجل أخبرهم أن الفرس الأنثى هو أمة ، وأن الفرس الآخر هو عبد من الأشرار ، وأنهما ائتمرا به ليسحراه ، فيصفو لهما الجو .

ثم قال للفرس الأنثى التى تحته : « أكذلك ؟ »

فقالت — برأسها — « نعم » .

وأشار إلى الفرس الذكر الذى تحت غلامه : « أهكذا »

فقال — برأسه — : « نعم »

قال : « فوجهت بغلامى هذا الراكب — ذات يوم — فى بعض حاجاتى ، فحبسته أمى عندها . فأغفى . فرأى فى منامه كأنها صاحت صيحة ، فإذا هى بجرذ قد خرج .

فقالت : « إسجد » فسجد

ثم قالت : « إكرب ( أى : اقلب الأرض للحرث ) . » فكرب .

ثم قالت : « إدرس » فدرس .

ثم دعت برحى فطحنت قدح سويق — ( والسويق كما تعلمون : هو الناعم من دقيق الحنطة والشعير ) . فأتت به الغلام ، وقالت له : ائت به مولاك فأتانى به .

فاحتلت عليهما حتى سقيتهما القدح ، فإذا هى فرس أنثى ، وإذا هو فرس ذكر قال « أكذلك ؟ »

قالت الفرس الأنثى — برأسها — : « نعم »

وقال الفرس الذكر — برأسه — : « نعم »

فقالوا : « إن هذا أعجب شىء سمعناه ، أنت شريكنا . »

فأجمع رأيهم فاتفقوا « خرافة » .

**٣ — بعد موت خرافة :**

وهكذا أصبح كل حديث طريف تسترعى الأسماع غرابته ، وتبهج النفوس براعته ، ينسب إلى « خرافة » حتى يومنا هذا ، وأصبحت كلمة « خرافة » مرادفة لكل حديث خيالى لا حقيقة له . وكاد ينسى الناس أن « خرافة » علم على شخص بعينه ، عرف الناس وعرفوه ، وألفهم وألفوه .

* * *

ثم مضى القرن الأول ، ومضى معه « خرافة » ومعاصروه ، وانطوى بانطوائه بارع حدث ( أى : حسن الحديث ) ، لم تبق لنا — من روائعه المستفيضة — إلا سطور ، كأنما بقيت على الدهر ، وغالبت أحداثه ، لتشعرنا بجة ارما منى به تاريخ القصص العربى من خسارة ، بفقدان أمثال هذه الكنوز الفكرية التى لا تعوض .

**٤ — جحا العربى :**

ثم جاء القرن الثانى ، ومعه هدية من أنفس الهدايا الفنية التى يعتز بها عالم الفكاهة والمرح ، فكان من مولوديه شيخ السخرية العربية ، وإمام الفكاهة الشرقية : « أبو الغصن عبد الله دجين بن ثابت » الملقب بجحا .

وقد نشأ السيد جحا فى « الكوفة » ورأى — فيمن رآه — من أفذاذ معاصريه « أبا مسلم الخراسانى »

وكانت أم « جحا » تخدم أم سليم بنت ملحان : والدة مالك بن أنس : راوية الحديث المعروف .

* * *

وقد لقى السيد جحا من التقدير والإعجاب فى القرن الثانى من الهجرة مثل ما لقى سابقه « خرافة » من قبل . ولم يقل شأنه عن صاحبه : تقديراً وإعجاباً ، ونباهة ذكر ، وبعد صيت .

وأعجب الناس بأسلوبه السهل الممتنع فى فهم الحياة كما أعجبوا

بما سمعوا به من طرائف وملح .

واشتد به إعجابهم فخلعوا لقبه كما خلعوا لقب سابقه « خرافة » من قبل — على كل عجيب من القول وطريف من الحديث .

وأصبح للقصص الجحوى خصائصه ومميزاته ، كما أصبح للقصص الخرافى من قبله — بدائعه وخيالاته .

٥ — الفن الجحوى :

واشتد إعجاب بعض الناس به فأطلقه على ولده ، وافتن آخرون فأضافوا إلى طرائفه كثيراً من مخترعاتهم وفنون مبتدعاتهم ، وهكذا صنعوا بألف ليلة التى أضافوا إليها جمهرة من طرائفه كما أضافوا إليه جمهرة من قصصها ، حتى تعذر التمييز بين الأصول الجحوية ، والمحاكاة المروية . ولا سيما بعد أن اختلطت بفكاهات « أبى العيناء » و « الشعبى » و « أبى دلامة » و « أشعب » و « الغاضرى » و « أبى العنبس » و « البهلول » و « الجماز » و « الحمدونى » ومن إليهم من أعلام الدعابة العربية ، ثم زاد عليها المتزيدون جمهرة من فكاهات الحمقى والمغفلين والطفيليين من أمثال « هبنقة » (١) و « فند » (٢) وطفيل (٣) وأضرابهم .

فتجمعت أشتاتهم فى واحد إلا يكنهم أمـــة فيكاد

***

وهكذا أسند الناس إلى جحا كل طريف من الملح وعجيب ، فكاد يصبح — كما أصبح خرافة — علماً على فن بعينه من فنون القول بعد أن كان علماً على شخص بعينه من أفذاذ الناس .

٦ — جحا التركى :

فلما جاء القرن الثامن الهجرى حمل معه — فيمن حمل — علماً آخر من أعلام الفكاهة الشرقية وإماماً من أئمة الدعابة التركية هو « الأستاذ نصر الدين »

ولد فى إحدى بلاد الأناضول ، وكانت « سيورى حيصار » مسقط رأسه . ومات فى « آق شهر » ومعناها : البلد الأبيض .

وقد عاش فى عهد السلطان « أورخان » وعمر — فيما يقولون — ستين عاماً أو قريباً .

٧ — الباطشان :

ولقى « نصر الدين » — فيمن لقى — الباطش السفاح « تيمورلنك » كما لقى « أبو الغصن جحا » — فى عصره — الباطش السفاح : « أبا مسلم الخرسانى »

وهكذا عاش كلاهما فى عصر مضطرب ، وعاصر كلاهما — فيمن عاصر — قائداً سفاكاً ، متعطشاً للدماء ، باطشاً بالأقوياء والضعفاء .

٨ — الجحوان :

وذاع أمر الأستاذ « نصر الدين » ، وراجت دعاباته ، ولقى من الحظ مثلما لقى صاحباه : « خرافة » و « جحا » من قبل . ولما كان لقب أستاذ بالتركية هو لفظ « خوجة » ، حوله النقلة إلى جحا لتقارب اللفظين وتشابه الرجلين ، وقد كدنا نقول : تطابق الشخصيتين .

وما لبث الأستاذ « نصر الدين » أن استأثر — بعد موته — بلقب جحا وكاد يستأثر بكل طرائفه وملحه فلا يبقى له منها شيئاً جل أو حقر .

***

وأعلنت بعض المجلات مكافأة لمن يبعث إليها بطريفة مروية عن الأستاذ « نصر الدين » أو « نصر الدين خوجة » أو جحا التركى . فراح الناس ينقبون ويغيرون على نفائس الملح حتى نسبوا إليه جمهرة من الطرائف العربية وغيرها ، فلم ينج من غاراتهم : كتاب كليلة ودمنة فى الشرق ، ولا قصص « بوكاتشو » فى الغرب .

ثم ما لبثت الأمم أن تنازعت كثيراً من القصص الجحوى نصاً ومزيداً وناقصاً ووافياً ، وأميناً ومحرفاً ، ومبتدعاً ومشوهاً ، وأسندته كل أمة إلى جحاها .

كامل كيلانى

---

(١) لقب ذى الودعات يزيد بن ثروان ، وكان مضرب المثل فى الحمق.

(٢) الفند : الجبل ، وقد سمى به صاحبنا لثقاله فى الحاجات . ومن قول على بن أبى طالب للأشتر النخعى : « لو كان جبلا لكان فنداً ، لا يرتقيه الحافر ، ولا يوفى عليه الطائر »

(٣) رجل كوفى كان يأتى الولائم والأعراس من غير أن يدعى إليها.

# القوة والحيـــاة ...

للأستاذ محمد عاطف البرقوقي

**قوة الفرد :**

القوة مصدر من مصادر سعادة الإنسان ، ومظهر من مظاهر العز والحياة ، إن اكتسبها شخص زاد نشاطه ، وكثر إنتاجه ، وصارت في يده سلاحاً يشق به لنفسه سبل النجاح ، وهو سبيل وايم الحق صعبة التمهيد ، بعيدة المدى ، يحتاج تمهيدها إلى جهد شاق متواصل ، يعجز عن الاستمرار فيه الضعفاء ، ويصل إلى نهايته الأقوياء . والشخص القوى تجده عريض المنكبين ، بارز الصدر مفتول الذراعين ، يترقرق في وجهه دم الصحة والفتوة ، أقدر من غيره على تحمل المشاق ، وأقوى من سواه في التغلب على الصعاب . وقد قيل بحق « الحياة جهاد ، والبقاء فيها للأصلح »

فلا غرو إذا كانت القوة موضع التبجيل منذ أقدم العصور ، وحديثاً ينظم المباريات لنيل بطولة القوة ، فهذا بطل في رفع الأثقال ، وذاك بطل في العدْو . ويكرم البطل لأنه عنوان الفخر لأمته ، ولا غرو فإن الأمة هي مجموعة أفرادها ، فإن كان أفراد الأمة أقوياء بلغت الأمة ذروة المجد والفخار .

**قوة الأمة :**

والقوة إن اكتسبتها أمة أصبحت مهيبة الجانب ، آمنة العواقب ، لا يقدم على الاعتداء عليها معتد ، ولا يغير عليها مغير ، وقد قيل « الحق مع القوة » وهو المبدأ الذي يتسلط على عقلية الدول في الحروب ، ويدفعها إلى الحركة والعدوان ، ويحفزها للكر والفر والطيران ، ويعتمها من الإحجام ويحرضها على الإقدام ، فتنتظم الجيوش البرية ، تقطع الفيافي والقفار ، وتتحرك الأساطيل البحرية ، تطهر البحار والأنهار ، وتطير الطائرات الجوية ، تغير على المدن والأمصار ، فتستعر الحرب ويشب ضرامها ، ويشتد القتال وتندلع النيران ويعتد لهيبها ، والغلبة عندئذ للأقوى ، والنصر في النهاية لمن فاقت قوته ، والهزيمة لمن انكسرت شوكته ، وحتى في وقت السلم تنادى بعض الدول بنزع السلاح وتطالب بالعدالة والإنسانية والمساواة ، وهي مبادئ إن عمل بها انتفت الشكايات وبطلت الحرب ، ولكنها غرائز الإنسان المبنية على الأثرة ، والمؤسسة على حب النفس ، والمطبوعة على الظلم حتى لقد قيل :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعـــلة لا يظلم

ولذلك تلجأ بعض الدول إلى التسلح والتقوية وقت السلم ، اعتقاداً منها بأن « التسلح أفضى للحرب » وأن « القوى لا يحترم إلا القوى » فهي إن رغبت في القتال والعدوان ، فإنما تتسلح وتتقوى حتى لا يطمع فيها ظالم ، ولا تسوّل له نفسه الأثيمة الاعتداء عليها ، فسلامة الدول مبنية على قوتها ، سواء أكانت في وقت السلم أم في وقت الحرب .

**قوة الآلات :**

وطموح الإنسان لا يقف عند حد ، وقد وجد أن قوته العضلية لا تكفى للحصول على النجاح ، فلجأ إلى العلم يستنبط منه مصادر جديدة للقوة ، وها هو ذا يستعمل الروافع والبكرات منذ عهد اليونان ، ويبذل بها قوة صغيرة لتحريك أو رفع ثقل كبير ، فإنه إذا استطاع رفع أى ثقل بقوته العضلية ، فإنه يستطيع أن يرفع عشرات بل مئات بل آلافاً مثلها بالروافع والبكرات والآلات ، حتى لقد قال أرشميدس العالم الطبيعى الأغريقى مرة « أعطونى مكاناً أقف فيه وأنا أحرك الدنيا » ، وقد عرض على مليكه هيرون ملك سرقوسة أساس الفكرة وجعله يحرك سفينة محملة ثقيلة بقوة صغيرة ، فسر منه الملك وقربه إليه .

ومنذ عهد أرشميدس والمخترعات تتقدم في مختلف النواحي ، ومنها الناحية التي تزيد قوة الإنسان .

ففي البناية الحديثة تستعمل آلات لرفع الأثقال التي يعجز الإنسان عن رفعها بقوته ، وهذه الآلة يسميها الناس ( الونش ) ، ترفع كتلة ثقيلة جداً من الحديد وتتركها تهوى من علٍ إلى الأرض فتدكها دكا ، وبتكرار هذه العملية يمكن إعداد الأساس المتين للبناء ، وتستعمل هذه الآلة أيضاً لنقل الحجارة والأتربة من مكان إلى آخر ، وفي البواخر المعدة لحمل الأثقال والسيارات

تستعمل هذه الآلة لرفع السيارات الثقيلة من الأرض ، وتتحرك بها حتى تقف فى المكان المعد فى الباخرة لوضع السيارة فيه ، وعندئذ نرى السيارة تتدلى حتى تستقر فى مكانها المناسب ، وكل هذا دون جهد كبير من الإنسان .

وهناك آلات أخرى اخترعها الإنسان على أساس علمى آخر ، منها الجهاز المسمى بالمكبس المائى الذى يستعمل لكبس الأقطان ، واستخراج الزيوت من البذور ، وقد صنعت هذه الآلة بعد ما ثبتت قاعدة انتقال الضغط فى السوائل ، وذلك فى سنة ١٦٥٣ حيث استنبطها العالم والأديب والفيلسوف الفرنسى « بليز باسكال » ، واستغلها العلماء من بعده فى صنع كثير من الآلات منها المكبس المائى ، وهذا مثال من أمثلة عدة تدل على البحوث النظرية التى يمكن تطبيقها فى نواح عملية فى الحياة .

**المصعد الكهربائى :**

ومن الآلات أيضاً ما هو مبنى على أساس القوة الكهربية ، منها المصعد الكهربى ، فقد وجد الإنسان أن التعب يدركه عند ما يصعد فى سلم مرتفع ، إذ أنه يصعد مضاداً لقوة جاذبية الأرض ، وهى قوة يصل تأثيرها إلى القمر ، ولكنه عقل الإنسان القوى الذى يتغلب بعلمه وتفكيره على كل صعوبة تعترضه إذ لجأ فى هذه الحالة إلى عمل المصعد الكهربى ، الذى يتحرك بالقوة الكهربية التى سخرها الإنسان لمنفعته ، فصار الإنسان بفضل المصعد يصعد إلى أعلى الطبقات فى العمارات المرتفعة وناطحات السحاب الشاهقة ، كل هذا وهو جالس فى مقعده دون مشقة أو تعب ، وما عليه إلا أن يضغط على « الزر » الدال على رقم الطبقة التى يريدها ، فيتحرك المصعد ، ويقف عند تلك الطبقة ، كأن له عقلا يدرك به ، أو بصيرة نفاذة تهديه سواء السبيل ، وبحركة خفيفة أخرى يؤمر المصعد بالنزول فيطيع ، ولا يعصى أمراً مهما تكررت الأوامر والطلبات ، ولا يبدى ملالا أو كلالا ، ولو اشتغل آناء الليل وأطراف النهار ، فهو أطوع بل وأقدر من أى خادم أمين .

**عصر الآلات :**

وبالعلم أيضاً أصبح الإنسان يقطع أطول المسافات دون أن يلحقه تعب أو نصب ، سواء أكان هذا السفر فى الجو أم فى البحر أم فى البر ، على متون الطائرات التى تشق عنان السماء ، والبواخر التى تمخر عباب الماء ، والسيارات والقطر التى تنهب الأرض نهبا ، وبذلك سخر العقل البشرى للانسان آلات كثيرة فى مختلف النواحى والأغراض ، فهذه آلات مبنية على الروافع والبكرات وهى ما تسمى الآلات الميكانيكية ، وتلك آلات مبنية على قوة البخار ، وهى ما تسمى الآلات البخارية ، وأخرى مبنية على قوة الكهرباء ، وهى الآلات الكهربية المستعملة فى رفع الأثقال والنقل والحركة والتدفئة والإضاءة وغيرها ، وهناك آلات مبنية لا على أساس واحد بل على أساسين أو أكثر ، فمثلا قوة الريح وقوة الماء يمكن استخدامهما لتوليد الحركة أو لتوليد الكهرباء ، ففى هولندا تستعمل الطواحين الهوائية ، وفى الفيوم يستخدم سقوط الماء لتوليد الكهرباء للمدينة لشتى الأغراض ، وهكذا نجد العلم قد سخر للانسان قوى عظيمة لخدمته ، وتنوعت الآلات فى عصرنا حتى لقد بلغ بالعلم أن صنع آلات حاسبة وثانية كاتبة ، وثالثة ناطقة ، حقاً إننا نعيش فى عصر آلات .

( البقية فى العدد القادم )

محمد عاطف البرقوقى
ناظر المدرسة التوفيقية

# البـــلاغة وعلم النفس

## للأستاذ علي العماري

لعل علوم البلاغة أقل علوم العربية نصيباً من جهود الباحثين المعاصرين ،ولعلها كذلك أحوج هذه العلوم إلى التجديد والتهذيب ولـكننا نستطيع أن نقول — فى غير غض من عمل أحد — : إن الأبحاث التى طالعنا بها هذا العصر فى هذه العلوم دون ما كنا نأمل من علمائه الأعلام

ولقد شاع فى رسائل المعاصرين النعى على علماء البلاغة ، ورميهم بالجهل والتقصير أحياناً ، وهذه طريق لا تؤدى إلى الغاية. ولو أنهم إذ هدموا بنوا لـكان الأمل قويا فى أن نظفر بشىء . ومن حق أسلافنا علينا أن نذود عنهم ، وندفع مايلحق بهم من ظلم وجحود .

قرأت رسالة صغيرة للأستاذ الشيخ ( أمين الخولى ) المدرس بجامعة فؤاد الأول عنوانها ( البلاغة وعلم النفس ) . تحدث فيها عن صلة قديمة بين الأبحاث البلاغية ومظاهر النفس الإنسانية ، ولـكنه نعى على الأسلاف أنهم لم يربطوا بينهما على أن علم النفس علم من العلوم ( مع أنه كان من معارفهم ) ورأى أن هذا الربط فى الدرس وفى غير الدرس ضرورى ، بل هو ضرورى لفهم إعجاز القرآن وتفسيره حيث يقول ( فالنظر الصائب إليه — يعنى القرآن — والفهم الصحيح له ، أو بعبارة أكثر صراحة تفسيره لا يقوم إلا على إدراك ما استخدمه من ظواهر نفسية ، ونواميس روحية ، فليس يصح أن تعلل عبارة من عباراته ، أو يحتج للفظ فى آية من آياته ، أويستشهد لأسلوب من أساليبه إلا بموقعه كله فى النفس ، وبما كشف العلم عن هذا الموقع ، وما سبر من أغواره فبالأمور النفسية لا غير (كذا) يعلل إيجازه وأطنابه ، وتوكيده وإشارته ، وإجماله وتفصيله ، وتـكراره وإطالته ، وتقسيمه وتفصيله ، وترتيبه ومناسباته ، وماقام من تعليل هذه الأشياء وغيرها ( كذا أيضاً ) على ذلك الأصـل فهو الدقيق المنضبط، وما جاوز ذلك فهو الادعاء والتمحل أو هو أشبه شىء به)

ونحن إذا طرحنا جانبا مناقضة الأستاذ لنفسه بين محاولته تعليـل إعجاز القرآن ، وبين إصراره على أن خير الآراء فى الإعجاز هو رأى السكاكى وجملته أن الإعجاز لا يعلل . إذا طرحنا هذا وجدنا الأستاذ انساق وراء الفكرة التى سيطرت على قلمه ، ولـكننا مع ذلك ننتظر حتى نرى مبلغ صدق هذا من الأبحاث التى وعد بها الـكاتب وقد مر عليه دهر ولم يطالبنا بها وإن كنا نجزم بأن دعواه أن كل تعليل لأسلوب القرآن لا يقوم على أساس نفسى ادعاء وتمحل نجزم بأن هذه مبالغة لا تمت إلى الصواب بصلة .

ونترك هذه الدعاوى وأمثالها إلى حين يؤيدها بأمثلة لنرد على هذين المثالين الوحيدين اللذين اعتمد عليهما فى رسالته ، وادعى فيهما أن القدامى وقفوا عند تعليلات جافة ركيكة ، ولم ينظروا فيهما إلى الأمر النفسى قط . وسنرى أن ما وصمهم به ليس صحيحا ، وأن ما ذكر أنه وصل إليه هو هو الذى ذكره علماؤنا الأجلاء، قال : ( نحن نقرأ مثلا فى بيان ميزه الأسلوب المعروف عندهم باسم تأكيد المدح بما يشبه الذم قولهم : إن سبب ذلك أن هذا الأسلوب كدعوى الشىء ببينة ، ويفسرون ذلك بأن القائل علق نقيض المدعى وهو إثبات شىء من العيب بالمحال، والمعلق بالمحال محال ، فعدم العيب محقق . كما نقرأ لهم وجهاً آخر لميزة هذا الأسلوب هو : أن الأصل فى مطلق الاستثناء الاتصال فذكر أداته قبل ذكر المستثنى منه يوهم إخراج شىء مما قبلها فإذا أوليت الأداة صفة مدح وتحوّل الاستثناء من الاتصال إلى الانقطاع جاء التأكيد لما فيه من المدح على المدح والأشعار بأنه لم يجد صفة ذم يستثنيها

ولعل السر النفسى لذلك فيما يظهر هو مافى هذا الأسلوب من معنى المباغتة والمفاجأة التى تكسبه طرافة وتثير حوله تنبهاً »

والذى نلاحظه هنا أمور : —

(١) أن التعليل الأول أحد تعليلات لهم ويمكن إرجاعه إلى أمر نفسى ، بل هو فى الحقيقة من أخص أمور النفس ، فهو فكر مرتب ، ومنطق محكم ، وليس شيئا ما رده به من أنه يترتب عليه أن «عبارة التوثيقات المؤكدة ولغة الإستشهادات المسهبة هى الفصحى وأظن أن الفرق بين الاثنين واضح ، والمغالطة بينهما أوضح

(٢) أن المفاجأة التي تمدح بأنه وصل إليها إنما مأتاها انقطاع الاستثناء وذلك أن النفس حين تسمع أول الكلام تنتظر أن أن يجيء آخره أليفا لأوله ويستقر فيها اطمئنان لذلك فإذا انقطع الاستثناء فوجئت بما لا تتوقعه .

(٣) أنهم ذكروا لهذا علة نفسية ؛ قال في المطول بعد أن ذكر التعليلين السابقين « مع ما فيه من الخلابة وتأخيذ القلوب » وفي هذه الكلمة الأخيرة ( تأخيذ القلوب ) كل الرد على الباحث الفاضل المجدد !!

أما المثال الثاني فحيث يقول « ومن ذلك مثلا أنا نسمعهم يقولون أطبق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه ... الخ ثم لا يعللون شيئاً من ذلك كله إلا بالفكرة السابقة من تأكيد المدح بما يشبه الذم من قولهم . أنه كدعوى الشيء ببينة » . ولعلنا نقف طويلا متعجبين من جراءة أستاذ في الجامعة ، ورئيس طائفة تدعى التجديد في علوم البلاغة ، حين نعلم أن صاحب الصناعتين عقد فصلا للموازنة بين الحقيقة والمجاز ذكر فيه أكثر من أربعين مثلا وعلل لكل مثال بعلة ، وليس تأكيد المدح بما يشبه الذم واحداً من هذه العلل ، وأنه في أول الفصل علل تعليلا عاما يأمر نفسي فقال لا وفضل هذه الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة أنها تفعل في النفس نفس السامع ما لا تفعل الحقيقة » فكيف يسوغ بعد هذا لأستاذ أمين في العلم أن يطرح هذا كله ليقول إن علماءنا لم يعرفوا تعليلا نفسيا واحداً ؟ وهل يرى أن الباحث لا يكون بارعا معلاما إلا إذا ادعى أن الأوائل لم يتنبهوا لما وصل إليه ؟

ولعلي أقضي على كل ادعاء إذا ذكرت كلتين اثنتين تشهدان بأن علماء البلاغة لم يقتصروا على تعليلات ركيكة جافة ، وإنما وصلوا في بعض الأحايين إلى اللباب المنتخب

(١) كتب ناشر كتاب أسرار البلاغة في مقدمته قال : « ينبغي لقارئ هذا الكتاب وصنوه دلائل الإعجاز أن يتأمل حق التأمل ما انفرد به الإمام عبد القاهر من جعله علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع — من قبيل العلوم الطبيعية كعلم النفس وعلم الأخلاق وعلم الفلسفة العقلية — لا لمجرد مواصفات واصطلاحات — فإنه يقيم الدلائل ، ويسوق الحجج على كون البليغ من الكلام باشتماله على التشبيه والتمثيل والمجاز العقلي أو اللغوي من قواعد البيان ، أو بمراعاة نكت المعاني في التعريف والتنكير والحصر والتأكيد والفصل والوصل وغير ذلك إنما كان بليغاً لأمور حقيقية في عقول الناس وشعورهم وتأثير الكلام في أنفسهم »

وهذا كلام صريح في أن علماءنا تنبهوا لهذا الذي أراد الأستاذ أن ينبهنا إليه ، بل جعلوه أصلا تؤلف على ضوئه الكتب

(٢) قال الشيخ عبد القاهر يعلل بأمر نفسي هذا الأمر الذي ادعى الأستاذ أنهم لم يذكروا له تعليلا نفسيا « وإن أردت اعتبار ذلك — يعني تأثير التمثيل في النفس — في الفن الذي هو أكرم وأشرف ( يقصد فن الوعظ ) فقارن بين أن تقول : إن الذي يعظ ولا يتعظ يضر بنفسه من حيث ينفع غيره . وتقتصر عليه وبين أن تذكر المثل على ما جاء في الخبر من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه ... الخ

« فأما القول في العلة والسبب ، ولم كان لتمثيل هذا التأثير وبيان جهته ومأتاه وما الذي أوجبه واقتضاه فغيرها »

« وإذا بحثنا عن ذلك وجدنا له أسبابا وعللا كل منها يقتضي أن يضخم المعنى بالتمثيل وينبل ، ويشرف ويكرم ، فأول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي ، وتأتيها بصريح بعد مكني ، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم ، وثقتها به في المعرفة أحكم ، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس ، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، لأنه العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام ، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام ، كما قالوا « ليس الخبر كالمعاينة ولا الظن كاليقين » فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الأنس أعني الأنس من جهة الاستحكام والقوة . وضرب آخر وهو ما يوجبه تقدم الإلف كما قيل ما الحب إلا للحبيب الأول .

ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولا من طريق الحواس والطباع ، ثم من جهة النظر والروية ، فهو إذن أمس بها رحما ،

**الأدب في سير أعلام :**

# ملْـــتن . . .

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والجبال ... ]

للاستـــاذ محمود الخفيف

— ٢١ —

**الزواج والصدمة الأولى :**

ونشر ملتن في مارس سنة ١٦٤٥ كتيباً آخر بعنوان « بترا كوردون » ، وفيه تعرض للفقرات الأربع الشهيرة المتصلة بالطلاق في الأنجيل ، وراح يفسرها أو يؤولها حسبما يذهب إليه من رأى في الطلاق ، وقد تعسف في ذلك ولقي عسراً شديداً ، ففي نفسه من الآراء مايخالف كثيراً مما ذهب إليه مفسرو الإنجيل الأقدمون ومن أخذ أخذهم من المحدثين ، وهو في الوقت نفسه يريد أن يستند إلى الإنجيل ويتخذ منه سلاحه .

ويجمع هذا الكتيب كما يجمع سالفه « قانون الطلاق ونظامه بين العبارات المنطقية الجافة المسيرة ، وبين الفقرات العاطفية البليغة التي يصل فيها ملتن إلى ذروة الجمال الفني في النثر حتى ليجعل ناقداً فذاً مثل مكولى يقرر أنه يصل من البلاغة في كثير من نثره هذا إلى ما لا يتقاصر عن مستوى شعره في أعلى نسق له . والحق أنه ملك ناصية البيان ، إذ عاد يصور في هذا الكتيب حال الزوجين منياً بالفشل في زواجهما . تجد ذلك في مثل هذا القول: « إنهما يعيشان كما لو كانا ميتين ، أو كما لو كان بينهما عداء قاتل ، وهما بعد في قفص معاً » ؛ وفي مثل قوله : « إن العقل الذي لايوافق عقولنا أبداً ، والذي هو دائماً على نقيض ما نذهب إليه ، إنما يسلمنا إلى حالة هي أسوأ من العزلة في أشد وحشتها » ؛ وفي عبارة كهذه : « هذا الحارس المخيف القائم على الباب لا يلبث وقد جر الرجال وأعقل من في الرجال ، وانتظمهم بخداعه القاهر في سلك الزواج الفاشل ، أن يغلق أبواب الجب عليهم ، فلا رجعة منه كما لا رجعة من القبر » . وفي مثل هذه الفقرة إذ يقول : « تعلق بزوجة ، ولكن على أن تكون زوجة ، لا أن تكون عدماً أو عدواً أو هاجرة تعتزلك ، أيمكن أن يبلغ قانون من البعد عن العقل كأن يدعوك لتتعلق بالكارثة والدمار والفناء ؟ »

وكما عرض ملتن طائفة من آرائه الفلسفية في كتيبه السابق ، نراه يعرض هنا كثيراً من تلك الآراء ، وبعضها تكرار لما سلف والبعض جديد ، ومن أهمها رأيه في المرأة ، وفي فكرة الزواج الأولى كما أرادها الله ، وفي مبلغ قدرة القانون على منع الإثم ، وفي نصوص الكتاب المقدس كمرجع يتقيد الباحث به .

أما عن المرأة ، فقد كان البيوريتانز كما كان أتباع كلفن في أوربا يرون فيها مخلوقاً دون الرجل في كل شيء ، وأن الرجل هو سبب ما خلق الله من خلق ، وما خلقت المرأة إلا معيناً له ، فهو أنبل منها وأكرم ؛ وكانت منزلة المرأة سامية في عهد الفروسية ، إذ كان من أشهر ما يتحلى به الفارس احترام المرأة والأخذ بيدها وإفساح مكان الصدارة لها في كل اجتماع ، ومخاطبتها بألقاب

---

وأقوى لديها ذمماً ، وأقدم لها صحبة ، وآكد عندها حرمة ، وإذا نقلتها في الشيء بمثله عن المدرك بالعقل المحض وبالفكرة في القلب ، إلى مايدرك بالحواس أو يعلم بالطبع وعلى حد الضرورة فأنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم ، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم ، فأنت إذن مع الشاعر وغير الشاعر إذا وقع المعنى في نفسك غير ممثل ثم مثله كمن يخبر عن شيء من وراءه حجاب ثم يكشف عنه الحجاب ويقال : هاهو ذا فأبصره تجده على ما وصفت »

وبعد فنحن لايكفينا من معاصرينا أن يثلبوا الأقدمين وينوهوا بقصورهم وتقصيرهم ، ولكننا نريد أن يخرجوا لنا قواعد جديدة على الوضع الذي يريدون؛ وحينئذ نقول إنهم استدركوا على سابقيهم وأفادوا علوم البلاغة ، أما أن نسمع ونقرأ أن البلاغة معقدة ، وأن النحو قاصر ، وأنه كان يجب أن يدرك الأقدمون صلة البلاغة بعلم النفس ، وصلتها بالفلسفة ثم لا نسمع ولا نقرأ غير هذا فلا .

وما أحسن قول الشاعر :

تقولون أخطأنا فهاتوا صوابكم ... وكونوا بناة قبل أن تهدموا الصرحا

**علي العماري**

المدرس بمعهد القاهرة

التبجيل ، وإظهار كل ما يشعرها بالعزة ورفعة الشأن ، وكانت تقاس من لباقة الفارس وفروسيته بقدر ما يتفق له من النجاح فى هذا كله ؛ ولـكن البيوريتانز كرهوا الفروسية ، لأنها فى رأيهم من صنع البابوية ومن مخلفات الـكاثوليـكية ، وكرهوا كل ما كان منها بسبب ، ومن ذلك مكانة المرأة فى تقاليدها ، ولم يقتصر ما كان بين أصحاب الرؤوس المستديرة وبين الفرسان من خلاف على عداء الأولين للملك ، وولاء الآخرين له ، وتنابذ الفريقين لـما يتصل بالدين من سبب ، وإنما كان الخلاف كذلك شديداً بسبب نظرة كل منهم إلى الحياة الاجتماعية ، وعلى الأخص مركز المرأة ، فقد ظل الفرسان الـكاثوليك على ولائهم للمرأة والسمو بمـكانتها ، بينما عمل البيوريتانز على العودة بها إلى ما قبل عهد الفروسية ، والنظر إليها كمخلوقة تخضع للرجل وليس لها إلا أن تعينه فيما يقوم عليه من شؤون الأسرة ، وأن توفر له أسباب الراحة ، وتكون له متعة ، وله دونها الرأى والقوامة ...

وحار ملتن بين المذهبين ، وتنازع عقـله ووجدانه ، فلئن كان بيوريتانى المذهب يكره الـكاثوليكية والقســاوسة كرهاً شديداً ، فهو كذلك الشاعر الحر النظرة الواسع الأفق ، الذى عشقت روحه الحياة فى ربيع العصر الأليزابيثى ، أو هو آخر الأليزابيثيين كما أحب أن يسميه بعض النقاد ، وما يستطيع أن ينظر إلى المرأة تلك النظرة الجافة المعبرة عن التزمت وضيق الأفق!

وهدته حيرته بعد طول النظر إلى أن يوفق بين منطق عقله ومنزع وجدانه ، فجعل للرجل المكان الأول فى الأسرة والمجتمع ، ووضع المرأة فى موضع دون موضعه ، ولـكنه لم يقصر وظيفة المرأة على عونه والعمل على راحته ؛ وإنما جعل العلاقة بينهما علاقة مشاركة عقلية روحية قوامها المشاكلة بين العاطفتين ممـا يوثق أواصر المودة ويمـكن أسباب السعادة بين الزوجين ، ولقد جعل مثل هـذه العلاقة كما رأينا أساس الزواج ، وإلا كان الطلاق أمراً مقضياً ...

ويرى ملتن أن الغرض الأول من الزواج حاجة الرجل إلى صلته بالمرأة صلة جسدية وعقلية وخلقية ، فما يبلغا كال إنسانيتهما إلا بهذه الصلة ، وما يتم أحدهما إلا بالآخر ، وما يكتمل بأس الزوجين إلا متصلين ، ولن يزال الرجل فى عزلة موحشة مهما يحط به من الناس حتى يتزوج .

ويرجع إلى آدم فيفسر وصف الله سبحانه إياه بالوحدة فى الإنجيل بحاجة إلى المرأة ، أو إلى الزوجة على الأصح ، يقول فى ذلك : « يراد بقول الله « وحده » هنا أنه وحده بغير امرأة ، وإلا فإن « آدم » كان يحظى بجوار الله ذاته ، وكان يحيط به من الملائـكة رهط يكلمهم ويكلمونه ، والخلائق جميعاً تبهج نفسه بما تجد وما تلهو ، والله قادر على أن يخلق له مما خلقه منه ألف صاحب ، وألف آدم له إخوة يصحبونه ، ومع ذلك كله دعاه الله حتى وهبه حواء وحيداً »

وإذا كان الرجل لايستغنى عن المرأة ، ولا المرأة تستغنى عن الرجل ، فلا رباط يربط بينهما إلا الحب ، أى لا زواج إلا على أساس المحبة والمودة : « فالحب فى ناحية إن لم يجد ما يشاكله فى الناحية الأخرى ، ووجد نفسه يذهب أدراج الرياح ، إذ أنه لامحالة ذاهب فى مثل تلك الحالة ، قد تبقى بعده الصلة الجسدية ، ولـكنها لن تكون صلة مقدسة ولا طاهرة ولا مشاكلة لرباط الزواج ، إذ هى فى خير حالاتها بعد ذلك لن تعدو أن تكون عملا حيوانياً بحتاً ، بل إنها أرذل فى الخلق وأحط مما يرى من ترفق أخرس بين قطعان الدواب والأغنام ، ذلك أن الروح هى قوام الأعمال الأعمال الإنسانية ، وليس للجسم فى ذلك أثر يذكر »

ويرى ملتن أن مرد الفسق والشهوة الحيوانية إلى فقدان الحب والتعاطف وقصر العلاقة بين الرجل والمرأة على الجسد ونزعاته ، فإذا كانت العلاقة روحية قوامها الحب ، فلا فجور ولا فسوق فى الحب ؛ ولذلك فالمثل الأعلى عنده لحياة الزوجين هو فى تلك الأيام التى عاشها آدم وحواء قبل هبوطهما من الجنة ، فقد توشجت روحاهما وجسدهما ، فلا محل لإثم ولا داعى لطلاق ، فإنه متى وجد الحب فلا مكان لشهوة ، كما أنه إذا سيطرت الحـكمة ، فلا داعى لقانون ...

ويتشكك ملتن فى مقدرة القانون على أن يمنع الشر منعاً تاماً ، فما لم يسد العقل فلا فائدة ترجى من القانون . وإنما يضيق القانون نطاق الشر نوعاً ما ويخفف ضراوته

وتعظم جرأة ملتن إذ يتعرض للـكتاب المقدس ، وإلى أى مدى يؤخذ بأحكامه ، فعنده أنه يجب ألا نأخـذ بحرفية ما جاء

فيه ، لأنه كثيراً ما أول حسب مقتضيات الظروف والأزمان ، وتطرق إلى نصوصه الفساد : وكان لا بد أن يذهب ملتن هذا المذهب ، وإلا فكيف كان يتخلص من قول كهذا ينسبه الإنجيل للمسيح : « إن من يقطع الصلة بينه وبين زوجته لسبب غير الخيانة ثم يتزوج غيرها ، فإنما يقترف خطيئة الزنا »

ويختتم ملتن كتيبه هذا خاتمة شاكية صاخبة ، فقد ساءه لقاء أهل عصره إياه ، وعلى الأخص البرسبتيريز ، وهم من البيوريتانز الذين طالما وصل حبالهم بحباله ، وعلق في الإصلاح عليهم كثيراً من آماله ...

ونشر ملتن في نفس الشهر الذي نشر فيه كتيبه السالف كتيباً آخر سماه « كولاستيريون » وقد جعله للهجوم ، أو على الأصح لمدافعة تهجم بمثله ، واتخذ شعاره فيه قوله : « أجب الأحمق بما يشاكل حماقته ، وإلا صدق أنه حكيم فيما يتخيل من خيال »

وعاد ملتن إلى سهامه ، وإنها ليريشها الحنق واليأس من عقلية مخالفيه ، فرمى أحدهم بأنه من غير المتعلمين ، وأنه أقل من أن يعرف الإغريقية أو العبرية ، وأنه خنزير لم يقرأ شيئاً من الفلسفة ، وأنه جاء بآرائه عن الغاية من الزواج من حظيرة خنازير ، وأنه أحمق ماجن يحاول أن يحملنا على الضحك بلغوه ، وأنه حمار بلغ أقصى حماريته ، فما يبالي بشيء ... إلى غير ذلك مما لا يقل عنه سوءاً أو هجراً ... !

ولم يخرج ملتن من وراء صيحاته هذه بطائل ، فلا أجابه البرلمان إلى ما طلب ، ولا تركه البرسبتيريز يدعو دعوته دون أن يعنتوه ويخرجوه من زمرتهم ، وهكذا بقي موضوع طلاقه ماري بوول رغبة فحسب ، لم تجد سنداً من قانون ولا عرف ؛ ولقد هدد ملتن بالخروج على القانون في كتيبه « تترا كوردون » بقوله : « إذا لم يتح لي القانون ما أريد ، فعلى القانون — كما يقضي العقل — أن يتحمل وزر ما يترتب على رفضه من عواقب ! »

وكان ملتن يتردد على سيدة تدعى « مرجريت لي » ، وكان يجد بين يديها مثل ما كان يتوق إليه من حديث عذب ومن ذكاء ولباقة لم تعرف زوجه شيئاً منها ، ولكنها كانت متزوجة ، وكان زوجها هو « كابتن هوبسون » أحد أصدقائه من أنصار البرلمان ، فهل حاول ملتن أن ينشئ علاقة روحية قوامها المحبة والمودة بينه وبين هذه المرأة ؟ ولكن ما غايته من مثل هذه العلاقة وهو لا يستطيع بالضرورة أن يتزوجها طالما أنها زوج لغيره ؟ لقد ظلت صلته بهذه السيدة مبهمة الغرض ، ولقد اختصها بمقطوعة من تلك المقطوعات الشعرية التي كان ينظمها الفينة بعد الفينة ، والتي كانت على قلتها وصغرها قصاراه يومئذ من الشعر ؛ وجعل عنوان هذه المقطوعة وهي الخامسة بين مقطوعاته والثانية منذ هجر الشعر « إلى السيدة مرجريت لي » ؛ وليس فيها ما ينم عن شيء في علاقته بهذه السيدة ، وإنما اقتصر الشاعر على امتداح أبيها والثناء على صفاتها ، ذاكراً أن ما عرف عن أبيها من الشرف والنزاهة والإباء ورثته ابنته ، فهو واضح جلي في خلقها !

ويتحدث ابن أخته فلبس فيما ذكر من أبناء حياته أنه تحبب إلى سيدة أخرى ، ورغب في أن يتزوجها ، متحدياً بذلك القانون — كما توعد من قبل ويقول « فيلبس » إنها كانت في أول شبابها ، فكانت رائعة الجمال ، حلوة الحديث ، على قدر من الذكاء عظيم ؛ ولكنها لم تجرؤ أن تتحدى الناس كما حاول ملتن أن يصنع ، وما كانت لتقبل أن تضع نفسها حيث لا تكون زوجة لا في عرف الناس ولا في قانون الكنيسة ، وإنما في شرع ملتن وحده ؛ ولعل هذه السيدة كما يظن المؤرخون هي موضوع مقطوعته الرابعة التي جعل عنوانها « إلى سيدة صغيرة فضلى » ، وقد أثنى فيها على طهر هذه العذراء وعفتها ونبل شمائلها ورجاحة عقلها ، وليس يعرف عن هذه العذراء ، وقد كان يطلق إذ ذاك لقب السيدة على العذارى ، إلا أنها كانت ابنة شخص يدعى الدكتور ديفز ، كما أنه لم يعلم عن علاقة ملتن بها أكثر مما ذكره ابن أخته !

على أن صلته بالسيدة مرجريت لي وصلته بهذه المجهولة الإسم قد انقطعت كلتاهما بإذعان ماري على غير توقع من أحد وقبولها العودة إلى زوجها !

وتمت عودة ماري على صورة أشبه بالقصة ، ولكننا قبل أن نأتي بهذه القصة على سردها نحب أن نتبين سبب عودتها ، وقد غابت عن زوجها منذ هجرته نحو عامين !

وما ذا عسى أن يكون ذلك السبب ؟ أهو كما يقرر ابن أخته

قلق أهلها وقلقها مما نما إليهم من نبأ اعتزامه الزواج بغيرها ؟ أم هو أفول نجم الملك بعد هزيمة جيشه في معركة نسبي سنة ١٦٤٥ على يد المستقلين من أنصار كرمول مما يهيئ لرجل مثل ملتن نفوذاً وجاهاً بحيث تطلب الحماية عنده ؟ أم يرجع ذلك إلى عسر آل بوول وقد أشرف على العدم مالهم ؟ ذلك كله كان خليقاً أن يجنح بأهل ماري إلى طلب الصلح !

ولم يعدم آل بوول أصدقاء يوطئون السبيل لهذا الصلح ، ولا عدم ملتن كذلك أصحاباً أسفوا لما آل إليه حاله وأخذتهم به رأفة شديدة !

وكانت ثمة قصة طريفة ، فقد أحضر بعض الصحاب من الجانبين ماري إلى منزل لأحدهم تعود ملتن أن يغشاه ، وخبأوها في حجرة ، حتى قدم فدخل حجرة مجاورة ، ولم يلبث إلا قليلا حتى دخلت عليه زوجته فألقت نفسها على قدميه باكية تسأله الصفح والمغفرة ، وهو لا يكاد يصدق عينيه من الدهشة ولايدري من فرط حيرته ما ذا يقول .. !

وتوسلت إليه ماري متهمة أمها بما حدث ، ملقية كل تبعة عليها ، وكانت تتكلم كما لو تكلمت طفلة تبرئ نفسها مما نسب إليها ، والدموع تتساتل من عينيها على خديها قد ألهبتهما حمرة الخجل ، وفي جسدها كله رجفة شديدة رق لها قلب الشاعر ؛ ولبث برهة ينظر إلى زوجته تستغفره وتتوب إليه في ضراعة ومسكنة ، كما لو كانت تكفر عن خطيئة ، وفي وجهها سذاجة لا أثر للتكلف فيها ، فهي لم تزل من عمرها بعد في التاسعة عشرة ...

وأبت عليه أريحيته إلا أن يصفح عنها وعن أهلها ، فما تميل نفس كنفسه إلى التشفي من قوم حطهم الدهر من عل ، وأذلتهم الأيام بعد عزة كما تأبى على الفارس فروسيته أن يضرب خصما له هوى أو كبا به فرسه ؛ ولم يقتصر على الصفح كرمه ونبل عاطفته ، بل لقد آوى آل بوول في بيته جميعاً ومن بينهم أم زوجته التي ألقت بنتها على كاهلها كل تبعة ؛ وأسدى إليهم بذلك صنيعاً لاينسى ، فقد سقطت فورست هلي في يد أنصار البرلمان ، وطورد أنصار الملك ومنهم آل بوول فضلا عما حاق بهؤلاء من فاقة شديدة .. !

ولم يكن صفحه دليلا على نبله فحسب ، بل إن فيه شاهداً كذلك على شجاعته الأدبية ، فقد كان خليقاً أن يسخر منه الناس بعد أن أذاع فيهم من آرائه ما أذاع ، وبعد أن ادعى إنقاذ البشر جميعاً بما كتب ، وبعد أن انتبه فريق من المعجبين به المتحمسين له ، ولكنه وقد تعود ألايبالي بشيء في سبيل مايؤمن أنه الحق صفح عن زوجته غير عابئ بما عسى أن يقول الناس !

ولقد ترك لقاء زوجته إياه على هذه الصورة أثراً عميقاً في نفسه ، فلا تكاد تقع عين القارئ على النظر الآتي من مناظر « الفردوس المفقود » ، وقد كتبه ملتن بعد ذلك بعشرين عاماً ، حتى يحس قوة الشبه بين الصورتين . قال ملتن يصف لقاء بين آدم وحواء :« وجاءت حواء ودموعها لا تني تتساقط ، وشعرها تشعث كله ، فألقت نفسها متضرعة على قدميه واحتضنتهما سائلة إياه الصلح ؛ وظل هيكلها الساجي لا حراك به ، حتى أحدث أثره في نفس آدم ذلك الصلح ولده الاعتراف والندم ؛ وسرعان ما رق قلبه لها ، إذ ألفي بهجة حياته التي لا بهجة له بعد طول الوحدة غيرها عند قدميه في حزنها مذعنة خاضعة » !

واستأجر ملتن منزلا كبيراً غير الذي كان يعيش فيه ، يتسع لمن لا يزال يعلم من تلاميذه ولزوجته وأسرتها ؛ وقنع الشاعر بحظه ، وعاشر زوجه ، لا كما طالما تاقت نفسه إليه من مثل ، ولكن كما شاء له القدر ؛ وفي يوليو سنة ١٦٤٦ صارت ماري أماً وصار ملتن أباً .. !

( يتبع ) **الخفيف**

---

# مشروع مكافحة الأمية
## على ضوء علم الاجتماع

للأستاذ فؤاد عوض واصف

في العدد ٥٨٦ من « الرسالة » الغراء كتب الدكتور محمد مندور مقالا تحت عنوان « مكافحة الشكلية » . أراد فيه أن يرد على بحث لنا في مشروع مكافحة الأمية درسناه من وجهة النظر العلمية البحتة ، ونشرته جريدة المقطم في العدد ١٧٣٥٤ ولم أشأ يوما أن أتولى الرد بنفسي على ما كتب الدكتور مندور مكتفياً في ذلك بما كتبه زملاء أفاضل ، هذا فضلا عن حرصي الشديد على أن لا يخرج الموضوع من مجاله العلمي إلى المجال السياسي . ولئن كان مشروع مكافحة الأمية كما وضعته وزارة الشئون الاجتماعية ، قد حظي بموافقة الغالبية الكبرى من الكتاب ، فإن معارضتنا له لم تخرج عن كونها دراسة علمية منزهة للمشروع ، كما ذكرت جريدة الجورنال ديجيبت في عددها الصادر بتاريخ ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٤ بعنوان « مكافحة الأمية ، هل تأتي بثمارها ؟ »[1] .

ولقد طلب إليَّ الكثيرون ، وقد توليت بمفردي معارضة مشروع مكافحة الأمية بصورته الحالية ، أن أعود إلى الكتابة في هذا الموضوع الخطير ، ولا سيما وأن الاهتمام به الآن كبير .

يتلخص ما ذهبت إليه في بحثي ، في هذا السؤال « هل التعليم سبيل إلى الحضارة ، أم أن الحضارة سبيل إلى التعليم ؟ » .

هل المدرسة هي التي تتقدم بالمجتمع وتلبسه ثوب الحضارة الحديثة ، أم أن المدرسة ظاهرة من ظواهر الحضارة ، ووسيلة مبتدعة من وسائلها تتأصل بواسطتها جذورها وتمتد فروعها ؟

إن دراسة التاريخ ، وهو معمل علم الاجتماع ، تدلنا على أن المدرسة في تاريخ الحضارات تأتي متأخرة بعد أن تكون الأذهان قد تهيأت لها ، وبعد أن تكون الشعوب قد نالت من المدنية حظاً : لم تكن المدرسة في يوم من الأيام وسيلة من وسائل التحول الحضاري في شعب متأخر ، ولم يكن قبس العلم في عصر من العصور نوراً هاديا لشعب لم ينل حظاً من الحضارة والمدنية . وهذه فرنسا أم المدنيات كما يقال في العصر الحديث ، هل كان مونتسكيو وفولتير وجان جاك روسو هم الذين خلقوا الثورة الفرنسية — ثورة الحضارة الحديثة — بتعاليمهم ومبادئهم ؟ . إن هذه التعاليم والمبادئ لم تكن في الواقع إلا تفسيراً لمعان كامنة في الشعب الفرنسي الثائر . لم تكن الثورة الفرنسية لتولد ولا كان للتعاليم الحديثة من يرجع صداها ، إذا لم يكن الشعب الفرنسي قد تنبه بعد إلى معاني الحق وارتقى وعيه الجمعي .

ولكن لماذا نذهب بعيداً ، وأمامنا التاريخ المصري الحافل؟ عند ما أراد ساكن الجنان محمد علي أن ينشيء المدارس ويعد المتعلمين ، هل تراه قد صادف في عصره نجاحاً ملحوظاً ، وهو الذي ابتدع في وسائل الترغيب للتعليم ما ابتدع ، فكان يدفع للتلميذ راتباً شهرياً ويتكفل بكل نفقاته ؟ ... لقد كان هرب التلاميذ من المدرسة هروب الرجال من الجندية . وأما الآن وقد بلغ الوعي الجمعي في المدنية المصرية ما بلغ ، فإن الشكوى لترتفع طالبة زيادة المدارس ، فلا تفرض المدرسة فرضاً « وإنما ترجى رجاء » .

وذلك هو الوضع الحقيقي للمشكلة . ليست المدرسة هي التي تتقدم بالمجتمع وإنما المدرسة ظاهرة من ظواهر المجتمع المتقدم

وما هو المجتمع المتقدم ؟ ... إنه ذلك المجتمع الذي يهيئ بنفسه وسائل نموه الحضاري ، هو ذلك المجتمع الذي إذا فتحت فيه مدرسة لم تكن فرضاً عليه بل تكون تحقيقاً لرغباته وطلباته ، وإذا نودي فيه بالإصلاح ، لم يكن نداء أجوف بلا صدى ، بل يكون فيه المنادي لسان من ينادي ...

وليس الفلاح المصري أمياً لأنه محروم من مدرسة ومن مدرسين ، أولأنه يعوزه القانون الشديد ليخرجه من حيز الجهالة ، بل هو أمي لأنه لم يبلغ بعد في حضارته الدرجة التي يكون فيها عقله مهيأ لقبول العلم . واليوم الذي يبلغ فيه الفلاح المصري هذه

---

(١) La lutte contre Pánalphabetisme portera-t-elle ses fruits

الدرجة لن يعوزه قانون يمهد أو سلطة تهدد ، بل يندفع إلى طلب العلم من تلقاء نفسه .

أما والفلاح المصرى لم يبلغ بعد الدرجة التى يكون فيها عقله مهيأ للعلم بدليل إخفاق التعليم الالزامى الإخفاق الذريع على رغم ما يكلفه من مئات الألوف من الجنيهات ، فإن القانون سيخفق والمدرسة ستغلق وتلك الأمانى العراض لن تتحقق .

إن الأمية فى الفلاح المصرى ظاهرة طبيعية تتحول مع التحول الطبيعى للفلاح ، وتظهر أو تنمحى تبعاً لما يبلغه الفلاح من الارتقاء فى سلم الحضارة . وليس فى الإمكان أن يقضى قانون وضعى على قانون طبيعى . وليس فى الإمكان أن يقضى قانون مكافحة الأمية الوضعى على قانون الأمية الطبيعى اللازم لحالة الفلاح الحضارية .

إن رسالتنا هى أن نبلغ بفلاحنا ذروة الرقى ، وأن نجعل بين القرية والمدنية تكاملا من حيث درجة الحضارة ، ولن يكون هذا بفتح المدارس وإعداد المدرسين بل بالاتجاه إلى الفلاح نفسه ، فإن المدرسة ظاهرة من ظواهر ارتقائه فحسب .

علينا أن نبذر بذور الحضارة فى الفلاح المصرى ، بأن نعجل من قوانين نموه الطبيعية . إن للمجتمعات فى نموها قوانين ليس فى طاقة الفرد أن يثيرها ، وإنما فى طاقته أن يتدبرها ويعجل من مراحلها ، فهى أشبه شىء بقوانين نمو الأفراد ، ليس فى طاقة أحد أن يثب بالطفل إلى مرحلة الرجولة دون أن يمر بأدواره الطبيعية . والذين ظنوا أن فى قدرة الفرد أن يخلق ويبدع فى المجتمع مخطئون ، فإن دور الفرد أو دور المصلح فى الحياة الاجتماعية دور ثانوى لا يعدو أن يكون تدبراً وتوجيهاً .

كل ما نملك إذاً هو أن ندرس الفلاح وأن نتدبر قوانين نموه ثم ندفع به إلى الأمام فى طريقه الطبيعى .

والواقع أن الفلاح المصرى يتقدم ببطء ، إذا قارناه بأمثاله فى هم أوربا وذلك يرجع إلى عاملين :

١ — العامل الاقتصادى .

٢ — العامل التكوينى .

والواقع أن العامل الاقتصادى فى رأينا نتيجة للعامل التكوينى ، لأننا نميل إلى القول بأن الحياة الاقتصادية من خلق الانسان ، وليس كما يقول كارل ماركس أن الإنسان من خلق الحياة الاقتصادية فى تطوره الحضارى .

لقد اصطلح علماء الاجتماع على تقسيم عقليات المجتمعات إلى نوعين : النوع الأول يعرف بالعقلية السحرية ، والنوع الثانى يعرف بالعقلية الوضعية ؛ والنوع الأول من العقليات سمة الشعوب المتأخرة ، والنوع الثانى سمة الشعوب المتحضرة . ولا بد لكل مجتمع من أن يمر أولا بالمرحلة السحرية وأدوارها ، ثم ينتهى إلى المرحلة الوضعية .

أما المرحلة السحرية فى المجتمعات فتتميز بتفشى المعتقدات الشعبية وعدم التميز الواضح بين سبب ومسبب حتى تكاد الظواهر كلها تختلط وتنسب إلى قوى غامضة ومجهولة . والارتباط المنطقى يكاد أن يكون معدوماً فى عقول الناس فى هذه المرحلة ، فالمرض يرجع إلى قوة غامضة قد تكون الزار فى أغلب الأحايين وما إلى ذلك مما يدل على تفكك الرابطة المنطقية فى العقول . أما المرحلة الوضعية فعكس ذلك تماماً ...

وواضح من هذا أن الفلاح المصرى لا يزال فى المرحلة السحرية ، وعلينا إذا أردنا له تقدماً أن نعجل مرحلة الانتقال من الحالة السحرية إلى الحالة الوضعية .

ذلك هو العامل التكوينى ، فعلينا إذاً أن نعمل على أن يبلغ فلاحنا المرحلة الوضعية بكل ما أوتينا من مجهود ، فذلك هو السبيل المنشود ...

ودراسة التاريخ تدلنا على أنه حينما وجدت الآلة انبثقت الحضارة ، ذلك لأن للآلة أثرها فى عقلية من يمارسها ، إنها تطبع العقل بالطابع الوضعى ، طابع القانون الذى يربط بين سبب ومسبب ... فالآلة تدور ، ولكنها تدور وفق نظام متماسك لا يلبث أن يتكيف به عقل من يمارسها ، ومن هنا لا تكون رسالة الآلة رسالة إنتاج بقدر ما هى رسالة عقليات وحضارات .

تدور الآلة ، فلا يلبث التفكير الفلك أن يتماسك ، ذلك لأن من طبيعة الانسان أن يدرك بالفكر ما يعمل باليد والآلة تقتضى نظاماً وقانوناً يلمسه عامل الآلة باليد ويشاهده بالعين فلا

يلبث طويلا حتى يدركه بالفكر ، ويصبح القانون والنظام من طبيعة تفكيره ؛ لقد سبق الانسان العامل ( Homo Faber ) الانسان المفكر ( Homo Sapiens ) فى أدوار التاريخ كلها ، وما الصيغ والرموز التى يصطنعها الفكر فى الواقع إلا تجريدات لوقائع ملموسة باليد ومشاهدة بالعين .

نحن إذاً ننشد العقلية الوضعية كخطوة أولى من خطوات الإصلاح ، وليس من سبيل إلى تحقيق هذا غير الآلة . ولسنا نعنى بذلك أوضاع الصناعات الضخمة والآلات العظيمة مما قد لا يتيسر لنا الآن ، وإنما نعنى من الآلة صغرت أو كبرت كمعنى النظام والترابط والقانون . وإن فى قدرة الصناعات الزراعية البسيطة تحقيق ما نرجوه ، وهذه الدانمارك ، تلك البلاد الصغيرة لقد حققت حضارة عظيمة تعد من أرقى الحضارات الأوربية على أساس هذه الصناعات الزراعية البسيطة .

كأن مشروع مكافحة الأمية مصيره الاخفاق لأن الأرض لم تمد ولم تعبَّد بعد . وإنما السبيل إلى تحقيق هذا المشروع هو إيجاد العقلية الوضعية ، عقلية الحضارة والمدنية التى تلتمس سبل التقدم فى مجال العلم .

والذى يدلنا دلالة قاطعة على أن الصناعات تهيء العقل الجمعى لطلب العلم والاستزادة منه ذلك الاحصاء الذى يدلنا على أنه فى سنة ١٥٠٠ م لم يكن أكثر من ١٠ ٪ من شعوب أوربا الغربية حاصلين على قدر من الثقافة . وفى سنة ١٧٠٠ م ارتفعت النسبة قليلا حتى إذا جاءت سنة ١٨٠٠ م ، وظهرت المنتجات الصناعية فى أوربا بلغت نسبة المتعلمين نحو ٧٥ ٪ ؛ أى أنه فى أقل من قرن واحد ارتفعت النسبة بمقدار ٦٥ ٪ [١] .

وبمقابلة بعض البلدان الصناعية بغير الصناعية يتضح مقام نصيب الصناعة فى تهيئة الشعب لقبول التعليم نتيجة للعقلية الوضعية .

ففى كل من المملكة المتحدة ( بريطانيا ) وألمانيا واليابان لا يوجد غير ١ ٪ لا يعرفون القراءة والكتابة . وفى أمريكا ٦ ٪ وفرنسا ٨ ٪ وبلجيكا ٩ ٪ وجميعها من البلدان الصناعية .

(١) Changing culture and changing governments : H . Rugg

أما فى البلدان التى لم تتقدم فيها الصناعة فالأمر يختلف عن ذلك . ففى أسبانيا ٥٤ ٪ وفى الهند ٩٠ ٪ [١] الخ .

من كل ما تقدم نستطيع أن نستخلص ما يلى :

١ — أن الحضارة تولد قبل أن يولد التعلم وما التعلم فى الواقع إلا أداة للحضارة تستغلها لاطراد نموها وسموها .

٢ — من أكبر العوامل التى تلد الحضارة نشر الصناعة وظهور المنتجات الصناعية لما يستتبع ذلك من تكييف عقلية الشعب بالقالب الوضعى الحضارى .

٣ — الظواهر الاجتماعية وفيها ظاهرة الأمية لا يمكن القضاء عليها بقانون لأن لها مراحلها الخاصة وعواملها الخاصة .

ليس إذاً لب المشكلة فى أمية الفلاح ، وإنما فى حالة الفلاح العقلية ونصيبها من قبول العلم .

**فؤاد عوض واصف**
ليسانسيه فى العلوم الفلسفية

(١) Ibid

# القمر . . . !

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

قلبان فى نورك الهيمان يا قمرُ هاما ، وبينهما الأشواق تستعرُ
يسترجعان الليالى بعد ما غبرتْ وقد تولى الندامى ، وانطوى السمر
وهوَّم الصمت إلا خفق أجنحةٍ من الشعاع هى الأطياف والذكَر
وعُطّل النايُ بعد الصدح واحتبست فيه الأغانى ... فلا شادٍ ولا وتر
وأغفتِ الطيرُ فى أعشاشها ، وصحا من حولها نسمٌ يندى به الزهَر
وأرهف الليل للقلبين مِسْمَعَه قلبٌ قريرٌ ، وقلبٌ كاد ينفطر
يشكو الجراح لعل النور يُبرئها فلن يُضَمِّدها إلاّكَ يا قمر

قلبى الذى بات يصْلَى منك جمرته وقد حبتْهُ بلذع دونه سقر
قلبى فراشتك الحمقاء قد جهلتْ بأنها فى سناك الحلو تنتحر
ترود فى نورك الرقراق مصرعها والحبُّ أقتلُ ما يرمى به القدر
قلبى تُخادِعه أنوارُك انبثقتْ ذكرى تعود مع الماضى وتنحدر
يسرى مع النور سَبْحاً فى جداوله حتى يكفكف من أضوائك السَّحَر
صديانُ والنور يُروى فيه غلته فليس ينقعها نبع ولا نهر
هيمان ... والنورُ فى واديك يا قمرُ لحقق الحلم لا يُبقى ولا يذر
وقصَّ من سور النجوى ملاحها لعل نجدى لديها هذه السُّور
ما أقضى الليالىَ أنات مُردَّدة والشاهدان علىَّ النجم والسهر
علَّ الأمانى التى ولت براجعةٍ مع الربيع فيزهو روْضى النضر
وأصطفى مجلسى فى العشب أعمرُه وقد تقادَم فيه العهدُ والأثر
أقتات زهر الربيع البكر مؤتلقاً بالنور حتى يكاد النور يُعتصر
أسقاه خمراً صفَتْ فى كرمها وزهتْ دُرِّيَّةَ الكأسِ يخشى لمحها البصر
يا طالما بتُّ أحسوها فإن فرغت كأسى ففى عينها خمرٌ هى الحوَر
يا ليلة النور فى السفح الظليل هنا هل ترجعين بما قد كنتُ أدخر
وما ادخرت سوى لقيا ضننت بها هنا ، وكاد يحن الرمل والحجر
فإن سمحتِ بها نِلنا أمانينا فليس ثَمَّ سواها منكِ ننتظر

# فلسطين !

للأستاذ كمال النجمى

علت صيحة كالرعد دوّى هزيمُها تحامى صداها واتقاهُ غريمُها
ألمّت بأسماع الطغاة فزُلزلت وحزَّ قلوبَ المؤمنين أليمها
هفت من فلسطينٍ إلينا فنبهت نياماً قلاها كهفُها ورقيمها
وسالت لها منا حُقود قديمة على الغاصب الباغى يجيش كظيمها
لقد جحد الباغى فلسطينَ حقَّها وأسرف فى جور عليها ظلومها
لها الله من مهضومة غِيلَ أمنها وحال عذاباً خفضُها ونعيمها
تقاعس عنها حين ضِيمتْ وليُّها وأسلمها للحادثات حميمها
وكان لها فى العُرب لولا جمودهم حسام إذا ما اهتز ريعَ خصيمها
بنى يعرب تدعو فهلا أجبتمُ سليبة حق أثخنتها كلومها
أبوتكم ترنو لكم من قبورها وتدعوكمُ أمجادها وقرومها
همُ جاهدوا فى الله حتى توطدت ديارهمُ أمْناً وقرت تخومها
مضوا فى الدنا شرقاً فأسلم فُرسُها وساروا بها غرباً فسلم رومها
لهم ذكريات يعبق المسك إن سرت ويذهبُ بالألباب سكراً شميمها
فسيروا على هدْى الجدود فإنهم سموات حقٍّ لا تغيب نجومها
دعتكم فلسطين وقد ضاق سجنها وزاد أساها قيدها وشكيمها
وحلت بها من وعد بلفور ظلمة من الليل يُعمى المبصرين بهيمها
مرابعها الفيح الضواحك أصبحت يهيج الشجونَ الكامنات وجومها
حدائقها نهب الذبول زهورها وأشجارها نهب الرياح هشيمها
تبكّى الغصونَ الذاويات طيورُها ويرثى الورودَ العاطراتِ نسيمُها
فأضحت وقد كانت مناظر جنة تهيج دموع الأوفياء رسومها

# لغـــات الـكتابة ...

## عظمتها في رصانتها ووقعها الموسيقي

للأستاذ نصيف سركيس

ترهف الآذان لـكل صوت شجي ، وتنجذب العواطف شطر النغم الموسيقي ، وتخضع القـلوب مأسورة لألحان الجرس التوقيعي .

وهكذا الطبيعة في جمالها ورونقها ، في صخبها وسكونها . في عبوسها وضحكها ، في إشراقها وحلـكتها ، في تغيراتها البديعة الفاجئة إنمـا تبعث في النفس الحب والهيام وتشع في الروح الفتوة والـكمال .

الطبيعة برعدها القاصف ما هي إلا نذير خطر يهلع له قلوب البعض وتقشعر له أبدان الآخرين .

والطبيعة في تغاريد طيورها وحفيف أشجارها ما هي إلا وحي عطوف يستمد الشاعر منها إلهامه ، ويعب الـكاتب منها لخيلائه ويراعه .

فإذا كان الـكاتب ملهما ، وله من الحواس النشطة ما يحمل إلى خبايا اللب من الداخل كل صورة لطيفة وطابع جميل فهو يعيش في نماء هـذه الحياة يعبر إذا ما كتب عما يخالج نفسه ، ويجول في فؤاده من تلك المناظر الطبيعية الخلابة ، وأما إذا كان لا يعبأ بما يحوط به من أجواء ولا يحاول أن يستلهم من الطبيعة مادة لقلمه فهو جاف الشعور فاتر الاحساس مبتور القول والخيال .

فالطبيعة تنشد الموسيقى ، وأنغامها تهتز لها الأجواء وتترنح لها دوحات الأشجار وترقص لها الطيور . والإنسان بفطرته تستهويه هذه الأنغام ، وتملك عليه ناصية رشده ، وزمام عواطفه فإذا قرأ رسالة منسقة ، منسجمة في مقاطعها ونبراتها ، تاه في خيلائها ، وأخذ ينشط في تلاوتها وَحذقها . وقد لا يهدأ روعه وتخمد ثورة جشمه في بعض الأحايين إلا إذا أعاد قراءة هذا المقال مرة ومرتين . فإذا مابلغ قصده من قراءاته المتكررة يكون عقله الباطن قد اصطفى ما راق لذوقه وعذب لنفسه . فلا يشعر بعد ذلك وهو في خلوته و كتاباته إلا مكرراً لبعض ما استساغه ، وقويت ذا كرته على استخلاصه .

كل ذلك وهو في نشوة من الفرح والارتياح ، وكل ذلك وهو على يقين بأن قبس ذلك النور الذي أشرق على خيلائه وذا كرته إنمـا هو راجع إلى ذلك الأسلوب الموسيقي العذب .

فللاتساق والجرس وقع في النفس عظيم ، وللجرس في توقيعه وأنغامه ما يجذب لب القارئ ويستهويه . وإذا ما تم ذلك توطدت لنا الدعائم الأولى ، والتي نعمل على أساسها في إيثار كاتب على آخر .

هذا ويدلنا علم النفس على أننا نذكر دائماً كل حسن وجميل وأنه يعلق بذا كرتنا كل نغم لطيف بخلاف الأقوال المبتذلة التي تلوكها الألسنة بين حين وحين ، فإنه كثيراً ما يعاف القارئ تلاوتها وتأنف النفس توفير أسباب النشاط لاستيعابها وصونها .

فإن غلب على القارئ الأمر ، وأجبر على النظر إلى مقال من هذا الطراز إنمـا يخرج منه وقد ألفى نفسه يرغى ويزبد لمـا لحقه من النكد وسوء الطالع لتصديع النفس بقراءة كلمات مرصوصة نابية ، لا تنم على حسن ذوق أو فصاحة بيان

هذا ولا يحتاج الـكاتب إلى استهداء العبارات السلسة ذات الجرس الموسيقي واستندائها فهي تأتي مع السليقة والمران ، تأتي

---

بني يعرب حان التأهب فاشحذوا ... عزائمكم حتى يصحَّ سقيمها

وكونوا كما كان الألى أنجبوكمُ ... نفوساً كباراً واسمات هُمومها

إذا اتسع الهم العظيم حملنه ... وقمن به حتى تضيق جسومها

فلسطين بابُ البيت روّع أمنها ... وديس وأنتم تنظرون حريمها

فلا توجلوا من موتة ليس بعدها ... سوى جنة فيحاء طاب نعيمها

ولا تطلبوا بالقـول حقّاً مضيعاً ... فبالسيف يسمو للعلى من يرومها

لقد سفرت إنكلترا وحليفها ... بأوجه مَـيْنٍ كالجليد أديمها

وخلقـهمُ الشذّاذ من كل بقعة ... نفت لؤمهم حتى استراح كريمها

سنقسو ذِيادا عن حقوق بلادنا ... وننشدها حتى يُرَدَّ هضيمها

ليعلَمَ جزارُ الشعوب بأننا ... ضراغمُ غاب لا تلذ لحومها

مع القراءة لفحول الكتاب ونوابغ الشعراء ، وهى بهذا تأتى محمولة على الطبع غير متكلفة .

وهذا ولاشك يعد أعلى درجات الكلام . فإذا تهيأ للكاتب أن يأتى به فى كتابته كلها على هذه الشريطة فإنه يكون قد ملك رقاب الكلم يستعبد كرائمها ويستولد عقائمها .

والألفاظ تجرى من السمع مجرى الأشخاص من البصر . فالألفاظ الجزلة تتخيل فى السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار ، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوى دماثة ولين أخلاق ولطافة ، وما مثال الكاتب الذى لا يشعر بوقع أنغام العبارات الشجية فى أعماق قلبه وبجرسها الموسيقى فى صميم فؤاده إلا كمن يسوى بين صورة زنجية سوداء مظلمة السواد شوهاء الخلق ذات عين محمرة وشفة غليظة كأنها كلوة ، وبين صورة فتاة هيفاء فاتنة الجمال ذات وجه مشرب بالحمرة ، وخد أسيل وطرف كحيل ، وثغر فاتن ، وقد مياس .

فإذا كان بإنسان من سقم النظر أن يسوى بين هذه الصورة وهذه . فلا يبعد أن يكون به من سقم الفكر أن يسوى بين الألفاظ المجوجة العادية والألفاظ المنتقاة الموسيقية ، ولا فرق بين النظر والسمع فى هذا المقام . فإن هذا حاسة وهذا حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب .

يقول « أبركرومبى » ولا بد للأديب أن يعرف كيف يجمع فى فنه كل ما احتوته الألفاظ من قوة التعبير والتصوير ، وكل ما من شأنه أن يساعد على التوصيل بحيث يستثير الخيال ، ويصرفه كيفما شاء . ويجب أن تكون الألفاظ قوية التعبير لكى تستطيع الإبانة عن تجارب المؤلف المراد توصيلها وتفهيمها ، كذلك يجب أن تكون الألفاظ صالحة لأن تحكى تلك التجارب وتصورها بصور واضحة .

أما التشبث بأهداب اللف والدوران ، والقول بأن السهل الممتنع هو أسمى أنواع الكتابة ؛ هو فى ظاهره قول فصل لا يعتوره لبس أو إبهام . ولكن هل كل مبتذل ... سهل ممتنع وهل كل أسلوب دارج أقرب إلى لغة التخاطب منه إلى لغة الكتابة هو بيت القصيد ؟

نعم إن الجمال سهل معجب ، ولكنه سهل على من ؟ ! وبعد ماذا ؟ ! على الذين يقدرونه ويحبونه ، وبعد الخبرة والممارسة والتذوق والتهذيب ، فليس معنى السهولة فى جمال الفنون أنه رخيص مباح لكل من يرمقه بجانب عينه ، ولا أنه غنى عن التأمل والتفكير . ولكن معناه أنه سهل سائغ لمن يستعد له استعداده ، ويبذل فيه ثمنه . وكذلك الثمرة الشهية سهلة سائغة لمن يشتريها ويغرسها ، ولكن ليس معنى ذلك أنها تمطر من السماء وتطرح على التراب أو تنمو كما ينمو نبات السحر .

ولو كان الغرض من اشتراط السهولة فى الجمال أن يكون سهلا على كل من يطلبه وبلا تفاوت فى الدرجات والمواهب لما كان فى الكتابات رسالة واحدة جميلة ، أو حقيقة بأن توصف بالجمال ، فإن كتابات شكسبير سهلة على بعض القراء ، ولكنها من الألغاز والمعميات على أناس آخرين ، وإن هؤلاء الآخرين قد يطيب لهم أساليب بيرون ، ولكنه إذ اقرئ على من دونهم من الفطنة والشعور عابوه واستثقلوه أو كابدوا فى فهمه الصعوبة التى تنفى صفة الجمال ، وهكذا إلى أن تهبط إلى طبقة تستصعب شعر هؤلاء جميعاً ، ولا تجد السهولة الجميلة إلا فى الأزجال الغثة والأناشيد الوضيعة ، وما فى منزلتها من الأساليب المبتذلة الركيكة. فإذا جعلنا السهولة ميزاناً لنا فى الفنون ، واتخذنا الشيوع عنواناً على السهول ، فقد نتمادى فى ذلك حتى يصبح لثغ الأطفال فى عرفنا نماذج البلاغة العليا ، ثم تنحدر البلاغة سفلا حتى تنتهى إلى فحول الشعراء وأئمة الكتاب والفصحاء .

فلا صحة إذاً فيمن يقول بأننا نعمل على تقديس القديم واستساغة ألفاظ العهد الغابر ذات الجرس الموسيقى ، والذى لا يتمشى مع روح العصر ومستلزماته ، فما هذا إلا محض افتراء وقدح معيب توصم به لغة البلاد الراقية النفيسة . فالكتابات المبتذلة العادية والتى أحمل عليها حملتى الشعواء لا يمكن أن تجد دفاعاً عنها فى هذا المضمار بعد أن بينت تفاوت الأذهان والعقليات فى الحكم على ما يدعى من الكتابات بأنها سهلة فصيحة أو سهلة ممتنعة

وهكذا فالكلام يحسن بعذوبته وجزالته ورصانته مع سلاسته ونصاعته . وإذا اشتمل على الرونق والطلاوة ، وسلم من حيف التأليف ، وبعد عن سماجة التركيب ، وورد على الفهم الثاقب

فقبله ولم يرده ، وعلى السمع المعيب فاستوعبه ولم يمجه . والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ وتقلق من الجاسى البشع . وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن إلى ما يوافقه وينفر عما يضاده ويخالفه ، والفهم يأنس من الكلام رقيقه وعذبه ، وينقبض عن الوخم ويتأخر عن الجافى الغليظ ولا يقبل الكلام المبتذل

وليس هذا هو الشأن فى إيراد المعانى . ولكن المعانى يعرفها الجاهل والعالم والكاتب الحصيف ذا الخيال الرائع والكاتب الناحل من كل ذوق وبراعة . وإنما الشأن هو فى جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه وكثرة طلاوته ومائه مع صحة السبك والتركيب وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا ولا يقنع من اللفظ بذلك .

ومن الدليل على أن مدار البلاغة تحسين اللفظ أن الخطب الرائعة والكتابات الرايقة ما عملت لإفهام المعانى فقط وإنما يدل حسن الكلام وإحكام صنعته ورونق ألفاظه وغريب مبانيه على فضل كاتبه وفهم منشيه .

وقد قال عبد الكريم الموصلى فى كتابه « المثل السائر » :

« إن خواطر الناس وإن كانت متفاوتة فى الجودة والرداءة فإن بعضها لا يكون عاليا على بعض أو منحطا عنه إلا بشىء يسير وكثيرا ما تتساوى القرائح والأفكار فى الأنيان بالمعانى حتى ان بعض الناس قد يأتى بمعنى موضوع بلفظ ثم يأتى الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء به الأول » .

لا شك أن حسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا فإذا كان المعنى سبيا ورصف الكلام رديًا لم يوجد له قبول ولم تظهر عليه طلاوة . وإذا كان المعنى وسطا ورصف الكلام جيدا كان أحسن وقعا وأطيب مستمعا . فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعا فى المرأى وإن لم يكن مرتفعا جليلا وإن اختل نظمه فضمت الحبة منه إلى ما لا يليق بها اقتحمته العين وإن كان فائقا ثمينا . وحسن الرصف أن توضع الألفاظ فى مواضعها ويحلى جيدها برنين الجرس الموسيقى وما يحمله ذلك من وقع جميل إلى حبات القلوب .

لا بأس بعد هذا من أن أكرر القول بأن لكل مقام مقالا وليست وظيفة الكلمات فى الأدب كوظيفتها فى العلوم . هى فى الثانية وسيلة لتفهم الأسرار العلمية فهى شىء كمالى بالنسبة للفكرة ولكنها فى الأولى جزء لا يتجزء من النص الأدبى . فالأدب يستعمل اللغة استعمالا كاملا ويستغل كل قيمها من جمال وتأثير ومعنى ، ولا يستطيع أن يسقط الألفاظ من حسابه كما يفعل العلم أحيانا ، واللفظ فى الأدب لا يكون مجرد تصوير للفكرة وتأدية للمعنى، فأن الرنين الذى يصحب العبارة أو الفقرة يساعد على الابتداع ويخلق فى ذهن المستمع جوا لا تقل قيمته الفنية عن إفادة المعنى .

فإذا أحطنا علما بمزايا تلك اللغة الرصينة ، وأيقنا أن زمامها مسلس لنا ، فنعدوا بها ونكبحها كيفما شئنا وكلما دعت الحال إلى ذلك . وإذا سلمنا بوقعها فى النفس وإيثار العاطفة الإنسانية لها دون غيرها فلا يكون بدعا بعد ذلك إذا ما وقفنا بها قدما وجعلنا منها نورا للهدى وينبوعا للكمال ، فهى التى لا يفتر لها إشعاع ولا ينضب لها معين .

**نصيف سركيس**

---




## ... وكفى !

كان فى تركيا رجل ماجن سكير ما يكاد يفيق ، اسمه بكرى مصطفى فضاقت به سبل العيش مرة حتى ما يجد ثمن الكأس من الخمر . ففتقت له الحيلة أن أطال لحيته وكبر عمامته ، وذهب إلى الأناضول فسعى حتى جعلوه إماما للمسجد وواعظا للقرية ...

وكان يسير يوما فرأى جنازة ، فأمر بها فوقفت ، وأنزل النعش ، فانحنى عليه كأنه يساره ، ثم قال : ارفعوها وامشوا ، فسأله بعض خواصه ، ماذا قال لها ، فقال :

— قلت للميت ، إن سألوك فى الآخرة عن أحوال الدنيا ، فلا تطل الحديث ، قل لهم صار الإمام بكرى مصطفى . وكفى !

***

ونحن إن سئلنا ما حال الأدب اليوم ، نقول :

إنه صار بين كتاب الرسالة ، نعم الرسالة ، من يمر فى معرض الكتب على ( وفيات الأعيان ) فيضحك عليه كما ضحك على كتاب ( الأدلة القطعية على عدم دوران الكرة الأرضية ) مغرقاً فى الضحك ( لأن مؤلفه ) ولم يدر ( حضرته ... ) من مؤلفه ( لم يجد ما يكتب عنه إلا أن يسرد وفيات الأعيان ، كأن الدنيا وما فيها لا تهمه ، وكأن الاصلاح الاجتماعى لا حاجة بنا إليه ... )

وإذا لبثنا على هذا ( التقدم ) فسيجىء فى معرض الكتب الآتى من يمر على ( الأغانى لأبى الفرج فيقول : ما لهذا المؤلف لم يجد ما يكتب عنه إلا جمع أغانى الاسطوانات ، وطقاطيق الراقصات ... كأن الدنيا ... وكأن الاصلاح ...

ويضحك أيضا ...

ويبكى من هذا الضحك العلم والأدب والفن ؟

**على الطنطاوى**

## طيزناباذ فى نقل الأديب :

ذكر المحقق العلامة محمد إسعاف النشاشيبى فى نقله المتعة فى العدد ٦٧٨ من الرسالة الزاهرة أن محمداً بن مسروق البغدادى قال : خرجت ليلة فى أيام جهالتى وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم ما مررت به  إلا تعجبت ممن يشرب الماء

أقول إن هذا الخبر ينسب لأبى نواس فقد جاء فى الصفحة ٢٠٢ ، ٢٠٣ من أخبار أبى نواس لابن منظور « قال بعضهم صار إلى الحسن بن هانىء فى ليلة من الليالى وهو مرعوب فنزع ما كان عليه من الثياب وأخذ قميصاً وسراويل وأراد أمراً يأتى ، ثم تطهر ولبسها وما زال يصلى باقى ليلته إلى الصبح ، ثم أصبح صائماً فسألته عن السبب فى ذلك فقال : كنت منصرفاً من بعض المواخير ، فاجتزت من مقبرة فبينا أنا ماش فيها إذ أنشدت قول ذى الرمة :

بطيزناباذ كرم ما مررت به  إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فأجابنى مجيب من المقبرة أسمع صوته ولا أرى شخصه :

وفى جهنم ماء ما تجرعه  حلق فأبقى له فى الجوف أمعاء

وفى رواية الأستاذ النشاشيبى تصحيف ذهب بروعة البيتين وأفسد معناهما ، إذ قال « بطور سيناء » والصحيح بطيزناباذ[1] وقال فى البيت الثانى « خلق » والصحيح حلق .

هذا هو الصواب على رأينا فنرجو من الأستاذ أن يتحقق من ذلك .

وقد وجدت الأستاذ يهمز اسم أبى نواس كلما ذكر اسمه ، والصحيح أن اسمه لا يهمز فما هى علته فى ذلك .

( بغداد ) **شكرى محمود أحمد**

## توحيد القوانين فى البلاد العربية :

من أنباء دمشق أن اللجنة القانونية التى اجتمعت فى بلودان ثلاثة أيام برياسة الأستاذ عبد الرزاق السنهورى باشا ، قد وافقت على القرارات التالية :

---

(١) طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج ، وكان من أنزه المواضع محفوفاً بالكرم والشجر والحانات والمعاصر : وكان أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة.

« مسالك الأبصار »




# « كتب وشخصيات »

تأليف الأستاذ سيد قطب

للأستاذ أحمد فؤاد الأهواني

قال لى : الأستاذ سيد قطب سأهدى إليك كتابى الأخير « كتب وشخصيات » على أن تستبق قراءته إلى ما بعد عودتك إلى القاهرة ، فلا ينبغى أن يشغلك عن الاستمتاع بهواء البحر القراءة والاطلاع . غير أنى خالفته فى نصيحته ، فقرأته وهو يزيد على ثلثمائة وخمسين صفحة

ولم تكن هذه الصحبة شاقة أو مملة ، إذ أن فصول الكتاب منوعة حتى كأنك تتنقل من بستان إلى بستان أو من زهر إلى زهر . وليس غريباً أن نشبه الأدب بالأزاهير . فهو حقاً زهر الفكر . تحدث عن وظيفة النقد وأصوله ، ثم انتقل إلى عالم الشعر ووقف عند العقاد الشاعر ، ثم رحل إلى عالم القصة والرواية فطرق أبواب القصاص والروائيين ، وحلل طرائقهم ، ونفذ إلى صفحات نفوسهم . طه حسين ، توفيق الحكيم ، المازنى ، عزيز أباظة ، خليل هنداوى ، نجيب محفوظ ، عادل كامل ، محمود تيمور ، يحيى حقى ، السحار . ثم طاف بالنفس والعالم فتحدث عن البيادر لميخائيل نعيمة ، وأومن بالإنسان لخلاف ، وسندباد عصرى لحسين فوزى ، والعناصر النفسية فى سياسة العرب لشفيق جبرى .

وانتقل بعد ذلك إلى البحوث والدراسات ، فكتب عن عبد القادر حمزة وأنطون الجميل والزيات وعلى أدهم ، واختتم الكتاب بالكلام عن التراجم والتاريخ موازناً بين العقاد وهيكل وطه ، وبين المازنى وعبد الرحمن صدق وعبد الحليم عباس ، وبين كرد على وطه الراوى .

فأنت ترى أن العنوان موافق لمضمون الكتاب : استعراض لكثير من الكتب ، وتحليل لشخصيات أصحابها .

والكتاب ظل لصاحبه ، وفيض لنفسه ، وهل يوجد كتاب بغير كاتب ؟ . وفى الحق إن شخصية الكاتب هى مفتاح الكتاب ، وفهمها يبعث فى أوصاله الحياة ، والذين يتحدث عنهم الأستاذ

---

١ — وضع تشريع تجارى برى موحد فى نصوصه أو على الأقل فى مبادئه العامة ، والشروع فوراً فى توحيد أحكام الوثائق التجارية فى البلدان العربية

٢ — وضع مشروع قانون موحد للتجارة البرية والبحرية

٣ — إنشاء معهد للفقه الإسلامى ملحق بجامعة فؤاد الأول له كيان مستقل وميزانية خاصة ومجلس إدارة خاص يعمل على تخريج الباحثين فى الفقه الإسلامى وإصدار مجلة دورية

٤ — توحيد المصطلحات القانونية بين دول الجامعة والبدء بمصطلحات قانون العقوبات وأصول المحاكمات القانونية والتجارية .

٥ — وضع قانون موحد لمكافحة المخدرات

وقد وافقت الهيئة العامة للجنة على مشروع القانون الموحد الخاص بحماية حقوق المؤلفين وستعرضه على الجامعة العربية لإبداء ملاحظاتها عليه .

## فى أصول الكلمات :

قرأت ما جاد به قلم كاتبنا الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد تحت عنوان « أصول الكلمات » افتتاحية للعدد الـ ٦٧٧ من « الرسالة » الشهيرة فتوقفت عند قوله : « كذلك قال الأب أنستاس ، وقد عقب عليه الأستاذ روكسى بن زائد العُزيزى معلم العربية بكلية تراسانته بالقدس فى مجلة الأديب البروتية فقال : « فلو قلنا إن العرب قالوا » عين القلب ثم نحتوا من الكلمتين كلة واحدة — عقل — لما أبعدنا عن الصواب . ولو سايرنا ما ذهبتم إليه وقلنا إن العقل من عق لكان مقبولا لأن العقه هى البرقة المستطيلة فى السماء ، وهل العقل إلا وميض النفس وعين القلب »؟

والذى أريد أن أقوله : إن الأستاذ الكبير خلط بين ردى على الأب مرمرجى الدومنيكى ، وتنبيهى إياه على تحريفه لأقوال الأب أنستاس مارى الكرملى الثبتة فى مجلة لغة العرب ، وأقوال الأب الكرملى نفسه .

روكسى بن زائد العزيزى

سيد قطب من الأحياء ، نعرفهم بأشخاصهم ونراهم ونتحدث إليهم ، ونسمع عنهم ، وأكبر الظن أنهم جميعاً من أصدقاء الأستاذ سيد قطب ، أو على الأقل اتصل ببعضهم صلة شخصية ، تيسر له النفاذ منهم إلى الأعماق . ودراسته لأشخاصهم أسبق من دراسته لكتبهم ، فكان الأولى أن يجعل العنوان « شخصيات وكتب » لولا رنين الإيقاع .

وكتاب الأستاذ سيد قطب محقق الفائدة ، لأنه يعرض رأيه في صدق وقوة ونفاذ . والأصح أن أقول إنه يعرض شعوره وإحساسه بدلا من رأيه ، لأن مسائل الأدب ، شعراً كانت أم قصصاً أم دراسات تحليلية ، إنما تدرك بالذوق والشعور لا بالمنطق والعقل ، ولو أن الفصل التام بين العقل والعاطفة مستحيل .

وهنا قد يختلف القارىء مع الأستاذ سيد قطب في أحكامه ، فيرجح كاتباً على كاتب ، أو يعجب بشاعر دون شاعر . وقد تتفق مع المؤلف في إعجابه ولكنك تجهل سبب الإعجاب ، فيقدم لك العلة والميزان . ومن الواضح أن سيد قطب يعجب بالأستاذ عباس العقاد ويقدمه على غيره من الكتاب في ميدان الشعر وميدان النثر على السواء . وسوف تعرف علة هذا الإعجاب عند ما تقرأ الكتاب .

وللأستاذ العقاد شعر جيد تذوقته عندما عرض بعضه سيد قطب . وتسألني لماذا لم تتذوق هذا الشعر من قبل ، فأقول إنني أرهب الشعر ، ولا أقدم على قراءته . ولقد يزيد عجبك إذا عرفت أنني كنت أقرض الشعر وأنا صبي صغير في الحادية عشرة من عمري ، حين كنت بالسنة الأولى بالمدارس الثانوية ، ثم غفر الله لمدرسي اللغة العربية الذين قتلوا في نفسي هذه الموهبة ، بل صرفوني حتى عن قراءته بما كانوا يختارونه لنا من شعر سقيم لا يحسنون الدخول إليه والاحتفال به . وأذكر أن الأستاذ الزيات ذهب هذا المذهب في كتابه « دفاع عن البلاغة » فأرجع بُعْدَ الناشئين عن الكتابة البليغة إلى المعلمين . ومن الإنصاف أن أذكر طه حسين بالخير في هذه المناسبة فقد حضرت عليه درساً في الأدب العربي بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ كان يشرح فيه معلقة النابغة الذبياني ، فكان المدرس الوحيد الذي دفعني إلى تغيير رأيي في الشعر العربي . ولكن عاماً واحداً لم يكن كافياً لتخلص لي ملكة ذوق الشعر ، فظللت حتى الآن منصرفاً عنه لا أحفظ إلا الأبيات القليلة ، ولا أستطيع الانقطاع إلى قصيدة بتمامها .

فمن الخير لشبابنا أن يقرأوا كتب النقد لتبصرهم بالجيد من الأدب الحديث حتى يسيروا على هدى وبصيرة فلا يضلو الطريق

وليس في نقد الأستاذ سيد قطب للأدباء والشعراء والكتاب الذين تعرض لهم عنف أو قسوة أو اعتداء . بل على العكس من ذلك ، تحليل هادىء ، وتقدير صحيح ، وميزان أقرب إلى الاعتدال فيه تشجيع ورفق . وهذه هي وظيفة النقد ، لا ينبغي أن يقسو الناقد حتى يتهم بالتحيز والهوى ، أو يسرف في التحية ويغمض العين عن المساوىء والعيوب وكذلك لا يجب أن يغضب الكاتب إذا انتقدت آثاره ، لأنها أصبحت ملك الجمهور ، بل نقدها دليل على أنها شيء مذكور .

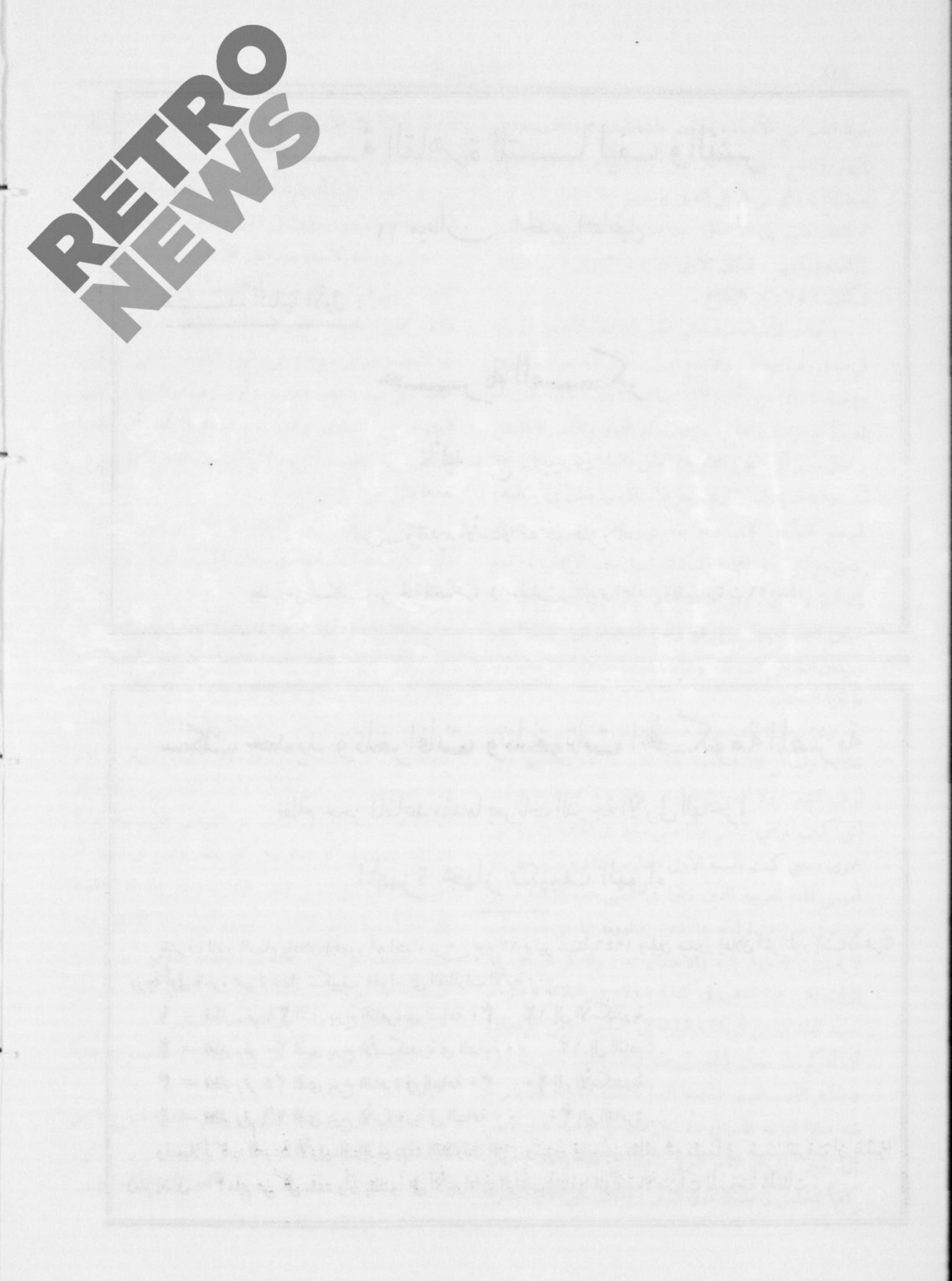
وهنا أحب أن أخالف الأستاذ سيد قطب في بعض أحكامه . ولن يكون هذا الخلاف في ميدان الشعر بطبيعة الحال لأني أجهله .

أخالفه مثلا في تقديره لقصة قنديل أم هاشم من قلم يحيى حقي ، ليست القصة تحت يدي الآن ، وقد قرأتها حين ظهورها في سلسلة اقرأ ، وأذكر أنها لم تعجبني ، ولا أزال أذكر الأسباب : منها أن الموضوع مطروق ، ومع ذلك فليس هذا سببا لضعف القصة إذا أحسن صاحبها تصويرها ، وقدم إليك السياق في جمال وإبداع يعوضك عن عمق الفكرة وأصالة الموضوع . والأفكار الخالدة هي تلك التي تكشف عن النواحي الإنسانية العامة الصالحة للحياة في كل زمان وفي كل بيئة . وليس في قنديل أم هاشم ذلك التحليل العميق للنفس البشرية ، حتى إذا نقلت القصة إلى لغة أجنبية نالت الإعجاب . ويبدو أن صداقة الأستاذ سيد قطب للمؤلف هي التي دفعته إلى تشجيعه ، ومن آيات هذه الصداقة أنه يقول عنه . أوه ! يحيى حقي ! أين كانت كل هذه هذه الغيبة الطويلة ؟ وفيم هذا الاختفاء العجيب .

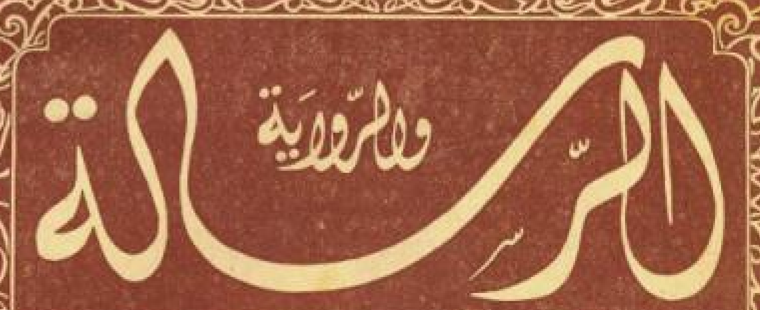
نرجو أن يعود يحيى حقي إلى الميدان ، فالقصاص عندنا قليلون .

ونرجو أن يتابع الأستاذ سيد قطب نقداته فهو حقا من خيرة النقاد في مصر .

**أحمد فؤاد الأهواني**




العدد ٦٨٣ — الاثنين ٦ أغسطس ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

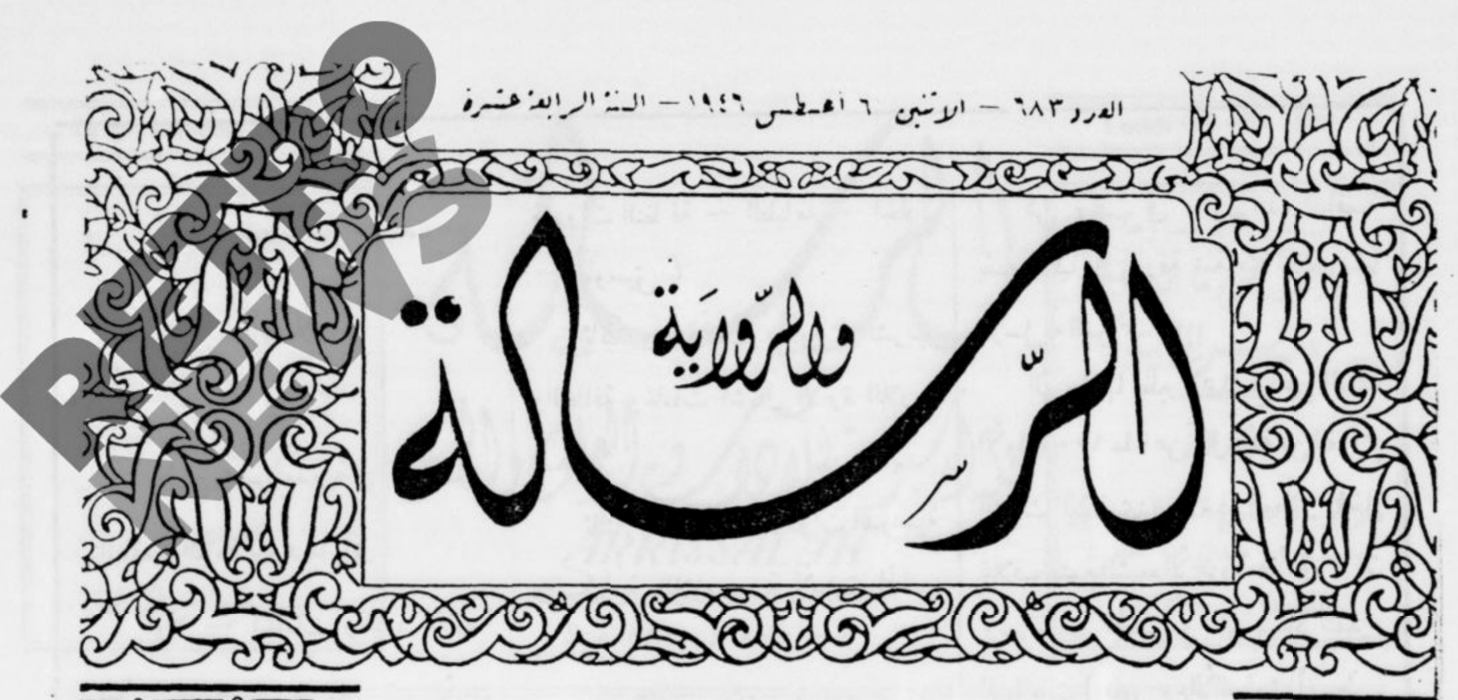



# الفهرس



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٨٣ — الاثنين ٦ أغسطس ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة




# الفهرس

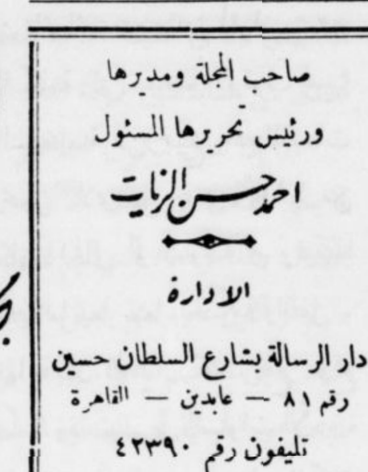


٢٧٠١١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

14 me Année No. 683

Lundi—6—8—1946




الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٨٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٧ رمضان سنة ١٣٦٥ — ٦ أغسطس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

# مراجعـــة ديمقراطية

للأستاذ عباس محمود العقاد

معرفة الحاضر على ضوء الماضى كمعرفة الماضى على ضوء الحاضر: كلاهما وسيلة من وسائل المعرفة الصحيحة بعد المقابلة بين الحالات المختلفة

ومنذ أيام رجعنا إلى وثائق الحركة الدستورية والحركة الاستقلالية على عهد الاحتلال ، لأنهما مدار القضية المصرية ، وهى الآن فى دور الفصل والتقرير . فوقفنا على نبذ من طرائف التاريخ القريب تدلنا على ما نحن فيه وما كنا فيه ، وتحتاج إلى بعض التوضيح من طريق التعقيب

كان لورد كرومر يتكلم عن المطالب الوطنية فى تقريره عن سنة ١٩٠٦ فقال عن مطالب الحزب الوطنى : « ... فهمت أنه يطلب إنشاء مجلس شبيه بمجلس النواب البريطانى . ولا أدرى هل كان يطلب حصر السلطة كلها فى مجلس واحد ، أو إنشاء مجلس ثان بمثابة مجلس الشيوخ فى فرنسا ، أو مجلس الأعيان فى انجلترا ، ولا أدرى كذلك هل كان يقصد أن ذلك المجلس النيابى المصرى يسن القوانين لسكان القطر المصرى كلهم بلا فرق ولا تمييز ، أو يسنها لرعايا الحكومة المحلية وحدهم دون غيرهم ...

فلعلى لا أخطئ إذا قلت إن ذلك الحزب يطلب أولا أن تكون الوزارة مسئولة لذلك المجلس ، وأن يتوقف وجودها على بقاء أكثريته معها ، وثانياً أن تكون للمجلس السيطرة التامة على مالية البلاد كما هى الحال فى المجالس التى ينتخب أعضاؤها فى بلاد الإنجليز وفى غيرها من البلدان الأوربية »

ثم قال : « فلو قبل طلبه الأول لأفضى إلى الفوضى بلا مبالغة ، لأنه يثير الدسائس على اختلاف أنواعها ، ويعيد القوة إلى الرشوة التى كانت ضاربة أطنابها فى طول البلاد وعرضها ، ولا تزال إلى يومنا هذا تموت موتاً بطيئاً جداً ، ولا يبعد أنه يعيد أسوأ مساوئ الحكومة الشخصية تحت ستار المجالس الحرة الشورية . ولو قبل طلبه الثانى وتولى المجلس مراقبة المالية ، لأفضى ذلك بالأمة إلى الإفلاس لا محالة ... »

هكذا كان لورد كرومر يقول قبل أربعين سنة فى إبان سيطرة الاحتلال

ومهما يكن الظن بالباعث له على هذا الرأى سواء اعتقده أو غلبت عليه المصلحة السياسية فيه ، فقد كانت الرقابة البرلمانية هى الشرط الذى اشترط الإنجليز عند ما سلموا ببعض الحقوق الوطنية فى سنة ١٩٢٢ ، أى بعد تقرير كرومر بخمس عشرة سنة. فلم يتشاءموا بالحياة النيابية المصرية يومئذ كما تشاءموا بها قبل تلك الفترة ، ولم يجهلوا ما فيها من الضمان أياً كان غرضهم المقصود من ذلك الضمان

ومضت بضع وعشرون سنة على حياة نيابية متقطعة ، فلم يفض الأمر إلى الإفلاس فى ثروة الحكومة أو ثروة الأمة ، بل زادت موارد الحكومة ثلاثة أضعاف ، ونشأت للأمة موارد صناعية وتجارية لم تكن معروفة عند كتابة ذلك التقرير

وعزل لورد كرومر بعد كتابة هذا التقرير بأقل من عام واحد ، فخلفه سير الدون غورست ، وكتب عن الانتخابات المصرية التى حدثت فى أول عهده فقال : « تمت الانتخابات لمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية فى آخر السنة الماضية . ولما كانت الميول قد اتجهت مؤخراً إلى إدخال شكل من أشكال الحكم النيابى إلى هذه البلاد ، فيحسن بى أن أروى بالتمام ما يحدث فى هذه الانتخابات »

وبعد أن أوجز القول عن قانون الانتخاب قال : « فى القاهرة ١٣٤٠٠٠ بالغ مصرى ، ولكن المقيدة أسماؤهم فى السجلات منهم ٣٤٠٠٠ ، وقد بلغ عدد الذين اقترعوا من بين هؤلاء ٥٠٠ فقط ، أى ٤ر١ فى المائة من الذين قيدوا أسماءهم فى السجلات ، و ١ر١ من مجموع الذين لهم حق الاقتراع . وكان عدد المندوبين الذين اقترعوا فى الانتخاب الثانى ١٢ فقط بدلا من ١٣ على عدد دوائر القاهرة لأن الانتخاب لم يتم فى إحدى الدوائر إذ لم يترشح أحد للانتخاب » .

ومضى فى إحصاءات كهذا الإحصاء للدلالة على قلة إقبال الشعب على الانتخاب ثم قال : « ولكن الحال تتبدل متى دخل الانتخاب فى طوره الثانى واجتمع المندوبون لانتخاب أعضاء مجلس المديرية أو الجمعية العمومية أو مجلس الشورى حسبما تدعو الحال ؛ فان الاهتمام يشتد اشتداداً عظيما وينصرف هم المرشحين إلى اكتساب أصوات الناخبين ، وقل أن يتخلف أحد من المندوبين عن الحضور » .

ثم قال : « فالأحوال التى تتم الانتخابات العمومية المصرية فيها تؤيد رأى الذين يرون أن هذه البلاد لا تزال بعيدة جداً عن بلوغ المنزلة التى يستطاع فيها إنشاء شىء من المجالس النيابية الحقيقية ، وقد يتيسر تشكيل مظاهر حكومة كهذه ، وإنما يستحيل ضمان تمثيل آراء أكثرية الأمة تمثيلا صحيحاً فتكون النتيجة الوقوع فى أيدى السياسيين الذين لا يهمهم سوى مصالحهم فيسهل عليهم العبث بالنظام حتى يطابق أغراضهم » .

ثم ختم هذا البحث بالكلمة التى تستحق الوقوف لديها كثيراً لأنها هى النتيجة المستخلصة من جميع هذه المقدمات إذ يقول : « لست أريد أن يحمل كلامى على رغبتى فى الحط من فائدة هذين المجلسين فى شكلهما الحالى أو المعارضة فى ترقيتهما تدريجياً على نسبة قيامهما بتأدية ما نيط بهما بالحكمة والعقل . فان الاقتراحات التى يقترحها هذان المجلسان كانت تقع موقع الاعتبار لدى الحكومة دائماً ، وقد تيسر فى السنوات الأخيرة قبول كثير من اقتراحاتهما مما يدل على أنهما سالكان السبيل القويم ... » .

فالسير الدون غورست لم يكن مقصراً فى تصوير عيوب الانتخاب ، ولا كان عظيم الرغبة فى الشهادة لمجلس الشورى أو الجمعية العمومية ، ولكنه اعترف بالحقيقة التى هى خلاصة البحث فى هذا الموضوع ، وهى أن الهيئات النيابية تأتى بالفائدة التى لا يستغنى عنها أيا كان نظام الانتخاب ومبلغ العناية بإعطاء الأصوات بين الناخبين .

ونحن نعلم من التجربة أن نظام الانتخاب ذو شأن فى الحياة النيابية ، ولكننا لا نبالغ فى شأنه حتى نحسب أنه يغير تمثيل الأمة فى مجالسها الدستورية .

فالطبقة التى يتألف منها مجلس النواب المصرى هى هى بعينها كما جرى الانتخاب على اختلاف القوانين من الدرجة الواحدة إلى الدرجتين ومن المندوبين الثلاثينيين إلى المندوبين الخمسينيين ، وهى هى بعينها بالغاً ما بلغ عدد الناخبين فى العواصم والأقاليم ، لأن ألف ناخب يمثلون العناصر المصرية كما يمثلهم عشرة آلاف أو أكثر من عشرة آلاف ، إذ كان الاختلاف مقصوراً على العدد فلا يتجاوز ذلك إلى الاختلاف فى تركيب البنية الاجتماعية أو تعدد المصالح الطائفية . فمائة ساكن من سكان المدن يمثلون آراء الشعب ويؤلفون عناصره كما يمثلهم أو يؤلف عناصرهم ألف أو ألفان ، ومن أجل هذا لا يصح أن يقال إن قلة الناخبين تخرج للبلد مجلساً لا يمثل أكثرية الأمة كما قال السير الدون غورست فى تقريره . فان الألف تكرار « عددى » للمائة لا يترتب عليه تغيير فى حقيقة المصالح ولا فى حقيقة التكوين

الاجتماعى ولا فى حقيقة التربية السياسية . فلا سبيل إلى تمثيل أصدق من هذا التمثيل بزيادة العدد أو تعديل بعض الشروط .

أما إذا تبدل تكوين العناصر الاجتماعية فى الأمة فيومئذ لا يغنى الألف عن عشرة الآلاف ، ويومئذ يتحرك العشرة الآلاف جميعاً لإعطاء أصواتهم لأن مصالحهم لا تمثلها مصالح ألف منهم أو ألفين ، ويومئذ يتعلق الأمر بالبواعث النفسية التى تحفز الناخب إلى الاهتمام بإعطاء صوته لمن يرضاه ، ولا يتعلق الأمر بالنصوص الحرفية أو بالكمية العددية ، لأن النصوص الحرفية لا تخلق الاهتمام ، ولا تخلق المصالح التى تبعث فى النفوس ذلك الاهتمام .

نعم إن القوانين تحتاج إلى التعديل بين الحين والحين لرفع بعض القيود وتوسيع بعض الحقوق ، وليس هذا الذى ننفيه وننكره لأنه بديهى واضح لا يقبل النفى والانكار ، ولكننا نريد أن نقول إن شأن النصوص والكميات العددية دون ذلك الشأن الضخم الذى يبالغ فيه بعض المعقبين على إحصاءات الانتخابات ؛ لأن تغيير النصوص كما رأينا لم يغير « تركيبة » المجلس النيابى فى مصر لا من حيث الطبقة ولا من حيث الكفاءة ولا من حيث المزايا الاجتماعية أو الخلقية ، ولأن عدد الناخبين يغنى فيه ألف كما يغنى فيه عشرة آلاف ، إذا كان هؤلاء جميعاً على تشابه فى العناصر الاجتماعية والمصالح الطائفية ، فيصح التمثيل القومى بالعدد القليل كما يصح بالعدد الكثير .

***

تلك هى عبرة المقابلة بين نظم النيابة فى العهد الحاضر ونظم النيابة فى عهد الاحتلال .

أما حركة الاستقلال فقد كان لورد كرومر حريصاً على تقرير الواقع فى وصفها حين قال : « ... إذا قلنا إن الحركة الوطنية المصرية الحالية ليست إلا حركة نحو الجامعة الاسلامية لم يطابق قولنا الواقع من كل وجه » ولعله لم يخالف الواقع كثيراً حين وصف تلك الحركة فى أيامه فقال إنها مصبوغة صبغاً شديداً بصبغة الجامعة الاسلامية » ثم عاد فقال : « وإنى على الرغم من جميع الظواهر لا أزال غير مقتنع بأن الميل إلى الجامعة الإسلامية متأصل كثيراً فى الهيئة الاجتماعية المصرية . بل إنى واثق أنه لو كان المصريون يعتقدون إمكان إخراج الآراء المتعلقة بتلك الجامعة من القوة إلى الفعل لانقلب الرأى العام عليها انقلاباً عظيماً سريعاً ... » .

هذه التفرقة بين حركة الاستقلال وحركة الجامعة الاسلامية هى نظرة مشكورة من سياسى انجليزى لا يرضيه إعلان الحقيقة فى هذا الموضوع على التخصيص ، ولكننا على يقين أن الجيل الذى انقضى بعد كتابة التقرير الكرومرى قد فصل فى هذه المسألة فصلا لا يجوز اللبس فيه . لأنه قد أبرز حب الاستقلال الوطنى بمعزل عن العصبية الدينية . فلا يقال إن المصرى يقبل الحكم الأجنبى من أبناء هذا الدين ويرفضه من أبناء ذلك الدين وإنما يطلب الاستقلال لأنه يؤمن بأن مصر للمصريين ، أيا كانت عقائد هؤلاء المصريين .

عباس محمود العقاد

من التاريخ الاسلامي :

# حكاية الهميــــان . !

للأستاذ علي الطنطاوي

[ كتبت بطلب من ( محطة الشرق الأدنى ) لتذاع أول رمضان سنة ١٣٦٥ ]

كان أذان الفجر يصعد من مآذن الحرم في مكة في أول يوم من رمضان سنة أربعين ومئتين للهجرة ، فيهبط على تلك الذرى المباركات من قُعَيْقِعَان وأبي قبيس ، فينساب مع نسيم السَحَر رخياً ناعماً ، يسحب ذيوله على تلك الصخور التي كانت محطة بريد السماء ، ومنزل الوحي ، ومنبع رحمة الله للعالمين ، حتى يمسح ستور الكعبة ، فيتنزل على من في الحَرَم تَنَزُّل النفحات الالهية على قلوب عباد الله المخلَصين ...

وكانت صفوف المؤمنين قائمة للصلاة تدور بالكعبة من جهاتها كلها ، صفوفٌ في الحرم ترى الكعبة وتنعم بالقرب منها ، وصفوف لا تراها ولكنها تتوجه إليها ، وتبصرها بقلوبها ، تقوم وراء الجبال الشمّ والبحار ، في المدن والقرى ، والصحارى والسهول ، والأودية والقمم ، في القصور والأكواخ ، والسجون والمغائر ، في القفار المشتعلة حَرّاً ، والبطاح المغطاة بالثلج . . تتسلسل وتتعاقب لا تنقطع ما امتدت الأرض وكان فيها مسلمون .

* * *

وأمّا أهل مكة الحرم ، ولم يبق في داره إلا شيخ في السادسة والثمانين ، وان محطم ما عليه إلا قميص مشدود بحبل ، وقاموا للصلاة ما يستطيعون الوقوف مما حشوا به بطونهم من طيبات الطعام ، من كل حلو وحامض ، وحار وبارد ، وسائل وجامد ، ووقف يصلي وما يستطيع القيام من الجوع ، فقد أمسك للصوم بلا سحور ، ونام ليلته البارحة بلا عشاء ، وأمضى أمسه من قبلها بلا غداء ... فلما قضى صلاته قعد في محرابه منكسراً حزيناً ، وما كان يفكر في نفسه فلقد طال عهده بالفقر حتى ألفه ، وهوّن إيمانه عليه الدنيا حتى نسي نعيمها وازدراها ، ولكنه كان يفكر في هذه البطون الجائعة من حوله ، وهو كاسيها ومُميلها ، وهذه المناكب العارية ... ولو كان في مكانه رجل آخر قاسي الذي قاساه ، ورأى الأغنياء يبذرون المال تبذيراً ، ويضيعون الألوف في الباطل على حين يحتاج هو إلى الدانق فلا يجده ... لثار على الدنيا ، وذمّ الزمن ، وحقد على الناس ، ولكنه كان رجلا مؤمناً موقناً أن الله هو الذي قسم الأرزاق فأعطى — لحكمة يعرفها — ومنع ، وأن الناس لا يملكون عطاء ولا منعاً ، وأن ما كان لك سوف يأتيك على ضعفك ، وما كان لغيرك لن تناله بقوتك ، رفعت الأقلام وجفّت الصحف .

فقال : إهْ . الحمد لله على كل حال !

وقام فنزع القميص ، ونادى : يا لُبابَة . فجاءت امرأة ملتحفة بخرقة قذرة ، فدفع إليها بالقميص وأخذ الخرقة فالتفّ بها ... فقالت المرأة : يا أبا غياث ، هذا ثالث يوم لم نذق فيه طعاماً ، وهذا يوم صيام وحرّ ... فاذا صبرتَ وصبرتُ أنا فان البنات والعجوز لا يقدرن على الصبر ، وقد هدّهُنّ الجوع ، فاستعن بالله ، واخرج فالتمس لنا شيئاً فلعلّ الله يفتح عليك بدوانق أو كُسَيْرات ندّخرها لفطورنا .

قال : أفعل إن شاء الله .

* * *

وانتظر حتى علت الشمس وكان الضحى ، فخرج يجول في أزقة مكة وطرقها ، وكان الناس قد انصرفوا إلى دورهم ليقيلوا فلم يلْقَ في تطوافه أحداً . واشتد الحرّ ، وتخاذلت ساقاه ، وزاغ بصره ، وأحسّ بجوفه يلتهب التهاباً من العطش ، وكان قد صار في أسفل مكة فألقى بنفسه في ظل جدار . وكان من أكبر أمانيه أن يدركه الأجل فيموت مؤمناً ، فيتخلص من هذا الشقاء وينال سعادة الأبد . وجعل ينكت التراب بيده ، وهو سادر في أمانيه ، فلمس يدَه شيء مستطيل ليّن ، فسحبها ونظر فإذا هو بذنب حيّة مختبئة خلال التراب ، فتعوذ بالله ، ثم عاودته رغبته في الموت ، وتمنى لو تلدغه فتريحه ، ثم ذكر أنه لا ينبغي للمؤمن أن يطلب الموت ، وإنما ينبغي له أن يقول : اللهم أحْيِني ما كانت الحياة خيراً لي ، وأمتني إن كان الموت خيراً لي . فقالها واستغفر الله . وعاد يرقب الحية فاذا هي ساكنة ، فعجب منها

ولمسها برجله فلم تتحرك فبحث عنها وحفر ، فاذا الذى رآه حِزام وليس بحيَّة ، فشدَّه فجاء فى يده (هِمْيان) فيه الذهب ، عرفه من رنينه وثقله ، فأحسَّ كأن جوعه وعطشه قد ذهبا ، وكأن القوَّة قد صبَّت فى أعصابه ، والشبابَ قد عاد إليه ... وتصور أنه سيحمل إلى نسائه الشبع والدعة والراحة ، ويملأ أيديهن مما كنَّ يتخيَّلنه ولا يعرفنَه من نعيم الحياة ورغد العيش ، وجعل يفكر فيما يشتريه لهنَّ ، وكيف يتلقين هذه النعمة التى ساقها الله إليهن حتى كاد يُخالَط فى عقله . ثم تنبه فى نفسه دينه ، وعلا صوت أمانته يقول له : إن هذا المال ليس لك . إنما هي لُقَطة لا بدَّ لك من التعريف بها سنةً فإذا لم تجد صاحبها حلَّت لك . وتصوَّرَ السنة وطولها وهو الذى يبحث عن عشاء يومه ... وهل يبقى حيَّاً سنةً أخرى؟ وهل تبقى أسرته فى الحياة؟ وماذا ينفعه أن يكون الذهب له بعد ما مات من الجوع . ومات معه من يرثه؟ ... وأحسَّ كأن قواه قد خارت ، وودَّ لو أعاد الهميان إلى مكانه ، ولم يكن قد ابتلى بهذه البلية ... ولكنه كان رجلا فقيهاً يعلم أن اللقطة إن مُسَّت فلا بد من التعريف بها ، وإن هو أرجعها إلى مكانها وفقدت كان المسئول عند الله عنها ، أما إذا لم يمسَسْها فلا شىء عليه منها ...

وجعلت الأفكار تصطدم فى رأسه وتتراكض وتصطرع حتى شعر أن عظم صدغيه سيتكسر من قرع الأفكار المتراكضة فى رأسه ، وطفق يسمع صوتاً يهتف به أن : خذها فهى رزق ساقه الله إليك . ادفع بها الموت عن بناتك اللاتى أطاف بهنَّ الموت . أشبع بها هذه الأكباد الغرثى . اكْسُ هذه الأجساد العارية ، ثم إذا أيسرتَ رددتها إلى صاحبها ، أو دفعتها إليه ناقصة دنانير لن يضرَّه على غناه نقصها . ثم يسمع هاتف دينه يقولَ له : اصبر يا رجل ولا تخن امانتك ، ولا تعصِ ربَّك .

وعقد العزم على الصبر ، واستعان بالله ، وذهب إلى داره يخبِّئُ الهميان حتى يجيء صاحبه ... أو يحكم الله فيه ..

* * *

ودخل الدار متلصصاً ، فرأته امرأته فقالت : ما جاء بك يا أبا غياث؟

قال : لا شىء . وأحب أن يكتمها خبر الهميان ، وما كان يكتمها من قبل أمرا .

قالت : بلى والله ؛ إنَّ معك شيئاً ، فما هو؟

فخاف أن تراه فيُستطار لبها . فقص عليها القصة ، وكانت امرأة تقيَّة ديِّنة ، ولكنها أضعف منه إرادة ، وأوهن عزماً ، فقالت :

افتحه . وخذ منه دنانير اشتر لنا بها شيئاً ، فإنا مضطرون والمضطر يأكل الميتة ...

قال : لا والله ، ولئن مسسته أو خبرتِ خبره أحداً فأنت طالق .

وتركها مغيظة محنقةً وخرج يبحث عن صاحبه ، لعله يأخذ منه شيئاً حلالا يدفع به الضرَّ عن عياله .

* * *

ومشى إلى الحرم ، وكان فيه شاب طبرى طالب علم .

قال الشاب الطبرى : ( فرأيت خراسانياً ينادى ، معاشر الحاج من وجد هميانا فيه ألف دينار فردَّه علىَّ ، أضعف الله له الثواب . فقام إليه شيخ من أهل مكة كبير من موالى جعفر ابن محمد ، فقال : يا خراسانى ، بلدنا فقير أهله ، شديد حاله ، أيامه معدودة ، ومواسمه منتظرة ، ولعله يقع فى يد رجل مؤمن يرغب فيما تبذله له حلالا ، فيأخذه ويردّه عليك . قال الخراسانى : يابا . وكم يريد؟ قال : العُشر ، مئة دينار . قال : يابا . لا نفعل ولكن نحيله على الله تعالى . وافترقا ) .

قال الطبرى : ( فوقع لى أن الشيخ هو الواجد للهميان فاتبعته ، فكان كما ظننت ، فنزل إلى دار مسْفَلة زرِيّة الباب والمدخل ، فسمعته يقول : يا لبابة ! قالت : لبيك أبا غياث . قال : وجدت صاحب الهميان ينادى عليه مطلقاً . فقلت له : قيده بأن تجعل لواجده شيئاً ، فقال : كم؟ قلت : عُشره . قال لا نفعل ، ولكنا نحيله على الله عز وجل ، فأيْش نعمل؟ لا بد لى من ردِّه . فقالت له : نقاسى الفقر معك منذ خمسين سنة ، ولك أربع بنات وأختان وأنا وأمى وأنت تاسع القوم ) .

يا أبا غياث إن الله أكرم من أن يعاقب رجلا يحيى هذه الأنفس ، إنك لم تسرقه ولم تغصبه ، ولكن الله هو الذى وضعه

بين يديك ، فلا ترفض نعمة أنعم الله بها عليك ، إن الله يسألك عن هؤلاء النسوة ...

وتصور الشيخ بناته جائعات عاريات ، والعجوز المسكينة أم لبابة وقد جفّ جلدها على عظمها فصارت كأنها الحطبة الجوفاء تتردد فيها الانفاس ، ففاضت نفسه رقة عليهن فسال دمعه على شيبته ، ورأت المرأة ذلك فازداد طمعها فيه ... ثم رأته يعبس وتبدو عليه الصرامة ... لقد ودّ لو استعان بشيء من هذه الدنانير ... ولكنه ذكر أنه صبر خمسين سنة فما كان ليضيع ذلك كله فى لذة يوم ، وذكر أنه على شفير القبر وأنه سيلقى الله فما كان ليلقاه خائناً أمانته ، أما عياله فلهم الله ، والله أرأف بهم وأشفق عليهم ، وشدّ من عزمه ، وصاح بها :

( لست أفعل ، ولا أحرق حشاشتى بعد ست وثمانين سنة ) .

قال الطبرى : ( ثم سكت وسكتت المرأة . وانصرفت أنا ) .

* * *

وأذّن المغرب ، وقعد الشيخ ونساؤه على كُسَيرات وتمرات التقطها لهم ... وقعد الناس من حولهم على الموائد الحافلات بشهى الطعام ، تفوح من بيوتهم روائح الشواء والحلواء يأكلونها ويستمتعون بها ، وينسون أن رمضان شهر الإنسانية والإيثار ، وأن الله ما فرض علينا الصيام للجوع والعطش والعذاب ... ولكن ليذكرنا هذا الجوع الاختيارى الموقوت أن فى الدنيا من يجوع جوعاً إجبارياً لا حدّ له ينتهى عنده ، وليكون لنا من أعصابنا وجوارحنا مذكر بالاحسان . فمن يقعد إلى مائدته الحافلة بالطعام ، وجاره يتلوى من الجوع ، لا يفكر فيه ولا يشاركه طعامه فما صام ولا عرف الصيام ، وإن جاع نهاره كله وعطش ...

إن العادة تضعف الحسّ ، وإن إلْفَ النعم يذهب لذتها ، فأوجب الله الصيام علينا لنذوق مرارة الفقر فنعرف حلاوة الوجدان ، ولنشتهى فى النهار اللقمة من الخبز الطرىّ ، والجرعة من الماء البارد ، فنعلم أن هذه اللقمة الطرية وهذه الجرعة الباردة نعمة من النعم فلا ندع الإحسان مهما كان قليلا ، ولا نزهد فى صدقة نقدر عليها . ولقد كان لابراهيم الحربى رغيف كل يوم ليس له سواه ، فكان يترك منه كل يوم لقمة حتى إذا كان يوم الجمعة أكل هذه اللقم وتصدق بالرغيف ...

كان الشيخ يفكر فى هذا ، فيألم لما صارت إليه حال المسلمين ، ثم يذكر أن الله هو ملهم الخير ، ومصرّف الأرزاق ، فيحمده حمد رجل مؤمن راضٍ ... وأمضى ليلته الرابعة بلا طعام ، لأنه ترك التمرات والكسيرات للعجوز والبنات يتبلغن بها ...

* * *

قال الطبرى : « فلما كان من الغد سمعت الخراسانى يقول : معاشر الحاج ووفد الله من حاضر وباد ، من وجد هميانا فيه ألف دينار وردّه أضعف الله له الثواب . فقام الشيخ إليه ، فقال : يا خراسانى قد قلت لك بالأمس ونصحتك ، وبلدنا والله فقير قليل الزرع والضرع ، وقد قلت لك أن تدفع إلى واجده مائة دينار فلعله يقع فى يد رجل مؤمن يخاف الله عز وجل ، فامتنعت . فاجعل له عشرة دنانير منها فيرده عليك ويكون له فى العشرة ستر وصيانة .

فقال له الخراسانى : يابا . لا نفعل ولكن نحيله على الله عز وجل . ثم افترقا .

فلما كان اليوم الذى بعده سمعت الخراسانى ينادى ذلك النداء بعينه ، فقام إليه الشيخ . فقال ، يا خراسانى : قلت لك أول أمس العشر منه ، وقلت لك أمس عشر العشر عشرة دنانير فلم تقبل ، فأعطه ديناراً واحداً عشر عشر العشر ، يشترى بنصف دينار قربة يسقى عليها المقيمين بمكة بالأجرة وبالنصف الآخر شاة يتخذها لعياله .

قال : يابا . لا نفعل ولكن نحيله على الله عز وجل .

فرأى الشيخ أن لا حيلة له فيه ، وانقطع آخر خيط من حبال آماله ، وتوهم حالة بناته وأختيه وزوجته وأمها ... وأن هذا الخراسانى منعهم ديناراً واحداً من ألف يدفعون به الجوع والعرى والموت الكامن وراءهما ، ورأى الألف كلها بيده فحدثته نفسه بأن يمسكها ، أو يدفعها إليه ناقصة ديناراً ، ولكنه ذكر الله والحساب فاستعاذ بالله من هذا الخاطر ، وهل يشترى الشقاء الدائم باللذة العاجلة ، وهو يعلم أن لذات الدنيا كلها لا تنسى كربة واحدة من كرب يوم الحشر ، وشقاءها كله تذهبه نفحة

واحدة من نفحات الجنة ؟ لا والله ، ولقد روى فى الحديث أن « من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه » ، فترك له الهميان ، وقال للخراسانى :

تعال خذ همیانك ...

فقال له : امش بين يدى ...

قال الطبرى : « فمشيا وتبعتهما ، حتى بلغنا الدار . فدخل الشيخ فما لبث أن خرج ، وقال : ادخل ياخراسانى ، فدخل ودخلت ، فنبش الشيخ تحت درجة له فأخرج الهميان أسود من خرق غلاظ ، وقال : هـذا همیانك ؟ فنظر إليه ، وقال : هذا همیانی .

ثم حلّ رأسه من شدّ وثيق ثم صب المال فى حجره وقلّبه مراراً ، ثم قال : هذه دنانيرنا » .

وكانت لبابة والبنات ينظرن من شق البـاب إلى الذهب الذى نسين لونه وشكله ، وحسبنه قد فقد من الأرض ، كما ينظر الجائع إلى قدور الطعم ... يتمنى لقمة منها يشد بها صلبه ...

« وأعاد الرجل الذهب إلى الهميان وشدّه . ووضعه على كتفه وقلب خلقانه فوقه وخرج » . ولم ينظر فى وجه الشيخ ، ولم يلق فى أذنه كلمة شكر ... وأحست لبابة كأنه قد اختطف وحيدها ، وكأن شعبة انخلعت من قلبها ، فطارت وراءه ، وشُـده البنات ، ولبثن مفتوحات الأشداق ، دهشة وذهولا ... فلما ابتعد وأيسن منه سقطن على وجوههن من الجوع والضعف واليأس ...

وسمع الشيخ حركة ، فنظر فاذا الخراسانى قد رجع ... فرفع إليه رأسه ينظر ماذا يريد ، وكان أولى به أن يعرض عنه ، وأن يبغضه ، وقد منعه ديناراً واحداً يحيي لو جاد به عليه هذه الأنفس المشرفة على الموت ، ولـكن الشيخ كان رجلا سمحاً لايتسع قلبه لبغضاء ، فقام إليه وسأله عما رجع به ، فقال الخراسانى:

« يا شيخ ، مات أبى وترك ثلاثة آلاف دينار ، فقال ، أخرج ثلثها ففرّقه فى أحقّ الناس عندك له ، وبع رحلى واجعله نفقة لحجك ، ففعلت ذلك ، وأخرجت ثلثها ألف دينار ، وشددته فى هذا الهميان ، وما رأيت منذ خرجت من خراسان إلى الآن رجلا أحق به منك ، فخذه بارك الله لك فيه .

ووضعه وولى » .

قال الطبرى : « وكنت قد ذهبت فما راعنى إلا الشيخ يسرع خلفى يدعونى ، فرجعت إليه فقال لى : لقد رأيتك تتبعنا من أول يوم ، وعلمت أنك عرفت خبرنا ، وقد سمعت أحمد بن يونس اليربوعى يقول : سمعت مالـكا يقول : سمعت نافعاً يقول : عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر ولعلى رضى الله عنهما : إذا أتاكم الله بهدية بلا مسألة ولا استشراف نفس فاقبلاها ، ولا تردّاها فترداها على الله ؛ فهى هدية من الله والهدية لمن حضر . فسر معى .

فسرت معه . فقال لى : إنك لمبارك ، وما رأيت هذا المال قط ، ولا أمّلته قط ، أترى هذا القميص ؟ إنى والله لأقوم سحراً فأصلى الغداة فيه ، ثم أنزعه فتصلى فيـه زوجتى وأمها وبناتى وأختاى واحدة بعد واحدة ، ثم ألبسه وأمضى أكتسب إلى ما بين الظهر والعصر ، ثم أعود بما فتح الله به علىّ من اقط وتمر وكسيرات كمك فنتداول الصلاة فيه ...

حتى إذا وصلنا إلى الدار نادى : يا لبابة يا كيتنه يا فلانة وفلانة ، حتى جئن جميعاً فأقعدهن عن يمينه ، وأقعدنى عن شماله ؛ وحلّ الهميان وقال : ابسطوا حجوركم ، فبسطت حجرى ، وما كان لواحدة منهن قيص له حجر تبسطه فمددن أيديهن ، وأقبل يعد ديناراً ديناراً ، حتى إذا بلغ العاشر قال ، وهذا لك ، حتى فرغ الهميان فنال كل واحدة منهن مائة دينار ، ونالنى مائة »

* * *

ولما أذن المغرب ، وحف نساء الشيخ بمائدة كموائد الناس ، عليها الطيبات من الطعام ، قال لامرأته :

أرأيت يا لبابة ؟ يا لبابة إن الله لا يضيع أجر الصابرين ، إن الله هو أرحم الراحمين يا لبابة ، لقد منعنا أنفسنا ديناراً حراماً ، فجاءنا الله بألف حلال . وأكل الشيخ لقيمات ، ثم قام ليخرج ، فقالت له امرأته :

إلى أين يا أبا غياث ؟

قال : أفتش ، فلعل فى الناس فقيراً صائماً ، لا يجد ما يفطر عليه ، فنشركه فى طعامنا ..

من لغو الصيف :

# صراصير ....!

للأستاذ سيد قطب

— ٢ —

... لقيني صاحبي ذاك — أو صاحب البها زهير — على محطة بسيدي جابر ، متهلل الوجه ، منطلق الأسارير ... قال : لقد وجدت لك داراً هادئة توافق أمثالك الشعراء !

قلت : خير وبركة ، وشكرت وانطلقت إلى الدار

ولكن ماذا ؟

يا لعنة الله ! أهذه هي الدار التي توافق الشعراء ؟ أهذا هو الشعر عندك يا صديق البها زهير ؟ يا رحمة للشعر والشعراء !

أيها القارئ :

أرأيت السراديب والكهوف ؟ أم هل سمعت عن السراديب والكهوف ؟ تلك هي الدار التي فهم صاحبنا أنها توافق أمزجة الشعراء !

تلك جناية بعض المتصعلكة على الشعر ، فلقد مرت فترة كان الشعر فيها هو البؤس ، أو هو التباؤس ، ولم يكن الناس يصدقون أن فلاناً شاعر إلا إذا بدا في مزق مهلهلة ، متنكت الشعر ، يضم تحت إبطه « رزمة » من ورق الصحف القديمة ، ويحشو جيوبه الممزقة بخرق من الورق الخلق ، وقطع من علب السجائر وما إليها ، دوّن فيها شعره ، ولا بد أن يقول للناس : إنه جائع ، وإنه « خرمان » سجاير و « كيوفاً » أخرى ... وإلا فما هو بشاعر !

ووجد هؤلاء بعض من يعطف عليهم ، إما تظرفاً وتباهياً بالعطف على الشعراء ، وإما رحمة حقيقية لهذه الحال البائسة !

وكان هؤلاء البائسون ، أو المتبائسون ، يعيشون في جحور أو يقولون : إنهم يعيشون في جحور ، ويصفون « صراصيرها » وفيرانها وعنا كبها في كلام يهتز له بعض الناس — ولو لم يكن فيه شيء من الفن — لمجرد التظرف والتفكه ، ومن هنا اختار لي صاحب البها زهير ، تلك الدار ... !

***

الصراصير ...

ولكن ... أهذه صراصير ؟ !

إنني أعرف الصراصير جيداً ... أعرفها في حلوان ! فقد شاء السَّفه الذي يستحق الحجر من القضاء الشرعي ، أن تهمل هذه الضاحية الجميلة الفريدة بين بلاد العالم كله — كما يقول العارفون — بهوائها وتربها ومياهها وارتفاعها ، حتى تصبح أكواماً من الأتربة ، ومجاريْ من القاذورات ، تسبح فيها وتعيش شتى الهوام والحشرات !

ومن هنا كانت صراصير حلوان ، تلك التي كتبت في شأنها على صفحات الصحف مرات ...

وقيل لي : اسكت فلا فائدة من الكتابة ، فرنين الكلمات غير رنين الجنيهات ، ومنطق العبارات غير منطق « الشيكات » . وهناك شركات أجنبية يهمها ألا تقوم لحلوان قائمة ، ومنطقها هو منطق الشيكات ، فأين يذهب منطقك أنت ، ولو كان هو منطق الحق والعدل والحياء ؟ !

---

ذيل القصة :

قال الشيخ الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري[1] :

« وقد نفعني الله بهذه الدنانير فتقوَّتُ بها ، وكتبت العلم سنين ، وعدت إلى مكة بعد ست عشرة سنة فوجدت البنات ملكات تحت ملوك ، وعلمت أن الشيخ توفى بعد ما فارقته بشهور ، فكنت أنزل على أزواجهن وأولادهن فأروى لهن القصة ، ويكرمونى غاية الاكرام .

وسألت عنهم بعد ذلك بأربعين سنة فعلمت أنه لم يبق منهم أحد ، رحمة الله عليهم جميعاً » .

**علي الطنطاوي**

---

(١) وجدت هذه القصة مخطوطة في مجموع من مجموعات المكتبة العربية في دمشق مروية عن الطبري بالسند المتصل وقد وضعت عبارة الأصل بين قوسين كبيرين

وسكتُ من يومها وتركت أمر حلوان لله ، وليقظة الضمير العام ، حين يستيقظ ذلك الضمير العام !

المهم أننى فى حلوان تعرفت على جميع «عائلات الصراصير» وصنوفها وأشكالها ، ولم أجد من بينها نظيراً ولا شبيهاً لصراصير تلك الدار التى اختارها لى صاحبى ، أو صاحب البها زهير !

وما هذا أنت الذى تبص وتتوارى فى ثقب الجدار ؟ إنك لست بصرصار ... وإلا فأين خبرتى بكل صنوف الصراصير فى حلوان ؟

أوه . . خيبة الله عليك ! هذا أنت « صرصار » عجوز ، فقد لونه الذهبى ، وفقد أحد شاربيه أيضاً ، وتقلص ظهره وانكمش وتضاءل ، حتى بدا فى هيئة الخنفساء ! تعال هنا ... يا لعنة الله عليك ! أو هكذا تغشنى فيك ، وتعبث بمعارفى كلها فى عالم الصراصير ؟ !

***

لا يا عم ! لا يا صاحب البها زهير ، لا ويفتح الله ، ان أقيم فى دار الصراصير هذه ، أو فى دار الشعراء !

وكلها « فركة كعب » بين الصراصير وبعض الشعراء ، لا أولئك الشعراء البائسين أو المتبائسين الذين تحدثت عنهم فى الفقرة السابقة ، ولكن هؤلاء الشعراء الذين كثروا فى هذه الأيام ، شعراء الحفلات والمناسبات والسهرات والرحلات !

يا لعنة الله !

لقد كنا استرحنا فترة من « شعراء المناسبات » ، ففى عام ١٩٣٢ أخرجت كتيباً صغيراً اسمه « مهمة الشاعر فى الحياة وشعراء الجيل الحاضر » ، وحملت فيه حملة شعواء على شعراء المناسبات ، أولئك الذين قلت عنهم : إنهم كخدم الفنادق يستقبلون كل قادم ويودعون كل راحل بنفس الابتسامة ، ويعدون أيام العظماء والمشهورين ليعدوا لهم — مقدماً — قصائد الرثاء ! إنهم يأكلون على كل مائدة كالقطط الضالة ! أستغفر الله ، بل كالصراصير !

لقد تطوروا أخيراً مع الزمن ، فلم يعودوا يقولون فقط فى « مناسبات » التكريم والرثاء ، بل امتد رشاشهم .. فأصاب القمر وفصول السماء ! ... صراصير ! !

***

واخترت داراً أخرى غير دار الشعراء ! والدور فى الأسكندرية كثير فى هذا العام . إن « أغنياء الحرب » لم يزحموها تماماً . فالكثيرون قد ذهبوا إلى أوربا ولبنان ، وأغنياء الحرب الذين أعنيهم ليسوا هم الذين أغنتهم هذه الحرب وحدها ، فغيرهم كثير فى تاريخ هذا الشعب قد اغتنوا فى حروب ، حروب طويلة ، لا بين الدول ، ولكن بينهم وبين الشعب المصرى المنكوب !

حروب الجشع والطمع ، والغدر والخيانة ، وحروب التسفل والتبذل ، ولو سن قانون : من أين لك هذا ؟ لتكشفت أشياء وأشياء !

كثيرون من هؤلاء يسمون « الطبقة الأرستقراطية » ووسائل إثراء الكثيرين منهم — على مدى التاريخ — مما يندى له الجبين ، بعضهم دفع أعراضاً ، وبعضهم دفع خدمات لا يقوم بها الشرفاء . . ثم صاروا فيما بعد « أرستقراط » !

كثيرون من هؤلاء لم يزحموا الأسكندرية فى هذا العام ، لأنهم فى أوربا أو لبنان ، وقليلون منهم فى الأسكندرية ، ولهم حديث خاص فى « لغو الصيف » فلندعهم الآن !

***

واسترحت فى الدار الجديدة شيئاً ، وأخذت سمتى إلى الشاطئ ... هذا هو البحر ، إننى أعرفه هذه هى الحياة المرحة القوية تدب فى أوصالى . هذا هو صدرى المقوس ينشدُ لاستقبال هوائه الجذل ، هذه هى نفسى المنقبضة تتفتح لاستجلاء المنظر البهيج ، هذه هى أعصابى المكدودة تستروح وتنشط وتحيا .. وعرائس البحر ... ؟

ويحى ! إننى لا أرى هنا عرائس ولا حتى شياطين .

إن العرائس والجنيات ، لأطياف هائمة طليقة ، خالصة من الضرورات والقيود . ولكنى أحس هنا ثقل الضرورات وصلصلة القيود . هنا أجساد تشدها الغريزة ؛ هنا لحم . لحم فقط يكاد يتجرد من الروح . لحم قذر رخيص .

هنا صراصير !

محال أن تقنعنى أن هذه التى تتخلع مع زميلاتها ، وهى تقطع « البلاج » ذهاباً وإياباً بلباس البحر « المايوه » وكل ما فيها جسد يتخلج بالغريزة الهابطة ... وأن هذا الفتى الذى يتدسس بالنظرة الخائنة إلى مواضع الضرورة فى هذه الأجساد المتخالجة ، بينما يلقى بنظره متباهياً على مواضع الحيوانية فى جسده «بالمايوه» ... محال أن تقنعنى أن هؤلاء أو هؤلاء ، عرائس بحر ، أو — حتى « شياطين »

إن الشيطان لأنظف وأرشق وأخف ، وأكثر انطلاقاً من القيود ! هنا لحم . لحم فقط . لحم رخيص !

رخيص . فكثير من هذه الأجساد العارية يفقد حتى قيمة اللحم العزيز . لست أشك الآن فى أن الملابس من صنع حواء . فهذا التستر وهذا الخفاء هما مبعث الفتنة والأشواق — حتى الجسدية — وحين يتجرد الجسد نفسه يموت !

ولكن المرأة فى هذا الجيل تفقد حتى فطنة الغريزة وسلامتها . إنها الشهوة المريضة . شهوة الحيوان الضال الهزيل ، لا الحيوان الفاره الأصيل !

***

وبين يوم وليلة قدمنى أصدقاء إلى كثيرات ، وقدمتنى صديقات إلى كثيرين !

الإباحية ! التى لا تخجل ولا تستحى ولا تغار !

هنا الصداقات السريعة : يبدأ التعارف ضحىً . ويتم كل شىء فى المساء . وفى الصباح التالى يتفرق الجميع ؛ وتتبدد الصداقات ، كأن لم يكن هنا لك شىء . ويبحث الجميع عن شىء جديد !

سعار ... !

وفى المساء جلست أتناول طعامى . وعلى المائدة المقابلة جلس أربعة شخوص : إنهم لا يحوجون أحداً للتسمع . فالأصوات جهورية ، والضحكات رنانة .

هذه سيدة شابة ، خاتم الرباط المقدس فى يدها اليسرى . وهذه فتاة خاتم الرباط المقدس فى يدها اليمنى ... وما هذان ؟ ليسا زوجاً ولا خطيباً ، فأصابعهما خلو من كل قيد !

وزجاجات البيرة ... والضحكات والغمزات ...

ويحى !

إن الرجلين ليطأطئان رأسيهما خجلا ، لنكتة خارجة ترسلها السيدة ، وتتضاحك لها الآنسة ... نكتة فى الصميم !

ولقيت سيدة بعد لحظات فلم أتمالك أن أقص عليها ما شهدت . سيدة من أسرة . لها زوج ولها عائلة وقالت تعلق على الحادث : يا سيدى نحن فى المصيف ! إن أسخف سيدة هى التى تستصحب زوجها فى مصيفها ، ماذا تأخذ ؟ وماذا يستفيد ؟ يجب أن يذهب إلى مصيف وتذهب إلى مصيف ، لتكون هنالك قيمة للتصييف !

فلسفة المغامرة ! ومنطق الجموح !

***

رباه ! أتكون هذه هى مصر وأنا لا أدرى ؟ إننى رجل متخلف . لست — مع الأسف — من « التقدميين » فى هذا الجيل !

ولكن لا . إن مصر لشىء آخر . وإلا لانهارت إلى الحضيض . مصر لا تزال أمة . ولن تقوم أمة على هذا الأساس المنهار :

إنما هى حفنة من الرقعاء الذين لا أعراض لهم ، ظلوا يهتفون للمرأة بهذا النشيد : وأوتى بعضهم أقلاما وصحفا ، فلكى يرتعوا فى كلأ مباح ومن أجل هذا الغرض الصغير ، حاولوا إتلاف أمة ، وإضاعة شعب . ولكن لم يستسلم لهم إلا عدد محدود ! عدد يطفو على سطح المجتمع كما تطفو الجيف فيتمتعن بنشر أسمائهن ونشر صورهن ... أما الحرائر فهن هناك فى البيوت ، لا تقع عليهن أنظار هؤلاء الرقعاء ، ولا عدساتهم المصورة . ولا تلوك الألسنة أسماءهن فى هذا الجيل !

***

وأحسست أنى أختنق داخل الجدران ، فخرجت . خرجت إلى البحر والليل .. لا أحد هنا على « البلاج » ...

أيها البحر ... إنك هنا الشىء الوحيد النظيف !

سيد قطب

# تاريخ جحا ...

للأستاذ كامل كيلانى

- ٢ -

٩ — شخوص مجوية

وكما أسند القصصى الجحوى إلى جحا التركى ، ممثلا فى الأستاذ نصر الدين ، أسند مثله — أو قريب -- إلى جحا الألمانى ممثلا فى :

« تِلْ أُوبْلن شبيجل »

أعنى « تل » الملقب بـ « مرآة البومة » و « جحا » اليونانى ممثلا فى « ديوجين » « Diogéne »

و « جحا » الفرنسى يمثله السادة : « دى كراك » مرة « M M de crac »و« دى لاباليس » « de la Palisse » مرة ثانية و « ميشيل موران » « Michel Morin » مرة ثالثة وفى مرسيليا نرى « مسيو بونوس » « M Bonosse » و « كالينو » « Calino » و « ماريوس » « Marius » وفى باريس «دوق دى سان سيمون» «duc de saint simon»

وما إلى هذه الشخصيات الجحوية المتخيلة الفاتنة التى تشيع فى أرجاء فرنسا وغيرها روح الدعابة البريئة والتهكم الساذج .

كما أسند إلى جحا الفارسى ممثلا فى « طلحة » ، وجحا الهندى ممثلا فى الشيخ تشللى ، وجحا الأرمنى ممثلا فى أرتين . وجحا الانجليزى يمثله فى انجلترة « سمبل سيمون » « Simple Simon » .

وقد ذاعت فى بريطانيا أسماء طائفة من القديسين ، افتن الظرفاء والمتظرفون فى إسناد طرائف من الدعابة إليهم ، ونحلوهم ما شاء لهم الخيال الخصب من فنون الفكاهات الحلوة المحببة ، والنكات البريئة المستعذبة . فاشتهر فى إيرلندة « بات » وهو — كما يرى القارىء — ترخيم لاسم القديس « باتريك » « Saint Patric » ، وقد كاد يصبح لقبا على كل إيرلندى فى معرض الدعابة والتنادر ، والتمثيل للسذاجة وطيبة القلب .

واشتهر فى اسكتلندة « داود » « Saint David » وكاد يصبح علما على كل اسكتلندى ، وافتن المتخيلون فى إسناد كل ما خطر ببالهم من نوادر البخل والتقتير .

واشتهر « أندراوس » « Saint Andreus » كذلك فى جنوب انجلترة ، فى بلاد الغال ( الويلز ) ، كما اشتهر جورج « Saint jeorge » فى انجلترة .

وقد أصبحوا — على توالى الزمن — أعلاما للفكاهة والمرح فى بلادهم ، ثم ذاعت بدائعهم فى العالم ، فأشاعت فى أرجائه ألوانا مشرقة من البهجة والسرور .

* * *

وليست شخصية « دون كيشوت » إلا لونا مبتدعا جديداً لشخصية جحا كما يتخيلها الأسبان .

وقلما تخلو أمة من مثال قريب أو بعيد لهذه الشخصية المرحة الطريفة ، وقد طوَّع القصاصون كثيراً من الطرائف والرموز الجحوية ، وفصَّلوا منها أنماطاً فكرية ألبسوها عرائس أفكارهم وآرائهم .

ولم تلبث الصورة الجحوية على مدى الأزمان واختلاف الأمم التى تناقلتها أن تشكلت بألوان العصور والأمم التى قبستها . كما يتشكل الماء بلون الإناء الذى يستودع فيه .

١٠ — فبراير :

إن البحث ليطول إذا لم نوجزه إيجازاً حتى ليضيق الوقت الفسيح بتفصيل قليل من كثير مما عرضنا له .

وبحسبنا أن نقرر الآن فى هذه الإلمامة الخاطفة أن جحا التركى كاد يكون نسخة مكررة من جحا العربى ، وإن ضاع قبر الثانى فلم يعرف له مكان كما ضاع الكثير من آثاره فلم يهتد إليه . وبقى قبر الأول مزاراً يحج إليه فى مقبرة « آق شهر » .

١١ — من آراء الناس :

وقد غلا بعض الناس ، فكاد يلحق الجحين كليهما

بالأولياء والأطهار والقديسين الأبرار .

وغلا آخرون ، فكادوا يتمثلون كليهما آية من آيات الغفلة والبله ، ومثلا من أمثلة الغباء والحماقة ، وتمثلهما آخرون نموذجا للخداع والتلبيس ورمزاً للغش والتدليس .

### ١٢ — مذهب « أبى الغصن » :

ومهما يكن من أمر ، فقد كان كلا الجحيين ذكياً بارعاً ، راجح العقل ، محدَّثا ( أى : ملهماً صادق الفراسة ) ، يتغابى فى غير غباء ، ويتباله فى غير بله ، ويمكر فى غير خبث ، ليخلص من كيد الكائدين ، وينجو من بطش المعتدين .

ورحم الله شوقى بك القائل :

« إذا الفتنة اضطرمت فى البلاد ورمتَ النجاة ، فكن إمَّعه »

( والإمعة كما تعلمون ، هو الذى يقول لكل إنسان أنا معك )

وإليكم شعار الأول أعنى شعار : « أبى الغصن عبد الله دجين بن ثابت » المعروف بجحا العربى ، وهو يلخص رأيه فى الحياة أبدع تلخيص :

« مذهبى فى الحياة صبر جميل هل ينجِّى من البلاء عويل
لم أضق بالحياة ذرعاً ، وعندى بسمات للخطب وهو جليل
لا أرى فى الوجود إلا جمالا كل ما فى الوجود حُسن أصيل
أضمرُ الصفح والمحبــة للنا س ، إذا ما أساء باغٍ جهول
الأمانىُّ عــذبة أسعدتنى فخياتى بهن حُلْمٌ جميل
وحماقات من أرى أضحكتنى وتمنَّى بها غضوب ملول
إنما يغلب الزمان صبور واسع الصدر باسم بهلول
لا يهاب الخطوب إن دهمته سوف يتلو الأحزان أنس طويل
كل خطب إذا صبرت تولَّى ، وتجلى ، وكل حال تحول »

### ١٣ — مذهب نصر الدين :

وهو بهذا يلتقى مع فلسفة الأستاذ نصر الدين خوجة أو جحا التركى كما يسمونه ، الذى اتخذ شعاره فى الحياة قوله :

« مذهبنا أن نتسلى بالحياه
بما نلاقى من سرور وأذاه
فالكون محبوب بهيج ما حواه
وما نرى إلا جميلا ما نراه »

### ١٤ — تشابه المذهبين :

على أن كلا الجحيين كان كما يقول فيلسوف المعرة :

« إذا سألوا عن مذهبى فهو بين وهل أنا ، إلا مثل غيرى أبله
خلقت من الدنيا ، وعشت كأهلها أجدُّ كما جدُّوا ، وألهو كما لهوا »

فقد أحسن المعرى التعبير عنهما ، بهذين البيتين ، وإن كان يفصله زهاء قرنين من الزمان بعد مولد أولهما وثلاثة قرون قبل مولد الآخر منهما . وكأنما ألهما المعرى قوله :

« إن جدَّ عالمك الأرضى فى نبأٍ يغشاهم ، فتمثل جدَّهم لعبا »

وقوله :

« تَرَجَّ — بالطف القول — ردَّ مخالفٍ
إليك ، فكم طِرْفٍ يسكَّن بالنقْر »

### ١٥ — تشابه الرجلين :

لقد تشابه الجحيان — كما أسلفت لحضراتكم — كما تشابه الموز أو البرتقال فى رأى بعض الشعراء حين قال :

... ... ... ... ... فالفم ملآن به فارغ
سيانِ قلنا : مطعم طيب فيه ، وإلا مشرب سائغ »

تشابه الرجلان وامتزجت آثارهما ، بعضُهما ببعضٍ ، كما امتزجت — بعد ذلكم وقبله — بالكثير من آثار غيرهما من الشخصيات الجحوية وما إليها . وما أضيف عليها مما تخيله المتخيلون ، وانتحله المنتحلون ، حتى أصبحت كلمة « جحا » الآن كافية للتعبير عن كل جحا ، فى كل عصر ، وفى كل أمة ، كما أصبحت كلمة « خرافة » أيضاً كافية للتعبير عن كل حديث خيالى لا حقيقة له : قديماً كان أو حديثاً ، رائعاً أم سخيفاً ، عربياً أم أعجمياً ، شرقياً أم غربياً ، وقد أصبح الرمز الجحوى — على توالى الأجيال — أشبه بالرمز الجبرى ، فإن « س » تارة تساوى مليوناً من الجنيهات ، وتارة تساوى عشر تفاحات ، وثالثة ست دجاجات ، ورابعة صفراً .

وقد ألف « كارليل » — فيما يعلمه الكثيرون منكم — كتاب الأبطال ، فتحدث عن البطل فى صورة نبى ، والبطل فى صورة زعيم ، والبطل فى صورة قائد ، والبطل فى صورة شاعر وهكذا .

صور من العصر العباسى :

# الخلفاء العباسيون والهدايا

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ١ —

درج الناس فى العصر العباسى على تقديم الهدايا للخلفاء ، ونلاحظ أن هذه الهدايا كانت تقدم فى النيروز والمهرجان ، وفى الفصد ، وفى العودة من الحج ، هذا عدا الهدايا التى كانت تحملها الرسل الواردة على الخليفة من الولاة والأمراء ، أو من ملوك الروم

أما الهدايا فى النيروز والمهرجان ، فعادة فارسية أخذها العرب عن الفرس منذ فجر العصر الإسلامى . ويقول الجاحظ إنها كانت معروفة زمن معاوية ، وظلت كذلك طول عهد الأمويين ، حتى جاء عمر بن عبد العزيز فأبطلها . فلما دالت دولة الأمويين ، وقامت دولة العباسيين ، عادت هذه العادة إلى الناس ، وصارت فرضاً عليهم نحو الملوك

ويبين الجاحظ العلة فى تقديم الهدايا فى النيروز والمهرجان فيقول : « وإن من حق الملك هدايا المهرجان والنيروز ، والعلة فى ذلك أنهما فصلا السنة ، فالمهرجان دخول الشتاء وفصل البرد ، والنيروز إيذان بدخول فصل الحر »

« ومن حق الملك أن تهدى إليه الخاصة والعامة ، والسنة فى ذلك عندهم أن يهدى الرجل ما يحب من ملكه إذا كان فى الطبقة العالية ، فإن كان يحب المسك أهدى مسكا لا غيره ، وإن كان يحب العنبر أهدى عنبراً ، وإن كان صاحب بزة ولبسة أهدى كسوة وثياباً ، وإن كان من الشجعان والفرسان ، فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضة ، وإن كان من عمال الملك ، وكانت عليه متأخرات أو بقايا للسنة الماضية جمعها وجعلها فى بدر حرير صينى وشربحات فضة وخيوط ابريسم ... ثم وجهها . وكان يهدى الشاعر الشعر ، والخطيب الخطبة ، والنديم التحفة والطرفة والباكورة من الخضروات . وعلى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك ما يؤثرنه . ويجب على المرأة من نساء الملك إن كانت عندها جارية تعلم أن الملك يهواها ويسر بها ، أن تهديها إليه بأكمل حلاتها ، وأفضل زينتها ، وأحسن هيأتها . فإذا فعلت ذلك ، فمن حقها على الملك أن يقدمها على نسائه ويخصها بالمنزلة ويزيدها فى الكرامة[1] » .

وعاد الجاحظ فى المحاسن والأضداد ففصل ما أجمل . قال : وجعلوا شعارهم : كل يهدى على قدره . فكان القواد يهدون النشاب والأعمدة المصمتة من الذهب والفضة . والكتاب والوزراء والخاصة من قراباتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر ، وجامات الفضة الملوحة بالذهب . والعظماء والأشراف يهدون البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود . وربما أهدى الرجل الشريف سوطاً . وكانت الحكماء يهدون الحكمة والشعراء الشعر ، وأصحاب الجوهر الجوهر ، وأصحاب نتاج الدواب الفرس الفاره والشهرى النادر . والظراف قرب الحرير الصينى مملوءة ماء ورد . والمقاتلة القسى والرماح والنشاب . وكانت نسوة الملك تهدى إحداهن الجارية الناهدة والوصيفة الرائعة ، والأخرى الدرة النفيسة والجوهرة الثمينة ، وفص خاتم ، ومالطف وخف . وأصحاب البز الثوب المرتفع من الخز والديباج وغير ذلك

(١) انظر التاج ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

---

وسيرى المتتبع لتاريخ جحا وما نسب إليه من أخبار كيف سلك المتحدثون عنه مثل هذا المنهج ، أو قريب :

فثلوا لنا جحا فى صورة فيلسوف ، وجحا فى صورة أبله ، وجحا فى صورة قاض ، وجحا فى صورة متقاض ، وجحا فى صورة سارق ، وجحا فى صورة مسروق ، وجحا فى صورة ذكى وجحا فى صورة غبى ، وجحا فى صورة فقير ، وجحا فى صورة غنى ، وهكذا .

وقد أصبحت كلمة « جحا » كافية فى التعبير عن هذا كله — كما ترون — فلا غرو إذا اجتزأنا بها فى الحديث اقتصاداً للوقت ، واختصاراً للبحث فى التفاصيل المسهبة ، والشروح المستفيضة التى عرضنا لها فى غير هذا المقام .

**كامل كيلانى**

والصيارفة نقر الذهب مملوءة بالفضة ، وجامات الفضة مملوءة دنانير[١] .

وكان للهدايا كاتب خاص ، يكتب اسم كل مهد ، وجائزة كل من يجيز الملك على هديته ليودع ديوان النيروز[٢] مهما كان شأن الهدية ، صغرت أم كبرت ، كثرت أم قلت . فإذا أهدى أحدهم الملك هدية ، ثم لم يخرج له من الملك صلة ، عند نائبة تنوبه ، أو حق يلزمه ، فعليه أن يأتى ديوان الملك ويذكر بنفسه[٣] .

ويذهب آدم متز إلى أن المهرجان كان يمتاز خاصة بأن الرعية يهدون فيه إلى السلطان[٤] ، ولا وجه لتمييز المهرجان من النيروز وقد رأيت أن الجاحظ جعلهما سواء ، وذكر هدايا المهرجان ، وهدايا النيروز[٥] . وقد كان النيروز عيداً قومياً ، يحفلون به حفلهم بعيد الفطر ، ويتبارون فيه بالقصائد والهدايا[٦] .

***

ولنر الآن أنموذجات من هذه الهدايا ، فى ضروبها وأصنافها .

فقد أهدى المنصور الوصائف من الرجال . حدث الفضل بن الربيع عن أبيه قال : كنت فى خمسين وصيفاً أهدوا للمنصور ، ففرقنا فى خدمته[٧] .

وأهدت جارية إلى المهدى تفاحة ، فأعجب بهذه الهدية وقال :

تفاحـــة من عند تفاحة  جاءت فماذا صنعت بالفؤاد
والله ما أدرى أأبصرتها  يقظان أم أبصرتها فى الرقاد[٨] ؟

ولما عشق أبو العتاهية عتبة ، جعل هديته إلى المهدى وسيلة لوصالها . فقد ذكر المبرد أن أبا العتاهية استأذن فى أن يطلق له أن يهدى إلى أمير المؤمنين فى النيروز والمهرجان . فأهدى له فى أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم وطيب ، قد كتب على حواشيه :

نفسى بشىء من الدنيا معلقة  الله ، والقائم المهدى يكفيها
إنى لأيأس منها ثم يطمعنى  فيها احتقارك للدنيا وما فيها[١]

وحدث ابراهيم بن المهدى قال : كنت عند الرشيد ، فأهديت له أطباق ومعها رقعة . فلما قرأها استفزه الطرب . فقلت : يا أمير المؤمنين ما الذى أطربك ؟ قال : هذه هدية عبد الملك بن صالح . ثم نبذ إلى الرقعة فإذا فيها : « دخلت يا أمير المؤمنين بستاناً أفادنيه كرمك ، وعمرته بنعمتك ، وقد أينعت ثماره وفاكهته . فأخذت من كل شىء ، وصيرته فى أطباق القضبان ، ووجهته لأمير المؤمنين ليصل إلى من بركة دعائه ، مثلما وصل إلى من بركة عطائه[٢] » . قلت وما فى هذا ما يقتضى هذا السرور . قال ألا ترى إلى ظرفه كيف قال القضبان ، فكنى به عن الخيزران إذ كان يجرى به اسم أمنا .

ثم كشف المنديل فإذا بعضها فوق بعض ، فى أحدها فستق وفى الآخر بندق إلى غير ذلك من الفاكهة[٣] .

وأهدى أحمد بن يوسف المأمون مرة ثوب وشى[٤] . وأهدى إليه مرة ثانية طبق جذع عليه ميل من ذهب فيه اسمه منقوش . وكتب إليه : «هذا يوم جرت فيه العادة ، بألطاف العبيد السادة ، وقد أرسلت إلى أمير المؤمنين طبق جذع فيه ميل[٥] » .

وأهدى عبد الله بن طاهر له فرساً ، وكتب إليه : « قد بعثت إلى أمير المؤمنين بفرس يلحق الأرانب فى الصعداء ، ويجاوز الظباء فى الاستواء ، ويسبق فى الحدور جرى الماء[٦] » .

وهدية الخيل كانت معروفة من قبل . فقد أهدى الحجاج إلى عبد الملك فرساً[٧] ، وأهدى عمرو بن العاص إلى معاوية ثلاثين فرساً من سوابق خيل مصر[٨] .

ولما أفضت الخلافة إلى المتوكل أهدى إليه الناس على أقدارهم

---

(١) المحاسن والأضداد ص ١٩٧ .
(٢) المصدر السابق ص ١٧٩
(٣) التاج ص ١٤٩ .
(٤) الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٤٨ .
(٥) المحاسن والأضداد ص ١٨١ .
(٦) ضحى الاسلام ج ١ ص ١٠٢ .
(٧) الأغانى ج ٦ ص ٨٢ .
(٨) عيون الأخبار ج ٣ ص ٣٩ .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٦
(٢) مطالع البدور ج ٢ ص ١٣٦ .
(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٠
(٤) وفيات ج ٢ ص ٣٠٥ .
(٥) زهر الآداب ج ٢ ص ١٠٠
(٦) زهر الآداب ج ٢ ص ٢٠ .
(٧) المصدر السابق ص ١٩ .
(٨) المصدر السابق ص ٢١ .

# المخـــــدرات ...!

بين الأدباء والعلماء

للدكتور فضل أبو بكر

سأتناول من هذه المواد الغريبة أهمها وأكثرها استعمالا ، وأعني بذلك الأفيون والحشيش . وسميت بالمخدرات لأن من أخص مميزاتها تخدير الآلام الجسمية والنفسية . كذلك يسمونها « المذهلات » Stupifiants لما تسببه من ذهول « وسطل » ، وهو الإسم الذي نعرف به في علم الأدوية والعقاقير

هي قديمة كالأزل عرفها الإنسان منذ أقدم العصور ، وقد ذكر هوميروس نبات الأفيون في إلياذته . كذلك أبو قراط إله الطب عن قدماء الإغريق كان يستعملها في العلاج لبعض الأمراض مثل الهستريا التي كان يظن من مسبباتها عند النساء نزول الرحم والأمعاء ، وهبوطهما من المكان الخاص بهما في البطن . وقد حذا حذوه في استعمال الأفيون – بقصد العلاج – بعض أطباء الإغريق والرومان ، ونذكر من الأخيرين « أندروماكلوس » Andromaclus طبيب نيرون الخاص كان يستعمله مع بعض العقاقير كمخدر وكنوع من الترياق . كذلك أطباء العرب وصيادلتهم مثل ابن البيطار الذي فند تعاليم جالينوس والذي يدين له علم الأدوية والعقاقير بالشيء الكثير . أما ابن سينا ومن انتمى إلى مدرسته من الفلاسفة والعلماء ، فقد استعملوه بكثرة في الأدوية والعلاج .

أما في القرون الوسطى فقد قل نسبيا استخدام الأفيون في العلاج . واستمر الحال كذلك إلى أواخر القرن السابع عشر فقد هيئ له أن يبعث من جديد على يد الطبيب المعروف « سيدنهام » « Sydenham » إذ خلط منقوع الأفيون — المنقوع في الكحول — بالزعفران والقرفة والقرنفل وركب منها خليطاً مشهوراً باسمه ولا نزال يستعمل ليومنا هذا ضد بعض حالات

---

وأهدى إليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف . وفي الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم . وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس . فحسن موقعها من المتوكل ، وحلت من قلبه محلا جليلا[1] .

وبعث الحسن بن وهب إلى المتوكل بجام من ذهب فيه ألفا مثقال من عنبر[2] .

وأهدى إليه خالد المهلبي في يوم نيروز ثوب وشي منسوجا بالذهب ومشمة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ، ودرعاً مضاعفة ، وثوباً بغدادياً . فأعجبه حسنه ، ثم دعا به فلبسه . وقال : يا مهلبي إنما لبسته لأسرك به ، فقال يا أمير المؤمنين : لو كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك ، فكيف وأنت سيد الناس[3] ؟

وذكروا أنه كان المتوكل جارية اسمها شجرة الدر . وكان يميل إليها ميلا كبيراً ويفضلها على سائر حظاياه . فلما كان يوم المهرجان أهدى إليه حظاياه هدايا نفيسة واحتفلن في ذلك ، فجاءت شجرة الدر بعشرين غزالا تربية ، على كل غزال خرج صغير مشبك حرير فيه المسك والعنبر والغالية وأصناف الطيب ، ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب وفي يدها قضيب ذهب في رأسه جوهرة . فقال المتوكل لحظاياه ، وقد سر بالهدية ، ما فيكن من تحسن مثل هذا وتقدر عليه . فحسدنها وعملن على قتلها بشيء سقينه لها فماتت[1] .

وإلى جانب هذه الألوان من الهدايا كانوا يهدون الطين . قال الثعالبي : وكانوا يهدون طين نيسابور ، وهو طين الأكل لا يوجد مثله في الأرض ، يحمل إلى أداني البلاد وأقاصيها ، ويتحف به الملوك ، وربما بيع الرطل منه بدينار[2] .

( له بقية )

صلاح الدين المنجد

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣١٥ .
(٢) المحاسن والأضداد ص ١٨ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨١

(١) مطالع البدور ج ٢ ص ١٣٦ .
(٢) ثمار القلوب ص ٤٢٨ .

الإسهال وآلام البطن . وقد قال فى ذلك الطبيب سيد نهام إنه لولا الأفيون لصار الطب ناقصا أجدع .

أما الحشيش فقد عرف كذلك منذ آباد وأجيال سحيقة ؛ فالهنود والصينيون كانوا يتعاطونه منذ أقدم العصور . وقد أدخله إلى بلاد الغرب بعض قبائل البدو والرحل الذين كانوا يقطنون شمال أسيا والجزء الواقع فى الشمال الشرقى من أوربا . وقد روى « هيرودوت » المؤرخ أن تلك القبائل كانت تغلى بذور فاكهة الأفيون فى الماء وتستنشق البخار المتصاعد ثم تحتسى فى نشوة عجيبة منقوع هذه البذور .

وأول من عنى بدراسة الحشيش من الوجهة العلمية هما الطبيب الألمانى « مارشال » والطبيب الفرنسى « مورو دى تور » الذى كان مديراً لمستشفى الأمراض العقلية والعصبية فى باريس والذى كتب فى سنة ١٨٤٥ مؤلفاً نفيساً سماه « الحشيش والجنون » يصف فيه خواص الحشيش وأثرها فى الجهاز العصبى ، وقد تعاطى هذه المادة وجرب أثرها فى نفسه . وقد قيل فى المثل « سل المجرب ولا تسل الطبيب » فقد كان مجرباً وكان طبيباً فلا غرابة أن كان مؤلفه مصدراً موثوقاً به فى هذا الصدد .

**الأدباء والمخدرات :**

كان بعض الأدباء يتعاطى هذه المواد ووجدوا فيها إلهاماً وإيحاء ووصفوا مفعولها وصفاً رائعاً يشوبه الخيال وما يمليه من مبالغات تنافى بعض الشىء صرامة العلم ودقة العلماء . ومن هؤلاء الأدباء الأديب والشاعر الفرنسى « شارل بودلير » الذى عاش إلى سنة ١٨٦٧ وهو من أعظم شعراء الغرب وأشبههم من حيث الرقة والظرف والمجون بأبى نواس؛ فقد ورد فى بعض مؤلفاته — واسمه « الفردوس الاصطناعى » — وصف الحشيش ؛ فتأمله إذ يقول: « إن فى الإنسان رغبة مستأصلة لإدراك المثل العليا والوصول إلى الحقيقة ؛ لذلك يحاول ما أمكنه أن يخلص الروح ويطلقها من سجنها المادى العائق لها عن الوصول لهذه الأهداف . كذلك السعادة هى الضالة المنشودة لبنى الإنسان؛ وبما أنها ليست فى متناول الجميع فهو يحاول ما أمكن أن يتوهمها ويصطنعها : فقدح من مدام وشهقة من تبغ ومضغة من عشب ( الحشيش ) بهذا فقط تجد الروح تخلصت وتبدلت » .

أما الكاتب الفرنسى المشهور « تيوفيل جوتييه » الذى عاش إلى سنة ١٨٤٣ فقد ألف كتاباً سماه « نادى الحشاشين » يصف فيه مفعول الحشيش وأثره فى نفسه فيقول: « ما هى إلا بضع دقائق حتى استولى على جسمى التخدير ، وخيل إلىّ أن جسدى قد ذاب وانحلت مادته وصار شفافاً ، فأبصرت قطعة الحشيش التى مضغتها تنزل هابطة فى أحشائى كأنها زمردة تشع منها اللايين من أجسام ذرية لامعة ؛ وتراءى لى أن هدب عينى يطول ويمتد إلى اللانهاية ثم يطوى كأنه أسلاك رفيعة من الذهب ويلتف حول عجلات صغيرة من العاج تدور حول نفسها بسرعة مدهشة ، وقد اكتنفتنى نهيرات من لجين تكدست على شواطئها أكوام من الحجارة الكريمة من مختلف الأشكال والألوان . وبعد فترة قصيرة تبددت عنى هذه الأحلام ، وعدت إلى صوابى من غير ما خمول أو صداع كما يعقب عادة شرب الخمر . وقد هالنى كثيراً ما رأيت . وما كادت تمضى نحو نصف ساعة حتى عاودتنى النشوة وتهت فى ملكوت الحشيش . غير أن أحلامى فى هذه المرة كانت أشد غرابة وأكثر تعقيداً . فقد أحاطت بى هالة من نور يأخذ وميضه بالأبصار ، وتطير حول هذه الهالة ملايين من الفراش لها أجنحة ذات ألوان مختلفة تسر الناظرين ، وسمعت لأول مرة صوت الألوان المختلفة . فهنالك صوت أصفر وأزرق وأخضر وأحمر؛ وهذه الأصوات اللونية تصل موجاتها إلى أذنى فى وضوح تام . كذلك رأيت أكثر من خمسمائة ساعة دقاقة تنبىء عن الوقت بدقات أشبه بأهازيج العود والمزمار وقد ذابت نفسى فى اللانهاية ، وخيل إلى أن هذا الحلم إنما دام نحو ثلثمائة عام ، وإن كان من المستحيل تقدير الزمن على وجه التحقيق إذ كانت المناظر تتتابع وتتنوع بسرعة ، وما إن عدت إلى رشدى حتى رأيت أن هذا الحلم لم يدم أكثر من ربع ساعة » .

ومن أدباء الانجليز أذكر « توماس دى كنسى » وكان يعنى كثيراً بدراسة « الكلاسيك » من الأدب الأغريقى والرومانى القديم ، وقد ألف كتاباً بعنوان « اعترافات مدمن فى الأفيون » فتأمل حين يناجى المدمن مخدره العزيز :

« أيها الأفيون أنت الحق والحقيقة ! أنت حياة المحتضر

ومال المعوز وسعادة الشقى والخالق من الشجى خلياً! أنت ملهم البيان! أنت الذى تذكر المجرم والقاتل أيام الطفولة الغريرة حيث لا جريمة ولا جريرة! أنت الذى تشيد فى غسق الظلام قصوراً وبنياناً أكثر سحراً من بنيان بابل وطيبة».

كذلك الشاعر الانجليزى «كولردج» وقد كان ممن يتعاطونه من وقت لآخر بقصد التنبيه ونشاط القريحة، وقد كتب قصيدته «كبلخان» بعد أن تعاطى ماتيسر من الافيون وهى تعد من أرق أنواع الشعر وأرقاه معنى.

أما أثر هذه المواد من الوجهة الطبية والفسيولوجية فها كها باختصار كما يلى:

١ — تخدر الأعصاب، ولذا كان لها تفوق كبير فى تسكين الآلام الناشئة من الأمراض. كذلك من خواصها التنويم، ولكنه نوع خاص من النوم يمتاز بانحلال عام وتراخ فى العضلات تتخلله أحلام هنيئة ومتنوعة. أما من الوجهة النفسية فهى تساعد على حضور البديهة وسرعة الخاطر، ويلى ذلك شىء من التهيج واضطراب الأفكار يطرأ تدريجياً وحسب كمية المخدر. أما أثره على الجزء الخاص بالتحرك من الجهاز العصبى فهو أقل بكثير من أثره على الجزء الموكل بالحس والشعور.

٢ — تنقص جميع الافرازات الخاصة بالجهاز الهضمى فيعيق الهضم ويبطله كما يقلل من حدة الشهية، ويساعد على الإمساك. كذلك له مفعول سىء على الكبد الذى يعد أهم عضو لمكافحة السموم الطارئة على الجسم من الداخل ومن الخارج.

٣ — تساعد المخدرات على التنفس لذلك تستعمل فى بعض أمراض الصدر والقلب التى تسبب حصراً وضيقاً فى التنفس مثل الربو والنزلات الشعبية والأزمات القلبية والرئوية.

٤ — تنقص المخدرات من كمية البول لأنها — كما أسلفنا — تقل من جميع الافرازات ما عدا الافراز العرقى فهى على النقيض تكثره وتنشطه. أما الجهاز التناسلى فقد تسبب تهيجاً جنسياً، ولكن إلى حين وفى بادىء الأمر فقط، ولكن هذا التهيج وتلك الاثارة يعقبها خمول وضعف فى الرغبة الجنسية.

هذه نبذة موجزة عن بعض المخدرات عالجت موضوعها باختصار من الوجهة التاريخية والأدبية والعلمية.

فضل أبو بكر

# القوة فى نظر العـــلم

للأستاذ محمد عاطف البرقوقى

**العلماء والقوة :**

نشأ الإنسان فى الحياة ووجد أنه فى كل شئونه يحتاج إلى القوة ، فنى إعداد طعامه كان يخرج إلى الصحارى والغابات ليصطاد فريسته ، فكان مضطرا إلى حملها بنفسه ليعود بها إلى داره ، وفى هـذا لا تنجح إلا القوة العضلية ، وفى البناء كان قدماء المصريين يشيدون الأهرام والمعابد والقبور ، وكانوا يستخدمون الإنسان فى حمل أثقل الأحجار ونقل التماثيل من مكان إلى آخر ، ومن ذلك أنهم استخدموا عشرة آلاف رجل لتشييد الهرم الأكبر ، يستبدلون كل ثلاثة أشهر ولمدة عشرين عاما ، وذلك رغم استخدام الروافع والعربات والسفن .

وإذا ما تلفت الإنسان حوله وجد مظاهر القوة بادية ، فقوة الريح تعصف بالأشجار فتكسرها ، والماء الجارى يجرف المبانى فيهدمها ، والأجسام تسقط نحو الأرض بفعل قوة ، وهى قوة الجاذبية الأرضية ، والمد والجزر أثران من آثار القوة ، والكواكب السيارة تدور وتتحرك نتيجة قوة ، فلفت ذلك نظر العلماء ، فاهتموا بدراسة القوة وآثارها ، منهم العالم الايطالى غاليليو الذى اهتم بدراسة حركة الأجسام الساقطة تحت تأثير جاذبية الأرض وتبعه العالم الانجليزى سير اسحق نيوتن ( ١٦٤٢ — ١٧٢٧ ) الذى وضع القوانين التى تربط بين القوة والحركة والقوة والكتلة ، ودرس حركة الكواكب السيارة فهو يعتبر بحق واضع أساس علم الميكانيكا وعلم الفلك ، وتبعه علماء كثيرون درسوا القوى الناتجة من الهواء والماء والبخار والكهربا.

**القوة والحركة :**

ومهما اختلف مصدر القوة فإن هناك علاقة كبيرة بين القوة والحركة ، فأينما وجهت النظر إلى قوة من القوى وجدتها يصحبها حركة من الحركات ، فالسيارة تبقى ساكنة ما لم تستخدم القوة الناتجة من احتراق بخار البنزين ، والقاطرة لا تتحرك إلا بقوة البخار ، وكلما زادت القوة زادت الحركة ، وعندما توقف القوة فعندئذ تقل الحركة إلى أن تنعدم ، وانعدام الحركة فى الواقع ناتج من قوة هى قوة الاحتكاك بين العجلات والأرض ، فالقوة تحرك الجسم الساكن أو تعدم حركة الجسم المتحرك . وقد وضع العالم الانجليزى نيوتن ثلاثة قوانين فى علم « الميكانيكا » تسمى قوانين نيوتن فى الحركة ، أولها : « أن الجسم يبقى ساكنا أو متحركا بسرعة منتظمة فى خط مستقيم مالم تؤثر عليه قوة » ، فالجسم الساكن لا يتحرك إلا بتأثير قوة ، فاذا قربت مغناطيسا من إبرة من الصلب أو الحديد ساكنة تحركت بتأثير القوة المغنطيسية. وإذا شاهدنا جسما متحركا بغير سرعة منتظمة حكمنا على أن هناك قوة تحركه ، وهكذا استنبط العلماء قوة جاذبية الأرض بملاحظة سقوط الأجسام نحو مركزها

**قوة الاحتكاك :**

ونلاحظ أنه إذا رمينا كرة من الزجاج ناعمة على أرضية ملساء فإنها تستمر بسرعتها المنتظمة فى خط مستقيم ، وحسب قانون نيوتن إذا لم تؤثر عليها قوة فإنها يجب أن تستمر إلى ما لا نهاية كما يقول العلماء ، ولكن من الناحية العملية تقل سرعتها تدريجياً حتى تصل فى النهاية إلى السكون ، وذلك لأنه توجد قوة تغير من حالتها هذه إلى السكون ، وهذه القوة هى التى نسميها قوة الاحتكاك بين أى جسمين ، وهى صغيرة بين جسمين ناعمى الملمس وتزداد كلما زادت خشونة الجسمين وكتلة الجسم المتحرك ، فإذا رميت كرة ثقيلة من الحديد على أرضية خشنة وقفت حركتها بسرعة قوة الاحتكاك بينها وبين الأرض . وفى الواقع أن قوة الاحتكاك هذه تسبب ضياع نسبة لا يستهان بها من الطاقة للتغلب عليها سواء أكانت فى حركة القطارات أم السيارات أم فى إدارة الآلات

**القوة الطاردة أو القوة الدورانية :**

الجسم المتحرك يميل إلى الحركة فى خط مستقيم ، فكثيراً

ما نلاحظ أن السيارة المتحركة بسرعة كبيرة إذا ما فوجىء سائقها بجزء منحن من الطريق فإنه على الرغم من عمـل مجهود كبير لإدارة عجلة قيادة السيارة فإنها تمضى سائقها وتسير فى خط مستقيم ، فيؤدى ذلك إلى ملاقاة حتفها ... إما بالغرق إن كان الطريق بجوار ترعة وإما الاصطدام وإما بالخروج عن الطريق على أية حال ، وكل ذلك لميلها للسير فى خط مستقيم ، وإذا ربط ثقل فى طرف خيط وحرك الخيط باليد ليدور الثقل فى مسار دائرى حول اليد ، فإن الثقل لا يسقط نحو الأرض بتأثير جاذبية الأرض له بل يدور بفعل قوة مركزية ، وإذا قطع الخيط فإن الثقل عندئذ يتحرك فى خط مستقيم من حيث أوقف تأثير هذه القوة المركزية

وإذا كان الثقل عبارة عن « كوز » به ماء وأدير الكوز بالماء فإن الماء لا يسقط وذلك لأنه توجد قوة مركزية طاردة أى تحاول أن تطرد الماء نحو الخارج فيعوق قاع الإناء ، ذلك وفى الصناعات يستخدمون هذه القوة فى نواح شتى ، ففى محال غسيل الملابس ، يضـعون الملابس المبللة بالماء فى إناء كبير يدور ، فبدورانه تؤثر فيه قوة طاردة تطرد المـاء من ثقوبه إلى الخارج فتعصر الملابس بطريقة سريعة ، وفى محال الألبـان الكبيرة يستخرجون القشدة من اللبن وهو طازج بأن يضعوا اللبن الحليب فى إناء ويدار بسرعة فتنفصـل القشدة عن اللبن بتأثير القوة الطاردة .

وراكب الدراجة عند دورانه يجب عليه أن يميل بجسمه إلى داخل الدوران حتى لا تدفعه القوة الطاردة إلى الخارج فيقع ، ويخشى أثر هذه القوة فى القاطرات والطائرات ، فالقاطرات عند دورانها يجب أن يكون القضـيب الخارجى أعلى من القضيب الداخلى حتى تميل القاطرة عند دورانها إلى الداخل ، وهناك قانون يبين مقدار زيادة ارتفاع القضيب الخارجى عن الداخلى ، ويصل هذا إلى نحو عشرة سنتمترات .

وفى الطيران كثيراً ما يصاب السائق بدوخة إذا اضطر إلى إدارة طائرته بسرعة كبيرة تصل الآن إلى نحو ٤٠٠ ميل فى الساعة ، وتزول الدوخة بعد أن تعود الطائرة إلى سيرها فى خط مستقيم ، وذلك لأن دمه يسير فى جسمه بقوة ضربات قلبه ، فعند الدوران يميل دمه إلى السير فى نفس الخط المستقيم الأصلى ، فبذلك ينحرف دمه إلى جانب من جسمه ورأسه فيشعر بالدوخة .

### القوة المعنوية :

هذا من ناحية القوة المادية ، أو القوة التى لهـا أثر مادى من حركة أو سكون ، واستكمالا للبحث نشير أيضاً إلى القوة المعنوية ، وأرى أن القوة على العموم — سـواء أكانت مادية أم معنوية — يصحبها دائماً حركة ، فـكما أن القوة المادية تغير من سكون الجسم أو حركته المنتظمة ، فكذلك القوة المعنوية تـكسب الإنسان اعتزازا بنفسه عند الإقدام ، وتهب له الثقة التامة عند العمل ، وذلك بقدر اعتزاز الشخص القوى العضلات بجسمه ، وثقته فى النجاح بقوته إلا أن القوة المادية تظهرها قوة الجسـد ، والقوة المعنوية كامنة فى الروح والنفس ، وكما أن القوة المادية تنمّى وتزاد سواء أكانت للفرد أم للجماعة ، فـكذلك القوة المعنوية فإنه يمكن أن تعزز وتقوى للفرد أو للأمة أيضاً ، فالطفل إذا شجع عند الإتقان ، وأغضى عنه عند هفوته ، علت نفسه ، وقويت عزيمته ، والرجل ما هو إلا طفل كبير ، من ناحية على الأقل ... ، والأمة ما هى إلا مجموعة أفراد تربطهم روابط خاصـــة ، ولذلك يلجأون فى الحروب إلى الرقابة على الصحافة والإذاعة ، وذلك للعمل على رفع القوة المعنوية للأمة وجيشها .

ولا بد لمن يهمهم رفع القوة المعنوية لفرد أو أمة من استخدام علم النفس الفردى والاجتماعى ، وعندئذ تجد الأمة ذات القوة المعنوية العالية لا تتزعزع منها الثقة ، ولا تضعف منها العزيمة ، بل تسير قدما فيما أرادت ، واثقة من فوزها فى النهاية ، متأكدة من الوصول إلى هدفها وإدراك الغاية والثقة — وهى وليدة القوة المعنوية — لها نصـف العمل ، والنصف الآخر للقوة المادية ، وهب لنا الله من لدنه القوة المـادية والقوة المعنوية ، وهدانا إلى سواء السبيل .

**محمد عاطف البرقوقي**
ناظر المدرسة التوفيقية

من عيون الأدب الغربي :

# حديقة أبيقور لأناتول فرانس

بقلم الأستاذ بولس سلامة

تمهيد :

كان أناتول فرانس كاتباً شديد الشك ، شديد السخرية ، متشائماً هدّاماً . ولا غرابة فقد أنجبته فرنسا التي أنجبت من قبله فولتير إمام الشاكين في زمانه وفي كل زمان .

وأناتول فرانس كفولتير يتخذ السخرية طريقاً لإصلاح المجتمع والمعتقدات والناس . ويشترك معه في هذه الصفة الكاتب الانكليزي ( شو ) إلا أن ( شو ) يكتب بأسلوب العلماء وأناتول فرانس يكتب بقلم أسلست له اللغة وطاوعه البيان فجاءت كتاباته آية من آيات الأدب الرفيع . وفي حديقة أبيقور يتجلى شك أناتول فرانس وتهكمه وتشاؤمه ويتجلى فنه الرائع وأسلوبه الشيق البديع وقد اقتطفنا لك من هذه الحديقة باقة صغيرة إن أعجبك رواؤها وشذاها فادخل الحديقة وشاهد وتأمل ...

الرهناء والشقاء :

كنت أقرأ كتاباً لشاعر فيلسوف تخيل فيه جيلاً من الناس خلت قلوبهم من الهم والسرور والعناء .

ورجعت من هذه الحياة المثلى التي تخيلها الشاعر الفيلسوف إلى عالمنا هذا حيث يكافح الإنسان ويشقى ويتألم ويحلم فعجبت كيف يضطرب قلب الإنسان حنيناً إلى مشاركة هؤلاء في كفاحهم وشقائهم وآلامهم وأحلامهم . في هذه الحالة — وفيها وحدها — يجد الإنسان نبعاً من الغبطة لا ينضب

ولقد قنعت بعد قراءته بنصيبي المتواضع في هذه الأرض ورضيت عن نفسي وإخواني الذين يشاركونني هذا النصيب المتواضع الصغير . بل اقتنعت بأننا في شقائنا أنبل من هاته الخلائق التي يرسمها هؤلاء الفلاسفة الحالمون بلا ألم ولا شقاء .

إننا إذا اقتطعنا الألم والعواطف والأهواء من حياة الناس اقتطعنا معها الشعر والفن وكل شيء جميل . وكيف يشعر الشعراء في عالم لا ألم فيه ولا حرمان ولا شقاء ؟ إنهم يغمضون عيونهم ويصمون آذانهم عن أعاجيب الفن والشعر التي تجعل من هذه الأرض المتواضعة سماء لا تطاولها سماء .

إن بيتاً واحداً من الشعر الرفيع ليفعل في النفس ما لا تفعله هذه المخترعات الحديثة وهذا العلم الحديث .

وأي عالم نتخيله وقد امتلأ بالمهندسين والعلماء بلا شعر ولا حب ولا أهواء . وكيف يشعر ويحب ويغني القانع الراضي القرير؟ إنما الحب نبت لا يزكو إلا بالدموع والبكاء .

إنه لمن الخير أن ننسى الألم وأن نرضى بنصيبنا من هذا العيش الذي يتداول فيه الخير والشر والعسر واليسر كما يتداول الليل والنهار .

الغباء :

الغباء شرط لازم — لا أقول للسعادة — بل للحياة . فلو عرفنا كل شيء لما استطعنا أن نعيش ساعة واحدة .

إن هذه الأشياء التي يحلو بها العيش أو يطاق إنما تقوم في الواقع على الوهم والغباء .

الشيوخ :

عند ما يشيخ المرء يزداد تمسكاً بآرائه ؛ ولذلك يعمد سكان جزيرة فيجي إلى قتل الشيوخ ، وبهذا ييسرون تقدم الإنسانية . ونحن نفعل النقيض بتأسيس الأكاديمية .

الكتب :

قالت لي فتاة صغيرة — وفي قولها حكمة غابت عن كثير من الحكماء — إننا نجد في الكتب ما لا نجده في عالم الواقع من أشياء مضت وانطوت فلا تعود ، أو أشياء متوقعة نتخيلها ولا ندركها على التحديد . فهي صورة قاتمة واهمة . وإني أرى أن من الخير ألا يقرأ الكتب الصغار . ففي الحياة أشياء كثيرة

# حكم المفكرين الغربيين على « محمـــد »

للاستاذ عبد المنعم ماجد

لاح محمد كنجم شارق فى دياجى العصور الوسطى فاختط طريقاً جديداً لعالم جديد ودين جديد ، يعمل على فك قيود العقل من عبودية التقاليد والوهم ومن التعصب الدينى والجنسى . على أن شمس الفكر وإن كانت قد سطعت فى أحضان الشرق فقد ظلت محجوبة بحلكة هذه العصور فى الغرب فلم يستطع مفكرو العصور الوسطى فى أوربا أن يخرجوا من هذا النطاق المضطرم بنزعات التعصب الدينى ليلتمسوا نور الحقائق المجردة عن الهوى ولينطلقوا بالأفكار حرة غير مقيدة ، ولذا لم يكن مستغرباً أن يلاقى محمد الطعن السافر فى ذلك الزمن ، وألا يرتفع صوت واحد بعيداً عن التشويش والتعصب ، فطعن فى شخصيته واتهم بالتلفيق والشعوذة ، واستهجنت رسالته ووصمت بالكفر والانتحال . فنرى دانتى كأحد المفكرين البارزين الذين هيأ لهم القدر أن تكون حركة النقلة إلى عصر النهضة على أيديهم يقسو فى حكمه على محمد فيضعه فى الطبقة الثامنة فى الجحيم مع المشعوذين الذين كتب عليهم الخلود أبداً فى نار جهنم ، وجريمته فى رأيه أنه مدع دعا إلى تخليص العقيدة من كل شرك — ولم تكن المسيحية آنذاك يمكن أن نتصوره بأية حال . والواقع أن رأى دانتى فى محمد معبر عن خلال العصر الذى عاش فيه — فهو نفسه أى دانتى عاش فى أواخر العصور الوسطى حيث كانت روح التعصب ما زالت تسود العقول ، وحتى الآن ما زال محمد خصما فى نظر بعض الأوساط الأوربية المفكرة ينظر إليه على أنه النبى الكاذب الذى ادعى بهتاناً أنه نبى الله .

أما فى القرن الثامن عشر ، وهو الذى أطلق عليه الباحثون القرن المضىء — فقد كان عصر تطور فكرى واجتماعى عميق فبدأ فلاسفة هذا القرن ينظرون بنية خالصة إلى أصحاب الحركات الدينية الغير مسيحية ، ويقدرون خلالهم الطيبة محاولين جادين أن يهدهدوا نعرة التعصب التى كانت تشل حرية التفكير فضلا عن أنهم لم يجدوا بأساً فى تلمس الحقائق التى لاضرر فى الكشف عنها على سلامة المسيحية ، وكانت هذه المرونة فى التفكير مفيدة للاسلام فرأينا من يكتب عن محمد ورسالة محمد بنزاهة وإنصاف وإن وجدنا فى نفس هـذا القرن المضىء أولى العلات وأصحاب المآرب الذين لم يتورعوا عن قرع الحقيقة والطعن بقسوة على نبى الاسلام بطريقة اعتبرها بعض المفكرين الغربيين أنفسهم خطرة على سيادة العقل وحرية الفكر . فسالى وبولينڤيي وسافارى أمثلة لبعض البحاث الذين عملوا على إظهار بعض الحقائق فى أثناء دراستهم لشخصية الرسـول . فالأول يترجم القرآن فى سنة ١٧٣٤ ، ويبرز لنا محمداً كرجل مثالى ظهر فى الانسانية العليا . وقبله بولينڤيي يؤلف كتاباً عن محمد يحاول فيه أن يبرهن بقوة على أفضلية الدين الاسلامى على غيره من الأديان ، ويبرز لنا شخصيته كشرع حصيف مستنير جاء بدين صحيح جعله هداية للعالمين ليحل محل المسيحية واليهودية وهما الديانتان اللتان كانتا قد تقوضت مبادئهما وملأتهما الريبة . أماسارى فيترجم القرآن فى سنة ١٧٨٢ ، ويضع محمداً بين الرجال القلائل الذين ظهروا على سطح الأرض ونفحتهم الطبيعة قدرة خارقة ليغيروا أحوال الناس والعصر وليقودوهم إلى النماء والرخاء . فسيرة محمد فى رأيه تذهل الباحث وتدفعه إلى الإيمان بكمال العقيدة التى توصل إليها

---

أحق باهتمامهم : البحيرات والأشجار والأنهار والحدائق والبحار والسفين فى الماء والنجوم فى السماء . وإنى لأشاركها هذا الرأى فاننا نملك ساعة من العمر لنحياها ، فلما ذا نقضيها فى البحث عن أشياء كثيرة لا يضيرنا أن نجهلها ما دمنا لا نعرف عنها كل شىء . إننا نعيش كثيراً فى عالم الكتب وقليلاً فى عالم الطبيعة ، ونحن فى ذلك أشبه بذلك الكاتب الذى ظل يدرس كاتباً يونانياً قديماً بينما كان بركان فيزوف يقذف النار ويحرق خمس مدن عامرات

( الخرطوم سودان ) **بولس سلامه**

والتي ساعدته الظروف فيها . ففي أثناء رحلاته شاهد ببصيرة يقظة انقسام المسيحية وعجرفة اليهودية ؛ فأراد أن يكون دينه للجميع ، وأن يكون فيه يسر وانسجام مع الفطرة والعقل . وبالرغم من أنه ولد وثنياً فقد دعا إلى تخليص العقيدة من كل شك ، وتجريد الله من كل مادة . وعبادة إله واحد له الأمر من قبل ومن بعد . ولكي يستميل إليه القلوب ويقنع الناس بصحة مبادئه ويضمن لها التأييد ، أحاط نفسه بالحماية الإلهية ، وادعى أنه رسول الله . فعلى المفكرين المستنيرين أن ينصفوا محمداً لا كرسول بل كأحد هؤلاء الرجال النوادر الذين أثروا في الحياة تأثيراً ظاهراً لا زال باقياً حتى الآن .

هذا الحكم الرفيق على محمد المقدر لعبقريته قوبل بتيار آخر عنيف ساد بين بعض المفكرين في نفس هذا القرن المضيء ووصل إلى حد التشويه والمثالب . فنرى فولتير يغضب على محمد في مأساته التي نشرها في سنة ١٧٤٢ ؛ ففي المقدمة يهاجم مباشرة آراء سالي وبولينفيي وهما اللذان دافعا عنه ، وعلى أية حال فإن حكم فلتير القاسي على الرسول خففه في مقالته التي كتبها عن الأخلاق L'essal sur Ics Moeurs فاعترف فيها ببعض مواهبه وإن رأى أنه لم يأت بشيء جديد سوى ادعائه النبوة . وقد راج رأي فولتير وقتاً فنرى ديدرو يستفيض في طعنه على محمد بينما نرى كارلايل في محاضرته عن الأبطال في ٨ مارس سنة ١٨٤٠ يحمل على الذين يشنعون على نبي الإسلام فيرمونه بالكذب والانتحال ، ويرى أن مثل هذا التفكير البعيد جداً عن جادة الصواب خطر على سيادة العقل بل مخجل للمسيحيين أنفسهم .

— فهناك مائة وثمانون مليوناً من الأنفس يدينون بالإسلام ويؤمنون بمحمد كرسول من عند الله ، ويتخذون سنته مرشداً لهم في الحياة — ويتساءل قائلا : هل من المعقول أن هؤلاء جميعاً ينساقون وراء مشعوذ دجال ؟ وهل بلغت الشعوذة من القوة والسيطرة ما يجعل لها هذا السلطان على هذه العقول ؟ الواقع أن هذا التخبط راجع إلى اضطراب العصر — ثم — هو يرى أن محمداً كان مخلصاً بحق لدعوته فقد نظر إلى العالم نظرة كلها حياة ففنى في حب الإله ، وربط ما بين الأبدية وما بين عالمنا . فلو كان محمد نبياً أو شاعراً فهو في كلتا الحالتين رجل غير عادي .

هذه الالتفاتة الطيبة في معالجة شخصية محمد وتلك الروية والرغبة في الوصول إلى حقائق مجردة عن التعصب ازدهرت في عصرنا الحاضر فاعتبره الكثيرون في مقدمة المصلحين الذين بذروا بذرة صالحة في حقل الحضارة والمدنية ، ولكنهم أي هؤلاء العلماء اختلفوا في الحكم عليه بل لم يستطع بعضهم الوصول إلى رأي ثابت . ولعل أوضح هؤلاء المستشرقين الذين دافعوا عن محمد واهتموا بدراسة سيرته تور أندراي Tor Andrae الألماني الذي يعتقد في نبوة محمد ويستفيض بحماس في تقدير رسالته التي تعتمد في أصولها على البساطة والفطرة ، وهو يتساءل في آخر كتابه عن محمد قائلا : هل يمكننا مع هذا أن نتوصل بحق إلى تفهم شخصية محمد على وجهها الصحيح ...

الواقع أن علماء الغرب ما زالوا متحيرين في حكمهم النهائي على محمد

عبد المنعم ماجد
عضو بعثة التاريخ الاسلامي لجامعة فؤاد

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨١٦ — الرضى عن الله والغنى عن الناس

الكامل للمبرد :

كان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال . قال له عبد الملك يوماً : ما مالك ؟

فقال : شيئان لا عيلة علي معهما : الرضى عن الله ، والغنى عن الناس . فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرت بمقدار مالك .

فقال : لم يعد أن يكون قليلا فيحقرني أو كثيراً فيحسدني .

٨١٧ — ولو على الحجارة

قال زياد في رجل ولي تحصيب جامع البصرة : آثر الأمارة ولو على الحجارة .

٨١٨ — مظلوم

لم يخلق الله مسجونا تسائله ما بال سجنك إلا قال : مظلوم

٨١٩ — وأحمد فيه معرفة ووزنه

حكي أنه كان بالعراق رجلان أحدهما اسمه عمرو والآخر اسمه أحمد فعزل عمرو عن عمله وولي أحمد مكانه بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء في ذلك :

أبا عمر ، استعد لغير هذا فأحمد في الولاية مطمئن
وكل منكما كفء كريم ومنع الصرف فيه كما يظن
فيصدق فيك معرفة وعدل وأحمد فيه معرفة ووزن

٨٢٠ — يعوقني أبوك عنه ...

تاريخ ابن عساكر .

لما ولي مروان بن الحكم في عمله الأول دخل عليه حويطب فتحدث عنده . فقال له مروان : ما سنك ؟ فأخبره . فقال له كبرت أيها الشيخ وتأخر إسلامك حتى سبقك الأحداث .

فقال له : الله المستعان ، لقد هممت بالإسلام غير مرة ، كل ذلك يعوقني أبوك عنه وينهاني ويقول : تضيع شرفك ودين آبائك لدين محدث وتصير تابعاً .

فأسكت ( والله ) مروان وندم على ما كان قال له :

٨٢١ — وكل بصاحبه يسخر

ألم تر أني أزور الوزير فأمدحه ثم أستغفر
فأثني عليه ويثني علي وكل بصاحبه يسخر

٨٢٢ — المتنبي وكافور

حكي عن المتنبي أنه قال : كنت إذا دخلت على كافور وأنشدته يضحك إلي ويبش في وجهي إلى أن أنشدته :

ولما صار ود الناس خبا جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمي أنه بعض الأنام

فما ضحك بعدها في وجهي إلى أن تفرقنا ؛ فعجبت من فطنته وذكائه .

٨٢٣ — قد كدت تسبين فؤاد الحاكم

قدم رجل امرأة حسنة النقيبة إلى القاضي فقال : يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسيء إليها . ففطن الرجل بحال القاضي . فعمد إلى نقابها فأسفره ، فرأى القاضي وجهاً وحشاً فحكم القاضي عليها وقال قومي لعنك الله ! كلام مظلوم ووجه ظالم

فقال زوجها :

قومي إلى رحلك أم حاتم
قد كدت تسبين فؤاد الحاكم
بمنطق مظلوم ووجه ظالم

٨٢٤ — وليس لي عباءة ...

لقي رجل صاحباً له فقال له : إني أحبك . فقال : كذبت لو كنت صادقا ما كان لفرسك برقع وليس لي عباءة .

## ٨٢٥ — ولكن لترى

نظر بعضهم إلى جارية حسناء خرجت يوم عيد فى النظارة فقال : هذه لم تخرج لتَرى ولكن لتُرى .

## ٨٢٦ — كما أطرب على حسن الغناء

فى ديوان المعانى :

روى عن محمد الأمين أنه قال : إنى لأطرب على حسن الشعر كما أطرب على حسن الغناء .

## ٨٢٧ — لماذا أكلت طعام السفل

قال ابن فارس : أنشدنى الأستاذ أبو على محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذانى وهو اليوم حى يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاماً مرض منه :

وقيت الردى وصروف العلل ولا عرفت قدماك الزلل
شكى المرض المجد لما مرضت فلما نهضت سليما أبل
لك الذنب لا عتب إلا عليك لماذا أكلت طعام السفل

## ٨٢٨ — بيت المتنبى العظيم

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى :

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

معنى معقول لم يزل العقلاء يقضون بصحته ، ويرى العارفون بالسياسة الأخذ بسنته ، وبه جاءت أوامر الله سبحانه ، وعليه جرت الأحكام الشرعية والسنن النبوية ، وبه استقام لأهل الدين دينهم ، وانتفى عنهم أذى من يفتنهم ويضرهم إذ كان موضوع الجبلة على أن لا تخلو الدنيا من الطغاة الماردين ، والغواة المعاندين الذين لايعوزهم الحكمة فتردعهم ، ولا يتصورون الرشد فيكفهم النصح ويمنعهم ، ولا يحسون بنقائص الغي والضلال ، وما فى الجور والظلم من الضعة والخبال ، فيجدوا لذلك مسّ ألم يحبسهم على الأمر ، ويقف بهم عند الزجر ، بل كانوا كالبهائم والسباع لا يوجعهم إلا ما يخرق الأبشار من حد الحديد وسطو البأس الشديد . فلو لم تطبع لأمثالهم السيوف ، ولم تطلق فيهم الحتوف لما استقام دين ولا دنيا ، ولا نال أهل الشرف ما نالوه من الرتب العليا . فلا يطيب الشرب من منهل لم تنف عنه الأقذاء ، ولا تقر الروح فى بدن لم تدفع عنه الأدواء .

## ٨٢٩ — إجازة كلا إجازة

الكشاف للزمخشرى :

( إن شجرة الزقوم طعام الأثيم )وهو الفاجر الكثير الآثام . وعن أبى الدرداء أنه كان يقرئ رجلا فكان يقول : طعام اليتيم ، فقال : قل : طعام الفاجر يا هذا . وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها ، ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهى أن يؤدى القارئ المعانى على كمالها من غير أن يخرم منها حرفا ، قالوا : وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن فى كلام العرب خصوصاً فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعانى والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها . وما كان أبو حنيفة ( رحمه الله ) يحسن الفارسية ، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر . وروى على بن الجعد عن أبى يوسف عن أبى حنيفة مثل قول صاحبيه فى إنكار القراءة بالفارسية .

## ٨٣٠ — الغنيمة الباردة

الفائق للزمخشرى : الغنيمة الباردة هى التى تجىء عفواً من غير أن يصطلى دونها بنار الحرب ويباشر حر القتال . وقيل : الثابتة الحاصلة ، من برد لى عليه حق . وقيل الهنيئة الطيبة من العيش البارد . والأصل فى وقوع البرد عبارة عن الطيب والهناءة إن الهواء والماء لما كان طيبهما ببردهما خصوصاً فى بلاد تهامة والحجاز[١] قيل : هواء بارد وماء بارد على سبيل الاستطابة ، ثم كثر حتى قيل : عيش بارد وغنيمة باردة ، وبرد أمرنا .

## ٨٣١ — فانظر إلى من يقودها

إذا شئت أن تقتاس أمر قبيلة وأحلامها فانظر إلى من يقودها

---

(١) البيئة الطبيعية توضح أشياء كثيرة فى اللغة وفى غير اللغة .

## ٨٣٢ — ... إلى أن تستوفى أجرتك

الأمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي :

حدثنا ابن سيف الراوية قال : رأيت جحظة ( البرمكي ) قد دعا بناء ليبنى له حائطا ، فحضر ، فلما أمسى اقتضى البناء الأجرة ، فما كسا وذلك أن الرجل طلب عشرين درهما ، فقال جحظة : إنما عملت يا هذا نصف يوم وتطلب عشرين درهما ! قال : أنت لا تدرى أنى قد بنيت لك حائطا ليبقى مئة سنة . فبينما هما كذلك وجب الحائط وسقط ، فقال جحظة : هذا عملك الحسن ؟ قال : فأردت أن يبقى ألف سنة ؟ قال : لا ، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفى أجرتك ...

## ٨٣٣ — الكمثرى :

المعرب لموهوب الجواليقي : قال الأصمعي : من الفارسي المعرب ( الكمثرى ) يقال : كُمَّثْرَاة وكمثرى منون مشدد ، ولم يعرف التخفيف . قال أبو حاتم : وقد يزعمون أنه لا يجوز غير التخفيف ، فانكر ذلك الأصمعي وأنشد :

أكمثرى يزيد الحلق ضيقا     أحب إليك أم تين نضيج

قال : الأصمعي : حدثني عقيلي قال : قيل لابن ميادة ( الكمثرى ) فلم يعرفه لأنه أعرابي ، ثم فكر وقال : مالهم — قاتلهم الله — يقولون الأُكُمُ أثرى .

ليست — والله — بأثرى ولا كرامة . والأكم المرتفعات من الأرض .

## ٨٣٤ — يا يزيد بن مزيد

ابن خلكان : رأيت في بعض المجاميع حكاية عن بعضهم أنه قال : كنت مع يزيد بن مزيد [1] فاذا صائح في الليل ( يا يزيد ابن مزيد ) فقال : على بهذا الصائح ، فلما جيء به ، قال : ماحملك على أن ناديت بهذا الإسم ؟ فقال : نفقت دابتي ، ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر :

إذا قيل من للمجد والجود والندى     فناد بصوت يا يزيد بن مزيد

فلما سمع يزيد مقالته هش له ، وقال له : أتعرف يزيد بن مزيد ؟ قال : لا والله ، قال : أنا هو ، وأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمئة دينار .

---

(1) الشيباني ابن أخي معن بن زائدة :

# عينـــان ...

للدكتور إبراهيم ناجي

—›››:◆:‹‹‹—

طوى السنين وشقّ الغيب والظلما     برق تألق في عينيـــك وابتسما

يا ساري البرق من نجمين يومض لي     ماذا تخبيء لي الأقـــدارُ خلفهما

أجئت بي عتبات الخلد؟ أم شركا     مددت لي من خداع الوهم أم حلما

كأنني ناظرٌ بحرا وعاصفةً     وزورقا بالغد المجهول مرتطما

حملتني لسماء قد سريتُ لها     بالروح والفكر لم أنقل لها قدما

شفّت سديما ورقّت في غلائلها     فكدت أبصر فيها اللوح والقلما

رأيت قلبين خط الغيب حبهما     وكاتباً ببنان النور قد رسما

وسحر عينيك إني مُقسمٌ بهما     لا تسألي القلب عن إخلاصه قسما

واهاً لعينيك كالنبع الجميل صفا     وسال مؤتلق الأمواج منسجما

ما أنتما ؟ انتما كأس وإن عذبت     فيها الحمام ولا عذر لمن سلما

لمّا رمى الحب قلبينا إلى قدَر     لهُ المشيئةُ لم نسأل لمنْ ولِما

في ساعة تجمع الآباد ، حاضرها     وما يجيء ، وما قد مر منصرما

قد أودعت في فؤاد اثنين كل هوى     في الأرض سارت به أخبارها قدما

كلاهما ناظر في عين صاحبه     موجا من الحب والأشواق ملتطما

وساحة بتعلات الهوى احتربت     فيها صراع وفيها للعناق ظما

يا للغديرين في عينيك إذ لمعـــا     بالشوق يومض خلف الماء مضطرما

وللنقيضين في كأسين قد جمعا     فالراويان هما والظامئان هما

بأي قوس ، وسهم صائب ويد     هواك يا أيها الطاغي الجميل رمى

يرمى ويبريء في آن وأعجبه     أن الذي في يديه البرء ما علما

وكيف يبرئني من لست أسأله     برءا وأوثر فيه السهد والسقما

لو أن في الموت أسبابا تقربني     إلى رضاك لهان الموتُ مقتحما

إن الليالي التي في العمر منك خلت     مرّت يبابا وكانت كلها عقما

تلفت القلب مكروبا لها حسرا     وعض من أسف إبهامه ندما




**حول ( كتب وشخصيات ) :**

لم يسمع الأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى نصيحتى ، فيؤجل قراءة كتابى الجديد حتى يعود من مصيفه ، وهو المسئول إذن عن إضاعة وقت المصيف فى القراءة . فكتاب البحر الخالد وصفحاته المتجددة خير بلا شك من جميع « الكتب » ومن جميع « الشخصيات » !

هل أشكره لأنه كلف نفسه ذلك العناء ، وضيع على نفسه ما هو خير ؟ أم أشكر للروح الطيبة التى تناول بها كتابى !

فلأبق ذلك كله الآن ، لأنبه إلى فقرة جاءت فى ثنايا كلماته الودود :

« ليس فى « قنديل أم هاشم » ذلك التحليل العميق للنفس البشرية ، حتى إذا نقلت القصة إلى لغة أجنبية نالت الإعجاب .

ويبدو أن صداقة الأستاذ سيد قطب للمؤلف هى التى دفعته إلى تشجيعه . ومن آيات هذه الصداقة أنه يقول : أوه ! يحيى حق ! أين كانت كل هذه الغيبة الطويلة ؟ فيم هذا الاختفاء العجيب »

بيننا اختلاف لا شك فيه على تقدير أقصوصة « قنديل أم هاشم » ولكن الأستاذ يذكر أنه قرأها منذ أمد بعيد . وأنا قد قرأتها وقرأتها وقرأتها . فلعله يرجع إذن مرة أخرى إليها فقد يعدل رأيه .

وهناك حقيقة يجب أن أذكرها هنا . إننى لا أعرف يحيى حق . لم ألقه مرة واحدة فى حياتى ، وأنا أود أن أراه لأعنفه أقسى التعنيف على سكوته . إننى صديق لقنديل أم هاشم لا ليحيى حق !

ولست أقرر هذه الحقيقة لأهرب بها من تبعة ثنائى عليه . فلو كان صديقى ما تغير حكمى . وفى من كتبت عنهم أصدقاء ومعارف ، وآخرون لا أعرفهم ، ولم ألقهم فى حياتى . وكلهم كتبت عنهم بروح واحدة ، لأن النقد الفنى يجب أن يكون موكلا بالعمل الفنى .

وحتى العقاد نفسه وصلتى بشخصه معروفة ، وصلتى بأدبه أوثق مرات من صلتى بشخصه — ولو فهم الكثيرون غير هذا — كتبت عنه فى كل مرة بالعقيدة الفنية التى اعتقدها . وقد يبدو فيما كتبته أخيراً عن « العقاد الشاعر » فى « كتب وشخصيات » أننى أختلف معه فى بعض الأحيان ، على تعريف الشعر وتذوقه ، وعلى النظر إلى العاطفة وأطوارها .

ولكنه اختلاف الرأى والإحساس ، الذى لا بد أن يقع بين شخصية وشخصية ، متى تبلورت الشخصيتان ، وظهرت معالمهما كاملة ، ولو كانتا شخصيتى التلميذ والأستاذ

أقرر هذه الحقيقة لأنها تنفعنا فى عالم النقد ، كما تنفعنا فى عالم الأخلاق . وللأستاذ الأهوانى شكرى مرة أخرى ، أن أتاح لى فرصة هذه الكلمات .

سيد قطب




# فقه القرآن والسنة

## القصاص

لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت

للأستاذ محمد محمد العزازى

من فترة بعيدة فى تاريخ المسلمين ، وكل ما يؤلف فى الفقه الإسلامى لا يعدو أن يكون شرحاً أو جمعاً أو تلخيصاً لا تبدو عليه مسحة من الاجتهاد ، أو حتى من الفهم المستقل ، وكان لهذا أثره السىء من رمى المسلمين بالجمود ، ومن قصور التشريعات الحديثة ، ومن خفاء محاسن الشريعة الإسلامية على المسلمين أنفسهم . قال الشيخ شلتوت متحدثاً عن « جفوة المسلمين للفقه فى العصر الأخير » :

« ولقد مضى هذا الزمن ، وصار الفقه الإسلامى صناعة علمية مجردة عن المعانى النفسية والقلبية ، بل صار الفقه فى كثير من نواحى الحياة العملية صفحات تاريخية لا تمت إلى الواقع بأدنى سبب ، وانحاز الناس جميعاً فى تعاملهم وأحكامهم إلى أحكام أخرى يسيرون عليها فى حياتهم ، ويضبطون بها شئونهم غير ذاكرين ما عندهم من فقه ساير أرقى الحضارات التى مرت بالعالم الإسلامى »

وقد نحا أستاذنا الكبير فى كتابه هذا منحى جديداً يمس — بحق — آمال المسلمين فى الرجوع إلى فقههم وفى تفهم مقاصده واتجاهاته . وقد كتب كتابه هذا بعقلية المجتهد ، وأقر كثيراً من الموضوعات بما أوتيه من استعداد خاص فى هذه الناحية لم يتيسر لغيره من علماء المسلمين من زمن بعيد

وللشيخ شلتوت مدرسة خاصة تكونت من تلاميذه فى الأزهر ، ومن تلاميذه فى كلية الحقوق . وإنا لنرجو أن يكون لهذه المدرسة شأنها فى العصر الحديث فى إنهاض الفقه الإسلامى وعرضه على الناس عرضاً صحيحاً سائغاً مقبولا

... وكتاب الشيخ موضوعه « القصاص » ، وقد مهد لموضوعه بفصول ممتعة فى هذه المفردات : « الفقه ، القرآن ، السنة » مبيناً معانى هذه الكلمات ، وما طرأ عليها على ضوء تاريخ التشريع فى العصور الإسلامية ، وقد دفع الشيخ دفعاً قوياً رائعاً شبهة القائلين : « إن الشريعة الإسلامية جاءت عن طريق الشرائع القديمة ، ولم يكن للعرب قانون معروف ، حتى تكون تعديلا له وتنظيما لأحكامه » . وبين أن القرآن جاء وللعرب عادات ومعاملات وعرف ، وأنه ( أقر كثيراً مما درجوا عليه فى هذه الشئون ، وهذب فيها وعدل وألغى وبدل ، وليس ذلك مما يضير القرآن فى تشريعه واستقلاله ، فما كان الإسلام إلا دينا يراد به تدبير مصالح العباد وتحقيق العدالة وحفظ الحقوق ، ولم يأت ليهدم كل ما كان عليه الناس ليؤسس على أنقاضه بناء جديداً لا صلة له بفطرة البشر وما تقتضيه سنن الاجتماع ) . وقد تتبع الشيخ فى هذا الفصل كثيراً مما كان عند العرب وكثيراً من التشريع القرآنى فى دقة وإبداع . وقال فى نهايته : « وهذا بحث جدير بالاستيعاب والتتبع ، إذ به يتبين مقدار الصلة بين التشريع الإسلامى ، وبين ما كان معروفاً عند العرب وقت نزول القرآن » وللشيخ قدرة على التتبع تظهر للقارىء فى كل فصول الكتاب .

وقد ذكر الشيخ عن القرآن أنه لم يكن فى أكثر أحكامه مفصلا : « ولكنه يؤثر الإجمال ويكتفى فى أغلب الشأن بالإشارة إلى مقاصد التشريع وقواعده الكلية ، ثم يترك للمجتهدين فرصة الفهم والاستنباط »

وكان هذا شأن القرآن فى الأمور التى تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة ، وهذا هو سر الخلود فى الشريعة الإسلامية وصلاحها لكل زمان ومكان ، واتساعها لكل ما يجد من المقتضيات والأحوال . أما فى الأمور التى لا تتغير ، فإنه يفصلها سمواً بها عن مواطن الخلاف والجدل ، ولأنه يريدها مستمرة على الوضع الذى حدده لابتنائها على أسباب لا تختلف . وقد تحدث الشيخ حديثاً رائعاً عن أسباب الاختلاف بين العلماء فى الفقه الإسلامى . ومما أعجبنى ما تحدث به عن إثبات نسب أسامة بن زيد بقول

القائف : « هذه الأقدام بعضها من بعض » . وإن العلماء قد اختلفوا فى هذا فاستدل بعضهم باستبشار الرسول لما سمع هذا الكلام على إقراره ، وأنه دليل على ثبوت النسب ، وقد رجح المؤلف رأى القائلين بذلك . والذى أعجبنى فى هذه المسألة قول المؤلف :«وقد كان هذا أصلا عظيما فى الأخذ برأى الطب الشرعى فى الحوادث التى يعتبر القانون نظرها لتبين جهة الحق فيها من اختصاصه ، ويمكن أن نلج من هذا الباب إلى الاعتماد فى القضاء والحكم على الوسائل الجديدة التى لم يعرفها الفقهاء من قبل كتحليل الدم وكآثار الأيدى والأقدام ، وغير ذلك مما يعرفه علماء التحقيقات الجنائية وأهل الخبرة » ثم تكلم عن الحكم بالقرائن ، وضرب لذلك أمثلة ختمها بقوله : « بهذا يتبين أن الأخذ بالقرائن فى الأحكام ليس من مبتكرات القوانين الحديثة ، وإنما هو شريعة إسلامية جاء بها كتاب الله وقررته السنة ودرج عليه حكام المسلمين وقضاتهم فى جميع العصور ، وإن رمى الشريعة بالقصور أو الجمود فى طرق الحكم ناشئ إما عن الجهل أو عن سوء النية » وإن كل ما أورده المحدثون من تقسيم للقرائن موجود بذاته فى كتب الفقه الإسلامى . ثم انتقل الشيخ بعد ذلك إلى الحديث عن القصاص ، وسبيله فى هذا أن يشرح الآيات والأحاديث الواردة فى هذا الموضوع مبيناً مقاصده ومفصلا أحكامه .

ومما يروع القارئ فى هذا الباب قدرة الشيخ على التطبيق واستقلاله فى الفهم ووصله الفقه الإسلامى بالحياة الحديثة ، وقد مهد لموضوعه بالكلام عن العقوبات فى الشريعة ، وقسم العقوبة إلى منصوص عليها ، وإلى تفويضية يرجع تحديدها إلى الحاكم ، وبين أن العقوبة التفويضية مجال واسع يتسع لكل ما يجد فى الحياة ، وبعد هذا البيان قال : « ولا يرتاب منصف بعد هذا فى أن هذه العقوبة أساس قوى ومصدر عظيم لأدق قانون جنائى تبنى أحكامه على قيمة الجريمة وظروفها المتصلة بالجانى والمجنى عليه ومكان الجريمة وزمانها فى كل ما يراه الحاكم اعتداء على حقوق الأفراد أو الجماعات ، بل فى كل ما يراه ضاراً بالمصلحة واستقرار النظام »

ومما أبدع الشيخ فيه وأمتع حديثه عن حق العفو ، وإن الشريعة الإسلامية قصرته على ولى الدم ، ولم تجعله فى يد الحاكم ليكون هذا أدعى إلى اطمئنان النفوس وطهارتها من الأحقاد والأضغان وأمن المحظور والفتنة .

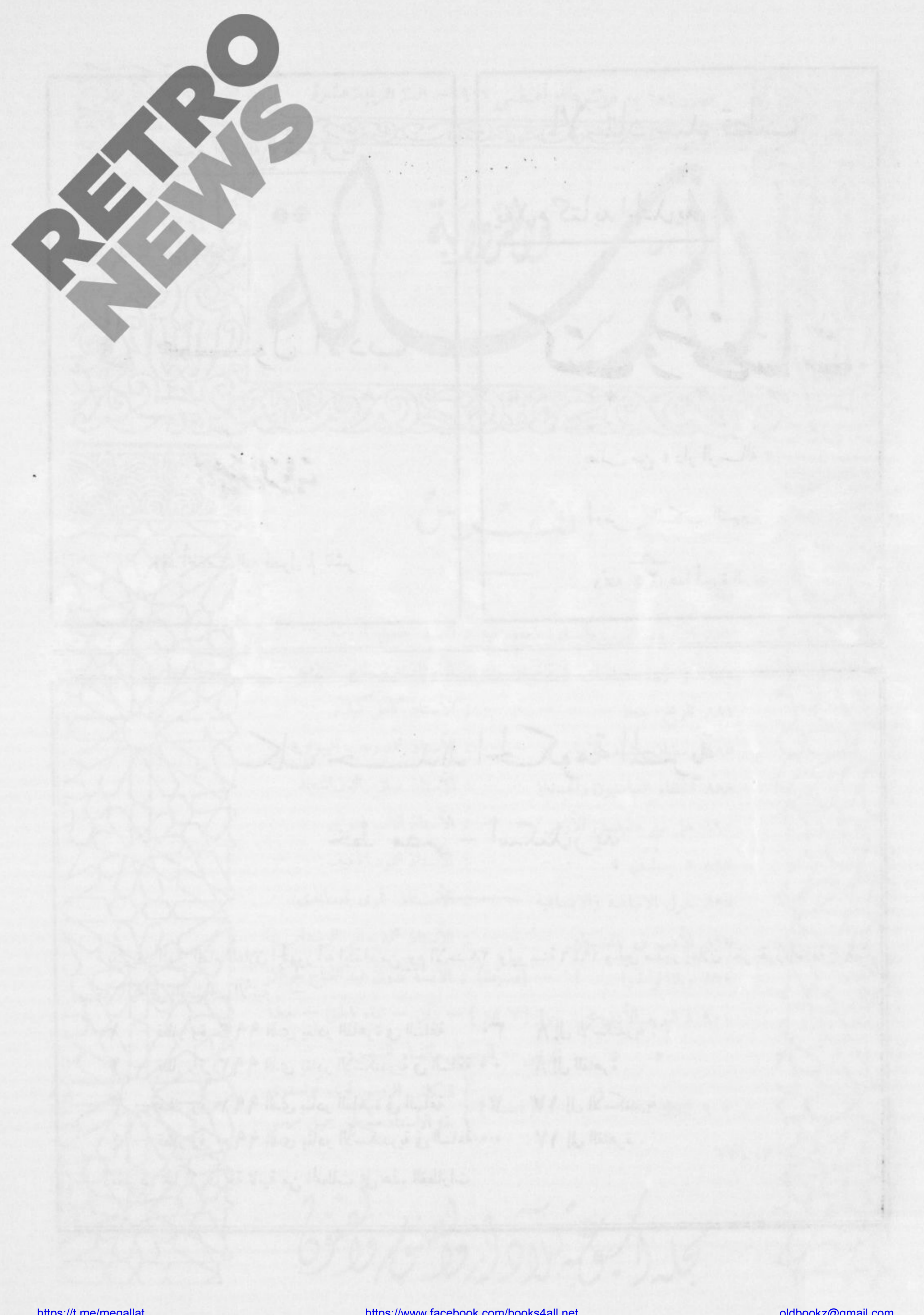
وقد بلغ الشيخ غاية التوفيق فيما كتبه عن الشروع فى القتل ، وعن معنى التحريم فى قوله تعالى : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » . وعن آلة القتل وعن القصاص فيما دون النفس إلى غير ذلك من الموضوعات التى لا بد للقارئ من الرجوع إليها فى الكتاب نفسه

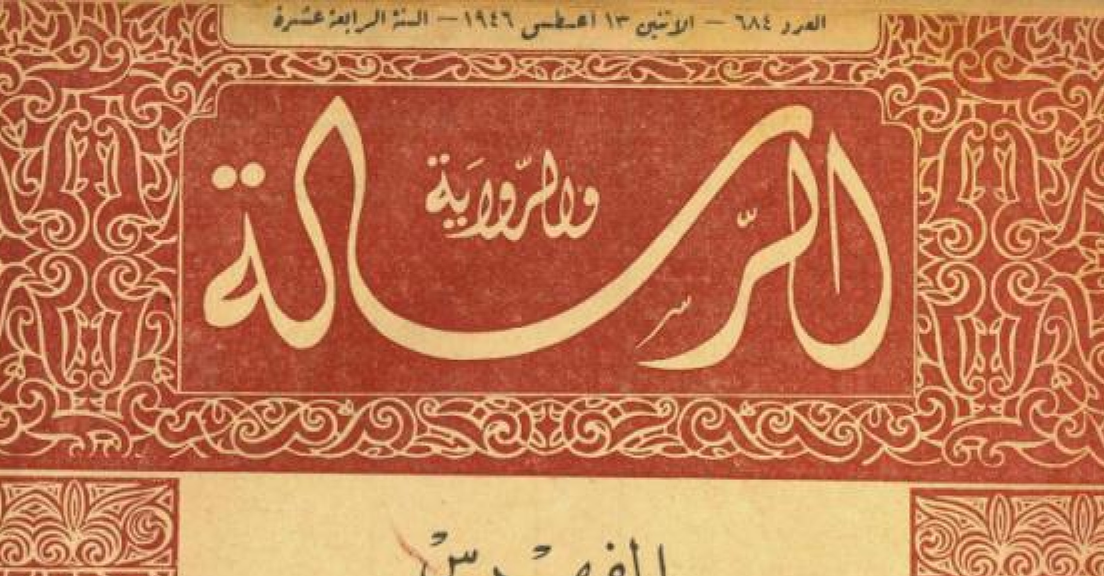
وإذا كان لى رجاء أتقدم به إلى أستاذنا الكبير ، فهو أن يقدم لنا « المعاملات » فى الفقه الإسلامى على النمط الذى قدم لنا به موضوع « القصاص » ، وأن يبين لنا موقف الشريعة الإسلامية من كل ما جد من المعاملات فى العصر الحديث ، لأن هذا موضوع يشغل بال كل مسلم

هدانا الله وهداه لخير الإسلام والمسلمين

( أبو حماد ) **محمد محمد العزازى**

المدرس بالأزهر






# الفهرس

صفحة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٨٤ — الاثنين ١٣ أغسطس ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة




# الفهرس



٢٧٠١٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

بادر باقتناء نسختك

قبـــل نفادها

من كتاب :

# دفاع عن البلاغة

للأستاذ

احمد حسن الزيات

يطلب من « دار الرسالة »

ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشاً عدا البريد

---

الأستاذ سيد قطب

يقدم كتابه الجديد :

# كتب وشخصيات

يطلب من « دار الرسالة »

ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

---

إعلان

عن قبول دفعة من الطلبة الجدد للكلية الحربية الملكية

تعلن إدارة الكلية الحربية الملكية أنه ستكون بها محال خالية للطلبة من حملة شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص (التوجيهية) فى أكتوبر سنة ١٩٤٦ .

وشروط الالتحاق تطلب من الكلية الحربية الملكية بكوبرى القبة إبتداء من يوم السبت الموافق ١٠ / ٨ / ١٩٤٦ من الساعة العاشرة صباحاً إلى الساعة الثانية عشر ظهراً فى أيام العمل .

ويمكن الاطلاع عليها باعداد الوقائع المصرية التى ستصدر فى الأيام ١٢ و ١٩ و ٢٦ أغسطس و ٢ و ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٦ .

وسيقفل باب الطلبات فى يوم الخميس الموافق ١٢ سبتمبر سنة ١٩٤٦ وسيعرض الناجحون فى الكشف الطبى على كشف الهيئة يومى الأربعاء ١٨ سبتمبر ١٩٤٦ والخميس ١٩ منه . ٥٨٠٠

---

جامعة فؤاد الأول

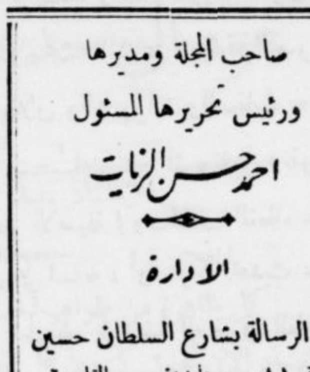
إدارة السجلات والامتحانات

إعلان

شروط القبول للطلبة المستجدين للعام الدراسى ٤٦ / ١٩٤٧ فى كليات الجامعة المختلفة نشرت فى عدد الوقائع المصرية رقم ٧٥ فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٦ . ٥٨٠٨

14 me Année No. 684

Lundi—13—8—1946




صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٨٤ «القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ رمضان سنة ١٣٦٥ — ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٦» السنة الرابعة عشرة

# النقد عند العرب

## وأسباب ضعفهم فيه

— ٣ —

أما الأسباب التى دفعتهم إلى سلوك هذا النهج فى نقد الشعر، فمن السهل تلخيصها فى خمسة أمور لا يصعب عليك استنتاجها مما تقدم:

الأمر الأول ما ذكرناه من أن علماء اللغة والنحو لم يروا الفضل فى الشعر إلا فيما يمكن الاحتجاج به، وحسبهم من ذلك البيت والبيتان.

الأمر الثانى — وهو من قبيل الأول — أن علماء البيان والبديع، ومنهم أكثر النقاد، كانوا يكتفون بالشطر أو البيت أو البيتين شاهداً على صورة من صور البيان، أو نوع من أنواع البديع.

الأمر الثالث أن القصيدة العربية بطبيعتها مجموعة من مقطوعات تتفق فى الوزن والقافية، وتختلف فى المعنى والغرض. فإذا أخرجت مقطوعة ما من قصيدة وأدخلتها فى أخرى تكون من بحرها ورويها لا تحس نقصاً فى الأولى ولا كمالا فى الأخرى.

الأمر الرابع أن الشعراء ألزموا أنفسهم أن يكون كل بيت من أبيات القصيدة مستقلا بمعناه عن غيره، وجعلوا من عيوب الشعر (التضمين) وهو أن تتعلق قافية البيت بما بعده على وجه لا يستقل بالإفادة. وربما مدحوا الاستقلال بين شطرى البيت؛ فقد روى الجاحظ فى البيان عن عمرو بن العلاء أن ثلاثة من الرواة اجتمعوا فقال لهم قائل: أى نصف بيت شعر أحكم وأوجز؟ فقال أحدهم: قول حميد بن ثور: وحسبك داء أن تصح وتسلما. وقال الثانى: بل قول أبى خراش الهذلى:

توكل بالأدنى وإن جلّ ما يمضى.

وقال الثالث: بل قول أبى ذؤيب: وإذا تُرد إلى قليل تقنع. فقالوا إنه لا يستغنى بنفسه، لأن السامع لا يفهم معناه حتى يسمع النصف الأول، والصواب أن يقال قوله:

والدهر ليس بمعتب من يجزع

وكان من أثر استقلال البيت بمعناه أن كثر التقديم والتأخير فى أبيات القصيدة حتى لا تجد قصيدة جاهلية يتفق راويان على ترتيب أبياتها.

والأمر الخامس أن الغلبة كانت للرأى القائل بأن الشعر إنما يكون أثره وبلاغه بما فيه من تغير الأوضاع وصور المجاز وأنواع البديع، حتى أن ابن رشد الحفيد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ قال فى تلخيص كتاب الشعر لأرسطاليس ما نصه: «والقول (الشعرى) إنما يكون مختلفاً أى مغيّراً عن القول الحقيقى من حيث توضع فيه الأسماء متوافقة فى الموازنة والمقدار، وبالأسماء الغريبة، وبغير ذلك من أنواع التغيير. وقد يستدل على أن القول الشعرى هو المغير أنه إذا غير القول الحقيقى سمى شعراً أو قولا شعريا ووجد له فعل الشعر. مثال ذلك قول القائل:

ولما قضينا من مِنى كل حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

إنما صار شعراً لأنه استعمل : أخذنا بأطراف الأحاديث الخ . بدل قوله تحدثنا ومشينا .

وكذلك قوله : بعيدة مهوى القُرط ، إنما صار شعراً لأنه استعمل هذا القول بدل قوله : طويلة العنق . وكذلك قول الآخر :

يادارُ أين ظباؤك اللُّعس قد كان لى فى إنسها أُنس

إنما صار شعراً لأنه أقام الدار مقام الناطق بمخاطبتها ، وأبدل لفظ النساء بالظباء ، وأتى بموافقة الإنس والأنس فى اللفظ . وأنت إذا تأملت الأشعار المحركة وجدتها بهذه الحال . وما عدا هذه التغيرات فليس فيه من معنى الشعرية إلا الوزن فقط ، والتغيرات تكون بالموازنة والموافقة والإبدال والتشبيه وبالجملة بإخراج القول غير مخرج العادة ، مثل القلب والحذف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير وتغيير القول من الإيجاب إلى السلب ، ومن السلب إلى الإيجاب ، وبالجملة من المقابل إلى المقابل » .

وما دام الشعر مبنياً على هذه الصور والأشكال ، فلا يكون النظر فيه إلا من جهة البيان والبديع ، وذلك يقتضى النظر فى بعض الأبيات وفى بعض أنواع الكلام .

* * *

لهذه الأمور الخمسة انحصر النقد البيانى عند العرب فى جزء واحد من النقد بمعناه العام عند الفرنج ، وضاقت علوم البلاغة عندهم هذا الضيق الفاحش ، فلم تعالج غير أبيات وفِقَر من الكلام المنظوم والنثر المسجوع ، وأغفلت القصيدة باعتبارها وحدة لا تتفرق ، والكتابَ باعتباره كلا لا يتجزأ ، ولم تحفل ما أُلف بالنثر المرسل من الكتب والقصص . وجر ذلك إلى أن الشعراء والكتاب أوغلوا فى البديع وتفننوا فى الزخرف ، وأهملوا فن القصص فتركوه لأدباء الشعب ، ولم يعنوا منه إلا بالمقامات لأنها مظهر الصنعة ومحك القدرة ، فحرموا بذلك الأدب العربى فناً كانوا هم بسليقتهم أقدر الناس على التوفر له والافتنان فيه .

ومن ذلك يتضح أن فهم الأقدمين الخاطىء لحقيقة الفن الشعرى والكتابى جر إلى حصر النقد البيانى فى الصور والأشكال ، وهذا الحصر نفسه قد وجه الشعراء والكتاب إلى الاحتفال باللفظ دون المعنى ، وبالصورة قبل الفكرة ، ففات أكثرهم أن روعة الكلام لا تكون بالرونق والأناقة والصنعة وحدها ، وإنما تكون مع ذلك بقوة التعبير عما تكنه الضمائر وتحسه المشاعر ، وبدقة التصوير لمختلف الطبائع والعواطف والأخلاق والشهوات والصفات حتى نرى صور أصحابها الحقيقيين أو المتخيَّلين تتحرك وتفعل وتقول على مقتضى الغرائز الثابتة والفطر الأصيلة ؛ وبكشف الغطاء عن طبيعة الشخص بكلمة تجرى على لسانه ، أو حركة تحدث عن يده ، فتكون تلك الكلمة أو الحركة كومضة البرق فى الظلام تنير الأفق بغتة ؛ وببراعةِ الوصف لمناظر الطبيعة وظواهر الكون حتى نحس فيها الحياة والحركة وندرك ما بينها وبين النفس وانفعالاتها من اتصال وعلاقة ؛ وبشدة التأثير فى الأفئدة حتى تستيقظ فيها رواقد الأهواء والعواطف ، فتطرب النفس أو تغضب ، وتفرح أو تحزن ، وترضى أو تسخط ، وتحب أو تبغض .

لو أن نوابغ الكتاب والشعراء فطنوا أو نبهوا إلى ذلك لكان من همّ الناقد أن ينظر فوق ماينظر فى الألفاظ والصور إلى تنسيق المعانى وترتيب الأفكار فى جملة القصيدة أو الخطبة أو المقالة أو القصة ، أو الكلام على العموم سواء أكان شعراً أم كان نثراً ؛ لأن سلامة الجزء المنفصل ، أو بلاغة البيت المنفرد ، لا تدل حتما على سلامة الكل أو على بلاغة القصيدة .

كذلك كان ينبغى للناقد أن ينظر فى الموضوع الذى عالجه الفنان ليرى أبلغ القصد فيما صور ، وأصاب الشاكلة فيما رأى ، وقارب الحقيقة فيما تخيل . وهل استطاع أن يبعث الحياة الطبيعية الحقيقية فى الأشخاص الذين توهمهم ورسمهم . وهل قدر على أن يحرك فى قلوبنا أهواء ساكنة ، وينشىء فى نفوسنا عواطف جديدة ، بما أوحاه أو استدعاه أو رواه من الأمانى والذكريات والحوادث ؟

كذلك كان من عمل الناقد البيانى أن يحلل ما ينشأ فى نفس القارىء لروائع الكتاب والشعراء من العواطف ، وأن يبين كيف يستطيع الكاتب أو الشاعر أن ينشىء هذه العواطف أو يوحيها . ومن ثمّ كانت المقالات النقدية عند الفرنج عملاً فنياً قائماً بذاته يبوىء أصحابه مقاعد النبوغ والخلود .

وإذا تدبرت وظيفة الناقد من بعض ما ذكرته تبينت لك العلاقة بين النقد وعلم النفس ، فإن موضوعه تحليل الأحاسيس والعواطف ، والبحث عن طبيعة الجمال ومايصدر عنه من الانفعالات والأهواء ،

ولذلك لم يصبح النقد عن الفرنج فناً مستقلا له قواعده ومذاهبه إلا فى القرن التاسع عشر بعد أن ارتقى علم النفس وانتشر وازدهر. ومنذ ذلك الحين تابع رقيه حتى بلغ أوجه وأدرك تمامه، فأثر فى فنون الأدب أبلغ التأثير، وعدل فى بعض أنواعها كل التعديل فإذا أضفت إلى الأمور الخمسة التى تقدمت، هذا الأمر السادس وهو جهل القدماء بعلم النفس كما كان يجهله غيرهم، اجتمعت لديك الأسباب التى أدت إلى ضعف النقد عند العرب، والنتائج التى أحدثت هذا النقص البادى فى تاريخ الأدب

**احمد حسن الزيات**

# عود إلى حديث الانسانية!

[ إلى أخى الأستاذ على الطنطاوى ]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

كل ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية الفاسدة الشديدة الفساد الآن تحمل كثيرين على عدم الثقة بالإنسان وسوء الاعتقاد فيه، فليست قصتك التى أهديتها إلى فى العدد الماضى يا أخى شيئا مذكورا بجوار القصص التى تمثلها الجرائم السياسية الكبرى التى يعرضها شيوخ السياسة على مسرح الأرض، ولا بجوار المخزاة الدامية المجرمة التى تمثلها الصهيونية، وتنصرها الولايات المتحدة الأمريكية! — تلك التى كانت أمل العالم فطواها الشيطان فى جناحه الأسود فيما طوى من آمال السلام والخير — وتغضى عنها الامبراطورية البريطانية إغضاء الذليل الضعيف، وهى التى خرجت منصورة من حرب كادت تودى بها، أعلنتها، وكان من أسباب إعلانها لها الانتصار لليهودية المضطهدة على يد النازية!

أجل، ليست المسألة فى الحكم على الإنسانية بأنها للخير أو للبوار مسألة قسوة فرد أو جريمة شخص، فإن فساد الأفراد وبخاصة فى عصور الانحطاط، يكون من الكثرة بحيث لا يحصيه العادّ ولكن هل معنى ذلك أن نستسلم للواقع السيء ونحطم عقائدنا فى الخير والصلاح ونلقى سلاح كفاحنا لها؟

وقد كانت صيحتى « أومن بالإنسان » فى إبان الحرب الأخيرة ردا لهجوم عنيف على قلبى من موجات التشاؤم والسخط والتبرم من ذلك المجتمع الإنسانى الذى اشتمل بالحقد والقسوة والكفر بالقيم العليا للحياة الإنسانية فدمر كل شيء، وكفر بكل شيء لأنه فارغ الفؤاد من العقائد السامية فى الإنسان وفى الله خالق هذا الإنسان ومكرمه!

وكانت الفكرة التى تسلسل الحديث بها فى هذا الموضوع إنما هى فرار بنفسى وعقائدها السامية فى حياتى الشخصية وحياة النوع الذى أنتسب إليه.

وعندما يطم طوفان الفساد لا تجد النفس عاصما منه إلا باللجوء إلى صخرة الإيمان بتلك القيم العليا التى تعمر الوجود، ولا تطمئن النفس إلى الحياة إلا إذا ظلت لهذه القيم قداستها وهيبتها. فاذا رأيت المدن والمعابد والشيوخ والأطفال والعجزة والمعاهد، وكل ما قامت عليه الحضارة الإنسانية من القداسات والحرمات تدكه يد الحرب المجنونة الفاجرة، فلى العذر أن ألتمس لنفسى ولمن شاء من الناس أفقا أرى فيه تأويل هذه الظواهر الفاسدة والجرائم المنكرة كى أوفق بين عقائدى الدينية فى إرادة الله بالناس الخير مهما بدا هذا الخير ملفوفا بالشر، وبين سير الحياة بالأحياء ... وإلا فقد عرضت نفسى لما تعرض له بعض من كتب إلى منذ حين يقول إن الحياة الإنسانية لغير غاية، وإن الله — تعالى — قد فاتت عليه الغاية من خلق هذا النوع فقد خلقهم لعبادته، فلم يعبده منهم إلا الأقل!

على أن كل ما ضاعف فى الناس فعل الشر وسلبهم الاعتقاد فى الخير هو ذلك اليأس من الخير، وذلك الاعتقاد بأن الشر هو الغالب على الطبع البشرى، وذيوع هذا الاعتقاد فى هؤلاء المحاربين المصريين، هو الذى جعلهم يحاربون بروح التدمير وعدم الإبقاء على شيء، وما دامت الحياة للشر فليخبطوا فيه خبط عشواء على نحو بيت المعرى:

وبصير الأقوام مثلى أعمى فهلمو فى حندس نتصادمْ!

أحد أمرين لا ثالث لهما: إما أن نؤمن بأن هذا النوع الإنسانى يمكن الإقلال من شره، وإقامة حياته على مثل الدولة الإسلامية الأولى، أو على مثل دول سكان الشمال من أوروبا الحالية، وعندئذ نجد فى أنفسنا العزائم على الجهاد والصبر والكفاح فى هذا السبيل حتى نصل أو نقارب بحسب الطاقة وبحسب قوانين الدنيا ... وعندئذ يستمر سير الحضارة والإصلاح مطردا ويظل

الخير له دولة فى الحياة كما أن للشر دولة ، ولا ضير على المقائد أن يبقى من الشر بقايا ما دام الخير هو القانون الحبيب لنفس تلوذ به وتعتصم بعواصمه عند المواقف الفاصلة ... وإما أن نكفر بهذا النوع ونهدر قيمه الخلقية ، ونفقد آمالنا فى أنه مخلوق لغايات كريمة ، ولا نستمع لوصايا الأديان القويمة بالبر وحسن الخلق والدعوة للخير والغضب على الشر ، وعندئذ فلنخلع قناع المدنية عن وجوهنا وجوه الذئاب والخنازير والنمور ، ولنفضح كل مواضعات النفاق الاجتماعى ، ولنعلن بصراحة أن وصايا الأديان أخاديع أو أغلوطات عظيمة من عبقريات التاريخ الكاذب المدلس ، وأن الإنسانية يجب أن تتخذ لها فلسفات فردية لكل فرد فى الأمة ، ولكل أمة فى الأمم يرعى فيها الفرد مصلحته الخاصة ، والأمة مصلحتها الذاتية ، وتسعى كل أمة أن تكون أربى من غيرها ، لأنه لا رحم ولا نسب بينها وبين غيرها ، وإنما هى قطعان وحيوانات بشرية تسعى « لتعيش » فى أضيق حيز ، وهو حيز « الذاتية » .

وأليست هذه الحياة التى وصفنا على هذا الفرض هى الحياة التى تحياها الأمم وتشقى بها كل أمة وتدمر كل حضارة ؟ ! فإذا أردنا أن نفر منها ، فلماذا لا نؤمن بفلسفة تناقضها وتحاربها ؟ ! وهل هذه الفلسفة إلا أن « نؤمن بالإنسانية الواحدة » . وأنها مخلوقة لغايات عليا ليست هذا النزاع على الذهب الأصفر والذهب الأسود والفحم الأسود والفحم الأبيض » وإنما هى البحث عن كلمات الله فى الطبيعة بحث طالب « العلم » لا طالب « الفائدة » المادية وحدها ؟ .

وأليست هذه الغاية لو تحققت جديرة بأن تشعر الناس جميعا أنهم نوع واحد غريب الوضع فى هذا الكون ! لأنه وحده يفتح أبواب الطبيعة بابا فبابا ، ويتدرج فى تسخير قواها درجة درجة حتى وضع يده فى منابعها ، وحطم أسوار « الذرة » التى هى وحدة بناء الكون المادى .

ذلك هو « الوضع الأصيل » للانسانية الذى يجب أن يرصدها منه الراصدون ليعلموا أى كائن هذا الإنسان الذى يحملونه فى أجسادهم ويبادلونه ما صح وما فسد من شأنه وشئونهم !

أما أن يرصده راصد فى « ولد عاق » ، أو « وحش الاسكندرية » أو « سفاح باريس » الأخير أو غير أولئك من الثمرات الإنسانية المعطوبة الملوثة التى سقطت وتلوثت لضعف روابطها بفروع الشجرة الإنسانية ، ثم يحكم عليه كله بذلك ، فتلك نظرة سطحية جزئية لا تليق بمن يجعل عقله ميزان حكم على الكون ومرآة رصد لأعاجيبه التى لا تنفد فى حرب الخير والشر ، وعراك الصلاح والفساد ، وصراع الموت والحياة ، وقذف الحق على الباطل !

وإنى أسأل أخى الطنطاوى : لماذا يفقد ثقته وإيمانه بالإنسانية لأجل مثل من العقوق يقابله أمثال من البر بالآباء ؟ هل جميع الأبناء مثل هذا الابن العاق ؟ ولماذا تألم قلبك من هذا المثل الشرير ؟ أليس لأن قلبك ينكره ؟ إذاً ففى قلوب الناس نوع خير ينكر الشر ويضرب به مثلا ، ويكتبه قصة يشنع بها ويسمع بصاحبها ، ويجد فى قلوب الناس صدى لألم قلبه ، لأن « البر لا يبلى » . وما دام فى الإنسانية خير وشر فلم نيأس منها ونزرى بقضيتها ؟ لماذا نحرق الحقل كله لنتخلص من الزوان ؟ !

إن الأولى بنا أن نعتقد أن الإنسانية كحقل من النبات ، الأصل فيه أن ينبت أكثره نباتا حسنا ، ويؤتى أكله وثمره إذا تعهدناه بالسقى والرعاية والحراسة من الآفات والحشرات التى تعطبه وتفسده وتجعل أكثره ينبت نباتا سيئا . ولا بد أن يكون فيه المعوج بالطبيعة ولكنه لا يكون الأكثر فى العادة .

ولن يفقد الزارع أمله من الزرع إذا ما خانه حظه فى موسم من المواسم فييأس ويقول : إن هذا النوع من الزرع ملعون ! ولن أزرعه ، إلا إذا كان أحمق .

ونحن الذين نعلم أن كل مولود يولد على الفطرة ثم تلحقه عوامل التربية والبيئة فيتكيف بها ينبغى لنا أن نتربص ونتوجه بكل جهود الإصلاح إلى قلوب الطفولة منطقة النمو الإنسانى ، ونجتهد أن تنبت نباتا طيبا وعلى الله الباقى !

ذلك حديث أذكر به صديقى بقضية الإنسانية والإيمان بها ، وآثار ذلك وضده من النواحى العملية والاجتماعية .

غير أن للقضية وضعا آخر من الناحية الفلسفية قد لخصته فى تلك العبارة التى لا شك رآها الصديق فى كتابى عن القضية وهى :

« أومن بالإنسان لأومن بالكون ورب الكون ؟ فلن يؤمن الفرد الإنسانى بهما إن لم يؤمن بنوعه ؛ لأن عقل الإنسان هو المنظار الذى ندركها به ، فإن أهدرنا قيمة الإنسان أهدرنا

...

تلك هى القضية وهى أشبه « بمعادلة رياضية » وهى عندى القضية الفكرية الأولى فى الدين والعلم والفلسفة .

عقله ، فلا يبقى ما ندرك به كوننا وربنا ! ! ويعيش أكثرنا كما يعيشون الآن ، تضطرب بهم مجهولات الكون ومعلوماته كغرقى طافين على أكف الأمواج ، لا يعقلون شيئا ولا يؤمنون بالكون والنفس ولا بربهما ، وإنما يعيشون فى ذهول وبلبلة وشك ، ثم يمضون إلى ظلمات القبور » .

فهل ترانى أخطأت ؟

**عبد المنعم خلاف**

# تاريخ جحا ...

## جحا التركي

**للأستاذ كامل كيلاني**

— ٣ —

### الأستاذ نصر الدين

ولد الأستاذ نصر الدين — كما أسلفنا — فى « سيورى حصار » إحدى بلاد الأناضول ، ومات فى « آق شهر » ( البلد الأبيض ) ونشأ فلاحا ذكيا يؤثر أن يحطب بيده ويعيش من كد يمينه .

وكان سخى اليد كريم النفس لا يقصر فى واجب ضيف ولا يرد عائذا قصد إلى داره من الغرباء والفقراء .

***

فإذا حذفنا أسماء البلدان فما ندرى : أى الجحوين به ذلكم الوصف أكثر التصاقا ، وعلى أيهما كان أكثر انطباقا ، ولكن من يدرى ؟ فإن قدرة الله تخلق من الشبيه أربعين ، كما تخلق من الشخوص الجحوية أربعين .

كان الأستاذ نصر الدين — فيما يقول مؤرخوه — أمة وحده : كان فيما يتمثله بعض مؤرخى الأتراك فيلسوفاً حكيما يمزج الفكاهة بالجد ، ويعرف كيف يخاطب الناس على قدر عقولهم ، وكان آية من آيات الذكاء وخفة الروح .

وكثيرا ما تخللت نصائحه طرائف عالية من الدعابات الحلوة والنكات المستعذبة واللطائف المستملحة ، ولم يكن كما يتخيله العامة مهرجا ولا متبذلا ولا أبله ولا مخبولا ، ولا — كما توهموه — عاجزا عن التفريق بين الخير والشر .

وكيف يكون ذلك وقد شهد علماء الأناضول : أنه كان لهم فى العلم إماما يقتدى به ويهتدى ، وعالما ثبتا ، وقطبا من أقطاب الحكمة والفلسفة .

قالوا :

ولا أدل على ذلك من ذيوع ترجمته وانتشار أخباره وطرائفه المبدعة فى بلاد الدنيا كلها ، عصرا بعد عصر ، وجيلا بعد جيل حتى وصلت إلى أيدينا متجددة الروعة دون أن تبلى جدتها ، أو تخلق ديباجتها .

وكان يحلو له السياحة والتجوال مشيا على قدميه . ولم يعرف عنه ميل إلى التزلف ، ولا نزوع إلى الخبث ، ولم تؤثر دعابته ونكاته فى مكانته الرفيعة بين معاصريه ، ولم تقلل من احترام الأهلين له ، ومحبتهم إياه .

إلى هنا ينتهى الوصف الذى يصدق على الجحوين : الشيخ أبى الغصين دجين بن ثابت ، والأستاذ نصر الدين أفندى . ثم ينفرد ثانيهما بما يأتى :

كان تاريخه الحربى والسياسى — فيما يقولون — حافلا بجلائل الأعمال . وقد ختم بسفارة رسمية سياسية فى بلاد الكرد ( كردستان ) فنجح فيها أيما نجاح .

***

ويدل ما بقى فى أيدينا من آثاره على أنه لقى من صروب الامتحان ، وتعرض لأزمات كثيرة لقيها بثبات وثقة خليقين بأمثاله من كبار النفوس .

ومازال يعلو فى المناصب ويسفل ، ويلقى من أسباب السخط والرضى — تبعاً لتقلب الأهواء — ما يلقاه أمثاله من الأحرار الصابرين .

وقد ولى القضاء فى آق شهر ( البلد الأبيض ) وملحقاتها . وكان يخطب فى « سيورى حصار » . وقد عرف عنه أنه كان

جريئاً لا يتهيب أن يدعو الأمراء والولاة والحكام إلى طاعة الله والتمسك بأهداب الدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وكان يؤم الناس في ولايات «أنقرة» و«بورصة» و«قونيه» وما إليها من البلدان وأقرأ ابن السلطان كتاب الهداية ووقفه على دقائقه وجلا له غوامضه.

ولن يؤخذ هذا الرجل الصالح بما فرط منه من زلات في جن نشاطه ومستهل فتوته. فقد أقلع عنها وتم له النسك بعد اكتمال عقله ورجولته وقد ختم حياته بالوعظ وتدريس علوم الدين.

وقد أهلته شجاعته وحكمته ودعابته، وما تحلى به من مواهب وميزات باهرة، وما حباه الله به من قدرة على اكتناه دقائق الفن والنفاذ إلى مغالق العلم، وما ذاع بين معاصريه من شهرة مستفيضة بين علماء زمنه وحكماء عصره، إلى الظفر بأسمى المناصب، وأتاحت له المثول في حضرة «تيمورلنك» والاتصال به. ومكنت له تلك الأسباب مجتمعة من النجاح فيما هدف له من تلطيف جوره وكف أذاه عن الناس وتخليصهم من كثير من مظالمه.

قالوا: وساعدته على ذلك بديهة حاضرة وكياسة نادرة، ونكتة مستعذبة ودعابة محببة.

وإن مرتاد الأناضول ليدهشه ما يراه من اعتقاد الناس فيه؛ فهو عند الأهلين: من أولياء الله المقربين. وهم يؤمنون بأن زيارة قبره تجلب البركة والخير العميم على زائريه. فإذا شك إنسان في شيء من هذا أصابه أذى أو مكروه جزاء جحوده ونكرانه.

وللأهلين في ذلكم الباب طرائف كثيرة، منها:

«أن مركبة مرت أمام قبره، وعليها هودج معمد (أعني: ذا أعمدة). وكان يستقل الهودج أسرة فيها شاب لا يدين بالخرافات. فلم يشأ أن يجرى على عادة الأهلين الذين تفرض عليهم التقاليد أن يترجلوا قبل أن يبلغوا قبره، وأن يقرأوا الفاتحة أمامه باسمين وإلا عرضوا أنفسهم لمساءة وشيكة، وربما حلت بهم كارثة عاجلة لا قبل لهم بها، ولا حيلة لهم في دفعها.

قالوا: وأصر الشاب على أن يستهين بهذا التقليد الصالح الذى جرت به العادة هناك. فماذا حدث؟

لم يكد الهودج يسير خطوات قليلة حتى اصطدم فيما يزعمون بفرع شجرة ممدود، فجفلت الخيل وقذفت بأفراد الأسرة على الأرض، وتمزقت سجوف الهودج ورفارفه.

فلا غرو إذا ثبت اعتقاد الأهلين في بركة الشيخ وقال قائلهم مباهياً:

منذا الذى يجرؤ على احتقار شيخنا، أو الاستخفاف به، بعد اليوم؟

وقد علق على هذه القصة بعض أفاضل الباحثين من الترك، فقال:

«ولا ضير من أمثال هذا الاعتقاد، فإن الاستنجاد بروحانية الأخيار أفضل وأجدى مما يرتكبه المنكرون الجاحدون من شرور وحماقات.

قالوا إن عالماً متفقهاً في دينه، سأل زوجته: لماذا لم تكنسى البيت؟ فقالت له «ذهبت إلى أمى اليوم، ولم أعد إلا ساعة الغروب» فقال: «لقد مرت ساعتان على ذلك فما بالك لم تكنسيه؟» فصاحت فيه متعجبة: كيف تقول هذا؟ ألا تعلم أن الكنس يحرم متى جن الليل؟» فضرب الرجل كفا على كف وقال من أين لك هذا العلم أيتها البلهاء؟ أتحبين أن تعلميني ما أدرسه للناس كل يوم في المسجد من شئون الحرام والحلال؟» فقالت له: «لا شأن لى بعلمك، فكذلك أخبرتنى أمى وجدتى، وعمتى وخالتى، وأختى وجارتى، وعلى ذلك الرأى أجمع كل من عرفت»

فلما اشتدت الملاجة بينهما قالت له الزوجة متبرمة: «اكنس أنت إذا شئت ما دمت لا ترى في ذلك حرجا»

فأمسك الشيخ بالمكنسة وراح يكنس هازئاً برأى صاحبته متحدياً إياها بين لحظة وأخرى. ولم يكد ينتهى من ذلكم حتى لدغته عقرب فصاح مغوثاً يقول:

«لعله علم وترك»

لعلنا نتعلم من هذه القصة ما يجب على كل رجل من الأذعان لرأى المرأة — ولو كان باطلا وطاعته طاعة عمياء.

ومن عادة الأهلين السذج في «آق شهر» أن ينظموا الأشعار في أعراسهم بعد أن يذهبوا إلى قبر الأستاذ نصر الدين، ثم يوجهوا الدعوة إليه، وهذا نصها:

«أحضر شيوخك، وأحضر من تحب من أصفيائك العلماء».

وليس يجرؤ أحد منهم على مخالفة هذا التقليد: وعندهم:

أن الحياة الزوجية لن تزدهر بين العروسين ، ولن يباركها الله إذا غفلوا عن تنفيذ هذا التقليد .

ولا يقتصر المحتفلون على ذلك . بل يدعون حارس قبره ليكسب حفلتهم بهجة وحبورا بما يقصه عليهم من ملحه وطرائفه

**حفيد نصر الدين**

ومن طريف ما يروى أن بعض حفدته قدم إلى الآستانة مع أسرته ، فى عهد السلطان مراد الثالث ، فى القرن العاشر الهجرى ( ٩٨٢ إلى ١٠٠٣ هـ ) ، ملتمساً من وزارة الأوقاف أن تقرر له إعانة شهرية يسيرة من المال تمكنه من شراء ما يتبلغ به من القوت . ولم يجد حفيد نصر الدين شيئاً يربط إليه دابته . ثم لم يلبث أن لمحت عيناه طبلا كبيراً أمام باب الوزارة ، يستخدمونه لتنظيم المواعيد ، وتوقيت الحضور والانصراف ، وما إلى ذلك مما تستخدم فيه الأجراس عادة . فشد صاحبنا دابته إلى ذلك الطبل بعد أن ضاقت به الحيل فى الاهتداء إلى غيره .

وكان فى ساحة الوزارة — جمهرة من البغال التى تعدها الدولة — كل عام — للذهاب بما تحمله من مال ورجال إلى الحج . ولم تكد الدابة تستقر حتى ركلت الطبل برجلها — تعمدا أو اتفاقاً — فأحدثت ضجة وضوضاء فأجفلت البغال وهربت من الذعر . وشاع الهرج والمرج . وانزعج ولاة الأمر ، وبحثوا عن مصدر الصخب ثم ما لبثوا أن اهتدوا إلى أن حفيد نصر الدين هو مصدر الضجة كلها .

وقد كانت تلك الحادثة وحدها كافية للتعريف بنفسه ، فأغنتهم عن التثبت من بنوته ، بعد أن رأوا فى تصرفه ما يدل على أصالته ، وصحة نسبته .

## تحقيقات

**١ — قبر نصر الدين :**

ولا بأس من وقفة قصيرة نستعرض فيها ما انتهى إليه بعض الباحثين فى تاريخ الأستاذ نصر الدين إذ يقول :

« ونحن بما انتهت إليه تحقيقاتنا العلمية فى بلاد الأناضول وقفنا على كتاب : « السياحة إلى قونية » الذى أهداه إلينا أحد الأفاضل إخواننا ( ضيا بك ) .

وباطلاعنا على هذه السياحة وجدنا أن المرحوم قبرا فى مقبرة « آق شهر » مكتوبا على شاهدته هذه الجملة :

هذه التربة . المرحوم المغفور له المحتاج إلى رحمة ربه الغفور نصر الدين أفندى روحنا ( إلى روحه ) فاتحة ٣٨٦ .

**٢ — تاريخ وفاته :**

ثم يقول :

وقد استثار هذا التاريخ دهشتنا لأن نصر الدين لم يمت فى ذلك التاريخ ، واستدللنا على أنه محرف ، وأن الأرقام قد كتبت معكوسة ، وصحتها ٦٨٣ . وقد تبينت صحة ذلك التاريخ من التحقيق المحلى الذى قمت به لأن المرحوم من رجال السلطان أورخان . وقد حكمنا من الشواهد والملابسات أن ما وصلنا إليه من نتيجة هو الصواب لا ذلك الذى كتبوه على شاهدة قبره خطأ . وقد تبين لنا من ذلك الخطأ فى التاريخ المثبت على القبر ومن كتابة أرقامه أنها مقلوبة .

ومن عجائب الاتفاق وغرائب الأستاذ أن يقلب تاريخ وفاته على قبره أيضا ، وكأنما تعمد كاتبه أن يقلبه ليدل على أن النكتة لا تفارق صاحبنا حيا وميتا .

إلى أن يقول :

« وقد انتهت تحقيقاتنا إلى أنه كان — رحمه الله — قد ظهر تقريبا فى عهد السلطان أورخان ، وامتدت حياته إلى عصر السلطان « يبلديرم بايزيد » أى « الصاعقة بايزيد » .

ومعنى هذا أنه عاش فى أوائل القرن السابع . وأنه عاش ستين عاما أو يزيد ، إلى أن توفى سنة ٦٨٣ هـ كما يدل على ذلك لوح القبر الذى دفن فيه » .

وقد قبست جريدة صدى الأجراس ( جينفر اقلى تاتار ) الكلمة التالية من كتاب تاريخ النكات ( لطائف نويس ) وقد ألفه فى جزءين عن لطائف نصر الدين ، قالت :

كان الأستاذ من رجال المرحوم السلطان يبلدرم بايزيد .

**٣ — صحبة تيمورلنك :**

فإذا عن لنا أن نترفق فى مناقشة أقوال هذا المحقق ، ونتفهم ما انتهت إليه تحقيقاته العلمية ، تعذر علينا أن نجاريه فيما انتهى إليه .

فإذا افترضنا أن التاريخ مقلوب – كما ذهب إلى ذلك صاحبنا وتابعه فى رأيه كل من أظفرنا الحظ بقراءة بحوثهم ، فكيف نعلل ما حدثنا به ذلكم الباحث نفسه وما حدثنا به جمهور المؤرخين من صحبته للباطش السفاح الطاغية تيمور لنك .

كيف نعلل ذلكم ، وقد ولد « تيمور لنك » بمدينة « كيش » – فيما تعلمون فى القرن الثامن ، إذا صح أن « نصر الدين » مات فى القرن السابع .

إذا صح أن تيمورلنك ولد عام ٧٣٧ هـ فيما يقول التاريخ وأن نصر الدين مات عام ٦٨٣ هـ فكيف التقيا ؟ وكيف ونصر الدين لم يدرك مولد الطاغية ، بله انتصاره على بازيد الصاعقة الذى تم له – فيما تعلمون وأعلم – عام ٨٠٥ هـ ١٤٠٢ م بل كيف لقى « أورخان » وهو لم يل الإمارة إلا عام ٧٢٦ هـ ، أى بعد وفاة « نصر الدين » بثلاثة وأربعين عاما .

لقد مات « أورخان » عام ٧٦١ هـ ، ثم خلفه ابنه مراد الأول ( من ٧٦١ - ٧٩٢ هـ ) ثم خلفه بازيد الأول ( ٧٩٢ – ٨٠٢ هـ ) وانتهى أمره فى عام ٨٠٥ هـ .

كيف نعلل ذلكم كله وأخباره مستفيضة مع بازيد وتيمورلنك !

قالوا : إن جحا بطل محاضراتنا ، سمع فقيها يتلو الآية هكذا « نخر عليهم السقف من تحتهم » فانتفض جحا غاضبا ، وصرخ فيه متعجبا . « إذا فاتك النص يا هذا فلا يفوتنك الذوق ! كيف استقام فى ذهنك أن يسقط عليهم السقف من تحت ؟ قل من فوقهم لا أبالك ؟

إحدى اثنتين أيها السادة :

إما أن نأخذ بالتاريخ المقلوب ، كما أخذ ذلكم المحقق ، فننكر صلة نصر الدين ببازيد بله تيمور لنك !

وإما أن نأخذ برواية من يثبتون لنا مؤكدين أنه صحب بازيد كما صحب تيمورلنك من بعده ، فننكر صحة التاريخ المكتوب على القبر طردا وعكسا ، ونسقط رأى أولئكم المحققين أثباتا كانوا أم غير أثبات .

فإن كان لا بد من التشبث بالأرقام الثلاثة التى يتألف منها التاريخ المثبت على جدثه وهى ٣٦٨ ، فليس لنا مندوحة عن نقل رقم الثمانية من الطرف الأيمن إلى الطرف الأيسر ، أعنى : من رقم الآحاد إلى رقم المئات فتصبح حينئذ ٨٣٦ هـ . وهذا التاريخ – على أى حال – فى حدود الممكنات ، إذا استحال علينا الأخذ بالتاريخين السالفين طردا وعكسا . فإذا أبينا إلا الاسترسال فى تحوير الأرقام وتقليبها على كل وجوهها لم يبق أمامنا إلا تحوير واحد ، هو آخر ما يتبقى لمن يحلو له أن يتشبث بها ، لم يبق إلا تاريخ ٨٦٣ هـ ، وهو كما ترون : أبعد احتمالا من سابقه ، وإن لم يكن ممعنا فى الاستحالة إمعان التاريخ المثبت على القبر مثبتا ومقلوبا . هذا إذا تسمحنا فى عمره بأنه لم يعش إلا ستين عاما أو قريبا كما يقول القائلون .

فلو أنه عاش مائة عام مثلا لما استحال على الباحث أن يأخذ بهذا التاريخ . على أن خير الأمور الوسط ، والاعتدال ، كما يقولون ، هو : الحسنة بين السيئتين .

من بدائع ما يروى من الطرف فى هذا الباب أن متحدثا ممن وهبهم الله – إلى نعمة الغباء والغفلة – عجمة اللسان ، قال : « خسن وخسين بنات معاوية بن عفان » .

فصاح فيه أحد السامعين متعجبا :

قل لى بأى خطأ فى هذه الجملة القصيرة أبدأ تصويبه :

فأول الأشياء هما : « حسن » و « حسين » وليسا « خسنا » ولا « خسينا » :

والثانى أنهما ليسا من النساء ، بل من الرجال .

والثالث أنهما ليسا جمعاً بل مثنى .

والرابع أنهما ولدان لا بنتان ولا بنات .

والخامس أن أباهما على بن أبى طالب لا معاوية .

والسادس أن معاوية بن أبى سفيان لا ابن عفان .

والسابع أن ابن عفان هو عثمان لا معاوية »

وما أكثر ما يتمثل الباحث فى تاريخ جحا ، هذه الطرفة الرائعة كلما عرض لمناقشة الكثير من أقوال من تصدوا للحديث عنه ، فى أكثر المناسبات ، على اختلاف اللغات .

كامل كيلانى

من وحى الصوم:

# رمضان عند الأدباء..

للأستاذ محمد رجب البيومى

يتمتع شهر رمضان المبارك بمنزلة طيبة فى نفوس الكثرة الغالبة من المسلمين ، فأنت تراه ضيفاً محبوباً يُستقبل حين قدومه بشتى مظاهر المحبة والابتهاج ، ويُودّع حين رحيله بدموع الحسرة والالتياع . وإذا كنا نسمع فى أخبار الماضين من رجال السلف الصالح رضى الله عنهم أنهم كانوا يعزون أنفسهم فى الليالى الأخيرة من رمضان ، فإننا لا نزال نرى بأعيننا الفسقة والعصاة من المؤمنين يجترحون السيئات ويقترفون الموبقات ، حتى إذا وجدوا أنفسهم فى حرم رمضان ضجت ألسنتهم بالتهليل والتكبير، وارتعدت فرائصهم من خشية الله ، ولزموا حلقات الدروس فى المساجد يستنشقون روائح الجنة من نسمات هذا الشهر المبارك !

ولكن فريقاً من الأدباء — عفا الله عنهم — قد أخذوا يغازلون شهر الصيام مغازلة شكا منها إلى ربه ، ثم تحولت المغازلة على ممر الأيام إلى عداء مستحكم ، فبعد أن كان الشاعر لا يزيد على قوله :

نُبئتُ أن فتاة جئت أخطبها
عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

أو قوله :

أتأمرنى بالصوم لا درّ درها ... وفى القبر صوم يا أميم طويل

بعد أن كان لا يزيد على ذلك وجدنا الأمر قد استحال لجاجة إلى هجو لاذع ، وسب مبرح ، لا نظن إلا أن الله عز وجل سينتقم للظالم فيه من المظلوم يوم يقوم الناس لرب العالمين

وأول من أعلن هذه الحرب الظالمة — فيما نعلم — هو هذا الأعرابى القدم الذى يروى ابن قتيبة فى عيون الأخبار قصته فيقول :

« قدم أعرابى على ابن عم له بالحضر ، فأدركه شهر رمضان ، فقيل له : يا أبا عمرو ، لقد أتاك شهر رمضان ! قال : وما شهر رمضان ؟ قالوا : الإمساك عن الطعام ! قال : أبالليل أم بالنهار ؟ قالوا : بل بالنهار ؛ قال : أفيرضون بدلا من الشهر ؟ قالوا : لا ؛ قال : فإن لم أصم فعلوا ما ذا ؟ قالوا : تُضرب وتُحبس ... فصام أياماً فلم يصبر ، فارتحل عنهم إلى غيرهم وجعل ينشد :

يقول بنو عمى وقد زرت مُصرهم ... تهيأ أبا عمرو لشهر صيام
فقلت لهم هاتوا جرابى ومزودى ... سلام عليكم فاذهبوا بسلام
فبادرت أرضا ليس فيها مسيطرٌ ... علىَّ ولا منّاع أكل طعام »

كانت هذه القصة بذرة سيئة تولدت منها تلك الحملة الطائشة التى شنها الأدباء على رمضان . ومهما يكن من شىء ، فقد حركت ما سكن فى النفوس ، وأطلقتْ ما حبس فى الصدور ، فخرج الأدب بصفقة رابحة كان ضحيتها رمضان المسكين ! ولعل عزاءه فى ذلك قول الله عز وجل : « والشعراء يتبعهم الغاوون » !

على أن كثيراً من الأدباء كانوا أقدر على ضبط ألسنتهم من إخوانهم الذين تورطوا فى معاداة هذا الشهر العظيم ، فنحن نقرأ فى تاريخ البحترى مثلا أنه كان ضائق الصدر برمضان ، متبرم النفس بطوله ، ونتلمس ذلك فى شعره ، فلا نجد إلا متفرقات يسيرة لا تطفئ أواما ، ولا تبل غليلا ، كأن يقول :

فتروَّ من شعبان إن وراءه ... شهراً سيمنعك الرحيق السلسلا

ثم يكرر هذا المعنى مرة وثانية وثالثة ، فإذا هاج صبره بعد مرور سبعة وعشرين من عمر رمضان لم يزد على أن يطلب من الله عز وجل أن يجعل الشهر كله ليلا حتى لا يجد النهار الذى يصوم فيه عن الطعام والشراب ، وفى ذلك يقول :

قد مضت سبعة وعشر وعشر ... ما نذوق اللذات إلا لماما
ما على الليل لو أقام علينا ... أو برانا من الصيام صياما

أما ابن الرومى ، فقد أطلق العنان لقريحته الوقادة ، وانهال على رمضان بسياطه المحرقة حتى مزق جلده ، وشوه أديمه ، وتعليل ذلك واضح يسير ، فالبحترى على رغم ما له من جاه عريض لدى الخلفاء والرؤساء كان نكساً رعديداً يقول الهجاء ، فيقبض يده على قلبه ويُرسل وراء شعره العيون والأرصاد يتجسسون لدى المهجوّ ، ويخبرونه بموقع هجائه من نفسه ، فإن لم يُلق له بالا حمد الله على السلامة . وإن كانت الأخرى أخذ يتزلف ويتوسل ويُحبّر النابغيات الطويلة فى الاعتذار ، وحسبك أن تعلم أنه حين قال فى قصيدته القافية

ولم أر كالدنيا حليلة صاحب     محب متى تحسن بعينيه تطلق
تراها عيانا وهى صنعة واحد     فتحسبها صنعى حكيم وأخرق

حين قال ذلك شنع عليه أحد العامة بأنه ثنوى ، فخاف على نفسه وقال لابنه أبى الغوث : قم بنا نخرج من بغداد خروجاً نأمن على أنفسنا فيه ، ثم خرج ولم يعد ، فشخص نفسيتُه ضعيفة خائرة كالبحترى لا يجد الشجاعة الكافية التى يذم بها رمضان على رءوس الأشهاد . ولا كذلك ابن الرومى ، فقد كان جسور القلب حاد اللسان يسوق الهجاء فى الوزراء وذوى الشأن فى الدولة ، ثم يتزايد ويتسع فيه دون مبالاة أو اكتراث مما أدى إلى حتفه فى النهاية ، فمات ولم يستمتع بخاطره ، ولم ينزح ركية فكره — كما قال الصولى — فإذا كان هذا شأنه ، فغير كثير عليه أن يسلط لسانه على رمضان معبراً عما يختلج فى نفسه أصدق تعبير . والحق أن هذه ميزة ابن الرومى يصدر عن طبعه وينقل عن خاطره مهما جلب عليه ذلك من الشرور والويلات ، والجنون فنون

بدأ ابن الرومى حملته بتأدب ملموس ، فلم يشأ أن يهجم بادئ ذى بدء بما هجم به أخيراً من الذم والقدح ، بل اكتفى بإعلان تبرمه بطوله الممتد ، وود لو مر كالسحاب ، وكان جميعه كيوم أو بعض يوم ، وقصارى حيلته أن يدعو عليه ، وأن يرحب بأيام الفطر اللذيذة فيقول :

إذا بركت فى صوم لقوم     دعوت لهم بتطويل العذاب
وما التبريك فى شهر طويل     يطاول يومه يوم الحساب
فليت الشهر فيه كان يوماً     ومر نهاره مر السحاب
فلا أهلا بمانع كل خير     وأهلا بالطعام وبالشراب

ويظهر أن ابن الرومى قد وجد أبياته صادفتْ رواجاً محموداً لدى من يشاركونه عواطفه وميوله — وكثير ما هم — فهجم على شهر الصيام مرة أخرى ولكن بلسان أحد ، ولهجة أعنف ، وقسوة أشد ، فود بجدع الأنف لو انتهى قبل أن يبدأ ، وأعلن أن بركة هذا الشهر فى طوله لا فى خيره ، وزاد بأن تنازل عن الأجر الذى أعده الله له جزاء صومه ؛ فهو يقول :

شهر الصيام مبارك لكنما     جعلت لنا بركاته فى طوله
من كان يألفه فليت خروجه     منى — بجدع الأنف — قبل دخوله

إنى ليعجبنى تمام هلاله     وأسر بعد تمامه بنحوله
لا أستثيب على قبول صيامه     حسبى تصرمه ثواب قبوله

وجائز جداً أن يكون ابن الرومى قد عانى صوم رمضان فى أوقات تلفحها حرارة الصيف كما نعانيه فى أوقاتنا هذه ، فهو لا يكتفى بما قدمنا بل يعيد الهجوم ثالثة ورابعة ، غير تارك بعده مجالا لقائل ، وليت شعرى ماذا ننتظر منه بعد أن يقول

شهر الصيام وإن عظّمتُ حرمته     شهر طويل ثقيل الظل والحركه
أذمه غير وقت فيه أحمده     منذ العشاء إلى أن تصدح الديكه
وكيف أحمد أوقاتا مذممة     بين الدءوب وبين الجوع مشتركه
يا صدق من قال أيام مباركة     إن كان يعنى عن اسم الطول بالبركه
شهر كأن وقوعى فيه من قلقى     وسوء حالى وقوع الحوت فى الشبكه
لو كان مولىً وكنا كالعبيد له     لكان مولى بخيلا سيئ الملكه
قد كاد لولا دفاع الله يسلمنا     إلى الردى ويؤدينا إلى الهلكه

على أن من التناقض الظاهر أن نرى ابن الرومى فى موضع آخر من ديوانه يهنئ أحد الرؤساء بشهر الصيام فينحى باللائمة على المستهترين به ، وما درى أنه بشعره هذا قد فتح الباب لمن جاء بعده ، ومهما يكن من شىء فقد ظهرت خفة روحه ظهورا أكسبه ملاحة وظرفا عند من يقدرون الأدب لذاته فهو على نقيض أبى العتاهية المسكين ، فقد أوقعه حبه رمضان وتعظيمه إياه فى مأزق مضحك ، قال ابن رشيق فى الجزء الثانى من العمدة « لما مات المهدى قام أبو العتاهية يرثيه على ملأ من الناس فقال « مات الخليفة أيها الثقلان »

فرفع الحاضرون رءوسهم ، وفتحوا أعينهم وقالوا : نعاه إلى الإنس والجن ثم أدركه اللين والفترة فقال :

« فكأننى أفطرت فى رمضان » .

يريد أنى بتجاهرتى بهذا القول كأنما جاهرت بالإفطار نهارا فى رمضان وهذا معنى جيد غريب فى لفظ ردئ غير معرب عما فى النفس » ونحن نخالف صاحب العمدة فيما ذهب إليه من جودة هذا المعنى ولو كان كما قال ما قابله الجمهور بالسخرية والاستهزاء .

وإذا كانت كتب الأدب تروى عن أبى نواس أنه قد حج حجا غير مبرور حين جد فى طلب « جنان » فلم يظفر بطائل ، ثم علم أخيرا أنها ذهبت إلى مكة فسار وراءها متظاهرا بالخشوع والنسك وفى ذلك يقول :

ولما أن عييت وضاق صدرى بمطلبها ومطلبها عسير
حججت وقلت قد حجت جنان فيجمعنى وإياها المسير

إذا كانت كتب الأدب تروى ذلك ، فإنها تروى عن ابن الراوندى أنه قد صام صوماً غير مبرور — لو صح هذا التعبير — وذلك أنه كان سمينا بطينا ، فقالت له إحدى صواحبه : إن وراءك شهراً ثقيلا فصمه ليذهب عنك هذا السمن فأطاعها تلبية لرغبتها لا امتثالا لأمر ربه ، وهو يعلن هذا على العامة والخاصة فيقول فى تبجح وعناد .

وقائلة وقد جلست جوارى سمنت وكنت قبلئذ نحيفا
وراءك فى غدٍ شهر ثقيل فصمه لكى تكون فتى نحيفا
لوجهك لا لوجه الله صومى ولو أنى لقيت به الحتوفا

وغير غريب من ابن الراوندى أن يقول ذلك فقد كان خبيث العقيدة سيء الطوية ، يعترض على كل شيء حتى على ربه فيعجب من مجرى الرزق فى أسلوب وقح ، ويهاجم الأديان فى تمرد سافل فكيف تستكثر عليه ما قاله فى رمضان ؟ إننا نستكثر ذلك على رئيس فاضل كابن العميد مثلا فقد كان جليل الخطر فى عصره ، مطاع الكلمة فى دولته ، ثاقب العقل ، وضيء التفكير ، ومع ذلك فقد تورط فيما تورط فيه غيره حين هاجم هذا الشهر مهاجمة نكتفى بأن ننقل منها هذه الفقرات « أسأل الله أن يقرب على الفلك دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويزيل بركة الطول عن ساعاته ويرد على غرة شوال ، فهى أسنى الغرر عندى وأقرها لعينى ، ويطلع بدره ، ويسمعنى النعى لشهر رمضان ، ويعرض على هلاله أخفى من السحر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر » إلى آخر ما جاء فى الجزء الثانى من زهر الآداب .

وكيفما كان الحال فقد فتح ابن العميد بذلك على رمضان ثغرة واسعة ، جعلته يستمع هجاءه شعراً ونثراً بعد أن كان يأمن على نفسه من ناحية النثر ويجيء بديع الزمان الهمذانى بعد ابن العميد وهو كما نعلم مولع بتقليده ، مقتف أثره ، فلا يفوته أن يهجو رمضانَ ، فيكتب إلى أحد رؤسائه قائلا « خصك الله بتقصير أيامه ، فهو وإن عظمت بركته ، ثقيلة حركته ، وإن جل قدره ، بعيد قعره ، فإن حسن وجهه فسوف يقبح قفاه ، وما أحسنه فى القذال وأشبه إدباره بالإقبال ، جعل الله قدومه سبب ترحاله ، وبدره فداء هلاله ، وأمد فلكه تحريكا ، يتقضى مدته وشيكا ، وأظهر هلاله نحيفا ، لنزف إلى اللذات زفيفا » ونحن لا نستنكر ذلك من الهمذانى كما استنكرناه من ابن العميد ، فقد كان بديع الزمان طويل اللسان ، حاد القذف ، متطاولا على غيره جاحداً حقوق أولى العلم والفضل ، فكيف يعترف بشهر رمضان وقد فتح له ابن العميد الباب على مصراعيه فقال ما قال !

وإذا كنا نستثقل الآن صوم رمضان فى وقدة القيظ وحرارة الصيف فقد وجدنا ابن عون الكاتب يستثقله فى فصل الربيع إذ يرى أنه زمان البهجة ، وأوان المتعة واللذاذة ، فلا ينبغى أن يكدر بالصوم وفى ذلك يقول

جاءنا الصوم فى الربيع فهلا اخ تار ربعاً من سائر الأرباع
وكأن الربيع فى الصوم عقد فوق نحر غطاه فضل قناع

وإذن فالصوم عنده فى الربيع قناع أسدل على نحر مضيء فمنع إشراقه وحجب التمتع برؤيته

أما القاضى الفاضل — وهو من المولعين أيضاً بمحاكاة ابن العميد — فقد نظم قصيدة خمرية طويلة جرى فيها مع اللذات إلى أبعد شوط وقد حرص على أن يهاجم فى مبدئها شهر رمضان — تقليداً لأستاذه — فقال

قضى نحبه الشهر بعد المطال وأطلق من قيد فتر الهلال
وروض كاتب جنبى اليمين وأتعب كاتب جنبى الشمال
فدع ضيقه مثل شد الإسار إلى فرجة مثل حل العقال

وهو بذلك قد وجه نظر أمير الشعراء رحمه الله إلى هذا المعنى بذاته فقال ولكن فى أسلوب أروع ونسج أحكم

رمضان ولى هاتها ياساقى مشتاقة تسعى إلى مشتاق
ما كان أكثره على الافها وأقله فى طاعة الخلاق

صور من العصر العباسى :

# الخلفاء العباسيون والهدايا

للاستاذ صلاح الدين المنجد

— ٢ —

أما هدايا الفصد ، فلا تخرج عما ذكرت من قبل ، فكانوا يهدون الجوارى والصوانى والأقداح والجامات البلور والشمامات والعنبر والمسك .

فقد فصد الرشيد فأهدى إليه اليزيدى جام بلور ، وشمامات غالية ، وكتب إليه : « يا أمير المؤمنين ، تفاءلت بالشرب بالجام بجمام النفس ودوام الأنس ، والغالية للغلو فى السرور والازدياد من الحبور[١] » .

وافتصد المأمون مرة فأهدى إليه ابراهيم بن المهدى جارية معها عود ، ورقعة فيها :

عفوت وكان العفو منك سجية كما كان معقوداً بعفرقك الملك[٢]

وفى مرة ثانية ، أهدت إليه ( رباح ) اترجة عنبر ، مكتوب عليها بماء الذهب بيتين من الشعر أعجب بهما ، فكافأهما بمال كثير[٣] .

وافتصد المعتصم فأهدت إليه ( شمائل ) صينية عقيق عليها قدح ، أسبل عليهما منديل مطيب ، مكتوب عليه بالعنبر ، أبيات شعر رقيق ، فلما قرأه أمر بإحضار اسحق بن ابراهيم ، وأمره أن يجعل له لحناً ، وأمر مسروراً بإخراجها من وراء الستارة ، ثم لم يزل يردد هذه الأبيات حتى أحكمتها شمائل وغنت فكأن سقط الدر يتناثر من فيها وأمر لإسحق بمال وللجارية بخمس وصائف وخمسة آلاف دينار[٤] .

وافتصد ابراهيم بن المهدى ، فأهدى إليه اسحق بن ابراهيم الموصلى صوتاً من غنائه ، وأرسل غلامه فغناه به[٥] .

وربما طلب الخليفة من خاصته أن يهدوه ، كما فعل المتوكل . فقد افتصد ، فقال لخاصته وندمائه اهدوا إلى يوم فصدى . فاحتفل كل واحد منهم فى هديته .

وأهدى إليه الفتح بن خاقان جارية لم ير الراؤون مثلها حسناً وظرفاً وكمالا . فدخلت ومعها جام ذهب فى نهاية الحسن ، ودن بلور لم ير مثله فيه شراب يتجاوز الصفات ، ورقعة فيها تهنئة بالشفاء فاستظرف المتوكل ذلك واستحسنه[٦] .

ولعل ألطف هدية أهديت فى يوم فصد ، هى هدية أبى دلف فقد افتصد عبد الله بن طاهر ، فجمع أبو دلف ما أصاب فى

(١) المحاسن والأضداد ص ١٨٤ .
(٢) المحاسن والأضداد ص ٨١ .
(٣) المحاسن والأضداد ص ١٨٤ .
(٤) المحاسن والأضداد ص ١٨٤ .
(٥) الأغانى ج ٥ ص ٦٦ .
(٦) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ١٨١ .

---

بالأمس قد كنا سجيني طاعة واليوم منّ العيد بالإطلاق

ولا أدرى كيف وقع شوقى فى هذا وهو الذى باهى بنسكه وتبتله حين قال

وأشهد ما آذيت نفساً ولم أضر ولم أبغ فى جهرى وفى خطراتى
ولابت إلا كابن مريم مشفقاً على حسدى مستغفراً لعداتى

وعلى كل فإن هذه الحملة الظالمة التى قام بها الأدباء على رمضان لم تستطع أن تزحزح مكانته — ولو قليلا — فى النفوس ، بل زادتها رسوخاً وثباتا ، وخرج المجانين من المعركة يجرون أذيال الخيبة والهزيمة ، وكل امرىء بما كسب رهين

* * *

وبعد فما أردت بهذا العرض الموجز أن أتزيد على رمضان ، فيعلم الله أنى أول الناس تفانيا فى محبته وإجلاله ، ولكنى قصدت الترفيه عن القراء فى وقت اندلعت فيه ألسنة الهجير فأحرقت الأفئدة وألهبت الجلود ، ومن يدرى لعل هؤلاء الأدباء يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، فرب متظاهر بالصوم والعبادة وبين جنبيه قلب مدنس بالمعاصى مثقل بالآثام ، ومن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها

خليلى ، قُطّاع الفيافى إلى الحمى كثير ، وإن الواصلين قليل

**محمد رجب البيومى**

السوق من الورد وأرسله هدية له[١] ، وقد أوردت هذا الخبر لظرفه ، رغم أن ابن طاهر ليس من الخلفاء .

* * *

أما هدايا العمال و لولاة والملوك فكثيرة . فكان كل وال يتفنن بإرسال الهدايا للخليفة ابتغاء مرضاته . فقد وجه يعقوب ابن الليث صاحب خراسان إلى المعتمد هدية من جملتها عشر بزاة منها باز أبلق لم ير مثله ، ومائة مهر ، وعشرون صندوقاً على عشرة بغال ، فيها طرائف الصين وغرائبه ، ومائة عود من مسك ، ومائة من عود هندى ، وأربعة آلاف درهم[٢] .

ولما قدم ابن الجصاص من مصر على المعتضد ، مرسلا من خمارويه ، كان معه هدايا من العين عشرين حملا على بغال . وعشرة من الخدم ، وصندوقان فيهما طرائف . وعشرون رجلا على عشرين نجيباً بالسروج المحلاة ، ومعهم جرار فضة ، وعليهم أقبية ديباج وسبع عشرة دابة بسروج ولجم ، منها خمسة بذهب والباقى بفضة ، وزرافة[٣] .

وقد يرسل إلى الخليفة كل غريب . فى سنة ٢٩٩ وردت من مصر هدايا منها كما ذكر الصولى تيس له ضرع يحلب اللبن .

ووردت رسل أحمد بن اسماعيل بهدايا منها مذبة مرصعة بفاخر الجوهر ، وتاج من ذهب مرصع بجوهر له قيمة كبيرة . ومناطق ذهب مرصعة ، وربعة ذهب مرصعة[٤] .

ووردت هدايا ابن أبى الساج أربعمائة دابة ، وثمانون ألف دينار ، وفرش أرمنى لم ير مثله فى بساط طوله سبعون ذراعاً فى عرض ستين ذراعا ، عمل فى عشر سنين[٥] .

وفى سنة ٣٠٥ ، زمن المقتدر ، ورد على السلطان هدايا جليلة من أحمد بن هلال صاحب عمان . وفيها أنواع الطيب ، ورماح ، وطرائف من طرائف البحر ، وطائر أسود يتكلم بالفارسية والهندية أفصح من الببغاء ، وظباء سود[٦] .

(١) المحاسن والأضداد ص ١٨٤ .
(٢) مطالع البدور ج ٢ ص ١٣٠ .
(٣) المنتظم ج ٥ ص ١٣٨ .
(٤) ، (٥) المصدر السابق ج ٦ ص ١١٠ .
(٦) المنتظم ج ٦ ص ١٤٥

وفى سنة ٣١٠ هـ وصلت هدية ابن المادرانى الحسين بن أحمد من مصر ، وهى بغلة ومعها فلو ، وغلام طويل اللسان يلحق طرف لسانه أنفه[١] .

* * *

وكان ملوك الروم والفرنجة يهدون إلى الخلفاء العباسيين الهدايا العظام تودداً وتحبباً . فقد أهدى ملك الروم إلى المأمون مائتى رطل مسك ، ومائتى جلد سمور . فقال المأمون : ضاعفوها ليعلم عز الإسلام[٢] .

وأهدت ملكة الفرنجة إلى المكتفى بالله سنة ٢٩٣ هـ خمسين سيفاً ، وخمسين رمحاً ، وخمسين فرساً ، وعشرين ثوباً منسوجاً بالذهب ، وعشرين خادماً صقلياً حسناً ، وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع ، وستة بازات وسبعة صقور ، ومضرب حرير[٣] .

وفى سنة ٣٢٦ هـ ورد كتاب من ملك الروم إلى الراضى . وكانت الكتابة بالرومية بالذهب ، والترجمة بالعربية بالفضة ، بطلب الهدنة . وفيه : « لما بلغنا ما رزقته أيها الأخ الشريف الجليل من وفور العقل وتمام الأدب ، واجتماع الفضائل أكثر ممن تقدمك من الخلفاء ، حمدنا الله تعالى ... وقد وجهنا شيئاً من الألطاف ، وهى أقداح وجرار من فضة وذهب وجوهر ، وقضبان فضة ، وستور ، وثياب سقلاطون ، ونسيج ومناديل وأشياء كثيرة فاخرة » .

فكتب إليهم الجواب بقبول الهدية ، والاذن فى الفداء ، وهدنة سنة[٤] .

* * *

فهذه ألوان من الهدايا ، وتبيان لهذه العادة الاجتماعية التى كان لها شأن فى العصر العباسى ، الحافل بالعجائب والغرائب .

صلاح الدين المنجد

(١) المصدر السابق ص ١٦٧ .
(٢) أخبار الخلفاء ص ١٢٩
(٣) مطالع البدور ج ٢ ص ٢٩٣ .
(٤) المنتظم ج ٦ ص ٢٩٣ .

# هل من جديد فى الأزهر ؟

للأستاذ الأب قنواتى

إن المؤرخ الذى يحاول أن يتتبع مراحل التطور الفكرى فى مصر فى أيامنا هذه يضطر — بلا جدال — إلى الإقرار بأن حياتنا العقلية تتمخض تمخضاً عنيفاً ، وأن روح التقدم الحقيق الذى يأبى أن يضرب عرض الحائط بما فى تراثنا الثقافى من قيم خالدة — أخذ يتسرب رويداً رويداً إلى مختلف أوساطنا العلمية.

ولطالما كانت تخامرنى هذه الفكرة أثناء إقامتى فى الخارج ، ولطالما تحدثت عنها — فى باريس ، وفى فاس ، وفى تونس — مع الذين يهتمون بمستقبل الثقافة العليا فى البلاد العربية ؛ فكنا نتساءل — مع شىء من اللهف — عن مدى انتشار هذه الثقافة ، وقوة تغلغلها فى الأذهان : هل تظل شيئاً سطحياً شكلياً ، أم تخوض فى صميم التعليم فتكيف العقلية ؟ ولئن كان هذا التطور يبدو بكل وضوح فيما يخص الجامعة المصرية ، لما هى عليه — منذ نشأتها — من انسجام مع الروح الحديث ؛ فالأمر كان لا يخلو من الغموض فيما يتعلق بالأزهر ، وهو المعهد العتيق الذى تركزت فيه منذ قرون برامج كادت — بموجب موضوعها — تتنزه عما يتطور ويفنى . .

ولذا كنت مشغوفاً كل الشغف عند ما رجعت إلى الديار المصرية — وأنا منكب على دراسة فلسفة القرون الوسطى مسيحية كانت أو إسلامية — أن أتصل بمن يوقفنى على تطور التعليم فى المعاهد الدينية فى هذه المادة ؛ وخصوصاً فى الأزهر الحالى وموقفه من الأبحاث المقارنة التى تسنى لى أن أتبين خطورتها أثناء دراستى فى المعاهد الدينية فى أوربا ، ولذا لبيّتُ — بكل ترحاب — دعوة أحد أصدقائى الأزهريين إلى حضور المناقشة العلمية لنيل شهادة العالمية من درجة أستاذ فى التوحيد والفلسفة التى كانت إقامتها مزمعة يوم الأحد ٢٦ مايو سنة ١٩٤٦ فى مدرج كلية أصول الدين فى القاهرة ، ولقد شكرت صديقى أيما شكر لهذه الفرصة التى هيأها لى ، فسمح لى أن أجد بطريقة عملية إيجابية جواباً لما كنت أوجهه لنفسى من سؤال ، وهذا ليس فقط من جهة الموضوع الذى نوقش فيه « تخريج كتاب الملل والنحل للشهرستانى » ؛ بل أيضاً من جهة الجو الروحى الذى ساد هذه المناقشة ، ومن جهة انسجام العناصر المختلفة التى توفرت فيه : فهناك سعادة الدكتور منصور فهمى باشا — مدير جامعة فاروق الأول سابقاً ، وكاتم سر مجمع فؤاد الأول للغة العربية — يرأس اللجنة ، وهو ممن طالما ناشدوا روح التعاون الثقافى والتآزر العلمى ، وهناك الدكتور محمود الخضيرى أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة فؤاد الأول سابقاً ، ووكيل البحوث والثقافة الإسلامية للأستاذ الأكبر شيخ الأزهر ، وهو من أبناء الجامعة المصرية الذين تخصصوا فى فرنسا وطافوا فى ألمانيا وأسبانيا ، وهناك الدكتور محمد غلاب خريج الأزهر وفرنسا ، وهناك الدكتور محمود حسب الله خريج الأزهر وانجلترا ، وهناك الدكتور محمد البهى خريج الأزهر وألمانيا — وثلاثتهم من أساتذة الفلسفة بالجامعة الأزهرية — أليس تكوين هذه اللجنة هو وحده رمزاً لما ينشده الأزهر ، ورمزاً لرغبته الأكيدة فى الأخذ من المناهج الحديثة بما يلائم رسالته العلمية ؟ .. ومما زاد هذا الرمز بلاغة تنوع النظارة الذين تسارعوا إلى حضور المناقشة

نعم ، إنه كان من الطبيعى أن نرى هناك أساتذة من الأزهر وطلبة أزهريين ، فالبيت بيتهم ، والمناقش من إخوانهم ، ولكن أليس من الغريب السار أن نجد بينهم أربعة قساوسة رهبان من يسوعيين ودومينكيين ، أحدهم مستشرق أمريكى والآخرون شرقيون ، بل مصريون ممن يعرفون الأستاذ المناقش جد المعرفة ؟ وأليس أعجب من هذا أن نشاهد بين الحاضرين آنسات فى المكان الخاص الذى خصص لهن فى أعلى المدرج ؟

وما وافت الساعة الخامسة حتى افتتح سعادة الرئيس الجلسة بكلمة استغرقت نصف ساعة ، وهو يتكلم بحماسة رزينة هادئة واعتقاد عميق يعطى أحيانا لعباراته نبرة قوية تجعلها تنفذ نفوذا إلى الأذهان والقلوب : بدأ بالثناء على فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق ، الذى عاقه عن الحضور انعقاد المجلس الأعلى للأزهر ، وعلى فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر ، وعلى فضيلة شيخ الكلية ، وكرر الشكر لكل من ساهم فى العمل على اتساع دائرة الاتصال العلمى بين الأزهر والعلماء الدنيين والجامعين ، خصوصا فضيلة الأستاذ الأكبر الذى تخصص فى الفلسفة بجانب تعمقه فى النواحى الدينية المختلفة ، والذى أفادت منه الجامعة المصرية حينا من الدهر ، ثم أبدى سعادة الرئيس أمله فى أن الأزهر سينال اهتمام فضيلة الأستاذ الأكبر من الناحية الفلسفية ، وأن نوابغ الأزهريين سيكوّنون — مع أستاذهم الأكبر — جوا سانحا للدراسات

الفلسفية بحيث يستطيع الأزهر أن يؤثر — حتى من الجهة الفلسفية نفسها — على الجامعات الأخرى، مادام الأزهر يطبق الأنماط العلمية في المناقشة والمثابرة في طلب الحق الذي هو ضالة المؤمنين ...

ثم وجه سعادة الرئيس كلمة لطلاب البحث العلمي والحقيقة العلمية ، ناصحا إليهم بالجد والاجتهاد واتساع الآفاق والصبر والأمانة العلمية ، حتى يصلوا إلى ذلك الموقف الذي وقف فيه زميلهم — صاحب الرسالة — ذلك الموقف الذي يدل على حب البحث العلمي والتفاني فيه ، والذي يفتح الأبواب أمام منهومى العلم الذين لا يشبعون . وتمنى سعادته للأزهريين مستقبلا باهرا ما داموا يوسعون ميادين بحوثهم وآفاق ثقافتهم ، بحيث يلتقى بهم ويتبادل الفائدة معهم من لم يسعدهم الحظ ، ومن لم تتح لهم الظروف أن يتثقفوا بثقافة الأزهر .

ثم قرر سعادته : « أننا في عصر تعاون وتفاهم وتقارب بين الفلسفات ، بل وبين الأديان نفسها ، وأن هذا التواصل والتعاون هما اللذان يسيران بالإنسانية إلى وحدتها المنشودة وغايتها المرجوة ، وآية ذلك ما نشاهد الليلة من جو مشبع بروح التسامح والنهوض الفكري » . وأشار سعادة الرئيس إلى أن هذه أول مرة يرى أو يسمع فيها أن في الأزهر غربيين وقساوسة ورهبانا : « وهذا يذكرنا بروح التسامح الذي كان الأزهر مُتَّسِماً به ، والذي كان صدر الأزهر دائما مُنْفَسِحاً له » . وأن هذه أول مرة أيضا سمع فيها سعادته أو رأى آنسات يحضرن مجالس العلم في الأزهر وتخصص لهن أماكن فيه . » وهذا يدل على درجة عالية في النضوج الفكري والمستوى العلمي المفروض طلبه على كل مسلم ومسلمة ، ويبين في وضوح أن الأزهر أخذ يقدر ماهو مطلوب منه بإزاء المسلمات بجانب ماهو مطلوب منه بإزاء المسلمين ، وأن هذا كله جو مبشر يدعو إلى التفاؤل بمستقبل الأزهر ، الذي كان قد انعزل مدة طويلة حتى عن العلماء المدنيين » .

ثم قال سعادته : « أما وقد لبى الأزهر حاجة العصر ، وساير روح الزمن ، فساهم في الوحدة العالمية ، واتصل بالعلوم التي تكونت في ميادين أخرى بروح التسامح الديني ، والتآزر الفلسفي ، والتآخي العلمي ، فأنه سيصل — قريبا — قديمه بحديثه ، ويصبح منبع ثروة كبيرة في التوجيهات الفكرية والعلمية والدينية للعالم كله ، وهذا مأمول ، وهو في رعاية شيخ درس الفلسفة الإسلامية والفلسفة الغربية وأفاد مما فيهما من خير مذكور . ونصيحتي العامة لكل شخص : أن يعمل للخير الذي وضعه الله في فطرة الإنسان السلمية ، تلك الفطرة التي تتمثل في الأديان جميعا : خيرا ، ومحبة ، وإخاء ، وعدلا ... حتى يكون هناك التفاهم الفكري والتفاهم الروحي ، وحتى تسير الإنسانية إلى خير ما خلقت له . »[1]

ولعمري ! لم أكن لأنتظر في هذه القاعة هذا الوضوح في رسم الهدف ، وهذه العزيمة في السعي وراء تحقيقها ، فهاهى الروح الجديدة التي كنت أتساءل عما إذا كانت وصلت إلى الأزهر ، وهاهو الزرع المبارك الذي بدأ ينبت بإذن ربه ، فالمناقشة التي تلت هذه الكلمة جاءت بمثابة تطبيق للمبادئ التي وضحها سعادة الرئيس ، فالأستاذ صاحب الرسالة — وهو واقف رابط الجأش أمام المجلدات الأربعة لرسالته — أخذ يشرح موضوع رسالته ، ثم يجيب بهدوء عن الأسئلة التي وجهها إليه بالتوالي أعضاء اللجنة ؛ وهي أسئلة دقيقة تنفذ إلى لب الموضوع وتحاول تارة نقد منهج البحث ، وتستفسر طورا بعض نتائج الرسالة ؛ حوار بديع علمي رزين ، أعاد إلى ذاكرتي تلك الرسالات التي تناقش في أوربا ؛ ولكن هنا مع شيء من « الظَّرف » المصري الذي لم يقلل شيئا من جد المناقشة ؛ بل يكسبها روحا شرقية خاصة لم أجدها في الخارج .

وفي تمام الساعة الثامنة والنصف — أعني بعد مناقشة استغرقت ساعتين — رفعت الجلسة ، وخرجت اللجنة للمداولة ، ولما رجعت إلى قاعة المناقشة نطق سعادة الرئيس بالحكم قائلا : « بعد أن تناقش أعضاء اللجنة فيما استبانوه من حسن الاستعداد الفلسفي ، واتساع الآفاق ، والمجهود القيم في التأليف ، والمثابرة على العلم ، ومراعاة الخلق العلمي ، وتلقي النقد بصدر رحيب يدل على محبة الحق ... قررت اللجنة فوز فضيلة الأستاذ الشيخ محمد بن فتح الله بدران بشهادة العالمية مع لقب أستاذ من درجة ممتاز في التوحيد والفلسفة » . فدوت القاعة بالتصفيق والهتاف ...

ورجعت إلى « الدير » والذهن مملوء بتفاصيل هذه الحفلة الثقافية العليا ؛ فحدثتني نفسي أن أسطر هذه الأسطر ؛ لعلها تساهم — لا من جهة الرأي الشخصي ؛ بل من جهة الواقع المحسوس — أقول : لعلها تساهم في إيضاح مشكلة الأزهر التي عولجت مرارا على صفحات مجلة الرسالة الغراء .

**الأب قنواتي**

---

(١) عرضنا هذه الأقوال على سعادته فأقرها .

الأدب في سير أعلامه :

# ملتن ...

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال ... ]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٢٢ —

البرسبتيريتز والصدمة الثانية :

قلت قيمة المرأة في نظر ملتن ، وانحط مستوى الطبيعة البشرية عما قدر لها من قبل في خياله وفكره ، وساءه أن يعرض معاصروه عن آرائه في الطلاق ، وما جاهد جهاده إلا لخيرهم ؛ وآلمه وكدره أن يخاصمه بعض الناس وأن يناصبوه العداء ؛ وجاءت مخالفة البرسبتيريتز إياه بعد ذلك ، فكانت هي الطامة الكبرى .

قدر ملتن أن سوف ينظر إليه أهل عصره لما أذاع فيهم من رأى في الطلاق نظرتهم إلى مصلح عظيم ، وكان يرى في تطلع ذلك العصر إلى الإصلاح وشدة ميله إلى تغيير كل شيء وعلى الأخص في السياسة والدين حافزا يحفزه ويزيده استبشارا وأملا ، كما كان يدفعه إلى الجد ويوحى إلى نفسه أنه يعمل عمل أفذاذ المصلحين ، شدة ثقته في نفسه وكثرة الذهاب بها ويقينه من تمكنه وضلاعته واتساع أفقه ، وما يرى من إكبار أصحابه إياه ؛ ومن كان هذا شأنه كان خليقا أن يستشعر مرارة الخيبة مضاعفة وأن يبلغ من نفسه الألم مبلغا عظيما إذا لقيه الناس لا بجفائه وإعراضهم عنه فحسب ، بل بمدافعة آرائه كذلك ومجاهرته بالسوء من القول ؛ وكان كذلك خليقا أن يغضب وأن يرد عمل أهل عصره إلى الغباء والجهل والجمود ، وإنه ليوقن أن ما بينهم وبينه من فرق في الثقافة والمعرفة كمثل ما بين الظلمات والنور .

ولقد أفصح عن مبلغ ما كان يضطرم في نفسه من حنق على قومه ، وعن مبلغ ازدرائه إياهم وسخره منهم في مقطوعتين نظمها سنة ١٦٤٥ ؛ ففى الأولى راح يتهكم ويسخر من جهل خصومه قائلا إن كتابا اسمه « تترا كوردون » أذيع في الناس من وقت قريب فبلغ من جهل بعضهم أنهم نظروا حيارى إلى عنوانه قائلين ما هذه الكلمة التي اتخذت له عنوانا ، وقرأ بعضهم فأخطأ النطق وعجز عن الهجاء ؛ ثم يعجب الشاعر من هؤلاء ويستعرض بعض أسماء ألفوها ويتساءل قائلا : لم يكون عنوان كتابه أعسر منها في أفواه هؤلاء السادة ، وقد ألفت أفواههم العسير الجافي من الكلم ، ثم يذكر أول أستاذ للغة الأغريقية في كمبردج في القرن السادس عشر ، ومعلم الملك ادوارد السادس وهو سير جون تشيك ، فيناجي روحه قائلا : « إيه يا روح سير جون تشيك ! إن عصرك لم ينفر من المعرفة إذ كنت تعلم كمبردج وتعلم الملك الأغريقية كما ينفر من العلم عصرنا الذي نعيش فيه » .

وفي المقطوعة الثانية كان ملتن أشد حنقا وأوجع هجوا منه في سابقتها وحسبك منه قوله : « إنما جهدت أن أحمل أهل هذا العصر على أن يتخلصوا من قيودهم ، وذلك بالرجوع إلى قواعد الحرية القديمة المعروفة[1] . وبينما أعمل عملي إذ أحاطت بي جوقة من البوم والحمير والقردة والكلاب ، ففعلوا بي كما فعل أولئك القرويون الذين أحيلوا إلى ضفادع[2] جزاء بما أجرموا إذ هوشوا على نسل لاتونا التوأمين[3] اللذين صار لهما بعد ذلك ملك الشمس والقمر ؛ وذلك الذي نالني إنما هو كل ما يناله الرجل من جزاء إذ يلقي باللآلئ إلى فصائل من العجماوات تجهد في غبائها المجرد من كل حس في طلب الحرية ، حتى إذا جاءها الحق الذي يكسبها الحرية ثارت ضده وتألبت عليه ؛ وهؤلاء إنما يعنون الفوضى إذ يهتفون بالحرية ؛ فأن من يعشق الحرية ينبغي أولا أن يكون خيرا عاقلا ؛ وإنا لنستطيع أن نرى إلى أي مدى يبعد هؤلاء عن الهدف

(١) يقصد ملتن ما جاء في التوراة من قوانين عن الطلاق ، وما أخذت به الكنيسة المسيحية في أيامها الأولى

(٢) جاء في الميثولوجيا أن جونو أرغم لاتونا عشيقة جوبيتر على الفرار فظلت تبحث لنفسها عن مأوى ، فبينما كانت تشرب من بحيرة في ليشيا إذ بصر بها بعض القرويين فآذوها وأهانوها وعكروا الماء بأيديهم وأرجلهم فعاقبهم جوبيتر بأن أحالهم إلى ضفادع .

(٣) ولدت لاتونا بعد ذلك أبولو إلى الشمس وديانا إلهة القمر ؛ ولم يفرق ملتن هنا بين لاتونا ونسلها .

على الرغم مما ينفق من مال وما يبذل من دم[(١)] .

ولئن بلغ به الحنق هذا المبلغ على أهل عصره بوجه عام ، فقد كان حنقه على البرسبتيريتز أشد من ذلك درجات ، وكان أسفه لما كان من موقفهم حياله أعظم وأقوى ، فمن أوهى الأمور وأقبحها أن تأتى الخيبة من حيث يلتمس الرجاء ، وأن تقع البلوى على يد من يطلب عنده العزاء ...

ألم ملتن وزاده غما على غم أن يعلم أن البرسبتيريتز على منصاتهم وفى كتاباتهم يصفونه بالطيش ، ويقررون أنه يذيع مبادىء إباحية ، وأنه بما نشر إنما يمثل الألحاد والفسوق عن أمر الله أتم تمثيل ؛ ولكن روحه القوية لم تهن وإن أصابها الحزن ، ونفسه الأبية لم تذل وإن اجتمعت عليه المحن ، وأقبل يهاجم البرسبتيريتز كما هاجم القساوسة من قبل ، يأبى إلا أن يدافع أبدا عن الحرية فى أى صورة من صورها ، والمجال اليوم مجال حرية الرأى فما أحراه أن يناصر حرية الرأى .

اعتزم ملتن أن يعيد النظر فيما كان يرى من رأى فى الإصلاح الدينى ، وأحس فى نفسه الميل إلى مقاومة تشدد البيوريتانز وتزمتهم فيما يتصل بالدين وحياة المجتمع ، ذلك التزمت الذى بلغ منتهاه عند جماعة البرسبتيريتز ، والذى جعل ملتن يؤمن اليوم إن هؤلاء ليسوا أقل تعصبا ولا جمودا من القساوسة ، وليسوا أوسع منهم أفقا ولا أخف حمقا .

ولم يكن غضب البرسبتيريتز على ملتن بسبب ما جاء به من آراء حول الطلاق فحسب ، وإنما أغضبهم كذلك جرأته فى الدعوة إلى الاعتماد على العقل فى تفسير الأنجيل ، وعدم التقيد بأقوال من سبق من رجال الكنيسة فى تفسيره وتأويله ما لم يتمش ذلك مع المعقول ويوافق طبائع الأشياء

فالمعركة اليوم إذا معركة الرأى وحريته ، والعقل وكرامته ، وشخصية الفرد وكيانها ، وحسب ملتن من الفخر أن يكون فى ذلك طلعة بين أهل عصره كما كان طلعة فى حربه على القساوسة وفى آرائه حول الطلاق ...

وحدث بين جماعات البيوريتانز خلاف سنة ١٦٤٣ جعل لخروج ملتن على البرسبتيريتز صدى أشد وأبعد مما كان يقدر له لو لم يقع هذا الخلاف ، وبيان ذلك أن مجمعاً من البيوريتانز انعقد فى وستنمستر فى تلك السنة للنظر فى النظام الذى تخضع له الكنيسة فى انجلترة ، أى طريقة إدارتها ، وقد قضى هذا المجمع بإحلال البرسبتيرية محل الأسقفية نهائياً ، وتغيير كتاب الصلاة المتبع ، ووافق البرلمان على ذلك ، وكانت أغلبية أعضائه يومئذ من البيوريتانز المؤيدين للبرسبتيرية ، ولكن جماعة من المستقلين خالفوا أعضاء مجمع وستمنستر فى بعض الأمور إذ أحسوا فيها تزمتا وشدة وطالبوا بشىء من الاعتدال ، ونشر خمسة منهم كتابا يحتكمون فيه لا إلى البرلمان وحده بل الرأى العام فى المملكة كلها ؛ فلما خرج ملتن على البرسبتيريتز سنة ١٦٤٤ ، وأخذ يطعن فيهم وهو الذى عرف بانتصاره للحرية أيد ذلك قضية المستقلين ، وأحاط البرسبتيريتز بشبهة التعصب ومجافاة حرية الرأى .

وقد بدأ الخلاف بين ملتن والبرسبتيريتز كما قدمنا فى أواخر سنة ١٦٤٤ وذلك بعد أن ذاع كتيبه « قانون الطلاق ونظامه » وبعد أن نشر مقاله الذى جعل عنوانه « رأى مارتن بوسر فى الطلاق » ، فقد طالبوا بمصادرة كتيبه لأنه طبعه بغير تصريح مخالفا بذلك قانون الطبع الذى هو من صنع أيديهم والذى أرادوا به حماية نظامهم الكنسى ، فرأى ملتن إذ ذاك أن أصدقاءه يعملون على خنق الحرية كما يعمل الأساقفة ، ومن ثم دب بينه وبينهم الخلاف؛ وهل يظل صامتا حيال صيحتهم؟ ذلك ما لا تطيقه نفسه وما لا تتطامن له كبرياؤه ؛ وذلك ما لا يتفق مع حبه للحرية حبا درج معه منذ نشأته ، وإذا فلا بد من رد ولا بد من صيحة يكربها عليهم ويدفع بها عن الحرية ؛ ولكن البحث فى الطلاق يملك عليه وقته وفكره فليدعه إلى حين ، وليجعل همه إلى كتيب يناصر به حرية الرأى ، ويهاجم فيه الرقابة على هذه الحرية هجوما عنيفا .

ويفرغ ملتن من كتيبه هذا وينشره فى نوفمبر سنة ١٦٤٤ أى قبل نشر كتيبه « ترا كوردون » بنحو أربعة أشهر ويعرف هذا الكتيب باسم « اريوباجيتيكا » ، وفيه يحتكم إلى البرلمان وإلى كل ذى رأى حر .

وبلغ من جرأة ملتن وكبرياء نفسه وتحمسه للحرية أنه نشر هذا الكتيب كذلك بغير إذن ، فكان عمله هذا تحديا للبرسبتيريتز من ناحيتين ، فهو يهمل قانون الطبع الذى وضعوه وقرروه ، وهو فى الوقت نفسه ينكر بكتيبه هذا الرقابة على الكتب كما تتمثل فى ذلك القانون ويراها قيدا بغيضا لحرية الرأى فمنده أنه يجب القضاء على هذه الرقابة « حتى لا يكون الحكم على ما يجوز طبعه وما لا يجوز لفئة قليلة أكثرهم لا يعدون فى

(١) يشير ملتن إلى الحرب الأهلية الدائرة الرحى يومئذ .

العلماء إذ أن كفايتهم عادية شائنة » .

وكان الكتيب فى صورة خطبة مكتوبة موجهة إلى البرلمان وقد جعل ملتن شعاره عبارة مقتبسة من كلام يوربيد أثبتها بنصها الأغريقى ؛ وهو بعد خطبة فليسر فيه درس وفق منهج معين أو تمحيص لما يعرض له من آراء ، أو تقص للأفكار التى يؤيد بها رأيا أو يخالف رأيا ؛ ولكنه على الرغم من ذلك أو لعله بسبب ذلك كان من أحسن ما نشر ملتن من هاتيك الكتيبات ، فهو فيض نفس نبيلة حرة ، تفهق صفحاته بكلام من خير ما كتب فى الحرية فصاحة لفظ وبلاغة عبارة ورقة شعور ونبل حس وشجاعة رأى وحرية قول ...

وكان الأمل والحماسة ملء كتيبه هذا ، فلئن خاب أمله فى البرسبتيريز فليسوا هم كل شىء ، بل إنهم وقد نصبوا أنفسهم أعداء للحرية لم يعد لهم من الأمر شىء ، وإن انجلترة لتتجه نحو أمل جديد تراه فى شخص كرومول وهو زعيم المستقلين وجنده الظفر كما تنبىء حوادث الحرب ، وإن المستقلين جميعا وطلاب الحرية ليلتفون حوله ، فهو فى غده أمل انجلترة ونصير الحرية وبطلها ؛ ذلك ما كان يتحدث به ملتن إلى نفسه وذلك ما بث فى كتيبه الرجاء .

وزاد الأمل تمكنا من نفسه أنه وقد استعدى عليه الرقباء فى البرلمان لم يمسسه شىء مما أرادوا به من سوء ، إذ لم يرض مجلس اللوردات أن يشايع البرسبتيريز فيما يذهبون إليه من رغبة فى التضييق على حرية النشر ؛ واغتبط ملتن أيما اغتباط وارتاح أيما ارتياح إلى هذه المعاملة التى زادته ثقة فى نفسه ، ويقينا من علو مكانته فى قومه .

ويحس المرء لذة قوية إذ يقرأ هذا الكتيب ، فليس فيه مثل ما فى كتيباته التى أرسلها على القساوسة من غل الخصومة وعنف الهجاء ، وإنما يسوده الهدوء وحسن السياق ؛ وهو فضلا عن ذلك قريب إلى العقليات الحديثة بما حواه من أفكار حول حرية الرأى وحرية النشر ، وحسبك منه بعض ما كتبه ملتن عن قيمة الكتب مثل قوله : « إن من يقتل كتابا طيبا كمن يقتل رجلا ؛ بل إن من يقتل رجلا إنما يقتل مخلوقا عاقلا ، فى حين أن من يقضى على كتاب قيم فقد قتل العقل نفسه ؛ وإن كثيرا من الناس يعيشون عالة على هذه الأرض ، أما الكتاب الجيد فهو دم الحياة الغالى، دم كاتبه ، ذلك الروح العبقرى ، وقد حنط ذلك الدم واختزن ككنز ثمين ليبقى ذخر الحياة بعد حياة » .

ويقع المرء فيه على كثير من العبارات المتينة الجميلة جمعت بين الأيجاز والشمول كقوله : « يظل الأحمق أحمق أوتى كتابا جيدا أو لم يؤت كتابا قط » . و كقوله : « يجد المطهرون كل شىء مطهرا ، وليس ذلك فى طعامهم وشرابهم فحسب ، ولكن فى كل صنوف المعرفة الطيب منها والخبيث فلا يمكن أن تفسد المعرفة كما لا يمكن تبعا لذلك أن يفسد الكتب ما دامت الإرادة والضمير لا يتطرق إليهما الفساد » .

ويأتى ملتن بطائفة من الآراء تنم عما كان يجول فى خاطره بعد القطيعة بينه وبين البرسبتيريز ، فهو ينكر اليوم عقيدة القدر المحتوم التى اعتنقها البيوريتانز عن كلفن ويأخذ بعقيدة الإرادة الحرة التى نادى بها أرمينيتس ويصف هذا الأخير بقوله « أرمينيس الواضح البين » وينفر ملتن من تزمت البيوريتانز وتشددهم فى كل شىء ، وبعد أن كان من قبل وهو الشاعر الذى يعشق الجمال ويحس الحياة إحساساً قوياً فى حيرة بين ما تقتضيه الطبيعية وما تقوم به الروح ، تراه اليوم يعلن أن فى وسع المرء أن يجمع بين الإثنين فى غير حرج ، وقد كان ما تقوم به الروح عنده قبل ذلك فى المحل الأول ، تجد ذلك واضحاً فى قوله «لماذا خلق الله العواطف وبثها فينا ، ولماذا خلق مسرات الحياة وأحاطنا بها ، وليس معنى ذلك أنه يبيح الاستمتاع بزينة الله التى أخرج لعباده فى غير قيد ، ولكنه يريد ألا يتشدد فيرى فى كل زينة وفى كل متعة ما يوبق الروح كما يفعل الغالون من البرسبتيريز، ولقد باتوا عنده كالقساوسة حماقة وضيق عقل وسوء تعصب كما يتضح فى قوله إذ يشير إلى خنقهم حرية الرأى « إنما تخرج أفانين القساوسة براعمها من جديد » .

ويعد ملتن فى الواقع بعد اختلافه مع البرسبتيريز من المستقلين، بل لقد كان أكثر من مستقل ، فسوف لا يؤيد بعد اليوم نظاماً كنسياً ما أو يأخذ برأى من الآراء لا يتحول عنه أولا يقلب النظر فيه ؛ أو يغشى كنيسة من الكنائس غشيانا رتيباً ، وإنما تسيطر عليه روح دينية توحى إليه تقواه وطهره . وإن كان مستقل الرأى لا يقبل شيئا لا يطمئن إليه عقله ولا يتقيد بمذهب معين ؛ على أنه وإن لم يتقيد بمذهب لا ينسى كراهته للقساوسة من أشياع روما والكاثوليكية بوجه عام ، كما لا ينسى غضبه على البرسبتيريز ولا اتهامه إياهم بأنهم أعداء الحرية ، وأنهم لذلك كالقساوسة عقبة فى سبيل الإصلاح الحق ، وأنهم يبالغون فى تزمتهم وتشددهم مبالغة تفضى حتما إلى النفور من مذهبهم .

( يتبع ) **الخفيف**

# حول الاتباعية والابتداعية

Classicism a d Romanticism

توطئة لدراسة الأقصوصة والقصة والرواية

للأستاذ فخرى قسطندى

هذا مبحث جديد قديم ، بكر مطروق ، كثر فيه القول ، وطال حوله الجدل ، وبرغم ذلك لم تنل منه الأيام ، فلم تعصف بطلاوته ولم تذهب بطرافته . كان بالأمس ولا يزال إلى اليوم مثارا لخصومة عنيفة ، ومدارا لأخذ ورد شديدين بين دعاة الكلاسيكية وأنصار الرومانتيكية ، دون الوصول إلى رأى جازم أو قرار حاسم أو نتيجة قاطعة . ومن طريف ما يروى أن نقطة الرومانتيكية كانت مبعث خيبة مريرة ، وذهول عميق لقارئين من قراء إحدى المجلات الأدبية التى تصدر فى باريس .

ذلك أن الفريد دى موسيه طلع عليهما فى ١٨٣٦ بكتابه : Lettres de Dupuis et Cotonet الذى فصل فيه القول عن الرومانتيكية تفصيلا ، وأفاض فيه إفاضة ؛ وألمع إلى معان لم تدر لهما بخلد أو تختلج لهما فى عقل . فما كانت الرومانتيكية عندهما حتى ذلك العهد سوى نزعة أدبية تطبق على المسرحية ولا تطبق على غيرها من سائر ألوان الأدب . فشكسبير على سبيل المثال رومانتيكى ، لأنه خرج فى مسرحياته على الوحدات الثلاث التى استنها رجال الأدب الأقدمون من نقاد الاغريق واللاتين ، وهى وحدات العمل والمكان والزمان فلم يتقيد بها أو يأبه لها . فشخوصه تطوف أبدا فى الأقطار ، ما يقر لها قرار ، تحل بروما ثم تلم بلندرة ثم تكر راجعة من حيث أتت ، وذلك كله فى ظرف وجيز ، ووقت قليل لا يتعدى ربع الساعة أو يتخطاها بحال من الأحوال .

وما كان لهما أن يتلقيا الصدمة الشديدة الوطأة بثبات روع أو هدوء بال ، وقد تبينا لأول مرة أن هناك حكايات Novels وقصائد odes ومقطوعات شعرية poems رومانتيكية ، كما أن هناك حكايات وقصائد ومقطوعات شعرية كلاسيكية .

وكان مما قالاه فى هذا الصدد « لم يكن فى مقدورنا حين تلقينا هذا النبأ أن نغمض العين طوال الليل « quand nous reçumes " cette nouvelle, nous ne pumes fermer l'oeil de le nuit "

هذا طرف مما وقع لبعض القراء من الخلط والاضطراب فى أمر هاتين اللفظتين ، وهو ليس بنادر الوقوع أو بعيد التصديق . فهاتان اللفظتان تضيقان بلا مراء بالمعانى المحدودة والمفهومات المعروفة . وفى إمكاننا أن نسوق الدليل بعد الدليل نؤيد به ما ذهبنا إليه ؛ فالأدلة كثيرة والشواهد متنوعة . ومن قبيل ذلك ما يؤثر عن العلامة ج . ج . روبرتسن J G. Robertson أحد نقاد الأدب الانجليزى المعاصرين . ففى ١٩٢٣ أصدر سفرا قيما يتسم بسمة العلم وغزارة المادة أطلق عليه دراسات فى أصول النظرية الرومانتيكية فى القرن الثامن عشر فى إنجلترا Studies in the genesis of Romantic Theory in the le th Cnte انتهى فيه إلى القول بأن الرومانتيكية فى إنجلترا فى القرن الثامن عشر لم تكن من نتاج الأدباء الانجليز أو ابتكارهم بل هى مستمدة منقولة بجميع خصائصها وكافة سماتها عن لفيف صغير من النقاد الإيطاليين مغمورى الإسم . وفى السنة ذاتها ظهر كتاب فى بولونيا ، للناقد الكبير جيسب كوفانن : giuseppe coffanin نادى فيه بأن نفس هذا اللفيف من النقاد الإيطاليين قد توارث الروح الكلاسيكية السائدة فى عصر النهضة فى إيطاليا .

ولم يكن النزاع بين الكلاسيكية والرومانتيكية فى مبدأ الأمر سوى نزاع بين من ينتصرون للقديم ، وبين من يتعصبون للجديد فى الأدب ، ثم ما لبث أن استفحل الشقاق واتسع الخلاف واتسم بطابع الغلو والاسراف . فلم يرض أنصار الكلاسيكية بالقديم على قدمه ، لأن بالقديم شيئا من شذوذ ، وليس من سبيل إلى كلاسيكية قويمة ، يحل فيها الشذوذ والاضطراب ، محل الانسجام والائتلاف .

ولفظة رومانتيكى ابتداع لغوى حديث ، ولكن ما توحى به فى الذهن من معان معروف مشهور ، حتى قبل أن تخرج هذه اللفظة إلى حيز الوجود بعهد طويل . والنعت « رومانتيكى » أبعد فى القدم من الإسم « رومانتيكية » . وقد استعمل أول

ما استعمل فى انجلترا بعد الفتح النورماندى فى العصور الوسطى التى اشتهرت بانتشار القصص الشعبية الفرنسية French romances وحظ الخيال المفرط والتأليف الخصيب فى هـذه القصص أرفع شأنا من حظ الوقائع المعقولة والحقائق المجردة . ذلك لأن هذه القصص تروى ضروبا من البطولة خارقة ، وتحكى صنوفا من المغامرات فذة ، وتتغنى بأشكال من البسالة والاقدام نادرة المثال؛ ومن ثم اشتقت لفظة رومانتيسكى دلالتها من كل ما هو خارق فذ بعيد عن حيـاة الواقع . واستعملها الـكتاب فى هذا المعنى أو فيما يت لهذا المعنى بصلة قريبة وثيقة . ولنضرب مثلا بما جاء فى سنة ١٦٥٤ فى مفـكرة ايفلين Evelyn أحد رجال البلاط الانجليزى المغرمين بمراقبة التطورات التاريخية وتسجيل الأحداث الشاذة المعاصرة لعهده « يوجد بالجانب الآخر من جبل الألب المهول هذا قصر رومانتيسـكى للغاية » . كـذلك كتب ساموبل بيبس Samuel Pepys أحد الثقات فى تاريخ إنجلترا فى القرن السـابع عشر وصفا موجزا فى ١١ من مارس سنة ١٦٦٧ للدسائس السياسية التى كان يحيك أطرافها ملك فرنسا وقال فى الختام « هذه الأمور رومانتيسـكية قلبا وقالبا على وجه التقريب ، غير أنها حقيقية فقد أفضى إلى سير هـ . تشوملى Sir H. Cho lmly بأن الملك نفسه رواها له بالأمس » .

وإن دل هذا على شيء فلا يدل إلا على ثبات لفظة رومانتيسكى على المعنى الذى أسلفنا فيه القـول ، وانصرافها بكل ما هو ناء قصى عن العرف والتقاليد أو ثائر عصى على المألوف والمعقول . وقد استعمل توماس سبرات Thomas Sprat هـذه اللفظة فى كتابه : « تاريخ جمعية الأبحـاث العـــلمية الملـكية » ، The History of the Royal Society للمقابلة بين منهج البحث العلمى البحت ، وبين منحى التخيلات وما يشوبها من إغراق لا غناء فيه ، قال : وسوف يـكون هذا المنهج رد لأذهاننا من التضخم الرومانتيسـكى Romontic Swelliuq ، لأنه يـكشف لها عن الأشياء فى صورها المألوفة . وفى مثل جرمها تماما » وفى موضع آخر يقرر سبرات أن ما أصاب العلم من النمز واللمز كان على يدى خصومه من المتحذلقين المتفلسفين الذين يرون أن العلم يصبغ الناس بصبغة رومانتيسـكية ، ويدفعهم إلى تصور الأشياء على صورة أكبر كما لا مما تحتمله الأشياء ذاتها . »

ثم أقبل القرن الثامن عشر وبسطت عليه فلسفتها هوبز Hobbes ولوك hocke ظلا لها الوارفة ، ووجد العلم التجريبى مرتعاً خصيباً وأحرز نصراً مبينا ، فازداد الرأى القائل ، بأنه فى الامكان تفسير العالم على ضـوء العقل دون اللجوء إلى ما هو خارق أو الولوج إلى ما هو غامض ، قوة ويقينا . ومصداق هذا الرأى ما جاء على لسان هرد Hurd « إن نور العقل قد أشرق منذ عهد قريب ، وهو يوشك أن يسيطر على أطياف الخيال الجسيمة . » هذه الأطياف التى كانت تنزل فى القلوب منزل اليقين بما لها من قوة اقتناع وشدة تأثير ، ثم ما لبثت أن أودت بها عجلة الزمان ويد الحدثان هى التى أجمع النقاد على نعتها بالرومانتيكية .

وقد سبق أن ألمعنا إلى ما للرومانتيكية من صلة بالعصور الوسطى ، والآن يحق لنا أن نتساءل لماذا لم يرض هينى Heine عن هذه الصلة من حيث هى صلة لا أكثر ولا أقل ، حين يزعم أن لفظتى رومانتيسكى romantic وميديفال medieval مترادفتان متكافئتان فى المعنى والجواب على ذلك هو ما جاء على لسانه « ما هى المدرسة الرومانتيكية فى ألمانيا ؟ إنها لم تكن ثمة شيء آخر غير بعث شعر العصور الوسطى من مرقده ، ذلك الشعر الذى تجلى فى المقطوعات الشعرية والرسوم الزيتية والتماثيل ، وفى ألوان الفن وصور الحياة السائدة فى تلك الأوقات » ومثل هذا القول لا يطابق الأدب الانجليزى مطابقة تامة ، فالأدب الإنجليزى أوسع من أن تحده مثل هذه الحدود والقيود . والذى يجدر ذكره هنا فى صدد التعقيب على هينى هو أن القصة وسائر فنون الأدب فى العصور الوسطى مدينة لذلك الخيال المفرط الخصيب الذى اشتهرت به العصور الوسطى ، والذى ينبىء عن عقلية وليدة رضيعة من أظهر مظاهرها وأخص خصائصها بناء عوالم من الأحلام والأوهام . ولما كانت العصور الوسطى فى انجلترا مقرونة بتدمير الأديرة وتخريبها بعد تولى أسرة تيودر مقاليد الحـكم ، فمن البديهى أن ينصرف اهتمام الأدباء فى القرن الثامن عشر الذى بعثت فيه العصور الوسطى من جديد إلى الأنقاض والإطلال .

( للبحث بقية )

**فخرى قسطندى**
مدرس بالمدارس الثانوية

في ركب الوحدة العربية :

# الأدب فى فلسطين ...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

طلب إلى أن أتحدث فى فلسطين عن مصر ، وإن فلسطين لعزيزة على كل نفس ، حبيبة إلى كل قلب ، جديرة أن تذكر لدى كل بادرة ، ويستهل بها عند كل حديث .

ألست إذا ذكرت ذلك البلد الطيب — أينما كنت فى بلاد الله ، فى أوطان العروبة والإسلام — تحولت إليك الوجوه وتطاولت نحوك الأعناق ، وتطلعت لما تبديه القلوب والأبصار ؟!

فيالله ما أعجب !! إن فى ذلك الاسم لسراً من الأسرار ، بل إن فيه لسحراً من السحر !!

أجل . إن فلسطين لتلك ، وإن الحديث عنها لذو شجون . إنها البلد القدس ، إنها بلد الوحى والنبوة ، إنها القبلة الأولى فى الإسلام . فلا عجب أن تتشوق إليها كل نفس ، ويهفو لدى ذكرها كل فؤاد ... وإن مسالك الحديث عن فلسطين لكثيرة ، بل إنها لأوفر من أن يحيط بها حصر ، أو يطيف بها إلمام . فعلىّ أن أسلك سبيلا ينتهى إلى غاية ، فأتحدث عن حياة الأدب هناك .

وحياة الأدب فى فلسطين حديثة العهد قريبة الأمد . فلو ذهبنا مع التاريخ غير بعيد ، لألفيناها خلواً من الأدب جملة ، عدا نتف من هنا وهناك ، كانت تبدو على أقلام الفقهاء ، ورجال الدواوين ؛ لا يصح أن تسمى أدباً ، كما لا يصح أن تعتبر مظهراً من مظاهر الأدب على أية حال .

وحين نتوغل فى تاريخها ، نجد أنها لم تنجب — على تطاول العصور — غير آحاد من الأفذاذ الذين كانوا يلتمعون بين حين وآخر ، وفيهم الكاتب والشاعر والمؤرخ . ومن هؤلاء : عبد الرحيم البيسانى ( القاضى الفاضل ) ، وصلاح الدين الصفدى ( صاحب التآليف الكثيرة ) ، ومجير الدين الحنبلى ( صاحب الأنس الجليل فى أعيان القدس والخليل ) . وآخرون غيرهم ، ندر أن تعاصر منهم اثنان ، فتركا أثراً بارزاً من آثار الأدب الخالد ، وذلك إذا اعتبرنا فلسطين فى حدودها التى تنحصر خلالها اليوم

ولعل السبب أنها بلد مقدس ، فيه المسجد الأقصى حيث الصخرة المشرفة ، وفيه الحرم الإبراهيمى والأنبياء من أبنائه . ولذا كان همّ من أعرض عن الدنيا وزخرفها ، أن يشدّ إليها الرحال ، ليقيم فيها منصرفاً إلى الله وطالب رضوانه ، مقبلا على تفهم كتابه وسنة نبيه .

ومن هنا نبغ فى فلسطين من أئمة الفقه ورجال السنة ، من بقيت آثارهم وفتاواهم — إلى اليوم — شاهدة على مبلغهم من هذا العلم ، وتبحرهم فيه . ومن هؤلاء : شيخ الإسلام خير الدين الرملى ( صاحب الفتاوى الخيرية ) والشيخ محمد الخليلى ( صاحب الفتاوى الخليلية ) ، والشيخ سعد الدين الديرى الخالدى ( صاحب السهام الخارقة فى الرد على الزنادقة ) ، والشيخ منيب هاشم الجعفرى النابلسى ( صاحب الفتاوى الشهيرة ) . وحسب فلسطين فخراً أن تنجب على رأس هؤلاء : الإمام الجليل ( أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعى الغزى ) الذى طبق ذكره الخافقين ، وانتشر مذهبه فى بعيد الآفاق .

« أضف إلى ذلك افتقارها إلى مفاتن الطبيعة وجمالها الفطرى ، وخلوها من اتساع الحضارة وارتقاء العمران . فلا أنهار تسلكها قوارب المتنزهين وطلاب المتعة ، وتنتشر على ضفافها الحدائق والمتنزهات ومواطن اللهو ، ولا مدن كبيرة واسعة الأرجاء ، مزدهرة الحضارة ، كثيرة الأرباض ملتفة الرياض والغياض . كما هو الحال فى القاهرة ودمشق وبغداد والمدينة وغرناطة وسواها[1] » .

ومن هنا نتبين أن فلسطين حديثة عهد بنهضتها الأدبية ، حتى أنه ما يزال معظم هؤلاء المؤسسين لها أحياء يرزقون . ونرجو الله أن يمد فى آجالهم حتى يؤدوا رسالاتهم على أتم الوجوه وأكملها .

ولعل الكثيرين من إخواننا فى مصر ( وغير مصر ) يجهلون أن فى فلسطين نهضة ثقافية وحياة أدبية ، ولا عجب

(١) هذا رأى يراه أستاذنا الكبير أحمد سامي الخالدى ( عميد الكلية العربية فى القدس ) . وليس لنا فيه غير صوغ الكلم .

فاننا نكاد نعيش فى معزل عن العالم العربى ، لقلة وسائل النشر عندنا . فلا مجلات شهرية تضاهى ( المقتطف ) و ( الهلال ) ، ولا مجلات أسبوعية تماثل ( الرسالة ) أو ( الثقافة ) . اللهم إلا مجلة واحدة ، كان يصدرها قلم المطبوعات ( شهرية ) ، إبان الحرب الأخيرة ، واسمها ( المنتدى ) . وكان معظم ما ينشر فيها بأقلام مشاهير الكتاب من مصريين وسوريين ، وبعض الفلسطينيين ، ولذا لا تعتبر صورة صادقة عن الأدب الفلسطيني الخالص [1] .

كما أنه ليست هنالك دار للنشر تضاهى ( دار الكتب ) أو ( دار الهلال ) ، خلا دار حديثة ناشئة ، قام على تأسيسها جماعة فى ( يافا ) ، وهى تصدر سلسلة شهرية من كتيب صغير ، على غرار سلسلة ( اقرأ ) فى مصر إلا أن هذا الكتيب ينقص كثيراً فى حجمه عن كتيب ( اقرأ ) ، بالرغم من أنه يساويه بالثمن ، وقد صدر من هذه السلسلة إلى الآن خمسة أعداد على ما أذكر .

إذن ماذا يصنع الأديب الفلسطيني ليعرفه الناس ويعرفوا آثاره الأدبية ؟ إن أمامه واحداً من السبل التالية ، وليس له عنه منتدح :

فاما أن يطبع كتابه أو ديوان شعره من خاص ماله ، ويعرضه فى الأسواق ( مجازفة ) ويرتقب حظه ، ولا يقدم على هذا فى الغالب إلا الموسرون من الأدباء . وهؤلاء كثيراً ما يصادفهم النجاح .

وإما أن يهتبل فرصة ملائمة ، تسوقها مناسبة من المناسبات . ويبادر فيحتجن إلى نفسه هذا المجال المحدود الذى تمده الصحف اليومية لذلك ، ( وعندنا منها صحيفتان هما الدفاع وفلسطين [2] ) ، فيملأ ذلك المجال بشعره أو بنثره الذى أعده لتلك المناسبة .

وإما أن يترقب ميقاته فى ( محطة الأذاعة الفلسطينية ) ، ليحاضر الناس من وراء المذياع بشىء من أدبه . وهذه المحطة تعد فى برامجها أحاديث أدبية ، يقدمها فى الغالب أديب فلسطيني أو أديبة فلسطينية .

وقد يتجنب الأديب هذه السبل جميعاً فينظم أو يؤلف لنفسه ، ( وكثيراً ما يأتى بروائع مدهشة ) . فيبقى بعيداً عن الناس ، لا يدرى خبره إلا خاصة إخوانه وصفوة خلانه ، وسأقدم بعض هؤلاء الأدباء ، وأستشهد ببعض أقوالهم مصدقة لما وصفت .

هذا ما يفعله الأديب فى فلسطين ليتعرف إلى الناس ويقدم إليهم إنتاجه ، وليس كل أديب عندنا يشأى إلى نشر أدبه فى الأقطار المجاورة ، بل قليل ما أولئك .

وهأنذا أقدم بعض هؤلاء الأدباء الذين استطاعوا أن ينشئوا النهضة الأدبية فى هذا القطر ، وبالرغم من ضيق ذلك الأفق الذى يحوط بالأديب كما أسلفت ، وأذكر فى طليعتهم بعض من تقدم بهم الزمن . فظهروا فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر وتركوا آثاراً قيمة بين مخطوط ومطبوع ومنهم :

الأستاذ يوسف باشا الخالدى : وقد عاش هذا الأديب حياته بين العلم والسياسة ، فكان والياً ثم مبعوثاً فى البرلمان التركى ، فرئيساً لبلدية القدس ، كما كان مدرساً فى فلسطين ، ثم أستاذاً للعربية وآدابها فى جامعة ( فينا ) ، وهنالك ألف كتباً عدة ، بعضها مخطوط وبعضها مطبوع . ومنها كتاب كان الأول من نوعه ، استنبط فيه قواعد اللغة الكردية ، وأسماه ( التحفة الحميدية فى اللغة الكردية ) ، ومنها كتاب آخر اسمه ( أنا ) وهو مجموعة مذكرات وآراء ومعالجات شتى . كما شرح ديوان لبيد وجمع متفرقه وطبعه فى ( فينا ) . وله عدا ذلك أبحاث شتى ومحاضرات عدة ، وقد أقام فى الآستانة سوقاً أدبياً أسماه (عكاظ) ، وآزره فيه بعض معاصريه من الأدباء .

والأستاذ بندلى صليبا الجوزى : وكان هذا الأديب القدسى أستاذاً للعربية واللغات السامية فى جامعة ( قازان ) فى روسيا . ثم فى جامعة ( باكو ) . وله مؤلفات عدة أهمها : ( الحركات الفكرية فى الإسلام ) و ( الأمومة عند العرب ) و ( أمراء غسان ) . وجميعها مطبوع . والكتاب الأخير منها يكاد يكون تاريخاً للمسيحية العربية فى بلاد الشام ، ولعله استهدف ذلك فى تأليفه .

ومن أبرز ما يمتاز به هذا الأديب صبره البالغ حد العجب ، وجلده المفرط على البحث الدقيق ، والتحرى فى تحقيق ما اشكل وانبهم .

---

(١) عادت هذه المجلة أخيراً تصدر أسبوعية وتسلك مسلكا جديداً كما صدر أيضاً عدد من المجلات مؤخراً . سأتناولها جميعاً بالوصف ، حين يستوجب الحديث ذلك .

(٢) صدر أخيراً صحيفتان جديدتان ماتزالان فى طريق الاستكمال .

والأستاذ روحى الخالدى : وقد تنقل هذا الأديب فى دراسته الأولى بين الآستانة وأوربة ، وكانت له محاضرات فى جامعة ( السوربون ) ثم أقيم محاضراً فى ( جمعية نشر اللغات الأجنبية ) بباريس . وكان عضواً فى مؤتمر المستشرقين ، ثم قنصلا تركياً فى ( بوردو ) بفرنسا .

ومن تصانيفه القيمة : ( العالم الاسلامى ) و ( علم الأدب عند الأفرنج والعرب ) و ( الانقلاب العثمانى ) و ( رحلة الأندلس ) و ( المسألة الشرقية ) . وجميعها مطبوع . ومن كتبه المخطوطة : ( علم الألسنة ) و ( تاريخ الصهيونية ) وهما فى المكتبة الخالدية فى القدس .

ثم الشيخ يوسف النبهانى : وهو أديب فقيه شاعر . نزح من قريته ( اجزم ) قرب حيفا إلى بيروت ، وهناك التمع واشتهر وكان راسخ العقيدة شديد التعصب فى دينه ، وتبدو آثار تعصبه هذه فى معظم ما صاغه من شعر وأبدعه من نثر .

وله مدائح نبوية كثيرة ، تكاد تكون معظم شعره . وكانت تربطه بالأمير شكيب أرسلان صداقة وثيقة العرى ، تتجلى بما كانا يتبادلانه من شعر ونثر . كما كانت تربطه بالأستاذ فارس الشدياق أواصر إلفة ومودة ، حملته على أن يرثيه حين موته بقصيدة رائعة قال فيها :

كم من مشاكل أعيتنى فأوضحها

وقال هاك فكاد الطفل يحكيها

وله قصائد ( أيضاً ) غاية فى متانة السبك واختيار الألفاظ ، إلا أنها قيلت فى هجاء الأئمة الثلاثة المصلحين ، ( جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا ) وهم أعلام الهدى والفضل كما تعلم ! !

ويمدح الشيخ الصيادى بقصيدة يقول فيها :

ويممت دار الملك أحسب أنها إلى اليوم لم تبرح إلى المجد سلما
فألفيت فيها أمة عربية يرى الترك منها أمة الزنج أكرما

وللنبهانى كتب كثيرة ، أذكر منها كتابه ( الأنوار المحمدية[1] ) .

(له تكملة) **محمد سليم الرشدان**

( ماجستير فى الآدب واللغات السامية )

(١) الأستاذ ( إسعاف النشاشيبي ) أديب العربية الأكبر معجب بهذا الشيخ إعجاباً يفوق الوصف . ويقول — حفظه الله — : إنه لو نشأ فى غير بيئته لكان ( على عبقريته ) من أنداد شوقى وحافظ

# ويلتا لو علموا . . . !

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

من كتاب العمر ، من سفر السنين
صفحات عند أخرى ينطوين

ما روى مرقومها غير الأسى ما حوى مسطورها غير الأنين
عبراتى فى حواشيها جرت وجراحى قطرت فوق المتون
يا لعمر رنقت منهله نغصات الدهر والدهر خؤون
جزتها تسعاً وعشرين فهل غير كأس الشجو عاطتنى السنون
مرست لى الصاب فى شهد الصبى ومن الأفراح عاضتنى شجون

* * *

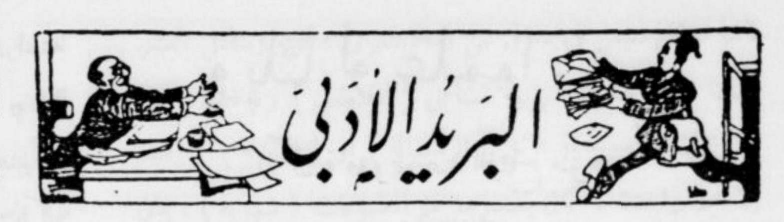
ويقولون : تحدى واقعاً قيد الروح بأغلال العذاب
وانعمى بالعمر ، ما العمر سوى غفوة العين على حلم كذاب
يتصدى تارة جهم الرؤى وهو طوراً ذو خيالات عذاب
هو ذا الواقع ، حلم عابر فاغنميه كلما لذ وطاب
وإذا يسرى وجيماً راعباً فتحديه بأفراح الشباب
وابسمى ، فالزهر رفاف الندى وانعمى فالغصن ريان الأهاب

* * *

ويقولون : اصدحى وانطلقى من إسار الحزن ، من قيد الفكر
حسب ألحانك ما أرسلته من شجا فيها ودمع منهمر
أبكاء والتياعاً وأسى والصبى فرحة أيام العمر
والصبى طير طروب روحه غرد ما راح ، شاد ما بكر
خاطف عمرا قليل ظله إذ يوافيه الخريف المنتظر
حين لا النوار نمام الشذى لا ، ولا الروض أنيق مزدهر

* * *

ويلتا لو علموا كيف هوى ذلك الطير دراكا من سماء
الدياجى طبقت آفاقه والرياح الهوج طاحت بقواه
من رآه قلقاً فى وكره لائباً ، يوشك يرديه صداه
إن هفا يبغى انطلاقاً كسرت من جناحيه أعاصير الحياة
أو شدا قام الشجا معترضاً آخذاً منه بأوتار اللهاة
... ... ... ... ... ... ... ... ...
كيف يشدو ؟ كيف يهفو وعلى ريشه يجرى نجيع من دماه




**حول ( لاغير ) :**

نشرت ( الرسالة ) الغراء فى عددها ٦٧٦ رداً ضافياً للأستاذ الجليل النشاشيبى انتقد فيه تعليقة الأستاذ الدنى على ( لاغير ) الواردة فى ( عبث الوليد ) ومما جاء فى هذا الرد قوله : ( وإن خيل أنه جاء من أعمال ( لا ) عمل ( ليس ) ، فاللحن نفسه يسطر ) الخ ...

وهنا مع تقديرى للأستاذ الجليل وإعجابى بنقله وتحقيقه أرى أن فى رده هذا ما يحتاج إلى التعليق فأستأذن حضرته فى إبداء الملاحظة الآتية :

يرى لفيف من النحاة كالسيرافى وابن هشام أن كلة ( غير ) لا تقطع عن الإضافة لفظاً إلا إذا تقدمتها ( ليس ) ، وفى غير هذه الحالة لا يرون القطع لعدم سماعه عن العرب ومن ثم لحنوا من يقول : ( لاغير ) لتجاوزه بالقطع مورد السماع قال السيرافى : الحذف إنما يستعمل إذا كانت ( غير ) بعد ( ليس ) ، وإذا كان مكانها غيرها من ألفاظ الجحد لم يجز الحذف ولا يتجاوز بذلك مورد السماع ) .

وقال ابن هشام : ( ولا يجوز حذف ما أضيفت إليه ( غير ) إلا بعد ( ليس ) فقط كما مثلنا وما يقع فى عبارات العلماء من قولهم : ( لاغير ) فلم تتكلم به العرب ) .

وقال الأشمونى فى تنبيهات الإضافة : « الثانى قالت طائفة كثيرة لا يجوز الحذف بعد غير ( ليس ) من ألفاظ الجحد فلا يقال قبضت عشرة ( لا غير ) » .

وبهذا يتضح جلياً أن اللحن لم يجىء فى نظر هؤلاء اللحنين من أعمال ( لا ) عمل ( ليس ) كما ظن الأستاذ الجليل حفظه الله وإنما أتى من مجاوزة مورد السماع فى القطع كما مر آنفاً ومن هنا كانت إطالة الأستاذ فى الاستدلال على جواز أعمال ( لا ) عمل ( ليس ) جهاد فى غير عدو ، وكان على الأستاذ وقد جنح إلى تخطئة هؤلاء اللحنين كما جنح إليها كثير من المحققين أمثال ابن مالك وصاحب القاموس وغيرهما أن يقابل الدليل بالدليل ، ويثبت سماع القطع مع ( لا ) عن العرب الذين يستشهد بكلامهم فى هذا الموضوع كما فعل ابن مالك فى شرح التسهيل حيث أثبته فى قول الشاعر :

جواباً به تنجو اعتمد فورينا ... لعن عمل أسلفت لا غير تسأل

ولكن الأستاذ رعاه الله أغفل هذه الناحية واكتفى بعرض ( جريدة ) من استعمال المؤلفين ( ومنهم المعرى موضع النزاع ) وهو يعلم جيداً أنها ليست بالحجة القاطعة فى محاجة المانعين ، وأنها إن أقنعت أمثالى من المقلدين فلم تقنع أمثال السيرافى وابن هشام من زعماء النحو المجتهدين ، فياحبذا لو أن الأستاذ أعاد الكرة ، واستظهر دواوين العرب ورسائلهم فربما يعثر فيها على شواهد أخرى تؤيد الشاهد ابن مالك الآنف الذكر الذى وصفه الدمامينى بأنه شاهد غريب وما ذلك على همته العالية ( وهو ابن بجدتها ) بعزيز ، والسلام عليه ورحمة الله .

( طرابلس الغرب ) **عبد الرحمن الفلهود**

**١ — بيانه :**

نقلت ست جرائد فى مصر والعالم العربى ، مقالتى الثالثة عن ( يوم الجلاء ) المنشورة فى الرسالة ، وعلق أكثرها عليها تعليقا لم أجد معه بداً من أن أبين ( للحقيقة والتاريخ ) أن الزعيم السورى إبراهيم بك هنانو قد توفى من عشر سنين .

**٢ — ثناء بالحق :**

أهدى إلى من القاهرة العددان الأخيران من مجلة ( شباب محمد ) فوجدت فيهما من صدق اللهجة ، والصدع من الحق ، وإصابة المحز ، ووصف حقيقة الداء ، ما جعلنى أقول :

هذا ما أراده المصلحون فأخطأوه ، وحاموا حوله فلم يبلغوه .

فللقائمين على هذه المجلة — وإن كنت لا أعرف أحداً منهم — شكرى وإكبارى ، وأسأل الله أن تكون أفعالهم كأقوالهم ، وأن يكثر فى مصر من أمثالهم .

٣ – خطأ تاريخي :

فى ( قضية سمرقند ) لعلى الطنطاوى ( الرسالة ٦٨١ ) خطأ تاريخى ، والصواب فيه أن قتيبة بن مسلم لم يدرك أيام عمر بن عبد العزيز ، وأن العامل على سمرقند فى تلك الأيام هو سليمان بن أبى السرى .

نبهت على ذلك قبل أن ينبه عليه غيرى .

على الطنطاوى

الموسيقى والغناء الشعبى :

يظن بعضهم أن الغناء الشعبى نوع من الموسيقى السهلة يستطيع أن يدخل فى مضمارها كل من أوتى حظاً قليلا من المعلومات الفنية ، وهم فى هذا لا محالة خاطئون ، فإن الموسيقى الشعبى مضطر إلى مراعاة أمور كثيرة فى فنه قد لا يلتزم فيها غيره منها دراسة نفسية الشعب والتزام حدود الأخلاق فيما ينتج من فنه فوق ما يحتاج إليه من قدرة فى التصوير وثقافة علمية وموهبة فنية . ثم هو يمتاز بعد ذلك بصفاء النفس وشعور خلق من التعقيد الذى يفسد سذاجة الطبيعة ، وبهذا تتحقق الغاية من فنه ، وهى الارتفاع بنفسية الشعب وترقية أخلاقه وتهذيب مشاعره . .

فالموسيقى إذن أداة من أدوات التهذيب لا تقل فى أثرها عن فن الكاتب وأساليب المصلح ، فهى أسهل مدخلا إلى النفس ، إذ لا يبذل المستمع ما يبذله من جهد فى الاستمتاع بسائر الفنون الأخرى التى تتطلب منه جهداً عقلياً ، بل هى تنفذ مباشرة إلى النفس دون وساطة العقل

من الفنانين الذين قد اجتمعت لهم تلك الخصائص الفنان العظيم المرحوم الشيخ سيد درويش ، تلك العبقرية النادرة التى هى من أعظم مصادر فخرنا ، والتى لا نفتأ نحس بالعظمة ونشعر بالعزة كلما ذكرناها . . .

ولكن كم يزداد أسفنا حينما ننظر الآن إلى موسيقانا الشعبية وما أصابها من إسفاف وتبذل ، حيث أننا نطلق الآن عليها هذا الإسم من باب التجاوز لا من باب الحقيقة ، فما هى إلا مظهر من مظاهر العبث والانحلال الخلقى يتمثل فى فئة من الشباب قد عجزت عن تحصيل عيشها من طريق مشروع ، فانطلقت تملأ الجو بما من الله به عليها من هذا ( الفن ) الذى نخشى أن يؤدى بنا يوماً إلى العار المطلق والسقوط الشنيع . . !

هذا ، علاوة على ما شاع فى الأغانى من عبارات لا يقصد منها إلا استفزاز الغريزة واستثارة الشهوات بأقبح أساليب التعبير وأحط ضروب الكلام ! !

فهل يمكن أن نأمل لهذا الحال صلاحاً ؟ إننا نهيب بولاة الأمور أن لا يتركوا الأمور تجرى على هذا الحال المشين ، وأن يضعوا حداً لهذا الشر الشائع والفساد المنتشر ... فلعله إذا صحت الموازين ، واستقامت الأحكام أن تجنى البلاد ثمار عباقرتها المغمورين وأفذاذها الخاملين ! !

عبد الحليم أحمد عبد العال
معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية




**قصة من الأدب الروسى الرفيع :**

# الملاك . . .

**للكاتب الروسى الكبير لوى تولستوى**

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

[ ولد تولستوى — فيلسوف روسيا العظيم — فى ٢٨ أغسطس سنة ١٠٢٨ من عائلة عريقة « أرستقراطية » وكان شغوفاً بالعلم ، مكباً على الأدب محباً للحكمة . . . فلما رأى ذلك البؤس الذى يحيط بالفلاحين . . وشاهد تلك التعاسة التى تكتنف العمال ... انبثق فى فؤاده نور الحق ، وتفجرت فى قلبه عيون الرحمة والعطف ، فعقد فى نفسه ألا يهدئ باله حتى يقوم على إسعادهم ، ولايسكن فؤاده حتى يعمل على خيرهم . وظل — طيلة حياته - يكافح فى سبيلهم ، فعاش فى أملاكه يزرعها ويقسم ما تغله بين الفلاحين ، ثم لم يلبث أن تخلى عنها ووزعها بينهم . . . وآثم — آخر أيامه — بالإلحاد . . فاختنى ردحاً من ا من

ويعد « تولستوى » القطب الأول والكاتب الأكبر فى روسيا . . . وتعد كتبه « الأناجيل الأولى » للثورة الشفية ، التى بذر بذورها . . . غير أنه لم ير الغرس وهو يستوى على سافه ، فيهز الروسيا ويهز العالم أجمع . . . فقد قضى فى ٢١ نوفبر سنة ١٩١٠ .

وما زالت كتبه — وقد شاعت فى أرجاء العالم — تظفر بكل إعجاب وإجلال . ومنها « البعث » و « القيامه » و « الحرب والسلام » و « أين المخرج » . . .

وهذه القصة — التى نبسطها اليوم على صفحات « الرسالة » الفراء — من أروع الأمثلة على ما كان يفيض به تولستوى من الحس العميق والوصف الدقيق لحياة عائلة من تلك الطبقة التى كرس حياته لرفعتها ونصرتها . .

وقد دعتنا الضرورة إلى تحوير العنوان التى عرفت به هذه القصة وهو « what Men Live By » أى « بماذا يعيش الناس » ؟ ]

« م . جميل »

---

كان الاسكاف « سيمُون » يعيش مع زوجته ، وأبنائه فى شظف من العيش يسكنون كوخاً صغيراً مغبراً ، بأجر من المال يؤدونه لصاحبه الفلاح ... وكان « سيمون » يكسب رزقه من عمله فى جهد وجحد ، وينفق كل ما تمسكه أنامله من دراهم على إطعام عائلته ، وما أندر الخبز فى ذلك الحين!

وكان للرجل وزوجته مدرعة من صوف يرتديها كل منهما حيناً فى الشتاء ، حتى رثّت وبليت ، وقد تقضى عام وهو عازم على شراء مدرعة أخرى ، فما أن أقبل الشتاء ، حتى أمكنه أن يقتصد بعضاً من المال : ثلاث « روبلات » مخبأة فى صندوق لزوجته ، وخمس « روبلات » وعشرين « كوبك » يدين بها بعضاً من زبائنه !

وتهيأ ذات يوم ليؤم القرية ، فارتدى « مَطرف » زوجته على قيصه ، ثم لبس ثيابه الأخرى فوق ذلك ، ووضع الثلاث « روبلات » فى جيبه ، واقتطع لنفسه عصاً يتوكأ عليها ، واتخذ سبيله إلى القرية بعد أن أفطر ...

وفى طريقه راح يحدث نفسه : « سوف أحصل على الخمس « روبلات » وأضيفهما إلى الثلاث « روبلات » فيصير ما معى كافياً لشراء مقدار من الصوف لمدرعة الشتاء ! »

ولما بلغ القرية بعد لأى طرق باب أحد الفلاحين فلم يجده بالدار ، ووعدته زوجة الفلاح أن النقود سوف تصله فى الأسبوع القادم ! وطرق « سيمون » باب فلاح آخر ، فأقسم له هذا أن يديه صفر من المال ، وسيدفع له كل ما معه « عشرين كوبك » قيمة إصلاح حذاء قام سيمون برتقه !

فحاول « سيمون » أن يشترى « صوف المدرعة » بما معه ، وبقرض يؤديه بعد حين ، فرفض البائع قائلا فى صوت ساخر : « إيتنى بالمال ، وسوف يكون لك ما توده من الصوف ، فإنا نعلم كيف يحصل المرء على دينه ! »

فأحس سيمون بالخور يسرى فى جسده ، والقنوط يتسرب إلى فؤاده ، فقام إلى حانه حيث نهل كأساً من الخمر بعشرين « كوبك » ، وقفل راجعاً إلى داره !

كان للخمر أثرها فى سيمون ، فسرى الدفء فى عروقه ، وزادت من قوته ونشاطه . فراح يفكر : « إنى أحس بجوانحى تختلج دفئاً وحرارة ، مع أنى لست مرتدياً مدرعة من الصوف ، لقد تناولت قطرة من الخمر فكان لها أثر النار تسرى حرارتها فى

عروقى ، فلست بحاجة لمدرعة من الصوف أقى بها جسدى زمهرير الشتاء ! ! »

ليت زوجتى ترتشف قليلا من الخمر . فتحس ما أحس ! ! صه ... ويلك ... أتود أيها الرجل أن تقضى عليك زوجتك إن خبرتها أنك تناولت بعضاً من الخمر ... إنها سوف تحطم الآنية على رأسك الفاضل ..! ياله من سائل عجيب يدفع النشوة إلى الروح والحرارة إلى الجسم !! . لست أبالى شيئاً ... ولكن زوجتى سوف تكتئب ويؤلمها أنى عدت دون صوف المدرعة !. ليس على من جناح !! ... فقد طلبت حقى فأنكره واحد . وأعطانى الآخر عشرين « كوب » ... هه ... وماذا أنا فاعل بها .؟! لست أدرى غير أن أشرب بها ... إن الواحد من هؤلاء يملك الأرض والدور والحيوان ... ثم يبخل على بحقى حقى الذى أعمل سحابة يومى وجنحاً من ليلى كى أظفر به ... فإذا ما انتهيت أنكروه على يا للعار . إن الواحد منهم لينعم بالدقيق والطعام أما أنا فأنفق ثلاث « روبلات » كل أسبوع للخبز وحده ... فإذا ما عدت إلى الدار وجدت الخبز قد أُكل فأبيت على الطوى ! . وهل أملك غير ذلك ؟ ! ومن أين آتى بالنقود ؟ ! أمن « هؤلاء » الناس الذين لا يقيمون عن الطعام إلا وقد أصيبوا باللقطة .!! »

كانت تلك الأفكار والخواطر تضطرب بين جوانحه . حين أدرك — فى سيره — الكنيسة فى منعطف الطريق . فرأى جسداً كالثلج فى نصاعته !. فراح ينعم النظر دون أن يتحققه أيكون ثوراً !. لا ليس شبيهاً بالثور .! إن له رأساً يشبه رأس الإنسان ! بيد أنه ناصع البياض ! ... »

واقترب منه حتى أمكنه أن يجتلى الأمر ! . وكم كانت دهشته حين أدرك أنه إنسان عار ... يجلس إزاء الكنيسة فى سكون يدفع الرهبة إلى القلب .. فطار فؤاده هلعاً ، وتلبسه الخوف فزعا : « لا بد أن أحدا قد قتله .. وخلفه هنا .. سوف أمسك علىّ فضولى أو أصاب بأذى ... »

وأنطلق فى سبيله ولكنه التفت إلى ماوراءه فرأى الرجل الجالس ينظر إليه ... فراع ذلك سيمون وزاد من جزعه . « أأعود إليه أم أنطلق ؟! إن أنا عدت إليه فسوف يحدث مالا يرضينى . بل يجلب الضر إلى نفسى فما وجد ثمت إلا لسوء .. ولعله يثب على ويخنقنى . وحينئذ لا تنفعك رحمتك ولا تشفع لك شفقتك ... وماذا أنا فاعل بإنسان عار ؟! ألست بمستطيع أن أخلع عليه ما لا أملكه . دعه فللسماء شأن معه ! » وأسرع سيمون فى خطاه لا يلوى على شىء . بيد أن ضميره أخذ يؤنبه . فتوقفت خطاه . وأخذ يهس فى حيرة ويهمهم فى وجل : « ماذا أنت فاعل يا سيمون ؟ ! هب أن الرجل يلفظ آخر نفسه ! . ألا تتق الله فى فرارك منه ورغبتك عن عونه ! ! أأنت فى وفر من المال حتى تخشى أن تسرق ؟! ياللعار ياسيمون . ! » فانقلب آيباً إلى الرجل ونفسه مضطربة وقلبه يخفق ...

* * *

دنا سيمون من الرجل الغريب ، وراح يجيل الطرف فيه .. فرآه شاباً على جمال وحسن ! وليس على جسده أثر لجرح أو شج وقد جلس ثم معتمداً ظهره إلى جدار الكنيسة لا يرفع طرفه إلى سيمون من الوهن والضعف . فلما أحس بسيمون رفع رأسه إليه ، وألقى إليه بنظرة . كانت كافية لأن تستدر كل ما يختلج بين جوانح سيمون من عطف ورفق وحب . فخلع حذاءه . وألقى عن نفسه رداءه . وقال فى صوت خفيض فيه حنان وفيه رأفة : « ليس ثمت مجال للحديث !! . هيا إرتد هذا الثوب . » وأمسك سيمون بمنكبى الرجل ، وأعانه على النهوض ...

فلما نظر إليه — حينما انتصبت قامته — ألفاه ... مديد العود ... جميل الوجه ... فألقى على كتفيه رداءه وأعانه على لبسه وهم « سيمون » يخلع قبعته ليضعها على رأس الغريب . فأحس برأسه يقشعر من البرد فقال فى نفسه : « إنى أصلع ! . أما هو فله غدائر معقوصة فلا خوف عليه ! . بل يحسن أن ألبسه حذائى ... » فأقر قبعته على « صلعته » وأجلس الرجل . وجعل حذاءه فى قدميه ... وهو يقول فى جرس طيب عطوف « هيا . أيها الصديق . استشعر الدفاء ودع باقى الأمور تجرى وفق مرادها أنى قدرتك أن تسير ؟! »

فنهض الرجل ونظر فى امتنان إلى سيمون دون أن ينبس ببنت شفه فقال سيمون : « لماذا لا تتكلم ؟! إن البرد لقارص فلا بد من العودة إلى المنزل توكأ على عصاى وإلا أحسست بوهن وخوار . فاعتمد على ساعدى ... »

وخطا الرجل فى تعب وجهد . وفى خلال السير رفع سيمون صوته قائلا :

« من أين أنت ؟! . »

— « لست من هذه البقاع ! »

« كذلك حدست . فإنى أعرف القوم هنا .! ولكن كيف قدر لك أن تصير هكذا جوار الكنيسة !؟ »

« لست أدرى ! »

— أساء أحد معاملتك ؟!

— لم يتعرض لى أحد بسوء ؟ لقد عاقبنى الله ...

دون ريب ... هذا هو حكم الله . سوف تجد عيشاً ومأوى أينما ذهبت ! فأين تروم ! »

— لست أدرى ! . »

فتولى سيمون الدهش . فما كان الرجل صاحب سوء أو خبث وتجلى من لهجته أنه خالص القلب . ولكنه لا يعلم عنه شيئاً .

« من يدرى ما سوف يحدث !! » والتفت إلى صاحبه وقال :

« حسنا ! . تعال إلى دارى على الرحب والسعة .! »

هبت الريح عاتية ، فياضة بالصقيع . فسرت القشعريرة فى جسد سيمون بعد أن أفاق من نشوة الخمر وذهبت عنه حرارته فأخذ يدثر نفســه برداء زوجته بعد أن خلع رداءه ... وراح يتحدث إلى نفسه : —

« والآن ، وقد ذهبت الخمر ، أعوزنا صوف المدرعة ، لقد انطلقت اليوم كى أعود بالصوف ، فما عدت بالصوف ولا بردائى أنا ، وفوق ذلك أتيت مع برجل عار ! سوف تستاء « مترونا » من ذلك ! »

وحينما جالت بفكره « مترونا » زوجته أحس بالانقباض والألم يتغلل فى جوانحه ، بيد أنه عندما ذكر صديقه الغريب ونظرته إليه فى امتنان وحمد رقص قلبه بهجة ومراحاً ..

☆ ☆ ☆

نهضت « مترونا » زوجة سيمون ... ذلك اليوم بعبء واجبها المنزلى خير نهوض وانتهت من عملها مبكرة ... قطعت الأخشاب .. وحملت الماء ... وأطعمت الصغار ... وتناولت هى وجبتها ... وجلست ترقب أوبة زوجها ... وراحت تسائل نفسها:

« أيكفى الخبز ... أم عليها أن تعمل بعضاً منه الآن ... لو أن « سيمون » تناول طعامه فى المدينة ... ولم يكن فى حاجة للخبز فى المشاء ... فسوف يمتد أجل الخبز يوماً آخراً ... لست بقادرة اليوم على أن أصنع خبزاً ... وسوف أدبر كل شىء حتى يكفينا إلى يوم الجمعة القادم ... » .. ووضعت مترونا قطعة الخبز الباقية فى مكان حريز ... وجلست ترتق ثياب زوجها ... وفى غضون ذلك راحت تفكر كيف يشترى زوجها صوف المدرعة كى تقيهما برد الشتاء ...

« آه ... لو أن البائع لا يخدعه ... أن زوجى لغرّ ... ! سهل على من يقوده ... إنه لا يخدع أحداً ... ولكن الطفل يستطيع أن يعبث به ... ثمانى روبلات مقدار كاف لشراء أجود الأصواف وأمتنها ... ! كم كنا نرتعد برداً ونرتجف من الصقيع فى الشتاء الماضى ... وما كنت أستطيع أن أهبط النهر أو أذهب إلى مكان آخر ولكن لقد بكر سيمون فى الذهاب ! ! وما عاد إلى الآن ... آمل أنه لم يذهب إلى الحانة ! ! .

ما كادت « مترونا » تردد هذه الخواطر فى ذهنها ... حتى طرقت أذنها أصوات وأحست أن بعضهم داف إلى الدار فقامت تجتلى الأمر ... فأبصرت رجليه : سيمون زوجها ، وشخصاً آخراً . عارى الرأس ينتعل حذاء زوجها !! لم تره من قبل ! . »

وحينما لاحظت أن زوجها تفوح منه رائحة الخمر ... وليس عليه رداءه ... ولا يمسك بيده حزمة من الصوف ... أخذ مرجل غضبها يفور ...

وأفسحت لهما حتى دلفا أمامها ، ثم تبعتهما ... ووقع بصرها على ذلك الرجل الغريب وقد لبس رداء زوجها ... فلما دخلا الغرفة وقف الرجل الغريب لا يتحرك ولا يرفع بصره إليها ... فقالت فى نفسها « لعل السكر أخرسه وذهب بعقله ... »

وعبست بوجهها وقطبت جبينها ... ووقفت جوار «التنور» ترقب ما سوف يعملان ... !

وخلع « سيمون » قبعته ... وجلس على أحد المقاعد ... وكأن الحال يجرى على ما يرام .

— « هيا مترونا ! ! إن كان العشاء معداً ؟ ! فأتينا به . ! »

فزمجرت « مترونا » كاللبؤة الغاضبة ... ولم تتحرك من مكانها

جوار التنور — فرأى سيمون بوادر الشر تلوح فى وجه زوجته ... فأراد أن يهدىء من روعها ويظهر أنه لم ير شيئاً ... وقدم لصاحبه كرسياً وقال له فى مرح « إجلس ودعنا نصيب شيئاً من الطعام ... ! هيا « مترونا » أما أعددت لنا شيئاً ؟ ! »

كانت نفس مترونا تلتهب غضباً وتغلى حنقاً فانفجرت قائلة :

— « بلى ... لقد أعددت الطعام ... ولكن ليس لكما ... ! يخيل إلى أنك أنفقت نقودك فى الشراب ... لقد ذهبت كى تحضر صوف المدرعة .. فما عدت إلا ومعك شريد عار عربيد ... ليس لدى طعام للسكارى ... ! »

— « كفى مترونا ... أمسكى عليك لسانك ... ! يحسن بك أن تسألى أى إنسان هذا ؟ »

— بل يحسن بك أن تخبرنى ما ذا فعلت بالنقود ؟ ! »

فأخرج « سيمون » الثلاث « روبلات » من جيبه وقال : « ها هى ذى النقود .. لم يؤد « تريفنوف » ما عليه .. ! ووعدت زوجته بأنه سوف يدفع ... » فلم يهدئ هذا من غضب مترونا ... فهو لم يحضر الصوف ... بل أنه ألبس واحدا عارياً ثوبه وأتى به إلى بيته ... فاختطفت النقود من يده لتضعها فى مكان أمين وقالت لزوجها ... « ليس عندى طعام ... وما بمقدورنا أن نطعم كل سكير عار فى العالم ... ! »

— قلت كفى مترونا خير لك أن تسمى أى إنسان هذا — ! »

— « أمن الحكمة أن أنصت إلى سكير ؟ ! لقد كنت أعرض عن الزواج بك لهذا .. ! »

***

حاول سيمون أن يخبر زوجته أنه لم يشرب إلا بالعشرين « كوبك » ... وحاول أن يبصرها بالحالة التى وجد عليها صاحبه الغريب ... بيد أن مترونا كانت تنطق بسرعة هائلة ... وتذكره بأشياء مضت منذ عشرين عاماً ... وراحت تتحدث وتتحدث ، وأخيراً أمسكت بسيمون وراحت تصيح :

« أعطنى ثوبى ... أنه الوحيد الذى أمالكه ... ! وقد أعرته لك كى تحضر صوف المدرعة ... ناولنيه أيها الكلب الأجرب ... وليعبث بك الشيطان ! ! . »

فأخذ سيمون يخلعه ... ثم ناوله إياها ... فألقته على رأسها وهمت بالخروج إلا أنها توقفت ... ! وقد جال فى نفسها أن تعرف سر ذلك الرجل الغريب فقالت لسيمون :

لو أنه رجل مهذب لما أعجزه أن يستر نفسه بثوب يشتريه ! أيمكنك أن تخبرنى أين عثرت « عليه » ؟ ! »

— هذا ما كنت على وشك أن أخبرك إياه ... حينما أدركت الكنيسة وأنا فى سبيل العودة — أبصرته جالساً عارياً يكاد أن يتجمد من البرد والصقيع ، فقد بعثنى الله إليه قبل أن يقضى عليه الجوع والعرى ، فما ذا كان على أن أفعله سوى أن أخلع ثوبى وألبسه إياه وآتى به معى ؟ فما كان له من مأوى ! ! ما الذى يدرينا كم كان يلاقى من العذاب الشديد ؟ لا تغضبى يا مترونا ، إن هذا ذنب غير مغتفر ، واذكرى أننا سوف نموت جميعاً يوما ما ! »

وارتفعت ألفاظ الغضب إلى شفتى « مترونا » ، ولكنها ما لبثت أن ماتت قبل أن تلفظها ، فقد نظرت إلى الرجل الغريب وهو جالس فى سكون ووداعة على مقعده ، يداه معقودتان على فخذيه ، ورأسه ساقط على صدره ، وعيناه مغمضتان ، وجبينه مقطب ، كأن الألم ينهش فؤاده فينعكس على صفحة وجهه ! فصمتت « مترونا » على مضض ... وقال سيمون فى صوت شاع فيه الرجاء والأمل : ألا تحبين الله يامترونا ؟ ! . »

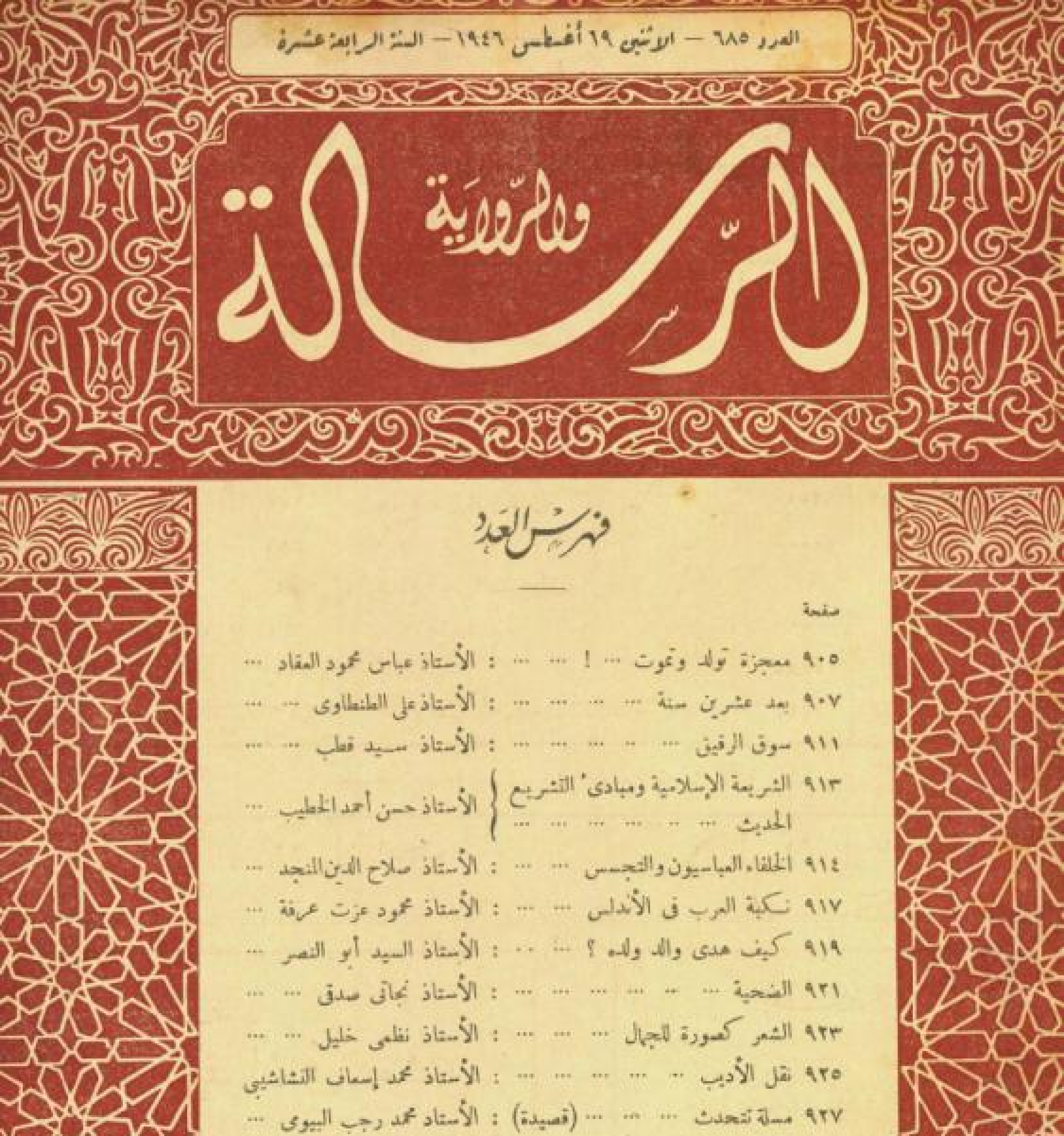
***

فما سمعت « مترونا » هذه الكلمات ، وألقت طرفها ثانية إلى « الصاحب الغريب » حتى فاض قلبها إيماناً ... وراحت الرحمة تدب فى نفسها ... وأخذ الحنان والعطف يهز فؤادها ... !

فذهبت إلى « التنور » وأتت بالطعام ... ووضعت قدحاً على المائدة وصبت فيه بعض الشراب الساخن ثم أحضرت قطعة الخبز من مخبئها ومعها سكينان وملعقتان ... وقالت فى صوت يفيض عطفاً . تفضل فتناول بعض الطعام ... !

وأدنى سيمون المائدة من صاحبه . وفتت الخبز ووضعه فى المرق وراحا يأكلان .. وجلست مترونا فى جانب من المائدة ! ترقب الضيف فى نظرات فاحصة . فزاد عطفها عليه ورأفتها به . وحينئذ أشرق وجه « الغريب » وأضاء . فكأنه البدر يرفل فى هالة بالسماء . . ورفع عينيه النجلاوين إلى « مترونا » ونظر إليها نظرة وديعة . وافتر ثغره عن ابتسامة حلوة عذبة ...

( يتبع ) مصطفى جميل مرسى



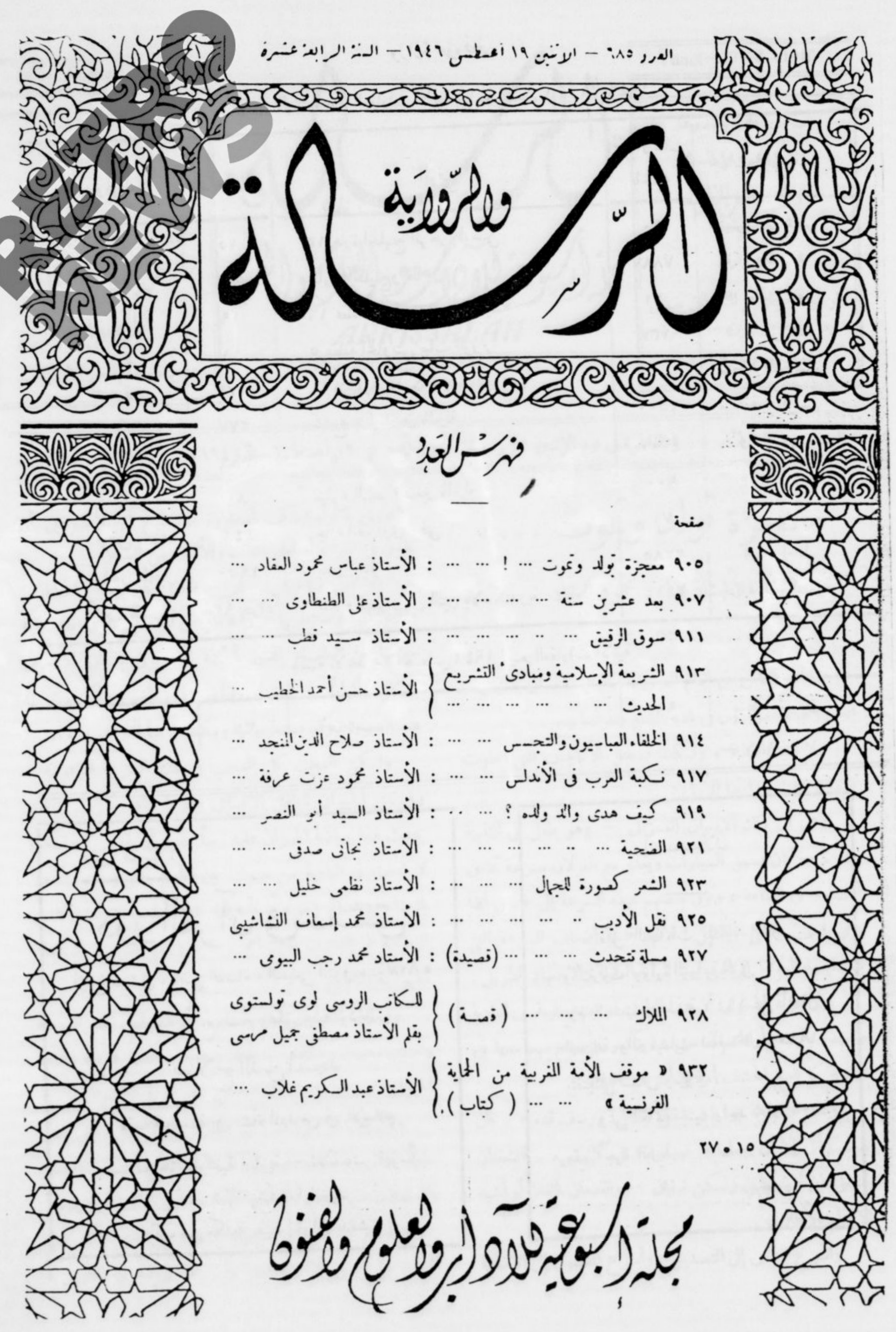
العدد ٦٨٥ — الإثنين ١٩ أغسطس ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

# الرسالة والرواية

## فهرس العدد



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ٦٨٥ — الاثنين ١٩ أغسطس ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

# الرسالة والرواية

## فهرس العدد



٢٧٠١٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

## وزارة الأوقاف

تشهر الوزارة بيع العقارات الآتية بجلسة السبت ٣١ / ٨ / ١٩٤٦

| نوع العقار | المساحة بالمتر | الموقع | الثمن الأساسى بالجنيه | جهات الجلسات |
|---|---|---|---|---|
| دكان | ١٥ | ١٥ حارة الخليج المرخم بالموسكى | ٩٠ | تفتيش ثانى مصر |
| أرض | ٥٢٦ | شارع الخليج والظاهر | ٧٨٨٧ | « « « |
| منزل | ١٩ | ١٦ عطفة الجزارين بالسيدة نفيسة | ٤١ | « ثالث مصر |
| « | ٩١ | ٥ عطفة الجاويش بباب الوزير | ١٣٧ | « خامس مصر |
| « | ١٧٩ | ١٣٦ شارع الملكة فريدة بالسويس | | منطقة السويس |
| وكالة | ٢٧٧ | شارع جمال الدين بالمنزلة | ٢٥٠٠ | منطقة دكرنس |
| ٧ دكاكين | ٣٨٦ | « « « « | ٤٠٠٠ | « « |
| دكان | ٨٤ | شارع البحر الصغير بالمنزلة | ٩٠٠ | « « |
| أرض فضاء | ١٤١ | حارة الجيزاوى بزفتى | ٧١ | « زفتى |
| وابور طحين | ١٢٥٠ | بندر إسنا | ٢٢٨٥ | « إسنا |
| أرض تقسيم ١٣ | ٩٢٨ ذراعاً | شارع قصر رأس التين بالأسكندرية | ٢٤١٤ | إدارة الأسكندرية |

جلسة الأحد ٢٥ أغسطس ١٩٤١ لبيع العقارات الآتية

| نوع العقار | المساحة بالمتر | الموقع | الثمن الأساسى بالجنيه | جهات الجلسات |
|---|---|---|---|---|
| منزل | ٣٠ | شربين | ٩١ | منطقة شربين |

— ١١٧ —

14 me Année No. 685

Lundi—19—8—1946



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٨٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٦٥ — ١٩ أغسطس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة



# معجزة تولد وتموت ... !

للأستاذ عباس محمود العقاد

تسامع الناس فى العالم العربى بقصة « الانسان الغزالى » الذى وجده الصيادون فى بادية الشام منذ أسابيع .

ولا نعيد القصة ، ولكننا نسجل الأعاجيب التى انطوت عليها لو صحت روايتها الأولى :

وهى أن ذلك الانسان الغزالى — وهو طفل فى الثانية عشرة — كان يسبق السيارات ويعدو مع الغزلان بسرعة ثمانين ألف متر فى الساعة ، ونزل بعضهم بهذه السرعة إلى خمسين ألفاً وهى ليست بالشىء القليل ؛ لأنها خمسة أضعاف السرعة التى يستطيعها العدّاء الرياضى بعد المرانة العلمية والاجتهاد الطويل .

والأعجوبة الأخرى أن هذا الطفل قد تبنته ظبية فى البادية وتعهدته بالرضاع والحضانة حتى نما وكبر وأصبح يهيم معها فى البادية كما يتبع الخشف أمه فى أسراب الفلاة .

وتمت الأعجوبة بوصف شفتى الطفل ووصف قدميه . فان بعضهم أبى إلا أن يجعلها « حيوانية » فى كل شىء . فالشفتان مشقوقتان لا تتكلمان ولكن تبغمان ... والقدمان ظلفان أو أشبه الأقدام بالأظلاف .

وأسرع الناس إلى التصديق ، وأسرع المعقبون إلى الاضافة والتعليق ، وأوشكت أسطورة الأسبوع أو الأسبوعين أن تفوق فى الغرابة أساطير المئات والألوف من السنين .

ولا عجب فيما قيل من أن الطفل كان يأكل الحشائش والأعشاب ويستطيبها ، وأنه ظل فى المستشفى الذى نقل إليه معرضاً عن الطعام الذى يأكله الآدميون . فان الآدميين يأكلون ألواناً من العشب والخضر فى الحاضرة ويكتفون بها عند الضرورة وقد يستطيبونها ويكتفون بها لغير ضرورة .

ولكن العجب كل العجب فى تلك السرعة المزعومة ، وفى تبنى الحيوان للطفل الانسانى بغير إرشاد وتدريب . فقد يحدث هذا برياضة الحيوان عليه زمناً يطول أو يقصر ، ولكنه لا يحدث فى البادية من حيوان بين قطيع يظل وحده متكفلا بالرضاع بين سائر إخوته . فأما إذا كان القطيع كله مشتركا فى الرضاعة على التناوب فذلك أعجب ما روى من ضروب الكفالة الحيوانية بالاجماع .

وتساءل المعنيون بالرياضة عندنا عن السر فى تلك السرعة وهم بين مصدق ومكذب ، فقال بعضهم : لعلها غريزة الجماعة الحيوانية تسرى بعدوى الملازمة من الحيوان إلى الانسان !

وقال غيره : لعل السر فى الحشائش والأعشاب التى قصر عليها الغلام غذاءه . فهى على ما يظهر أصلح لمرونة المفاصل والعضلات من اللحوم والأغذية المطبوخة التى يأكلها الرياضيون !

والواقع أن اللحوم لا تعوق آكلها عن العدو لأن كلب الصيد من أسبق الأحياء عدواً وأصبرها على الجرى الطويل ،

ولأن العرب كلن فيهم عداءون لعلهم لم يأكلوا شيئاً غير اللحوم والألبان ، وإن أكلوا الحبوب والخضر فني النـدرة بين الحين والحين .

ونعرف فى أعلى السودان قبائل قد اشتهر أبناؤها بعبور الصحراء ، أو — العتمور — كما اشتهروا بالجلد على الجرى والركوب وهم يأكلون اللحوم ويعافون كل « مُلاح » أو كل خضر مطبوخ معالج بالملح على الطريقة السودانية . ومن كلام شاعرهم يفتخر :

« ولا نشرب المدام نسكر ولابنا كل الملاح لاخضر »

وفيما بيننا أمثلة غير قليلة على السباقين من آكلى اللحوم أو الذين لايصومون عنها على الأقل لغرض من هذه الأغراض .

فليس فى الظنون والأوهام — فضلا عن الحقائق والمعلومات — تفسير صالح لتلك الأعجوبة المزعومة أو تلك المعجزة التى شاء الله أن تصاب « بالسرعة » فى الزوال ، وهى سرعة لا تؤذن بالجدال

فبينما الناس فى هذا التساؤل إذا بمندوب المصور فى بيروت يزور الصبى فى مستشفى « ابن سينا » الذى نزل فيه بدمشق فلا يلاحظ عليه شيئاً من الشذوذ ، وقد ابتسم الصبى له وأظهر له قدميه فلم تكن بهما خشونة مستغربة ؛ بل كانت لهـا نعومة كنعومة أقدام الأطفال . وعلم المندوب من الطبيب « أن الصبى مر بالدور العادى فى طفولته ، وأن أمه أرضعته حتى فطمته ، وأن قصة رضاع الغزالة وهم وخرافة » .

وقد فسر مدير الصحة العامة بدمشق هذه الحادثة بأن الصبى قد تاه فى الصحراء ، وربمـا تعلق بسيارة وصلت به إلى الموضع الذى وجد فيه ، أو ربمـا خرج فى صحبة بعض البدو ثم ضل الطريق ، ولا يستدل منه على حقيقة الأمر لأن المسكين مصاب ببكم قديم ... ولعله ينطق بعد العلاج .

وهكذا ماتت الخرافة فى سرعة جديرة بموضوعها لاثقـة بشأنها ، فتلقى الناس موتها بالأسف والخيبة لأنه حرمهم أعجوبة طريفة ، وهم لايشبعون من الأعاجيب حتى فى عصر الأعاجيب ، وأخصها السرعة التى يصح فيها قول أبى العلاء :

ولـما لم يسابقهن شىء من الحيوان سابقن الظلالا

فهم يودون لو تنقلب الدنيا كلها أعاجيب على شريطة أن تحفظ فيها « معجباتها » ، ولا تصبح كعجائب المتنبى التى كثرت حتى لا عجائب فيها . وليتهم يجربون هـذا الانقلاب أسبوعاً واحداً ليعلموا أن الوقائع والمألوفات لها « قيمة » حقيقة بالعرفان فلا يتبطروا عليها !

والظريف حقاً فى قصة هذا الصبى أننا رأينا له صورتين . فاذا هو أشبه إنسان بملامح غزال ؛ سواء فى دقة الجوارح أو فى تركيب الجمجمة أو النظرة المجفلة والوجه المسنون . فلو ظهرت خرافته فى عصر من العصور الوسطى لـكانت هـذه الصورة مصداقا لـكل إشاعة من إشاعات الخرافة المختلفة ، فيقول من شاء إن لبن الرضاع ينقل الشبه من الحيوان إلى الانسان ، ويقول من شاء إنه مولود غزالة بخارقة من الخوارق ، ويكون حظه من التصديق والإعجاب أتم وأعظم من حظ القائل بانتقال الملامح مع الرضاع ، بل يحق له حينئذ أن يشهر سيف التكفير على من ينكر هذه الخارقة ويشك فى إمكانها ، لأنه يستكثر تلك الخوارق على قدرة الله .

ومن خصائص هذه الحالة فى عصرنا أن تقع فى أيدى الأطباء الذين يعرفونها ويفسرونها وقد يوفقون لعلاجها ، ولـكنها لو تقدمت فى الزمن لـكان أكبر الظن أن تقع فى أيدى المشعوذين الذين يستغلونها ويبالغون فيها ويجدون من إشاعات الناس التى يتطوعون بها ما يزيدها ويساعد على ترويجها ... فهذا الطفل إذن قديس مبارك قد أعده الله للولاية فى البرية وحرمه النطق ليكتم أسرار الغيب ولا يبوح بها إلا بترجمان على حسب الوحى والتقدير ، وهذا البغام هو اللغة التى يفسرها الحواريون المحيطون به ولا يقدر غيرهم على تفسيرها ، وهذه الظبية — ويحضرونها يومئذ فى صحبته ! — هى أم القديس التى خصت من بين الحيوان بهذا الشرف العظيم ، ويباع شعرها بل بعرها للبركة « كأنه حب فلفل ... » أو يزيد .

وينقضى عمر الطفل وتنطوى بعده الأيام ، فاذا هو صاحب ضريح ، وإذا بالحواريين يتوارثون الأسرار ويترجمون عنه من وراء الصفائح والأحجار ، وربمـا بيعت ذرية الظبية بعدها — إن سمح لها مقامها القدسى بالزواج — فغالى الناس فى أثمانها وتفاخروا باقتنائها فى المدائن والأمصار .

ومما لا ريب فيه أن ذلك الضريح الذي حيل بينه وبين الظهور لن يقل في قداسته ولا في استحقاقه للزيارة والتبرك وقضاء الحاجات عن ألف ضريح تمتلىء بها الآن مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد الاسلام ، بل لن يقل عن ألوف الأضرحة التي يتجر بها الدجالون على اختلاف الأديان .

فالحمد لله ! لقد نجا الشرق الاسلامي من معجزة بغير معجزة ، وسلمت بلادنا العامرة بالقديسين من قديس جديد .

**عباس محمود العقاد**

# بعد عشرين سنة ...

للأستاذ علي الطنطاوي

قلنا : قف بنا لحظة يا قطب . لقد هلكنا من التعب

قال القطب : امشوا . .

وضغط على (الميم) ومدّ (الشين) مدّة ساخر بنا ، وأوسع خطاه فصمتنا وتبعناه مرغمين

وعدنا نمشي في هذه البرية الواسعة ، وقد انتصف الليل وغاب القمر ، واحتوانا الظلام بسكونه الموحش وسواده المطبق ... وثقل علينا هذا الصمت ، فقال القطب : غنّوا ...

وحاولنا أن نغني كما كنا نغني في أول الليل ، ولكن التعب والوحشة والنّعس ، كل أولئك كان يحبس أصواتنا ويمسك ألسنتنا ، فخرج الصوت ضعيفاً متقطعاً ثم هبط حتى اختفى ، ورجعنا إلى الصمت ...

وتجشّمت وحشتنا ، حتى كانت الجبال البعيدة تظهر لنا في ظلام الليل كأنها أشباح الرعب ، والأشجار أمثال العفاريت الشواخص ، والسواقي التي كنا نمرّ عليها كان ماؤها يبدو لنا أسودَ يملأ خريرُه القلوب رهبة ... وكذلك أحال الظلام كل ما هو جميل في الوجود بشعاً مرعباً ..

ولاح لنا من بعيد ضوء يتراقص على حاشية الأفق ، فقال القطب :

— هذه هي (التكية) !

فسُرّيَ عنا ، وتجددت قوانا ، وعلمنا أنّا قد بلغنا آخر المرحلة ، ودنا المنزل

وكان ذلك سنة ١٩٢٥ . وكانت إحدى رحلاتنا مع (القطب) وكنا نقوم بهذه الرحلات قبل أن يعرف فينا نظام الكشفية وقبل أن يدخل بلدنا ، نقطع فيها ما لا تقطعه كشافة على وجه الأرض ، نسير خمسين كيلا[1] في اليوم نُصعّد في الجبال ، أو نتسلق الصخر ، نخوض ظلام الليل وحرّ الهاجرة ، نحمل أثقالنا على ظهورنا ، نتعرض للوحوش واللصوص والمخاطر ، حتى لم تبق بقعة حول دمشق قريبة أو بعيدة إلا بلغناها ، ولا قرية إلا دخلناها ، ولا عين إلا وردناها ، وكان قائدنا (القطب) ، وليس (القطب) اسمه ، ولكنه لقب لقبناه به أخذاً من الخرافة الصوفية المشهورة[2] ... واسمه الشيخ حسين ، وهو خطاط وإمام مسجد ومعلم صبيان متقشف زاهد يقبل من الدنيا كلّ ما جاءته به ، فيأكل راضياً ما يجد ، ويلبس ما يلقى ، ويعرف ربعَ أهل دمشق ويعرفه نصفُهم . ومن مزاياه أنه أقدر الناس على السير ، حتى إنه ليستطيع أن يقطع عمره كله بالمشي ...

... وكان قد خرج بنا فجرَ هذا اليوم من دمشق إلى الرّبوة فدُمّر ، فالهامة ، فالجُدَيْدَة ، فبَسّيمة ، فالفيجة — أسماء رياض من عرفها من قراء الرسالة علم أن الله لم يخلق في الأرض أجمل منها ، ومن لم يعرفها فيحفظها في ذاكرته ، فلعل الله يكتب له السعادة يوماً بزيارة دمشق فيسأل عنها حتى يراها

فلما بلغنا الفيجة وهي على عشرين كيلا من دمشق ، وفيها العين العظيمة التي تسق دمشق ماء عذباً صفّاه الله ونقّاه ، فلم تُصفّه آلة ولا مِصفاة ، أقمنا فيها إلى المساء ، فلما أذّن المغرب صليناه وسرنا على اسم الله ، فررنا على دَيْر قانون وسوق وادي بردى وتلك القرى ، نسلك قرارة الوادي العميق تارة ، ونركب الجبل تارة أخرى ، وكنا أقوياء في أول الطريق ، نسير بجد ونشاط ، وكان القمر الوليد يضوّئ لنا الطريق ، فلما مضت ثلاث ساعات من الليل غاب القمر ، وعمّ الظلام ، ونال منا التعب ، فما قاربنا التكية حتى كدنا نسقط إعياء ...

(١) الكيل على وزن الميل معرب (كيلومتر) .

(٢) وأشهر من تكلم فيها ونشرها الشعراني

وشدَّ قربُ التكية أعصابنا ، فغنينا أغنية وطنية معروفة ، فلم نسمع إلا صوت المتراليوز

فقال القطب : خاف منا الكلاب ، غنوا يا أولاد !

وكانت الثورة السورية قائمة ، وهؤلاء ( الكلاب ... ) إنما هم الفرنسيون ولهم مركز قوى فى التكية لحماية معامل شركة الكهرباء والترام ، وكانوا يقتلون فى تلك الأيام البرئ وهو فى داره ، فكيف بمن يقدم عليهم وسط الليل منشداً الأناشيد الوطنية؟

واستمر صوت الرشاشات ونحن مستمرون فى إنشادنا وسيرنا فرحين بهذه التسلية الجديدة التى أنقذتنا من مَلال الطريق . وأشهد أن الفرنسيين مجانين ، ولكنهم عقلوا هذه المرة ، لأنهم وجدوا من هو أكثر جنوناً منهم ، وهو نحن ... فوقفوا الضرب ، وأقبل علينا واحد منهم ، فأنار مصباحه ونظر إلينا...

وكان ركبنا مؤلفاً من القطب ، والشيخ شريف ... وهو مدير مدرسة أهلية ، وسلطان الشاى الأخضر فى دمشق ، ومؤلف أناشيد ، وهو أسرع الناس غضباً وأسرعهم رضا ، يشتعل كالبنزين وينطفئ كالبرق ، والشيخ طه ... وهو معلم ولكنه كان ضابطاً فى الجيش قبل أن يكون معلماً ، وأنا ، وسبعة من تلاميذ الشيخ شريف ...

لقد كنا كـ ( ركب النميرى ) !

فلما رآنا ورأى هذه الهيئات العجيبة ، وهذه الأحمال التى كنا نحملها والتى يعجز عن حملها ثلاثة بغال . رأى قوماً ليسوا من الثوار ولا من أهل القتال ، فما ذا يكون هؤلاء ، وما ذا يدفعهم إلى السير فى هذه البرية نصف الليل ؟

وسألنا — وكنا نعرف من الفرنسية كلمات — فتكلمنا بها ، وكنا نكرر كلمة ( بروموناد ) أى نزهة ... فلم يشك الرجل أننا مجانين ، وأدخلنا المخفر وجاء بترجمان فكلمنا ، فلما عرف قصتنا كاد يقضى عجباً ، وسمح لنا بالمسير ...

قال القطب : إلى أين نسير ؟ إننا نريد أن ننام هنا !

قال الضابط : هذه منطقة عسكرية . ممنوع !

قال : إذن أعطونا طعاماً ، وقطرة لعينى فإن بها رمداً ، وعلبة كبريت . فأعطوه ما يريد

فلما خرجنا ، قال القطب :

— أرأيتم كيف غزوناهم وأخذنا طعامهم ؟ آه . لو كان معنا سلاح لذبحنا الكلاب ... والآن . لم يبق إلا أن نمشى إلى ( بلودان )[1]

وكانت بلودان فى رأس جبل لا نستطيع تسلقه فى أقل من ساعتين ، وبيننا وبين الجبل مسيرة ساعة ، والإعياء والنعس بالغان منا ، ولكن لا بد مما ليس منه بد ...

ولما بلغنا بلودان كان السحر قد اقترب ، ولم يكن يحسن أن نقرع باب أحد من الفلاحين فى تلك الساعة ، فقصدنا المسجد وجرب القطب مفاتيحه فى الباب فانفتح لنا ، فاستلقينا من التعب على الأرض ، ووضع كلٌ رجليه تلقاء رجلَىْ الآخر ، والتففنا ببسط الجامع وغنا ...

ولما جاء المؤذن لأذان الفجر ، فتح الباب ودخل يتعوَّذ ، وأوقد عود كبريت ، ونظر فرأى ما هاله ، وما قفَّ له شعره ، رأى جِنًّا نائمين كل جِنِّى طوله خمسة أمتار وله رأسان رأس من هنا ورأس من هناك ، ووقف المسكين مكانه وقد ألصقه الرعب به فما يملك أن يريم ، وجاء بعد قليل رجل آخر فقال له :

— ما لك لا تؤذن يا أبا عبده ؟

قال : أ... أ... أ...

وأشار إلينا وعقد الخوف لسانه ، فنظر الآخر فشُده..

وأحسسنا نحن فقمنا ، وعرف القوم القطب ، فأقبلوا عليه يعاتبونه على ما صنع بهم ...

ونهضنا كما ينهض الجمل نشط من عقال ، وقد وجدنا لهذه النومة القصيرة على الحصير القاسى بعد التعب الشديد ما لا نجده لنوم ليلة كاملة فى البلد على السرير ، ووقفنا للصلاة ، وكان قد اجتمع فيها أهل البلد كلهم لا يتخلف عن الصلاة أحد ، وما أهل البلد ؟ إنهم بشيوخهم وكهولهم وشبانهم لا يَعْدون الأربعين ...

فلما سلمنا أخذوا يتسابقون إلى دعوتنا ، فقال القطب :

— القاعدة !

وكانت القاعدة أنه لا يستضيف أحداً ولا يدخل داراً ، ولا يرزأ أحداً شيئاً ، وإنما يقصد المنازه والعيون ، وكانوا يعرفون

(١) بلودان على (٥٠) كيلا من دمشق وهي مصيفها وفيها كانت اجتماعات الجامعة العربية

هذه القاعدة فتركوه ، فذهب بنا إلى ( عين أبي زاد ) ...

ومررنا على القرية فإذا هي قرية صغيرة خاملة فقيرة ، أهلوها على الفطرة النقية ، لا يعرفون الحسد ولا الغش ولا السرقة ، ولم يسمعوا بالقمار ولا بالخمر ، وليس فيهم من يقرب الزنا أو يفكر فيه . والقرية تطلّ على منظر من أعجب مناظر الدنيا ، فهي على رأس جبل تقوم في أسفله ( الزَّبَداني ) ، وهي القصبة ، وفيها دار الحكومة والقائمقام والقاضي وقائد الدرك ، وأمامها سهل الزبداني كله إلى منبع ( بردى ) ، وعن يمينها وادي ( سِرْغايا ) ، وعن شمالها بُقَّيْنُ ومضايا ، ومن أمامها مدخل وادي بردى ... وفيها المياه العذبة ، والعيون الصافية ، وفيها العنب والتين والتفاح الذي لا نظير له ، ولكنها منقطعة عن الدنيا لا يكاد يصعد إليها أحد ، لعلوّها وضيق الطريق وصعوبته ، وقلة الدواب ، وكان وجهَ القرية الشيخُ سليمان الرنكوسي وهو رجل ذو مزايا ومناقب ، فمن مناقبه أنه إمام المسجد ، وخطيب الجمعة ، ومعلم الأولاد ، وكاتب الرسائل والعرائض ، وبائع القماش ، ومصلح بوابير الكاز ، ومقسم المواريث ، ومسجل عقود البيع ، وقاضي البلد ... فكأن أهل القرية أسرة واحدة نقية فاضلة ، والشيخ سليمان هو ربها !

وبلغنا العين ، ونصبنا الخيمة التي كنا نحمل أجزاءها مفككة ، وأوقدنا النار ونصبنا القِدْر ، وفتحنا الحقائب فأخرجنا اللحم والخَضَر ، فطبخنا وأكلنا وشربنا الشاي الأخضر ، ثم جلسنا أمام العين جلسة لو تعبنا أضعاف ذلك التعب لكانت مستحقة له ، معوضة عنه ...

ورأيت الفلاحين يتوافدون على القطب : هذا يأتيه بعشر تفاحات ، وهذا يهدي إليه قبضة من التين اليابس أو الزبيب ، وهذا يحمل إليه كأساً من اللبن ، فكان يقبل منهم ويثيبهم عليه ببكا كر ملونة ، أو قُضامةٍ على السكر ، أو لوح صابون ، ورأيت من يأتيه بشيء يأخذ عوضه ثم يقعد لا يذهب ، فلما تكامل عددهم أخرج الشيخ كتاباً من خرجه ، وجعل يقرأ عليهم ويعظهم ، فتسيل دموعهم من خشية الله ...

ومرت السنون على هذه الرحلة حتى نيّفت على العشرين ، وقطعتني الحياة وهمومها ، وأسفاري وعملي في غير ديار الشام ، عن هذه الرحلات ، وباعدت ما بيني وبين ( بَلُودان ) فلم أرها بعد تلك الزورة ...

... حتى إذا كان هذا الربيع المنصرم ، لقيت ( القطب ) ، فقال لي : أتذكر تلك الرحلة ؟

قلت : نعم ، أذكرها ولا أنساها

قال : هل لك في مثلها ؟

قلت : قد تغيرت الدنيا ياقطب ، ولم أعد أستطيع أن أمشي ، إن الناس يعرفونني ...

قال : امّشي ...

وشدّ ( الميم ) ومدّ ( الشين ) فأذكرني ليلة التكية ، فشاقتني الذكرى فقبلت ما عرض عليّ ...

... ولبسنا مثل ثيابنا تلك ، وجمعنا من بقي من أصحابنا ، ومشينا ، فإذا الطرق التي كانت كأنها من جمالها معابرُ الفردوس ومسالك الجنان ، والتي كنا نسير فيها فلا نلقى إلا فلاحين يكرموننا ويحترموننا ، صارت شوارع واسعة لا تنقطع السيارات فيها ساعة ، وكلما مرت بنا سيارة أبطأت في سيرها ونظر من فيها إلينا ، كما ينظرون إلى ( عجائب المخلوقات ) ، ثم ولت عنا ، ونحن نسمع منها ضحكات النساء الخليعات علينا ، وضحكات شبابٍ هم مثل النساء ، وقذفتْ في وجوهنا غبارها ودخانها ، وما ذنبنا إلا أننا نمشي على أقدامنا في حرّ الشمس ... حتى أن الكشافين كانوا يمرون بنا في سياراتهم ويضحكون هم أيضاً علينا

ورأينا مرة فرقة كشفية تسير بجانب سيارتها الفارغة مشية عسكرية موزونة كشية حرس هتلر الخاص تماماً : شمال — يمين . واحد — اثنين . وهم ينشدون :

لا نهاب الزمن   إن سقانا المحن

في سبيل الوطن   ... ... ... ...

فداست السيارة على مسمار ، فانفجرت عجلتها ، وكان لها مثل صوت البارود ، فقطع إخواننا النشيد ، وطاروا على وجوههم فلم تمر ثوانٍ معدودات ، حتى صار أشدهم حماسة على بعد خمسين متراً من (مكان الخطر) ، هؤلاء الذين كانوا يمشون كشية حرس هتلر الخاص ولا يهابون الزمان ...

فقلت : يا قطب ، أتذكر ليلتنا تلك والرشاشات ؟ ... ألم أقل لك : لقد تغيرت الدنيا ؟ !

ووجدنا الأماكن التي كنا نستريح فيها ، والتي كانت من طهرها كأنها معابد الجمال في الأرض ، صارت قهوات وخمارات

ما فيها لأمثالنا مكان ، فكنا نبيت على الصخر ، وعلى ظهور الجبال ، حتى بلغنا ( بلودان ) ، فمسحنا أعيننا وحسبنا أننا فى حلم ... أهـذه بلودان ؟ هذه المدينة العامرة ، ذات الشوارع والقصور ؟ أهؤلاء الشباب الذين يمشون متبخترين بأكمامهم القصيرة ، وشعرهم المرجل الدهن المعطر ، ووجوههم المصقولة ، أهؤلاء هم رجال بلودان ؟ وهؤلاء النساء الكاسيات العاريات ، المائلات المميلات ، أهن نساء بلودان ؟ !

وصارت ثيابنا وهيئتنا شُهرة [1] لنا ، وصرنا ضحكة القوم ، ولم نجد مكاناً نحط فيه ، فسألنا فدلونا على الفندق

وجئنا الفندق الذى شادته الحكومة بأموال هـذه الأمة المسلمة ، لننزل فيه بالأجرة لا صدقة ولا إحساناً ، وكان الفندق الضخم كأنه شعلة واحدة من النور ، وكان فيه تلك الليلة فرقة راقصة بولونية ... ولعلها يهودية ... وقد فتحت قاعات القمار لكل داخل ، وصفت كؤوس الخمر لكل شارب ، وازّينت الغانيات لكل طالب ، وانتشر اللصوص والنشالون وهم فى ثمين الحلل وغالى الثياب ، وعبث الوزراء فى السهرة عبث الصبيان ، ورقص القضاة مع المجرمين ، وعكف المعلمون على موائد القمار ، وأسلم كلٌّ زوجته لمن يراقصها ليضم أخرى بين ذراعيه ، وتربع إبليس على المسرح يضحك فرحاً ... !

ولما جئنا ندخل الفندق بثيابنا الوطنية ، ثياب الأمة التى بنى بأموالها هذا الفندق ، منعونا وأخرجونا !

فوقفنا ، وجعلنا نفتش كأنما أضعنا شيئاً نفيساً ... وهل شيء أنفس مما أضعنا ؟

لقد أضعنا المسجد والصلاة والأمانة والطهر والقوة حين أضعنا تلك القرية الحقيرة ... لقد كانت جاهلة ولكنها كانت فاضلة ، وكانت فقيرة ولكنها كانت شريفة ، وكانت بعيدة عن الحضارة ولكنها كانت بعيدة أيضاً عن رذائلها ! !

وأحسست بدمعة سقطت على خدى ، فأخذت بيد (القطب) وصمّدنا فى الجبل ، نريد أن نهرب من هذه الدنيا ، التى ليست دنيانا ... لقد كانت لنا من عشرين سنة دنيا ، وكان لنا فيها أصدقاء ، فماتت وماتوا ... !

(١) الشهرة بالضم ظهور الشيء فى شنعة .

**أنا والمصحح :**

إذا أنا تركت الكتابة يوماً ، وكسرت هذا القلم ، فليطلب القراء ثأره عند مصححى المجلات ، فهم قاتلوه ، بما يدخلون على آثاره من تصحيفات وتحريفات وتبديلات ، وبما يقولون صاحبه أشياء لم يقلها ، وقد رأيت العجب من المصححين ، ولكن أمر مصحح الرسالة أعجب ، فهو يصلح حتى أقول لا يفسد أبداً ، ويفسد حتى أقول لا يصلح أبداً ، فكأنه ملك الحيرة فى يومى بؤسه ونعيمه ، وهذا يوم بؤس له ، ملأ العددين الأخيرين من الرسالة تطبيعات ، وأعجب من هذا أنه يدخل الغلط على مقالاتى فأبعث بالتصويب فلا ينشر .

هذا ، وستمر هذه الكلمة على المصحح الكريم ، فليتكرم بإبقائها على ما هى عليه ، فإذا أبقاها وقرأها القراء فليعلموا أنه رجل أمين منصف ، وإنى أشكره على أمانته وإنصافه . وأرجو أن لا يدرك أن هذا المدح رشوة له لينشر هذه الكلمة .

**تصويب :**

فى مقالة ( قضية سمرقند ) فى العدد ٦٨١

| أخطاء | فى العمود | من الصفحة | سطر | صوابها |
|---|---|---|---|---|
| يطربه | ١ | ٧٩٩ | ٧ | يطير به |
| المصرى | ٢ | ٧٩٩ | ٨ | المضرى |
| وأن | ١ | ٨٠٠ | ١٣ | وإن |
| دخل | ١ | ٨٠٠ | ٢٠ | ودخل |
| للحرب | ٢ | ٨٠١ | ٣١ | الحرب |
| أرعاد | ٢ | ٨٠٢ | ٤ | إرعاد |

وفى مقالة ( قصة أب ) فى العدد ٦٨٢

| الخطأ | عمود | سطر | صفحة | الصواب |
|---|---|---|---|---|
| يضق | ٢ | ١٢ | ٨٢٣ | يضيق |
| فيه | ٢ | ١٧ | ٨٢٣ | فيها |
| ابتلح | ١ | ٢٣ | ٨٢٤ | انبلح |
| وصاحت : | ٢ | ٢١ | ٨٢٤ | وصاحت . |
| لله | ٢ | ٣٢ | ٨٢٥ | إلى الله |

( دمشق ) **على الطنطاوى**

٣ — من لغو الصيف

# ســـوق الرقيق

للأستاذ ســـيد قطب

هذا الحشد من العرايا فوق « البلاج » إنه يذكرني بسوق الرقيق . لم أر هذه السوق ، ولكنني قرأت عنها ، ورسمت لها في نفسي صورة . . إنها لو تجسمت ما كانت إلا هذا الحشد من العرايا فوق « البلاج » !

إنني أسمع هنا صلصلة القيود ووسوسة الأغلال وسوط النخاس ! لا ألمح هنا طلاقة الروح ، ولا حتى فراهة الجسد ! لا ألمح الحرية التي ترفرف بلا سدود ولا قيود !

يخيل إليّ في أحيان كثيرة أن هناك « نخّاساً » هو الذي يعرض هذه الأجساد للشراء . أكاد ألمحه مختبئاً خلف هذه الأجساد الرخيصة التي تتحرك وفيها ثقلة القيد ، وتترنح فتوسوس الأغلال !

ويحي !

مالي لا ألمح الفرح في هذه الوجوه الضاحكة ، ولا أحس السعادة في هذه الملامح المرحة ؟

ليس هنا فرح ولا سعادة ، فالفرح نورانية وإشراق ، والسعادة شفافية واطمئنان ... هنا عربدة تخفي وراءها ضجراً ، ومرح يستر في الجوانح الضيق !

هؤلاء قوم ضاق عالمهم « الباطن » ، فانطلقوا يذرعون الأرض بحثاً عن عالم « الظاهر » ، ومن فقد نفسه فهيهات يجد في « الخارج » شيئاً يطمئن إليه ، ويستشعر به السعادة والهدوء !

مساكين ! ! !

* * *

ولكن أهذه محنة رواد « البلاج » وحدهم في هذه الأيام ؟

كلا ! إنما هي محنة هذه الإنسانية التي غفلت عن نفسها لتسمع صوت الآلات ، محنة هذه الحضارة المادية الواردة من أوربا ، والتي فتنت الناس عن أنفسهم بما أبدعته من وهج وبريق وضجيج !

كم أمقت هذه الحضارة الأوربية وأحتقرها ، وأرثي للانسانية التي خدعت بها ، فأوردتها التهلكة ... بريق وضجيج ، ومتاع حسي غليظ . وفي هذه الضجة تختنق الروح ، ويخفت الضمير ، وتنطلق الغرائز والحواس ، سكرانة معربدة تهيجها الأنوار الحمراء ، كالديكة والثيران في بلاد الأسبان !

حينما كان للانسانية « باطن » تستجليه ، وتستشرف فيه النور المشرق الشفيف ، وتستروح فيه الأشواق الخالدة ، والآفاق البعيدة ... كانت هادئة مطمئنة مستقرة ، لأنها في الأعماق هنالك غنية بما تجد ، مستغرقة في ذلك العالم الفسيح ...

فلما طفت على السطح بفضل هذه الحضارة المادية البائسة ، ظلت تقفز وتقفز ، فلا تستقر أبدا وظلت في قلق دائم ، وهياج مستمر . تبحث في كل يوم عن جديد ، وتزهد بعد يوم في هذا الجديد .

إنها اللعنة التي يعدها « معجزة » بعض المفتونين بالبريق . ما قيمة آلات واختراعات وكشوف لا تحقق للنفس سعادتها ، ولا تهب للضمير اطمئنانه ، ولا تستمتع فيها الإنسانية حتى بالراحة من الضجر والقلق والعربدة والضيق ؟

* * *

ولقيني بائع الكتب في أحد مقاهي المدينة ... فشكا إلى كساد سوق الكتب في هذه الأيام ! وقلت أعزيه عن خسارته أو أسليه :

— أو تحسب الناس هنا جاءوا ليقرأوا كتبا ؟ إنهم يستروحون ويستجمون ويستعيدون نشاطهم المفقود !

فما كان أسرعه بالجواب .. إنه فيلسوف :

— وهل هذه السهرات الحمراء الصاخبة التي يغرقون فيها مما يريح الأعصاب يا سيدي الأستاذ ؟!

وحرت كيف أجيبه . وجمجمت بالكلمات المخنوقة ، في الوقت الذي كان هو يتابع حديثه بعد هذا الاستفهام :

— الكتب يا سيدي الأستاذ تباع الآن في الحي الحسيني . هنالك تجد الإقبال على جميع أنواع الكتب القيمة حتى في هذا الصيف الشديد ...

إذن ما يزال في هذه الأمة خير . هذا الخير هنالك في الحي الحسيني حيث يعيش الفقراء من الناس ، وحيث يعيش

الأزهريون . هنالك حيث يخفت قليلا صوت الحضارة المادية الجوفاء ، وحيث يحيا جزءٌ من الماضى .

ولكن إلى كم يا ترى يعيش هذا الخير قبل أن يختنق ؟ ليخيل إلى أن الأزهر فى هذه السنوات « يتجدد » على طريقة « الغراب » . فهلا اتقى الله فيه أولئك « المجددون » فحفظوا له قدمه البعيد فى عهد الاجتهاد ، وصانوه عن ذلك « التجديد » أو ذلك « التقليد » ؟!

الكتب ..

وهل يصبر هذا الجيل الضجر القلق المعربد الصاخب ... على الكتاب ؟ ولماذا يقرأ الكتاب الجادّ ، ولديه تلك المجلات الرخيصة والأفلام الداعرة تملق غرائزه ، وتنادى أحقر ما فيه ؛ وتنشر له صور العرايا على البلاج ، وتحدثه بالدعارة عن القلب الإنسانى وما فيه ؟

أقول القلب الإنسانى ! وهل تعرف هذه الصحف والأفلام القذرة ومحرروها وممثلوها الرقعاء ، شيئاً عن القلب الإنسانى ؟ ولكنهم يسودون صفحات فى كل أسبوع وينشرون أفلاماً فى كل شهر عن هذا القلب الذى يزعمون !

آه . لو سوط الجلاد !

هنالك فى « نجد » يجلدون الشعراء الذين يقولون الغزل . وهنا فى مصر يصفقون لمن يدلون الفتيات والفتيان على طرق الدعارة ويدربونهم على المجون الرقيع ...

شىء من التسامح هناك . وشىء من الحزم هنا ... يرحمك الله يا محمد بن عبد الوهاب ، ويرعاك الله يا عبد العزيز آل سعود ! يوم وليلة فقط من هذا فى مصر ، ليجلد أولئك الرقعاء فى محطة الإذاعة وفى « ستوديهات السينما » وفى جميع المجلات المصرية ، الإعداد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، يشرف عليه بعض الشرفاء ذوى الأعراض وهم قليلون ! !

ولكنهم مساكين .

لقمة العيش وشهوة الجسد ... هذا كل عالمهم فى الوجود ! هم وقراؤهم ومستمعوهم ومشاهدوهم من ذلك الطراز ... ليس هنالك أفق مجهول ، ولا هدف مكنون .

ليس هنالك عالم فى الضمير يعيشون فيه بعض الوقت ، ثم يخرجون منه ليروا هذا العالم الظاهر بعين المستطلع ، وحس المتذوق ، وشمور الغنى بالرصيد المذخور !

نهم بالمتاع وسعار ، المتاع الحسى الغليظ ، المتاع المتاح فى هذا العالم المادى ... لو كان لهم روح تستشرف آفاقا وأنوارا أخرى لا قتصدوا فى هذا المتاع الحسى الغليظ !

ولولا جريمتهم فى نشر الدعارة بين الشعب كله ، لاستحقوا الرثاء ، ولكنهم ينشرون فى صحافتهم وأفلامهم وأغانيهم ما يعاقب بوليس الآداب على بعضه فى المواخير ، ويسمون بعد ذلك كله صحفيين أو مطربين ناجحين !

* * *

ويحى ! لماذا استطردت هذا الاستطراد ؟ إنما أتحدث عن « سوق الرقيق » !

والملطعة ؟

هذا هو الإسم الذى اختاره بعضهم بحق للقسم من « الكورنيش » بين « بلاج سيدى بشر رقم ١ » و « بلاج سيدى بشر رقم ٢ »

فحينما ينقضى النهار ، يخرج رواد « البلاج » منه ، ويصطف بعضهم فى المساء على سور « الكورنيش » بينما يجول بعضهم الآخر ذهابا وإيابا .

يستعرض هؤلاء أولئك ، ويستعرض أولئك هؤلاء !

هؤلاء هن جوارى سوق الرقيق ... هؤلاء هن معروضات تجول فيهن الأنظار ، وتحملق فيهن العيون ، وتتدسس الخطرات المريضة إلى أجسادهن الرخيصة فى رقاعة وفضول .

هذه هى الضحكات الرخوة المائعة ؛ وهذه هى الحركات الرقيعة الماجنة ... ضحكات الجوارى ، لا تدل على فرح عميق ولا حتى على مرح أصيل . إنما هى ضحكات الرقيق لاجتلاب « الزبون » ! ضحكات يحاسب عليها النخاس أو يثيب !

من ذا ينقذ كن أيتها الجوارى المسكينات من سوق الرقيق ؟ من ذا يردكن إلى البيوت الكريمة المصونة ، ويرد إليكن كرامتكن المهدرة ، التى سلبت منكن باسم « المودرنزم » فى هذه الأيام السود ؟

كان الرجال يتشهون نظرة من بعيد ، ويتشوقون إلى زواج كريم نظيف . فصرتن اليوم سلمة معروضة على الأنظار ، سلمة فى سوق الرقيق !

# الشريعة الاســـــلامية

## ومبادىء التشريع الحديث

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

إن كل قانون فى العصر الحاضر يدعى واضعوه كفالته للعدالة ، وتحقيقه لسعادة الأفراد والأمم ، وأنه جاء وفق ما تقضى به عوامل التقدم والارتقاء — لا يمكن أن يعدو فى أغراضه المقاصد الآتية :

١ — تحقيق العدالة والمساواة بين الأفراد والجماعات .

٢ — جلب المصالح ودرء المفاسد .

٣ — قيامه بمطالب الامة وحاجاتها ، ومواءمته لميولها وفطرتها والعصر الذى يطبق فيه .

٤ — مرونته ويسره وسهولة تطبيقه .

وأنت إذا نظرت بعين التدبر والحكمة — بعد تقصى قواعد الشريعة الإسلامية وأصولها ، والبحث فيما خلفه المجتهدون الإسلاميون من أحكام الفروع الملائمة لعصورهم — لم ترتب أقل ارتياب فى تحقيق الشريعة الإسلامية هذه المقاصد ، وأنها وصلت فى سموها وعدالتها وسماحتها إلى أبعد غاية .

وما ظهر نقصه من أحكام بعض الفروع فى المعاملات وغيرها ليس بعيب راجع إلى شريعة الإسلام ، وإنما هو راجع إلى المسلمين الذين لم يقم علماؤهم بما يجب عليهم من الاجتهاد فى كل عصر حتى تجىء أحكام الفروع والوقائع الاجتهادية ملائمة للأمة ، ولما جد من الأحداث والشئون .

كذلك ما قيل : إن الحدود فى الشريعة قاسية لا تتفق مع روح التشريع الحديث قد فندناه ودحضناه بالبرهان وبما دلت عليه التجربة والوقائع والمشاهدات ، وذلك فيما كتبناه بالعددين ٦٨١ ، ٦٨٢ من الرسالة فى مقال « شريعة الكمال والخلود » .

أما الشرائع الحديثة فهى — وإن اشتملت على مبادىء نقر بسمو كثير منها ، ونعترف بدقة وضعها ، وعلى أحكام يراد بها تحقيق العدالة ، وإجراءات نظامية دقيقة — لم تستطع أن تقضى على كثير من الشرور والآثام التى تنخر عظام الأمم ، وتنشر فيها كثيراً من الأمراض الاجتماعية والخلقية :

فقد أحلت الربا فى أكثر حالاته ، وهو الذى يوغر صدور بعض طبقات الأمة على بعض ، وينتزع الشفقة والرحمة من القلوب ، ويدع طوائف الأمة متحاربة متباغضة .

وأباحت شرب المسكرات ، وهى جناية على المال والعقل والأهل والذرية .

وليس فيها ما يقى الأعراض من الجناية عليها : فامتهنت الكرامات وكثر اللقطاء ، وشاع فى الأرض الفساد ، كذلك خلت من الزواجر التى تحول بين المجتمع وبين مفاسد الميسر والقمار .

وقد يحتجون لإباحة بعض هذه المنكرات باحترام الحرية الشخصية ، وما دروا أن هذه الحرية قررها الإسلام على ألا يساء استعمالها ، وألا يكون فيها ضرر على الأفراد أو المجتمع « وهذا هو شأن الحرية الصحيحة الجديرة بالرعاية والتقدير » .

ومما لا شك فيه أن هذه الجرائم التى أشرنا إليها مفاسدها لا تقتصر على مقترفيها ، بل تشملهم ورهطهم ، وقد تتعداهم إلى المجتمع والأمة .

من أجل هذا حظرت شريعة الإسلام تلك المناكير ، وأعدت كل أمة تأخذ بأحكامها لحياة اجتماعية يسودها التقدم والنهوض ، وتنتفى فيها ذرائع الفساد وأسبابه ، وتتوافر فيها العزة والكرامة والمنعة ، وتلك هى الحياة الخليقة بخير أمة أخرجت للناس .

حسن أحمد الخطيب

---

ونسيت أن أقول : إن تسعة أعشار هذا الهوان ، إنما تبعثه الرغبة فى أن تجد هذه الجوارى أزواجا !

أزواج فى الطريق ... وفى « البلاج » !

لن تجدن هنا يا آنساتى أزواجا . إنما تجدن تجار أعراض ، وشراة أجساد ...

ولن تكون إلا النخاسة ياعزيزاتى الأوانس : فى هذه السوق... سوق الرقيق !

سيد قطب

**صور من العصر العباسي :**

# الخلفاء العباسيون والتجسس

للاستاذ صلاح الدين المنجد

— ١ —

شُغف الخلفاء العباسيون بالتجسس ومالوا إليه . وقد كان لابد لهم من تسقّط الأخبار والحفول بها لئلا ينسبوا إلى الضعف والغفلة أو يجترئ عليهم الأعداء والأخصام . فإن من أخلاق الملك اليقظ السعيد على قول الجاحظ : البحث عن سرائر خاصته وعامته ، وإذكاء العيون عليهم ، والبحث عن كل خفي دفين[١] .

وبغداد ، وما كان فيها من أخلاط المخلوقات وأنماط الناس ، وما انتشر فيها من آراء سياسية وعصبية ، وما ظهر فيها من ميول شعوبية وعلوية وهاشمية كل هذا دفع الخلفاء إلى التجسس ولمّ الأخبار ليحفظوا ملكهم ويكونوا على بينة مما يجرى .

وقد ذكروا أن الرسول عليه السلام ، كان ، ليقظته يرسل الجواسيس والعيون يتحسسون أخبار أعدائه المشركين . ولم يكن عصر النبي عليه الصلوات ، كالعصر العباسيّ ، ولا كان المجتمع إذ ذاك ، كالمجتمع يومئذ . فليس من الغريب أن يشغف العباسيون بالتجسس ، فهو ضرورة من ضرورات المُلك .

كان التجسس يجرى على طريقتين : ظاهرة وخفية . أما التجسس علانية فكان يقوم به أصحاب الأخبار والبريد . وكانوا منتشرين فى كل مكان ، وكان عليهم أن يعرفوا حال عمال الخراج والضياع ، وأن يتتبعوا ذلك تتبعاً شافياً ، ويستشفوه استشفافاً بليغاً ، وأن ينهوه على حقه وصدقه . وأن يعرفوا حال عمارة البلاد ، وما هى عليه من الكمال والاختلال ، وما يجرى فى أمور الرعية فيما يُعاملون به من الانصاف والجور ، والرفق والعنف ، فيكتبوا به مشروحاً . وأن يعرفوا ما عليه الحكام فى حكمهم وسيرهم وسائر مذاهبهم وطرائقهم ، وأن يعرفوا حال دار الضرب وما يُضرب فيها من العين والوَرِق ، وما يلزمه الورّدون من الكاف والمؤن . وفى كل ما ينهونه . ينبغى أن يكونوا صادقين واثقين مما يُنهون . فإذا ورد كل ذلك على الحضرة سُلّم إلى صاحب ديوان الانشاء ليحمله إلى حيث يطلع عليه الخليفة ويأمر بما يرى ، ثم يكتب للآفاق بما ينبغى[١] .

فهؤلاء كانوا جواسيس رسميين ، أما الجواسيس الذين لا يظهرون أنفسهم ، ولا يعرفهم أحد ، فكانوا أنواعاً منوّعة ، تفنن الخلفاء فى استخدامهم . وكان فيهم « الطفل والمرأة والمحتاج والزّمِن وابن السبيل ... »[٢] .

وأول من عُنى بالتجسس الخفيّ من الخلفاء : أبو جعفر المنصور « فقد كان يشترى رقيقاً من الرقيق ، ثم يُعطى الرجل منهم البعير ، والرجل البعيرين ، فيهيمون ، أو يَرِدون الماء كالمارين وكالضالين فيتجسسون ... »[٣] .

ويحدثنا الطبرى أن أبا جعفر أتى مرّة بأحد جنده فقال له : « اخف شخصك واستر أمرك وائتنى فى يوم كذا فى وقت كذا . فأتاه ، فقال له إن بنى عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيداً لملكنا واغتيالا له ، ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يُكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطاف من ألطاف بلادهم . فاخرُج بكُسيّ وألطاف وعينٍ حتى تأتيهم متنكراً بكتاب عن أهل هذه القرية ، ثم تسبر ناحيتهم . فان كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحبِبْ والله بهم وأقرب . وإن كانوا على رأيهم علمت ذلك وكنت على حذر . فاشخَصْ حتى تلقى عبد الله بن حسين متقشفاً متخشماً ، فإن جهلك وهو فاعل ، فاصبر وعاوده . فان عاد فاصبر حتى يأنس بك ، وتلين لك ناحيته ، فان ظهر لك ما فى قلبه فاعجل علىّ ... » فشخص الرجل حتى قدم على عبد الله فلقيه بالكتاب فأنكره ، ونهره . وقال ما أعرف هؤلاء القوم . فلم يزل ينصرف ويعود حتى قبل كتابه وألطافه ، وأنس به . فسأله الجواب . فقال : أما الكتاب فانى لا أكتب لأحد ، ولكن أنت كتابى إليهم ، فأقرئهم السلام ، وأخبرْهم أن ابنىّ

(١) التاج فى أخلاق الملوك ص ١٦٢ .

(١) كتاب الخراج لقدامة ( دى غوية . ص٢٨ — ٣٢ ، ١٨٥ ، ٧٨٤ ) .
(٢) كتاب بغداد لطيفور .
(٣) الطبرى حوادث سنة ١٤٤ .

خار جان لوقت كذا وكذا فعاد الجاسوس إلى أبي جعفر وأخبره[١] .

وحدّث صاحب عذاب أبي جعفر قال : دعانى أبو جعفر ذات يوم ، وإذا بين يديه جارية صفراء ، وقد دعا لها بأنواع العذاب ، وهو يقول لها : ويلك أصْدِقيني ، فوالله ما أُريد إلا الإلفة ، ولئن صدقتِني لأصِلنَّ الرحم ، ولأتابعن البرّ إليه . وإذا هو يسائلها عن محمد بن عبد الله ، وهي تقول : ما أعرف مكانه . ودعا بالدهق وأمر به فوُضع عليها . فلما كادت نفسُها أن تتلف قال : أمسكوا عنها ، وكره ما رأى . وقال لأصحاب العذاب : ما دواء مثلها إذا صار إلى مثل حالها ؟ قالوا : الطيب تشمه ، والماء البارد يصبّ على وجهها ، وتسقى السويق . فأمر لها بذلك ، وعالج بعضه بيده ، حتى أفاقت ، وأعاد عليها المسألة ، فأبت إلا الجحود . فقال لها : أتعرفين فلانة الحجّامة ؟ فاسود وجهها وتغيّرت . فقالت نعم يا أمير المؤمنين ، تلك في بني سُليم . قال : صدقت ، هي والله أمَتِي ، ابتعتها بمالى ، ورزقى يجرى عليها في كل شهر أمرتها أن تدخل منازلكم ، وتحجمكم ، وتعرف أخباركم . أوَتعرفين فلاناً البقّال ؟ قالت نعم ، هو في بني فلان . قال : هو والله مضاربى بخمسة دنانير أمرته أن يبتاع بها كل ما يحتاج إليه من البيوع . فأخبرَني أن أمة لكم في يوم كذا من شهر كذا ، صلاة المغرب ؛ جاءت تسأله حناء وورقاً ، فقال لها : ماتصنعين بها ؟ فقالت : كان محمد بن عبد الله في بعض ضياعه بناحية البقيع ، وهو يدخل الليلة ، فأردنا هذا لتتخذ منه النساء مايحتجن إليه عند دخول أزواجهن من المغيب .

( قال ) : فأسقط في يدها ، وأذعنت بكل ما أراد[٢] .

وهذه القصة والتي قبلها تبينان لنا كيف سخّر أبو جعفر أحد جنده ، وأمته ، وبقالا مضارباً له ، للتجسس وجمع الأخبار ولعلك تعلم حبه تتبع الأسرار مما سأقصه عليك . قالوا : إن أبا جعفر قال ذات يوم لأصحابه : ما أحوجنى أن يكون على بابى أربعة نفر لايكون أعف منهم ، وهم أركان الدولة ، ولا يصلح المُلك إلا بهم . أما أحدهم فقاضٍ لا تأخذه في الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوىّ ، والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية . ثم عض المنصور على إصبعه السبابة ثلاث مرات وهو يقول في كل مرة : آه ، آه ! قيل ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة[١] .

* * *

وكان الرشيد من أشد الملوك بحثاً عن أسرار رعيته ، وأكثرهم بها عناية وأحزمهم فيها أمراً[٢] . وكان يتسقط أخبار الهادى قبل أن يصبح هو خليفة ؛ فقد كان مسرور الكبير في خدمة المهدى ، وكان الرشيد حفياً به محسناً إليه . فلما انتقل أمر الخلافة إلى الهادى قال له الرشيد : أخى قوىّ الشراسة ، وأنا أخاف إيقاعه بى ، وجمعَ الناس على بيعة ابنه بعده . وأنا على غاية الثقة بك فاعدل إليه ، وكن له عيناً عليه » فتقدم مسرور عند الهادى حتى تولى ستر بيت خلوته فكان يُنهى إلى الرشيد كل كلمة من كلامه ، وفعل ...[٣]

وكتب الأدب والتاريخ مترعة بأخبار تتبعه أسرار رعيته حتى كان ذلك يدفعه إلى إخفاء شخصه ، والطواف مع جعفر ابن يحيى في الأسواق وبين الأحياء ، ليتسقط الأخبار ، ويعرف مايدور بين الناس من الأحاديث ويستطلع مالا يصل إليه خبره[٤] .

ولم يقنع بأسرار رعيته ، بل وكل عيوناً على ولديه . فكان مسرور الخادم رقيب المأمون ، وكان جبرائيل بن بختيشوع رقيب الأمين[٥] .

* * *

وعلى نحو هذا كان المأمون في أيامه . ذكر أبو الفرج أنه لما تولى الخلافة وأتى بغداد ، كان يتجسس على إبراهيم بن المهدى فألزمه رجلا ينقل إليه كل مايسمعه من لفظه جداً أو هزلا[٦] .

ويسوق الجاحظ دليلا على تتبع المأمون أسرار رعيته رسالته إلى إسحق بن إبراهيم في الفقهاء وأصحاب الحديث وهو بالشام ،

(١) الطبرى حوادث سنة ١٤٤

(٢) المحاسن والمساويء للبيهقي ص ١٦٠ ( طبعة أوروبية ) .

(١) التمدن الاسلامى ج ١ ص ٢٢١ .

(٢) التاج ص ١٧٠ .

(٣) المكافأة وحسن العقبى (تحقيق محمود محمد شاكر ) ص ٦٣ .

(٤) الأغانى مثلا ج ٦ ص ١٣٧ .

(٥) الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٨٣ .

(٦) الأغانى ج ٢٠ ص ٨٢ .

التى خبّر فيها عن عيب واحد واحد ، وعن حالته وأموره التى خفيت ، أو أكثرها ، عن القريب والبعيد[١] .

وقد ذكر صاحب محاضرات الأوائل أنه كان للمأمون ألف عجوز وسبعماية ، يتفقد بهن أحوال الناس من الأشقياء ومن يحبه ويبغضه ، ومن يفسد حُرَم المسلمين . وكان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتيه أخبارهن وأنه كان يدور ليلا ونهاراً مستتراً .

وقد يكون هذا الخبر صحيحاً فيما يتعلق بإرسال العجائز ، أما عددهن وأنه كان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتيه أخبارهن ففيه مبالغة .

وكان المأمون يُعنى بمعرفة أحوال عُمَّاله . فكان يفحص عنهم ، وعن دفين أسرار حكامه فحصاً شافياً ؛ فلا يخفى عليه ما يفيد كل امرىء وما ينفق ، وكان من نأى عنه كمن دنا منه ، فى بحثه وتنقيره ، وكان يتتبع أحوال القضاة والولاة والجند[٢] . فذكروا أنه سأل يوماً جماعة : من أنبل من تعلمون نبلا وأعفهم عفة ؟ فذكر كلٌ من يراه . فقال : لا ، ذاك عبد الله بن طاهر دخل مصر كالعروس الكاملة : فيها خراجها ، وبها أموالها جمة ثم خرج عنها ، فلو شاء أن يخرج عنها بعشرة آلاف دينار لفعل ؛ وقد كان لى عليه عين ترعاه ، فكتب إلىَّ أنه عُرضت عليه أموال لو عُرضت علىّ لشرهت إليها نفسى ، ولقد خرج عن ذلك البلد وهو بالصفة التى قدمه فيها ، إلا مائة ثوب وحمارين وأربعة أفراس[٣] .

وحدث بشر بن الوليد قال : كنتُ عند المأمون ، فقال : ولينا رجلا قضاء الأُبلّة ، وأجرينا عليه فى الشهر ألف درهم ، وما له صناعة ولا تجارة ولا مال قبل ولا بيتاً ابتناه ، وولينا رجلا آخر قضاء دمشق وأجرينا عليه ألف درهم أشار به علىّ محمد بن سماعة ، فأقام بها أربعة عشر شهراً فوجهنا من يتتبع أمواله فى السر والعلانية ، ويتعرف حاله ، فأخبر أنه وجد ماظهر من ماله فى هذا المقدار من دابة وغلام وجارية وفرش وأثاث قيمته ثلاثة آلاف دينار . وولينا رجلا أشار به فلان نهاوند

(١) التاج : ص ١٧٠ .
(٢) المحاسن والمساوىء ص ١٦٤ .
(٣) المصدر السابق ص ١٦٢ .

فأقام بها أربعة وعشرين شهراً ، فوجهنا من يتتبع أمواله ، فأخبرنا أن فى منزله خدماً وخصياناً بقيمة ألف وخمسمائة دينار سوى نتاج قد اتخذه[١] .

وحدّث إبراهيم بن السندى أنه جالس المأمون ومعه إبراهيم ابن المهدى فطفق المأمون يحدّث عن أهل عسكره ، حتى والله لو أن رجلا أقام فى رحل كل رجل من الجند حولا ، لما زاد على معرفته لشدة تنقيره وتتبعه أخبار الناس[٢] .

فهذه الحوادث التى سردناها ، تدل على حبه التجسس ، ودسّ الناس ليتسقطوا له الأخبار ، ويطلعوه على ما يشاء .

( له بقية ) صلاح الدين المنجد

(١) المحاسن والمساوىء ص ١٦٣ .
(٢) تاريخ بغداد لطيفور ص ١٠٠

من وحى المأساة الفلسطينية :

# نكبة العرب فى الأندلس

للأستاذ محمود عزت عرفة

انقضى أربعمائة وأربع وخمسين سنة على حادث سقوط حصن غرناطة آخر معاقل العرب بالأندلس فى أيدى الأسبانيين ، وقد تم ذلك سنة ١٤٩٢ م ؛ فكان خليقاً بنا ومأساة فلسطين تُمثل أن نعالج بإيجاز أسباب تلك المأساة الفاجعة ، ونتلمس عللها بين حوادث التاريخ ، ونقف عندها وقفة نخرج منها بعبر وعظات نافعات ، هى الغاية العليا من كل دراسة والمقصد الأسمى من كل تحقيق وتمحيص .

ولسنا نبالغ إذا قلنا إن جحافل العرب حملت معها من أول يوم وطئت فيه أرض الأندلس جرثومة هذا الداء الذى أنهكها واستصفى قواها ، وأدال دولتها بعد ثمانية قرون من الزمان . فقد اجتاح موسى بن نصير أرض الأندلس عام ٧١١ م حتى بلغ أطرافها الشمالية ؛ وعهد إلى قائده طارق بفتح مدائن ( جيليقية ) فى الشمال الغربى ، بينما اجتاز هو سدّ جبال البرانس الشامخ وانحدر إلى سهول فرنسا ، معتزماً أن يدلف إلى القسطنطينية من طريق الغرب ! !

حلمٌ كان حرياً أن يتحقق لو لم يستيقظ موسى من نشوته على دعوة الوليد بن عبد الملك الذى أهاب به أن يكف عن إيغاله فى الغزو وينكفىء بعسكره معافى إلى أسبانيا ... وما كان له إلا أن يسمع فيطيع . على أنه انصرف وقتذاك إلى المسيحيين المتصمين بأقصى الشمال الغربى من شبه الجزيرة تحت إمرة زعيمهم ( بلايو ) ؛ وكان بسبيل أن يقلم أظفارهم ويقى البلاد شر مكايدهم وفتنهم التى ذرّ قرنها بعد حين ؛ لولا أن هتف به داعى الخليفة مرة أخرى أن يؤوب إليه وطارقا ؛ فتركا زمام الأمور فى يد عبد العزيز بن موسى وسارا إلى المشرق .

وقد نكب موسى بعد قليل على يد سليمان بن عبد الملك ، واغتيل ابنه عبد العزيز فى شوارع إشبيلية بتدبير منه ، ولم يكن مصير طارق بأفضل من هذا . ففقدت الأندلس بموت أولئك كل من كان يفكر فى إتمام الفتح على خير وجوهه ، وأتيحت لفلول المنهزمين فرصة الحياة بعد أن أشفوا على الدمار ، وتهيأ لهم أن يجمعوا كيدهم وينتظموا صفوفاً حتى أصبح موطنهم جيليقية مصدر القلاقل ومهب الرياح العاتية التى اجتاحت ملك العرب فيما بعد ، ودكت بنيانهم من القواعد ...

ولم يكن ولاة بنى أمية فى ضعفهم ليزيدوا الحالة إلا سوءا ، فقد احتدمت الخصومة على عهدهم بين العرب والبربر ، وبين العرب وأنفسهم من يمانيين ومضريين ؛ وكان فى تسلم عبد الرحمن الداخل زمام الحكم انتصار لفريق من هؤلاء دون فريق[1] . وإذا كانت سطوة الحكم الأموى فى الأندلس قد قضت على عوامل هذا الخذلان والتفرق ، فإن ما وقر بسببه فى النفوس من حزازات كان كفيلا بتهديد وحدة العرب وتآلفهم ، مهيباً بكثير منهم إلى الثورات الجامحة والفتن المبيرة ، مما ظهرت عواقبه الوخيمة فى أخريات أيامهم .

***

بسط العرب ظلال السلام على الجزيرة ، ورفعوا لواء العدل والمساواة فى أرجائها ؛ فارتضى سيرتهم كل من عاشرهم من الأسبانيين واتصلت أسبابه بأسبابهم . ولكن بقيت هذه الأطراف المستعصية تجيش قلوب أهلها بكراهيتهم والحقد عليهم وإعمال المكيدة لهم ، حتى بين جدران قصورهم ، وتحت قباب معابدهم !

فقد ذكروا أنه وُجد على جانب أحد أعمدة المسجد الجامع بقرطبة صورة تمثل المسيح مصلوباً ، كان قد رسمها أحد المسيحيين ممن نافقوا بإظهار الإسلام وعاشوا بين ظهرانى العرب يكيدون لهم ويمالئون عليهم . ولما دخل الأسبانيون قرطبة وكشفوا عن موضع هذه الصورة رسموا أمامها على الجدار المقابل لها وجهاً يمثل هذا المسيحى الذى خطها — فيما زعموا — بأظافر يده[2] .

---

(١) انضم إلى عبد الرحمن الداخل أنصار بنى أمية من أهل الشام ، وجند كثير من اليمانيين والبربر ممن كانوا يسخطون على الوالى العباسى يوسف بن عبد الرحمن الفهرى الذى انحازت إلية قبائل المضريين عامة . وبانهزام هذا الأخير اجتمعت السلطة إلى عبد الرحمن الذي أسس ملك بني أمية بالأندلس عام ٧٥٥ م .

(٢) انظر رحلة الأندلس للمرحوم محمد لبيب البتنونى ص ٥١

فكم يا ترى عدد من كانوا يعيشون بين المسلمين من أمثال هؤلاء ؟ وما مبلغ بلائهم في تقريب هذه النهاية الفاجعة التي آل إليها أمر العرب بالأندلس ؟ ...

لسنا نستطيع أن ننكر العلاقة بين هذه الحالة وبين سياسة التسامح الديني التي جرى عليها المسلمون في هذه البلاد بين قوم عشيت عيونهم عن أضواء حضارتهم ، واسودت قلوبهم بظلام الحفيظة والاضطغان عليهم ...

ونعني بهؤلاء القوم أولئك الذين اعتصبوا ضد العرب لغير ما سبب ظاهر ؛ دون من تبطنوهم من المسيحيين وقاسموهم العيش في دعة وسلام ، فارتشفوا رحيق آدابهم وجنوا ثمار علمهم وحضارتهم ؛ وتبوأوا — إلى جانبهم — سنيّ المناصب ورفيع الدرجات مما هيأتهم له مواهبهم وعبقريتهم .

• • •

أساء قوم من المسلمين فهم هذا التسامح الديني الذي أُمروا به وانتُدبوا إليه ، وأعمتهم بوارق الحياة ورغائب العيش عن تعرُّف حدوده ، وتبيُّن أغراضه ومراميه ؛ وشوهت شهوات الدنيا لديهم من صورته الجميلة المشرقة ؛ ونكَّبت به ضلالاتُ النفوس عن طريق الحق ومناهجه المستقيم .

فلم يكن عجيباً بعد ذلك أن نرى عمَّا[1] للحكم بن هشام ينهض إلى عاصمة إكس لاشابل عاصمة شارلمان فيستجدي محالفته في خنوع ، ويلتمس منه المعونة على إسقاط ابن أخيه القائم بالأمر ، وكان ذلك عام ٧٩٧ م أي قبل مرور قرن واحد على دخول العرب الأندلس . ولم يكن عجيباً أيضاً أن نرى المستعين حفيد الناصر ( ١٠٠٩ م ) يرسل رسله إلى بلاط سانكو أمير قشتالة ليعينه ضد منافسه المهدي وهو من أحفاد الناصر أيضاً ؛ فيجد رسل المهدي قد سبقوه إلى طلب هذه المعونة من الأمير ... والأمير يماثل بين الرجلين ويعرضهما على مرآة مطامعه ؛ ثم ينتهي إلى رفض معونة المهدي والإقبال على نصرة المستعين ... إلى أمثلة من مثل ذلك كثيرة نحيل فيها إلى مظانها من مصادر التاريخ .

ولقد أحسن ملوك أسبانيا استغلال هذه الفرص السوانح ، فزادوا نار الفتن بين المسلمين استعاراً ، وأذاقوا بعضهم بأس بعض ؛ وراحوا يقتصون من أطراف بلادهم ويفرضون الجزية على المستضعفين منهم ، استغراقاً لثروتهم ، وغلاً لأيديهم عن كل ما يمهد لهم سبيل القوة . وأخيراً أعلنوا ضد الجميع حرباً صليبية لا هوادة فيها .. في وقت كان المسلمون فيه قد فقدوا صفاتهم الأولى من التخشُّن وسمو المبدأ ، والتحمس للدفاع ، وشدة الرغبة في الجهاد . فكان تخاذلهم عن صيانة ملكهم عظيما ، وتهافُت ملوكهم المتنابذين على استرضاء ملوك النصارى المتربصين بهم بالغاً غايته . حتى لقد كان من مخزيات ما حدث في أواخر القرن الحادي عشر أن اكتسح الملك الفونس السادس أقاليم الأندلس إلى أن بلغ جبل طارق ثم احتل طليطلة عام ١٠٨٥ م ، فبادر ملوك الطوائف بتقديم فروض التهنئة إليه ! وأسبغوا عليه أو قبلوا أن يسبغ على نفسه لقب « ملك المسيحيين والمسلمين » !!

وما نشك في أن هذا الفتور الذي أصاب نفسية العرب يرجع — فيما يرجع إليه من أسباب — إلى كثرة عناصر المولدين والهجناء في أوساطهم ، منذ درجوا على خطة التزوُّج من الأسبانيات أو التسرِّي بهن . ولقد كانت هذه الخطة ظاهرة النفع في عصور الدولة الأولى ، بما أجرت في عروق العرب من دماء جديدة ، وبما نشَّأت من جيل متميز في مواهبه جامع لمحاسن العنصرين في أخلاقه وتفكيره وجميع مقوماته . ولكن استحال كل هذا إلى مضرات بالغة في العصور المتأخرة ، إذ تقلصت روح العصبية التي اشتدت حاجة العرب إليها حين كانت جحافل الأسبانيين تزحزحهم عن بلادهم حصناً بعد حصن ، وفشت روح الاستهانة بوازع الدين ، ولم يعد ثمة أثر لطموح المسلمين الأوائل ، وشدة تحمسهم لرفع لواء عقيدتهم ، بل حلت الأثرة والأطماع الشخصية محل كل هذا ، واستخذت أقيال العرب وشعوبها لسيطرة ملوك الأسبان الذين هيمنوا بقوة نفوذهم على شئون شبه الجزيرة من أطرافها .

ويكفي أن نذكر أن أبا عبد الله محمداً آخر ملوك بني الأحمر

(١) ثار على الحكم بن هشام عماه : سليمان وعبدالله ابنا عبد الرحمن الداخل وسافر عبد الله إلى مقر شارلمان يستنجده ، فأمده الثائر بجيش يقوده ابنه لويس حاكم أكوتين ؛ ولكن انتصر الحكم على الجميع ، فاسترد من الأفرنج ما احتلوه من المواقع ، وقتل سليمان في إحدى المعارك ، وقبل الصلح الذي عرضه عبد الله ، وأجرى عليه راتباً يغنيه . وقد جرت كل هذه الحوادث بين عامي ٧٩٦ م ، ٨٠٢ م .

# كيف هدي والد ولده؟

للاستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندى

كان لوزير هندى مسلم ابن يتعلم فى جامعة كيمبردج فى انجلترا ولم يكن يلم بتعليم الدين الإسلامى إلماماً تاماً وإن كان أبوه متضلعاً فى العلوم القديمة الإسلامية والحديثة الغربية والتصوف . فانتهز المبشرون الفرصة وأرادوا تنصيره ووجهوا إليه أسئلة كثيرة ضد الإسلام كما هو ديدنهم فى مثل تلك الأحوال لينالوا من منزلة الإسلام فى قلبه ويقربوه إلى النصرانية . فتجاذبته الظنون وتخالجت فى صدره من دينه الشكوك فوقع فى خيرة وارتباك فكتب إلى أبيه يسأله ويستشيره فى الأمر فرد عليه أبوه رداً أنقذ به ابنه الشاب من كيد المبشرين ومكرهم وهورد فصيح اللهجة ، قوى الحجة ، ملزم المحجة ، يدل على عقل أصيل ولب رصين قال : أريد أن أشرح لك لماذا اعتبر الإسلام أحسن الأديان بأسرها ؛ فلاحظ أننى لم أقل إن الأديان الأخرى رديئة بل إن الإسلام أحسنها ؛ وذلك لأنها لا توافق الأفكار الحديثة العلمية كما يوافقها الإسلام . فإذا قلت فى وصف دين من الأديان إنه « حسن » أو « الأحسن » فأريد به المدى الذى إليه يبلغ ذلك الدين فى حث الإنسان بواسطة عقائده وتعاليمه على الجد فى طلب الفلاح لنفسه . كذلك إذا ذكرت هنا كلمة «علم» فأريد به العلم المرتب للاشياء المعلومة أو القابلة للعلم .

إن العلم يحسر اللثام عن الأشياء التى هى ضرورية أو مطلوبة لفلاح الإنسان والفنون عموماً تدله على الطريق الذى به يحوز تلك الأشياء أو يصنعها والحكومات تجعل أو ينبغى لها أن تجعل له التحقيقات العلمية والتقدم فى الفنون يسيرة الملتمس دانية القطوف . وأما الدين فينبغى أن يحرك الإنسان ويحرضه على الإستفادة من العلوم والفنون العصرية استفادة تامة . وقد يخطر ببالك أنه ما دامت الحكومة قائمة بواجبها والعلوم تترعرع والفنون تتقدم فلا حاجة هناك للدين . فأقول إنك لو أخذت

---

والذى تم على يده تسليم غرناطة وإسدال الستار الأخير على مأساة الإسلام فى الأندلس ، كان ابناً لأمير غرناطة السابق أبى الحسن على بن سعد بن الأحمر من محظيته الاسبانية إزابلا التى عرفت بين العرب باسم « ثريا » أو « الزهرة » . وكان أبو عبد الله هذا أثيراً لدى أبيه بفضل حظوة أمه المسيحية ؛ وبسبب ذلك انشق أخواه محمد ويوسف على أبيهما ، وكان كلاهما ابناً له من « عائشة » زوجته الثانية العربية المسلمة .

ولقد كان اختصام أبى عبد الله فيما بعد مع عمه أبى عبد الله الزغل [1] ، السبب المباشر فى سقوط غرناطة وانثلال عرش آخر حكومة إسلامية فى البلاد ...

لقد كانت النية التى عقدها ملوك الأسبان على طرد العرب صريحة ، وكان مصير المسلمين أمام هذا الزحف الجارف واضحاً ومحتوما ؛ ولم تكن نجدات المرابطين والموحدين التى تحركت من أفريقية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر لتؤثر إلا فى تعويق حلول المأساة التى كان الجميع يشهدونها بعين الخيال ، ويرون أنفسهم مسوقين إليها دون أن يستطيعوا لها دفعا . حتى لقد كان لسان الدين بن الخطيب وزير الغنى بالله محمد بن يوسف ابن الأحمر يوصى أولاده بعدم التوسع فى شراء العقار بالأندلس ؛ ويصرح لهم بأن هذه البلاد أصبحت للمسلمين دار غربة !

وأعجب من هذا فى الدلالة على توقع المسلمين لمصيرهم المحتوم ، ما قاله بعض شعرائهم إذ ذاك ... وكأنما كان يوحى إليه :

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس ... فما المقام بها إلا من الغلط

السلك ينثر من أطرافه وأرى ... سلك الجزيرة منثوراً من الوسط

من جاور الشر لا يأمن عواقبه ... كيف الحياة مع الحيات فى سفط ؟

غفر الله لهؤلاء الأجداد الكرام زلاتهم ، وجعلنا ممن يتعظون بمحنتهم ، وألهمنا حسن التذكر لتاريخهم وسيرتهم . « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

**محمود عزت عرفة**

---

(١) أسر أبو عبد الله محمد فى بعض وقائعه مع الأسبان ، ولما صار الملك بعد أبيه إلى عمه أبى عبد الله الزغل أطلقوا سراحه ليناوئه ، فاستولى بمعونتهم على غرناطة وأخرج عمه إلى وادى آش . ولم يلبث الزغل أن تنازل عن بقية مملكته إلى فردناند لقاء مبلغ من المال وانتقل إلى فاس فنقم عليه سلطانها وسجنه وعذبه حتى مات . أما أبو عبد الله محمد فبقى يدافع جيوش المسيحيين عن غرناطة حتى لم يبق من تسليمها بد ، فهاجر إلى المغرب حزينا كاسف البال واستوطن مدينة فاس وبها مات عام ١٠٣٨ م

حصاناً إلى النهر فهو لا يشرب منـه ما لم يكن ظمآن ، فإنه إن عطش يشرب من تلقاء نفسه فإن لم يعطش فلا منظر الماء الصافى ، ولا سهولة الوصول إليه ، ولا ترغيبك إياه ، ولا ضربكه بالسوط يحمله على الشرب . كذلك العلم يقدر أن يريك الماء أو أى شيء آخر مفيد ، والفنون تستطيع أن تدلك على طرق حيازته ، والحكومة يمكن أن تكافئك بالجوائز أو تهددك بالعقاب ؛ ولكنك لا تشرب ما دمت لست بظمآن ، أو بعبارة أخرى إنك لن تستفيد من الأشياء المقدمة إليك أو الموضوعة تحت تصرفك إذا لم يكن فى داخل نفسك ما يدفعك لذلك . فهذا العطش ، هذا الدافع الباطنى الذى هو فى الحقيقة قوة محركة للانسان من ثمرة الدين وخليقته .

إن فائدة الدين العظمى هى الطموح الذى يوجده ويربيه فى الإنسان أن يعيش سعيداً صالحاً [١] . صحيح أن الداعى للسلوك الحسن لكثير من الناس هو خوف العقاب أو أمل الثواب سواء أكان عاجلا أم آجلا . وإن بعض الأديان ومنها الإسلام تقدم صورتين لامعتين للجنة وجهنم المعدتين للصالحين والطالحين بعد الموت ، ولكن عند الطباع العالية ذوات القوى القوية لا قيمة لتلك الدواعى [٢] فإنها مثل صوت السوط أو إراءة العشب للحصان الذى لا يجرى . فهى ليست مؤثرة أثراً ثابتاً مثل الداعى الروحانى العالى الذى يخلقه الدين الحق فى الإنسان للحياة الصالحة . إننى لا أقدر أن أشرح لك هذه النقطة أكثر من ذلك بغير الخروج عن الموضوع والدخول فى المباحث الفلسفية الدقيقة . لذلك يكفى أن أقول لك إن الداعى الدينى الروحانى خير من جميع الدواعى الأخرى للسير الحسن والحياة الصالحة . فإنه يعترف بروحانية الإنسان ويساعدها للاستيلاء على حيوانيته . قال الشاعر الفارسى :

آدمى زاده طرفه معجونى است
از فرشته سرشته واز حيوان
كر كند ميل اين شودكم ازين
وركند قصد آن شود به ازآن

وترجمته :

« إن الإنسان مركب غريب
قد ركب بالملكية والحيوانية
فإذا مال إلى الحيوانية انحطت رتبته عنها
وإذا قصد الملكية ارتفعت منزلته عنها »

إنه الدين الحق الذى يمكن الإنسان من أن يفوق الملائكة فى الصلاح والتقوى وهو ما بينه السر أوليفرلودج أيضاً فى كتابه « جوهر الدين حليف العلم » فاقرأه .

ثم هناك فائدة أخرى للدين وهى أنك كثيراً ما تتوخى القيام بأعمال جمة ، ولكن لا تقدر على أن تقوم بجميعها وذلك إما أنك عدلت عن قصدك أو حال أحد دون قيامك بها . فما يهم الاجتماع ونفسك من رغباتك الجمة التى تفوق أعمالك هو أن تكون حسنة مثل أعمالك . ولا تقدر القوانين ولا التقاليد الاجتماعية على ضبطها ضبطاً صحيحاً لأنهما يختصان بالمظاهر الخارجية أى للأعمال الصادرة عن رغباتك ، وعواطفك ، وميولك الباطنية . فما يقدر على ذلك إلا الدين الحق مثل الإسلام الذى يحاسب على الرغبات التى تتحول إلى الأعمال حساباً كبيراً ، ويسعى فى قتل الرغبات السيئة فى مهدها أى قبل أن تتحول إلى الأعمال .

وعلى هذا فكل دين يقدر على أن يخلق فى الإنسان أحسن الدواعى للسير الحسن ، ويسعى فى إبادة الرغبات السيئة بكيفية مؤثرة فعالة لا بد من أن يوافق الأفكار الحسنة المعترف بها فى العصر عند العلم والفن . وذلك الدين عندى هو الإسلام [١] .

وأما موافقة الإسلام للافكار العصرية فيكفى أن أمثل لك مثالا واحداً فإن المجال والوقت لا يسمحان لأكثر من ذلك وهو أن الإسلام ادعى فى أول آية من السورة الفاتحة التى تحفظها أن هناك عوالم أخرى غير هذا العالم بقوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين » ولا تزال هناك بعض الأديان تدعى أن لا وجود لعالم آخر غير عالمنا هذا ، ولكن العلم فى العصر الحاضر يدحض مثل تلك الدعاوى ويثبت وجود عوالم أخرى غير هذا العالم كما ذهب إليه

(١) أنا لا أعلم ديناً لم يأمر لعمل الخير واجتناب الشر كما لا أعتبر ذلك الدين ديناً الذى لم يأمر لعيشة سعيدة وحياة مرضية .

(٢) وهو ما فى مذهب الصوفية فإن الصوفى الخالص لا يبتغى بأعماله شيئاً غير الله .

(١) لأنه يخلق أحسن الدواعى للاستيلاء على زيغ الطبع الانسانى الذى منه اشتكى القديس بولس حيث قال : إن الخير الذى أنا أريد لا أعمله والشر الذى أنا لا أريد أعمله .

الإسلام ، ويقدم لنا الدلائل لليقين على أن كل نجمة تتلألأ فوق رؤوسنا فى القبة الزرقاء حين يرخى الليل رواقه ويسبل ستره عالم معمور مثل عالمنا .

إن للدراية والخبرة عند الإسلام مصدرين : العلم والإلهام . فالأول يعبر عن جد الإنسان لمعرفة طرق الحق المستقيمة . والثانى يمثل نعمة الله بكشف سبله السوية للانسان . فالفرق بين المصدرين فيما أرى مثل الفرق بين التجربة والوجدان ، أو بين الأفكار المكتسبة والأفكار الغريزية . وهو ما يعتبره فلاسفة العصر الحاضر أيضاً مثل سبنسر وبرجسون أنه فرق فى الكم لا فى النوع . والله يلهم كل فرد فى كل لحظة من حياته ؛ بيد أنه يتوقف على الأكثر على الروحانية أو القدرة الروحانية الناشئة عن مدى معرفته لله ولسبله السوية ، وتلك القدرة يرث الإنسان شيئاً منها عن آبائه وأجداده ويكسب شيئاً آخر بالإيمان والإخلاص وبالأعمال الصالحة والسير الحسن .

**السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى**

« فلسطينيات » :

# الضحية ...

**للأستاذ نجاتي صدقي**

رأيت مرة صديقاً يسير كئيبا حزينا ، فسألته الخبر ، فلم يجب بأكثر من كلمة .

— « وقعت » ... واختفى ...

فلم أفقه ما هية النكبة التى حلت به ، وعزوت ذلك لدين لم يتمكن من سداده ، أو لخلاف وقع له مع زوجته ، أو لمشكلة طرأت له فى وظيفته ...

ثم غاب عن ناظرى أسبوعين كاملين ، إلى أن رأيته يوما يجلس فى مقهى من مقاهى « يافا » وأمارات البشر والحبور تبدو على قسمات وجهه .

— قلت له : لا بد أن يكون قد حدث لك حادث ، تحاول إخفاءه عنى ، رأيتك مرة تسير كئيبا ثم اختفيت أسبوعين ثم ظهرت ثانيا مسرورا ، فما هى قصتك ؟ .

قال : أفقت مرة من نومى وأنا أحس بألم لا يطاق فى ذراعى اليمنى ، وكانت أعصاب يدى متوترة ، وكنت أجد صعوبة شديدة فى قبض أصابعى ، فحاولت أن أنزع لباس النوم ، فلم أستطع ، وأمسكت فنجان القهوة فسقط على الأرض ... ثم أردت أن أكتب شيئاً فلم تطعنى أناملى ، ثم جاءنى ولدى وطلب منى أن أبرى له قامه ، فلم يفعل السكين فى القلم ... فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم وهرعت إلى الطبيب .

فلما رويت له ما حدث لى ، اهتم بالأمر وقال :

— المسألة فى غاية التعقيد ... وأود قبل فحص جسمك أن أفحصك بالأسئلة التى ستنير لى سر مرضك ...

فسألنى عن اسمى ، وعن اسم أبى وأمى ، وأين قضيت أيام طفولتى ، وأين نشأت وترعرعت ، وأى المدن سكنت ، وهل سبق أن أصبت بأمراض ، وما هى أنواعها ... وهل أعرف شيئاً عن أمراض بارزة فى عائلتنا ... وهل قمت بأعمال جسدية يوما ما ، ثم ما هى طبيعة عملى الآن ، وهل أكثر من الكتابة أو المطالعة ... وهل أميل إلى التفكير العميق أو السطحى ، وأخيراً كيف أقضى ساعات الفراغ ، أأقضيها فى المداعبات ... أم فى التأملات ...

ثم فحص جسمى ، فجس نبضى وحملق فى عينى ، وأنعم النظر فى حلقى ، وقاس كتفى ، واستمع إلى رئتى ، ونقر على ظهرى وبطنى ، وسألنى أن أتأوه ... ثم طرق ركبتى بعصا طرقاً خفيفاً فرددتا عليه بحركات عنيفة ... ثم قال :

— كفى الآن ... اجلس .

فجلست أجمع ثيابى ، وجلس وهو يضع تقريره الطبى ، وبعد دقائق قال لى :

اسمع يا بنى ... أنت مصاب بمرض عصبى عضال لم أر له مثيلا فى حياتى . وأصارحك القول بأننى لن أنصحك باستعمال أى دواء قبل تصوير ذراعك بأشعة رنتجن .

— قلت ولكن كيف تشخص هذا المرض على وجه التقريب ؟

— قال يغلب على ظنى أنه « أوستيو ميليتوس » يتصل إما « بالبرا ميليجيوس » أو « بالهيمبليجيوس » ! ...

ثم أخذ لى صورة بأشعة رنتجن ... وسألنى أن أعود إليه فى اليوم التالى ... فخرجت من لدن الطبيب وقد أظلمت الدنيا فى عينى ، فكان الناس يعبرون بى وكأنهم أطياف . ومرت بالقرب منى سيارة مسرعة ، فعن لى أن أحتك بها ! ... ثم اجتزت هضبة تطل على البحر ، فرأيت أمواجه تقهقه وتتحدانى ! ... لكننى تغلبت على مظاهر الضعف ، ولم أقنط من رحمة الله .

ولما عدت إلى الطبيب مرة أخرى ، أظهر لى الصورة ، وراح يشرح لى تفاصيلها بالقرب من النافذة ... فقال :

انظر ... هذه جمجمتك ... وهذه أسنانك ... باستثناء المخلوع منها طبعاً ... وهذه رقبتك ... أنظر كيف يميل عمودك الفقرى إلى اليمين قليلا .. أما هذه الريشة فوقفها غير طبيعى ، وأظن أنها هى التى تضغط على مجموعة أعصاب كتفك الأيمن وتسبب لك الآلام ... وعلى كل فهذا رأيى الخاص ... ولما كان الطبيب عادة لا يرتاح إلى رأى واحد فى القضايا الطبية المعقدة ، فأننى سأرسلك الآن إلى طبيب إخصائى فى الأعصاب ، ثم تجرى لك مشاورة طبية فوق العادة ...

وتركت عيادته وأنا فى حالة يرثى لها ، وأسرعت إلى الأخصائى فى أمراض الأعصاب الذى أرشدنى إليه الطبيب ، واسمه الدكتور رودلف روبنشتاين ، خريج معهد فينا الطبى فجلست إليه وكان يسألنى سؤالا فى الطب وعشرة أسئلة فى السياسة الفلسطينية ! ... ثم بدأ الفحص بعد أن ظهرت أمامه كما خلقنى ربى ، ووخزنى بإبرة فى أطراف أصابعى ... ثم مر بالإبرة أيضا على ظهرى ، ثم ربط جهازاً على ذراعى وضغط عليه ثم قال لى :

— تمدد على ظهرك ، وارفع يديك إلى العلاء ، فابسط أصابعك ... ثم أمسك بيدى وقال :

— دعنا نتجاذب بشدة ...

ثم أخذ يطرق جسمى بمطرقة خشبية صغيرة ، وكان ذلك خاتمة الفحص .

فقال لى وهو يقبض الجنيهات الخمسة :

أنت تشكو من انحطاط فى مجموعة أعصابك ... وأقترح عليك أن تسترخ شهراً كاملا فى « كاليه » فى منطقة البحر الميت .

وعدت إلى البيت ، وأنا أفكر فى هذه المصيبة التى حلت بى ، فكنت أردد أقوال الطبيبين ، وأمعن النظر فى صورة رنتجن ، وأطالع التقارير الطبية ، وأحاول إدراك كنه محتوياتها اللاتينية مستعينا بالقاموس الطبى ... إلى أن أضحيت أسير هواجس ، فانكمشت على نفسى واعتزلت الناس ، وعولت على ألا أعود إلى طبيبى الأول ، وألا أسافر إلى « كاليه » ... وفى إحدى الأمسيات خاطبت نفسى قائلا — لم لا تجرب حظك فى الدواء البلدى ؟ ... فنهضت للتو وقصدت جارتنا ( أم حسين ) وهى عجوز معروفة بوصفاتها البلدية وعرضت عليها ذراعى فامسكت به وتفحصته وقالت : أنت تشكو من قرصة هواء ! ...

قلت : وكيف ذلك ؟

قالت : لا تبحث فيما لا يعنيك ... وعليك أن تعمل حسب ما أوصيك به — خذ خمسة جرامات من المسحوق الفارسى ، ومثلها من بذور البطم ، وعشرة جرامات من الزنجبيل ، ومثلها من الهند شعيرية ، ومثلها من روح الزرنيخ ، واسحقها كلها معا ، ثم اطبخها بالزيت ، واصنع منها لزقات ...

قلت ومن أين آتى بهذه العقاقير ؟

قالت — اطمئن فانا أجلبها من البلاد البعيدة بواسطة الحجاج ... ولك أن تثق بخبرتى ومهارتى ... والآن هات جنيهاً على الحساب ...

وبعد أن قضيت أسبوعين وأنا فى هذه الرحلة الشاقة بين الطب والوصفات البلدية ، ذهبت إلى صديق صيدلى ، ورويت له حكايتى فى جميع أدوارها ، فضحك وقال — لا تجزع ... يبدو لى أن مناخ البحر لا يلائمك ، وهذه رطوبة أحدثت فى ذراعك التهاباً ... إليك هذا المعجون وادلك به ذراعك دلكا خفيفا ثم لفه بالصوف على ثلاث ليال متواليات ، وعلى الله الشفاء .

قلت — وما ثمنه ؟

فاجاب فى شىء من التردد والخجل معاً :

— « شلن » واحد فقط ! ...

نجاتى صدقى

# الشعر كصورة للجمال

للأستاذ نظمى خليل

أظن أن كثيراً من الناس الذين يقرأون الشعر يتساءلون ألا يوجد فى الشعر شىء آخر غير الموسيقى والصور . ما هذا الجمال الذى نسعى وراءه ؟ ما رسالة الشعراء للعالم ؟ ما معنى القصيدة ؟ وربما زاد بعضهم فقال : ماذا يعلمنا الشعر ؟ .

فإذا اصطلح الناس على أن الصور الشعرية يجب أن تدرس من أجل لذة الاستيعاب نكون قد وصلنا إلى غايتنا ونترك هذه الأسئلة تجيب عن نفسها .

ولكن هذا القانون السقيم ، قانون الاختبار الذى ظهر فى القرن التاسع عشر وهو المنفعة قد انحرف بالمثل العليا فى الشعر وألزمه أن يؤدى لنا نتائج خاصة وآثارا ملموسة يمكن للمستوعب إدراكها وتفهمها .

فى الشعر الجيد كثير من الجمال الذى نجده فى سائر الفنون السامية ، ولكنه جمال خفى غامض لا يمكن أن يعرض أو يشرح ، فلا تكاد الألفاظ تأخذنا إلى ذلك الجو السحرى البعيد حتى نشعر أن وراء النظم نوعا من ضوء الأحلام ليس موجوداً ولكنه سائر أبداً . يولد فينا إحساسات بأشياء غامضة لا يمكن أن يعبر عنها بالكلمات نفسها بل قد لا يحسها الشاعر نفسه .

ولكنا وإن كنا لا نستطيع الإفصاح عنها لا نرتاب فى وجودها . فهى حقيقة موجودة كالحياة عينها .

أما أولئك الذين يعجزون عن الإحساس بهذه الكآبة الغامضة أو السرور الخفى الذى ينبعث من الموسيقى اللطيفة فقد تكون مشاغل الحياة قد صرفتهم عن ذلك فبلد إحساسهم وبرد قلبهم ، وصاروا يدلجون فى الحياة وهم أبعد الناس عن الإحساس بها . فاليهودى أو رجل المال مثلا لا يشعر بها لأنها ليست شيئا يباع فى الأسواق .

هذه الأشعار التى نحس ببهجتها الغامضة نعرفها بأنها شعر إلا أن النقد لا يستطيع أن يحللها أو يصورها فى تعبيرات موسيقية أو صور . ولكن القلب يعرف أنها شعر لأنه شعر بها .

هذا هو الاختبار الأخير للشعر ؛ وهذه هى وظيفة الفنان لا يعنيه أمر العقل فى قليل أو كثير لأنه لا يقدر موضوعات ولكن صورا تبعث فينا إحساسات خاصة ولكنها لا تحمل معنى يمكن أن يعبر عنه أو يشرح حسب القوانين العقلية .

فإذا فكر القارئ فى الموسيقى بدلا من الشعر لا يصعب عليه فهم هذا . ولكن من سوء الحظ أننا فصلنا الشعر من سائر الفنون وكدنا ننسى أن الموسيقى هى ابنة ( أبولو ) وليست ابنة ( منيرفا ) .

فالسؤال الآن : ما ذا يعلمنا الشعر لا يلقى إلا فى مجتمع قد جعل الاختبار والعقل فوق كل شىء وغاية كل شىء .

الشعر لا يعلم ولكنه يلهم . فأولئك الذين يريدون أن يعلموا يجب أن يكون منطقهم واضحاً سليما ؛ ولكن جوهر الشعر الأصيل هو ما لا يمكن أن يفهم أو يعبر عنه بحجج العقل والمنطق .

فالشاعر ليس مدرساً ولكنه رسول وكلامه غامض .

قال شيلى : « الشاعر كالبلبل الذى يجلس فى الظلام ويصدح ليبدد وحشة وحدته بأنغامه الشجية ، والمستمعون إليه كأولئك الذين سحروا بنغم موسيقار متوافق ، فيحسون أنهم قد اهتزوا وطربوا ولكنهم لا يدركون متى ولماذا ؟ » .

أما الخطأ الشائع وهو أن تعاليم القصيدة يمكن أن تأخذ شكل القوانين والأصول فراجع إلى تلك التجربة الأسيفة المحزنة وهى شرح الشعر بالنثر أى نثره ، ولكن الشعر لا يمكن أن ينثر كما لا يمكن أن يترجم دون أن يفقد حياته .

أجل قد يأتى لنا المترجم بقصيدة جديدة لا تقل عن الأولى جمالا وروعة كما حدث فى ترجمة بوب للالياذة وفتز جرالد لرباعيات الخيام ، ولكن يجب أن نعترف أن هذه ليست شرحاً ولا ترجمة بل هى خلق جديد .

كل ما أخذ على النقد الردئ هو أنه يعنى بالموضوع بدلا من الشكل .

وقد عاب « متيو أرنولد » « دكتور جونسون » لحكمه

الخاطئ على « ليسيداس » (مرثية ملتن لصديقه كنج) « إن أكبر غلطاته هو ظنه أنه ما من أحد يجد سروراً أو لذة فى قراءة ليسيداس لأن معنى هذه القصيدة ليس حقيقياً وفكرتها قديمة » وقد وقع متيو أرنولد فى نفس الخطأ عندما أعلن حربه على شيلى فى قوله : « يعوزه شيء هام فى الشعر لا يمكن أن يشفى منه وهو المادة » .

نريد أن نتحرر من هذا النوع من النقد مادام الشعر كغيره من الفنون الرفيعة غرضه المتعة والسرور العام .

فالشعراء يريدون أن يخلقوا ليشعروا لا ليفكروا . والنقد وهو المساعد الوحيد للخلق يجب أن يقوم بحثه لا ليجعلهم يفهمون التعاليم والقواعد ولكن ليريهم الفن ويتركهم يتمتعون به ويقفون على ما فيه من فائدة لأرواحهم لا لعقولهم .

ولقد شرح الألمان شكسبير فحللوا آراءه الدينية ونزعاته الفلسفية وتعاليمه الدينية والأخلاقية ومبادئه السياسية ، وجعلوا منه وحشاً مخيفاً فقالوا إن حلم « ليلة فى منتصف الصيف حفلة حقيقية » .

ومن المحتمل أيضاً أن أغانيه صدرت عن تجربة عملية فقد قال دكتور جنسون وهو قول خاطئ من أساسه « إن شكسبير كان يعنى بأن يَسُرّ أكثر من أن يُعلِّم ، وأنه كان يكتب بعيداً عن أى غرض أخلاقى » كذلك قال امرسن « لقد أراد أن يعطينا صوراً وكان جديراً به أن يقدم لنا تعاليم » .

لم يكن أحد من الانجليز يفطن إلى هذا الاختبار حتى جاء به أرنولد من ألمانيا فقال « إن رسائل شيلى ستبقى بعد أشعاره الغنائية » .

ونجد كثيرين يكرهون كيتس ولا سيما جمهور الطلبة لعجزهم عن فهم أو شرح معانيه . فالجمال أو الخير الذى ننشده فى الشعر هو الخير الذى فهمه كيتس وعبر عنه بقوله « أوه . لا تتعب وراء المعرفة فليس لدى شيء ؛ ومع ذلك فإن أغنيتى تأتى وطنية بحرارتها . لا تبحث وراء المعرفة فليس لدى شيء ، ولكن المساء يصغى » .

دعنا نحاول أن ننقذ الشعر من أيدى الممتحنين الذين يعرضون على تلاميذهم شرحه وتفهم معانيه حتى تكون لنا دراسة واحدة للسرور والجمال الخالص .

إن رسالة الفن سر شخصى ليست محدودة المعنى .

فالقصيدة أو الصورة لها معنى خاص لكل فرد . وكل الشروح ليست إلا ظلالا لحقيقة واحدة ، فمعنى الخلق الفنى جميل موجود فى روحه مستقر فى روح صانعه .

فإخبارك الطفل بما يريد معرفته شيء جميل ، ولكن عدم إخبارك إياه قد يكون أجمل وأفضل ؛ فقد حدث أن كان طفل جالسا مع أمه يستمع فقال : « أمى . إنى أظن أنى أفهم إذا سكت هذا عن الشرح » .

قد يكون هذا قانونا بلا استثناء ، أى أن تبطل الشروح ما دامت لا تزيد فى المتعة والسرور بالكشف عن الجمال الفنى .

فالطفل يستطيع أن يتبين الجمال فى أغانى شوقى مثلا دون أن يعرف شيئاً عن شوقى ؛ فإن أساس المتعة هو الموسيقى ، فمن السخرية أن نحاول أن نلقى على الأطفال شروحاً عن حياة الشاعر قبل أن يتعلموا كيف يحبون الشاعر ويحبون شعره .

كيف يلذ للطفل أن يعرف أن حافظ ابراهيم ولد فى القاهرة ثم تعلم الجندية ثم ذهب إلى السودان ... قبل أن يقرأ أو يسمع أشعاره . أقول يسمع إذ ليس من الضرورى أن يقرأ الطفل الشعر ليقف على جماله . فقد يسمع القصيدة وهو يجهل معانيها بل يجهل ألفاظها جهلا تاما . ومع ذلك تراه يطرب ويحزن تبعا لموسيقاها :

ولقد قرأت مرة أن أحد الأساتذة الإنجليز جمع حوله بضعة أطفال ثم أخذ ينشد لهم شيئا من شعر هوميروس الحماسى باللغة الإغريقية فما لبث أن رأى الأطفال يهتزون ويطربون وينسجمون فسألهم عن معنى القصيدة فقالوا إنها وصف لمعركة ؛ ثم قرأ عليهم قصيدة أخرى فظهر عليهم الوجوم والحزن فلما سألهم عما فهموا قالوا إنها رثاء لقتيل .

فإذا كان هذا مبلغ تأثير الموسيقى فى الطفل الذى يجهل اللغة تماماً فأحرى بمدرسينا أن يتركوا أطفالهم يتمتعون بجمال الموسيقى وأن يفهموهم الشعر كصورة للمتعة والجمال .

**نظمى خليل**

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٣٥ — لذاك إذا دعاه لا يجاب

أمالي القالي : سمع الاصمعي رجلا يدعو ربه ويقول في دعائه : يا ذو الجلال والاكرام ، فقال له الاصمعي : ما اسمك ؟ قال : ليث . فقال الاصمعي :

ينـاجي ربه باللحن ليث ... لذاك إذا دعاه لا يجاب

٨٣٦ — يشهد السمع أنها عواده

رب ورقاء في الدياجي تنادى ... إلفها في غصـونها المياده

فتشير الهوى بلحن عجيب ... يشهد السمع أنها عواده

كلما رجّعت توجعت حزنا ... فكأنا في وجدنا نتباده[1]

٨٣٧ — إخوة فيه للشفار الكليلة

البحتري :

إن تجرب بني الزمان تجدهم ... إخوة فيه للشفار الكليله

والفتى كادح لفعلة دهر ... يرتضيها أو عيشة مملوله

خائف آمل لصرف الليالى ... والليالى مخوفة مأموله

راح أهـل الآداب فيها قليلا ... وحظوظ الأقسام فيها قليله

فعليك الرضى بما رضيته ... لك هذى المطالب المجهوله

لن تنال المزوى عنك بتدبير ... ولن تصعد السماء بحيله

٨٣٨ — كانت حمتى فقذفتها

في ( الموشح ) لأبي عبيد الله المرزباني :

دخل العجاج على الوليد بن عبد الملك فأنشده :

كم قد حسرنا من علاة عنس[2]

(١) نتباده : نتجارى

(٢) ( حسره ) ساقه حتى أعياه كأحسره ( العلاة ) المرتفعة في السير لا ترى أبداً إلا أمام الركاب ( العنس ) الناقة الصلبة .

فصار إلى قوله :

بين ابن مروان قريع الأنس[1]

وابنـة عباس قريع عبس

فقال له الوليد : ما صنعت شيئا ، أنشدني غير هذا فأنشده :

أمسى الغوانى معرضات صددا[2]

وقد أرانى للغـوانى مصيدا

مـلاوة كأن فوق جلدا[3]

فقال : مصيدا وجلدا ، لم تصنع شيئا ، أفرغت مدحك في عمر بن عبيد الله بن معمر إذ قلت :

حول ابن غراء حصان ، إن وتر[4]

فات ، وإن طالب بالوغم اقتدر[5]

إذا الكرام ابتدروا الباع بدر[6]

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لكل شاعر حمة[7] ، وكانت هذه الأرجوزة حمتي فقذفتها .

قلت : يقصد العجاج بحمته ما يقال له في الفرنجي : chéf d'oeuvre وقد قال بعض الفرنج :

un chéf d'oeuvre n'esthpas faitvil est né

وأرجوزة العجاج[8] هذه ( ٤٥٩ ) بيتا ، مطلعها :

« قد جبر الدين الإله فجبر[9] »

(١) ( قريع القوم ) : سيدهم .

(٢) صددا : ناحية .

(٣) ( ملاوة ) — مثلثة — مدة من الدهر ( الجلد ) أن يموت ولد الناقة فتمنع درها فيؤخذ فصيل فيحشى تبناً وهو البو ، فيوضع بين يديها فتنكره بعينها ، وترأمه بقلبها فتدر ( المرزباني )

(٤) وترت الرجل قتلت حميمه فأفردته ( الأساس ) كل من أدركته بمكروه فقد وترته .

(٥) ( الوغم ) : الثأر .

(٦) ( الباع ) : الشرف ، الكرام ، في الأساس : من المجاز لفلان سابقة وباع .

(٧) حمة الشيء — بضم الحاء وتشديد الميم — شدته ومعظمه من الحم الحرارة ومن حمة السنان وهي حدته . والحمة — بالضم والتخفيف — نوعة السم أي حرارته وفورته وحمة البرد شدته وفي رواية : « إن لكل شاعر غربا ، وإن غربي ذهب في ابن معمر » والغرب الحدة والنشاط ، غرب الفرس واللسان حدتهما .

(٨) في ( مجموع أشعار العرب ) المطبوع في أوربة سنة ١٩٠٢ م « اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي » .

(٩) جبرت الشيء فجبر هو ، لازم متعد .

### ٨٣٩ — أفضل نعيم أهل الجنة

فى ( ميزان الاعتدال ) للذهبى :

... عن أبى الدرداء قال : كان رسول الله يذكر الناس ، فجاء أعرابى فقال : هل فى الجنة سماع ؟ .

قال : يا أعرابى ، إن فى الجنة نهرا جمل فيه الابكار ... يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها ، وذلك أفضل نعيم أهل الجنة .

فسئل أبو الدرداء : بم يغنين ؟ قال : بالتسبيح إن شاء الله .

### ٨٤٠ — يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

أحمد بن أبى بكر الكاتب :

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك عن بغض لها غير أنه يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

### ٨٤١ — التقليد

فى ( الحيوان ) للجاحظ :

داء النشأ والتقليد داء لا يحسن علاجه جالينوس ولا غيره من الأطباء ... وتعظيم الكبراء ، وتقليد الأسلاف وألف دين الآباء والإنس بما لا يعرفون غيره يحتاج إلى علاج شديد ، والكلام فى هذا يطول .

إرشاد الأريب لياقوت :

قال الشينيزى للماوردى : أيها الشيخ اتبع ولا تبتدع .

فقال : بل أجتهد ولا أقلد .

### ٨٤٢ — وسواس الرجل محدث وسواس الرجل

قال أبو الجوزاء : طلقت امرأتى فى نفسى وأنا فى المسجد ثم انصرفت إلى منزلى ، فقالت لى امرأتى : أطلقتنى يا أبا الجوزاء ؟

قلت : من أين لك هذا ؟

قالت : خبرتنى جارتى الأنصارية .

قلت : ومن خبرها بذلك ؟

قالت : ذكرت أن زوجها خبرها بذلك .

فغدوت على ابن عباس فقصصت عليه القصة فقال : علمت أن وسواس الرجل محدث وسواس الرجل ، فمن هنا يفشو السر .

### ٨٤٣ — اغترب تتجدد

أبو تمام :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد

### ٨٤٤ — كذاك الضرب بين الضرتين

أمالى القالى :

قيل لأعرابى : من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ، فتزوج امرأتين ثم ندم فأنشأ يقول :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفا أنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحى وتمسى تداول بين أخبث ذئبتين
رضا هذى يهيج سخط هذى فما أعرى من احدى السخطتين
وألقى فى المعيشة كل ضر كذاك الضر بين الضرتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى عتاب دائم فى الليلتين !

### ٨٤٥ — عظيم

ســـد الطريق على الزما ن وقام فى وجه الخطوب

### ٨٤٦ — بطولة جحا

فى ( أساس البلاغة ) للزمخشرى :

قيل لجحا : على من تخالتك ؟

قال : على أمى واخياتى ...

يضرب فى من قوته على الضعيف .

### ٨٤٧ — الجديد والقديم

محمد بن نصر الأوسى :

وإن كان عندى للجديد لذاذة فلست بنساس حرمة لقديم

٢ — من الأدب الغربي :

# مسلة تتحدث (*)

للأستاذ محمد رجب البيومي

[ في الأدب الفرنسي خاصة روائع خالدة عن مصر؛ وهذه قصيدة عصماء لتيو فيل جوتييه نظمها على لسان مسلة مصرية قائمة بميدان الكونكورد بباريس ونحن ننقلها بتصرف يقتضيه الذوق العربي ] .

تحت صوب الحيا وذوب الجليد ... أقف الآن في التياع شديد
يزأر الجو فوق رأسي كطاغ ... مستبد بكل من في الوجود
تصرخ الريح بين كفيه رعباً ... وتصيح الرعود تلو الرعود
ويمر السحاب تحت حماه ... كأسير مكبل بالقيود
تمس الجو ! صار ثلجاً ببار ... يس وقد كان جمرة في الصعيد
حيث كانت أختي ترفه عني ... بحديث كخمرة العنقود (٢)
إذ يميس النخيل في سندس العشب كخود تجر وشي البرود
إذ يهب النسيم في كل فجر ... ناشراً في الربوع عطر الورود
وذكاء الوضيئة الوجه تعطو ... فوق هام الربا بخطو وئيد
يا لأوقاتها ! تولت وكانت ... مشعل النور في الليالي السود
كخيال سرى، وحلم توارى ... كسراب يلوح فوق البيد

إيه رمسيس قد تحطم صرح ... أبدي أقمته للخلود ... !
المسلات – يا لخزيك – كانت ... في ربوع الحمى كبرج مشيد
طالما قد حميتها بحصون ... من رماح وجحفل من أسود
فثنى الدهر نحوها وهو ليث ... صنع الله قلبه من حديد
فاذا جيشك العظيم يولي ... وجهه في استكانة الرعديد
كيف هذا ؟ حقيقة أم خيال ... يا سماء ارجفي ! ويا أرض ميدي

قد تربعت فوق لحد رهيب ... كان للأبرياء شر اللحود (٣)

وقف العدل في نواحيه يبكي ... بدموع تحز في الجلمود
كم قتيل بدون ذنب جناه ... وشهيد مضى وراء شهيد
والمنايا تطيع أمر ( لويس ) ... كل يوم تقول : هل من مزيد (١)
وأخيراً أتت عليه فحزت ... من قفاه العريض حبل الوريد
قتل الموت ! كم أذل عزيزاً ... كان ذا سطوة وبأس عتيد

انظر «السين» حائر الموج يعلو ... في اصطخاب كالهائج العربيد
يتهادى وفيم هذا التهادي ؟ ... وهو مر المذاق رنق الورود
ليس كالنيل حين تصقله الشمس فيبدو كاللؤلؤ المنضود
ماس بين المروج مؤتلق الوجه كتاج على الربا معقود
جمل الأرض روضة يتغنى ... فوقها كل صادح غريد
من رسولي إليه في مصر يهد ... يه تحيات قلبي المعمود
كل شيء له بريد ولكن ... آه للنيل ! ماله من بريد

كنت في مصر — وا حنيني إليها —
ذات مجد يذيب قلب الحسود
يفد الناس خاشعين لمحرا ... بي وكل يهم لي بالسجود
وأنا اليوم قطعة من صخور ... وقفت في الطريق مثل العمود
الرعاع الطغام حولي سكارى ... كقطيع مشرد في البيد
يفعلون الخنا بوجه من الصخر ... وقاح لا يستحي من وجودي
كم بغي تسير خلف زنيم ... يشتري طهرها بحلو الوعود
يقطع الوقت في التذاذ أثيم ... بين شهد اللمى وورد الخدود
(غاب بولنيا) مذبح شهوي ... كم هوت فيه كل حسناء رود
أين منه مصر التي قد تعالى ... كل صوت بطهرها المحمود
قد جعلت العفاف يا مصر تاجاً ... يتجلى على رءوس الغيد

أين مني حمى رع وأمون ... هل سيبدو لناظري من جديد
وعويل الكهان في غسق الليل كثكلى على ضريح فقيد
والتماثيل في المعابد يجثو ... عندها كل سيد ومسود
والنواقيس صادحات كطير ... ساحر اللحن بارع الترديد
والقبور الضخام كالهرم العالي سطور خطت بسفر الخلود
ما بباريس مثلها وهي كنز ... ذهبي يضم كل فريد
أنت يا مصر منية المتمني ... دمت في نعمة وعيش رغيد

(١) من ديوان « ألحان غربية » تحت الطبع .
(٢) أختي تريد مسلة الأقصر .
(٣) فأقيمت المسلة في مكان مقصلة لويس السادس عشر .

(١) لويس السادس عشر




قصة من الأدب الروسي الرفيع :

# « المـــلاك ... »

للفيلسوف الروسي الكبير لوي تولستوي

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

— ٢ —

ولم يكادا يفرغان من الطعام ، ويقومان عن المائدة ... حتى أقبلت « مترونا » على « الضيف الغريب » ... تسائله :

— « من أي البلاد أنت ؟ ! » فأجابها في صوت شاعت فيه الوداعة « لست من هذه البقاع ! ... »

فقالت دهشت « ولكن . ما الذي رمى بك إلى الطريق ؟ »

— « لست أدرى . ! . »

— « أتعرض أحد لك بسوء ؟ ! . »

— « كلا ! ... لقد عاقبني الله تعالى ! ... »

— « أما كنت ملقى على قارعة الطريق ؟! ... »

— « بلى عرياناً ومثلجاً ، وقد لمحني زوجك الكريم « سيمون » فأدركته الرحمة فخلع ما عليه ، وألبسني إياه ، وأحضرني هنا ... فأطعمتني من جوع ، وآويتني من برد ... وأشفقت على من التشريد والموت ... فجزاك الله خيرا » .

فنهضت « مترونا » وأحضرت له بعضاً من ثياب زوجها القديمة ... وأعدت له مناماً على كثب من التنور يقضى فيه ليلته

باتت « مترونا » في مضجعها تتقلب فلم يزر جفنيها الكرى وما فتئت ذكرى « الغريب » تراود مخيلتها ...

بدا لها كيف أتى على نصيبهم الأخير من الخبز ... فلم يدع لهم شيئا إلى الغد ... فأحست بالحزن يساور نفسها .. والألم يتغلغل في قلبها ... بيد أن تلك البسمة التي رفعها إليها « الضيف الغريب » جالت في صفحة فكرها وجلبت السكينة إلى نفسها وقالت تحدث زوجها في خفوت ، وقد كادت أن تأخذه سنة من النوم : —

« سيمون ! ... » فأجابها في توجس وضيق : « ماذا ؟! »

— « لقد أتينا على آخر ما عندنا من الخبز ... ولست أدرى ما الذي نفعله غداً ! ! ليتني أستعير بعضاً من جارتنا « مارثا ! ... »

— « إذا امتد بنا الأجل إلى الغد ... فسوف نرزق من حيث لا ندرى ! ... »

فلبثت المرأة برهة لا تنبس ... ثم قالت في رقة « يخيل إلى أنه رجل طيب كريم ، ولكن ما الذي يحمله على الصمت فلا يكشف لنا جلية أمره ؟! . »

— « أحسب أن لديه علة تمنعه ! . »

— « سيمون ! . »

— « نعم ! . »

— « ما بالنا نعطى ! وليس ثمت من يتفضل علينا بعطاء »

فحار سيمون جواباً ... ثم لم يلبث أن قال لها : — « دعينا من هذا الحديث ! ... » وانقلب على جانبه ... وراح يغرى بعينيه النوم بعد أن جفاه . !

* * *

وفي الغداة ... أفاق « سيمون » من نومه ، وكانت الأطفال تعيث في البيت صياحاً ولهواً ، وانطلقت زوجته لتسأل جارتها بعضاً من الخبز ... أما الغريب فكان يجلس على مقعده — في ثياب سيمون الخلقة — يرمى طرفه إلى السماء — وفي عينيه توسل ورجاء ، وقد عاد إلى وجهه بهاؤه وضياؤه عن البارحة ...

فقال « سيمون » في طلاقة ومرح : « هه ! ... أيها الصديق ... إن السغب يدعو الإنسان إلى السعى وراء القوت ، والعرى يضطره إلى طلب الملبس ... فعليه أن يعمل ويكد .. فما الذي تعرفه من المهن ؟! . »

— « لست أدرى شيئا ! . »

فقال سيمون في صوت ملىء بالدهش .

— « إن كان للانسان رغبة في التعلم فسيتعلم ؟! »

— « وإن لي نفسي رغبة إلى ذلك . ! »

- « ما ذا تدعى ؟ ! ... »

— « ميشيل ... »

— « حسناً يا ميشيل ... إن لم تكن فى نفسك رغبة إلى أن تحدثنا عن نفسك ، فهذا من شئونك ... غير أنه يجب أن تتكسب رزقك ، فإن عملت بما سأشير عليك به .! فسوف تجد عندى طعاماً طيباً ، ومأوى حسناً ... »

— « جزيت خيراً ... وإنى لمطيع لما تقول ! ... »

— « إن ذلك غاية فى البساطة ... فانظر إلى . » ثم أمسك « سيمون » بخيط ، ولفه حول إبهامه وراح يجدله فى براعة ... فراقبه « ميشيل » ثم أخذ قطعة من الخيط وثناها على إبهامه وانفك يجدلها كما فعل سيمون وفى براعته وإجادته ، وعلمه سيمون كيف يشمع الخيط ويقطع الجلد ثم يخيطه ... فبرع « ميشيل » فى كل ذلك ... حتى أصبح ماهر البنان كأنه مارس تلك الحرفة طيلة حياته ...

كان لا يبرح يعمل ويعمل دون توقف ، ولا يطعم غير القليل ، حتى إذا ما انتهى من عمله ، جلس صامتاً يحدق فى سماء الغرفة وفى عينيه ذلك الرجاء وذلك التوسل ... ولم يكن يخرج إلى الطريق ، بل يظل حبيس الدار ، رهين العمل ، لا ينطق إلا بكلمات قلائل يضطر إليها ... وما ضحك يوماً ، وما ارتفع لسانه بفكاهة ... ولم ترتسم على وجهه ابتسامة أبداً ، إلا تلك التى أضاءت على جبينه يوم أن قدمت إليه « مترونا » العشاء ... !

* * *

وتتابعت الأيام وتعاقبت الشهور ... وميشيل يعيش ويعمل جهده مع « سيمون » ... وجرى إسمه على كل لسان ، وطبقت شهرته كل مكان ... حتى طفق الناس يأتونه من كل صوب وفج يعاملونه ... حتى ازدهر حاله . وزال عنه بؤس الحياة وعسرها .

كان « سيمون » وميشيل يعملان ذات يوم حينما جلجلت بباب دارهم الأجراس فأسرع كل منهما إلى النافذة ، يستجلى الأمر ... فأبصرا بعربة « زلاقة على الثلج » يجرها ثلاثة من الجياد الطهمة الصافنة ... تقف بباب الدار ، وخف تابع إلى بابها ففتحه ... فظهر منه سيد جليل مهيب — عليه جبة من الفرو الثمين — ووقف بباب الكوخ ، فسارعت « مترونا » إليه تفتحه على مصراعيه ، وترحب بمقدم الضيف الجليل فطأطأ الرجل رأسه عند ولوجه الباب ... فلما انتصبت قامته المشوقة كاد أن يمس رأسه سقف الغرفة فنهض سيمون وانحنى إجلالا للضيف وقد سرى إلى نفسه الدهش ... فما رأى مثل هذا الرجل فى عظمته ورفاهيته فقد كان سيمون هزيلا نحيفا ، وميشيل صدعا رفيعاً ... كما أن « مترونا » كانت ضاوية الجسد ، جافة العود ...

أما هذا السيد ، فيخيل لمن يراه أنه من عالم آخر وجنات مكتظة مليئة ... ووجه مطهم شاعت فيه الحمرة الوردية ، وجسد زهم كالفيل فى هيئته وبدانته ، وعنق أقود كعنق الثور وما أن جلس على المقعد حتى قال « من منكم صاحب العمل ؟! » فدنا منه سيمون وقال فى صوت أصحل من الرهبة « أنا يا صاحب السعادة !! »

فصاح السيد بتابعه « هيا ... أحضر الجلد ... يا « فدكا » فلما أحضره ، ووضعه على المائدة ... قال السيد مشير إليه : — « أنظر أيها « الأسكاف » أترى هذا الجلد ؟ . »

— « أجل يا صاحب السعادة ... إنه أثمن جلد رأيته فى حياتى ! . »

— « أبمقدورك أن تصنع لى حذاء منه ؟! »

— « أجل يا صاحب السعادة ! .

— « أتستطيع !؟ حسناً ... فلا يغب عن بالك لمن سوف تصنع هذا الجلد الثمين ... استمع ... ينبغى أن تجعل لى منه حذاء أحتذيه عاماً كاملا ... لا يبلى ولا يخلق . أفهمت إن لم يكن بمقدورك هذا ، فصارحنى ... فإنى أود حذاء أحتذيه عاما بأكمله ... وإنى لأحذرك الآن وإلا فسوف يكون مستقرك السجن وإذا لم يبل فى مدى عام ... فسوف أمنحك عشر روبلات نظير ذلك ... »

فارتعدت فرائص « سيمون » وعجز عن الكلام ... والتفت إلى « ميشيل » ووكزه قائلا فى همس وحسيس « أنأخذ هذا العمل على عاتقنا ؟ ! » فأومأ « ميشيل » برأسه موافقاً ... فانفرجت أسارير « سيمون » وسرى عنه همه وجزعه ... وراح يقيس قدم السيد ... يتعرف عسيها ويقدر أخمصها ... ويسجل ذلك على وريقة تعنيه على صنع الحذاء ... فلما انتهى من ذلك

قال له السيد وهو يجول طرفه فى أرجاء الكوخ .

— « لا تجعلها تضيق بقدمى ! . » ... فلما وقع طرفه على « ميشيل » قال فى تساؤل :

— « من هذا ؟ ! »

— « إنه عامل عندى ... وسوف يتشرف بخياطة حذاءك »

فتحدث السيد الجليل إلى ميشيل قائلا « أنت يا ذا ... لا يغيب عن بالك أنى أود حذاء مريحاً ... يمكث عندى سنة ... هه ... سنة بأكلها !. »

***

نظر « سيمون » إلى « ميشيل » ... وكان هذا يحدق فى ركن من الغرفة فوق السيد ... وقد شرد خياله عما هم فيه ... . وكان يحدق ... ويحدق ، وعلى غرة ارتسمت على ثغره تلك الابتسامة العذبة ، وأشرق وجهه وأضاء ... فزمجر السيد قائلا :

— « فيم تحملق أيها الأبله ؟! خير لك أن تنظر إلى ما يدر عليك رزقك ! . »

فقال سيمون « سيعد لك الحذاء يا صاحب السعادة ... فى الحال ... » فنهض السيد وهم بالخروج والغضب يحمر فى عينيه ، واستقر فى عربته فانطلقت تجلجل أجرامها ... فلما اختفت فى منعطف الطريق ... قال سيمون — وما زال الدهش يسيطر على نفسه — « هذا مثال لإنسان جبار ... لا يقتله المرؤ ولو بمطرقه ... وأحسب الموت يتخوف من جبروته ... فلا يمس له جسداً !. » ثم حدث ميشيل قائلا :

« حسناً لقد أخذنا على عاتقنا أن نصنع حذاء له ... ولكن ينبغى ألا يكون ذلك سبباً فى متاعب جديدة .. إن الجلد لثمين وإن صاحبه لجاد فى طبعه ... فيجب ألا نخطىء معه هيا ... يا ميشيل ، إن عينيك أدق من عينى ، ويديك أبرع من يدى ، فهاك الجلد ، فقطعه حسب المقياس ... وسوف أخيطه أنا ! . »

فبسط « ميشيل الجلد على المقطع ثم طواه طية واحدة ... وراح يقطعه بالأزميل ...

كانت « مترونا » ترقبه فى عجب ودهش ... فقد طالما رأت كيف تحذى النمال وأدركت أن « ميشيل » لا يقطع الجلد على طريقة الأحذية ... بل لشىء آخر لا تعرفه هى ، فقالت فى نفسها « لعلى لا أعرف شيئاً عن صناعة الأحذية للسادة والأشراف ! . وأحسب أن ميشيل يعرف المزيد عنها ... سوف لا أتطفل عليه ! . »

فلما فرغ ميشيل من القطع ... أمسك بخيط واحد وراح يخيط الجلد — كأنه من الخفاف — لا بخيطين كما تخيط الأحذية فعاد الدهش إلى « مترونا » من جديد ... غير أنها أمسكت عن تدخلها ...

ومكث ميشيل يعمل حتى وافت الظهيرة ... وقام سيمون يلقى نظره إلى ما أتمه ميشيل ... فلم يلبث أن راعه ذلك وقال فى أحيح وعجب : « آه ! . كيف تفعل هذا يا ميشيل ؟ ! لقد لبثت معى سنة بأكلها — لم تأت أثناءها بخطأ قط فكيف تقع فى هذه الغلطة التى ستوردنا مورد الهلاك ! . لقد قال إلينا السيد أنه يود حذاءاً . وها أنت قد جعلت له من جلده الثمين خفاً ... سوف يثير حنقه علينا وما فى قدرتنا أن نأتى له بجلد مثله ... لقد حطمت حياتى يا ميشيل ! . »

فما وفيما هو يعلك ألفاظاً من التوبيخ والعتاب ... حتى سمعوا طرقاً على الباب وأبصروا من النافذة رجلا يترجل عن جواده وربطه فى حلقة الباب ... ففتحت له « مترونا » ... وكان ذلك الرجل هو التابع الذى صحب « السيد الجليل » فى الصباح ... فقال لهم : « لقد بعثت بى سيدتى فى أمر الحذاء ! . »

فقال سيمون فى جذع :

— « ما ذا عن الحذاء ؟! »

« إن سيدى ليس فى حاجة إليه !. فقد مات . ! »

— « هه ! . أحقاً هذا ؟ ! »

— « أجل ... لقد دهمه الموت وهو فى مركبته ! . فلما بلغنا المنزل ... جاء الخدم يعاونونه ... فقد حرجت جثته على الأرض كالكيس الممتلىء ... وقد بعثت بى سيدتى لأقول لكم إن السيد الذى أتاكم هذا الصباح ليس بحاجة إلى الحذاء ... بل ينبغى أن تعجلوا بعمل خف لجثته ... كى أحمله إليها الآن . »

فقام ميشيل ... وضم بقايا الجلد إلى الخف بعد أن مسحه بمئزرته وسلمه إلى الخادم الذى انطلق به قائلا : « وداعاً أيها السادة ! ... »

***

كرت السنون ... وها هو ذا ميشيل يعيش عامه السادس

مع سيمون وعائلته لم يتحول عما درج عليه ... ولم يتغير شيء من طبعه ... لا يخرج أبداً من الدار ... ولا يتحدث إلا بمقدار ولم يرتسم الابتسامة على شفتيه إلا مرتين لا تتلوهما أخرى ...

واحدة حينما تفضلت عليه « مترونا » بالطعام ... والثانية حينما كان يحدق في ركن من الغرفة فوق « السيد الجليل » وكان سيمون على وفاق مع عامله . ولم يسأله يوماً من أين أتى بل كان في خشية من أن يرحل ميشيل عنه ...

وبينما هم جميعاً في الدار ذات يوم ... وكانت « مترونا » تضع إناء على النار ، والصغار يمرحون في لهو وعبث ، وسيمون جالس يخيط حذاء في يده ... أما ميشيل فكان مستغرقاً في عمله على كثب من النافذة ...

ووضع أحد الأطفال يده على كتف ميشيل . ونظر من النافذة وصاح قائلا :

« أنظر ... ياعم ميشيل ، هناك سيدة معها بنات صغيرات يظهر أنها تريد دارنا إن واحدة من البنات تعرج في سيرها ! » فألقى ميشيل بما معه وسارع ينظر من النافذة إلى الطريق ... فتعجب سيمون ، فما رأى « ميشيل » يوماً ينظر إلى الطريق في هذه اللهفة ... فدعا ذلك سيمون إلى أن ينظر هو أيضاً كي يستبين ذلك الشيء الذي أثار ميشيل . فرأى سيدة حسنة الهندام تتجه حقاً إليهم وتقود طفلتين عليهما أردية من الصوف وشمائل من الفرو ... يعجز المرؤ عن أن يميز إحداهما عن الأخرى إلا تلك التي يعتري ساقها اليسرى شيء من العرج .

وولجت السيدة بطفلتيها الغرفة ... وقالت في صوت رقيق

— « سعدتم صباحاً ... أيها القوم الطيبون ؟ . »

فقال « سيمون » :

— « سعدتي صباحاً ... سيدتي الفاضلة .. ماذا في مقدورنا أن نعمله لك ؟ ! »

فجلست السيدة على مقعد ... وقد التصقت بها الطفلتان في خوف ممن في الكوخ .

— « أود ... حذاءين من الجلد لهاتين الطفلتين ، للربيع ! ... »

— « إننا لم نصنع من قبل مثل هذه الأحذية الصغيرة ... غير أننا قادرون على ذلك ... إن مساعدي « ميشيل » أستاذ صناع في هذا ! . »

وألقى سيمون بنظرة إلى ميشيل ... ليرى أثر الإطراء والثناء عليه ... فوجد هذا جالساً يحدق في الطفلتين الصغيرتين فانتاب سيمون العجب وتولاه الدهش ... حقاً كانت الطفلتان جميلتين لهما وجنات وردية وشعر معقوص وعيون نجل ... ترتدي كلتاهما ثياباً فاخرة من الصوف والفراء ... بيد أن سيمون لم يفطن إلى سر تحديق ميشيل إليهما كأنه يعرفهما من قبل !

كان في حيرة من أمره ... فانطلق يحدث السيدة ويقدر الثمن معها ... وبعد مساومة وإقرار ... هم أن يأخذ مقياسهما فقالت السيدة وهي ترفع قدماً للبنت العرجاء « إن هذه القدم عرجاء فاعمل لها حذاء على حدة ... أما القدم الأخرى وقدمي الطفلة الثانية ... فهي صحيحة متشابهة وحجمها واحد ... إنهما توأمتان ... »

فسجل سيمون ما قاسه على وريقة صفراء ... وقال يحدث السيدة :—

— « ما الذي حدث لها ؟! فأصابها بهذا العرج ... إنها تبدو جميلة ... أو ولدت هكذا ؟ ! »

— « كلا ... فلقد حصرت أمها قدمها فالتوى ... »

فتعجبت « مترونا » وتساءلت من تكون هذه السيدة ؟ ! ومن تكون هاتان الطفلتان ... فقالت في صوت شاع فيه ما يجول في نفسها من دهش .

— « ألست أمها إذن ؟ ! »

— « كلا ... يا سيدتي الفاضلة ... لست أمها ، ولست إحدى قريباتهما ... لقد تبنيتهما ... »

فزاد عجب « مترونا » وهي تقول :

— « ليستا طفلتيك ... وتحبينهما هذا الحب ؟! »

— « ليس لي حيلة في ذلك ؟! أطعمهما وأربيهما ... ولقد رزقني الله ولداً ولكنني احتسبته ... وما كنت أحسبه مثل حبي هاتين الطفلتين ! .

وطفرت من عينها دمعة حارة ... تألقت في مقلتها ... ثم لم تلبث أن انحدرت على وجنتها ... فسحتها في هدوء وحزن فقالت مترونا في أسف وتأثر : —

— « معذرة ... ما كنت أحسب أن هذا يجلب إلى نفسك الحزن والألم ... ولكن من هي أم هاتين الطفلتين ؟ . »

« البقية في العدد القادم »

**مصطفى جميل مرسي**




*كتب من مراكش :*

# موقف الأمة المغربية من الحماية الفرنسية

للاستاذ عبد الكريم غلاب

عادت حركة التأليف إلى نشاطها بعد انتهاء الحرب ، وقد حمل إلينا البريد أخيراً عدة كتب سنقدم بعضها إلى قراء الرسالة .

والكتاب الذى نقدمه اليوم إلى القراء هو « موقف الأمة المغربية من الحماية الفرنسية » وقد جمعت هذا الكتاب وأصدرته جريدة « الوحدة المغربية » التى تصدر فى تطوان . والكتاب مؤلف من عدة أبحاث نشر بعضها من قبل فى جريدة الوحدة المغربية ومجلة « السلام » وقد اشترك فى كتابة هذه الأبحاث الأستاذان : محمد المكى الناصرى ، ومحمد حسن الوزانى . كما يشتمل الكتاب على تقرير هام أرسله المرشال ليوطى حينما كان مقيماً عاماً فى مراكش إلى حكومته سنة ١٩٢٠ يشرح فيه وجهة نظره فى نظام الحماية ، وكيف يجب أن يطبق فى مراكش .

وموضوع هذا الكتاب ، كما يظهر من عنوانه تاريخى سياسى يصور فترة من تاريخ مراكش الحديث ، وهى الفترة التى وقعت فيها هذه البلاد تحت الحماية الفرنسية . ويبدأ الكتاب بشرح المؤامرات الدولية التى كانت تحاك ضد مراكش قبل سنة ١٩١٢ ، ويعنى خاصة بالميثاق الذى عقد بين فرنسا وانجلترا سنة ١٩٠٤ ، وبمقتضاه تنازلت انجلترا لفرنسا عن ( حقها ) فى مراكش فى مقابل تنازل فرنسا لانجلترا عن ( حقها ) فى مصر . كما يشرح لنا الكتاب الظروف التى أملت المعاهدة التى عقدت بين فرنسا وألمانيا سنة ١٩١١ ، وفيها صرحت ألمانيا بأنها لا تعرقل مساعى فرنسا فى السيطرة على مراكش . وإلى جانب ذلك قامت فرنسا بجماع أخرى على حدود البلاد سماها هى — بمنطقها — اضطرابات داخلية وبما أنها مسؤولة عن حفظ النظام فى مراكش المستقلة ، فالمصلحة تقتضى أن تزحف على مدينتى وجدة وفاس عاصمة مراكش لتحافظ فيهما على الأمن . كان ذلك سنة ١٩١١ ، وما كادت تحل سنة ١٩١٢ حتى تردد فى أنحاء العالم أن فرنسا تعد مشروع معاهدة بينها وبين مراكش . ثم رددت جوانب القصر الملكى فى فاس أن سفير فرنسا مسيو ( رينو ) يتردد على جلالة السلطان مولاى عبد الحفيظ ، وأنه يعرض عليه مشروع معاهدة الحماية ، وأن جلالته قد وقع تحت ضغط ديبلوماسى وعسكرى وتحت تهديدات السفير الفرنسى ، ومع ذلك فهو يمانع بل يعلن للسفير أنه سيتنازل عن العرش إذا هو أجبره على إمضاء المعاهدة . ويشرق يوم ٣٠ مارس فإذا بفرنسا تعلن أن جلالته قد وقع عقد الحماية ، وأنه بمقتضاها قد أباح للجنود الفرنسيين أن يحتلوا مراكش كلها حتى يستطيعوا أن يؤدوا واجبهم كاملا فى تنفيذ الاصلاحات التى نص عليها فى المعاهدة . وتمر بضعة شهور فإذا بجلالة السلطان يعلن لأمته أنه لم يستطع أن يؤدى واجبه فى المحافظة على استقلال البلاد التى أقسم اليمين عند توليته على المحافظة عليه ، وأنه لذلك يتنازل عن العرش ويترك الأمر للأمة لتختار من يخلفه على عرش أجداده .

وهنا تنتهى مأساة فرض معاهدة الحماية لتبتدىء مأساة تنفيذ هذه المعاهدة . وتجند فرنسا جيشا من الموظفين الاستعماريين الفرنسيين وعلى رأسهم المرشال ليوطى ليقوموا بحكم مراكش حكما مباشرا ، وليسلبوا الحكومة المراكشية كل ما أبقت لها المعاهدة من سلطة فيديروا شئون البلاد ويتركوا هيئة الحكومة فى سبات عميق ، بعد ما كانت هيئة حكومية منظمة تنظيما ديمقراطيا تشرف على إدارة مراكش وتسير بالبلاد نحو التقدم المادى والمعنوى تحت رياسة جلالة السلطان . ويبدأ الفرنسيون فى تنظيم حركة استعمارية ، فيكونون داخل مراكش مجالس استشارية للفرنسيين يرأسها المقيم العام . ويقوم هؤلاء الفرنسيون بوضع برامج الإدارة والإصلاح فى مراكش وينفذونها هم بأنفسهم وبذلك يكون الفرنسيون مصدر السلطة التشريعية والتنفيذية .

وهكذا يحكمون مراكش دون أن يشركوا أهل البلاد الشرعيين فى أى عمل يتصل بالتشريع أو الإدارة وبذلك يكونون حكومة دكتاتورية باسم الحماية .

هذه السلطة التى اغتصبها الفرنسيون هى التى مكنتهم من حكم البلاد حكما استعماريا متطرفا يقوم على سلب الأراضى من الفلاحين المراكشيين بدعوى المصلحة العامة ، وإعطائها الفرنسيين الذين يهاجرون من بلادهم ليضعوا لأمتهم نقطة ارتكاز فى الأرض الجديدة ( مراكش ) .

تلك صورة مختصرة لأبحاث الكتاب التى اشترك فيها كل من الأستاذين المكى والوزانى ، وقد اعتمد الكاتبان فى عرضهما لسياسة الحماية الفرنسية على كتب وتصريحات لكبار الفرنسيين الذين درسوا موضوع الحماية درسا قانونيا وواقعيا . وبذلك اشتمل الكتاب على نصوص كثيرة — تنشر لأول مرة فى اللغة العربية تؤيد وجهة النظر المراكشية فى اعتداء الحماية على وضعية البلاد التى اعترف بها فى معاهدة الجزيرة سنة ١٩٠٦ وهى الاستقلال التام . كما اعتمد الكاتبان على هذه النصوص فى بيان أن معاهدة الحماية مخالفة للقانون الدولى ، وللمعاهدات التى عقدت بين الدولة المراكشية المستقلة والدول الأجنبية التى منها فرنسا .

وقد بينا أيضا — معتمدين على هذه النصوص — أن تطبيق معاهدة الحماية كان مخالفا لنصوص المعاهدة نفسها ، بل للحماية كما يعرفها القانون الدولى . وفى الكتاب كذلك نصوص قيمة فى تحليل معاهدة الحماية ، وبيان ما تشتمل عليه من غموض وتناقض ومغالطات .

غير أن إعجابنا بالكتاب لا يمنعنا من أن نلاحظ عليه بعض الملاحظات نلخصها فى النقط الآتية :

١ — من الخلاصة التى عرضتها فى هذه الكلمة نلاحظ أن العنوان لا يطابق موضوع الكتاب . فلن تجد فيه شرحا لمراحل الجهاد المراكشى ضد الحماية الفرنسية . وإذا استثنينا الصفحات القليلة التى كتبت عن موقف السلطان عبد الحفيظ من الحماية الفرنسية ، فلا نجد ذكرا لموقف الأمة المراكشية من هذه الحماية .

٢ — فى الكتاب نصوص كثيرة وخاصة فى بحث الأستاذ الوزانى ؛ ولكن الكاتب لم يستطع أن يستفيد من هذه النصوص القيمة ، بل حشدها حشدا كان يكتفى به أحيانا عن التعليق أو الاستنتاج .

٣ — وفى الكتاب خلط غريب يذهب بقيمته العلمية ، فالظاهرة العامة الواضحة فى الكتاب هى عدم التنظيم ، ووضع الكتاب فى وضعه الحالى لم يكن مستندا إلى منطق ، ولا إلى ترتيب تاريخى . ولعل هذا هو ما جعل الموضوع الواحد يتكرر فى الكتاب عدة مرات ، وجعل الكاتب يتناول موضوعا واحدا فى صفحات متفرقة تفصل بينها مباحث أخرى ، كما نرى فى « تحليل معاهدة الحماية » فقد تناوله الكاتب فى الصفحات ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٤ .

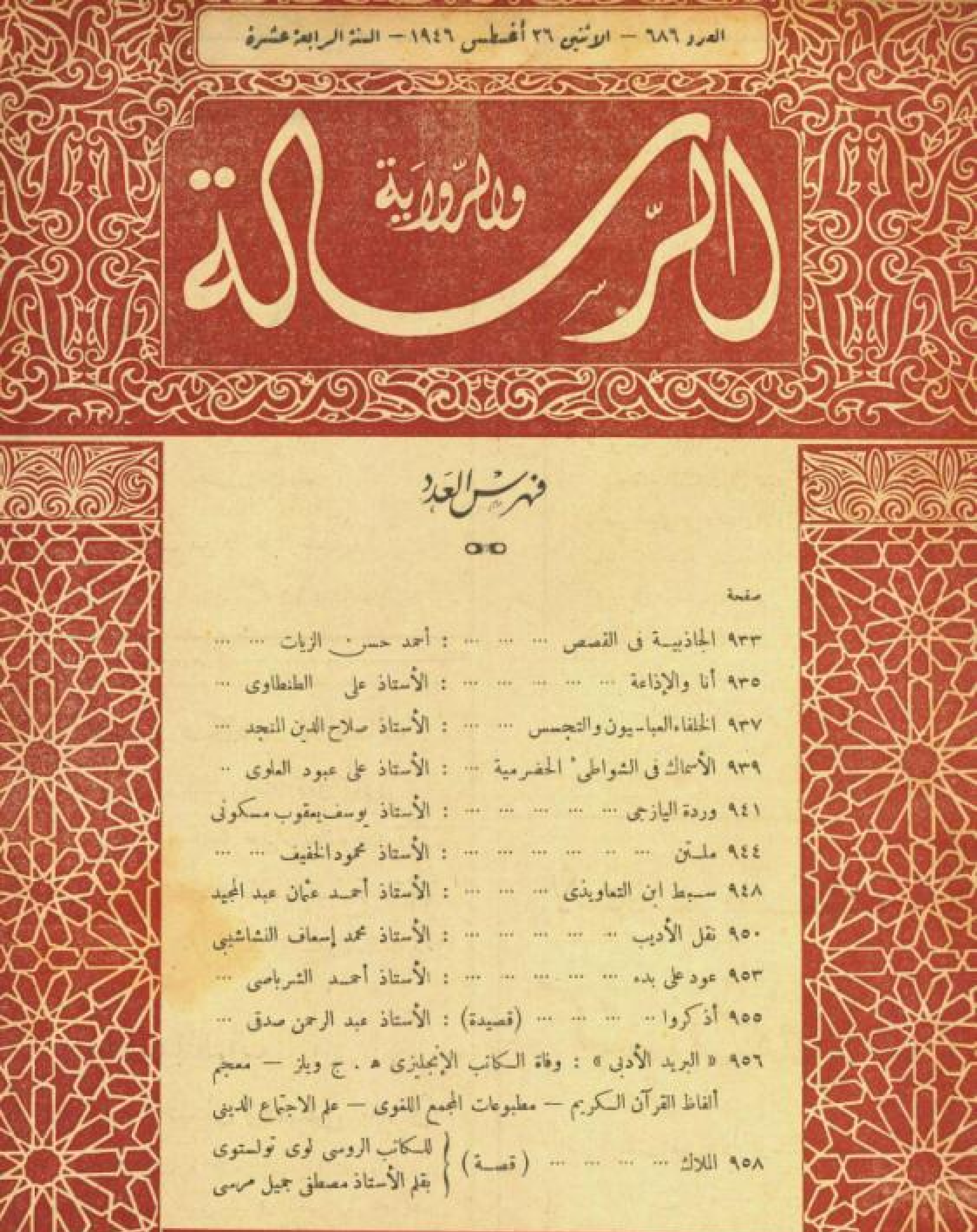
٤ — ويتصل بهذه الملاحظة عدم ذكر المراجع فى كثير من أبحاث الكتاب وخاصة عند دراسة الموضوعات المهمة كنظم الدولة المراكشية قبل الحماية ، وخلع السلطان عبد العزيز لتفريطه فى حقوق الأمة ، وتولية السلطان عبد الحفيظ بعد أن أقسم اليمين على احترام شروط البيعة . كما يتصل بذلك أيضا كثرة العناوين التى هى أجدر بالتهريج الصحفى منها بكتاب علمى ، وركاكة الأسلوب الذى ترجمت به النصوص الفرنسية .

٥ — ولعل أخطر ملاحظة هى أن الكتاب لم يتعرض لموقف اسبانيا مطلقا . مع أن المعروف أن مراكش تقع تحت النفوذين الفرنسى والأسبانى . وأن اسبانيا شريكة لفرنسا بموافقتها على معاهدة الحماية ، واحتلالها الجزء الشمالى من مراكش بمقتضى هذه المعاهدة نفسها . والذين يعرفون الموقف السياسى للأستاذ المكي يدركون سبب هذا النقص الخطير فى الكتاب .

٦ — وفى الكتاب نزعة حزبية ظاهرة ، فقد نشر سنة ١٩٤٦ ، وفى يناير سنة ١٩٤٤ وقعت أخطر حركة سياسية وطنية فى مراكش ضد الحماية الفرنسية ؛ فقد اتحدت جميع الأحزاب والهيئات الوطنية فى منطقة النفوذ الفرنسى تحت اسم جديد هو ( حزب الاستقلال ) ووضع الحزب وثيقة طالب فيها باستقلال مراكش وإنهاء عهد الحماية . وبذلك وضعت مراكش أول حجر في صرح الاستقلال ومرت البلاد بأخطر تجربة فى تاريخها الحديث . ومع ذلك لم يتحدث الكتاب عن هذا الدور من « موقف الأمة المغربية من الحماية الفرنسية » إلا فى سطر أو سطرين . وتلك ظاهرة غريبة تمليها حزبية عمياء كنت أرجو أن يبرأ منها كتاب ينشر عن القضية المراكشية .

**عبد الكريم غلاب**

[ طبعت بدار الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين ]



العدد ٦٨٦ — الاثنين ٢٦ أغسطس ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

# الرسالة والرواية

## فهرس العدد



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٨٦ — الاثنين ٢٦ أغسطس ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة




فهرس العدد

صفحة



٢٧ • ١٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

جامعة فؤاد الأول

إدارة السجلات والامتحانات

إعـــلان

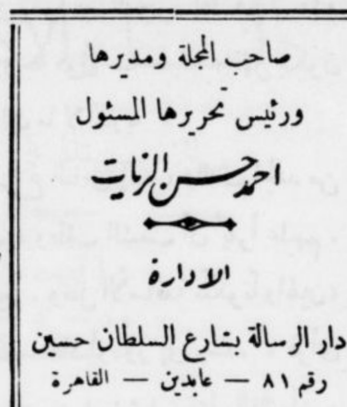
تقبل كلية الطب الجديدة بالعباسية مائة طالب بالقسم الاعدادى للطب البشرى بنفس الشروط المقررة لكلية الطب بجامعة فؤاد الأول والسابق الإعلان عنها بالوقائع المصرية رقم ٧٥ بتاريخ ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٦ .

وتقدم الطلبات إلى عميد كلية الطب بالقصر العينى على دفعتين الأولى فى موعد نهايته ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٦ والدفعة الثانية فى موعد غايته ظهر اليوم الرابع لإعلان نتيجة امتحان شهادة الدراسة الثانوية ( الدور الثانى ) .

وسيكون الكشف الطبى على المرشحين فى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٦ . ٥٨٥٦

14 me Année No. 686

Lundi—26—8—1946




# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٨٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣٦٥ — ٢٦ أغسطس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

مما زيد على كتابنا ( فى أصول الأدب ) :

## الجــاذبية فى القصص

الجاذبية هى الشوق الذى يبعث اللذة ويثير الاهتمام ويحرك الانتباه ويربط السامع أو القارئ بموضوع القصة أو الرواية . ومبعث هذا الشوق اختيار الموضوع المفيد أو الطريف ، واصطناع الأسلوب الخالب والصور البراقة والنوادر الممتعة والحوار القصير السديد . وأثر هذه الجاذبية إما أن ينال الذهن أو المخيلة أو الوجدان.

فجاذبية الذهن أن يكون القصص مبعثاً للنور ومصدراً للمعرفة وداعياً إلى التفكير ، كالجاذبية التى تحسها وأنت تقرأ تاسيت أو ابن خلدون . ومثل هذه الجاذبية تكفى فى القصص التاريخى دون القصص الشعرى ، لأن الأول أساسه التعليم والإقناع ، والثانى أساسه التأثير والإمتاع .

وجاذبية المخيلة تكون بتصوير مناظر الطبيعة للنفس وجلاء ألوانها للعيون ، بالوصف الصادق والأسلوب القوى ؛ ولكن هذه الجاذبية إذا لم تقترن بأخرى لا تلبث أن تبوخ وتضعف ، فإن النفس لا تعلق إلا بما ينيرها أو يثيرها ، فإذا لم تهتز للقصص فلا أقل من أن تستفيد منه

أما جاذبية الوجدان ، فأن يحرك القصص فى نفسك عوامل الألم أو اللذة ، ويثير فى حسك عواطف الحنان والقلق والدهش والهول والعزاء ، ويذيقك لذة الشعور بأنك حساس ؛ وهذه أمتع اللذائذ جميعاً . لذلك كانت جاذبية الوجدان أقوى من أختيها ، فهى تغنى عنهما وهما لا تغنيان عنها . ولو تأملت فى هذه الأحاديث ( الحواديت ) التى سايرت الإنسانية من جيل إلى جيل ، وتذكرت فعلها الساحر فى قلبك وأنت صغير ، وجال ذكراها فى نفسك وأنت كبير ، لعلمت أن سر حياتها وقوتها ولذتها هو أن جاذبيتها من هذا النوع .

وأحسن القصص وأجوده ما اشتمل على أنواع الجاذبية الثلاثة . وشرط الجاذبية أن تتدرج فى أجزاء الموضوع فتبدأ ضعيفة ثم تنمو كلما نما العمل وتعقد الحادث حتى تنتهى مع الحل وقد استراح السامع ونقع نفسه . ومن ثم كان حقاً على الكاتب ألا يبوح فى البداية بما سيحدث فى النهاية ، وإلا أخطأه التوفيق وفاته التشويق وأعوزته الجاذبية . وإذا عرفت أن قوام الجاذبية فى القصص هو حسن تدرجها فيه ودقة توزعها فى مناحيه ناسب أن نعرض هنا إلى عناصره فنقول :

عناصر القصص الأساسية ثلاثة : العرض ، والتعقيد ، والحل:

فالعرض يقوم بإعداد ذهن القارئ أو السامع إلى موضوع القصه أو الرواية أو الملحمة ، فيصف مكان الحادث وزمانه ،

ويُعرّف الأشخاص وأخلاقهم ، ويذكر الحوادث التي سبقت القصة إذا كان هناك داع إلى ذلك . وقد يطول أو يقصر على حسب الموضوع ، ولكن أخص صفاته أن يكون سريعاً إلى الغرض بريئاً من المقدمات ، واضح المنهج ، سالماً من الحشو والتكلف ، داخلا في الموضوع ، خارجاً منه خروج الزهرة من الساق كما قال شيشرون . أما طريقته فتختلف باختلاف الحادث والظروف : فطوراً يلقى الكاتب بالقارئ في الموضوع دفعة واحدة ، ثم يسوق الحوادث الأولى ببراعة ودقة ؛ وطوراً يبتدئ منفجراً بعاطفة مكظومة منذ طويل؛ وقد يبتدئ بحكمة بليغة ، أو مثل سائر ، أو رسم طبوغرافي مشوق ، أو وصف تاريخي ممتع . والعبقرية الخالقة لا تُرسم لها الطرق ولا توضع لها القيود .

* * *

والتعقيد هو جسم القصة ، أو الموضع الذي تشتد عنده الجاذبية ، وتشتبك الحادثة ، وتمتزج الوقائع والأشخاص والظروف ، حتى يُشكل على القارئ الأمر ويعمى عليه الخبر فلا يعرف منه مخرجاً ولا يدرى له نتيجة . فخاصته كما رأيت تقوية الجاذبية وتنميتها ؛ ولا يتسنى ذلك للكاتب إلا إذا أسدل على النهاية حجاباً شفافاً ، ووقف القارئ بين الرجاء والخوف ، وجانب التطويل الذي يعوق سير العمل ، واحتفظ للنهاية بسرور المفاجأة أو دهشة الفجيعة

***

والحل هو الجزء الأخير الذي يبرد فيه الشوق وتحل العقدة وتظهر النتيجة . ولا بد أن يكون كل ما سبقه مهيئاً له وصائراً إليه ، دون أن يعلنه أو يدل عليه . فإن القارئ إذا حزره قل شوقه إليه وانقطع اهتمامه به . والشرط الأساسي لإجادة الحل ألا تزيد عليه ، لأن السامع إذا علم ما كان يجهله ، وأدرك ما كان يشغله ، قرت نفسه وخمد نشاطه ، فلا يريد أن يعلم شيئاً

ومن أحسن المُثل على دقة التعقيد وبراعة الحل قطعة من كتاب «الشهداء» لشاتوبريان سيد كتاب فرنسا يصف بها مقتل الشهيد «أودور» ، وقد حمل نفسه على أن يتجرع الغصة الأخيرة من عذابه الأليم دون أن يرتد عن دينه ، ولا أن يتزحزح عن يقينه ، حتى نمى إليه أن امرأته ( سيمودوسيه ) على وشك أن يحكم عليها القضاء بالعيش في مواخير الفجور إذا هو لم يقدم القربان إلى الآلهة . كان حبه لزوجه فوق حبه لحياته ، فهل يكون حبه لربه فوق حبه لزوجه ؟ ذلك ما لا ندريه

« أغمى على أودور . وأسرع الناس إليه ، والتف الجند من حوله ، واستولوا على الكتاب ، وطلب الشعب أن يُقرأ عليهم . فقرأه أحد النواب بصوت جهير . وظل الأساقفة سكوتاً والهين ، والمجلس يعج بالضجيج والحركة . عاد أودور إلى رشده ، فرأى الجند بين يديه يصيحون به : « هلم يا رفيقنا ، قرب القربان ، وهذه أعلامنا تقوم مقام الهيكل » ، ثم قدموا إليه قدحاً مملوءاً بالنبيذ ليريقه[1] . فثارت في قلب أودور عواصف الفتنة ، وتجاذبت رأيه عوامل الوساوس : كيف تصير «سيمودوسيه» إلى مواخير الفسق ؟ وكيف تصبح بين ذراعى « هيبروقليس[2] » ؟ نفج الشهيد صدره ، وانكسرت آلة عذابه ، فسال دمه غزيراً ، فضج الشعب وجثا إشفاقاً عليه ورحمة له ، وأخذ يهيب به مع الجنود : « قرب القربان ! قرب القربان ! » هنالك قال أودور بصوت خافت متهافت : أين الأعلام ؟ فقرع الجنود تروسهم علامة الفلَج والظفر ، وبادروا إلى أعلامهم فحملوها إليه . فنهض أودور يسنده حارس ، وتقدم حتى وقف أمام البنود ؛ وقد خشعت الأصوات وشمل السكون ، ثم تناول القدح فستر الأساقفة رءوسهم بفضل مسوحهم ، وصاح القساوسة صيحة الجزع . ولكن أودور رمى بالقدح ، وألقى بالأعلام ، والتفت إلى الشهداء وقال : أشهد أني مسيحى ! ! »

فأنت ترى أن جاذبية قوية استولت عليك وأنت تقرأ هذه القطعة ؛ لأن عزم أودور ظل مجهولا حتى نهاية الأمر . فلما طلب الأعلام بصوت خافت وقع في نفسك بعض ما وقع في نفوس الشهداء والقسيسين من الضيق والحزن . حتى إذا أهاب به القساوسة إلى الواجب وألقى بالقدح وقال : « أشهد أني مسيحى » تَفرّجتَ من الهم وتنفّستَ تنفس الراحة !

**احمد حسن الزيات**

(١) كان من عادة القدماء أن يريقوا الخمر قبل تقديم قربان .

(٢) أحد القضاة الرومانيين في عهد دقليانوس .

# أنا والإذاعة ...

للأستاذ علي الطنطاوي

[ أذيعت من محطة إذاعة دمشق يوم الاربعاء ١٥ — ٨ — ١٩٤٦ ] .

أيها السادة :

إني أشكو إليكم القائمين على هذه المحطة ، فقد ظلموني وظلموكم معي . جاؤوا بي لأحدثكم ، فحسبت أني سأدخل نادياً فيه ناس أراهم ، فأخاطبهم على قدر عقولهم ، فإن كانوا علماء كلمتهم كلام العلماء ، وإن كانوا من العامة خاطبتهم خطاب العامة ، فإذا هم يصعدون بي درجاً بعد درج حتى إذا كلّت رجلاي من الصعود ، وهممتُ بالرجوع ، قالوا : قد وصلنا ، فنظرت فإذا نحن في أعلى طبقة من ( عمارة البرق والبريد ) ، فتلفتُّ أنظر أين النادي الذي سأخطب فيه ؟ فما عهدت نادياً يبنى على رأس مئذنة ! وأين الناس ؟

وإذا هم يدخلونني من دهليز إلى دهليز ، حتى انتهيت إلى زاوية مظلمة ، فأشاروا إلى باب ، وقالوا : ( هُس ) ، إياك أن تتكلم ، أو تمطس ، أو تسعل ، أو تخبط برجلك ، أو تدق بيدك ، أو تُخَشْخِش (١) بأوراقك ...!

فقلت : فكيف إذن أتحدث ؟ أتريدون أن يكون حديثي إيماء وإشارة من غير كلام على لغة الخرسان ؟

قالوا : لا ، ولكن إذا جاء دورك تكلمت

وفتح الباب ، ودخلنا إلى غرفة صغيرة كأنها الصندوق المغلق ، لا شباك ولا باب ولا نافذة ولا كوّة ولا شقّ لدخول الهواء ، ورأيت فيها مكتباً ما عليه إلا علبة قائمة على عمود من الحديد ووراءها مرآة ، وقد وقف أمامها شاب يصوّت أصواتاً بعضها يخرج من حلقه وبعضها من صدره وبعضها من بطنه ، ويتخلّع ويتلوّى مع النغمات ، وقد يأتي بكلمات يلقيها إلقاء بلا نغم ، ووراءه رفاق له يضربون بأعوادهم ويزمّرون ، فأجهدت ذهني خمس دقائق كاملات لأعرف ما ذا يصنع هذا الرجل : أيغني أم يخطب ، أم هو مصروع معتوه يخلّط ، أم يتكلم بلسان أهل مالطة ، فلم أهتد إلى حقيقته ، ثم سكت ، وتقدم من العلبة أحد موظفي المحطة فقال : لقد انتهت الحفلة الموسيقية ...

فقلت : إذن هي حفلة موسيقية ؟ !

سبحان القادر على كل شيء !

وأقبل الموظف عليّ ، فأشار بيده إلى حيث كان يقف الشاب صاحب الأصوات المختنقة ، فقلت : ما ذا ؟ أأعمل أنا أيضاً حفلة موسيقية ؟

قالوا : هسْ ! هسْ !

وأدار مفتاحاً كمفتاح الكهرباء ، وجعل يكلمني بلسانه بعد أن كان يتكلم بيديه . وقال : تفضل يا أستاذ ، اقعد وتكلم !

قلت : أتكلم مع من ؟ أين الناس ؟ أين المستمعون ؟ !

قال : تكلم هنا ... وأشار إلى العلبة

قلت في نفسي : أعوذ بالله من شر هذه الغرفة ! لقد حسبتها سجناً مغلقاً ، فإذا هي مارستان ! أأكلم علبة ؟ أمجنون أنا ؟ ونظرت في المرآة فوجدت صورتي متغيرة .. أهذا أنا ؟ وأنعمت النظر ، فإذا الذي حسبته مرآةً لوحُ زجاج بيننا وبين الغرفة الأخرى ، فنحن نرى من فيها ، ولكن لا نسمع أصواتهم ، فاجتمعت عليّ هذه الليلة المتناقضات : هنا أشخاص أراهم ولا أسمع أصواتهم ، وهنالك صندوق تخرج منه أصوات أسمعها ولا أرى أهلها ، وبحثت عن مهرب فلم أجد ، وفتشت عن نصير فلم ألقَهْ ، وما حولي إلا شباب جدد ، وموسيقيون معهم أعوادهم ، وأنا الشيخ ... الوحيد ... في هذه العصبة ، بعمامتي و ... وكدت أقول ، ولحيتي ، ثم ذكرت أني تركت اللحية عند الحلاق ... !

فاستسلمت للمقادير ، وقعدت ، والعرق يسيل على عنقي ووجهي ، وشرعت أكلم العُلبة كالمجانين ، خوفاً من أن يحل بي هذه الليلة ما هو أعظم !

نعم . لقد ظلمت ، أيها السادة ، وظلمتم معي ، لأن أكثركم يؤثر ( عتابا ) بلدية ، أو ( قوّادية ) نقدية ، أو أغنية شاكية باكية ، ميّتة مميتة ، لا شرقية ولا غربية . من أغاني عبدالوهاب

(١) من العامي الفصيح

على كل ما فى الدنيا من محاضرات ، ولكنكم تستطيعون أن تديروا مفتاح الرادّ ، فتتخلصوا منى ومن محاضرتى ، وتبعثوا إلىّ بما يوحيه إليكم نبلكم وكرمكم من الشتائم واللعنات التى لا أسمع منها شيئاً ، ولكن المصيبة علىّ أنا ، لقد حُبست فى مارستان ، لا أخرج منه حتى أكلم علبة من حديد ربع ساعة لا تنقص ثانية ولا تزيد !

فلنستعن بالله ، ولنتحدث ...

ولكن خبرونى أولا : هل تسمعون كلامى حقيقة ؟ !

أما أنا فلا أصدق أنكم تسمعون منى ، وكيف يسمع من هو فى المهاجرين وحمص وحلب والقاهرة وطهران ما لا يسمعه هذا الأخ الجالس أمامى وراء الزجاج ، والذى يبدو عليه أنه لا يدرى ما ذا أقول ، فلا يبتسم ، ولا يعبس ، ولا يفتح عينيه ، ولا يرفع حاجبيه ، ولا يصنع شيئاً يدل على أنه سامع ، وهذا من نعم الله علىّ ، فلو سمعنى أتكلم عنه لما نجوت منه بسلام !

فإذا كنتم تسمعون ( يا سادة ) كلامى ، فأشيروا إلىّ ، أو صفقوا ، أو قربوا أفواهكم من ( الرادّ ) وصيحوا — إنى انتظرت فلم أسمع صيحتكم ، فلم يبق إلا أن أصنع كما صنع زميلنا المحترم ( جحا ) ، حين أذّن ونزل من المنارة يعدو ، قالوا : إلى أين يا جحا ؟ قال : أريد أن ألحق صوتى فأنظر إلى أين وصل ؟

ولنفرض أنكم سامعون ، فبمَّ أحدثكم ؟ ومن لى بالحديث الذى يرضيكم جميعاً : العالم منكم وغير العالم ، والرجل والمرأة ، والكبير والصغير ، وأى معلم يستطيع أن يلقى درساً واحداً يفهمه تلميذ المدرسة الأولية وطالب الجامعة ومن بينهما ويرضون عنه ويعجبون به .

لقد فكرت طويلا ، وحشدت قوى نفسى كلها ، وما تعلمت من علم وما حفظت من مسائل ، لآتيكم بحديث يدهشكم حتى تقولوا : ما شاء الله كان ! ما هذه المحاضرة ؟ شىء عظيم جداً ، ولكنى لم أستقر على موضوع ...

قلت : الدنيا الآن فى رمضان ، وخير الأحاديث حديث الدين ، وما أسهل الكلام فى الدين فى هذه الأيام وما أيسر أن يجعل المرء نفسه مجتهداً ، وأن يرى الرأى المخالف لأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل والليث بن سعد والأوزاعى ، وكل مجتهدى الأرض فيتمسك به ويخطّئ المخالفين له : من كان منهم ومن سيكون إلى يوم القيامة . ولم لا ؟ إنه رجل وهم رجال ، والساعاتى والنجار والموسيقى رجال أيضاً ، فلما ذا لا يكونون أئمة مجتهدين ، ما دام العلم بالعربية نحوها وصرفها وبلاغتها ، والفقه أصوله وفروعه ، والتفسير والحديث ليس شرطاً فى الاجتهاد؟

وما دامت الحكومة تمنع غير الطبيب أن يكتب صفة دواء ، وغير المهندس أن يرسم مصور بناء ، وتدع من شاء يتكلم فى الدين والأدب بما شاء ؟ وما دام كل ما يحتاجه الرجل فى هذه الأيام ليكون واعظاً مرشداً يقتدى به ويستمع لقوله ، وتقبل يده ويُتمسحُ بذيله ، أن يعرّض لحيته ، ويكوّر عمته ، ويوسع جبته ، ويطوّل سُبحته ، ويتكلم كلاماً تقبله العامة ، ولو خرّف وخلّط وضلّل ، وأكل الدنيا بالدين ، واستغل غفلة الغافلين ، لا يسأله سائل عما يفعل أو يقول !

لا ... لن أتكلم فى الدين ، فالكلام فيه شديد الخطر ، فأنا أخشى أن أقول الحق فأغضب الناس ، أو أقول الباطل فأسخط الله . ثم إنى طلبت الليلة مرضاة السامعين ، وأكثر السامعين لجهلهم بالدين ، ولطول ما رأوا من أدعياء العلم فيه ، منصرفون عنه زاهدون فى حديثه ، حتى الأتقياء الصالحون منهم ، الذين يتمسكون فى رمضان بدينهم ، فيقضون نصف النهار فى (الأموى) نائمين يشخرون وينخرون[1] أو متحلقين حلقاً يمزحون فى الجامع ويضحكون ويكذبون ويغتابون !

فلنتكلم فى الأدب ، فالأدب أسلم عاقبةً ، وأوسع حريةً ، وهو هيّن علىّ وعلى غيرى ، وقد صار الأدب الآن كوصل ليلى كلٌّ يدّعيه ، وكل من يستطيع أن يكتب كلاماً فى ورقة ، ويجد صفافاً يصفُّ له حروفه ، وصاحب جريدة ينشره ، فهو كاتب بليغ ، وكل من يأتى بلفظ موزون أو شبه موزون فهو شاعر مُفلق ، وكل من يحفظ خبراً عن أبى تمام والمتنبى ، أو هوغو ولامارتين ، أو شكسبير وملتون[2] ، فهو أديب أريب ، وكل من عاب كاتباً كبيراً بحق أو بباطل فهو ناقد محقق ، ومن عجز عن أن يفكر كما يفكر أبناء آدم عليه السلام ، ويتكلم كما

(١) من العامى الفصيح .
(٢) لأن المودة تحولت بعد الجلاء من باريس إلى لندن

صور من العصر العباسي :

# الخلفاء العباسيون والتجسس

للاستاذ صلاح الدين المنجد

— ٢ —

وثمة خليفة آخر أولع ببث العيون ، وتسقط الأخبار ، حتى على وزرائه وخاصته ، وهو المعتضد . وقد أورد التنوخي قصة تدل على مبلغ شغف هذا الخليفة بالتجسس ، ومهارة المتجسسين في ذلك العصر . فقد كان القاسم وزيره يحب الشرب واللعب ، ويخاف أن يتصل بالخليفة خبره فيستنقصه وينسبه إلى الصبوة والتهتك والتشاغل في اللذات عن الأعمال . وكان لا يشرب إلا على أخفى وأستر ما يكون . فخلا يوماً مع جوارٍ مغنيات ، ولبس من ثيابهن المصبّغات ، وأحضر فواكه كثيرة وشرب ولعب من نصف النهار إلى نصف الليلة الأخرى ، ونام بقية الليلة ، وبكر إلى المعتضد للخدمة على رسمه ، فما أنكر شيئاً . وبكر في اليوم الثاني ، فحين وقعت عين المعتضد عليه قال له : يا قاسم ، ما كان عليك لو دعوتنا إلى خلوتك وألبستنا معك من ثيابك المصبّغات ؟ فقبّل الأرض وروى عن الصدق ، وأظهر الشكر على هذا التبسط ، وخرج وقد كاد يتلف غمّاً لوقوف المعتضد على هذا القدر من أمره ، وكيف لا تخفى عليه مواقفه . فجاء إلى داره كئيباً ، وكان له في داره صاحب خبر يُقال له خالد يرفع له أمورها ، فأحضره وعرّفه بما جرى بينه وبين المعتضد ، وقال له : إن بحثتَ لي عمن أخرج هذا الخبر زدتُ في رزقك وأجزتك كذا ، وإن لم تعرفه نفيتُك إلى عُمان ، وحلف له على الأمرين . فخرج صاحب خبره من حضرته متحيراً كئيباً لا يدري ما يعمل ، وأخذ يفكر ويحتال ويجتهد . قال صاحب الخبر : فلما كان من الغد بكرتُ إلى دار القاسم زيادة تبكير على ما جرى به رسمي لفرط سهري وقلقي تلك الليلة وتحبتي للبحث ، فجئتُ ولم يُفتح باب دار القاسم بعد . فجلست . فإذا برجل يزحف في ثياب المكدين ومعه مخلاة كما يكون مع المكدين . فلما جاء

يتكلمون ، ففكر تفكيراً غير آدمي ، وتكلم كلاماً ليس بإنساني ، فهو شاعر رمزي ، وإن في الرمزية متسعاً لجميع الأغبياء والأدعياء . وإذا شكا القراء أنهم لا يفهمون هذا الأدب الرمزي ، فالقراء جاهلون رجعيون جامدون !

لا — يا سادة — إن الأدب امتُهن وابتُذل ، فلن أتكلم في الأدب !

أفأتكلم في السياسة ؟ إن السياسة في بلدنا أن ينتقد الرجل قوانين الحكومة ، ويتكلم في رجالها ، ويتهم كل أمين يكرهه بالسرقة ، ويصف كل سارق يحبه بالأمانة ، ويكون له رأي في الملك عبد الله ، وابن السعود ، واتلي ، ومولوتوف ، وترومان ، ويرسم أحسن الخطط لمحاربة الغلاء ، وتنظيم ملاكات الموظفين ، وحل مشكلة فلسطين ، وإدارة ألمانيا المحتلة ، ويقترح وجوه الإصلاح للجامعة العربية ، وهيئة الأمم المتحدة ، ولو كان تاجراً أمياً ، أو سائق ترام ، أو شيخ ضيعة ، يضع بصمة إبهامه مكان التوقيع على دفاتر الانتخابات !

لا ... لن أتكلم في السياسة ، أفأتحدث إليكم في الفلسفة ؟ لقد اشتغلت بها حيناً ، وأنا أستطيع أن أتفلسف متى أردت ، ولا يكلفني ذلك إلا أن أقول ما لا أفهمه أنا ولا القراء ، وأن أنظر كل ما تواضع عليه الناس من أفكار وعادات ، فأقيم لهم أدلة غامضة لا تدرك ، على أنه خطأ وأن الصواب هو عكسه !

وبعد — يا أيها السادة — فاعلموا أن وقت حديثي قد انتهى ، وأني قد خدعت القائمين على المحطة ، فأطعمتهم وكلمت العلبة ربع ساعة ، وقبضت الأجرة ، ولم أقل شيئاً . وكذلك يكون الرجل الناجح في هذه الأيام ، يأخذ الأجرة من غير عمل ، ولنا في ساداتنا العلماء الأعلام مدرسي دائرة الفتوى قدوة غير حسنة ...

هذا ، وأنا لا أدري هل يدفعون لي أجرة ، أم أنهم سيكتفون بشكري الجزيل ... فإذا أعطونا شيئاً ربحناه ، وإلا فحسبنا أننا لم نعطهم شيئاً نندم عليه !

ولا تعجبوا — ياسادة — فكل الناس تاجر يعرض بضاعته ، ونحن معشر الأدباء بضاعتنا الكلام ، وكل كلام له ثمن ، فهاتوا كثيراً تسمعوا جيداً ، وإلا فالبضاعة كلها من هذا النوع !

( دمشق ) **علي الطنطاوي**

إلى الباب جاس حتى فُتح ، فسابقنى إلى الدخول ، فأولع به البوابون وقالوا : أى شىء خبرك يا فلان ؟ وصفعوه فمازحهم وطايبهم وشتمهم وشتموه ، وجلس فى الدهليز فقال : الوزير يركب اليوم ؟ قالوا : نعم ... الساعة يركب . قال : وأى وقت نام البارحة ؟ قالوا : وقتَ كذا . فلما رأيتُه يسألُ عن هذا خمّنتُ أنه صاحب خبر ، فأصغيتُ إليه ، ولم أرهم يحفلون بأمره . وهو لم يدع بواباً ممن وصل إلى الوزير وممن لم يصل إلا سأله عنه ، وكان يبدأه بأحاديث أُخر على سبيل الفضول ، ثم زحف فدخل إلى جنب أصحاب الستور ، فأخذ معهم فى مثل ذلك ، وأخذوا معه فى مثله . ثم زحف فدخل إلى دار العامة . فقلتُ لأصحاب الستور : من هذا ؟ قالوا : رجل زَمِنٌ فقير أبله طيب النفس ، يدخل الدار ، ويتطايب ، فيَهب له الغلمان والمتصرفون . فتبعتُه إلى أن دخل المطبخ فسأل عما أكل الوزير ، ومنْ كان معه على المائدة ، وفى أى شىء أفاضوا ، والطباخ وغلمان صاحب المائدة كل واحد يخبره بشىء ، ثم خرج يزحف حتى دخل حجرة الشراب ، فلم يزل يبحث عن كل شىء ، ثم خرج إلى خزانة الكسوة ، فكانت حالته وصورته هذه . ثم جاء إلى مجلس الكتاب فى الديوان ، فأقبل يسمع ما يجرى ، ويسأل الصبى بعد الصبى ، والحدث بعد الحدث ، عن الشىء بعد الشىء ، ويخلط الجد بالمزاح والتطايب بكلامه والأخبار تنجرّ إليه ، وتتساقط عليه ، والقطع تجيئه وهو يملأ تلك المخلاة ، فلما فرغ من هذا أقبل راجعاً . فلما بلغ الباب تبعتُه ، فرجع حتى جاء إلى موضع من الخلد فدخل إليه ، فوقفت أنتظره ، فإذا هو بعد ساعة قد خرج بثياب حِسانٍ ماشياً ... فتبعتُه حتى جاء إلى دارٍ قرب دار الخادم الموكل بحفظ دار ابن طاهر فدخلها ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه دار فلان الهاشمى ، رجل متجمّل . فرصدته إلى وقت المغرب ، فجاء خادم من دار ابن طاهر فدق الباب ، فكلمه من خوخة له ، فصاح به ، ورمى إليه برقعة لطيفة ، فأخذها الخادم وانصرف . فبكرت من سحر إلى الدار التى فى الخلد ، ومعى غلمان ، فإذا أنا بالرجل قد جاء بزيه الذى دخل به داره ، فكبستُه فى الموضع ، فإذا هو قد نزع تلك الثياب ولبس ثياب المكدين التى رأيتها عليه أولا ، فحملته وغطيت وجهه وكتمتُ أمره حتى أدخلته دار القاسم ودخلتُ إليه وقصصتُ عليه الخبر .

فاستدعاه وقال : لتصدقَنّى عن أمرك أو لا ترى ضوء الدنيا ولا تخرج من هذه الحجرة . قال : تؤمنى ؟ قال : أنت آمن . فنهض وقال :

« أنا فلان بن فلان الهاشمى ، رجل متجمّل ، وأنا أُخبّر عليك للمعتضد منذ كذا ... ويُجرى علىّ المعتضد خمسين ديناراً فى الشهر ، أخرج كل يوم بالزى الذى لا ينكره جيرانى ، فأدخل داراً فى الخلد بيدى منها بيت بأجرة ، فيظن أهلها أنى منهم ، ولا ينكروننى لزيى ، فأخرج هناك بهذه الثياب وأتزامن من الموضع ، وألبس لحية فوق لحيتى مخالفة للونى ، حتى لا يعرفنى من يلقانى فى الطريق ، وأمشى زحفاً إلى دارك ، فأعمل جميع ما عرفت ، وأقتنى أخبارك من غلمانك ، وهم لا يعرفون غرضى ، ويُخرجون لى بالاسترسال ما لو بُذل لهم فيه من الأموال الكثير لم يُظهروه ، ثم أخرج إلى موضع من الخلد فأغيّر ثيابى ، وأعطى ما اجتمع معى فى المخلاة للمكدين ، وألبس ثيابى الحسان ، وأعود إلى منزلى ، فإذا كان المساء جاءنى خادم من خدم ابن طاهر مندوب لهذا ، فأرمى إليه برقعة فيها خبر ذلك اليوم ولا أفتح له باباً ، فإذا كان آخر الشهر جاءنى فأعطيته الرقعة ويعطينى الجائزة ... ! »

قال صاحب الخبر : فحبسه القاسم أياماً فحسبه أهله أنه مات ، فأقاموا عليه المآتم ، فدخل القاسم على المعتضد فقال له : ابراهيم الهاشمى الترامى ، بحياتى أطلقه وأحسِن إليه .. وأنتَ آمن من بعدها من أن أنصب عليك صاحب خبر

فتركه القاسم ، وانقطعت أخباره عن المعتضد[1]

فهذه قصة رائعة طريفة تدلك على مبلغ حب المعتضد تسقط الأخبار ، ومبلغ مهارة أهل ذلك العصر فى الحيلة والبراعة فى التجسس ، وهى قصة لا تحتاج إلى تعليق ، فما قرأت فى بابها فى كتبنا القديمة أشوق منها ولا أحلى

ومن هذه القصة ، ومن الأخبار التى سردتها لك فى العدد الماضى — من قبل — ترى ما كان للتجسس من شأن عند الخلفاء العباسيين . أما عناية الوزراء بالتجسس وتحسس الأخبار ، فسأبينه فى مقال آت

جديتا ( لبنان ) **صلاح الدين المنجد**

(١) انظر الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٩٢ وما بعدها

إلى المجمع اللغوى :

# الأسماك فى الشواطئ الحضرمية

للأستاذ على عبود العلوى

تمهيد :

لا شك أن وجود الأسماك بكثرة فى الشواطئ الحضرمية هو الحافز الأعظم لبعض مفكرى الحضارمة فى السعى وراء تأسيس شركة تجارية بمهجر الحضارمة ( جاوة ) من غايتها استغلال الثروة الوطنية وتنميتها بإنشاء مصنع لحفظ الأسماك فى العلب وتصديرها فيما بعد إلى الخارج .

ولا غرو أن يهتم بالسفر إلى ميناء حضرموت ( المكلا ) رئيس الشركة السيد على بن شهاب لدرس ما يقتضيه المشروع ورفع تقرير لأعضاء الشركة . غير أن المشروع أخفق فى مسعاه ولا أعرف بالضبط ما هى الأسباب الموجبة لذلك .

وتاريخ هذه الخطوة التفكيرية الأولى يرجع إلى أثناء الحرب الماضية حرب ( ١٩١٤ م ) على ما أذكر[١] .

ولئن أخفق هذا المشروع فإنه لم يقض على الفكرة أصلا . وغاية ما فى الأمر أنها تنبعث مرة وتخفت أخرى . حتى دبّ إلى النفوس خبر انعقاد مؤتمر الإصلاح الحضرمى المنعقد بسنغافورا فى سنة ١٣٤٦ — ١٩٢٧ فانبعثت الفكرة مرة أخرى ، ولكن فى صورة واسعة النطاق . إذ وافق المؤتمر على تأسيس شركة تجارية حضرمية برأس مال كبير من غايتها استغلال الثروة الوطنية ، ورشح لهذا القرار لجنة تتألف من أغنياء الحضارمة وسراتهم برئاسة المثرى الشهير السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف . غير أن مقررات المؤتمر قضى عليها بجرة قلم ولم تكن هى من نصيب بحثنا لنوليها مزيداً من البحث والتعليل والتدليل .

ودليل آخر أضيفه إلى ما سبق أن أشرت إليه فقد حدثت بعد عودتى إلى الوطن من السكنافورة فى ١٩٤٢/٨/١١ من رحلتى التى استنفدت من العمر زهاء خمس عشرة سنة أن عظمة السلطان صالح بن غالب القعيطى معتزم إنشاء حوض كبير لتربية الأسماك والاستفادة منها علمياً .

فمتى يتحف عظمة السلطان شعبه الحضرمى بهذه المكرمة الجليلة التى لم تكن هى إحدى مكارمه ؟ فعسى أن يكون ذلك قريباً .

معجم للأسماك :

واغتنمت فرصة وجودى فى ( المُكلاّ ) للتعرف إلى أبناء الثغر الحضرمى ، وقد لقيت منهم تأهيلا كبيراً ، وممن تحدثت معه عن وضع معجم للأسماك الأستاذ عبد الله الناخبى فهش للفكرة — وقال : إن نفس هذه الفكرة قد سبق أن أوحى بها إليه عظمة السلطان صالح القعيطى ، ومن أجل ذلك فإنه دائب فى البحث ، وأنه قد كتب مذكرة عن الأسماك تضم زهاء مائتين وخمسين اسماً .

ولا أزال أرجو من الأستاذ الناخبى أن يجد فى البحث لكى يتحف العالم العربى بثمرات أبحاثه .

غير أنى أخشى أن تقعد بالأستاذ الناخبى أعماله المدرسية وشواغله اليومية . فقد اتضح لى أنه طيلة المدة التى قضيتها فى حضرموت وهى سنة وثلاثة أشهر لم يقدر له أن يواصل البحث الذى سبق أن حدثنى عنه بشىء يذكر .

وقبل أن نتجه إلى الغاية المقصودة يجدر بنا الإشارة إلى أن للسيد الشاعر عبد الرحمن بن محمد بن شهاب الدين العلوى المتوفى فى حدود سنة ١٢٧٠ هـ قصيدة طويلة ضمنها أسماء الأسماك الموجودة بالشط الحضرمى ، ولم تقع هذه القصيدة تحت نظرى وإنما حدثت عنها وهى مشهورة بحضرموت وموجودة منها نسخ فى مهجر الحضارمة . جاوة ، ولن تخلو منها مكاتب حضرموت ، ولا شك أنها من محفوظات خزانة حفيده السيد الجليل عبد الرحمن بن عبد الله بن شهاب فى ( الغناء ترم ) .

فهل يتحف بها « الرسالة » الغراء أحد أدباء القطر الحضرمى ؟

ومما وقع تحت نظرى له وأنا فى سن المراهقة قصيدته المشهورة التى وصف فيها المرأة وخصها بالمفاضلة ما بين البيض والسمر والخضر والسود .

---

(١) فى جريدة الاقبال التى كانت تصدر ( بسرابايا ) جاوة — إشارة إلى هذا الخبر وهى لا تحضرنى الآن .

فياهل ترى وصف لنا الصهب والزرق إلى غير ذلك ؟ لا أدرى فذلك عهد طال به العهد ولم يبق عالقاً ببالى منه شىء .

ومن قصـائده المشهورة فى المفاضـلة قصيدته التى خصها بالنخل ويقال إنه ذكر فيها زهاء مائتين وخمسين اسماً من أسماء النخيل الموجودة بحضرموت .

ومما علق بذاكرتى منها قوله يصف نوعا من النخل يسمى باليتيمة :

وعَادْ تمر اليتيمْة ، يُعجبَك خُزْعُهْ وصَنْيمهْ تقدُومْ لأهْـل التـفخَّـار . التخميس ( ماشىء كما التمرْ فى الدار ) .

( الألفاظ : عادْ . بمعنى بَقى . والخزْعُ من التمر ما أخرج نواه . الصَّنْيمْ : هو ما أخرج نواه أيضاً ، وهُرِسَ بالأرجل كما هو معروف فى حضرموتْ . أهل التـفخارْ : هم الضيوف الذين يفدون على بيوت الـكرم ممن يفخر بهم )

وأكثر أشعار هذا السيد ( حُمَيْنِيَّةْ ) أى أنه لم يلتزم فيها قواعد الإعراب ولها عروضها الخاصة لأنها تتابع الأنغام .

وهذا السيد هو والد الشاعر الـكبير شيخ النهضة الحضرمية أبو بكر بن شهاب ( راجع « الرسالة » الغراء عدد ٤٢٣ صفحة ١٠٠٧ ) ومؤلفنا عنه ( الشهاب العلوى ) .

وأخيراً أتاحت لى الفرص التعرف على أسماء جانب من الأسماك ، وذلك بفضل الرحلة الشاقة التى دفعت ثمنها بالمخاطرة الروحية .

إذ أقلتنى من ميناء حضرموت ( المـكلا ) إلى ( جـدة ) ساعية شراعية . حقاً إن هـذه الرحلة شاقة مضنية ولـكنها تذكرنا بآثار آبائنا الصِّيد الذين كانوا يخترقون البحار بمراكبهم الشراعية ، وكانت لهم السيادة البحرية إذ ذاك .

وكانت بواخرهم تقلع من مـوانى حضرموت إلى أقاصى الشرق الاقصى ، ولهم فى هذا الميدان تاريخ عظيم القدر مشهور بمكانته العظيمة ، ولهم مع البرتغال مواقف مشهورة ليس هذا موضع الحديث عنها .

وكان علماؤهم لا يدعون الأوقات تمر عليهم سدى فـكانوا يحصلون العلم وهم فى أثناء سفرهم الذى يمتد بهم إلى أكثر من ستة أشهر إلى أن يصلوا إلى الموانى الشرقية بجزر الملايو وجاوة .

وفوق هذا فقد كانوا يقضون على السآمة التى تعقب مثل هذه الرحلات الشاقة بمـا يتفرغون له من دروس علمية أثناء سيرهم واستنساخ بعض الـكتب العلمية التى هم فى حاجة إليها .

وعسى أن تتاح لى الفرصة فأوافى « الرسالة » الغراء ببحث خاص ذا صلة بالموضوع ، ومن كان متعجلا فليراجع ما ورد بهامش مقال لنا نشر فى عـدد ٢٣٤ من مجلة الرابطة العربية تحت عنوان : خصائص الشعر فى عصر ابن شهاب أو بيل غلته بمراجعة تاريخ دخول الإسلام إلى ( الفليبين ) وهو من تأليف الدكتور نجيب صليب اللبنانى المتوفى سنة ١٩٣٥ ، وهو مطبوع فى اللغة الانجليزية طبع ( مينلا ) سنة ١٩٠٥ م

لقد كانت المدة التى قضيتها فى البحر من حين أبحرنا من ( المـكلا ) بعد ظهر يوم الأحد فى ١٩٤٣/١١/٧ إلى أن أرست بنا السفينة فى ميناء ( جدة ) فى ١٩٤٣/١١/٢٥ هى الـكفيلة بأن تتيح لى ما لم يكن فى الحسبان .

وكانت الدواعى التى تجعلنى أهتم بالبحث فى التعرف على أبناء اليم كثيرة ، ولو لم يكن منها إلا المتعة الغذائية التى يتحفنا بها اليم فى صباح كل يوم ومسائه لـكانت هى وحدها كافية فضلا عن الناحية العلمية التى يجدر بنا أن نشارك فيها بحسب المستطاع .

لفتت نظرى هذه الأحياء المظيمة التى نشاهدها فى البحر فى كل آن ، وهى تمشى زرافات ووحدانا ، والتى منها ما يتحدى سفينتنا فى مجراها . فـكاشفت ربان السفينة الحضرمية والبحارة وزملاؤهم أن لى شغفاً بالتعرف على هذه الأسماك مما شاهدنا وما لم نشاهد . فما كان منهم إلا أن أمدونى بهذه المعلومات التى أدونها « للرسالة » الغراء ، ولهم علىَّ فضل التنويه والشكر .

ولم يحجم أبناء البحر — أستغفر الله — بل أخدانه عن الحديث إلا ريثما أدون ما يفوه به المتصدى للحديث ، وكنت أدقق فى ضبط الألفاظ غاية التدقيق حتى إذا ما أشكل علىَّ لفظ استعدته مرة أخرى . هذا ما كان من جانبى ؛ أما ما كان من جانبهم فانهم كانوا مرهفين أسماعهم لحدثى . فإذا ما قدم أو أخر نبهوه إلى غلطه فى الحال .

فـكانت لدى متعة روحية طيلة الساعتين التى قضيتهما فى العوم مع الأسماك .

( يتبع ) علي عبود العلوى

# وردة اليـــازجى

للأستاذ يوسف يعقوب مسكونى

— ١ —

نحن جديرون بأن نعنى بمآثر الشاعرات العربيات من بنات قومنا فى القديم والحديث . فبهذه العناية نؤدى بعض ما لهن من الحق علينا فى مضمار الشعر واللغة، وضربهن بسهم وافر فى إظهار شعورهن نحو لغتهن وبنات أمتهن ، ومنهن الحديثات ممن تتبعن خطط سابقاتهن فنسجن نسيجاً يليق بنا أن نطلع القراء على ما يتيسر إيراده فى هذه المجالة فنحفظ لهن ذكراً باقياً حافزاً لغيرهن من النساء أن يسلكن هذا المسلك الظريف الطريف فيكن أوتاراً موسيقية لأبناء الجيل وبناته . وهذه الشاعرة وردة بنت الشيخ ناصيف اليازجى من شاعرات أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . كان أكثر شعرها رثاء وذلك للنكبات التى حلت بهذه الشاعرة المسكينة فانهالت عليها كالسهام لأنها نكبت بكل إخوتها وأختها وأبيها وابنها وابنتها وزوجها . فبكتهم بكاء الخنساء على إخوتها وأولادها ، وحذت حذوها فى نسق الرثاء وذكرتها مراراً فى قصائدها المملوءة من النواح ، وهذا ديوانها « حديقـة الورد » طافحاً بالمراثى والمآتم والدموع المسكوبة على من فقدتهن من أفراد أسرتها الأعلام ، وغيرهم من الأفاضل الكرام .

***

أما سيرتها : فقد ولدت فى كفرشيحا فى لبنان فى العشرين من شهر يناير من سنة ١٨٣٨م (١٢٥٣هـ) ثم انتقل والدها إلى بيروت وأدخلها مدرسة البنات للمرسلين الأمريكيين. ولما بلغت الثانية عشرة لقنها والدها أصول الصرف والنحو والبيان والعروض فنبغت فيها ، ورآها والدها مطبوعة على الشعر فرشحها له فنظمت عدة قصائد وهى لم تناهز الرابعة عشرة . ثم أخذت تكثر من النظم والرثاء والمديح وغيرها ، وقد أجادت فى الرثاء كما قلنا لما منيت به أسرتها من المصائب الفاجعة . وقد اقترنت بفرنسيس شمعون سنة ١٨٦٦م وصرفت أكبر قسم من حياتها فى مصر فى مدينة الاسكندرية ، وتوفيت فيها فى الثامن والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٢٤ م (١٣٤٢هـ) ، ونعرف بأنها أول امرأة نبغت فى الأدب العربى فى القرن التاسع عشر ، وتظهر كتاباتها مقدرة عظيمة فى طريقة التركيب على نمط والدها ، ومحتويات أشعارها قصائد تنطق بظروف ذات علاقة متينة بتاريخ عائلة اليازجى . ولها مع أديبات عصرها فى سوريا ومصر وبغداد مساجلات ومراسلات تنم عن لطف وبراعة فى التعبير ، ونشرت عدة من المقالات بعضها فى مجلة الضياء تناولت فيها قضية المرأة الشرقية وغيرها ، وغلب على نظمها مسحة الشعر اليازجى فى السهولة والرقة ، وقد عمرت طويلا . وممن كتب عنها من الغربيين المستشرق بروكلمن ( Brockelnan GA L11495 ) وأما الشرقيون فكثيرون[1] نخص بالذكر منهم الأب لويس شيخو اليسوعى ( ملاحظات شيخو : التاريخ ص ٤١٥ — ١٦ ونفس الفهرست ص ٢١٣ العدد ٨٢٩ ) ومحاضرات الآنسة مى ( مريم زيادة وقد خصصتها بها وقد طبعت فى القاهرة فى مطبعة البلاغ المحتوية على اثنتين وستين صفحة مع الرسم ) . أما ديوانها « حديقة الورد » فقد طبع مرتين فى بيروت سنة ١٨٦٧م ، سنة ١٨٨١م وفى القاهرة للمرة الثالثة سنة ١٩١٣ م ( ١٣٣٢ هـ ) وزيد على طبعته الأخيرة كثير من القصائد النادرة لهـا . وأما شعرها فينقسم قسمين : الرثاء والمديح، ولنبدأ الآن بالمديح . فمن ذلك أن قالت فى جواب أبيات وردت عليها من وردة بنت الملم نيقولا الترك الشاعر فى مطلع ديوانها :

ياوردة الترك إنى وردة العرب فبيننا قد وجدنا أقرب النسب
أعطاك والدك الفن الذى اشتهرت
ألطافه بين أهل العلم والأدب

وقالت فى جواب رسالة إلى الست كانبة بنت مومى بسترس وفى هذا تورية لطيفة لأن اليازجى بالتركية يعنى الكاتب :

(١) معجم المطبوعات ليوسف اليان سركيس ص ١٩٣٩ — ٤٠ مادة يازجى ، قاموس تراجم الأعلام لخير الدين الزركلى ج ٣ ص ١١٣٤ فتاة الشرق ، مجلة الآثار المجلد الثانى . بلاغة النساء لفتحية محمد . تاريخ الصحافة لفيليب دى طرازى ، مجلة سيدات والرجال السنة الخامسة أعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام لعمر رضا كحالة ج ٣ ص ١٦٠٠ — ١٦٠٤ ط دمشق ، المعلمة الاسلامية المجلد الرابع ص ١٢٣٦ مادة يازجى المقتطف المجلد الرابع والستون ج ٢ ص ٢٣٩ .

بينى وبينك فى الأسامى نسبة لا فى المعانى أنت فوق مراتبى
سميت كاتبة بكل لياقة وأنا كما تبغين بنت الكاتب

وقالت وقد عادت صديقة لها من سفر :

زار الحبيب فزار أجفانى الكرى ودنا سرور كان عن قلبى سرى
لا تنكروا إن غاب عنى مرة
شيم الكواكب أن تغيب فتظهرا

ثم تقول :

أهلا بمن أخذ القلوب وديعة وأعادها معه تخوض الأبحرا[1]

وقالت فى رسالة إلى صديقة لها وقد كانت فى سفر :

منى السلام على الذى هجر الحمى فجرت دموعى كالسحائب عندما
الشوق زاد من البعاد تحسراً والنوم صار على العيون محرما

ثم هى تقول فيها :

يا راحلا أضحى فؤادى عنده وبقيت من وجدى أراعى الأنجما

وكذلك قالت :

منى السلام إلى من سار فى السحر وبدّل العين بعد النوم بالسهَر[2]

وقالت وقد بعثت بها إلى إحدى صواحبها وقد كانت فى سفر :

رحل الحبيب وحسن صبرى قد رحل
فمــتى يعود إلى منازله الأول
وتفىء أرض أظلمت من بعده وتقر عينى باللقا قبل الأجل

ثم تقول :

قد قل صــبرى للبعاد تحسراً
والجسم من أجل الفراق قد انتحل
يا غائباً والقلب سار بإثره شوق مقيم فى فؤادى كالجبل
يا بدر غبت اليوم عنا راحــلا
والبدر ليس يغيب شهراً إن أفل[3]

وقالت فى الأميرة تاج الشهابية :

تحية من مشوق زائد القُبل تهدى إلى تاج مجد من ذوى الدول

ثم تقول :

إلى التى صار قلبى اليوم مسكنها كأنها الشمس حلت منزل الحمل
جميلة الخلق تحكى البدر طلعتها جليلة الخلق فى قول وفى عمل

وكذلك تقول :

يا من بها زهت الأيام قائلة :
لا تحسبوا أن كل الفضل للرجل

وقالت تمدح ميخائيل المدوّر :

نخل التيامة يفدى نخلة ظهرت
فى أرض بيروت منها الظل والثمر

ثم قالت وقد زار أباها الأمير أمين أرسلان :

تدفق فى منازلنا السرور مساء حين شرفها الأمير
أضاءت بهجة كالصبح لما تجــلى فوقها القمر المنير
فكادت ترقص الأكباد تيها بما نالته أو كادت تطير

وكذلك قالت جواباً لصديق أبيها محمد عاقل افندى الساكن فى الاسكندرية :

زارت بجنح الدجى والليل معتكر
فقالت الدار ها قد أشرق السحر
خود تميس بقدٍّ كالقناة بدا إذا رأته غصون البان تنكسر
قدٌّ يقدُّ قلوب العاشقين إذا ما اهتز يوما ترى الأكباد تنفطر
خطت لأهل الهوى سطراً بوجنتها
إياكم النــار لا يؤذيكم الشرر

ثم هى تقول :

أهدى إلى بيوتاً كل قافية منهن تخجل منها الأنجم الزهر

وهى تقول أيضاً :

سحبان مصر ويا ركن البلاغة من
به القوافى غدت تزهو وتفتخر

وقالت تجيب أحد الفضلاء عن أبيات بعث بها إليها من بغداد :

منّ الكريم بها علىّ رسالة تفدى بكل وصيفة ووصيف

وفيها تقول :

أهديتنى مدحاً به أغرقتنى فى بحر فضل لم يكن بخفيف

وكذلك قالت جواباً لأحد الأفاضل عن أبيات أرسلها لوالدها من بغداد :

---

(١) ديوان حديقة الورد ص ٣ من الطبعة الأخيرة .
(٢) نفس المصدر ص ٤ .
(٣) كذلك ص ٥ .

خود من العرب وافت تنجلي تيهاً   كالشمس تشرق فينا من أعاليها

إلى أن تقول :

اللوذعي الذي الزوراء مسكنه   وصيته سار فى أقصى ضواحيها
حيا الحيا أربع الزورا وأهليها   وجادها الغيث هتاناً يواليها
فى أرضها منبع العلم الذى غمرت   مياهه وارتوت منه أهاليها
أهدى إلى بيوتاً كل قافيــة   منهن تسكر لا بالخمر قاريها

ولها فى لبنان ذكريات ولوعات حيث تقول فيه :

يا ربى لبنان حياك الحيا   وسقى تربك هتــان الغمام
يا ربوع الأنس يا دار الصفا   يا جنان الخلد يا أهنا مقام

ثم انظرها تقول :

وخرير المـاء فى تلك الربى   كحنين من محب مستهام
بسط الزهر عـــلى أرجائه   بين ورد وبهـــار وخزام
وترى الأطيار فى تلك الربى   بين شحرور وباز ويمـام

وفى تهنئتها للأميرة نازلى هانم بعودتها من أوربا تقول :

أهلا بذات العلى والمجد والحسب   سليلة العلوى الماجد النجب
شمس بدت من سماء الغرب مشرقة   فغار ما فى سماء الشرق من شهب
فرع كريم أتى من دوحة سقيت   أعراقها بمياه الفضل لا السحب

وقالت تتذكر أيام الصبا :

يا زمان الصبا عليك السلام   يا ربيعـــاً تزهو به الأيام
فيك تحلو الحياة يا زهرة الـ   ـعمر وتنمو العقول والأجسام
لهف نفسى على أويقات أنس   قد تقضت كأنها أحـــلام
حيث كان الزمان طلق المحيا   وعيون الأكدار عنا نيام[1]

وقالت تمدح شكرى الخورى والسوريين فى أميركا الذين اشتركوا فى إقامة تمثال لأخيها إبراهيم .

يامن يقصر عن شكرى له قلمى   لما أتى من جميل الفضل والكرم
الفاضل الشهم شكر الله من لهجت   بشكره ألسن الأيام والهمم

(١) ديوان حديقة الورد ص ٦٥ .

ذكرت قومى إلى ما ترتابه لهم   صنعاً جميـلا وبرهاناً لودهم
لهم علينا اليد البيضاء ما بقيت   فينا حياة توالى ذكر فضلهم
يا سادة جمتهم نسبة الوطن الـ   ـمحبوب جمع الثريا غير منفصم
جددتم شخص من نهفو لرؤيته   كأنمـا هب مبعوثاً من الرجم
فلو تمكن من نطق لصافح لـكم   شكراً وديجه بالدر والحكم
وما مديحى لـكم حـــبر على ورق   بل خط فى لوح صدرى شكركم بدمى[1]

إلى هنا نكتفى من قولها نظما فى المديح ، وأما الرثاء فقد أبدعت فيه كل الابداع وأجادت فيه كل الاجادة . فهى التى بكت فى رثائها وأبكت من سمعها أو قرأها فى هذه القصائد المحزنة التى نأتى ههنا بالميسور إيراده فقالت ترثى البطريرك مكسيموس مظلوم حين توفى بالاسكندرية سنة ١٨٥٥ :

يا حاسبــاً دنياك دار قرار   أقصر عناك فتلك أخبث دار
لا تستقر بها النفوس ولاترى   قلبــاً بلا غم ولا أكدار
دنيا غرور كلمــا طال المدى   طال الغرور بمكرها الغرار

ثم هى تقول :

لله يومــــك فى الأنام فانه   أبقى لنا حزنا مدى الأدهار

وقالت ترثى المرحوم مارون نقاش المتوفى سنة ١٨٥٥ م :

الموت للناس كالجزار للغنم   فليس يترك من طفل ولاهرم
كأس يدور علينا ساقياً أبداً   وليس يترك إنسانا من الأمم

ثم تقول :

ذابت لفرقتـــه الأكباد والتهبت   أجفاننـــا من دموع ضرجت بدم

وقالت أيضاً ترثى المرحوم غالى بميث الأمريكي :

ذابت بجمرة فقدك الأجسام   يا فاضلا غــدرت به الأيام

ثم تقول :

قد سرت عن وادى الدموع مودعاً   هل يرتجى بعـد الوداع ســلام

( يتبع )   **يوسف يعقوب مسكوني**

(١) كذلك ص ٨٥ ، ٨٦ .

**الأدب في سير أعلامه :**

# ملتن ...

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال .. ]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٢٣ —

**البرسبتيريينز والصدمة الثانية :**

ويضرب ملتن لقومه مثلا لما يقع من الضر إذا اختنقت حرية الرأي فيستعيد ذكرياته عن رحلته في إيطاليا ويذكر كيف عده المثقفون هناك سعيداً بمولده في انجلترة موطن الفلسفة الحرة إذ كانوا يظهرونه على تألمهم وحسرتهم لما تعانى المعرفة عندهم من تعسف وإعنات وقيد ؛ ويقول ملتن إن ما يعانيه طلاب المعرفة هناك من قيود هو سبب ما اكتنف مجد أولي الذكاء من الإيطاليين من ضباب ، وإلى تلك القيود يعزى مَلَقُ الإيطاليين وإدعاءاتهم وهما خلتان بارزتان في أكثر ما يكتبون ...

ويشير ملتن في فقرة قوية بالغة الأثر في النفوس إلى ضحية من ضحايا الحرية وذلك هو جليليو الذي جاهد طويلا ليكشف عن الأبصار ما حجب عنها النور من غشاوة ، ويزيح عن القلوب ما طمس عليها من خرافة وجهل ، فكان جزاؤه السجن والمهانة وقد تحطم هيكله الذي آده العبء كما آدته السنون وذهب بصره فأحاطت به الظلمة وهو الذي طالما صبر على أذى قومه وصابرهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور .

ولن يزال ملتن عظيم الثقة في انجلترة ، يقدرها حق قدرها ويراها خير أمة منذ قام العالم ، فهي أمة ذكية بصيرة حازمة ، ذات روح وثابة سريعة إلى ما تريد ، لن تتخاذل عن أقصى ما تصل إليه القدرة البشرية ، عريقة في المعرفة على اختلاف فروعها حتى ليمكن القول إن مدرسة فيثاغورس والحكمة الفارسية القديمة إنما استمدتا بدايتهما من انجلترة ؛ ولها في الدين وما هو من بابه من المعرفة ، باع طويلة وقدم راسخة ، فلولا ما كان من مقاومة بعض القساوسة لوكليف [1] ونظرتهم إليه كصاحب بدعة وداعية شقاق لما سمع أحد عن لوثر أو كلفن نفسيهما ، ولن تزال انجلترة مبعث كل دعوة إلى الإصلاح ومنار كل نهضة تقوم في القارة ، وسيبقى لها فخر إصلاح جيرانها غير منتقص ذلك الفخر أبداً ... وقد تأذن الله لكنيستها بعصر جديد عظيم سوف تصلح فيه الإصلاح نفسه ، وكان أن تجلى الله لعباده وبدأ كما هو شأنه بالإنجليز منهم ...

ولئن عظم أمله في انجلترة وما يرجى فيها من خير ، فإنه يوجس خيفة من التنكر للحرية كما فعل البرسبتيرينز ، ولذلك فإنه يراهم شراً أي شر ، فما يحجب نور هذا الأمل عن البلاد إلا عنادهم واجتراؤهم على فعل ما كرهوه من قبل مما فعل القساوسة .

ويغلظ ملتن لهم القول ويعنف عليهم كما صنع بالقساوسة فيرميهم بالنفاق والجشع، فما يتأتى الإخلاص لقوم يكرهون الحرية ويعترضون لها وما عبادته إلا حرفة احترفوها وتجارة يخشون كسادها ثم يتنبأ في آخر كتيبه بأن سوف يلقى الباطشون من يبطش بهم ، ولعله بذلك يستخرج من مجرى الحوادث السياسية أن المستعلين سوف يعملون على سحق سلطة البرسبتيرينز بعد أن يفرغوا من محاربة الملك ولقد جاءت الحوادث بعد ذلك محققة ما لمح به .

وكرهت رجعة البرسبتيرينز كما يزعم إليه كل القائمين على شؤون الدين ، ولا عبرة بالمذهب ، وقر في نفسه أن حرية الفكر والرأي مستحيلة ما دام هؤلاء قوامون على الناس ، وعنده أن تعصب القساوسة إنما يظهر في صور وأشكال جديدة ؛ وما دام الأمر كذلك فلا إصلاح يرتجى ؛ إذ كيف يتحقق الإصلاح بغير الوصول إلى الحق ، ولا سبيل إلى الحق إلا الحرية ويريد بها تحرير العقل من الجهالات والضلالات ليفكر طليقاً ويتدبر فيما جاء به المسيح غير مقيد بقيد مهما كان نوعه أو كان مبلغه من الشدة أو

(١) مصلح ديني من القساوسة في القرن الرابع عشر حارب العيوب القائمة حوله وترجم العهد الجديد .

الضعف ؛ وإذاً فالفكر الحر والرأى الحر هما سبيلا الإصلاح الحق ولا سبيل غيرهما .

لقد جاء المسيح بالهدى والحق إلى هذه الدنيا ، وذلك مبين فى الإنجيل ، ولكن الناس بعيدون عما بين لهم من الهدى لأنهم أخذوا أخطاء المفسرين على أنها الحق القدس وفى ذلك أبلغ الضرر ؛ ولا مخرج لهم إلا أن يناقشوا المسائل التى يحيط بها الشك مناقشة لا قيد فيها حتى يهتدوا إلى الصواب ، ولن يستطيعوا أن يفعلوا ذلك إلا أن تتاح لهم الحرية ، فكأن الذين يخنقون الحرية إنما يحولون بين الناس وبين ما آتاهم المسيح من الهدى وأى إثم هو أكبر من هذا الإثم ؛ وكيف يطمع الصاحون فى الإصلاح إلا أن يكفوا أيدى هؤلاء البرسبتيريز الذين يصدونهم عن سبيله ويزعمون أنهم هم المصلحون ...

بهذا المنطق القوى أزعج ملتن البرسبتيريز ، فمثل هذا الكلام يكون أشد وقعاً وأعظم أثراً من الهجاء مهما أقذع ، ولذلك كانت هذه الحرب أقوى من حربه على القساوسة وإن بدت أقل منها ضجيجاً لأن سلاحه فيها كان أمضى ولأنه يقاتل فى سبيل مبدأ تميل إليه بطبعها النفوس ...

تلك هى خلاصة الأريوباجيتيكا ؛ ويزعم بعض النقاد وأحسبهم على حق فيما يزعمون أنه لو لم يكن ملتن صاحب الفردوس المفقود وصاحب كومس والفردوس المستعاد وغيرها من الشعر لذهبت كتاباته النثرية مع الزمن إلا هذا الكتيب الذى جعله للدفاع عن مبدأ من أجل المبادىء فى حياة بنى الدنيا منذ أقدم عصورها ألا وهو حرية العقل لا فى تفكيره فحسب فإن ذلك طوع كل فرد ذكى بل فى إعلان ما يرى من رأى .

ويحبب هذا الكتيب إلى النفوس فضلا عما يدافع عنه من مبدأ فيه ، ما ساقه ملتن من أمثلة وما لجأ إليه من الإشارات والتلميحات كما يفعل فى شعره ، وكان التاريخ هنا هو الكنز الذى استخرج منه أصدافه ولآلئه ، وحسبك أن يلمح إلى سقراط واستشهاده وإلى جليليو وما لاقى من كوارث وإلى أفلاطون وبيكون وإرزس وسبنسر الذى وصفه بقوله « شاعرنا الحكيم الوقور » ، وأضرابهم ممن اهتدوا بنور العقل فى ظلمات الجهل فكانوا على طريق الإنسانية مصابيح تنطوى القرون ونورهم أبلج وكلما اشتدت الظلمة ازدادوا ظهوراً كالكواكب السماء ونوراً ...

وحسبك أن يشير إلى أثينا وأن يمتدح فيها النشاط العقلى وأن يشيد بما كان يعلم آباء المسيحة الأولون من علوم الأقدمين ؛ إلى كثير من أمثال ذلك مما يسوقه براهين على فضل العقل ، فى العقل وحده الخلاص من نير الجهل مع شرف القصد والإخلاص فى استجلاء الحق لا فى الخضوع لكل منقول والتسليم به فى غير تدبر فيه ...

وهو فيما يسوقه من هذه الأمثلة إنما يعرض بالبرسبتيريز الذين أنكروا منه ما اهتدى إليه بعقله فى أمر الطلاق والذين هالهم منه تأويل ما أول من عبارات الإنجيل لتتمشى مع ما ذهب إليه من رأى أو الذين رموه بالفسوق لأنه طلب تحكيم الضمير والاستعانة بالعقل فيما يلتبس فيه الأمر من أحكام الإنجيل ولا يتفق فى ظاهره مع طبائع الأشياء .

والحق أن ملتن خليق بأن يثير إعجاب الناس به جيلا بعد جيل ، فقد كان لشخصه من الجلال ولروحه من القوة ولنفسه من العزة ما لا يتوفر مثله إلا للأفذاذ القليلين على فترات من الزمن ؛ ولا نجد فيما تحدث عنه المؤرخون خيراً من حديث مكولى عن خلقه فلنأت به على سرده . قال مكولى « وبقى بعد ذلك أن نتحدث عن المعين الذى استمد منه خلق ملتن العام عظمته وروعته الخاصة به ، فلئن كان قد أتعب نفسه ليقضى على ملك حانث[1] أو سلطة كهنوتية ظالمة ، فإنما فعل ذلك مشتركا مع غيره من الناس .

ولكن مجد المعركة التى خاض غمارها من أجل ذلك الضرب من الحرية الذى هو أعظم ضروبها قيمة ، وإن كان أقلها حظاً يومئذ من إدراك الناس ، وأعنى به حرية العقل البشرى كان بأجمعه مجده وحده ...

لقد رفع الألوف من معاصريه وعشرات الألوف منهم أصواتهم ساخطين على ضرائب السفن وعلى محكمة غرفة النجم ، ولكن لم يفطن إلا قليل منهم إلى ما يعد شره أعظم من ذلك هولا ألا وهو الرق العقلى والخلق ، ولا إلى ما عسى أن يعود من

(١) سيأتى بيان ذلك عند الكلام على الجانب السياسى من حياته .

خير على الإنسانية من وراء حرية النشر ، ومن وراء الحكم الشخصى على الأشياء يجرى به الرأى غير مقيد بقيد ؛ هذه هى الأغراض التى رأى ملتن أنها بحق أعظم الأغراض خطراً ، وكان توافاً إلى أن يرى الناس يفكرون لأنفسهم كما أنهم يشرعون الضرائب لأنفسهم ، وأن يتحرروا من سلطان الهوى ، كما قد تحرروا من سلطان «شارل» ، وكان يعلم أن الذين اعتلوا صنوف الإصلاح هذه ونفوسهم تنطوى على أحسن المقاصد ، وقنعوا بإسقاط الملك وإلقاء الملكيين الطاغين فى السجن ، إنما سلكوا مسلك الأخوين الغافلين فى قصيدته اللذين ألهاهما فرط حرصهما على تفريق الساحر وقبيله فأهملا وسائل تحرير أسيره ، لقد فكروا فى هزيمته فقط فى حين كان ينبغى أن يفكرا فى حل ما عقد من طلاسم السحر : « لقد أخطأتما ، فإنه كان ينبغى أن تختطفا عصاه وتشدا وثاقه ، وذلك أننا وقد فاتنا أن نقلب العصا رأساً إلى عقب ونقرأ فى اتجاه عكسى كلمات الساحر ذات القوة التى تفكك الأوصال ، لن نستطيع أن نطلق سراح هذه السيدة التى تجلس هنا مغلولة بأغلال شديدة ، فهى فى مكانها ثابتة لا تتحرك »[1]

وكان العمل على أن تقلب العصا ، وأن تقرأ كلمات السحر فى عكس اتجاهها ، وأن تفكك القيود التى تشد الشعب الأبله إلى مقعد السحر ، كل أولئك كان ما يسمى إليه ملتن من غرض نبيل ، وإلى هذا الغرض وجه مسلكه فيما يتصل بالناس كله ، فمن أجله انضم إلى البرسبتيريين ومن أجله اعتزلهم ، ولقد خاض معركتهم المحفوفة بالمخاطر ، ولكنه نأى بجانبه عنهم مشمئزاً ساعة انتصارهم الوقح ، ورأى أنهم كانوا كمن هزموهم لحرية الرأى أعداء ، ومن ثم فقد انضم إلى المستقلين ودعا كرمول[2] أن يحطم ما نسب إلى الدين من عل وأن يخلص الضمير الحر من مخلب الذئب البرسبتيرى ؛ وهاجم ملتن وهذا الغرض النبيل نصب عينيه قانون الطبع والرقابة فى مقال رفيع الطراز[3] يجدر بكل سياسى أن يلبسه كشمار فوق يده وكذؤابة بين عينيه ؛ وكانت لا توجه هجماته بوجه عام إلى المساوىء الخاصة بقدر ما كانت توجه إلى تلك الأخطاء المتأصلة التى تكادتبنى على أسسها جميع الأخطاء ألا وهى العبارة الخانعة لذوى المكانة من الناس ، والخوف الذى هو ليس من العقل فى شىء من كل تجديد .

ولكى يزلزل أسس هذه النوازع المذلة زلزالا أشد وأوفى بالغرض ، كان يختار ملتن لنفسه دائماً مما يبذل من الخدمات الأدبية أدعاها إلى الشجاعة والجرأة ولم يكن يأتى قط فى المؤخرة بعد أن تنقص الأيدى من الجهود الخارجية وتنفد الجنود من الثغرة ، وإنما كان يدفع بنفسه المقدمة إلى ما تتخاذل دونه الآمال .

ففى بداية ما حدث من أوجه التغيير ، أخذ يكتب بكل ما فى وسعه من نشاط وفصاحه لا يجاريه أحد فيهما منددا بالقساوسة ، فلما بدا له أن آراءه قد تم لها الغلبة تجاوزها إلى موضوعات أخرى ، وترك القساوسة إلى طائفة كبيرة العدد من الكتاب أسرعت بعده إلى التهجم على تلك الفئة التى تهوى ...

وليس ثمة من عمل أشد خطراً من الاضطلاع بحمل مشعل الحقيقة إلى المجاهل الموبوءة التى لم يضىء فيها نور قط ولكن ملتن كان يختار لنفسه دائما أن يقتحم ذلك الضباب الصاخب ، وكان يسره ذلك الاختيار كما كان يسره أن يركب الأخطار فى ذلك الاكتشاف الذى يبعث الرعب ؛ ويجب على أشد الناس إنكاراً لآرائه أن يحيطوا بالتوقير ما لاقاه فى سبيل استمساكه بها من عنت وشدة ، ولقد ترك لغيره فى الجملة العمل على شرح الجوانب المقبولة من عقيدته الدينية والسياسية والدفاع عنها ؛ أما هو فقد جعل من نصيبه أن يؤيد العقائد التى رأى جمهور مواطنيه أنها آثمة والتى سخروا منها لأنهم زعموا أنها متناقضة ، فقد ذاد عن حق إباحة الطلاق وأيد إعدام الملك وهاجم نظام التعليم السائد فى أيامه[1] وإن عمل الخير الذى يشع النور ليشبه فى آلهة الخرافة عمل إله الضوء والخصب »

والحق أن الدفاع عن الحرية كان هدفه فى معظم ما كتب ، فقد دافع عن الحرية الدينية بحربه على القساوسة وعن حرية النشر

(١) راجع غنائية كومس وهذه العبارة من كلام الروح الحارس للأخوين .

(٢) سيأتى بيان ذلك عند الكلام على مقطوعته الشعرية التى وجهها إلى كرمول سنة ١٦٥٢ .

(٣) يقصد به مقال الأيروباچيتيكا .

(١) انظر الفصل التالى

بحملته على الرقابة ، وعن حرية الضمير بالطعن على البرسبتيريتز وعن حرية الأسرة بأنكار ما ينطوى عليه قانون الزواج من استبداد أو عن الحرية المدنية كما سنفصله فى حينه بإعلانه السخط على طغيان التاج …

ولكن بعض النقاد يردون ذلك إلى دوافع شخصية محاولين بذلك أن يبخسوه أعماله ، فيقولون إنه هاجم القساوسة لأنهم أبعدوه عن الكنيسة ، ويدافع عن حق إباحة الطلاق لما صادف فى زواجه من خيبة ، ويغضب على البرسبتيريتز وينعتهم بضيق العقل لأنهم لم يقروه على ما ذهب إليه فى أمر الطلاق ويدعو إلى حرية النشر لأنهم أرادوا أن يخنقوا كتبه …

وليس فى وسعنا أن ننكر تلك الدوافع الشخصية التى يشير إليها هؤلاء النقاد ، فإن شدة شعور ملتن بذاته من أبرز مقومات شخصيته منذ نشأته وأكثر تصرفاته إنما تتم بدافع من ذلك الشعور ، ما فى ذلك ريب ، ولكنا لا نفهم كيف ينتقص ذلك من قدره وكيف يعد عليه ولا يعد له ؟

هذا رجل يرى حياته وحياة غيره بالضرورة محفوفة بقيود من القانون والعرف ، فيأبى على القيد ويثور لا يريد أن يهدأ حتى يقضى على ما استرقّ الناس من عاداتهم ومما جرى به العرف بينهم ومما وضعت القوانين من الأغلال فى أعناقهم ، فماذا يدل عليه ذلك إن لم يدل على شخصية قوية ونفس أبية وضمير حر ؟

وهل جاهد ما جاهد فى غير عدو ؟ ألم يكن على حق فيما أنكر من عيوب عصره ؟ إن كانت تلك العيوب قائمة حقاً فلا يمكن أن يقال إن أهواءه ومطالب نفسه هى التى سيطرت على فكره ؛ فلا يبقى إلا أن دوافع شخصية حركته وهذا إنما يدل على أنه أحس قبل أن يحس غيره بضرورة الإصلاح ، وأن الوضع الاجتماعى فى كماله المنشود إنما يقاس مبلغ كماله بمقدار ما فيه مما يشا كل كمال نفسه وتلك غاية تتخاذل دونها الغايات .

وهل كان يستطيع أن يغمض العين غير مساوىء عصره لو لم تحركه دوافع شخصية إلى استنكارها ؟ ذلك ما لا يستطيع أحد أن يقوله ، ولا هو مما يجوز فى عقل عاقل إلا على أوزاع الناس والهمج منهم ، ولقد كان ذلك الشاعر القوى الروح العظيم الثقافة مطبوعا على حب الحرية وعلى الجهر بما يؤمن أنه الحق ، ومن أجل ذلك كانت نفسه ثورة متصلة الحلقات منذ أن عصى أباه وهو صغير إذ أراد أن يسلكه فى سلك الدين بألحاقه بالكنيسة وأبى إلا أن يهب للشعر نفسه ، ومنذ أن كان يتأبى على قيود عرفية فى الجامعة وينكر على الجامدين فيها جمودهم ، إلى أن جاهر الإيطاليين بمخالفته إياهم فى فطرتهم الدينية على الرغم مما حذّر به وليسوا قومه ، إلى أن أذن القساوسة فى وطنه بحرب منه ، كل أولئك لأن نفسه تأبى إقرار الباطل ولا ترضى بغير الحق …

ولا يسع كل منصف إلا القول بأن ما يشير إليه بعض الناس من دوافع شخصية إنما هو دليل على سلامة عنصره ونبل نفسه وسمو روحه .

( يتبع ) **الخفيف**

---

**من نوادر الطرائف :**

# سبط ابن التعاويذي

للأستاذ أحمد عثمان عبد المجيد

هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله ، وينسب إلى ابن التعاويذى جده لأمه لأنه نشأ فى كنفه وحياطته ، وكان جده هذا زاهداً تقيا ومحدثاً صالحاً .

وقد ورث أبو الفتح عن جـده الرغبة فى الدرس والتعلق بأسـباب الثقافة ، فأقبل على النظر فى كتب اللغة والأدب ، يسعده طبع أصيل ، وتمده ملـكة مرهفة ، حتى عرف بالبراعة فى الـكتابة والحسابة ، وجلى فى ميدان الشعر ، فجمع فيه بين جزالة اللفظ وعذوبته ، ورقة المعنى ودقته . وفيه يقـول ابن خلـكان : إنه لم يكن قبله بمئتى سنة من يضاهيه . وكأنما خاف أن يتهم بالمبالغة والتزيد فأردف حكمه بقوله : ولا يؤاخذنى من يقف على هذا الفصل ، فإن ذلك يختلف بميل الطباع ، ولله در القائل : وللناس فيما يعشقون مذاهب .

وقد تأثر أبو الفتح فى نثره طريقة ابن العميد القائمة على العناية بالتصنيع والتزيين ، وصرف الجهد إلى تكلف وجوه البديع ولقد فتن كتاب الدواوين جميعاً بهذه الطريقة منذ أنهجها لهم أستاذهم ابن العميد ، وأغرقوا من بعده فى تصيد المحسنات ، فجنوا على المعنى ، وتحيفوا الفـكرة رغبة فى تجويد الصـورة وتجميلها فخرجوا على الناس حينا بنثر مرقش ليس وراءه كبير معنى ولا جليل غرض ؛ وحينا بنثر كز منقبض لا يفصح عن مراد ولا يهدى إلى قصـــد ، إذ جنى البديع عليه فأغمضه وأزال وضوحه وأوقع قارئه فى عمايه . وحسبك أن ترسل طرفك فى كتاب الفتح القسى فى الفتح القدسى للعماد الأصفهانى صديق سبط ابن التعاويذى لترى الغرابة والاستبهام والـكزازة .

وقد أورد العماد فى كتابه خريدة القصر وجريدة العصر طائفة من الرسائل التى تلقاها من ابن التعاويذى ، وفيها يتحرى الطريقة البديعية ، ويلتزم نهجها

ولقد ولى الـكتابة بديوان الإقطاع ببغداد لبراعته فى الحسابة والإنشاء ، وانقطع إلى آل الرفيـل ، وكان ولاؤه فيهم ، يمدحهم ويستمنحهم ، وكانوا سادة ذوى نفوذ وسلطان ، وقد ولى الوزارة منهم عضد الدين أبو الفرج للخليفة المستضىء . وفيه يقول الفخرى : كان من أفاضل الناس وأعيانهم ، نهض بأعباء الوزارة نهوضاً مرضيا ، وتلطف بالأمور تلطفاً لم يكن فى حساب الناس وبيته بيت مشهور بالرياسة .

ويبدو أن ابن التعاويذى قد أنفق جل عمره مع آل الرفيل يحمد لهم إقبالهم على بره وإنعاشـه . فإن أحس منهم إغفالا له واطراحا لمـا ألزمهم من حقه جاهر بلومهم والإنـكار عليهم . وفيهم يقول :

قضيت شطر العمر فى مدحكم ... ظنا بكم أنكم أهـــله
وعـدت أفنيه هجاء لـكم ... فضاع فيكم عُمْـرى كلـه

وهذا قول قاس ، يدل على أن شعراء المدح والاستمناح ما كان يردعهم عن التدلى إلى المجاهرة بالهجاء سالف معروف ، ولا سابق مبرة . وأنهم إن أعطوا منهم رضوا ، وإن لم يعطوا إذا هم يسخطون .

ولعل نهم ابن التعاويذى بالمال كان يدفعه إلى مدح غيرهم ، ولعلهم نقموا منه ذلك وأنكروه عليه لأنه إن دل على شىء فإنما يدل على أن صنائعهم إليه لا تنهض بحاجاته ، ولا تفى برغائبه . فقال يعتذر مسجلا فى صراحة أنه كخماص الطير تجتذبه الجدوى كما يقنصها الحب ، وهو بهذا يستفيد من قول المتقدم :

يسقط الطير حيث ينتثر الحب (م) وتغشى منازل الـكرماء

قال :

وما زلت فى آل الرفيل بمعزل ... عن الجور مبذولا لى الخصب
فإن أقترف ذنبا بمدح سواهم ... فإن خماص الطير يقنصها الحب
وإن عاد لى عطف الوزير محمـــد ... فقد أ كثب النائى ، ولان لى الصعب
وزير إذا اعتل الزمان فرأيه ... هناء به تطلى خلائقه الجرب

ولقد دفعته صلته بآل الرفيل إلى أن يناصب الوزير ابن البلدى العداء ، وأن يهجوه حين عزل أرباب الدواوين واشتد عليهم بالمصادرة والعقاب . وكان بين عضد الدين الرفيلى وابن البلدى

جفاء ما فتئ يتفاقم حتى حمل عضد الدين على أن يدبر لقتل الوزير وتم له ذلك، ووثب من بعده على الوزارة. وفي ابن البلدى يقول ابن التعاويذي:

يا قاصدا بغداد، حد عن بلدة ... للجور فيها زخرة وعباب
إن كنت طالب حاجة فارجع فقد ... سدت على الراجى بها الأبواب
بادت وأهلوها معا، فبيوتهم ... ببقاء مولانا الوزير خراب

وفيه يقول أيضاً: –

يا رب أشكو إليك ضرا ... أنت على كشفه قدير
أليس صرنا إلى زمان ... فيه أبو جعفر وزير؟

وما زال ابن التعاويذي قائما بالعمل في ديوان الأقطاع حتى ذهب بصره، فاعتزله وله في عماه أشعار كثيرة يرثى بها عينيه ويندب الشباب ورونقه، فيستدر بها الإشفاق، ويستدعى أبلغ العطف وأعمقه. ومنها:

لقد رمتني – رميت بالأذى – ... بنكبة قاصمة الظهر
وأوترت في مقلة، فلما ... علمتها باتت على وتر
جوهرة كنت ضنينا بها ... نفيسة القيمة والقدر
إن أنا لم أبك عليها دما ... فضلا عن الدمع، فما عذرى؟
مالى لا أبكى على فقدها ... بكاء خنساء على صخر؟

وأنت تتمثل في هذه الأبيات حر اللوعة، ولذع الفاجعة في الاعتراض بقوله رميت بالأذى، وفي الكناية عما كرثه بقوله قاصمة الظهر، وفي مغالاته بمقلته فلم تكن لتنام على وتر، وفي إنكاره أن يكون له عذر إن يبكها دما، ومنها:

فها أنا كالقبورفى كسر منزلى ... سواء صباحى عنده ومسائى
يرق ويبكى حاسدى لى رحمة ... وبعداً لها من رقة وبكاء

وقد جاء في عبارة ابن خلكان نعته إياه بالعمق في معانيه.

وإليك أمثلة من براعته في التوليد: قال في الشيخوخة:

من شبه العمر بالكأس يرسو ... قذاه، ويرسب في أسفله
فإنى رأيت القذى طافيا ... على صفحة الكأس من أوله

وقال فيها أيضا:

وعلو السن قد كسر (م) بالشيب ... نشاطى
كيف سموه علوا ... وهو أخذ في انحطاط؟

وقال:

ولم أكره بياض الشيب إلا ... لأن العيب يظهر في النهار

***

ولما عمى التمس أن يقيد ماله من راتب بالديوان بأسماء أولاده ثقة منه بأن يجد في ذراهم برا به ما امتدت له الحياة، وتعجيلا لسوق النفع إليهم، ورفعا لأسباب التباغض من بينهم. فلما تم النقل والتقييد كتب قصيدة ورفعها إلى الخليفة الناصر يلتمس فيها تجديد راتب له مدة حياته لما جر به من عقوق أولاده. وقد أبدع فيها تصوير عقوقهم، واحتجانهم الراتب من دونه، وإهمالهم أمره، وكان الناصر من أفاضل الخلفاء، بصيرا لبيبا، متوقد الذكاء والفطنة، غير مدافع عن فضيلة علم، ولا نادرة فهم، يفاوض العلماء مفاوضة خبير، فلما وقف عليها ملكت نفسه لعذوبتها ورقتها، وما يثيره موضوعها من إشفاق ومرحمة، وما افتتحها به من مدح جميل، فأنعم عليه براتب جديد ومطلعها:

خليفة الله انت بالدين والدنيا (م)، وأمر الإسلام مضطلع

ومضى يمدح الخليفة بانتهاجه نهج أعلام الهدى، وما أفاضه على الناس من عدل وخير، وما أزاله من أسباب الخلاف والبدع، ثم قال:

أرضى قد أجدبت، وليس لمن ... أجدب يوما سواك منتجع
ولى عيال، لا در درهم ... قد أكلوا دهرهم، وما شبعوا
إذا رأوني ذا ثروة جلسوا ... حولى، ومالوا إلى واجتمعوا
وطالما قطعوا حبالى إع (م) ... راضا إذا لم تكن معى قطع
يعشون حولى شتى كأنهم ... عقارب، كلما سموا لسعوا

ثم قال:

لهم حلوق تفضى إلى معد ... تحمل في الأكل فوق ما تسع
من كل رحب المعاء، أجوف نا (م) ... رى الحشا لا يمسه شبع
لا يحسن المضغ فهو يطرح في ... فيه بلا كلفة ويبتلع
ولى حديث يلهى ويعجب من ... يوسع لى خلقه فيستمع
نقلت رسمى جهلا إلى ولد ... لست بهم ما حييت أنتفع
نظرت في نفعهم وما أنا في اج ... ستلاب نفع الأولاد مبتدع
وقلت هذا بعدى يكون لكم ... فما أطاعوا أمرى ولا سمعوا
واختلسوه منى، فما تركوا ... عينى عليه، ولا يدى تقع

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٨٤٨ — الفقير والغنى

أبو بكر الخوارزمى :

إن الفقير خفيف الظهر من كل حق ، منفك الرقبة من كل رق ، لا يلزمه أداء الزكاة ، ولا تتوجه إليه غوائل النائبات ، ولا يستبطئه إخوانه ، ولا تطمع فيه جيرانه ، ولا تنتظر فى الفطر صدقته ، ولا فى النحر أضحيته [1] ، ولا فى شهر رمضان مائدته ، ولا فى الربيع باكورته ، ولا فى الخريف فاكهته ، ولا فى وقت الجباية خراجه وعشره ، فانما هو مسجد يحمل إليه ، ولا يحمل عليه ، وعلوى يؤخذ بيديه ، ولا يؤخذ من يديه ، يتجنبه الشرطى بالنهار ، ويتوقاه العسس بالليل وفى الأسحار ، فهو إما غانم أو سالم . والغنى إنما هو كالغنم غنيمة كل يد سالبة ، وصيد كل نفس طالبة ، وطبق موضوع على شارعة النوائب ، ومنصوب على مدرجة المطالب ، تطمع فيه الاخوان ، ويأخذ منه السلطان ، ويتطرق إليه الحدثان ، ويتحيف ماله النقصان …

(١) الاضحيه : ضم الهمزة فى الأكثر وكسرها إتباعا لكسرة الحاء ( المصباح ) .

## ٨٤٩ — العقل

شرح ( أدب الكتاب ) لموهوب الجواليق :

… عن محمد بن المرزبان عن شيخ له قال : قال الاصمعى : كانت العرب تقول : من كانت فيه خصلة أحمد من عقله فبالحرى أن تكون سبب هلاكه .

فحفظت الحديث ، فحدثت به المدائنى ، فقال : هذا حديث حسن ، وعندى آخر يشبهه ، كانت العرب تقول : من لم يكن عقله من أكمل ما فيه ، كان هلاكه من أيسر ما فيه .

---

ثم قال :

| | |
|---|---|
| فاستأنفوا لى ربما أعود على | ضنـــك معاشى به فيتسع |
| وإن زعمتم أنى أتيت بهـا | خديعة فالكريم ينخـدع |
| ولا تطيلوا معى ، فلست ولو | دفعتمـونى بالراح أندفـع |
| وحلفونى ألا تعـود يدى | ترفع فى نقـله ولا تضع |

يقول ابن خلكان : فما ألطف ما توصل به إلى بلوغ مقصوده بهذه الأبيات التى لو مرت بالجماد لاستمالته وعطفته .

وبعد فان فى هذه القصيدة الطريفة ائتلافا واضحا ، ورقة وانسجاما ، وتصويراً بارعا للمعقوق يهز النفس ألما وحزنا ، ويمزق القلب أسى وحسرة . وإن الدنيا لحافلة فى تصرفها بالناس بأشباه هذا الحادث .

فان قيل إن الشاعر قد نحل أبناءه هذا العقوق ليملك من نفس الخليفة ، ويضمن انخداعه ، والكريم ينخدع ، فيرجع براتب آخر — قلت : لقـــد جلا عن قدرته على التمويه ، وبرع مع تعود الاعتقاد عن مناصرته ، وشعور الشاعر بأنه يترجم عن اعتقاد من أقوى أسباب إجادته وإتقانه .

وقد أذكرنى موقف أبناء ابن التعاويذى منه بما قرأته عن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وكان من أبر الناس بأمه فقد قيل له : إنك لشديد البر بأمك ، فلم لا تأكل معها من صحفة واحدة ؟ قال : أخاف أن تسبق يدى إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها . فأين هذا البر من ذاك العقوق ؟

رحم الله آل البيت ، فما كانوا فى الناس إلا أقباساً ساطعة من نور النبى الأعظم .

وفى الشاعر يقول ياقوت : وكل شعره غرر ، وديوانه كبير جمعه بنفسه قبل أن يضر ، وما حدث من شعره بعد العمى سماه الزيادات . وولد سنة ٥١٩ ، وتوفى فى بغداد سنة ٥٨٣ هـ وقد طبع الديوان بمصر فى مفتتح هذا القرن بعناية الأستاذ مرجليوث ، ولكنه اليوم عزيز لا يكاد يكون فى دكاكين الوراقين

أحمد عثمان عبد المجيد

فحفظت الحديثين ، فحدثت بهما أحمد بن يوسف فقال : هذان حديثان حسنان ، وعندى آخر يشبههما : كانت العرب تقول : من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان سريعا إلى حتفه .

فحفظت الأحاديث ، فحدثت بها أبا داف فقال : هذه أحاديث حسان ، وعندى حديث أحسن منها غير أنه لا يشبهها ، كانت العرب تقول : كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه إذا كثر غلا .

فحفظت الأحاديث فحدثت بها الحسين بن على الكوكبى فقال : كان الحسن يقول : ما تم دين رجل حتى يتم عقله .

وبعد ، فقد قال ابن السماك : من لم يتحرز من عقله بعقله هلك من قبل عقله .

## ٨٥٠ — العاقل يعلو على همه وحزنه

إرشاد الأريب : قال أبو حيان :

كان يختلف إلى مجلس أبى سعيد ( السيرافى ) على بن المستنير ، وكان أبو سعيد يعرف له تقدمه على كثير من أصحابه ، وكان يرجع إلى وطأة خلق ، وحسن عشرة ، وحلاوة كلام ، وفقر مدقع ومعيشة ضيقة وكثرة عيال ومؤنة مع نشاط القلب ، وثبات النفس ، وطلاقة الوجه ، وكثرة المرح . وقرأ يوما على أبى سعيد ديوان الرقش ، وأخذ خطه بذلك ، وعجل الانصراف من عنده ، فقال أبو سعيد : أين عزمت ؟ قال : أذهب لأصلح أمر العيال . فدعا له بالرزق والسعة . فلما انصرف قلنا له : هذا الرجل مع ما هو فيه لا يعرف الحزن فى وجهه ، ولا يشتد همه ، ويقدر على دفعه . فالتفت بعضهم فقال : أيها الشيخ ، وراءه حال يخفيها عنا ، ويطويها منا[١] .

قال ( أبو سعيد ) :

ما أظن الأمر على ذلك ، لكن الرجل عاقل ، والعاقل يعلو على همه وحزنه فيقهرهما بعقله وعلمه ، والجاهل يشتد همه وحزنه ، ويرى ذلك فى وجهه ، ولا يقدر على دفعه لجهله .

فاستحسنا ذلك وأثبتناه .

---

(١) قالوا : خفى عليه وطواه عنه فالتعديتان مولدتان

## ٨٥١ — أوادم

فى ( اللزوميات ) :

وما آدم فى مذهب العقل واحدا ولكنه عند القياس أوادم

جائز أن يكون آدم هذا قبله آدم على إثر آدم

فى ( روح المعانى ) تفسير الألوسى :

ذكر صاحب جامع الأخبار من الإمامية فى الفصل الخامس عشر أن الله خلق قبل أبينا آدم ثلاثين آدم ، بين كل آدم وآدم ألف سنة ، وأن الدنيا بقيت خرابا بعدهم خمسين ألف سنة ، ثم عمرت خمسين ألف سنة ، ثم خلق آدم .

وروى ابن بابويه فى كتاب التوحيد عن الصادق : لعلك ترى أن الله لم يخلق بشرا غيركم ، بلى والله لقد خلق ألف ألف آدم ، أنتم فى آخر أولئك الآدميين .

فى ( مفاتيح الغيب ) تفسير الرازى :

نقل فى كتب الشيعة عن محمد بن على الباقر عليه السلام أنه قال : قد انقضى قبل آدم الذى هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر .

فى ( الفتوحات المكية ) لابن عربى :

لقد أرانى فيما يرى النائم وأنا طائف بالكعبة مع قوم من الناس لا أعرفهم بوجوههم ، فأنشدنى بيتين ثبت على البيت الواحد ، ومضى عنى الآخر ، فكان الذى ثبت على من ذلك :

لقد طفنا كما طفتم سنينا بهذا البيت طرا أجمعينا

فتعجبت من ذلك . فقال لى واحد منهم وتسمى لى باسم لا أعرف ذلك الاسم قال لى : أنا من أجدادك ، قلت له كم لك مذمت ؟ قال : بضع وأربعون ألف سنة[١] . فقلت له : فما لآدم هذا القدر من السنين . فقال لى : عن أى آدم تقول ؟ عن هذا الأقرب إليك أو عن غيره . فتذكرت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله خلق مئة ألف آدم[٢] . فقلت قد يكون ذلك الجد الذى نسبنى إليه من أولئك .

---

(١) الألف مذكر ، فى التاج : يذكر البضع مع المؤنث ويؤنث مع المذكر يقال بضعة وعشرون رجلا وبضع وعشرون امرأة ولا يعكس وفى المصباح : يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال بضع رجال وبضع نسوة .

(٢) نحن فى ( نقل الأديب ) لا فى ( الاسلام الصحيح ) وإنما لطرائف أرويها لا حقائق أوحيها أى أكتبها

## ٨٥٢ — الحوائج بين إمامين

فى (المخصص) لابن سيده :

قال محمد بن يزيد[1] : (أما قولهم فى حاجة حوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسن المولدين ، ولا قياس له) وهو فى هذا القول متبع الاصمعى لأن الاصمعى قال : خرجت الحوائج عن القياس فردها ، وقد غلطا معا ، على أن الاصمعى رجع عن هذا القول فيما حكى عنه ابن أخيه والرياشى ، وذكرا أنه قال : هى جمع حائجة . وقال أبو عمرو : فى نفسى منه حاجة وحائجة وحوجاء والجمع حاجات وحوائج وحاج وحوج وأنشد :

صديق مدام ما يفرق بيننا حوائج من إلفاج مال ولا بخل[2]

وأنشد أبو عبيدة للشماخ :

تقطع بيننا الحاجات إلا حوائج يعتسفن مدى الجرى[3]

وأنشد غيره فى نحو منه :

يا رب رب القلص النواعج مستعجلات بذوى الحوائج

ولو تشاغل أبو العباس بملح الأشعار ونتف الأخبار وما يعرفه من النحو كان خيرا له من القطع على كلام العرب ، وأن يقول : ليس هذا من كلامهم . فلهذا رجال غيره ، وياليتهم يسلمون أيضا[4] .

## ٨٥٣ — أن أمالت على عطفا وجيدا

الطغرائى :

خبروها أنى مرضت فقالت أضنى طارفا شكا أم تليدا[5]

وأشاروا بأن تعود وسادى فأبت — وهى تشتهى — أن تعودا

وأتتنى فى خيفة وهى تشكو ألم الوجد والمزار البعيدا[6]

ورأتنى كذا فلم تتمالك أن أمالت على عطفا وجيدا

## ٨٥٤ — أعمى ، ومفلوج ، وأقطع

اجتمع على شراب فى بعض الحانات أعمى ومفلوج وأقطع[1]

فقيل للأعمى : غن ، فغنى :

إنى رأيت عشية النفر حورا نفين عزيمة الصبر[2]

فقيل : ويلك كيف رأيت وأنت أعمى؟ وقيل للمفلوج : غن فقال :

إذا اشتد شوق وهاج الألم عدوت على بابكم فى الظلم

فقيل : مفلوج يعدو ! لا تكذب . وقيل للأقطع : هات غن ، فقال :

شبكت كفى على رأسى وقلت له يا راهب الدير هل مرت بك الإبل

فقالوا : أنت أكذبنا وأجودنا غناء ...

## ٨٥٥ — وما يفيدني إذا حزنت ؟

إرشاد الأريب : عبدالوهاب بن غالب عن الشريف أبى العلاء ابن التقى قال : قدم إلى واسط فى بعض الأعوام عسكر الأعاجم ، فنهبوا قطعة من البلد ، ونهبوا دكان الشيخ أبى على بن مختار ، ونزلوا بداره ، قال الشريف فدخلت معه إليهم نستعطفهم أن يردوا عليه بعض ما أخذوه منه ، فلم نر لذلك وجها ، وخرجنا وهو يقول :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

ثم التفت إلى فقال : ما العامل فى الظرف فى هذا البيت[1]؟ فقلت له : ياسيدى ، ماشغلك ما أنت فيه عن النحو والنظر فيه ؟ فقال : يا بنى ، وما يفيدنى إذا حزنت ؟ ..

---

(١) المبرد وقد ورد قوله فى (كامله) فى شرح بيت للراعى .

(٢) ألفج الرجل أفلس

(٣) الجرى : الرسول .

(٤) يقول الحريرى فى الدرة : ويقولون فى جمع حاجة حوائج فيوهمون فيه كما وهم بعض المحدثين فى قوله :

إذا ما دخلت الدار يوما ورفعت ستورك لى فانظر بما أنا خارج

فسيان بيت العنكبوت وجوسق رفيع إذا لم تقض فيه الحوائج

الجوسق : القصر والحوائج كما قال ابن سيده .

(٥) رواها الصفدى فى شرح اللامية ثم قال : هذه الأبيات يرشفها السمع مداما ، وينضلها السامع على العقود نظاما ، ويظن الناظر ألفاتها غصونا والهمزات عليها حماما .

(٦) الرواية (فى خيفة) وربما كانت فى (خفية) بكسر الخاء وضمها .

(١) الأقطع : المقطوع اليد والجمع قطع وقطعان مثل أسود وسودان (اللسان)

(٢) النفر : التفرق . فى المصباح : نفر الحاج من منى دفعوا ، وللحاج نفران فالأول هو اليوم الثانى من أيام التشريق ، والنفر الثانى هو اليوم الثالث منها . وأيام التشريق ثلاثة وهى بعد يوم النحر ، قيل سميت بذلك لأن لحوم الأضاحى تشرق فيها أى تقدد فى الشرقة وهى الشمس ، وقيل تشريقها تقطيعها وتشريحها

(٣) فى شرح العكبرى : ما بين العذيب مفعول تذكرت ، ومجر بدل منه بدل اشتمال ، ويجوز أن يكون ظرفا للتذكر . وفى الشرح الذى رجع فيه البرقوقى إلى الواحدى وغيره : ما بين لك أن تجعله ظرفا لتذكرت ومجر بدل اشتمال كأنه قال مجر عوالينا فيه ، ولك أن تجعل ما زائدة وبين العذيب ظرفا للمجر .

والبيت مطلع سيفية يقول فيها أبو الطيب :

وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له إذا لم يكن فى فعله والخلائق

وما بلد الانسان غير الموافق ولا أهله إلا دنون غير الأصادق

وجائزة دعوى المحبة والهوى وإن كان لا يخفى كلام المنافق

**حول كتب الوفيات :**

# عـــود على بدء (*)

للاســـتاذ أحمد الشرباصي

كنت قد نبهت أخي الأديب الأستاذ وديع فلسطين على صفحات مجلة « الرسالة » الغراء إلى أن كتاب « وفيات الأعيان » ليس كما يظن ويقول — كتاباً مقصوراً على ذكر وفيات المشهورين من الرجال ، بل هو كتاب تاريخ جامع ، فيه أخبار وأشعار ، وحوادث وقصص ؛ ولما نشرت هذه الكلمة لقيني أخي الأستاذ على محمد حسن المدرس بالأزهر الشريف فحادثني عن هذه الكلمة ، ثم ذكر لي أنه سمع بأن هناك كتاباً اسمه « وفيات الأعيان » غير كتاب ابن خلكان ، وقد اقتصر صاحبه على ذكر وفيات من عرف من الرجال ، وأن هذا الكتاب موجود بدار الكتب المصرية بالقاهرة ... !

شغلني هذا الموضوع ، فعجلت بالذهاب إلى الدار ، وأخذت أراجع فهارس كتبها المخطوطة والمطبوعة لأستنبئها عما فيها من كتب تسمى بالإسم المذكور أو تقاربه ؛ فوجدت فيها كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان ، وهو أشهر من أن يعرّف ؛ ووجدت فيها كتاب « فوات الوفيات » لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ؛ وهو كتاب متوسط ، يقع في مجلدين ، مطبوع بالمطبعة الأميرية ببولاق ، في عهد الخديوى إسماعيل باشا سنة ١٢٨٣ هـ ؛ وأنتهز هذه الفرصة لأقول إن هذه الطبعة مملوءة بالتحريفات والتصحيفات والأخطاء المطبعية مما تقذى منه العين ، ويضج له المطالع ، على الرغم من أن الطابع أحصى في أول كل مجلد منهما جانباً كبيراً جداً من الأخطاء والغلطات المهمات ، وترك الباقي لفطنة القارىء الأديب اللبيب كما يقول ... ! (١)

وكتاب الوفيات للكتبي يعتبر كتذييل أو تتميم لوفيات ابن خلكان ؛ وقد أوجز المؤلف عمله في كتابه ، ومجهوده في مؤلفه في المقدمة الطويلة التي قال فيها بعد البسملة والحمدلة والصلاة على الرسول والآل :

« وبعد ، فإن علم التاريخ مرآة الزمان لمن تدبر ، ومشكاة أنوار يطلع بها على تجارب الأمم من أمعن النظر وتفكر ، وكنت ممن أكثر لكتبه المطالعة ، واستجلى من فوائده المراجعة ، فلما وقفت على كتاب ( وفيات الأعيان ) لقاضي القضاة ابن خلكان قدس الله روحه — وجدته من أحسنها وضعاً ، لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة ، والمحاسن الكثيرة ، غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء ، ورأيته قد أخل بتراجم فضلاء زمانه ، وجماعة ممن تقدم على أوانه ، ولم أعلم أذلك ذهول عنهم ، أم لم يقع له ترجمة أحد منهم ، فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر من لم يذكره من الأئمة الخلفاء ، والسادة الفضلاء ، وأذيل من وفاته إلى الآن ، فاستخرت الله تعالى ، فانشرح لذلك صدري وتوكلت عليه وفوضت إليه أمري ، وسميته بـ « فوات الوفيات » ؛ والله تعالى المسئول أن يوفق في القول والعمل . وأن يتجاوز عن هفوات الخطأ والزلل » .

ثم أخذت أقلب بين يدي صفحات « الفوات » فإذا أنا أقع في نهايته على نص مهم لمصححه الشيخ نصر أبو الوفا الهوريني ، إذ أن هذا النص قد تحدث عن كثير من الكتب التي ألفت في الوفيات كتذييل لكتب سابقة أو تعليق على مؤلفات متقدمة ، وقد كفاني هذا النص مئونة البحث والتنقيب عما تحدث عنه من كتب ؛ قال :

« واعلم أن الوفيات قد اشتمل على ٨٤٦ ترجمة ، وذيل عليه عبد الباقي المخزومي المكي المتوفى سنة ٨٤٣ ؛ كما تقدم في هذا الكتاب ؛ بنحو ثلاثين ترجمة ؛ وكذا ذيل حسن بن أيبك المتوفى بالتاريخ المذكور ؛ وذيل عليه عبد الباقي الشيخ زين الدين عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ ؛ وأما هذا الفوات فإنه اشتمل على ٥٧٢ ترجمة ، منها نحو ست تراجم أو سبعة مذكورة في الوفيات فليست من الفوات كما يعرفه من استقصى فهارس الكتابين ؛ وأما كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي الذي انتهى فيه إلى آخره سنة ٧٦٠ قبل وفاته بأربع سنين فإني كنت أتوهم أنه ذيل آخر للوفيات غير موجود بمصر ، حتى كتبت ذلك ببعض الهوامش بناء على هذا التوهم ، إلى أن رأيت

(*) انظر العدد ٦٨١ .

(١) الامن طبعة حديثة مصححة لذلك الكتاب الجليل ؟ .

فى كشف الظنون أنه كتاب حافل جمع فيه تراجم الأعيان ونجباء الزمان ، ممن وقع عليه اختياره ، فلم يغادر أحداً من أعيان الصحابة والتابعين والملوك والأمراء والقضاة والعمال والقراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والأولياء والصلحاء والنحاة والأدباء والشعراء والأطباء والحكماء وأصحاب الملل والنحل والبدع والآراء وأعيان كل فن ممن اشتهر أو أتقن إلا ذكره ؛ إلى أن قال فى ( الكشف ) : فازداد النفع به للمحدث والأديب » ! .

وظاهر من عبارة الشيخ نصر الهورينى أن هذه الكتب التى ذكرها ليست مقصورة على ذكر « وفيات » فقط ؛ أما فيما يتعلق بكتاب الصفدى فواضح بعد ما عرفناه من حديث كشف الظنون عنه ؛ وأما فيما يتعلق بالكتب الباقية فلأنها تذييل لوفيات الأعيان ، فتكون على طريقته : وقد عرفنا من قبل طريقة ابن خلكان فى الترجمة والتاريخ .

فلنواصل البحث إذن فى فهارس الدار ، علنا نجد ذلك الكتاب الذى سمع به ذلك الزميل ... ! هأنذا أجد أخيراً كتاباً اسمه « الوفيات » لمن يسمى تقى الدين محمد بن هجرس بن رافع المولود سنة ٧٠٤ هـ ؛ فلعله الكتاب المنشود ، ولعلى أفوز بعد طول العناء بالمقصود ...

طلبت الكتاب للاطلاع عليه فى قاعة المطالعة بالدار ( وهو مخطوط ) فلم أوفق لتحقيق ذلك ، لأن المشرفين على دار الكتب فى هذا الميدان لا يحسنون معاملة المطالعين ، فتارة يقال لى : وضح الجزء المطلوب ! . وتارة يقال لى : إن الكتاب لدى حضرات موظفى الدار ! . وتارة يقال لى إن الكتاب فى الخارج ... ! وأخيراً قيل لى بعد أن استعنت بموظف فى الدار : إنه موجود فى المنارة ... !

فلم أجد أمامى إلا أن أعود إلى الفهرس المفصل المطبوع ، علىّ أجد فيه تلخيصاً لطريقة الكتاب ؛ وفعلا وجدت هذا التلخيص ، وقد جاء فيه ، تحت عنوان : « الوفيات » برقم (١٢٦م) ما يلى :

« تأليف تقى الدين محمد بن هجرس بن رافع ، المولود فى شهر ذى القعدة سنة ٧٠٤ هـ ، المتوفى فى اليوم الثانى عشر من شهر جادى الأولى ، وقيل فى اليوم الرابع عشر من جمادى الآخرة من السنة المتقدمة (؟) [1] بدمشق ؛ وهو ذيل على تاريخ الحافظ أبى محمد القاسم بن محمد بن يوسف الملقب علم الدين البرزالى الشافعى الدمشقى المولود فى شهر جمادى الأولى سنة ٦٦٥ هـ فى العشر الأخيرة من ذى القعدة ، أو فى اليوم الرابع من شهر ذى الحجة سنة ٧٣٩ هـ حينما كان محرماً بالحج ... انتهى البرزالى فى تاريخه إلى آخر سنة ٧٢٦ هـ وابتدأ المؤلف ذيله من سنة ٧٣٧ وانتهى فيه إلى سنة ٧٧٣هـ ، وفى آخره ترجمة الفيروزابادى وترجمة تمربغا ، نقلا عن المورد الصافى ، لابن تغرى بردى ؛ نسخة من مجلد مخطوطة ، بقلم معتاد ، منقولة من خط الحافظ الشهير بابن ناصر الدين ، وقوبلت عليه » ... !

إذن ليس هذا الكتاب أيضاً مقصوراً على ذكر الوفيات ، بل فيه تراجم وتواريخ ؛ وقد وقفت فهارس الدار التى بين يدى عند هذا الحد ، فأين إذن ذلك الكتاب الذى سمع به ذلك الصديق ، والذى يؤكد وجوده ويقول إنه لم يذكر فيه إلا وفيات الأعيان من الرجال ؟ ... « وفوق كل ذى علم عليم » ؛ ولذلك رأيت أن أكتب هذه الكلمة على صفحات الرسالة الغراء علّه يوجد بين قرائها من يعرف شيئا عن هذا الكتاب المنشود ، فينبئنا بخبره ، ويقص علينا طرفاً من أمره ، والحقيقة بنت البحث .

**أحمد الشرباصى**

المدرس بالأزهر الشريف



(١) هكذا فى الأصل ، ولم تسبق سنة الوفاة ، وإنما السابقة سنة الميلاد ، ولعله سهو .

**صفحة مطوية من الأناشيد القومية:**

# أذكروا ...

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

يا بنى النيل وأحفاد الأُولى
أطلعوا الفجرَ على الكونِ القديمْ
رفعوا الأهرام رمزاً للعُلا والبرايا فى كهوفٍ وهشيم

***

أذكروا أن تَرَى هذا البلدْ من تجاليد الجدودِ العُظَماء
لا تطئها أرجل العادى الألدْ وبكم أبناءهم بعضُ الدِّماء
تُربُها التبرُ المصفَّى المنتقَد
لا الذى يَقنِى الشَّحاحُ الأدنياء
فامنعوا كنزكم أن يُبذلا أو فعيشوا عمركم عيش عديم
لن تروا فى الأرض عنه بدلا مالكم كنزٌ سوى هذا الأديم

***

أذكروا أنَّ عليكم واجباً لبنينا فى بطون العُصُر
فاحفظوا هذا التراث الواصبا فهو حقُّ الوارثِ المنتظَر
نتقاضى الإرثَ عصراً ذاهباً فلنصنْهُ للعصورِ الأخر
سنؤديه إليهم أكملا لم يُغيِّرْهُ زمانٌ أو خصيم
لِحمى مصرَ تحاماهُ البِلى وبنوها خيرُ من يحمى الحريم

***

أذكروا حاضركم كيف يُقام ليس يُغنينا تليدُ القدماء
ما التماثيل المهيبات الجِسام وأبو الهول رهينُ الصَّحراء!
ما المسلاتُ على بابِ الرَّجام والنَّواويسُ وفيها المومياء!
ما عظيمٌ فى التواريخ خلا فى ثنايا حاضرٍ غيرِ عظيم
فاجعلوا عهد العلا متَّصلا كاتساق الدُّرِّ فى العِقدِ النَّظيم

***

أذكروا مهما بلغتم سؤددا أنكم لم تبلغوا أوجَ الكمال
ابعِدوا فوقَ المنالِ المقصدا فبنو الشمسِ لهم أقصى المنال
كم عبدنا قرصَها المتقدا فاتقدنا فى جهادٍ ونضال
نبتنى الهيكل يتلو الهيكلا خالداً فى ساحة الرمل مقيم
وسيبقى موطن الشمس إلى يوم لا يبقى لها قرصٌ ضريم

***

أذكروا أن التفانى والغِلابْ فى سبيل المثلِ الأعلى البعيد
نفثا فيكم وأنتم من تراب شعلةً غراء من معنى الخلود
شعلة تجلو عن الحق الحجاب
وتصفِّى النفسَ من رِجسِ الوجود
فاضرموا فى النفس هذى الشُّعلا
أضرموها تكفلوا الفوزَ العميم
مثلما أُضرمت النارُ على مذبحِ الربِّ بمحراب كريم

***

أذكروا ذاك وامضوا قدُما لانكن وجهتنا غيرَ الأمام
تزدجينا دقَّةُ القلبِ كما يقرع الطبلُ لجرَّارٍ لُهام
فنسيغُ الموت صونًا للحِمى
ونذيلُ العمرَ سعياً واعتزام
فبحقٍ نحن أحفادُ الأُلى
أطلعوا الفجر على الكونِ القديم
رفعوا الأهرامَ رمزاً للعُلا لا يدانى شأوه غير النجوم

---

## البريد الأدبي

### وفاة الكاتب الانجليزى ﻫ . ج ويلز:

توفى بعد ظهر اليوم الثالث عشر من أغسطس الكاتب الانجليزى الألمعى ﻫ . ج ويلز عن ٧٩ عاما قضاها فى خدمة الفكر البشرى يفكر للقادة ويكتب للناس ويعمل للأدب ، ويكشف لركب الخليقة مجاهل الطريق ومعامى المستقبل ؛ حتى أضاف للثروة الأدبية العالمية محصولا من الانتاج الممتاز فى السياسة والتاريخ والقصص يتسم بالبحث العميق والنظر البعيد والألمعية الصادقة . نشأ ويلز نشأة متواضعة وكان بعد أن ترك المدرسة صبياً بتاجر أقمشة ثم مساعد الصيدلى ثم وكيلا لاحدى المدارس الأهلية . وكان من أوفر كتاب عصره إنتاجاً وأذيعهم شهرة وأكثرهم قراء حتى بيع من كتابه ( معالم التاريخ ) مليون ونصف مليون نسخة . وقد انتابه فى سنينه الأخيرة مرض الديابيطس واعتراه ضرب من الهم على مصير العالم ومستقبل السلام . وقد تنبأ بالقنبلة الذرية فى كتابه الذى أصدره فى عام ١٩١٤ بعنوان ( العالم صار حراً ) ، وقد عاش حتى رآها تخرب المدن وتهدد الحضارة . وفى بعض أعداد الرسالة من هذه السنة فصل عن أدبه يفيدك أن ترجع إليه .

### معجم ألفاظ القرآن الكريم :

ألفت لجنة من بعض أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية لوضع معجم لألفاظ القرآن الكريم مفسرة تفسيراً يجمع بين الدقة والوضوح ، واللجنة مؤلفة من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر والدكتور حسين هيكل باشا وعلى الجارم بك والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ ابراهيم حمروش . وقد اختار هؤلاء الأعضاء مساعدين لهم من بين المشتغلين باللغة والأدب من أساتذة الجامعة ودار العلوم والأزهر ، ومحررى المجمع .

### مطبوعات المجمع اللغوي :

وافقت الجهات المختصة على صرف كميات من الورق لمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وسيشرع المجمع فى طبع مجلته ومجموعات محاضره التى تعطلت عن الظهور منذ عام ١٩٣٩ .

ومما يذكر أن المجمع لم يصدر من مجلته إلا أربعة أجزاء ولم يصدر من محاضر مؤتمراته إلا أربع دورات مع أنه أتم الآن اثنتى عشرة دورة .

وقد أعد المجمع فعلا الجزء الخامس من المجلة وينتظر أن يصدر فى أول السنة المقبلة .

### علم الاجتماع الديني :

« قل ما شئت من خير فى الأدب العربى الحديث ، وسمه كيف شئت . فهو أدب عالى ، وهو أدب حى . وإنك لتجد فيه شعراً غزير المادة وخيالا خصباً فى عنفه ولطفه ، وإنك لتجد فيه قصصاً جذابة صادقة الاحساس جميلة التصوير .

« ولك أن تطلق على ثقافتنا ما يروقك من النعوت . ولك أن تحلى جيدها بما يعجبك من جميل الألقاب . فإنك لتقرأ فيها من الانتقاد دقيقه ونصيب من الفن جليله .

« لك ما تشاء ، ولكن ، ناشدتك المولى ، لا تنعت أدبنا الفكرى ولا ثقافتنا بالعلمية . لأنك لا تجد فى أدبنا تفكيراً بحتاً ولا فى ثقافتنا علماً صرفاً . ولست بهاضم لحقوقهما إذا قلت أن أضعف ما فيهما التفكير وأقوى ما فيهما الخيال » .

بهذا التصوير قدم الأديب السورى الأستاذ يوسف باسيل شلحت كتابه « علم الاجتماع الدينى » ويتحدث فيه عن أكثر الأديان بدائية عند الجلف المتخلفين من قطان استراليا والقبائل المتأخرة فى بقاع العالم . وهى مقدمة أحسب أن فيها تجنياً كبيراً على الأدب العربى وليس أدل على ذلك من أن المؤلف ذيل كتابه بقائمة مراجع عربية للأساتذة الدكتور هيكل باشا ونقولا الحداد وجرجى زيدان والريحانى وسواهم ممن كتبوا كتباً علمية نفيسة ، فضلا عن أنه أشار فى مستهل كتابه إلى مؤلفى الدكتور

على عبد الواحد وافى فى علم الاجتماع وهما كتابان خيِّران ، وإلى باقى مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية .

وكتب الأستاذ شلحت توطئة عن علم الاجتماع انتقل إثرها إلى البحث عن تعريف « للديانة » فلم يضع لنا تعريفاً شاملا ، بل أشار إشارات عابرة إلى تعريفات وضعهـا بعض فلاسفة الفرنسيين والألمانيين ومعظمها سطحى . وهناك تعريف للديانة لم يشر إليه الأستاذ شلحت وقد أورده الأستاذ رايت W.K. wright فى كتابه « فلسفة الأديان » وهو : « إن الدين محاولة لاحراز القيم الاجتماعية المعترف بها وصيانتها عن طريق أداء أفعال معينة يُقصد بها الاستعانة بوسيط معين يختلف عن الذات الشخصية للفرد ، وعن جميع الكائنات البشرية ، مع الشعور بالاعتماد على هذا الوسيط » .

وأعتقد أن هذا التعريف أشمل ما وُضع ، لأنه يستطيع أن يحتضن معظم الأديان المعروفة ، فطرية وحضرية . ولا ريب فى أن التواضع على تعريف معين أمر غير يسير ، وقد أصاب الأستاذ سيلرز Sellers عند ما قال : « إن معظم الأشياء الفائقة القيمة يصعب تعريفها على حدٍ سواء » .

وكتاب « علم الاجتماع الدينى » من الروّاد فى هذا الباب ، ويكاد يكون أشمل كتاب صادفنى باللغة العربية فى علم فلسفة الأديان . غير أن المؤلف لم يُشر إلى الديانات البدائية سوى إشارة خاطفة ، وقصر معظم كلامه على الحديث عن « الطوطمية[1] » .

وكنا نودّ أن يفيض فى البحث فى الأديان الأخرى المميّزة عن شؤون الحياة « كالتودا » و « الباجاندا » و « الفيدا » و « المانا » لأن الاشارة الخاطفة إلى بعضها لا تكفى فى مثل هذا البحث .

وختم الأستاذ شلحت كتابه بفصل رائع عن مستقبل الديانات قال فيه « إن الديانة لن تظل على ما كانت عليه فى الأعصر الأولى تقيّد حركة الأفراد وتمنع عنهم سبل التفكير الحرّ . فان التطور الدينىّ يحملنا على الاعتقاد أن العقول متجهة إلى التخفيف من نير رجال الدين عن رقاب العباد وإلى التقليل من هول الدين فى أعين الناس » . ولست أذهب إلى الاتفاق معه على هذا الرأى ولكننى أرى أن الانسان متى أقلع عن الإثم لأنه إثم لا لأن الدين يحضه على ذلك ؛ وإذا فعل الخير لأنه يرى أنه خير لا لأن الدين يحثه على ذلك ، أصبح الانسان فى حالة دينية سامية ، لأنه بتصرفه ذاك يجعل الدين جزءاً من حياته اليومية ، شائعاً فى جنبات روحه حتى ليمحى الفصل بين روح المرء ودينه . أما التظاهر بالتدين والتباهى بالقداسة وممارسة الفرائض الدينية بطرق آلية ، فهذا امتهان للدين أكثر منه إكراماً له .

(١) Totemisme . وأوثر أن تكتب « الطوطمية » وحبذا لو قرأ المؤلف مقالا فى المقتطف فى عدد فبراير ١٩٤٦ « الأديان البدائية »

**وديع فلسطين**

## تصويب :

جاء فى مقال ( شريعة الكمال والخلود ) المنشور بالعددين ٦٨١ ، ٦٨٢ من « الرسالة » بعض الأخطاء المطبعية نصححها فيما يلى :

الوذيلة = المرآة وصحتها : الوذيلة المرآة

توهموا وصحتها : توهمهم

ولا ريب وصحتها : لا ريب

ولدحض هذه الحجة وصحتها : ولإدحاض




قصة من الأدب الروسى الرفيع :

# الملاك ...

للفيلسوف الروسى الكبير لوى تولستوى

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

— ٣ —

طفقت المرأة تحدثهم بقصة هاتين الطفلتين ... وقد شاع الحزن فى صوتها ، وارتسم الألم على جبينها فقالت : « إنها لقصة فاجعة ... ! لقد قضى أبوهما يوم الثلاثاء ، ولحقت به أمهما يوم الجمعة بعد أن وضعتهما ... وكنت أنا وزوجى نعيش كسكل الفلاحين فى بساطة عيش ودقة حال ، وكانت دارنا مجاورة لدارهم. لقد مات أبوهما وكان يقطع الأخشاب فى الغابة تحت جذع شجرة هوت عليه من حالق ، فسحقته وفاضت روحه قبل أن يبلغوا به الدار وبعد ثلاثة أيام . وضعت زوجته هذين التوأمتين — ولم يكن لها من ناصر أو معين فوضعتهما وحيدة ... ولقيت منيتها وحيدة ... ! وفى اليوم التالى توجهت إليها ، أنظر ما آلت إليه حالها ... فما كدت أتخطى السكوخ ، حتى وجدتها متيبسة الجسد وقد علت وجهها صفرة الموت ... وتدحرج جسدها فوق هذه الطفلة ، فأصاب ساقها العرج ... !

وجاء القوم من القرية — وكلهم حزين ، يأكل قلبه الألم — فكفنوها فى خال وحملوها إلى المقبرة ، ودفنوها جوار زوجها ... لقد كانت الطيبة تملأ نفوسهم والعطف يفيض من قلوبهم ... ! ولسكن هاتين الطفلتين أصبحتا ومالهما من ولى أو كفيل ... وكنت حينئذ المرأة الوحيدة فى القرية التى عندها طفل لم يتجاوز أسبوعه التاسع ... فضممتها إلى صدرى ... وعدت بهما إلى كوخى . فلما اجتمع الفلاحون راحوا يفكرون ويطيلون التفكير فى أمرهما ، وأخيراً ، قالوا لى : عليك العناية بهما الآن ياماري ... وسوف ندبر أمرهما فيما بعد ... ! »

فأخذت على عاتقى أن أرضع هذه الطفلة الصحيحة ، وأدع العرجاء ... فما كنت أحسب أنها ستعيش . ولسكنى تساءلت : بأى ذنب تعانى هذه الطفلة ألم الجوع ؟ ! فما لبثت الرحمة أن فاضت بين جوانحى ... فرحت أرضعهما مع طفلى ... وقد كنت لبانة يتفجر اللبن من ثديى فى فيض لا ينقطع ، وكان الله يأتينى برزق هاتين الطفلتين ... فترعرعتا على حين توفى الله طفلى الوحيد ، قبل أن يبلغ السنتين ... وقد أقبلت علينا الدنيا بعد انصرافها عنا ... فزاد حبى لهما وحنانى عليهما ...

أفعلمتم الآن سبب ذلك الحب ؟ ! إنهما سعادتى فى هذه الحياة ، وأملى فى هذه الدنيا ... ! » وضمت « السيدة » الطفلة العرجاء إلى صدرها بإحدى يديها ، بينما ارتفعت يدها الأخرى لتمسح دمعة حارة تحدرت على خدها فتنهدت « مترونا » ... وقالت فى صوت عميق وجرس ندى : « صدق من قال » يعيش المرء بغير والديه ! ولسكن لا يعيش بغير الله ... ! »

وران الصمت عليهم ... ! وفجأة انبثق فى السكوخ نور باهر كأنه وميض البرق فى ظلمات الشتاء ... وشع الضوء من ذلك الركن الذى يجلس فيه « ميشيل » ... فالتقت عنده أبصارهم . وهو على كرسيه يحدق فى سماء الغرفة . وقد افتر ثغره من ابتسامه حلوه ... أشرقت فى وجهه وأضاءت على جبينه ...

فلما تهيأت المرأة للذهاب . حيتهم ... وأمسكت بطفلتيها . ومضت بهما ... فنهض « ميشيل » من جلسته ... ووضع ما كان بيده وخلع عنه مئزره ... ثم انحنى لسيمون وزوجته « مترونا » وقال فى صوت شكور « وداعاً ... أيها السادة ... لقد عفى الله عنى ... ! وغفر لى ذنبى ... »

وراح ميشيل يتألق فى ضياء تنبعث من هالة حوله ... فانحنى سيمون وقال فى صوت ملؤه العجب « لقد حدست إنك لست بشر ياميشيل ... ولن أثقل عليك بتساؤلى ... ولسكن آمل أن تخبرنى : لماذا تألق وجهك حينما عثرت عليك فى الطريق عرياناً جائعاً ؟ ! ولماذا ابتسمت إلى زوجتى تلك الابتسامة الوضيئة حينما قدمت إليك الطعام؟ ! وحينما دخل ذلك «السيد الجليل» كوخنا،

لتصنع له حذاء. إفتر ثغرك عن بسمة مثيلة بها ؟ . وأخيراً حينما أتت هذه السيدة مع هاتين الطفلتين تأتى وجهك بابتسامة ثالثة فى جلال وبهاء ...

نشدتك الله ياميشيل أن تطلعنى على سر ذلك الإشراق، وعلة هذه الابتسامات الثلاث ؟ ! ! » ...

قال ميشيل فى صوت هادئ رخيم « لقد انبثق الضوء عنى وأشرق النور منى لأن الله يعاقبنى ... بيد أنه عز وجل غفر لى ذنبى أخيراً ! ... والسر فى تلك الابتسامات الثلاث أن الله أرسلنى كى أتعلم ثلاث حقائق ... وقد تعلمتها ... !

لقد تعلمت واحدة حينما فاضت الرحمة من قلب زوجتك ... فكانت الابتسامة الأولى ! !

وتعلمت الثانية حينما سمعت ذلك « السيد » يتحدث عن حذائه، فكانت الابتسامة الثانية ! !

وتعلمت الثالثة عندما رأيت هاتين الطفلتين ... فكانت الابتسامة الثالثة . ! »

فقال سيمون فى دهش ورجاء « خبرنى لماذا عاقبك الله يا ميشيل ؟ ! وما هذه الحقائق الثلاث ؟ ! »

فأجاب ميشيل فى صوته الهادئ الرخيم « لقد عاقبنى الله لأنى عصيت له أمراً ... لقد كنت ... ملاكا أسبح فى ملكوته الأعظم ... فأنزلنى ذات يوم إلى الأرض لأقبض روح امرأة من خلقه ... فأبصرتها راقدة على سريرها وحيدة — وقد وضعت توأمين ! — فلما أحست دنوى منها، أدركت أنى رسول الله إلى روحها ... فقالت وقد كادت أن تحبس صوتها الدموع :

« أيها الملاك ... لقد مات زوجى منذ أيام وما لى من أخت أو عمة أو ولية ترعى طفلتى ... فلا تقبض روحى ! ودعنى أرضعهما وأرعاهما حتى تستويا على سوقهما قبل أن أموت ! ! إن الأطفال لا تحتمل العيش دون أب أو أم ! . »

فأصغيت إلى حديثها الرقيق الرفيق ... ووضعت إحدى الطفلتين على صدرها والأخرى على ذراعها ... وانثنيت آيباً إلى الله تعالى فى السماء ... وقلت فى خشوع « إنى عاجز عن أن أقبض روح هذه الأم ... لقد قتل زوجها تحت جذع شجرة منذ أيام ... وولدت لها اليوم توأمتان ... وتوسلت إلى ألا أسل روحها قائلة « دعنى أرضعهما وأرعاهما حتى تستويا على سوقهما قبل أن أموت ! إن الأطفال لا تحتمل العيش دون أب أو أم . ! »

« فعدت ويدى عاطلة من روحها ! . » فسمعت الصوت العلوى يردد الأمر الجليل « إذهب ... فاقبضها ولا تكن عودتك إلى السماء قبل أن تتعلم حقائق ثلاث » :

« ما الذى فطر عليه الإنسان ؟ ! »

« ما الذى حرم منه الإنسان ؟ ! »

« ما الذى يعيش به الإنسان ؟ ! »

فعدت طائراً إلى الأرض — وأنا أرتعد فرقاً من غضب الله وأنتفض جزعاً من عقابه . فقبضت الروح ... وسقطت الطفلتان من على صدرها، ومال جسدها على جانبها، فحطم ساق إحدى الطفلتين فالتوت ... وهممت بأن أصعد إلى السماء أحمل الروح إليها . ولكن الريح أثقلتنى وأخذت أجنحتى تتضاءل وتنسل من ظهرى ... فصعدت « الروح » وحدها إلى الله ... بينما سقطت أنا على الأرض فى جانب من الطريق ! . »

ففغر سيمون فاه ... ونظرت « مترونا » فى بلاهة يشوبها الدهش ... لقد أدركا الآن من كان يضمه دارهم ويعيش بينهم ويأكل من طعامهم .. فترقرقت الدموع فى عيونهما ... وراحا يبكيان فى نشيج ومزيج من الرهبة والمرح . والإجلال والفرح

وانطلق الملاك يقول : « لم أكن أعرف حاجات البشر من جوع وعرى حتى صرت بشراً مثلهم ... كنت وحيداً ... يهرؤنى القر، وانضور من الجوع ... ولا أدرى ما الذى أفعله فى هذا العالم

وامتد طرفى ... فلمحت كنيسة على مرماه .. فتوجهت إليها عسانى أجد ثمت موئلا ... بيد أنها كانت مغلقة ... فتوجهت إلى ما وراءها ... حيث قعدت أتوقى بها الريح الصرصر التى تسفح الوجه، وتصك الجسد ... !

فلما غشى المساء عيون الكون ... رأيت إنساناً يقبل وحيداً على ... وبينه وبين نفسه حديث ... ولأول مرة رأيت وجه الإنسان ... ذلك الوجه المخيف الميت فأشحت عنه برأسى ... وطرق سمعى ذلك الحديث أو تلك الخواطر التى كانت تضطرب بينه وبين نفسه ... وتنعكس على شفتيه فيرتفع بها صوته ... كان يتساءل كيف أنه يقى جسده لفحة البرد وقشعريرة الشتاء، ويغذى زوجته وصغاره بماله اليسير ...

فرمت أفكر « هذا إنسان يدبر ملبساً له فى الشتاء ... وطعاماً لعائلة ... فكيف يقدم لى يد المساعدة ؟ ! » فلما لمحنى اضطرب فرقاً وجزعاً ومر بى فى الجانب الآخر من الطريق ...

فتداركني اليأس، لولا أني أبصرته ينقلب راجعاً إلى ... فرفعت إليه بصري فلم أعرفه ... لقد كان يرتسم الموت على جبينه ... أما الآن فسوف يعيش ... لقد عرفت في شخصه وجود الله عز وجل . ! ألبسني ثوباً عليه، وأخذني معه إلى داره حيث وجدت من هي أقسى قلباً وأشد كلاماً، لقد شاع في صوتها الموت، وأبصرت من حولها الهلاك ... كانت تود لو ألقت بي إلى قارعة الطريق ... ولو أنها فعلت ذلك لكان الموت من نصيبها . !

فلما بدأ الرجل يحدثها عن الله عز وجل، لان قلبها ومال إلى فؤادها ... فأحضرت لي الطعام، ونظرت إلى وجهي في عطف وشفقة ... فعرفت في شخصها وجود الله ...

فتذكرت أولى الحقائق الثلاث التي أمرني الله بأن أعلمها « ما الذي فطر عليه الإنسان ؟ ! . »

فأدركت أن الذي فطر عليه الإنسان هو « الحب » ! ! وقد تولتني البهجة حينما علمت أن الله أوحى إلى بالدرس الأول ... فافتر ثغري عن الابتسامة الأولى ... ولكن بقي على أن أتعلم الحقيقتين الأخريين : « ما الذي حرم منه الإنسان ؟ ! » و « ما الذي يعيش به الإنسان ؟ ! »

« مضى عام وأنا أعيش بينكم ... فلما أتى ذلك السيد الجليل يأمرنا بصنع حذاء له على ألا يبلى أو يخلق قبل أن تنقضي سنة على ذلك ... نظرت إليه ... وعلى حين غره لمحت فوق رأسه رفيقي « ملاك الموت » ولم يره أحد سواي ... ولكنني عرفته، وأدركت أن الشمس لن تغيب عن الأفق إلا وقد غابت روح ذلك الرجل عن جسده ... فتعجبت ... إن هذا الرجل يعد العدة لعام بأكمله ... ولا يحسب أن قضاءه قد حم ... وأن المساء لن يأتي عليه إلا وجثته مسجاة هامدة ... »

فتذكرت الحقيقة الثانية، فكأن الله يوحى إلى أن تعلم « ما الذي حرم منه الإنسان ؟ » فابتسمت للمرة الثانية ...

ومكثت أنتظر أن يوحى إلى الله بالحقيقة الثالثة « ما الذي يعيش به الإنسان ؟ ! »

وفي العام السادس . جاءت امرأة ومعها توأمتان صغيرتان فعرفت الطفلتين وعرفت أن الله قد قيض لهما من كان أحن عليهما من أمهما ... فعاشتا وترعرعتا . !

ولما سمعت ما قصته علينا من كفلتهما رحت أفكر مستغرقا « لقد توسلت إلى الأم أن أدعها حية حتى ترعى الطفلتين ... الضعيفتين ... واعتقدت أنها على حق حينما قالت « إن الأطفال لا تحتمل العيش دون أب أو أم ... » بيد أن امرأة غريبة عنهما كفلتهما حتى نمتا وشبتا ... وأدركت مبلغ ذلك الحب الذي يختلج بين جوانح تلك الظئر الحاضنة ... فرأيت في شخصها وجود الله ... وتعلمت الحقيقة الثالثة وهي « ما الذي يعيش به الإنسان ؟ ! » ... إنه « الحب » ... وعلمت أن الله أوحى إلى بالدرس الأخير ... وأنه عفى عما تقدم من ذنبي ومن عصياني أمره على غير بصيره ... فكانت الابتسامة الثالثة !! . »

أضحى « الملاك » وهو عار مما عليه ... يشع من جسده نور قوي يبهر الأبصار ... وراح صوته يخفت وينخفض حتى صار، وكأنه لا يأتي من فيه ... بل يأتي ... من السماء ... !

« لقد علمت أن البشر لا يعيشون بالحرص على حياتهم ... بل بالحب المغروس في قلوبهم وهل نفع حرص الأم على بنتيها ؟ ! لا بل كان حب الظئر لهما ! ! .

ولقد عشت — عند ما كنت إنساناً — لا بالحرص على حياتي ... بل بالحب الذي يختلج بين جوانح عابر سبيل ... وبالرحمة والعطف الذي انبثق في فؤاده هو وزوجته علي ...

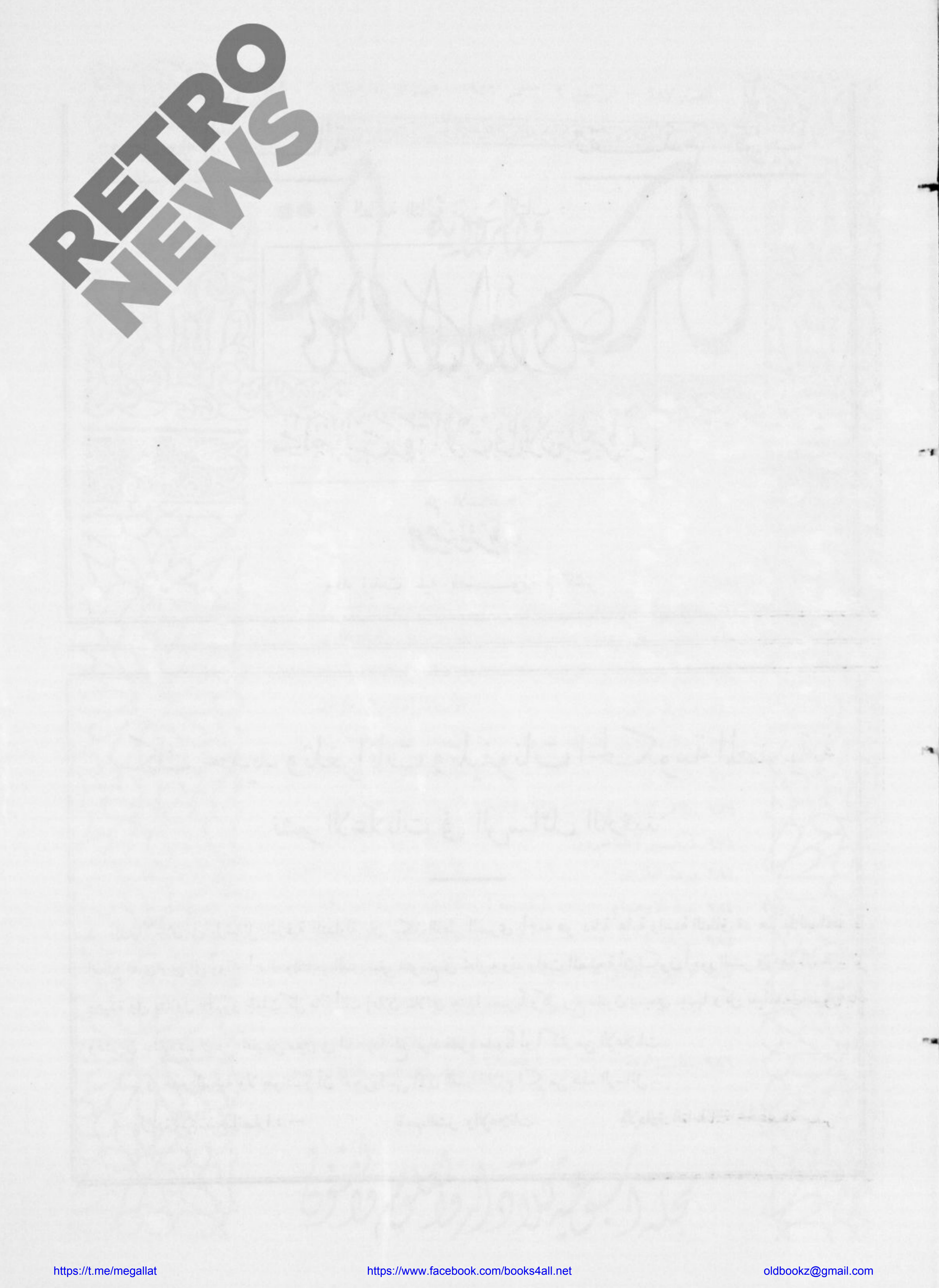
إن الحب شيء فطر عليه الإنسان وغرس في قلبه ... وعليه يعيش وبه يحيا في هذه الدنيا ... ! وكنت احسب أن الله وهب الحياة للبشر، ومنحه الأمل في أن يعيش ... بيد أني الآن علمت أشياء أخرى ... ! علمت أن الله لم يخلقه كي يعيش وحيداً فريداً . بل خلقه ألوفاً ساعياً للارتباط بغيره ... عرفت أن المرأ مع تخيله أنه يعيش بالحرص على حياته ... فهو يعيش في الحقيقة بالحب ... لأن من كان الحب يملأ قلبه ... ففيه نفحة من الله ... فالله عز وجل هو الحب ... والحب هو الله !! ... »

ثم ارتفع صوت « الملاك » في جرس ندى يردد أنشودة ملائكية يحمد فيها الله ويثني على آلائه ! ! فكان الكوخ والأشجار والطيور تتراقص وتهتز وكأنها تسبح بآيات الله ... وانحسر سقف الكوخ حيث ارتفع عمود من النور يربط السماء بالأرض ... فخر « سيمون » وزوجته وأطفاله وقد بلكت نفوسهم الرهبه والخشوع، وملأت قلوبهم الخشية والإجلال ! .

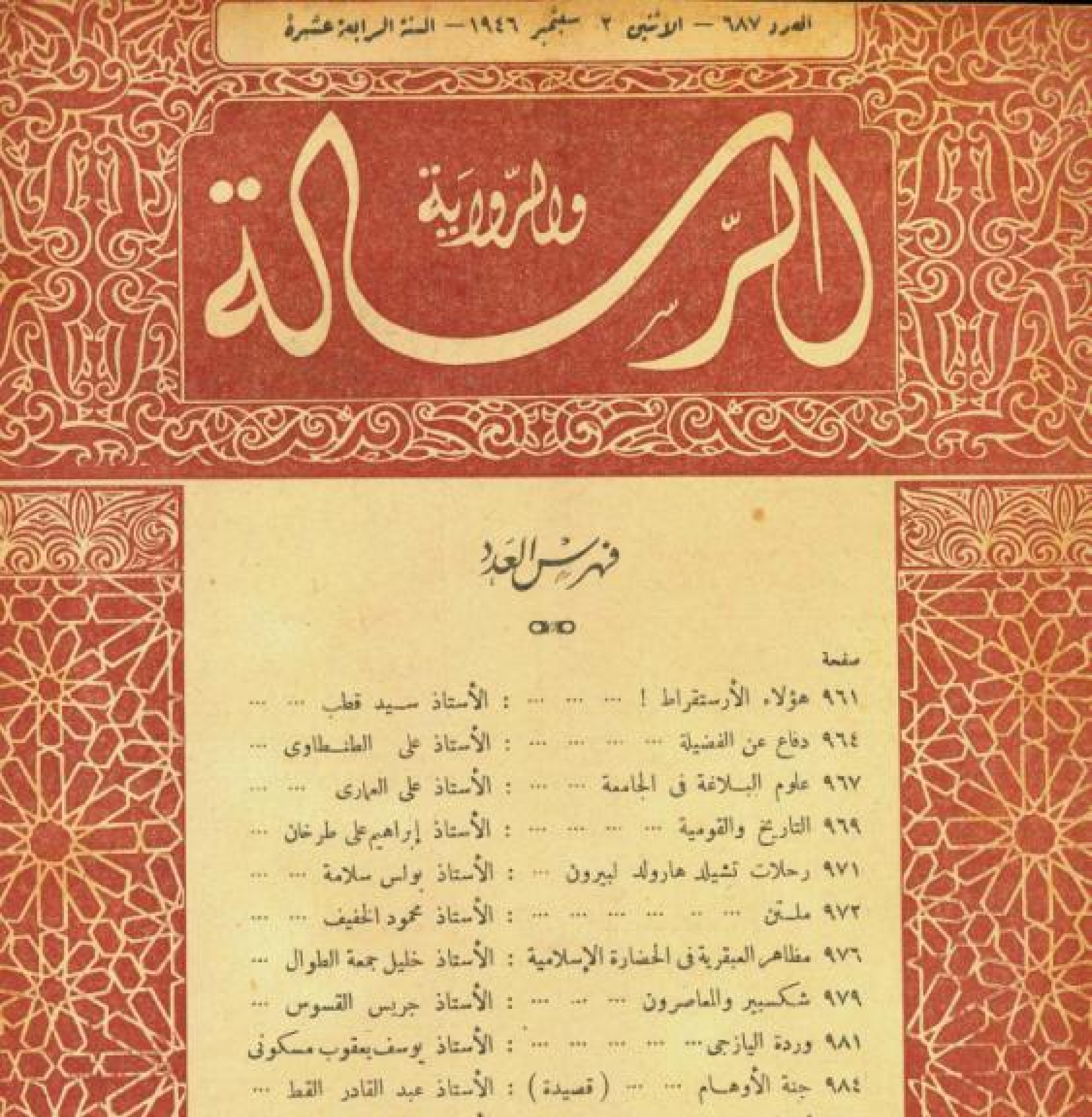
ونبت « للملاك » جناحان على كتفيه ... حيث راح يسبح بهما مصعداً إلى السماء ... !

فلما أفاق « سيمون » ... وراح يقلب طرفه فيما حوله ... رأى الكوخ وقد أصبح كما كان ... وليس فيه سوى زوجته « مترونا » وأطفاله الصغار ...

**مصطفى جميل مرسي**



العدد ٦٨٧ — الاثنين ٢ سبتمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

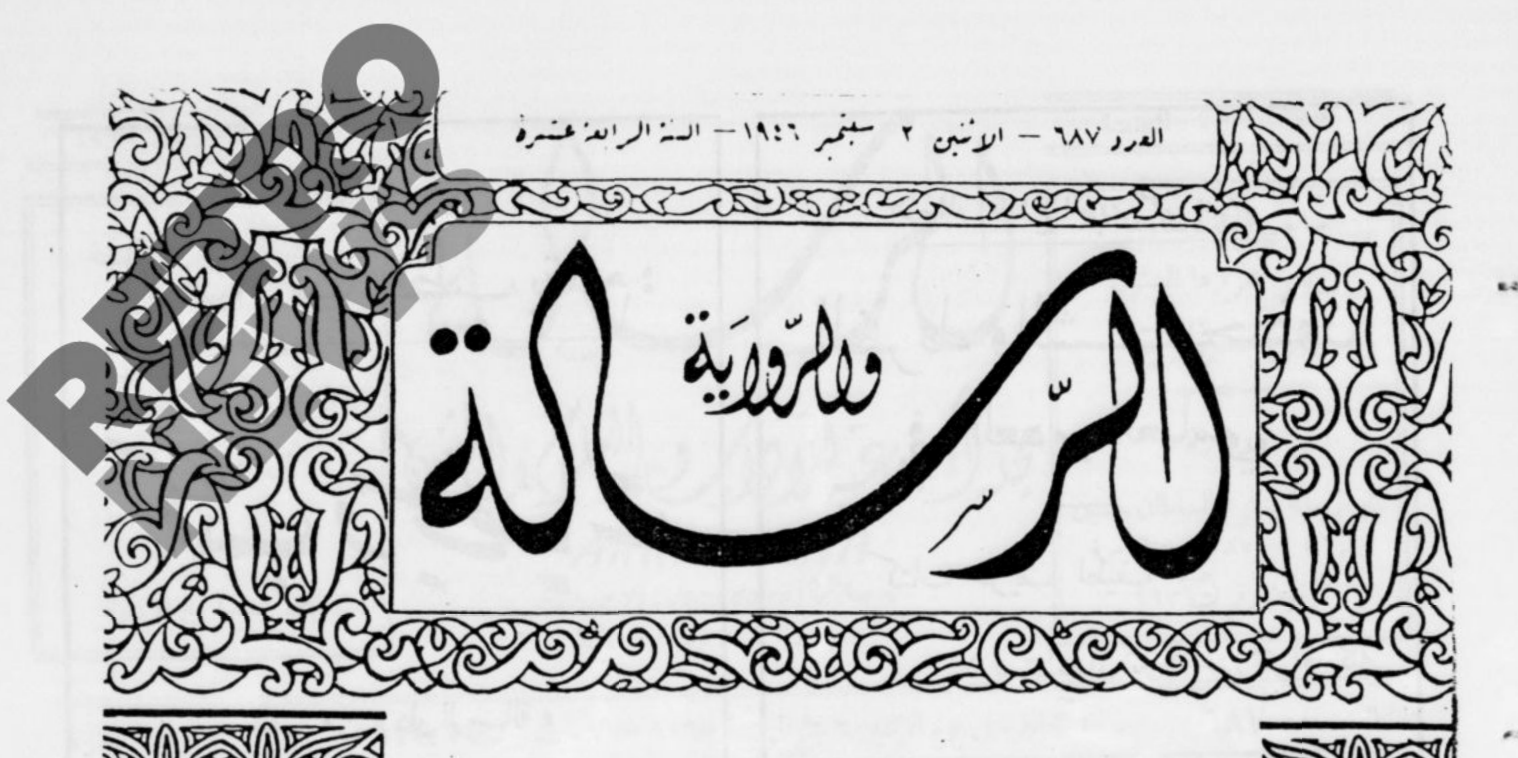



## فهرس العدد



مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٨٧ — الاثنين ٢ سبتمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة




فهرس العدد



٢٧٠١٩

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

14 me Année No. 687

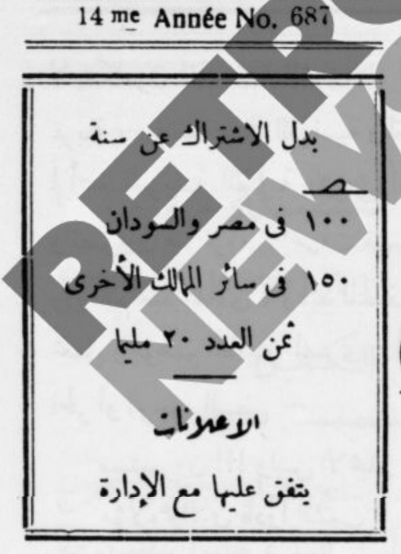
Lundi—2—9—1946

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique



بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٦٨٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ شوال سنة ١٣٦٥ — ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

٤ — من لغو الصيف

# هؤلاء الأرستقراط ...!

للاستاذ سيد قطب

قلت : أذهب إلى « بلاج سيدى بشر رقم ٢ ، ورقم ٣ » أرى هؤلاء « الاستقراط » الذين خصتهم الدولة بشواطىء خاصة ، لا تطؤها أقدام الشعب إلا لقاء جعل معلوم !

وأديت هذا الجعل ، وحملت فى يدى « تذكرة الدخول » بارزة ، فأنا رجل من الشعب . وما آمن أن يعترضنى شرطى أو حارس ، وأنا أسير فى الأرض المحرمة ، التى لا يجوز أن تطأها أقدام الشعب إلا بترخيص !

وسرت بحذر واحتراس ، أتوجس خيفة من كل خطوة — على رغم أنى أحمل الترخيص بالمرور — فأنا هنا فى وسط «الارستقراط » وأنا رجل من الشعب . وتعليمات الدولة المسطرة على المداخل توقع الرعب فى القلوب : « ممنوع دخول هذا البلاج لغير أصحاب الكابينات إلا ... الخ » ، وذكرنى هذا بتعليمات أخرى فى بعض الحدائق والأماكن : « ممنوع دخول الكلاب إلا ... الخ » .

ورأيت الدولة قد اختارت أجمل مناظر الشاطىء على الاطلاق لتخص بها هؤلاء السادة المحظوظين . فبلاجا سيدى بشر رقم ٢ ورقم ٣ يلخصان جميع مناظر « الكورنيش » . مناظر الشواطىء الصخرية ، والشواطىء الرملية ، والشواطىء الصناعية ، والموج الصاخب ، والموج الهادىء ، والموج العميق .

وهل أقل من أن تجمع الدولة لهؤلاء السادة أجمل المناظر وأبهجها ملخصة فى الشاطىء المحرم ، الذى لا يجوز أن تطأه أقدام الشعب إلا بترخيص ؟ !

وسرت ترمقنى أنظار السادة كما ترمق العبيد ... من هذا الدخيل الواغل ؟ إنه رجل من الشعب . يا لهذا الشعب الطفيلى الذى لا ينى يعكر صفو السادة بهذا التطفل الغريب ... ولكنى أحمل الترخيص !!!

وانتبهت بعد هنيهة ، واستمدت رباطة جأشى ، وتقويت بهذا الترخيص الذى تحمله يدى ، فدسسته فى جيب قميصى ، وحرصت — مع هذا — على إبقائه ظاهراً ؟ !

لا بد أن يكون هؤلاء السادة يستحقون هذا التدليل . لا بد أنهم يترفعون بمستواهم وأخلاقهم عن العامة . لا بد أنهم «أرستقراط» فى نفوسهم ، قبل أن يكونوا أرستقراطا بجيوبهم ، وإلا فهل تقدم الدولة على عزلهم هكذا عن الشعب — فى نفس الوقت الذى تحارب فيه انعزال الطبقات — إلا لسبب معلوم !

ولكنى لا ألمح هنا امتيازاً خلقياً ولا نفسياً . إنهم — والشهادة لله — أوقح وأجرأ وأشد تبذلا من عامة الشعب فى « بلاجات الشعب ، التى يمرح فيها بلا جعل ولا ترخيص !

شيء واحد يفرق هؤلاء السادة عن الشعب ... أنهم

لا يتكلمون لغة هـذا الشعب . اللغة العربية أو المصرية هنا غريبة ... ولقد سمعت الفرنسية والتركية والرومية ... ولكنى لم أسمع العربيـة المصرية إلا من الخدم وحراس الشاطئ ... والمصريون هنا غرباء . عرفت منهم على ماهر ، ومكرم عبيد ، وإبراهيم عبد الهادى ، وعبد المنصف محمود ... وحفنة قليلة ممن تحمل وجوههم الطابع المصرى ... أما الأغلبية فمن ذوى الوجوه الحمر أو الوجوه البيض ...

مستعمرون !!! وليس الانجليز وحدهم هم المستعمرين !!!

هؤلاء هم الذين قادوا الشعب إلى الهاوية ... انحلت أخلاقهم ، لأنهم لا رصيد لهم من خلق ولا دين . ولا رصيد لهم كذلك من عراقة ولا تقاليد .

وكلمة «أرستقراط» التى تطلق عليهم لا تحمل من معناها العالى شيئاً . ليس فى مصر طبقة أرستقراط كطبقة اللوردات المحافظين فى انجلترا مثلا ... فأعرق أسرة من هؤلاء لا يزيد تاريخها فى الغنى على مائة عام ...

جاء محمد على الكبير والشعب المصرى فقير . والأثرياء هم المماليك ومن يلوذون بالمماليك ... وجعل محمد على زمام الأطيان كلها فى يده ، فلم يبق ثرى لا فى الشعب ولا فى المماليك ... ثم أخذت الثروات تتسرب إلى أيدى طبقات خاصة على مدى السنين فى هذا الحيز القصير .

وفاز بنصيب الأسد على توالى الأجيال : أبناء الجوارى ، والمعاتيق ، والذين خدموا الاحتلال — والذين عرفوا كيف يدورون مع الريح . والقلة القليلة فى العصور المتأخرة هى التى كسبت ثروتها بالجهد وعرق الجبين .

تلك هى قصة الثراء فى مصر مختصرة . كلهم محدثو نعمة ، لم تتأصل فيهم تقاليد «الارستقراط» المعروفة فى بلاد العالم . ومن هنا لم يكن لهم رصيد من العراقة ... ووجدوا فى أيديهم النقود .

هؤلاء هم الذين يقودون الشعب اجتماعياً — مع الأسف الشديد ... هؤلاء هم الذين انحلوا فانحل معهم الشعب . ومن هنا جاءت كارثة الجيل ...

تفاهة ...

هذه الكلمة المفردة تلخص طابع الجيل ...

لا يعيب الفتاة المصرية شىء كما يعيبها الجهل بماركات السيارات وأسماء الممثلين والممثلات ، والمطربين والمطربات وعناوين الأفلام والروايات ، وشىء آخر أهم : ألعاب القمار ، الكونكان والبوكر والبكاراه ... لا يعيبها أن تجهل الجمال فى الطبيعة ، والجمال فى الفن ، والخبرة بالأسرة والعالم ...

والفتى كالفتاة ... أحاديثه أحاديثها . وطراوته طراوتها . وهى أنثى وهو يتأنث . لأن « أولاد الذوات » هكذا أطرياء لدن مخانيث! لقد شهدتهم هنا وفى كل مكان . الحركة الطرية ، والملابس الطرية ، والإيماءة الطرية . إنهم لا يكادون يتماسكون . ونفوسهم من الداخل كأجسامهم لا تماسك فيها ولا قوام لها كالهلاميات التى لم تتماسك بعد فى عالم التكوين ...

وهؤلاء هم الذين يقلدهم الشعب المسكين ! !

وجيل تافه ...

ليس هناك عالم نفسى يعيش فيه بعض الوقت . فلا شىء إلا هذه الظواهر ، ولا شىء فى هذا العالم الظاهر إلا أتفه ما فيه ...

« شيكوكو » المنولوجست معبود الجمهور و « أنور وجدى » ممثله المرموق ... ومن فى مستواهما من المطربين والمطربات ... هذا! وحده يكفى لليأس من ذوق هذا الجيل ، ومن نفسيته وشخصيته لا أذن تحسـن السماع ، ولا ذوق يفطن للفنون ... « كله عندهم صابون » والمهم أن يكون أكثر ميوعة ، وأشد رقاعة وكل جديد هو خير من القديم !

حضر « أنور وجدى » و « ليلى مراد » إلى « البلاج » فتزاحمت عليهما الجماهير ، حتى ضاقت أنفاسهما بالجماهير . ويبلغنى أن « عبد الوهاب » يضيق فى الحفلات الخاصة بالبنات اللواتى يترامين عليه فى مجون رقيع ... ذباب ... ذباب وصراصير ! ...

وجيل حائر ...

شهدت شابا وشابة زوجين ، يخرجان من البحر بلباس البحر ويجلسان على الكازينو كذلك يتناولان الشاى والمرطبات ويدور الحديث بينهما وبين معارف لهما . فتذكر الشابة أن زوجها لا يلبس خاتم الزواج لأنه من الذهب ، والتختم بالذهب حرام فى الدين ! أى والله ، هكذا ... حرام! حرام أن يتختم بالذهب أما العرى القذر هكذا على الكازينو ، فذلك متاع بالبحر لا شىء فيه .

ذلك مظهر من مظاهر التفكك النفسى ، كالجهاز المفكك ، كل جزء فيه يشتغل على هواه ، بلا ضابط ، ولا اتصال .

وعرفت سيدة تصلى وتصوم ... ثم ... تخرج من البحر بالمايوه ، وتجلس على الرمال بالمايوه حيث تتدسس النظرات المريضة إلى كل موضع فى هذا الجسد المكشوف . فأما حين

تقف للصلاة فتفيض عليها من الجلباب والخمار ... إنها تتحجب هنا فقط، تتحجب على الله ! ! !

وذكرني هذا بتلك المرأة، التي عادت من الحج، لتحيي حفلة راقصة تدور فيها الكؤوس ويكون بعدها ما يكون، احتفالا بهذا الحج المبرور ...

إنها من أولئك «الارستقراط» اللواتي يقلدهن الجيل! والمجلات الداعرة ... إنها تنشر صور هؤلاء الارستقراط في مباذلهم، وتقول عن نسائهم المتبذلات إنهن شرفن مصر! وتقلدهن بنات الشعب المسكين.

وهنا في «بلاج الشعب» في سيدي بشر رقم ١ شاهدت مصوراً لإحدى هذه المجلات الداعرة، يلتقط صورة لفتاة من بنات الشعب «بالمايوه». وكلفها أن تضطجع ضجعة خاصة فأطاعت. ويبدو أن شيئاً من حياء الأنوثة، أو حياء الإنسانية كان لا يزال يراودها فضمت فخذيها ... ولم يعجبه المنظر فقرب منها وقرب، ولمس بيده ركبتيها لتفتح ما ضمت. فلما ترددت قليلا ... قال: «الله! إنت فلاحة وإلا إيه»؟

وانحلت العقدة: فمن هي التي تريد أن تكون فلاحة؛ وهل تستحي إلا الفلاحة؟ والفلاحون ليسوا «أرستقراط» بشهادة الجميع !!!

و «تانت» و «انكل» و «دادي» ...

ميوعة أولاد الذوات ورقاعتهم المهينة، المهينة لأنها لا تعتز بقومية ولا لغة، المهينة لأنها تحتقر نفسها حين تلجأ إلى اصطلاحات الآخرين ... هذه الميوعة مع الأسف أخذت طريقها إلى الشعب.

والمسألة أعمق من أنها مجرد ألفاظ. المسألة هي الشعور بالنفس أو عدم الشعور. المسألة أن لي كرامة في نفسي ولغتي وبلدي أم ليست لي هذه الكرامة. وأولاد الذوات لا كرامة لهم لأنهم لا نفوس لهم ولا وطن ولا عراقة ... فما بال الشعب ينزلق إلى التميع المهين؟

يابحر. إنك لتغضب. وإنك لتزمجر. وإنك لتجرف في ساعات غضبك وزمجرتك كل خبث في جوفك، فتقذف به إلى الشاطئ ... اعكس مرة أيها البحر، فاجرف إلى جوفك قذر الشاطئ بكل ما فيه!

**سيد قطب**

---

كلمة صريحة لله وللوطن:

# دفاع عن الفضيلة ...

[ تأييداً لمقالات الأستاذ سيد قطب ]

(لأحد الكتاب)

هال بعض المصلحين منذ سنتين ما رأوا من فشو التبرج والاختلاط في دمشق البلد العربي المسلم، فقاموا يدافعون عن الفضيلة المغلوبة ويردون الرذيلة الغالبة، وانقاد إليهم الناس، لأن الكثرة الكاثرة من أهل دمشق لا تزال متمسكة بدينها، ولا تزال نساؤها في الحجاب الساتر، ومشت الأمور في طريقها، وكادت تصل إلى غايتها، ودعاة الفجور ينظرون ويتحرقون ... لولا أن رفعت الغيرة على الأخلاق الإسلامية والسلائق العربية بعض العامة إلى الدخول على النساء في السينما وإخراجهن منها وترويعهن، وإلى التجوال في البلد ونصح كل متبرجة ووعظها وزجرها ... وقد أنكر العلماء وعقلاء البلد ذلك عليهم فكفوا عنه وأقلعوا، ولكن دعاة الفجور لم يرضهم أن تنتصر دمشق للفضيلة وأن تهدم عليهم عملهم على رفع الحجاب وإباحة الاختلاط، فاستغلوا عمل هؤلاء العوام وأعلنوا إنكاره وكبروه وبالغوا في روايته، وذهبوا يقيمون الدنيا ويبرقون البرقيات ويرعدون بالخطب، وما أهون الأبراق والأرعاد، وما أسهل إثارة الشبان الفاسقين على الستر والحجاب، باسم (الحرية الشخصية) التي تمتع عيونهم بما وراء الحجاب من جمال، وتنيلهم ما بعد حدود الفضيلة من لذائذ .. !

أيخرجون النساء من السينما؟ أيعرضون بالنصح المتبرجات الكاشفات؟ يا للحدث الأكبر، يا للعدوان على الحرية الشخصية التي ضمنها الدستور! أليست المرأة حرة ولو خرجت عارية؟ أليس الناس أحراراً ولو فسقوا وفجروا؟ أليس كل امرئ حراً ولو نقب مكانه في السفينة فأدخل إليها الماء فأغرقها وأهلها؟!

كذلك فهم الحرية هؤلاء الجاهلون ... أو كذلك أراد لهم هواهم، وشاءت لهم رغباتهم الجنسية وميولهم النفسية أن يفهموها،

ودفعوا الصحفيين فلبثوا أياماً طوالا لا كلام لهم إلا فى الدفاع عن ( الحرية ... ) ، وهاجوا بعض النواب ، فجرب كل واحد منهم أن يتعلم الخطابة فى تقديسها ، ثم عمدوا إلى فئة من خطباء المساجد حاموا عن الفضيلة ، فساقوهم إلى المحاكم سوق المجرمين ، وأدخلوهم السجون ، وجرعوهم كؤوس المهانة ، حتى صار من يذكر السفور بسوء ، أو يدعو إلى الفضيلة والستر كمن يدعو إلى الخيانة العظمى ، وصار النساء إذا رأين شيخاً فى الطريق شتَمْنَه وسخرن منه ، وتوارى أنصار الفضيلة من وجه هذه العاصفة الفاجرة الهوجاء ، وهم جمهرة أهل الشام وعلماؤهم وأفاضلهم وعقلاؤهم ، وحسب أولئك أن الظفر قد تم لهم ، وأن أهل الدين قد انكسروا كسرة لا تجبر ، فكشفوا القناع وانطلقوا يسرحون وحدهم فى الساحة ويمرحون ... وكانت النتيجة أن انْحَطَمَ السدَّ فطغى سيل الرذيلة وعم ، وامتد فى هاتين السنتين أضعاف ما امتد أيام حكم الفرنسيين الذين هم أفسق الناس ، وهذه حقيقة نثبتها بأسف وخجل ... وكانت النتيجة أن ازدادت جرائم التعدى على العفاف واستفحلت حتى رأت المحاكم من يعتدى على عفاف بنته وأخته ، ومن يفجُر بطفل رضيع ، وماذا يصنع هذا الوحش الذى أثارت ( الحرية الشخصية ) غرائزه فلم يجد إلا البنت والأخت أو الطفل الرضيع ؟ وكانت النتيجة أن دمشق التى تستر بالملاءة البنت من سنها العاشرة شهدت يوم الجلاء ، بنات فى السادسة عشرة وما فوقها يمشين فى العرض بادية أفخاذهن ، ترتج نهودهن فى صدورهن ، تكاد تأكلهن النظرات الفاسقة ... وشهدت بنتاً جميلة زينت بأبهى الحلل ، وألبست لباس عروس ، وركبت السيارة وسط الشباب — قالوا : إنها رمز الوحدة العربية ... ولم يدر الذين رمزوا هذا الرمز أن العروبة إنما هى فى تقديس الأعراض لا فى امتهانها ، ومشى الموكب أمام الناس وفيهم والد هذه البنت لا يستحيى ولا يخجل ، وأخرى قالوا أنها رمز سورية الأسيرة قد فكت قيودها ... وأمثال هذا الهذيان الذى لا معنى له إلا استغلال العيد الوطنى فى هدم أركان الفضيلة وتمزيق حجابها ... وأخذت صور هذا كله فنشرت فى الجرائد وعرضت فى السينمات ، ثم ازدادت جرأة الناس على نقض عرى الأخلاق حتى رأينا صور ممثلينا السياسيين مع نسائهم على



( بلاچ ) الأسكندرية منشورة فى إحدى مجلات مصر التى لا تدع فرصة فيها تشهير بنا وفضح لنقائصنا إلا استغلتها ، ثم ازدادت الجرأة حتى صارت مجلات دمشق تنشر صور العرايا فيشتريها الشباب لهذه الصور ، لأنه ليس فيها ما تُشترى له ، ثم امتد الشر حتى رأينا وزارة المعارف تعمل من الطالبات كشافات يمشين فى الطرق بمثل لباس المجندات فى الجيش الأميركى بعد أن كانت دمشق لا تحتمل أن ترى الكشافين الشباب بلباس يرتفع عن الركبتين ، وحتى رأيناها تقيم معرضاً لأدوات تحضير الدروس التى صنعها المعلمون ، فتترك مدارس البنين كلها ، ومنها الثانوية المركزية ببنائها الضخم وأبهائها ، وهى أصلح مكان للمعارض ، وهى التى أقيم فيها معرض دمشق الكبير سنة ١٩٣٦ ، وتختار مدرسة بنات فى طريق الصالحية ، ثم يفتتح المعرض مدير معارف دمشق ... بدعوة الرجال لمشاهدة فرقة من الكشافات يغنين على المسرح ويأتين بحركات رياضية تبدى للأعين الفاسقة المفتحة أكثر ما يخفى عادة من أجساد فتيات نواهد ... قد انتقين عمداً أو مصادفة من جميلات الطالبات ، ثم امتد الشر حتى رأينا محافظ دمشق يفتتح نادياً يكون من قانونه أن العضو يجىء مع زوجته أو ابنته ( غير المتزوجة ... ) ، وحتى شهدنا النفر الشيوعيين العزاب المستهترين الساكنين فى القهاوى الخبيثة والخمارات ، أصحاب ( تلك ) البرقية الوقحة المعروفة يسلمون أمر المعارف ، ويسلطون على الشبان والشابات ، فيبتدعون لهم نظام المرشدات ( وإنه لنظام الضالات المضلات ) والاختلاط فى الحفلات ، فبعد أن كانت مدارس البنات لا يدخلها معلم ولا فراش إلا إن كان شيخاً كبيراً ، صار معلموها من الشباب العذاب المتأنقين الحاسرين أصحاب الشعور المرجّلة والوجوه المحفوفة ، وصارت تقيم حفلات للرجال يمثل فيها البنات ويرقصن بالثياب القصيرة ( الرقص الرياضى ... ) ، ويدبكن الدبكة الوطنية ، ثم يخترعون شرّ اختراع ، وهو هذه الرحلات المدرسية التى يشترك فيها الجنسان ، وها هو ذا إعلان قرأته فى جريدة دمشقية تصدرها جمعية إسلامية عن رحلة إلى استامبول يشترك فيها الطلاب والطالبات والمعلمون والمعلمات إلى استامبول — يا أيها الناس — لا إلى بيروت ... وكان من البلاء أن هذه الجريدة نشرته ونسيت

أن تعلق عليه ، وتبين حكم الله فى هـذه الرحلات ، وحكم العقل والأخلاق ... ثم ينقلون دار المعلمات من مكانها القديم المستور إلى ( فيلا )[1] جديدة فى شارع محدث فى ظاهر البلد ، مكشوفة من كل جهاتها ، لها طنف وشرفات دائرة بها ، وسرُر الطالبات تظهر من الطريق ، فإذا نهضن من النوم رآهن ( من تحت ) من يمشى فى الشارع بثياب المنام ، ثم يدفعون خريجات دور المعلمات فيعملن حفلة خيرية ، فلا يجدن لها مكاناً فى دمشق إلا مرقص العباسية ، ويطبعن فى البطاقة أنه سيغنى فيها (فلان) من فسقة المغنين ، وترقص (فلانة) الراقصة المحترفة رقصاً بلدياً !

ثم ... ثم ما ذا ؟ الله وحده الذى يعلم ما ذا يكون أيضاً ، وإلى أين يبلغ بنا المسير ...

وقد نزلت هذه الضربات على وجه الفضيلة متلاحقة متتابعة لا تصحو من واحدة حتى تحس بالأخرى ، وهم يريدون منا مع ذلك أن نسكت وألا نقول شيئاً ، لئلا نشوّه ( زعموا ) جمال المعهد الوطنى

كلا . إن المعهد الوطنى هو الذى تنتصر فيه الفضيلة ويسود الحق ويحفظ العفاف ... كلا ، ولا كرامة ، إنها أعراض بناتنا وأخواتنا ، ولوغير الأعراض لهاوَدْناكم عليها ، ولـكن لا هوادة فى العِرْض !

إنها حياة هذه الأمة : لا تحيا أمة بلا أخلاق ، أفئن قامت فئة من العامة بما لا نرضى عنه ، وانتهكت حرمة هذا الحرم الأقدس : السينما ، وتجاوزت على حريات الفاضلات المطهرات : النساء المتبرجات نسكت كلنا عن نصرة الفضيلة إلى يوم القيامة ؟

إن من الأمور ما يتفق عليه أبناء الملل كلها ، وما يلتقى فيه أتباع الأديان جميعاً كما يلتقى سالكو شوارع مختلفة فى ساحة من الساحات ، ومن ذلك الدعوة إلى العفاف ، إنها دعوة لا بد منها ، فإذا لم تريدوها عن الجمعية الغراء والمشايخ ، فلتكن عن طريق البطْرك أو الحاخام أو الوثنى الملحد ، المهم أن يجهر بها جاهر ونحن معه مؤيدون له ومحاربون لمن يحاربه ، ونحن نريد الجوهر لا المظهر

ثم ما هذه الحرية التى طبّلتم لها وزمرتم ، وهوّلتم وعظمتم ، وجعلتم الاعتداء عليها كفراً بدين الحضارة والديمقراطية ، أهى حرية المرأة أن تكشف ما تريد من جسمها متى أرادت وأين شاءت ؟ أهى حرية ناظر المدرسة فى أن يحوّل مدرسته إلى مرقص؟ أهى حرية الفسوق والعصيان ؟

أهذه هى الحرية المقدسة ؟

إنكم — أيها السادة — بين أمرين : إما أنكم تقولون ما لا تفهمون ، وإما أنكم تسترون بهذه الأسماء الحلوة أغراض نفوسكم ورغبات أجسادكم ؟ وإلا فخبرونى أى أمة فى الدنيا تصنع هذا الصنيع :

العرب ؟ إن العرب أغير الناس على الأعراض ، وإن كلمة العرض فى لسانهم لا يقابلها كلمة فى ألسنة الأمم تترجم بها !

المسلمون ؟ إن الإسلام أمر بغض البصر وستر العورة ، ولعن الناظر إليها والمنظور !

الفرنسيون ؟ إن الفرنسيين يكشفون أفخاذ الشباب فى الملعب فعلام تكشفونها أنتم فى سوق الحميدية وهو للبيع والشراء ، وفيه الرجال والنساء وهوكالموسكي فى مصر والشورجة فى بغداد ، ما كان قط ملعباً ولا ميدان كرة ، وإن الفرنسيين ينشئون بيوتاً للهو واللذة وبيوتاً للعلم ، وأنتم جعلتم بيوت العلم بيوت لذة ولهو ، وإن الفرنسيين كانوا يسترون سيقان الجند ، فلما استلمتم أنتم الجيش كشفتم عن أفخاذهم ...

الروس ؟ إن الروس فصلوا بين الجنسين فى المدارس لما رأوا بالتجربة أن الاختلاط لا يأتى بخير ، وأنتم تسمون الآن بكل طريق لجمع الجنسين فى المدارس

العفاريت ؟ الجن ؟ فمن إذن ؟ أنكون نحن بدعاً فى الأمم نأخذ من كل واحدة شر ما عندها ، ونريد أن نبدأ حياتنا الاستقلالية بهـذا الخليط من الشرور مركباً تركيباً مزجياً كحضرموت ... إنه والله طريق الموت الحاضر لا طريق الحياة !

لا . لم أرد أن أنحو فى هذا الحديث نحو الخطابيات ، ولم أنشئه لأخاطب به العواطف وحدها ، ولـكن نحوت فيه نحو التدليل والتعليل ، وقررت حقائق بادلتها ، وأنا أدعو إلى مناظرتى فيه كل مخالف فى رأسه عقل ، وفى يده قلم ، وفى فيه لسان ...

ولم أوجهه للمسلم وحده ، بل لـكل من قال أنا عربى ، لا أخص مسلماً ولا مسيحياً ، لأن من صفات العربى التى تقوم عليها عروبته الشهامة والغيرة على الأعراض ، ومن ادعى العربية ولم تكن له على العرض غيره ، ولم يغضب لحرمه فهو كذاب دعى ليس بعربى

(١) الفيلا : عند الأمير شكيب المغنى وعند الأستاذ الزيات الـ

وسيقول ناس من القراء : هذا رجل معروف بالدعوة إلى الرجعية فلا تسمعوا له لأنه يريد أن يعود بنا إلى الوراء ، ونحن نريد أن نتقدم

وهذا كلام لا يناقش ولا يرد عليه ، إنما يناقش كلام مؤيد بحجة ، إنما يدفع اعتراض قائم على منطق ، إنما يقرع الدليل بالدليل ، فهل في هذا الكلام حجة أو منطق أو دليل ؟

إنهم حفظوا كلمات فهم يرددونها لا يحاولون فهم معناها ، يقولون : رجعية ... وما الرجعية ؟ هي الرجوع إلى الماضي ، أي إلى أخلاقه وعاداته ، فما يمكن أن يرجع إلى زمان مضى ، فهل الرجوع إلى مثل أخلاق المسلمين الأولين نفع أو ضرر ؟ وهل يكون الداعي إلى تلك الأخلاق مصلحاً أو مفسداً ؟

هذه هي الرجعية !

هي رجوع إلى الدين ، أفترجع فرنسا إلى دينها ، أي إلى كاثوليكيتها ، ويظفر الحزب الديني فيها بأكثر مقاعد المجلس النيابي ، فلا ينكر عليها أحد ، ولا يتهمها بالتأخر ، ولا يصمها بالجمود ، ونطلب نحن العودة إلى ديننا الحق ، فيقول السفهاء : أنا متأخرون جامدون ؟ !

لا . هذا كثير ! هذا كفر بالمنطق ، وتعطيل للفكر ، وإلحاد في المدنية ... هذا شيء نستحي من الأمم أن يكون فينا من يقوله !

ونحن إذ ننتقد شيئاً نبين أضراره ، فبينوا أنتم منافعه ، حتى إذا وجدنا المنافع أكثر أخذنا به ، ولو حملنا معه شيئاً من الضرر ، ونحن نعلم أنه ليس في الدنيا خير محض ولا شر محض ، وإن الخمر والميسر فيهما إثم كبير ومنافع للناس، ولكن إثمهما أكبر من نفعهما ، فلذلك حرما

فتعالوا نتناظر !

إنه لا بد في كل مناظرة من مبادئ يتفق عليها الطرفان ليعودا إليها ، ويرتكزا عليها ، وما المنطق إلا رد الفروع إلى هذه الأصول ، فإذا كان المتناظران مختلفين في كل شيء ، يرى هذا أن العفاف نافع فيقول الآخر بل هو ضار ، ويدعي هذا أن اتباع الدين واجب فينكر الآخر هذه الدعوى ، ويرى هذا العمل على منع الفجور ، ويرى ذاك العمل على نشره ... فلا يمكن أن يكون بينهما كلام !

**فلنتفق أولا على الأصول :**

**هل العفاف وقصر الاتصال الجنسي على المشروع منه خير أم شر ؟**

هل قيام المرأة على تربية أولادها بنفسها وإخلاصها لزوجها وبيتها خير أم شر ؟

هل مراقبة الله وخوفه وتمسك كل امرىء بفضائل دينه خير أم شر ؟

هذه ثلاث مسائل أطلب الجواب عليها .

وأنه ليكون غروراً مني وازدراء للخصوم وللقراء ، إذا افترضت أنهم يرون هذه الأمور شراً ، وحاولت إقامة البراهين على أنها خير وأتعبت نفسي والقراء في إثبات هذا الأمر الذي أظنه ثابتاً عند العقلاء جميعاً ، وإني أؤجل هذا الاثبات إلى حين الحاجة إليه وأبني المناظرة على هذه الأسس الثلاثة :

فتفضلوا قولوا ، هل هذا الذي نحن فيه يحفظ علينا عفافنا أم هو يضيعه علينا ؟ هل يعمر بيوتنا أم يقوضها على رؤوسنا ؟ هل يرضي ربنا أم يسخطه علينا ؟ هل يجعلنا أمة قوية أم هو يذهب بقوتنا ؟

وإذا سلمنا جدلا بأن من الخير مشاركة الطالبات الطلاب في أفراح الجلاء ، فهل يشترط في هذه المشاركة أن يكشفن سيقانهن وأفخاذهن ، وأن ينتخب لها الجميلات منهن لا النابغات ولا المجدات ولو كن قبيحات . وإذا لبسن الجوارب الساترة والثياب الطويلة أيبطل رواء العيد وتذهب بهجته ؟ أم أنتم تريدون النظر إلى أفخاذهن بحجة المشاركة في أعياد الجلاء ؟

وإذا حسن أن نقوى بالرياضة أجساد الطالبات ، فهل يشترط في هذه التقوية أن يختلطن بالرجال ؟ وإذا لزم نقل دار المعلمات إلى دار صحية فهل يشترط أن تكون مكشوفة من جهاتها الأربع ، وأن تكون ( المحلات العمومية ) أستر منها ؟

لا والله ، أحلفها يمينا غموساً وأضمها في عنق ... إنكم لا تريدون الصحة ولا الرياضة ولا المشاركة بالعيد إنما تريدون التلذذ بمرأى بناتنا باسم العيد والرياضة والصحة ، إنكم لصوص أعراض . ولكن ليس الحق عليكم ، الحق علينا نحن آباء الطالبات والطلاب ، فنحن عميان لا نبصر خرسان لا ننطق ، حمير لا نغار وإذا استمرت هذه الحال فليس أمامنا إلا اللعنة التي نزلت على بني إسرائيل ، على لسان داود وعيسى بن مريم .

اللهم لقد بلغت ، اللهم لقد أنكرت المنكر .

اللهم لا تنزل علينا لعنتك ، ولا تحلل بنا غضبك .

( دمشق ) **أحد الكتاب**

# علوم البلاغة فى الجامعة

للأســتاذ علي العماري

يحلو لبعض المعاصرين أن يسموا أنفسهم مجددين ، كل فيما يزاول من علم أو فن ، ولعل هذا الادعاء عارض نفسي يعرض لكثيرين فى كل عصر ولا سيما من يغرمون بالشهرة ، ويحبون أن يحمدوا بمالم يفعلوا .

وتجديد هؤلاء عجب من العجب ، فما هو إلا أن تعن فكرة فى رأس أحدهم حتى يطير بها ، ويكاد يجن فرحاً وغروراً ، ولو عرف قدر نفسه وتأنى قليلا لأدرك أنها أخاييل له ، وليس هو التجديد ، ولكنه قصور الفهم ، وضلال العقل ، وعمل الغرور ، وربما اكتفى أحدهم بدرس كتاب أو كتابين فى المادة التى يريد أن يجدد فيها . ثم بعد ذلك يشهد العالم على أن العلماء قصروا ، وأنهم لم يفهموا ، ولو أمعن الفهم ، ولو وسع دائرة اطلاعه لقد كان وجد فى كتب القوم مايرد نزغته ، ويطفئ شهوته .

وقد منيت علوم البلاغة فى هذا العصر بدعاة التجديد ، وهى فى شديد الحاجة إلى من يجد أخلاقها ، ولكنها لا تظفر إلا بالدعاوى العريضة الكاذبة ، ونستطيع أن نقول إن التجديد فيها وقف بعد الأمام الجليل الشيخ عبد القاهر الجرجانى ، وإن مابذل بعد ذلك ليس إلا محاولات بسيطة إن لمست بعض النواحى فى هذا الفن فأنها لم تخلص إلى اللباب ، وإن فى ( دفاع عن البلاغة ) للأستاذ الزيات ، وفى (مذكرات فى علوم البلاغة) لفضيلة الشيخ سليمان نوار ، وفى ( التصوير الفنى فى القرآن) للأستاذ سيد قطب أقول إن فى هذه الكتب لوثبات تبشر بخير ، وهى بعد جديرة بالتقدير .

ويمكن أن ننظر فى محصول هذا العصر البلاغى ، فنجد بعض العلماء قنع بأن يجمع الأشتات ، ويؤلف المتفرقات ، ثم يدعى أنه فى البلاغة ألف ، وبعضهم يعمد إلى الورق الصقيل ، والطبع الأنيق ، ليقول إنه فى البلاغة جدد ، ولعل شر الثلاثة هؤلاء الذين يفترون على العلم ويكذبون على القدامى ، ويكثرون من ثلبهم وتنقصهم ليقال إنهم وحدهم الذين عرفوا وقد جهل الناس ، ووصلوا وقد تخاذل العلماء .

يهدمون ولا يبنون ، ولو أنهم هدموا متبصرين فاهمين لكان فيهم أمل ، ولكنهم يضربون معاولهم وهم مغمضو الجفون .

بين يدى الآن مذكرات فى علم المعانى أملاها الأستاذ الشيخ ( أمين الخولى ) على طلبته فى الجامعة المصرية ، وفيها كثير مما يستحق أن يناقش ، ولكنى رأيت أن يشركنى القارئ فى هذا الأسلوب الذى يدرس به هؤلاء الأعلام ! ! .

وإنما يعنيني هذا الأمر لأن البلاغة فن من الفنون قبل أن تكون علما من العلوم ، وما دامت فنا فهى تتطلب ما تتطلبه الفنون من حسن العرض وجمال التنسيق وخلق الذوق الأدبى فى المتعلمين ، ولهذا كانت حاجتها إلى الأكثار من النماذج العربية الصحيحة الفصيحة . ومن العرض المتأنق الجميل الحاجة القصوى ، ولكن ما ذا نقول حين نرى أستاذ البلاغة فى الجامعة المصرية يعرض هذا الفن ، كما يعرض واعظ العامة موعظته فى أسلوب عامى ركيك ، ولنقتصر الآن على عرضه لثلاث آيات من كتاب الله الكريم :

١ — ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ) يشرحها الأستاذ هكذا « وبعبارة أخرى يريد الله أن يقول : هو محمد ده يطلع إيه ؟ محمد هذا والرسل من قبله مجرد ( سعاة بوسته ) هو مرسال زى المراسيل اللى قبله ... ييجى ويروح ويموت وينقتل ... الخ فإذا حصل شيء من هذا يبقى خلاص انقطع ما بينكم وبين الله ؟ هو ينفعهم لا على نكوصهم عن محمد ، بل لنكوصهم من أجل موت محمد . ولذا يقول : أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ... الخ ... انتهى بنصه وفصه ! !

صدقنى — أيها القارئ — أن هذه عباراته . فهل هذا هو التجديد ؟ هذا كلام يمكن أن نتصور صدوره من واعظ يلقى عظته على جماعة من ( البرابرة ) فيضطر إلى أن ينحدر هذا

الانحدار ، على أنى واثق من أن مثل هـذا الواعظ يعف لسانه وذوقه عن هذا الهذيان !

ولـكن ما الحيلة والرجل من كبار المجددين فى علوم البلاغة ، أليس التجديد هو مخالفة الأقدمين ؟ أليس التجديد هو البساطة والحذلقة ، وما المانع من أن يلقى على طلبة الجامعة أن محمداً وعيسى وموسى وإبراهيم وجميع الرسل ليسو إلا « سماة بوسته » ؟ وهل فى ألسنة البلاغيين أصدق وأبسط وأحسن من هذا التعبير الجميل الظريف الخفيف ؟ !

٢ — قال الله تعالى « وما أنت بمسمع من فى القبور إن أنت إلا نذير » . وقال الشيخ نفعنا الله به وبعلمه آمين : « انت مش حتسمع اللى فى القبور . والحقيقة أنه هو مش قدام أموات ، وإنما قدام ناس ألواح وبهايم ، والقرآن بيقول له : إنك حريص قوى على هدايتهم ، والأحسن انك ماتحرصش كثير على هذه الهداية . قال له ذلك لأنه شاف إنه كاد لفرط عنايته بأن يهتـدى هؤلاء القوم أن يخرج عن حده فينسى أن مهمته هى مجرد التبليغ . هو عمال يحرق فى دمه مع الناس دول ، ووفاؤه لمهمته هو الذى يحمله على الإسراف فى الإلحاح ويهز فى هذه الألواح ، ويحاول أن يبعث فيهم نفحة من الهداية بأى ثمن . فقال له الله : يا أخى انت حارق نفسك ليه … انت مانتش حاجة أبداً إلا نذير تنذر من يُنْذَر ، وتخوف من يخاف ، وتعلم من يتعلم ، وتنبه من يتنبه ، ودول أموات … فالأحسن لك انك تريح نفسك » .

والله ماأدرى ماذا أقول ؟ وإنى لخائف أن أقابل هذا الـكلام بما هو به جدير فيستثقل القراء ويستبردون كلامى . ولو أن فى الجامعة قوما يحاسبون المدرس لاتهموا هذا الأستاذ بتهم أقلها إفساد ذوق التلاميذ .

على أن شرحه بعد ركاكته وتهافته — ليس موافقاً كل الموافقة لـما تنطق به الآية ، وإدراك ذلك سهل ميسور .

٣ — وقال عز وجل « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » . ويقول الشيخ : « الحوار فى هذه الآيات بين عيسى وبين الله حوار خيالى محض صور وقوعه بعد أن انتقل عيسى من هذا العالم الذى نحن فيه بدليل « فلما توفيتنى » وكأن الله يقول لهم « أنتم بتقولوا عيسى ده إله ، وإنه هو الذى أمركم أنـكم تعبدوه … نجيبه ؟ نسحبه ونسأله ؟ ثم صور بعد ذلك أنه لو قام وبعث إلى الحياة لدار بينه وبين الله هذا الحوار : الناس الباردين دول … هل أنت قلت لهم ياعيسى إنك إله ؟ قول لهم ؟ قل لهم يا أخى » !

بمثل هذه الأساليب البارعة الفاتنة يلقى مدرس البلاغة فى جامعة فؤاد الأول ، وسيد المجددين كما يدعى … يلقى دروسه !

ومن الانصاف أن نذكر أن الأستاذ الفاضل أدرك أخيراً ما فى هذه الأساليب من ضعف وسخافة ، فأشار على تلاميذه أن يمروا بالقلم على بعضها ، ولـكنه بعد قلم خفيف إن مر على دفاترهم ، فلن يمر على أفكارهم وأذهانهم …

**على العمارى**

مدرس البلاغة بمعهد القاهرة

---

في التربية الحديثة :

# التاريخ والقومية . . .

للأستاذ إبراهيم علي طرخان

في الواقع يصعب تحديد معنى كلمة « تاريخ » ، بل فهمها على الوجه الصحيح ، فليس هناك تعريف نهائي مطلق ، لسبب واحد فقط : وهو أن مجرد إدراك التاريخ على حقيقته جزء من التاريخ؛ لذا كان التعريف خاضعاً لقانون التطور ، ومن هنا كان لكل عصر ، بل لكل أمة تعريف خاص ، أطلق على ضوء فلسفة العصر وأهداف الأمة ومثلها العليا .

وليست مهمة المدرس في ابتداع تعريف جديد ، أو حتى التسليم بتعاريف أخرى — إن كان للتعاريف أهمية في المراحل الأولى من التعليم — ما لم يحللها ويتفهمها ويقتنع بها فيما بينه وبين نفسه أولا ؛ غير أن الأجدر به أن يوجه همته ونشاطه نحو تفسير ما غمض في حياتنا المعاصرة ، وذلك على ضوء التاريخ ، فالاتجاه الحديث في تعليم التاريخ يقتضي هذا النهج لأمرين :

١ — إن الحاضر هو منبع الأسئلة ومثير الاستفهامات ومحك التفكير ، بل هو مغر كل الأغراء للاطفال فضلا عن الكبار ، وهو معقد كل التعقيد .

٢ — هنالك ماض لا يزال حياً في حاضرنا يؤثر فيه ولم تنقطع صلته به ، كمظاهر الحضارة والتقاليد وغيرها ، ويعتبر الحاضر امتداداً له .

لهذا كان الحاضر متشعب النواحي مختلف الاتجاهات ، وهي سنة كل مجتمع في بنائه وقيامه على الاختلاف لا على التشابه ، ولفهمه على أصوله لا بد من التاريخ ، ولدى الأطفال استعداد فطري تاريخي [١] . هذا يوضح أن من الممكن فهم التاريخ على حقيقته ؛ يقول الدكتور Barker : « قد يجعلنا التاريخ متفرجين على الحاضر وما هذا الوجود المعاصر إلا حلقة من حلقات ماضينا التاريخي ، فالتاريخ إذن هو إدراك النفس الشاعرة لكنها في مظهرها الحديث » [١] ؛ وما الإنسان المعاصر نفسه إلا إحدى مظاهر أو نتيجة ذلك الماضي البعيد : وحينما يستطيع الإنسان تفسير حياته بالتاريخ ، أمكننا أن نقول : إن الإحساس التاريخي قد تكون لديه ونما فيه . [٢]

وإذا نحن تصورنا التاريخ على أنه مادة أو كتل من المعلومات Bodies of Knowledge ، كنا مخطئين ، فما هذا الاعتبار ، بمعنى آخر ، ما تقسيم المعرفة الإنسانية إلى مواد إلا تقسيما مصطنعاً لا مقابل له في عالم الحقيقة والواقع [٣] ، إذن علينا التحلل من هذا الاعتبار إلى حد كبير ، بل من دكتاتورية الكتاب المقرر ، فليس هو الفيصل في معرفة التاريخ أو آخر معرفة له ؛ وربما — إن كان صالحاً — اعتبر مجرد مقدمة وتمهيد لدراسة التاريخ على حقيقته [٤] .

قد يميل البعض إلى اعتبار التاريخ رواية تمثيلية ، منقطعة كل الانقطاع عن حياتنا الحاضرة ، بدعوى أنه يمت إلى عالم آخر غير عالمنا . هو عالم الأموات ، وقد مات بموتهم ، فلا أهمية حقيقية في النبش عن أحوالهم ، ولا بأس من إيراد دعوى من هذا القبيل قال بها أحد علماء العصور الوسطى بصدد حديثه عن المؤرخين : « وهم على شفا جرف هار ، لأنهم يتسلطون على أعراض الناس » [٥] ويشترط بعد ذلك شروطا في المؤرخ لا محل لها هنا ، والزعم بأنه قد مات بموتهم والحديث فيهم أو عنهم إنما من باب القصص ليس غير لا يتمشى مع المنطق ولا الحقيقة ، تلك الحقيقة التي تطالعنا كل يوم في كل مظهر من مظاهر حياتنا المعاصرة : في المباني ، في الزي ، في المواصلات ، في التقدم ، في القنبلة الذرية في غيرها ... ؛ كل هذا إنتاج تسلسل طويل ، وكل مرحلة لابد لها من بداية ، وما دامت الحياة كائنة ، فلم ندن النهاية بعد ؛ هذا يوضح لنا ارتباط الماضي بالحاضر ووجوده فيه وامتداد هذا كله إلى المستقبل . وربما أراد البعض بالتاريخ في هذا المعنى الروائي أو الدرامي ، أننا متفرجون ، وهذا خطأ إن وقف المعلم والتلميذ

---

(١) ينظر بحث الدكتور القوصي : « سيكلوجية المواد الاجتماعية » بكتاب : مؤتمر تدريس المواد الاجتماعية ص ٢١ — ٣٧

(١) T clarke : Foundations of Teaching History, Ch2, PP 34 etc

(٢) المصدر السابق ص ١٥١ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤ .

(٤) Bourne H . E . The Teaching of history and Civics In the Elementary and Secondary Schools, PP. 51 etc

(٥) السبكي ( تاج الدين بن عبد الوهاب ) : « معيد النعم ومبيد النقم » ص ٩٤ .

موقف المتفرج ، فالمهمة الحقيقية للمعلم : إلى أى حد يشعر التلميذ أنه ممثل وليس متفرجاً ؟ ! كثير من الشخصيات تبدو فى مخيلته ، قد لا تختلف عنه إلا فى الشكل أو العرض لا الجوهر ؛ فأى نصيب أو سهم يكون له فيما يقومون به ؟ فيم يختلفون عنه كما قال قيصر أو الثورة الفرنسية ؟ ؟ إنه يترك مسرح درس التاريخ ، وتغرب شخصيات الرواية عن خاطره ، ومن ثم يتجه فى طريق ، بينما اتجهت الدراما الإنسانية العامة إلى نحو آخر .

وقد غالى دعاة هذه الناحية إلى حد تفضيل بعض الروايات المشهورة على التاريخ ودراسته من حيث الأثر وما تتركه فى النفس ومثلوا بروايات « شكسبير » نحو : Hamlet و macbeth والرد واضح ، فإذا اعتقد المشاهد أو الدارس ، أن ما يرى أو ما يقرأ أو ما يسمع قد وقع فعلا وشمل أناسا مثله لا يختلفون عنه كثيراً ربما كان هذا أبعد فى تأثيره وأعمق فى إيحائه [1] ويستوى فى هذا الكبار والصغار إلى حد ما ، والواقع ليس التلميذ الصغير مستعدا لإدراك حقيقة التاريخ كشىء يشمله مباشرة ، كمجرى أو أسلوب عام للحياة ، هو نفسه عليه أن يأخذ بنصيب فى هذا الأسلوب : إن إعلاء أو استمرارا أو تعديلا ، لأنه يبدأ حياته حيث انتهى أسلافه ؛ وإذا حاولنا النقص والهدم لاحتجنا إلى القرون الطويلة التى قضاها أسلافنا فى التطور فى مختلف فروع الحياة ، حتى وصلوا إلى المرحلة التى نحن عليها ، والتراث الذى خلفوه لنا ... [2]

على هذا كان تدريس التاريخ بل فهمه على الوجه الصحيح غير ممكن إلا للراشدين . ففهمه يحتاج إلى خبرة ، وخبرة الطفل لا تزال قاصرة ، والخبرة أساس فى تكوين « فلسفة الشخص » أو نظرته إلى الحياة ، وهذه الفلسفة أشعر حقيقة أنها تنقصنا نحن الكبار ، فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لمعظم الراشدين فكيف تكون بالنسبة للطفل ! ؟

ومع كل هذا لا بد من تدريس معلومات للطفل فى مراحله الأولى تحت عنوان « تاريخ » . ما هى هذه المعلومات ؟ وكيف تدرس ! مبحث آخر

المهم الآن ، هو أن التسليم بهذه الحقيقة يزيل من أمامنا الكثير من فوضى المهد القديم والطرق التقليدية التى من أبرز خصائصها فى رأى فيلسوف التربية الحديثة « ديوى » ثلاث :

١ — الالقاء المطلق أو الإيجابية المطلقة من جانب المدرس .

٢ — الاستماع المطلق أو السلبية المطلقة من جانب التلميذ وعدم احترام فاعليته وذاتيته .

٣ — صب المعلومات دون نظر إلى قيمتها فى نظر التلميذ [1]

فيحفظ التلميذ شيئا من الأحداث والألفاظ ، لا دلالة لها فى نفسه بالمرة ، ثم نعتقد بعد هذا خطأ أننا نعرف تاريخا أو نعلم تاريخا ، لا لشىء إلا لأننا قرأنا وحفظنا الكتاب المقرر ، وأساس هذه الفوضى وهذا الإفلاس فى النتائج من ( حيث تكوين المصرى المثقف المتعلم ) المستفيد من التاريخ الحقيقى ، هو الخلط بين التاريخ وكتاب التاريخ ، وهذا خلط طبيعى فى مثل هذا الموضوع ، ومما يزيد فى صعوبة تدريس التاريخ الحقيقى للطفل عدم إمكان تطبيق الطريقة العلمية أو التجريب فى تدريس التاريخ ولا أسمى استخلاص الحقائق من الوثائق طريقة علمية لتدريس التاريخ ، فهذا عمل المؤرخ المختص ووفق شروط كثيرة جداً ودقيقة لا تتأتى للمتعلم الناشىء — إن أردنا إخراج مؤرخين — ويمكن تلخيص هذه الشروط فيما يندرج تحت هذين الأساسين :

١ — معيار الصدق والحيدة العلمية التى يجب أن نتأكد منها مقدما بالنسبة لمؤلف الوثيقة .

٢ الدقة والوضوح الذى يجب توفره فى الوثيقة [2] .

هل يمكن أن ألخص ما سبق فى أن التاريخ هو طريقة للحياة ، هو مجرى الحياة المتدفق ، هو مدى شعور المعاصر الدارس بنصيبه فى هذا المجرى . وما ينبغى عليه كمصرى يعيش فى القرن العشرين؟ بمعنى آخر : إن إجابة السؤال الأول تعطينا فلسفة التاريخ . » [3]

ما الذى نعنيه من تدريس التاريخ ؟ هذا مبحث المقال القادم إن شاء الله .

إبراهيم على طرخان

---

(١) F . C . , B 28.

(٢) الدكتور حسن عثمان ( منهج البحث التاريخى ) مقالات نشرها بمجلة الرسالة تحت عنوان « كيف يكتب التاريخ » صيف سنة ١٩٤١م

(١) Dewey : School and Society : Ch. 2.: The school and the life of the child PP 31—56

(٢) Keatinge: Studies in the teaching of History Ch 2: The Scientific method in teaching Hist. and school problems P.P.29—32.

ينظر أيضاً : الدكتور زياده : صناعة التاريخ فى مقالات بمجلة الثقافة

(٣) ينظر بحث : شفيق غربال بك : « التاريخ والمدرسة » فى كتاب ( مؤتمر تدريس المواد الاجتماعية ) ( ص ٦١ — ٦٥ )

من عيون الأدب الغربي :

# رحلات تشيلد هارولد لبيرون

للأستاذ بولس سلامة

— ٢ —

تمهيد :

استيقظ بيرون ذات صباح فاذا هو شاعر مشهور . كان ذلك غداة نشره المقطوعتين الأوليين من ديوانه « رحلات تشيلد هارولد » وفى هذه الأشعار وصف بيرون رحلته الأولى فى أوربا حيث طاف بأسبانيا وروما واليونان فوصف المدائن البالية ورثى الدنيات الخالية وحنّ وأنّ وبكى واستبكى ، ولم يكن فى كل ما كتب إلا واصفاً وناعياً نفسه المحطمة المنكوبة التى لم تحب الناس ولم يحبها الناس . نبذهم ونبذوه فراح يلتمس فى وحدة البحر وحطام المدنيات البائدة عزاء لنفسه المحطمة الوحيدة . وفى المقطوعات التالية ترى وتسمع بيرون يودع بلاده ويرثى مجد اليونان ويصف البحر الواسع العميق .

الوداع :

وداعاً وداعاً يا شط بلادى ؛ أيها الشط المتوارى وراء خضاره . بين ولولة الرياح وعجيج الأمواج . وأنت أيتها الشمس المائلة للغروب لك كما للوطن أقول وداعاً .

* * *

ولكن سوف يتنفس الفجر ، وتشرق الشمس من جديد على التلال والوهاد إلا أرض بلادى ؛ فقد غيبت فلا تعود . قصرى أقفرت عرصاته ، وموقدى خبت فيه النار ، واعشوشب المكان من حوله . أما كلبى فظل وحيداً ينبح عند الباب .

* * *

والآن غدوت وحيداً فى العالم ؛ فوق هذا الخضم الواسع العميق ، ولكن فيم حنينى إلى الناس ، وليس فى الناس من حان على ، حتى كلبى سوف يطعمه الغريب . فاذا ماعدت نبحنى كالغريب . أيها السفين الأمين : شق طريقك فى اليم كما تشائين ، والق مرساتك فى أى أرض . فلست أبالى وقد هجرت وطنى أى أرض تقصدين ، وأنت أيتها الأمواج المتلاطمة مرحى مرحى فان غبت عن ناظرى . فلتتبمن الصحارى والوهاد . وداعاً وداعاً يا أرض المهاد .

البحر :

أيها العباب الواسع العميق . تشق آلاف الأساطيل مياهك بلا نهاية ، والإنسان الذى يملأ الأرض ضجيجاً وذعراً يقف على شطك حاسراً ذليلا . فان تجاوز الشط ابتلعته أمواجك ، وغاب فى قرارك بلا قبر ولا أكفان ولا مشيعين واحتواه نسيان عميق .

* * *

على سواحلك قامت الامبراطوريات ثم عفت ، وازدهرت المدنيات ثم اختفت . أين أشور ويونان وروما . داعبت أمواجك شطآنها وهى حرة تحكم . ولا تزال تداعبها وهى مستعبدة تحكَم . والزمن الذى يغير كل شىء لم يغيرك ، ولم تعلُ جبينك الغضون . فأنت الآن كما كنت فى فجر الخليقة فتى القلب غض الإهاب .

بلاد اليونان :

يا بلاد يونان الجميلة : أيها الأثر الباقى لمجد خلا . نبيلة أنت فى شقائك . خالدة أنتِ فى فنائك ؛ من يقود أبناءك المشردين ؛ الذين طال مكوثهم فى الأغلال . أين أولئك الأمجاد الذين وقفوا والموت فى مضيق ترمبوليه . وقفوا كالسد أمام القاهر العادى . ليتهم يعودون إليك الآن . فينفخون فيك من بطولتهم الخالدة ، وينقلون أبناءك للحياة . أيها الراسفون فى الأغلال : ليتكم تعلمون ، إن الذين يتطلعون إلى الحرب عليهم أن يحطموا أغلالهم بأيديهم ، وأن يعتمدوا فى كسبها على سواعدهم لا على سواعد الآخرين فرنسيساً كانوا أو مسكوف . دعوا عنكم هذه الأوهام . فقد يعاونكم هؤلاء على توهين خصمكم ، ولكن حريتكم فى يدكم . يا أشباح الذل كافحوا عدوكم وانتصروا . أى بلاد يونان تغيرت السادة وبقيت شقية ، وزالت عنك السيادة ولم تزل فى كأس الذل بقية .

(الخرطوم — سودان) بولس سلامة

الأدب في سير أعلامه :

# ملتن ...

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال . . ]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٢٤ —

أربع سنوات بغير حرب :

نشر ملتن كما أسلفنا كتيبيه الأخيرين في دفاعه عن حق إباحة الطلاق بعد كتيبه الذي ناضل فيه عن حرية الرأي ، ثم سكت منذ شهر مارس سنة ١٦٤٥ ، فلم يكتب مجادلا أو مخاصماً إلا ما ندر من الشعر حتى سنة ١٦٤٩ ، فكانت هذه السنوات الأربع فترة سكون أعقبها وثبة قوية في ميدان آخر هو ميدان السياسة

وقبل أن ننظر فيما كان من أمره في هذه السنوات الأربع نشير إلى مقال أثبت فيه رأيه في التعليم ، وقد نشره قبل ذلك ببضعة أشهر ، أي في صيف سنة ١٦٤٤

كتب ملتن هذا المقال الذي لا يزيد عن ثمان صفحات بإيحاء صديق له يدعى « صموبل هارتلب » ، وهو ينتمي في أصله إلى دنزج ، وقد أقام في لندن منذ سنة ١٦٢٨ ، وكان مهتماً بفلسفة التعليم وتجديد أسلوبه على نحو قريب مما دعا إليه بيكون في انجلترة وكومنيس في أوربا من قبل ...

وينصب رأي ملتن على التلاميذ من سن الثانية عشرة إلى الحادية والعشرين ، وتلمح في المقال على صغره خصائص أسلوبه ونوازع وجدانه ، ففيه مثلما يحسه المرء في كتيباته من السمو بالغرض في كل ما ينهض له ، وفيه النظرات الحرة التي لا تتقيد بقيد ، والتي تنفر من كل متواضع متعارف ، وفيه كذلك الاعتزاز بالرأي والتحمس له والاستناد إلى مصادره هو وإنكار ما عداها !

وعنده أن التلاميذ في هذه السن يجب أن يفرغوا في وقت قصير من قواعد اللاتينية والإغريقية ، وأن يطالعوا بعد ذلك بعض الكتب الإغريقية السهلة ؛ ويجب أن يتخلل هذه الفترة من دراستهم محاضرات تذكي في أنفسهم حب العلم والفضيلة ، ومتى اكتمل شعورهم بأداء الواجب « صعّدوا في سفح المعرفة غير معجلين ولا وانين » ؛ وعليهم أن يتقنوا دراسة الكتب الإغريقية واللاتينية في كل فروع العلم ، ولتخصص ساعة للسان العبري ، ولكيلا يسأموا ينبغي أن يعلموا المصارعة والملاكمة وأضرابهما من فنون الرياضة ، وأن يقلدوا بعض المارك ليفهموا أساليب القتال ، وأن يسمعوا الموسيقى لتنعشهم وتهذب نفوسهم ...

وواضح من منهاجه هذا أنه يقيس على نفسه فيقترح هذا العبء الثقيل للتلاميذ ، لأنه نهض بما هو أثقل منه في غير عناء ، وكأنما تأبى عليه شدة ذهابه بنفسه إلا أن يجعل من كل ما يعمل وما يرى من رأي مثالا ينبغي أن يحتذيه الغير... وهو في منهاجه كذلك يخرج على البيوريتانز ، إذ يوجب تعلم الاغريقية واللاتينية وشتى فنون المعرفة ...

وألقى ملتن قلمه منذ أوائل سنة ١٦٤٥ ، وظل يترقب في هدوء أنباء الحرب الأهلية التي مالت معركة نسبي بكفتها نحو أعداء الملك في يونيو من تلك السنة ، وكانت آثار الجهد بادية عليه لفرط ما جادل وناضل منذ أن ألقى بقيثارته على رغمه وشرع قلمه في سنة ١٦٤١ ليبدأ حربه على القساوسة ، ولكنه استشعر بعض العزاء في عودة زوجته إليه بعد معركة نسبي بقليل ...

وكان منزله الجديد في حي باربيكان الذي استأجره بعد عودة زوجته يكاد على سعته يضيق بمن فيه ، لذلك كانت المعيشة فيه ينقصها الراحة والهدوء ، الأمر الذي ضاق به صدره أحياناً ، ففيه لا يزال يتلقى العلم على ملتن عدد من أبناء أصحابه لا تخفت أصواتهم في أكثر ساعات النهار ، وفيه يقيم ابنا أخته ، ويقيم معه كذلك في منزله أبوه وهو اليوم شيخ كبير ، كما حضر ليقيم معه مستر پوول وزوجته ونفر من أسرتهما سنة ١٦٤٦ بعد أن سقطت أكسفورد وفورست هل في يد أنصار البرلمان . وجاء ليعيش

أخوه كرستوفر على مقربة منه ، وكان لا ينفك يضايق ملتن بعسره وبمشكلاته القضائية التي جاءت في وقت واحد مع مثيلاتها من مشكلات آل بوول ...

ولم يعدم الأدب نصيراً في تلك السنين العاصفة ، وكان هذا النصير هو ناشر يدعى موزلي على جانب ملحوظ من الثقافة ، وكان مما نشره موزلي في خريف سنة ١٦٤٥ كتاب كتب على غلافه : « قصائد مستر جون ملتن الانجليزية واللاتينية ، نظمها في أوقات متفرقة »

وكان هذا الكتاب ينتظم شعر ملتن كله من أول عهده بالقريض حتى ذلك اليوم ؛ وفي الصفحة الأولى أثبت ملتن عبارة مقتبسة من فرجيل مؤداها أن للشعر هواه ومتجهه لا للكتيبات ، وأنه لا يحب أن يعرف بشيء إلا بالشعر ، وأثبت كذلك في تصدير ديوانه ما تسنى لشعره من تقريظ الأجانب إياه وثنائهم على صاحبه!

ولا ريب أن خصومه من المتزمتين قد وقعوا كما صورت لهم عقولهم ونوازعهم على أكثر من غميزة في هذا الشعر الذي يزخر بصور الجمال والفتنة وخرافات الاغريق والرومان ، وفي تلك الأغنيات التي لحنها على أوتاره الملحن (لو) الذي ينتمي إلى حزب الملك ، وأنهم لذلك تغامزوا فيما بينهم ونعتوا باللاتينية أو مايقرب منها ذلك الشاعر ، وسخروا من ذلك الذي طالب بإباحة الطلاق ، وثار على الرقابة وخاصم البرسبتيريز ، فمايطلب في رأيهم إلا الأباحية وإن زعم أنه يدافع عن الحرية ...

ولكن كثيراً من المثقفين تقبلوه بقبول حسن ، وأشربوا في قلوبهم محبته ، ومن هؤلاء صديق له مرموق المكانة في الأدب والثقافة هو الدكتور روس الذي كتب إليه يسأله نسخة ثانية من كتابه ، فأرسلها إليه الشاعر مشفوعة بمقطوعة يثني فيها على هذا الصديق ويتواضع على غير عادته إذ يشير إلى مبلغه من الشعر في صدر شبابه ، ويحن إلى تلك الأيام التي أقبل فيها على النظم أول ما أقبل حين كان حدثا لا تكاد تبلغ الأرض قدماه إذ يكتب ، ويأسف إذ يرى اليوم ربات الشعر تروعها الحرب القائمة وتطيرها ...

والحق أن للمرء عذره بادىء الرأي إذ أحس التناقض بين أن يكون ملتن بيوريتانياً ، وأن ينطق لسانه بهذا الشعر ، ويفيض قلبه بهذا الاحساس الغامر بالحياة ومسراتها ولذاذاتها وكل جميل فيها ، ولكنه لا يكاد يتذكر مولده بين ربيع الأليزا بيثين وصيف البيوريتانز حتى يدرك ما ذكرناه عنه من قبل أنه كالطائر المتخلف الذي يغني في هجير الصيف ألحان الربيع .

ولقد أشار مكولي إلى هذه الناحية من حياة ملتن فجاء بوصف بديع يحملنا لفرط قوته على أن نثبته هنا غير منقوص .
قال بعد أن تحدث عن الملكيين والبيوريتانز « لم يك ملتن منتمياً بمعنى الانتماء الحق إلى طائفة مما ذكرنا ، فلم يك بيوريتانيا ولا من ذوي التفكير المطلق من قيود الدين ولا ملكياً ، فقد اجتمعت في أخلاقه وائتلفت من صفات كل طائفة أكثرها نبلا ، فمن البرلمان والبلاط ، ومن مجتمع المنشقين على الكنيسة والغناء القوطي للكتدرائية[1] ، ومن حلقات البيوريتانز الكئيبة الموحشة كالقبور ومباهج عيد الميلاد عند ذوي الجود من الفرسان ، من كل أولئك انتقت طبيعته واجتذبت لنفسها كل ما كان عظيما صالحا بينما نبذت كل ما من شأنه أن يشوه تلك العناصر الخلقية من الخلال السافلة البغيضة ... فعاش كالبيوريتانز عيشة من يمسي أبداً أنه تحت عين الباري الأعلى[2] ، وكان مثلهم لا ينقطع تفكيره في المهيمن العدل ؛ وفي الجزاء السرمدي ؛ ومن ثم فقد أخذ عنهم احتقارهم للملل الظاهرية ، وقوة بأسهم وطمأنينتهم وعزمهم الذي لا يلين ؛ ولكن أعظم الناس شكا في الدين وأكثرهم استهزاء به لم يكن أكثر منه انطلاقا من عدوى أوهامهم الجامحة ، ومن عاداتهم الوحشية ورطاناتهم المضحكة ، وازدرائهم العلوم ومعاداتهم متع الحياة ؛ ولئن كان يكره الطغيان أشد الكره فانه كان على الرغم من ذلك يتصف بتلك الصفات الغالية القيمة التي يتحلى بها من يكتسبها ، والتي كادت تكون وقفا على أنصار الطاغية[3] فلم يك في الناس من هو أكثر منه إحساساً بقيمة الأدب ، ولا أرق

---

(١) يقصد مكولي البروتستنت ومن تفرع منهم من الطوائف ، والكاثوليك

(٢) هذه العبارة مقتبسة من مقطوعة ملتن التي جعل عنوانها « عند ما بلغت سن الثالثة والعشرين » .

(٣) يقصد الفرسان أنصار الملك

منه استساغة لكل متعة مهذبة ، ولا أكثر منه شبهاً بسجايا الفروسية فيما يتصل بالشرف والحب ، ولو أنه كان ديموقراطياً فى آرائه إلا أن أذواقه وصلاته كانت أكثر مشاكلة للملكية والارستقراطية ؛ ولقد كانت تحيط به كافة المؤثرات التى أضلت ذوى الأناقة والشجاعة من الفرسان ، ولكنه لم يك عبداً لتلك المؤثرات بل كان سيدها المسيطر فكان كبطل[1] هوميروس الذى استمتع بلذاذات السحر جميعاً ولكنه لم يعتقله السحر ، فقد أصغى إلى أنشودة « السيرينز » ولكنه اتخذ سبيله فى البحر بقربهن فلم تمسسه منهن غواية تجنح به إلى شاطئهن المخوف . وشرب من كأس سَيْرِس[2] ولكنه كان يستحوذ على ترياق أكيد يبطل أثر حلاوتها الساحرة ، وكذلك كان ملتن ، فلم يك ما تملك خياله من الأوهام ليوهن من قوة حكمه على الأشياء فكان له من رجل السياسة فى شخصه دريئة تدرأ عنه ما يسحر الشاعر فيه من أسباب الروعة والجلال والخيال ؛ ويدرك ما نعنيه بقولنا هذا كل من يتبين مبلغ ما هنالك من تضاد بين ما أفصح عنه من عواطفه فيما كتبه من مقالات عن القساوسة وبين تلك الأبيات الرصينة الجميلة عن العمارة الكنسية والموسيقى الكنسية فى قصيدته البسبروزو التى نشرت حوالى ذلك الوقت الذى نشرت فيه المقالات[3] ، وتلك من التناقضات التى تسمو بأخلاقه فى نظرنا أكثر من كل شىء غيرها لأنها ترينا كم ضحى ملتن من أذواقه وإحساساته الخاصة لينجز ما يعتقد أنه واجبه نحو الانسانية ؛ وإن كفاحه لهو بعينه كفاح عطيل النبيل ، ذلك الذى رق قلبه ولكن يده ثابتة ، والذى لم يأت عملا قط عن كراهة بل فعل ما فعله كله بدافع الشرف فهو يقبل خادعته الحسناء قبل أن يهلكها » .

ويخيل إلينا أنه وقد رأى شعره فى كتاب يلقاه منشوراً يتداوله الناس قد عاود نفسه الحنين إلى النظم ، وتمنى لو ترك ضجيج الحرب وأنباءها وعاد إلى محراب الفن ، ومن ثم كانت مقطوعته عن الساحرة التى نظمها سنة ١٦٤٥ والتى جعل عنوانها « إلى صديقى هنرى لو » ؛ وكان لو هو الذى لحن له بعض أغانى أركادس وكومس كما أسلفنا ومثل دور الروح الحارس فى الغنائية الثانية وبين الشاعر والملحن من صدر شبابهما محبة ومودة توثقت عراها ولو أن لو كان ملكياً ، ولكن فنه كان أعز على صاحبه من أن يتجافاه بسبب الاختلاف المذهبى بينهما مهما اشتد كما أنه كان لشخصه عند ملتن مكانة لا تدانيها لأحد غيره مكانة . وفى هذه المقطوعة يرفع ملتن قدر لو ويعزو إليه فضل تهذيب الموسيقى فى قومه . ذلك الفضل الذى لن تنساه العصور المقبلة ، كما أنها لن تنسى عظيم صيته ، ويقول لصاحبه فى ختامها « لقد مجدت الشعر ، وعلى الشعر أن يحلق كيما يمجدك ... ولسوف يأذن دانتى للصيت أن يرفعك مكانا أعلى من مكان مغنيه كازلاً الذى لاطفه كيما يغنى له إذ لقيه فى المطهر فى غبش أرق من غبش الجحيم »

ولكن الشاعر لا يكاد يلمس بكفه هذه الأوتار الهادئة الساحرة التى طال به عهد هجرانه إياها وعاوده الحنين إليها حتى يدعها إلى أوتار صاخبة ترن رنيناً مزعجاً مثل ضوضاء المعركة ، فقد مس أذنيه طنين هو بقية سخط البرسبتيرينز على آرائه فى الطلاق ، فنظم سنة ١٦٤٦ مقطوعة عاوده فيها عنفه وصرامة هجائه ونشرها تحت هذا العنوان « إلى مستكرهى الضمائر الجدد فى عهد البرلمان الطويل » وفيها رمى البرسبتيرينز بتهم قاسية . فيقول إنهم وإن كانوا قضوا فى الواقع على سلطة القساوسة فانهم لم يفعلوا ذلك إلا ليكرهوهم بمبادئهم ضمائر الناس التى حررها المسيح ، وأنهم لم يكونوا خيراً من القساوسة الذين قوضوا سلطانهم لا بدافع النقمة على آثامهم بل بدافع حسدهم إياهم على تلك الآثام ، ثم يتوعدهم الشاعر بكشف الستار عن ألاعيبهم

---

(١) يقصد مكولى « أوليس » بطل الأودسة فقد مر فى سفينه بالساحل الذى كانت تغنى عنده جنيات البحر الثلاثة المعروفات باسم « السيرنز » والتى كانت أغانيهن تغوى البحارة فتهلكهم ، وقد قاوم سحرهن بأن ربط نفسه إلى شراع السفينة وسد بالعشب أذن البحارة .

(٢) ساحرة كانت تحيل بكأسها الرجال إلى دواب أو طيور ولكن أوليس وقد مر بجزيرتها وشرب من كأسها كان معه عشب أبطل به سحرها .

(٣) فرغ ملتن من حربه على القساوسة سنة ١٦٤٢ ونشرت قصائد سنة ١٦٤٥ فلعل مكولى يقصد ماجاء من طعن على القساوسة بوجه عام فيما تضمنته كتاباته عن البرسبتيرينز سنة ١٦٤٤ أما تلك الأبيات فقد عبر بها ملتن عما يبعثه رؤية العمارة الكنسية وسماع الأرغن من روعة الدين وجلاله فى نفسه وكان يصف كنيسة قديمة كاثوليكية .

ومكرهم ويستعدى عليهم البرلمان ، ويذكر أسماء بعض رجالهم فيسخر منهم ويتجاهلهم ، ويختم مقطوعته بتلاعب لفظى يفهم منه أن البرسبيتر ما هو إلا قسيس كتب اسمه غير مختصر .

وبعد هذه المقطوعة آثر ملتن أن ينفض يديه من الخصومات ولعله سئم طول القتال ، أو لعل ذلك لأنه فى الواقع لم يجد ما يثيره ويسخطه ، أو لعله يئس من بنى قومه جميعاً ورآهم لا يستحقون منه ما يلقى من أجلهم من عنت الخصومات وغل الحزازات .

ولكنه وقد ركن إلى الراحة لم يظفر بها فى بيته فقد ازدادت فى البيت دواعى متاعبه وضيقه ، فأضيف إلى ما فيه من جلبة صراخ بنتين ولدا له تباعا فى سنتى ١٦٤٦ وما بعدها ، وما زال جيرانه وأنسباؤه يضايقونه بمشكلاتهم وأحاديثهم التافهة التى يتجرعها ولا يسيغها ، ولقد شكا من هؤلاء الناس فيما كتبه إلى صديق له بايطاليا سنة ١٦٤٧ يصف حاله فقال : « هؤلاء الذين لا يربطنى بهم إلا مجرد الجوار يحضرون لمجالستى كل يوم فيضجروننى بل يكادون من فرط ما أحس به من ثقلهم يدفعون بى إلى الموت » .

وفى سنة ١٦٤٧ مات حموه مستر پوول ، ولم يمض غير قليل حتى مات أبوه فحزن الشاعر عليه حزناً عميقاً ، فقد كان يجله ويذكر دائماً ما له عليه من فضل ، وترك له أبوه مالا تحسنت به حاله ، فصرف تلاميذه لأنه استغنى عما كان يناله منهم من أجر نظير تعليمهم ، ولأنه كانت تنغز على قلبه الرغبة فى أن يعود إلى قيثارته ، واستأجر ملتن منزلا جديداً أكثر سعة وأحسن موقعاً ، وأمل أن يجد فيه ما ينشده من هدوء

ولكن شيئاً جديداً يقلقه ويخيفه وتتكدر له جوانب نفسه ، وذلك أنه يوقن من تضاؤل بصره ، ولقد بدأ ذلك الإحساس فى نفسه منذ مستهل سنة ١٦٤٥ ، فظنه يومئذ وهماً من الوهم ، ولكنه اليوم تلقاء حقيقة راهنة ، فإنه إذا قرأ فى الصباح تألمت عيناه وأحس بظلمة تغشى الجانب الأيسر من عينه ، حتى لتحجب عنه ما يكون فى هذا الجانب من أشياء ... فإذا أضيفت هذه الظلمة إلى ما يكتنفه من ظلمة اليأس مما ابتغى من إصلاح أمكننا أن نتبين مبلغ ما كان يعانيه يومئذ من عذاب ...

فكر ملتن أن يعود إلى الشعر ، ولكن الفجر الذى بشر به فى نهاية كتيبه الأول سنة ١٦٤١ ، والذى لمح إلى طائره الصداح لم ينبثق نوره بعد ، بل لقد ازدادت حلكة الغسق من جراء هذا الاختلاف الشديد فى الدين والسياسة الذى فرق الناس شيعاً وأحزاباً وطوائف متباغية متعاندة ، ومن جراء هذه الحرب المستعرة التى تزلزل المملكة ، وهيهات أن يتغنى شاعر فى ليل كهذا الليل ...

واتجه ملتن إلى التاريخ ، فأخذ يكتب كتاباً فى تاريخ قومه ، ويتبين المرء من مقارنته بين الأقدمين منهم الأمجاد الأذكياء وبين المحدثين الأدعياء الأغبياء مبلغ ما كان فى نفسه يومئذ من سخط وازدراء لأهل عصره ، ومبلغ ما ساوره من هم وسأم من هؤلاء الذين طالما امتدحهم فأطنب فى مدحهم وتوقع على أيديهم كثيراً من الخير !

( يتبع ) الخفيف

---

# مظاهر العبقرية في الحضارة الاسلامية

للاستاذ خليل جمعة الطوال

— ١ —

لقد امتدت عداوة المناوئين للاسلام إلى حد النيل من حضارته والطعن فى مدنيته وانتقاص أمره وكل ما من شأنه أن يتصل به ؛ وليس أهون على المتحامل من أن يطعن وينال بغير روية ولا تدبر ، ذلك لأن سبيلهما جد ميسورة ، ومؤنة امتهانهما أيسر ، ومن المؤسف حقاً أن تبلغ العداوة للاسلام بالأوروبيين حد الإجحاف بالحق ، والجناية على العلم والتاريخ ؛ ولئن جاز لرجال السياسة أن ينساقوا لتيار أهوائهم وأن يبنوا أحكامهم على قاعدة أغراضهم ومصالح قومياتهم ، فما أحسب هذه السبيل مشروعة فى كتابة البحوث العلمية ؛ ذلك لأن العلم لا يدخل ألبتة فى حساب الأهواء والقوميات ، بل هو أمر مقدس فوق جميع هذه الاعتبارات يزكو بالنزاهة ، ويزهو بالأمانة له ، وهو فوق ذلك ملك مشاع بين جميع الأمم ؛ لا فضل لهذه على تلك فيه إلا بمقدار ما أسدت له من الخدمات ، وأودعت فى كنوزه من الاكتشافات والإختراعات .

وإنه لمن الجناية الكبرى على العلم ، أن تقوم فى طبقة العلماء فئة لم تحرر بعد من قيود النازع ، وأغلال الأهواء ؛ ولا عرفت قط قيمة النزاهة العلمية والأمانة التاريخية ؛ فتحاول جهدها باسم العلم أن تبخس الإسلام فضله على المدنية ، وأن تطمس من سجل الحضارة صفحة مشرقة تشهد بجلالها وروعتها جميع تواريخهم وأدوات حضارتهم ؛ فمن هذه الأحكام الجائرة التى يبرأ منها الإنصاف ويمجها العلم وتلفظها الحقيقة ، ما جاء عن «أندريه سرفيه» إذ يقول : « لم يكن الإسلام شعلة ، بل مطفأة نشأ من قلب متوحش ، لأمة متوحشة ، فكان ولا يزال عاجزا عن أن يساير الزمن ويجارى التمدن ، ولقد أثبت فى كل بقعة ارتفعت فيها أعلامه أنه وقف صخرة ناشزة فى سبيل التقدم ، وأنه خنق نشوء المجتمع الإنسانى ،[1] » وفى كتب المغرضين الشيء الكثير من هذه الحملات الطائشة والأحكام الفئة الجائرة التى لا يدعمها دليل ولا تدمغها حجة .

لم يقف « سرفيه » عند هذا الحد من التحامل بل راح يقول أيضاً « وإن المدنية الإسلامية أقل من أن يعتنى بدراستها إذ هى تقليد مشوه لمدنيتى اليونان والرومان سقط العرب على مادتها فى الكتب السريانية فاقتبسوها دون أن يعرضوا لها بما يستحق الذكر من النقد ، لأن العربى قد أثبت أن لا قابلية له على استقصاء البحث بصورة جدية ، وأن لا قدرة له ألبتة على إبداع شىء من عنده ، ولم يتقن العرب من العلوم إلا التى لا تحتاج إلى عناء فى التفكير ، أو بمشقة فى البحث ، وكانت سبيلها جد سهلة وميسورة كالتاريخ والجغرافيا وما إليهما الخ .. » وأمثال « سرفيه » فى التشنيع والتغرض كثيرون ، وتكاد رفوف المكاتب تنوء بتحمل مثل هذه البحوث السخيفة والحملات الطائشة ، ومن المؤلم حقاً أن نسكت عنها ، وننام عليها كأنها حقائق واقعة لا غبار عليها .

على أن تهاوننا فى دراسة حضارتنا ونشر فضائلها وعرض روائعها للعيان ، لأشد إجحافاً بحقها ، وضررا لها من حملات الأعداء عليها وطعنهم بها ، فاللص لا يقتحم غير البيت المهجور ومن واجب صاحب البيت أن يعمل على صيانة بيته ، وأن يقيه شر العدو . وإننا سنتقدم فى هذا البحث الموجز بإماطة اللثام عن مواطن العبقرية فى حضارتنا ، ثم نأخذ بتفنيد مطاعن الطاعنين فيها بالطريقة الهادئة التى رسمناها لأنفسنا منذ أن اضطلعنا بعبء دحض مفتريات الخصوم وحملات المتحاملين .

**انحلال الحضارة الغربية قبيل الاسلام :**

تسرب الضعف والوهن إلى قلب الامبراطورية الرومانية العظيمة رويداً رويداً ، وما كاد يتم القرن الخامس للميلاد حتى لفظت هذه الامبراطورية الواسعة أنفاسها ، وأصبحت رقعتها نهبا مباحاً للقبائل البربرية التى كانت تحيط بها ، وتتناجزها القتال ، وتشن الغارة عليها بين الفينة والأخرى ، وهكذا أصبحت قبائل القوط والوندال والكلت والهون ، والمغول ، والسكسونيين تتصرف بشؤون أعظم

(١) الاسلام وتقية النظم — لأندريه سرفيه

أمبرطورية عرفها التاريخ ، وكانت هذه القبائل فى الدرك الأسفل من الثقافة ، لاحظ لها قط من أسباب المدنية والعمران ، فقوضت بهمجيتها سرادق تلك الحضارة الرومانية العريقة ، وأصبحت معالمها نسياً منسياً ، واجتازت أوروبا هبة من الزمن كانت تتخبط فيها فى دياجير الانحطاط على غير هدى ، فساد الجهل ، وانتشرت الفوضى ومنيت العقول بالعقم والجدب ، وشل التفكير شلا مريعاً ، ولئن كانت المسيحية إذ ذاك فى عهد انتشارها وازدهارها ، وفى شباب قوتها بحيث استطاعت أن تصمد أمام هذه القبائل المتبربرة المتوحشة ، إلا أن نكبة المدنية بها لم تكن أهون من نكبتها بتلك الشراذم المنحطة ، ذلك لأنها كانت تخشى على عقائدها وتعاليمها من أن تتسرب إليها مشارط الحرية الفكرية فتفسدها ، ولذلك بادرت إلى تقييد الأفكار ، وحجر العقول ، حتى لا تكاد تبض بقطرة من العلم ، وكانت تعاقب على كل نظرية جديدة تصدر عن غير رجال الدين ، ويعلن هؤلاء استنكارهم لها آناً بالموت حرقا وشنقاً ، وحيناً بالتنكيل سجناً وجلداً ... [1]

وكان من نتيجة هذا الحجر على الأفكار وهذا الجهل المطبق أن عم البلاء ، وانتشرت الأوباء ، وأخذ الطاعون يحصد النفوس حصداً ذريعاً .

قال أرديكوس فيتالس أحد مؤرخى القساوسة : « ... عم بلاء المرضى فمضى بأهل بيوت كثيرة ، كما أن الجوع قد أفنى المرضى ؛ فلما أن خربت النيران الأرض ، خرج الأكثرون هائمين على وجوههم ، فلما رأوا أن الأبرشيات قد طمست معالمها ودرست آثارها ، فروا من الكنائس الخاوية هربا إلى حيث لا يعلمون [2] ...

وقيل : « وقد بلغ من سوء الحالة إذ ذاك أن كان الناس يتكالبون على أكل لحم الميتة وإن أنتنت ، ينبشونها من تحت التراب ، ويطلبونها من على المزابل ... لا يسألون عما تسببه من الأذى وتحمله من الموت ، وكانوا يستشفون من أمراضهم ببول البهائم وبالتمائم والتعاويذ والتعزيم » ... [3]

وقيل أيضاً : « وكان الطباشير يطلب من الأرض ويمزج بالدقيق ، ليصنع خبزاً ، لقد اصفرت وجوههم وانحطت قواهم حتى لقد عجزوا عن أن يجروا أنفسهم من فوق الأرض جراً وهيئت حفر ليسحب إليها المحتفرون ويلقون فى جوفها . وكانت هذه المصائب تلابسها مصائب أكبر ، وكوارث أعظم . فان الذئاب وقد أنسوا على جوانب الطرق كثيراً من الجثث ملكتها الشجاعة وأغواهم ضعف الناس فراحوا بها جون الأحياء ، أما مواد الطعام فقد خص بها الأقوياء ليظلوا قادرين على العمل لعل الحقول تزرع ولا تبور ... [1]

وظلت أوروبا تائهة فى ظلام الجهالة : إلى ما بعد القرن العاشر ، تغص بالغابات المخيفة التى تقطنها جماعات الوحوش ، وأسراب الطيور الكاسرة « وتنبعث [2] من المستنقعات الكثيرة فى أرباض المدن روائح قتالة . تجتاح الناس وتحصدهم ، وكانت البيوت فى باريس ولندن تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب ، ولم يكن فيها منافذ ولا غرف مونقة ، وكانت البسط مجهولة عندهم ، لا بساط لهم غير القش ينشرونه على الأرض ، ولم يكونوا يعرفون النظافة ، ويطرحون أحشاء الحيوانات وخثى البهائم وأقذار المطابخ فى ساحات بيوتهم فتتصاعد منها روائح مؤذية ، وكانت الأسرة الواحدة تنام فى حجرة واحدة تضم الرجال والنساء والأطفال ، وبعض الحيوانات الداجنة ، وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف القذر يقوم مقام الوسادة ، ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح ، قال درابر : وكان من أثر ذلك أن عمت الجهالة بين الناس ، وساورتهم الأوهام ، فانحصر التداوى فى زيارة الأماكن المقدسة ، ومات الطب ، وانتشرت أحابيل الدجالين ، وكلما دهم البلاد مرض هرع رجال الدين إلى الصلاة ، وأغفلوا أمر النظافة كرها لها ، وكانت الأوبئة تفتك بهم فتكاً ذريعاً .

وإلى جانب هذا الفقر والانحطاط فقد انتشرت الفوضى ، واضطرب حبل الأمن ، وسادت اللصوصية ، وكثيراً ما كان

---

(١) Gibbon : the Rise and Fall of the Roman Empire

(٢) مجد العرب والاسلام : بحث لاسماعيل مظهر

(٣) المجلة : الأسبوعية : تصدرها جماعة المستشرقين

(١) الرسالة : عدد ٢٤٧

(٢) : التاريخ العام : للافيس ورمبو . و ( الحضارة العربية ) ج ١ — لكرد على .

يخطف السائر وينهب وهو ذاهب إلى بيته أو عمله ولو كان فى رائعة النهار .

تلكم هى مدنية أوروبا قبل العصر الحاضر ، وتلكم هى حالة الشعوب الغربية يوم كان الإسلام هو المدرسة الوحيدة التى تهذب فيها الفكر الإنسانى ، وانبثقت منها أنوار الحضارة والمدنية .

جاء النبى صلى الله عليه وسلم ، والغرب لا يرى النور إلا من سم[1] الخياط ، وأما الجزيرة العربية فلم تكن بأحسن منه حالاً إذ كانت فى جاهلية جهلاء ، يفترس القوى فيها الضعيف ، ويعبد الناس مظاهر الطبيعة ، ويقتلون أولادهم خشية الإملاق ، ويئدون بناتهم بلا رحمة ، وما إن أظهر الله دينه على سائر الأديان حتى أخذ ينشر فى الناس روح العلم والمدنية « تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة : ودراسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لأهله[2] قربة ، وبعد أن لم يكن فى الجزيرة سوى بضعة عشر رجلا يحسنون القراءة والكتابة ، فقد أصبحت فيما بعد مثابة العلم[3] وموئل المدنية ، ومورد الحضارة .

لقد كان العلم أول ما فرضه النبى على المؤمنين بعد نبذ الشرك ، وقد حثهم على طلبه ولو فى الصين ، وأمر به الله فى كتابه العزيز « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ومما يؤثر عن النبى فى ذلك قوله « مداد العلماء أزكى من دم الشهداء » وبلغ من حبه للعلم وحثه على طلبه أن قال « أنا مدينة العلم وعلى بابها » .[4]

**مبدأ الحضارة الإسلامية :**

لقد أعلن الله رسالته ، فأقبل الناس يدينون بها أفواجاً أفواجاً ، ثم مات النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس فى الجزيرة بأسرها إلا توحيد فلج الشرك ، وإيمان زعزع الأصنام ، فتوجه خلفاؤه الصالحون من بعده برسالته صوب بقية أقطار العالم الأخرى ، ينشرونها بين شعوبها المتفككة ، فيتسابق الناس للاحتماء بها هرباً من عسف تلك الدول الغاشمة التى كانت ترزح لسلطانها ، وتئن تحت نيرها ، وما هى إلا عشرات من السنين إلا وشريعة ذلك اليتيم المسكين هى الشريعة السائدة فى الكون والسيطرة على العالم ، وإلا صوت التهليل والتكبير قد أخذ يدوى فى أرجاء إسبانيا من على سطوح الكنائس التى كانت فيما مضى مركزاً للمرضى ، وبؤرة للأوباء ، وكان أول ما فرضه المسلمون على العالم إلى جانب ديانتهم هى لغتهم العربية ، التى بها لا بغيرها نزلت رسالة الله على نبيه ، فقد أملوها على جميع الأمم التى رضخت لسلطانهم ، وخضعت لدولتهم ، وقد بلغ من سعة امتدادها ، وسرعة انتشارها[1] أن أصبحت بين العالم فى مكان اللغة اللاتينية القديمة ، أى لغة العلم الوحيدة ، ولسان المتعلمين ، وبلغ من تفوقها أيضاً أن صارت هى الواسطة الوحيدة لكل من أراد أن يلمّ بنواحى الثقافتين اليونانية والرومانية ، أو يطلع على أحدث العلوم والآراء العصرية .

**العربية لغة عالمية :**

جاء فى تاريخ اللغات السامية لرينان : « ليس فى تاريخ العالم ما هو أدعى إلى التعجب من سرعة انتشار اللغة العربية ، فقد كانت فى بدء أمرها لغة خاملة الذكر ، فاذا بها تظهر فجأة على مسرح الحضارة والمدنية وارثة للغة اللاتينية القديمة ، وإذا بها لغة فى غاية السلاسة والغنى ، كاملة بحيث لم تعرف منذ ذلك العهد أى تغيير أو تعديل . وقد ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة، فليس لها طفولة : ولا هرم . ولست أعلم هل وقع مثل ذلك لأية لغة أخرى فى العالم دون أن تجتاز قبل ذلك أدواراً مختلفة ، فإن العربية ولا شك قد عمت أكبر أجزاء المعمورة ، ولم ينازعها فى مكانتها من حيث كونها لغة عامة عالية إلا لغتان : اللاتينية واليونانية . ومع ذلك فقد تطرقت إلى أقطار نائية ولم تصل إليها هاتان اللغتان قط »

وجاء فى خطط الشام لمحمد كرد على[2] « بذت العربية فى الإسلام اللغة الفارسية والسريانية فى العراق وفارس ، والرومية ، والسريانية فى الشام ، والقبطية والرومية فى مصر ، واللاتينية فى شمال أفريقيا ، ولم يمض سبعون سنة حتى أصبحت العربية اللغة العامة فى هذه الأقطار ...

( يتبع ) **خليل جمعة الطوال**

(١) دوزى : تاريخ المدنيين و أسبانيا .
(٢) Sayed Ameer Ali The Spirit of ISLAM
(٣) : الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على .
(٤) الجامع الكبير

(١) : العلوم والعمران فى الأعصر الوسطى : لجورج سارطون .
(٢) خطط الشام ج ١ ، الاسلام والحضارة العربية .

فى الأدب الانجليزى :

# شكسبير والمعاصرون (*)

للأستاذ جريس القسوس

كان ظهور شكسبير فى عالم الشعر وائتلاق نجمه فى الأوساط الأدبية وهو الرجل غير المثقف من معجزات ذلك العصر بل كل العصور بالحقيقة ، فقد كان يتنازع الشهرة الأدبية وزعامة الشعر فريقان ، الأول مكون من رجل واحد هو كريستوفر مارلو[1] ( Marlowe ) الشاعر النابغة الفحل ، والثانى يتزعمه توماس ناش[2] ( Nash ) وأغلب أعضائه من الشخصيات العلمية الجامعية ، فناش وصحبه تخرجوا فى جامعة كمبردج وغيرها من كبريات الجامعات فى انجلترا .

وبالرغم من اشتداد التنافس والتناحر بين هذين الفريقين فقد كان من المسلم به أن مارلو هو الزعيم الأدبى والشاعر العبقرى غير مدافع .

لكن الخطر كل الخطر داهم هذه الشخصيات العلمية الجامعية بظهور ممثل من عامة الناس لم يكن له شأن من قبل أو خطر ، أخذ فى تأليف المسرحيات على شتى أنواعها ، والتجديد فيها وإعدادها لفرقة تشمبرلن التمثيلية بمظهر ملائم ذوق الناس الأدبى .

وقد سبق أن نشر شكسبير من قبل قصيدتين مذيلتين باسمه الصريح ، فلفت إليه الأنظار ، وجعل الأدباء يرمقونه بروح الدهشة والقلق والإشفاق . كان ذلك فى ٣ سبتمبر ١٥٩٢ حين وافى الأجل الأديب المعروف روبرت جرين[4] (Robert Greene) تاركا مقالا مخطوطاً ، فتولى هنرى تشتل ( Henry Chettle ) نشره فى الثامن من ديسمبر من تلك السنة ، وفيه تعريض بهذا الشاعر الطارىء الحديث الشأن كاسترى . بيد أن تشتل عاد فنشر اعتذاراً من شكسبير وثناء عليه لدماثة خلقه وأمانته واستقامته ، وكذلك لسمو فنه الأدبى . وفى ختام مقاله يخاطب جرين ثلاثة من المؤلفين المسرحيين هم مارلو وتوماس لودج[1] وجورج بيل[2] ناصحاً إياهم أن ينصرفوا إلى غير مسائل التأليف . وفيه ترد العبارة المشهورة التى تشير إلى ظهور شكسبير « ذلك الغراب المحدث ، المتزين بريشنا ، الذى بمجرد قوله : ( قلب النمر المكتسى بجلد الممثل ) يعتقد أنه يجيد نظم الشعر المرسل ( Blank Verse ) كأحسن الشعراء . هذا الشخص الذى ( يحذق حرفاً عديدة )[3] ، وهو عند ظنه ( الشيكسين ) ( Shakescene ) الأوحد فى بلده . »

ومن الجلى الواضح أن جرين بذكره ( لقلب النمر المكتسى جلد الممثل ) إنما يشير إلى وصف شكسبير ( لقلب النمر الملتف بجلد المرأة ) الوارد فى الجزء الثالث من مسرحية هنرى السادس[4] التى كانت تعرف قبلاً ( بمأساة ريتشارد أوف يورك ) ثم فى لفظة ( شيك سين ) ( Shakescene ) إشارة واضحة إلى اسم شكسبير ، ذلك لما بين الكلمتين من تشابه لفظى ظاهر . أو قد يكون المقصود بذلك ، ومعنى ( شيك سين ) : ( يحرك المنظر ، أو يغير المشهد ) ، غمزُ الشاعر من طرف خفى ونقده بأسلوب رقيق هادىء لرجوعه إلى النسخة الأولى من ( هنرى السادس ) وهى من تأليف جرين وصحبه ، وإخراجه نسخة جديدة من تلك الأصلية القديمة .

ومن قول جرين هذا نخرج بثلاث حقائق راهنة : —

الأولى : إن شكسبير كان ممثلاً وكاتباً مسرحياً بعيد الصيت ، فلا عجب أن ملأ نفوس الأدباء المعاصرين بالحسد والحقد والضغينة والمقت الشديد .

الثانية : ظهور مسرحية ( هنرى السادس ) بأجزائها الثلاثة والتى ربما مسها شكسبير بقلمه كما يتبين من نشرها فى المجموعة الأولى لمسرحياته ( ١٦٢٣ ) .

والثالثة ، إن شكسبير كان فى بعض الأحيان بل أغلبها

---

(*) من كتاب عهد شكسبير لم يظهر بعد

(١) يحمل شهادة ( م . ع . ) من جامعة كمبردج ( ١٥٦٤ — ١٥٩٣ ) .

(٢) ( ١٥٦٧ — ١٦٠١ )

(٤) ١٥٦٠ — ١٥٩٢ .

(١) ١٥٥٨ — ١٦٢٥ ؟

(٢) ١٥٥٨ — ١٥٩٧ ؟

(٣) Johannes Factotum

(٤) الفصل الأول المشهد الرابع سطر ( ١٣٧ )

يسطو على بعض القصص فى مسرحيات غيره من الأدباء، ويبهها فى وضح النهار نهباً . ويتضح هذا من قول جرين ( النمر المكتسى بجلد الممثل ) ، ومن ( الريش الذى استعاره منا الغراب الأسحم ليتزين به ) .

أما المسرحيات التى أثارت دهشة جرين وحسده وجزعه معاً فلا يبعد أن تكون ( هنرى السادس ) التى راجعها الشاعر على كل حال وترك فيها أثراً ظاهراً . فقد لفتت إليها نظر جرين وأقرانه لما فيها من ازدحام الحوادث المتنوعة بشكل لم يعهد من قبل ؛ وكذلك ( تيطس أندرونيكس ) التى يعتقدون أن شكسبير لم ينفرد بتأليفها بل اشترك فى مراجعتها وتصحيحها ؛ وهى مأساة رائعة إذا قيست بمآسى مارلو وتوماس كد[1] Thomas Kyd التى كانت تعد من أعظم وأنفس ما شاهده ذلك العصر . وبتأثير ليلى[2] (Iyly) طرق شكسبير باباً جديداً فى فن الدراما هو الملهاة (Comedy) المفعم بالمحسنات اللفظية والكناية والاستعارة ، فقد كان يحبذ هذا اللون من أساليب الكتابة الناشئون فى الأدب ، وهو أبرز ما يتمثل فى جهد ( الحب الضائع ) (Love's Labour's Lost)

هذه هى المسرحيات التى ألفها شكسبير قبل وفاة جرين ، فاسترعت انتباهه ، وحولت إليه أنظار الأدباء والناس جميعاً . وبعد وفاة جرين بسنة يأفل نجم مارلو فى سماء الأدب ، ثم يقضى كد (Kyd) نحبه سنة ١٥٥٩ ، ويعرض لودج (Lodge) عن الأدب وينصرف إلى ممارسة الطب ، ويخرج ليلى من القصر ، وينغمس بيل (Peele) فى الملذات وينقطع عن الإنتاج الأدبى ، ويتحول ناش إلى أدب الهجاء والقصة وهذا لا خطر منه . حتى إذا ما جاء عام ١٥٩٨ لم يشهد فى حلبة الأدب المسرحى على الأخص من ينافس شكسبير أو يجاريه .

ومن المحال أن تذكر لأديب ما فى ذلك العصر مأساة أو ملهاة كان لها ما لأدب شكسبير الدرامى من قيمة أو وزن . فلا عجب أن ترى أستاذاً جامعياً كبيراً كتوماس ميرز[3] (Thomas Meres) يضع شكسبير فى مصاف المسرحيين العالميين الذين نبغوا فى بابى الملهاة والمأساة . فقد وضع ميرز كتاباً اسمه (بلادس تاميا)[1] ( استعرض فيه المجهود الأدبى منذ تشوسر[2] حتى عصر اليزابث ، وتناول بالدرس والبحث نحو مئة وخمسة وعشرين أديباً من أدباء الإنجليز ، مقارناً بين كل واحد منهم وبين من يرى أنه يشبهه من أدباء العصر الاتباعى القديم ، أو أدباء الطليان فى عصر الرينسانس . وفى هذا الكتاب يشير إلى شكسبير مطرياً شاعريته الفذة ، كما تجلت له فى قصيدتى ( فينس وأدونيس ) ( ولوكريس ) ويرى أنه ليس دون أوفيد[3] الشاعر الرومانى العظيم مؤلف ( التامور فيسس )[4] أوبلونس[5] شاعر الملهاة عند الرومان ، وسنيكا[6] الفيلسوف الرومانى الذى برع فى تأليف المأساة . فيقول ميرز إن شكسبير لا يقل عن هؤلاء جميعهم فى مسرحياته ( كوميديا الأخطاء ، وجهد الحب الضائع وسيدا فيرونا ، وحلم ليلة فى منتصف الصيف ، وتاجر البندقية ، ورتشارد الثانى والثالث ، وهنرى الرابع ، والملك جون ، وروميو وجوليت ، وتيطس أندرونيكس ) .

ولهذا القول ولتعداد هذه المسرحيات قيمة مزدوجة ، الأولى وهى مجرد ذكرها وعزوها لشكسبير دون غيره ، وفى هذا رد على الذين يعزون نظمها إلى غيره ، وفيه دلالة على أنه ألفها قبل أن يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره ، والثانية تألق نجم شكسبير فى سماء الأدب وازدهار شهرته الأدبية فى برهة وجيزة ازدهاراً لفت إليه الأبصار .

ولم يقف الأمر عند إشفاق الأدباء ، وقلقهم وجزعهم ، أو ثناء البعض الآخر عليه وإعجابهم به ؛ فقد وردت إشارات عدة فى الأدب المعاصر تشيد بذكر هذا الأديب ( ذى اللسان

---

(١) (١٥٥٧ — ١٥٩٠ ؟) .
(٢) (١٥٥٤ — ١٦٠٦) .
(٣) (١٥٦٥ — ١٦٤٧) .

---

(١) Palladis Tamia
(٢) (١٣٤٠ — ١٤٠٠) .
(٣) ovib (٤٣ ق م — ١٨ م)
(٤) Metamorphoses مكونة من كلمتين من أصل يونانى معناها ( تبدل الأشياء ) .
(٥) Plautus (٢٥٤ — ١٨٤ ق م) .
(٦) Seneca (؟ — ٦٥ ق م) .

# وردة اليــــازجى

للأستاذ يوسف يعقوب مسكوني

— ٢ —

وقالت ترثى الأمير أمين أرسلان المتوفى سنة ١٢٧٥ هـ :

كأس المنية دائر بين الورى يسقى الكبير ولا يفوت الأصغرا
ما هــــذه الدنيا بدار إقامــة
إلا كطيف الحلم فى سنة الكرى
كل على هذا الطريق مسافر لا بد منــه مقدماً ومؤخرا

وكذلك تقول :

هــــذا الذى بالأمس كان مكانه
شم القصور فكيف يرضى بالثرى

ثم أيضاً تقول بما فيه الجناس :

سار السرور عن السرير لفقده وعن السرائر والأسرة قد سرى
هذا هو السيف الصقيل أصابه سيف من القدر الذى قد قدرا
تبكى البلاغة والبراعــــة والحجى
والعزم فى الخطب الشديد إذا اعترى
لو تعلم الشمس المنيرة فقده كسفت أو البدر المنير تحيرا
أو كان للحجر الأصم محاجر أجرى عليه من المدامع أنهرا

وكذلك فهى تقول :

يا ركن لبنان العظيم عليك قد كادت ربى لبنان أن تتفطرا

إلى أن قالت :

إن كنت غبت عن العيون فلم يزل
لك رسم شخص فى القلوب مصورا

ثم تقول أيضاً :

لو كان يظهر سحاب ضريحه إلا على صفحاته لم يمطرا

وكذلك تقول خاتمة :

ناداه رب العرش من كرسيه هانحن أعطينا الأمين الكوثرا

وقالت ترثى ولداً نبيهاً :

زوّد النعش قبل شد الرحال إن هذى الحياة طيف خيال

---

المعسول ) ( والعِرق الذى يفيض شهداً ) ( والخلق السمح والبال الرخى ) .

ولقد كان له فى نفس بن جونسون[1] صديقه الأدنى وثانى الشعراء والمؤلفين المسرحيين بعده منزلة وطيدة راسخة الأثر ، برغم أنه كان يغمزه أحياناً ويأخذ عليه ما يبدو فى أدبه من نقص فى الثقافة والعلم . فإنك لا ريب ذاكر تلك القصيدة العصماء التى قد لا يعلو عليها شىء فى الرثاء ، وقد نظمها بعد وفاة شكسبير ، وصدر بها المجموعة الأولى من مسرحيات شكسبير ، وفيها يؤبن الشاعر ويطنب فى مدحه ، فيصفه ( بأوزة آفون الحلوة )[2] ( وبأنه روح العصر ، وفخر المسرح وجذله وسروره ) ، ثم يضعه فوق تشوسر وسبنسر[3] وبيمونت[4] بل يجعله وحده ( تمثالا فريداً لا ضريح له ) .

ثم يصف كيف غشى نجم شكسبير بنوره المتألق الساطع وأخفى ضياء تلك الكواكب الزاهرة فى عالم الأدب كمارلو وكد وليلى وغيرهم من فطاحل الأدباء . وفى هذه القصيدة : نفثة من هاتيك النفثات الفريدة الصادقة التى يلفظها أحيانا العقل والقلب معاً فتقارب بقوتها وسحرها وروعتها أخلد النبوات . ( فهو يرى لبريطانيا أن تسر وتغتبط إذ أنجبت هذا الابن العظيم الذى سوف تبايعه وتطيعه وتخلص له جميع المسارح فى أوروبا ؛ وأن شكسبير لم يكن لعصر واحد ، وإنما للزمان بأكمله ، ولا أظنك بحاجة لشرح وبسط ما حققت الأيام من هذه النبوة الرائعة ، فقد أصبح شكسبير منهلا للأدب عذبا ، ومنبعاً لا يغيض ماؤه وأضحى نجمه يشع فى سماء الأدب إشعاعا ، ويتلألأ بالنور الزاهر الدائم ، فيهتدى به الشعراء فى انجلترا وفى معظم أقطار العالم أيضاً .

شرق الأردن **جريس قسوس**

---

(١) ( Ben jonson )

(٢) Sweet Swan of Avon

(٣) Spenser شاعر انجليزى كبير معاصر لشكسبير

(٤) Beamont معاصر لشكسبير أيضا

وحياة الدنيا طريق يؤدى نحو دار البقاء ذات الجلال

وتقول :

يا هلالا قد احتوى نور بدر كيف لو تم نورك المتلالى
إن يكن قد خلا سريرك يوماً منك فالقلب ليس منك بخال

وقالت ترثى الأمير سعيد الشهابى :

ترى من غاب عنا هل يعود لعمرك إنه أمـــل بعيـد
فراق الحى محدود ولـكن فراق الميت ليس له حدود

ثم تقول :

شريف الأصل من أشراف دهر تسلسل والرواة له شهود

وكذلك فهى تقول :

فته عجباً أيا قـــبراً حواه وقل أنا فى الورى فلك جديد
فريداً كنت ما بين البرايا وأنت اليـوم فى قبر فريد
لأعين أهله سهد طويل ومن عبراتهـم بحر مديد

ثم تقول :

لئن تك غبت عن دار ستفنى ففى الفردوس صار لك الخلود

وقالت ترثى كاتبة بنت موسى بسترس التى ذكرناها آنفا وهى من صديقاتها اللواتى كانت تراسلهن :

يا بنت موسى قد دعاك الله من طور الجلال كما دعاه بما مضى
قد شق موسى بالعصا بحراً طغى ونراك شققت القلوب بلا عصا

ثم تقول :

قد أنشبت فيك المنون سهامها ظلما ولم تشفق على ذاك الصبا

وكذلك تقول :

بكت المعارف واللغـــات تأسفاً
يوم الفراق على المعـــارف والتقى

ورثت سارة بنت المعلم بطرس البستانى بقولها :

يابين ويحك هل أبقيت فى البشر عيناً بلا دمعة حرى ولا كدر

ومنها :

تبـكى على فقدك الأتراب دمع دم
أغنت ثراك به عن مدمع المطر
قد كنت بين بنات المصر جوهرة
عظيمة الشأن تزرى أفضـل الدرر

ثم تقول :

يا نومة ما لها من يقظة أبداً وغيبة ما لها فى الدهر من حضر
إن لم تعد نحونا يوماً فنحن غداً نسعى إليها ولو كنا على حذر

وفى رثاء أخيها حبيب تقول :

ياعين وردة فى الأسحار والأصل أبكى لفقد حبيب عنك مرتحل
ويا فؤادى تفتت بعد مصرعه فان سيف المنايا سابق العذل
ويا سلو ابتعد عن مهجتى أبداً ويادموع ازلى كالعارض الهطل

ثم تقول :

غاب الحبيب حبيب الروح عن حلل
باتت لفرقته فى أســـود الحلل
ويحى من البين إن البين جارحنا بأسهم لم نزل منها على وجل

وكذلك تقول :

رمى الحبيب بسهم قد أصيب به فبات منطرحاً كالشارب الثمل
روحى فدى ذلك القد الذى قصفت
منه المنايا قواماً كان كالأسل
روحى فدى ذلك الوجه الذى كسفت
جماله حادثات الدهر والعلـــل
يا فارس[1] اليوم أشرق قد أتاك على
قرب حبيب فلا تشكو من الملل
بدران أظلمت الآفاق بعدهما فى مقلتى وضاقت بالأسى سبلى
قد كدرت غير الأيام موردنا وبدّل الدهر مانرجوه من أمل

ثم تقول :

لا أخمدالله ناراً فى الحشا اشتعلت منى ولا نشفت عينى من البلل

---

(١) وفارس هذا هو أخوها وقد توفى قبل أخيه وقد رثته وردة بقصيدة ورد منها هذه الأبيات وهي قطعة من كبدها ومطلعها هو :

يا بين ويحك كم أشعلت نيرانا على القلوب وكم أدميت أجفاناً

وتقول أيضاً :

يا ويح خنساء عينى وهي باكية صخراً بدمع لديه الصخر قد لانا

وكذلك تقول :

يا مهجة القلب هل عود نؤمله وهل كتاب سلام منك حيانا
ألبستنى ثوب حزن لست أخلعه حتى أبدل منـه فيه أكفانا
لا رطب الله قلباً ظل مشتملا منى ولا جف دمع سال غدرانا

وتختم رثاءها قائلة :

فاذهب عليك سلام الله ما طلعت شمس وزادك من نعماه رضوانا

ولا عرفت ســـلواً في الحياة إلى
أن ألتقي بك في مستقبل الأجـل

ثم قالت ترثي والدها وقد توفي سنة ١٨٧١ م :

تكاثرت الأحزان في كبدي الحرى
وزادت دموع البين في عيني الشكرى
وجارت على ضعفي الليالي وأوقدت
بطي فؤادي من نوائبها جمرا
وقد آلمتني الحادثات بصرفها كما ألمت خنساء إذفقدت صخرا

ثم تقول :

فتباً ليوم فرق الدهر شملنا وجمّع في قلبي مصائبه تترى

وهي تقول أيضا :

أيا علم الشرق المبجل والذي أقرت له بالفضل كل الورى طرا
ويامعدن العلم الذي ضمه الثرى وكم معدن كان التراب له سترا
ويا بحر فضل كان بالدرّ زاخراً لفقدك كاد البحر أن يفقد الدرا
ويا من بمسراه تيتمت العلى كما يتم التأليف والنظم والنثرا
ينوح عليك الشعر دهراً وطالما
بك اهتز فاستعلى على فلك الشعرى

ثم تختم قائلة :

وقد غبت يا شمس العلوم وبدرها
فأصبح كل ينـدب الشمس والبدرا
فيا قبره أكرم أعـــز وديعة
بطيك لم تبرح لأهـل الورى ذخرا

أما مطلع قصيدتها في رثاء أخيها نصار وقد توفي في مدينة زحلة سنة ١٨٧٤ م فهو :

وبلاه وبلاه كم نشكو وننتحب وكم علينا صروف الدهر تنقلب
وكم تجور الليالي في حوادثها على فؤاد بنار الحزن يلتهب

ثم تقول :

يا أرض زحلة لي في حبها شغف إذ في حماها شقيق الروح محتجب
يا راحلا راح صفو العيش يتبعـه
واستوطنت بعده الأحزان والـكرب

ثم تقول أيضاً :

يا قلب صبراً على ما قد أصبت به ولا تَرعك البلايا وهي تعتقب
قد عودتك الليالي الحزن من صغر حتى غدوت إلى الأحزان تنتسب

إلى أن قالت :

يا رحمـــة الله زوريه ميممة ترباً له قد سقت أرجاءه السحب
وآنسي من ثراه مضجعاً بحمى لبنان فيه حبيب القلب مغترب
مني عليه ســـلام الله ما غربت
شمس وما طلعت في أفقهـا الشهب

وفي رثاء أخيها راحيل تقول :

متى تترك الأيام دمعي لا يجري وقلبي المعنى لا يبيت على جمر
أبى الله أن أنسى وكيف وفي دمي
قد امتزجت أحزان خنسا على صخر

ثم تختم الرثاء بقولها :

وما لك قبر واحـــد فقلوبنا
قبور حوت أمثال شخصك في القبر

وقالت ترثي أخاها خليلا :

رويدك يا من قد نعيت لنا البدرا
أتحمل نعياً ضمن طرسك أم جـمرا
ألا أيها القلب الحزين إلى مـــتى
تقاسي خطوب الدهر منقضة تترى
تراكمت الأرزاء من كل جانب عليك فلا يوم يمر بلا ذكرى

ثم قالت :

ويا طرف إن جفت دموعك فاتخذ دم القلب دمعاً فوق تربته يُذرى

وتقول أيضا :

ولم أوف حق الحب إن لم أمت أسى عليه فعيشي صرت أحسبه غدرا

وتختم الرثاء بقولها :

سلام على وجـــه الخليل وناره
بطي الحشا قد أفنت القلب والصدرا
له العفو والرضوان من فضل راحم
ولي مدمع الخنساء إذ فقدت صخرا

( يتبع )

**يوسف يعقوب مسكوني**

**شاعر عربي في لندرة :**

# جنة الأوهام ...!

للأستاذ عبد القادر القط

أسلمت للوهم أفكاري ووجداني ... وذقت في خدر الأوهام سلواني
أمضي مع الناس لا عيني بشاهدة ... ما يشهدون ولا صوت بآذاني
دنياي عالم أحلام مهومة ... تهفو فتمسح آلامي وأشجاني
وأغتدي ورؤاي البيض تبسم لي ... وفي خيالي تهويمات وسنان

هجرت ما كان من يأسي وموجدتي
وصفت بعد مرير الصمت ألحاني

كم ظلت أضرب في دنياي محتقبا ... في القفر شوقي وآمالي وتحناني
يلوكهن فـؤاد جائع بشم ... من الأسى وضمير مثقل عاني

نوازع من رغاب طال ما احتبست
وطال ما لقيت من سوط سجاني
يعتاقها عن طلاب الرحب محبسها
وتلتظي لهبا من نار حرماني

خرساء منطقها وخز وشارتها ... وقع المعاول في موهون بنياني
تململت فأصاب القلب حرقتها ... وملّ جذوتها صبري وإذعاني
نادبت من ألمي وهمي فأسعدني ... بجنة من خيالي ذات أفنان
أطلقتهن بما يمرحن في شغب ... ونمت بعد سهادي ملء أجفاني
وعفت صحوة دنيا كنت أعشقها ... وبتُّ أشرب من دني ومن حاني
ساقيَّ ألبقُ من دارت على يده ... كاس وأعرف آس عند أحزاني
إذا طلبت عزيز الراح بادرني ... وإن طلبت رخيم اللحن غناني
في كل دفقة كأس ينتشي أمل ... وبغية سئمت أعماق نسياني
أرى بأفقي ما أخمدت شرته ... من الرغاب وسحبا ذات ألوان
بكل دانيـة منها يطالعني ... مجدي وحبي وأعواني وخلاني
أروح للحب حتى يكتفي نهمي ... وأنهل المجد حتى يرتوي شاني
نجواي في الليل أبكار معطرة ... أبيت ليلي أرعاها وترعاني
أصوغ من ألق الأطياف فتنتها ... وقلبها من وفاء عاطف حاني
غنيت بالوهم عن دنيا مخبّلة ... تلقي القياد لذي جاه وسلطان
يذوق لذة ما أواسته نعمته ... يحس أبله غافي القلب سأمان
تلقي القياد وتُلقي من مرارتها ... إلى فم رحيق الشهد هيمان
يحس كل شهي في قرارته ... يغترف من مريء الذوق فنان
مدلّه بالنعيم الحلو يدركه ... بالروح والجسم . بالباقي وبالفاني
دماؤه شهوة حمراء دافقة ... والروح بالشهوة البيضاء في حان
أمضيت ريق شبابي في الحياة تقى ... أطفو على ثبج بالهم ملآن
أرعى بقية إيمان أعللها ... ويطفر الشك من آن إلى آن
حتى تراءت لي الأوهام في شفق ... ضافي الجمال على الآفاق فتان
خفقت ملء جناحي نحو ساحته ... وضاع بين الرؤى شكي وإيماني

# نهـاية ...!

للأستاذ محيي الدين صابر

لا حانتي ، رجّعت شدوي ولا الساقي
يا هـذه !! أين أحلامي وأشواقي ؟

ظمآن أخفق في الصحراء مغتربا ... كأنني خطوة في ساق أفّاق !!
أسرّ للرمل حنّاتي ومسكنتي ... كم من هوى تحته كالنبع ، ألاق
فكل ذرة رمل ، قلب محترق ... أو حسن غانية . أو فكر خلاّق
ويسكت الرمل إشفاقا وسخرية ... فكم تولى بعشاق وعشاق !!
وأسأل الريح زفّافا مواكبها ... تدور في زمن محل وآفاق !
متى عبرت بواد كنت أعمره ... في واحة طلة الأحناء غيداق ؟!
وتعصف الريح أنفاسا مشرّدة ... يا طالما عصفت عن قلب خفاق
والليل ! يعرفني طوّاف كعبته ... يا ليل ! فانشق عن فجري وإشراق
يا ليل ! واردد صباباتي وأخيلتي ... واملأ عروق بوهم منك رقراق !
ويطرق الليل ... أظلالا مقيدة ... يا رب ضيعة حلم خلف إطراق
وا رحمتا للمنى أفنيت ريّقها ... في خادع من مراعي الوهم ، برّاق
وللهوى الضخم محموما نوازعه ... أمسى رمادا على روحي وأعماق !!
ظلمت يا غادة المحراب ما نسجت ... شفاه مشتاقة ظمأى ، ومشتاق
هلا ذكرت على القمات مسبحنا ... على جناح بقلب الفجر صفّاق ؟!
وأغنياتي في أذنيك من وتر ... منغّم الوحي بالإلهام طرّاق




## ١ — قتيبة بن مسلم :

لمجلة « الرسالة » مكانة سامية فى الأوساط العلمية فى جميع البلاد العربية ، ولكتابها منزلة فى النفوس لا تساميها منزلة غيرهم من الكتاب . فإذا استعظم على أحدهم هفوة لسان طفيفة أو زلة قلم خفيفة ؛ فذلك لما للقراء — على الرسالة الغراء، وعلى كتابها — من الدالة ، ولما لتلك المجلة وأصحابها من الاجلال والا كبار فى نفوس أولئك القراء .

ومن أولئك الكتاب الذين لكتاباتهم روعة قوية ، وتأثير عميق فى النفس : الأستاذ الجليل « على الطنطاوى » ولا أدل على ذلك من مقاله القيم المنشور فى العددين ٦٨٠ وتاليه بعنوان : (من التاريخ الإسلامى — قضية سمرقند) ، ولا ينقص من روعة ذلك المقال أن يفهم القارىء منه أن قتيبة بن مسلم الباهلى الفاتح العظيم ؛ أدرك عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز . خلاف ما يفهم من مصادر التاريخ الصيحة التى تنص على أن قتيبة لم يدرك ذلك العهد ، بل قتل فى عهد سليمان بن عبد الملك .

« الرسالة » : لقد سبق الأستاذ الطنطاوى فنبه إلى ذلك .

## ٢ — أتاريخ صحيح أم خرافة ؟! :

وهذا المربى الأستاذ الكبير كامل كيلانى يقول فى عدد «الرسالة» ٦٨٢ : (منذ خمسة عشر قرنا تنقص عشرات قليلة من

نسيتِ فى السفح أيامى معذبة  تبكى وتسأل عن عهدى وميثاقى
قد أنكر الدَّوح فى الشُّطآن مُغتربى  فرداً ؛ أقيمُ على حزن وإشفاق
وقد يكون ولى نجوى ولى قُبل  فى ظله من هوًى فى القلب وفاق!
ياوحشة ، ملأتنى جهشة وأسى  فى ذكرياتك عندى شارد باق!
تدور فى دمى الدنيا مُعطَّلة  كأنها أدمع جالت بأحداق!
هى الحياة زحمناها منًى وهوًى  ألوتْ بوان ، ولم تسلس لسباق!
وقد قنعتُ ! وردناها على ظمأ  يجفت الخمر دونى وانطوى الساقى

السنين وُلد خرافة القاص العربى المخضرم الذى عاش فى العصرين الجاهلى والاسلامى … وقد عاصر جحوان الصحابى جد أبى الغصن عبد الله دجين بن ثابت الملقب بجحا … وكانت أم جحا تخدم أم سليم بنت ملحان والدة مالك بن أنس راوية الحديث المعروف … ثم مضى القرن الأول ومضى معه خرافة ومعاصروه . ثم جاء القرن الثانى فكان من مولوديه أبو الغصن عبد الله دجين بن ثابت الملقب بجحا) . ولكن قوله هذا لا يؤثر فى منزلته باعتباره أحد الأفذاذ الذين أسدوا للجيل الجديد منة عظمى مجسمة فى كتبه القيمة النافعة « مكتبة الأطفال » ، وإن فُهم من ذلك القول مخالفة الحقائق الآتية :

١ — أم سليم بنت ملحان والدة أنس بن مالك الصحابى الجليل الذى خدم الرسول صلى الله عليه وسلم عشر سنين . لا مالك ابن أنس الإمام المحدث المشهور صاحب كتاب « الموطأ » المتوفى سنة ١٧٩ هـ .

٢ — أم سليم صحابية أدركت عهد الرسالة ، وحضرت وقعة « حنين » وجرى لها فيها حادثة طريفة ، وتوفيت فى أول القرن الهجرى الأول . فكيف تكون أم جحا خادمة لها ، ثم تدرك القرن الثانى ويولد لها ابنها جحا فيه ؟!

٣ — كيف يعيش فى القرن الأول الهجرى ويعتبر مخضرما من ولد قبل ذلك القرن بمائة سنة أو أكثر ؟!

(الطائف) **محمد الجاسر**

## حول صور سودانية :

قرأت أخيرا فى «الرسالة» ٦٨٠ للاستاذ حسان خضر مقالا عنوانه « صور سودانية » يقول فيه : (ليس التقاء النيل الأبيض بالأزرق عند الخرطوم كما يقول الجغرافيون وإنما هو أقرب إلى مدينة أم درمان وهو يبعد عن الخرطوم نحو (١٥ كيلو) ، ولو أنه كتب هذا ولم يتعرض للجغرافيين لقلنا إنه سهو .

إن المكان الذى يلتقى فيه النيلان والمسمى « بالمقرن » حيث الحدائق المشهورة يحد الخرطوم من شمالها الغربى وعنده تنتهى مدينة أم درمان فى جنوبها الشرقى وليس هناك (كيلو) واحد يبعد « المقرن » من الخرطوم .

(كلا) **حسن أحمد البشير**




# مطاردة ... !

للقصصى الانجليزى سومرست موم

بقلم الأستاذ محمد عبد اللطيف حسن

عند ما أرست بنا السفينة على ثلاثة أميال من الشاطئ الشمالى لجزيرة بورنيو ، تقدم ربانها نحوى ومد يده إلى مصافحاً وتمنى لى حظاً سعيداً طيباً . فانتهزت بدورى هذه الفرصة التى أتاحها لى وشكرته على تلك العناية العظيمة التى بذلها نحوى فى خلال تلك الرحلة الطويلة المتعبة ، ثم أخذت طريقى هابطاً سلم السفينة التى كانت مزدحمة بالركاب ذوى الأجناس المختلفة والنحل المتعددة . وكانت هذه السفينة من تلك السفن الشراعية الكبيرة ذات الأشرعة الواسعة الرحبة المصنوعة من خشب الخيزران المجدول . وتذكرت حينئذ حقيبة أمتعتى فنظرت إلى المقر الذى كانت موضوعة فيه فى أحد جوانب السفينة ، فوجدتها قد أنزلت إلى القارب الذى سيقلنا إلى الساحل ووضعت فى مكان ظاهر فيه

ولما اكتمل عددنا فى القارب لوحت بيدى لربان السفينة الذى أخرج من جيبه فى تلك اللحظة منديلا أبيض وأخذ يلوح لى به مبتسما فى الفضاء الواسع العريض ، وقلدنى باقى الركاب الذين كانوا معى فى ذلك ، فأخذوا يلوحون له وللركاب الذين تركوهم يستأنفون سفرهم على سطحها بأيديهم طوراً ، وبمناديلهم الصغيرة البيضاء طوراً آخر ، ودموع الفرح والغبطة تترقرق فى عيونهم التى كان يشع منها بريق السعادة والسرور . وما زلنا على هذا الوداع المؤثر الحار حتى اختفت السفينة عن أبصارنا اختفاء تاماً ، وأصبحت تتراءى لنا لبعد المسافة التى كانت تفصلنا عنها كأنها شبح من الأشباح القاتمة السوداء .

ولما اقتربنا من الساحل تراءى لى عن بعد أشجار جوز الهند المحملة بذلك الثمر الشهى الذى يكثر زرعه فى تلك الأنحاء ، ورأيت من خلالها سقوف الأكواخ الخشبية الرمادية اللون التى يقطنها أهالى هذه المنطقة الاستوائية الحارة . وأشار لى وقتئذ أحد الصينيين الذين كانوا برفقتى فى القارب بيده إلى كوخ أبيض كبير قائم على مقربة من الساحل وسألنى بالإنجليزية التى كان يتكلمها بطلاقة وصدق كأحد أبنائها :

— أتعرف من يقيم فى هذا الكوخ الأبيض المرتفع ؟

فتظاهرت بأننى لا أعرفه وهززت رأسى متأسفاً وقلت : لا !

— إن الذى يقيم بهذا البناء هو حاكم هذا الإقليم ، وهو انجليزى الجنسية كما أعلم ...

فشكرته على هذه المعلومات التى أدلى بها إلى ثم سكت !

ولو كان هذا الصينى يعلم أننى سأقيم مع هذا الحاكم تحت سقف واحد لمدة من الزمن ، لوفر على نفسه مشقة هذا التعريف الذى كنت على دراية به أكثر منه ! وقد كان على حينئذ خطاب توصية إليه من ربان السفينة التى أقلتنى إلى هذا المكان ، لأنه لم يسبق لى مشاهدته أو التعرف إليه من قبل

وحين رسا القارب بنا وهبطنا إلى الساحل الرملى البديع ، شعرت فجأة بتلك الوحشة التى يشعر بها كل شخص تطأ قدماه أرضاً غريبة ليست له بها عهد من قبل ، وقد وقفت برهة على الساحل أتأمل الشمس وهى تلقى بأشعتها الذهبية التى كانت تتألق على مياه البحر فتزيده بهاء وسناء وروعة ...

ولم ألبث أن شعرت ببعض الخجل والارتباك وأنا أتقدم إلى كوخ الحاكم بخطوات وئيدة ثابتة ، وقد حملت حقيبة أمتعتى فى يدى اليمنى ، وقبعتى العريضة البيضاء فى يدى اليسرى ، وأخذت أسائل نفسى أثناء سيرى قائلا : « كيف أقدم نفسى إليه ؟ بل كيف يخطر لى ببال — وأنا الغريب عن تلك المنطقة — أن أبيت وإياه فى مسكن واحد ، وأتناول ما يقدمه لى من طعام وشراب — وأنا لا أعرفه — حتى تأتى السفينة التى ستقلنى إلى الجهة التى أزمعت الوصول إليها ؟ ! »

ولكننى لم ألبث — حينما وصلت إلى باب الكوخ — أن وفرت على نفسى مشقة هذه الأسئلة الغريبة المحرجة التى أخذت تتوارد على ذهنى بسرعة هائلة ، فأنزلت حقيبة أمتعتى إلى الأرض

وأخرجت من جيبي خطاب التوصية الذي كنت أحمله معي وناديت أحد الخدم الواقفين بالباب وطلبت منه أن يسلمه إلى الحاكم يداً بيد. ولم يمض على دخول الخادم بضع دقائق حتى خرج إلى من داخل الكوخ رجل وسيم الطلعة، قوي البنية، ذو وجه باش أحمر يدل على إفراطه في الشراب، وعينين زرقاوين حادتي النظرات، وكان يبدو من هيئته أنه في العقد الرابع من عمره أو دون ذلك بقليل، وقد حياني تحية قلبية خالصة كما لو كان يعرفني من سنين، واستقبلني بحفاوة شديدة وسرور بالغ لم أكن أتوقعهما منه، وجذبني من يدي برفق، ثم نادى أحد الصبية وأمره بإحضار بعض المشروبات المنعشة، ونادى الآخر وأمره بأن يحمل حقيبتي ويدخلها الكوخ

وأراد الحاكم أن ينسيني ما كنت أشعر به في تلك الآونة من الخجل والارتباك لوجودي في هذا المكان الغريب، فتلطف معي في الحديث وقال:

— إنك لا تعرف كم أنا مسرور برؤيتك، ولا سيما أن ربان السفينة الذي أرسلك إلى من أعز أصدقائي وأخلص رفقائي، ولذلك أرجو أن تعتبر نفسك هنا كأنك في بيتك

فابتسمت له وشكرته بإيماءة من رأسي على أدبه الجم وحسن استقباله إياي ...

ولم يلبث مضيفي أن استأذنني وذهب لينجز بعض أعماله الضرورية التي لا تحتمل التأجيل. فلما فرغ منها عاد إلى وتمدد بجانبي على مقعد طويل من القماش، وأخذ يجاذبني أطراف الأحاديث، ويروي لي الشيء الكثير من مغامراته ومخاطراته في تلك البلاد ...

ولما هبطت درجة الحرارة قليلا، خرجنا للنزهة، وطفنا ببعض الأجزاء الهامة في تلك المنطقة، ومتعنا أنظارنا بجمال الطبيعة الساحر، ثم عدنا قبيل الغروب وقد تصببت أجسامنا من العرق، ولم أجد في ذلك الوقت ما ينقذني من تلك الحرارة الشديدة سوى أن آخذ حماماً بارداً ... ففعلت .. وقد شعرت من بعده بلذة عجيبة، ونشاط جسماني غريب، أنسياني ما كنت أعانيه منذ لحظات من ضيق بالغ، وعذاب أليم!

وبعد أن فرغنا من تناول العشاء استأذنت صاحبي أن أنام لأنني كنت منهوك القوى من وعثاء السفر. وبالرغم من أن رفيق كان يرغب في التحدث إلى طول الليل، إلا أنني استأذنته مرة أخرى ورجوته أن يرشدني إلى الحجرة التي سأقضي فيها ليلتي. فقال صديق وهو يقودني من يدي إلى غرفتي:

— كما تشاء ياصاحبي ... ولن أثقل عليك الليلة بسماع أحاديثي المملة، وأقاصيصي المتعبة!!

وكانت الغرفة التي أدخلني فيها كبيرة رحبة ذات شرفة واسعة من الجانبين، ومؤثثة برياش بسيط لا بأس به، وفي ركن من أركانها نصب سرير كبير مغطى بكلة رقيقة من الدانتلة البيضاء لتقي من يرقد فيه من لدغات البعوض التي كانت تعد من أخطر الحشرات وأشدها فتكاً بحياة بني الإنسان في تلك الجهات وضحك صديق وقال لي وهو يشير بيده إلى السرير.

وإن هذا الفراش خشن بالنسبة إليك، ولكنه مع الأسف أحسن ما عندنا في هذه البلاد!

فابتسمت له ابتسامة رقيقة وقلت:

— إن هذا لا يهمني مطلقاً، ولن يؤثر ألبتة في نومي ما دمت أشعر بحاجة ملحة إلى الراحة بعد هذه الرحلة المضنية:

ونظر رفيقي إلى الفراش مرة أخرى متمعناً وقال:

— لقد كان آخر من نام في هذا الفراش رجل هولاندي. ولهذا الرجل قصة عجيبة مؤلمة. ولا أجد عندي مانعاً من سردها عليك بشرط أن تسمح لي أولا بذلك حتى لا يكون في هذا مضايقة لك.

وبالرغم من أنني كنت في حاجة شديدة إلى النوم كما قلت، إلا أن اللهجة التي مهد بها رفيق لهذه القصة جعلتني أتشوق لسماعها منه، ولذلك لم ألبث أن قلت:

— لا بأس ياصاحبي ... أسرد على قصتك وكلي آذان صاغية لك.

فجلس رفيقي على حافة الفراش وجلست قبالته ثم استجمع شتات أفكاره وقال وقد ارتسمت على جبينه آيات التفكير العميق:

— لقد جاء هذا الرجل إلى هنا على نفس السفينة التي أتيت

عليها ، وقد حضر إلى مكتبي مباشرة وسألني عما إذا كنت أعرف فندقاً في تلك البلدة يمكنه أن يقضي فيه ليلته ، فلما أخبرته بأنه لا توجد فنادق في تلك البلدة على الإطلاق هز رأسه متأسفاً وهم بالخروج من عندي بعد أن حياني تحية رقيقة مؤدبة . ولكني لم ألبث أن أشفقت عليه فناديته وعرضت عليه أن يبيت في مسكني ، فقبل ذلك بعد تردد قليل . وكان هذا الرجل الهولاندي يحمل في يده قيثارة (كمنجة) صغيرة غالية الثمن ، فلما رآني أحدق النظر فيها بإمعان ابتسم لي وقال (إن هذه القيثارة هي كل ما أحضرته معي في تلك الرحلة ، وهي تسليتي الوحيدة في أوقات فراغي الممل ، ولذلك تراني أعزها وأفضل حملها معي في كل مكان أذهب إليه .)

وكان هذا الرجل ذا وجه شاحب نحيل ، ورأس مستدير يعلوه شعر أسود كث ، وعينين رماديتين تدل نظراتهما القلقة المتحيرة على ما يعانيه صاحبهما من خوف واضطراب ، أما جسمه فكان هزيلا مفرطاً في الطول بدرجة غير عادية . وكان يلوح عليه أنه تجاوز الأربعين بقليل ، وقد دلتني ملامح وجهه الجامدة على ما به من مرض نفساني غريب ، إذ كان يتلفت وراءه بسرعة زائدة لأقل صوت يسمعه . وكان يتكلم الإنجليزية بطلاقة عجيبة ، ولولا تلك اللكنة الأجنبية التي كانت تظهر في بعض كلماته لظننت أنه إنجليزي قح . وكان يحب الحديث ، ويجيد الكلام إلى درجة تضطر سامعه إلى الإصغاء إليه ، والانتباه لحديثه بلذة وشغف .

وكان لدى بعض الأعمال الضرورية التي يجب أن أنتهي منها على عجل ، فطلبت بلطف أن يسبقني إلى الغرفة المجاورة ، وأخبرته أنني سأوافيه إليها بعد قليل . وبينا أنا أخاطبه إذا بسكرتيري الخاص يفتح الباب فجأة ويدخل بدون استئذان كما اعتاد أن يفعل ذلك في بعض الأحيان . فارتاع الهولاندي لهذه المباغتة واصفر وجهه حتى أصبح يحاكي في شحوبه وجوه الأموات ، وأخذ جسمه النحيل يرتعد بشدة وعنف من قمة الرأس إلى أخمص القدمين ، وأخرج بسرعة مسدسه من جيبه الخلفي ، فذعرت لذلك ذعراً شديداً وصحت فيه بأعلى صوتي قائلا (ماذا تفعل يا سيدي ؟ ولم أخرجت مسدسك من جيبك ؟)

ولما رأى الهولندي أن القادم سكرتيري ندم على فعلته ندماً شديداً وشعر ببعض الخجل والارتباك ثم أعاد مسدسه إلى جيبه وتهالك على أقرب مقعد منه وهو يلهث من فرط ما اعتراه في تلك اللحظة ، ولما تمالك أعصابه وعاد إليه صوابه قال لي بخجل ظاهر ، (أرجو معذرتي يا سيدي فإنني رجل محطم الأعصاب كما رأيت) .

فأمنت على كلامه بهزة خفيفة من رأسي وقلت (هدئ روعك يا سيدي ولا تخف من شيء) .

ولم يكن يلوح عليه أنه قد أفرط في الشراب حتى تصدر عنه تلك الفعلة المنكرة ، وقد ظننت لأول وهلة أنه قد يكون أحد المجرمين الذين يتعقبهم رجال الشرطة ، ولكني لم ألبث أن أبعدت هذه الفكرة عن رأسي لأنه ليس من المعقول ، أن يجازف بالدخول إلى مكتبي وهو يعلم أنني الحاكم العام لهذه المنطقة فيعرض بذلك نفسه لإلقاء القبض عليه في أقرب فرصة ، وأسرع وقت :

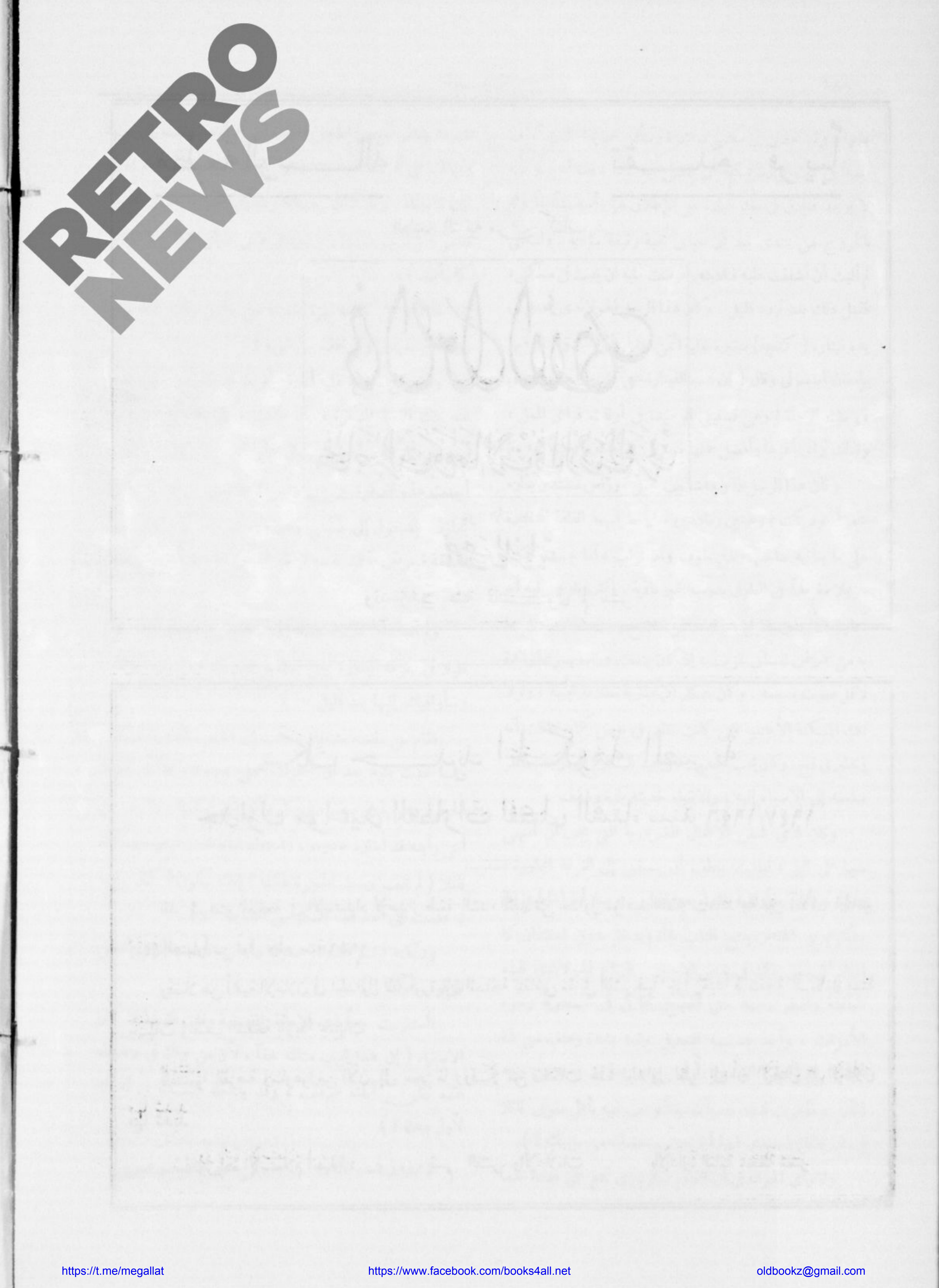
ولم ألبث أن قلت له مشفقاً (يستحسن يا سيدي أن تستريح قليلا في الغرفة المجاورة حتى تستعيد هدوءك ، وتسترد قواك ، وسأوافيك إليها بعد قليل ...)

فقام من مقعده متثاقلا وذهب إلى الحجرة المجاورة لمكتبي ولما عدت إليه بعد أن أنجزت عملي وجدته واقفاً في وسط الحجرة وهو يدور ببصره في كل ركن من أركانها ، وبالرغم من أنني رأيته قد استرد هدوءه ، واستعاد ثباته عجبت لوقوفه وسألته قائلا (لم تقف وسط الحجرة هكذا ؟ إنك تكون أكثر راحة لو تمددت على أحد هذه الكراسي الطويلة ...)

ولكنه ابتسم ابتسامة صفراء وأجاب باقتضاب (إنني أفضل الوقوف هكذا !)

فاستغربت جداً لهذه الإجابة المقتضبة وقلت بلهجة لا تخلو الاستياء (إن هذا عجيب منك حقاً ، لأن من يراك في وقفتك هذه يظن أنك مراقب ، وقد يداخله الشك في أمرك لأول وهلة !)

(البقية في العدد القادم) محمد عبد اللطيف حسن





العدد ٦٨٨ — الاثنين ٩ سبتمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

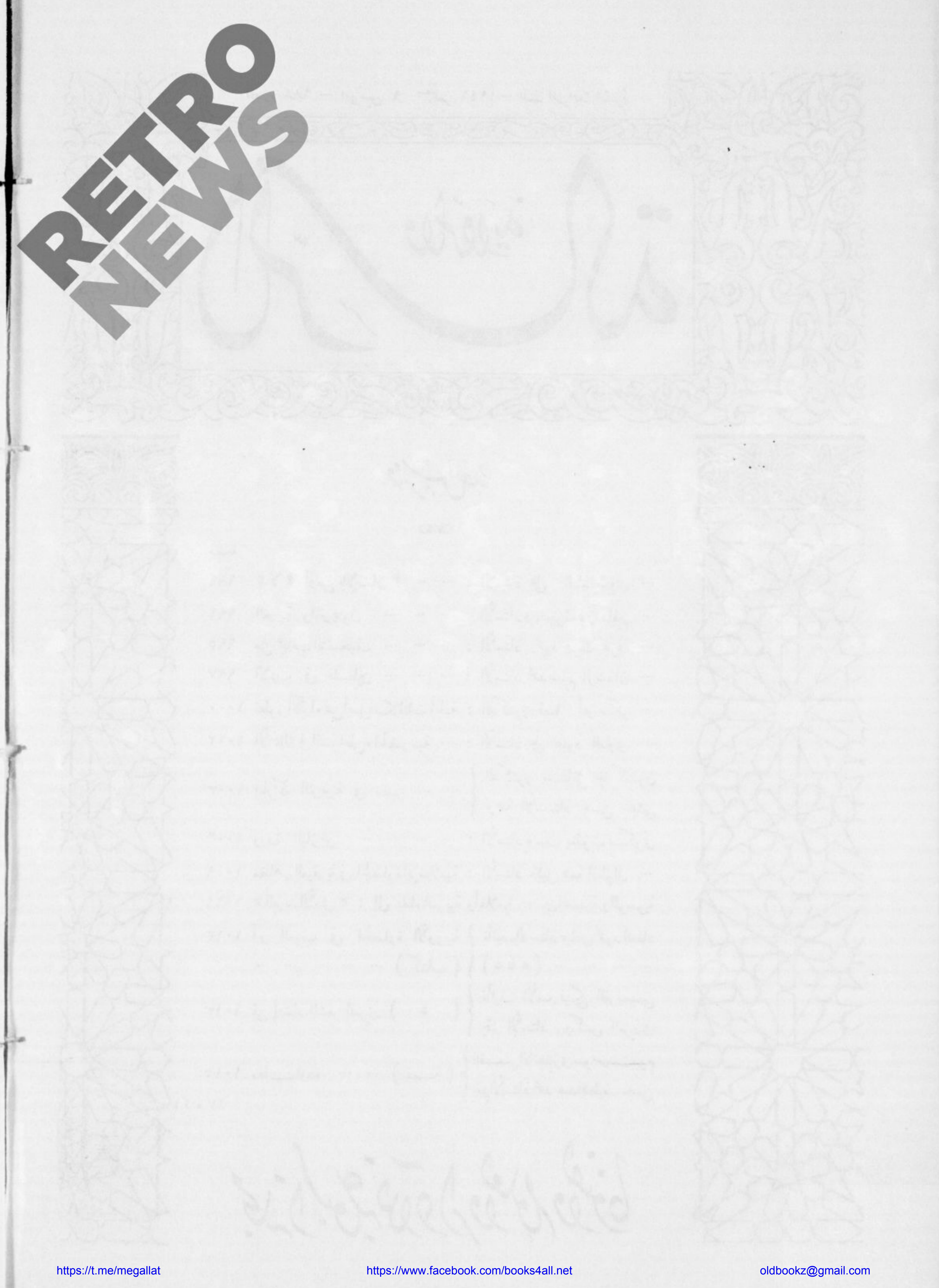



فهرس العدد



٢٧٠٢١

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون



14 me Année No. 688

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Lundi—9—9—1946

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



العـــدد ٦٨٨ «القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ شوال سنة ١٣٦٥ — ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٦» السنة الرابعة عشرة

# «لا» أومن بالانسان(*) !

للأستاذ على الطنطاوى

« ويدعُ الانسانُ بالشرِّ دعاءه بالخير وكان الانسانُ عجولا ، — وكان الانسانُ كَفورا — وكان الانسانُ قتورا — وكان الانسانُ أكثرَ شيء جدلاً — وخُلِق الانسانُ ضعيفاً — قُتل الانسانُ ما أكفره — يا أيها الانسانُ ما غرَّك بربِّك الكريم — وإذا أنعمنا على الانسان أعرضَ ونأى بجانبه — وإذا مسَّ الانسانَ الضرُّ دعانا لجَنْبه أو قاعداً أو قائماً ، فلما كشفْنَا عنه ضُرَّه مرَّ كأنْ لم يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّه — وإنا إذا أذقْنا الانسانَ منا رحمةً فرح بها وإن تُصِبْهم سيئةٌ بما قدمتْ أيديهم فإنَّ الانسانَ كفور — إن الانسان لكفور مُبين — إن الانسانَ خُلق هَلوعا ، إذا مسّه الشرُّ جَزوعا ، وإذا مسّه الخيرُ مَنوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون . — إن الانسان لكنود — كلا . إن الانسان ليطغى ان رآه استغنى » .

كلام من هذا يا أخي يا عبد المنعم ؟ أفبعد قول الله مقال لقائل ؟ وإذا كان الله الذى خلق الإنسان على أحسن تقويم ، وكرّمه وعلمه البيانَ يقول إنه ضعيف هلوع جزوع من الشر منوع للخير ، منكر للنعمة ، كفور قتور كنود عجول جَدِل ، يطغى إذا استغنى ، وإن هذا كله فى طبيعته وتركيبه . تريد أن أومن به ؟ وبِمَ أومن ؟ إن ها هنا محذوفاً لا بد من تقديره ، فالإيمان هو التصديق ، ونحن إذ نؤمن بالله نصدق بوجوده وكماله واتصافه بكل صفة خير ، وننزّهه عن كل صفة شر ، فبماذا تريدنى أن أصدق حين أومن بالإنسان ؟ أبكماله النسبى وسموّه وأنه مخلوق خيّر ؟

إذا كان هذا هو المراد فأنا أومن ... ولكن بالإنسان الذى أصلح إنسانيته بالإيمان والعمل الصالح . فاذا لم يفعل عادت هذه الانسانية خسراً لصاحبها ووبالاً عليه ، وكانت (حمارية) الحمار و (كلبية) الكلب ، خيراً من هذه (الإنسانية) فى الدنيا ، وأنجى منها من العذاب فى الآخرة . ولست أنا الذى يقول هذا الكلام ، وليس هذا رأياً أراه ، ولكنه قول ربكِ الذى أقسم عليه ورب الإنسان : والعصر إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

---

(*) كتب الأستاذ عبد المنعم خلاف فى شرح دعوته إلى الايمان بالانسان كتاباً كبيراً قيماً ، ناظرناه أنا والأستاذ محمود شاكر فيها ساعات طوالا السنة الماضية فى داره ودار الأستاذ الزيات ودار الأستاذ شاكر وتكلمنا فيها فى دار الدكتور عزام ، وليس عندى جديد لم أقله يومئذ فأقوله اليوم ، وما أظن أن عند الأستاذ جديداً فيها لم يكتبه فى كتابه ، فلست أجدد اليوم هذه المناظرة ولكن أذكر الأستاذ بما لم ينسه فى حكم الاسلام فى هذه المسألة وأبين له لماذا لا أومن (أنا) بالانسان

فاذا كنت تؤمن بالإنسان الذى أدرك ماخلق له فسعى إليه ، وعرف الله فأطاعه ، فأنا معك ، وإذا كنت تؤمن بالإنسان من حيث كان إنساناً ، فلا يا أخى . إنى لم أجد دواعى هذا الإيمان . وهذا تاريخ الإنسانية كله ، نَحِّ منه الأنبياء ومن ساروا على هديهم ، وأصلحوا فساد إنسانيتهم بشرائعهم ، ثم انظر ماذا بقى ، وقل لى أين الإنسان الذى تؤمن به ؟ آلانسان الذى قتل أخاه وتركه فى العراء حتى علـمه غراب أسود كيف يوارى سوأة أخيه ؟ أم الإنسان الذى ارتقى حتى صار يقتل بالقنبلة الذرية الآلاف من النساء والولدان لا يجدون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا ولم يذنبوا ذنباً ولا أعلنوا حرباً ؟ أم الإنسان الذى استغل هذه الحرب ، وهى مأتم الإنسانية ، فأخذ اللقمة من فم المرأة التى سيق زوجها إلى القتال ، والولد الذى أخذ أبوه إلى الحرب ، حتى إذا ماتوا من الجوع لبس الحرير ودان بالفجور ، ورقص على جثثهم فى هذا المأتم الباكى ؟ أم الانسان الذى يخون عهده وينسى الخبز والملح على حين تفى الكلاب ؟ أم الذى يجزع ويضيق صدره ويبيد صبره على حين تصبر الحمير ؟ أم الذى يشقى غيره ليسعد نفسه ، على حين يتعاون النمل والنحل على مافيه خير الجميع ؟

آلإنسان الذى انفرد دون سائر الأحياء من ملائكة وحيوانات بالكفر بالله ، لا يشاركه هذا ( الشرف ... ) إلا الشياطين وهم كفار الجنّ ، على حين يسبح بحمد الله كل شىء ؟ أهذا الذى تؤمن به ؟ وأين دواعى الإيمان حتى أومن مثلك ؟ دلنى عليها يا أخى فانى لا أراها . إنى لأتلفت حولى فلا أرى إلا آكلا الدنيا باسم الدين ، أو شارباً دم الوطن باسم الوطنية ، أو سارقاً أموال الناس باسم التجارة ، أو حافراً بئراً لأخيه وهو يبسم له بسمة الأخاء ، أو متعالياً على الناس باسم الوظيفة وهو أجيرهم ، أو أستاذاً يستغلّ منصب التعليم وهو من عمل الأنبياء ليعتدى على عفاف تلميذته ، أو طبيباً يسطو على عرض مريضته أو ممرّضته ، أو محامياً يأخذ أجرة الوكالة من ( جمال ) موكلته ، وامرأة تخون زوجها ، وزوجاً يخالف إلى غير امرأته ، وكل يكذب بقوله وعمله ويظهر غير حقيقته ، والكبير يأكل الصغير كما تأكل الحيتان السمك ، ويتربص به ليلدغه كما تلدغ الحية ، فأين الإنسان الذى تؤمن به يا أخ ؟ إنى لأقوم على الطريق فأنظر فلا أرى إلا ذئباً يلبس الثياب ثم يسطو كما تسطو الذئاب ، أو ثعلباً يحتال مثل الثعالب ، أو ثعباناً ناعم الملمس ناقع السمّ ، أو ضفدعاً لها صوت الثور ولكن لا تجر المحراث ، أو ضبعاً تأكل أجساد الموتى ، أو جرثومة فتاكة تفسد فى الخفاء ، فأقول سامح الله عبد المنعم ! أهؤلاء هم البشر الذين يؤمن بهم ؟!

وأنقل البصر إلى ديار المتمدنين فلا أرى مدنيتهم إلا أظافر من حديد ومخالب من فولاذ كأظافر الوحش ومخالبه . ولكن الوحش يفترس ليعيش هو ، وهؤلاء يحاربون لئلا يعيش غيرهم ؛ ووجدتهم استخدموا قوى الطبيعة ولكن للشر ، واستعملوا عقولهم ولكن فى الضلال . وهذه طبيعة الإنسان ، فلا تقل إن كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجّسانه ، فان هذا حجة لى ، لأن أبوى المولود من البشر ، فاذا كانا يفسدان الفطرة فلأن الافساد من عمل الإنسان ، ما عرفنا حيوانا يفسد فطرة الله فى وليده لا سبعاً ولا قطاً ولا دودة ولا طائراً ، أوليست نفس الإنسان يا أستاذ أمارة بالسوء ؟ أليست أخت الشيطان : تصفّد الشياطين بالأغلال فى رمضان فتخلفها نفوس بنى آدم فتعمل عملها وتفسد فسادها ، وتوسوس وسواسها ( فوسوس إليه الشيطان ) ، ( ونعلم ما توسوس به نفسه ) ( ان النفس لأمارة بالسوء ) ، وما نفس الإنسان ؟ إنها طبيعته التى طبعه الله عليها .

وما دام كلانا ( والحمد لله ) مسلماً ، فعلام نختلف فى حكم من أحكام الإسلام ، وهو أن هذه الحياة الدنيا طريق له غاية خلق الله الناس لها ، ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ) ، وأن من يحرص على راحته فى سفره ، ويتخير لذلك الزاد والمركب ولا يكون له مقصد من السفر لا المنفعة ولا المتعة ولا السياحة فهو أحمق ، وأن كل عمل يعمله من لا يؤمن بالله ، وكل اختراع يخترعه سراب بقيعة ، لا يزيده من الله إلا بعداً ، ولا يكون فى نظر الإسلام إلا دليلا على جهله وضلاله وخساره ...

أيستطيع مسلم يا أستاذنا عبد المنعم أن ينازع فى هذا ؟ فما النتيجة ؟ هى أن هذا الإنسان شرّ الدواب فى الدنيا ، وأخزى المخلوقات يوم القيامة ما لم يطهر نفسه بالإيمان ، ويصلح فساد طبيعته بالاتصال بالله

# الترجمة والمترجمون

للأستاذ د . جونسون دافيز

الحرب بطبيعتها أداة تخريب ودمار ، ولكن لها فوائد يجب أن توضع فى الكفة الأخرى من الميزان . فهى ترغم الناس على أن يشمروا عن ساعد الجد وينبذوا التكاسل والتراخى فى نواح كثيرة . وبلادنا ( بريطانيا ) قد جنت من هذه الحرب فائدة جليلة : هى أنها صارت أقل انعزالا وانكماشا فى حدود جزيرتها مما كانت من قبل . ذلك أن كثيرا من الأجانب قد لاذوا بسواحلها ووجدوا فيها معقلا يحميهم من الاضطهاد والعدوان . والإنكليزى العادى ، والانكليزية العادية ، باختلاطهما بهؤلاء الأجانب ازداد فهمهما للأمم الأخرى وعطفهما على غير ملتهما من الملل . ومن الدلائل على هذا ذلك العدد الضخم من الكتب التى صدرت خلال الحرب عن الدول والأمم الأجنبية . كما ازداد الاهتمام بالترجمة من اللغات الأجنبية ، الألمانية ، والبولندية ، والفرنسية ، والتشيكية ، ثم الروسية طبعاً . وأغلب هذه الكتب بطبيعة الحال قد ألفت قبل الحرب ، لأنه لم يصل من أوربا التى احتلها الألمان إلا العدد الضئيل من الكتب . ومن هذه كتاب جدير بالذكر هو « صمت البحر Le Silence de la Mer » ، ألفه فركور Vercors . وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة فى مطابع النشر السرية فى فرنسا ، بالرغم من فداحة الخطر ، ثم هربت منه نسخة إلى الخارج . وقد ظهرت له ترجمة إنكليزية بعنوان « أطفئ النور Put out the Light » . هذا الكتاب الصغير — فهو فى الحق لا يزيد عن قصة قصيرة — يصف موقفا لا بد أنه تكرر فى مئات الألوف من البيوت فى جميع أنحاء فرنسا المحتلة ، فهو يصف أسرة فرنسية صغيرة ، مكونة من رجل هرم وإبنة أخيه ، ترغم على إيواء ضابط ألمانى . وهو موقف يسهل جدا اتخاذه فرصة للدعاية الرخيصة ، ولكن ليس من هذا أتفه قدر فى هذا الكتاب ، فهو كتاب فن ، كتاب فن خالص . فالألمانى لا يوصم بأنه مجرم أثيم ، والفرنسى ليس بطلا . بل الألمانى رجل مثقف ، طيب بطبيعته ، ومأساته موصوفة بعطف بديع ، وقد ترك إلى القارئ أن يستنتج ما يريد من النتائج . فهذا الكتاب ، على الرغم من ضآلة حجمه من المؤلفات القليلة عن الصراع الحاضر التى يمكن أن تمد أدبا رفيعاً .

هذه المسألة ، مسألة الترجمة من اللغات الأجنبية ، هى فى اعتقادى ذات أهمية بالغة فى بناء أدب الأمة . فهى هامة فى المحل الأول لأننا إذا أردنا أن نعرف شيئا عن أمة ما فخير ما نعمله هو أن نقرأ كتاب هذه الأمة . ولكن أهميتها ترجع فى أغلبها إلى هذه الحقيقة : إنه كما أن الأفراد مختلفو الطبائع ، كذلك الأمم ، على نطاق أوسع ، مختلفة الخصائص ؛ فالأمم ، لاختلاف أقطارها ودرجات تعليمها وأنواع ثقافتها وتربيتها ، لها وجهات نظر فى المشكلات اليومية ، ومشكلات الحياة والموت ، تختلف إحداها عن الأخرى بعض الشيء . وهكذا تجلب الترجمة دما جديدا إلى أدب الأمة ، وكثيرا ما تكون مصدر إلهام ذى آثار عميقة .

واليوم انبعث من جديد الاهتمام بالروائيين الروس الأعاظم حتى لم يعد ممكنا العثور فى المكاتب على نسخة من روايتى تولستوى العظيمتين « آنا كارنينا » و « الحرب والسلم » . وإذا أسعد الحظ امرءاً باقتناء نسخة ظل أصحابه يستعيرونها منه بلا انقطاع . ومن حسن الطالع حقا العثور على كتب دستيوفسكى

---

وهل أدلّ على ندرة الحق والخير والجمال فى عالم الإنسان من كونه جعلها مثلا أعلى ، ومطمحاً من المطامح البعيدة ، وأملاً من الآمال النائية ؟ ولو كانت خلائق راسخة فيه ، وكانت طبيعة ملازمة له ، ما جعلها كذلك . فلو كان صادقاً ما كان يمدح الصادق بصدقه ، ويعجب منه أن لازمه وأقام عليه . ولو كان وفياً ما كان ثالث المستحيلات عنده ... الخلّ الوفيّ ، إنما يطمح المرء إلى ما لا يملك ، وأن مائة الدينار من الذهب هى ( مثل أعلى ) للفقير المفلس ، ولكنها عند الغنى حقيقة تافهة ...

ألا إنى أومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشرّه ، ولكنى لا أومن بانسانك هذا ؟ فهل علىّ من الله من شىء ؟

إذن فليقل الناس عنى ما شاءوا !

**على الطنطاوى**

أو تشيكوف أو تورجنييف أو غيرهم من عظام كتاب الروس القدماء برغم أن كتبهم يتكرر طبعها .

قرأت مرة فى أحد كتب النقد الأدبى أن العمل الأدبى ذا الأثر الأعظم فى إنكلترا فى هذا القرن هو ترجمة كنستانس كارنت Constance Garnett للروائيين الروس الأعاظم . هذا تقرير خطير ، وهو يدل على مقدار ديننا لهذه المرأة الملهمة التى وقفت حياتها على ترجمة مؤلفات الآخرين حتى يقرأها ويقدرها أبناء وطنها . وقلما ينال المترجم مثل هـذا الثناء . ومن الثابت أنه لا يكاد يوجد اليوم روائى لم يتأثر تأثرا عميقا بكتابات عظماء الروس . فكم من هؤلاء الذين تأثروا هذا التأثر ودانوا للمؤلفين الروس هذا الدين الجليل كانوا يجدون الفراغ والعزيمة والصبر الكافية لتعلم اللغة الروسية الصعبة حتى يستمدوا هذا الإلهام بأنفسهم . كم منهم كان يفعل ذلك لو أن كارنت لم تقم بما قامت به ؟ إن فرجنيا وولف Virginia Wooff ، هذه الروائية والناقدة البعيـدة الصيت قالت فى إحـدى مقالات كتابها النقدى « the Common Reaber » : كل دراسة للرواية الإنكليزية الحديثة مهما كانت عامة موجزة يجب أن تذكر التأثير الروسى ، فإذا ما ذكر الروس لم يكد يتمالك المرء نفسه من الإفاضة فى التحدث عنهم ، لأنه من إضاعة الوقت أن يتحدث عن رواية غير روايتهم . » فهل بعد هذا ثناء على الرواية الروسية ؟ والمرء حين يقرأ الأدب الروسى الحديث تأخذه الدهشة والاستياء إذ يراه مقفراً كل الأقفار من هذه العظمة ، من هذا الفهم الشاسع البعيد الذى فهم به الروائيون القدماء الدنيا وأبناء جلدتهم من البشر . ويظهر أن الروس المعاصرين ، مع تفوقهم وامتيازهم فى فن الرقص التمثيلى والسينما والمسرح ، قد أجدبت عقولهم فى فن الكتابة . حقاً إن روسيا السوفييتية لها كتابها ، وكثير منهم قد ترجموا إلى الإنكليزية ، ولكن أحداً منهم ليس فى عظمة تولستوى أو دستيوفسكى ، بل لا يقرب من هذه العظمة أقل قرب . من الصعب تعليل هذا ، ولكن العلة فى نظرى قد ذكرتها فرجينيا وولف فى مقالة أخرى فى نفس الكتاب حين قالت إن الخاصية المميزة للأدب الروسى هى انحصار هم الكاتب الروسى بروح الإنسان . فدستيوفسكى مثلا لا يهتم كثيراً بوصف حجرة أو منزل ، بل لا يهتم بالصفات الجسدية لشخصياته ، فهو مهتم بأرواحهم ، ويوجه كل همه إلى وصف روح كل شخصية من شخصياته وكيف تقلبها واضطرابها . فلعل الأمر إذن هو أن الروح الروسية القلقة قد وجدت فى نواح كثيرة ملجأ للراحة والاطمئنان فى النظام الجديد ، النظام الشيوعى . وبذلك قل اضطرابها وخفقانها عن ذى قبل أضف إلى هذا أن التقلقل السياسى الذى عانته روسيا فى السنين الخمس والعشرين الماضية لا بد أنه كان له أثر سيء على الأدب . لقد قرأت مجلدات عديدة من الأقاصيص القصيرة الروسية الحديثة ولم أجد بها إلا القليل مما يعد ممتازاً ، وكثير منها دعاية لا أدب

ولكن لنعد إلى الروائيين الروس القدماء . كم من الناس الذين قرأوا تولستوى ودستيوفسكى والآخرين يتذكرون اسم المترجم الذى مكنهم من قراءة هذه الروايات ؟ الترجمة فن أبعد ما يكون عن العمل الآلى : هى تتطلب أكثر من مجرد معرفة اللغتين . هى عمل خالق بلا شك ، والمترجم يستحق فى الأوساط الأدبية من الشهرة أكثر مما يناله اليوم . المترجم لا ينال إلا نصيباً تافهاً من الجزاء المالى ، ولا يكاد ينال شيئاً من الثناء أو الذكر ، مع أن عمله فى الدرجة القصوى من الأهمية ، وحتى أعاظم الكتاب لم يعدوا عاراً عليهم أن يزاولوا هذا الفن — فما من شك أن الترجمة فن . فالشاعر الإنكليزى المشهور پوپ ترجم أوديسة هومير من اللغة اليونانية ، وإن كان لا بد من الاعتراف أن پوپ لم يكن المثل الأعلى للمترجم ، إذ أن ترجمته وإن كانت فى حد ذاتها عملا أدبياً فائقاً ، فهى تحتوى من پوب على قدر أكبر مما تحتويه من هومير . حتى إن أحد معاصريه هنأه على عمله قائلا: « قصيدة بديعة يا پوب ، ولكن ينبغى ألا تسميها هومير » . والشاعر الفرنسى بودلير ترجم المؤلفات النثرية للكاتب الأمريكى إدجار ألان پو إلى الفرنسية ، وترجماته تعد درراً من النثر الفرنسى بل إن شعره لم ينل فى حياته إلا القليل من النجاح ، حتى إنه كان يصف نفسه مفتخراً بأنه « مترجم پو » . والروائى الفرنسى العظيم مارسيل پروست بدأ حياته الأدبية بترجمة بعض مؤلفات رسكن من الإنكليزية . وكلا بودلير وپروست يقدم مثالا رفيعاً لأدباء استمدوا إلهاماً عظيما من كتابات مؤلفين قاموا بترجمتهم

ولورنس بلاد العرب قام بترجمة نثرية للأوديسة ، بينما قام الروائى د . ه . لورنس الذى قد يعد أعظم روائيى انكلترا فى القرن العشرين بترجمة روايات إيطالية عديدة ، وإحدى هذه وهى رواية Mastro—Don Gesualdo لمؤلفها جوفانى فيرجا ، تستحق من الشهرة أكثر مما لقيت ، ولورنس نفسه قد وصفها بأنها : « كتاب عظيم مخلد ، إحدى أعظم روايات أوربا » . وهناك رجل آخر أسدى إلى الأدب يداً بيضاء بترجمته ، وهو سكوت منكريف الذى ترجم رواية پروست الضخمة إلى الإنكليزية ، والترجمة الإنكليزية فى اثنى عشر مجلداً ، قام هو بترجمة جميعها إلا المجلدين الأخيرين ، إذ حال الموت بينه وبين إتمام هذا العمل العظيم . ويقال إنه فى زمن ما كانت عادة أغلب الناس فى باريس أن يقرأوا رواية پروست لا فى الفرنسية الأصلية ، بل فى الترجمة الإنكليزية . فهل يطمع مترجم فى ثناء أبلغ من هذا الثناء ؟

إن ترجمة الكتب الأجنبية كان لها على أدبنا الإنكليزى آثار عظيمة بالغة ، وأبرز مثل لهذا هو الكتاب المقدس ، فللكتاب المقدس فى الإنكليزية ما للقرآن الشريف فى العربية ، هو ليس أساس التفكير الدينى فحسب ، بل هو قد صار قسما من الأدب ، ومثالا للكتابة النثرية الفائقة

بل إن التأثيرات العظيمة التى تأثر بها الأدب الإنكليزى فى مختلف العصور كانت كلها راجعة إلى الترجمة . إليك مثلا الترجمات المختلفة للقرآن ، أول ترجمة للقرآن إلى لغة أجنبية كانت ترجمة لاتينية قام بها فى سنة ١١٤١ بطرس رئيس دير كلونى ، وعاونه ثلاثة متعلمين مسيحيين وعربى ، وظهرت أول ترجمة انكليزية فى سنة ١٦٤٩ ، ومن يومها طبعت ترجمات عديدة أخرى أشهرها ترجمات سيل وردويل وپالمر ومرمديوك پكثال ، وهذا الأخير هو انكليزى مسلم ، ألف عدداً من الروايات والقصص عن الشرق

ولكن الكتاب العربى الذى كان له أبلغ الأثر على أوربا هو ألف ليلة وليلة . وقد ظهرت له ترجمتان إنكليزيتان جيدتان قام بهما إدوارد لين وسير ريتشارد بيرتون ، وإن لم تكن هاتان أول ترجمة للكتاب . والمستشرق البريطانى ه . ا . ر . جب يقول عن أثر هذه الترجمات الأولى لألف ليلة وليلة : « ليس من شطط القول أن نقول إن هذه الترجمة أمدت الكتاب الشعبيين بالهدف الذى طالما نشدوه ، وإنه لولا ألف ليلة وليلة لما وجد روبنصن كروزو ، بل ربما لم توجد رحلات جلليفر » . [1] بل قد قال بعضهم إن دانييل ديفو استمد إلهام روبنصن كروزو من قصة حى بن يقظان التى ألفها ابن طفيل ، وكان قد ترجمها إلى اللاتينية المستشرق الإنكليزى القديم پوكوك . ويجب أن نذكر فى هذا الصدد أيضاً ترجمة فتزجرالد لرباعيات عمر الخيام ، وهى إن كانت ترجمة شديدة التصرف فقد كان ملهمها الشاعر والمنجم الفارسى .

كما قد زعم البعض أن رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى كان لها تأثير كبير على دانتى فى كتابه « الكوميديا الإلهية » . ومهما يكن من شىء فمن المحتمل أن عناصر إسلامية كثيرة توجد فى هذا العمل العظيم لدانتى وعن هذا يقول الأستاذ جب : « إن الاهتمام الذى كانت تتبع به الدراسات العربيــة فى إيطاليا فى زمن دانتى لا تجعل هذه النظرية أمراً مستحيل التصديق ، وإن لم يكن من المستطاع بعد إثبات هذا إثباتاً جازماً إلا فى الجزئيات . ولكن هذه النظرية نظرية جذابة ، وأقل ما يجعلها ذات جاذبية إنها لو صحت لازدادت عبقرية دانتى سمواً ، إذ تكون قد ألفت فى وحدة منسجمة رائعة بين التراث المسيحى والصوفى القديم العظيم ، وتجارب الإسلام الدينية ذات الغنى الروحى الزاخر . » [1]

أما عن ترجمة المؤلفات الأجنبية إلى اللغة العربية ، فنقول إن العرب قاموا بترجمات من اللغة اليونانية تعد من خير الأمثلة التاريخية على الفضل العظيم الذى يسديه المترجم إلى الجنس البشرى قاطبة . كثير من المؤلفات الطبية والعلمية الأصيلة التى ألفها عظماء مؤلفى اليونان قد ضاعت ، ولكن كثيرا من هذه المؤلفات المفقودة لا تزال موجودة فى ترجمتها العربية ، وهذا من حسن حظ العالم بأجمعه . ويمكننا أن نذكر من كبار مترجمى العرب أبا يحيى ابن البطريق ، وهو من أول من ترجموا من اليونانية ، وثابت بن قرة ، ولكن أشهرهم جميعا هو بلا شك حنين بن إسحق ، الذى كان يلقب بشيخ المترجمين . ومما يدل على علو مكانة الترجمة فى العصر العباسى الأول أن حنينا كان يعطى له راتب شهرى سخى ، وأن الخليفة المأمون كان يعطيه

(١) المقالة عن « الأدب » فى كتاب « تراث الاسلام » أكسفورد .

زنة كتبه المترجمة ذهبا . ومن الترجمات العربية التى أنقذت من الفناء نصا مفقودا كتاب ابن المقفع « كليلة ودمنة » ، الذى كان أصله باللغة السنسكريتية ، والكتاب العربى مترجم من ترجمة فارسية للكتاب السنسكريتى ، وكلا الكتابين السنسكريتى والفارسى قد ضاعا ، حتى صارت الترجمة العربية أصل جميع الترجمات الموجودة الآن للكتاب فى كل لغات الدنيا . ومما يدل على الأثر العظيم الذى كان لهذا الكتاب أنه كان أحد المصادر التى استمد منها الشاعر الفرنسى لا فونتين قصصه الخرافية عن الحيوان .

ولقد كان للترجمة أثر عظيم فى النهضة الحديثة للأدب العربى ، ومحمد على نفسه قد أدرك ضرورة القيام بترجمة الكتب العلمية الفنية من اللغات الأوربية فأسس مدرسة للترجمة وجعل مديرها الكاتب القدير الشيخ رفاعة الطهطاوى ، وقد عرفت فيما بعد بمدرسة الألسن . وقد قام رفاعة نفسه بترجمة عدد كبير من الكتب الجدية من اللغة الفرنسية فى التاريخ والجغرافيا والفلك والقانون وغيرها من الموضوعات . وكان محمد على هو الذى بدأ إرسال البعوث العلمية إلى أوربا ، ويقال إنه عند رجوع الطلبة إلى مصر كان كل منهم يعطى كتابا فى الموضوع الذى درسه ويحبس فى القلعة ثلاثة أشهر حتى يترجم الكتاب إلى اللغة التركية . ثم تطبع هذه الكتب وتستعمل فى المدارس . فاذا جئنا إلى الأجيال الأخيرة تسارعت إلى أذهاننا أسماء رجال كثيرين خدموا الأدب العربى أجل خدمة بترجماتهم . فما لا شك فيه أن من أعظم الآثار على الأدب العربى الحديث الأثر الذى تركه المنفلوطى ، والجزء الأكبر من مؤلفاته ترجمة أو كتابة ألهمها الأدب الغربى . ولقد بلغ من شعوره بحاجة الأدب العربى إلى دم جديد أنه على الرغم من عدم معرفته هو باللغات الأوربية تكبد مشقة العثور على رجال يعرفونها وطلب إليهم أن يترجموا له الكتب الأوربية ثم يقوم هو بصوغها فى قالب عربى حر . حقا إن الكتاب المعاصرين قد أمطروا المنفلوطى بسهام نقدهم المر ، وهو نقد لا شك فى عدله ، وبخاصة مقالة العقاد عن المنفلوطى ، فكتابات المنفلوطى بها عيوب ونقائص كثيرة ، ولكن على الرغم من هـذا كله فان أياديه على الأدب العربى الحديث يجب الاستهانة بها . ومن المترجمين المعاصرين يمكننا أن نذكر أحمد حسن الزيات ، مترجم « آلام فرتر » ، والدكتور محمد عوض محمد ، مترجم « فاوست » لجوته ، ومحمد السباعى ، الذى ترجم إلى العربية كثيرا من روايات ديكنز كما نظم بالعربية رباعيات الخيام ، وحافظ ابراهيم الذى ترجم « البؤساء » لهيجو . ويلزمنا أن نذكر أيضا ترجمات احمد الصاوى فى « مجلتى » والعمل الذى تقوم به اليوم لجنة التأليف والترجمة . إلا أنه لا يزال أمام المترجم العربى كنوز زاخرة ، وبخاصة أن القارئ العربى والكاتب العربى فى يومنا هـذا قد أخذ يزيد اهتمامهما بالقوالب الأدبية الرائجة الآن فى الغرب كالرواية والقصة القصيرة .

هذا وأحب أن أكرر أن الترجمة ليست عملا آليا بحال ، وأنها ليست مجرد وضع كلمة محل كلمة ؛ بل هى فن ، وهو فن لا يزال فى المهد صبيا . ولقد ظهر حديثا فى بلادنا عدة كتب تدور على فن الترجمة . وسأقتبس من أحد هذه الكتب القطعة الآتية التى تبين أهمية هذا الفن : « لا شىء يتحرك بدون ترجمة ؛ فالتجربة الإنسانية تتضمنها عبارات ثلاث : العواطف ، وطرق التأدية ، والفكر . فالعواطف ( مثل الخوف الخ .. ) لا تتغير طبيعتها ، أما الفكر وطرق التأدية فتتغير . فاذا حدث تغير فى الفكر أو طرق التأدية فلن يقدر له الشيوع والانتقال بغير الترجمة ، لأنه لكى يشيع يجب أن ينتقل من أمة إلى أمة ، أى من لغة إلى لغة . » (١)

إن العالم الحديث يدرك الآن أن الأمم ، كالأفراد ، يجب أن تتعاون إذا أرادت الظفر بالسلام والسعادة والرخاء . كذلك شأن الأدب . الأدب كالتجارة ، يجب أن يكون دائما فى حركة مستمرة ، يجب أن يكون فيه على الدوام دخل وخرج ، أخذ بين الأمم المختلفة . فالذى يقوم بوظيفة التاجر فى هذه المعاملات الحيوية هو المترجم .

[ عن مجلة الأدب والفن الانكليزية ]

د . جونسون دافيز

---

(١) E. S. Bates : Intertraffic Jonathan Cape

# من عجائب التصحيف

للأستاذ محمود عزت عرفة

[ مهداة إلى الأستاذ على الطنطاوى ، رجاء ألا ينفذ وعيده من هجر الكتابة وكسر القلم ، احتجاجاً على ما تمنى به مقالاته البارعة من مشوهات التصحيف والتحريف ] .

لو يعلم الأستاذ الجليل على الطنطاوى أنى لا أكاد أقع على تصحيف واحد فى مقالاته ، إلا أن ينبه هو عليه بتصحيحه فى ذيل مقالة تالية لأخذ منه العجب مأخذه . ذلك أنى أقرأ عباراته على صحتها ، وأتناولها فى الأغلب على وجهها ؛ فيسبق لسانى إلى كلمة ( المضرى ) مثلا ، وهى أمام عينى محرفة إلى ( المصرى ) ، ولا أكاد أتنبه إلى أن ( يطير به ) تصحفت إلى ( يطربه ) الخ . وما أشك فى أن كثيراً من قراء « الرسالة » يفعلون ذلك دون تكلف أو عناء .

ولست أعرِّف الأستاذ بمجهول لديه حين أقول إن التصحيف والتحريف والتبديل والتطبيع ، هى ضرائر فى لغتنا لا مخلص لنا منها ، مرجعها إلى تشابهٍ بين بعض الحروف لا يجدى معه شكل أو إعجام . وأين نقع نحن من أسلافنا — أرباب الفصاحة وفرسان البيان — وهم قد أتوا من فنون هذا التصحيف بما أضحك منهم الثكالى وجفف دموع الباكيات ؟ بل أين من سلم فى القدماء والمحدثين من هذه الآفة ، أو تهدَّى إلى وجه الخلاص منها ، إلا أن يكون — على حد قول العسكرى صاحب كتاب « التصحيف والتحريف » — « ممن افتن فى العلوم ، ولقى العلماء والرواة والمتقدمين فى صناعتهم ، المتقنين لما حفظوه ، وأَخذ من أفواه الرجال ، ولم يعوِّل على الكتب الصحفية ، ولم يؤثر شدة الراحة والتقليد على تعب البحث والتنقيب ... » ؟

هذا كتاب الله الذى أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ... لم يسلم ممن يعرض له بالتصحيف والتحريف ، وهوما هو سرياناً على ألسنة المسلمين ، والتياطاً بقلوبهم ، وتمكناً من صدورهم ، لولا أن صدق الله فيه وعده : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

فقد ذكروا أن حماد بن الزبرقان ، المقرئ الراوية ، كان يصحف ألفاظاً فى القرآن لو قرئ بها لكان صواباً ، لأنه حفظ القرآن من مصحف ولم يقرأه على شيخ ، فكان مما يغلط فيه : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه » يريد « إياه » . وكان يقرأ : « بل الذين كفروا فى غرة وشقاق » والصواب « عزة » . ويقرأ : « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يَعنيه » بدل « يُغنيه » .

وقرأ عثمان بن أبى شيبة على أصحابه فى التفسير : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » ، يعنى قالها كأول البقرة ( ألف ، لام ، ميم ) . وحدث عنه إسماعيل بن محمد البسرى قال : سمعت عثمان ابن أبى شيبة يقرأ : « وجعل السقاية فى رِجل أخيه » فقلت له : ما هذا ؟ قال : تحت الجيم واحد ! وكان أيضاً يقرأ : « وما علمتم من ( الخوارج ) مكِّبين » !

وينسب أصحاب حمزة الزيات إليه أنه كان يتعلم القرآن من المصحف ، وأنه قرأ يوماً وأبوه يسمع : « الم ، ذلك الكتاب لا زيت فيه » ، فزجره أبوه وقال : دع المصحف وتلقَّن من أفواه الرجال !

وكان محمد بن الحسن العطار المقرئ — المعروف بابن مُقسم — يتلو قوله تعالى : « فلما استيأسوا منه خلصوا نجبَاء ... » بالباء والهمزة فى آخره . ويقرأ بحروف أخرى تخالف الإجماع ويتمحَّل لها وجوهاً بعيدة من اللغة والمعنى . قال أحمد الفرضى : رأيت فى المنام كأنى فى المسجد الجامع أصلى مع الناس ، وكأن ابن مقسم قد ولى ظهره للقبلة وهو يصلى مستدبرَها ، فأوَّلت ذلك مخالفته الأئمة فيما اختاره لنفسه من القراءات

هذا طرف مما أثر عن تصحيفات القراء ... أما « المحدِّثون » فلهم فى ذلك ما يستخرج العجب . قال أبو على الرازى : كان عندنا شيخ يروى الحديث — من المغفلين — فروَى يوماً أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجام أجْرتَه ! يعنى أجره وحدث ابن شهاب قال : أخبرنى عبد الله بن ثعلبة أن النبى

صلى الله عليه وسلم مسح وجهه « من القبح » — قال أحمد بن حنبل : أخطأ وصحّف ، إنما هو « زمن الفتح » .

وفى الحديث : إن الكافر ليجرُّ لسانه فرسخين يوم القيامة يتواطؤه الناس . حرفه بعضهم فقال : ليجر لسانه فى سجّين … والأول هو الصحيح

وأغرب من هذا ماحكاه القاضى أحمد بن كامل قال : حضرت بعض مشايخ الحديث من المغفلين فقال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن جبريل ، عن الله ، عن رجل قال : فنظرت فقلت: من هذا الذى يصلح أن يكون شيخ الله ؟ فإذا هو قد صحّفه ، وحقُّه — عز وجل —

وصحف رجل قول النبى صلى الله عليه وسلم: عم الرجل صِنْوُ أبيه . فقال : غم الرجل ضيق أبيه

وصحفوا : لا يرث حَميلٌ إلا ببيِّنة (والحميل الدعىُّ فى نسبه) فقالوا : لا يرث جميل إلا بثينة !

ومن الأحاديث المصحفة قوله عليه الصلوات : أتحبون أن تكونوا كالحمر الضالة ؟ قالوا : هى ( الصالة ) بالصاد المهملة — يقال للحمار الوحشى الحاد الصوت ، صال وصلصال ، كأنه يريد الصحيحة الأجساد الشديدة الأصوات لقوتها ونشاطها

***

وللأدباء والنحاة وعلماء اللغة تصحيفات كثيرة تتبّع بعضهم بعضاً فيها فأكثروا التتبع حتى افتضحوا جميعاً . ولا تكاد تخلو مجموعة لغوية من فصل يعقد لهذا النوع المتعنّت من النقد . ونحن نبدأ فى هذا المقام بذكر السقطة التى أخذوها على الجاحظ ( يرحمه الله ) ، لأنه كان ممن لا ينفك يتتبع سقطات الرجال ، بل ليتزيد عليهم من القول بما يدعهم مضغة الأفواه وأضحوكة المحافل … قال العسكرى فى كتابه : سمعت من يحكى عن ابن دريد - ولم أسمع هذه الحكاية منه — أنه قال : وجدت للجاحظ فى كتاب البيان والتبيين تصحيفاً شنيعاً فى الموضع الذى يقول فيه : حدثنى محمد بن سلام قال : سمعت يونس يقول : ماجاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر[1] : وإنما هو عن البُتّىّ ( بضم الباء وكسر التاء مشددة ) أى عن عثمان البتّى وكان فصيحاً ، فأما النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا شك عند المسلم والذمى أنه كان أفصح الناس ، فهذا تصحيف أبى عثمان الجاحظ !

(١) كنية محمد بن الحسن بن دريد

وجلس اللحيانى ( أبو الحسن على بن المبارك ) يملى نوادره يوماً فقال : مُثقَل استعان بذقنه . فقام إليه يعقوب بن السكيت وهو حدَث فقال : يا أبا الحسن ، إنما العرب تقول : مثقل استعان بدُفّيه ، يريدون الجمل إذا نهض بالحمْل استعان بجنبيه . فقطع اللحيانى الإملاء ، فلما كان فى المجلس الثانى أملَى فقال : تقول العرب : هوجارى مكاشرى (بشين معجمة) ، فقام يعقوب فقال: أعزك الله ، ما معنى مكاشرى ؟ إنما هو مكاسرى ، كِسْر بيتى إلى كسر بيته . فقطع اللحيانى الإملاء بعد ذلك …

وحدث أبو العيناء قال : كتبت إلى صديق لى : جَعلت فداك من السوء كله ! فلقينى بعد ذلك فقال لى : إنما أستفيد أبداً منك — لا عدمتُ ذاك — وقد كتبتَ إلى : جعلت فداك من الشوكلة . فما الشّوكلة ؟ قال : فعجبت وضحكت ثم قلت : نلتقى بعد هذا وتقع الفائدة !

وحدث عون بن محمد عن أبيه قال : حضرت الأحمر وهو يملى باباً فى النحو ويقول : تقول العرب أوصيتك أباك ، يريدون بأبيك ، وأوصيتك جارك ، يريدون بجارك ، وأنشد :

عجبتُ من (دهماء) إذ تشكونا ومن أبى ( دهماء ) إذ يوصينا
جيرانَنا … كأننا جافونا !

فقال له رجل : أنت تقيس الباب على باطل ، إنما هو : خيراً بها كأننا جافونا . قال : فغضب وقام !

وقرأ رجل يوماً على عبد الله بن المقفع :

ولما نزلنا منزلا طلّه الندى أنيقاً وبستاناً من النور(خالياً)

بالخاء المعجمة — فحرك المقفع رأسه وقال : يا سيد أمه ، فعلى أى شىء كنتم تشربون ؟؟ على الخسف[1] ؟ !

ولأجل هذه الشناعة فى التصحيف كانوا يتحاشونه ، ويتداعون إلى ذمه فى أشعارهم . قال ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق :

(١) هكذا فى كتاب التصحيف للعسكرى ولعلها ( الحشف ) وهو أردأ التمر .

في ركب الوحدة العربية :

# الأدب فى فلسطين

للأستاذ محمد سليم الرشدان

— ٢ —

**بين يدى ضروب النثر :**

وقفت ( فى عدد مضى ) عند فئة من السلف القريب ، الذين كانوا فى مقدمة المنشئين للنهضة الأدبية (فى فلسطين) ، والذين نعتبرهم الطليعة المغامرة فى هذا الميدان . وفى (ما بين يدى) أتابع ما تقدم بأن أقول :

ويأتى بعد أولئك الأعلام الذين ذكرت ، جماعة قفوا على آثارهم، وساروا على غرارهم ، فكانوا أساتذة الأدب المبدعين . أنتجوا فيه خير إنتاج ، فكثر مقلدوهم بين شبابنا المتأدبين ، وما يزالون إلى اليوم خير أسوة يؤتسى بها . ولو ذهبت أتحدث عنهم مفصلاً لضاق بى المجال ، مهما رحب ، فهم (بحمد الله) فى غير قلة ، وآثارهم أكثر من أن يشملها صعيد محدود . ولكنهم (من حيث الاختصاص ) يكادون يسلكون مسلكاً عجباً ! فالأديب منهم لا يبعد أن يكتب فى شؤون التربية أو التاريخ ، والشاعر لا يبالى أن يكتب فى العلوم أو السياسة ، والمؤرخ لا يتورع أن يكتب فى علم اللغة وآدابها ... ومن هنا تشابه الأمر على واختلط ، ورأيتنى ملزماً على أن أتجوز فى معنى الأدب ، فأسلك فى عداد الأدباء كل من ساهم فى ناحية من النواحى الثقافية ، التى قامت عليها النهضة الأدبية الحاضرة وأعتبر هؤلاء الأدباء (على اختلاف مواضيع إنتاجهم) فى فئتين ، فريق فى ( أهل النثر ) وفريق فى ( أهل النظم ) .

وسوف أتجنب ( التفصيل والتطويل ) فى تراجم من أقدم بعض آثارهم علماً منى أن ذلك لا يعدو كونه مهاداً [1] Back ground يستقر خلف المنحى الذى أهدف إليه ، وتكاد — إلى حد ما — لا تربطنا به علاقة مباشرة .

ثم إننى سأقتصر على ذكر من تركوا آثاراً أدبية — مخطوطة كانت أو مطبوعة — ممن تعرفت إليهم أو ( وصلتنى ) آثارهم . فأبدأ بأعلام الفريق الأول ( وهم الناثرون ) فأذكر منهم :

الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى ( المقدسى ) وهو شيخ الأدباء ، ( وأديب العربية الأكبر ) من غير منازع . وله إنتاج أدبى غزير ، فهو ما يفتأ يطالعنا بتآليفه القيمة ، وأبحاثه التى لا ينقطع لها مدد . وبفضل نشاطه الذى لا يفتر أصبح علماً بارزاً فى الأقطار العربية جميعها . ومن مؤلفاته المطبوعة ( وهى كثيرة ) :

الإسلام الصحيح : وهو سفر عظيم الفائدة كبير الحجم . فيه نقد وتحليل ، وفيه توضيح لكثير من الحقائق الغامضة ، ودحض لأشتات من الأباطيل التى سار عليها الناس أمداً طويلاً ، وهم يحسبونها فى أصول الدين وما هى منه فى شىء . وكل ما فى هذا الكتاب رائع ، إلا أن أروع ما فيه تعليقه على كلمة « آل محمد (ص) » ومبلغها فى ثنايا الحقيقة والتاريخ .

(١) أرى أن ( مهاداً ) خير ما تعرب به هذه الكلمة . وإن خالفنى فى ذلك صديقى الأديب الأستاذ عبد الحميد يسين ، وله حجته التى يركن إليها فى هذا الخلاف .

---

وإنك لن ترى للعلم شيئاً يحققه كأفــواه الرجال
فلا تأخذه من صحف فترمى من التصحيف بالداء العضال

ولم يهج شاعر أبا حاتم السجستانى بأشد مما قال فيه :

إذا أسـند القومُ أخبارهم فإسنادُه الصُّحف والهاجس

ومن طرائف أبى نواس قوله فى أبان اللاحق :

صحَّفت أمك إذ سمَّـتك فى المهد ( أبانا )
قد علمنا ما أرادت ! لم ترِد إلا ( أتانا ) !

وتهكم بأحد البخلين فقال :

رأى (الصيف) مكتوباً فظن بأنه لتصحيفه (ضيف) فقام يواثبه

وهجا سيف الدين بن المشد عوَّاداً فقال :

عوادُنا قد طُمست عينُه فصار بالتصحيف ( قوَّادا )
ما عاد إلا لقيـاداته لأجل ذا سُمِّى ( عوادا ) !

قال صاحب مطالع البدور : قلت : وإن كان حصل له عمى فأحسن ! !

( البقية فى العدد القادم ) محمود عزت عرفة

ومن كتبه الأخرى : ( كلمة فى اللغة العربية ) و ( البطل الخالد والشاعر الخالد ) و ( الثورة السورية ) ثم ( الثورة العراقية ) .

ومن كتبه التى لم تطبع – بعد – وما تزال قيد بحثه وعنايته : ( أبو العلاء المعرى ) و ( أمالى النشاشيبى ) و ( نقل الأديب ) .

ولهذا الأستاذ أسلوب يكاد يكون وقفاً عليه . وهو ينم على سعة اطلاعه ، وكثرة ما استوعب فى ذاكرته من مفردات هذه اللغة الكريمة . ومن ذلك قوله فى ( اللغة العربية ):

« اللغة هى الأمة ، والأمة هى اللغة . وضعف الأولى مقرون بضعف الثانية ... واللغة ميراث أورثه الآباء الأبناء ، وأحزم الوراث صائن ما ورث ، وأسفههم فى الدنيا مضيع .

وإنا ( أمم اللسان الضادى ) لعرب ، وإن لغتنا هى العربية ، وهى الإرث الذى ورثناه . وإنا لحقيقون – والآباء هم الآباء ، واللغة هى تلك اللغة – بأن نقى عربية الجنس وعربية اللغة ...

ولو كان المورثون صغاراً ، ولو كان الميراث حقيراً لوجب علينا إكبارهم وإعظامه . فكيف والتاريخ يقول : إن الآباء كانوا كراماً ، وإن الآباء كانوا عظاماً ... والزمان يقول إن العربية خير ما صنعت يداى ( وإن الدهر لصنع ) ، وإنها لخير طرفة أطرفها الناس . والزمان بالخير ( وإن جاد ) شحيح .

فالعربية الصنع العبقرى للدهر ، والعربية الدرة اليتيمة أو كنز الزمان ( ضن به كل الضن ثم سخا ) ... » .

والأستاذ أحمد سامح الخالدى ( المقدسى ) : وهو أبو التربية فى فلسطين . فلقد أنفق شطراً غير قصير من عمره فى مزاولة التوحيد الصحيح والتربية المجدية بين ناشئة الجيل عندنا ، بل بين النخبة من هذه الناشئة ، فى ( الكلية العربية ) التى يتولى عمادتها .

وله اليوم طلاب عديدون فى طول البلاد وعرضها ، نهلوا من علمه الغزير ، وساروا على النهج الذى رسم لهم خطته ، حتى أصبح فيهم من يشاطره حمل هذا العبء الذى تفرغ لحمله ، ويزامله فى الميدان الذى يعمل فيه .

ولم يكتفِ الاستاذ ( الخالدى ) بالتوجيه العملى . ولذا فقد فزع إلى التوجيه النظرى ، فألف فيه كتباً عدة . ليأخذ بنصوصها هؤلاء الذين حرموا نعمة التخرج على يديه . وأذكر منها الكتب التالية : ( أركان التدريس ) و ( إدارة الصفوف ) و ( أنظمة التعليم ) و ( طرق التدريس المثلى ) ثم ( رسالة اختبار الذكاء ) . وهى الأولى من نوعها فى العربية .

ولم يقف الأستاذ عند هذا المدى ، بل تخطاه لما عداه . فشرح وأخرج كثيراً من المخطوطات القيمة ، التى لها علاقة مباشرة ببلاد الشام – وفلسطين قسمها الجنوبى – ومنها : ( رسالة ترغيب الأنام فى سكنى الشام ، لعز الدين السلمى . و ( فضائل بيت المقدس ) للواسطى ، و ( مثير الغرام بفضائل القدس والشام ) لأبى محمود المقدسى . و ( الاعلام بفضائل الشام ) للمنينى .

والكتاب الأخير منها صدر منذ أيام ، وهو الآن فى متناول الأيدى . وفضلا عن المقدمة القيمة التى أوضح الأستاذ فيها أموراً مبهمة ، فضاعف بذلك قيمة الكتاب التاريخية . ثم الموجز التاريخى ( الذى اتبعه بها ) فى سرد تاريخ سورية ( الطبيعية ) فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاد . فانه أضاف إليه ملحقاً فى تراجم الصحابة والتابعين ( الذين نسبوا إلى الشام أو نزلوا أو استشهدوا أو ماتوا فيها ) . فجعله بذلك مرجعاً قيماً للباحثين فى هذا السبيل .

وله ( فيما عدا ذلك ) كتب أخرى فى العلوم العقلية والأدبية وفى أبحاث شتى . ومنها : ( الحياة العقلية ) و ( أقنعة الحب ) و ( خفايا النفوس و ( رحلات فى الديار الشامية ) .

كما أن له سفراً قيماً – ما يزال بين كتبه المخطوطة – وهو ( تاريخ المعاهد الاسلامية ) . وقد أولاه ( ويوليه ) الكثير من عنايته . ويقع فى ثمانية مجلدات ضخمة ، يتناول فيها تطور الثقافة عند المسلمين والعرب فى سائر معاهدهم التى أنشأوها فى الشرق والغرب ( ما خلا الأندلس ) . ثم كيف كانت هذه الثقافة توجه لأغراض شريفة وأهداف سامية .

وهو الآن يكاد يفرغ من كتاب جديد – لعله أول كتاب فى بابه – وعنوانه : ( الأردن فى التاريخ الاسلامى ) .

وأسلوب الأستاذ فى سائر مؤلفاته سلس بيّن ، خال من التعقيد والتصنع . فاسمعه حين يصف ( التعليم ) فيقول :

« التعليم فن ، والمعلم فنان ، وكما ينحت المثّال من الحجر الأصمّ تمثالا بالشكل الذى يريده ، فيصوغ منه ما يشاء من رموز الحياة ومعانيها ، حتى ليخيل إليك أن الحياة تنبض فيه ، كذلك يفعل المعلم !

غير أن المواد التى يعالجها المعلم مواد حية ، حساسة شاعرة متأثرة .تدفعها ميول وغرائز، وبواعث شديدة التأثر والانفعال : مواد هى أرق ما صاغته يد الخالق ، قابلة للتكيف ، تابعة لسنة التطور ، نامية فيها حياة وقوة .

هذه المواد ، وهذه الوديعة الثمينة — التى يعهد بها إلى المعلم ، وتترك إلى عنايته — هى الطفل ... » .

ثم الدكتور إسحق موسى الحسينى ( المقدسى ): وهذا العالم الدؤوب — بالرغم من أنه يتخطى غضارة العقد الرابع من سنيه — ما يزال يفاجئنا بين الفينة والفينة بسفر قيم ، أو مشروع يرمى إلى إحياء الأدب أو تنشيط النهضة الثقافية .

ولقد صدر له إلى اليوم مؤلفات يخطئها الحصر وهى — إلى جانب ذلك — لطيفة الحجوم ، إلا أنها ( رغم ذينك ) غزيرة الفائدة ، يحدثك كل وجه فيها عما اقتضاه إعداده من تحر وتدقيق ، واستقراء وتحليل . ومن هذه الكتب :

( مذكرات دجاجة ) وقد صدر فى سلسلة ( اقرأ ) . ونال الجائزة الأولى لاتفاق القراء على تفضيله ، و ( عودة السفينة ) : وهو مجموعة مقالات ترمى إلى هدف واحد ، هو العودة بهذه الأمة إلى ماضى عهدها المجيد ، وأيامها اللامعة المشرقة .

كما أن له كتباً مخطوطة ، ما يزال فى سبيل إعدادها . منها كتاب جامع عن ( ابن قتيبة ) وفيه دراسات وافية لآثاره ، وسفر كبير عن ( الجامعات الاسلامية ) يتناول فيه تاريخ نشوئها والأسباب التى كانت تدعو إلى ذلك . والدكتور فى أسلوبه يميل إلى البساطة واليسر ، وملاحقة المعنى دون المبنى . وإليك نمطاً من ذلك قوله فى كتابه ( عودة السفينة ) :

« إن العالم باقٍ وإن اختلفت مذاهب الناس فيه ، وإن التهمت الحروب كل عام الملايين من سكانه . بل ما دام فيه إنسان واحد .

وهذا الانسان لن يفنى . إنه سيعيد سيرة جده آدم ، وسيبدأ العالم من جديد ...

ولهذا يجب أن نؤمن إيماناً لا يتزعزع بوجودنا وبعودتنا ، وعلى الذين يغمرهم الجزع فى الحاضر أن يلتفتوا مرة إلى الماضى ومرتين إلى المستقبل ...

إننا لن نلقى على الماضى إلا نظرة واحدة ، أما المستقبل فله منا نظرتان وإننا لنعلم أن الوقت لا ينتظرنا حتى نبدأ من حيث انتهى آباؤنا ، ومن حيث ابتدأت الأمم الراقية . سنبدأ من حيث انتهت ، وسنأخذ من كل جديد نهايته ، وسنغرف من الحضارة الأوربية ما يطلق مواهبنا إلى غاياتها ، وما يبعث تراثنا من جديد ...

أجل : إننا سنعود إلى القمة حيث كنا ، وستعود السفينة إلى شاطىء السلامة باسم الله مجراها ومرساها ... » .

( له تكملة )

محمد سليم الرشدان
( ماجستير فى الآداب واللغات السامية )

# تطـــور الآراء
## عن أصل الـكائنات الحية

للدكتور فضل أبو بكر

لقد أصبح الآن فى حكم البدهيات معرفة أن كل كائن حى إنما ولد من كائن حى آخر سالف من نفس النوع ، وهذه العقيدة التى ندين بها الآن والتى يرتكز عليها علم الحياة ( البيولوجى ) وعلم الطب والصحة كانت موضع أخذ ورد وجدال عنيف بين العلماء ولم يسلموا بها إلا بعد مئات من السنين .

اعتقد العلماء حيناً من الدهر فيما سموه بال « Jénération Spontanée » أى « الجيل التلقائى الذاتى » بمعنى أن الأحياء الضعيفة من حشرات وديدان وهوام وميكروبات إنما تولد من تلقاء نفسها من غير حاجة إلى أسلاف وآباء من الأحياء بل تنشأ من البيئة الجمادية التى خرجت منها .

فارسطاليس الذى عاش من سنة ٣٨٤ إلى سنة ٣٢٢ قبل الميلاد والذى كان أكبر عالم فى البيولوجى فى زمانه كان يعتقد فى هذا الجيل التلقائى وظن أن كل جسم جاف فى وسمه أن يلد كائنات حية إذا ما بللته قطرات الماء وأروت عطاشه ... فتلك الحشرة إنما خلقت من الزهرة أو من الطين والوحل ، وتلك الديدان تكونت من المواد المتعفنة من لحم وجبن والديدان التى تعيش متطفلة فى أمعاء الإنسان خلقت من المواد البرازية .

كذلك الفيلسوف ابن سينا ( ٩٨٠ إلى ١٠٣٧ م ) لم يشذ عما سبقه وعاصره من العلماء والفلاسفة وأكد أن كثيراً من الأحياء تتولد من جيف الجثث التى تلفظها الأنهار وقت الفيضان .

أما الفيلسوف الإنجليزى « فرنسيس بيكن » ( ١٥٦١ إلى ١٦٢٦ ) فقد خطا خطوة إلى الأمام وأثبت نظرياً بأن قليلا من الأحياء يكون توالدها نتيجة لانقسامات أو تلقيح لأحياء أخرى ، ولـكن الأغلبية إنما تتناسل من الجمادات والمواد المنحلة التى تعيش عليها ، ومن هذه الأخيرة يذكر الضفادع والذباب والقمل والبق والبرقوت والجراد والديدان والعنكبوت

أما العالم الهولندى « Van Helmont » « فان هلمنت » ( ١٥٧٧ إلى ١٦٤٤ ) فـكان يعتقد أن بعض الضفادع والقواقع تنشأ قرب المياه الراكدة مثل البرك والمستنقعات حيث أن النسيم الذى يهب من ناحية تلك المياه والروائح المتصاعدة منها تنفخ الروح فى تلك الحيوانات وتخلقها ، وكان يقوم ببعض تجارب غاية فى الغرابة مثال ذلك تجربته الآتية : —

« خذ قطعة من الطوب واثقبها ثم ضع حزمة من نبات الريحان على الثقب ثم غط قطعة الطوب بقطعة أخرى وعرضها لحرارة الشمس عدة أيام تجد قد تكونت عدة عقارب صغيرة وما نبات الريحان إلا بمثابة الخميرة التى ساعدت على تكوين العقارب » ولـكى تخلق بعض الفيران فالمسألة غاية فى البساطة كما ترى فى التجربة الآتية « ضع قميص امرأة — والأفضل أن يكون متسخاً فى إناء مملوء بحب القمح واترك الإناء بمحتوياته مدة ٢١ يوماً وبعدها تجد أن بعض حبات القمح قد تحولت إلى فيران بعضها ذكور والبعض الآخر إناث وذلك بفعل « الخميرة » التى توجد فى قميص « المرأة » .

إلى أن جاء العالم والفيلسوف الطليانى « Francesco Redi » « فرنسسكو ريدى » وقد كان أول عالم فند فكرة الجيل التلقائى وهزىء من آراء الأقدمين وأثبت بطلانها عملياً . أجرى تجربة بـكل دقة وذلك أنه أخذ قطعة من لحم طازج وشطرها شطرين ثم وضع كل جزء فى إناء غطى أحدهما وترك الآخر مفتوحاً وتركهما عدة أيام ثم فحصهما بعد ذلك فلم يجد أثراً للدود فى الإناء المغطى بينما كان الإناء المكشوف يعج بالدود عجيجاً ، ثم أخذ الإناء الأول أى المغطى تغطية محكمة وغطاه بمنسوج من سلك رفيع يسمح بدخول الهواء فى الإناء وتركه عدة أيام ثم فحصه فلم يجد أثراً للديدان فاستنتج من هذه التجربة بأنه ليس عدم الهواء هو المانع لتـكوين الدود فى المواد المتعفنة ، وإنما الذى يحول عن تكوينها هو الحيلولة بينها وبين بعض الحشرات مثل الذباب الذى يضع بويضاته على تلك المواد وتفقس تلك البويضات وتكون الدود ، وهذه التجربة على ما بها من سهولة وبساطة أدت خدمة كبيرة .

وفى ســـنة ١٦٧٤ جاء العالم البكتريولوجى الهولندى

« Leeuwenhoeck » « ليونهوك » وأعاد تجارب العالم ريدى وآمن بها ولكنه زعم أن هذه التجربة لا يمكن تطبيقها على كل الأحياء .

وفى سنة ١٧٦٥ علا نجم العالم الفسيولوجى الطليانى Spallanzani « اسبالانزانى » الذى اهتم كثيراً بمسألة الجيل الذاتى التلقائى وقام ببعض التجارب ، منها أنه وضع فى بعض أنابيب الاختبار قليلا من الحساء المكون من مرق اللحم والخضار وقفل بعض الأنابيب قفلا محكما بإذابة زجاج أحد طرفيها ووضعها فى إناء يحوى ماء يغلى لمدة نصف ساعة . كما ترك البعض الآخر من الأنابيب مفتوحاً فوجد أن الأنابيب الأولى لا تحوى أحياء بينما الثانية مملوءة بالأحياء ، واستنتج من كل ذلك أنه لكى تعيش هذه الأحياء لا بد لها من عاملين : عامل الهواء والحرارة المناسبة فاذا ارتفعت الحرارة لدرجة لا تناسبها أبادتها وقضت عليها .

أما العالم المكروبيولوجى « Needham » « نيدهام » (١٦١٣ إلى سنة ١٧٨١) فلم يعتقد فى صحة آراء « اسبالانزانى » وكان شديد التعصب لفكرة الجيل التلقائى .

وهنالك بعض الفلاسفة مثل «شوبنهور» و«ليبنز Leibniz» وفلتير هاجموا فكرة الجيل التلقائى إذ أنها غير منطقية ولا معقولة ، سيما فلتير فقد أعجب كثيراً من نظرية العالم الإيطالى اسبالانزانى وانتقد بأسلوبه التهكمى اللاذع العالم الايرلندى « نيدهام » وسخر من آرائه ، وألف كتاباً سماه شواذ الطبيعة « Singularités de la Nature »

هذا وقد انقسم العلماء إلى فريقين : فريق — وقد أصبحوا أقلية — يعتقد فى تكوين المكروبات والأحياء الدنيا من الجماد والمواد العضوية المتعفنة . وفريق — وهم الأغلبية — قد اعتقدوا فى حقيقة الجرثومة «Jerme» وأن الأحياء لا تنشأ إلا من جرثومة حية . إلى أن جاء العالم الفرنسى الأكبر Louis Pasteur « لوى باستير » الذى يعتبر بحق أكبر رجل خدم الانسانية باكتشافاته العديدة والتى غيرت مجرى الطب والجراحة بل وكل علم الأحياء مما كان له الفضل فى إنقاذ البشرية ، ولا يتسع المجال فى مثل هذه المجالة للخوض فى اكتشافات باستير فقد وصفت فى عدة مجلدات ، ونذكر منها ما يهمنا فيما نحن بصدده . ولد باستير سنة ١٨٢٢ وتوفى فى عام ١٨٩٥ بدأ حياته العلمية كعالم كيميائى ، وله فى هذا العلم اكتشافات قيمة ، ولكنه منذ عام ١٨٥٧م بدأ يهتم بعلم المكروبيولوجى فدرس عملية التخمير الكحولى واللبنى وأثبت أن عملية التخمير لا تأتى عرضاً أو عن طريق المصادفة وإنما تسببها كائنات حية تسمى ال « Levures » الخميرة ، وقد أثبت ذلك بتجارب علمية غاية فى الاتقان ، وقد تصدى له كثير من العلماء المعاصرين فى ذلك الوقت ودارت بينه وبينهم مناقشات تاريخية عنيفة عدة أشهر اضطرتهم أخيراً إلى التسليم . وقد أثبت كذلك بأن ظاهرة الانحلال والتعفن التى نشاهدها إنما هى نتيجة لفعل المكروبات وليست المكروبات محلولة من تلك المواد العضوية المنحلة وهذه المكروبات توجد فى الهواء وفى الماء وعلى الأرض ، وأنها تتجمع على تلك المواد العضوية لتقتات منها وتستمد منها قوتها كما تتخذها مهداً لذريتها ، وهذه المكروبات تتوالد بسرعة مدهشة وبكميات وفيرة ، وذلك لضعفها وفتك عوادى الطبيعة بها من حر لافح وبرد قارس ، فلكى تحفظ نسلها ونوعها كان لزاماً عليها أن تتوالد بكثرة على حد قول الشاعر :

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلاة نزور

وقد يرى القارىء مما تقدم ذكره بأن علم البيولوجى ولاسيما ما يختص منه بعالم المكروبات كان بطىء التطور والتقدم ، وما زال كذلك بالنسبة لعلوم الطبيعة الأخرى مثل الكيمياء والطبيعة وعلم الفلك والمكنيكا التى نهض بها العلماء منذ أجيال بعيدة وبلغت الآن من الاتقان شأواً بعيداً ، ولا نكون مبالغين إن قلنا بأن حضارتنا الحالية إنما نشأت من تقدم هذه العلوم وتطبيقها .

أما علم البيولوجى فأظن أن من أهم أسباب تأخره هى صعوبة الموضوع فهو حقاً شائك . خذ الخلية الحيوانية أو الانسانية خاصة وما تحويه من المواد البروتوبلازمية المعقدة التركيب ولاسيما نواة الخلية وكيف أن هذه النواة تتكون من أجسام كروموسومية ، وأن هذه الأخيرة تتكون من أجسام أخرى ، وهى التى تكيف الانسان وتكون طبائعه بل وشخصيته ، كذلك خلايا الجهاز العصبى وأليافه من حيث فسيولوجيتها وتفاعلاتها الحسية والنفسية كل ذلك غاية فى الدقة وما زال بعضها سراً غامضاً إلى الآن .

فضل أبو بكر

إلى المجمع اللغوي :

# الأسماك في الشواطئ الحضرمية

للأستاذ علي عبود العلوي

— ٢ —

ومن حديثهم أن الأسماك تنقسم إلى ستة فصائل .

١ — الفصيلة الأولى :

وهي ما يسمونه بسلطان البحر واسمه في عرفهم شُوحَطْ ومن فصيلته : صَيِيونْ ، حاشْ ، قُفَّهْ .

ويلي هذه الأسماء خمسة أسماء أخرى لأنواع هذه الفصيلة ، وقد غربت عن أذهانهم أو لم يعرفوا أسماءها أصلا .

وبهذه الفصيلة يوجد العنبر وبالأخص فهو كثير الوجود في الشوحَطهْ ، وفي ثلاثة أسماك أخرى من الخمسة التي لم يحفظوا أسماءها .

٢ — الفصيلة الثانية :

هي فصيلة اللَّخم ( بَكلاَهْ ) ، وهذا ما أملوه علينا منها : حَنِم ، أبوسَيْف ، فُنطهْ ، شِرتْ ، قَبرينْ ، شَغصُهْ هِلْكهْ .

هذه الأنواع السبعة من أحسن الفصيلة طعما وهي حسب ترتيبها :

عُوزَه ، رِحِنِي ، زِفي ، عَرانِي ، شوط ، كَلْبِهْ ، نَيغل ، دِجِيلْ ، حَبُوزُوقي ، دُوغَه ، مَسكَح ، شَيخَه ، عوزَوبرْ ، غفير ، بُوبِيلْ ، قطقُطَهْ ، خَنِيتْ ، بَرِيرْ ، قَصقُوص ، بِيبَرْ ، صَغمُوزْ ، قَطِيف عَلِي ، قطف حمرهْ .

٣ — الفصيلة الثالثة :

هي الصيد الأسود وهذه أنواعها :

عَمَدَه ، زَيْنُوبْ ، شِروِيْ ، صَرِيس ، باعَكَيمَهْ ، نِبْلِمْ ، حَقِيبه .

ومن الستة الأنواع المذكورة يصنع ( الحَنِيدْ ) المعروف بهذا الاسم في حضرموت .

٤ — الفصيلة الرابعة :

هي ما يسمى بالصيد الأبيض وهذه أنواعها :

تِرْنَاكْ ، غُوذِيْ . ( والنوعان من أطيب الأسماك ) .

صَنَكْ ، خُمخُمَهْ ، شِرَامْ ، رِغِي ، زَرَبْ ، رِحَنَهْ ، قزّهْ ، طِمكِرِيْ ، بِهاي ، زِعْفِنِيهْ ، صَلِيلْ ، قَفَاط ، خِرخار ، عنفلُوص ، صِمباري ، شُتمهْ ، حِراب ، بُكسَه ، غُلسْ ، ظَرهَدِ ، طَويلَه ، فَرس ، عَنبِريَه ، تَكيَه .

٥ — الفصيلة الخامسة :

وتسمى بصيد تِشَارْ ، وهذه أنواعها :

صِرعَه . ( وهي أحسن أنواع هذه الفصيلة ) :

زُوكِي ، حَدرَة ، وَبقِدْ ، عَيظُول ، رُغُفْ ، رَعِنْ ، خُوذَرَه ، عَندَق ، بُوعَدِل ، غِريَض ، بطَّاح ، قِربِيبَه ، نِسَار ، قَرحِيْقْ ، أبو قِشار ، قِلوَان ، حَنِيُوبَرْ ، حمُورَه ، طِيم ، بَهارَه ، نَيْرْ ، ذَرذَرَه ، دُنُقرَه ، حُمرَان ، صُمرَار ، كُتُب ، نُكزْ ، صُرادَه ، زِريَه ، بَرَيه ، وِقَاص ، نَاقِمْ ، ضِرَيرْ ، مَحلُولْ ، مِشمَا ، قِفاد ، غُمُدْ ، قِشار ، مَرِيتَع ، صَبُوْ ، بُوحَنِيط ، حَيْشُول ، مِلَماي ، عَنُوبْ ، شمَاطْ ، قَطِيمْ ، بُولِيفَه ، طَرعِين ، دِقنَه ، مَغَايِمْ ، جزكْ ، أبو صَندُوق ، شِيغَر .

٦ — الفصيلة السادسة :

وهي التي تصاد بالشبكة .

عَنِيدْ ، زمَّارْ ، طُبُوب ، بَلعِيدْ ، شِيغره ، عِزعِزه ،

# الحركة التربوية في مصر

للدكتور ستانلي جاكسون

ترجمة الأستاذ حسن حبشي

[ دكتور ستانلي جاكسون — صاحب هذه المقالات — من رجال التربية والتعليم ، خبرهما في مصر وفي انجلترا من قبل ، وتتلمذ على يده كثيرون من مدرسي اليوم ، وهو ممن يؤمنون إيماناً عميقاً بتطور الحركة التربوية في مصر وبأن التعليم رسالة أكبر من التلقين هي الخلق والتكوين ، وهذه المقالات التي نترجمها على صفحات الرسالة قد انطوت على كثير من الآراء والنظرات الصائبة فيما يتعلق بالتعليم في حاضره ومستقبله ] .

حينما أقلب الطرف في عناية دقيقة مستوعباً الحالة التعليمية ، ألاحظ أمرين جوهريين في التعليم المصري هما علة ضعفه الكبرى ، أولاهما تلك الهوة الشاغرة بين المدارس والمعاهد ذات النظام الشرقي وبين زميلاتها الآخذات بالنمط الغربي ، فالرابطة بين هذين الضربين من المعاهد ضئيلة ، أو تكاد تكون معدومة ، فلقد جرى القائمون بشؤونها — عمداً أو صدفة — على اتباع سياسة الفصل والتفرقة بينهما ؛ أما مصدر الضعف الثاني فهو أن نوع التعليم المتبع في كلتا المجموعتين أميل لأن يكون تعليما نقلياً صرفاً ، وفي حين آخر يعتمد على استيعاب الكتب ، فهو كان ولا يزال في معظم نواحيه تعليما جافاً ، لا يرتكز على أسس إنسانية ، بل إنه ليعتمد على التلقين والإصغاء ، وقلما يأبه بالتفكير والإبداع ، أو بعبارة أخرى نستطيع القول بأنه يعنى بتكوين نماذج ، وفي كثير من بقاع العالم يتخلون عنه إيثاراً لتعليم أكثر حرية وأمس بالإنسان رحماً ، وهو تعليم يرى أن أهمية العناية بتنشئة الجسم والعواطف والخلق تكافىء العناية بتربية الذهن ، ولما للظاهرة اللغوية في التربية من الأهمية فهي جديرة بأن تلقى من العناية العظمى ما أوقن معه أنها صادفته في مدارس هذا البلد .

من المسائل التي تشغل مكانة عظمى في تفكيرنا في الوقت الحاضر مسألة التربية وتأثيراتها على الخلق وفي الأمور الاجتماعية ، وسأشير في هذا المقال إلى ناحية واحدة فحسب ، هي أن حاجة مصر ستزداد في أيامها المقبلة إلى القادة ، لاسيما وهي في طريقها إلى النهوض وفي طموحها لأن تكون لها حياة قومية مستمدة من ذاتيتها ، ولست أعني « بالقادة » أولئك الرجال العظام رمز الأهمية القومية ، بل أقصد نوعاً من القادة دون هؤلاء يتركز عملهم في حمل المسئولية ، وفي إخراجهم إلى حيز الوجود خطط الإصلاح الملقاة على عاتقهم ، وأن جميع حركات الإصلاح العظمى — وهي الخطوات الرفيعة في سبيل رفاهية الإنسانية — لتتوقف كثيراً على زعامة هذه الجماعات الصغيرة ، كما يقع الجانب العملي من هذه الزعامة إلى حد بعيد لا كلياً على أكتاف مدرسي الأمة ، وقد ظهر أن الأمم التي تفشل في إيجاد عدد كاف من المدرسين والمدرسات الذين تتوفر فيهم الشخصية الأصيلة القوية ، والثقة والجرأة ، إنما هي أمم ترجع القهقرى ؛ وسواء أظهر هؤلاء القادة في مصر أم لم يظهروا بعد ، إلا أن وجودهم يتوقف كثيراً على ماهية التربية في البيت وفي المدرسة وفي الكلية ، فلو أن التعليم كان تعليماً إنسانياً من جميع نواحيه ، فسيح الآفاق ، لألفينا كثيرين من هذا الطراز ،

---

عِيد بِمَيْدُون ، شَيْظِي ، مَنْتُوي ، حَضِيرَه ، كَرَمُون ، بَاغَه ، حَابِس .

**ملاحظة :**

تطيب بعض الأسماك في وقت ، ولا تستحسن في الوقت الآخر . مثاله (البِتْرَناكْ) فإنه يلذ طعمه في فصل الخريف بحسب التوقيت العالمي كما يوافق فصل الشتاء بحسب التوقيت الحضرمي ولهم في هذا دليل كما يقول القرزي .

أما ( الفُود ) ففي كل وقت فهي لذيذة الطعم .

وفي العَيْد — يعني صغار السمك — يقول بعض أدباء الحضارمة في المهجر هازلا :

من لي بوطء ثرى تلك البقاع إذا
ما جئت مستقبلا عودي إلى وطني
هناك أنشد مسروراً ومفتخراً
(العَيْدُ والصَيد والأسماك تعرفني)

( يتبع ) علي عبود العلوي

ومع أن هذا الفريق من القادة لا يدعى الزعامة لنفسه ، إلا أنها تتوقف عليه . زد على ذلك أنه هيهات أن يظهر رجال من هذا الضرب إذا ظل التعليم تلقينياً محضاً ، لا يبعث على الاستزادة ، وكان محصوراً فى دائرة ضيقة من الأفكار .

ليس من شك فى توفر المادة اللازمة لتكوين الزعماء فى مصر ، لكن هل ترانا هيأنا ذلك النوع من التربية الذى يعبد السبيل لظهورهم ؟ وهل أعددنا هؤلاء إعداداً تاما لما سيلقى على أكتافهم ؟ إن للتربية الشرقية فوائدها الذاتية ، لكن يظهر أنها غير كفيلة تماما بإنماء الشخصية . ذلك أن آثارها سلبية أكثر منها إيجابية وعلى الرغم من أنها تبزّ الغربية فى نواحى التأمل ، إلا أنها أميل لإيثار التكرار والتقليد على الخلق والتجديد ، وسواء أكان هذا الفهم صوابا أم خطأ إلا أنه يلقى كثيراً من التأييد . وليس معنى ذلك أن البلدان الشرقية تعوزها الشخصيات البارزة العظيمة ، إذ الواقع أن الطبيعة تحافظ على أن تتغلب على ضيق تعليمنا المدرسى ومن ثم فإنها تمدنا — بين حين وآخر — برجال أكفاء شديدى المراس ، بيد أن قوتهم هذه قد ترتبط ارتباطا تاما بالنظرة العامة وبضيقها ، فلا يتسع المجال أمامهم ، ولا يكون لهم ثمت أثر عظيم ، ولما كانت تعوزهم الإحساسات الإنسانية الواسعة فإنهم يفشلون فى الزعامة الحقيقية ، ويكون فشلهم على الأخص فى اكتساب احترام الجيل الناشئ ، ذلك الاحترام الذى يتطلب على الدوام اتساع أفق التفكير عند رجال ذلك الجيل العظام ، كما يتطلب قياسا خاصا من الكفاءة فى معالجة المشكلات العامة ، ومن ثم فإنه إذا شئنا إيجاد زعماء كبار أو صغار احتجنا إلى نمط من التعليم الحر المرن ، وأعنى به ذلك الذى يبرز القوى المستترة والعبقريات الدفينة فى كل فرد على حدة أكثر مما أعنى به ذلك التعليم الذى يطبع الرجال جميعاً على غرار واحد ، ويهبط بمستوى الشخصية عند الفرد منهم ، وقد أثبتت المقارنة بين النمط التلقينى الصرف من التربية وبين النوع المرن على أن الضرب الأول يتمركز أثره قطعاً فى النتائج كما هو الحال فى الصين مثلا وليس الأمر مقصوراً على عون قوى العقل المبدعة من التقدم أو تمجيد الذاكرة أو إغفال التربية الجثمانية فحسب ، بل هناك ما يؤدى إلى هذه الناحية الخطرة ألا وهو انعدام التربية الاجتماعية

التى سأشير إليها فيما بعد ، إذ أن التربية أجل من أن تكون تلقينا بحتاً ، كما أن التعليم الحر يشمل اليوم كثيراً من نواحى النشاط داخل المدرسة وخارجها ، وحيثما يرى الشخص نفسه صالحة للحياة العامة وللاندماج فيها ، فهو يتعلم كيف يعامل الناس وكيف « يأخذ ويعطى » ، وكيف يكيف نفسه بما يتفق وحاجات الجماعة ، ويدرك أين يتحتم عليه تناسى أهوائه الشخصية وهيهات أن يسلس قياد الإدارة للزعماء مالم يعرف الأتباع كيف يتبعون ، ومن ثم فإن مهارة روح الجماعة أو بعبارة أخرى القدرة على اتباع قائد لا تقل أهمية عن قوة القيادة نفسها ، بيد أنها لا تكتسب فى يوم ، ولا نستطيع القول بأنها لقيت فى نظم التعليم الشرقية ما تستأهله من العناية وما يجدر بها من الأهمية .

إذا أرشدنا إلى هذه العيوب فى تعليمنا ، فينبغى ألا نتناسى أن بعضها موجود فى المدارس الغربية ، فالمتحذلقون يعوقون المربين فى كل مكان ، كما أن ضيق أفق الذهن لهو خطيئة المدرسين الكبرى فى جميع بقاع العالم ، فالمتطرف من المصلحين هو فى الغالب رجل ضيق الذهن لكنه مع ذلك رجل من نوع جديد ، ولقد ألف الشرق التحمس للآراء الغربية ، ومن ثم غدا أسير الجدة حتى لقد نبذ كل شىء شرقى وراءه ظهريا ، فعلى الرغم من أن الرجل ولد شرقيا إلا أنه أصبح يزدرى أساليب التفكير الشرقية ولربما لج فى تطرفه فثار ثورة شديدة على عواطف شعبه ، وقد يسرف فيناصب أسرته العداء ، ومن حسن الحظ أن من على هذا المنوال قلة ضئيلة ، لكن الشىء الواضح هو تفكك هذه الأصول ، ذلك التفكك الذى قد يقوض الروابط القوية ، ويحطم اتساق الحياة وهذا يوضح لنا التأثير السيء لتيارين من الثقافة ليست ثمت وشيجة من الصلة توحد بينهما . مما أدى إلى انحراف الشخصيات الضعيفة فى هذين التيارين اللذين تقاسماها ، وسارت فى طريق يؤدى بها فى النهاية لأن تكون شيئاً جديداً وغريبا ، فتزعزعت الروابط القديمة ، واجتثت من الحضارة التى كانت تنتمى إليها فى الأصل ، وفقدت ثقتها فى القديم ، ولم تجد عوضا عنها فى الجديد فكانت عاقبة ذلك خواء لا خير فيه ولا جدوى منه ، أما مصر فتقف فى ملتقى الحياة الشرقية والغربية ، ووصلت إلى مرحلة يستحيل عليها فيها — لو أرادت — أن تقلب أوضاع التاريخ

وتفصل التيارين بعضهما عن بعض ، وكل ما يبتغى هو ألا يتصارع التياران سواء فى الذهن الإنسانى أو فى دنيا الواقع ، وعسى أن يشقا طريقيهما متآخيين بما يعود على كليهما باليمن ، فإذا اتحدا أصاب حياة أعظم رخاء وأكثر عمقاً وأوفر طمأنينة ، لكن ليس معنى هذا أن يبتلع أحدهما الآخر أو أن يفقد كلاهما خواصه الذاتية ، بل الواجب أن تكون هناك تعديلات طفيفة إذا شئنا أن تظل الحياة كما هى ، أما تطرف كليهما إلى الحد الذى رأيناه فشر لا فائدة فيه ، كما أن إثارة العداء الشديد بينهما ستؤدى حتما إلى انهيارهما معاً ، وتكون التطورات التى تنجم عن ذلك أبعد مدى مما نتصور ، أعنى أنها تكون ثورية إن لم تكن هدامة ، هذا بينما يؤدى اتباع سياسة التغير المعتدلة — التى تتناسب ومجريات العالم الحديث — إلى اقتباس كل ما فى الماضى من خير ، وتتسم دنيانا اليوم بأنها دنيا تطور سريع جداً ، وإن لم يتبادل هذا التطور الأمور الأساسية بل يتلخص فى أنه نظرة سطحية ترى أن جميع التغيرات تسير فى سلم التقدم ، مع أن « التوقف عن التغير هو التوقف عن الحياة نفسها » كما قال فرويد ، وسواء أكنا نؤيد هذا الرأى أم ننكره إلا أن الواقع أن الحياة تجرفنا جميعاً إلى غد وليد جديد ، كما أن سير الحوادث يرغم الناس على أن يفكروا بأساليب جديدة كما هو الحال الآن حينما تجد أصغر القرى نفسها مرغمة على التفكير فى أمور المجتمع الإنسانى بأكمله ، وفى مثل أزمنة التغيرات القوية هذه يكون من الضرورى لنا ألا نشعر بأن شيئاً من القيم الحقيقية قد امحى ، وأن ندرك أننا نجنى خيرات التقدم ونستغلها فى حياتنا اليومية ، وعلى الرغم مما يبدو على هذا القول من الغموض ، إلا أنه ينبغى أن يكون الحجر الأساسى الذى ترتكز عليه الحركة التربوية .

إن ما أحدثته الأفكار الغربية من انقلاب فى علوم الطب والصحة والنفس وما شاكلها لينبغى أن يستغل لخير الحياة فى هذا القطر ويجب إدخاله فى تربيتنا ، وأن نمزج بينه وبين الحياة والثقافة المصريتين ، ولا سبيل لهذا التطعيم عن غير طريق المدارس والمعاهد فهى طريقه الطبيعى الكامل ، وكذلك بواسطة مجهودات الأشخاص ونشاط الصحافة والإذاعة ، ففى مكنة هذه كلها إحداث شىء من التغير لاسيما فى الأمور الظاهرية ، وليس معنى ذلك أنه يجب أن تصبح مصر أمة غربية ، فتصبغ فنها ودينها وأدبها وموسيقاها وكل شىء فى حياتها بهذه الصبغة ، وإلا كان ذلك طعناً للأمة فى صميمها ، وحتم علينا أن نشير إلى أنه لو أنه قد تهيأ وجود أداة تراقب تأثير الغرب على الشرق وتنظمه فى حينه لأدى ذلك إلى التفاهم وإلى استبقاء كل ما هو جليل الخطر فى الشرق ، وأشعر أن هناك بعض نواح خاصة فى الأسلوب الغربى لم يكن ثمت رغبة فيها أو حاجة إليها ، ثم أزيلت — هذه النواحى الخاصة — بخير الطرق ، وهذا وحده يبين لنا الحاجة القصوى إلى شىء من الرقابة ، كما أنه لو اتبعت الحكمة فى إدخال بعض النواحى الأخرى من المعرفة الحديثة لكان لذلك أعظم قيمة ، فجل الهندسة الحديثة غربى الأصل على الرغم من أننا لو رجعنا إلى الوراء لو جدناها تدين كثيراً إلى الحساب العربى ؛ كما أن مستشفياتنا ومدارسنا الطبية ليست سوى تعبير صريح للعلوم الطبية الغربية التى تدين بعض الشىء إلى الفكر الشرقى القديم ، أما نسبة الوفيات بين الأطفال (وهى نسبة مرتفعة جداً فى مصر) فقليلة جداً فى البلدان التى أخذت بدراسة الحضانة دراسة علمية وعنيت بها ، وليس ثمت حاجة للبرهنة على أن قرانا ومدننا فى مسيس الحاجة إلى أمثال تلك المؤسسات العلمية ، كما نجد أن روح البحث والتنقيب العلمى القائمة على قواعد غربية لمستعملة فى محيط الفن بقصد كشف كنوز مصر القديمة ، وحفظها من العبث ، هذا فى الوقت الذى أدى فيه الباحثون الغربيون كثيراً من الخدمات فى سبيل تفسير المخطوطات المتعلقة بالمسائل والدراسات الإسلامية ، وفى جمعهم مواضيع الفن العربى وترتيبها ، كذلك كان للغرب أثر غير منكور فى ميدان الرياضة ، ويكفى أن يشاهد المرء ثلة من الأولاد المصريين وهم يلعبون كرة القدم أو كرة السلة ليشعر تماماً مقدار النقص العظيم فى كل نظام تربوى يهمل أمثال هذه النواحى من النشاط ، كما أن ممارسة الطفل لهذه الألعاب لم تخرجه عن مصريته ، كما أنه لا يمكن أن نطعن فى مقدرة مدرس لأنه تربى فى انجلترا أو فرنسا ، وكل هذه الأمثلة تشير إلى ذلك الاتجاه الجديد ، وتوضح ضرورة تشجيع هذين النوعين من الثقافة ، ولا يقصد من وراء ذلك أن يحل أحدهما محل الآخر ، بل المقصود أن يتعاونا معاً فى سبيل انتظام الحياة والانتعاش والتقدم الطبيعى ، وذلك خير لكليهما

حسن حبشى

# وردة اليازجي

للأستاذ يوسف يعقوب مسكوني

— ٣ —

وقالت فى رثاء ولدها أمين :

بأى فؤاد أبتغى بعدك السلوى وأنت فؤادى فى التراب له مأوى

وهى تقول :

ألح علىّ الحزن من كل جانب فشن على صبر الحشا غارة شعوا
فلو أن ما بى بالجبال لأوشكت تميد لما تلقاه من مضض البلوى
أرى نار قلبى كل يوم وليلة تزيد لهيباً كلما زدت فى الشكوى
لفقد أمينى بل حبيبى ومهجتى
وريحان زوجى من غدوت له نشوى
لقد كان فى عينى أبهى من الدجى
وأعذب فى قلبى من المنّ والسلوى
كصدر القنا كالنصل كالغصن فى النقا
كزهر الربى كالبدر كالرشأ الاحوى
أيا قبره هـذا العزيز فلا تدع هوام البلى تهوى عليه كما تهوى
وحافظ على تلك العظام فانها لكنز ثمين ليت قلبى لها مثوى

ورثت ابنتها أسماء بقولها:

يا قرة العين مالى عنك مصطبر كيف السلو ونار القلب تستعر
وكيف أسلو وعنى اليوم قد رحلت
أسما وأبقت دموع العين تنهمر
فيا عيونى جـودى بالدموع عسى
تخفى بعض ما فى القلب يستتر
وساعدى مهجة المحزون علك أن تطفى لهيب فؤاد كاد ينفطر
ياجمرة الحزن هلا تتركى كبدى يوماً بغير قروح فيه تنفجر
أسما شريكة قلبى آه وا أسفا هلا يعود زمان قد مضى نضر
ربيت تسعة أعوام معى وأنى من ليس يمنعه كبر ولا صغر
ما كان أقصر ذاك العمر وا أسفى كزهرة فى انبثاق الصبح تنتثر

يا لهف نفسى لأيام مضت عجلا كالحلم ولى فلا عين ولا أثر
أوّاه من طول ليل بت أسهره كأنما ماله صبح ولا سحر
قد كنت أشفق من دمعى على بصرى
واليوم هان علىّ الدمع والبصر

وقالت ترثى أخاها عبد الله :

أعيناى جودى بالدموع السواكب
وفيضى دماء بعد فقـد الحبائب

ومنها :

طوى الدهر ما بينى وبين أحبتى وجمّع ما بينى وبين المصائب
تتابعت الأرزاء من كل جانب علىّ كما ينهل غيث السحائب

ثم تقول :

ويا كوكباً قد غاب عنى فى الثرى
وما هكذا عهدى غياب الكواكب

وتختم الرثاء قائلة :

سأبكيك دهرى ماحييت وإن أمت
ستبكى عظامى تحت طى الترائب

وقالت راثية إحدى السيدات عن لسان شقيقة لها :

قفـا بى كى أودعهـا قليلا قبيل البين إذ أمسى طويلا
رويداً حيث أطلب أن أراها فلا ألقى لرؤيتهـا سبيلا
وهيهات الوداع وقد أتاها رسول البين يخطفها عجولا

ثم تقول :

إذا ناحت وأعولت البواكى أكون أحق من أبدى العويلا
وإن تك فارقت فى مصر نيلا ففى العليا أجتلت نيلا ونيلا
هناك تمتعت بنعيم عيش به تنسى المنازل والنزيلا
وأبقتنا بأحزان لديهـا نعد الصبر أمراً مستحيلا

وقالت ترثى قرينها :

أرى ما اكتفت صروف العوادى
بسهام أصمت صمـيم فؤادى
كلما كاد يضمد الجرح ترميـنى بسهم مفتت الأكباد
وأبى الدهر أن يمن بنظم غـير نظم الرثاء والتعداد
سلبتنى المنون إنسان عينى ورفيق وعمـدتى وعمادى
يا أليفى فى شـدتى ورخائى ونصيرى فى النائبات الشداد

إلى أن تقول :

قد بكت فقدك المنابر حزنا وتردت عليك ثوب الحداد
وبكتك العلوم من كل فن كنت فيه من أوحد الأفراد
شتت الدهر شملنا وافترقنا وكذا الدهر مولع بالعناد
فسأبكيك ما حييت إلى أن نلتقى فى جوار رب العباد

وتختم الرثاء برثاء شقيقها إبراهيم العالم اللغوى المشهور :

لم يبق للحزن صبر ولا جلد ولادموع تفى لى حق من فقدوا
وضاق صدرى مما قد تراكم من حزنى ولم يبق لى للاحتمال يد
بينا يضمد لى جرح لفقد أخ يجدد البين جرحاً ليس ينضمد
أخنى الزمان علينا مثل عادته
واغتال من هو ركن البيت والسند
مضى الشقيق فشق القلب مصرعه
وخلف النار فى الأحشاء تتقد

ثم تقول :

يا قائل القول ما زلت به كلم وصاحب الرأى حقاً ليس ينتقد
منشى الفصول التى ماخطها قلم رب البيان الذى لم يحوه أحد

ومنها :

وكوكب الشرق ما تخبو له لمع
وإن خبت فالضيا[1] فى إثرها مدد
بما نشرت لسان العرب معتصم وما نظمت لسان العرب معتضد
فضل سيبقى بقاء الدهر متصلا عليك لا ينقضى أو ينقضى الأبد

ثم تختم الرثاء بهذه الأبيات :

ياصخر بنت الشريد اليوم منتشر لها عليك قواف فى الورى شرد
هيهات مافقدت صخرى ولا نظمت
دمى ولا وجدت خنساء ما أجد
بكت وحيداً وأبكى ستة ذهبوا لكل محمدة بين الورى ولدوا
يا رحمة الله حلى فى مضاجعهم ويا غمائم جودى حيثما رقدوا

وقد رثته ثانية حيث أنشدت على ضريح العائلة فى بيروت أى بعد نقل رفاته من مصر :

ياقبر اهنأ بما أوتيت من ظفر فقد حويت كرام البدو والحضر
حويت من هز ركن العلم مصرعهم
من بعد ما ألبسوه أنفس الحبر
حويت كنزاً ثميناً لو عرفت له قدراً لفاخرت فيه أثمن الدرر

ثم تقول :

يا قبر قد عاد إبراهيم وا أسفى يضوى إلى أسرة من أنفس الأسر
فأى عين لهذا الخطب ما نزفت دماً وأى فؤاد غير منفطر
ويلاه من نكد الأيام كم فتكت بنا ولم تبق لى صبرا ولم تذر
ياقبر أكرم نزيلا حل فيك ولا تعتمن البلى من جسمه النضر

وتختم بقولها :

يامن مضى وجميل الصبر يتبعه هل من سبيل إلى لقياك منتظر
قد كنت منى مكان الروح من جسدى ال
مضنى وكنت مكان النور من بصرى

ومن سور الرثاء أيضاً ما قالته فى الذكرى :

جز يا نسيم على وادى النقا سحرا
وسل عن الصحب هل تلقى لهم خبرا ؟
واشرح لهم سوء حالى بعد فرقتهم لعلهم يعطفوا أو يلفتوا النظرا
كناوكانوا وكان الأمس يجمعنا فصير الدهر ذاك الجمع منتثرا
من لى برؤيتهم يوماً ويسعفنى حظى وتبلغ عينى منهم الوطرا
مضى زمان الصفا ما كان أقصره
وعوض الدهر عن ذاك الصفا كدرا
أحبابنا ما أمر العيش بعدكم وهل يطيب لقلب بات منفطرا ؟

هذه مقتطفات من طويل الرثاء فى إخوتها وأهلها الذين فقدوا فى حياتها بكتهم بعيون تسيل دماً لا دمعاً . ولم يقتصر الرثاء فقط على من ذكرنا وإنما رثت جماعة كبيرة عن لسانها ولسان صديقاتها الكثيرات كما أوردنا البعض منها هنا بإيجاز . ومن الشعراء طائفة ممن قرظوا ديوانها « حديقة الورد » فقالوا فى ذلك أبياتاً نورد منها قسما هنا . منهم قول الشيخ الحوى أحد أدباء يافا مادحاً ديوانها :

الجهل شاع بهذا المصر وا أسفى وقد رأيت بيومى أعجب العجب
بديع نظم سما من وردة عبقت فاحت روائحها فى العلم والأدب
فلله در لآلى درة نظمت كريمة اليازجى حسانة العرب

---

(١) إشارة إلى مجلة الضياء التى كان يصدرها المرحوم إبراهيم اليازجى آنذاك .

وقال الحاج حسين افندى بيهم :

حديقة الورد قد طابت لجانيها ورق بالطبع قاصيها ودانيها

فاقطف ثمار المعانى من لطائفها وارشف شهى الحيا من قنانيها

ياحسن فكرة من أبدت لنا درراً ونظمت خير عقد من دراريها

فانها فرع ناصيف الذى اشتهرت لطفا مقاماته وارتاح حاكيها

حكت أباها بآداب فما ظلمت جاءت على أصلها الباهى قوافيها

دامت تطرز أثواب القريض لنا ما قام يطرب بالأشعار راويها

ثم قال اسكندر أغا أبكاريوس :

أهدت لنا نفحات الورد فى الكلم

كريمة من بنات الجود والكرم

فريدة قد سمت فى الناس واشتهرت

ألطافها بين عرب الأرض والعجم

أكرم بها درة قد طاب عنصرها بالفضل أشهر من نار على علم

فاقت على سائر الأمثال قاطبة للنظم والنثر والآداب والشيم

صاغت لنا من نفيس الشعر أحسنه

نظما وأجوده فى المدح والحكم

أبدت لنا السحر فى نظم البيان وقد

زهت وباهت نساء العصر بالهمم

لا زال طالعها بالسعد مقترنا

ما ضاء بدر الدجى فى حندس الظلم

وقال خليل افندى الخورى :

لا يفخر الغرب بالغادات لابسة تاج البلاغة تجلو راية الأدب

فان فى الشرق روض رائق نضر

تهدى شذا الشعر فيه وردة العرب

كريمة للكريم اليازجى بدت تجلو الفخار بمجد العلم والأدب

وقال المعلم أسعد الشدودى :

ألا يا وردة العرب التى قد زها نظم لها كعقود در

لقد أنشأت ديواناً بديعاً به أنسيتنا خنساء صخر

معانيه الدقيقة ذات ظرف لها رقصت معانى كل شعر

فلا عجب إذا فاقت سواها فنشر الورد أطيب كل نشر

ثم قال يوسف افندى السيوفى :

نزه لحاظك فى جمال حديقة أبداً يفوح الطيب من أزهارها

لا بدع أن فاقت بحسن بهائها وتقاصر الأقران عن أقدارها

فالورد من أغراسها والطيب من أنفاسها واللطف من أسرارها

ثم قال سليم افندى الخورى :

فى روضة الورد قامت وردة العرب

تبدى لنا نفحات العلم والأدب

كريمة الفرد ناصيف التى أخذت عنه النظام فكانت بنت خير أب

أبدت من رقيق الشعر أعذب ما يحلو ويغلو كما يخلو من الريب

وقال المعلم إبراهيم سركيس :

فريدة العصر قد صاغت لنا درراً تدوم ريانة حيناً إلى حين

أحلى الحدائق ما كانت مكللة بالورد والورد سلطان الرياحين

ومما قاله أخوها الشيخ إبراهيم اليازجى :

هذه حديقة ورد عز جانبها وحبذا روض ورد يفرج الكربا

من طافها بر فيها الدر منتظما والطيب منتشراً والسكر محتلبا

هذه صورة مصورة من حياة الشاعرة الكبيرة وردة اليازجى اقتطفتها من ديوانها « حديقة الورد » آملا بعملى هذا تقديم باقة من زهر هذه الحديقة الغناء يشمها القارىء فيتمطر بشذاها ويتعبق برائحتها خدمة للأدب والتاريخ .

(بغداد) **يوسف يعقوب مسكونى**

---

# مظـــاهر العبقرية
## فى الحضارة الاســلامية

للأستاذ خليل جمعة الطوال

— ٢ —

عند ما فتح العرب جنوب أوربا واستولوا على جزرها المشهورة وعلى ربوع الأندلس ، انتشرت لغتهم فى جميع هذه الأقطار ، وخاصة فى شبه جزيرة أسبانيا ومنورقة ، وميورقة وجزائر الباليار وصقلية ، وإقريطش وما إليها .

وبلغ من شأن العربية فى أسبانيا أن اضطر آباء الكنيسة إلى نقل صلواتهم وأدعيتهم إليها ليحسن فهمها المصلون الذين كانوا قد زهدوا فى اللغة اللاتينية ومالوا عنها إلى اللغة العامة وهى العربية ، يتدارسون بيانها وقواعدها ، ويحفظون أشعارها وطرائفها ، وظلت العربية هى اللغة الرسمية فى تلك الربوع حتى جلاء العرب عنها عام ١٠١٦ هـ . وقد وجد المنقبون نحو ألفى صك كتبها سكان تلك البلاد الأصليين باللغة العربية [١] وفى مكتبة الأسكوريال فى أسبانيا حتى يومنا هذا معاجم يونانية عربية ، ولاتينية عربية وعربية أسبانية تدل أوضح دلالة على ذلك العصر العربى الزاهر .

وفى اللغة الأسبانية الحاضرة كلمات عديدة تبدأ بأل التعريف العربية ، وفى ذلك أبلغ شهادة على تأثر اللغة الأسبانية باللغة العربية . إذ أمدتها بآلاف المفردات التى لا غنى لها عنها فى التعبير ، ولم يقف نفوذ اللغة العربية عند هذا الحد بل تعداه إلى بقية اللغات السكسونية والجرمانية الحية ، ولهذا فإننا نجد حتى اليوم ألفاظاً عربية بليغة فى كل من اللغات [٢] الانجليزية والنالية القديمة والألمانية ، والهولندية والإسكندنافية ، والروسية والبولندية ، واللغات الصقلية الأخرى .

(١) غرائب الغرب ج ٢ ص ١٣٤ — لمحمد كرد على

(٢) مجلة المعرفة — بحث لعلي مظهر ، والاسلام والحضارة العربية ج ١ لكرد علي .

ومما تدل عليه الإحصاءات الدقيقة [١] أن ثلاثة آلاف كلمة عربية قد دخلت اللغة البرتغالية ، وأن ربع الأسبانية الحديثة مأخوذ من العربية ، وأن تسعمائة كلمة من اللغة العربية أيضاً قد أدخلها الفرنسيون فى لغتهم [٢] وتضم الانكليزية كذلك مثل هذا العدد من الألفاظ العربية .

ومن الغريب حقاً أن نجد أمماً غير عربية ما زالت حتى عصرنا الحاضر أمما تتكلم اللغة العربية وتكتبها فى جميع معاملاتها ، أو أنها تكتب لغتها بالحرف العربى [٣] ، وما زالت العربية حتى يومنا هذا شائعة ومحكية فى معظم أطراف السينغال ، والسودان الفرنسى ، والنيجر ، وليبريا ، والحبشة ، وجيبوتى ، وقازان ، والقريم ، وكرجستان ، وطاغستان ، وتركستان وسيام ، والفيليبين ، والهند ، وإيران ، والصين ، وجاوه ، وبلاد المغرب ، ومالطه ، وكردوفان .

نقف عند هذا الحد قليلا لنسأل سرفيه وأمثاله ، أكان فى استطاعة العرب أن يفرضوا لغتهم على جميع الشعوب التى حكموها ، لو لم يكونوا أمة موهوبة جميل المزايا وروائع العبقريات ؟ أم كان هؤلاء الأقوام يقبلون على تعلم العربية بمثل ما رأيت من الشوق والرغبة ، لو لم تكن العربية لغة حضارة سامية ومدنية زاهرة ؟ ... وإننا لنجد أمماً كثيرة ، بربرية وهمجية ، قد فرضت سلطانها على العالم قروناً طويلة ، ولما لم تكن ذات حضارة عالية بادت وتلاشى سلطانها دون أن تترك وراءها أثراً يذكر .

ولم نذهب بعيداً فى الاستدلال ، وهذه الأمة العربية ذاتها قد تعاقبت عليها مختلف الحضارات ، وخضعت لشتى السلطات إلا أنها مع ضعفها السياسى قد حافظت على مزاياها وتقاليدها ولغتها وحضارتها ، ولئن استطاعت هذه الدول أن تفرض عليها سلطانها ونظمها السياسية ، إلا أنها عجزت عجزاً تاماً عن تجردها من ثقافتها ، لتفرض عليها ثقافاتها الخاصة

(١) انجلمان : قاموس الألفاظ الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية

(٢) لامنس — ملاحظات على الألفاظ الفرنسية المشتقة من العربية وكتاب Intraoluctionto the Study of English Literature

(٣) تقويم العالم الاسلامى بالفرنسية — ا ستيون .

**العرب فى ميدان العلم وطور الاستمداد :**

وقبل أن نبين مواطن الابتكار والعبقرية فى ثروة الإسلام العلمية يحسن بنا أن نرجع ولو قليلا إلى الوراء لنبحث العوامل الرئيسية التى عملت فى تكوين الحضارة الإسلامية ، ولنرى بعد ذلك المراحل الأولية التى تخطتها هذه الحضارة العريقة فى سيرها وتقدمها ، قبل أن تصبح حضارة العالم بأجمعه بلامنازع فليس من شك فى أن العرب وإن كانوا أرباب ملاحظة فى سائر العلوم ، وأمة موهوبة أعلى درجات النبوغ والذكاء ، إلا أنهم شادوا حضارتهم — شأن بقية الأمم المتمدنة — على أنقاض حضارات سابقة قديمة ، وليس من شك أيضاً فى أن الحضارة العربية لم تبلغ حد كمالها فجأة ، إذ أن ذلك أمر بعيد التصديق ، ولكنها بلغته تدريجياً ولكن بخطى سريعة متزنة لم يعرف لها التاريخ مثيلا

لقد كانت أوربا فى العصر الذى بدت تظهر فيه طلائع النهضة العربية تغط فى سبات الجهالة ، وتتمرغ فى هاوية الانحلال ، وكانت المسيحية إذ ذاك قد بدأت بمطاردة الحرية الفكرية فى أقطارها ، وأخذت تنشط فى إحراق العلوم الوثنية وتعقب العلماء والفلاسفة . واستئصال شأفتهم من كل بقعة . يخشى أن يكون لهم فيها صوت مسموع ، أو علم مرفوع ، حاسبة أنها بذلك تبيد من حقلها الأعشاب القريبة التى قد تحول فى المستقبل دون نماء عقيدتها ، وإذ كان النور يشع إذ ذاك من ناحية الجزيرة العربية فقد أخذت هذه الفئات الممتازة الراقية تؤمها آحاداً وأرسالا حاملة إليها نتاج عبقريات الأمم اليونانية والرومانية الدارسة ، وكانت هذه الجماعات حيثما نزلت تعيش فى جو من التسامح الفكرى لم تعهد له فيما مضى مثيلا .

أما فى بلاد الشرق فقد أدت الحرب العوان التى دارت قبل الإسلام رحاها بين مملكتى الروم وفارس إلى ضعف كلتا المملكتين فقد غزا هرقل مملكة الفرس ، فتركها أطلالا خاوية ، ثم غزا الفرس مصر والشام فثأروا البلادهم من مملكة قيصر ، وقابلوا الضربة بضربة مثلها وأخذت المناوشات تترى بين المملكتين مدة طويلة ، وكان من نتيجتها أن ضعف قيصر وذل كسرى ؛ أما قيصر ، فقد استنفدت هذه الحرب الضروس جميع اقتصاديات بلاده حتى لقد عجز عن أن يحفظ حدود مملكته ، وعن دفع الأتاوة للقبائل العربية التى كانت تقوم بحراسة أطراف هذه الإمبراطورية الواسعة ، وزاد فى الطين بلة احتدام الجدل بين الملكيتين واليعاقبة والنساطرة حول طبيعتى المسيح [1] الالهية والإنسانية ؛ وتدخل الإمبراطور إذ ذاك فى هذه المجادلات ، الأمر الذى أدى إلى اضطهاد اليعاقبة والنساطرة ، وإلى اتساع شقة الخلاف . وكان هرقل إذ ذاك قد طعن فى السن ، وأوهت قواه الشيخوخة ، فسقط لذلك ألعوبة بأيدى رهبان إيليا الذين ما زالو به حتى أوغروا صدره على يهود بيت المقدس ، بدعوى أنهم ساعدوا الفرس حين زحفهم على امبراطوريته ، وضربهم إياها تلك الضربة القاضية ، التى صدعت فيها بنيان النظام والطمأنينة والأمن ، فقتل منهم لذلك خلقاً كثيراً ، وجماً وافراً ، وعدداً لا يعد ؛ وهكذا فقد كان كل من النساطرة واليهود عوناً لكل خارج على قيصر أو طامع فى ملكه وإذا استهواهما قبس الحرية الذى كان يشع من ناحية الجزيرة فقد ساروا إليها يحملون معهم فى سيرهم ما انتهى إليهم من نتاج المدنيات السابقة ، وما جادت به قرائحهم المتوقدة ؛ فتفسح النسطوريون فى أرض الحجاز ، وقطن اليهود بلاد اليمن ؛ وكان أمراً طبيعياً أن تنتشر تعاليمها فى سائر أقطار الجزيرة ، وأن تتأثر هذه بها .

ولم تكن الحالة فى بلاد فارس بأحسن منها فى بلاد الروم ، فقد كان الملك فيها — قبيل الإسلام — فى قبضة طفل صغير لا يجاوز الخامسة عشرة من سنه ، ثم فى قبضة امرأة مستضعفة ، وهى بوران بنت كسرى ؛ ولما بلغ النبى أمرها قال « لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة » وهكذا فقد كان عرش فارس ألعوبة بأيدى أطفال صغار ، ونساء جاهلات ؛ ولم تكن حالة الزرادشتيين فى فارس بالتى تدعهم يخلدون إلى السكينة والاطمئنان ولذلك فقد أصبحت الجزيرة — قبيل الإسلام — مثابة صالحة للمضطهدين والمغلوبين على أمرهم من أحرار فارس والروم .

( يتبع ) **خليل جمعة الطوال**

---

(١) تاريخ سعيد بن بطريق




## إلى علماء العربية وأعلامها :

كنت أحقق منذ عهد بعيد شعر أبي نواس ، وأبحث عنه فى مظانه المخطوطة والمطبوعة ، فدفعنى ذلك إلى دراسة الأديرة والحانات وما يدور فيها ، وأماكن اللهـو والتنزه ، ومواضع القصف والنزف وما يتعلق بذلك ، ودراسة الشعراء المجان وتاريخ الخمرة فى الأدب العربى ، وحياة الجوارى والقيان وأترهن ، إلى غير ذلك مما يتصل بموضوعى . فعثرت على شاعر ماجن خليع داعر أسماه أصحاب التصانيف والتآليف « أبا شاس » ، ووصفوه بأنه صاحب دعابة ومجون ، وفسق وتهتك ، وتطرح بالحانات ، وملازمة للديارات .

ذكر هذا الشاعر ابن فضل الله العمرى فى كتابه « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » عند الكلام على دير يونس [(١)] فى موضعين ، وذكر له شعراً فى صفة هذا الدير ، وشعراً فى صفة الخمرة ، ولم يعلق العلامة أحمد زكى باشا على ذلك بشىء ، بينما علق على أبسط الأمور ، وشرح مختلف الألفاظ .

ثم رأيت الأستاذ حبيب زيات يذكره فى كتابه الموسوم « بالديارات النصرانية فى الإسلام » [(٢)] ويضع له اسماً فى فهرس الشعراء الذين استشهد بشعرهم فى كتابه ويسميه « أبوشاس منير »

ولما كان جميع من كتب فى الديارات والحانات والأعمار وما شابه ذلك اعتمد على كتاب « الديارات » لأبى الحسن على بن محمد الشابشتى [(٣)] رأيت أن أرجع إليه فى تحقيق اسم هذا الشاعر ونسبه وحياته .

---

(١) مسالك الأبصار ص ٣٤٦ ، ٣٤٧

(١) الديارات النصرانية فى الاسلام ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد الشابشتى المتوفى سنة ٣٨٨هـ ٩٩٨م كان أديباً فاضلا تعلق بخدمة العزيز بن المعز العبيدى صاحب مصر فولاه أمر خزانة كتبه وجعله « دفتر خوان » — وظيفة فارسية معناها « قارىء الدفاتر » — يقرأ له كتبه ويجالسه وينادمه

وكلمة « شابشتى » فارسية مكونة من « شاه » بمعنى ملك و « بشت » بمعنى خلف أو قفا فيكون معناها : الذى يكون خلف الملك أى الحاجب ، ونرى أن يكون تلفظها « شابستى »

ولكن الشابشتى لم يذكر عن هذا الشاعر ما يبل الغلة ويفى بالحاجة ، بينما ترجم كل شاعر له علاقة بموضوعه ترجمة وافية مهما كان ذلك الشاعر مغموراً .

قال الشابشتى فى الكلام على دير يونس بن متى [(١)] بعد ما ذكره وعرف به : « ولأبى شاس فيه :

يادير يونس جادت صوبك الديم ... حتى ترى ناظراً [(٢)] بالنور تبتسم

لم يشف من ناجر حر على ظمأ ... كما شفى حر قلبى ماؤك الشبم

ولم يحلك محزون به سقم ... ألا تحلل عنه ذلك السقم

أستغفر الله من فتك بذى غنج ... جرى علىَّ به فى ربعك القلم

ثم يقول بعد هذا : « وكان أبو شاس هذا من أطبع الناس ، مليح الشعر ، كثير الوصف للخمر ، ملازماً للديارات ، متطرحاً بها ، مفتوناً برهبانها ومن فيها . » ثم يقول ومن مليح شعره :

لا تعدلن عن إبنة الكرم ... بأبى ففيها صحـة الجسم

واعلم بأنك أن لهجت بغيرها ... هطلت عليك سحائب الهم

وإذا شربت فكن مستيقظاً [(٣)] ... حتى يتبين طيبة الطعم

لو لم يكن فى شربها راحة [(٤)] ... إلا التخلص من يد الهم

وهذه القصيدة موجودة فى شعر أبى نواس وهى فيه ثمانية أبيات [(٥)] ، ورأيت العمرى فى مسالكه ينسبها لأبى شاس ويذكر الأول منها والرابع فقط .

ويستمر الشابستى فى ذكر شعر أبى شاس هذا ويذكر له قصيدة مطلعها :

أعاذل ما على مثلى سـبيل ... وعذلك فى الندامة مستحيل

وبعد هذا البيت ثمانية أبيات ، وهى موجودة أيضاً فى شعر أبى نواس [(٦)] بنصها وبعدد أبياتها ، وينقلها العمرى فى المسالك ويذكر منها أربعة أبيات ، وينسبها لأبى شاس :

هذا هو أبو شاس الشاعر الظريف الماجن الذى ذكره فى

---

(١) كذا فى الشابشتى والعمرى والصحيح « ناضراً » .

(٢) الشابشتى ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) فى ديوان أبى نواس « . فكن لها متمطقاً » .

(٤) فى مسالك الأبصار « فرجة » .

(٥) ديوان أبى نواس ، المطبعة العمومية ، سنة ١٨٨٩ ص ٣٢٨

(٦) ديوان أبى نواس ، المطبعة العمومية ، سنة ١٨٩٨ ص ٣١٧

هذه المصادر الثلاثة ولم أعثر له على ذكر فى أى مصدر آخر .

أقول أن أبا شاس هذا هو أبو نواس نفسه إذ أن العمرى وحبيب زيات نقلا عن الشابشتى وأن الناسخ له صحف هذا الإسم « أبا نواس » فصيره أبا شاس ، وجاء العمرى ونقل عنه ، وأغفله العلامة أحمد زكى باشا فلم يصحح هذا التصحيف ، ثم جاء حبيب زيات ونقل عن العمرى أو عن الشابشتى ووضع له اسماً هو « منير » .

أضع هذا الرأى بين أيدى علماء العربية وأعلامها لعل لهم فيه رأياً .

( بغداد ) شكرى محمود أحمد

## بين المحمدية والموسوية :

من الشريعة الموسوية التى نسخها الشرع الإسلامى ، ولكن القوم بها عاملون : قول موسى عليه السلام : ( كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من نهر الفرات إلى البحر الغربى يكون تخمكم )

وفى الشرع الإسلامى أن الأرض لأهلها ، يفرض فاتحوها عليها خراجاً ، وجزية على السكان تمون المحاربين فى الجيش لقاء إقرار الأمن وإقامة العدل وحماية البلاد .

وفى الشريعة الموسوية : ( حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك وفتحت لك أبوابها فكل الشعب المولود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فهو غنيمتك تغتنمها لنفسك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً ) ومعنى التحريم هنا القتل العام . وفيها أيضاً : ( تمحو اسمهم من تحت السماء لا يقف إنسان فى وجهك حتى تفنيهم تدريجاً لئلا تكثر عليك وحوش البرية )

وفى الشرع الإسلامى إذا حاصر المسلمون مدينة أو حصناً دعوا أهلها إلى الإسلام فإن أجابوا كفوا عن قتالهم ، وإن امتنعوا دعوهم إلى أداء الجزية فإن بذلوها فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، فإن أبوا لجأ المسلمون إلى القتال ، على أن لا يخونوا ولا يغلوا ولا يغدروا ولا يمثلوا ولا يقتلوا طفلا ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا يقطعوا شجرة ولا يذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ولا يعرضوا للمتعبد فى صومعته و ...

وفى شريعة سيدنا موسى أن حفظ العهود ووجوب العمل بها محصور بما عقد منها بين بنى إسرائيل فقط ، ولا يجب على الإسرائيلى أن يحتفظ بعهده مع العدو المحارب أو غيره .

وفى الشرع الإسلامى يجب الوفاء بالعقود عامة لقوله تعالى ( واوفوا بالعقود ) .

وفى الشريعة الموسوية : ( لا تقرض أخاك الإسرائيلى ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء مما يقرض بربا . للأجنبى تقرض ربا ولكن لأخيك لا تقرض ربا ) .

وكذلك سائر القواعد الاجتماعية فى المعاملات والعقوبات . فالحكم فى الشريعة الموسوية يختلف باختلاف الأشخاص ، والعقوبة تخف على اليهودى وتشتد على الأجنبى مع وحدة الجرم ويسقط عندهم الدين بمرور الزمن بعد سبع سنين عن العبرانى وأما عن الأجنبى فلا يسقط أبداً ولا يمر عليه الزمان .

وفى الشرع الإسلامى أن لأهل الزمة ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وفى الحديث النبوى المحمدى ( من آذى ذمياً كنت خصمه يوم القيامة ) . إلى غير هذا مما هو مبسوط فى مظانه ومصادره .

فوزى محمد طراد

## أثر العرب فى الحضارة الأوربية :

هذا عنوان الكتاب الأخير الذى أصدره فى هذا الصيف الأستاذ الكبير العقاد ، ومن حسن حظ العرب والأدب أن هذا الكتاب جاء فى وقته . ووقته الذى أعنيه هو هذه المعركة الحاسمة فى نضال عنيف بين العرب وأوربة استمر منذ أحرق

طارق سفنه فى الشاطىء الغربى من المضيق إلى اليوم . وكان هذا النضال الطويل أفظع صدام شهده التاريخ بين الحق والباطل والعلم والجهل والمدنية والبربرية ، تسلح فيه سماسرة الدين وعلوج المُلك بالضغينة والإفك والتمويه والتشويه ، فوقفوا بالعصبية أمام العرب فى الأندلس ، وبالصليبية أمام الإسلام فى فلسطين ، وبالآرية أمام السامية فى عهد هتلر ، ثم بالغرب كله أمام الشرق كله فى عصر تشرشل . ولقد ظل النصر لنا حليفاً فى مراحل هذا الصدام ، حتى انطمست فى نفوسنا معانى الإسلام والعروبة ، ففقدنا كل سلاح غير سلاح الحق . والحق وا أسفاه أعزل ، فلا بد له من سيف كسيف خالد ، وأبكم فلا بد له من قلم كقلم العقاد .

فالكتاب الذى يقرأه الناس لكاتب العبقريات اليوم ، إنما هو صولة من صولات الحق تفيد مصر وفلسطين وسائر بلاد الجامعة العربية فى تعليم من يجهل وإقناع من ينكر أن العرب الذين مدنوا الشرق وهدوه ، وعلموا الغرب وأمدوه ، لا يزالون بفضل عقيدتهم وعقليتهم وجنسيتهم مشعلا من مشاعل الحضارة ، وركناً من أركان السلام ، وأنهم أعطوا العالم أكثر مما أخذوا منه ، وأثروا فى الغرب أكثر مما تأثروا به ، وأن من الكرامة الإنسانية ألا يعامَلوا بالقهر ، وألا يؤخذوا بالاستبداد ، وألا يُبنى الاتفاق معهم على الكره .

« موضوع هذا الكتاب الوجيز ينقسم إلى قسمين : أولهما أثر العرب فى الحضارة الأوربية من أقدم أزمانها ؛ والثانى أثر أوربة الحديثة فى النهضة العربية المصرية » فعالج الأستاذ المؤلف أثر العرب فى الأوربيين من جهة العقائد السماوية ، وآداب الحياة والسلوك ، والتدوين ، وصناعات السلم والحرب ، والطب والعلوم والجغرافيا والفلك والرياضة والأدب والفن والفلسفة والدين ، وأحوال الحضارة والدولة والنظام ؛ ثم أجمل أثر أوربة الحديثة فى النهضة العربية ، فأشار إلى ذلك فى الاجتماع والسياسة ، والحكومة البرلمانية ، والوطنية ، والحركات الدينية ، والأخلاق والعادات ، والأدب والفن ، والصحافة ، وكل هذه المسائل معروضة بالعرض الذى يعرفه الناس للعقاد من قوة المنطق وصفاء الأسلوب وسعة الاطلاع . وهو بعد ذلك مطبوع فى دار المعارف طبعاً أنيقاً على ورق صقيل فى غلاف جميل .

(* * *)

### فن إنشاد الشعر العربى :

كتاب يقع فى ٧٨ صفحة من القطع المتوسط مطبوع فى مطبعة الآباء الفرنسيسيين فى القدس ، وضعه الأب أغسطس فيكى الفرنسيسى ، ونقله إلى العربية الأب اسطفان سالم ، والدكتور أسحق موسى الحسينى ، وقد صدر الكتاب بمقدمة نفيسة ، فى الشعر ، والإنشاد ، وفى أسباب ضعف الشعر فى عصرنا الحاضر وقد نبه المترجمان الفاضلان على أن الأب أغسطس فيكى لم يكن هو أول من راد مفازة هذا البحث ، وأن العالم استانسلاس جوبار قد سبق المؤلف إلى البحث فى فن الإنشاد الشعرى . كما أن المستشرق المشهور تشارلس كيل ، كان قد سبق المؤلف إلى تبيان مواطن الضغط الصوتى فى كتابه « الشعر العربى القديم »

والكتاب على ما فيه من نظريات لم يألفها أدباء العربية الناشئون ، لا بد وأن يكون له شأن فى المستقبل ، ونحن واثقون بأن إعراض أبنائنا عن الشعر العربى خاصة والأدب العربى عامة مرده إلى أننا لم نعلمهم إياه على الوجه الرغب ، الشوق المطرب . وإلا لكان أساتذة الأدب العربى لا يعانون الأمرين وهم يبتكرون الأساليب ، لإقناع طلابهم بضرورة الإقبال على أدب لغتهم القديم منظومة ومنثورة .

نحن لا ننكر أن الكتاب يصدم مطالعه العربى عند الوهلة الأولى لأنه يزيد رموزاً جديدة ، إلى زحافات وعلل الشعر العربى وهى رموز النطق ، والإنشاد ، ومط الصوت ، مما لا عهد لنا به ولكن كل ذلك يهون إذا علمنا أن كل فن لا بد له من ضوابط وقيود تعصمه من الفوضى .

قد يعترض البعض على هذا الكتاب بأنه يزيد فى القواعد ونحن نحاول التخفيف منها وجوابنا على هذا الاعتراض أن الكمال يحتاج إلى المجهود .

وقد يرى البعض أن الكتاب غايته التنغيم ، وليس هذا من طبيعة الأشياء ، ولا هو من طبيعة الشعر العربى .

والواقع أن هذا الرأى فى غير محله ، لأن التنغيم هو الأصل فى الشعر العربى وهو الأمر الطبيعى فيه ، لأن الشعر والغناء من أصل واحد عند الأمم كافة ، وقد وضع الشعر العربى فى أول أمره لينشد تكريماً للآلهة والملوك ، فكان لا بد من إظهار العاطفة فيه بالنغم ، فاليونان ، والرومان يقولون إلى الآن « غنى شعراً » ولا يقولون نظم شعراً [١] والذى نراه أن العرب لم يشذوا عن هذه القاعدة ، لأنهم ليسوا بدعة من بدع الحياة والطبيعة . ونرى فوق ذلك فان العرب ينظموا الشعر من أجل تكريم آلهة العشق فى أول أمرهم ( العزى ) بدليل أن كل قصيدة لا بدلهم من أن يبدأوها بالغزل [٢] . وكان شعراء العرب يغنون شعرهم

(١) آداب اللغة العربية لزيدان ج ١ صفحة ٥٦

(٢) هذا رأى خاص بنا ، ولنا فيه مقال مسهب عنوانه « أفرض العرب النسيب فى بدء قصائدهم لغاية دينية ؟ » .

كالأعشى قبل الإسلام [١] والشاعر الذى لم يكن صوته جميلا رخيما كان يقتنى غلاماً رخيم الصوت ينشد أشعاره [٢] ولو لم يكن الإنشاد أصلا فى الشعر لما خص كل نوع من العواطف ببحر ، فنرى أن البحر الطويل يوافق لنظم الشعر الحماسى والوافر للفخر ، والرجل للحزن أو للفرح ، والسريع لتمثيل العواطف [٣] .

إذاً فالكتاب المبحوث عنه محاولة نفيسة لا يسعنا إلا إكبارها ، وإكبار صاحبها ومترجمها . وسيكون مفتاحاً من مفاتيح الموسيقى العربية الشديدة التفلت من القيود .

**روكس العزيزى**

معلم العربية وآدابها في كلية تراسانتة بالقدس

(١) التمدن الاسلامى ج ١ ص ٥٦ .

(٢) التمدن الاسلامى ج ١ ص ٥٦ .

(٣) الالياذة العربية للبستانى ص ٩٠




# مطـــاردة ... !

للقصصى الانجليزى سومرست موم

بقلم الأستاذ محمد عبد اللطيف حسن

( بقية ما نشر فى العدد الماضى )

وحلت الخمر التى شربناها فيما بعد عقدة لسانه ، فأخبرنى بعد لأى عن سبب مجيئه إلى هذه البلاد . وقبل أن يسرد على قصته الغريبة توقف عن الحديث برهة ليستعيد حوادثها وفصولها فى ذهنه ، فقد جاء — كما أخبرنى — من سومطرة ، وقد أساء إلى أحد الصينيين إساءة بالغة فأقسم هذا أن يقتله شر قتلة ، فلم يهتم الهولاندى بهذا القسم فى مبدإ الأمر وظنه من قبيل التهديد ليس إلا ، ولكن الصينى حاول أن يغتاله بعد ذلك مرتين ففشل فخشى الهولاندى على حياته واعتقد حينئذ أنه جاد فى قسمه ، ورأى من الصواب والحكمة أن يرحل عن هذه الجهات فترة من الوقت ثم يعود إليها بعد أن تسدل الستار على حادثة هذا الصينى اللعين ، فسافر إلى بافاريا ليقضى فيها بضعة أيام يروح فيها عن نفسه ولكنه لاحظ الصينى بعد مضى أسبوع من سفره يتسلل خفية فى مساء أحد الأيام بجانب حائط المنزل المجاور للفندق الذى حل به مما يدل على أنه كان يراقبه مراقبة شديدة ويتحين الفرص الملائمة لقتله . وزاد خوف الهولاندى على حياته حينما تبين له أن هذا الصينى يتبعه أينما سار ويرقبه بنظراته التى كان يتطاير منها شرر الحقد والضغينة ، فرحل فى صباح اليوم التالى إلى صربيا . وبينما كان يتجول فى أحد شوارعها الكبيرة المزدحمة بالمارة بعد ظهر أحد الأيام ، التفت وراءه فجأة فرأى الصينى يمشى وراءه بخفة وحذر ، وكان على قيد خطوات منه ، فلما التقت عيناهما تسلل الصينى كالأفعى واختفى بسرعة بين الجماهير التى كانت تملأ الشارع وذعر الهولاندى لهذه المباغتة وتأكد تماماً أن حياته قد أصبحت مهددة بالخطر ، وعاد من فوره إلى الفندق الذى كان مقيما به وحزم أمتعته على عجل وأخذ أقرب سفينة إلى سنغافورة ثم نزل فى فندق بمدينة فانويك . وبينما كان يتناول طعام الإفطار فى بهو الفندق فى صباح اليوم التالى لوصوله إلى تلك المدينة لمح الرجل الصينى يرمقه بنظراته النارية الملتهبة من خلال زجاج أحد نوافذ الفندق ، وقد التقت أبصارهما للمرة الثانية ، فأسرع الصينى بالانزواء خلف أحد الأبواب . وقد أخبرنى الهولاندى أنه كاد يصعق فى مكانه عند رؤية هذا الصينى للمرة الثالثة . وكان على ثقة وطيدة من أنه ينتظر الوقت المناسب ويترقب الفرصة الملائمة لاغتياله . وقد قرأ ذلك فى نظرات عينيه التى كانت تدل على منتهى الغدر والخيانة ، وينبعث منهما بريق الضغينة والحقد الكامنين فى أعماق نفسه .

وهنا توقف مضيفى عن الحديث ، فانتهزت هذه الفرصة السانحة وسألته قائلا :

ولم لم يذهب هذا الهولاندى إلى أحد مراكز الشرطة يحيط رجاله علماً بأمر هذا الصينى الأثيم ، فيقبضوا عليه ، وينقذوه من شره وعدوانه ؟

فأجابنى محدثى على الفور :

لست أدرى سبباً لذلك إلا أن يكون قد ظن أن هذا الأمر من التفاهة بحيث لا يجدر برجال الشرطة أن يتدخلوا فيه ، وربما يكون هنالك سر خفى لا يجب إذاعته بين الناس !

وهنا خطر لى سؤال آخر فقلت :

— وما هى تلك الجريرة التى ارتكبها هذا الهولاندى حتى جعلت ذلك الصينى يصمم على قتله مهما كلفه ذلك ، واضطرته إلى تعقبه ومطاردته فى كل مكان يذهب إليه !

فهز رفيقى رأسه متأسفاً وقال :

— إننى لا أدرى ذلك أيضاً لأنه لم يشأ أن يخبرنى به ، وعند ما ألقيت عليه هذا السؤال بدورى ، امتقع وجهه ونظر إلى من طرف عينه نظرة غريبة شزراء والتزم الصمت ! وقد تبينت من ملامح وجهه الشاحب وجبينه المقطب الكثير التجاعيد أن إساءته لهذا الصينى كانت تستحق القتل ، وهنا قدم لى مضيفى

علبة سجايره الفاخرة فتناولت منها واحدة وتناول هو أخرى وأشعل كل منا سيجارته فى وقت واحد . وظل رفيقى يدخن برهة وينظر إلى سحب الدخان التى كانت تتلاشى فى فضاء الحجرة دون أن يفوه بكلمة واحدة وأخيراً تضايقت من سكوته فقلت :

— وماذا تم فى أمر الهولندى بعد ذلك ؟

فاستجمع رفيقى شتات أفكاره واستطرد قائلا :

— كان ربان السفينة التى تسافر بين سنغافورة وكوتشنج ينزل فى نفس الفندق الذى نزل فيه الهولاندى بمدينة فانويك فى فترات الراحة بين كل رحلة وأخرى . فانتهز الهولاندى هذه الفرصة الطيبة وترك أمتعته فى الفندق ليضلل الصينى وذهب إلى ربان السفينة واتفق معه على أن يمكث فى سفينته إلى أن يحين موعد سفرها فقبل الربان ذلك عن طيب خاطر بعد أن نفحه الهولاندى مبلغاً كبيراً من المال . وهنالك هدأت أعصابه ، واطمأن خاطره بعض الشىء ، وظن أنه أصبح بمنجاة من خطر هذا الصينى الذى لم يكن يهتم بشىء قدر اهتمامه بالهرب منه ، والفرار من وجهه ، والذى أقلق باله ، وأقض مضجعه ، وجعل حياته سلسلة من الألم المتواصل ، والعذاب المستمر ! وقد شعر بالاطمئنان عند ما وصل إلى كوتشنج ، فنزل فى فندق منعزل هنالك . ولكنه أخبرنى أنه لم يكن يستطيع النوم بأى حال لأن وجه هذا الصينى كان يتمثل له فى أحلامه على الدوام ، وكثيراً ما كان يراه فى خلال نومه وقد أمسك فى يده خنجراً حاداً يلمع نصله المميت فى الفضاء ، ويهوى به بشدة وعنف على عنقه ، فيقوم من نومه فزعاً مذعوراً ، وينتفض جسمه النحيل من شدة الرعب والهلع . وقد شعرت فى الحقيقة بحزن عميق ، وتأثر كبير نحو هذا الهولاندى التعس وهو يروى لى قصته بصوت أجش مبحوح ، ولهجة مترددة متقطعة النبرات من تأثير هذا الرعب الذى استولى عليه . وقد أدركت حينئذ سبب ذلك الخوف الذى استولى عليه حينما دفع سكرتيرى باب مكتبى فجأة ، وفهمت سر تلك النظرات المتحيرة التى لاحظتها فى عينيه ، والتى لم يكن لها فى الواقع من سبب سوى هذا الخوف وحده دون سواه .

وفى ذات يوم بينما كان يطل من نافذة أحد الأندية فى كوتشنج إذ لمح الصينى يمشى فى الشارع على مقربة منه ! وقد التقت نظراتهما فى هذه المرة أيضاً ! وكاد يغمى على الهولاندى من هول هذه المفاجأة لولا أن تمالك أعصابه وأمسك بحافة النافذة بكلتا يديه . وقد خطرت له حينئذ فكرة الهرب من ذلك المكان فغادره على الفور وجاء إلى هنا دون أن يأتى معه بشىء من أمتعته سوى تلك القيثارة التى مازلت محتفظاً بها عندى إلى الآن . وقد كان متأكداً فى هذه المرة من أن الصينى لم يتبعه إلى هذا المكان البعيد .

وهنا قطعت حديث مضيفى وألقيت عليه هذا السؤل :

— ولماذا اختار الهولاندى هذا المكان دون سواه ؟

فأطرق رفيقى برأسه إلى الأرض مفكراً ثم قال :

— لأن المفروض فى تلك السفينة أن ترسو على مايقرب من الإثنى عشر شاطئاً ، ولذلك كان من الصعب على الصينى — إذا كان بالفرض موجوداً على سطحها — أن يعرف فى أى الشواطئ سينزل الهولاندى لأن الأخير كان متكتماً ذلك بقدر الإمكان حتى أن الربان نفسه لم يكن يعرف وجهته بالذات . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه كان قد تنكر بحيث يتعذر على الصينى أو أى شخص آخر معرفته .

وهنا سكت رفيقى برهة ربما يسترد أنفاسه ثم أردف قائلا :

— ولما وصل الهولاندى إلى هنا قال لى وهو ينظر حوله بارتياح ( إننى هنا فى أمان ، وإذا أمكننى أن أظل هادئاً لبضعة أيام أخر ، فإننى لا ألبث أن أستعيد صحتى ، وأسترد أعصابى المنهوكة المتعبة ! ) فابتسمت له حينئذ وقلت مشفقاً ( أمكث كيفما شئت وستكون أحسن حالا هنا إلى أن تأتى السفينة التالية فى الشهر القادم ، وإذا شئت أن أراقب الذين يفدون إلى هذا المكان فاننى على أتم الاستعداد لذلك ) .

فشكرنى بلطف على عنايتى به ، واهتمامى بأمره وقال ( أظن أنه لا داعى إلى ذلك ما دمت هنا فى أمان ) .

وقد قدته بعدئذ إلى غرفته . فلما صار بداخلها أخذ يفحصها بعناية واهتمام ثم أغلق النوافذ والأبواب بالرغم من أننى أقنعته بأنه ليس هناك ما يستوجب كل هذه الاحتياطات .

ولما تركته أغلق ورائى باب الغرفة إغلاقاً منيعاً محكماً كما لو كان يتوقع أن يهاجمه أحد !

وفى صباح اليوم التالى سألت الخادم الذى أحضر لى طعام الافطار عما إذا كان الهولاندى قد استيقظ من نومه ، فأخبرنى بأنه سيذهب ليراه . وقد سمعته بعدئذ وهو يقرع باب غرفته مرات دون أن يفتح له . فلما لم يسمع أى إجابة من الداخل طرق الباب أكثر من ذى قبل ولكن بلا فائدة . وهنا ساورنى بعض القلق لأجله فقفزت من مقعدى وهرعت بدورى إلى غرفته وطرقت الباب بكلتا يدى طرقاً عنيفاً متواصلا ولكن بدون جدوى . وأخيراً دفعت الباب بكل قوتى ودخلت الغرفة ثم اتجهت إلى الفراش وأزحت الكلة بيدى ، فوجدت الهولاندى قد فارق الحياة . وكانت عيناه جاحظتين وفيهما أثر رعب هائل ، وفزع مخيف . ووقع نظرى فى تلك اللحظة على خنجر غائر النصل فى عنقه الأبيض العارى . وقد فتشت الغرفة قطعة قطعة وجزءاً جزءاً على أعثر على أحد . فلم أجد أثراً يدلنى على المجرم . والشىء الذى أدهشنى وحيرنى أكثر من غيره هو الكيفية التى دخل بها المجرم إلى مسكنى بالرغم من أننى اتخذت كل الاحتياطات اللازمة لمنع أى كائن غريب من الدخول إليه ونبهت على الخدم بمراقبة كل شخص يستريبون فيه أويشكون فى أمره . ولكننى أرجح أن المجرم قد دخل من النافذة إذ من الممكن فتحها من الخارج . ولما كانت غرفة الهولاندى فى الطابق الأول ، فمن هنا يسهل التسلق إليها ، والدخول فيها دون إحداث أى جلبة أو صوت .

وأخيراً سكت محدثى ليشعرنى بانتهاء قصته . فلما رآنى غير مرتاح إلى هذه النهاية المحزنة نظر إلى متأسفاً وقال :

أظنك غير مرتاح إلى نهاية هذه القصة ؟

فنظرت إليه نظرة حالمة وقلت :

إنها لا بأس بها على أى حال ، ولكنى كنت أفضل سماعها فى صباح الغد عند تناول الافطار .

فضحك صديقى ضحكة قصيرة خافتة وقال :

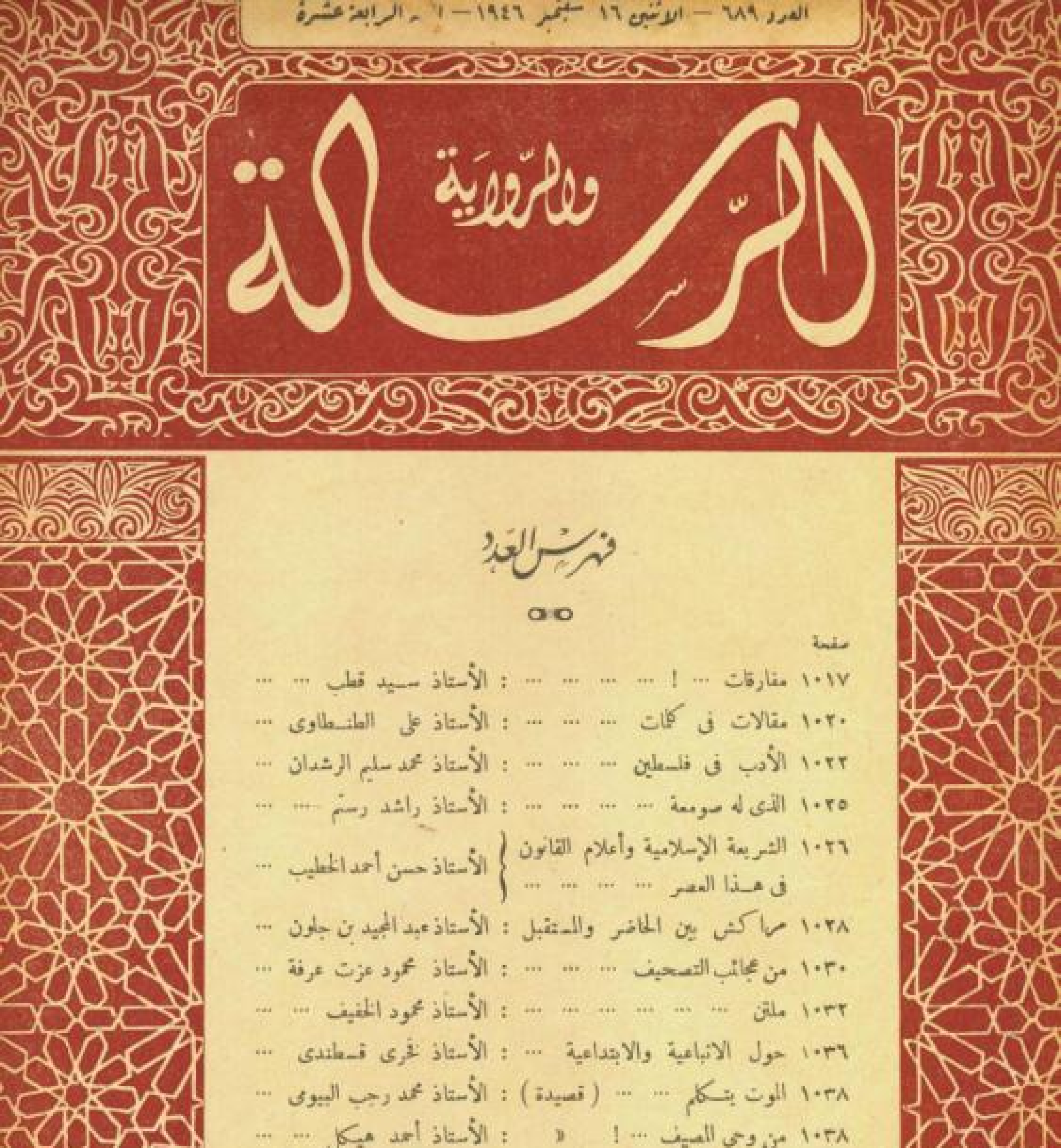
أرجو المعذرة لأننى لم أكن أظن أنها ستؤثر فى نفسك إلى هذا الحد .

قال ذلك ثم حيانى تحية المساء وأغلق وراءه باب غرفتى وانصرف .

**محمد عبد اللطيف حسن**

[ طبعت بدار الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين ]

العدد ٦٨٩ — الاثنين ١٦ سبتمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

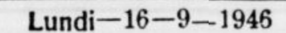



فهرس العدد



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

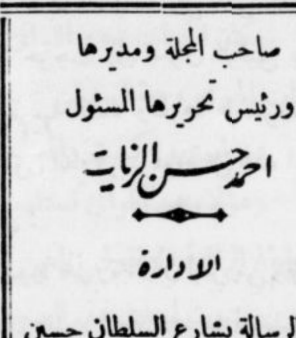
14 me Année No. 689


Lundi—16—9—1946

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique


صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٨٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ شوال سنة ١٣٦٥ — ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة



٥ — بقية من لغو الصيف :

## مفـــارقات . . . !

للأستاذ سـيد قطب

أيها القارئ ...

فى « سوق الرقيق » على البلاج ، وبين هـذا الحشد من العرايا ، وفى غمار هذا اللحم الرخيص الذى يعرض فى سوق الرقيق ، فيعبث به العابثون ، وتتدسس إليه النظرات المريضة ، دون أن يقدم على شرائه أحد إلا بثمن اللحم الرخيص !

فى هـذا المكان ... على البلاج ، يقوم البوليس بجولات للمحافظة على الآداب !

أى والله ! لا تضحك ، ولا تدهش ، فعين الدولة ساهرة على الآداب ! ويد الدولة باطشة بمن يخدش الآداب ، وبمـا يخدش الآداب !

وإليك البيان :

« مايوهات » الرجال ثلاثة أنواع :

نوع بحمالة على العاتق ، ونوع بحزام ، ونوع برباط من المطاط ... وقد استفتيتُ الآداب فقالت : إنها ترتضى النوعين الأول والثانى ... أما النوع الثالث فلا ... وليس مرد هذا كله إلى فرق فى حجم هذه الأنواع الثلاثة ولا شكلها ، ولا فى أن واحداً منها ساتر أو كاشف ... لا ... لا ... فتلك شكليات لا تعنى الآداب ! إنما السر كله فى الحمالة أو الحزام أو الرباط !

ويمر الشرطى بالشاطئ . فأما من كان لباسه بحمالة أو حزام فذاك ، وأما من كان لباسه برباط ، فيسـوقه إلى « النقطة » ما لم يتوسط فى الأمر الوسطاء !

ذلك كل ما يعنى الدولة هناك من حفظ الآداب ، وإن عين الدولة لساهرة ، وإن يدها لباطشة ... فحذار — أيها القارئ — أن تظن أن عين الدولة هناك غافلة عن رعاية الآداب ! ! !

* * *

ورعاية أخرى للآداب من تلك الرعايات فى سوق العرايا على البلاج هذه الأجساد الرخيصة المكشوفة ، المتلاحمة فى البحر وعلى الرمال ، المرمية فى أوضاع حيوانية مريضة على مشهد من الأنظار ... هذا اللحم المكدس المتخلط من نساء ورجال فى كل مكان ، حيث لا يثير فى أى حس سليم إلا التقزز والاشمئزاز ، حتى فى نفوس طلاب الجسد من ذوى الغرائز القوية السليمة !

هذا اللحم تفرق الدولة بينه فى مكان واحد على البلاج : فى الرشاش « الدش » فهو يتلاحم فى البحر كما يشاء ، ويتكدس على الرمل كما يشاء ، ويتخلج ذهابا وإيابا على الشاطئ كما يشاء . ويرى الجميع الجميع فى كل وضع وفى كل مكان ... إلا حيث يذهب هؤلاء وهؤلاء إلى الرشـاش . فهناك يكون الفصـل والحجاب !

وهان ذلك لو أن كل رشاش منفصل مستور له باب — كما فى « بلاج الارستقراط » — فهناك مظنة أن يخلع المستحم أو المستحمة لباس البحر ؛ تلك البقية الضئيلة من الستر ، ولكن رشاشات الرجال والنساء فى معظم « بلاجات الشعب » مكشوفة كرشاشات السجون التى يشكو بعضهم من خدشها للآداب هناك ! والفاصل بين هذه وتلك حائط فى الوسط ، وهذه وتلك مكشوفة من الجانب الآخر ينظر الرائحون والغادون فيرون من فيها تحت الرشاش !

وإن الأمر ليبدو « مسخرة » من المساخر . فما قيمة هذا الفصل بين الجنسين فى لحظة الرشاش ؟

وتسأل : ولمَ لا تكون هناك حمامات خاصة للسيدات ، وحمامات خاصة للرجال ؟ ولم لا يحرم لباس البحر على « البلاج » ولا يباح إلا فى الماء وفى الحمامات الخاصة لهؤلاء وهؤلاء ؟

تسأل إن واتتك الجرأة على السؤال . فهنالك مخنثون رقعاء فى الصحف الداعرة وفى كل مكان ... هناك أولاد لا أعراض لهم فى بيوتهم ، يصيحون فى وجهك كما تصيح الكلاب : هذا تأخر ! هذه رجعية ! هذا جمود !

ويقولون لك : فى أوربا وفى أمريكا ، وفى بلاد العالم المتحضر تختلط اللحوم وتتعرى الأجساد !

وفى الغابة كذلك — يا أولاد — تختلط اللحوم وتتعرى الأجساد !

ولكن الغابة أشرف وأسلم ، لأن الفطرة هنالك أصدق وأنظف ؛ فأنثى كثير من الحيوان والوحوش هناك لذكر واحد . وهى بذلك أعف وأشرف من تسعة وتسعين فى المائة ممن تنشرون صورهن عارية على البلاج ، أو شبه عارية فى الحفلات الداعرة فى أوساط « الأرستقراط » . ونفوس الذكران من الحيوان هنالك أرق وأقوى من نفوس تسعة وتسعين فى المائة من نفوس الرقعاء من مخنثى الصحافة والإذاعة والسينما والطرب فى هذه الأيام !

***

ويقولون لك : الشعب هو الذى يقبل على المجلات الداعرة ، وعلى الأفلام الفاجرة ، وعلى الأغنيات المخنثة ، وعلى كل ما يثير الغريزة فى كل وضع من الأوضاع .

وينسون جريمتهم فى انحلال الشعب ، هم والذين يسمونهم كذباً « أرستقراط » ينسون أنهم هم الذين هتفوا لكل أنثى داعرة مريضة الغريزة شاذة التكوين خرجت إلى سوق الرقيق باسم « المودرن » ! والمرأة خاصة يغريها الثناء وتغرها « المودة » ويغويها الإغراء . والرجال المخنثون الذين يشرفون على هذه المرأة لم يجدوا فى عروقهم دماء الرجال !

وينسون أن فى كل نفس بشرية غريزة ، وأن ليس من وظيفة الصحافة والفنون أن تملق هذه الغريزة وتستثيرها ، وتلح فى استثارتها ، فهى لا بد أن تستجيب !

وأن فى كل نفس بشرية كذلك ميلا إلى الترفع عن قيود الضرورة ، وأنها من هنا كذلك يمكن أن تقاد .

فى كل نفس بشرية خيط للصعود وخيط للهبوط ؛ ومن أى الخيطين يمكن أن تجذب فتستجيب . فإذا كان الرواج هو الذى يغرى هؤلاء الهابطين بتملق الغريزة ، فليجربوا الخيط الآخر فقد يؤدى كذلك إلى الرواج .

صحفيون ناجحون ، ومطربون ناجحون ، وممثلون ناجحون ، لماذا ؟ لأنهم يحترفون الدعارة والقوادة . لأنهم دعاة مواخير ... ولم يتعقب بوليس الآداب إذن مديرى المواخير ؟ ... إنهم صحفيون ناجحون ، أو مطربون ناجحون ، أو ممثلون ناجحون ... كلها « فركة كعب » بين هؤلاء وهؤلاء !

ما الفرق بين ذلك الصحفى الذى ينشر فى صحيفته تلك الصور الداعرة على البلاج أو فى حفلات « الأرستقراط » ليقودك إلى شراء صحيفته ، وبين ذلك « القواد » الذى يعرض عليك الصور العارية خلسة على المقهى أو البار ليقودك إلى الماخور ؟ !

فرق ضئيل .

ولكن عين الدولة مع ذلك ساهرة ، ويدها مع ذلك باطشة . وإذا شئت أن تتأكد ، فلتذهب إلى البلاج ، لترى كيف تفرق بين الجنسين فى الرشاش !

***

سأل ولد رقيع من أولئك الذين يسمونهم صحفيين ناجحين ، راقصة عدة أسئلة قذرة ، فأجابته بما شاء ، ليروج صحيفته بصور من الحياة الداخلية لواحدة من أولئك اللواتى لسن عذارى ولسن أمهات !

وكان فى آخر أسئلته سؤال : ما رأيك فى « بنات الذوات » :

وكان الجواب : هن اللواتى يعشن مثل حياتنا ، ثم يقال عنا : بنات الهوى ، ويقال عنهن : بنات الذوات !

رد بارع ، كدت والله أحترمها من أجله !

وهؤلاء هن اللواتى تستلهمهن الصحف الناجحة ، وتسميهن الطبقة الراقية ، وتقول : إنهن شرفن مصر فى المجتمعات .

ونشرت إحدى هذه الصحف مرة صورة نسوان من هؤلاء، يركبن الخيل فى لباس الفرسان . وقالت : لقد آن لمصر أن تستقل وهؤلاء نساؤها يزاولن جميع الرياضات ، حتى رياضة الفروسية ! كأن لم يكن ينقص مصر لتستقل إلا بضع نسوان فارغات لاهيات من أولئك اللواتى يعشن حياة الراقصات ، فيقال عن هؤلاء : إنهن بنات الهوى . ويقال عن أولئك : إنهن بنات الذوات !

* * *

ومالى وهؤلاء « الأرستقراط » ؟ الأرستقراط المزيفين الذين ليس لهم من سمات الأرستقراطية إلا الثراء . الثراء الذى دفع بعضهم فيه — على توالى الأجيال المحدودة أعراضاً — ودفع بعضهم فيه خدمات لا يرضاها الشرفاء ، للاحتلال ولغير الاحتلال ؟

مالى ولهؤلاء ؟ إنهم لا يستحقون هذه الكلمات .

ولـكن مشهداً فى « بلاج الأرستقراط » لا أنساه :

هبط إلى حرمهم المقدس — وإن لم تكن لهم حرمات — متسول عاجز ... لا أدرى كيف تسلل من عيون الشرط والحراس إلى تلك الأرض المحرمة التى لا تطؤها أقدام الشعب إلا بترخيص !

هبط إلى حيث أقامت الدولة سياجاً حول هؤلاء المقدسين ، فراراً بهم من الشعب الملمون !

هبط هذا المتسول العاجز القذر ، يسأل من هناك قوتاً وطعاماً ... لله ! ... المسكين يعرف أن الله فى كل مكان ! ! !

وإن هى إلا لحظة حتى توجهت إليه النظرات الشزر ، مصحوبة بالتأفف والتقزز والاشمئزاز . وسرعان ما تداولته أيدى الشرط والحراس ، فى حنق وغيظ : كيف جاز لهذا المنبوذ أن يطأ الأرض المحرمة التى لا تطؤها أقدام الشعب إلا بترخيص ؟ !

وبعد وساطة بعض الطيبين من حراس الشاطىء هناك رضى الشرطى أن يقذف به على « الـكورنيش » ولا يقوده إلى ( النقطة ) وحسبه ما لقى من صفعات ...

وفى وسط هذه المظاهرة تبرز فى خفية وفى تلصص فتاة ... فتاة خادم رقيقة الحال ، تبرز لتتدسس خفية إلى الرجل المسكين وتدس فى يده شيئا وهى مذعورة . ثم تهمس فى حذر : « أدى قرش ساغ ياعمى . بس إدى لى منه تعريفه. أحسن والنبى عايزاه وما عندى غير القرش ده » !

وبحث الرجل فى جيوبه فوجد نصف القرش المطلوب . فـكررت له الفتاة معذرتها فى طلب نصف القرش ، وأنا أسمع وأرى . ثم سارت تسرع الخطى ، هابطة إلى الأرض المحرمة . فهى من هناك !

وفجأة وجدت نفسى تضطرب ، فتسرع نحوها خطاى . وأمد يدى إليهـا بقرش قائلا : خذى يا بنية قرشـك الذى أعطيته للشحاذ !

ونظرت إلى برهة ثم قالت : « لا ياعم . إديه للراجل الغلبان . أنا موش عايزاه .أنا عايزه الثواب من الله ! »

الله ! لقد صدق الرجل فى حدسه ! فالله موجود فى كل مكان حتى هنا فى « بلاج الارستقراط » !!!

سيد قطب

# مقالات فى كلمات

للأستاذ على الطنطاوى

**يؤمنون بالحمار !**

وليس هؤلاء الذين يؤمنون بالحمار من بقايا المشركين الأولين الذين يكفرون من جهلهم بالله رب العالمين ، ويؤمنون بالجبت والطاغوت ، ولا الفراعنة الأقدمين عباد العجل ، ولا من إخوان البوذيين الذين يؤمنون بالبقرة ، ولكنهم قوم من المسلمين ، ومن كبار الأدباء الشاميين ، نظروا فرأوا للحمار مزايا وفضائل ليست لهذا الإنسان الذى يؤمن به أخى وصديقى الأستاذ عبدالمنعم ، فهو لا يكفر بالله ، ولا يجحد بلسانه الإله الذى خلق له هذا اللسان كما يفعل الإنسان ، ولا ينافق ويتخذ له وجهين ، ولا يثير الحروب على إخوانه فى الحمارية ، ولا يعرف جريمة القتل ، ولا رذيلة الانتحار ، ولا تشغله شهوته عن واجبه الحمارى كما تشغل بنى آدم ، ولا يفكر فى الأتان إلا مرة واحدة فى السنة ليقوم بقسطه من فضيلة العمل على بقاء النوع ... ولا ينحرف بغريزته عن طريقها فـ ( يقترب ... ) من حمارمثله ويدع جميلات الأتن ذوات الخد الأسيل والذنب الطويل والساق النحيل ... كما تنحرف غرائز بعض بنى آدم . . ولا تتبرج إناثه التبرج المغرى ، ولا تعرف البغاء الرسمى فى ( المحلات العمومية ) ولا البغاء الطليق على ( البلاج ) ، ولا البغاء الفنى فى السينما والمجلات المصورة ...

ولم يشاهدوا أتاناً ترقص رقصاً خليعاً ،أوتدخل فرقة(مرشدات) ولم يسمعوا حماراً يغنى غناء مخنثاً ، أو ينظم شعراً رمزياً ، مع سهولته عليه ، وإنه لا يكلفه إلا أن ينهق نهيقاً من بحر جديد مبتكر ؛ ورأوه مع ذلك صابراً على ما قدر عليه ، راضياً بما قسم له ، لم يستغل هذه الحرب ليسرق شعير إخوانه ... لا يغش ولا يرتشى ولا يخون ولايعرف المكر ولا الحسد ، ولايتظاهر بالدين ليصل إلى الدنيا ، ولا يتخذ العمل فى الجميعات الإسلامية سلماً إلى المناصب ؛ وهو يطيل التأمل ولكنه لا يؤذى أبناء جنسه بتدوين فلسفته ، ويأتى حين يصوت بسحجات وصيحات لها فى موسيقى الحمير جمال ، ولكنه لا يكذب فيدعى أنه من كبار الملحنين ؛ ويجىء بالبلاغة الحمارية المحدثة ، ولكنه لا يزعم أنه مجدد فى البلاغة كما يزعم بعض مشايخ بنى آدم ، لئلا يقال له : اخرس ، فما تجديدك هذا إلا نهيق !

رأوا ذلك فآمنوا بالحمار إيمان تقدير وتفضيل ، لا إيمان دين وعبادة ، فألفوا منذ ربع قرن ( جمعية الحمير ) ، وجعلوها سرية لأن الناس لم يستعدوا بعد لفهم هذه الأخلاق الحمارية ، وتقدير أهلها ، وكيف ولا يزال الواحد منهم إذا شتم آخر قال له من غروره وحماقته : يا حمار !

وقد خرج من هذه الجمعية رئيس وزارة ووزيران وخمسة من أعضاء المجمع العلمى العربى ، وكان يعطف عليها ملك عربى عظيم ويصغى مستمتعاً إلى حديثها . والانتساب إليها صعب ، لا بد فيه من ترشيح ثلاثة من الأعضاء ، وتقديم أطروحة فى شرح مزية للحمار لم تعرف ، وبعد مناقشتها ( علناً ) يقبل الطالب ويسلم إلى أحد الأعضاء لتطبيعه على طبائع الحمير ، ثم يثبت عضواً أو يرد . ولأن يصير المرء وزيراً أو أستاذاً فى الجامعة ( بقانون خاص ) أهون من أن يصير عضواً فيها

ولهم إشارة يتعارفون بها ، هى التى سرقها منهم تشرشل فعمت الأرض ، وهى الإشارة بالسبابة والوسطى إلى أذنى الحمار ، لا إلى الـ ( ڤاء ) من ( ڤيكتوار ) ! ولهم اصطلاحات فى كلامهم خاصة بهم ، منها أنه إذا دعاهم كبير جاهل ممن يحب أن يجمل بالأدباء مجالسه ، قالوا : هلم نذهب إلى المعلف ...

وإذا وصفوا غناء عبد الوهاب ( مثلا ) قالوا : ما أجمل هذا النهيق ، وإذا رأوا على غنى من أغنياء الحرب ثوباً جميلا ، قالوا : ما أحلى هذه البرذعة ... وإذا شاهدوا داره ، قالوا : ما أفخم هذا الاصطبل . وللجمعية درجات رفعوا بعضها فوق بعض ، فأعلاها اليعافرة نسبة إلى يعفور حمار النبى صلى الله عليه وسلم ، فالسياورن نسبة إلى حمار أبى سيارة الذى أجاز عليه الحجاج من المزدلفة إلى

منى أربعين سنة ، وكان يشق الناس ويقول :

خلّوا الطريق لأبى سياره

وعن مواليه بنى فزاره

حتى يجيز ســـالمًا حماره

مستقبل القبلة يدعو جاره

فقد أجار الله من أجاره

ولهم علم وأدب ، وهم يفضلون بشاراً على الشعراء لأنه توصل بحدة ذهنه ، وشدة ذكائه إلى التغزل بأتان على لسان حمار ، ويقدمون خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى لأنهما كانا يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين ويدافعان عنها ، ويثنون على من ألف ( خواطر حمار ) ومن ترجمه ...

وحديثهم طويل ، فماذا يقول فيه الاستاذ عبد المنعم ؟ أيقول إنهم ( حمير .. ) ؟ !

**أزمة القلوب فى مصر :**

أنا أحبكم والله يا أهل مصر ، فخذوها منى كلمة محب متألم لا كلمة عدو ناقم ، وإن مصر بلدى ومنها أصلى ، وفيها قلبى؛ منحته أهلها ولم آخذ منهم شيئاً ، لأنهم لم تبق لهم قلوب يحبون بها ، قد ذهبت بها صبوات النفس، ونزوات الصبا ، لقد أماتتها هذه المجلات الداعرة ، وهذه الأفلام الخليعة ، فأين الحب يحييها ؟ أين الحب فى البلد الذى لا تمنع فيه ثمرات الجمال ؟ وهل يزكو الحب إلا على المنع ؟ وهل يعيش إلا على الأمل ؟ وهل يتغذى إلا بالألم ؟

وهل الحب إلا تطلع إلى المجهول ، وتشوق إلى ما وراء ( الحجاب ) ؟ وهل أنطق الشعراء بآيات الغزل إلا ذاك ؟ وهل هذه الآلاف من السيقان الباديات على سيف الاسكندرية تبلغ كلها من نفس الشاعر كما تبلغ ومضة من بياض ساق ليلى ، لو بدت للمجنون وللعاقلين ... ساق ليلى ؟ فإذا لم تبالوا يا أهل البلاج ... بهذا الشيء الأثرى الذى يسمونه الدين فاحرصوا على الفن . حافظوا على الحب ، فالحياة الحب والحب الحياة ... فماذا تكون حياتنا بغير عاطفة ولا حب ؟ وأين الشعراء يدافعون ، لا عن الفضيلة ، بل عن الحب الذى يحتضر على رمل الاسكندرية ، على حين ترقص عند سريره الشهوات المعربدة وتصيح .

لقد كنا نقرأ ( روفائيل ) و ( الأجنحة المتكسرة ) فترفعنا إلى عالم فى السماء ، عالم مسحور كله عاطفة وفتنة وطهر ، فنتخيل فتاته فى أحلامنا تطير فى جوّ من العفاف ملفوفة بالنور ، لا بل هو شىء فوق ذلك فما يبلغ قلمى الآن وصفه ، فماذا يرى من يقرؤها اليوم من الشباب ، إنهم لا يتخيلون إلا فتاة الترام أو غادة البلاج ، أو صبية السينما ، فيسرعون إليها ، فما تكون إلا دقيقة واحدة ، حتى يتصرم الحلم ، وتمحى الرؤيا ، فنهبط من السماء إلى أعماق الفراش الدنس ...

**أعظم العظماء فى تاريخنا :**

أعظم العظماء فى تاريخنا السياسى خمسة ، لست أنكر عظمة من عداهم ، ولا أبخسه حقه ، ولا أنزل به عن مكانته . وإنى لأعلم أن فى تاريخنا لعشرة آلاف بطل ، ما تملك أمة مائة من أمثالهم ، ولكن هؤلاء الخمسة معدن آخر ، ماصنع الله منه بشراً غير نبىّ إلا هؤلاء الخمسة ، فكانوا تحقيق المثل الأعلى الذى ينتهى إليه خيال الأديب ، وتأمل الفيلسوف ، وتصوّر الانسان حينما يتصوّر الملك الكامل ، والزعيم والحاكم ، خمسة أتوام الذكاء أحدّه ، ومن الرأى أسدّه ، ومن الإخلاص أشده ، فان وزنت عظمتهم بسعة نفوسهم ، وجلال مواهبهم ، وقيمة أشخاصهم ، وجدتهم قد رجحوا فى الميزان على كل عظيم من غير الأنبياء ، وإن قستها بآثارهم الباقية ، وما صنعوا لهذه الأمة من مجد ، وما خلّفوا فيها من تراث عقلى أو وطنى أو خلقى ، ألفيتهم السابقين المبرّزين ، وإن رأيت ما أفادوا من خدماتهم ، وما انتفعوا به من سلطانهم ، وما كان لنفوسهم من حظ من ملكهم ، وجدتهم عاشوا جميعاً مثلما يعيش رجل من غمار الناس ، ما استأثروا بطيب من الطعام ولا ليّن من اللباس ، ولا أورثوا فضة ولا ذهباً ، ولا استفاد أبناؤهم منهم مالا ولا نشباً ، وإن عرضت بعد ذلك سيرهم عرض ناقد متعقب ، أو نظرت إليها نظر عدوّ شانىء ، لم تستطع أن

في ركب الوحدة العربية :

# الأدب في فلسطين ...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

— ٣ —

النثر في شتى ألوانه :

في فصل مضى ( من هذا البحث ) ، وقفت عند ثلاثة من الأدباء ، كل منهم يثبت عند حد رسالته ولا يبرحه حتى يعود إليه . وهم يجمعون في هذه الرسالات بين الأدب والتربية والتوجيه . وكلها حين تجتمع وتتسامت مع غيرها (من الألوان) ، تتألف منها صورة صادقة من صور الأدب الصحيح .

وفي هذا الفصل أتناول ثلاثة آخرين يختلفون في مناحي رسالاتهم ( أيضاً ) . ولكن هذا الاختلاف ( في رأيي ) لا يعدو كونه من المتممات التي يشتمل عليها الأدب في شتى ألوانه كما أسلفت . وهؤلاء الثلاثة هم : (باحث سياسي خطيب) و (مؤرخ يصور دقائق المجتمع الذي يعيش فيه ) و ( عالم يبسط العلم في ثوب الأدب ) .

فأما الباحث الخطيب — والخطباء ذوو الآثار عندنا قليل — فهو الأستاذ عجاج نويهض ولعلي لا أغالي إذا قلت : إنه (سحبان) هذا الجيل . فقد عرفه الناس خطيباً مدرهاً ، ولسناً مفوهاً . وهو إذا ما صعد منبراً تدفق تدفُق الأتيّ ( مرتجلاً مبتدعاً ) ، وحلق إلى رفيع الأجواء مجتذباً معه القلوب والأسماع . فهو — من غير ما جدال — فارس هذه الحلبة وابن بجدتها ، ومجلي هذا الميدان وصاحب قصبه .

وهو — إلى جانب ذلك — أديب مطبوع وكاتب سياسي لامع . وقد زامل النهضة العربية منذ شبابها ، وكانت تربطه أواصر مودة مع كثيرين من أقطابها . فطالع الناس بمجلته (العرب) أدبية سياسية ، رغبة منه في أن يساهم في بناء هذه النهضة مساهمة فعلية بقلمه وتوجيهه . فكانت — على قصر حياتها — منبر دعاة الحركة الفكرية الاستقلالية في العالمين العربي والإسلامي . واستمر ذلك من عام ١٩٣٢ حتى عام ١٩٣٤ ، حين تعرّم ( المستعمر ) فكمّ الأفواه ، وأخرس الألسن ، وبدأ — من بعد — يصنع الأعاجيب ! !

وكان الأستاذ — قبل ذلك — لا يبرح هذا الميدان في مجلات مصر وصحف الشام ، ولعله كان أبرزها يومذاك ( فتى العرب [1] ) في دمشق ، و ( كوكب الشرق ) و ( مجلة الفتح ) المصريتين ، وللأستاذ فيهما من بديع الآثار ما ينتظم هالة جهاد ونضال .

وقد جمع له الأستاذ ( محب الدين الخطيب ) في كتابه ( المنتقى ) بعض محاضراته القيمة . وإنك لتشهد إنها ( قيمة ) — لو قرأت أو سمعت — وليس الخبر كالعيان ... وللأستاذ — عدا محاضراته وأبحاثه — كتب غزيرة النفع جليلة الأثر ، بين مترجم وموضوع ، أذكر منها : « حاضر العالم الإسلامي » وهو كتاب وضعه أحد العلماء الأمريكان بعد الحرب الأولى وصف فيه نهضة العالم الإسلامي ( السياسية والاجتماعية ) ، وقد عربه الأستاذ ( نويهض ) لما رأى من أهميته ، وعلق عليه الأمير ( شكيب أرسلان ) تعليقات مستفيضة جامعة . وقد صدرت طبعته الثانية في أربعة

[1] صاحب هذه الجريدة أديب الشام الأستاذ ( معروف الأرناؤوط ) وقد تتلمذت عليه — إبان حداثتي — في كتابه (سيد قريش) ، وعرفته ( سنة المعرض ) في دمشق . فلمست فيه رزانة الحكماء وتواضع العلماء . وآثاره كثيرة قيمة ، وأسلوبه عبقري فذ . ولكن معظم من لقيت من أدباء مصر ، لا يعرفون عنه شيئاً ! !

---

تجد فيها عيباً ؛ فلا أخطأوا في سياسة ، ولا تعمدوا مظلمة ، ولا حجزوا حرية الرأي ، ولا أساءوا لمسلم ولا ذميّ ، ولا حنثوا مع محارب بقسم ، ولا نقضوا عهداً ، وكانوا مظفرين في الخارج في الحروب ، مظفرين في الداخل بالسياسة ...

أولئك هم : أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز ، ونور الدين زنكي ، وصلاح الدين .

( دمشق ) علي الطنطاوي

أجزاء . وهو إلى أن يكون موسوعة إسلامية ، أقرب منه إلى أن يكون كتاباً مقصور الأبواب .

ثم كتاب ( النظام السياسي ) : وهو كتاب يبحث تطورات الأنظمة السياسية فى المجتمع منذ أقدم عصورها إلى اليوم .

وله أيضاً كتاب ( سيرة الأمير جمال الدين — عبد الله التنوخى ) أحد أعلام لبنان فى القرن التاسع عشر .

وأما أسلوبه : فهو أسلوب يتحرر من كل قيد ويسترسل وراء المعانى ، ويراعى فيه أن يتحسس مواطن التأثير فى نفس القارىء أو السامع فيستدرجها إلى اليقظة ، ثم يدفعها بعد ذلك حيث يشاء . وإليك ما يقوله فى كلمة عنوانها ( الاستقلال العربى ) :

« الاستقلال : شق طريقه الشهداء الأبرار ، فسكنت أجسامهم الأرضين ، وأرواحهم الطاهرة أعلى عليين . عُلّقوا على الأعواد ، وجالدوا المستعمر أبسل جلاد . فاستشهدوا بين شمال الحجاز وبطاح العراق ، وتطيّب ثرى ميسلون وأرض فلسطين وسهول حوران بطيب أجلادهم وعظامهم .

نعم : الاستقلال العربى ! الذى لذكره تهتاج النفوس العربية فى كل مكان ، وتهفوا قلوبهم إليه ، وتحنوا ضلوعهم عليه . الأمة العربية قد استيقظت ، فليشهد العالم ! ولن ينكص العرب عن هذا السبيل حتى يستردوا حقهم المغصوب ، ويستعيدوا ملكهم المسلوب . ويملكوا بيدهم زمام أمرهم وبلادهم خالصة لهم .

وأمم كثيرة قبلنا كانت متفرقة مقهورة ، فكتب الله لها أن تجتمع حزمتها ثانية ، وأن تعز بعد ذل ، وتعلو بعد هبوط . ولكن كانت ( التضحية ) هى القائد ، وكان ( الفدى ) هو الدليل . »

وأما المؤرخ ( الذى يصور دقائق مجتمعه الذى يعيش فيه ) فهو الأستاذ عارف العارف — وقد بدأ حياته الأدبية ، يوم كان أسيراً فى ( سيبريا ) أثناء الحرب الكونية الأولى . إذ أصدر هناك جريدة أسماها ( ناقة الله ) كان يحررها بنفسه . وقد اطلعت على بعض أعدادها التى ما زال يحتفظ بها فألفيتها غاية فى الطرافة .

ثم ألف كتاباً عنوانه ( رؤياى ) أثناء عودته ( فاراً ) من منفاه ، عن طريق الصين فالهند ، استجابة لداعى الثورة العربية الكبرى ، بعد أن أضرم نارها يومذاك المجاهد الأكبر ( الحسين ابن على ) ، الذى قضى شهيد تلك الدعوة المباركة ، ليرقد بعيداً عن مسقط رأسه عند مهوى الأفئدة ، ومؤتم القلوب والأبصار ، عند المسجد الاقصى الذى بارك الله حوله . و كذلك قضى ( الأخيار المصطفون ) من أبنائه ( علىّ وفيصل وغازى ) ، وإنك — كائناً من كنت لتعلم من ( أولئك ) ! !

ولقد ضمن الأستاذ ( العارف ) كتابه ( رؤياى ) ما كان يساور خاطره الفتى — إذ ذاك — من أحلام ذهبية مشرقة ، وآمال باسمات عذاب . وحسبك من ذلك أن تعلم نبوءته بـ ( الجامعة العربية ) . ولم تكن هنالك للعرب دولة . بل لم تكن قامت لهم — بعد — قائمة . فأبصرها — فيما أبصر - ينتظم عقدها من كافة أقطار العروبة ، بما فى ذلك : عمان والبحرين وحضرموت وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش . كما أبصر لهذه الجامعة هيئة تنفيذية أسماها ( اللجنة العربية العليا ) ، وهى تقوم على إمضاء ما تقره تلك الجامعة مما فيه صالح العرب قاطبة ، يعززها جيش لجب مدرب ، وأساطيل كثيفة ، تمخر عباب الماء وتغمر أعنان السماء ...

ويمضى فى ( رؤياه ) على هذه الوتيرة ، يعدد ما يشاهده من مفاخر هذه الأمة ، ويستعرض ما تكون قد وصلت إليه فى ميادين التقدم والرفعة والمجد فنرجو الله أن يحقق تلك الرؤيا كاملة غير منقوصة ، بعد أن تحقق جانب منها . وما ذلك على الله بعزيز .

وللأستاذ ( العارف ) كتاب ( القضاء بين البدو ) وهو أول كتاب من نوعه ، ترجم إلى عدة لغات ، وفيه تصوير بارع لحياة البادية وتقاليدها وعاداتها ونظمها ، وما يتقيد به البدوى فى أفراحه وأتراحه وسلمه وحربه : ثم يشرح بعد ذلك الكثير من أقوالهم وحكمهم وشعرهم ، وما يسير بينهم مسير الأمثال .

وله أيضاً ( تاريخ بئر السبع ) و ( تاريخ غزة ) و ( تاريخ عسقلان ) وجميعها مطبوع . ثم ( تاريخ بيت المقدس ) وهو تاريخ ضخم ما يزال إلى اليوم مخطوطاً . وفى سائر هذه الكتب يؤرخ لتلك المدن منذ أقدم الأزمنة إلى يوم الناس هذا ، تأريخاً جامعاً شاملاً ، لا تفوته فيه سانحة ولا بارحة .

وإليك مثلا مما يكتبه ، وهو جزء من كلمة يقدم بها كتابه ( تاريخ غزة ) فيقول :

« الوحدة العربية : تلك هى أمنيتى التى أحملها بين أضلعى ،

وسرت على هداها فى أعمالى ، منذ تعلمت وعرفت معنى ( حب الوطن ) . وإنه ليسرنى أن أرى هذه الأمنية التى كانت تعد فى يوم من الأيام ضرباً من الخيال ، أو حلماً من الأحلام ، أخذت فى هذه الأيام تطل من وراء سحاب .

« وإنى لا أشك قط فى أنها ستصبح عما قليل حقيقة واقعة لا ريب فيها . وإن غداً لناظره قريب ... وإنا إذا سرنا بقدم ثابتة إلى الأمام ، اهتدينا إلى ضالتنا المنشودة فى أقصر ما يكون من الوقت ، وإلا فإن دون الوصول إليها خرط القتاد ... »

وأما العالم الذى ( يبسط العلم فى ثوب الأدب ) فهو الأستاذ قدرى حافظ طوقان ، عالم فلسطين الرياضى ، وليس عندنا من يضارعه فى هذا الميدان . وبالرغم من عمله الذى يستنزف معظم فراغه ( فى إدارة كلية النجاح بنابلس ) ، فإنه أكثر من عندنا تأليفاً ، وأوفرهم إنتاجاً . فبينا تراه يتفرغ لتأليف كتاب من كتبه ، تسمعه ( أو تقرأ عنه ) يحاضر فى مختلف أنحاء فلسطين ، وفى مواضيع علمية وأدبية وفلسفية وسياسية ( أحياناً ) . وإنك لو تتبعته فى جولاته الكثيرة بين يافا وعكا والناصرة وحيفا وغزة بل وبئر السبع ، لحسبته من ( أهل الخطوة ) الذين يتحدث عنهم جماعة ( الصوفية ) ، وهو لهم — أى للصوفية — صديق وفى . ويشهد لى بذلك من سمعه فى ( نادى الناصرة ) ، وهو يجادلنى جدالاً عنيفاً فى إحدى مشاكلهم المعقدة .

وكتبه بين مطبوع ومخطوط ورهن الترتيب والإعداد كثيرة . أذكر منها الكتب التالية : ( الكون العجيب ) وهو العدد الحادى عشر من سلسلة ( اقرأ ) . ثم كتابه ( نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية ) أصدره المقتطف عام ١٩٣٦ وقد اشترك فى إعداده مؤلفون آخرون ليكون هدية لقرائه . ثم كتابه ( تراث العرب العلمى ) وقد أصدره المقتطف أيضاً عام ١٩٤١ هدية إلى قرائه كذلك . ثم كتابه الجديد ( بين العلم والأدب ) وهو مجموعة مقالات ومحاضرات وإذاعات علمية وأدبية . ومن كتبه المخطوطة ( الأسلوب العلمى عند العرب ) وقد ألقى جانب منه فى سلسلة محاضرات ( ابن الهيثم ) التذكارية فى الجامعة المصرية . ثم كتابه ( العقل فى الإسلام ) وفيه تحليل ومحاكمة واستقراء لكثير مما وصلت إليه الأبحاث الفلسفية فى ظلال الدول العربية الإسلامية على أيدى فلاسفة المسلمين .

وأما أسلوبه فهو لا يخرج عن حد قوله فى كتابه الأخير حين يتحدث عن ( الصفر ) فيقول : « قد يدهش القارىء إذا قلنا إن حساب التمام والتفاضل لا يستغنى فى بحوثه عن استعمال الصفر ، بل إن الصفر عامل مهم جداً فى تسهيل حل كثير من مسائله العويصة . وعلى كل حال يمكن القول بأن ( الصفر ) ضرورى ولازم فى البحوث الرياضية الحديثة والعالية . إذ جعل كثيراً من الأوضاع والمعادلات قابلة للحل غير ملتوية المسالك » .

( له تكملة )

محمد سليم الرشدان
( ماجستير فى الآداب واللغات السامية )

---

صورة :

# الذى له صومعة . . .

للاستاذ راشد رستم

هذا هو صباح المادي فى الصيف : خضرة وسكون وطير . ولست أقصد إلى المقارنة ، فالأسكندرية اليوم ، رمل وبحر « وسمك » ... كلاهما جيل ، وكلاهما وفقاً للمزاج يختلفان . وحبذا فى هذه الحياة مزاج الوفاق وتوافق المزاج .

وإنى إذ أجلس وحيداً فى هذا الصباح الهادىء اللطيف ، إذكر صاحبي هناك والدنيا حوله تفور وتصخب ، وهو هو كما أعهده قابعاً فى صومعته مفكراً راضياً ساخراً ...

وإنها للذة أن يقنع المرء نفسه بصومعة ينطوى عليها وتنطوى عليه ، فهى فى الحق نظرية عملية ، إذا استطاعها امرؤ فبشره بالفوز العظيم فى معترك الجهاد الأكبر ، إذ هى وحقيقة الحياة تسيران جنباً إلى جنب ، والمرء فيها كالقطرة فى النهر ، لها وحدتها ، ولكنها تجرى وماء النهر من المنبع إلى المصب ...

* * *

وهذا الذى يرونه فيلسوفاً ساخراً ، ما هو إلا روح هادىء قانع قابع ، لا قانط ولا ساخط ، قد عرف الأشياء وعرفته ، وجرب الحوادث وجربته ، وسار مع الأيام وسيرته ، ثم ارتفع بروحه إلى سموات التأمل والتفكير ، مصطحباً الحس والشعور ، حتى لا يضيع بين الوهم والغرور ، وقد طوف فى تلك الأرجاء مع القديم من الأحياء والجديد من الآراء ، ثم عاد وفى نفسه أن ينظر ويرى .

فماذا يرى ؟ — يرى أن يحتفظ بذاته ، منفرداً غير وحيد ، مبتعداً غير بعيد ، فتحول بينه وبين ما يريد « جاذبية » الأم الحنون — هذه الأرض التى خلق منها ، ولا أقول خلق « فيها » فقد يخلق الشىء من شىء ويوضع فى شىء ، فلا يستطيع البقاء مع الشىء الذى وضع فيه ، ويرتد إلى الشىء الذى خلق منه . وقد يكون المرء فى هذا غير فاهم ما يحصل له ، وهو إذن فى جهل ونعيم .

وقد يكون فاهماً ما يحصل له ، وهو إذن فى علم وشقاء ...

* * *

وهذا آدم أبو البشر بل رمز البشر ، وقعت له الوقعتين ، فجهل الأولى وعرف الثانية . عرف أنه من التراب وإلى التراب يعود . ومن ينبه الذى يدرك ما هو فيه ، هو المعذب فى الحياة ، يقاسيها لأنه يعلم إنه لا مفر له منها . ويعانيها لأنها تعنيه ...

إذن ماذا يستطيع هذا أن يفعل غير أن ينفر ويسخر ثم يقنع ويقبع . يعيش مع نفسه وفى نفسه وإن لم يكن لنفسه ، يرجو أن يعيش وفق خطته وهواه ، وأن لا يزاحمه أحد فى « دنياه » ، وهو بعد ليس بالأنانى ، يحب نفسه ويكره سواه ، ولكنه الإنسان ، يمنع الشر عن أى أحد ، ويتمنى الخير لكل أحد ، ويرجو ألا يصيبه الشر من أحد ، حتى ولو لم ينله الخير من أحد ... هذا تفكيره ، فهل هكذا مصيره ؟

* * *

يعيش هكذا فى « دنياه » ، ممتزاً بروحه ورضاه ، معتزلا غير منعزل ، لا يهمل كما لا يحفل برأى الناس فيه ، ولا يعنى بما ليس يعنيه ...

غير أن الأيام وقد ظن أنها كفلته وأمنته تأتى فتمرضه وتشفيه ، فيعلم مداه من اليأس والبأس والناس ، فيأنس دون أن يبتئس أو ييأس .

ثم تعود فتفقده عزيزاً غالياً ، فينتبه من تيه ، ويرى شيئاً لم يكن يرتئيه ، يحس بأن المصير ، هو غير ما كان عليه التفكير ، ويأخذه الذهول ، وكأنه يرضيه أو أنه قد يشفيه مما صار فيه ، ولكنه يحس دبيب الأسى يوقظه ، ويحركه ويدفعه ، فيمشى يتلمس فى الوجود ، الموجود والمفقود ، لا والد ولا مولود ، يفتقد صاحبه فلا يجده ، ويذكر هواه ولا ينساه ، ويهفو ولا يلهو ، فيراه الناس كئيباً حزيناً ، ثم يراهم يحسبونه مثلهم — ساعة وكل شىء يزول ...

ساعة وكل شىء يزول ! فيعجب ثم يضطرب بل ينتفض ويرتعد ويبتعد قليلا ... ثم يعود ، فلا يراه أحد كئيباً حزيناً ، فقد خجل أن يكون مثلهم ، وهو ... هو الكئيب الحزين ... يدخل الصومعة ولكنه يسير بها فى المعمعة ...

راشد رستم

# الشريعة الإسلامية

## وأعلام القانون في هذا العصر

للاستاذ حسن أحمد الخطيب

عنيت طائفة من علماء الغرب ومحبي البحث بآثار المشارقة وعلومهم وفنونهم ، فكان منهم الباحث في اللغة العربية خاصة ، واللغات الشرقية عامة : يبحث في أصولها ومشتقاتها وتطور ألفاظها وكلماتها ، ومنهم المطلع على آدابها والمعنى بطبع أهم الكتب العربية والأدبية ونشرها بعد تصحيحها وضبطها وتعليق الحواشي بما يعين على الفهم ويفتح المستغلق .

ومنهم من تعدى ذلك ، فبحث في العلوم الشرعية من علوم القرآن والتفسير والحديث . ومنهم من نظر في الفقه الإسلامي ، فاطلع على دقائقه وغاص في بحره ، وعلم أن فيه ثروة واسعة وكنوزا نفيسة ، فنوه بشأنه وشاد بذكره ، ولفت أعلام القانون في وطنه إلى هذه الثروة القانونية فأعجبوا بها ، وأقروا بقوتها ومبلغ أثرها في الحضارة والإصلاح .

وإلى هؤلاء تجد عنقاً[1] من أقطاب القانون في مصر وغيرها من الأقطار الشرقية — قد عرفوا ثراءها وخصبها والحياة القوية الكامنة فيها ، فدعوا إلى النهل منها واتخاذها أساساً يرجع إليه في التشريع في مصر وغيرها من البلاد العربية والشرقية .

وإنا لذا كرون هنا آراء بعض أئمة العلم والقانون — في الشريعة الإسلامية من أولئك المنصفين من غربيين وشرقيين لتعرف أن الحق لا يعدم نصيراً ، وإنه يجب اتخاذ تلك الشريعة أساساً ومصدراً لتشريعنا في هذا العصر :

١ — يرى الأستاذ لامبير[2] الفرنسي : أن الكتب والمؤلفات الموضوعة في الشريعة الإسلامية كنز لا يفنى ، ومنبع لا ينضب ، وإنه خير ما يلجأ إليه المصريون في العصر الحاضر في البحوث العلمية حتى يعيدوا لمصر ولبلاد العرب هذا المجد العلمي الذي أخذ الزمن يطويه بحكم الإهمال وعدم العناية به .

وكان يظن أن للقانون الروماني أثراً كبيراً في الشريعة الإسلامية ولكن استبان له بعد أن عمق النظر فيها ، وأوغل في دراستها ، واتصل بعلمائها أنها شريعة مستقلة بذاتها .

٢ — وقال « ليفي أولمان » الأستاذ بكلية الحقوق بباريس في رسالة الدكتور محمد صادق فهمي التي ألفها في الإثبات باللغة الفرنسية ، وعرض فيها لما قرره علماء الشريعة الإسلامية وبخاصة ابن قيم الجوزية :

« إن كتاب الدكتور صادق جدير بأن يلحق بالكتب المكونة للمجموعات العلمية القانونية الحاضرة كمجموعة سالي وغيره من رؤوس القانون في عصر النهضة القانونية الحاضرة ، كل ذلك على اعتبار الشريعة الإسلامية في المعاملات مصدراً حياً للقانون المصري ، ومناطاً للحق في أطواره المختلفة .

٣ — وقال الدكتور « أنريكو انساباتو » : إن الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الأوربية ، بل هي التي تعطي للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً .

٤ — وقال بعض الفقهاء : الشريعة الإسلامية بحر لا ساحل له

٥ — وقال فارس بك الخوري في حفل أقيم في دمشق لإحياء ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم :

إن محمداً أعظم عظماء العالم ، ولم يجد الدهر بمثله . والدين الذي جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها ، وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الإعتراف بفضل الذي دعا الناس إليها باسم الله ، وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية .

إن محمداً الذي تحتفلون به ، وتكرمون ذكراه أعظم عظماء الأرض سابقهم ولا حقهم : فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ ، وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها .

---

(١) جماعة .

(٢) أستاذ القانون المقارن بليون بفرنسا .

٦ — وقال العلامة سنتيلانا فى بعض مؤلفاته :

« إن فى الفقه الإسلامى ما يكفى المسلمين فى تشريعهم المدنى إن لم نقل إن فيه ما يكفى الإنسانية كلها » .

٧ — وقال الأستاذ سليم باز المسيحى اللبنانى شارح مجلة الأحكام العدلية :

« إننى أعتقد بكل اطمئنان أن فى الفقه الإسلامى كل حاجة البشر من عقود ومعاملات وأقضية والتزامات ، وليس الشاهد على ذلك ما هو ماثل للأنظار فى دار الكتب المصرية وخزائن الكتب فى البلاد الإسلامية فحسب ، بل فيما حوته خزائن دور الكتب الأوربية أيضاً من ليدن فى هولندا إلى روما وبرلين وباريس والمتحف البريطانى ، بل إلى المكتبة البابوية فى قصر الفاتيكان ، فإن مافى هذه المكتبات من الكتب الفقهية الإسلامية إنما هو ثمرة جهود الألوف الكثيرة من فحول العلماء، وهى الشاهد الأكبر على أنه لا يوجد معنى من معانى الأحكام المنشود فيها العدل ، ولا حاجة من حاجات البشر فى التشريع إلا تقدم لفقيه مسلم قول فيه .

٨ — وقال كيهلر العالم القانونى الألمانى — حينما اطلع على رسالة الدكتور محمود فتحى فى مذهب الاعتساف فى استعمال الحق عند فقهاء الإسلام :

« إن الألمان كانوا يتيهون عجباً على غيرهم فى ابتكار نظرية الاعتساف والتشريع لها فى القانون المدنى الألمانى الذى وضع سنة ١٧٨٧ م ، أما وقد ظهر كتاب الدكتور فتحى وأفاض فى شرح هذا المبدأ عند رجال التشريع الإسلامى ، وأبان أن رجال الفقه الإسلامى تكلموا عنه طويلا ابتداء من القرن الثامن الميلادى — فإنه يجدر بالعلم القانونى الألمانى أن يترك مجد العمل بهذا المبدأ لأهله الذين عرفوه قبل أن يعرفه الألمان بعشرة قرون ، وأهله هم حملة الشريعة الإسلامية .

٩ — وقال العلامة الأستاذ شبرل عميد كلية الحقوق بجامعة ڤينا فى مؤتمر الحقوقيين سنة ١٩٢٧ م :

« إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها ، إذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتى بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفى سنة » .

١٠ — وقال هوكنج الأمريكى أستاذ الفلسفة بجامعة هارفرد فى كتابه « روح السياسة العالمية » :

« إنى أشعر بأنى على حق حين أقدر أن الشريعة الإسلامية تحتوى على جميع المبادئ اللازمة للنهوض » .

١١ — وقال الدكتور عبد الرزاق السنهورى عميد كلية الحقوق المصرية السابق من محاضرة له :

« علينا أن نأخذ فى دراسة الشريعة الإسلامية طبقاً للأساليب الحديثة ، وأن نقارن بينها وبين شرائع الغرب ، وإنى زعيم لكم بأن تجدوا فى ذخائر الشريعة الإسلامية من المبادئ والنظريات ما لا يقل فى رقى الصياغة وفى إحكام الصنعة عن أحدث المبادئ والنظريات وأكثرها تقدماً فى الفقه الغربى » .

١٢ — وقال الدكتور عبد السلام ذهنى المستشار بمحكمة الاستئناف المختلطة ، وهو القانونى المتضلع ، والرجل المنصف الذى عرف للشريعة الإسلامية قدرها ، وبذل غاية وكده فى إنصافها :

« إن بحوث أهل الشريعة الإسلامية فى المعاملات مستفيضة بكثرة لا حد لها ، وفيها كنوز قيمة من البحوث العلمية والعملية فى المعاملات ؛ هى أكبر تراث تركه الآباء فى البلاد الناطقة بالضاد »

وقال فى موضع آخر :

« إن الشريعة الإسلامية مليئة فيما يتعلق بالمعاملات بأصول مدنية غاية فى الدقة والمتانة ... ولأحكامها فى المعاملات من القدرة والقوة والتفوق ما يجعلها بحق فى مستوى واحد مع القوانين المدنية المصرية من حيث الدعائم الأولى لعلم القانون ، ولعلم القانون المقارن ... إلى أن قال :

« وفى الأخذ بالشريعة الإسلامية فى المعاملات المدنية تمكين للنزعة القومية فى مصر ، وانتصار للكيان الشرقى العربى وكرامته ، وفيه إحياء لمجد مدفون بغير حق ، وبعث لحياة شرقية عربية جديدة بحق »

١٣ — وقال الأستاذ على بدوى المحامى وعميد كلية الحقوق

# مراكش
## بين الحاضر والمستقبل
للأستاذ عبد المجيد بن جلون

لم يكن الفرنسيون يقدرون تمام التقدير الحركة الوطنية في مراكش قبل الحرب الأخيرة. كانوا ينظرون إليها على أنها أحلام مزخرفة تتراءى لجماعة من الشبان بعيدة كل البعد عن الوقائع والمحسوسات؛ وكانوا يقولون إن هناك هوة سحيقة بين هذه الجماعة من الشبان وبين بقية الشعب، ولذلك ظلت الحركة الوطنية في جزر ومد إلى أن كانت سنة ١٩٣٧ حينما اغتالت السلطة الفرنسية هذه الحركة وشردت زعماءها في المنافي والسجون.

ولكن الحركة الوطنية في مراكش كانت قد آتت ثمارها في نفوس الشعب قبل هذا التاريخ، ولذلك فإن مظهر الشلل الذي أصابها بعد ذلك لم يكن له أي اتصال بالجوهر والصميم. كان من العوارض التي تنزل بالأمم عند ما تصاب بالنكبات القاصمة، فتذهلها فترة من الزمن عن إيمانها، ولكنها لا تخنق فيها نبض الحياة متى كان للحياة نبض في أعماقها. حتى إذا استأنس الشعب بالنكبة وألفها، بدأ إيمانه يستيقظ في شكل همس ثم في شكل صوت ثم في شكل جلجلة مدوية.

وهذا ما حدث في مراكش بالضبط: تظاهر ضدها الموت والجوع والحرب والاضطهاد، وبالرغم من ذلك استطاعت أن تواصل كفاحها السياسي، وأن تتقبل كل التهم التي وجهت إليها كما تتقبل العذراء البريئة تهم الافك والبهتان. بل استطاعت في خلال الحرب ذاتها أن تخوض في صمت وجلد، وهي بعيدة كل البعد عن الضمير العالمي، معركة استقلالية دامية، وجه الفرنسيون خلالها نحو قلب هذه البلاد الباسلة كل ما يملكون من حديد ونار، دون أن يستطيعوا إخماد النبض فيه. وإذن فالمسألة ليست مسألة شبيبة حالمة، وإنما هي مسألة نظام بال تقادم عليه الدهر وتزعزع. إنها الأخطاء الفرنسية بدأت تؤتي ثمارها الكريهة المسمومة. إنه الشعور بالذات في أمة لم تصمم على الاستمساك بالحياة فحسب، بل صممت أيضاً على أن تعيش حياة حرة كريمة تختلف كل الاختلاف عن الحياة التي عرفتها منذ ثلث قرن مضى في ظل الحماية الفرنسية.

---

السابق من مقال له عنوانه: « مكانة الشريعة الإسلامية في الفقه الحديث ».

« ليست مظاهر استقلال الفقه الإسلامي وتفوقه محصورة في القواعد المدنية والأحوال الشخصية... ولكنها تبينت كذلك في عدة مواضع من التشريع الجنائي الإسلامي »... ثم قال:

« إن الشريعة الإسلامية تشمل من مبادئ العقوبة ونظمها ما لا يقل في سعة النطاق وفي تهذيب الفكرة عن أحدث المبادئ والنظم الوضعية، ومنها ما لم يكن له مثيل في نظم العقوبات الرومانية، ومن هذه النظم نظام الحسبة في الشريعة الإسلامية، وهي وظيفة اجتماعية في العصر القديم تقابل وظيفة النيابة العمومية في العصر الحديث. ومنها كذلك نظام العقاب بالتعزير، وهو أن يترك تحديد العقوبة — نوعاً ومقداراً — إلى تقدير القاضي يحكم بها تبعاً لما يتضح لديه من ظروف كل جريمة، ولحالة المجرم ونفسيته ودرجة ميله إلى الإجرام، وهو نظام تمتاز به الشريعة الإسلامية على الشرائع الأخرى، وينادي به كبار العلماء الجنائيين في العصر الحديث، حتى تكون العقوبات محققة للغاية من تشريعها ».

١٤ — ثم جاء قرار المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي انعقد بلاهاي في أوائل أغسطس سنة ١٩٣٧ م — مظهراً فضل هذه الشريعة ورسوخ قدمها وعلو كعبها، وهو الذي جمع أقطاب القانون وأعلام الشرائع في العصر الحاضر — وخلاصته أن الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور ومسايرة المدنية الحديثة، وأنها لذلك جديرة بأن تشغل مكانة ممتازة بين مصادر القانون المقارن ».

وبذلك أحرزت الشريعة الإسلامية قصب السبق، وفازت فوزاً عظيما، واعترف بمجدها الخالد الغربيون.

حسن أحمد الخطيب

ظلت فرنسا طيلة مدة الحرب تقريباً مهددة فى كيانها ، فشككها ذلك فى تلك السياسة العتيقة التى كانت تسير عليها فى الشمال الأفريقى ، وظهر لأول مرة فى الأحزاب الفرنسية من ينادى بما يسمى تارة إعطاء الحقوق أو عدم الاضطهاد أو المساواة بين سكان جميع الأراضى الخاضعة أو التابعة لفرنسا . وبدأت تظهر نتائج هذه الأفكار بالنسبة لمراكش ، فاطلق سراح الزعماء الذين قلنا عنهم فيما مضى إن فرنسا اغتالت الحركة التى كانوا قائمين بها سنة ١٩٣٧ ، وعلى رأسهم الأستاذ محمد علال الفاسى بطل حوادث تلك السنة . وظهرت كذلك فى الوسط الحكومى أفكار نيرة كانت تعد إلحادا قبل الحرب الأخيرة ، فبدأ الناس يقرأون فى البلاغات الرسمية ويسمعون فى الدوائر الحكومية عن حقوق الشعب والرخاء العام ، والعمل للمستقبل ، ومحاربة الجهل والفقر والجوع ... الخ . وهذا شىء جديد بالنسبة لما قبل الحرب فى مراكش

وهكذا اعتقد الناس أن الطريق نحو المستقبل قد بدأ يلوح أمام هذه الأمة التى ضلت تلك الطريق منذ زمن ليس بالقصير . بيد أنه يظهر أن الفرنسيين لم يستطيعوا أن يتخلصوا نهائيا من تلك الأفكار العتيقة التى كانوا يسوسون امبراطوريتهم على ضوئها . وبالرغم من أنه لم تمر سوى بضعة شهور على هذا الاتجاه الجديد فى السياسة الفرنسية فقد بدأ يظهر فى أفقها نوع من التردد الواضح ، وما يدل على أن الفرنسيين لا يزالون بعيدين عن الإيمان العميق بتلك الأفكار الجديدة التى دفعتهم إليها الحرب الأخيرة .

ومصدر هذا التردد هو أن الفرنسيين اعتقدوا أن سياسة اللين أجدى على الأمبراطورية من سياسة العنف ، أى أن هدف اللين اليوم هو نفس هدف العنف بالأمس . ودليلنا على ذلك هو أن مشروع الوحدة الفرنسية الذى أشارت إليه المادة ٤١ من الدستور الذى خذله الفرنسيون فى الانتخابات الأخيرة ، لم يقم أى وزن لآراء هذه البلاد ولم يوص باستشارتها بل فرضها فرضاً ؛ فهو مشروع فرنسى من فرنسا وإلى فرنسا .

أضف إلى ذلك أن سفير فرنسا ومقيمها العام الجديد فى مراكش ، وهو الذى أرسلته حكومته لانتهاج خطة جديدة فى هذه البلاد التى أنهكتها القلاقل — أعلن برنامجا سياسيا إعتبره المراكشيون ضربة لآمالهم فى الصميم ، ووصفوه بأنه تماد مع سبق الأصرار فى فرض الحماية والأغراق فى تنفيذها ، هذه الحماية التى حاربوا طول مدة ثلث قرن فى سبيل القضاء عليها . والبرنامج يتحدث عن السنين البعيدة المقبلة مقرونة بالحماية وما سوف تقوم به فى المستقبل من أعمال ، ولم يشر البرنامج أية إشارة إلى الإصلاح السياسى أو إعادة النظر فى المعاهدة ، بل اكتفى بالإشارة إلى الإصلاحات المادية المختلفة ناسيا أن يذكر أن الحماية الفرنسية كانت مصدراً رئيسياً لكل هذه الويلات التى تعانيها مراكش ، والتى يظهر أن الفرنسيين لا يفهمونها ، فإن من الواضح بعد هذه التجربة الطويلة أنه لا يمكن القيام بأى إصلاح فى هذه البلاد ما دامت الحماية قائمة ، بل يرجح القارئ أن واضع البرنامج لم يسمع شيئا عن مشروع الوحدة الفرنسية ؛ فهو مهما يقل فيه اعتراف صريح بأن النظام القائم الآن لم يعد صالحاً وكأنه لم يسمع شيئاً أيضاً عن تاريخ مراكش خلال ثلث القرن الأخير .

وإذن فنحن لا نتردد فى القول بأن مستقبل مراكش ما زال محفوفا بالأخطار ، وإن الابتسامة الحاضرة هى صرف للنظر أو تخدير للأعصاب . هى كسب للوقت بالنسبة لفرنسا وإضاعة للوقت بالنسبة لمراكش ، ولكن الذى يسرنا أن نعلنه هنا هو أن حزب الاستقلال المراكشى ، وهو الحزب الذى يعبر عن صوت الأمة القوى المجلجل ، قد أعلن سخطه على بوادر السياسة الفرنسية ورفض أن يتعاون مع الحكومة أو أن يهادنها ما لم تعلن صراحة أن معاهدة الحماية ملغاة . وبعد ذلك تبدأ المفاوضات بين حكومة مراكشية شرعية وبين حكومة فرنسا لعقد معاهدة جديدة بين الطرفين .

لن يقبل المراكشيون غير هذا . والظاهر إلى الآن أن فرنسا غير مستعدة للنظر فيما يشبه هذا ، وإذن فراكش ما تزال مهددة بأن يكون لها مستقبل شبيه بذلك الماضى القريب ، خصوصاً إذا لم يصل وفد حزب الاستقلال الذى يوجد الآن فى باريس مع رجال فرنسا إلى نتيجة مرضية ، ففى حاضر مراكش الآن هدوء ولكنه ربما كان الهدوء الذى يسبق العاصفة .

**عبد المجيد بن جلون**

# من عجـــائب التصحيف

للأســتاذ محمود عزت عرفة

( تتمة ما نشر فى العدد الماضى )

... ومن عجائب التصحيف أن أحدهم ربما يقع فيه فيخرج بما هو خير من الأصل ، بتصحيح حسن للصحيح ، فيقبل ذلك منه ويحفظ عنه ... كالذى يروى عن جابر بن هبة الله أنه قرأ على الحريرى مقاماته — فى سنة أربع عشرة وخمسمائة — فلما بلغ قوله[1] :

يأهلَ ذا المغنى وُقيتم شراً ولا لقيتم ما بقيتم ضُـراً
قد دفع الليلُ الذى اكفهراً إلى ذراكم شَـعِثاً مغْـبراً

قرأها ( سغباً معتراً ) ... ففكر الحريرى ساعة ثم قال : والله لقد أجدت التصحيف فإنه أجود ، فرب شعثٍ غير محتاج ، والسغب المعتر موضع الحاجة . ولولا أنى قد كتبت خطى إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئت على ، لغيرت الشعث بالسغب ، والمغبر بالمعتر[2] .

وربما كان يفضى التصحيف أحياناً إلى بركة ونفع ، ويعود بخير على قارفه أو على من يتصل به ... كالذى يروى أن تميم بن زيد القضاعى كان والياً على الهند ، وكان فى حبسه رجل يقال له خُنيس أو حُبَيْش؛ فلما طال حبسه أتت أمه قبرغالب بن صعصعة ( أبو الفرزدق الشاعر ) ، فأقامت عنده حتى علم الفرزدق بمكانها فأتته وذكرت حبس ابنها ، فكتب إلى تميم بن زيد :

فهب لى حبيشاً واتخذ فيه منّة لغصة أمّ ما يسوغُ شرابُها
أتتنى فعاذت يا تميمُ بغالبٍ وبالحفرة السافى عليه ترابُها
تميمَ بن زيد لا تكوننّ حاجتى بظهر، فلا يخفى عليك جوابُها

فلما أتاه الكتاب لم يدر أحبيش أم خنيس ، وفى حبسه عدة حبيش وخنيس ، فأطلقهم جميعاً ...

(١) المقامة الخامسة الكوفية .

(٢) ينسب أبو محمد بن الخشاب البغدادى إلى الحريرى أنه كان كثير المحو والاثبات فى مقاماته ، يسكر على النسخة ، يرظنا منه أنه أخطأ ، وكيف وقد غربت وشرقت ، وأشأمت وأعرقت ، : من رسالة ابن الخشاب .

وحكى أبو الحسن بن السكوفى عن محمد بن عبيد عن شيخ له أن رجلا كان يقرأ على الأصمعى شعر النابغة فقال : كلينى لهمّ يا أميمـةَ باضتِ ... بدل ناصبِ . فقال الأصمعى : أما علمت — ويلك — أن كل ناجة الأذنين تحيض ، وكل سكّاء الأذنين تبيض ! فصار تصحيف الرجل فائدة لنا . ثم قال ابن السكوفى : لا أعلم تصحيفاً جر فائدة إلا هذا الحرف !

على أن للتصحيف — على عكس ما ذكرنا — جنايات قد تلحق غير أهله ، وشؤماً ربما أصاب من لم يتعلق منه بسبب . فمن الذين جنى عليهم التصحيف حبيش بن الحسن الأعسم أحد تلاميذ حنين بن إسحق الطبيب . قال القفطى: « من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له ، فإن أكثر ما نقله حبيش نسب إلى حنين . وكثيراً ما ترى الجهال شيئاً من الكتب القديمة مترجماً بنقل حبيش ، فيظن الغرّ منهم أن الناسخ أخطأ فى الأسم ، ويغلب على ظنه أنه حنين وقد صُحّف ، فيكشطه ويجعله لحنين !

ولعل أبلغ جنايات التصحيف إنما وقعت على مخنّثى المدينة الذين خصى ستة منهم أو سبعة بشؤم تصحيفة واحدة . وحديث ذلك أن سليمان بن عبد الملك كتب إلى ابن حزم أمير المدينة أن أحص من قِبَلك من المخنثين . فصحّف كاتبه فقرأها : اخص من قبلك من المخنثين ( بالخاء المنقوطة ) ، فدعا ابن حزم بهم فخصاهم . وكان ممن خصى بشؤم هذه النقطة : طوَيس ودلال وبرد الفؤاد ونومة الضحى ونسيم السحر وضرة الشمس .

قال جعـدبة : قلت لكاتب ابن حزم : يزعم المخنثون أنه كُتب إليهم أن ( أحصهم ) . فقال : يا ابن أخى ! عليها نقطة إن شئت أريتكها... قال : وقال الأصمعى فى روايته : عليها نقطة مثل سهيل[1] ، ولما وقعت الواقعة على طويس قال : هذا الختان الأكبر ! وقال نسيم السحر : أف لكم ، ما سلبتمونى إلا ميزاب بولى !

* * *

هذا ، وللمصحفين لجاج يدفعهم إليه ضعف مُنّتهم عند المحاجة ، وقد يفضى بهم ذلك إلى الإفراط فى المماراة وإلى الكذب والدعوى والاختلاق ، على حد قول القائل فى أحدهم :

يكسر الشعر فإن عاتبته . فى محال قال فى هـذا لغة !

(١) نجم فى السماء معروفة يظهر للرائى بوضوح .

حدث المبرد قال : أنشدنا يوماً أبو العلاء المنقرى :

قفا نبـــك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومرى

فقلت : باللام . فقال : كذا قلت باللام فحومرلى !

وقال محمد بن عمر الجرجانى : صحف ابن الأعرابى فى شعر الكميت وأنا حاضر ، فأنشد :

فبانوا من بنى أسد عليهم
نجارٌ من خزيمةَ ذى القبولِ

فقلت : إنما هو ( باتوا ) بالتاء . فلوى شدقه !

فقلت : إن بعد هذا البيت ذِكرُ المبيت :

وقالوا[1] بالأيامن مُنتهاهم
فيا بعد البيت من القيـل !

فقال : لا يُلتفت إلى هذا ! ثم بلغنى أنه ينشده كما قلت له ! !

وحدث على بن الحسن الإسكافى قال : لما خرج « بغاء » إلى منبج متقلداً أمرها كان معه كاتب ، فقرأ عليه يوماً كتاب عامله بسميساط ، وأن فلاناً سقط عن ( يرذونة ) يعنى ( برذونه )[2] . فقال بغاء: مايرذونة ويحك ؟ ؟ فقال : جبل بين سميساط والروم ، وهو الحد بينهما . قال : فلم ندر من أى شىء نعجب ، من تصحيفه ، أم من احتجاجه بما احتج به ! ؟

***

وقد وضع اللغويون فى التصحيف والتحريف كتباً كثيرة ، ولكن لم يصل إلى أيدينا منها إلا القليل . ونحن نشير هنا إلى أهم هذه المصنفات وأسماء مؤلفيها :

١ — كتاب تصحيف العلماء لأبى محمد بن قتيبة ( توفى عام ٢٧٠ هـ ) .

٢ — المصحَّف لعلى بن الحسن الهنائى ( توفى بعد سنة ٣٠٩ هـ ) .

٣ — الكلام على ابن قتيبة فى تصحيف العلماء ، لأبى محمد ابن درستويه ( توفى عام ٣٤٧ هـ ) .

٤ — التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه ، للحسن ابن عبد الله بن سعيد العسكرى ( توفى عام ٣٨٢ هـ ) .

٥ — التصحيف للدارقطنى — أبو الحسن على بن عمر ( توفى عام ٣٨٥ هـ ) .

٦ — الرد على حمزة فى حدوث التصحيف لإسحق ابن أحمد الصفار ( توفى بعد عام ٤٠٥ هـ ) .

٧ — التصحيف والتحريف لعثمان بن عيسى البلَطى ( توفى عام ٥٩٩ هـ ) .

٨ — متنزه القلوب فى التصحيف ، لعلى بن الحسن الحلّى ( توفى عام ٦٠١ هـ ) .

***

هذا ما عنَّ لنا أن نبسط القول فيه من موضوع التصحيف والتحريف ؛ وقد أغفلنا ما كنا أزمعنا الإشارة إليه من طرائف التصحيفات التى وقعت لنا خاصة ، أو لبعض معارفنا من أفاضل الأدباء على هذا العهد ، فلذلك مجال آخر من الحديث ، ولسنا نكره أن يسبقنا إليه بعض الأدباء ممن تتوفر لديهم بواعث الإفاضة فيه .

ومنا إلى الأستاذ الطنطاوى — الذى بعثنا على كتابة هذه الكلمة بين سغب رمضان وحر الصعيد — أطيب تحية وأزكى سلام ...

( جرجا ) **محمود عزت عرفة**

**مراجع المقال :**

١ - الفهرست لابن النديم .
٢ — معجم الأدباء لياقوت .
٣ — التصحيف والتحريف للعسكرى
٤ — إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى .
٥ — المزهر للسيوطى .
٦ - إحياء علوم الدين للغزالى
٧ — مطالع البدور لعلاء الدين البهائى .
٨ — حياة الحيوان الكبرى للدميرى . . وبعض مصادر أخرى



(١) من القيلولة وهي نوم منتصف النهار .
(٢) البرذون دابة الحمل الثقيلة ، أو التركى من الخيل .

الأدب في سير أعلامه :

# ملتن . . .

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال . . ]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٢٥ —

## في ميدان السياسة :

نفض ملتن يديه من الخصومات ، ولبث يترقب أنباء الحرب ، وإن الحنين إلى الشعر ليزداد في نفسه يوماً عن يوم ، حتى ليكاد يجزم أنه عائد إليه عما قريب وجاعل همه كله إليه ، كما كان أمره قبل أن ينصرف عنه سنة ١٦٤١ إلى الحرب التي أوقد نارها على القساوسة معتقداً أنها كانت مما يقضي به عليه الواجب نحو وطنه في ذلك الوقت .

ولكن حديث السياسة يشغل باله ويستأثر بفكره أحياناً على الرغم من حنينه إلى الشعر ، حتى ليحسب أصحابها أنها هي اليوم كل همه ، ولذلك يحارون في أمره : أكان إلى الشعر يومئذ أم كان إلى السياسة ميله ؟ ولقد نظم مقطوعة سنة ١٦٤٨ يمجد بها القائد الظافر فيرفاكس ، ومنها يتبين القارئ شدة اهتمامه في ذلك الوقت بالسياسة والحرب ، وقوة تحمسه لقضية البرلمان . قال ملتن : « أي فيرفاكس[١] ، يا من يجلجل اسمك كجندي في أنحاء أوربا جميعاً ، فيملأ كل فم بالحقد أو بالثناء عليك ، ويملأ الملوك الحاقدين جميعاً عجباً منك ، ويرسل الشائعات المدوية فتخيف أقصى الملوك موطناً . إن بسالتك الوطيدة التي لا تتزعزع لن تزال تأتي لوطنك بالنصر ، ولو أن ثائرين جددا يرفعون رؤوسهم الشبيهة برأس الهيدرا[٢] ، والشمال الخؤون[٣] يعلن ما نقض من عهد ليريش أجنحتهم الخائنة ، وإن عملا أجل مما فعلت لا يزال يرجى على يديك حتى يتحرر الصدق والحق من ربقة العنف ، ويتخلص الإيمان العام بالعدالة مما اتسمت به الحياة من سمة مخجلة هي التدليس العام[١] ، إلا أن الحمية لتنزف الدم عبثاً ، بينما نرى الجشع والسطو يقتسمان الأرض » .

الحق أنه لم يكن لملتن مندوحة عن السياسة وأنبائها ، حتى لو أنه حاول بكل ما في وسعه أن يتجنبها ما استطاع ، ومهما يكن من شدة حنينه إلى الشعر وعظم رغبته في أن يعود إليه ، وقد حبس نفسه عليه سنين من عمره ، وتوفر على دراسة وسائله وأسباب النبوغ فيه ، فما كان بقادر على أن يعتزل قضية الحرية ، وهو نصيرها في كل وجه من وجوهها ، وإنه وقد استطاع أن ينتزع نفسه من الشعر انتزاعاً سنة ١٦٤١ ليوقد نار الحرب على القساوسة دفاعاً عن الحرية ليجد اليوم من اليسير عليه أن يرجئ العودة إليه ، ولو إلى أجل قريب لينظر ما ذا تكون عاقبة ذلك الصراع العظيم بين الملك والبرلمان ، أو بين سلطة الفرد وسلطة الشعب .

وكان ذلك الصراع العنيف بين الملك والبرلمان صفحة مجيدة في تاريخ الحرية ، أو فصلا رائعاً من تاريخ الإنسانية في تمردها على الأغلال وأنفتها من الاستعباد ، أو على حد تعبير مكولي في قوله : « لقد عاش ملتن في عصر من أبقى العصور ذكراً في تاريخ البشر ، حيث كانت ساعة الفصل في ذلك النزال العظيم بين هورومازدو أهريمان[٢] بين الحرية والطغيان ، بين العقل والهوى ، ولم تكن هذه المعركة العظيمة من أجل جيل واحد ولا من أجل وطن واحد ، وإنما ارتبطت مصاير الجنس البشري كله بما يكون من مصير الحرية لدى الشعب الإنجليزي ، فها هنا أعلنت لأول مرة تلك المبادئ الغلابة التي اتخذت منذ ذلك الحين سبيلها إلى أعماق الغابات الأمريكية ، والتي أثارت ثائرة اليونان على ما ضرب عليهم ألفي سنة من الذلة والتدهور ، والتي أوقدت في قلوب الشعوب المظلومة في أوربا من أحد طرفي القارة إلى طرفها الآخر ناراً لا تنطفئ جذوتها ، وأرهكت مفاصل الطاغين

(١) فيرفاكس ، أحد مشاهير قواد البرلمان أثبت بطولة في معركة نسبي سنة ١٦٤٥ وحاز انتصاراً باهراً على الملكيين سنة ١٦٤٨

(٢) التنين الخرافي ذي الرؤوس السبعة التي كلما قطع منها رأس نبت رأس

(٣) يقصد الاسكتلنديين الذين نقضوا ما عاهدوا عليه البرلمان سنة ١٦٤٣ أن يكونوا نصراء له على شارل

(١) اتهم المستقلون البرسبتيريين بالرشوة وفساد الحكم .

(٢) إلهي النور والظلمة في الديانة الفارسية القديمة كما جاء بها زرادشت

بما لا قبل لهم به من خوف » .

ونحسب بل نكاد فى الحق نجزم أنه لولا ما كان فيه ملتن من شغل شاغل بمحاربة القساوسة ، ثم بما منى به من خيبة فى زواجه ، وماجره ذلك عليه من خلاف شديد بينه وبين البرسبتيريز وحرب منه أدارها عليهم ، ما كان ليذرقضية البرلمان بضع سنين بغير دفاع منه فى كتيبات كتلك التى نشرها منذ سنة ١٦٤١ ، فإن رجلا له مثل روحه الحرة الوثابة ، ومثل ثقافته الواسعة الممتازة ، لخليق بأن يناضل بقلمه فى تلك المعركة الدائرة فى سبيل الحرية ، وجدير ألا يكون نضاله بالقلم أقل بأساً من نضال الشاهرين سيوفهم الباذلين فى سبيل النصر أرواحهم .

ونعتقد أن يأسه من الإصلاح وحنقه على بنى قومه لعزوفهم عما دعاهم إليه لم يكن كما حسب بعض الناس ليميل به عن السياسة يائساً منها كما يئس من غيرها ، بل لقد كانت المعركة الدائرة هى أمله الباقى الذى ينبثق نوره فيما يكتنفه من الظلمات ، ولذلك علق عليها من الرجاء مثلما يعلقه الغريق على آخر أمل له فى النجاة !

ولملتن اهتمام بالسياسة من جهة أخرى ، فهو خصيم البرسبتيريز ، ويود لو يذهب سلطانهم . وهو منذ حملتهم عليه أقرب إلى المستعلين مذهباً ، بل وأكثر منهم استقلالا ، ولذلك فهو يتمنى نجاحهم ويتجه بقلبه إلى كرمول وجنوده ، ويتضح موقفه من الفريقين فى مقطوعتيه اللتين ندد فى أولاهما بالبرسبتيريز مستكرهى الضمائر سنة ١٦٤٦ ، وامتدح فى الثانية فيرفاكس أحد قواد جيش البرلمان سنة ١٦٤٨ .

هكذا لبث ملتن يترقب ويحمل للسياسة همه ، فلما تأكدت قوة كرمول والمستعلين بعد الحرب الأهلية الثانية ، تبين أن الثورة توشك أن تصل إلى نهاية حاسمة ، ورأى ملتن أن الملك وقد ظل على شديد استمساكه بالأسقفية ، وأخذ يفاوض البرسبتيريز والاسكتلنديين ، إنما يتضح أمره يوماً عن يوم أنه العقبة الكؤود فى سبيل التسوية ، فلما أراد زعماء المستقلين أن يخطوا الخطوة التى يقضى بها الموقف ، وهى طرد البرسبتيريز من البرلمان ومحاكمة الملك ، تبين ملتن أن الله استجاب دعاءه ، وأن مصير وطنه ومصيره بسبيل أن يتقررا ، وعاودته حماسته إلى الكتابة ، ومن ثم شرع قلمه .

وأخذ ملتن يعد كتيباً جديداً ، وقد بدأه قبل أن تبدأ محاكمة الملك ، وفرغ منه قبل إعدامه بأيام ، فكان صوته أول صوت ارتفع ، والناس عالقة أنفاسهم دهشة ورهباً ، ونشره فى يناير سنة ١٦٤٩ وجعل عنوانه « حق الملوك والحكام » .

وقد ذاع اسمه فى أوربا بهذا الكتيب الذى برر فيه إعدام الملك ، حتى إن زائرى انجلترة يومئذ كانوا يتطلعون إلى رؤية رجلين أحدهما أليفر كرمول رجل السيف ، والثانى جون ملتن رجل القلم . وشاءت الظروف أن يشتهر اسم صاحب الفردوس المفقود أول ما اشتهر فى القارة بصلته بحادث إعدام الملك وجرأته فى الدفاع عن هذا الفعل قبل أن يشتهر بالشعر ، فلم يك قد بدأ قصيدته الكبرى بعد ، أما شعره الذى نشره قبل ذلك ، فلم يقدره حق قدره فى انجلترة إلا خاصة المثقفين ، ولم يعرفه فى القارة إلا قليلون .

ويعد هذا الكتيب من أكثر كتيبات ملتن متعة وأعظمها شأناً ، فقد بسط فيه طائفة من المبادئ العامة فيما يتصل بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وبعض هذه المبادئ قديم يرجع عهده إلى أول عهد المفكرين من الإغريق بالآراء الديمقراطية ، ولكن ملتن يعرضها عرضاً جديداً ، يبنا يعينه على حسن بيانه إياها سعة ثقافته ، وبعضها يظهر فيه ابتكاره أكثر مما يظهر اعتماده على ما خلف غيره من المفكرين .

والكتيب فى جملته عليه طابع ملتن فى سمو بلاغته وشدة حميته وروعة أدائه ، وهو فى روحه العامة صيحة على الطغاة ، وتنديداً بالمستبدين ملوكا وحكاماً ورجال دين ، وقد افتتحه ملتن بتبرير ما فعل الجيش جميعاً ، وعدّ ماحق الملك جزاء عادلا من الله على ما قدمت يداه ، وجعل جانباً كبيراً منه لتأييد حق الناس فى اختيار حكامهم وعزلهم ، واختتمه بحملة نكراء على البرسبتيريز والقساوسة إلا من كره منهم الاستبداد وحاد عن سبيله .

وكانت الفكرة التى بنى عليها ملتن تبريره إعدام الملك ، هى

أن الدولة إن هى إلا أداة لخير الناس وأمنهم ، ولذلك فإن إعدام الملك يتمشى مع القانون القائل : « بأن كل ما من شأنه أن يؤدى إلى سلامة المجموع إنما يعد عملا قانونياً مشروعاً » .

ويتكىء ملتن على العقل والمنطق فى الدفاع عن آرائه كما فعل فى كتيباته عن الطلاق ، فأساس العلاقة بين الملك وشعبه الوئام والرضى ، فإذا فقد ذلك فقد بطلت شروط تلك العلاقة ، ومن ثم فلا علاقة بينهما ، وللناس من الخروج عن طاعة حاكم يعمل لصالحه دونهم ، « لأن سلطته فى الواقع مستمدة من الشعب وفق قانون ، وعن قسم أداه ليؤدى بها حق الشعب فى الإصلاح والخير لا لأى شىء خلاف ذلك »

ويقول ملتن إن الإنسان حر بطبيعته ، وأن الرجل العادل لا حاجة به إلى القانون ، فهو يسير على نهج من طبعه ، وما جعل الحكومة أمراً ضرورياً إلا فساد الإنسان ، والحكومة مصدرها الناس الذين وصفوا السلطة فى أيدى الملوك أو الحكام على أساس شروط معينة ... ويعرف ملتن الطاغية بناء على ذلك بأنه الرجل الذى يعتقد أن السلطة سلطته هو ، وأنها ما خلقت إلا لنفعه وخيره ... !

ويعتقد ملتن أن مرد الفساد والشر فى السياسة كما فى غيرها إنما هو إلى سيطرة العاطفة على العقل ، وعلى ذلك فمصدر الشر فى الملك عاطفة ، وعواطف الشر فى نفسه يوسوس بها الشيطان الذى هو أصل كل عاطفة شريرة ، وإن الواجب ليقضى بمقاومة مثل هذا الملك الذى تتغلب فى نفسه العاطفة على العقل !

ويضع ملتن القساوسة فى موضع الشيطان ، فإنهم فى رأيه أشد أعوان الملك على الطغيان ، وأكبر سند له فيما يتمادى فيه من غى وظلم ، ولا يعنى بالقساوسة الكاثوليك منهم فحسب ، وإنما يعنى كل محب لنفسه شره تحركه الأطماع الدنيا ، فيدين للطغيان ، ويتخذ من الطاغية نصيراً ، ويدافع عنه حتى ليكون حياله كعبدة الأصنام . ويعود فيوجه ملتن سهامه إلى البرسبتيرينز ويلقى على كواهلهم تبعة ما لاقته المملكة من شر على يد شارل ، وينكر عليهم انتماءهم إلى الدين بأى وجه ، أو صلتهم بالمسيح إلا ما يكون من مظهرلهم جرى به العرف ، وهم فيما عدا ذلك ذئاب جائعة لا تشبع بطونهم مهما كان مبلغهم من الثروة ، وكلما وصلت إلى الثراء العريض أيديهم الآثمة على حساب الفقراء والمساكين قالوا هل من مزيد ، ولا وازع لهم من دين ولا من ضمير !

وكان حرياً أن يثير هذا الكتيب اهتمام القائمين على أمر الدولة ، وأن يسرهم هذا الدفاع عنهم وقد جاء فى إبانه ، ورأوا أن رجلا كمؤلفه علماً واسع الثقافة شجاعاً لا يخاف فى الحق شيئاً ، فصيحاً لا يعى لسانه بأمر مهما عظم ، هو خليق بأن يعول عليه كدعامة من دعائم الحكم الجديد ، ولذلك لم يلبث ملتن أن قلد وظيفة ذات خطر ، فقد جعل قيما على ديوان الرسائل الأجنبية فى مجلس الدولة ... والواقع أن هذه الوظيفة لم تكن إلا ستاراً ، فقد كان ملتن رجل القلم والفكر ، المدافع عن الجمهورية الوليدة ، وظل فى منصبه هذا يدافع عن الدولة ويرد على كل نقد أو تهجم ، ويكتب ما يوحى به كرمول مما يريد أن يلقيه على انجلترة وعلى أوربا من ضروب القول وأوجه الرأى .

ويتساءل المؤرخون عما دفعه إلى قبول ذلك المنصب ، أكان ذلك رغبة منه فى مظاهرة هذه الحكومة ومناصرتها لما توسم فيها من نصرة الحرية ، أم كان لحاجة إلى المال ، أم كان عن رغبة منه فى مراسلة ذوى المكانة من الأجانب ، أم أن كبرياءه وذهابه بنفسه وإحساسه بما قدره لشخصه من سمو المنزلة ، جعله يطيب نفساً بمثوبة الحكومة إياه ، إذ يحس فى عملها هذا نوعاً من الاعتراف بقدره وخطره ؟

ومهما يكن من أمر منصبه الذى ارتضاه ، فما أبعده عن ذلك الخيال الجميل الذى منى نفسه به قبل ذلك بثمانية أعوام حين تنبأ بفجر بهيج يوشك أن يهل على انجلترة نوره ، وبشر بشاعره إذ قال : « ولن يعدم ذلك الفجر طائره الصداح ، فلسوف يتغنى من بين هؤلاء القديسين الذين يتفاخرون عن دين الله شاعر يأتى بلحن علوى جديد يشكر به أنعم الله ، ويسجل نصر الله فى مملكة تنعم بنعمة الحرية ، وقد تخلصت من القساوسة ووجدت شاعرها المختار » !

وها هو ذا الفجر قد أهل نوره ... فأين طائره الصداح ؟ أين الشاعر وأين لحنه العلوى ؟ كيف ارتضي لنفسه أن يكون

عمله أن يكتب الرسائل اللاتينية ، وأن ينقل ما يرد منها إلى الإنجليزية ، وأن يرد على الشانئين والحاقدين على الدولة فيعود إلى عنت الخصومة وشغب الخلاف ...

أجل ، كيف آثر الشاعر على الخميلة قاعة الحكومة ؟

ذلك ما لا يسعنا إلا أن نحس حياله من العجب قدراً كبيراً

وكان ملتن يحس كما أسلفنا تضاؤل بصره ، ويشعر أن عليه إزاء ذلك أن يقصد كل القصد فى استعمال ناظريه ، وكان ذلك وحده كافياً فيما نرى لأن يرفض هذا المنصب الذى يتطلب طول النظر فى الرسائل ما يكتب منها وما يترجم ، وفى غيرها من الأوراق التى تحتاج فيها الحكومة إلى معونته ورأيه .

ولكنه كما رأينا قبل المنصب ، ويرى بعض المؤرخين أن قبوله إياه على شدة حنينه إلى الشعر وكثرة ما يهجس فى نفسه منه ، وحاجة ناظريه إلى الراحة ، هو ضرب جديد من التضحية أشبه بتضحيته الأولى حين هجر الشعر على رغمه سنة ١٦٤١ استجابة منه لداعى الحرية ، فقد كان يعتقد ملتن أن مساهمته ولو بقدر صغير فى بناء صرح الحكومة الجديد عمل ينطوى على معنى الوطنية ، وبخاصة أنه كان يؤمن يومئذ أن الحكومة الجديدة وقد جاءت نتيجة لذهاب الطغيان لا بد أن تظل نصيرة للحرية ، ولقد أشار إلى هذا المعنى بعد ذلك بقليل فى أحد كتيباته قائلا : إنه تقدم عن طيب خاطر ليخدم بلاده ، حينما طلب إليه ذلك القائمون على الأمر ، وأنه لم يطلب على ذلك أجراً . وحسبه من الأجر ارتياح ضميره ورضاؤه عن نفسه ، والحق أن المال لم يكن له دخل فى قبوله ذلك المنصب ، فإنه وإن كان ملتن فقيراً ، فقد كان القليل من المال حسبه لما تتطلبه أكلاف عيشه وهى يومئذ قليلة ، وكان لا يعوزه هذا المال القليل .

ونعتقد أن ملتن على حق فيما يعتل به من علة ، وليس يمنع هذا من أن نضيف إليها علة أخرى لهـا كما لهذه فى طبعه من الشواهد ما يكاد يؤكدها ، وتلك هى رغبته التى لازمته منذ صغره فى أن يكون عالى القدر ممتاز المكانة ، واختياره لهـذا المنصب يحقق له تلك الرغبة ، فضلا عما فيه من معنى الاعتراف له بالفضل وعلو المكانة فى مجال الأدب والمعرفة ، وكانت تطرب نفس كنفسه بلا ريب لأن يكون ذا صلة بتلك الشخصيات الكبيرة التى قضت بجهادها المرير على الاستبداد الذى يمقته أشد المقت ، لا عن ملق أو افتتان بذوى الجاه والمكانة كما يفعل صغار النفوس ، ولكن عن طموح وكبرياء ورغبة فى السمو ، وعن محبة وإعجاب بتلك الشخصيات لمـا تنطوى عليه محبته إياهم من معان ، كما يفعل الأباة من أولى الفضل ...

وثمة رأى آخر يضاف إلى تلك الآراء ، وهو رأى « مارك باتيسون » أحـد من أجادوا الكتابة عن ملتن ، ومؤداه أنه لا يبعد أن يكون ملتن قد رأى فى المنصب مجالا جديداً للازدياد من المعرفة والحكمة ، وهى مما يتطلبه الشعر من زاد ، فقد طالما رأيناه من قبل يعد بأن يتوفر على الشعر متى استكمل منه عدته ، وتم له ما يتوق إليه من نضج وخبرة بالحياة ، وعلى ذلك فلن تذهب تضحية بوقته وبصره هباء ، فلسوف تجدى عليه وثيق المعرفة بأحوال الناس وأمور الحياة !

( يتبع ) **الخفيف**

---

# حول الاتباعية والابتداعية

Classieism and Romamticism

للاستاذ فخرى قسطندى

— ٢ —

عرضنا فى مقال سابق للونين من ألوان الأدب، وضربين من ضروب الخلق الفنى هما الكلاسيكية والرمانتيكية، وأبنّا كيف اضطرب القول فيهما وتضارب الرأى فى مدلولاتهما ومعانيهما، ثم رجعنا بالذاكرة إلى القرن الثامن عشر، وألمعنا إلى اهتمام الأدباء الإنجليز بآثار الماضى التالدة، وإلى اشتغالهم بدراستها وتبيان محاسنها. تلمس ذلك فى أحاديثهم، وتستشفه فى كتاباتهم، وتطالعك به تواليفهم، حتى لقد يشتد بك العجب ويأخذ منك كل مأخذ، فأنت لا تقع على كاتب أو شاعر إلا وقد أغرق فى وصف هذه الآثار والأطلال والرسوم، وأمعن فى التعبير عن إعجابه بها، فهو مفتون بروعتها، مأخوذ بسحرها وجاذبيتها.

ولا عجب، فهذه أشياء كلها ذات طابع ابتدائى يزينها ويجملها تنفرد به ويختص بها. غير أنها ليست ذات طابع رومانتيكى فحسب، بل هى تتسم أيضاً بطابع قوطى، له ما للطابع الرومانتيكى من خصائص ومميزات، وبينه وبين الكلاسيكية من بون شاسع واختلاف كبير كالاختلاف بين الرومانتيكية والكلاسيكية. فهناك مقطوعات رومانتيكية أو قوطية، كما أن هناك مقطوعات كلاسيكية. وتكون المقابلة بين رومانتيكية هذه المقطوعة وبين كلاسيكية تلك. ولا أدل على ذلك أو أبلغ من قول هرد فى « رسائله عن الفروسية والرومانس أن منظومة الملكة الجنية Faerie Queene للشاعرة الإنجليزية الكبيرة إدمند سبنسر Edmund Spenher منظومة قوطية، وليست كلاسيكية كما يزعم البعض.

ومن ثم فأنت ترى أن الطابع القوطى ينبىء عن عصور غابرة أزال الله من دولتها، فانطمس رسمها ودرس منها، هى العصور الوسطى، وأنت ترى أن مثله فى ذلك مثل الطابع الرومانتيكي تماماً. فهو يترامى مثله إلى أبعد غايات الشذوذ والاضطراب بدلا من التجانس والاتساق، وهو يمتاز بخيال مغرب يتنكب الطريق المطروق، فيحيد عن المألوف ويخرج على المعروف.

وما كان الأدب إلا شكلاً من أشكال الفن يقوّم بما يقوم به الفن من معايير، ويقاس بما يقاس به، ويصدق على الفن ما يصدق عليه. والأدب شعر ونثر وما يتصل بالشعر والنثر من مبحث وموضوع، وأنماط وقوالب، وصيغ وتراكيب، وعبارات وألفاظ، وعرض وسياق، وحس وشعور. وهو إما أدب رومانتيكى قوطى يتصف بما تتصف به آثار العصور الوسطى، ويضرب شعره ونثره وما يتصل بهما بسهم وافر فى الشذوذ والاضطراب والإغراب فى الخيال. وهو إما أدب غير رومانتيكى قوطى، خلو من جميع الخصائص والصفات التى سبق ذكرها.

هذا ما كان من شأن الأدب، وهذا ما كان من شأن الرومانتيكية فى انجلترا فى القرن الثامن عشر. غير أن الدهر غير، فماهى إلا دورة من دورات الفلك حتى درست القوطية، واندثرت، واختفت من معاجم الأدب. وحان الحين للرومانتيكية أن تتربع وحدها على عرشها، وأن تصبح ذات الكلمة الناقدة والسلطة الأولى واليد الطولى فى الحكم على تواليف الأدباء. على أن الرومانتيكية لم تستقر طويلاً فى انجلترا، فما لبث أن ذاع صيتها واشتهر أمرها وترامى خبرها إلى فرنسا. فاستعملها روسو فى كتاباته، وكان استعماله لها بشيراً بازدياد سيرورتها واتساع انتشارها. فما هى إلا فترة أو بضع فترة حتى تلقفها الكتاب الألمان، وعكفوا على درسها وشرحها، فاستوعبوها وفلسفوها وبينوا معالمها واختطوا لها الأصول والقواعد

ويعزو چيته إلى نفسه فضل إدخال هذه الكلمة إلى المانيا، ونحن نشك فى هذا الفضل فقد يعزى إليه أو قد يعزى إلى غيره؛ ولكن هذا لا يعنينا فى هذا المقام، وإنما يعنينا أن نستقصى ما قاله، ونتعرف ما له من أثر. قال:

« إن فكرة التفرقة بين الشعر الكلاسيكى والشعر الرومانتيكى هذه التفرقة التى طبقت شهرتها الآفاق، والتى تثير من المنازعات والانقسامات الشىء الكثير، ترجع فى الأصل إلى شيلر Schiller وإلىّ. فقد صغت فى عبارة موجزة طريقة معالجة الشعر معالجة موضوعية، وأنا آبى أن أقتفى خطى أية طريقة أخرى، غير أن شيلر الذى يهتم بالناحية الذاتية يعد طريقته الطريقة الصحيحة. وقد اعتنق آل شليجل Schlegels هذه الفكرة، ومن ثم فقد

انتشرت فى جميع أنحاء العالم، وكل فرد يتحدث الآن عن الكلاسيكية والرومانتيكية اللتين لم يطرقهما أحد بتفكيره منذ خمسين عاما ».

والواقع الذى لا مرية فيه أن جيته ساهم بنصيب موفور فى انتشار الرومانتيكية . وينعكس ذلك فى الكتاب الذى طلعت به مدام ستايل madame de Staêl على جمهرة النقاد وعامة القراء وعنوانه « من الألمانية ، De L'allemagne » ، وأتت فيه على ذكر الرومانتيكية عند أدباء الألمان ، وما استأثرت به من عنايتهم الفائقة واهتمامهم البالغ . أما مدام دى ستايل فيقول عنها فيكتور هيجو فى مقدمته لديوان أشعاره Nouvelles Odes إنها أول من جرى لسانها بعبارة « الادب الرومانتيكي » فى فرنسا

وكأن لفظة رومانتيكى سئمت حياة الترحال والتجوال ، وحنت إلى حياة الثبات والاستقرار ، فوات وجهها شطر وطنها الأصلى ، فعادت إلى انجلترا ، واطمأن بها المقام هنالك ، وقد وضحت معالمها واستبانت خطوطها ، على نحو لا ترق إليه شبهة بل ينهض عليه الدليل .

فبيرون يفهم من الرومانتيكية ما يفهمه جيته حين يقول — أى بيرون « إن شليجل ومدام دى ستايل حاولا جهدهما أن يلتزما فى تقسيم الشعر قسمين اثنين ، وهما الكلاسيكى والرومانتيكى وسوف يكون من نتيجة ذلك مناقشات حامية » .

ومن عجب أن الرومانتيكية لم تصادف هوى فى نفوس أدباء الإنجليز ، فصدفوا عنها ولم يعنوا بها عناية غيرهم بها ، بالرغم من أنهم هم الذين ابتدعوها وابتكروها . فبينا نرى الرومانتيكية فى فرنسا وألمانيا قبلة أنظار الكتاب والشعراء ، ثم عنوانا لمدرسة من المدارس الأدبية ، نراها فى انجلترا محل استخفاف الأدباء الإنجليز واستهانتهم ، ومن ثم فقد أعوزها عندهم الدقة والوضوح . أما الفرنسيون فقد وضعوا الكتب والمؤلفات فى التعريف بها ، وبذلوا الجهد الجهيد فى تحديد مفهوماتها ومدلولاتها ، ولعل لبرنتير Brunetiere الفضل الأكبر فى إزالة ما يكتنفها من غموض وإبهام . أما الألمان فقد نسجوا حولها نظرية فلسفية أحكموا أطرافها فجاءت متلاحمة متواشجة ، يدفعهم إلى ذلك الجرى وراء المجردات ، والاندفاع وراء النظريات .

( للبحث بقية ) فخرى قسطندى

---

٣ — من الأدب الغربي :

# الموت يتكلم . . . !

« ما الموت إلا تمام حد الانسان لأنه حي ناطق ميت ، فالموت تمامه وكماله ، وبه يصير إلى أفقه الأعلى ، فكيف إذن يجزع منه »
(ابن مسكويه)

يامن يراع إذا تمثل صورتي فيم ارتياعك ؟
هون عليك ففي ابتعادك عن بني الدنيا انتفاعك
لك ضجعة عندي تريحك هل سيؤذيك اضطجاعُك

أولست من دنياك تسبح في خضم هائل
يغشاك موج فوق موج تحت غيث هاطل
لم لا تسر إذا وصلت مبكراً للساحل ؟

أنا في الحياة كمنجل في كف حصاد بصير
أهوي على الذاوي فأقصيه عن الزهر النضير
لولا مبادرتي لضاق الروض بالعدد الكثير

كم من مريض قد غزاه الدهر بالداء العياء
متململا يرجو الشفاء من الطبيب ولا شفاء
يممت منزله فكان له على يدي الدواء

سيزول عنك الجهد حين تنيه في نوم عميق
ياطالما كانت تصادمك المآزق في الطريق
فإذا انتصرت على مضيق زل نعلك في مضيق

ماذا تركت على الحياة سوى جناة آثمين
كانت قلوبهمو تسر عليك بالحقد الدفين
قد بت مرتاحاً وباتوا — رغم بعدك — متعبين

تالله ما قصر تخر لحسنه شم الجباه
قد حفه روض أنيق يملأ الدنيا شذاه
أزكى تراباً من ضريح تاه في جوف الفلاه

تالله ما عرس تخف إلى سرادقه الجموع
نثرت بساحته الزهور وأوقدت فيه الشموع
بأجل من نعش يسير على الكواهل في خشوع

تالله ما خمل من الديباج تسبي الناظرين[1]
قد رصعت بقلادة من ساطع الدر الثمين
أشهى لذي التفكير من كفن على ميت دفين

يارب ملتاع كئيب عذبته يد القدر
غمرته دنياه بمختلف الحوادث والغير[2]
وجد الحِمام يريحه مما يكابد فانتحر !

يامن يراع إذا تمثل صورتي فيم ارتياعك ؟
هون عليك ففي ابتعادك عن بني الدنيا انتفاعك
لك ضجعة عندي تريحك هل سيؤذيك اضطجاعُك

محمد رجب البيومي

# من وحي المصيف . . .

أترع الكأس من سلاف حلال ... وَرَوِّ قلباً قد أظمأته الليالي
غافل الدهر ساعة وتنقل ... بين ظل وكوثر سلسال
هذه جنة دعوها مصيفاً ... أسكرت خافقي وأذكت خيالي
شادها الله كي نشاهد فيها ... لجنان الخلود خير مثال
ولو أن الجنان كانت كهذي ... لكني صوغها بهذا الجمال

ها هو البحر في لساني أجاج ... وبقلبي مذاقه كالزلال
صفحة تشبه السماء صفاء ... قد أضاءت بخرد كاللآلي
يحتضن الخضم وهو غضوب ... يرسل الموج عالياً كالجبال
فتراه كعاشق قر عيناً ... بحبيب أمده بالوصال
هادئاً يغمر الحسان بلثم ... وعناق يثير حقد الرجال

وبدا الشاطئ البديع كروض ... بورود من العرائس حال
ناعمات يوقظن كل فؤاد ... جالسات مع الهوى والدلال
خاطرات مثل النسيم رخاء ... مائسات في فتنة واختيال
فوق صدر الرمال مستلقيات ... فارشفي الحسن ياشفاه الرمال

أحمد هيكل

(١) الخمل : القطيفة الناعمة
(٢) غير الدهر : مصائبه




## إلى الأستاذ على العمارى (1)

إنه لا يزال فى الناس يا سيدى من يتهم المشايخ بالغلاظة والثقالة، ولا يزال فى المشايخ من يقدم للناس أدلة هذا الإتهام مع أن العلماء كانوا هم أهل الظرف، وكانوا بُرَآء من هذه الصفات التى ينكرها الناس على (علمائنا) والتى جعلوا لها من إنكارهم إياها اسماً عَلَماً عليها هو (المشيخة ...) وما يريدون بها إلا الغلاظة، كأن الرجل لا يكون شيخاً عالماً إلا بهذا الوقار البارد وهذا التزمت الفاسد، وهذا الجد الكاذب، والسبحة الطويلة والنصائح المتكلفة المكررة المملولة، والأمر بالمعروف بغير الأسلوب المعروف، والنهى عن المنكر بالطريق المنكر، وإقامة القيامة على (الضعيف ...) يحلق لحيته، أو يحرق دخينته، أو يؤم المساء فى غير محرم قهوته، ويسكتون عن منكرات الحكام، وضلالات الأحكام ...

لذلك شكرت لك ما كتبت عن ظرف الفقهاء، وما دفعت عنا (معشر المشايخ) من هذه التهمة (غير) الباطلة، وجمعتُ طائفة صالحة من الأخبار المتفرقة فى كتب السيرة والتراجم، وأسفار المحاضرات والأدب، من ظرف العلماء من لدن سيد العالمين وإمام العالمين محمد صلى الله عليه إلى العصور المتأخرة لأهديها إليك ثم وجدت كتابين فى هذا الباب:

كتاب (الظراف والمتماجنين) لابن الجوزى وهو فى (١٠٦) صفحات وقد كان طبعه فى دمشق الأستاذ حسام الدين القدسى منذ ثمان عشرة سنة وكان شرفنى بكتابة مقدمة له، هى من أوائل ما كتبت.

وكتاب (المراح فى المزاح) للبدر الغزى، وهو أجمع لأخبار هذا الباب، وقد طبعه فى دمشق الأستاذ الأديب أحمد عبيد.

وبعد، فلعلك يا سيدى تكتب أنت الفصل الجامع فى (ظرف الفقهاء).

قرأت ما كتبت يا سيدى فى العدد (٦٨٧) فقل لى سألتك بالله، أأنت تجد أم تهزل؟ وهل تنقل هذا الهذيان عن أستاذ فى الجامعة أم عن حشاش فى القهوة؟ وهل هذه هى دروس الجامعة التى نرسل أبناءنا إليها ليغترفوا من علوم أساتذتها ما يعودون به معلمين فى مدارسنا؟ وهل هذا هو دين التجديد الذى بعث به نبى البلاغة فى آخر الزمان؟ وإذا نحن احتملنا الركاكة والعجز أفنحتمل الكفر من هذا الشيخ الذى يقرر أن الله قال لمحمد (يا أخى أنت حارق نفسك ليه)؟ لقد عرفنا من جعل لله صاحبة وولدا ولكننا لم نعرف قبل اليوم من جعل لله أخاً، أفلا يرضى الشيخ إلا أن يكون مجدداً فى الشرك بالله — تعالى الله عما يقول المشركون علوا كبيراً؟ ولا يعجبه إلا أن يفتح له إلى جهنم باب خاص؟

وما ذا يقول صديقنا العميد الدكتور عزام وهو العالم البليغ المؤمن بهذا الجهل والعى والكفر؟

أما أنا فأقول: أعيدوا أولادنا إلى باريز ليتعلموا فيها العربية كما كانوا، فان الجهل الذى يعودون به من باريز، أهون من الكفر الذى يرجعون به من الشيخ أمين الخولى.

**على الطنطاوى**

## رأى فى مجلة الأزهر:

نرى الآن، كما يرى المعنيون بالأزهر وإصلاحه، بوادر نهضة توحى بها رياسته الجديدة وترعاها فى ثقة وهدوء، وبعد عن الإعلان والادعاء. كما هى سجية المصلح المؤمن بفكرته والذى هو فى الوقت نفسه لا يتخذ من عمله وسيلة لمجده الشخصى.

و «مجلة الأزهر» ناحية من نواحى النشاط الأزهرى الذى شملته بوادر هذا الإصلاح الجديد، فقد عرف أن نظاما جديداً وضع لإخراج هذه المجلة وأن لجنة يرأسها فضيلة الأستاذ الأكبر قد أقرت لائحة جديدة لها وأن هذه اللائحة تضمنت النص على أغراض المجلة وما يراد من إصدارها وكيف يمكن أن تكون حاملة لرسالة الأزهر والتعبير عنها أكمل تعبير، وأن تشمل الاتجاهات الثقافية والإصلاحية للجامع الأزهر.

(1) كتبتها ونسيت أن أرسلها فلذلك تأخرت عن موعدها.

ونحن نرى أن مجلة الأزهر يجب أن يكون لها هدفان : —

الأول إبراز وتصوير نواحى النشاط المختلفة للأزهر وصلاته بالحياة العامة فى مصر والخارج وما يقوم به من المساهمة فى النشاط العلمى والثقافى والروحى ، وهذه النواحى الثلاث تشمل كما نعلم مصر والشرق العربى وسائر البلاد الإسلامية وكثيراً من بلاد العالم الأخرى .

لذلك نعتقد أنه من الواجب أن ينشأ فى المجلة قسم خاص بشؤون البلاد الإسلامية يترجم أو ينقل عن صحف هذه البلاد وينشر الجيد مما يكتبه أعضاء البعوث الإسلامية فى الأزهر عن بلادهم والاتجاهات الإصلاحية فيها ، ويكون له توجيه إيحائى إصلاحى يشعر بما للأزهر من حق التوجيه وما عليه من واجب الرعاية لكل ما فيه خير هذه البلاد الإسلامية كلها .

وفى السنوات العشر الأخيرة أرسل الأزهر طائفة من بعوثه ، بعضها إلى الهند لدعوة المنبوذين وبعضها إلى الحبشة وإلى الصين ، وبعضها إلى مؤتمرات علمية ودينية فى كثير من بلاد الشرق والغرب . وللأزهر مبعوثون فى كثير من بلاد الشرق العربى وأفريقيا وله معهد فى لندن وبعوث فى جامعات انجلترا وفرنسا .

وهذه البعوث والمعاهد كلها وما قامت وتقوم به من عمل وما وضعته من تقارير ، وهؤلاء المبعوثون ما قاموا وما يقومون به من دراسات وأعمال كان ولا يزال من الممكن أن نجد فى مجلة الأزهر عن أعمالها وبأقلام رجالها البحوث الجيدة المفيدة الدالة على نشاط الأزهر وحيويته ومشاركته فى بعض مشاكل العالم الفكرية الكبرى وقيامه على إفادة المسلمين والراغبين فى هداية الإسلام وثقافته فى كثير من بقاع الأرض .

وبين الأزهر وكثير من الجامعات والهيئات الدينية والعلمية المختلفة كثير من الراسلات فى شؤون لها من الأهمية ومن العموم والاتصال بشؤون المسلمين وغيرهم ما يجعلها كبيرة القيمة والأثر إذا أبرزت إبرازاً صحفياً مفيداً لقراء مجلة الأزهر والمشتغلين بشؤون الشرق والإسلام .

ولست أقصد بهذا ما هو من الشؤون السرية فى هذه المراسلات أو ما ليست له صفة العموم .

هذه الصفحات من نشاط الأزهر وما يرد إليه من رسائل وما يسأل عنه من مسائل لنشرها وإبرازها فوائد أخرى لا تقل عن فائدتها الثقافية فى توجيه القراء والمشتغلين بهذه المسائل العامة ، هذه الفائدة هى إشعار الأزهريين بما لهم من الخطر والمكانة وما هم جديرون أن يهيئوا له أنفسهم من عمل وأن يشغلوا به قلوبهم وعقولهم وفراغهم من جد الأمور .

وهذا وحده كفيل بأن يشعرهم الكرامة لأنفسهم ومعهدهم وبأن يكون عاملا من العوامل المؤثرة فى حسن توجيههم وإعدادهم لما ينتظر الناس أن يقوموا به من المساهمة فى الخير العام لمصر والشرق والإسلام .

هذا وما يتصل به من إخراج الكتب العلمية والدينية إخراجاً علمياً ونقد المؤلفات العلمية نقداً علمياً أيضاً هو الهدف الأول مما اعتقده غرضاً لإخراج مجلة الأزهر .

أما الهدف الثانى فهو إبراز صورة من النشاط الداخلى للأزهر وأقصد بالنشاط الداخلى ما يقوم به الأساتذة والمبرزون فى الطلبة من البحوث وما يضمه الأساتذة والطلبة والمتخرجون من الرسائل ذوات القيمة ، وما يبرزه هؤلاء وهؤلاء من المؤلفات أو ما يقومون لتحقيقه من النظريات العلمية أو الاجتهادات أو التحقيقات التاريخية .

هذا رأى أبديه بعد ما عرف أن لجنة يرأسها الشيخ الأكبر قد وضعت لها منهاجاً تسير عليه فى عهدها الجديد .

ولعل « الرسالة » — وعنايتها بالأزهر وبالثقافة الدينية مشهورة مشكورة — تستطيع فى عددها القادم أن تنشر على الناس شيئاً مما رأته هذه اللجنة فى إصلاح هذه المجلة فقد يجدون فيه ما يجعلهم يتوقعون أن يروا مجلة للأزهر جديرة بأن تحمل اسمه وتفصح عن رسالته .

ونحن نرجو « ونعتقد أن رجائنا سيكون أمراً واقعاً عما قريب » أن الأزهر فى عهده الجديد سيقوم بما أعتقد أنه واجبه الأول . وهو رعاية الحياة الدينية فى مصر وتوجيهها الوجهة الإصلاحية التى طال ترقب الناس لها والتى ظن كثير من المفكرين وأصحاب الرأى أن الأزهر قد تخلى عنها وأنه رضى لنفسه أن تكون حياته الحاضرة والمقبلة امتداداً لهذه الحياة التى عاشها قروناً طويلة ، هذه الحياة التقليدية البعيدة عن روح العلم والنقد والفهم الصحيح والتى هى بعيدة أيضاً عن مسايرة الحياة والناس والزمان .

ومجلة الأزهر على هذا يجب أن تكون ميداناً من ميادين هذا التوجيه الإصلاحى الجديد للحياة الدينية فى مصر والشرق .

**محمود الشرقاوي**




# قدح من الشاي

للكاتبة الإنجليزية كاترين مانسفيلد

[ كاترين ما نسفلد كاتبة انجليزية ولدت فى نيوزيلندا فى سنة ١٨٩٠ ثم سافرت إلى لندن حيث تلقت تعليمها وأتمت ثقافتها ثم بدأت حياتها الأدبية إلى أن ماتت فى ١٩٢٣ .

واشتهرت الكاتبة بقصصها التي تعنى فيها بتحليل الشخصيات تحليلا قليلا دقيقاً فى أسلوب لا يعرف الرحمة ولا الرأفة وإن كان يجمع فى ظاهره بين الرقة والتهكم وبين العذوبة والمرارة

وفى هذه القصة تحليل الكاتبة لشخصية امرأة يتملكها الغرور وتتحكم فيها الغيرة حاولت القيام بمغامرة تظهر فيها بالكرم والعطف والحنان حتى تعارضت هذه الصفات الأخيرة مع غرورها وغيرتها فأقلعت عن مغامراتها وارتدت إلى طبيعتها الأصلية ] .

---

لم تكن روزمارى جميلة كل الجمال ، فلا تستطيع أن تعدها جميلة . قد تكون حلوة إذا فحصتها قطعة قطعة ... ولكن لما ذا تبلغ قسوتك إلى حد تقطيعها إربا ؟ فقد كانت فى ميعة الصبا ، ذكية ، مطلعة ، عصرية ، أنيقة . وكانت حفلاتها ألذ مزيج من أبرز الشخصيات ... والفنانين — مخلوقات نادرة اكتشفتها بنفسها ...

وكانت روزمارى متزوجة من رجل يحبها حباً شديداً ؛ وكان الزوجان غنيين كل الغنى ؛ فإذا أرادت روزمارى أن تبتاع شيئا ذهبت إلى باريس كما تذهب أنت وأنا إلى شارع بوند ، وإذا أرادت أن تشترى بعض الأزهار وقفت بها السيارة أمام أفخم المحال فى شارع ريجنت ، وقالت روزمارى وهى فى المحل بطريقتها المدهشة « أريد هذه المجموعة وهذه وهذه ، وأعطنى أربع باقات من هذا النوع وأصيص الورد ذاك ... نعم سآخذ كل ما فيها . لا ... دع النرجس فمنظره لا يروقنى » .

فيحنى العامل رأسه ويخفى النرجس عن النظر كما لو كان ماقالت عنه هو الحقيقة . ثم تتبعها إلى السيارة عاملة نحيلة تترنح بما على ذراعيها من باقة بيضاء تشبه طفلا فى ملابسه الطويلة

ذهبت روزمارى فى يوم من أيام الشتاء لشراء شىء من محل تحف أثرية وكان يعجبها ذلك المحل لمبالغة صاحبه فى التلطف فى خدمتها ، فكان يشرق وجهه عند دخولها ويقبض يديه ويكاد لا ينطق من فرط احترامه لها وإعجابه بها . وكل هذا تملق طبعا .

وبدأ الرجل كعادته يشرح لها بصوت كله هدوء ، وحركات كلها احترام « إنى أعتز بتحفى فأفضل ألا أبيعها أبدا على أن أبيعها لشخص لا يقدرها حق قدرها أو لشخص يفتقر إلى حاسة تذوق الجمال » ثم تنهد وأخرج علبة من القطيفة الزرقاء وضغطها على المائدة الزجاجية بأطراف أصابعه الشاحبة .

وما كان ليحتفظ لها بهذه العلبة الصغيرة التى لم يعرضها على أحد قبلها إلا لندرتها ودقة صنعها وبهاء صقلها .

وأخرجت روزمارى يديها من القفاز الطويل لتفحص هذه العلبة التى أعجبت بها وأحبتها وصممت على اقتنائها ثم لاحظت جمال يديها على القطيفة الزرقاء وهى تفتح العلبة وتقفلها . وربما جرؤ البائع أن يلحظ هذه الملاحظة عينها فى نفسه لأنه تناول قلما وانحنى على المائدة وزحفت أصابعه الشاحبة إلى تلك الأصابع الوردية المتوهجة وقال بلطف « لو سمحت لى سيدتى أن أريها الأزهار على غطاء العلبة » .

فأبدت روزمارى إعجابها بالأزهار وتساءلت عن الثمن . بيد أن البائع لم يسمعها فى اللحظة الأولى . وأخيرا طرق سمعها « ٢٨ جنيهاً يا سيدتى » .

« ٢٨ جنيها ؟ » لم تنبس روزمارى ببنت شفة ووضعت العلبة ولبست قفازها « ٢٨ جنيهاً » حتى إذا كان المرء غنيا ؟ ... واضطربت روزمارى وحملقت فى أبريق شاى ضخم يعلو رأس الرجل وأجابت بصوت حالم « حسنا ، أيمكنك أن تحتفظ بها لى ؟ — سوف ... » .

ولكن البائع انحنى كما لو كان احتفاظه بها لها واجبا معروفا

وخرجت روزمارى وأوصدت وراءها الباب وتأملت فى الجو الممطر ، وكان المطر يتساقط رذاذا وبدأ الظلام يخيم على الدنيا كالرماد المتهاوى ، واشتد البرد وبدت المصابيح المضاءة حزينة

وكانت الأنوار فى المنازل المقابلة معتمة تحترق كأنها تتحسر على فقد شىء وكان الناس يتعجلون السير وقد شرعوا مظلاتهم .

وشعرت روزمارى بألم غريب وضغطت بقفازها على صدرها وتمنت لو أن العلبة الصغيرة كانت معها لتتعلق بها أيضاً . ثم نظرت إلى سيارتها التى كانت تنتظرها فى الشارع وفكرت فى الذهاب إلى المنزل لتناول الشاى .

ولكن فى لحظة تفكيرها فى ذلك جاءتها من حيث لا تدرى فتاة نحيلة قاتمة اللون وقفت قرب مرفقها وصدر منها صوت أقرب إلى الأنين منه إلى التنهد « أيمكننى أن أتحدث إليك لحظة يا سيدتى ؟ »

قالت روزمارى « تتحدثين إلى أنا ؟ » والتفتت لترى مخلوقا صغيرا مهدوما ذا عينين جاحظتين تتعلق يداه المحمرتان بياقة معطفها وترتعش كما لو كان قد خرج توا من الماء .

تلجلج الصوت وقال « سيدتى ! أسألك ثمن قدح من الشاى » .

« قدح من الشاى ؟ » ولما كان فى ذلك الصوت بساطة وإخلاص لا يجتمعان فى صوت شحاذ سألتها روزمارى « إذن ليس معك نقود أبدا ؟ »

« أبداً ياسيدتى » .

« ياللعجب » وتنهدت روزمارى وتطلعت إلى الظلام وحملقت الفتاة فى وجهها .

وفجأة تصورت روزمارى مغامرة أوحت إليها بها هذه المقابلة فى الظلام تشبه شيئا من رواية للكاتب العظيم دستوفسكى . لتفرض أنها صحبت هذه الفتاة إلى منزلها ؟ ماذا كان يحدث لو أنها عملت شيئا مما طالما طالعته فى الكتب ورأته على المسرح ؟ سوف يكون شيئاً رائعاً ... ثم خطت روزمارى إلى الأمام وقالت للفتاة « تعالى إلى منزلى لتتناولى الشاى معى » .

فصعقت الفتاة لهذا العرض المدهش وارتعشت من شدة الاضطراب فمدت روزمارى يدها ولمست ذراعها وقالت وهى تبتسم « إنى أعنى ما أقول » وشعرت بمبلغ بساطة ابتسامتها ورقتها فأضافت « ولم لا ؟ افعلى . تعالى معى فى سيارتى » .

أجابت الفتاة بصوت مفعم بالألم والحزن : « إنك لا تعنين ما تقولين يا سيدتى » .

فصاحت روزمارى : « ولكننى جادة فأنا أريدك أن تفعلى أرجوك أن تأتى معى » .

وضمت الفتاة أصابعها على شفتيها وأنعمت النظر فى روزمارى وتساءلت بصوت متلجلج « أتأخذيننى للبوليس ؟ »

« البوليس ! ... ولماذا تبلغ قسوتى هذا الحد ؟ لا ، لا . فكل ما أريد هو أن أدفئك وأسمع منك أى شىء يهمك أن تقصيه على » .

ولما كان من السهل قيادة الجياع تبعت الفتاة روزمارى إلى سيارتها .

وامتلأت روزمارى بشعور النصر وكادت تقول « الآن ظفرت بك » وهى تحملق فى الأسيرة الصغيرة . ولكن ذلك لم يجردها من رقة شعورها وعطفها بل أرادت أن تثبت لهذه الفتاة أن أشياء عجيبة قد تحدث فى الحياة وأن للأغنياء قلوبا وأن النساء أخوات .

ثم التفتت روزمارى مهتاجة قائلة « لا تخافى ولم لا تجيئين معى ؟ أنا امرأة مثلك وإن كنت أنا أيسرُ منك حالا . فعليك أن تنتظرى منى ... »

وفى تلك اللحظة وقفت السيارة لحسن حظها لأنها لم تعرف كيف تنهى هذه الجملة . ثم دق الجرس وفتح الباب ودفعت روزمارى الفتاة إلى داخل الصالة بحركة لطيفة تكاد تكون عناقا وهى تقول :

« تعالى إلى الطابق الثانى . تعالى إلى غرفتى » وأرادت أن تحمى هذا المخلوق من نظرات الخدم فصممت وهما تصعدان الدرج على ألا تدق الجرس لخادمتها جان وعلى أن تخلع ملابسها بنفسها .

صاحت روزمارى عندما وصلا إلى غرفة نومها الجميلة بستائرها المسدلة ووسائدها المذهبة ونمارقها الزرقاء والنار تفىء ما حولها من أثاث فخم والأزهار تملأ الغرفة عبيراً حلوا : ها نحن هاتان !

لم تعبأ روزمارى بوقوف الفتاة مذهولة على الباب وجرت مقعدها المريح نحو النار وصاحت « تعالى اجلسى على هذا المقعد المريح . تعالى ليدب الدفء إلى جسمك فيبدو عليك أنك تنوئين تحت وطأة البرد » .

قالت الفتاة وهى تتراجع إلى الوراء « أنا لا أجرؤ يا سيدتى »

فتقدمت روزوماری إلى الأمام وقالت : « أرجوك يجب ألا تخافى اجلسى . وعند ما أنتهى من خلع ملابسى سننتقل إلى الغرفة المجاورة لنحتسى الشاى . مم تخافين ؟ » ودفعت الهيكل النحيل فى مهده العميق .

ولم يصدر من الفتاة جواب ، بل بقيت كما أجلست ، يداها إلى جانبيها وفمها مفتوح قليلا ، وإذا شئنا الإخلاص فى الوصف قلنا إنها بدت غبية . ولكن روزمارى لم تعترف بذلك وانحنت عليها قائلة « ألا تخلعين قبعتك ؟ إن شعرك الجيل مبلل ويحس المرء كثيراً من الراحة وهو عارى الرأس ... أليس كذلك » .

خلعت الفتاة القبعة البالية وهى تقول همساً : « حسناً ياسيدتى »

فقالت روزمارى : « دعينى أساعدك على خلع معطفك عنك أيضاً »

فوقفت الفتاة ولكنها أمسكت المقعد بإحدى يديها وتركت روزمارى تنزع عنها المعطف ؛ ولكنها تذكرت أنه إذا رام الناس العون فعليهم أن يضحوا ولو قليلا وإلا تعذر العون فى الحقيقة . وماذا كانت تفعل بالمعطف الآن ؟ تركته على الأرض مع القبعة .

ولما همت بتناول سيجارة من علبتها المعدنية قالت الفتاة بسرعة ولكن بخفة وغرابة « معذرة يا سيدتى ، لا سيغشى على سأموت إن لم آخذ شيئاً ياسيدتى »

« يالله ! كم أنا طائشة » وأسرعت نحو الجرس « شاى ! شاى بسرعة ! وقليل من الكنياك فى الحال »

وكانت الخادمة قد مضت ولكن الفتاة كادت تصيح « لا ، لا أريد خمراً فأنا لا أشربها أبداً . إنه قدح من الشاى الذى أريد ياسيدتى » ثم انفجرت فى البكاء .

كانت لحظة مؤلمة ساحرة . جثت روزمارى بجانب مقعدها وقالت « لا تبك أيها الشىء الصغير الضعيف . لا تبك » وقدمت إليها منديلها الحريرى ولفت ذراعها حول تلك الأكتاف العصفورية النحيلة .

وأخيراً نسيت الفتاة الخجل ، نسيت كل شىء إلا أن كلتيهما امرأة فقالت « لا أستطيع الاستمرار على هذه الحال . لا أحتمل . سأموت جوعاً »

« لن تموتى جوعاً فسأعنى بك . لا تبكى . ألا ترين كم كان جميلا أنك قابلتينى . سنحتسى الشاى معاً وستخبريننى بكل شىء وأعدك أن أدبر لك أمرك أرجو أن تكفى عن البكاء لأنه شىء مضن »

وكفت عن البكاء عندما وقفت روزمارى قبل حضور الشاى لتضع المنضدة بينهما . ثم زودت المخلوق الصغير الضعيف بكل شىء ، جميع أنواع الشطائر والخبز والزبد ، ولما فرغ قدحها ملأته لها بالشاى والحليب والسكر فطالما قال الناس إن السكر منعش جداً . أما روزمارى نفسها فلم تأكل بل كانت تدخن وتنظر للخارج عمداً حتى لا تخجل الأخرى .

وفى الحقيقة كان مفعول تلك الأكلة الخفيفة عجيباً . فلما حملت منضدة الشاى خارجاً كان يتمدد على المقعد إنسان جديد ، مخلوق خفيف ضعيف ذو شعر مجعد وشفاه قاتمة وعيون غائرة مضيئة ، كان يتمدد هذا المخلوق فى نوع من الاسترخاء الحلو ناظراً إلى اللهب متأملا فيه .

وأشعلت روزمارى سيجارة جديدة وبدأت حديثها بكل لطف « ومتى تناولت آخر أكلة ؟ » ولكن فى تلك اللحظة تحرك مقبض الباب وسمع صوت من الخارج « روزمارى ! أيمكننى الدخول ؟ » كان هذا زوجها فيليب .

أجابت روزمارى « طبعاً »

دخل فيليب ووقف محملقاً بضع لحظات ثم قال « إنى آسف لأزعاجكما »

« لا داعى للأسف فكل شىء على ما يرام « هذه صديقتى الآنسة ... »

« سميث ، ياسيدتى »

قالت روزمارى « سميث وسنتجاذب أطراف الحديث لمدة قصيرة »

قال فيليب « حسنا » ، ولمح بصره المعطف والقبعة على الأرض ، ثم اتجه نحو النار وأدار ظهره إليها « إنه مساء كئيب »

قال ذلك بغرابة مصوباً نظره نحو الشبح المتفافل ثم أمحو روزماري ثانية .

فقالت روزماري بلهجة غير عادية « نعم . أليس كذلك ؟ »

فابتسم فيليب ابتسامته الساحرة الساخرة وقال لزوجته « فى الحقيقة أود أن تجيئى إلى المكتبة لحظة . هل تسمح لنا الآنسة سميث ؟ »

فحدقت العينان الكبيرتان الفاترتان فى فيليب ولكن روزماري أسرعت وأجابت عنها قائلة « طبعاً تسمح » ثم خرجا من الغرفة معاً .

ولما انفردا قال فيليب « وضحى لى من هى ، وما معنى كل هذا ؟ »

فاستندت روزماري إلى الباب وهى تضحك قائلة « التقطتها من الشارع . سألتنى ثمن قدح من الشاى فأحضرتها معى إلى هنا » .

فصاح فيليب « ولكن بالله عليك ما ذا أنت فاعلة بها ؟ »

فقالت « كن لطيفاً معها » كن رقيقاً إلى أقصى حد ... اعتن بها لا أعرف كيف ... لم نتحدث بعد ... لم نتحدث بعد .. ولكن أظهر لها — عاملها — اجعلها تشعر — »

أجاب فيليب « ياطفلتى العزيزة ! أتعرفين أنك مجنونة تماماً ! إن هذا الذى تطلبين شىء يستحيل عمله »

فأجابت روزماري « كنت على يقين من أنك ستقول ذلك ولكن لم لا ؟ إنى أريدك أن تعمله ؟ أليس هذا سبباً ؟ وعلاوة على ذلك يقرأ المرء دائماً عن هذه الأشياء فصممت — »

فقال فيليب ببطء وهو يقطع طرف سيجاره « إنها حلوة للغاية »

« حلوة ؟ » ودهشت بل حنقت روزماري لدرجة أن وجهها احمر وقالت « أتظن ذلك ؟ أنا — أنا لم أفكر فى ذلك »

فأشعل فيليب ثقاب كبريت وقال « إنها رائعة الجمال . انظرى ثانياً ياطفلتى لقد اهتزت مشاعرى لما دخلت حجرتك الآن . وعلى كل حال ... أظنك تخطئين خطأ كبيراً . إنى آسف ياعزيزتى إن كنت أبدو وقحاً أو ما شابه ذلك ولكن عرفينى هل ستتناول الآنسة سميث طعام العشاء معنا فى أثناء مطالعتى جريدة المساء ؟ »

قالت روزماري « يالك من مخلوق ماجن عابث ! » وخرجت من المكتبة ولكن لم تعد إلى حجرة نومها بل ذهبت إلى مكتبها . وهى تردد : « حلوة ! رائعة الجمال ! اهتزت مشاعرى ! حلوة ! جميلة ! »

أخرجت روزماري دفتر شيكاتها ، وغنى عن القول أنه لا قيمة للشيكات فى هذه الحال . ففتحت درجاً وأخذت خمسة جنيهات ونظرت إليها وردت منها اثنين ثم رجعت إلى غرفة نومها ممسكة بالثلاثة الباقية فى يدها .

وبعد نصف ساعة كان فيليب لا يزال فى المكتبة لما دخلت روزماري وهى تقول وقد استندت إلى الباب ثانية ونظرت إليه بتفرسها الدهش المصطنع : « إن الآنسة سميث لن تتناول طعام العشاء معنا هذا المساء »

فوضع فيليب الجريدة جانباً وقال « آه ! ما الذى حدث ؟ موعد سابق ؟ »

فجاءت روزماري وجلست على ركبتيه وقالت « أصرت على الذهاب فأعطيتها منحة مالية . لم أستطع أن أبقيها برغم إرادتها » ثم أضافت بلين « أ كنت أستطيع أن أفعل »

وكانت روزماري قد سوت شعرها تواً وكحلت عينيها قليلاً وتحلت بجواهرها فبدت رائعة الجمال عندما رفعت يديها ولمست خدود فيليب وقالت « أتحبنى ؟ »

فأعجبته نغمتها الحلوة ولكن أزعجه صوتها الأجش فقال « أحبك حباً عنيفاً » وضمها إلى صدره « قبلينى يا روزماري »

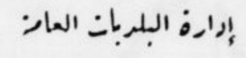
ثم سادت جو الحجرة فترة سكون قطعتها روزماري بصوت حالم « رأيت علبة صغيرة فاتنة اليوم ثمنها ٢٨ جنيهاً أأستطيع شراءها ؟ »

فأجابها فيليب « تستطيعين أيتها الصغيرة البذرة »

ولكن لم يكن ذلك ما أرادت أن تقوله روزماري فى الحقيقة فإنها همست فى أذن زوجها وضمت رأسه إلى صدرها وقالت « هل أنا جميلة يا فيليب ؟ »

بولس عبد الملك

بمعهد الصحافة بالجامعة الأمريكية




تقبل العطاءات بإدارة البلديات العامة ( بوستة قصر الدوبارة ) لغاية ظهر يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٤٦

عن توريد أدوات لاستراحات المجالس

وتطلب الشروط والمواصفات الخاصة بذلك من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل مبلغ ٠ جنيه ٥٠٠ مليم للنسخة الواحدة عدا أجرة البريد

٥٨٩٩

---

**وزارة الأوقاف**

تشهر عن بيع ١٢ جاموسة مسمنة بجلسة يوم الإثنين ٢٣ / ٩ / ١٩٤٦ بالشروط الموجودة بتفتيش أوقاف البحيرة تليفون رقم ٨١ دمنهور .

والوزارة مستعدة لعمل التسهيلات اللازمة للمشترين .

١٢٩

---

# سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

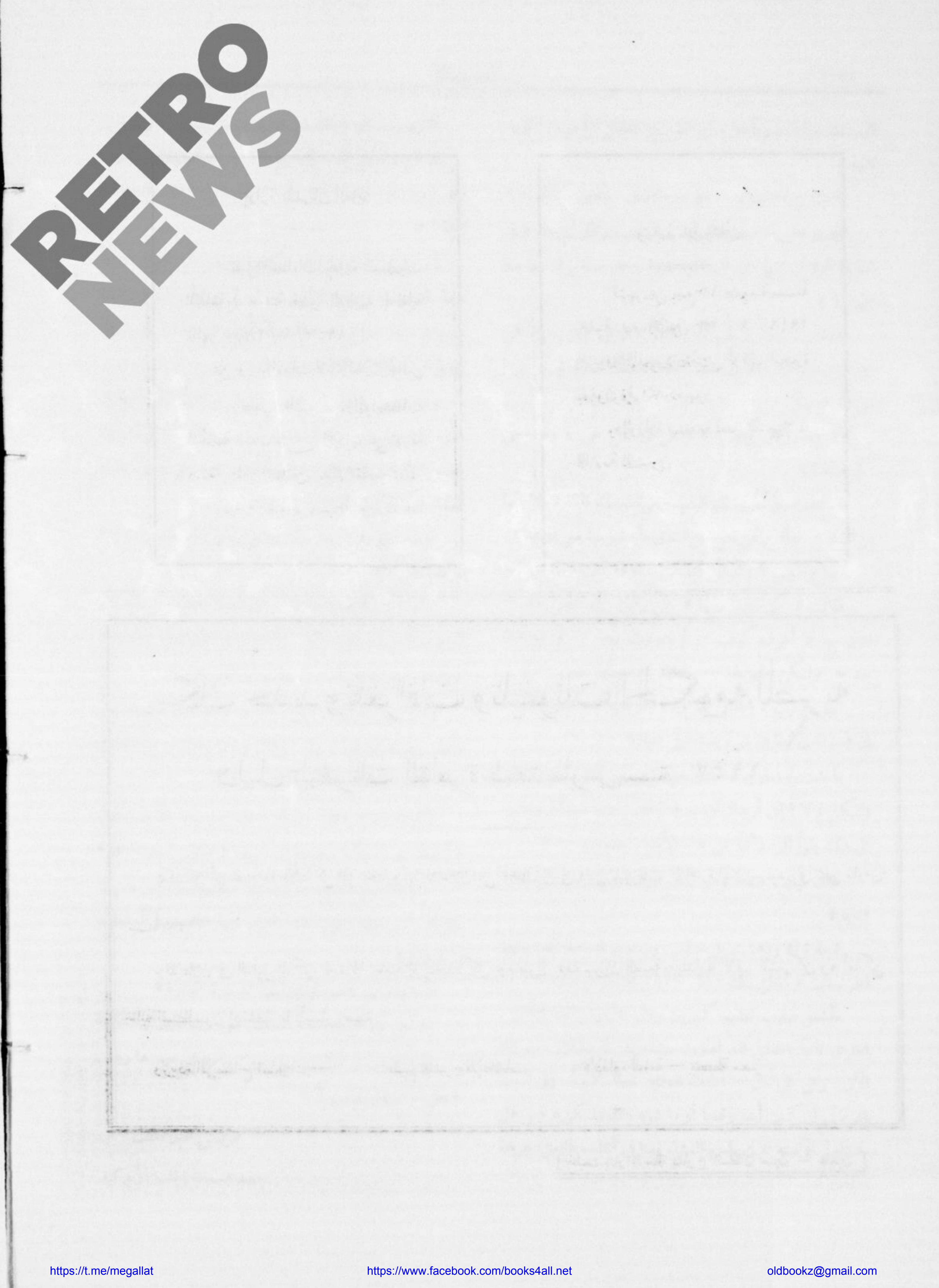
## دليل تليفونات القاهرة طبعة مارس سنة ١٩٤٧

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التي تختارونها للاعلان عن أعمالكم في دليل تليفونات القاهرة الذي سيصدر في شهر مارس سنة ١٩٤٧ .

والإعلان في الدليل المذكور له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون إستئجارها بأسعار زهيدة .

ولزيادة الإيضاح اتصلوا : — بقسم النشر والإعلانات بالإدارة العامة — بمحطة مصر .

[ طبعت بدار الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين ]





العدد ٦٩٠ – الاثنين ٢٣ سبتمبر ١٩٤٦ – السنة الرابعة عشرة




فهرس العدد



١٠٢٥ • ٢٧

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

## دار الفكر العربى

أصدرت للأستاذ سامى الدروبى :

### ١ – الأخلاق

بلا إلزام ولا جزاء

للفيلسوف الفرنسى : هـ . جويو

فكر فيلسوف ، فى روح شاعر وأسلوب فنان

الثمن ٣٥ قرشاً

---

### ٢ – الطاقة الروحية

للفيلسوف الفرنسى : هنرى برجسون

الاتجاه الفلسفى الجديد الذى فضح تناقضات المذاهب المادية وأبان عجزها عن تفسير الظاهرات النفسية وأقام أجمل بنيان للفلسفة الروحية .

الثمن ٣٢ قرشاً

---

### ٣ – الأزهر

للأستاذين

عبد الحميد يونس . عثمان توفيق

الثمن ١٨ قرشاً

---

تطلب هذه الكتب من مكتبات : النهضة المصرية بعدلى باشا ، الأنجلو بقصر النيل ، الخانجى بعبد العزيز ، دار الكتب بالأوبرا ، نهضة مصر ، مصر والهلال والشرق بالفجالة ، الجيزة الحديثة بالجيزة ، كرارة بالسيدة ، الآداب بالحمزاوى ، الجامعة بشارع محمد على ، ومن مكتبة المعارف بالاسكندرية .

---

ظهر اليوم :

## قصة الذرة

للأستاذ

**فوزى الشتوى**

* الانقلاب الذرى وأثره فى الآداب والعلوم . . .
* إنسان المستقبل يشتغل ٢½ ثانية فى السنة . . .
* أسلوب قصصى يفسر الذرة ونظرياتها . .

٤٠ صورة ورسماً وثمنه ٢٠ صـ

يطلب من المؤلف بنقابة الصحفيين بشارع قصر النيل بالقاهرة . ومن لجنة القاهرة للتأليف

---

ظهر أخيراً

الكتاب الذى يجب أن يقتنيه كل عربى أو مهتم بالقضية العربية

## يقظة العرب

* ألفه بالإنجليزية جورج أنطونيوس ، وعربه على حيدر الركابى ، وقدمه الأمين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام باشا
* يقع فى ٧٦٠ صفحة . طبع على ورق جيد ، وبه خرائط ملونة
* خير عرض لتاريخ القضية العربية الحديثة
* يباع بمكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده صندوق بوستة الغورية ٧١ بمصر تليفون ٥١٣٢٢
* سعر الكتاب ١٠٠ صـ عدا أجرة البريد

14 me Année No. 690

Lundi—23—9—1946

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

ﺻ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٩٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٧ شوال سنة ١٣٦٥ — ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

# أجل يا صديقى ، ضغط الدم !

أجاوبك يا صديق عباس على بُعد صفحات فى الرسالة[1] ، كما تتجاوب حمامتان كسيرتان على بُعد شجرات فى الحديقة .

أنا أيضاً ضحية هذا المقياس الحديث لضغط الدم ! كنت من قبلُ أحمد الله على دوام الصحة ، وأغبط نفسى على فراغ البال ؛ فإذا مسنى الضر لسبب من أسبابه المألوفة ، احتملته راضياً لأنه التغير الذى يدفع من سأم العيش ، والتنوع الذى يزيد فى جمال العافية . فلما كتب الأطباء عن ضغط الدم وأعراضه ، وتحدث الناس عن آثاره وأمراضه ، تلمست شواهده فى جسدى ، فإذا صوت يشبه ( الوشّ ) فى رأسى ، وحركة تشبه الاختلاج فى صدرى ، فزرت الطبيب المختص ؛ فظل وقتين طويلين فى يومين متعاقبين ، يجس بيده ، ويقيس بمقياسه ، ويصور بآلته ، ويدون فى مذكرته ، وأنا فى كل ساعة من ساعات هذين اليومين أذوب ولا أثوب ، وأنظر ولا أرى ، وأسمع ولا أعى ، وأتوهم ولا أفهم ، حتى قرر الدكتور أن أعضائى الرئيسية صحيحة ، ولكن عندى ارتفاعاً فى الضغط يُخشى إذا أهملته أن يصبح خطراً لا حيلة فيه . ثم نظّم لى الغذاء ووصف الدواء ونصح لى أن أزوره الحين بعد الحين .

وهكذا خرجت يا صديقى من عيادة النطاسى الكبير وأنا نوع آخر من الخَلق ، فيه الروح وليس فيه الحياة ، وعنده الهم وليس عنده الأمل ! أصبحت منذ ذلك اليوم كريض (موليير) ، أتوهم أن فى كل أكلة أو حركة أو فكرة ضغطاً على الضغط يشده ويوتّره ، وأتخيل أنى ( كبالون ) الأطفال المنفوخ أخف صدمة تفجرُه وتدمره . فأنا آخذ نفسى أخذاً شديداً بالجوع والظمأ والحرمان والتبلد والركود ، فلا أطعم ما أشتهى ، ولا أنعم بما ألذّ ، ولا أنفعل لسرور ولا حزن ، ولا أشتغل بفعل ولا فكر ، ثم أُهرَع كل أسبوع إلى القياس المَخُوف فأجده ثابتاً على رقم الخطر لا ينخفض ولا يتذبذب ! فأسأل عن علة ثبوته على قلة قوته ، فأعلم أن أشد ما يغذى الضغط ويقويه ، إنما هو الاكتراث له والتفكير فيه . وهل يستطيع المحكوم عليه ألا ينظر إلى السيف وهو مُصْلَت فوق رأسه ، أو يملك المسموم ألا يفكر فى الموت وهو يتغلغل فى طوايا نفسه ؟

الحق يا صديقى أن العيش على هذه الحال جحيم ، وأن الله الذى أخفى الأجل عن عباده رءوف رحيم ، فلو كان للأجل مقياس كقياس الضغط لجعل حياة الإنسان همًّا دائماً يُمِر حلاوة الدنيا ، ويُذوى خضرة الأمل ، ويزهق روح السعى ، ويذهب جمال الوجود .

فليت الأطباء يخفون هـذا الداء ما داموا لا يملكون له السلامة ، ويدَعوننا نفعل به فعل الآباء نكفكف غلواءه بالفصد والحجامة !

احمد حسن الزيات

(١) اقرأ مقاله ( أنا وضغط الدم ) فى هذا العدد ص ١٠٥١

# « نعم » أومن بالانسان !

للأســــتاذ عبد المنعم خلاف

هل يستطيع صديق الأستاذ الطنطاوى أن يحصر الجدل فى هذه الصخرة الراكزة التى يخيل إلىّ أنى وضعت عليها الفلسفة الإثباتية واليقين الدينى ، وقيمة العلم والحضارة حين اهتديت إلى ما زعمته القضية الفكرية الأولى ، وهى الملخصة فى هذه الجملة :

« أومن بالإنســان لأومن بالكون ورب الكون ، فلن يؤمن الفرد الإنسانى بهما إن لم يؤمن أولا بنوعه ، لأن عقل النوع هو المنظار الذى ندركهما به ، فإن أهدرنا قيمة الإنسان أهدرنا عقله وروحه ، فلا يبقى لنا ما ندرك به كوننا وربنا ! ! »

ولو وقف صديق أمام هذه القضية التى هى كما قلت « أشبه ما تكون بمعادلة رياضية » لعرف أى نظرة جديدة إلى الكون تتراءى من خلال هذه الفكرة ، وأى أفق رحيب يتفتح للنفس البشرية من ورائها ، وأى توفيق لطريق حل مشكلات العيش والفكر يتراءى منها !

وقد زعمت أنى اهتديت إلى القضية الفكرية والدينية الأولى حين أقرر هذه القضية ، فإن لم أكن سبقتُ إلى الاهتداء إليها ، فهذا الزعم صحيح ، ونعم هو من توفيق يحمد الله عليه أجل الحمد .

وقد قلت فى مقدمة الكتاب : « وأكاد أرى أن الموقف الفكرى فى هذه القضية يسبق موقف ( ديكارت ) حين أثبت « وجود الذات المفكرة » ، واتخذه أساساً بنى عليه فلسفته الإثباتية ؛ إذ أنه من أين لديكارت أن يثبت أن لتلك الذات قيمة واعتباراً ، وأن لما ينتج منها من الفكر قيمة واعتباراً إن لم يثبتهما أولا للنوع الذى تنتسب إليه هذه الذات ، ليكون لما يصدر عن أفراد ذلك النوع تلك القيمة وذلك الاعتبار ؟

فالموقف الطبيعى الأول هو أن نرصد أولا هذا النوع الإنسانى كله بعين غريبة عنه ، مفارقة وجوده ، لنثبت له مكانته الخاصة فى الكون ، وخصوصاً بعد أن وصل فكره وجهده أخيراً إلى أن يكون عاملا عظيما من عوامل الحكم والتكوين والتخريب فى الطبيعة ، ثم تأتى بعد ذلك جميع مواقف الإثبات واليقين » .

والطفل فى نشأته الأولى يدرك الكون والناس إدراكا فكرياً قبل إدراك نفسه وأعماقها ، فينبغى مسايرة للنشأة الطبيعية أن لا نحاول إثبات « الذات المفكرة » كما فعل ديكارت إلا بعد أن نثبت « النوع » الذى نراه وندركه قبل أن نراها ، بل نحن لا نستطيع أن ندركها إلا فى مرآة النوع ومواريثه . والفرد من غير النوع لا يستطيع أن يدرك شيئاً من مواريث جنسه ؛ ويكون كذلك « الإنسان النزال » ، أو « الإنسان القرد » ، أو « الإنسان الذئب » ، الذى يتحدث عنه الناس !

هذه هى القضية فى سمائها العالية ، وهى تحتاج إلى جناح قوى للتحليق وراءها ، وتحتاج — كما قلت — إلى نظرة المفارق لنفسه ونوعه ، الخارج بالفكر والخيال عن حدود وجوده ، الراصد لنوعه رصد الملأ الأعلى ممن هم فوق الإنسان والملأ الأدنى مما هن دونه ! !

***

ولم يدر صديق الطنطاوى أن أولى الناس بالفرح والتأييد لهذه القضية هم أمثاله من الدينيين الذين تهفو حياة قلوبهم إلى الإثبات واليقين ، ويرون الكون لا معنى له إن لم يكن قائماً على قيم ثابتة تعتمد على منطق الطبع ومنطق العقل ومنطق العمل .

والقضية مسوقة للرد أولا على الماديين الذين لا يعترفون بقيم ثابتة للوجود ، و ( الدرْونيين ) الذين يقررون أن الإنسان ما هو إلا قرد نهض على قدميه وثرثر بلسانه وفرح بما ثرثر ، وخلق لنفسه آلهة ، ووضع مقاييس وموازين لخيره وشره ، وزعم أنها موضوعة من « عقل » الكون ، ويقررون أن عقل الإنسان ودينه وعلمه ، إنما هى كالإفرازات المادية للكبد والمعدة وغدد السموم فى العقارب والحيات ، وأن ما يزعمه من قيم للأمور ، إنما هى أعاليل يعلل بها نفسه ليخدعها ، وليس بينه وبين « عقل » الوجود — إن اعترفوا به — صلة ، وإنما بينهما هوة لا يستطاع عبورها ، وأن موازين « الخير » والشر عنده مسائل اعتبارية ، وليس هناك وحى ولا نبوة ، وأن ما بين الناس لا يزيد على ما بين النحل والنمل والبقر والبراغيث والبعوض — كما قال ذلك فى الرد

عليّ فى هذه المجلة صديقى الأستاذ زكى نجيب محمود فى سنة ١٩٤١ — وأن حياة أفراد الإنسانية إلى عدم لا رجعة بعده ، كحياة مليارات أوراق النبات وأهراء الحبوب ، وملايين الحشرات تأتى بها دورات وتذهب دورات أبدية من غير رجعة إلى مصير أ كل — كما قال ذلك كاتب متدين صوفى باحث كتب إلى من بيروت يطرح أمامى هموماً ذهنية وشكوكا لحقته —

أفترانى يا صديقى حينما أفتش فى رحاب الكون والنفس عن فكرة جديدة أقذف بها على باطل القوم ، أنتزعها من قوى الإنسان الفكرية والابتداعية النامية المنمّية التى جعلت الإنسان فى مصاف آلهة القدماء فى التكوين والتخريب والتسخير لقوى عظيمة جبارة هائلة كالكهرباء والقوى الذرية والمواد العمياء وتقريب الأبعاد وكشف المستورات فى خبايا الكون والتغلب على كثير من الآفات ... أفترانى حينما أفعل ذلك أ كون قد خالفت رأى القرآن فى الإنسان ؟ !

إن الماديين يهدرون الإنسانية كلها وما أتى عن طريقها من دين وعلم ووحى أنزل على محمد وسابقيه من الرسل ، فليس القرآن بشىء فى ميزانهم ، وليس محمد وجميع الرسل فى رأيهم سوى أفراد من تلك الإنسانية الفردية التى تلغو وتزعم أن للغوها قيمة .

أفنساق الحجة لأمثال هؤلاء من القرآن أو التوراة أو الإنجيل وهم لا يعترفون بها ولا بمن نزلت عليهم ولا بالنوع الذى ينتسب إليه من نزلت عليهم ؟ أم الأولى أن تساق الحجة إلى هؤلاء من رحاب الفكر والكون الواسعة بمنطق هذا الزمان ما دامت آيات الله فى الآفاق والأنفس دائماً تسعف الذين يخلصون لله ويخلصون الفكر فى الكون ؟ !

إن الفكر الدينى آفته أنه يخاف غالباً اجتياز الحدود الموروثة ولو أيقن أن وراءها مصلحة محققة ، لأنه فكر يغلب عليه الاتباع لا الابتداع ، وربما يكون ذلك مقبولا ما دامت طمأنينة النفس وسكينتها موفورة ، ولكن أعتقد أن واجبه أن يأخذ الحجة حيثما وجدت ما دامت تسعف فى إقناع المعارض أو إلزامه .

***

ثم إنى أسأل صديقى بدورى كما سألنى : كلام مَنْ يا أخى الذى يقول : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا » ، « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ؛ « قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » ؛ « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » ؛ « والعاقبة للمتقين » ؛ « ولا أقسم بالنفس اللوامة » أى « الضمير » ! ؟

أليس هذا كلام الله أيضاً ؟ وهل وراء سجود الملائكة لأبى هذا النوع تكريم ؟ وهل وراء اختصاصه بعلم ما لا يعلمه الملائكة من غيب السموات والأرض تفضيل ؟ وهل بعد صبر الله وحلمه على ما يبدو من ظواهر الإفساد وسفك الدماء الذى يفعله الإنسان حجة على أن الغاية من خلق هذا النوع ، إنما هى غاية تربو فوائدها وبركاتها على خسرها ولعناتها ؟

وهل بعد رد الله تعالى على الملائكة حينما قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » بقوله : « إنى أعلم ما لا تعلمون » يصح أن نعترض كما اعترضوا ، ونجعل حجتنا فى السخط عليه هى ما نراه من ظواهر الفساد وسفك الدماء بعد أن نظر الله تعالى إليها فى مجموعها نظرة اغتفار وسماح فى سبيل تحقيق الغاية الكبرى من حياة هذا النوع ؟

إن أسرار قصة آدم هذه كما أوردها القرآن فى أوائل سورة البقرة ، أعظم مفتاح للغز الحياة ، وأعظم تاج على رأس البشرية ، وأعظم صوت يطرد اليأس من مستقبل الإنسان ، وأعظم تفسير لما يبدو من شروره ، وأعظم دافع إلى الكفاح لتحقيق كماله المرجو !

وإنى دائماً أقول : إنه يجب على المفكرين ألا يسرعوا بحكمهم النهائى على الإنسانية ، مع أنهم لم يتبينوا خاتمة حياتها ، ولم يدركوا « القطفة » الأخيرة من ثمارها ... ولعلها لا تزال فى دور الشباب الطائش ، ولعل وراء طيشها كهولة عاقلة . وما دام الله تعالى لم ييأس منها — ولن تفوت عليه تعالى غاية أرادها — فينبغى لنا ألا نيأس منها كذلك ، فما دام يسمح بخروج بذور إنسانية ، فلا تزال الغايات والنتائج الصالحة منها ، بعضها يتحقق وبعضها يُنتظر تحقيقه .

وما عهدنا نوعاً ما فى الطبيعة سلك غير الطريق التى رسمها له الله « أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » ، فلما ذا يستثنى الإنسان

ويجعله يسير في غير طريقه التي رسمها له ؟ وفيماذا يكون الاستثناء في الإنسان أثمن شيء في الأرض ؟ !

***

ولم يدر صديقي — وهو الباحث الديني — أن الله تعالى لا يجوز عليه عقلا أن ينعى على الإنسان صفات وطبائع هو الذي قسره عليها وحدها وأخرجه في قوالبها ، وصوره من نطفة أمشاج وأخلاط من قوى ومواد عمياء حادة ليبتليه ، فليس الإنسان إذاً ملوماً ما دام قد طبع على أن يكون فقط كفوراً وهلوعاً وجزوعاً وكنوداً وعجولا وقتوراً وضعيفاً وجدلا ... الخ

وما كان القرآن — وهو كلام الله الذي كرم الإنسان الأول ودافع عنه أمام الملائكة وأمرهم بالسجود له وخصه بعلم غيب السموات والأرض وطرد إبليس من الجنة حينما استكبر عليه — ليناقض نفسه في قضية الإنسان ، ويقصد إلى ما فهمه الأستاذ وأمثاله ممن يسوقون دائماً هذه الآيات التي ذكرها هو في مقام الاعتراض عليّ .

إنما القرآن في هذه الآيات يصف طبائع الشر التي في الإنسان كما يصف طبائع الخير فيه ، ولم تفد هذه الآيات أن طبيعته مقصورة على الشر وحده ، فإذا وقع منه الشر، فهو جدير به لأن في طبيعته جانباً للشر ، وإذا وقع منه الخير ، فهو جدير به أيضاً ، لأن في طبيعته جانباً للخير أيضاً : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » ، « وهديناه النجدين » ، « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » ، « إن ربك واسع المغفرة ، هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ، وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ، فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » .

فإذا قال القرآن : « إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين » ، فهو يقرر أن من طبع الإنسان هذه الصفات ، لأنه « خلق » عليها ، فليقاومها بما يمحوها أو يعدلها كالمداومة على الصلوات والزكاة وأمانة العهد ، وغير هذه من صفات الخير التي ذكرت وراء الآيات السابقة .

وإذا قال : «ويدعُ الإنسان بالشر دعاءه بالخير، وكان الإنسان عجولا » . فهو يقرر كذلك أن من طبيعة الإنسان التي خلقه الله عليها العجلة : « خلق الإنسان من عجل ، سأريكم آياتي فلا تستعجلون » . ولذلك يجب التريث والصبر والسكينة وعدم اختلاس حق الأيام في إنضاج الثمار حسب قوانين الله التي وضعها

وإذا قال القرآن : « وخلق الإنسان ضعيفاً » . فهو فعلا قد خلق من شيء تافه ضعيف : « الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة» ، « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة ، فإذا هو خصيم مبين » .

وهكذا سائر الآيات التي ذكرها الأستاذ تنبه إلى ما طبع عليه الإنسان من صفات الشر ليحذرها ولا يستسلم لها ، وليقاومها بطباع الخير التي طبع عليها أيضاً . ولو لم يورد القرآن تلك الطباع في معرض الذم حينما يستعرض أفعال الأشرار ، ما تنبه أكثر الناس إلى أنها طباع شر يجب الحذر من نتائج الاستسلام لها ، وكيف يتنبهون إلى أنها شر ما داموا يجدونها في طبيعتهم والقرآن وهو كتاب تربية ، ما كان له أن يغفل الحملة العنيفة على طباع الشر في الإنسان والإنحاء عليها باللوم والإزراء ، حتى ينبه الإنسان إلى خطرها في قذفه إلى أسفل سافلين ما لم يعتصم بما في طبعه من طباع الخير ، وبما يأتيه من هدى الله .

ولو ربى الأطفال جميعاً حق التربية ، ولم يهملوا هذا الإهمال الشنيع الغالب الذي نراه في الأمم المتأخرة ، لرأينا أن نسبة الخير ترتفع في حياة الناس ونسبة الشر تنخفض ، كما وقع ذلك في عهد الدولة الإسلامية الأولى ، وكما يقع الآن في دول شمال أوربا كفنلندا والسويد والنرويج والدانمرك .

وهذا يدل على أن الإنسان يتغلب على ما في طبعه من الشر بالتربية وطباع الخير ، فليس الشر غالباً إلا بما يظاهره من فساد النظم الاقتصادية وإهمال التربية والتهذيب والتعليم

***

وبعد ، فهذا الفهم الذي فهمه الصديق الطنطاوي ، إنما هو من آثار السير في الحدود الموروثة وعدم تغيير طرق النظر بتغير العصور ، وأرجو أن يتحرر صديقي في فهم القرآن من جميع الموروثات حتى تنكشف له أعاجيب ووجوه جديدة من الرأي الذي يشهد للقرآن بأنه كتاب البشرية في جميع عصورها وأحوالها

وبعد ، فإن نوعاً يخرج محمداً وأولى العزم من الرسل والحكماء والصديقين والعلماء والرواد المجاهدين ، جدير بأن يوثق به ويؤمن بقيمته ، فإن مقياس قيم الأنواع هو لبـابها وجوهرها ، وثمر الشجر أقل شيء عدداً فيه ، والشوك يكون مع الورد ، والظلام مع النور ، والفساد وسيلة لإدراك الصلاح والحفاوة به .

« ونبلوكم بالشر والخير فتنة » ، فالخير أيضاً فتنة !

هذِي طباعُ الناس معروضةٌ    نخالِطُوا العالم أو فارِقُوا !

عبد المنعم خلاف

# علوم البلاغة فى الجامعة

للأستاذ على العمارى

— ٢ —

تحدثت فى المقال السابق عن الأسلوب الذى تدرس به البلاغة العربية فى الجامعة ، وعبت أن يكون هـذا الأسلوب العامى الركيك هو الذى يلقى على طلبتها ، وتنقصته بأنه يفسد ذوق التلاميذ ، وبأنه لا يتفق وطبيعة النصوص العربية الفصيحة ، ولا سيما كتاب الله الكريم .

وقد سمعت بعض الاعتراضات على ما كتبت ، فسمعت من يقول إن هذه محاضرات ألقيت على طلبة صغار لم يتعدوا مرحلة التعليم الثانوى إلا منذ قليل ، ولم يشدوا من علوم البلاغة إلا نتفاً يسيرة . ونسى هذا القائل أن طلبة الجامعة تلقوا فى المرحلة الثانوية كتباً ذات بال فى علوم البلاغة ، وفيها من النصوص العربية الفصيحة العالية ، ومن الأسلوب المهذب الطيب ، ما يهيئهم لأن يتلقوا أسلوبا أرق وأسمح ، وحسبك أن تنظر فيما يدرس فى المدارس الثانوية من كتب فى هذا الفن لترى أن أسلوبها أرجح وأقوى من هـذا الأسلوب الذى نقلنا مقتطفات منه فى المقال السابق ، وحتى لو كان الطلاب لم يتلقوا فى المرحلة السابقة شيئاً يذكر لـكان لزاماً على أستاذ البلاغة فى الجامعة أن يكون مثلا لهم فى حسن التعابير ، وجمال اختيارها ، وإذا كان لا بد من أسلوب عامى ، فليكن أسـلوبا مهذبا لائقا . وإن علماء النفس يحدثوننا عن تداعى المعانى ، وعما تلقيه الـكلمات من المعانى والظلال فى نفوس السامعين ، والأستاذ الخولى مؤمن بهذا ، فهل يستطيع أن يحدثنا عما تحدثه الـكلمات من أمثال قوله عن محمد وجميع الأنبياء أنهم ( سعاة بوستة ) أو قوله شارحاً قول الله عز وجل ( وما أنت بمسمع من فى القبور ) : ( أنت مش قدام ناس . انت قدام ألواح وبهايم ) وماذا تنشره من ظلال ، وماذا تستجلبه من معان فى نفوس تلاميذه ؟ وسمعت من يقول إنه لا بأس أن يكون هذا الأسلوب أداة التعليم فى الجامعة ، والأسلوب العامى ما دام لم يكتب فى كتاب وإنما يلقى فى درس فى حجرة فلا غبار عليه . وجوابى على هذا أنى أتكلم عن تدريس فن البلاغة فى الجامعة لا عن تدريس الجغرافيا فى المدارس الابتدائيـة ، أما الثالث فيقول : إن اللجوء إلى نقد الأساليب تهرب من نقد الآراء ، وهذا ولا شك جاهل أو متجاهل قيمة الأسلوب فى تكوين أذواق المتعلمين بل وفى أخلاقهم وعاداتهم أيضاً . على أنى — بحول الله وقوته — ماضٍ فى نقـد ما تضمنته مذكرات الأستاذ الخولى فى علوم البلاغة من آراء فى قواعدها أو فهوم فى النصوص الأدبية ، ولنبدأ بمذكراته فى علم البيان .

والفـكرة المتسلطة عليه فى هذا الفن أن يجعل لـكل عبارة من عباراته منبعاً لمعان نفسية يجب أن تثيرها فى نفس المتكلم أولا ، وفى نفس السامع ثانياً ، وهو لذلك يتكلف العنت ، ويركب الشطط فى تخريج النصوص الأدبية . وهو لا يؤمن بالماديات الصرفة فى هـذا الفن ، ويكاد ينكر المحسنات التى لا تثير معانى نفسية فحين يقول الشاعر مثلا :

تجهز فإما أن تزور ابن ضابىء    عميراً ، وإما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما    ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

لا يرى لهذا التشبيه معنى ، لأن الشاعر لم يزد على أن فضل الفرس فى البياض على الثلج دون أن يلاحظ العلاقات المعنوية بين المشبه به والمشبه ؛ فتراه يقول مثلا حين يتكلم عن أغراض التشبيه « ومنها بيان حاله كما فى تشبيه ثوب بآخر فى السواد — الخ . هـذه عبارة الخطيب القزوينى صاحب الإيضاح . فيعلق عليها الأستاذ قائلا : هذا كلام فارغ ؛ لأن الانسان حين يشبه السواد

يلحظ فيه الانتشار والتغطية والابهام ، أى أثراً نفسياً يقع من رؤية هذا السواد ، وعلى هذا الملحظ يشبه الميل » . لا يا مولانا ، هذا شىء وذاك شىء آخر ، نعم قد يلاحظ الشبه بالسواد المعانى التى يثيرها فى النفس ، ولكن لا بأس أن يلاحظ مشبه آخر مجرد السواد . وليس هذا بالكلام الفارغ ، وهو من أساليب العربية المقبولة ، بل وفى طبائع الناس أيضاً ، فهم لا يزالون يلحقون شيئاً بشىء فى البياض أو الحمرة أو السواد أو ما شاءوا من لون ، ولعله يلفت النظر إلى هذا التهجم الجائر على كلام العالم العلامة الخطيب القزوينى ، ومن معه من علماء البلاغة حين يقول ( هذا كلام فارغ ) ، ولا شك أن مثل هـذا يمحو من أذهان المتعلمين ما لهؤلاء من هيبة وجلال ، وبذلك لاينتفعون بما كتبوا وألفوا ما داموا يحتقرونهم ويسمعون من أستاذهم هذا التنقص لهم ، والغض منهم .

وقد ذهبت به هـذه النظرة الجائرة إلى أن ينكر نوعا من التشبيه قد أطال علماء البلاغة ونقدة الأدب فى امتداحه ، يقول :

« ولا زوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوئل النار فى أطراف كبريت »

المشبه زهرة البنفسج قائمة على ساقها ، والمشبه به أوائل النار فى أطراف كبريت ، إذا أردنا أن نحلل عملية التشبيه لقلنا إنه شعر للبنفسج بجمال فترجم عنه ، ونحن نفهم أن الجميل قادر أن يلفت معنى وراء وجوده المادى ولـكن الشاعر لم يتخط الوجود المادى نظر إليها على أنها زهرة لها حجمها الخاص ولونها الخاص ، وقال كلاما شرح به هذا الوضع المادى ( كأوائل النار فى أطراف الكبريت ) أولا : ما هو الشىء المعنوى الذى لفتت إليـه الزهرة الجميلة ؟ لا شىء . زهرة البنفسج هذه يمكن أن نحس أمامها بنوع من الانصراف عن التنبه واليقظة ، فاذا شبهتها بإنسان حالم تكون قد تذوقت للون طعما خاصاً من طعوم الحياة ؛ وبذلك تكون المـادة قد أفلحت فى إيجاد المعنى .. أما وصف اللون بلون آخر فلا شىء .. ثانياً : نلاحظ أن الشاعر نقلنا من جو فسيح إلى جو خانق فليست هنا قوة فى الإحضار ، وإنما هى غفلة وسوء تصرف »

قد يبدو هذا الـكلام مقنعاً ورائعاً لأول وهلة ، ولـكن يجب أن نتذكر حقيقتين :

الأولى — أنه يدرس التشبيه ؛ ومعنى ذلك أن يقف عند تشبيه الشاعر . هل أصاب أو أخطأ فى إلحاق هذا اللون بذاك . أما أن الشاعر لم يلتفت إلى مايهيجه البنفسج من المعانى فى النفس والتفت إلى شىء مادى بحت فهـذا لا دخل له فى صحة التشبيه أو فساده .

الثانية — أن البيان يبحث عن الأساليب الفنية التى تؤدى بها المعانى ، وما دام يبحث عن الفن فهو يجده فى المعانى البحتة ويجده كذلك فى الماديات البحتة ، وليس أحدهما بأولى من الآخر فى إبراز الفن البيانى فيه ، وعلى ذلك فهم علماء البلاغة ما ورد من هذه الأمثلة . ولعلنا نأتى بالقول الفصل حين نسوق ما قاله إمام البلاغيين الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى هذا الموضوع بعينه: « وهكذا إذا استقريت وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب ، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب ، وذلك موضع الاستحسان ومكان الاستظراف ، والمثير للدفين من الارتياح ، والمتألف للنافر من المسرة ، أنك ترى بهـا الشيئين مثلين متباينين ، ومؤتلفين مختلفين ، ولذلك تجـد تشبيه البنفسج فى قوله : ولا زوردية .. الخ أغرب وأعجب ، وأحق بالولوع ، وأجدر من تشبيه النرجس بمداهن در حشوهن عقيق ؛ لأنه إذ ذاك مشبه لنبات غض يرف ، وأوراق رطبة ترى الماء منها يشف ، بلهب نار فى جسم مستول عليه اليبس ، وباد فيه الـكلف ، ومبنى الطباع وموضوع الجبلـة على أن الشىء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صبابة النفوس به أكثر ، وكان بالشغف منها أجدر » . وليس بعد كلام الشيخ كلام ، ولـكن لعل شيخ الجامعة يتهمه بفساد الذوق ، ولو أنه أعاد وأبدا ، واحتج بنظرية نفسية كان الأستاذ ينكر أن المتقدمين تنبهوا لمثلها ، والأمر أوضح من أن يشرح ، فالشاعر أراد أن يبين زرقة البنفسجة التى تفخر بها على اليواقيت الحمر ففكر فى شبيه لهذه الزرقة ، وهنا يتفاضل الشعراء ، فمنهم من يكون قوى اللفتة فسرعان مايقع على شبيه ولو كان نادر الحضور فى الذهن ، ومن هنا تجىء طرافته وجدته ، ومنهم البليد الذى لا يصل إلى الشبيه إلا بعد حين وربمـا لا يصل ، وإذا كان من

الميسور لأستاذ البلاغة فى الجامعة أن يتهم الشيخ عبد القاهر فى ذوقه فأظن أنه ليس من الميسور أن يتهم جريراً الشاعر . فاليه نسوق القصة التالية : يحكى أن جريراً قال : أنشدنى عدى ( يعنى ابن الرقاع العاملى ) : عرف الديار توهما فاعتادها .

فلما بلغ إلى قوله:( تزجى أغن كأن ابرة روقه ) رحمته وقلت قد وقع ، ما عساه يقول وهو أعرابى جلف جاف ؟ ! فلما قال : ( قلم أصاب من الدواة مدادها ) استحالت الرحمة حسداً . قال صاحب الإيضاح : فهل كانت الرحمة فى الأولى والحسد فى الثانية إلا أنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له فى أول الفكر شبه ، وحين أتمه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف .

وبعد . فهذا كلامهم وهذا كلامه ، وموعدنا المقال التالى .

**على العمارى**
مدرس بمعهد القاهرة

# أنا وضغط الدم

للأستاذ عباس حسان خضر

قضيت ماقضيت من حياتى — قبل أن تبدأ قصتى مع ضغط الدم — بعيداً عن الأطباء ، لم ألقهم فى مرض ألمّ بى إلا مرات معدودات . وذلك لعديد من الأسباب لا أريد أن أذكر منها إلا أننى حريص على العمل بالحكمة المأثورة : « الوقاية خير من العلاج »

ومهما كانت الأسباب فقد كنت بخير إلى أن لقيت صديق فى الطريق وهو ذاهب إلى مكتب شركة من شركات التأمين على الحياة ليدفع قسطاً من المؤمن به على حياته ، وطلب منى أن أصحبه وقال لى : لم لا تؤمن أنت أيضاً على حياتك ؟ فقلت فى نفسى : حقاً لم لا أؤمن على حياتى ؟ إننى لا أدخر شيئاً ، وهذه قطع كبدى تمشى على الأرض ، ولا يملك أبوهم شبراً من أرض ...

وقال صديق : على أنك إذا طلبت التأمين عهدت الشركة إلى طبيبها أن يفحصك فحصاً تاما ليتحقق سلامتك من جميع الأمراض ، فإذا كانت هذه السلامة اطمأننت على صحتك وجنيت فائدة التأمين ، وإلا عرفت داءك فتبادر إلى علاجه ؛ وسيسألك الطبيب عن الأمراض التى أصبت بها فى حياتك ، فلا تصدقه وقل له : إنك لم تصب بأى مرض فى أى زمن . تصور أنى قلت له : لم أمرض إلا مرة واحدة فى حياتى ، إذ أصبت بحمى ( الدنج ) فجعلت الشركة تبحث عما عساه أن يكون لهذه الحمى من الآثار التى تقصر الأعمار ... وبعد البحث والدرس ، والأخذ والرد ، قبلت التأمين . قلت لصديق : إنك — ولا شك — أصدق المؤمنين على حياتهم لدى هذه الشركة !

وتقدمت إلى الشركة بطلب التأمين على حياتى بألف جنيه ، على أن أدفع أقساطاً شهرية بضعة جنيهات ؛ وزعمت أنى لن أبالى بعد ذلك أن أموت فى أى وقت تاركا لأولادى ألف جنيه ! وكنت شديد الحذر من سيارات الحلفاء وما إليها من الدوامِّ التى تعج بها شوارع القاهرة ، وزعمت أيضاً أننى لن أكون كذلك بعد أن يتم عقد التأمين ...

واستدعتنى الشركة للفحص الطبى ، وليس يهمك أن تعلم أنى أخذت بنصيحة صديق فى الكذب على الطبيب أو لم آخذ بها ، فقد حدث ما شغلنى عن ذلك ، وهو المقصود من هذه الحكاية ، فلنقصد إليه قصدا ... لفّ الطبيب على ذراعى قطعة من قماش أسود كثيف ، وأدار الآلة المتصلة بها ، فضغطت على ذراعى ، ونظر إلى دائرة بها مشير يتنقل بين أرقام ... ثم قال : عندك ارتفاع فى ضغط الدم !

ضغط الدم ... ! وما ضغط الدم ... ؟

لم يجب الطبيب ، لأنه لا يتكلم فى الصميم ، وإنما أبدى استعداده للعلاج .

ولكنى لم آت هنا للعلاج ... ولست أعرف هذا المرض ، ولا أحس له بأعراض ، وإنما أطلب التأمين على حياتى ... ولكن الشركة لا تؤمن هذه الحياة التى يتحيفها ضغط الدم ...

وذكرت قول صديق : « ... وإلا عرفت داءك فتبادر إلى علاجه » ، ولكننى أصررت على تجاهل هذا الداء ، أما أولادى فإن كنت سبباً فى وجودهم فإن موجدهم الأصيل الذى يكفلنى ويكفلهم أقدر على كفالتهم بعدى ، وهو المستعان فى كل حال .

ولـكن مالى أنتبه عند ما أسمع الناس يرددون كلمة « ضغط الدم » بين ارتفاعه وانخفاضه ، وأرى اهتمام بعضهم بقياسه ، ومعرفة درجته ومعالجته ... ؟ استرعى ذلك انتباهى . وأثار باطن الشعور الذى خلته انتفى عنى ، فقصدت أحد الأطباء ... ولفَّ على ذراعى ذلك القماش الأسود ، وقاس ضغط دمى ، وسألنى عن سنى ، وقرر أن الضغط مرتفع إلى درجة لايحسن السكوت عليها .

ورحت أتناول الأدوية ، وسرت على ( الرجيم ) وكنت كلما أخذت دواء ، أو أكلت مسلوقا ، أو حرمت نفسى محذوراً ؛ أوحى إلىَّ كل ذلك أننى حقاً مصاب بضغط الدم ، وكأن كل ذلك يأمرنى أمراً بأن أكون كذلك ، فيجب أن أستشعر ثقل الدماغ والصداع وفتور الجسم ، وارتخاء الأطراف ، فيجيئنى كل ذلك ومعه هموم الدنيا وسواد العيش . وكنت أحس كلما وطئت قدماى عتبة ( عيادة الدكتور ) أن الضغط يرتفع ، وإن كنت قد أوحيت إلى نفسى فى الطريق أن الأدوية و ( الرجيم ) قد أفادت فأذهبته ... فيقيس الطبيب ، وأعاود تعاطى الأدوية ، والخضوع ( للرجيم ) وهزل جسمى وضعف بدنى . وعجبت من أن حالتى تزداد سوءاً على مرّ الأيام ، مع العناية والدقة فى مراعاة مقتضيات العلاج ، ومع الحرمان التام من كل ما يزيد الضغط !

حرت فى الأمر ، فمرة أقول لعل المرض كان فى أطواره الأولى خفيفاً ، أما الآن فقد استفحل أمره حتى أعضل ، ولولا هذه المعالجة لأدى بى إلى الحالة التى خشيت شركة التأمين خسارتها فيها ، ومرة أقول لعل هذا الطبيب غير موفق ، فأغيره ولا يتغير الحال . وأخيراً قلت : ألم أكن قبل بخير ؟ فلمَ لا أرجع كما كنت ؟ وطرحت الدواء وخلعت طاعة ( الرجيم ) فغذيت جسمى باللحم والبيض ، ورويته بالخضر المطهية بالطماطم ، وعمرت دماغى ( بالتقلية ) فعادت روحى إلى بدنى ، وجعلت الحيوية تدب فى أوصالى ، وأقبلت على رياضتى البدنية التى كنت تركتها خيفة أن ينفجر القلب وتتمزق الشرايين ؛ فأشرقت نفسى ورأيت الدنيا مشرقة ؛ وكل شىء يبسم ويدعونى إلى مشاركته ؛ وأدركت ما كاد يفسد من أمورى ، فطابت نفسى بذلك وحمدت الله على هـذا التوفيق . ولم أندم على تلك المحنة لأننى اعتبرتها تجربة استفدت منها ؛ إذ عرفت أن دائى من الحالة النفسية التى وقعت فيها ، والتى كانت تستشرى عند كل مرسوم من مراسيم العلاج إذ أفكر متسائلا : لم آخذ هذا ؟ ولم أدع ذاك ! وعرفت أيضاً أن دائى من ضعف بدنى لحرمانه التغذية والتقوية ، كما عرفت أن سواد عيشى كان من سواد قماش تلك الآلة التى يقيسون بها ضغط الدم .

ولـكن لم تدم جدوى هذه العبرة طويلا ، فقد أوقعنى سوء الطالع مرة ثانية مع موظف فى شركة أخرى للتأمين ، من أولئك المنوط بهم جلب حرفاء للشركة لقاء جعل مقدر بنسبة مئوية من مقدار التأمين ، وأهم ما يتصف به هؤلاء اللباقة فى الحديث ، والقدرة على شرح فوائد التأمين والإقناع بضرورته . أكد لى أن صحتى جيدة ، وأنه لايبدو علىّ مايدل على ضغط الدم ، وأن الضغط لا يرتفع فى دم من هو فى نحافتى وفى مثل سنى . ورضيت أن أتقدم للتأمين مرة أخرى ... وما وضعت قدمى على عتبة طبيب الشركة حتى هممت بالرجوع لأنجو بدمى من أكدار أحسست أنها تتسرب إليه ، ولـكننى أشفقت على الموظف الذى يدعونى إلى الدخول متلطفاً مبتسما ؛ فدخلت ، وتمت الطامة برؤية مقياس الضغط ذى القماش الأسود الـكثيف ... وأظهر الطبيب استعداده للعلاج ... فخرجت وقد أضفت إلى ثبت المنغصات فكرة التأمين على الحياة ، وباعتبارى إنسانا إذا مسه الضر دعا الله إلى جنبه — تذكرت تلك الحكمة التى خطرت لى عقب رفض الشركة الأولى تأمين حياتى . فقلت : « أما أولادى فإن كنت سبباً فى وجودهم فإن مُوجدهم الأصيل الذى يكفلنى ويكفلهم — أقدر على كفالتهم بعدى » .

على أننى لم أدر تماماً أأنا حقاً مصاب بذلك الضغط ، وأن التفاوت بين الحالتين يرجع إلى تلك الأسباب من تركيز تفكيرى فيه كلما جرعت دواء أو أكلت مسلوقاً أو تجنبت محذوراً ، ومن الشعور الكريه الذى ينتابنى فى مدخلى إلى الطبيب ، واسوداد الدنيا أمام ناظرى حينما أبصر ذلك القماش الأسود ، ومن التفكير فى التأمين على الحياة ، إلى ما يجره كل هذا من الهم والحزن ونكد العيش ؛ فإذا نفت عنى إرادتى كلَّ ذلك ،

صحائف مطوية :

# ١ - من أخلاق البحتري

## علاقته بالخلفاء

للأستاذ محمد رجب البيومى

لأبى عبادة البحترى عند أدباء العربية مكانة رفيعة لا يتطلع إليها أبعد الناس أملا فى نباهة الذكر ، واستفاضة الشهرة ، فهو أحد الثلاثة الذين رزقوا من الحظوة والذيوع ما جلجل صداه فى كل زمان ، على أن الوليد أعمقهم تأثيراً وأكثرهم أنصاراً ، نظراً لديباجته الناصعة ، وسلاسته المترقرقة ، ووضوح معانيه وضوحا يصل بها إلى أعماق القلوب بمجرد النظرة الأولى ، ولا كذلك أبو تمام والمتنبى ، فالأول مغرق فى الغموض والالتواء ، والثانى مولع بمخالفة أهواء الناس ، وحسبك أن يقول أبو العلاء — وهو أبعد الناس عن مذهب الوليد — « أبو تمام والمتنبى حكيمان وإنما الشاعر البحترى » !

ولقد تناول شعره بالنقد والتحليل طائفة ممتازة من أرباب الأقلام الناضجة فقالوا فيه ما شاء لهم تفكيرهم واستنتاجهم ، فمن متعصب له كالآمدى ، ومن متعصب عليه كالصولى ، ومن متجرد عن الميول والأهواء كابن الأثير ، ومهما يكن من شيء فقد خرج الأدب من هذا التطاحن المحمود بثروة كبيرة تعتز بها المكتبة العربية على ممر الأحقاب . وإن من الغريب أن يغفل هؤلاء جميعاً عن دراسة أخلاق البحترى دراسة تبرزه على حقيقته أمام الجمهور، اللهم إلا شذرات يسيرة فى مختلف الأسفار لا تشبع نهمة راغب فى البحث ، آمل فى الوصول إلى نتيجة واضحة يفهم على ضوئها شعر البحترى كما يجب أن يكون الفهم والاستنتاج !

على أنى آسف كل الأسف لهذه الحقيقة المؤلمة التى اهتديت إليها بعد بحث جهيد ، والتى تصور لنا البحترى خبيث الطبع ، لئيم المكر ، ملتهب الحقد ، وهذا يتجلى بوضوح تام فى مختلف علاقاته بالناس من خلفاء وشعراء وأصدقاء ، بل فى علاقته بأقاربه وأهل بيته وهم أولى الناس بعطفه وإشفاقه ، لو كان فى قلب الوليد إثارة من عطف وإشفاق !

ونظرة واحدة إلى ديوانه تريك العجب العاجب من وقاحته

---

أو إذا ذهب عنى لابتعادى عن مثيراته شعرت بأنى فى حالة عادية لا يشوبها أى كدر ، ولكن ما بالى لم أشعر بشيء من قبل ولا من بعد ؟ أم أنا يوم فحصنى طبيب الشركة وقاس ضغطى لأول مرة كنت متغير المزاج لأى سبب بأن وقع لى قبيل الفحص ما جعل مشير المقياس يرتفع إلى رقم ما كان يبلغه لو كنت فى حالة عادية ، ثم استقرت الفكرة فى نفسى بعد ذلك بحيث يسبب الشعور بها عند كل مناسبة ارتفاعاً فى الضغط ؟ وعلى ذلك أستطيع أن أفرض أن كثيراً من الناس أصيب به عند ما شاهدت عيناه القماش الأسود يلف على ذراعه لأول مرة ، وصارت رؤيته بعد ذلك تبعث الوساوس وتجلب الأكدار .

ولا أعنى بالوصول إلى نتيجة حاسمة فى ذلك ، فلا سبيل إليها أولا ، لعدم الانسجام بين راحة بالى وبين مقياس الضغط . والأمر الثانى الذى يصرفنى عن تحقق وجود ارتفاع الضغط هو أننى عرفت أن أوفق شيء لى أن أحيا حياة صحية عادية ، لا أتكلف فيها تناول شيء أو تجنب آخر مادمت فى حدود القانون الصحى العام ، وأننى عند ما أعمد إلى العلاج أرانى أتداوى « بالتى كانت هى الداء[1] » على فرق ما بينى وبين أبى نواس من اللذة والألم والنشوة والحسرة ، ومن أن كأسه تداوى والذى كنت فيه يدىء[2] .

وبعد ، فهذه قصتى مع ضغط الدم ، سقتها هنا بدافع الرغبة فى التعبير الأدبى عن تجارب تضمنت أحاسيس وانفعالات ، ولعل فيها إلى ذلك مادة تنفع من وقع فى مثل ما وقعت فيه ، أو تعصم من يوشك أن يقع ، أو تحمل العبرة إلى من يعتبر من بعيد .

عباس حسان خضر

---

(١) من بيت أبى نواس المشهور فى الخمر :

دع عنك لومى فان اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

(٢) يصيب بالداء .

وغدره فهو يمدح الرجل ويذمه مرات عديدة لا لأنه يستحق المدح أو الذم مثلا ، فذلك مقبول ، بل لأنه جاد له بالمال فمدحه ثم أبطأ قليلا فى سيبه فأقذع فى هجوه ، غير متذكر ما طوق به جيده قبل ذلك ، بل لقد وصل به التنكر والجحود إلى أن جعل شعره محلا تجاريا يأخذ منه ما يلزمه إبان حاجته فهو — كما يقول صاحب الموشح — يمدح الإنسان بتحفة خالدة من رائع الشعر ثم يعرض له بعد تناسل الأيام أن يمدح محسنا آخر فيدفعه لؤمه إلى أن يعمد إلى شعره الذى قاله فى الممدوح الأول فيغير ما يحتاج إلى تغيير من الأسماء والألقاب ثم يسوق القصيدة برمتها إلى الممدوح الثانى ، وهذه طريقة مقيتة وقع فيها المتنبى أيضاً فقد مدح أبا الفضل وزير كافور الأخشيد بقصيدة :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا

وكان منها :

صفت السوار لأى كف بشرت بابن الفرات وأى عبد كبرا

ولما لم يثبه أبو الفضل عليها صرفها عنه وتحول إلى ابن العميد فدحه بها بعد أن غير كلمة ابن الفرات بابن العميد ثم أردفها بزيادة يسيرة تتضمن جانباً من أوصاف ابن العميد[1] ... ! وإذا كان المتنبى قد وقع فى ذلك مرة واحدة فقد كان البحترى غارقا فى هذه العادة إلى أذنه ، حتى أنه كرر هذه الجريمة الأدبية إحدى وعشرين مرة[2] وكأن الله عز وجل أراد أن يكشفه للناس على حالته ، فبالرغم من تحفظ ولده أبى الغوث عن الوقوع فيما يدل على ذلك حين جمع ديوان والده فقد ذكر له قصيدتين متشابهتين فى أكثر الأبيات فأنت تقرأ اللامية التى مدح بها المتوكل على الله ومطلعها :

قف العيس قد أدنى خطاها كلالها

وسل دار سعدى إن شفاك سؤالها

ثم نقرأ قصيدته التى مدح بها ابراهيم بن المدبر ومطلعها :

وقوفك فى أطلالهم وسؤالها

يريك غروب الدمع كيف انهمالها

أقول : تقرأ هاتين القصيدتين فتجدها متوافقتين لفظا ومعنى فى كثير من الأبيات . ولك أن تستنتج من هذا حكمك على ضمير البحترى الفاسد ، وحرصه على ابتذاذ الأموال بما تنكره مروءة الأخلاق .

ولننظر أولا إلى علاقته بالخلفاء لنعرف إلى أى مدى سفل الوليد ، فما صان عهدا ولا حفظ إلاًّ ، حتى مع المتوكل على الله ، ذلك الخليفة المطاء الذى أدناه من مجلسه وأغرقه فى طوفان من حبائه ، واختاره نديماً على بساط الشراب إلى أن لقى حتفه وهو فى ندوته يجاذبه أطراف السمر مع الفتح بن خاقان ، وحين حلت الكارثة قام الوزير الشجاع بما يفرضه عليه واجب الشهامة والرجولة ففاضت روحه قبل سيده ، وفر البحترى إلى حمام مهجور بقصر القاطول فاختبأ فيه وبعد ذلك جاء يكذب على الناس فيقول فى اختلاق ذميم :

أدافع عنه باليدين ولم يكن ليثنى الأعادى أعزل الليل حاسره

ولو كان سيفى ساعة الفتك فى يدى

درى الفاتك المعجلان كيف أساوره

مع أن البحترى لو كان صادقا فى قوله لصرع لساعته كما صرع الفتح بن خاقان شهيد المروءة والوفاء !

ونحن لا نبالغ فى مؤاخذة البحترى على فراره هذا فلعله ممن لا يلقون بأيديهم إلى التهلكة . ولكننا نبالغ فى مؤاخذته على هجائه المتوكل بعد مصرعه برغم ما غمره به من خير عميم ، فقد قال فى مدح المنتصر قاتل المتوكل العاق :

| | |
|---|---|
| حبـاناً به الله فى المنتصر | حججنا البنية شكرا لما |
| أظلهمو ليلها المعتكر | تلافى البرية من فتنة |
| تبلج فيها مكان القمر | ولما ادلهمت دياجيرها |
| بتلك الخطوب ولم يقتدر | ولو كان غيرك لم ينتهض |
| يداك الحقوق لمن قد قهر | رددت المظالم واسترجعت |
| أذيع بسربهمو فابذعر | وآل أبى طالب بعدما |
| تكاد السماء لهـا تنفطر | ونالت أياديهمو جفـوة |
| تجدد من نهجه ما اندثر | بقيت إمام الهدى للهدى |

ومعلوم أن المتوكل هو الذى غالى فى قهر آل أبى طالب ! !

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان .

(٢) الوشح للمرزبانى .

فهل يليق أولا أن يمدح قاتله ؟ ! وهل يليق ثانيا أن يعرض بهجاء ولى نعمته الأول فيقول إن الفتنة أظلمت دياجيرها فى عهده وأن الهدى قد اندثر على يده ؟ إن هذا لغريب .

على أن البحترى لدناءة أصله ، وخسة طبعه لم يلبث أن قلب للمنتصر — ولى نعمته الثانى — ظهر المجن ، فهجاه هجاء مرا بعد مقتله ، ثم انقلب إلى الخليفة الجديد المستعين بالله يتزلف إليه ويمدحه حتى يستنزف أموال خزائنه فهو يقول متظاهرا بالولاء والإخلاص :

لقد نصر الإمام على الأعادى وأضحى الملك موطود العماد
أمير المؤمنين اسلم فقدما نفيت الغى عنا بالرشـــاد
تدارك عدلك الدنيا فقرت وعم نداك آفاق البـــلاد

ولقد هبت فى عهد المستعين بالله زعازع شديدة تنبىء بزوال دولته نظراً لقوة أنصار المعتز بالله غريمه الأول ومنافسه الألد فرأى البحترى أن يحتاط لنفسه فأرسل للمعتز فى سجنه قصيدة تنبىء عن ولائه ، وكان قد قالها قبل ذلك فى حبس سعيد بن يوسف ولكنه كما قلنا — فيما تقدم — شاعر تجارى يتصرف فى شعره كما شاء ، ومما جاء فى هذه القصيدة :

جعلنا فداك ، الدهر ليس بمنفك
من الحادث المشكو والنازل المشكى
وقـد هذبتك الحادثات وإنما
صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك
على أنه قد ضيم فى حبســـك الهدى
وأضحى بك الإسلام فى قبضة الشرك
أما فى نبى الله يوسف أسوة لمثلك محبوسا على الجور والإفك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة فآل به الصبر الجميل إلى الملك

وكأنى بالبحترى وقد خاف أن يعلم المستعين بالله نبأ هذه المراسلة فتقدم إليه بقصيدة عصماء مظهراً ولاءه ووفاءه قائلا فى ديباجة مشرقة وأسلوب سلس :

بقيت مســـلما للمسلمينا وعشـــت خليفة لله فينا
فقد أنســـيتنا بذلا وعدلا أبوتك الهداة الراشـــدينا
أراد الله أن تبـــقى معانا فقدّر أن تسمى مســـتعينا
إذا الخلفاء عـدّوا يوم فخر ســبقت سراتهم سبقاً مبينا
وقيناك المنون وإن حظاً لنا فى أن نوقيك المنونا

وبعد أن أمن على نفسه من ناحية المستعين أخذ يراسل المعتز بالله من جديد فهو يقول فى مخاطبة غلامه نائل :

ألا هل يرجع العيش لنا مثل الذى كانا
وهل ترجع يا نائل بالمعتز دنيـانا
عدمت الجسد الملقى على كرسى سليمانا
فقـد أصبح للمنة نقلاه وبقلانا

والجسد الملقى على كرسى سليمان هو المستعين بالله الذى قربه من مجلسه وغمره بنواله . ولما دارت الدوائر على المستعين وقتل فى قصره تحت جنح الظلام ، أخذ البحترى يضحك لآماله ، وسار من فوره إلى المعتز بالله معتمداً على ما كان بينهما من مراسلة خفية ثم مدحه بقصيدة طويلة عرج فيها على المستعين — ولى نعمته الثالث — فسلقه بلسان حاد ولصق به جميع المثالب حتى جرده من إنسانيته فهو يقول فى هجائه :

متى أسل الديان أن تصطفى له عرى التاج أوتثنى عليه عصائبه
وكيف ادعى حق الخلافة غاصب حوى دونه إرث النبى أقاربه
بكى المنبر الشرقى إذ خار فوقه على الناس نور قد تدلت غباغبه
ثقيل على جنب الثريد مراقب لشخص الخوان يبتدى فيواثبه
إذا ما احتشى من حاضر الزاد لم يبل
أضاء شهاب الملك أم كل ثاقبه
تخطى إلى الأمر الذى ليس أهله فطوراً ينازيه وطوراً يشاغبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعرى من برد النبى مناكبه
وقد سرنى أن قيل وجّه مسرعاً إلى الشرق تحدى سفنه وركائبه
إلى دسكر خلف الدجاج ولم تكن
لتنشب إلا فى الدجاج مخالبه

ثم أخذ يكرر هجاءه ثانية وثالثة ورابعة وما ذاك إلا ليحوز قبول المعتز بالله ! فيا لضيعة الوفاء[١] ...

ولقد كان مصير من سبقه من الخلفاء فى هذا المهد الأحمر

---

(١) للبحترى فى مدح المعتز قصيدة مطلعها .

حذرت الحب لو أغنى حذارى ورمت الفر لو نجى فرارى

ولقد هجا فيها المستعين هجاء فاحشاً أستحى أن أنشر شيئاً منه على صفحات الرسالة ، ولا أدرى كيف تحملتها أذن المعتز بالله حين أنشدها إياه ؟!

الذى فاضت فيه دجلة بدماء الخلفاء ، حتى كان تعيين الخليفة حكما عليه بالإعدام ، فهو ينتظر تنفيذه بالليل ، فإذا أخطأه ترقبه بالنهار ؟! ولعمرى أى خطأ شنيع وقع فيه المتصم حين اصطفى هذه الشرذمة السافلة من غوغاء الأتراك ليدفع بها سلاطة الفرس على قلة شرهم — فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم !

وما إن عرف البحترى مصرع المعتز حتى توجه كعادته إلى غريمه الجديد ، يمدحه ويستدر عطفه . وما فى ذلك عيب ، ولكن العيب كل العيب فى تعريضه الشنيع بهجاء المعتز — ولى نعمته الرابع — محاولا أن يشفى بذلك غلة الممدوح ، ولو طال أمد البحترى إلى الآن لوجدناه يحرص على تمثيل هذا المنظر القبيح مع من يتعاقب على الدول من ملوك وخلفاء

وليت شعرى كيف عمى الخلفاء عن تلاعب البحترى بهم هذا التلاعب المقيت ، فلم يتنبهوا إلى غدره الفاحش ، فيقفلوا أبوابهم فى وجهه على أقل تقدير ، ولكنه الحظ الذى ستر مثالبه ، وأطبق العيون عن مخازيه ، فجعل كل خليفة يبتسم له ناسياً ما ارتكبه فى حق زميله السابق من غدر وعقوق ، ولقد كان أبو تمام أولى بهذه الحظوة لدى الخلفاء ، لما نعرفه من نبل أخلاقه ، وكرم خلاله ، إلا أن السعادة التى احتضنت البحترى قد ناصبت حبيباً العداء ! ! فقد مدح المعتصم بقصيدتين خالدتين ثم رجع ولم يظفر بطائل رغم شفاعة أحمد بن أبى دؤاد ! !

والحظ يقسم عاش بشرٌ ما اشتكى ... بصراً وعمراً أكمها بشار !

على أن له مع أحمد بن الخصيب موقفاً كمواقفه مع الخلفاء سواء بسواء ، قال صاحب الموشح « حدثنى أحمد بن أبى طاهر فقال : ما رأيت أقل وفاء من البحترى ولا أسقط ، رأيته قائماً ينشد أحمد بن الخصيب مدحاً له فيه ، فحلف عليه ليجلس ، ثم وصله واسترضى له المنتصر وكان غاضباً عليه ، وأخذ له منه مالا فدفعه إليه ، ولما نكب المستعين أحمد بن الخصيب بعد كرمه هذا رأيت البحترى ينشده

لابن الخصيب الويل كيف انبرى ... بإفكه المردى وإبطاله
قد أسخط الله بإعزازه الد ... نيا وأرضاها بإذلاله
يا ناصر الدين انتصر موشكا ... من كائد الدين ومغتاله
فهو حلال الدم والمال إن ... نظرت فى سائر أحواله
والرأى كل الرأى فى قتله ... بالسيف واستصفاء أمواله

ثم قال ابن طاهر كأن ابن الملجة فقيه يفتى الخلفاء فى قتل الناس ! ترحه الله »

هذه علاقة البحترى المخزية مع أولياء نعمته ، ولقد كان فى حاجة إلى من يذكره بقصة صعصة بن غالب حين بلغه موت الوليد ابن عبد الملك ، فقال : لعنه الله وأخزاه ! لقد سبنى مرة أمام حشمه وخوله ، وكان والده غالب حاضراً فقال : يابنى لقد رفعت من ذكر الوليد إذ ذكرت سلطانه عليك ، وخفضت من شأنك إذ نبهتنا إلى منزلتك لدى الخليفة وأنت سيد قومك ، فلا تفضح نفسك بهجاء رؤسائك أمام الناس ! ! »

( يتبع ) **محمد رجب البيومى**

---

إلى المجمع اللغوى :

# الأسماك فى الشواطئ الحضرمية

للأستاذ على عبود العلوى

— ٣ —

اللغة المهرية :

هذه هى المعلومات التى دونتها عن الملاحين الحضرميين طيلة الساعتين التى كنت أتخطر فيهما مع النسمة الروحية — لا — الغذائية .

وهى كما ترى على أكثرها مسحة اللغة المهرية والشحرية — نسبة إلى الشحر — وهى ليست بذاك كما يقول علماء اللغة .

وقبيلة مهرة من القبائل العربية ونسبتها إلى قضاعة . وتسكن مهرة فى ظفار الحبوظية ومرباط وصيحوت وغيرها من الأماكن الشرقية بالنسبة إلى موقع حضرموت . وهذه الأماكن يشملها إسم حضرموت وذلك حسب التقسيم الجغرافى القديم ولا يعتد بالتقسيم السياسى اليوم .

وذكر بعض مؤرخى العرب أن لغة مهرة هى من بقايا التراث العربى القديم أعنى أنها من بقايا لغة عاد . وهى إلى اليوم لا كتابة لها .

ويؤكد بعض المؤرخين أنها من بقايا اللغة الحميرية . ويؤيد هذا الرأى فضيلة شيخنا العلامة الكبير مفتى ( جوهور ) سابقا السيد علوى بن طاهر الحداد العلوى[1] يقول :

« ويدل على هذا وجود كلمات فيها نص علماء اللغة على أنها حميرية . أذكر منها أنهم يسمون اللبن ( شِخَوفْ ) وهذا اسمه بالحميرية كما فى القاموس ، ويقولون ( قَبْهل ) بمعنى أقبل . وقد ذكر هذا اللفظ بمعنى الوجه فى ترجمة صاحب القاموس ، ويقولون للنار ( شَوَاظْ ) ، وهـذا محرف عن شُواظ ، ويسمون الماء ( حَموهْ ) وهذا هو اسمه فى لغة عربية بتفخيم ألف وزيادة الحاء فقد حكى علماء اللغة أنه يقال : فيه ( حاه ) على لغة فإذا فخم الألف قرب جرسه فى السمع مما ذكر .

وقال أيضاً[1] : وللمهرة والقَرى — هم بادية مهرة وتسكن الجبال — وأهل سقطرى لغات متقاربة تجمعها اللغة المهرية ، وبينهما فروق . وتسمى لغة القرى بالحكلى .

وأعدادهم محرفة عن العربية بتحريف بعيد أو قريب ، والعدد فى لغة الأمحارة الحبشية أقرب إلى العربية منها .

| | أعداد القرى | أعداد المهرة | أعداد الحبشة |
|---|---|---|---|
| (١) | طاد | طاطْ | أحَدْ |
| (٢) | ترَهْ | ثِلْثْ | لِسْنَسْين |
| (٣) | صَاطِيط | صافيدْ (أو صفديد) | سلامى |
| (٤) | أربَعط | أربوتْ | أربوه |
| (٥) | خُونِش | خمْه | هَمْسَه |
| (٦) | شِيتِتْ | بَتيه | سَدِس |
| (٧) | شِبعَتْ | هِيَيَابِتْ | لَسبُو |
| (٨) | ثِمنيتْ | ثِمنِتْ | ثمانيه |
| (٩) | تسعِتْ | ثايتْ | زَطَى |
| (١٠) | عِشْرِتْ | عِشْرِتْ | عَشر |

هذا ما نص عليه فضيلة شيخنا فى محاضرة له عن ظفار الحبوظية نجتزىء بالنقل عنها بما يهمنا حسب سياق البحث .

ولتكملة البحث نثبت هذه الألفاظ عن اللغة المهرية وهى :

| ألفاظ مهرية | يقابلها بالعربية |
|---|---|
| نُخولْ | إجلس |
| أَتْث | قم |
| ثِيُوطْ ( الثاء مفخم ) | النار |
| حَيلو | الليل |
| من هوك تهبك ؟ | من أين جئت ؟ |

(١) راجع ص ٩٧ من المجلد الثانى لمجلة الرابطة العلوية الصادرة فى بتافيا — جاوه سنة ١٣٤٧ .

(١) نفس المصدر صفحة ٩٧ — ٩٨ .

| ألفاظ مهرية | يقابلها بالعربية |
|---|---|
| كميت | الصحفة |
| شخوف | اللبن |
| هيبيت | الناقة |
| هيرون | الغنم |
| بَقَرِيت | البقر |
| نحِـل | السمن |
| غجِـنّين | صبي |
| غجِـنّيت | بنت |
| حـبراني | إبني |

وعن اللغة المهرية صدرت فى أوربا هذه المؤلفات القيمة كما ذكرها المستشرق الإيطالى (نللينو) راجع مجلة الزهراء . فعسى أن يقوم بترجمتها المجمع اللغوى أو أحد أبناء العروبة البررة

١ — Die Mehri, Sprache. In Sudarabine من تأليف A. jAHN وطبع فى ڤينه سنة ١٩٠٢م .

٢ — Die Mehri und, Soqtri Sprade

كتاب اللغة المهرية والسقطرية ، وهو باللغة الألمانية طبع ڤينه سنة ١٩٠٢ و ١٩٠٧ م وهو فى ثلاثة مجلدات .

٣ — رسائل متعددة وهى من تأليف M. rentted و N Sıkanakobodr مطبوعة فى منشورات المعهد العلمى فى ڤينه سنة ١٩٠٩ وبعدها .

**مرامى العنبر والإبل المعنبرة :**

ولن أحيد أصلا عن موضوع بحثنا حينما أستطرد إلى مرامى العنبر ولا سيما أن التاريخ العربى قد أقام لها وزنا .

ويقول الأستاذ حسن عبد السلام عن منشأ العنبر فى كتابه الذخيرة :

« ويغلب على الظن أن منشأه انعقادات صفراوية تتكون فى أمعاء بعض القياطس البحرية ( Sqermaceti Whale ) كما تتكون الحصوات المرارية عند الانسان وغيره من الحيوانات الثديية » .

والقياطس البحرية هى التى أسمـاها البحارة الحضرميون بالشوحطة ، وما غرب عن أذهانهم من فصيلتها كما أشرنا إلى ذلك .

ومرامى العنبر ليست محصورة بمكان واحد . فكما يوجد على شواطىء البرازيل وجزيرة مدغشقر وجزائر الهند الشرقية والصين واليابان وزيلندا الجديدة وأستراليا وساحل أفريقيا الشمالى كذلك يوجد على الشواطىء الهندية والعربية إلى باب المندب .

وللشواطىء الحضرمية نصيب من ذلك كما حدثنا التاريخ عنها فى القديم بل والحديث .

قال الهمدانى : ( وبها — أى اليمن — مرامى العنبر على سيوفها ولمهرة وبنى مجيد على سيف بحر اليمن شرقا وغربا الجمال المنبرة . وذلك أن مساعها على الساحل ، وإذا اشتم الجمل العنبر به برك فلم يثر حتى يفتقده صاحبه ، فيطلبه فيجده بالقرب منها فيلتقطها . فان أبطأ عليه لم يبرح حتى تفتر قواه من الجوى وربما نفق فذلك خيفته عليها . صفة جزيرة العرب صفحة ٣٧ ) .

وقال فى موضع آخر : « وباليمن من كرام الإبل الأرحبية لأرحب بن الدعام من همدان ، والمهرية ثم من المهرية العيدية تنسب إلى العيد قبيلة من مهرة ، والصدفية ، والجرمية ، والداعرية تنسب إلى دعر من بلحرات ، والمجيدية ، ومنها الإبل المنبرة . صفحة ٢٠١ » .

وقسم أبو عبد الله محمد أبو طالب الأنصارى الدمشقى المعروف بشيخ الربوة المتوفى سنة ٧٢٨ هـ العنبر إلى خام ومبلوع . وله نظرية فى العنبر . أو هى نظرية المعلومات السائدة فى ذلك العصر وهذه النظرية لا تتفق والمعارف العصرية كما ذكرنا عن الأستاذ حسن عبد السلام ، ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه نبه فى آخر بحثه إلى ما هو معروف لدينا اليوم وقال : قال قوم : إن العنبر زبل هذه الدابة .

ولا غرو أن نتيح له الفرصة ليتحدث إلينا بمعلومات أجدادنا العرب السابقين قال :

« ولهذا المحيط — يقصد بذلك المحيط المغربى — مد وجزر كما المحيط المشرق . ويقذف ساحله العنبر الخام من غالب جهاته

ولاسيما من خلجانه . والمنبر نبع من عيون من جبال بقعر البحر الملح الفارسى والحبشى والهندى والمغربى والصينى والموسوى فيركب بعضه بعضاً . وهو فى حين خروجه شديد الفوران والحرارة فإذا لاقى برد الماء جمد على أحجار وصار جماجم صغاراً وكباراً فيكون جموده كجمود الشمع إذا أصابه بعد ذوبه الماء البارد فيبق لاصقاً بتلك الصخور إلى أن يهيج البحر فى زمن الشتاء فيقتلعه قطعاً قطعاً ويخرجه إلى سطحه فترمى به الأمواج إلى الساحل

وأجوده الذى يقع إلى ساحل الشحر من بلاد المهرة فيلتقطه الجلابون ؛ وربما ابتلعه سمك يسمى أوال ، فإذا ابتلعه مات من شدة حرارته فتريقه الأمواج أيضاً فيشق عنه جوفه ويستخرج منه ، وله رائحة زهمة ويسمى المبلوع والآخر الخام .

والعنبر إذا ألقاه الموج إلى الساحل لا يأكل منه حيوان إلا مات ولا ينقر منه طائر إلا انفصل منه منقاره . وإذا وضع عليه رجليه نصلت أظفاره فإن أكل منه شيئاً مات .

وقد ورد فى دابة العنبر حديث صحيح وهو : أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث ثلاث مائة رجل سرية وأمر عليهم أبا عبيدة ابن الجرّاح رضى الله عنه فأجهدهم الجوع حتى أن الرجل كان يقتات فى اليوم والليلة بتمرة واحدة فبينما هم يسيرون على ساحل البحر إذ أصابوا دابة العنبر مثل الكثيب الأضخم ميتة فأكلوا منها شهراً حتى سمنوا وكانوا يغترفون من وقب عينيها الدهن بالقلال ، وأخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى الوقب ، وأخذ ضلعاً من أضلاعها فنصبه ثم أدخل أعظم بعير وأركبه أطول رجل وأمره يدخل تحت الضلع فلم يبلغ رأسه منقعره . ولما رجعوا تزودوا من لحم السمكة حتى أوصلتهم إلى المدينة . فلما قدموا حكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هذا رزق ساقه الله إليكم . فهل معكم شىء فتطعمونا ؟ فأرسلوا إليه منه فأكل .

وقال قوم : إن العنبر زبل هذه الدابة . صفحة ١٣٣ — ١٣٤ من كتابه (نخبة الدهر وعجائب البر والبحر) المطبوع فى بطرسبورغ سنة ١٢٨١ هـ و ١٨٦٥ م .

ومن نصه نفهم امتياز العنبر الذى يلقى على الشاطئ الحضرمى على غيره .

٢٦ و ٢٧

وللمسعودى إشارات إلى مرامى العنبر بالشواطئ الحضرمية والإبل المنبرة فليراجعها من أحب .

ولا أعرف عن الإبل المنبرة شيئاً اليوم . أما مرامى العنبر فلا تزال القياطس البحرية تكرم شواطئنا الحضرمية بعبراتها الودية فى كل حين .

وهذه الإبل المنبرة هى التى أشاد بذكرها التاريخ فى سرعة السير كما تحدثت عنها الأسفار الأدبية . قال البعيث الحنفى :

وهاجرة يشوى مهاها سمومها ... طبخت بها عيرانة واشتويتها
مفرجة منفوجة حضرمية ... مساندة سر المهارى انتقيتها
فطرت بها شجماء قرماء جرشما ... إذا عد مجد العيس قدم بيتها
وجدت أباها رائضها وأمها ... فأعطيت فيها الحكم حتى حويتها

وقال جرير :

وكيف ولا أشد حبال رحل ... أروم إلى زيارتك المراما
من العيدى فى نسب المهارى ... تطير على أخشتها اللغاما
وتعرف عنقهن على نحول ... وقد لحقت ثمائلها انضماما

وقد غالى فى القول أبو الشمقمق وجاوز الطرف إذ جعل نعليه تسابق الإبل المهرية على شدة سرعتها فى السير ، ولندعه يحدثنا كما شاء له ظرفه وأدبه . قال :

رحل المطى إليك طلاب الندى ... ورحلت نحوك ناقتى نعليه
إذ لم يكن لى يا يزيد مطيتى ... فجعلتها لك فى السفار مطيه
تحدى أمام اليعملات وتفتلى ... فى السير تترك خلفها المهريه ؟!
من كل طاوئة الصوى مزورة ... قطعاً لكل تنوفة روسيه
فإذا ركبت بها طريقاً عامراً ... تنساب نحتى كانسياب الحيه
لولا الشراك لقد خشيت جماحها ... وزمامها من أن تمس يديه ؟ !
تنتاب أكرم وائلا فى بيتها ... حسباً وقبـة مجدها مبنيه
أعنى يزيداً سيف آل محمد ... فراج كل شديدة مخفيه
يوماه يوم للمواهب والندى ... خضل ويوم دم وخطف منيه
ولقد أتيتك واثقاً بك عالماً ... أن لست تسمع مدحة بنسيه

ويقصد الشاعر بيزيد : يزيد بن المؤيد الشيبانى ، وكان والياً على اليمن .

**على عبود العلوى**

# دعبل الشاعر الشجاع الوفي

للأستاذ عبد العظيم علي قناوي

يتربص الرجل أن تضع زوجه حملها ليتخير لوليدها أحسن الأسماء ، فإن كان من التقاة الهداة تيمن باسم من يرى فيه الأسوة الحسنة ، والقدوة الطيبة ، وإن كان من الأثرياء أو السراة دارت بخلده أسماء الأغنياء والأشراف ينتقى منهم من يرى مسماه المثل فيما يستهويه ، ولا أحسب والداً أو والدة يختاران لوليدهما اسماً قبيحاً أو لقباً مستهجناً لا سيما والأسماء بغير ثمن ، إلا إذا جاء ذلك ساعة دعابة أو مرح ، أوعقب واقعة أو حادث كأبى الشيص وخندف وثعلب وغيرها من الألقاب والكنى والأسماء .

وإذن فلم سمى أبو دعبل ابنه بهذا الإسم ؟ ألأنه رأى فيه منة وصلابة ؛ حتى إنه ليشبه الناقة القوية الضارعة ؟ أو لأنه لاحظ المنفعة والفائدة ، فللناقة لدى العرب من الفوائد ما لها ، فهى عماد حياة العربى ، كما أن الثور كان قديماً رأس مال المصرى .

لعل أبا دعبل لاحظ الأمرين معاً ؛ فقد كان دعبل قوى الأسر طويل الجسم ، ولا بد أن يكون قد توسم فيه سراوة طبع وصفاء ذهن ، أو على الأقل هذا ما يراه كل والد فى ولده متى أهل ، فكرمه بهذا الإسم . ولقد وصف العرب الناقة ومنحوها من الصفات والنعوت ما أفعمت به أشعارهم ، وهذه معلقة طرفة بن العبد أبرز محاسنها وصف ناقته وصفاً دقيقاً فى نحو ثلاثين بيتاً ، فلم يترك عضواً إلا أبدع فى تصويره ؛ فمن ذلك قوله يصف خدها وعينيها ، ولعلهما أقل أعضائها حسناً :

وخد كقرطاس الشآمى ومشفر    كسبت اليمانى قده لم يجرد
وعينان كالماويتين استكنتا    بكهفى حجاجى صخرة قلت مورد

وننتقل من سبب تسميته إلى حياته ونشأته الشعرية التى تبين صفتيه اللتين سنتحدث عنهما .

ولد دعبل فى العصر الذهبى لدولة بنى العباس ، فالملك ثابت الأساس موطد الأركان ، لا يعرفون لبنى أمية شأنا ، ولا يخافون من بنى علىّ نقضاً ، فالأولون قبع بعضهم فى دورهم يبغون نجاة ويطلبون سلامة وأمناً ، وبعضهم هجر جزيرة العرب ، ونزح من الشرق إلى المغرب ؛ فأسس ملكا وبنى دولة ، وأما الآخرون فاكتفوا بتلك الإمامة الوهمية يتوارثونها إماما عن إمام ، وشب دعبل عن الطوق ، واصطنع الشعر يعرضه على شعراء عصره ، وكان مسلم بن الوليد أدناهم إلى نفسه : فما زال هذا شأنه حتى أمره أستاذه بإذاعة شعره ؛ لأنه آنس منه جادة ، ورأى فيه روعة ، وكان أبدع ما أنشد ما قاله فى مدح آل علىّ وذكر مناقبهم ، وتعداد آثارهم ، ورثاء قتلاهم ، والتحسر على صرعاهم حتى صار بحق شاعرهم الذائد عن حياضهم ، الثابت على ولائه لهم ، لا يخشى فى حبهم لوماً ولا يخاف من إعلانه سخطاً ، بل هو بادى الخلفاء العداء ، فالملك لله وحده ، وأينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ؛ فماذا يبعث فى نفسه الهلع وهو ينصر آل الرسول ؟ ولكن أليس الرعديد الخوار قرأ هذه الآية كما قرأها دعبل ؟ لقد قرأها ولكنّ هلعه أنساه إياها ، وذكره بقول الله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » فهو يتقى الشر ويتحاشى أن يقع فيه ، ولكن دعبلا كان يرى أنه فى نصرة آل علىّ يدعو لله ويدفع عن آل رسول الله ؛ فإن فاته زخرف الدنيا ؛ لم يفته أجر الآخرة ؛ إلى أنه يتصف بخلال نبيلة عدا الشجاعة فى الحق ، والجرأة فى الذود عنه شجاعة وجرأة يحسبهما الجبان طيشاً وحمقاً ويراهما الشهم النبيل رجولة ومنة ، ولله قول القائل فإنه ليصور فى وصفه دعبلا :

قل للجبان إذا تأخر سرجه    هل أنت من شرك المنية ناجى[1]

كانت حياة دعبل أصدق مثل على أن الآجال موقوتة لا تستأخر ولا تستقدم ، فإنه عادى أولى البطش والطول ، وبادى البغضاء ذوى القوة والحول عداوة لدودة لا تعرف هوادة ، يذمهم ويقذع فى ذمه ، ويهجوهم ويفحش فى هجوه ، غير عابىء بما قد يصيبه ، فأرض الله واسعة ، وإذا قلته دار أقلته ديار ، وحسبه أن يجد من يقاسمه زاده ويشاطره رأيه ، روى عنه أنه قال : « لى خمسون سنة أحمل خشبتى على ظهرى أدور على من يصلبنى عليها فلا أجد من يفعل ذلك » .

والسر فى شجاعته أنه كان أول أمره وبدء نشأته من قطاع الطريق وولغة دماء البشر ، يميل إلى إشهار الشر ، ورفع يد البغى فى وجوه من يحاولون مساءته ، قال له أبو خالد الخزاعى : ويحك ! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ، ووترت الناس جميعاً ، فأنت دهرك كله طريد شريد ، هارب خائف ، فلو كففت عن هذا ، وصرفت هذا الشر عن نفسك ؟ فقال له : ويحك ! إنى

---

(١) البيت لجرير من قصيدة يمدح بها الحجاج .

تأملت ما تقول ، فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على رهبة ، ولا يبالى بالشاعر وإن كان مجيداً إذا لم يخف شره ، ولمن يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب إليك فى تشريفه ، وعيوب النـاس أكثر من محاسنهم ، وليس كل من شرفته شرف ، ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ، ولم يكن ذلك فيه انتفع بقوله ، فإذا رآك قد أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك على نفسه وخاف من مثل ما جرى على الآخر ، ويحك يا أبا خالد ! إن الهجاء المفرع آخذ بضبع الشاعر من المديح المضرع . قال أبو خالد . فضحكت من قوله وقلت : والله هذا مقال من لا يموت حتف أنفه ! »

بهذه النفسية الحانقة على البشر كان يعيش ، وبهذا المنظار الأسـود الذى يرى به الناس صعاليك أوغاداً كان يرى كثرة معاشريه ومعاصريه ، فـكيف يموت حتف أنفه ؟

لقد تحققت كهانة صاحبه ، فقد مات مقتولا بعد أن طارده الخلفاء والوزراء ، وانتهت حياته على يد أتباع مالك بن طوق أمير عرب الشـام فى قرية من قرى الأهواز اغتالوه بها ، وانتقموا لمداته وهم كثر منه .

وفى دعبل صفة أخرى غير الشجاعة ، تلك هى الوفاء الصادق الذى لا يعرف فيه مينا ، والإخلاص الراسخ لا يشوبه خداع أو ختل ، وفا لآل على على ضعفهم ، ونصرهم بشعره طوال حياته على غير خلق الشعراء ، وليعذرنا سادتنا شعراء عصرنا » الذين تستولى عليهم عواطفهم ، وتتملـكهم أهواؤهم ، فمن أجزل لهم صلته حمدوه ومدحوه ، ومن قبض دونهم يده نبذوه وذموه ، وله فى ذكرهم والإشادة بهم والتنبيه على شأنهم ووجوب إعظامهم قصائد رائعة وأبيات خالدة تدل على أن نظمه فيها كان صادراً عن شعور حار ووجدان متدفق وعاطفة حافزة ، بل تدل على أنه كان رجل عقيدة ورأى وإيمان ومذهب ، لا تأخذ منه زعازع أو أعاصير ، ولا يبلبل إيمانه مآسى ومحن ، ومن قصائده الباقية على الدهر قصيدته التى وهب له من أجلها على بن موسى الرضا عشرة آلاف درهم ، وخلع عليه بردة من ثيابه أريد على بيعها بثلاثين ألف درهم ، فأبى أن يساوم فيها ، فقطع الراغبون فيها عليه طريقه ليأخذوها قسراً فقال لهم : « إنها تراد لله عز وجل وهى محرمة عليكم » . فدفعوا له فيها المبلغ السالف ، فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون فى كفنه فأعطوه كماً واحداً ، فـكان بين أكفانه ، وأول هذه القصيدة هو :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى وبالركن والتعريف والجمرات
ديار على والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذى الثفنات [1]
ديار عفاها كل جون مباكر ولم تعف للأيام والسنوات

ومنها :

ألم تر أنى من ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهـم فى غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات
فآل رسول الله نحف جسومهم وآل زياد حفـل القصرات
بنات زياد فى القصور مصونة وبنت رسول الله فى الفلوات
إذا وُتروا مدوا إلى أهل وترهم أكفاً عن الأوتار منقبضات
فلولا الذى أرجوه فى اليوم أوغد لقطع قلبى إثرهم حسرات
خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والحرمات

وهى قصيدة طويلة تسـيل عيون أبياتها بالعبرات ، وتصطخب أمواج بحرها بالحسرات ، فإذا كفـكف من دمعه وهدأ من روعه ، فلأنه ينتظر أن يستأمن الدهر فيؤمنـه ، ويستكشف المحن فتنكشف ، فهو ينشد :

فيا نفس طيبى، ثم يا نفس أبشرى فغير بعيد كل ما هو آت
فإن قرب الرحمن من تلك مدتى وأخر من عمرى لطول حياتى
شفيت ولم أترك لنفسى رزية ورويت منهم منصلى وقناتى
أحاول نقل الشمس من مستقرها وأسمع أحجاراً من الصلدات

ولقد رثى الحسين رضى الله عنه رثاء يدمى العيون ويفتت الأكباد حتى لكأنه حضر مصرعه، وشاهد موقعه ، فمن ذلك قوله :

رأس ابن بنت محمد ووصيه يا للرجال — على قناة ترفع
والمسـلمون بمنظر وبمسمع لا جازع من ذا ولا متخشع
أيقظت أجفانا وكنت لها كرى وأنمت عيناً لم تكن بك تهجع
كحلت بمنظرك العيون عماية وأصم نعيك كل إذن تسمع
ما روضـة إلا تمنت أنها لك مضجع ولخط قبرك موضع

هذه الأمثلة تدل على أن الرجل كان لا يخشى فى رأيه لوماً ، ولا يرهب أحداً ؛ فإنه ليهجو فى سبيل مدحه آل علىّ بنى العباس بشر القول ومقذع الهجاء . وأرى أن المأمون لم يكن ليقسو عليه لأنه عرف فيه خلتى الشجاعة والوفاء فأجله وأعظمه ، وكان كثيراً ما يستنشده شعره .

**عبد العظيم على قناوى**

---

(١) السجاد زين العابدين على بن الحسين وكان السجود أثر فى ركبتيه ، ولقب بهذا لطول سجوده وكثرته

# مظاهر العبقرية في الحضارة الاسلامية

للأستاذ خليل جمعة الطوال

— ٣ —

ولما أظهر الله الإسلام تنفست هذه الفئات المضطهدة الصعداء، وأخذت تسير بسيره، وتترسم خطاه، وإذ آنست فيه إلى ظل نظام عادل، فقد أخذت تؤسس فى كل حاضرة من حواضر الإسلام مدارس للعلم ومجالس للعلماء، وأهم هـذه المدارس على الإطلاق هى مدرسة الأسكندرية المشهورة.

وباتساع رقعة الإسلام أخذ الخلفاء يستعينون بهؤلاء العلماء على تنظيم شئون امبراطوريتهم السياسية، ولما ترادفت عليهم — أى الخلفاء — الفتوح، ودانت لهم الأقطار أخذوا يتطلعون إلى موارد العلم والمدنية والثقافة، ولم يفتهم قط أن يستعينوا بعلم هذه الطبقات الراقية التى خضعت لسلطانهم، ودخلت فى حوزتهم، وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نجمل العوامل الرئيسية التى عملت فى تنشئة الفكر العربى وإعداده إعداداً علمياً صحيحاً لتلقى الحضارة فى خمسة عوامل هامة وهى [1] :

أولا — النساطرة، وقد استعان هؤلاء على نشر أفكارهم فى بلاد العرب بتعاليم منتزعة من الفلسفة اليونانية حتى لقد كان كل نسطورى بحكم الضرورة معلماً فى الفلسفة اليونانية، وهم إلى جانب ذلك أول مدرسة تهذب فيها الفكر العربى باحتكاكه بالثقافة اليونانية، وأول من خدم الطب فى العصور الأولى.

ثانياً — اليماقبة، وإليهم يرجع الفضل الأول فى إدخال الأفلاطونية الجديدة، ومذهب الباطنية فى جو الثقافة العربية.

ثالثاً — الزرادشتيون فى بلاد فارس، وأهم مدارسهم هى مدرسة جنديسابور التى أسسها « كسرى أنو شروان » وكانت تضم طائفة من العلماء الذين شردهم الإمبراطور « يوستيانوس » حين أمر بإغلاق جميع المدارس والهياكل فى أثينا. وكانت

(١) تاريخ الفكر العربى لاسماعيل مظهر.

تدرس فى هذه المدرسة الكتب اليونانية والسريانية والفلسفة الهندية وآدابها وعلومها، وفى هذه المدرسة أيضاً ازدهر الطب ونما إذ تخلص من ضغط الكنيسة، وتحرر من قيود العلوم اللاهوتية. واشتهر فى هذه المدرسة قبل الإسلام الحارث بن كلدة الطبيب المشهور، وابنه النضر، وقد ذكره ابن سينا مع الذين هزموا يوم بدر، ثم أسرو قتله على بن أبى طالب صبراً [1].

رابعاً — مدرسة حران الوثنية، ولسنا نعرف مؤسس هذه المدرسة ولا كيفية نشأتها، والذى وصلنا إلينا عن حران هو أنها كانت مثابة لتعاليم الديانة اليونانية القديمة بعد أن طغت عليها المسيحية فى العالم اليونانى. والراجح أن حران قد ورثت كثيراً من تعاليم الديانة البابلية القديمة، وأن هذه المدرسة أيضاً قد كانت متأثرة إلى حد بعيد بتعاليم الأفلاطونية الجديدة كما وصفها « فرفوريوس الصورى ».

خامساً — العبرانيون، وأهم مدارسهم فى صور، وبامباديثا وكانت عاكفة على درس شرائعهم التقليدية، ولئن ورث العبرانيون عن النساطرة نزعة إلى علم الطب إلا أنهم لم يتفقوا عليهم قط، وقد ذكر « لكلارك » فى كتابه تاريخ الطب عند العرب فى القرن العاشر ٢٩ طبيباً مسيحياً، على حين لم يذكر سوى ثلاثة من أطباء اليهود وأربعة من وثنى حران.

وإلى جانب هذه العوامل الرئيسية التى استمد منها الفكر العربى أسلوب دارسة الحضارتين القديمتين، اليونانية والرومانية، فقد كانت هناك مراكز هامة أخرى للثقافة اليونانية فقد ذكر « ديبل » أنه كان فى كل من أنطاكية، والرها، ونصيبين — وذكر أيضاً حران — إبان الفتح الإسلامى مدارس راقية أحسن أساتذتها فهم الثقافة الإغريقية، وفلسفة أرسطو، والعلوم والطب المعروفة عند القدماء. وقال أيضاً: « إن خلفاء بنى أمية كانوا يرجعون إلى هؤلاء الأساتذة ليستعينوا بهم على نقل أهم كتب اليونان والبيزنطيين العلمية والأدبية إلى السريانية والعربية [2].

**العرب والترجمة :**

بعد أن تثقف العرب على يد هؤلاء الأساتذة وجهوا هممهم

(١) زهر الآداب ص ٢٧ ج ١ — لأبى إسحق الحصرى القيروانى
(٢) Diehl yzuvee

إلى دراسة الحضارتين : اليونانية والرومانية دراسة مستقلة ، واستخراج أهم روائعهما التى قد تفيدهم فى بناء حضارتهم . فمكفوا على دراسة المؤلفات القديمة ، واجتهدوا فى تفهمها وشرحها ثم علقوا عليها ذيولا ضافية ، ظهر فيها طابع العبقرية الاسلامية ، وعدلوا فيها ونقدوها ، وزادوا من عندهم أشياء جديدة ، وكان لهم نظر صائب فى إمازة الغث من السمين ، والوضع من الأصل . ومن الذين اشتهروا فى ميدان الترجمة كان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان[1] المعروف بحكيم آل مروان ، فقد ترجم كثيراً من كتب الفلاسفة ، ولا سيما كتب علوم الطب والنجوم والكيمياء والآلات ، والصناعات من اللسان اليونانى والقبطى والسريانى « وكانت الترجمة أحيانا من اليونانية إلى العبرانية ، ومن العبرانية إلى السريانية » ويقال إن خالداً هذا كان أول من أنشأ دار كتب فى الإسلام ، وقد أنشأها فى دمشق[2] .

وفى عهد عمر بن عبد العزيز ، ترجم كتاب الطب الذى ألفه أهرن بن أعين ، إلى اللغة العربية بأمر هذا الخليفة الصالح[3] .

ويقسم بعضهم تاريخ الترجمة عند العرب إلى قسمين : أما الأول فيبتدىء من ١٣٢ هـ — ١٩٨ هـ أى منذ بداية خلافة السفاح إلى خاتمة عصر الأمين ، وفى هذا العصر ظهرت العبقرية العربية واضحة جلية . لا سيما فى الكتب التى ترجمها عبد الله ابن المقفع إلى العربية .

**العصر المأمونى :**

أما القسم الثانى من تاريخ الترجمة عند العرب فيبتدىء بتسنم المأمون ذروة الخلافة ويعرف بالعصر المأمونى ، ويضاهى هذا العصر فى تاريخ الحضارة العربية ، بتقدم العلوم فيه وازدهارها ، عصر بركليس فى أثينا . وأهم ما يمتاز به هو إنشاء بيت الحكمة التى أقامها الخليفة المأمون فى بغداد ، فجمعت فى خزائنها أشهر الكتب العلمية القديمة ، وضمت بين جدرانها كبار المشتغلين بالعلوم والفلسفة والنقل . وكان يتولى الهيمنة على إدارة دار الكتب هذه الوزير المعروف ، سهل بن هارون ، وجاء فى بعض الروايات[1] أن يحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم المعروف ، ومحمد بن موسى الخوارزمى صاحب الأزياج المشهورة والصور الأرضى البديع الصنع ، كانا من خزنة بيت الحكمة المأمونى . وكان علان الشعوبى ، والفضل بن نوبخت ، وأولاد شاكر من الذين يترددون على هذه الدار إما للمطالعة ، أو للنسخ والترجمة والتأليف .

وفى هذا الدور أيضاً بعث المأمون إلى حاكم صقلية المسيحى يأمره بأن يرسل إليه جميع الكتب العلمية والفلسفية الموجودة فى مكتبة صقلية الشهيرة ، فتردد هذا فى إرسالها ، وضن بها كل الضن ، ولما ألح عليه الخليفة فى الطلب جمع كبار رجالات الدولة واستشارهم فى الأمر ، فأشار عليه المطران الأكبر بقوله « إرسلها إليه فوالله ما دخلت هذه العلوم فى أمة إلا أفسدتها » فعمل الحاكم بمشورته ، وهى إن دلت على شىء فلا تدل إلا على مقدار كراهية رجال الاكليروس للعلم ، ونفورهم من ظل العلماء .

وفى هذا الدور أيضاً جمع المأمون بعض حكماء عصره ، على صنعة الصورة التى نسبت إليه ودعيت بالصورة المأمونية[2] صوروا فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره ، وعامره وغامره ، ومساكن الأمم والمدن إلى غير ذلك ، وهى أحسن مما تقدمها من جغرافية بطليموس ، وجغرافية مارينوس . وقد وضع له علماء رسم الأرض — وكانوا على ما يرويه الزهرى سبعين رجلا من فلاسفة العراق ، كتاباً فى الجغرافية أعان عمال الدولة على التعرف إلى البلاد التى أظلتها الراية العباسية ، هذا إلى عنايته بالفلك ، وفلكيه الفزارى أول من استعمل الاسطرلاب من العرب ، وعنى بالطبيعة والرياضيات فوق عنايته بالطب ومعرفة العقاقير والنبات والحيوان ، وفتح المأمون باب العقل والتفكير الحر على مصراعيه فى جميع البحوث .

وفى عصر المأمون أيضاً تأسست أول مدرسة للترجمة فى العالم العربى ، وكانت تتألف من حنين بن إسحق ، وابنه إسحق بن حنين ، وابن أخته حبيش الأعسم الدمشقى وغيرهم . وقد أسس

(١) خطط الشام ج ٤ ص ٢٠ لمحمد كرد على .
(٢) الاسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٦٤ .
(٣) تاريخ دمشق : لابن عساكر .

(١) عصر المأمون ج١ ص ٣٧٥ للدكتور أحمد فريد الرفاعى .
(٢) خطط الشام والاسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٢١٣ لمحمد كرد على وعصر المأمون ج ١ ص ٣٢٦ .

المأمون هذه المدرسة فى بغداد ، فقامت خير قيام بنقل جميع المتون اليونانية المشهورة إلَى اللسان العربى ، وكانت هذه المدرسة أيضاً تشرف على إصلاح جميع ماينقله الغير إلى اللسان العربى[١] .

ومن الكتب التى ترجمها وعلق عليها حنين بن إسحق بأمر الخليفة المأمون : كتاب الإيساغوجى لفرفوريوس وارمانوطيقا لأرسططاليس ، وجزءاً من الأناليطيقا وجزءاً من الميتافيزيقا ، وتلخيصات نقولاوس الدمشقى وتعليقات الاسكندر الأفروديسى والجزء الأعظم من مؤلفات جالينوس ، وديوشقورس وبولس الأجانيطى ، وأبقراط .

ويروى أن المأمون كان يعطيه من الذهب[٢] زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية مثلا بمثل . وقال أبو سليمان المنطقى إن بنى شاكر ، وهم محمد وأحمد والحسن كانوا يرزقون جماعة من النقلة : منهم حنين بن إسحق ، وثابت بن أبى قرّة وغيرهم فى الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة .

وكان يتمتع حنين بن إسحق بمكانة[٣] سامية عند خلفاء بنى العباس ، إذ أحلوه منزلة سامية من الاجلال والاحترام ، وكان أبوه صيدلياً فى جند يسابور[٤] ، وتثقفه فى بغداد جبرائيل ابن بختيشوع واشتهر فى زمن المأمون وعاش إلى زمان المتوكل .

وقد ترجم ابنه إسحق بن حنين مقالة أرسطوطاليس فى الروح ( De Anima ) ، وقد علق عليها فيما بعد الافروديسى ، وتعد هذه الترجمة النادرة اليوم من أهم المراجع لدرس الفلسفة فى عصرنا الحاضر ، ويملل الأديب الأستاذ إسماعيل مظهر هذه الظاهرة باتجاه الفكر فى الأزمنة الحديثة إلى درس البسيكولوجيا وابتعاده عن درس المنطق .

يقول القاضى صاعد بن أحمد الأندلسى : « ... ثم لما أفضت الخلافة فيهم إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد تمم ما بدأ به جدُّه المنصور ، فأقبل على طلب العلم فى مواضعه ، وداخل ملوك الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطوطاليس ، وأبقراط وجالينوس وأوقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة فاستجاد لها مهرة التراجمة ، وكلفهم إحكام ترجمتها . فترجمت له على غاية ما أمكن ، ثم حضّ الناس على قراءتها ، ورغبهم فى تعليمها ، وكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرهم ويلتذ بمذاكرتهم علماً منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده ؛ وأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا فيما يرغب فيه الصين والترك ومن نزع منزعهم من التنافس فى دقة الصناعة العملية والتباهى بأخلاق النفس ، والتفاخر بالقوى إذ علموا أن البهائم تشركهم فيها ، وتفضلهم فى كثير منها ، فلهذا السبب كان أهل العلم فى كل زمان هم مصابيح الدجى ، وسادة البشر ، وأوحشت الدنيا لفقدهم » .

وقد بلغ من اهتمام المأمون بالعلوم وحثه على طلبها أن أصبح يضرب به المثل فى عظم الحركة العلمية ، حتى لقد مثله « نولدكه » بأنوشروان وغيره من رسل الثقافة العامة .

يقول الدكتور طوطح فى رسالته الانجليزية عن حالة التعليم عند العرب : « إنه بينما كان شارلمان يتعلم القراءة مكباً على مطالعة رسائله مع أترابه فى مدرسة القصر كان المأمون يعالج الفلسفة ومناقشة اقضيتها هناك فى بغداد » . وقال إن المأمون أوفد عميد بيت الحكمة إلى بلاد اليونان لنقل حكمة اليونان وعلوم اليونان إلى اللغة العربية[١] .

على أنه ليس فى وسعنا أن نصور عصر المأمون الذهبى فى مثل هذه الكلمة المجلى ، وحسبنا أن نختم الكلام فيه بعبارة السير وليام موير[٢] الموجزة البليغة إذ يقول : لقد كان المأمون عاملا من عوامل النهضة العلمية ، على حين كان الملوك المعاصرون له فى أوربا فى الدرك الأسفل من الجهالة ، ولقد كان عصره يحاكى عصر بركليس فى أثينا من جميع الوجوه .

**الجامعات العربية :**

وقد أنشأ العرب فى فتوحهم عدة جامعات كبرى ، وكانت جامعاتهم فى البصرة والكوفة وبغداد والقاهرة وقرطبة وبلرم وسالرنو وأشبيلية تغصُّ بالعلماء والمتعلمين الذين كانوا يقصدونها من أقصى أطراف العالم الغربى الأوروبى ، وفى عهد الخليفتين : عبد الرحمن الثالث والحكم بن عبد الرحمن ، بلغت مدارس قرطبة وحدها سبعاً وعشرين مدرسة[٣] ، وكان فيها إلى جانب هذه

(١) تاريخ الفكر العربى ص ٢٣ .
(٢) عصر المأمون ج ١
(٣) تاريخ الفكر العربى
(٤) أخبار الحكماء ص ٢٤٨

(١) عصر المأمون ج ١ ص ٣٩٤
(٢) Coiliphates, by Sir. W. Muir
(٣) Onrliel of history, H . g . Wells :

المدارس أيضاً مكتبة حافلة يقال إنها حوت خمسمائة ألف مجلد .

يقول دوزى[1] لم يكن فى كل الأندلس أمى واحد يوم لم يكن فى أوروبا من يلم بالقراءة والكتابة إلا الطبقة العليا من القسوس ، وكان العلماء والأدباء والفلاسفة فيها يختلفون إلى مختلف الجامع — كالمجامع العلمية اليوم — للتفاهم والمناظرة .

وقد كان طلبة العلم من مسيحيى أوربا يفدون أفواجاً على جامعة قرطبة لتلقى العلم فيها ، وعن طريق هذه الجامعة الشهيرة انتقلت الفلسفة العربية إلى مختلف أقطار أوربا وظهر أثرها واضحاً بليغاً فى جامعات باريس واكسفورد ، وإيطاليا الشمالية وسائر أقطار أوربا الغربية[2] ومن الذين تأثرت الحركة الفكرية فى أوربا ببحوثهم ؛ كان أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد مولود قرطبة ؛ فقد ألف هذا العبقرى الفذ فى الفلسفة الطبيعية وفى المادة والقوة ، وقدم العالم ، والطب والرياضات والفلك ؛ وعدل تعاليم الفيلسوف أرسطاطاليس الفلسفية وفصل بها بين اللاهوت والعلم فحسبه قومه كافراً ونبذه بعضهم ولكن « لاوى بن جرسون » ترجم كتاباته إلى اللاتينية وشاركه فى ذلك ابن تربون فوصلت كتابات ابن رشد الفيلسوف العربى إلى العالم اللاتينى سنة ١٢٥٠ فاستند إليها الطبيعيون ، والعلماء ، والفلاسفة ، والاشتراكيون واعتمدها دانس سكوتش كما اعتمد أرسطو ؛ وحتى قال بعض علماء الغرب . إنما ابن رشد كان خميرة أوربا ، وقد رسخت قدمه فى جامعات شمالى إيطاليا ثلاثمائة عام ، ومن أتباعه بطرس أبو تسيس وجون جندن وأوربانس فى بولونيا ، وبولس فى فينيسيا سنة ١٤٢٨ م ، وكاجاتانوس التيسيى حتى أن الفيلسوفة السيدة كسندرا فيدال دافعت عن ابن رشد[3] ، وقد تسربت فلسفته أيضاً إلى جامعتى بولونيا وبدوى[4] .

ومن مشهورى العرب والإسلام الذين نبغوا فى هذه المدارس أيضاً نذكر الطبيب ابن سيناء ، والفيلسوف الفارابى ، وابن باجه ، وسنعود لدراستهم فى غير هذا الصدد وفى غير هذا المكان .

( يتبع ) **خليل جمعة الطوال**

---

(١) Dozy ; Hist.des Mus . d Espauge

(٢) تاريخ المسلمين فى أسبانيا : لدوزى و . مختصر التاريخ ولز .

(٣) ا ـ المستشرقون . ب ـ بحث لجيلر .

(٤) فلسفة ابن رشد و . دائرة المعارف البريطانية

# بعد الوداع . . . !

للأستاذ محمد عبد الرحيم إدريس

بعد ذاك الوداع سرت وحيداً ... أذرع الأرض مستهاماً شريدا

يا لبؤس الوداع يطلق فى القلب اضطراباً وفى الخطى تقييدا

يا لتلك الكأس المريرة أحسو ... ها برغمى وأنثنى عربيدا !

يا لسخر الأقدار عند وداعى ... تسأل القلب أين يمضى وحيدا ؟!

وتمد الديار لى وكأنى ... سألاقى بها حبيباً جديداً

كل دار تزور عنى وتنأى ... أى دار تضم هذا الطريدا ؟

كل دار ما لم تكن أنت فيها ... طلل يسقم الفؤاد العميدا

كل دار تضيفتنى وحيدا ... أطعمتنى الأشجان والتسهيدا

* * *

يا رياح الشتاء هذا شراعى ... قد تراى على يديك شهيدا

أبعديه عن كل شط عزاء ... واقذفيه باليأس جهماً عنيدا

أسلميه إلى العباب الدوى ... واطرحيه عن الحياة بعيدا !

أمطريه أسى وظلمة ليل ... وهبيه صواعقاً ورعودا

أو دعيه يمضى إلى الهم طوعاً ... إنه عن صخوره لن يحيدا

واحملى للفناء قلبى وصبى

فوق هذا الصبا الوريف الوعيدا

وابعدى عن فى كئوس دموعى

فلقد أرتوى وأمضى سعيدا !

* * *

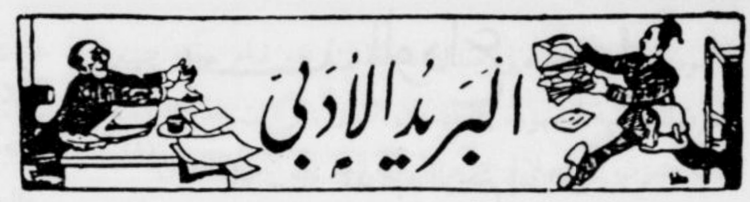
بعد هذا النوى دفنت بنفسى ... أملاً كنت أشتهى أن أرودا

كنت أرجو أن لا فراق على الدهر بغير الردى عبوساً مريدا

كنت أرجو حتى غلاب المنيات بذكرى تضفى علينا الخلودا

غير أنى أرى سراب الأمانى ... نغماً للفراق كان زهيدا !

( الأسكندرية ) **محمد عبد الرحيم إدريس**




## جوائز فؤاد الأول وفاروق الأول :

صدر مرسوم ملكي بإنشاء جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول ، وهذا نصه بعد الديباجة :

١ — تنشأ ثلاث جوائز سنوية تسمى جوائز فؤاد الأول ، وتكون كل منها ١٠٠٠ جنيه مصرى ، وتمنح لصاحب أحسن عمل أو إنتاج فى الآداب والقانون والعلوم

٢ — تنشأ ثلاث جوائز سنوية تسمى جوائز فاروق الأول قيمة كل منها ١٠٠٠ جنيه مصرى تمنحها وزارة المعارف العمومية لصاحب أحسن عمل أو إنتاج فى فرع من الفروع الرئيسية للعلوم

٣ — يكون منح الجوائز المنصوص عليها فى المادتين الأولى والثانية وفقاً للشروط الملحقة بهذا المرسوم

٤ — على وزير المعارف العمومية تنفيذ هذا المرسوم الذى يعمل به من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية

### شروط منح الجوائز

وورد فى اللحق المشار إليه فى المرسوم عن شروط منح هذه الجوائز أنها تمنح سنوياً للمصريين عن إنتاجهم فى الموضوعات الآتية : الآداب ، القانون ، العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية ، علوم الحياة ( البيولوجيا ) ، العلوم الكيميائية ، العلوم الجيولوجية .

وتشمل جائزة الآداب : الآداب البحتة مثل الأدب القصصى الأدب التصويرى ، الأدب الاجتماعى ، الشعر ، البحوث الأدبية (النقد ، البحوث اللغوية ، الدراسات الإسلامية الأدبية) والتاريخ والجغرافيا ، والفلسفة والآثار .

وتشمل جائزة القانون : القانون الخاص ، ويشمل القانون المدنى والقانون التجارى وأوضاع التقاضى ، والعلوم الجنائية ، وتشمل القانون الجنائى والإجراءات الجنائية وعلم الإجرام . والقانون العام ، ويشمل القانون الإدارى والقانون الدستورى والقانون الدولى . وتشمل جوائز العلوم : العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية مثل علم الطبيعة التجريبى وعلم الطبيعة النظرى والعلوم الإحصائية وعلم طبيعة الأجرام السماوية ( الاستروفيزيقا ) والهيدوليكا والميكانيكا والكهرباء وعلوم الحياة مثل النبات والحيوان والفسيولوجيا والطفيليات والتشريح البشرى والحيوانى والطب وفروعه والأحياء المائية والعلوم الكيميائية مثل الكيمياء العضوية وغير العضوية والكيمياء الحيوية والتغذية ، والعلوم الجيولوجية وتشمل علم الطبيعيات الأرضية ( الجيوفيزيقا ) .

وتؤلف لهذه الجوائز لجنة دائمة مكونة من وزير المعارف رئيساً ، وستة أعضاء يمثلون الفروع المختلفة ، ويكون تعيينهم بمرسوم ، ومدة عضويتهم ثلاث سنوات قابلة للتجديد

وتختار اللجنة الدائمة فى كل عام لجاناً لفحص الإنتاج المقدم فى كل مادة ، ويجوز أن يختار لهذه اللجان بعض أعضاء اللجنة الدائمة ، ويكون تعيين أعضاء هذه اللجان بقرار يصدر من وزير المعارف ، ويمنح أعضاء لجان الفحص مكافآت يحددها وزير المعارف . هذا ، ويعلن سنوياً عن مسابقة فى كل من المواد الست المذكورة فى البند الأول ، ويخصص لكل منها جائزة مقدارها ١٠٠٠ جنيه مصرى ، وللمؤلف أن يتقدم بإنتاجه إلى المسابقة بنفسه ، أو أن تتقدم به بعض الجهات أو الهيئات العلمية والأدبية ، ومع هذا فيصح للجنة الدائمة المنصوص عنها فى البند الخامس أن تدخل فى المسابقة من تلقاء نفسها التآليف التى ترى أنها جديرة بالنظر ، ولو لم يتقدم بها المؤلف ، أو من يقوم مقامه .

وتحدد اللجنة الدائمة فى كل عام فرعاً أو أكثر من الآداب والقانون والعلوم تخصص للانتاج فيها جوائز العام ، وتعلن عن ذلك قبل الموعد المحدد لتقديم المؤلفات بستة شهور على الأقل .

ويشترط فى الإنتاج الذى يقدم فى المسابقة فى كل عام ما يأتى :

أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ، وتهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والإنتاج القوى

وأن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان

وأن يكون باللغة العربية الفصحى .

ولا يجوز التقدم من جديد بإنتاج سبق تقديمه .

ويقدم الإنتاج لنيل جوائز فؤاد الأول قبل اليوم الأول من شهر يناير من كل عام .

ولنيل جوائز فاروق الأول قبل اليوم الأول من شهر أكتوبر من كل عام .

وتمنح الجائزة كاملة لأحسن إنتاج يقدم فى موضوع المسابقة . ومع ذلك فيجوز — إذا رأت اللجنة أن إنتاجين متقاربين ولا يمتاز أحدهما عن الآخر امتيازاً ظاهراً — أن تقسم الجائزة بينهما بالتساوى ، ولا يجوز بحال من الأحوال أن تقسم الجائزة إلى أكثر من ذلك .

ويجوز للجنة أن توصى بأن يوفد إلى الخارج على نفقة الدولة من يدل إنتاجه على امتياز ظاهر ، سواء ممن نالوا الجوائز أو لم ينالوها ، وذلك تمكيناً له من الاتصال بالمعاهد العلمية أو الهيئات العالمية لاستكمال البحث أو الاستزادة منه .

وإذا لم تمنح الجائزة المقررة للمسابقة فى مادة من المواد فى عام ما استبقيت إلى العام الذى يليه . وفى هذه الحالة يعلن عن المسابقة فى الفرع الذى خصصت له جائزة العام مع الفرع الآخر

ويجوز أن يتقدم شخص واحد بأكثر من إنتاج فى سنة واحدة

هذا ، ويحدد وزير المعارف الفروع التى تخصص للانتاج فيها جوائز سنة ١٩٤٧ ، ويحدد موعد الإعلان عنها وموعد تقديم الإنتاج .

### أبو شأس الشاعر :

نقل الأديب شكرى محمود أحمد ( فى عدد الرسالة ٦٨٨ ) بضع مقطوعات من شعر أبى شأس ، من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى ، والديارات للشابشتى ، ووجد بعضها أيضاً منسوباً إلى أبى نواس فى ديوانه ، فتسرع الأديب شكرى وادعى أن أبا شأس هذا هو أبو نواس نفسه ، وأن الناسخ صحف هذا الإسم « أبا نواس » فصيره « أبا شاس » ، وإن ابن فضل الله العمرى ، وأحمد زكى باشا ، وحبيب الزيات ، لم يفطنوا لهذا التصحيف ، وقال إنه لم يعثر له على ذكر فى أى مصدر آخر.

ولو رجع الأديب إلى مظان أسماء الشعراء لتحقق أن هناك شعراء يكنون بأبى شأس ، منهم أبو شأس التميمى ، وأبو شأس الطبرى ، المذكوران فى ( معجم الشعراء للمرزبانى ) المطبوع بالقاهرة .

وهنالك شعراء يتسمون بشأس ، منهم شأس بن نهار بن الأسود بن عبد القيس ، وهو الممزق العبدى الشاعر المشهور ، على ما فى تاج العروس شرح القاموس ، وقد ذكره الآمدى فى كتابه ( المؤتلف والمختلف ) المطبوع مع ( معجم الشعراء ) ، وأورد له شعراً .

وأما نسبة بعض الأبيات إلى أبى نواس أيضاً ، فهذا يقع كثيراً ، فكم من شعر شعراء مشهورين مفيقين[1] نراه منسوباً إلى غيرهم تعمداً أو خطأ .

زكى الحافظ الفيومى

### الإمام الواعظ أحمد الغزالى :

نشر الأستاذ على سامى النشار مدرس الفلسفة بجامعة فاروق بحثاً قيماً عن أحمد الغزالى فى مجلة الأزهر جزء ٣ مجلد ١٤ — وقد صرح فى آخره بعدم عثوره على مؤلف له بقوله : « وليس بين أيدينا أيضاً كتب لأحمد الغزالى لتبين لنا عقيدته ... »

وإنى قد عثرت أخيراً على مؤلف صغير الحجم للامام المذكور — ضمن مجموعة لأبى حامد — يسمى « كتاب التجريد فى كلمة التوحيد » يحتوى على فصول صغيرة غير مرقومة ، وكلها شروح وتعليقات على كلمة التوحيد — لا إله إلا الله — وتمتاز هذه الفصول على تنوعها بغلبة الوعظ عليها ، ومزجها بالكتاب الكريم والسنة النبوية والحكم المأثورة .

وهى تدل على تبحر الشيخ وعلو كعبه . إذ أن فى هذه الفصول تحقيقات صوفية وخواطر ربانية وأسرارا روحية !

ولعل فى نقل فقرات من فصول هذا الكتاب ما ينير الطريق لمن يريد البحث عن عقيدة الإمام . جاء فى مقدمة كتابه : قال الشيخ الأجل جمال الإسلام أحمد بن محمد بن محمد الغزالى

---

(١) شاعر مفيق : مفلق على ما فى القاموس المحيط وغيره .

رحمة الله عليه فى الحديث الصحيح والنقل الوارد الصحيح عن سيد البشر محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ذلك خبراً عن الله تعالى: لا إله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى.
قال الشيخ الإمام رحمة الله عليه لا إله إلا الله هى الحصن الأكبر وهى علم التوحيد ؛ من تحصن بحصنها فقد حصل سعادة الأبد ونعيم السرمد ، ومن تخلف عن التحصن بها فقد حصل شقاوة الأبد وعذاب السرمد . ومهما تكن هذه الكلمة حصناً دائراً على دائرة قلبك وروحها نقطة تلك الدائرة وسلطانها حارساً يمنع نفسك وهواك وشيطانك من الدخول إلى تلك النقطة فأنت خارج الحصن ومجرد قولك لا يزن مثقال ذرة ، ولا يعدل جناح بعوضة . فانظر ما هو نصيبك من هذه الكلمة فإن كان نصيبك روحها ومعناها « أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » وهو نصيب سيد الخلائق محمد صلى الله عليه وسلم ومائة ألف نبى ونيف وعشرين ألف نبى فقد حزت ذخر الكونين وفزت بسعادة الدارين ... الخ.

وفى الفصل الثالث : إذا قلت لا إله إلا الله إن كان مسكنها منك اللسان لاثمرة لها فى القلب فأنت منافق ، وإن كان مسكنها منك القلب فأنت مؤمن ، وإن كان مسكنها منك الروح فأنت عاشق ، وإن كان مسكنها منك السر فأنت مكاشف . فالإيمان الأول إيمان العوام والثانى إيمان الخواص والثالث إيمان خواص الخواص ... الخ .

وفى الفصل الحادى عشر : افتح بصر بصيرتك فإنه ليس فى الوجود شىء إلا وهو يقول لا إله إلا الله « وإن من شىء إلا يسبح بحمده » الآية « يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض » يدل بوجوده على موجده وبخلقه على خالقه ...

وفى الفصل الخامس عشر : اجعل رأس مال بضاعتك التوحيد ، وملاذ أمرك التجريد ، واجعل غناك افتقارك وعزك انكسارك ، وذكرك شمارك ، ومحبتك دثارك ، وتقواك إزارك فإن كنت مفتقراً إلى زاد وراحلة وخفير فاجعل زادك الافتقار ، ومطيتك الانكسار ، وخفيرك الأذكار ، وأنيسك المحبة ومقصد سفرك القربة . فإن ربحت فقد ربحت ... الخ .

وفى الفصل السابع عشر : متى تتنبه من سنة غفلتك ، وتصحو من خمار سكرتك ؛ فتفهم ما تذكر وتعلم ما تقول ، أمرت بالفهم ثم بالذكر ، وأمرت بالعلم ثم بالقول فما لم تعلم لا تقل وما لم تفهم لا تذكر . إذا قلت لا إله إلا الله وأنت غافل القلب غائب الفهم ساهى السر فلست بذاكر « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » إذا ذكرته فلتكن كلك قلباً ، وإذا نطقت به فلتكن كلك لسانا ، وإذا سمعت فلتكن كلك سمعاً ؛ وإلا فأنت تضرب فى حديد بارد :

إذا ذكرتك كاد الشوق يقتلنى ... وغفلتى عنك أحزان وأوجاع
فصار كلى قلوبا فيك واعية ... للسقم فيها وللآلام إسراع

وفى الفصل السادس والعشرين : اعلم أن شجرة لا إله إلا الله شجرة السعادة فإن غرستها فى منبت التصديق وسقيتها من ماء الإخلاص وراعيتها بالعمل الصالح رسخت عروقها وثبت ساقها واخضرت أوراقها ، وأينعت ثمارها ، وتضاعف أكلها ... الخ .

وفى الفصل الثلاثين : أعرف عبدى ؛ خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فاشتغلت بالنعمة عن المنعم وبالعطاء عن المعطى . فما أديت شكر نعمته ولا راعيت حرمة عطائه ، كل نعمة شغلتك عنى فهى نقمة ، وكل عطية ألهتك عنى فهى بلية ... الخ .

وفى الفصل الحادى والثلاثين : عبدى أنا الذى أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد ؛ أعطى لا لباعث ، وأمنع لا لحادث ، وأسعد لا لعلة ، وأخلق لا لقلة ، وأبتلى بالشكر لا لحاجة ، وقد خلت الأحدية وتقدست الصمدية عن البواعث والعلل ، لو كانت الإرادة هى عن باعث لكان محمولا ، ولو كانت عن حادث لكان معلولا وليس بمحمول ولا معلول ؛ بل خالق البواعث والعلل « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » .

وفى الفصل الثانى والثلاثين : عبدى ليس فى الوجود إلا أنا فلا تشتغل إلا بى ولا تقبل إلا علىّ إن حصلت لك فقد حصل كل شىء وإن فتك فقد فات كل شىء ... الخ .

على أن عقيدة الشيخ الواعظ فياحة كالعطر ؛ شذاها فى ثنايا كتابه الصغير ، ويؤيد هذا قول الأستاذ إنه تبحر فى علوم الشريعة ثم دخل طريق القوم عن دراية ، وقد عهد إليه أخوه بالتدريس فى النظامية ؛ كما يدل على سمو رتبته فى الطريق ما قاله

فى أخيه عند ما سئل [1] عنه . كل هذه دلائل على سلامة عقيدة الشيخ من كل زيغ .

وفى الحق إن هذا الواعظ الصوفى صنو أخيه ، وإن كان أقل منه شهرة . يعرف ذلك كل من سلك طريق القوم ، وكل ميسر لما خلق له !

هذه كلمة ما أردت بها إلا وجه الحق . وفقنا الله جميعاً للصواب .

(شطانوف) **محمد منصور خضر**

**اللائحة الداخلية لمجلة الأزهر :**

تألفت فى يوم الأربعاء ٢٤ من أبريل سنة ١٩٤٦ لجنة لوضع نظام لمجلة الأزهر برياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر وقررت ما يلى :

أولا — تنظيم مجلة الأزهر بحيث تصلح لحمل رسالة الجامع الأزهر والتعبير عنها أكمل تعبير .

ثانيا — أن تكون المجلة من غزارة المادة وتنوع البحوث بحيث تشمل الاتجاهات الثقافية والاصلاحية للجامع الأزهر .

ثالثا — أن يكون لها ملحق يكتب بلغة أجنبية فى موضوع يهم من لا يعرف العربية من المسلمين وغيرهم أو يشتمل على طبعة مستقلة لبعض المخطوطات العربية القيمة أو لما يظهر فى المجلة من بحوث .

رابعا — أن تظهر المجلة فى نحو مائة صفحة فى أول كل شهر عربى ماعدا شهرى الحر الشديد ، وتكون سنتها عشرة أشهر .

ورأت اللجنة أن تحدد أغراض المجلة والموضوعات التى تنشر فيها على النحو التالى :

أغراض المجلة هى : الدفاع عن الاسلام وبيان فضائله والتعبير عن مساهمة الأزهر فى العناية بالدراسات الاسلامية عناية إنشائية وتكون حلقة اتصال بين الأزهر وسائر الجامعات والمعاهد العلمية من جهة ، وبين الأزهر والرأى العام المثقف من جهة أخرى ، وتكون أداة تعليم للأزهريين وأداة توجيه دينى وإصلاحى للمسلمين.

(١) قيل لأحمد : أين أبو حامد ؟ قال فى الدم ، وذكر ذلك لأبى حامد فقال : صدق . كنت أفتكر فى مسألة من مسائل المستحاضة .




# التجربة ...

للأستاذ نجاتي صدقي

رآها تسير فى بوليفار غامبيتا بباريس ، وبرفقتها رجل سمين مترهل يكبرها بعشرين حولا على وجه التقريب ، فظنها ابنته ... ومما عزز فيه هذا الظن أن الرجل كان يسير إلى جانبها بخطوات آلية متئدة ... فى حين أن الفتاة كانت كتلة من النشاط والحيوية ... تسير وكأنها تقوم بحركات من الرقص الإيقاعى ... وكان الهواء يعبث بشعرها الذهبى فيتطاير ألسنة هى أشبه بألسنة اللهيب ... أما عيناها المتقدتان فكانتا لا تفتآن تتطلعان هنا وهناك .

ولما وقع نظرها عليه ابتسمت له ، وظلت تتطلع فيه حتى صار خلفها ، ثم أدارت رأسها نحوه ثلاث مرات ... أما هو فقد آنسته عنايتها هذه به ، فتتبع أثرها إلى أن ولجت مع الرجل فندقاً صغيراً ، ويبدو أن الفتاة أحست أن الفتى قد اقتفى أثرها مستجيباً لندائها ، فالتفتت إلى الوراء وهى تعبر عتبة الفندق وأومأت له برأسها ، فأدرك بأن عليه أن ينتظر .

وبعد عشر دقائق نفرت الفتاة من الفندق ، فاقترب منها الفتى ، وصافحها كما لو أنه ربى وإياها ... وصافحته هى كما لو أنه عزيز على قلبها كان غائباً فأتى ... وسارا جنباً إلى جنب ... ثم بادرها الكلام بقوله :

— أظن أنكما لستما من باريس ؟

— كلا ، نحن من النورماندى .

— ويلوح لى أنه والدك ... أليس كذلك ؟

— كلا إنه زوجى ...

— ماذا ... زوجك ؟ ... أنت فتاة يانعة يافعة وهو رجل يكبرك جداً ، وسمين ، ومترهل ، وعديم الحيوية ، فكيف قبلت به بعلا لك ؟

— كنت جاهلة ولم أفقه معنى الزواج فوقعت فى أحبولته ، وزوجت به ... والآن أفقت إلى نفسى ... فرأيت أننى فى واد ، وفتى أحلامى فى واد آخر .

— ولم أتيتما إلى باريس ؟

— لأننى أردت المجىء إلى مدينة النور هذه ، مدينة اللهو والحب الأعمى ، فطالما طالعت فى الصحف الباريزية إعلانات وأخباراً مثيرة ، فصممت على أن آتى إلى باريس بأية وسيلة كانت لأمتع نفسى بملاذها ... ولأختبر آثامها ولو فى أيام قلائل ! ... فاختلقت المرض .

اعترت الفتى الدهشة من مسلك هذه الفتاة الجامحة ... ففكر فى أن يردعها عن غيها ، لكن الشيطان شدد عليه الوطأة ، وزين له الإثم الذى هى تسمى إليه ... فقال لها مبتسماً : أمأذونية أنت فى هذه الساعة ؟

قالت — استحصلت على إذن من زوجى لمدة أربع ساعات لأزور صديقة لى هنا ، فالساعة الآن الخامسة ، وعلى أن أعود إلى الفندق فى تمام الساعة التاسعة مساء .

حملق الفتى فى وجهها ، وحملقت فى وجهه ، وشد على يدها وشدت على يده ، فتأبط ذراعها وسارا فى « بوليفار غامبيتا » الطويل ... ثم راح يسرد لها منهاجه لاستغلال هذه الساعات المعدودات على أكمل وجه ، وقال — نذهب الآن إلى جامع باريس ، فنأكل كباباً وبقلاوة ، ثم نذهب إلى متنزه ( بوتشومون ) ، ثم نذهب إلى مقهى فنحتسى بعض المشروب ، ثم نزور دار السينما ... ثم نعرج على فندق لأخذ شىء ما ... ثم نعود إلى فندقك فى تمام الساعة التاسعة ، أتوافقين ؟

— جداً ... جداً ... إنه لمنهج ممتع .

— يالها من أويقات عذبة سنقضيها معاً فى باريس .

— هذا جل ما أتمناه ... فأنت الطبيب الذى أسمى إليه ...

— أستمكثان طويلا فى عاصمة النور ؟ ...

— ثلاثة أيام فقط .

— شىء مؤسف حقاً !

— لماذا ؟

— أتسألين لماذا أيضاً ... إنه ليشق على أن أفارق هذا الجمال، وهذا الصبا، بمثل هذه السرعة.

— أيهمك أمرى بعد انقضاء هذه الأيام الثلاثة؟

احتار الفتى فيما يجيب ... أيقول لها بأنه لا يهتم بأمرها، فربما تعتبر ذلك إهانة لها وتنفر منه، أم يقول لها بأن أمرها يهمه جداً، فتعتبر ذلك اطراء وترضى عليه؟ ... وبعد تردد قليل قال:

— يهمنى أمرك جداً ياعزيزتى ... وثقى بأننى لن أنساك ما دمت على قيد الحياة، وسأراسلك دائماً. بل سأبذل أقصى جهدى لكى أزورك فى بلادك، كونى عند حسن ظنك بى ...

وما إن سمعت الفتاة هذا الكلام حتى امتقع وجهها. وانطوت على نفسها، وهى تفكر فى أمر غامض ... وكان لسان حالها يقول:

— هل ارتكاب الإثم فى باريس يتطلب حباً؟ ... إننى لم آت إلى عاصمة اللهو والملذات لكى أجد لى زوجاً ثانياً ... إننى لا أود شخصاً ليراسلنى ويتبعنى من مكان إلى آخر ... إننى تصورت اللذة الباريسية بمثابة كأس من الخمرة يحتسى على عجل، وينتهى الأمر أما وأن هذه اللذة ستسبب لى متاعب ومراسلات ومطاردات فهذا مما لا أريده البتة.

ولما مرا بكنيسة فى حى «مون مارتر» قالت الفتاة:

— أتأذن لى بالدخول إلى الكنيسة قليلا؟ ...

فانتفض الفتى، وقال — أتريدين الصلاة؟!.

قالت — أجل ... لخمس دقائق فقط ... انتظرنى عند باب الكنيسة، كما انتظرتنى عند باب الفندق.

مضت خمس دقائق، فصارت عشراً، وخمس عشرة ... فانزعج الفتى ودخل الكنيسة فرأى فى طرفها الأعن جماعة من النسوة الضالات، والرجال الضالين، وأمامهم قسيس يتلو عليهم فقرات من الاصحاح الرابع لرسالة يعقوب فيقول:

(أيها الزناة والزوانى! ... أما تعلمون أن محبة العالم عداوة الله ... قاوموا إبليس فيهرب منكم ... اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم ... نقّوا أيديكم أيها الخطاة، وطهروا قلوبكم يا ذوى الرأيين، اكتئبوا ونوحوا وابكوا ... ليتحول ضحككم إلى نواح، وفرحكم إلى غم ... اتضعوا قدام الرب فيرفعكم).

اندس الفتى بين هذا الرهط من الناس باحثاً عن فتاته، إلا أنه لم ير لها أثراً ... ثم أجال نظره فى أرجاء الكنيسة، فلمح أن لها باباً آخر، فاشتبه بأن الفتاة أخطأت المخرج، فلحق بها ... وإذ بلغ الباب وجد قسيساً يحاول إغلاقه فاستوقفه بلطف وقال له: عم مساء أيها الأب!

— عم مساء يابنى.

— أبانا ... ألم تر فتاة خرجت من هذا الباب قبل دقائق معدودات ... وهى تلبس قبعة قش واسعة الأطراف، مطوقة بشريط أخضر ينتهى بباقة صغيرة من الورد؟ ...

فأشاح القس بوجهه عن الفتى، وقطب حاجبيه ... ثم قال:

— أهذا أنت؟ ... اذهب فى سبيلك يابنى ... ولا تسخر نفسك لتجارب الشيطان ... أجل ... رأيتها، واعترفت! ... وأغلق باب الكنيسة فى وجهه ...

**نجاتى صدقى**

وزارة المعارف العمومية :

# الجامعة الشعبية
## وفروعها بالاقاليم

تنظم الجامعة الشعبية دراسات عقلية وفنية ومهنية لتكوين الشخصية وترقية الملكات ورفع المستوى الثقافى والفكرى والاجتماعى وذلك عن طريق نشر ألوان الثقافة العامة بين جميع طبقات الشعب على أساس من الرغبة الشخصية دون اشتراط مؤهلات معينة .

وقد تقرر أن تفتتح الجامعة أربعة عشر مركزاً ثقافياً فى الأقاليم تتبع الجامعة وتسير على نظمها ، وقريباً تفتتح مراكز ثقافية فى الأسكندرية وعواصم الأقاليم .

نظام الانتساب :

حق الانتساب للجامعة أو فروعها مباح للكبار من الجنسين على السواء ممن يحسنون القراءة والكتابة .

وعند قبول الطالب يسدد رسماً قدره مائتى مليم عن كل شعبة دراسية للموسم الثقافى الواحد .

مواد الدراسة هى :

١ — الشعبة الطبية والصحية .

وتهدف إلى مكافحة الأمية الصحية .

٢ — الشعبة التاريخية :

وتهتم بدراسة تاريخ مصر الحديث وحضارتها كأساس للتربية القومية .

٣ — شعبة التجارة الاقتصادية :

وتشمل إمساك الدفاتر والرياضيات التجارية وطرق التجارة وإدارة الأعمال وأسس الاقتصاد القومى .

٤ — الشعبة الفنية :

وتشمل فنون التصوير والنحت والزخرفة والموسيق والتمثيل .

٥ و ٦ — شعبتا الصناعات الميكانيكية والزخرفية وتشملان :

نجارة الأثاث — الزخرفة والتذهيب — النسيج — الطباعة — السجاد والكليم — معادن وصياغة — التصوير الضوئى والسينمائى — الكيميا الصناعية . البرادة — الخراطة — السيارات — ساعات — كهرباء — لاسلكى آلات — تليفونات الخ .

٧ — الشعبة السياسية القومية الدولية :

ترمى إلى نشر الثقافة السياسية المستنيرة بين الطلاب سواء فى الشئون الداخلية أو الخارجية . ومبادئ القانون الدولى .

٨ — الشعبة الأدبية :

تهدف إلى رفع المستوى الأدبى بين الطلاب وتربية الذوق الأدبى السليم .

٩ — شعبة الدراسات الاجتماعية :

تهدف نحو تبصير الطلاب بالمشاكل الاجتماعية والجهود التى تبذل لعلاجها .

١٠ — الشعبة العلمية :

وتشمل دراسة العلوم الطبيعية حيث تتناول معرفة أهم المظاهر فى الحياة العلمية .

١١ — الشعبة الزراعية :

تهدف نحو العناية بنشر الثقافة الزراعية بين أهل المدن وزيادة التوجيه الفنى بين أهل الريف .

١٢ — الشعبة النسوية :

تشمل الطهى والخياطة والادارة والصحة والاجتماع .

وتهدف إلى تزويد الفتاة أو ربة البيت بما تحتاجه من ثقافة تساعدها على النهوض بأعباء الأسرة وتكوين جيل جديد

وتفتتح فروع فى الأحياء المختلفة متى توافر عدد الطالبات وذلك تيسيراً لهن فى حضور الدراسات .

الدراسة :

تبدأ فى أوائل أكتوبر سنة ١٩٤٦ .

الطلبات :

تقدم طلبات الانتساب للجامعة وفروعها فى الأقاليم إلى إدارة الجامعة بالقاهرة بريد البرلمان للاستعلامات يومياً فى الصباح من الساعة التاسعة إلى الواحدة . وبعد الظهر من الخامسة إلى التاسعة — تليفون ٤٩٢٧٤ . ٦٠١٩

# وزارة الأوقـــــاف

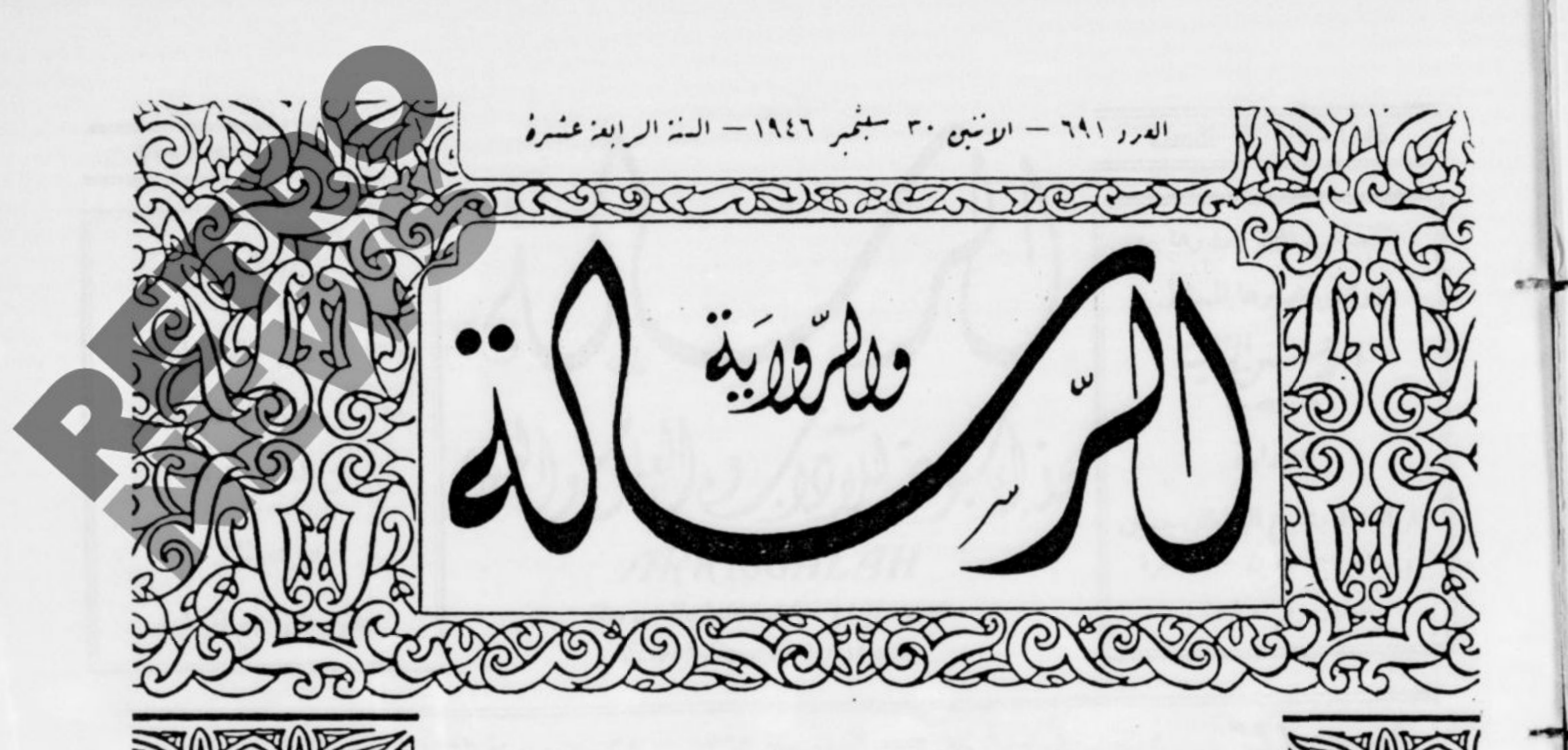
تشن بيع الأطيان الآتية بجلسة الخميس ١٧ أكتوبر ســـنة ١٩٤٦

| الجهـــة | الساحـــة | | | الثمن الأساسى للفدان | جهات الجلسات |
|---|---|---|---|---|---|
| | س | ط | فدان | جنـيه | |
| الغربى بهجورة مركز نجع حمادى | ٢٠ | ٠٣ | ٠٦ | ٢٠٠ | منطقة نجع حمادى |
| » | ١٢ | ١٣ | ٠٢ | ١٧٥ | » » » |
| » | ١٦ | ٢٣ | ٣٦ | ١٧٠ | » » » |
| » | ٠٠ | ١٥ | ١٤ | ١٨٠ | » » » |
| » | ١٦ | ١١ | ٢٤ | ١٧٠ | » » » |
| » | ٢٠ | ٠٨ | ٠١ | ٢٠٠ | » » » |
| » | ٠٠ | ١٢ | ٠ | ١٨٠ | » » » |
| » | ١٦ | ٠٩ | ٠١ | ١٨٠ | » » » |
| النجمة والحمران مركز نجع حمادى | ١٦ | ١٠ | ٠٢ | ١٧٥ | » » » |
| شرحه | ١٦ | ١٠ | ٠٤ | ٢٢٠ | » » » |
| | ٠٠ | ٠٦ | ٠ | ١٥٠ | » » » |
| | ٠٠ | ١٧ | ٠٣ | ٢٥٠ | » » » |
| القمانة مركز نجع حمادى | ١٢ | ٠١ | ٠٠ | ٤٨٠ | » » » |
| الشرق سمهود نجع حمادى | ٠٠ | ٠٠ | ٠٢ | ٠٨٥ | » » » |
| شرحه | ١٢ | ٠١ | ٠٠ | ١٨٠ | » » » |
| أبو طشت مركز نجع حمادى | ١٦ | ١٢ | ٥٠ | ١٨٠ | » » » |
| أولاد نجم مركز نجع حمادى | ٠٤ | ٠٦ | ٠٠ | ٢٤٠ | » » » |
| النجمة والحمران نجع حمادى | ٠٨ | ١٠ | ٠١ | ٢٤٠ | » » » |

[ طبعت بدار الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين ]



العدد ٦٩١ — الاثنين ٣٠ سبتمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



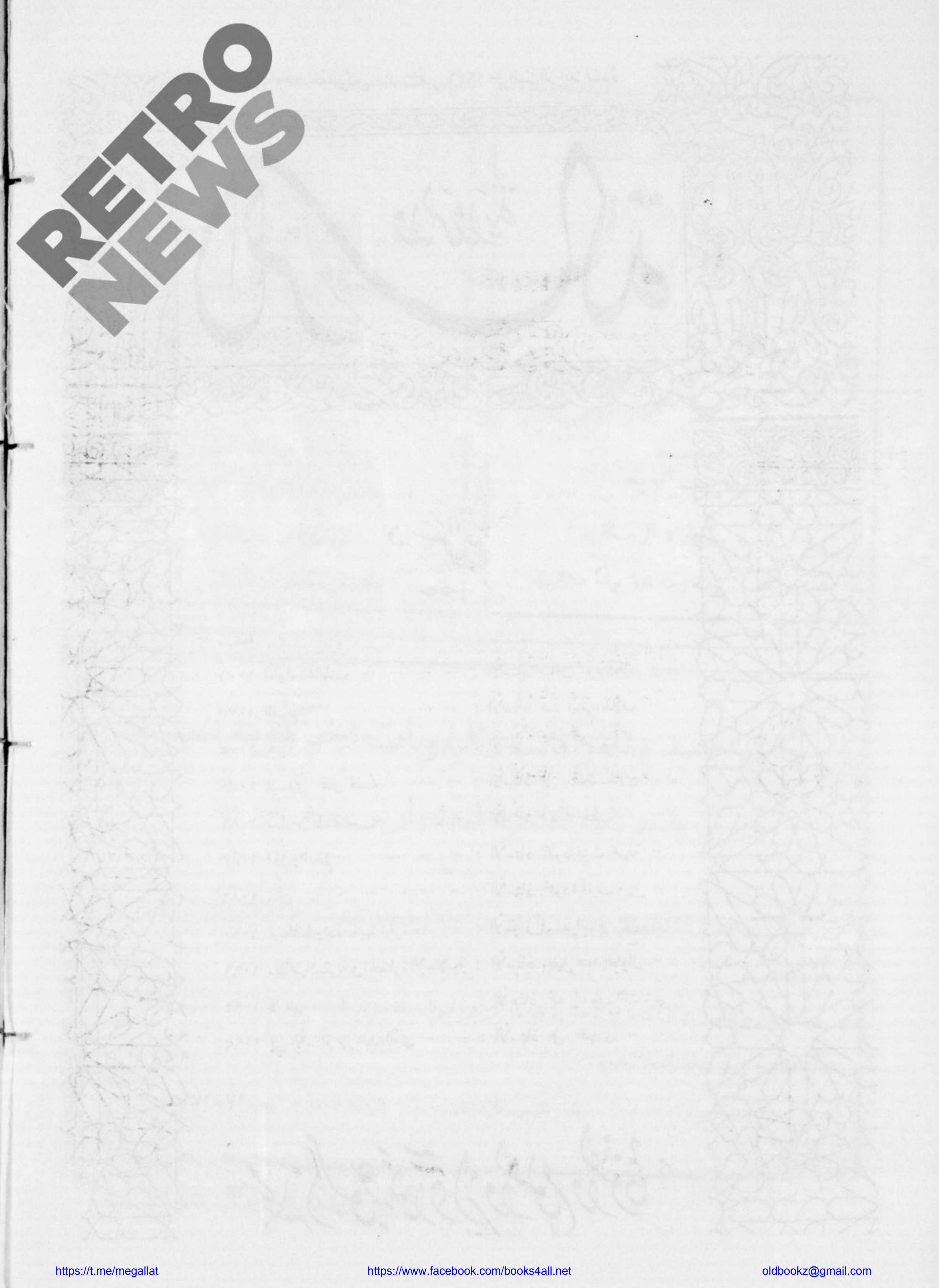

فهرس العدد





٢٧ ـ ٢٧

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون



14 me Année No. 691

Lundi—30—9—1946

بدل الاشتراك عن سنة

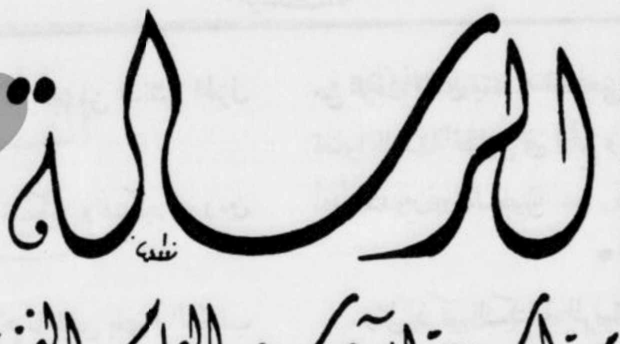
١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٩١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٥ ذو القعدة سنة ١٣٦٥ — ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة



# الآراء الخــــاطفة...

للأستاذ عباس محمود العقاد

الحركات الخاطفة معروفة فى ميادين الأدب كما عرفت قديماً وحديثاً فى ميادين الحروب

وهى تنجح فى هـذه الميادين كما تنجح فى تلك الميادين ، فليست الأناة لازمة فى كل عمل ، وليس البطء فى التفكير مطلوباً من كل أحد :

وربما فات قوماً جل أمرهم من التأنى وكان الأمر لو عجلوا

كما قيل بحق وصواب

ولـكن الحركات الخاطفة قد تنهزم فى ميادين الأدب كما تنهزم فى ميادين القتال ، لأنها لا تصلح لـكل موضع ولا تنتصر على جميع الأعداء

وعيبها الأكبر فى الآراء الأدبية أنها سريعة الرواج سريعة الإقناع ، وأنها تجتذب إليها « على وجه السرعة » أولئك الذين ينفرون من التمحيص لأنهم لا يستطيمونه أو لا يجدون له متسعاً من الفراغ ، فيقبلون كل ما قيل ويصدقون فى معظم الأحوال ما هو حقيق بالتـكذيب والإعراض

ومن هذه الآراء الخاطفة آراء بعض الناقدين المحدثين فى أدب الصحافة أو فيما يكتبه الأدباء فى الصحف والمجلات . فعند هؤلاء الناقدين المحدثين أن الأديب لا ينبغى أن يكتب للصحف والمجلات ، وأنه لا يكتب فيها شيئاً يستحق أن يعيش إلى غير الأجل الموقوت الذى يقدر لأخبار الصحافة وحوادث اليوم أو الشهر أو العام على أبعد الآجال

وفى هذا الرأى آفة الآراء الخاطفة جمعاء

فهو صحيح وغير صحيح ، أو هو لا يقبل كله ولا يرفض كله ، ولـكنه يروج بصوابه وخطئه عنـد من « يخطفون » الآراء ويقابلون عجلة التفـكير بعجلة الإصغاء

فهذا الرأى صحيح إذا كانت كلمة « الـكتابة » تشمل التفكير والتجربة والدراسة والمراجعة وتدوين الـكلام على الأوراق

فالـكاتب الذى يفـكر ويجرب ويدرس ويراجع فى الساعة التى يدون فيها كلامه على الورق يخطئ فى حق الأدب وفى حق نفسه ولا يستحق البقاء بعـد طى الصحيفة التى يكتب فيها بساعات أو أيام

ولـكنه إذا كان يودع الصحيفة ثمرة التفـكير الصحيح والتجربة الطويلة والدرس الدقيق والمراجعة المتوالية ، فما هو الفارق بين إيداع هذه الثمرة فى صفحات مجلة أو صفحات كتاب ؟

وما هو وجه الخطأ فى تعويد القارئ الصحفى أن يطالع الموضوعات المدروسة إلى جانب الموضوعات العابرة وأحاديث الفضول والسمر الرخيص ؟

لا فارق فى هذه الحالة بين أدب الـكتب وأدب الصحافة ،

ولا خطأ فى اقتران الجد بالهزل ، لأنه خير من استئثار الهزل وحده بعقول القراء « الصحفيين »

ومن الواجب هنا أن نفرق بين تفكير وتفكير ، وبين إسراع وإسراع ، وبين ثمرة وثمرة

فإذا كان الكاتب يفهم فى أسبوع ما ليس يفهمه الكاتب الآخر فى سنة أو بضع سنوات ، فليس هذا البطء بالمزية المحمودة ولا ذلك الإسراع بالذنب المعيب

وليست السلحفاة أفضل من العصفور لأنها سلحفاة ، ولا العصفور أعجز من السلحفاة لأنه عصفور

وإنما المعول على « الثمرة » لا على الزمن الذى تصل فيه هذه الثمرة إلى آكليها . فإذا وصلت إليهم فى القطار السريع فليس حتما لزاماً عليهم أن يردوها إلى البستان ليحملها إليهم بائع يمشى على قدميه !

كذلك لا يعاب الأديب لأنه يكتب فى الموضوعات الهينة أو موضوعات الصحافة على اختلاف مواعيدها ، فإنما المعول على ما يقول فى موضوعاتها لا على عناوين تلك الموضوعات ، وربما كتب بعضهم فى الحروب العالمية فضاعت فى قراءته اللحظات فضلا عن الساعات ، وكتب بعضهم فى لعب الأطفال فكانت كتابته أحق بالقراءة والحفظ من كتابة ذلك فى حروب الأمم وقيام الدولات أو سقوط الدولات

ولم نر من الأدباء المعاصرين من طرق هذا البحث فأحسن فيه كما أحسن الأستاذ محمد روحى فيصل فى مقاله بمجلة « الفكر » السورية حين قال : « ... أرى مع ذلك أن الصحافى إذا استأنى فى تحقيق كلمته ، وجرى فيما يكتب على مهل وعناية ، وحلل البواعث وتصور النتائج وأحب وكره وخاصم فى المثل الأعلى كان أديباً يأدق ما فى الأدب من الخصائص ، كما أن الأديب إذا أسرع فى تركيز صوره وعرض تصويره صار إلى الصحافة وهو لا يدرى »

وهذا هو الرأى السديد فى موضوع الأدب والصحافة كما نراه ، ولو عاد إلينا الجاحظ والأصفهانى وابن سينا وأدباء العربية الأقدمون أجمعين لرأوه مثلنا بلا خلاف فى الجملة أو التفصيل ، لأننا لا نحسبهم قضوا فى تدوين مصنفاتهم المرسلة وقتاً أطول من الوقت الذى يقضيه الصحفى اليوم فى كتابة مقال ، ولكنهم قضوا الوقت الطويل فى الجمع والتحصيل ، فهان عليهم بعد ذلك أمر التدوين والتسجيل

* * *

وعلى ذكر الكتابة المرسلة نذكر الآراء « الخاطفة » التى تقال هذه الأيام عن السجع والترسل فى بعض الموضوعات

فقد تلقف بعضهم كلام الناقدين فى نقد السجع فحسب أن السجع معيب على كل حال ، وأنه أسلوب قديم لا يطرقه الكتاب المحدثون ولا يوافق كتابة العصر الحديث !

وكنا قد تناولنا كاتباً منهم بالتسخيف والتفنيد فى عبارات مسجوعة ، فظن أنه « أديب حديث » لأنه لا يسجع ، وأننا أناس جامدون لأننا نستخدم السجع فى بعض العبارات !

ونحن نتعمد السجع أحياناً للسخرية أو للتوكيد والتقرير ، ونفهم لماذا يعيبه الناقدون فنفهم أنه أسلوب يطرق فى هذا العصر كما يطرق فى كل زمان ، لأن السجع لا يعاب لذاته ، ولكنه يعاب لأن المتقيدين به يهملون المعنى فى سبيل القافية أو الفاصلة ، فيعاب عليهم هذا الإهمال ، ولو كان مجرد العناية بالقافية عيباً لعيب الشعر كله فى اللغة العربية على التخصيص ، لأنه يجمع القافية والوزن معاً وينفرد الكلام المنثور بالقوافى دون الأوزان .

أما إذا اتفق السجع والمعنى فلماذا يعاب ؟ بل لماذا لا يستحسن ويطلب فى الكلام المنثور ؟ إنه زيادة فيه وليس بنقص ، ومزية فيه وليس بعيب ، ومطلب يراد وليس بمأخذ يجتنب ، ولنا أن نتحدى من ينكره فى بعض عباراتنا أن يمحوه ويرسل الكلام فى موضعه ، فإن لم يكن الترسل فى هذه الحالة هو المخل بالمعنى ، فهو المحق فى نقده ونحن المبطلون !

* * *

ومن هذه الآراء « الخاطفة » نقد الناقدين « الخاطفين » لوصف الناقة أو وصف الصحراء فى عصرنا الحديث

عز عليهم أن يفهموا لماذا عيب هذا على الشعراء المتقدمين فحسبوا أنه منقود على الإطلاق ، وأن آية التحريم قد نزلت على وصف النوق والصحراوات إلى أبد الأبيد

وليس الأمر كذلك

فإنما يعاب وصف الناقة على المحاكاة كما تعاب المحاكاة فى وصف الطيارة من أحدث طراز ، وكما تعاب المحاكاة فى وصف القنبلة الذرية ، وكل مخترع يأتى بعد القنبلة الذرية ، ولو أتى بعدها بعدة قرون

والجبال أقدم من الناقة ، فهل يحرم وصفها على الشعراء والكتاب ؟ والبحار أقدم من الجبال ، فهل يحرم وصفها على الشعراء والكتاب ؟ والكواكب والشموس أقدم من الجبال ومن البحار ومن الأرض نفسها ، فهل يحرم وصفها على الشعراء والكتاب ؟

والعجب أن تخفى هذه الحقيقة البينة على أحد ممن يفقهون الشعر أو لا يفقهونه ! فكيف خفيت على أولئك النقاد ؟

ما نخالها خفيت عليهم إلا لأنهم حسبوا أن الناقة « أداة مواصلات » ، ووصفها الشعراء الأقدمون لأنها أداة مواصلات . فلا يحسن بالشعراء المحدثين أن يتركوا أدوات مواصلاتهم ليصفوا النوق فى الصحراء

والناقة ليست بأداة مواصلات وكفى ، إلا إذا كان راكبها جمّالا وكفى

ولكنها حيوان وراكبها إنسان ، وشأن الحيوان والإنسان باق فى الشعر وفى الإحساس والتعبير عن الإحساس إلى آخر الزمان

وهى بهذه الشابة أحدث من طيارة اليوم وطيارة القرن الثلاثين وما بعد القرن الثلاثين

وكذلك الصحراء وأهل الصحراء ، وكذلك كل بقعة من بقاع الأرض وكل مطلع من مطالع السماء

فالشاعر الذى تروعه الصحراء ولا ينظم فيها أعرق فى المحاكاة والتقليد من الشعراء المتقدمين ، والأديب الذى يحسب أن الطيارة قد نسخت الناقة والجواد وسائر المطايا الحية لا يحس الحياة ولا الأحياء

وهذه تعقيبات تقال ، ولا بد أن تقال وتعاد على تلك الآراء الخاطفة التى تروج بين خطاف الآراء والمذاهب فى هذه الآونة ، ولكنها ليست بالتعقيبات الخاطفة كما يرى القراء

**عباس محمود العقاد**

# القِيَم ...

**للأستاذ عبد المنعم خلاف**

من ذا الذى يستطيع أن يرُدَّ على الناس إيمانهم « بالقِيَم » العظيمة التى تعمر الوجود ؟ وكانت تعمر القلوب إلى ما قبل هذا العصر المادى ، عصر زوال الحدود وكثير من الفروق القديمة بين الأشياء والأمور ؟ إنها رسالة المخلصين للحياة لرد الإيمان بالحياة نفسها إلى قلوب أوشكت أن تفقد إحساسها بالحياة ...

إن الكون العظيم قائم على نِسَبٍ ثابتة ، وحدود واضحة بين الجمال والقبح ، والصحة والفساد ، والنظام والفوضى ، وكانت عقول الناس وطباعهم متأثرة بما فى طبيعة الكون من هذه النسب والحدود . لا تحاول طمسها بفلسفتها ، ولا تغييرها بمقدرتها العلمية ؛ لأن الكون المادى ظلّ فى قوالبه القديمة وحدوده الجامدة ، لا يستطيع الناس الخلط بينها إلى أن أتى هذا العصر الذى زالت فيه كثير من الحدود والمسافات بين الأشياء والأمكنة فزالت الحدود كذلك بين الخير والشر والجمال والقبح أو خيّل للناس أنها زالت ، واتسع مدى الخلط والتأويل ، لأن رجال الأخلاق لم يسايروا المنطق العصرى فيجملوا الحكم النفسىّ على « قيم » الأمور متمشياً مع الفهم العلمى الجديد لها ، وهذا كله نتيجة لتخلف الروح تخلفاً بعيداً عن سير الحياة المادية وقد صار الناس لا يتذوقون الأشياء المادية تذوقاً روحياً يضفى عليها ظلال التأويل ، ويخلع عليها لونا من حياة القلوب نفسها فيخرجها فى هالة روحية وطاقة نفسية .

خذ أمثلة : الانتقال السريع بالطيران ، والاتصال الخاطف باللاسلكى ، والمقدرة الساحقة بالكهرباء والفولاذ والقوى الذرية .. إنها أعمال واقعية الآن ، وكانت إلى ما قبيل الربع الأول من هذا القرن أحلاماً إنسانية خالدة لا تقترب من خيال الناس إلا حيث يدور حديث الآلهة والكائنات القادرة التى تتصل بالآلهة ... والتى لا سدود ولا قيود فى عالمها

والآن بعد أن صارت هذه الأعمال من أعمال الانسان ابن العجز القديم ، صار يفعلها وهو فى ذهول عن « قيمة » مايفعل ، كأنها لم تكن يوماً ما أحلاماً عن عالم الآلهة ! وإنى أعتقد أن أزمات الحياة الآن ناشئة عن هذا الذهول الشنيع الناشىء من إهمال الوعاظ والأخلاقيين والمربين أن يجعلوا هذه المقدرة الانسانية الأخيرة مجالا عظيما من مجالات الوعظ والارشاد لإيقاظ الإنسان أولا إلى « قيمة » ما يفعله الآن .

ونحن إذا أفلحنا فى أن نجعل الفرد الإنسانى يتذوق هذه الأعمال المادية اليومية التى يفعلها تذوقاً روحياً يجعله يتلفت بالفكر والقلب إلى قيمتها ، نفلح لاشك فى أن نعود به إلى رؤية « القيم » المظيمة الخالدة التى تعمر الوجود ، وكانت تعمر القلوب أيام العجز قبل التسلط المادى الأخير .

وبديهى أن الطفل الناشىء فى هذا العصر بين القطارات والطائرات والبرقيات وعالم الكهرباء ينشأ وهو يرى هذه الأشياء كأنها أشياء طبيعية لا تسترعى انتباهه ، ولا تثير اهتمامه ، لأنه ألفها منذ نشأته ؛ فيمر عليها مخدَّراً بالألفة ، ولا يعرف لها قيمة تجعله يلتفت إلى « الإنسانية » التفاتة خاصة يدرك بها تفردها وامتيازها .

ومن هنا ينشأ الذهول عن « القيم » الثابتة التى فى الوجود ؛ كالحق ، والخير ، والجمال ، والمروءة ، والإيمان ، وغير أولئك من معايير الحياة القديمة التى كانت تسجد على أقدامها قلوب الناس أيام العجز .

وما أدرى : لعل هذا الكائن الإنسانى سيأتى عليه عصر يشعر فيه بقدرة فائقة ، ولعله حينئذ يستحيى كما يستحيى الخلائق العقلاء الكاملون أن يعتدوا على « قيم » الحق والخير . لأن حياة الإنسان القادر لا تستقيم ولا تستمر إن لم يقمها على الحق والخير ، والحق والخير هما أساس هذا الوجود الذى نعيش فيه ، ولا يعمى عنهما وعن أخواتهما كائن يخلف الله فى الأرض تلك الخلافة الواسعة

والحياة الفردية والحياة الاجتماعية قد أثر فيهما فقد « القيم » الآن تأثيراً خطيراً هو الذى يجعلهما على قلق واضطراب وتقطع أمر . فلست ترى الفرد الذى يستحيى من نفسه إذا فعل القبيح أو الضار حينما يخلو بتلك النفس اللوامة ؛ لأنه صار يرى الأعمال بدون « قيمها » ، وصارت الفلسفات الأبيقورية والميكيافللية تمهد له وتبرر عمله ، وتسعفه بالأعذار الكاذبة الخادعة ، فلا يسمع لضميره صوتاً ينكر عليه ، لأنه فقد الحساسية بالقيمة الخلقية للأعمال ، وأسعفته الحريات التى صارت شعار العصر ، واختلطت فيها حرية الفكر والرأى بحرية الطباع ، وحرية الطباع معناها الانطلاق وراء البدوات والنزوات ، والبدوات والنزوات هى امتداد حياة الطفولة التى لا تدرك « قيم » الأشياء ، وامتداد طيشها الذى لا يحسب حساب عواقب الأعمال والأقوال .

ولست ترى كذلك الآن الدولة التى تحترم العهد والكلمة والشرف لأن فقد « القيم » قد انتقل إلى المجال الدولى كذلك كنتيجة طبيعية للحياة الفردية الحالية . وهى حالة بالغة الخطورة إن لم يتداركها المربون والمفكرون بالسعى المتواصل لرد « القيم » إلى مكانها من القلوب والأشياء ، وخلع القداسة على كل حرمات الحياة ، وإحاطة النظم والقوانين والعقائد السامية بهالة من الاحترام والاعتبار ؛ حتى تحد من الفجور الذى يصحب القدرة المادية الفائقة ، وتكفكف من غلواء الغرور الذى تبعثه السيطرة على القوى . ذلك الغرور الذى جعل الولايات المتحدة الأمريكية توشك أن تتنكر لرسالتها الإنسانية ، وتغفل عن تاريخ أبطالها العالميين حين اهتدت إلى سر القنبلة الذرية الذى جعل لها المقام الأول فى التسلح والقدرة على البطش . فهى الآن تسير فى سياستها العالمية تحت تأثير غرورها بأنها حائزة أسرار ذلك الطارق المنيف الذى جعل اليابان تركع على قدميها إثر ضربتين اثنتين من ذلك الطارق .

فقيمة رسالتها الإنسانية قد أثر فيها زيادة مقدرتها المادية ، وقوتها المحاربة ، لأنها خطت خطوة واسعة فى العلم لم يصحبها خطوة موازية فى الروح التى تخلع القيم على الأشياء ، وإن رد القيمة الخلقية للأعمال والأشياء رسالة تحتاج إلى معجزات من الجهاد الموصول والإخلاص الإنسانى والاستمداد من رب الحياة الذى جعل فى الإنسانية مرونة تجعلها تدرك رشد أمرها وتكيف حياتها حسب مصلحتها ، وتخرج من الأهوال وفيها بقايا حياة تسمح بتجديد شملتها ، وامتداد وجودها فى كل الظروف والأحوال .

وأعظم أسلحة الجهاد فى هذا السبيل هو التفاؤل والتأميل ، وعدم اليأس من روح الله ؛ مع اليقين الثابت بأنه ما خلقنا إلا للخير ولو بدا فى ثياب الشر لدى أنظارنا القصيرة .

**عبد المنعم خلاف**

# هـــــزل . . . !

للأستاذ محمود محمد شاكر

يخيل إلىّ أن بين قلمى والليل صبابةً أو هوًى قديماً . فطالما رأيتنى أعقد الرأى والعزمَ نهاراً على شىء أجعل الكتابة له قيداً إذا جنّ الليلُ ، فما أكاد أحملُ القلم وأبدأ حتى أرى القلم ينقض علىّ رأيى وعزمى ويمضى إلى حيث شاء كما شاء ، فما يُبقى من آية النهار البصرة شيئاً إلا طمسَهُ أو أزاله أو نكّر من معارفه . وما أظنّ إلا أن كل كاتب قد ابتُلِىَ من قلمه بمثل الذي ابتُليتُ به أو بشىء يقاربه . ومن أعسر شىء ألقاه من هذا القلم أنى ربما بدأتُ الكتابة ، فإذا هو مِطواعٌ حثيثٌ ماض لا يتوقف ، وإذا كلمةٌ مرسلةٌ إليه ليقيدها ، فإذا هو كالفرس الحرون قد ركب رأسه وأبى إباء ، فلا أزال أرفقُ به وأستحثُّه وأديره بين أناملى ليلين ما استعصى من طباعه ، ولكنه يأبى إلا لجاجةً وعناداً ، ثم ينزع إلى وجه غير الذى أردتُ ، وإذا أنا مضطر أن أعود من حيث بدأ هو لا من حيث أردتُ أنا أن أبدأ ، وعندئذ يمضى على هواه وعلى ما خيّلتْ . وقد عرفت ذلك من عاداته قديماً ، فما يكاد يفعل ذلك حتى أثوبَ به إلى ورقة أخرى فأبدأ الكتابة من حيث أرادُ ، وأمرى لله .

أفترانى أخطئ إذا أنا زعمت أن لقلم الكاتب شخصية مستقلة بل منفصلة تكاد أحياناً تغلب حامله على رأيه وعلى تقديره وعلى عزائمه ؟ أم الإنسان المفكر صاحب العقل شىء آخر غير الإنسان الكاتب حامل القلم ؟ فهو حين يفكر يُعطى أفكاره من الحرية والسَّعة والحماسة ما يجعلها أقدر على التصرف فى وجوه الرأى وشعابه ونواحيه ، فإذا حمل القلم ليملى عليه بعض أفكاره ، استقل قلمه بالفكرة بعد الفكرة يزنها ويقدرها على قدر عقله هو لا على عقل حامله ، فربما عرض له أن ينبذ منها أو يتنقّصها أو يتجافى عن طريقها فيسدّ عليها المسالك ويضرب عليها بالأسداد ، ثم يشرع إلى وجه غير الذى يُرَاد له ؟ أم الإنسان إذا فكر ثم أراد أن يكتب وحمل القلم صار هو نفسه شخصاً آخر غير الإنسان المفكر بغير قلم محمول ؟ كل ذلك ممكن ، ولكنه على كل حال متعبةٌ وشقاء لحامل القلم ما بعده شقاء ولا تعب .

وأعرف رجلا من أصدقائى الكتاب ، إذا حمل القلم وكتب كلمات ألقى قلمه ضجراً يائساً متململا من عُسر المدخل الذى دخل به على ما أراد ، فإذا عاد عاد القلم إلى جماحه وتمرده ، ولا يزال كذلك مرة بعد مرة حتى يرى قلمه قد رضى وأطاع ومضى إلى آخر حرف فى المقالة غير متوقف ولا متلعثم ، وقد قال لى : إنه ربما مضت الأيام على ذلك الحِران ، مع أنه يعلم مستيقناً أن الفكرة كانت قد اختمرت واستوت وتهيأت له من قبل أن يحمل القلم بأيام ، وأنه كان يظن أنه لن يحمل قلمه حتى يراه قد انساب انسياباً لا يعوقه شىء ، فإذا فرغ من كتابة ما أراد لم يجد أنه زاد قليلا ولا كثيراً عما كان فكّر فيه وعزم على كتابته .

فأى سر هذا الذى ينطوى عليه القلم حتى يكون هو المتصرف الذى لا يردّ لما أرادُه أمر ؟ قد تقول : إنه الحالة النفسية التى يكون عليها الكاتب ؛ وقد تقول : إنه الجو الذى تعيش فيه الكلمات التى يبتغى استنفارها من مكامنها ؛ وقد تقول أشياء كثيرة من هذا وأمثاله ، ولكن يبقى أنك لا تكاد تميز بعدَ الكتابة شيئاً من الاختلاف عما كنت قد فكرتَ فيه وأدرته فى نفسك وعرفت أنه قد أطاع لك ، فمن أين جاء هذا التوقف العجيب الذى تعتاده بعض الأقلام ؟ !

وأنا قد جربت نفسى ، فرأيتنى إذا أردت أن أكتب أحياناً شعراً يدور فى قلبى ويلح على خاطرى ، فأمسكت أى الأقلام وقعتْ عليه يدى ، فإذا هو عصىٌّ عنيدٌ لا تلين له سنٌّ — أو قناةٌ على ما يقولون — فإذا ألقيتُه وحملتُ القلم الذى اعتدتُ زماناً أن أكتب به الشعر ، أو الذى اعتاد هو أن يكتب لى الشعر ، انطلق على سجيته طيّعاً رفيقاً سهل القيادة حسَن الهدْى إلى قِبْلة الشعر . فأحبُّ الآراء إلىّ أن أجعل للقلم شخصية منفصلة تعين الكاتب أو تعانده ، فذلك أشبه بالسلطان العريض العظيم الذى فرضته الأقلام على الحياة ، والذى لولاه لعاش الإنسان ومات وكأنه لم يوجد قط .

***

كنتُ أردتُ أن أكتب شيئاً عن المتنبى وعن حكمته

وبصره بالحياة وبالناس وبما يعتلج فى القلوب على اختلافها ، وذلك لحديث جرى بينى وبين أحد ضيوف مصر من أهل العراق . وأردت أن أقارن بين مايسمونه شعر الحكمة ، وبين حكمة المتنبى فى شعره ، وأين وقع منه سائر الشعراء ؛ فما كدت أبدأ حتى عرضت لى أبيات المتنبى التى يقول فيها :

إنما أنفسُ الأنيس سباعٌ يتفارسنَ جهرةً واغتيالا
من أطاق التماس شيء غِلاباً واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا
كل غادٍ لحاجةٍ يتمنى أن يكون الغضنفر الرئبالا

وذكرت عندئذ ذلك البيت الذى أحيته أم كلثوم حين غنت فى شعر شوقى :

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غِلابا
وما استعصى على قومٍ منالٌ إذا الإقدام كان لهم ركابا

وأردت أن أعرض للفرق بين القولين ، وبين العبارتين ، وبين القوتين ، وبين البيانين . فأى دقة وأى هداية كانت لهذا الرجل الفذ الذى لو احتلت على بعض ألفاظه أن تجد لها بديلا فى كلامه لأفسدت معنى البيت وقوته وعبارته وبيانه ! خذ مثلا لفظ « الأنيس » ، وتخير ما شئت من حروف اللغة وضعه حيث وضع المتنبى لفظه ، واقرأ وانظر وتدبر ، هل يليق أو يسوغ أو يلين أو يستقر فى مكانه من البيت ؟ ضع مكانه « الإنس » أو « البشر » أو « الناس » أو « الأنام » أو ما شئت ، سواء استقام الوزن أو لم يستقم ، تجد الفرق بين الاختيارين عظيما واسعاً . فهو قد اختار اللفظ والبناء الذى يدل دلالة على المؤانسة والرقة والتلطف وإظهار المودة والظرف وحلاوة الشمائل ولين الطباع ، ليظهر لك أنها تخفى تحت هذا كله طباعاً وحشية ضارية مترفقة حيناً وباغية أحياناً ، فمهد للصورة التى أرادها باللفظ الذى لا يستغنى عنه فى دقة الصورة وحسن بيانها . فأين هذا من ضعف شوقى الذى لم يزد على أن جمع كلمات رُصّ بعضها إلى بعض لا حاصل لها ولا خير فيها . وما قيمة ذكر الركاب ، مع الإقدام والاستعصاء والمنال ؟ وأما البيت الأول « وما نيل المطالب » ، فهو كلام عامى دائر على الألسنة ، ولا فضل فيه ، بل هو أشبه بتقرير ضعيف عن معنى ليس بشىء .

وعندئذ عرض لى أنا أن هذا الفعل من شوقى هزلٌ للمعانى ، وهزل فى طِلابها ، وهزل فى إدراكها على وجهها . وإذا هذا القلم يسألنى — أو يأبى إلا أن يذكرنى — بأن الهزلَ الذى كان فيه شوقى خير من كل هذا الهزل الذى أصبحنا وأمسينا نعيش فيه . فالدنيا تجدُّ من حولنا ونحن نهزل ، ولا نكاد نجد من كبار رجالنا أحداً قد نهض به جَدُّه وجِدُّه فى ناحية إلا وقد سقط به هزله فى ناحية أخرى . وأن أشدّ البلاءِ من مثل هذا الرجل أن يُلبس عليه حتى يظن أن هذا الهزل هو أجدُّ الجدّ ، لأنه ظن أنه ما بلغ إلا بجدٍّ كان فيه طبيعة مغروزة فظن حتى صار ظنه حقاً عنده .

ولسنا نحب أن نطعنَ على الرجال بالحق فضلا عن الباطل ، ولكن بلادنا فى كل مكان من مصر إلى الشام إلى لبنان إلى فلسطين إلى العراق إلى بلاد الهند إلى أندونسيا إلى الجزائر وتونس ومراكش ؛ قد أحست شعوبها أن ساعة الجِدِّ قد آذنت ودنت ، وأنها ساعة إذا أفلتت فلن تعود إلا بلاء وعناء وشقاء . ومع ذلك فالرجال والزعماء وأصحاب الرأى أيضاً ، وهو أشد البلاء ، قد ركِّبوا فى رؤوسهم أذناً من طين وأذناً من عجين — كما يقول المثل العامى — فما يسمعون حسيس النار التى تشتعل فى صدور أبناء هذا الشرق إلا كحشرجة الميت ، فهم يعالجون أمورنا على صورة من اليأس والملل ، كأنما يرجون الظفر بأى شىء كان ، ما داموا يحسبون أنهم إذا رفعوا لأعين الناس هذا الذى ظفروا به ، وقالوا لهم لقد ظفرنا لكم بخير ماترجون ، صدّقهم الناس وصفقوا لهم ومشوا فى ركاب مجدهم ، وجأروا إلى الله بالشكر على ما أنعم على أيديهم . فهم ليسوا طُلاَّب حق ضائع بل طُلاَّب مجدٍ كاذب ، يظنون أنهم يختمون به أعمالهم الصالحات .

فأى هزل كهزل رجال الهند مثلا ، وهم الذين عركوا ساسة الإنجليز مئة وخمسين عاماً أو تزيد ، ولقوا من خداعهم وكذبهم وتغريرهم وقسوتهم وشناعة أحقادهم ما لاينسى مواجهه إلا غِرٌّ غافل ؟ وإذا الذين كانوا بالأمس نار الثورة وضرامها قد رضوا أن يستمتعوا بالحكم ويصيروا وزراء فى شعب مستعبد تدوسه أقدام الغاصبين . وهو لا يزال يسمع منهم أن الهند جزء لا يتجزأ من هذه الإمبراطورية التى لا تغيب الشمس عن

أملا كما - فأى هزل أسخف وأبعد فى الغفلة والسذاجة وسوء التقدير من هذا الحكم ؟ وفيمَ يدلس هؤلاء على إخوانهم الذين لا يعرفون كما يعرفون من خبايا النيات البريطانية التى تدسّ لهم السمّ فى الدّسم ؟ أو لم تكفهم العِبْرة التى لا تزال أختهم مصر ترفل فى أغلالها منذ سنة ١٩٢٤ إلى يوم الناس هذا ، حين قبِل رجال الثورة أن يكونوا للناس حُكاماً تحت ظلال الغَصْب والاحتلال ؟

وأى هزل أشد على النفس الشاعرة مرارة وغضاضة من رجال قاموا من غفلتهم ومنامهم يسمعون الشعب كله ينادى « الجلاء ووحدة وادى النيل » ، أى ينادى بالحق الطبيعى الذى لا يحتاج إلى تفسير ولا بيان ولا شروط ، والذى ظلت مصر الصابرة تهمس به أحياناً وتصرخ به أحياناً أخرى منذ سنة ١٨٨٢ ، وإذا هم يطالبون بالذى يطالب به الشعب ، ولكنهم لا يلبثون إلا قليلا حتى رضوا لأنفسهم أن يدخلوا من باب المفاوضة مع البريطانيين ، فلما دخلوا داروا فيها كما تدور بهم ، وهم كانوا أولى الناس بأن يعرفوا بعد طول التجربة ماعرفه الشاب مصطفى كامل إذ قال لهم : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، لأنه أدرك أن المفاوضة معناها أن ينزل الضعيف عن أكثر حقه للقوى الطائش الباغى ؛ فما ظنك به وهو ليس بقوى طائش باغ وحسب ، بل أيضاً منصور مظفر قد خرج من الحرب وهو يظن أن الدنيا له ، وأنه وإن كان ضعيفاً بين الأقوياء ، إلا أنه هو الجبار العظيم بين الضعفاء ؟ وأنه سوف ينال من الأقوياء والضعفاء بحيلته وسياسته ما لا ينال بالعنف ، فلذلك آثر طريق المفاوضة ، واتخذ أعوانه لينيموا الشعب إليها حتى يهدأ ويسكن ويظن أنه بالغ ما يريد ؛ لأن الدنيا تغيرت ، ولأن العالم فى حاجة إلى نظام جديد ليس بينه وبين القديم شبه . وظلت المفاوضات أشهراً وهى تسير قِيناً على عكازتين كأنها هى الأخرى من ذوى العاهات الذين خلفتهم الحرب عُرْجاً وظُلَّماً أو شراً من ذلك . فأى هزل هذا ؟

أى هزل هذا الذى يؤمن به رجال يخالهم الناس من أصحاب العقل والحكمة وسداد الرأى فى المعضلات ؟ وماذا فعلوا منذ بدأوا إلا أن قدّم الإنجليز مشروعاً وقدموا مشروعاً ؟ ولا يزالون على ذلك إلى يومنا هذا . فهم إنما يتقارضون كلاماً لا يغنى عنهم ولا عن مصر . وفيم يتفاوضون ؟ ألا إن الحق بيّن والغصب بيّن ، فقولوا لأصحابكم الذين تفاوضون إن مصر لا تريد إلا تحقيق هذه الكلمات : « الجلاء ووحدة وادى النيل » . إننا نريد مصرنا وسوداننا ، إننا لا نريد منكم إلا أن تدعونا وشأننا ، اخرجوا من بلادنا ، فارقونا . قولوا ذلك وعلموا الشعوب بإيمانكم وإصراركم أن تكونوا أشد إصراراً وإيماناً وأوفى شجاعة وأقدر صبراً ، وإلا فسوف يأتى يوم يجدُّ فيه الشعب جدَّه ، فإذا الذى ظننتم أنه مجد لكم هو أبغض شىء إلى الشعب ، واعلموا أنه لا مجدَ إلا بفِعَال ، والهزل مَخْبَثة للفَعال ، فجِدّوا إذن وعودوا إلى الانجليز من حيث بدأوا بكم .

إن هذا الذى يحدث فى الهند وفى مصر حسرة للنفوس تطوى تحتها أسوأ مغبَّة ، فهل من رجال ينقذون بلادهم من شرّ هذه الموبقة المستطيرة ؟ إن الحكام والمفاوضين طُلاَّبَ المجد لن يذوقوا لذة المجد حتى يكون الشعب هو الذى يذوق لهم طعمه ، فإذا استكرهه ، فلا تخدعنهم الحلاوة التى يجدونها فى ألسنتهم ، فإنها مرارة الدهر وذلّ الأبد . ورحم الله المتنبى :

من أطاق التماس شىء غلاباً واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا

فعلام المفاوضة ، وفيم السعى إلى الحكم ؟

**محمود محمد شاكر**

---

من أحاديث الإذاعة :

# عيدي الذى فقدته (*)

للأستاذ على الطنطاوى

يا آنسين بالعيد ، يا فرحين به ، هل تسمعون حديث رجل أضاع عيده ، وقد كانت له أعياد ، أم يؤذيكم طيف الشجى إذ يمر بأحلام أفراحكم الضاحكة ؟ إذا كنتم تصغون إلى حديثى فلكم شكرى ، وإن أنتم أعرضتم عنى فما يضرّنى إعراضكم ، وإن من نعم ( المذياع ) أنه لا يدرى المتكلم فيه من ينصت له ، ومن يَشْغب عليه ، ولا يسمع مدحاً ولا قدحاً ، وما يرى إلا ( العلبة ) يكلمها ، وما ترد علبة على متكلم جواباً ...

ولا تقولوا إذا سمعتم حديثى . هذا رجل لا يتكلم إلا عن نفسه . فكذلكم الأدباء كلهم ؛ لا يتكلمون إلا عن أنفسهم ، ولكنهم إذ يصفون أحلامها وآلامها يصفون أحلام الناس كلهم وآلامهم ، فهم تراجمة العواطف ، وألسنة القلوب ، وصدى الخواطر ، حتى ليقول القارئ إذ تمرّ به آثارهم : ما هذا ؟ إن فى هذا التعبير عما أحسّ به ؛ إنه وصف لى أنا وحدى ... وما هو له وحده ؛ إنه وصف لكل نفس بشرية ...

ألا ما أعظم فضل الأدباء على الناس ! ولكن الناس لا يشكرون ...

* * *

يا سادة : إنه كان لى فى حياتى عيد واحد ، ولكن طمس القدم صورته فى نفسى فلا أرى منها إلا ملامح . لقد وجدت عيدي فى ( صُرْماية حمراء[1] ) أصبحت يوماً فلقيتها إلى جانب الفراش ، وكنا نبسط الفرش ، وننام على الأرض ؛ لم تكن قد انتشرت هذه الأسرّة وعمت ، لم تكن إلا للأكابر ، ولقيت معها ( قمبازاً ) من ( الألاجة[2] ) له خطوط حمر على أديم أخضر كأنه حقل قمح قد نبتت فيه سطور من شقائق النعمان ، وعقالا ( مقصباً ) كأنما قد نسج بخيوط الذهب ، يبرق كأنه تاج ملك جديد . وعباءة رقيقة فيها مناطق حمر ، وأُخَر بيض ، وحواشٍ من القصب اللماع ؛ لها طُرَر مختلفات الألوان ... تخطف بريقها النظر .

فلم أصدق أن كل ذلك لى أنا ، وسألت متحققاً . فقالوا : إنه لك ، إنه لباس العيد . قلت : وما العيد ؟ قالوا : العيد . ألا تعرف العيد ؟ فلم أعرفه ، ولكنى قنعت بما وجدت من نمائه وتخيلته ضيفاً جميلا نزل البلد ...

وذهبنا نبصر العيد ، ومشينا فى الطرقات ، وإذا الوجوه باسمات الثغور ، منبسطات القسمات فكأن أصحابها قد لبسوا مع الثياب البراقة الزاهية حلّة من اللطف والظرف ، ولم نر نحن الصغار من زجرنا ذلك اليوم عن حماقة نأتيها ، أو ذنب نذنبه ، بل وجدت كل من أسلم عليه من أقربائى وأصحاب أبى يعطينى نقوداً ( نحاسات ) صفراً لامعات كالدنانير ، و ( متاليك ) جدداً ، ولم تكن قد عرفت هذه القروش الورقية القذرة الممزقة التى يأنف المرء من مسّها ، فاجتمع لدىّ مبلغ من المال ، هو بالنسبة إلى طفل مثلى ثروة كثروة رجال ( الشركة الخماسية ) فى دمشق ، ولكنى أخذته حلالا بطيب نفس ، وأخذوا هم ما أخذوه حراماً انتزعوه من فم الأرملة واليتيم ؛ فكان برداً على قلوبهم وسلاماً فى لهب هذه الحرب ، ولكنه سيكون من بعد ناراً آكلة فى أكبادهم ، وسمّاً هارياً فى أمعائهم ، وغصة خانقة فى حلوقهم ، ولعنة متسلسلة فى ذراريهم ، وجحيما متسعراً يوم المآب ... فارتقبوا — أثرياء الحرب — إنا معكم من المرتقبين !

* * *

وكانت دارنا فى ( العُقَيبة ) فكان أول ما لقيت من العيد ( جامع التوبة ) ؛ هذا الجامع المأنوس الذى يملأ جوّه دائماً خشوع وأنس ، ولم أكن أدرى يومئذ ما الخشوع وما أنس الروح ، ولكنى أحسست فيه فرحة شاملة ملأت نفسى ، وذهبنا إلى ( الأموى ) ، وكان صوت التكبير ينبعث منه قوياً مجلجلا ، كأنه هدير ( بردى ) عند شلال ( التكية ) فشعرت بحال لم أعهدها فى نفسى من قبل ولم أعلم ما هى ؛ شعرت بالحماسة

---

(*) أذيع ولم ينشر .

(١) الصرماية : كلمة شافية معناها « الخف » .

(٢) نسيج شامى هو الذي تصنع منه قفاطين مشايخ مصر .

التى تغلى منها دماء المسلم حينما يسمع هذا النشيد السماوى الذى لم تسمع أذنا الأرض نشيداً بشرياً أروع منه روعة أو أشد أو أقوى ؛ هذا النشيد الذى علمت بعد أن أجدادنا كانوا يهدرون به فى أشداقهم فتتداعى أمامهم الحصون ، وتساقط الأسوار ، وتفتح لهم به أبواب المجد حتى فتحوا به الدنيا ، هذا النشيد الذى كان من بشائر الرجاء أن اتخذه ( الاخوان المسلمون فى مصر ) شعاراً لهم ليصلوا به ما كان انقطع من قلادة أمجادنا التى طوقنا بها عنق الزمان ، ولينشروه مرة ثانية فى آفاق الأرض فترد ده معهم الجبال والأودية . والمدن والقرى : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله — الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد !

ودخلت فوجدت فى المسجد متعة لم أجد مثلها فى لهو كنت أتخذه ، أو ما كنت أسرّ به ، وجدت — ولم أكن أدرى — متعة الدين والدنيا إذا اجتمعا : الكثرة والألفة والثياب البراقة والنظافة والنظام ، والتقى والاخلاص ، والغنى السمح الشاكر والفقر المتجمل الصابر ، والمعاونة على الخير ، والمواساة والإيثار ، وكان فى المسجد نساء قد اجتمعن فى ( المشهد[1] ) بالأزر البيض والملاءات الساترة ، ما يظهر منها عين ولا بنان ولا ساق ، قد جئن للصلاة .

كذلك كان بلدنا قبل أن تصله هذه ( الحضارة ) الجديدة ، كذلك كان يوم كان أهله متأخرين جامدين ، فياليته يعود كما كان ، ياليتنا بقينا متأخرين عن هوّة الفساد لم نَقْدم عليها ، جامدين لم نعرف هذا المَيْع . إن الجامد يتماسك ويثبت ، أما المائع فيسيل ويجرى حتى ينصب فى البَلُّوعة[2] ... أفعرفتم الآن مصيركم يا أيها ( المائعون ) ؟ !

ثم أممنا ( مقبرة الدحداح ) فاذا الحياة الضاحكة جاءت تزاحم الموت العابس على أرضه ، وتنتزع منه مثواه ، وإذا المقبرة دار الوحشة والعبرة قد أحالها العيد منزل الفرح واللهو ، ففيها ( الدُّوَيخات ) منصوبات ، و ( القلاّبات ) قائمات ، والعربات الصغار مزينات بالأعلام الملونات مشدودة فى جوانبها الأجراس والجلاجل ، والأطفال بثيابهم التى تحكى زهر الربيع ، منها الأحمر والأصفر والأخضر والفضى والمقصّب وذو الطرز وذو الحواشى ، راكبون على أفراس ( الدويخة ) تدور بهم ، أو جالسون فى سرر ( القلابة ) تصعد بهم وتنزل ، أو متعلقون بالعربة ، والنساء قاعدات عند النهر ، والرجال مجتمعون عند التلّ ، وعلى القبور الآس الأخضر معقود بشرط الحرير يخيل للرائى من كثرته أنه فى جنة ملتفة الأفنان ، وخلال الآس الخيام المنقوشات والسرادقات ، وباعة ( القضامة ) و ( اللب ) و ( عرق السوس ) يجولون بين الناس ينادون أعجب النداء ، وبياع ( الفول النابت ) قد أوقد ناره ورفع قدره ، ونصب مائدته ، وحفّ به الصبيان والبنات ، وصاحب ( صندوق الدنيا ) قد حطّ صندوقه ، وقعد حوله الأولاد ، ينظرون فإذا هم يسيحون فى البلاد ، يرون عبلة وعنتر بن شداد ، فلا يكادون يستمرئون الحلم ويستغرقون فيه حتى يرخى الستار فيهبطوا إلى أرض الواقع ؛ فإذا الذى كانوا فيه قد مرّ كما تمرّ الأحلام لم يخلف إلا ذكرى مشوبة بألم الفقدان .

كذلك كانت المقبرة أول ما عرفت العيد . إنها صورة المقبرة يوم نفخ إبليس فى بوق الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤

صبركم يا أيها المستمعون ، ودعونى أطل وقوفى على هذه المقبرة ، فإنكم لا تعلمون منزلتها فى قلبى ، ولا أستطيع أن أعلمكم ، وكيف ؟ أوتصدقون إذا قلت لكم إن لهذه المقبرة صوراً فى نفسى أحلى من صور الرياض ، وذكريات أجمل من ذكريات الحب ؟ وإن نهرها هذا الصغير القذر أعزّ علىّ من بردى ودجلة والنيل ، وأشجارها هذه المنحية عليه أبهى عندى من صنوبر فالوغا ونخيل الأعظمية ، وكراسيها هذه الواطية أنعم فى عينى من أسرّة ( أوريان بالاس ) و ( شبرد ) ؟

إن فى هذه المقبرة بقايا من قلبى ، إن لها تاريخاً فى نفسى ، يعرف أكثره أخى أنور العطار . فسلوا أنور متى يقوم بحق الوفاء لهذه الذكريات فيخلدها بقصائد بارعات من شعره العبقرى ؛ فما أحسن أنا تخليدها ، لا أطيق أن أفى لها هذا الوفاء ؟ سلوه أنسى ليالى نمشى فيها لنزور قبور الأحبة فى ظلمة الليل : أبى وأمى وأمه وأبيه ، ونبكى عليها ، والمقبرة ساكنة خالية ، ما ترانا إلا عيون النجم ، وما تسمعنا إلا الشواهد الشواخص .. ونحدق فى سدفة الزمان نرقب أن نرى طلعة الأحباب الذين اشتد إليهم

---

(١) المشهد فى الأموى اسم لحرم صغير فيه جانبى وفى المسجد أربعة مشاهد فى أحدها رأس الحسين . هو فيه لا فى مصر والله أعلم .

(٢) البلوعة البالوعة من العامى الفصيح

الشوق وطال الغياب ، فلا نرى إلا ظلاما متراكباً ، ونعود فنحاول أن نخترق حجاب الآنى لنبصر طيف الأمل الحلو فلا نبصر إلا الظلام ... ليالى كنا نعود وقد برّح بنا الألم ، وهدّنا الحزن ، فأستمع من أنور بواكير أشعاره ويسمع منى بوادر رسائلى ، تلك البواكير التى قرأها الناس فرأوها ندية بالدمع ، فياضة بالحزن . فقالوا : ما لهذا الشاب والألم ، ماله لا ينظم إلا الشعر الباكى ، ما دروا أن هذا الشعر قد نظمت حباته على قبر الوالدين ، فى ليالى اليتم الكوالح ...

مساكين الأدباء . يجبلون فلذات قلوبهم بدموع عيونهم ، ليقيموا منها تماثيل الأدب فيأخذها الناس عابثين ، وينظرون إليها لاهين ، ويعيبونها ظالمين ، ثم يملّونها كما يمل الصبى لعبته فيرمونها فيحطمونها ، ويفتشون عن لعبة جديدة ...

مساكين الأدباء !

يا سادة :

لقد مشيت بعد فى الزمان ، وسحت فى البلدان ، فكبرت ورأيت أياماً قال (التقويم) إنها أيام عيد ، رأيتها فى دمشق بلدى ، ورأيتها فى الأعظمية فى بغداد ، ورأيتها فى البصرة ذات الشط والنخيل ، وفى الحرش من بيروت ، وفى القاهرة أم الدنيا ، ولكنى لم أعد أجد فى ذلك كله تلك البهجة التى كانت للصرماية الحمراء والعقال المقصّب ، والعربة ذات الشراع الأحمر والجلاجل والثياب الملونة الزاهية التى تحكى زهر الربيع ؟ أفتغيرت الدنيا أم قد أضعت عيدى ؟

أتغيرت الدنيا يا ناس أم الناس قد فقدوا فرحة العيش حينما تركوا تلك الحياة السمحة القانعة الطاهرة المبرأة من أدران حضارة الغرب ؟ تلفتوا أيها السادة حولكم ، واسألوا من تلقون من الكهول عن ذلك الزمان ... تجدوا فى عيونهم عَبْرة ، وفى قلوبهم حسرة ، وعلى ألسنتهم جواباً واحداً : رحم الله تلك الأيام لقد كانت أيام انشراح ...

كانوا لا يعرفون دسائس السياسة ، ولا التزاحم على الرياسة ، ولا شبه العلم ، ولا رذائل الحضارة ، لا يختلفون على مذهب اجتماعى ولا يقتتلون لمصلحة حزب سياسى ، ولا يقرعون أبواب الوظائف ، إن تعلموا العلم تعلموه لله لا للشهادات ، وإن طلبوا المال طلبوه من التجارة لا من المضاربات والاحتكار والرشوات ، وإن أرادوا تسلية ولهواً ، قصدوا الربوة أو المزان أو الشاذروان ، ينصبون سماورات الشاى ، وسماط الأكل ، وبساط الصلاة ، لا يعرفون سينما ولا ملهى ولا ماخوراً ولا ( نادى دمشق ) ، المساجد ممتلئة بهم ، ومدارس العلم حافلة بأبنائهم ، والعلماء هم الأمراء ؛ طلبوا الآخرة لا الدنيا فأعطاهم الله الدنيا والآخرة ، والبيوت جنان الأرض ، والنساء حور تلك الجنان لا يعرفن التبرج ولا التكشف ولا يراهن أحد فى الطريق ؛ إلا خارجات لضرورة لا بدّ منها ، ومعهنّ الزوج أو الأب ، يسبقهنّ وهنّ يتبعنه ، لا يعرفن بيوت الفجور ، ولا أماكن العصيان ، ولا ( دوحة الأدب ) ، ولا يخطر على بالهنّ أن الدنيا ستبلغ من الفساد أن سيكون فيها ( فرق مرشدات ) ...

كذلك كانوا فكانت أيامهم كلها أعياداً ؛ فأين أعيادنا نحن ؟

أربحنا من هذه المدنية ... وهذا العلم ... أم خسرنا ؟ سلوا هذه الحرب عما صنعته علومهم بسعادة البشر ، وسلوا التاريخ عما صنعت بها علومنا وشريعتنا ؟

يا سادة :

إننا صرنا اليوم نلبس ( البذلة ) بدل ( القنباز ) ، وننام على السرير ، ونأكل بالشوكة والسكين ، ونقرأ أخبار أمريكا وأوربا ونتكلم فى الجغرافيا والكيمياء وفى السياسة ، ونركب السيارة والطيارة ، ونسمع الرادّ ونبصر أفلام السينما ، هذا الذى ربحناه ولكنا خسرنا التقى والعفاف والاطمئنان ، لقد كان أجدادنا أبعد عن حضارة أوربا ، ولكنهم كانوا أرضى لله منا ، وأقرب إليه ، وكانوا أقوم أخلاقا ، وأطهر قلوباً ، وأصفى سرائر ، وأصدق معاملة وكانوا أسعد منا فى الحياة ...

لا يا سادة : إنى لم أعد أجد للأعياد بهجة ، فردوا إلىّ ماضىّ ، أرجعونى إلى عيد الصرماية ، والمقبرة ، والمسجد ، فإنى لم ألق السعادة إلا فيه ، أنقذونى من هذا العلم وهذه الحضارة ، فأنا جامد ، أنا رجعى ، رجعى ، رجعى ! !

والعفوَ يا سادة : لقد نغصت عليكم بهذا الحديث القاتم المضطرب عيدكم لقد نسيت قواعد الآداب الاجتماعية فكدرتكم يوم الصفاء ، وكنت عندكم فاسد الذوق سيء الاختيار ، فلا تؤاخذونى ... واقبلوا على عيدكم وسروركم ، ودعونى أبكى يوم العيد ماضيات أيامى . وكل عام وأنتم بخير !

**على الطنطاوى**

# مدارس للسخط . . . ؟ !

للأستاذ سيد قطب

قال لى صاحبى : أما تفتأ هكذا ساخطاً على جميع المظاهر والأوضاع ؟ أرح أعصابك يا أخى ، ودع الخلق للخالق . إنه لا فائدة . لا فائدة من كل هذه الصرخات ! ! !

قلت لصاحبى : أما أنا فسأظل ساخطاً ، أعلن سخطى على كل شائه من المظاهر والأوضاع . ولن أدع الخلق للخالق ، لأن الخالق هو الذى يقول : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » ويصف قوماً ضعفوا واضمحلوا فيقول عن سبب الاضمحلال : « كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ! » وأما أنه لا فائدة هناك ، فأنا لست يائساً ولا متشائماً ، واعتقادى الكامل أن هذا الكون الوسيع لا يضيع صوتاً واحداً ينطلق فيه بدعوة الحق ، ولا بد أن يردد صدى هذا الصوت فى يوم من الأيام ، طالت أو قصرت به الأعوام .

وقلت لصاحبى : إنه لو وكل إلىّ الأمر لأنشأت ضعف هذه المدارس التى تنشئها الدولة لأعلّم فيها هذا الشعب شيئاً واحداً هو السخط ! السخط على الأوضاع والمظاهر الشائهة التى تسيطر على حياة هذا الجيل فى كل اتجاه . فالسخط هو دليل الحيوية الكامنة ، والرضى بهذه الحال المائلة هو نوع من اليأس والتشاؤم يقتل الأمم أو يؤدى بها إلى الاضمحلال .

أجل ، لو وكل إلىّ الأمر لأنشأت مدرسة للسخط على هذا الجيل من رجال السياسة فى هذا البلاد ، أولئك الذين يتخاصمون فيتشاتمون ، ويتهم بعضهم بعضاً بتكل كبيرة : بالخيانة . بالرشوة . بفساد الذمة ... إلى آخر هذه الجعبة من الشتائم والتهم النكراء ، حتى إذا ارتفعت لهم تلك العصا السحرية ، عصا دار الحماية التى هى دار السفارة ، أو دار السفارة التى هى دار الحماية ، نسوا كل ما قيل ، واتحدوا وائتلفوا ، وصافح بعضهم البعض ، وابتسم بعضهم لبعض ، وأثنى بعضهم على بعض ، والشعب ينظر ويعجب : إما أن يكون الجميع كاذبين فى الماضى ، وإما أن يكون الجميع كاذبين فى الحاضر ، وهم فى كل حال لا يؤمنون على مصير هذا الوطن ، وتلك ذممهم وهذه ضمائرهم ... كلهم جميعاً بدون استثناء !

ومدرسة للسخط على أولئك الكتاب والصحفيين ، الذين يقال عنهم إنهم قادة الرأى فى البلاد ، وإنهم آباء الشعب الروحيين ، أولئك الذين يسخرون أقلامهم وذممهم وضمائرهم لهذا الجيل من الساسة . فيضربون بأقلامهم ذات اليمين وذات الشمال ، وينهشون سمعة هذا السياسى أو ذاك ، ثم يعودون فيبيضون ما سودوا ، وقد يقفون مادحين فى حفلات تكريم تقام لأولئك الساسة الذين قالوا عنهم من قبل : إنهم مجرمون قذرون منحطون منخوبو الضمائر فاسدو الذمم ، لا استصلاح لهم بحال من الأحوال ! والشعب ينظر ويعجب : إما أن يكون هؤلاء القادة الروحيون كاذبين فى الماضى ، وإما أن يكونوا كاذبين فى الحاضر . وهم فى كل حال لا يؤمنون على قيادة الشعب الروحية ، وتلك ذممهم وهذه ضمائرهم بين حال وحال !

ومدرسة للسخط على أولئك الوزراء الذين تطول ألسنتهم وتطول أقلامهم وهم يتطلعون إلى الكرسى المسحور ، فتتفتق قرائحهم عن خطط وبرامج للاصلاح الاجتماعى ، وللنهضة الفكرية وللقضية الوطنية ، ولإصلاح أداة الحكم ، ولتطهير الدواوين ، ولمكافحة اللجان .. إلى آخر ما تهديهم إليه اللهفة على ذلك الكرسى المسحور ، حتى إذا جلسوا فى ذلك الكرسى ، ندّ عنهم جميع ما أعدوا من خطط ، وما نسقوا من برامج ، ونفث فيهم ذلك الكرسى اللعين سحره الذى يعمى ويصم ، ويفسد الذمة ، ويكبت الضمير ... ثم يطيح به الكرسى اللعين فيصحو من سبات ، ويجد له بعد ذلك عيناً يفتحها ولساناً يديره لإعادة الاسطوانة من جديد ! والشعب ينظر ويعجب : إما أن يكون هؤلاء كاذبين فى الأولى ، وإما أن يكونوا كاذبين فى الثانية . وهم فى كل حال لا يؤمنون على مصالح هذا الشعب ، وتلك ذممهم وهذه ضمائرهم فى جميع الأحوال !

ومدرسة للسخط على أولئك الباشوات وغير الباشوات الذين يلحقون بعضوية الشركات ليكونوا ستاراً لهذه الشركات فى استغلال الشعب واستغفاله ، ثم يدعون أن الشركات إنما قدرت فيهم الكفاية الممتازة « ما يأكلون فى بطونهم إلا النار » !

ومدرسة للسخط على أولئك « الأرستقراط » الذين يعلمون من هم ، ويعرفون ينابيع ثروتهم أو ثروة آبائهم وأجدادهم ، ونصفهم يعلمون أن أصلهم القريب جارية أو معتوقة ، ونصفهم الآخر – إلا عدداً يعد على الأصابع – يعرفون أنهم هم أو آباؤهم أو أجدادهم على أكثر تقدير أدوا ثمن هـذا الثراء أعراضاً أو خدمات لا يقوم بها الرجل الشريف للاحتلال ولغير الاحتلال ...

ومع هـذا كله يزمون أنوفهم اشمئزازاً من « الفلاحين » ومن « أبناء الشعب » على وجه العموم ، لأنهم ليسوا من « أولاد الذوات » وليسوا « أرستقراط » ! والشعب ينظر ويعجب : أ كان حتماً على هذا الشعب كله أن يكون أبناء جوارىَ ومعاتيق ، أو أن يقوم بخدمات لا يقوم بها الشرفاء للاحتلال وغير الاحتلال؟

ومدرسة للسخط على أولئك الذين ليسوا « أرستقراط » ، إنما هم من أبناء الشعب ، علمهم الشعب ، وارتفع بهم إلى مقاعد الوزارة وغير الوزارة ، وقد يكونون ممن تعلموا بالمجان لضيق ذات اليد والعجز عن أداء نفقات التعليم ، ثم هم بعد ذلك يتسخطون على « مجانية التعليم » ، لأنها تزحم المدارس بأولاد الفقراء ، ولأنها تمزج بين أبنائهم وأبناء الفقراء ، ولأنها تعلم أولادهم أخلاق الفقراء !

« يا دم » ! باللغة العامية الفصيحة ! شيئاً من الحياء يا هؤلاء ! شيئاً من الاعتراف بالجميل للشعب صاحب الجميل ! !

وتنشئ الدولة مدارس خاصة لأبناء الأغنياء ومن يتشبهون بالأغنياء ... لماذا ؟ لأنهم مالوا بأبنائهم إلى المدارس الأجنبية فراراً بهم من أبناء الشعب فى المدارس المجانية ! !

وما ذا على الدولة وما ذا على الشعب حين يذهب هؤلاء إلى الجحيم لا إلى المدارس الأجنبية ؟ إنه لا خير فيهم لهذا الشعب هنا أو هناك ! إنهم خوارج عليه لأنهم يتبرأون منه . فليذهبوا حيث يشاءون ، ولتسر الدولة فى الطريق المرسوم لتعميم المجانية ، فهو طريق إجبارى مهما عارض فيه المعارضون ، لأن المستقبل لن يسمح بفوارق الطبقات !

ومدرسة للسخط على محطة الإذاعة ، تلك المحطة التى تنقل ما فى المواخير والصالات ، وما فى الأفلام السينمائية ، وهى لا ترتفع عن المواخير والصالات ، تنقله إلى كل بيت ، وإلى كل سمع ، شاء من فى البيوت أم أبوا ، ورضى الناس أم كرهوا ، ولا تدع هذا الهراء القذر محدوداً فى الصالة أو الفيلم يراه من يشاء ، ويذهب إليه من يشاء ، بل تفرضه فرضاً على البيوت ، حتى إذا كان فيها بقية من إنسانية أو حياء ، قضت على هذه البقية الباقية من الإنسانية ومن الحياء ، وهى تصنع كل يوم هذه الجريمة وتنفق عليها من جيب هذا الشعب الذى تفتت كيانه فى كل لحظة من اللحظات !

ومدرسة للسخط على تلك الصحافة الداعرة ، التى تسمى نفسها « صحافة ناجحة » لأنها تنادى الغريزة الحيوانية وتستثيرها فى كل سطر وكل صورة ، وهو عمل رخيص لا يحتاج إلى براعة صحفية ، عمل يقوم به مديرو المواخير فيطاردهم بوليس الآداب فى كل مكان ! ودع عنك ما يقوم به بعض هذه الصحف من دعاية للاستعمار ولخدام الاستعمار ، وما يثبطون به عزائم المصريين كلما هموا للجهاد فى سبيل قضيتهم الكبرى . وما كانت هذه الصحف فى حاجة إلى تلك الدعاية السافرة أو المستترة ، فهى بما تنشر من صور داعرة ، وبما تثير من غرائز هابطة ، تقتل فى الأمة كل نخوة وكل شرف وكل قوة ، وتهيئها للاستغراق فى لذائذ حيوانية ، لا تسأل بعدها عن وطن ولا عن استقلال !

وأخيراً مدرسة للسخط على هذا الشعب الذى يسمح بكل هذه « المساخر » ، ويتقبل كل تلك الأوضاع ، دون أن ينتفض فينبذ هؤلاء وأولئك جميعاً ، وينفض يده من رجال السياسة المضللين ، ورجال الأدب والصحافة المأجورين ، ورجال الحكم المدلسين ، ومن الأرستقراط والمتسقرطين ! ومن دعاة المواخير : فى محطة الإذاعة ، وفى السينما ، وفى الصحف ، وفى المواخير !

مدارس للسخط ! ما أحوج الشعب منها إلى الكثير ، إنه لأحوج إليها من الطعام والشراب . فمن ينشئها ؟ !

أينشئها هذا الجيل من الشباب المائع المسترخى إلا النادر القليل ؟... كلا ! إنما تنشئها الأقلام المخلصة ، الأقلام التى تواجه الحقائق ، ولا تنفر منها ، ولا تخشى عاقبة الجهر بها ، الأقلام التى لا تيأس ولا تمل ، ولا تؤمن بأنه لا فائدة !

وإنها لفريضة على كل صاحب قلم ، ولن تضيع صرخة واحدة فى الهواء ، فالهواء أحفظ للأصداء ، والأجواء حفية بالدعاء ، ومن لم توقظه الدعوة ، فلتوقظه الصيحة ...

ولا يأس مع الحياة !

سيد قطب

# الحلـــم والتحلم ...

للأســتاذ محمود عزت عرفة

– ١ –

« إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، ومن يتخير الخير يعطه ، ومن يتوق الشر يوقه »

حديث شريف

لا ينهض رواج الرذيلة فى هذا العصر المادى دليلا على رجحان كفتها فى ميزان الأخلاق ، إذ ما يزال للفضائل القِدح المعلى ، ولا يزال الفضلاء — على قلة فيهم وضعف — أقدرَ الناس على الجهر بالدعوة إلى مذهبهم ، وأقومهم بالحجة فى الإبانة عن صحة مأخذهم ... وحسب الرذيلة من ضَعة أنها مقرونة أبداً بالتوارى ، محجبة بقناع التخفى ، لا تحيا إلا فى مدلهمّ من الظلام ، ولا تنشط إلا على غفلة من العقل ، وغفوة من سلطان الضمير .

والخلق النفسى قسمان : فطرى وكسبى . وليس لنا من أمر الخلق الفطرى شىء إلا أن نشكر واهبه على ثمرات خيره ، ونستعيذ به من بائقات شره . أما الثانى ، وهو ما تتهيأ النفس لاكتسابه من صفات خلقية ، فذلك الذى يتسع معه مجال الحديث ، بل من أجله سنّ الباحثون قوانين الأخلاق وقواعد السياسة والتربية ، وسائر علوم الاجتماع .

ولا يكاد يُتصور لهذه العلوم وجود إلا مع الاعتراف بأهمية الصفات الكسبية للنفس كدعامة من دعامتيها ، وعنصر — بالغ الأهمية — من عنصريها .

ولقد أخذ ابن مسكويه[1] على منكرى « التطبع » قولهم ، وأبلغ — ولم يبالغ — فى تقدير الخلق الكسبى ، وما تتهيأ له النفس من قبول التحول ، والانصياع إلى ضروب التأديب والتهذيب . يقول فى فصل من كتابه « تهذيب الأخلاق » : اختلف القدماء فى الخلق فقال بعضهم : الخلق خاص بالنفس غير

(١) أبو على أحمد بن محمد . توفى سنة ٤٢١ هـ .

الناطقة[1] . وقال بعضهم : قد يكون للنفس الناطقة فيه حظ . ثم اختلف الناس أيضاً اختلافاً ثانياً فقال بعضهم : من كان له خلق طبيعى لم ينتقل عنه[2] . وقال آخرون : ليس شىء من الأخلاق طبيعياً للانسان ، ولا نقول إنه غير طبيعى . وذلك أنا مطبوعون على قبول الخلق ، بل ننتقل بالتأديب والمواعظ إما سريعاً أو بطيئاً . وهذا الرأى الأخير هو الذى نختاره لأنا نشاهده عياناً ، ولأن الرأى الأول يؤدى إلى إبطال قوة التمييز والعقل ، وإلى رفض السياسات كلها وترك الناس همجاً مهملين ، وإلى ترك الأحداث والصبيان على ما يتفق أن يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم ، وهذا ظاهر الشناعة جداً — انتهى قول ابن مسكويه .

ويقول الغزالى فى مثل هذا المعنى[3] : لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ، ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسنوا أخلاقكم ! وكيف يُنكر هذا فى حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن ، إذ ينقل البازى من الاستيحاش إلى الأنس ، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية ، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد ؛ وكل ذلك تغيير للأخلاق ؟ ھ

وإذا نحن أدركنا هذا القول تسنى لنا أن نفهم الحكمة الجليلة التى ينطوى عليها قول الرسول عليه الصلوات : إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، ومن يتخير الخير يُعطَه ، ومن يتوقَّ

(١) يقسم ابن مسكويه القوى النفسية ثلاثة أقسام : القوة الناطقة ، وتسمى الملكية ( العقل ) ، والقوة الشهوية وتسمى البهيمية ، والقوة الغضبية وتسمى السبعية . ومعنى تخصيص الخلق بالنفس غير الناطقة أنه طبيعى وجبلى — أى غريزى — لاأثر فيه للدربة ولا التفكير . وذلك هو الرأى المرجوح الذى يفنده ابن مسكويه والغزالى ، كما سترى بعد .

(٢) لعل أبا الطيب كان يأخذ بهذا المذهب حين قال :

وأسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شىء فى طباعك ضده

وقال :

وإذا الحلم لم يكن عن طباع لم يحلم تقدم الميلاد

وقال :

فقلما يــلؤم فى ثوبه إلا الذى يلؤم فى غرسه
من وجد المذهب عن قدره لم يجد المذهب عن نفسه

وقال :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

(٣) جزء ٣ صفحة ٤٨ من سفر الإحياء ( كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق )

الشر يُوقَه . فالتحلم والتعلم والتبصر والتوقى والتورع والتصبر والتكرم والتعفف وغيرُها من هـذه الصفات التى تنطوى فى صيغتها على معنى التكلف إنما هى معدودة من أهم مقومات الخلق النفسى ومن أخطر العناصر فى تكوينه . وهى إلى ذلك وسيلة ميسورة إلى ترقى النفس فى مدارج الفضيلة واكتسابها ماحرمته بالفطرة من أسباب الخير . ثم هى مقوية للفضائل ومتقوية بها ، لما هنالك من واشج العلاقة بين القسيمين . يقول أبو على القالى فى أماليه : العقل عقلان : فعقل تفرد الله بصنعه ، وعقل يستفيده المرء بأدبه وتجربته . ولا سبيل إلى العقل المستفاد إلا بصحة العقل المركب ، فإذا اجتمعا فى الجسد قوّى كل واحد منهما صاحبه تقويةَ النار فى الظلمة نور البصر .

الحلم والتحلم :

قال ابن مسكويه : الحلم فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شَغِبة ، ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة . ه

وواضح أن الحلم — كخلق فطرى — يؤدى إلى طمأنينة النفس . على أن هذه الطمأنينة من ناحيتها تكسب النفس صفة الحلم وتمكّن لها منه ، والحلم المكتسب هو ( التحلم ) نفسه . فطمأنينة النفس نتيجة للحلم وسبب للتحلم ، ومن هنا يصعب الفصل بين الخلقين ولكنه لا يستحيل ، لأن الحلم إذا جاء عفو الطبع ، وبدون تكلف له ولا تحاملٍ على النفس فيه ، فالتحلم لايكون إلا نتيجة مران وثمرة ممارسة ومعاناة . وليس من شك فى أن الأول يفضل الأخير ، كما يفضل الأصلُ الفرع ، ويشأو السابقُ اللاحق[1] .

والغزالى يردف التحلم « كظم الغيظ » ، فهما عنده شىء واحد يقل فى الرتبة عن الحلم ، ولكنه يتحول إلى الحلم نفسه بطول المجاهدة التى تُفضى إلى الاعتياد . فهذا الفيلسوف لا يكاد يتصور للحلم وضعاً إيجابياً أو مظهراً مستقلا ، إلا أن يكون صورة كاملة استوفت خطوطها وألوانها من مظاهر للتحلم توالت على النفس وتعددت صورها حتى استوت فيها خلقاً كاملا تصقله المجاهدة وتهذبه الدربة وفرط المعاناة ؛ وإليك عبارته[2] : « اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم ( أى تكلف الحلم ) ، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتياداً فلايهيج الغيظ ، وإن هاج فلا يكون فى كظمه تعب ، وهو الحلم الطبيعى ، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ، ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفاً . »ه

ويبدو أن ابن مسكويه كان أدق فهماً من الغزالى لحقيقة الحلم وموضعه من التحلم ، عند ما جعل الحلم خلقاً أساسياً فى بعض النفوس ، ثم أوضح إمكان اكتسابه بالمعالجة فيسمى حينئذ تحلماً . وهو يقول فى الكشف عن حقيقة الحلم : متى كانت حركة النفس العصبية معتدلة ، تطيع النفس العاقلة فيما تقسطه لها ، فلا تهيج فى غير حينها ، ولا تحمى أكثر مما ينبغى لها ، حدثت عنها فضيلة الحلم ، وتتبعها فضيلة الشجاعة[1] ، ثم بيّن السبيل لبلوغ فضيلة التحلم عند فقد الحلم بقوله : من أنكر من نفسه مبادرة إلى غضب فى غير موضعه ، أو على من لا يستحقه ، أو زيادة على ما يجب منه ، فليقابل ذلك بالتعرض لسفيه يُعرف بالبذاء ، ثم ليتحمله ، وليتذلل لمن يعرف بالخيرية[2] ممن كان لا يتواضع له قبل ذلك .

على أن من الإنصاف للغزالى أن نقول : إنه كان فيلسوفاً ( عملياً ) فى مقارنته بين الحلم والتحلم ، فهو لا يكاد يعترف إلا بالتحلم أصلا وفرعاً ، لأنه محله التجربة ومظهر المجاهدة والمعاناة ، وفلسفة الغزالى الخلقية كلها تقوم على هذا الأساس . أما ابن مسكويه ففيلسوف ( نظرى ) عميق الفكرة ، يجرد الحلم أصلا قائماً بذاته ، ثم يلتقى مع الغزالى فى بسط قضية التحلم ، وبيان السبيل إلى بلوغه تكلفاً .

فمن المجاز إذن — لا الحقيقة — أن نقول مع الغزالى : إن كظم الغيظ واعتياد التحلم يصبح ( حلماً طبيعياً ) — وإن كانت هذه العبارة هى أفضل ما يجرى على لسان مربٍّ يعنى

---

(١) أى فى مجرد السبق فى الوجود والتقدم فى الكون .

(٢) إحياء علوم الدين ج : ٣ ، ص : ١٥٣ .

(١) يعنى أن كبح القوة الغضبية ينتج الحلم ، واستعمال هذه القوة فى وجهها ينتج الشجاعة .

(٢) هكذا وجدتها ( بالخيرية ) ولعلها تصحيف لكلمة ( بالجبرية ) .

بتهذيب الأخلاق وهداية الناس إلى سبيل الفضائل ، بتيسير وسائلها لهم ، وتهوين مشقة إحرازها عليهم .

فضيلة الحلم :

بان الحلم إذن بفضل له ومزية ، وطال على التحلم قدر مابطول أصل على فرع ، وأول — فى الكون — على أخير . وما ثمة شك فى أن الحلم أثبت على تتابع المثيرات ، وأبلغ فى الدلالة على كرم النفس ، وصفاء موردها من نبع الفضيلة . وليس يتصل الحلم بنفس إلا وقد تم لها إلى جانبه حظها من التحلم ، إن لم يكن فى الأول الغَناء كله عن الثانى . والنفس بعدُ من نتيجة التحلم على شك ، تسمى إليه فتبلغ حيناً وتقصر أحياناً ، وإنها لتلقى فيه من البلاء ما يضجرها منه مرة ، وقد يصرفها عنه أخرى .

وأين فى الناس مثل عمر الذى كان يبلغ بالتحلم حد الحلم دون مجهود ، حتى ليلقى الرجل السكران مرة فيزمع أخذه وتعزيره ، ويشتمه السكران فيرجع عنه ، ثم يُسأل عن ذلك فيقول : إنه أغضبنى ، ولو عزَّرته لكان ذلك لغضبى لنفسى ، ولم أرد أن أضرب مسلماً حمية لنفسى ؟ !

وفى كتاب الإحياء أن أشجَّ عبد القيس وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فأناخ راحلته ثم عقلها ، وطرح عنه ثوبين كانا عليه ، وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما ، وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع . ثم أقبل يمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام : إن فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله . قال : ما هما بأبى أنت وأمى يا رسول الله ؟ قال : الحلم والأناة ! فقال : خلتان تخلقتُهما ، أم خلقان جُبلت عليهما ؟ فقال : بل خلقان جبلك الله عليهما . فقال : الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله . فقد كان رسول الله عليه الصلوات إذن أعلمَ الناس بفرق ما بين الحلم والتحلم ، وُبعدِ ما بين الطبيعة والتطبع ، وإنه ليمتدح صاحبه — فيثلج قلبه ، ويستحمده ربه — حين يجيبه عن سؤاله بقوله: بل خلقان جبلك الله عليهما !

هذا ، والحلم سيد الأخلاق — كما يقولون — لأنه السجية النبيلة التى لا تليق إلا بالملوك والأمراء ، ولا تأخذ أروع زينتها إلا حين يصطنعها السَّراة والوجوه وأعيان الناس . رُوى أن علياً ( عليه الرضوان ) سأل رجلا من أهل فارس عمن كان أحمد ملوكهم سيرة . قال : أنو شروان . فقال على : أى أخلاقه كانت أغلب عليه ؟ قال : الحلم والأناة . فقال على : هما توأم الملك ، نتيجتهما علو الهمة !

ولقد بلغ ببعض الملوك والرؤساء من الحلم مبالغ تثير الدهشة وتستخرج العجب ؛ وليس يعزى هذا إلى طبيعة فيهم بأ كثر مما يعزى إلى الظروف التى أحاطت بهم . ونحن نحب أن نقف قليلا عند بعض من طارت شهرتهم بالحلم ، وأخذوا من التحلم بأسباب قوية ، فنتبين مظاهر هذين الخلقين فيهم ، ونلمس البواعث عليهما ، والمقاصد الخفية أو الظاهرة الدافعة إليهما ...

( يتبع ) **محمود عزت عرفة**

---

الأدب في سير أعلامه:

# ملــتن ...

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال .. ]

للأســتاذ محمود الخفيف

— ٣٦ —

في ميدان السياسة:

وعاب خصوم ملتن عليه قبوله منصباً في حكومة مغتصب جمع السلطة كلها في يده ، وقالوا كيف يفعل هذا نصير للحرية ، واستخرجوا من ذلك أن دفاعه عن الحرية لم يكن إلا زعماً فحسب ؛ بل وذهبوا إلى أكثر من هذا فرموه بالتبجح أو بالغفلة إذ يحل لنفسه من التعصب ما يحرم مثله على غيره فهو في منصبه يرد على مخالفي الحكومة ، ويعنفهم ويسخر من آرائهم ، وماذا يكون التعصب إن لم يكن فعله هذا تعصباً ؟ ويزيدون على هذا أنه إن جاز ذلك من ذي جهالة ضيق الأفق فهو لا يليق من رجل يزعم أنه يتحلى بالأدب وينتسب إلى الفن ...

وهذا كلام يشبه بادي الرأي أن يكون حقاً ، ولكنه لا يلبث عند رده إلى الواقع والاعتبار في أحكامه أن تتزايل عنه شبهة الحق ؛ فأما عن التعصب في ذاته عيباً ، بل إن التعصب للرأي محمدة ما دام يؤمن المرء بما يقول ، ويشعر أنه يدافع عن حق ، والمعول هنا على نيته لا على خطئه أو صوابه ، فإن لم يتبين حقيقة ما ينتوى فمدار الحكم على القضية المتنازع فيها ، ويستحيل أن يخفى وجه الحق في قضية يتناولها متخاصمان يبذل كلاهما أقصى جهده في إثبات ما يحاول الآخر نفيه ، أو نفي ما يعمل خصمه على إثباته . طالما أن الوقائع غير خافية ، وكان الأمر أمر اعتبار وتدبر ورد إلى قواعد مقررة ؛ فإن جهل الخصمان بعض الوقائع أو جهلاها كلها انتفى التدليس عنهما جميعاً ، وإن غابت عن أحدهما كان الثاني هو المدلس ، وإن لم يمكن اتهامه بالتعصب حتى يتبين تدليسه ؛ وإنما يكون التعصب مذمة إذا أصر المرء على رأيه وهو يعلم كما يعلم خصمه أنه باطل . أو إذا تبين له وجه الحق فكبر عليه أن يرجع إليه وتمادى فيما انساق فيه أول الأمر بجهالة .

وكان ملتن يؤمن أن حكومة كرمول تنصر الحق والحرية فالدفاع عنها دفاع عنهما ، ولا عبرة عنده بشكل الحكومة الاستبدادي ، وقد تحقق له ما كان يتمناه من نتيجة ، وطالما كان يؤمن ملتن دون أن يعميه غرض خاص بعدالة كرمول ، وبعده عن المطامع الذاتية ، وإباحته الحرية للناس فليس يعيبه أن يتعصب له ، وإنما يلحقه العيب إذا تبين له تحرف كرمول عن الصواب في أمر وتحيزه لرأيه وظل على ولائه له ؛ وما فعل ملتن شيئاً من ذلك . بل لقد عارض كرمول ، وأنكر من تصرفاته ما سيأتي بيانه في موضعه ...

واتخذ ملتن أهبته للدفاع عن الحكومة في كل موقف تحتاج فيه إلى الدفاع ، وكانت أول خطوة له في هذا المضمار الطويل ذي المسالك الوعرة ما كتبه بعنوان « ملاحظات » في صدد صلح كِلْكِــنِي الذي عقده كرمول مع الأرلنديين ، فأخذ يمن عليهم ملتن بما يلقون من عدالة وتسامح ما كانوا ليظفروا بمثلها على يد شارل ، وقد حسن وقع هذه اللاحظات في نفس كرمول ، ونفوس أعضاء حكومته وأنصاره .

وكانت حكومة كرمول في أشد الحاجة إلى مثل هذا الثناء فهي في الواقع تستند إلى أقلية الشعب ، وتعتمد في بقائها على الجيش المنتصر ، وعلى شخصية كرمول الذي لقب حامي الجمهورية وإن كان ملكا في حقيقة الأمر ينقصه التاج ؛ وكانت أغلبية الشعب قد أسخطها القضاء على الملكية ، وبات الناس يتوجسون خيفة من انفراد كرمول بالسلطة على هذا النحو دون البرلمان ، وأخذ البرسبتيريز في داخل البلاد يكرهون هذه الحكومة إلى الناس خفية ، بينما كان الرأي العام في أوربا يعلن استنكاره وسخطه عليها ...

وفي شهر أغسطس سنة ١٦٤٩ نشر في الناس كتاب غفل من اسم مؤلفه عنوانه « إيكون باسِـلِيك — صورة جلالته المقدسة في عزلته وآلامه » ؛ وتلقفت الأيدي هذا الكتاب ، وكان الناس قد أحزنهم وآلمهم إعدام الملك على الرغم مما كان

من طغيانه وعقد ألسنتهم الرعب والدهشة ؛ وسرعان ما نفدت طبعته فأعيد طبعه وأعيد حتى لقد بلغ خمسين مرة فى تلك السنة ، وذهبت الظنون بالناس كل مذهب من يكون مؤلف هـذا الـكتاب ، وشاع فيهم أنه من وضع الملك نفسه كتبه قبيل إعدامه ؛ وقد ادعى تأليفه فيما بعد أحد رجال الدين واسمه دكتور جودن وتقرب به إلى الملكية العائدة ، وزعم أنه اعتمد فى تأليفه على مذكرات كتبها شارل بخطه فى أخريات أيامه ؛ وخلاصة الـكتاب أن الملك ذهب ضحية العدوان والبطش وقد ظل مؤمناً بربه صابراً حتى قتل مظلوماً .

ومهما يكن من أمر تأليفه فقد ذاع الـكتاب فى الأمة على نحو لم يعرف الناس له شبيهاً من قبل ، وهال الحـكومة الأمر فتلفتت تبحث عمن يرد عنها هذه الوجة العاتية ، وفـكرت فى أول الأمر فى سِـلْدِن وكان من أشهر رجال عصره مهارة وعلماً ، ولـكنها اتجهت أخيراً إلى ملتن .

وما أهل أكتوبر حتى كان ملتن على الرغم مما كان يعانى من ضعف بصره قد ردَّ بكتاب بلغ نيفاً ومائتين وأربعين صفحة ، سماه « إيكون أوكلاسْتِيسىْ » أى محطم الأيقون ؛ وفيه استعرض ما جاء فى ذلك الـكتاب فصلا فصلا وأخذ يفند كل رأى فيه ويسفه كل حجة فى بلاغة وتحمس وتدفق على نحو ما فعل فى خصوماته وردوده السالفة ...

وقد افتتح ملتن كتابه بقوله إنه مما يجمل بالمرء أن يتعقب مساوىء رجل هوى من مثل تلك المنزلة العليا التى تبوأها شارل وبخاصة بعد أن دفع ثمن ما اقترف ، ولـكن كتابه على الرغم من هذه الفاتحة لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما فعل شارل إلا أحصاها ، ثم راح يعيب على هؤلاء الذين يمجدون ذكرى هذا الملك الذى صنع بحرية بلاده ما لم يصنعه فى انجلترة ملك قبله ، ورأى أن الذين يفعلون ذلك إنما يبرهنون به على أنهم غير جديرين بالحرية التى حاربوا من أجلها وأخلق بهم أن يعودوا إلى الأغلال فمثلهم كمثل عدد من الوحوش الثائرة المقتتلة لا تسكن حتى تكبل أرجلها وتغل أعناقها ، وتنم هذه اللهجة القاسية عن مقدار حنقه على من أحزنهم إعدام شارل ، والـكتاب فى جملته وفى روحه العامة لا يعدو كونه مجادلة حزبية وخصومة جامحة لا كما تكون الخصومات فى الرأى بين العلماء ولذلك فهو لا يشرف رجلا مثل ملتن إن لم يك كفيلا بأن ينتقص من قدره ...

من أجل هذا لا يسع المرء إلا أن يحس أسفاً عميقاً لانصرافه عن الشعر والفن فذلك ما خلق له ، أما هذه الخصومات السياسية وما ينفق فيها من جهد ويحتمل من عناء فما أقلها عوداً إلا على الذين طلبوها ليحتموا بها ، وما أثقلها وأرذلها وقعاً فى نفوس الذين يقدرون ملتن حق قدره كشاعر ، والذين تهفو قلوبهم إلى أمثال ما غنى من قبل من ألحان بلغ بها ذروة الإجادة ، وتجاوز بها أقصى ما بلغه شاعر من سحر الفن .

ويحلو الخصوم ملتن أن يأخذوا عليه مأخذين يتصلان بالأدب والفن فى كتاب إيكون أوكلاستيسى، فأما أولها فقد نسبوا إليه أنه تهكم على شارل أن جعل وليم شكسبير قرينه المقرب فى عزلته آخر حياته ، وأما ثانى المأخذين فقريب من الأول وخلاصته أن ملتن تزمت تزمت البيوريتانز خصوم الفن إذ يعيب على الملك أنه أخذ فقرة من قصيدة أركاديا لسير فيليب سدنى فجعل هذه الفقرة صلاته ، ويرى أنه مما يشين الملك أن يتخذ صلاته من قصيدة كهذه وإن كانت لها فى ذاتها قيمتها وبراعتها فى ساعة عصيبة كالتى كان فيها ، ويصف ملتن تلك القصيدة كأثر فنى بأنها من قصائد الحب العابثة .

ويرى مارك باتيسون أن المأخذ الأول لا أساس له وإنما جرده إلى سوء الفهم، فما سخر ملتن من شارل وإنما كان يقتبس ملتن فقرة من مسرحية ريتشارد الثالث لشكسبير يوضح بها معنى يريده . فذكر فى صدد ذلك أنه لا يقتبس من كاتب ممن لا يحسن الملك مصاحبتهم ، وإنما يقتبس ممن يعرف الجميع أنه كان رفيقه المقرب فى عزلته ألا وهو وليم شكسبير .

ولـكن باتيسون لا يعفى ملتن من المأخذ الثانى ، ويقول إن فيه شاهداً على أن مؤلف الأليجروا قد تأثرت الناحية الفنية فيه تأثراً غير قليل بما اندفع فيه من الخصومات الدينية والسياسية وإلا فـكيف يحقر قصيدة كهذه فينسبها إلى العبث واللهو .

وما كاد يستريح ملتن من عناء رده حتى وجد نفسه كما وجدت الحـكومة نفسها تلقاء هجوم آخر لا يقل عنفاً عن سالفه ويزيد عليه فى سعة انتشاره ، وما أحدث فى أوربا وفى انجلترة من قوة

الأثر وشدة الدوى ، وقد انبعثت هذه الصيحة من هولندا هذه المرة فى كتاب ألفه باللاتينية علم من أعلام الأدب الأفذاذ هو الأستاذ سلامَسْيَس أحد رجال جامعة ليدن وجعل عنوانه : « دفاع عن الملك شارل الأول » .

وبيان ذلك أن شارل الثانى كان يعيش فى مدينة هيج ، وكان على مقربة منه سلامسيس فى جامعة ليدن، وكان هذا الأستاذ أقدر معاصريه على الكتابة باللاتينية لغة العالم يومئذ كما هو الحال فى الفرنسية اليوم ، فاستعانه شارل ليدافع عن أبيه ، وقبل سلامسيس ذلك عن طيب خاطر لأنه كره إعدام الملك فى انجلترة كرهاً شديداً .

وكان الأدباء القادرون على الكتابة ، وعلى الأخص كتابة اللاتينية عدة الملوك والأمراء وذوى المكانة فى ذلك القرن، وكان لبضاعتهم سوق يعظم فيه الربح ، وكان لهم قدرهم وعظيم خطرهم لا عند الجمهور ولكن عند الحكام . فبهم يجتذب الرأى العام ولأقلامهم المشروعة مثل ما للسيوف من أثر أو كانت أبعد من ذلك شأناً ، وكان المتبع أن يستأجر الحكام هؤلاء الكتاب ليصنعوا ما تصنع الصحافة اليوم من دفاع وتهيئة للأذهان ، ونشر لما يراد نشره من الآراء .

وكان سلامسيس قمة من القمم الشوامخ تتنازعه الجامعات والعواصم ويحب البابا أن يستأثر به فيبقيه عنده فى روما ، بينما يعمل الملوك على إغرائه بزيارتهم والإقامة عندهم ، وكان هذا الرجل واسع الأفق ، قلما وجد نده فيما قرأ ودرس من الكتب ؛ لذلك كانت استجابته لشارل الثانى كسباً عظيما لهذا الذى يهمه الدفاع عن أبيه ، وقد كتب دفاعه ولم يأخذ عليه أجراً كما يرجح أكثر المؤرخين ، ونستطيع أن نتصور مبلغ ما أحدثه كتاب مثل كتابه من أثر فى انجلترة وفى أوربا ، كما نستطيع أن نتصور فداحة العبء الذى ألقى على عاتق ملتن وإن المرض ليخترم جسمه يومئذ وإن العمى ليتهدد ناظريه .

وصل كتاب سلامسيس انجلترة فى أواخر سنة ١٦٤٩ ، وسرعان ما أصدر مجلس الدولة قراراً يحرم تداوله ، وفى يناير سنة ١٦٥٠ انتدب ملتن ليكتب رداً على هذا الكتاب فما أهل شهر مارس حتى نشر ملتن ، وهو لا يكاد يقوى على فتح عينيه كتاباً عنوانه « دفاع عن الشعب الانجليزى » ، وقد ازدادت بهذا الكتاب شهرة ملتن فى أوروبا جميعاً وعظم قدره فى الأوساط الأدبية كلها ، وكانت دهشة الناس من شجاعته أكثر من إعجابهم بوطنيته فانه لم يحجم عن منازلة ذلك المارد الأوروبى سلامسيس ، وأن يجمل عدته اللاتينية ، وقد حسب خصمه أن لن يقدر عليه أحد ، فإذا به حيال قوة لا ريب فيها ، وفصاحة لا يستطيع أن ينكرها إلا الجاحدون .

احتشد ملتن لكتابه وبذل قصارى جهده على الرغم من إلحاح العلة عليه وطغيان الغشاوة على ناظريه ، ليظهر لأوربا أنه أعلى من سلامسيس فى اللاتينية كعباً وأطول منه باعاً ؛ ولقد بلغ فى كثير من مواضع الكتاب غاية ما تمنى ، ولكنه كان فى مواضع أخرى كالمغنى الذى يكلف نفسه ما لا تطيق ليأتى بخير ما عنده ، فما يعود من ذلك الجهد إلا بانقطاع نفسه واحتباس صوته ؛ ولقد وجد ملتن فى الرد على سلامسيس العظيم فرصة يلفت فيها أوربا إلى مقدرته ويقنعها بضلاعته وتمكنه واتساع أفق ثقافته ، لذلك أسرف فى التحمس وبالغ فى سوق العبارات الضخمة وتأنق وتعمق وتعالى وحلق ، وكان فى بعض المواطن إلى الخطيب الذى نسى نفسه أقرب منه إلى الكاتب الذى حذق فنه .

على أن ما بذل من طاقة فى هذا السبيل قد سبب له كثيراً من الضعف فى نواحى القياس والبرهان والاستيعاب والشمول والإحاطة بموضوع الدفاع وحسن ترتيبه وتسلسل سياقه ؛ هذا إلى أن اهتمامه بإظهار عيوب سلامسيس وتصيد أخطائه وتعقب متناقضاته والسخرية منه قد صرفه كثيراً عن غايته ؛ ثم إن توجيه المطاعن الشخصية إلى خصمه وإسرافه فى ذلك إلى مدى من الفحش بعيد قد ألبس كتابه كثيراً من السخف وألحق به غير قليل من الفسولة .

ولم يعف ملتن شارل الأول فى هذا الكتاب كذلك من التحقير والإهانة وهو فى لحده ، فشبهه بنيرون طاغية روما، ونسب إليه كثيراً من الفجور والفسوق واتهمه بتهمة نكراء هى دسه السم لأبيه ، إلى غير ذلك مما يبعد كل البعد عن اللياقة ...

وأنكر ملتن ما ادعاه الملوك لأنفسهم من حق إلهى ، فليس يستند هذا الزعم إلى أساس معقول ، ولا هو مما يتفق مع ما يتصف

به الله من عدالة وحكمة ، فالله عدو الظلم ونصير الحرية ، وهو يحب الأحرار من عباده ويرفع منزلتهم ؛ وقد جاء المسيح لنصرة الحرية ، وإلا فهل يرضى الله أن تقوم الحكومات لتكون كل منها أداة للطغيان ، وكيف يقبل أن يفرض على الناس طاعة هذه الحكومات ويقرخضوعهم للظلم والبطش ؟ وما فعل الشعب الإنجليزى أكثر من ثورته على الطغيان وتقريره مبادئ الحرية ليعيش الناس فى كنف هذه المبادئ آمنين مطمئنين لا يأتيهم الخوف من أى مكان ...

ويمجد ملتن حكومة كرمول وما فعلت فى سبيل الحرية وما ظفرت به من نصر لن يظفر بمثله إلا الأمجاد الميامين أولو العزم والبطولة ، ولكنه يصارحها أنه لايزال أمامها ما يقتضيها جهوداً وبطولة ليست أقل مما بذلت ، فعليها أن تقضى على ما يتهدد كيان البلاد من المساوئ الداخلية كالجشع والطمع وأنانية ذوى الثراء وبغيهم ، حتى يتمتع الناس بالسلام والأمن فى كنف الحرية ؛ وتنطوى عباراته هـذه على شيء من الوعيد يتهدد به خصوم الحكومة من طرف خفى ، فقد كان ملتن ضيق العطن بهؤلاء الخصوم شـديداً عليهم يتمنى لو ابتلعتهم الأرض وسعيهم وما يمكرون !

وسخر ملتن من شارل الثانى وسماه شارل الصغير وبالغ فى تحقير دعوته سلامسيس للدفاع عن أبيه ونعت من التفوا حوله بأنهم حفنة من الصعاليك يتصايحون ولا هم لهم إلا التصايح والعواء.

أما ما قذف به سلامسيس من مطاعن ، فقد تجاوز فى ذلك كل حد ، فلم يتورع عن شيء مما يمس العرض والشرف ، ونال بسهامه زوجته وسخر منها كما سخر من زوجها ووصـفه بأنه مطية لهذه الزوجة التى تملك زمامه فلا يملك لنفسه بين يديها ضراً ولا نفعاً ؛ هذا إلى ما رماه به من الجهل والغباء والغرور والادعاء والحق والعبودية وما إليها من ألفاظ السباب ومرادفاتها مما نعجب كيف تسنى أن يصدر مثله من رجل كلتن فضلا عن أن يعد هذا دفاعاً عن قضيته ، ولكنها فيما يبدو طريقة ذلك العصر وأسلوبه فى الجدل والخصام ...

وبلغ الغضب كل مبلغ بسلاميس ، ونال من نفسه فرح حاسديه لما أصابه أكثر مما نالت مطاعن ملتن ، فقد أشمت ملتن به الأعداء وأضحكهم منه ، وكان يبالغ هؤلاء الحاسدون فى إعناته فيثنون على ملتن ويعجبون بعبقريته وضلاعته فى اللاتينية وآدابها ، وانبرى فريق من محبيه يسفهون هؤلاء ويوجهون المطاعن إلى ملتن ؛ وبرز لهؤلاء أنصار ملتن فكالوهم صاعاً بصاع ، وهكذا تشعبت المعركة إلى معارك حتى كاد ينسى الدفاع عن شارل والدفاع عن الشعب الإنجليزى .

ونفـس سلامسيس عن نفسه بكتاب ثان بلغ ثلثمائة صفحة ولكنه مات سنة ١٦٥٤ ، ولم ينشر كتابه إلا سنة ١٦٦٠ بعد عودة الملكية إلى انجلترة ، وقد نسى الناس هذا الموضوع ، ومن شاء أن يقف على مبلغ حنق سلامسيس على خصمه ، فليقرأ ما جاء فى هذا الكتاب من مطاعن ، فقد كال لملتن بنفس كيله فهو عنده الأحمق المفتون الذى يظن فى نفسه الملاحة ، وما هو إلا وحش قذر ، وإن خير ما يجب أن يصنع به هو أن يشنق على أعلى مشنقة ، ثم يوضع رأسه فوق برج لندن ، وأباح سلامسيس لنفسه أن يعير ملتن بما أصابه من عمى كأنما هو أمر يدخل فى مسؤوليته ، ومما قاله فى هذا الصدد نعته ملتن بأنه الرجل الذى لم تكن له بصيرة ، حتى فقد بصره كذلك ، وإن من أقبح الأمور وأرذلها أن يعيب المرء على خصمه عاهة لحقته ولا يد له فيها وليس وراء ذلك سخف فيما نعتقد ، وما نظن إلا أن سلامسيس قد مسه الخبل من فرط ما ملأه من غيظ فطوعت له نفسه أن يقول هذا الكلام ، وهكذا احتدمت الخصومة بين الرجلين حتى قال هوبز: إنه عاجز عن أن يقطع أيهما كان أحسن لغة وأيهما كان أسوأ جدلا ؛ ويرى دكتور جونسون على الرغم من شدة وطأته ، إذ ينقد ملتن أنه كان أبلغ من سلامسيس . ويرى مثل هذا الرأى مارك باتيسون ، ويزيد عليه أن ملتن كان أقوى فهما وأرجح عقلا من خصمه ، وإن كان على سعة اطلاعه أقل منه قراءة ومعرفة بالكتب ...

وقد مات سلامسيس بعد رد ملتن عليه بنحو ثلاث سنوات ، ومع ذلك فقد أذاع أنصار ملتن ومنهم ابن أخته أنه مات كمداً ، ومن أعجب الأمور وأدعاها إلى الأسف أن يقر ملتن هـذا الزعم ويجعله من دواعى فخره ، وإنها لسقطة تحسب على الشاعر العظيم ، وكم نود لو أن تاريخه قد خلا منها ، فهى لا تقل عن سـقطة خصمه ، إذ عيره بفقد ناظريه ...

( يتبع ) **الخفيف**

# بريطانيا وممتلكاتها الحرة

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

لا تزال شركات الأنباء العالمية توافينا بآراء غريبة لساسة البلدان التى تسمى ممتلكات بريطانيا الحرة ( Dominions ) حول المسائل السياسية الكبرى . ووجه الغرابة — ولو فى أذهاننا وتصوراتنا — هو أن وجهة نظرهم لا تتقيد مطلقاً بوجهة نظر ساسة انجلترا ذاتها ، أى قد تختلف معها ، وهذا مما قد يتنافى منطقياً مع مجرد تبعيتها لها . لذلك يبدو من المهم لنا ونحن فى فترة نضج سياسى أن نلقى بعض الضوء على النظام البرلمانى فى الأمبراطورية البريطانية من هذه الناحية :

من المصطلح عليه أن النظام البرلمانى البريطانى من أكثر نظم الحكم السائدة الآن نجاحاً بدليل أنه فى خلال الثلاثة قرون الأخيرة لم يحدث أى انقلاب برلمانى فى الامبراطورية الشاسعة الأرجاء ، بينما حدثت انقلابات كثيرة ، بل ثورات دموية أحياناً فى كثير من أقطار العالم ، ومن بينها أقطار صغيرة المساحة والممتلكات والشعوب . ولا شك أن معظم هذا النجاح راجع إلى الصلات السليمة الوثيقة بين بريطانيا وممتلكاتها الحرة لسببين بسيطين :

الأول : أن شعوب هذه الممتلكات تمت غالباً إلى أصل بريطانى ، ولذا تهدف بالفطرة لغرض واحـــد هو الصالح الأمبراطورى العام .

والثانى : أن انجلترا تفهم معنى حرية الرأى بين شعوبها ، فأتاحت لهـا حكومات نيابية لا تقل قوة وقيمة وممارسة عن حكومة الدولة ، وتشرف عليها جمعيات عمومية منتخبة على هيئة برلمانات تشبه مجلس العموم كذلك ، وتقوم بأعمال مماثلة لأعماله ولها وسائلها الخاصة وأغراضها وذاتيتها المستقلة عنه ، ولا ترتبط معه إلا بعلاقات استشارية متبادلة .

غاية ما فى الأمر أن هذه العلاقات وطيدة ومحترمة ، وأهم من ذلك أنهم يعملون جميعاً على رعايتها وصيانتها وتنميتها بإخلاص لا حد له .

وليس أدل على ذلك من أنهم — تحقيقاً لهذا — أنشأوا لجنة دائمة تمثل كل أطراف المملكة المتحدة اسمها الجمعية البرلمانية الامبراطورية ( The Empire Parliament Association ) تسير طبقاً للائحة عامة ( The Statute of Westminuster ) ، وهى المرجع الوحيد لكل ما يتصل بالممتلكات الحرة . ومن الغريب أن هذه اللائحة التى تنظم الروابط بين وحدات الأمبراطورية ليس لديها القوة التنفيذية التى تجبر أى وحدة منها على عدم الانفصال عن الأمبراطورية إذا رغبت فى ذلك ! ومع هذا لم تتولد مثل هذه الرغبة بشكل جدى حاسم فى أى جزء من الأجزاء ، لا لشىء إلا لأن اللائحة أولا تتجنب كل مايتعارض مع مبدأ المساواة التامة بين الجميع . وثانياً توجه المجموعة بأكملها توجيهاً عاماً مركزاً حول الضرورات فقط ، ولا شأن لهـا بالتفاصيل التى قد يتشعب منها خلاف ما . وهذا هو السبب فى أن كل جزء من أجزاء الممتلكات الحرة يخضع لنفوذ هيئة خاصة به تدير شؤونه وحدها كاتحاد أمريكا الشمالية فى كندا والاتحاد الاسترالى العام فى استراليا ، وهكذا فى جنوب أفريقيا ونيوزيلندة أكثر من هذا ، فإنه عند وضع « اللائحة » أصرت كل وحدة على إثبات رغبتها فى الاحتفاظ دائماً بحقوقها كقوة خارجية تكاد تكون أجنبية لا يربطها بالتاج إلا حق الولاء . وإذن لا نستغرب حين نعلم أن كل ما يربط بين نيوزيلندة وبين الأمبراطورية مثلا اتفاقية تسمى ( The Merchant Shipping Agreement ) لتنظيم الملاحة التجارية لا غير . وهكذا فى سائر الأجزاء ، لكل جزء رابطة خاصة به على حدة .

ويحسن هنا أن ننوه بأن كثيراً من البريطانيين حاولوا إدماج هـذه المجموعات فى « بريطانيا الأم » ، أو ما يطلقون عليه ( The Mother Country ) ، وكانت أهم محاولة عملية فى عام ١٩١٠ عند ما ألقى المستر إمرى محاضرة خاصة بذلك على مسمع من ممثلى الجمعية الأمبراطورية الملكية ( The Royac Empire Society ) ودعا إلى الاتحاد الشامل من جميع الوجوه ، وانتهز فرصة حفلات التتويج التى كانت تقام فى ذاك الحين ، وطالب بتمثيل البرلمانات الحرة فيها تمثيلا له صبغة رسمية ، وفعلا حظيت دعوته بنجاح يذكر كان من نتائجه عقب ذلك إنشاء لجنة تنسيق

# مظــاهر العبقرية في الحضارة الاسلامية

للأستاذ خليل جمعة الطوال

— ٤ —

**دعوى باطلة :**

ويظن بعض المعتدلين من المتعصبين على العرب أنه لم يكن للمسلمين من فضل على الحضارة إلا ما كان من حفظهم للثقافة اليونانية . فهم لذلك حفظة أكثر منهم مبتكرين ؛ والفساد فى هذا الظن ظاهر كل الظهور . فإن المسلمين وإن نقلوا الكتب اليونانية ، وحفظوا الثقافة الأغريقية من الضياع حتى تسلمها منهم أوروبا فى العصور المتأخرة الحديثة ، واعتمدوها فى بناء ثقافتهم ؛ فقد كان لهم إلى جانب ذلك كله مناح ثقافية خاصة بهم ، لم يعتمدوا بها على غيرهم ، وهم من ناحية ما أنشأوا وابتكروا قد عجلوا فى سير الحضارة الأوربية الحاضرة . حتى لقد قال فيهم برنارد شو : « لو لم يكن المسلمون فى التاريخ لتأخرت الحضارة عدة قرون ، ولما قطعت هذا الشوط العظيم إلا بعد أجيال طويلة والحق فى هذا القول بيّن جلى ؛ فقد اتصل الأوروبيون بالمسلمين فى الأندلس اتصالا عظيما ، وتتلمذوا على فلاسفتهم وعلمائهم ؛ وتأثروا بأساليبهم الفكرية إلى حد كبير ، حتى أن « ريموند » الذى كان مطرانا لطليطلة قد أسس فى القرن الثانى عشر جمعية لنقل أهم الكتب الفلسفية والعلمية العربية إلى اللغة اللاتينية[1] وما زالت جامعات باريس حتى اليوم تدرس تلامذتها وطلابها منطق أرسطو المترجم من العربية إلى اللاتينية ، وتعتمد إلى حد كبير على شروح العرب وتعاليمهم على جميع الكتب الفلسفية الهامة التى ترجموها ، ولقد كان فردريك الثانى يعرف اللغة العربية فاطلع لذلك على الفلسفة العربية فى مصادرها الأصلية ، وبلغ به حد التعجب بفلاسفة المسلمين أن أنشأ سنة ١٢٢٤ مجمعاً فى نابولى

(١) الاسلام كامل فى المدنية . بحث لأحمد أمين .

---

خاصة ظلت تعمل على تسهيل الاتصالات وتقريب وجهات النظر بدرجة محسوسة النفع .

وبعد الحرب الكوكبية ١٩١٤ — ١٩١٨ نمت الدعوة نمواً كبيراً إلى أن عقد لتنسيقها أول مؤتمر للممتلكات الحرة فيما وراء البحار فى مقر اتحاد جنوب أفريقيا عام ١٩٣٤ . ثم عقدت بعد ذلك عدة مؤتمرات فى مختلف أنحاء الأمبراطورية ، وأسفرت عن اتفاقيات ذات قيمــة كاتفاقيات « أتاوة » المعروفة باسمها ( Ottawa Aqreements ) .

ولكن يظهر أن فكرة الاتحاد التام قد وصلت عند هذا الحد إلى نهايتها القصوى ، أى دون أن يحدث الاندماج المنشود ، بل بقيت كل الممتلكات الحرة محافظة تماماً على استقلالها التقليدى ، وإن كانت وجهات النظر قد وضحت وتقاربت تقارباً يضمن عدم الانفصال ويضمن حتى عدم احتماله .

هذه هى على وجه الإجمال علاقة بريطانيا بممتلكاتها الحرة ، وهى علاقة يمكن اعتبارها انفصالية بمقدار ما هى اتصالية ، ومع هذا يتبادلون الرأى بإخلاص وثقة فيما يتعلق بمصالحهم المشتركة ، ويعملون معاً وقبل كل شىء على صيانة الأمبراطورية .

عجيب جداً هذا النظام ، وأعجب منه نجاحه الرائع . ولعله لا عجب إلا فى أدمغتنا المتأثرة بشر أنواع الحزبيـة والفردية فى الشرق المنكود .

وليس معنى ذلك أنه نظام مثالى لا وجه لنقده ... فلكم تعرض فى انجلترا ذاتها لمهاجمات كثير من المفكرين أمثال ( كارليل Garlyle ) الذى كان يتساءل متهكما عما إذا كان من المستطاع تصوره عقلا أن حوالى ٦٠٠ إنسان مهما بلغوا من الحكمة والحنكة والخبرة يمكنهم وحدهم أن يحكموا ويتحكموا فى أكبر امبراطورية بنزاهة وعدم انحراف !

غير أن الواقع الذى لا تجدى فيه المكابرة قد أثبت نجاح هذا النظام نجاحاً يعتبر نموذجياً إذا قيس بفشل معظم النظم الأخرى وانهيارها ، حتى فى البلاد التى أحكمت وضعها وتطبيقها كألمانيا وإيطاليا وغيرهما .

**عبد الفتاح البارودى**

لنقل العلوم العربية والفلسفة العربية إلى اللاتينية والعبرية ليطلع عليها جمهور المثقفين فى أوربا وبأمره أيضاً سافر ميخائيل سكوت إلى طليطلة وترجم شروح ابن رشد على أرسطو .

« وما كاد ينتهى القرن الثالث عشر إلا وجميع كتب هذا الفيلسوف المشهور قد ترجمت إلى اللاتينية ، وقبل ذلك بقليل : كانت قد نقلت إلى اللاتينية جمهرة من كتب ابن سينا لتدرس فى باريس . ومما لا مرية فيه أن قادة الفكر الأوروبى الذين قاموا بحركة الثورة الفكرية العظيمة قد تأثروا بهذه الكتب تأثراً عظيما ، واستفادوا منها مادة جزلة ، وتدل التحقيقات الهامة أن روجر بيكون قد تثقف بالثقافة الأندلسية الاسلامية ، ودرس فلسفة ابن رشد واعتمد ابن الهيثم فى تأليف كتابه (البصريات)[1] .

وسنحاول فى الفقرات التالية أن نبين مواطن الابتكار فى الثقافة الاسلامية فى كل مبحث من بحوث العلم . فذلك أقرب إلى الاقناع ، وأوضح حجة فى دفع مفتريات الخصوم .

## فى علم الرياضيات والفلك :

لقد أدى العرب إلى العلوم الرياضية خدمات جلى ليس من ينكرها إلا أن يكون مجانفاً للحق . فهم الذين وضعوا أساس حساب المثلثات ، ولولا العرب لبقى علم الجبر مجهولا فى العالم الأوروبى ؛ إذ وضعوا مبادئه ، وأقاموا أساسه ، وما تزال بحوثهم فيه حتى اليوم هى القاعدة الأساسية التى قام عليها ؛ وما زال الأروبيون حتى الآن يعتمدون تآليف الخوارزمى الجليلة فى العلوم الرياضية إلى حد كبير ، ولقد عدل العرب كثيراً من كتب اليونان الهندسية والحسابية ؛ ولم يكتفوا فى ترجمتها بمجرد النقل الحرفى ، بل إنهم علقوا عليها شروحاً ضافية قيمة ، وما زال « الصفر » و « الكسور العشرية » و « نظرية الأسس » تحمل طابع العبقرية الاسلامية ، وتشهد بطول باعهم فى الابتكار والإبداع ، ومهما يفاخر الغربيون بعلمائهم ؛ فلن يجدوا فيهم من يدانى الكندى بنزارة علمه وكثرة بحوثه . فقد ألف هذا العالم الجليل ما يناهز المائتين والثلاثين ( ٢٣٠ ) كتاباً فى مختلف البحوث الرياضية ، والطبيعية ، والطبية ، والهندسية . يقول سيديليو : « إن مؤلفات الكندى تصطبغ بطابع العبقرية العجيبة[1] » ، وقد عده « كاردانو الإيطالى » من أشهر عباقرة العالم المشهورين .

ولقد جمع العرب بين مختلف العلوم الرياضية ، وأحسنوا تبويبها تبويباً علمياً صحيحاً ، وطبقوا الهندسة على المنطق ، واعترف بفضلهم على الجبر العالم المشهور ( كاجورى ) فقال : « إن العقل ليحار حيال مآثر العرب فى الجبر ... وإن حل المعادلات التكميبية بواسطة قطع المخروط لمن أعظم الأعمال التى قام بها العرب ... » .

ويُعدُّ ابن البناء المراكشى فى الطراز الأول من مفكرى العالم الرياضيين . فقد ألف أكثر من ثمانين كتابا فى الرياضيات وعلم الهيئة ، وقد شهد بفضله معظم علماء أوروبا وخاصة « لالاند » و « سارطون » . ومن كتبه المشهورة كتاب : « الحصار الصغير » و « رفع الحجاب » ، وقد ظلت أوروبا حتى نهاية القرن السادس عشر تدرس كتابه « تلخيص أعمال الحساب » فى مدارسها ، وقد حاز هذا الكتاب أيضاً اهتمام العلماء فى القرنين التاسع عشر والعشرين ؛ ويقول فيه سارطون : « إنه من أفضل الكتب التى وضعت فى الحساب » ، وقد بحث فيه الجذور الصماء والكسور المتسلسلة بحثاً وفياً ، وجعل العقل يقرب من فهمها بعد أن كانت عليه طلاسم وألغازاً . ومن مشاهير العرب أيضاً « البيرونى » وقد شهد بنبوغه وتفوقه العالم الألمانى « سخاو » فقال : « إن البيرونى أعظم عقلية عرفها التاريخ » .

وأما فى تاريخ علم الهيئة والفلك فللعرب فيه صفحة مشرقة وآثار جليلة . يقول لامبرو[2] : « إننا إذا أحصينا راصدين أو ثلاثة من الروم رحنا نعد الكثيرين من العرب فى هذا الفن » وأول من اعتنى من الخلفاء بهذا العلم الجليل وحض الناس عليه هو أبو جعفر المنصور .

قال الأستاذ نللينو : « وما اقتصر الخليفة المنصور على مجرد أحكام النجوم ؛ بل إنه منذ تأسيس بغداد بسنين قليلة قد بادر إلى إحياء علم الهيئة المحض » ، وبلغ من شغف المنصور بهذا العلم أن

(١) التاريخ العام للافيس وارمبو .

(١) تاريخ الرياضات .
(٢) الاسلام والحضارة العربية

كان يصطحب معه دائماً المنجم الفارسي المشهور « نوبخت »[1] واشتهر في زمنه المنجم الذائع الصيت « ما شاء الله »[2] الذي ألف في الاسطرلاب ودائرته النحاسية « وأحمد بن محمد النهاوندي » صاحب الزيج « المستقبل » ، وفي زمن المأمون اشتهر يحيى بن أبي منصور صاحب الزيج المشهور ، وعلي بن عيسى ، وعلي بن البحتري وفي زمنه أيضاً أصلحت غلطات المجسطي لبطليموس ، وأنشيء أول مرصد على جبل قيون في دمشق ، وآخر في الشماسية في بغداد

ومن علماء الفلك العرب المشهورين : ثابت بن قرة ، والمهاني والبلخي ، وحنين بن إسحق ، والعبادي ، والبتاني الذي عده « لالاند » من العشرين فلكياً المشهورين في العالم ؛ ولو شئنا أن نحصي جميع علماء العرب الفلكيين لضاق بنا المقام ، وطال بنا الحديث ، وليست هذه الكلمة العجلى بالتي تتسع لذلك .

والعرب أول من أوجد بطريقة علمية صحيحة طول درجة من خط نصف النهار ، وأول من عرف كيفية الرسم على سطح الكرة[3] ، وقالوا بكروية الأرض واستدارتها ؛ وبدورانها على محورها بعد أن كان يظن أنها منبسطة وثابتة ، وقد استطاعوا بفضل ما كان لديهم من الأدوات أن يحققوا طول محيط الأرض ومقدار ارتفاع القطب ، ودورة كرة الأرض المحيطة بالبر والبحر كما حققوا أيضاً طول البحر المتوسط الذي حققه بطليموس بـ ٦٢ درجة فأرجعوه إلى ٥٤° أولا ثم إلى ٤٢° أي إلى مقداره الصحيح تقريباً ، وعملوا الأزياج الدقيقة والعظيمة النفع ، كما ضبطوا حركة أوج الشمس ، وتداخل فلك هذا الكوكب في داخل أفلاك أخر ، واكتشفوا بعض أنواع الخلل في حركة القمر واخترعوا الاسطرلاب ، والمربع ذا الثقب[4] ، ورسموا خرائط للنجوم المنظورة مطلقين على ذوات القدر الأعظم أسماء عربية ، ووضعوا جداول للجاذبية النوعيـة ، وعرفوا حجم الأرض بقياس درجة سطحها[5] ، وعينوا الكسوف والخسوف ، ووضعوا للشمس والقمر جداول صحيحة ، وقرروا طول السنة ، وعرفوا الاعتدالين وسبقوا غيرهم إلى اختراع « المواز » واستعمال الساعة الرقاصة ، وحسب البتاني الحركة المتوسطة للشمس في السنة الفارسية ، وميل فلك البروج على فلك معدل النهار فوجده ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة ، ودقق في حساب[1] طول السنة الشمسية وفي حساب أهليليجية فلك الشمس ، فاستطاع أن يجد بعد الشمس عن مركز الأرض في بعديها الأبعد والأقرب ، وحقق مواقع كثير من النجوم ، وقال بعض علماء العرب بانتقال نقطة الرأس والذنب للأرض ، ورصد الاعتدالين الربيعي والخريفي ، وكتبوا عن كلف الشمس ، وأوحت بحوثهم في علم الفلك إلى كبلر أن يكتشف الحكم الأول من أحكامه الثلاثة الشهيرة وهي اهليليجية أفلاك السيارات[2] وبالجملة « فقد طهروا هذا العلم من أدران المنجمين والخزعبلات وأرجعوه إلى ما تركه علماء اليونان علماً رياضياً مبنياً على الرصد والحساب والفروض التي تعلل الظواهر والحركات الفلكية » .

( يتبع ) خليل جمعة الطوال

(١) علم الفلك ص ١٤٢ — لنكرلونيلينو .
(١) خلاصة تاريخ العرب ص ٢١٠ لسيديو .
(٣) كاجوري : تاريخ الرياضات ص ١٠٦ .
(٤) خلاصة تاريخ العرب ص ٢٣٣ — لسيديو .
(٥) الاسلام والحضارة العربية ج ١ لمحمد كرد علي .

(١) الرسالة ع ١١ السنة الأولى .
(٢) المقتطف مجلد ٣ ص ٦٠ .




**لا غير:**

إلى الأستاذ الشيخ عبد الرحمن القلهود فى طرابلس الغرب .

إذا لحن إمامان (لاغير) — ودع علة التلحين — فقد غنى به وأجازه أئمة سميت طائفة منهم فى تلك (الجريدة) الطويلة وسردت مقالاتهم.

وإذا لم أجد نصاً عربياً قديماً تطمئن النفس إليه كل الاطمئنان فقد اطلع أولئك الأثبات الثقاة على مالم أطلع عليه أو رأوا — وكل واحد منهم أكبر من (مجمع لغوى) رجاله أربعون أو مئة — رأوا أن يقولوا فقالوا . وفى هذا اللسان القوى الجرىء المتقدم السائر مع الزمان ألوف من الكلمات والتراكيب المولدة . وأبناء العرب عرب وإن غير الدهر والبيئة سحناتهم ... وتلحين الامامين (السيرافى وابن هشام) أورده صاحب التاج ثم قال :

« ... فلا يكون — يعنى لا غير — لحنا ، وهو الصواب الذى نقلوه فى كتب العربية وحققوه » .

وبعد فها هو ذا الإمام ابن الحريرى الذى اعتاد — سامحه الله — تخطئة الصحيح يقول فى (الدرة) ص ١٥ : « ويقولون اجتمع فلان مع فلان فيوهمون فيه ، والصواب أن يقال اجتمع فلان وفلان ، لأن لفظة اجتمع على وزن افتعل ، وهذا النوع من وجوه افتعل مثل اختصم واقتتل ، وما كان أيضاً على وزن تفاعل مثل تخاصم وتجادل يقتضى وقوع الفعل من أكثر من واحد ، فمتى أسند الفعل منه إلى أحد الفاعلين لزم أن يعطف عليه الآخر بالواو لا غير » .

وروى الامام الرازى فى (مفاتيح الغيب) ج ٤ ص ٤٢٤ عند تفسير القول الكريم « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو ، سبحانه عما يشركون » هذه الفائدة :

« قال أبو عبيدة : الأحبار الفقهاء ، واختلفوا فى واحده فبعضهم يقول حبر ، وقال الأصمعى : لا أدرى أهو الحبر أو الحبر ، وكان أبو الهيثم يقول واحد الأحبار حبر بالفتح لا غير ، وينكر الكسر ، وكان الليث وابن السكيت يقولان : حبر وحبر للعالم ذمياً كان أو مسلماً بعد أن يكون من أهل الكتاب » .

وفى أمالى الإمام القالى ج ٣ ص ١٤٢ :

« إبراهيم بن عثمان العذرى وكان ينزل الكوفة قال: رأيت عمر بن ميسرة وكان كهيئة الخيال ، كأنه صبغ بالورس ، لا يكاد يكلم أحداً ولا يجالسه ، وكانوا يرون أنه عاشق ، فكانوا يسألونه عن علته فيقول :

يسائلنى ذو اللب عن طول علتى ... وما أنا بالمبدى لذى اللب علتى
سأكتمها صبراً على حر جرها ... وأسترها إذ كان فى الستر راحتى
صبرت على دائى احتساباً ورغبة ... ولم آلك أحدوثات أهلى وخلتى

فما أظهر أمره ، ولا علم أحد بقصته حتى حضره الموت ، فقال : إن العلة التى كانت بى من أجل فلانة ابنة عمى ، والله ما حجبنى عنها ، وألزمنى الضر إلا خوف الله (عز وجل) لا غير ، فمن بلى فى هذه الدنيا بشىء فلا يكن أحد أوثق بسره من نفسه ، ولولا أن الموت نازل بى الساعة ما حدثتكم ، فاقرئوها منى السلام ، ومات من ساعته .

واختم هذه الأسطر بالثناء على أدب الأستاذ القلهود وشكره على حسن ظنه بهذا الضعيف وسؤال حضرته للاستفادة من فضلها عن هذه الفاء فى جواب الشرط فى هذه الجملة : « وإنها إن أقنعت أمثالى من المقلدين فلم تقنع أمثال السيرافى وابن هشام من زعماء النحو المجتهدين » وعن معنى هذه الجملة : « فياحبذا لو أن الأستاذ أعاد الكرة واستظهر دواوين العرب ورسائلهم فربما يعثر فيها على شواهد أخرى » وعن ورود مثل هذا التركيب (فياحبذا لو أن الأمر كذا وكذا) فى كلام قديم أو مولد متقدم أو متأخر .

قد ذكرتنى (حبذا) بقول هذا الشاعر :

يا حبذا جبل الريان من جبل ... وحبذا ساكن الريان من كانا

**محمد إسعاف النشاشيبى**

## إلى الأستاذ على الطنطاوى :

أشكر لك أيها الكاتب الألمعى ماوجهته إلى من لطيف كلماتك، وأرانى مضطراً إلى أن أرجع إلى أسلوب الأستاذ الخولى — وإن كان المقال الثالث عند صاحب الرسالة وأظنه ينشر فى هذا العدد — أعود إلى أسلوبه لتعلم أنت وليعلم قراء « الرسالة » أنى ماتجنيت ، وما كان لى أن أتجنى ، بل حرصت الحرص كله على توخى الأمانة والدقة فلم أزد حرفا على كلماته ، وإنما نقلتها بنصها وفصها كما يقولون .

وإذا كنت تستبعد أن يتوهم الأستاذ أن الله سبحانه وتعالى قال لمحمد صلى الله عليه وسلم (يا أخى) فاعلم أن الله — فى لسان الشيخ — قال لعيسى عليه السلام (يا سِيدى) وإليك نص عباراته (ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم) هذه الآية وما قبلها وما بعدها تدور على شكل حوار خيالى بين عيسى وبين الله سبحانه وتعالى . المقصود بهذا الكلام من يعتقدون بألوهية المسيح وكأن المسألة هكذا : أنتم تعتقدون أن المسيح إله وتعبدونه فمن أمركم بذلك ؟ هذا هو عيسى . أأنت قلت للناس إنك إله ؟! أبداً أنا لم أقل لهم ذلك . طيب قولهم يا سِيدى إياك ينكسفوا) .

ولعل أهون من ذلك شرحه لكلام سيدنا أبى بكر بعد وفاة رسول الله ، وما كان من قراءته آية (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) قال الأستاذ (وكأن أبوبكر يريد أن يقول : ياسى عمر الدنيا بخير ، والأمانة لاتزال فى أعناق الموجودين ومحمد يموت زيِّه زى غيره) .

ولعل مما يؤسف ويمض ألا يخلو فصل من هذه المذكرات من عبارة أو عبارات عامية ركيكة كأن من الحتم لإفهام طلاب الجامعة اللجوء إلى اللغة العامية ، وإنى لأعرف أن إدارة الأزهر حظرت على المدرسين إلقاء الدروس باللغة العامية ، وما زال التفتيش فى الأزهر يعد هذا من أقبح عيوب الدرس .

على أنى — ياصاحب القلم الفاضل — أطلعتك وأطلعت قراء « الرسالة » على عامية مبكية لأنها تتصل بكتاب الله وأحب أن أطلعك على عامية مضحكة ، يقول الأستاذ ممهداً للكلام فى الفصل والوصل : « تقول للخادم مثلا خد تعريفة ، وهات بنكلة شقة عيش وبمليم كرات وبمليم سلطة نوطة وبمليم طعمية بل أكثر من هذا تعد له على أصابعك ليفهم هذه الأشياء ، وإن كنت حدِءْ (يريد حدق يعنى متنبهاً) تقول هات العيش الأول لأنه حايقابل بتاع العيش أول ما يخرج وبعدين تحود على شمالك تلاقى بتاع الطعمية هات منه بمليم سلطة ، وبمليم طعمية ، وهكذا تسرد الحوادث ، وتشير إليها فى كلامك فمن الجائز أن تراعى القرابات والمناسبات إذا كان حدِءْ . فإذا كان بتاع الكرات فِرِيحْ (يريد بجانب) بتاع الطعمية بقوم بذكره بعده على طول علشان الواد ما ينساش ... وهكذا » .

وأنى لأعتذر إلى صاحب « الرسالة » من نشر مثل هذه التفاهات فى مجلته ، غير أن الانتصاف للغتنا العربية يدعونا إلى ذلك .

وليس شيئاً — كما أشرت إلى ذلك فى مقالى السابق — أن يأمر الأستاذ طلبته عند المراجعة أن يمروا بالقلم على بعض هذا فأننا نعيب عليه أولا أن تدرس البلاغة العربية بهذا الأسلوب وثانياً أن يدون مثل هذا فى مذكرات ، ومعروف أن طلبة الجامعة يدوّنون مذكراتهم مما يلقفونه من أفواه أساتذتهم .

* * *

أما عن ظرف الفقهاء ، فإنى قد ذكرت حينذاك أننى إنما أذكر نماذج ولا أريد الاستقصاء ، والحق أن الاستقصاء يحتاج إلى زمن طويل وإلى مجهود قد لا تسمح به شواغل الدرس ، وحسبك أن تقرأ كتابى الأغانى ونفح الطيب لترى فيهما كل طريفة مستحبة من ملح علمائنا وفقهائنا ، وربما استطاع الكاتب أن يتحدث عن أشخاص من الفضلاء الذين شهروا بالظرف فأبى السائب المخزومى وابن أبى عتيق ، أما أن يستقصى هذا الفصل فى العربية ، فذلك شأو بعيد . وإلى الأستاذ تحياتى

**على العمارى**
مدرس بالأزهر

# محطة

## الشرق الأدنى للاذاعة العربية

### نذيع على أربع موجات قصيرة طولها

٢٥ ر ٤٤ و ٦٢ ر ٤٨ و ٩ ر ٤٨ و ٣٦ ر ٩٠ متراً

**خمس مسابقات أدبية جديدة :**

يسر محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية أن تعلن افتتاحها باب المسابقات الأدبية الجديدة التى ستفصل فيها لجان مؤلفة من كبار رجال الأدب فى العالم العربى .

وستكون هذه المسابقات شهرية تتناول فى كل شهر ابتداء من نوفبر موضوعاً خاصاً ، وذلك حسب الترتيب التالى : —

مسابقة الأحاديث — مسابقة القصة — مسابقة الزجل — مسابقة الشعر — مسابقة الترجمة

**شروط مسابقة الأحاديث :**

أولا : مواضيع الأحاديث المتسابقة — تقتصر الأحاديث على معالجة المواضيع الخمسة التالية : الأدب ، الاجتماع ، الثقافة ، الفنون والعلوم .

ثانياً : أن يكون الحديث قد كتب خصيصاً لهذه المسابقة ، وإلا يكون مقتبساً عن أية مجلة أو كتاب ، أو أية مخطوطة أخرى أو مترجما ، أو سبق أن نشر أو أذيع .

ثالثاً : أن يستوعب الحديث مالا يقل عن صفحتين عاديتين ( فولسكاب ) مطبوعتين على الآلة الكاتبة ، وإلا يزيد على ثلاث صفحات .

رابعاً : موعد إذاعة النتائج : آخر موعد لقبول الأحاديث المتسابقة فى العاشر من شهر نوفبر ( تشرين الثانى ) سنة ١٩٤٦ . أى إن الحديث إذا وصلنا فى العاشر من الشهر المذكور فسندرجه فى مسابقة هذا الشهر ( نوفبر ) ، وإن جاء متأخراً عن التاريخ المذكور أدرجناه فى مسابقة الأحاديث التالية .

خامساً : تختار المحطة لجنة خاصة للفصل فى الأحاديث المتسابقة ، واختيار ثلاثة أحاديث فائزة .

سادساً : الجوائز : خمسة عشر جنيها فلسطينيا جائزة الحديث الفائز الأول . وعشرة جنيهات فلسطينية جائزة الحديث الفائز الثانى وخمسة جنيهات جائزة الحديث الفائز الثالث .

سابعاً : تعقد لجنة التحكيم جلستها أمام الميكرفون ، وتذيع النتيجة التى توصلت إليها يوم الجمعة ٢٩ نوفبر ( تشرين ثانى ) سنة ١٩٤٦ الساعة ٦,٠٠ مساء حسب توقيت فلسطين .

**شروط مسابقة القصة :**

أولا : موضوع القصة مطلق . ولكن يشترط أن تكون القصة نفسها قد كتبت خصيصاً للاذاعة وإن لا تكون مترجمة أو مقتبسة أو منشورة من قبل .

ثانياً . تبقى القصة ملكا للاذاعة مدة ثلاثة أشهر من تاريخ إعلان نتيجة المسابقة ، وبعد ذلك ، يحق لصاحبها التصرف بها .

ثالثاً : يجب أن لا تزيد القصة على أربع صفحات عادية حجم ( فولسكاب ) وإن لا تقل عن ثلاثة .

رابعاً : ترسل القصة مطبوعة على أربع نسخ على أن لا يذكر الكاتب إسمه على إحدى هذه النسخ ، بل يرفق إسمه وعنوانه مكتوبين على ورقة منفصلة .

خامساً : تقبل القصص حتى اليوم الخامس والعشرين من نوفبر ١٩٤٦ وكل قصة تصل بعد ٢٥ نوفبر ١٩٤٦ تؤجل للمسابقة التالية .

سادساً : ترسل القصص إلى « محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية » يافا — فلسطين برسم « مسابقة القصة » .

سابعاً : تعلن اللجنة القصص الفائزة فى جلسة مذاعة يوم الجمعة ٢٧ / ١٢ / ١٩٤٦ الساعة ٦,٠٠ مساء حسب توقيت فلسطين .

ثامناً : ينال الفائز الأول جائزة مالية قدرها ثلاثون جنيهاً فلسطينياً والثانى ينال جائزة مالية قدرها خمسة عشر جنيهاً فلسطينياً والثالث ينال جائزة مالية قدرها عشرة جنيهات فلسطينية .

تاسعاً : ترسل الجوائز على أثر إذاعة النتائج .

شروط مسابقة الزجل :

اولا : يجب أن تعالج المقطوعة أحد المواضيع الأربعة التالية : —

١ — الراديو ٢ — الريف ٣ - القنبلة الذرية
٤ — نهضة المرأة فى الشرق .

ثانياً : أن لا يقل عدد الأبيات عن خمسة وعشرين بيتاً ، ولا يزيد على أربعين بيتاً .

ثالثاً : أن ترسل المقطوعة مطبوعة على أربع نسخ وإن لا يذكر الناظم إسمه على هذه النسخ بل يرفق إسمه وعنوانه مكتوبين على ورقة منفصلة

رابعاً : تقبل أزجال هذه المسابقة حتى اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٦ .

خامساً : ترسل الأزجال إلى محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية — يافا فلسطين — برسم مسابقة الزجل .

سادساً : تعلن اللجنة الأزجال الفائزة فى جلسة مذاعة يوم الجمعة ٣١ يناير سنة ١٩٤٧ .

سابعاً تحكم فى هذه المسابقة لجنتان واحدة للزجل المصرى والثانية للزجل اللبنانى والسورى وما كان قريباً منه .

ثامناً : توزع الجوائز كما يلى :

الجائزة الأولى ثلاثون جنيهاً فلسطينياً وتقسم إلى جائزتين متساويتين كل منهما خمسة عشر جنيهاً فلسطينياً تعطى الواحدة للفائز الأول فى نوع الزجل المصرى ، وتعطى الثانية للفائز الأول فى نوع الزجل اللبنانى أو السورى أو ما كان قريباً منه .

الجائزة الثانية خمسة عشر جنيهاً فلسطينياً وتقسم أيضاً إلى جائزتين متساويتين كل منهما سبعة جنيهات ونصف الجنيه الفلسطينى ، تعطى الواحدة للفائز الثانى فى نوع الزجل المصرى وتعطى الثانية للفائز الثانى فى نوع الزجل اللبنانى أو السورى أو ما كان قريباً منه .

الجائزة الثالثة عشرة جنيهات فلسطينية وتقسم إلى جائزتين متساويتين أيضاً ، كل منهما خمسة جنيهات فلسطينية تدفع أحداها للفائز الثالث فى نوع الزجل المصرى والأخرى تدفع للفائز الثالث فى نوع الزجل اللبنانى أو السورى أوما كان قريباً منه

تاسعاً : ترسل الجوائز على أثر إذاعة النتائج .

عاشراً : يحق للمحطة أن تلحن وتذيع ما تشاء من الأزجال الفائزة من دون مقابل .

أحد عشر : تبقى الأزجال الفائزة ملكا للاذاعة مدة ثلاثة أشهر من تاريخ إعلان نتائج المسابقة ، وبعد ذلك يحق لاصحابها التصرف بها .

إثنا عشر : ستقام مسابقة أخرى يعلن عنها فيما بعد لنوع الزجل العراقى الحجازى أو ما كان قريباً منه .

شروط مسابقة الشعر :

أولا : يجب أن تعالج القصيدة أحد المواضع الأربعة الآتية :

١ — نهضة الشرق العربى ٢ — ملهمتى ٣ — اليتيم
٤ — الطبيعة الغاضبة .

ثانياً : أن لا يقل عدد أبيات القصيدة عن خمسة وعشرون بيتاً ولا تزيد على أربعين بيتاً .

ثالثاً : أن ترسل القصيدة مطبوعة على أربع نسخ وإن لا يذكر اسم الناظم على هذه النسخ بل يرفق اسمه وعنوانه كاملين مكتوبين على ورقة منفصلة .

رابعاً : تقبل قصائد هذه المسابقة حتى اليوم الخامس والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٤٧ .

خامساً : ترسل القصائد إلى محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية — يافا — فلسطين ، باسم مسابقة الشعر .

سادساً : تعلن اللجنة القصائد الفائزة فى جلسة مذاعة يوم الجمعة ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٧ .

سابعاً : توزع الجوائز كما يلى : —

الجائزة الأولى ٣٠ « ثلاثون جنيهاً فلسطينياً » .

الجائزة الثانية ١٥ « خمسة عشر جنيهاً فلسطينياً » .

الجائزة الثالثة ١٠ « عشرة جنيهات فلسطينية » .

ثامناً : ترسل الجوائز على أثر إذاعة النتائج .

تاسعاً : يحق للمحطة أن تلحن وتذيع ما تشاء من القصائد الفائزة من دون مقابل

عاشراً : تبقى القصائد الفائزة ملكا للاذاعة مدة ثلاثة أشهر

من تاريخ إعلان نتائج المسابقة ، وبعد ذلك يحق لأصحابها التصرف بها .

شروط مسابقة الترجمة :

أولا : يجب أن تكون القطعة المترجمة نثرية إما من الأدب الإنجليزى أو من الأدب الأفرنسى ، وأن تكون من أدب القرن التاسع عشر ، أو أدب القرن العشرين .

ثانياً : يذكر إسم المؤلف والمرجع الذى أخذ منه المترجم ، ترسل نسخة مطبوعة من الأصل المترجم عنه .

ثالثاً : يجب أن لا تزيد الترجمة العربية على ألف وخمساية كلة وإن لا تقل عن ستماية كلة .

رابعاً : ترسل المقطوعة مطبوعة على أربع نسخ على أن لا يذكر المترجم إسمه على هذه النسخ بل يرفق إسمه وعنوانه مكتوبين على ورقة منفصلة .

خامساً : تبقى القطعة المترجمة ملكا للاذاعة مدة ثلاثة أشهر من تاريخ إعلان نتائج المسابقة ، وبعد ذلك يحق لصاحبها التصرف بها .

سادساً : تقبل القطع المترجمة حتى اليوم الخامس والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٤٧ .

سابعاً : ترسل هذه القطع المترجمة إلى محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية — يافا — فلسطين ، باسم مسابقة الترجمة .

ثامناً : تعلن اللجنة القطع الفائزة بالترجمة ، فى جلسة مذاعة يوم الجمعة ٢٨ مارس « آذار » سنة ١٩٤٧ .

تاسعاً : توزع الجوائز كما يلى :

للفائز الأول ٣٠ « ثلاثون جنيهاً فلسطينياً » .

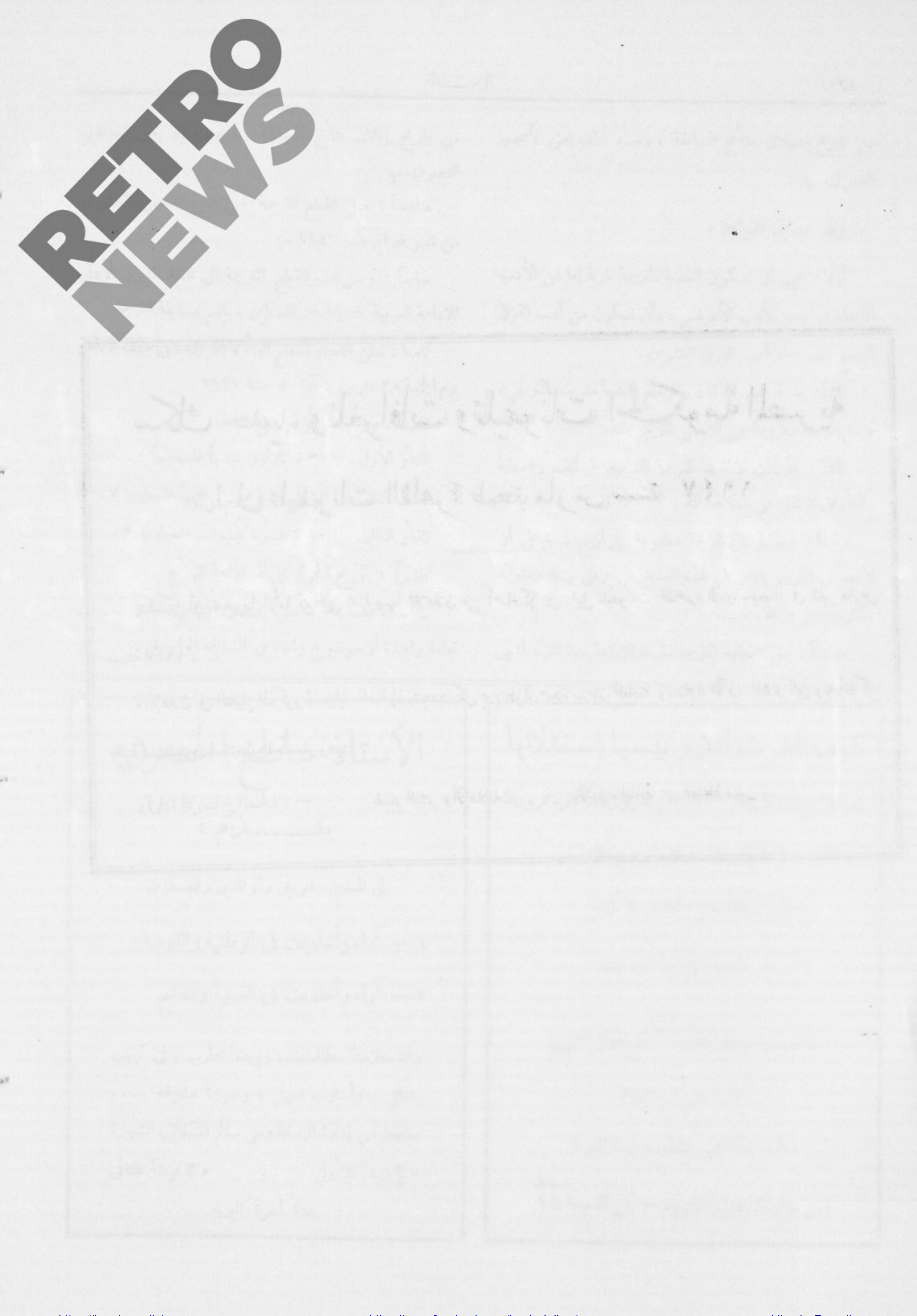
للفائز الثانى ١٥ « خمسة عشرة جنيهاً فلسطينياً » .

للفائز الثالث ١٠ « عشرة جنيهات فلسطينية » .

عاشراً : توزع الجوئز على أثر إذاعة النتائج .

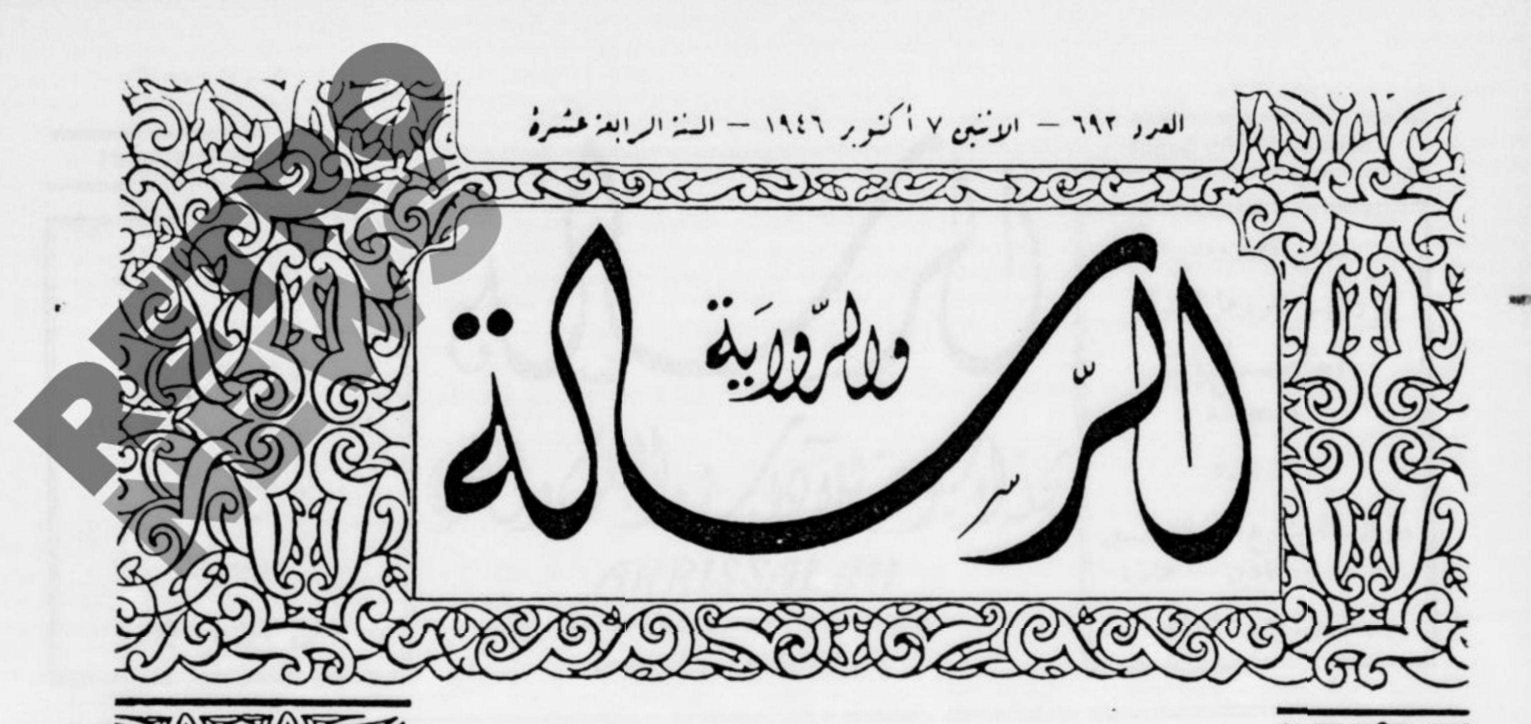
ملاحظة هامة — لا يجوز المشترك أن يشترك بأكثر من قطعة واحدة أو موضوع واحد فى المسابقة الواحدة .


RETRO
NEWS





العدد ٦٩٢ — الاثنين ٧ أكتوبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

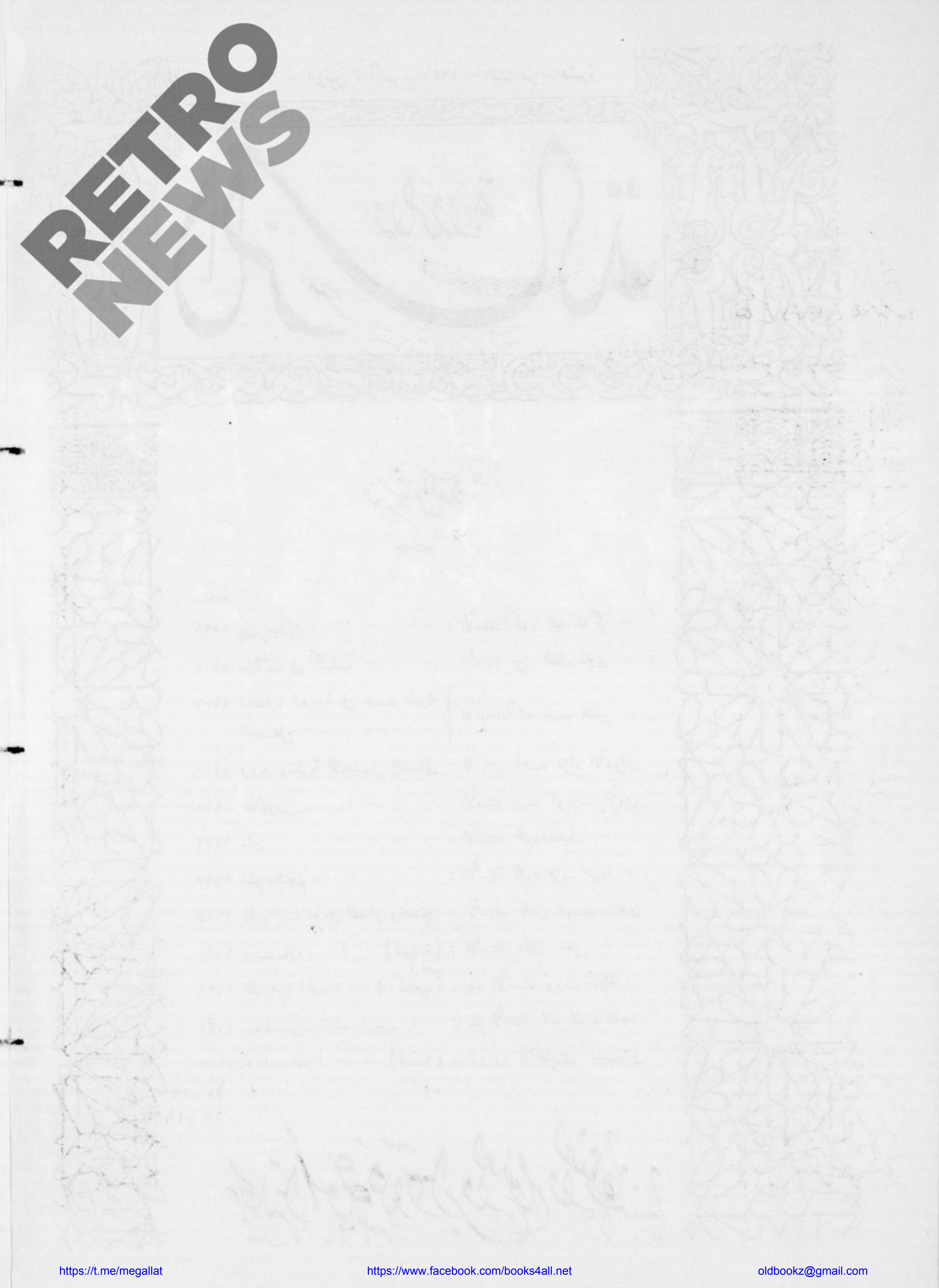



فهرس العدد



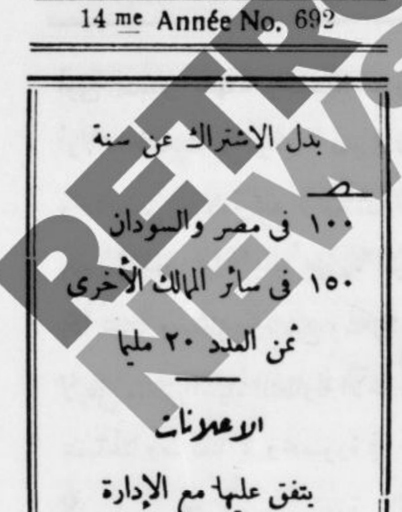
٢٧٠٢٩

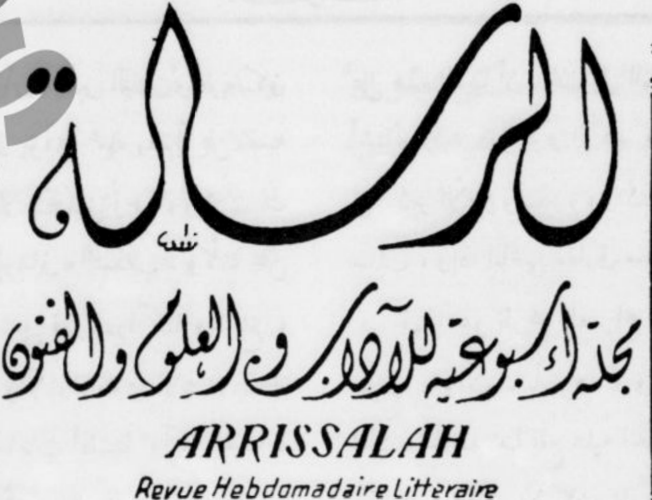
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS

14 me Année No. 692

Lundi—7—10—1946




صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٩٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٥ — ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

# بين جيلَـــين . . . !

للأستاذ محمود محمد شاكر

انتفض شعر المتنبى فرمى إلىّ بهذين البيتين ، وهما على بساطة لفظهما كالجبلين الشامخين فى تاريخ الحياة الإنسانية :

سُبِقنا إلى الدُّنيا فلو عاش أهلها ... مُنعنا بها من جَيْئة وذُهوبِ
تملَّكها الآتى تملُّك سالبٍ ... وفارقها الماضِى فِراق سَليبِ

أفليس لملَك الموت من عملٍ إلا إخلاء الطريق للقادم ، حتى يتاح له أن يغدوَ ويروح فى الأرض التى ورثها عن السابق الفانى الذى مهَّد له بمواطئه سبيل الحياة ! ! ولعلّ ملك الموت يحارُ أحياناً حيْرَةً تديرُ رأسه فى الأمر الذى حمل أوزاره ، وكُلِّف بقضائه ، ولعله يرى أحياناً أنه يُزيلُ خيراً كثيراً ليخلُفه شرٌّ كثير ، فهو يتردّد تردُّد المتحسّر على ذاهبٍ هو أولى بالبقاء من قادم ، ولكنه يقضى قضاءه الذى لا يجد عنه مندوحة ولا مهرباً ؛ وهو ككل صاحب صناعة قد ألِفها ودرِب عليها ولا يجيدُ سواها ؛ فهو يعيش بها على الرضى وعلى السخط ، وعلى الفقر والغنى ، وعلى الفتور والنشاط ؛ وهو كسائر الخلق ميسَّرٌ لما خُلق له ، ولو تُرك له أن يختار لاختار قديماً كثيراً على جديد كثير ، ولآثر ناساً على ناس وحياةً على حياةٍ . ولقد أرثى أحياناً لهذا المخلوق البائس الذى يسَّره الله لصناعة الإفناء والإهلاك ، فإنه ولا ريب يرى ما لا نرى ويحس ما لا نحس ، ولربما كُلِّف أن يقبض الروح من زهرة ناضرة لم تكد تستقبل الحياة . فهو يذوب لها رقة وحناناً لما سوف تتجرّعه من غُصصه وسكراته وحشرجته ومكارهه ، فكيف يقسو على من هو بالرحمة أولى ، وبالبقاء أخلق من أُخرى لم يُبق فيها العمر المتقادم إلا الأعوادَ والأشواك والجذور التى ضربَت فيها الآفاتُ ، وبَرِم بها البِلَى من طول مُراغمتها له على العيش !

وكيف يفعل هذا البائس حين يعلمُ أنه قد دنا أجلُ عقل عبقرىّ لم يتمّ عمله لخير هذه الحياةِ الإنسانية ، فهو مأمور أن يطفىء نوره ليخلُفه عقل دَجُوجىّ لا يأتى إلا بالسواد والإظلام ؟ أتُرى أنامله ترتجف من الإشفاق والضنّ والبُقيا على هذا السراج الذى أُمر أن يقطع عنه أسباب الحياة ؟ أم تُراه يفعل ذلك وهو مسلوب العقل والإرادة والإحساس كأنه قائد من رجال الحرب الحديثة ، لا عقل له إلا الحرب ، ولا إرادة له إلا الحرب ، ولا إحساس له إلا الحرب ، فهو كله حرب على الجنس البشرى بشيبه وولدانه ورجاله ونسائه ، لا يرحم صغيراً ، ولا يوقّر كبيراً ، ولا يشفق على أمٍّ ولا ذات جنين ! أم تَراه يعلمُ ما لا نعلمُ من خَبْء هذه الحياة الدنيا ، وأن جليلها الذى نجلُّه ونوقره ، هو

أولى الشيئين بالمهانة والتحقير ، وأن الحقير الذى نزدريه كان أولاهما بالتجلة والتوقير ؟ فهو إذن يؤدى عمله راضياً عن نفسه وعما يعمل ، لا تزعجه الرحمة لما لا يستحق رحمة ، ولا يمسك يده الإشفاق عما لا يستأهل إلا الإرهاق والتعذيب . وكأننا نحن إنما نحبُّ ونبغض ونرضى ونكره على قدر إدراكنا وما بلغ ، لا على منطق الحياة المتطاولة الآماد والآباد ، فنرى الأشياء متصلة بمصالحنا ومنافعنا ، ومحصورة فى حاجات أنفسنا وآمال قلوبنا ، لا متماسكة ممتدة فى كهوف الأمس السحيق ، وسراديب الغد العميق .

فلو أن هذا الملك كان ميسَّراً لإدراك الحياة ومعانيها بمثل العقل الذى ندركها نحن به ، وكان كمثلنا فى تقدير الأقدار على قياس الحاجات والآمال الراهنة محجوباً عن الغيب الذى لا يعلمه إلا الله ، لرأيناه يحرص أحياناً على أن يُبْقى على بعضنا ويعجل أحياناً فى القضاء على بعضٍ آخر نظنُّ ، ويظنُّ معنا ، أنه لامعنى لبقائه فى هذه الدنيا ليكون زحاماً من الزحام لا عمل له إلا أن يَعُوق المتقدم ، ويعثِّر به الماشى ، ويتفلَّل من جرائه حدُّ الماضى المتعجل ، ولكان الناس يومئذ يأتون إلى الدنيا ليجدوها ممهَّدة من نواحيها لا يلقى لاحقٌ عنتاً من وجودِ سابق ؛ ولا يصادف الطريق إلا خالياً لا يضطره إلى جهاد ولا حيلة ولا حذر ، ولا يحمله على النظر والتأمل والهمة فى إصلاح الفاسد والفكر فى أسباب الفساد ، وبذلك يتعطل العقل وتقف الإرادة ويستنيم المرء إلى الراحة حين يرضى عن عمل من سبقه من الذين أبقى الموت عليهم لأنهم أهلٌ للحياة . وكذلك تنقطع مادة الحياة ، ويتفانى الخلق بالرضى والقناعة كما يتفانون اليوم بالسُّخط والطمع . بيد أن موت الرضى والقناعة شرٌّ كله لأنه عقيم لا ينتج ، أما موت التسخُّط والطمع فهو إلى الخير أقرب ، لأنه يبقى البقية الصالحة التى تستمرُّ بها الحياة متجددة على وجه الدهر .

ومن أجل ذلك قُدِّر للآتى القادم على الدنيا أن يأتى منذ يولد وفى إهابه حبُّ التملك والتسلط والأثرة والعناد واللجاج فى صغير الأمر وكبيره ، وكذلك الطفل . وقُدِّر للذاهب الراحل عن هذه الدنيا أن يدلف إلى الغاية ، وقد نفض عن نفسه أحبَّ أشيائها إليه فهو يؤثر الزُّهد والإيثار وسعة العقل وقلة المبالاة فى كبير الأمر وصغيره ، وكذلك الشيخ . فإذا الآتى متمسِّك سالب ، وإذا الماضى مفارق سليب .

فهذا هو تاريخ الصراع بين أجيال الناس كلهم ، والأمم جميعها ، والآراء بأسرها ، والمذاهب برُمَّتها ؛ إلى آخر هذا الحشد الحاشد مما يقع عليه الخلاف فى هذه الحياة الدنيا ، وليس يكون فيها شىء إلا كان مظِنَّة للخلاف . وهذا الصراع المُفنى هو نفسه سرُّ القوة المُحْيية ، وهذا الجهاد المتواصل فى طلب الغلبة والظهور ، والنصر بين السالب والمسلوب ، هو الحياة . وهذا العناء الشديد الذى يلقاه الشباب حين يحتدم الصدام بينهم وبين أهل السنِّ من قدماء الأحياء هو تكملة الإنسان الجديد الذى يريد أن يتملك مواطىء أقدام الإنسان القديم الذى كتب عليه أن يرحل ويُفسح الطريق لمن هو أولى منه بالعيش وعليه أقدر .

وقديماً قال القائل :

لكلِّ جديدٍ لذَّةٌ ، غيرَ أننى وجدت جديدَ الموت غير لذيذ

فيأتى الآتى إلى جديد الحياة ، فإذا هو بها مشغوف لهيفٌ ، وإذا هو نفسه جديد ، فهو معجبٌ بجديد نفسه ساخرٌ من قديم غيره ؛ وإذا سرُّ كل « آت » هو جدَّته الموفورة ، وسرُّ الضعف فى كل « ماض » هو جدَّته البالية . وللجديد نخوة ونشوة وإرباء على القديم ، وفى القديم هيبة وذهول وتقصير عن الجديد ، والصراع بين القديم والجديد هو صراع على الحياة وعلى البقاء وعلى الخلود ، ولذلك لم يخلُ وجه الأرض قط من نزَال دامٍ مفزع بشِع بين هذين الجبارين : الجبار الآتى الذى يريد أن يستأثر بالحياة ، والجبار الراحل الذى يلتمس لجبروته الخلود . ولا تزال الدنيا دنيا ما اصطرع هذان الجباران ، فإذا سكن ما بينهما فقد انطفأت يومئذ جمرة الحياة ، ولم يبق إلا رمادها .

ونحن اليوم أحوج ما كنا إلى حدَّة الصراع بين الجبارين : جبار الشباب وجبار الهرم ، لأن الحياة التى حولنا تريدنا على ذلك ، إذا أغفلنا مطالب الحياة الانسانية نفسها ، والتى لا بقاء

لها إلا على مكاره النزاع والنزال والمصاولة . ولـكن يخيّل إلىّ أن جبارنا هذا الشابّ لم يعرف بعْدُ أن اتخاذ الأهبة للقتال شىء لاغنى عنه لمن يريد أن تكون له العزة والغَـلبة ، وأنه ينازل جباراً سبقه إلى الدنيا فعرفها وخبرها واستعدّ لها ، وصرف همه إلى درسها وتمحيصها ، وأنه قد بذل فى إبان شبابه من جُـهد التحصيل والاستعداد ، ما غفَـل هو عن مثله بين اللهو والعبث والآراء غير المحصة ، وأخْـذ الدنيا على أهون وجهيها وأيسرهما ، وعلى أن الصدق فيما قاله أسخف قائل : « اضحك يضحك لك العالم » ! !

ليس معنى الصراع بين الجديد والقديم : هو أن ينازل أصغر الخصمين وأقلهما تجربة ، أكبرهما وأوفاهما تجربة ، وهو يضمر له فى نفسه الإزْراء به والتحقير له والاستهانة به وبسابقته فى الحياة ، كلا ، بل هو يحرص أشـد الحرص على فهم خصمه ، وعلى معرفة حيله ، وعلى درس قوته ومواطن الضعف فيها ، وعلى أساليب معالجته للأشياء التى حازها بالنصر والغلبة على من سبقه . وذلك يقتضيه أن يجعل صدر أيامه وريّـق شبابه وقفاً على الدرس والتحصيل ورياضة النفس ، وتربية القُـوَى ، وتعهُّـد نفسه فى مراشدها وتجنيبها مغاويها ، فإذا فعل كان أهلا لمن ينازله ، وكان خليقاً أن يكتب له النصر عليه ، ولـكن شاء الله أن يسلك جبارنا الشاب أضلّ الطريقين .

فماذا كانت العقبى ؟ بقينا إلى زمن نرى فيه الشيوخ الذين أكلَ الدهر جِدّتهم ، وأبلى هممهم ، وأفنى حوافزهم ، وقطع دابر الحماسة من نفوسهم ، هم الذين يتولون تصريف الأمر فى غدِنا تصريفَ العاجز ، ويدبرون سياستنا المستقبل تدبير الذاهل ، ويسيرون بهذا الشرق كله إلى رَدَغةٍ موحلة يرتطم فى أوحالها الشيب والشبان جميعاً . وإلا فأين الشباب المبشر بالخير المهدى إلى طريق الرشاد ، ليكون لشيوخنا إذا عجزوا عُضداً ، وإذا قصّروا باعاً ، وإذا سقطوا خلفاً ؟

إنى لأفتح عينى حين أفتحها على كثير، ولـكن لا أرى أحدا

ومعاذ الله أن أكون ممن يُخلى هذه الأمم من رجال شبان يدخل فى أطواقهم أن يغيروا وجه هذا الغد الذى نستقبله ، ومعاذ الله أن يلمّ بى اليأس ويتداخلنى القنوط ، فإنى لأرى فيهم رجالا لو هم صرفوا عاماً أو عامين فى التأهب لصراع الغد ، أى لصراع الحياة ، أى لإنقاذ بلادنا من خوَر الشيخوخة ، وجبن الهرم ، وعجز السنّ ، وضعف الـكِبرَ الطاحن ، ومن غرور هذه جميعاً بسالف تجربتها واحتناكها ، لأدركنا البغية التى يظن شيوخنا أنها محال ، وأنها طَـفْرة ، وأنها جرأة وتقحم ، وارتماء فى مهاوى الهلاك .

أوليس من أكبر العار فى هذا الزمن أن يكون الشرق الذى بلغ بفتيانه قديماً ما بلغ ، هو اليوم مبتلى بفتيانه أشد البلاء ؟ أليس من الخزى أن يعرف أحدنا كيف تعاون شبابنا قديماً وكهولنا وشيوخنا على فتح الدنيا ، فإذا خَـلَفهم يتعاونون جميعاً شيوخاً وشباناً وكهولا على ترك بلادهم وأرضهم لقمـة سائغة لـكل طامع ، ولحماً ممزقاً بين يدى كل جزّار وإن هان ؟

إن علينا نحن الشباب أن نوقر شيوخنا ونجلّـهم ونستفيد من تجاربهم ، وعلينا أن ننازلهم ونصارعهم ، ونأخذ من أيديهم المرتعشة ما يستقرُّ فى راحاتنا الثابتة التى لا تخافُ ولا تهيب . علينا أن نأخذ حقنا أخْـذ الـكريم المقتدر ، من أقران نصارعهم ليموتوا موت الـكريم البذّال . وعلى هـذا الصراع بين جيلينا يتوقف أمر الخير الذى نبتغيه ، والاستقلال الذى نجاهد فى سبيله ، والعزة التى نسمى إلى اقتحام أهوالها .

وعلى شيوخنا أن يعلموا أنه لابد لهم من شباب شديد الأسر يشد أزرهم إذا ضعفوا ، ويخلفهم إذا هلـكوا ولـكنهم غفلوا زماناً فتركوا النشء ينشأ بين أحضانهم ، فلم يسدّدُوه ولم يعاونوه ولم يعدُّوه لغدهم ، وقلبوا آية الحياة وبدّلوا معناها ، فـكانوا هم الصبيان حين تخلقوا بأخلاق الصبيان ، وأصرّوا على حبّ التملك والتسلط والأثرة والعناد واللجاج فى كبير الأمر وصغيره !

هذه الأيام تمضى بنا سِراعاً ، فلنقدّر لغدٍ ، فإن مستقبل الشرق معقود بنواصى شبابه ، فإذا نفضَ عن نفسه غبار الـكسل والمجانة واللهو ، كان إلى النصر أسرع ساعٍ ، وعلى الدنيا الجديدة أكرم وافد .

محمود محمد شاكر

# مقالات فى كلمــات

للاستاذ على الطنطاوى

المذهب الرمزى كما أفهمه :

يقف الشاعر على الطريق فتمرّ به مائة امرأة ، ما فيهن إلا جميلة فتانة تستهوى القلب وتستميل الفؤاد ، وما واحدة منهن تشبه فى جمالها الأخرى ، فلكل ( جمال ) طعم فى الذوق ، وأثر فى النفس ، ومعنى فى الحسّ . ويسمع مائة صوت ما فيها إلا مطرب يهز ويثير ، ولكنّ للبيات ( طرباً ) ليس للرصد ، وفى الصبا ما ليس فى النهاوند . ويشمّ عشر زهرات فلا يجد فيهن إلا طيباً وعطراً ، ولكن أثر الياسمين فى النفس غير أثر الورد ، وفى الزنبق ما ليس فى البنفسج ؛ وربما رأى المرأة أو سمع النغمة فى حال ، فأثارت فى نفسه عواطف لا تثيرها فى حال أخرى ، فإذا جاء يصور بالألفاظ هذا العالم الزاخر من (الشاعر) والخواطر لم يجد لهذه الآلاف المؤلفة ، من ( المشاعر ) المختلفة ، والخواطر المتباينة ، إلا ألفاظاً قليلة لا تقوم لهذه الكثرة ، ضيقة لا تتسع لشىء من هذه التفاصيل ، ميتة لا تستطيع أن تجارى هذه القافلة الحية المتوثبة من الخواطر والأحلام الإنسانية ...

ويقرأ القصة من القصص ، أو الأبيات من الشعر ، فتنقله إلى دنيا أخرى يرى فيها ما لا تراه عيون أكثر الناس ، ويدرك من جمالها وسحرها ما لا تدركه قلوبهم ، فإذا عمد إلى حصر هذه الدنيا فى نطاق من الألفاظ تفلتت منه ومضت ، كما يمضى عبق الزهر إذ ينبثّ فى الجوّ ، وهبط من بعدها إلى أرض الحقيقة الصلدة ، كما هبط آدم من جنته إلى الأرض ...

ويسمع الأغنية الحالمة تخرج من قلب عاشق مشوق ، فتطفو على وجه النسيم العليل ، فى الليل الساجى ، ينادى بها الليل ، والليل معرض لا يجيب ، فتهز الأغنية إذ يسمعها (شاعريته) فتسقط أنضج ثمارها وأحلاها ؛ فإذا راح يجمعها ليودعها ظروف الألفاظ ، طارت من بين أصابعه كأنها حباب الخمر ، أو خيوط النور ...

ويحلم نائماً أو مستيقظاً فيجد لهذه الرؤى والأحلام متعة وجمالا يملأ جوانب نفسه ، ويصل إلى قرارة قلبه ، ويصحو منها ولذتها فى حسّه ، وأثرها فى نفسه ، وبقاياها فى ذاكرته ، فإذا أراد أن يضع وصفها على لسانه ، خانته الألفاظ ساعة الشدة ، وفرّت منه ولم تسعفه ... .

فماذا يصنع الشاعر ؟

أيقنع من الشعر بوصف الحالات النفسية الواضحة الدانية ، ويدع كل سام منها رفيع ، أو غامض معقد ؛ وتصوير مشاهد الطبيعة الجامدة دون أن يفيض عليها أفكاره وأحلامه وذكرياته؟ إنه إن فعل كان كمن يأخذ الأصداف والديدان من شاطىء البحر مجتزئاً بها عن كل ما فى البحر من لآلىء وأسماك ، فماذا يصنع ؟

فكر فى ذلك ناس من شعراء أوربة فرأوا أن الخصلة من شعر الحبيب ، تذكر المحب بأيام الغرام ، وتتلو عليه وهى خرساء لا تنطق تفاصيل أحداثها حتى كأنه قد رجع إليها ؛ والنشيد الحربى يقص على الجندى الهرم أنباء معاركه التى خاضها ؛ وصورة برج إيفل يعيد للباريسى النازح ذكريات بلده الذى فارقه ، وما خصلة من الشعر وما النشيد وما الصورة ؟ إنها رموز ( Symboles ) تستدعى فى الذهن صوراً وحقائق على طريق ( تداعى الأفكار ) كما تذكر صورة الكعبة بالحج ، و ( جون بول ) بانكلترا ، والاهرام بمصر ... فلماذا لا نرمز لكل حالة نفسية غامضة برمز يذكر القارىء بحالة مثلها كان وجدها ، اعتماداً على ( تداعى الأفكار ) وعلى أن نفوس البشر متشابهات فى الجملة فى حالاتها الكبرى ؟

وقد حاولوا أن يفعلوا ذلك فنشأ ما ندعوه بالمذهب الرمزى ( Symbolisme ) ، فليس الشعر عند الرمزيين أن تصف الحبيب بل ما يثير فى نفسك الحبيب من عواطف ، ولا أن تصور مشهد الطبيعة بل ما يبعث المشهد فيك من خواطر . وإذا كانت هذه العواطف والخواطر غامضة ، فليكن الشعر غامضاً مثلها ، على أن يثير فى السامع أمثالها ، ويحضر له نظائرها . وأول شرط للشعر عندهم هو أن يكون وقعه فى الأذن جميلا بارعاً ، وأن يكون لألفاظه رنين اللحن الموسيقى . والشرط الثانى هو أن يعلو بسامعه ، ويحمله إلى أسمى الحالات النفسية . قال عميد الرمزيين

بول ڤرلين ( Verlaine ) : « الشعر ما انبعث من قرارة النفس ، ورفع إلى ذروة السماء ، وكان موسيقياً قبل كل شيء » .

وهذى غاية ما نظر إلى أبعد منها أديب ، ولكن هل بلغ الأدباء الرمزيون هذه الغاية ؟

الجواب : لا ، وإن نهاية ما وصلوا إليه أن جاءوا بشعر فى ألفاظه موسيقية وجمال ، يلوح من ورائها معنى فيه من ( تلك ) الحالات النفسية غموضها ، ولكن ليس فيه سموّها ولا عظمتها ، ولا يدنى منها ولا يوصل القارئ إليها .

هذا ما عندهم ؛ فما الذى عندنا ؟

الذى رأيناه عندنا إلى الآن : أفكار مهوّشة مضطربة فى رؤوس أحب أصحابها التعبير عن أفكارهم بالشعر ، ولم يؤتوا ملكته ، ولا أعدّوا له عدته ، ولم يعطهم الله ( شعور ) الشاعر ، ولطف حسّه ، وصفاء نفسه ، فاستعاضوا عن ذلك كله بالانتماء إلى المذهب الرمزى ... ولا يكلف ذلك من يريده إلا أن يكتب فى رأس قصيدته ... أو مصيبته التي يحب أن ينزلها بالقراء ، كلمة ( من الشعر الرمزى ) وأن يلقى صحفياً أحمق ينشرها له ...

وكل الذى قرأناه إلى الآن من هذا الشعر ... الرمزى ، قطع هى أبعد عن الموسيقى من بُعد الأرض عن السحاب ، وبُعد أصحابها عن الشعر ، وهى تنزل بقارئها إلى أحطّ دركات الاشمئزاز و ( القرف ... ) بدلا من أن ترفعه إلى السماء التى ينظر إليها ( ڤيرلين ) عميد الرمزيين الأصليين لا القردة المقلّدين ...

لا . لا هذه ولا تلك ، فالرمزية الحقيقية حلم جميل ولكنه منافٍ لطبائع الأشياء فلا يتحقق أبداً ، ورمزية أصحابنا ... ( تهريج ) ثقيل ، وتقليد بشع ، وعدوان على الفن ، فلا تدخل حرم الشعر أبداً ...

إنها رطانة بحروف عربية ، و ( شعر ... ) ولكن لا شعور فيه ولا موسيقى ولا حياة .

**عودة إلى « حرية الكتابة » :**

دفع إلىّ أمس صديقى الأستاذ مظهر العظمة عدداً من مجلة الثقافة فقال :

— انظر ما فى هذا العدد .

فنظرت فإذا أنا ألقى أسماء جديدة لم أسمع بها قط قبل اليوم ، فلا أحمد أمين ، ولا فريد أبو حديد ، ولا أحمد زكى ؛ ولكن صدقى إسماعيل ( ؟ ) ، وخالد محمد ( ؟ ) ، وعمر كركوتلى ( ؟ ) فأنعمت النظر فإذا هى ( ثقافة ) أخرى ، غير ( الثقافة ) المصرية المعروفة ، تصدر فى ( دير الزور ) من أعمال الشام ، وإذا أصحابها قد سرقوا اسم مجلة الثقافة وحجمها وشكل غلافها وترتيبها حتى ليظن القارئ أنها هى ، مع أنها منها كخريطة مصر بالنسبة إلى مصر ...

فرددتها إليه ، وقلت له :

ألم تسمع أن المكتوب يقرأ من عنوانه ، فدعنى بالله منها لا أريد أن تغثى نفسى .

قال : لا والله ، إلا أن تقرأ هذا .

وأشار إلى فقرة قرأت فيها ما نصّه بحروفه :

« أيها السادة ! الممعن فى الأدب العربى من إنتاج العصور وجماع الفنون يلمح خطاً واحداً تنتظم فيه كل الألوان والأغراض هو خط السكون ، والممعن فى الأدب الفرنسى يلمح خطاً واحداً يناقض ما تقدمه هو خط الحركة » .

قلت له :

لقد قرأت ، فقل لى ماذا تريد من رجل جاهل بالأدب العربى وبالأدب الفرنسى [1] ، ويريد مع ذلك أن يتعالم وأن يتشبه بالباحثين ؟ أيمكن أن يفتح عليه إلا بهذا الهذر الذى لا معنى له أبداً إلا ( الدعاية ) المضحكة لفرنسة التى قطع رأسها فى بلادنا ، وبقيت أذنابها تتحرك كما يتحرك ذنب ( سام أبرص ) بعد دعسه بالحذاء ؟ ... وهذه ثمرة ( حرية الكتابة ) ، فمادام كل دعىّ فى الأدب أحمق يستطيع أن يكتب ما توحيه إليه حماقته ، ومادام كل رجل معه ثمن الورق وأجرة المطبعة يستطيع أن ينشئ صحيفة أو مجلة تنشر كتابات الأدعياء والحمقى ، فارتقب العجب العجاب ، من هذا ( الأدب ... ) الجديد ، وهذه ( المجلات ... ) المحدثة التى لا آسف على شيء إلا على أنها لم تلحق الأديب الكبير أبا العبر الذى كان يقف على جسر بغداد فيكتب

---

(١) كان أجدادنا يسمون فرنسا فرنجة وفرنسة بفتح الفاء والراء وبتاء مربوطة

كل ما يسمع من كلام المجتازين فى صحيفة معه ، ثم يشقها ويخالف بين أجزائها ويقرأ ما تحصل معه ، فيأتى بالأعاجيب ، إذن لكانت تنشر له ، وتقدمه وتفضله على سائر الكتاب ، لأن مقياس الجودة عند أصحاب هذه المجلات الجدة والمخالفة ، وآثار ابن العبر هذا جديدة لم يسبق إليها ، مخالفة لكلام العقلاء جميعاً .

قال : أرجو أن تتم المحاضرة .

قلت : أعوذ بالله ، ماذا عملت معك حتى تعاقبنى بقراءتها ؟

قال : لا بد .

وأخذ يتلو علىّ تتمة هذا الهذر :

« السكون والحركة هذا هو كل ما استطعت الحصول عليه من وراء دراستى للأدب العربى والأدب الفرنسى » .

قلت : يظهر أن هذا الرجل قد أطال الدراسة للأدبين ، وسهر فيها الليالى ما دام ( كل ) ما استطاع الحصول عليه ( من وراء ... ) هذه الدراسة ، هو السكون والحركة ، وما السكون والحركة ؟ العلم عند الله ، فهذا شىء يدق عن أفهام أمثالنا من عباد الله المساكين ، ويعلو عن مداركهم ...

وجعل يقرأ أشياء من هذا الباب ، وأنا لا أكاد أفهم منها إلا مفردات الألفاظ ، أما الجمل وما يراد من إيرادها ، فكان يخفى عنى ، حتى وصل إلى قوله :

« ... وفى أزهار شر ( بودلير ) و ( لا أخلاقية ) أندره جيد ، وإباحية فيكتور مرغريت الأدب الحر والفن الثائر » .

فقلت له : وصلنا . هذا هو المقصد ! إنه ينقم من الأدب العربى خلوه من هذه ( اللا أخلاقية ) وهذه ( الاباحية ) مع أنه لم يخل منها ، ولكن هذا الجاهل لم يسمع كما يبدو باسم بشار وأبى نواس ، وأبو نواس هو أمام أندره جيد فى ( مذهبه ... ) .

هذا هو مقصد هؤلاء الذين سماهم الأستاذ سيد قطب أولاداً لا أعراض لهم ، كما جاء فى إحدى مقالاته العظيمة التى جعل عنوانها ( من لغو الصيف ) وهى والله الجد كل الجد ، ليست باللغو ولا باللهو ، وهى من خير ماجرت به الأقلام فى هذا العصر .

هذا هو مقصدهم : الاباحية !

إنه لا يغيظهم شىء ما يغيظهم أن يكون فى الكتاب من يدعو إلى الأخلاق ومن يحارب الاباحية ...

إننا نحاربها يا أولاد ، لأن لنا أعراضاً ، وأن لنا بنات وأخوات ، أما أنتم فلا بنات لكم ولا أخوات ، ولو كن لكم لما باليتم والله بأعراض بناتكم وأخواتكم ، ولكشفتموهن على البلاج ولجعلتموهن ( مرشدات ) . إنكم تؤثرون لذة الاباحية والانطلاق على شرف العفاف والحرمان ، ثم إنكم جاهلون تقولون ما لا تفهمون ، وتهرفون بما لا تعرفون ، أفسدتم بكتاباتكم هذه ملكة البيان فى نفوس النشء ، وأفسدتم خلق العفاف فى قلوبهم ، وأفسدتم ميزان المنطق فى رؤوسهم ، وتلقون مع ذلك مجلات تنشر لكم ما تكتبون ...

إنى أعود مرة ثانية فأقول : إن المصيبة ليست بهذا الدعى الجاهل ذنب فرنسا صاحب هذا الهذيان ولا بأمثاله ، ولكن المصيبة فى ( حرية الكتابة ) فمتى يصحو رجال الحكومات ، ويتنبه العقلاء ، فيكفوا هؤلاء الأولاد الذين لا أعراض لهم ، عنا وعن أعراضنا ؟

متى ؟ متى ؟ أبعد خراب البصرة ؟ !

**على الطنطاوى**

# الحضارة المصرية
# في عهد الدولة الوسطى

بحث للعلامة الأثرى أريك بيت

للأستاذ أحمد نجيب هاشم

### عهد الاقطاع :

يطلق عادة على الدولة الوسطى — وتشمل بمعناها المحدود الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٨٨ ق . م) — عهد الاقطاع أى أن نظام المجتمع كان يشبه ذلك النظام الذى ساد فى أوربا فى العصور الوسطى — فهناك على رأس الحكومة يقوم الملك ، وهو لا يزال نظرياً مصدر السلطات كلها ، والكاهن الأكبر لكل الآلهة ، والمشرّع الوحيد — ويليه عدد كبير من الأمراء المحليين يتسلمون أراضيهم منه ، ويدينون له بالولاء ، ولكنهم مستقلون عنه فى إماراتهم ومقاطعاتهم استقلالا يكاد يكون تاماً . على أنه لاينبغى أن نغالى فى الفرق بين هذه الأحوال وتلك التى سادت فى عهد الدولة القديمة . فالفرق كان فرقاً فى الكمية أكثر منه فرقاً فى الكيفية .

ففى أواخر الأسرة السادسة سقطت مصر فى فوضى شديدة نظراً لعجز الملوك عن الإشراف على الأمراء الأقوياء وضبطهم ، ثم لاغارة قبائل « عامو » الأسيوية على الدلتا . فاستقل أمراء المقاطعات وصاروا يتنازعون فيما بينهم ، فاضطرب الأمن واختلت أحوال البلاد ؛ لذلك كان تاريخ تلك السنوات مظلماً ، وعند ما ينبثق النور نجد الحكم فى يد أسرة من الأمراء مقرها هيراقليوبوليس فى مصر الوسطى — وقد ذكر مانيتون أنهم كونوا الأسرتين التاسعة والعاشرة — ونجد فى الجنوب أسرة أخرى تقوم بالحكم فى طيبة . هذه هى الأسرة الحادية عشرة ، وقد عاصرت الهيراقليوبوليسيين مدة ما ، ولا بد أن نزاعاً شديداً قام بين هاتين الأسرتين ثم انتهى بانتصار الجنوب انتصاراً حاسما.

ولما تولى الحكم الطيبيون ملوك الأسرة الثانية عشرة ، واجههم حالة تختلف كل الاختلاف عن تلك التى صادفت الملك مينا عند ما وحد القطرين — فقد انتهز الأمراء المحليون سنوات الاضطراب وعادوا إلى توطيد سلطتهم ، وتقوية نفوذهم حتى تجرأ أمراء « مقاطعة الأرنب » على قطع المرمر من محاجر حاتنوب ، وكان هذا الحق مقصوراً على الملك وحده ، وزيادة على ذلك أخذوا يؤرخون نقوشهم التذكارية هناك بتاريخ سنوات حكمهم الشخصى — وقد وحد أوائل ملوك هذه الأسرة الجديدة تلك العناصر المتفرقة ، ولكنهم لم يستطيعوا التغلب عليها فقبلوا حلاً وسطاً وذلك أنهم مقابل الولاء الذى طلبوه من هؤلاء الأمراء سمحوا لهم أو على الأقل لم ينكروا عليهم درجة كبيرة من الاستقلال المحلى .

### إخضاع أمراء الاقطاع :

ولم يشعر الطيبيون أنهم فى مركز قوى يسمح لهم بإخضاع أولئك الأتباع الشاكين حتى تولى الحكم سنوسرت الثالث كما يتبين ذلك من توقف الأمراء فجأة عند بناء مقابرهم الصخرية فى عهده بجهات البرشة وبنى حسن ومير — ثم عاد الأمراء إلى تقوية نفوذهم فى عهد أمنمحيت الرابع . فعادت الفوضى الداخلية إلى البلاد مرة أخرى ، ووقعت فريسة فى أيدى الغزاة الأسيويين المعروفين بالهكسوس .

وبمقتضى هذا النظام الاقطاعى كانت سلطة الأمير فى إقطاعيته تكاد تكون هى السلطة العليا . أجل كان بديهياً أنه عند ما تخلو إقطاعية من أميرها تعود إسمياً لفرعون كى يهبها مرة أخرى ، ولكن لعله كان من الصعب عليه أن يرفض الوارث الشرعى حقه فيها ، وقد وضح أحد أمراء أسيوط فى العقود الكثيرة التى عقدها مع كهنة المعبد المحلى كى يتولوا تقديم القرابين لمقبرته بعد موته — الفرق بين ميراثه عن أبيه ، وبين أملاكه بحكم وظيفته كأمير فالأولى يتصرف فيها بلا قيد ولا شرط حتى عن المستقبل ، والثانية لا يستطيع أن يتصرف فيها بعد موته

— وظل الملك كما كان الحال فى عهد الدولة القديمة — حقوق مالية فى كل أقليم، وكان موظفو الخزينة العليا يجمعون الضرائب .

**القانون :**

كان الوزير ساعد الملك الأيمن فى كل المسائل الإدارية والقضائية ، ولا نعرف عن نظم القضاء نفسها أكثر مما نعرفه عنها فى عهد الدولة القديمة ؛ بل ولا نستطيع أن نقول إلى أى حد كانت هنالك مجموعة من القوانين التى تعالج الجرائم الجنائية — بيد أن معلوماتنا عن القانون المدنى أحسن وأوفر ، فنجد بين نقوش مِتِين سلسلة من الوصايا تنتسب إلى حكم سنفرو أحد ملوك الأسرة الثالثة ، وهى على رغم قدمها تدل على الدرجة الراقية التى وصلها قانون العقار إذ ذاك ، وبين النقوش الواردة على جدارن مقابر الأسرة الخامسة وصايا كثيرة عن أراض نظير خدمات جنائزية يقوم بها الوصى إليه لصاحب الوصية — كذلك تحوى أوراق البردى التى عثر عليها فى اللاهون عدداً من العقود والوصايا مكتوبة بأسلوب راق وتعبيرات فنية تدل على أن كتابها محامون فنيون ولو أن هؤلاء لم يتمتعوا بلقب غير لقب الكاتب وهو بالهيروغليفية « سش » .

وأهم الوثائق كلهـا هى الواردة فى نقوش مقبرة الأمير حيفظا أمير أسيوط السالف الذكر ، وفيها يعقد بصفته رئيس كهنة معبد ابْواوِت إله أسيوط المحلى عشرة عقود مع الكهنة يتنازل فيها عن جزء من نصيبه الحالى فى القرابين التى تقدم إلى المعبد مقابل خدمات يقوم بها الكهنة له بعد موته — وهنا نجد التمييز القانونى بين ما يملكه الشخص بصفته الفردية وما يملكه بصفته موظفاً ، وبين هـذه العقود واحد يعقده الأمير بين نفسه بصفته الفردية وبين رئيس كهنة أبْواوِت بصفته موظفاً ، وغنى عن الذكر أن رئيس الكهنة هنا هو حيفظا نفسه

تدل هذه الوصايا والعقود على أن قانون العقار كان موجوداً ومحترماً فى مصر فى عهد الدولة الوسطى . والغالب أن القانون الجنائى لم يكن أقل تقدماً . ولا غضاضة علينا فى أن نجرؤ فنظن بأن الأربعين درجاً التى حوت هذا القانون والتى كانت تبسط أمام الوزير فى محكمته فى أيام الأسرة الثامنة عشرة كانت موجودة بشكل ما أيام الأسرة الثانية عشرة .

**الديانة والأخلاق :**

ما مبلغ دلالة هذا النظام القانونى على وجود قانون خلق؛ ثم إلى أى حد كان لهذا إن وجد — أساساً دينياً ؟ — هذه أسئلة ليس من السهل الإجابة عليها ، وإن الصورة الناقصة التى لدينا عن الديانات المصرية أيام الدولتين القديمة والوسطى تمثلها كأنها شىء شكلى غير شخصى ، فمعبود الشمس « رع » الذى علت منزلته حوالى بداية الأسرة الخامسة ، وكان مندمجاً مع المعبود حوريس فى شكل « رع حوريس الأفق » اندمج مرة أخرى بالإله آمون إله طيبة لما ارتقت منزلته بارتقاء الأسرة الثانية عشرة الطيبية الحكم ، وسمى « آمون رع » .

ولكن مما لا ريب فيه أن كان هذا الإله المصرى العادى شيئاً بعيداً غامضاً ؛ فقد كان اهتمامه الدينى — مركزاً فى إله مدينته أو إقليمه . بل وهنا أيضاً كانت الديانة مجرد احترام للتقاليد والطقوس أكثر من كونها صادرة من الضمير، فالنقوش التى دونها الأمراء على جدران مقابرهم ، وتباهوا فيها بأعمالهم فى حياتهم قلما تشير أو قد لا تشير بالمرة إلى أداء العمل الطيب لذاته أو لأن الآلهة تحض عليه . كذلك تعطينا أوراق البردى التعليمية الفكرة نفسها فحيثما تحث على اتباع الأمانة تحض عليها لمجرد أنها « تفيد » صاحبها .

وفى الوقت نفسه يمكننا أن نتتبع فى الدولة الوسطى بداية ظهور مقياس خلق واعتقاد الحساب فى الآخرة ، وهـذا راجع إلى حد ما إلى انتشار عقيدة أوزيريس الذى اعتقد فيه أهل الدولة الوسطى أنه يسكن أبيدوس كإله الموتى، فنرى فى النقوش الواردة على توابيت هذه الفترة أول إشارات إلى هذا الإله بأنه القاضى الذى يعرف الحق من الباطل ، وهذه فكرة لم تبلغ تطورها التام إلا فى عهد الدولة الحديثة فقط؛ فلم تكن هناك فى الدولة الوسطى قائمة الآثام المعروفة التى كان يتبرأ منها الميت أمام محكمة أوزيريس بالاعتراف السلبى .

ولكن ما مقدار هذا الخوف من حساب الآخرة ؟ أليس

من المرجح أن القوم فى الدولة الوسطى اعتقدوا كما اعتقد خلفهم فى الدولة الحديثة بصحة التعاويذ السحرية التى كانت تدفن مع الميت سواء أكانت فى شكل نقوش على تابوته أم كانت لفة من ورق البردى ، واعتبروها حامية كافية له ضد عواقب حياة أثيمة ؟ وإذا فرضنا أن نشأة الاعتقاد فى الحساب فى الآخرة تدل على نهوض وازع خلقى ألا يظهر كأن السحر سرعان ما قدم مسكنا دفع ذلك الرادع الثائر إلى النوم مرة أخرى ؟

الواقع أن هذه أسئلة يصعب الإجابة عليها نظراً لقلة الأدلة التى لدينا فمن الصعب أن نقرر شيئاً حاسماً فى هذه المسألة فى حالة أمة تعيش الآن ناهيك بشعب مضى فان هـذا عادة يكاد يكون من المستحيل .

**العناية بنظام الرى :**

وإذا انتقلنا من هذه الناحية الخلقية من الحياة المصرية إلى الناحية المادية واجهتنا مسألة أسهل . فهنا مع أن أحوال المعيشة العامة لم تتغير فى بعض نواحيها عما كانت عليه أيام الدولة القديمة إلا أنه من الممكن أن نذكر تقدماً جد عليها ، ويرجع هذا التقدم إلى أمرين أولهما : نمو التجارة الخارجيـة ، وثانيهما : تحول الفراعنة عن تسخير الرعيّة فى أعمال لا فائدة منها أى فى بناء الاهرام ، إلى العمل النافع الذى يعود على البلاد بالخير وهو تحسين نظام الرى . وسنبحث هذا الموضوع الآن ، أما الأمر الأول فسنؤجل التكلم عنه إلى مكان آخر فى هذا البحث .

لما كانت واحة الفيوم فى منخفض عن سطح البحر كان فيضان النيل يعمها كل عام ويحولها إلى بحيرة عظيمة ، وفطن ملوك الأسرة الثانية عشرة إلى خزن كمية عظيمة فى تلك الجهات ، وتصريفها وقت التحاريق كى تطول مدة رى الوجه البحرى — أى إن الفكرة كانت تشبه الفكرة الخاصة بخزان أسوان الحديث . ولا يعرف بالضبط مَن مِن فراعنة الأسرة الثانية عشرة نفذ هذا المشروع ، وإن كان قد جرى العرف على نسبته إلى أمنمحيت الثالث — وقد عمل المشروع على كسب أراض شاسعة للزراعة من تلك المساحات الهائلة التى كان يغمرها ماء الفيضان عند مدخل الفيوم ، وذلك ببناء سور عظيم .

**الحالة الاجتماعية :**

الرقيق : سرعان ما ظهرت نتائج هذه الاصلاحات فى زيادة رفاهية البلاد . نعم إن الرقيق لم تتغير حاله عما كانت عليه أيام الدولة القديمة ، والواقع أنها قلما تغيرت طول عصور التاريخ المصرى .

**الأشراف :**

أما النبيل المصرى فقد عاش عيشة الترف والمتعة ، واقترن بها فى بعض الأحوال عناية طيبة وشفقة بأولئك الذين يخضعون لسلطته . هـذا طبعاً إذا صدقنا النقوش الواردة على مقابر الأشراف . ففيها نقرأ أن النبيل كان يطعم الجوعان ويكسو العريان ، وينقل فى سفينته عبر النيل من ليست له سفينة — وفى وقت المحن كان يمد إقليمه بالغلال ، ولعل دعواه فى أنه لم يسلب أرملة أو يغتصب حق يتيم لم تكن مجرد عبارات تقليدية ترددها النقوش — وقد أولع الأشراف بالرياضة فكان النبيل يخرج على قدميه لصيد ما يجده من حيوان فى الصحراء ؛ أو يركب قارباً من البردى يمخر به المستنقعات لصيد السمك بالحراب أو وحش الطير بعصا صغيرة .

**ظهور الطبقة الوسطى :**

كان ظهور طبقة متوسطة وفيرة العدد من أهم المميزات الاجتماعية للدولة الوسطى ، ولهذه الطبقة مقابر كثيرة فى أبيدوس حيث تخيل المصريون وجود قبر الإله العظيم أزيريس وتمنى كل مصرى صالح أن يدفن على مقربة منه . وكان إذا أدرك استحالة ذلك قام على الأقل بالحج إليه أو أوصى بأن تحمل جثته بعد تحنيطها إلى أبيدوس لتحضر احتفالا دينياً قبل أن ترقد فى مقرها النهائى فى مدينته أو إقليمه — وهكذا كانت أبيدوس مركزاً دينياً هاماً فى القطر المصرى .

( للبحث بقية )

**أحمد نجيب هاشم**

# فرويد ونظرية التحليل النفساني

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

مذهب فرويد أو فلسفته من المذاهب التي لقيت رواجاً عظيما في العصر الحاضر ، وأحدثت انقلاباً في علم النفس ، وانقسم العلماء بالنسبة لآرائه إلى فريقين : معسكر الأنصار والمحبذين والتلاميذ ، ومعسكر المنكرين والناقدين . ومن تلامذته الذين خرجوا عليه وكونوا مذاهب جديدة في تفسير الحياة الإنسانية « أدلر ويونج » .

ويرى فرويد — كما يرى غيره من علماء النفس — إلى تفسير الأعمال الصادرة عن الإنسان . فليس هناك عمل نفسي مهما خيل إلينا أنه تافه يخلو من معنى . فإذا بدا لنا أحد هذه الأعمال غيثاً ، فواجبنا أن نسعى إلى كشف العلة في حدوثه ، والغرض الذي يرمي إليه ، والنزعة التي دفعت إليه

ونضرب مثلا لما قدمنا يوضح ما يذهب إليه فرويد قبل أن ندخل في صميم نظريته : دخلت خطيبة إلى الحمام وخلعت خاتم الخطبة ونسيت أن تلبسه ثانياً ، ثم أخذت تبحث عنه ولم تهتد إلى مكانه . نسيان الخاتم سلوك صدر عن الفتاة قد يفسره البعض أنه راجع إلى الشرود أو الانشغال أو الصدفة . وكثير من الناس لا يجدون تعليلا لهذا العمل . أما فرويد فيجعل السبب في ذلك رغبة الفتاة عن خطيبها وعدم رضائها عن الزواج ، فتحركها هذه الرغبة الباطنة التي لا تشعر بها ، لأنها موجودة في اللاشعور إلى نسيان الخاتم ، وهو رمز الزواج .

هذه النظرة إلى الأعمال الإنسانية علمية وديناميكية .

فهي علمية لأن فرويد يحاول ربط المظاهر بالأسباب كما يجرى في عالم الطبيعة . فهي نظرة جبرية Determinist . وليس هذا مما يعاب على فرويد ، بل على العكس مما يمدح به محاولته هذا التفسير الجبري الذي بدونه لا يستقيم العلم الصحيح ، بل يخرج علم النفس من ميدان العلوم .

وهي نظرة ديناميكية ، لأنه يجعل للنفس الإنسانية قوى متحركة يصدر عنها السلوك . وفي ذلك يقول في كتابه « مدخل إلى التحليل النفساني » ما يأتي :

« ليس غرضنا أن نصف ونرتب المظاهر فحسب ، بل نريد أيضاً أن نراها علامات على حركة القوى العاملة في النفس ، كأنها مظاهر ميول لها غرض محدود ، سواء أكانت هذه الميول تعمل في اتجاه واحد أم في اتجاهات متعارضة . إننا نسعى وراء تكوين نظرة ديناميكية Conception dynamique للمظاهر النفسية »

وقد أوردت هذا النص امثلة ، ذلك أن أحد الباحثين في علم النفس ، وهو الدكتور يوسف مراد المدرس بكلية الآداب قال في كتابه « شفاء النفس » ص ٩٥ ما يأتي :

« تمتاز فلسفة فرويد بكونها ميكانيكية جبرية ، فإنها تنظر إلى الإنسان كأنه آلة عديمة الحرية خاضعة كل الخضوع لقوى خفية لا يمكن التغلب عليها إلا بالحيلة » . وقال في مكان آخر : « أما فلسفة ادلر ، فهي على نقيض فلسفة فرويد ، تمتاز بكونها غائية اختيارية تفاؤلية . ونعلم أن المذهب الغائي على نقيض المذهب الميكانيكي » ص ٩٧ — ٩٨ . فهو يجعل مذهب فرويد ميكانيكياً

ويقول الطبيبان ريجي وهسنار في كتابهما التحليل النفساني ص١٥ : « إن نظرية فرويد تمثل الحياة النفسية في نظرة موضوعية على طريقة النظر إلى الوقائع العلمية ، كما تمثلها مذهباً (System) يتطور باستمرار ، يحتوي على قوى أولية متعارضة أو مكونة أو منتجة . ونستطيع تطبيق اصطلاح علم النفس الديناميكي على هذه النظرة الديناميكية للعقل »

وقد أخطأ الدكتور يوسف مراد خطأ آخر ص٩٧ : « وأخيراً يجب أن نشير إلى الشجاعة التي واجه بها فرويد المشكلة الجنسية وإلى الدقة الفائقة التي حلل بها مختلف مظاهر الوظيفة الجنسية ، غير أنه أسرف ، وخاصة تلامذته ، في إرجاع كل ظاهرة سلوكية إلى الغريزة الجنسية »

وليس الأمر كذلك عند فرويد ، لأنه لا يرجع كل شيء إلى الغريزة الجنسية ، بل بعض تلامذته ، وأولئك الذين كتبوا عنه كتابات شعبية تحمل معنى التعميم والتبسيط . وقد دافع فرويد عن نفسه ضد الذين يخطئون فهمه فقال : « لقد كررت وأعلنت بكل وضوح ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، بمناسبة الأمراض النفسية الانتقالية ، أنني أميز تماماً بين الغريزة الجنسية وبين الغريزة النفسية ( Tchtriebe ) ، وأن اللبيد Libida ، يعني نشاط الغريزة الجنسية . إنه يونج — لا أنا — الذي

يجعل من الليبيد مساوياً للدافع الغريزى لجميع القوى النفسية » .

وقال فرويد فى موضع آخر : « لم يغفل التحليل النفسانى مطلقاً وجود ميول غير جنسية ، وقد أقام التحليل النفسانى بناءه على مبدإ الفصل التام الواضح بين الميول الجنسية والميول المتصلة بالذات أو الأنا le moi ، وقد أثبت التحليل دون انتظار الاعتراضات الموجهة إليه ، أن الأمراض النفسية ليست نتيجة الغريزة الجنسية ، بل نتيجة الصراع بين الأنا والغريزة الجنسية Conflit entre Le moi et la sexuatitè » .

وهنا نجـد أن الدكتور يوسف مراد يقع فى خطأ ثالث إذ يقول : « إذ ليس هذا رأى فرويد كما رأينا ، لأن المرض قد يقع نتيجة الصراع بين الغريزة الجنسية والأنا فى حالة الشعور ، وقد يكون الصراع فى اللاشعور فقط . فالعنين الذى يشعر بعجزه عن مباشرة المرأة يضطرب نفسانياً لشعوره بالضعف » .

والغريب أن الدكتور يوسف مراد أنصف نظرية فرويد ص ٨٦ بقوله : « والواقع أن المشكلة النظرية التى أثارها التعارض بين فرويد وأدلر لا تزال حتى الآن متعلقة . بل يبدو أن النزاع بين الفريقين يزداد عنفاً ويتجاوز حدود المناقشة العلمية الهادئة إلى أساليب التهكم والتحقير » . ثم عاد وحقر نظريته بما يخرج عن الأسلوب العلمى

وأذكر الآن حالة مريض عالجته على طريقة فرويد لأثبت صحة نظريته . جاءنى شاب يشكو ضيقاً وقلقاً وتبرماً وانصرافاً عن الاستذكار ، وتبلغ سنه اثنين وعشرين عاماً ، يعيش مع أخيه الأكبر ، يتناول من والده مرتباً لمصروفه الشخصى أربعة جنيهات فى الشهر . سألته عن أحواله الجنسية فقال : إنه يتصل بالعاهرات ، ولكنه لايستطيع الزواج نظراً للظروف الاجتماعية إذ لايزال طالباً ، ولايستطيع الصبر عن المرأة . وبالبحث اتضح أن ضميره يؤنبه على هذه الصلة غير الشريفة ، فهناك صراع بين الغريزة الجنسية وبين نفسه الخلقية ، وكلاهما كان فى مستوى الشعور ، وحلت المشكلة بتعليمه التسامى بالغريزة الجنسية نحو الموسيقى التى برع فيها .

وحيث كان فرويد يجعل للغريزة الجنسية أهمية كبيرة فى حياة الإنسان ، ويجعل لتجاربه الماضية المسجلة فى اللاشعور أثراً فى سلوكه الحاضر ، فقد بحث فى الحياة الجنسية للفرد منذ ولادته حتى دور المراهقة ، وافترض أن الرضيع يشعر بلذة جنسية من امتصاص ثدى أمه ومن إخراج الفضلات ومن الملامسة مما لا يتسع تفصيله الآن

وإنما نذكر أهم الاعتراضات العلمية التى توجه إلى نظرية فرويد لتكون ماثلة بالبال

وأولها أن نسبة لذة جنسية إلى الرضيع والصغير فيها شىء كثير من الإسراف والغلو بل الجرأة . ثم إن فرويد يقيم بناء نظريته على دراسة المرضى والشواذ ، ويتخذ من هؤلاء سبيلا إلى أحكام عامة يصدرها على سواد الناس وهم الأغلبية ، فيحكم بالخاص على العام ، وبالشاذ على السليم . كما أنه لا يعنى أن تفسر شخصية الإنسان فى ضوء الغريزة الجنسية ، ولو عكسنا لأصبنا الحق ، فتصبح الغريزة الجنسـية وما يتبعها من مظاهر إحدى وظائف الفرد التى تدخل فى حسابنا ، وليست كل وظائفه على رأى المغالين فى مذهب فرويد .

**أحمد فؤاد الأهوانى**

# الخائبون . . . !

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

ان أولئك الذين يقسمون الحياة إلى قسمين: ملهاة، ومأساة، قصيرو النظر ؛ فالحياة أكبر من هذين ، وهي تحويهما لأنها أوسع من أن تحد بحالتين فقط ، وإن كانت هاتان الحالتان تمثلان طرفي نقيض

وحيث تنتهي الملهاة تبدأ المأساة في حياة كل فرد أومجموع ، كما أن نهاية المأساة قد تكون بداية لملهاة جديدة ... وهكذا

والناجحون في الحياة هم أناس رأوا منها جانباً واحداً فقط . وبينهم وبين أن يدركوا معنى الحياة بصورة شاملة عبور الجانب الآخر ..

ولا يضير هذه القاعدة أن يعيش في الدنيا أناس جربوا النجاح حتى آخر لحظة من حياتهم ، أو أن يكون هناك آخرون لم يصادفوا غير الفشل . فالواقع أن هؤلاء هم الشذوذ الذي يثبت القاعدة ولا ينفيها .

ويجب أن نفسر ما نرمي إليه من النجاح أو الفشل في الحياة الفردية ، فقد يفهم كثير من الناس من النجاح جانباً واحداً مثلا ، وقد يكون هذا الجانب هو الثروة عند الفقراء ، أو الصحة عند المعلولين ، أو سواء الخلقة عند المشوهين .

ولكن النجاح الذي نرمي إليه هو قدرة الفرد أو المجموع على بلوغ مثل أعلى لا يتقيد بحاجات الفرد الزمنية أو المادية ، وينطوي على فكرة سامية وهدف مقصود .

والخائبون في بلوغ هذا الهدف ، مع استمرار كدهم ، هم الذين يستحقون العناية ، لأنهم بذلوا جهدهم كله ، وما زالوا يبذلون ...

***

قيل إن غادة جميلة لم يأسر قلبها حب ، ولم تجرب بعد زكامه ، اختصم حولها رجلان كأن كل واحد منهما يظهر لها أقصى غاية الحب والتضحية ... فحارت في أمرها ، ولم تجد في قلبها هوى معيناً نحو أحدهما على التخصيص فصممت على أمر !

قالت لهما : إنها لا تشعر بميل قطعي إلى أحدهما ، ولكنها ستهب نفسها للفائز منهما في صراع ينشب بين الإثنين ، يقرر الغلبة لواحد منهما !

واصطرع العاشقان وتمت العملية بفوز الفائز ... !

والتفت هذا مفتوح الذراعين ليحتضن أمنيته في الحياة ... فما راعه إلا أن رآها منكبة على العاشق المصروع ، تضمد له أوجاعه ، وتهب له قلبها ! !

فلما سئلت : لما ذا غيرت رأيها ؟ أجابت بأنها لا تستطيع إلا أن تحترم ذلك الذي أفنى كل جهده في سبيل الحصول عليها ، ولم يبق لديه بعد ذلك شيء يغنيه ! !

وهذه المرأة سليمة الشعور ، قويمة العاطفة ، وهي خير مثال يضرب لفكرة تقدير « البطل الخائب » ، وإن كان هو في هذا المثال قد خرق القاعدة فنال ما تمناه بسهولة ...

والنجاح السهل الذي يخيل لبعض الناس أنه ميزة يمتاز بها بعض من حبتهم الطبيعة ما يسمونه « الحظ » ، قد شوه الواقع تشويهاً ، وأصبح من جملة الشرور البشرية التي يكابد منها كل فرد في كل مجموع !

***

النجاح السهل هو ما يريده كل الناس في كل الأزمان ، لأنه خير اختصار للمجهود الشاق الذي ينبغي على الحي أن يبذله في سبيل حياته !

وأسطورة « الحظ » هي الحلم الذي يطرق أخيلة الطامحين بعد كل كابوس !

وليس معنى هذا أن ليس هناك « حظ » في الدنيا ، ففيها كثير من الحظوظ والمحظوظين ، ولكنهم — هنا أيضاً — القلة التي تثبت القاعدة ولا تنفيها

ومن هذه الأسطورة نشأت شرور « الحياة الحالمة » التي تبدأ بالراهقة ، وقد تنتهي بالسجن والعذاب ، أو بشقاء المسؤوليات التي لا يستطيع الفرد أن يضطلع بها

والحالمون هم أولئك الناس الذين يريدون أن يختصروا الطريق إلى غاية معينة لكي ينصرفوا — من بعدها — إلى المثل

الأعلى الذى يسمون إليه ، فلا تنتهى حياتهم قبـل أن يقطعوا الطريق ، وتلتاث أفكارهم فى الصراع على الآونة الحاضرة ، ويصبح المستقبل عندهم أبعد من الماضى

والمقامرون هم خير مثال لنوى الحياة الحالمة إذ كان مثلهم الأعلى هو الثروة ! والموسوسون هم خير مثال لأولئك الذين يريدون السعادة الطهرية من أقرب طريق !

***

أما شر ما يمكن أن يصنعه « الحالم » فى هذه الدنيا ، فهو بعد أن يتحقق حلمه الأول

فليست هناك قوة تقنع الإنسان بعد تحقق أول حلم له بأنه غير موهوب وذى رسالة ينبغى عليه أن يؤديها

ومن هنا يبدأ النزاع الأبدى بين المنطق والواقع ، ويشتد الصراع بين قوة قوية دافعة ، وبين واقع واقف كالجدار

وتحل النكبة عند اختراق أول جدار ، لأنه يفك أسر جميع ما فى الفرد من قوات مخزونة لكى يندفع إلى الأمام

ولا تنتهى حياة كهذه إلا بكارثة ، وأهون الكوارث فى هذا المضمار هى الكارثة التى تقتصر على الشخص الفرد نفسه ، ولا يشترك معه آخرون

وما هـذه الحرب التى نكابد شرورها إلا نتيجة كابوس طويل لرجل حلم تحقق حلمه الأول !

***

الخيبة مرحلة من مراحل الحيـاة يجب أن يتخطاها الفرد لكى يكون ذا تجربة

ولا يضير هذه القاعدة قول « أوسكار وايلد » إن « التجربة هى اللفظة التى اصطلح الناس على تسمية أخطائهم بها »

فالواقع أن الخطأ كالخطيئة ، هو الجانب الآخر الذى يقاس به الصواب والفضيلة . وكما أن الخطيئة عمل إيجابى قائم بذاته ، فكذلك الفضيلة ، وكل فضيلة مبنية على السلب فهى شق ينبغى تكملته

وكل نجاح سهل يحصل عليه الإنسان ، فهو الشق الناقص من حياته ، وينبغى تكملته

ومن لم يصطرع فى حياته تهشم عند أول صراع بعد نجاحه

وليس انتحار الموسرين والأصحاء والموهوبين إلا لأنهم حازوا أكبر نجاح بأقل خذلان ، ولأنهم اصطدموا بالواقع لأول مرة فى حياتهم ، جاءت الرجة أقوى مما يتحملون

ولهذا فلن يكون مما يضير الإنسان الكامل الإنسانية أن يكون « خائباً » !

**عبد الوهاب الأمين**

الأدب في سير أعلام :

# ملتن ...

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال .. ]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٢٧ —

في ميدان السياسة :

ورضيت حكومة كرمول عن ملتن أعظم الرضاء وأصبح لديها المكين الأمين ، ورفع كتابه ذكره في أنحاء أوربا ، ومما ساعد على ذلك أن كثيرين كانوا يضيقون بترفع سلامسيس وصلفه ونظرته إلى الكتاب والأدباء جميعاً نظرة الزعيم الذي لا يرضى منهم بغير الإذعان له ، وساعد عليه كذلك أن الناس عادة ينجذبون إلى الكاتب الجديد الذي يظهره موقف كهذا الموقف . هذا إلى أن ملتن كان يتغنى بالحرية ويدافع عن حق الشعب فتشيع في عباراته حرارة الوطنية ، وهو انجليزي يناضل عن بني جنسه ، بينما يرى الناس سلامسيس يعمل لحساب غيره في قضية لا يربطه بها رباط إلا استجابة لشارل الثاني ، وشتان بين موقفه وموقف خصمه ...

وأصبح مقر ملتن في ديوان الحكومة كما أصبح بيته قبلة الزائرين من ذوي المكانة وأعلام الأدب من الإنجليز وغير الإنجليز من الأجانب الذين يهبطون انجلترة ، ولا ريب أن هذا قد أثلج فؤاده وأبهج نفسه ، فما أشد ولوعه بنباهة الشأن وبعد الصيت ! !

ويزعم جونسون أن ملتن قد نال جزاءاً على صنيعه ألف جنيه صرفت له بإذن من البرلمان ، ولكن بايتسون ينكر هذا الزعم ويقول : إن جونسون هو المسؤول عن شيوعه في كل ما كتب عن ملتن من تراجم ، فهو خالق هذا الزعم ؛ والحق أني لم أجد فيما زعم جونسون برهاناً لزعمه ولا فيما أنكر بايتسون دليلا لإنكاره ، ولعل جونسون تأثر بما قاله سلامسيس إذ أنه اتهم ملتن فيما اتهمه به بأنه مأجور يكتب ما يكتب لا عن عقيدة ولكن عن رغبة في الكسب ، ويعتمد بايتسون في نفيه هذا عن ملتن على مجرد استبعاد حدوثه ، فما يتفق هذا وما طبع عليه ملتن من كبرياء واعتزاز

على أن ملتن في الواقع قد دفع ثمن ما كتب ، ودفع ذلك الثمن غالياً لا يقوم بمال ولا بشيء من أعراض هذه الحياة ، وأي شيء أغلى عليه من ناظريه ؟ لقد كان ذلك المجاهد الحر يشكو العلة في عينيه منذ بضع سنين ، وكانت تنتابهما غشاوة من حين إلى حين ؛ وفي سنة ١٦٥٠ ذهب النور من عينه اليسرى ، وحذره الطبيب ملحاً ، وما برح يكرر عليه أنه إذا أجهد عينه اليمنى ، فهي ذاهبة كأختها لا محالة ، ولكنه جاد على وطنه بما بقي من بصره ، قال في ذلك بعد أن وقعت الكارثة بسنتين أي سنة ١٦٥٤ : « لقد كان عليّ أن أختار بين أن أنكص عن واجب سام أو أفقد بصري ، وفي هذه الحالة ما كنت لأستطيع أن أصيخ إلى الطبيب ... ولم يك في وسعي إلا أن أستجيب إلى ذلك المرشد القائم في داخلي ، ذلك الذي لست أدري ما هو ، والذي تحدث إليّ من السماء ، واعتبرت في نفسي أن كثيرين قد اشتروا ما هو أقل خيراً من هذا بضر هو أعظم مما يتهددني من ضر ، كهؤلاء الذين يبذلون نفوسهم مثلا ليشتروا المجد فحسب ؛ وعلى ذلك فقد جمعت عزمي على أن أبذل ما بقي من بصري على قلته في أداء أعظم ما في طوق أداؤه من خدمة للصالح العام »

ولقد أقبل المجاهد المصمم لم ينكص عن جهاده ، وإنه ليعلم أن ذهاب بصره هو عقباه التي لا محيص عنها ؛ وما دخلت سنة ١٦٥٢ حتى حلت به الكارثة وا أسفاه ، فحيل بينه وبين النور ، وغشيته الظلمة ، وهو لا يزال من عمره في الثالثة والأربعين وباتت عيناه اللتان كانتا أجمل ما في محياه الأبلج الحلو أقوى دواعي الحزن والألم لكل من تطلع إلى ذلك المحيا الكريم ؛ وكانت الأرض يومئذ تأخذ زخرفها وتتزين للربيع ، ولكن الشاعر الذي عشقت روحه الجمال لن يرى بعد اليوم جمالا لربيع !

وما نحسب أن في تاريخه على ما يزخر به من الشواهد على شجاعته شاهداً هو أجل من هذا أو أصدق منه أو أبعد أثراً في النفوس ، وإنا لنحس حياله مثل ما نحسه حيال فارس ترك في الميدان شلوا من أشلائه : أو سقى أرض وطنه بفيض من دمه !

ولأن فقد البصر يحول بين عامة الناس وبين متع الحياة ، فذهاب بصر الشاعر أو الكاتب معناه الحيلولة بينه وبين طلب الحكمة ، وهذا أوجع فى نفسه وآلم لخاطره من حرمانه من اللهو ومن زينة الدنيا ؛ ولنا أن نتصور وقع هذا فى نفس كنفس ملتن ، ذلك الذى ما انصرف يوماً عن القراءة والدرس على الرغم من كثرة شواغله وتعدد مشاكله !

**البطل الضرير**

أحاطت الظلمة بالشاعر العظيم ، فهل ذهبت نفسه حسرات على ما أصابه ؟ كلا ، بل تماسك للخطب وقد أنذره قبل وقوعه ، وتدرع بالصبر ، وإنه لذو كبرياء حتى على الدهر وأرزائه ؛ وما كان لروح مثل روحه أن تهن مهما كرثته الأهوال ونزل به ما يعيا بحمله الرجال !

وراح البطل يتلمس العزاء لنفسه ، فكان عزاؤه الذى اطمأنت إليه روحه أنه أدى لوطنه صنيعاً جليل القدر بكتابه الذى رد به على سلاميس ، فليس بضائره بعد ذلك أن يذهب فى سبيل صنيعه بصره ...

وثمة عزاء آخر يدلنا على شدة اهتمام ملتن بنفسه وفرط اتجاه فكره إلى ذاته ، وعظم انطواء شعوره على ما عسى أن يكون شعور الناس نحو شخصه لا فى جوهره فحسب ، ولكن فى مظاهره كذلك ؛ وذلك ما أحس به من ارتياح ، إذ علم أن ذهاب بصره لم يؤثر فى مظهر عينيه ؛ عبر عن ذلك الارتياح فى قوله : « إن عينى لم يمسهما فى مظهرهما ضر ، وإنهما لتلتمعان بضوء لم تحجبه غشاوة ، ومثلهما فى ذلك مثل عينى من يبصر بصراً تاماً ، وهذه هى الناحية الوحيدة التى أجدنى فيها على الرغم منى منافقاً » ؛ وفى إشارته إلى ما عده نفاقاً منه سخرية عذبة وتهكم لا يخلو من مرارة ...

ولندع ملتن نفسه يفصح عما جال فى خاطره نتيجة لما أصابه ، فقد عبر عن ذلك أبلغ تعبير وأصدقه فى مقطوعة من مقطوعاته ، وأشار إليه إشارة رائعة فى مقطوعة أخرى ، قال فى الأولى : « إذا أنا تفكرت كيف انطفأ من حولى الضوء قبل أن أقضى نصف أيامى فى هذه الدنيا الواسعة المظلمة ، وكيف عطلت فىّ تلك الملكة الوحيدة[1] التى يعد تعطيلها موتاً من الموت ، بينما أجد نفسى أكثر نزوعاً لأن أخدم بها خالقى[2] وأن أقدم حسابى الحق بين يديه ، خشية أن يحق علىّ لومه ؛ إذا أنا تفكرت فى ذلك تساءلت فى حماقة : هل جعل الله النهار للعمل ، بينما أحرم هكذا من الضوء ؟ ولكن الصبر كى يقضى على هذه الشكوى لايلبث أن يجيبنى : إن الله غنى عن عمل الإنسان وعن مواهبه[3] فإن الذين يذعنون لسلطانه الرحيم خير إذعان هم الذين يخدمونه خير خدمة ، وإن مكانته لهى مكانة الملك المهيمن ، يجرى بأمره الألوف[4] فى البر والبحر دائبين ، وكذلك يخدمه من هم واقفون لأمره منتظرون » ... وقال ملتن فى المقطوعة الأخرى يخاطب صديقه سيريك سكنر : « أى سيريك ، منذ ثلاث سنوات وهاتان العينان وهما من النور سليبتان ، ولو أنهما سليمتان فى مظهرهما الخارجى من العيب ومن الغشاوة قد نسيتا إبصارهما ، ولا يقع فى مقلتيهما المكفوفتين منظر لشمس ولا لقمر ولا لنجم خلال العام ولا لرجل ولا لامرأة ، ومع ذلك فلست أشكو يد الله ولا مشيئته ، لا ولا ينقصنى شىء من حماسة القلب ومن الأمل ، بل أحتمل وأمضى قدماً ، ولعلك تسأل : ما ذا يعيننى ؟ ألا إنه شعورى أيها الصديق بأنى فقدتهما مرهقاً بالعمل فى سبيل الدفاع عن الحرية ، ذلك العمل النبيل ، عملى الذى ترن به أوربا من جانب إلى جانب ؛ وإن هذا الخاطر لخليق أن يقودنى فى متاهة هذه الدنيا ، فأسير به رضىّ النفس ، ولو أننى أعمى ولم يتح لى غيره رائداً أسمى »

واختير له فى أبريل سنة ١٦٥٢ مساعد يصرف شؤون وظيفته بأمره ، ويقرأ له ما يقتضيه عمله من قراءة ، ويكتب ما يمليه عليه مما يستدعى العمل أن يدون ؛ وأقبل ملتن على عمله كأن لم يعقه عنه عائق ، يشعر من يدانيه أنه رخى البال مطمئن الخاطر ، لا يفتر اهتمامه بالسياسة ، ولا يتخاذل عزمه أو تتطامن كبرياؤه ...

وفى مايو استطاع ملتن ولم يمض شهر على مصيبته أن ينظم

---

(١) يقصد ملكة الكتابة
(٢) فى ذلك إشارة إلى ما كان يفكر فيه من موضوع لقصيدته
(٣) غنى بملائكته (٤) من الملائكة

مقطوعة وجهها إلى كرمول عنوانها «إلى اللورد جنرال كرمول» ولم يك كرمول يومئذ قد سمى حامى الجمهورية بعد ، وإنما كان بسبيل أن يحمل هذا اللقب ، إذ كان ينظر إليه كأعظم رجل فى الدولة ، وألزم شخصية لسلامتها إذ ذاك ، وقد نجاها بعد هزيمة الملك مما كان يتحيفها من مهالك ، فأعاد النظام إلى إرلندة سنة ١٦٤٩ ، وهزم الملكين فى اسكتلندة سنة ١٦٥٠ والتى تليها وأجبر شارل الثانى على الفرار إلى فرنسا ؛ وبذلك قبض على أزمة الحكم فى المملكة جميعاً ، ولم يبق يستدعى حكمته وهمته إلا ما يتصل بالناحية الدينية ، فقد كثرت الفرق والطوائف التى يخشى من اختلافها بعضها مع بعض ، فهناك قساوسة شارل الأول ، وهناك البرسبتيريز ثم المستقلون ؛ وتركت بعض الكنائس بغير رعاة من هؤلاء ولا من هؤلاء ؛ ودعا فريق إلى أشراف الدولة على الكنيسة بحيث يتمشى النظام السياسى الجديد مع نظام دينى يشاكله ، ورغب فريق آخر إلى القضاء على الكنيسة الأنجليكانية ، أى كنيسة الدولة الباقية من عهد شارل ، واقترح بعض المستقلين وضع نظام جديد لكنيسة لايقبل فيها رجل من رجال الدين إلا إذا أقر خمسة عشر مبدءاً أساسياً وضعها هؤلاء ، وإذ ذاك لم يرض ملتن عن هذه القيود ، واهتاجه الحنين إلى الدفاع عن الحرية ، وتخالجه السخط على هؤلاء الذين يريدون شراً بالحرية الدينية فى عهد الحرية السياسية ، فنظم مقطوعة يناشد ملتن أن يتجه من شؤون الحرب إلى شؤون السلم ليدافع عن الحرية الدينية فى مهارة وجدارة ، كما دافع عن الحرية السياسية !

وكأنما كان بين ملتن وبين القدر ثأر ، فلم يكد يفيق مما غشيه ويذهب عنه روعه ، حتى روع بموت وحيده الطفل فأرمض جوانحه الحزن ، وكان لا يذكر ولده أو يقع فى سمعه إشارة إليه من قريب أو من بعيد إلا تبادر دمعه فامتلأت به عيناه الكفيفتان فما استطاع — وهو القوى الجلد — أن يحبسه ! وضربه الدهر ضربة أخرى ولما يرقأ دمعه ، إذ ماتت زوجته بعد ابنها بشهر وبعض شهر فى يونيو سنة ١٦٥٢ ، وقد وضعت له أنثى فتركتها فى سرير الوضع ووسدت التراب وهى بعد فى السادسة والعشرين وقد مضى على زواجها بملتن تسع سنوات ، وعاشت معه نحو سبع سنوات بعد أن صلحت ذات بينهما

وهكذا تتوالى عليه المحن وتتنوع صروف الدهر فتمحصه وتثبت فؤاده ، ويجمع فى حياته بين وجهى الشجاعة ، فله إلى جانب إقدامه وحميته عظم صبره وصرامة عزيمته !

وحق له أن يستريح من السياسة ومتاعبها ، وأن يطلب العزاء فى قيثاره وله فى هوميروس من قبله أسوة ، وما يكون له بعد ما حاق به عزاء إلا الشعر ، لعله يقضى منه مآرب صباه ومنزع هواه بعد أن شغلته عنه الحوادث سنوات طويلة

ولكن البطل الضرير لم يكد ينزع إلى الراحة ويستنشى نسائم الشعر ، حتى انبعثت صيحة جديدة من نفس المكان الذى انبعثت منه الصيحة الأولى ، فنشر فى هيج كتاب جديد باللاتينية سماه صاحبه « استصراخ دم الملك السماء على الخائنين من الإنجليز » وأخذ مؤلفه يسخط على كرمول وجنوده فى عبارات شديدة نجد مثالا لها فى قوله : « إن جريمة اليهود بصلب المسيح ليست شيئاً مذكوراً إذا قيست بإعدام شارل الأول » ؛ ثم راح يمتدح سلامسيس ويطنب فى مدحه ويغلو فى ذلك غلواً كبيراً ؛ وبقدر ما أسبغ على سلامسيس من مدح كانت سهامه التى قذف بها ملتن ، فهو عنده دودة تدب من كومة قمامة ، وهو أحط من القرد وأكثر ضآلة من البقمة ، وهو أرنب فاتر وصعلوك جائع هزيل ، وإنه لجاهل طرد من كمبردج لاستهتاره وتبذله . وفر إلى إيطاليا لما لحقه من عار إلى غير ذلك من عبارات أقل ما توصف به أنها البذاءة فى أشنع صورها وأرذلها .

( يتبع ) **الخفيف**

---

# الحلم والتحلم ...

للاستاذ محمود عزت عرفة

— ٢ —

« إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتخير الخير يعطه ، ومن يتوق الشر يوقه »

حديث شريف

**معاوية بن أبي سفيان :**

استبد معاوية بأمر الشام بعد إذ جنح إليه سواده ، وقامت بنصرته أجناده ؛ فناوأ بهم « علياً » على عرش الخلافة ، وأضرم على أهل البيت وأبناء العراق من شيعة أمير المؤمنين نار حرب عوان أعادت أيام الجاهلية جذعة بعد أن عفَّت على تراثها أخوة الإسلام ، ومسحت جراحها يد الشريعة السمحة . ومهما يكن من شأن معاوية فلقد كان صحابياً جليلا عامر القلب بالإيمان ، زاخر النفس بالورع والتقوى ، أشدّ ما يكون خليفة حدباً على الإسلام والمسلمين ، وأعظم ما يكون خشية على هذه البنيَّة الناهضة أن تتصدع وتنهار ، وهو يرى جوائح الحرب تعصف بقوائمها وتتحيف من دعائمها .

ولعله كان بسبيل أن يراجع أمر نفسه ، ويتدبر السبيل للخروج بالمسلمين من هذا المأزق الذى التاثوا فيه عند ما قُتل « على » بيد ابن ملجم ، فاستقر زمام الأمور بيد معاوية ، وتدلت إليه قطوف النصر ثمراً جنياً .

ولم يصعب عليه بعد ذلك أن يعالج أمر الحسن بن علىّ بما يكفيه مؤنة قتاله ويدفع عنه شرّ خلافه ؛ فالتأمت صفوف المسلمين وأغمدت سيوفهم ، وسمى معاوية هذا العام عام الجماعة[1] وكانت مسرته بالغة بما آل إليه أمر هذا الخُلف ، وثقته فى مستقبله عظيمة عظمَ قوته فى حاضره ، ثابتة ثبات كفاحه فى ماضيه .؟

(١) كان ذلك سنة ٤١ من الهجرة ، وقتل على سنة ٤٠ هـ .

حتى لأقبل غداة النصر على أعدائه من بنى هاشم باسط اليدين بالمنحة وبالعفو وهو يقول :

يا بنى هاشم : والله إن خيرى لكم لممنوح ، وإن بابى لكم لمفتوح ، فلا يقطع خيرى عنكم علة ، ولا يوصد بابى دونكم مسألة .

سلك معاوية نهجاً من التسامح امتلك به القلوب ، وبقدر اطمئنانه على ملكه كان تسامحه وإغضاؤه ، وعلى حسب مقدرته على الأخذ كان جنوحه إلى الإهمال والترك . يقول فى خطبة له مشهورة ألقاها بالمدينة عام الجماعة : « والله لا أحمل السيف على من لاسيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك دَبْر أذنى وتحت قدمى » .

وكأنما كان يخجل معاوية أن يحول بين أعدائه وما يتشهَّون من تناوله بألسنتهم ؛ بعد إذ تناولهم هو وجنوده غير راحمين طعناً وضرباً بأطراف الرماح وأسنة السيوف . ولقد دخل وهو خليفة على صعصعة بن صوحان العبدى — وكان سجيناً عنده — فقال له صعصعة فى حوار بينهما غير راهبٍ منه ولا خاش : أما والله مالك فى يوم بدرٍ مضرب ولا مرمى ، وما كنت فيه إلا كما قال القائل : « لاحلِّى ولا سيرى » ولقد كنت أنت وأبوك فى العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإنما أنت طليق ابن طليق ، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنى تصلح الخلافة لطليق ؟

فقال معاوية : لولا أنى أرجع إلى قول أبى طالب حيث يقول :

قابلتُ جهلهُمو حلماً ومغفرة
والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

... لقتلتكم !

ولقد أسبغ معاوية عطفه على أهل الشام لسابق مأثرتهم عنده ، وزادهم على العفو واسع المطية وجميل الإقبال ، حتى لأفضل مرة بمائة ألف على أبى جهم بن حذيفة حين قال له : نحن عندك يا أمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال :

نميل على جوانبه كأنا نميل — إذا نميل — على أبينا
نقلّبه لنخبرَ حالتيْهِ فنخبر منهما كرماً ولينا

وقسم مرة قُطُفاً ( جمع قطيفة ) فأعطى شيخاً من أهل دمشق قطيفة فلم تعجبه ، فحلف أن يضرب بها رأس معاوية

فأتاه فأخبره ، فقال له معاوية : أوفِ بنذرك ، وليرفق الشيخ بالشيخ !

كان تحلّم معاوية إذن تكفيراً لما سبق من ضروب الأذى أو وفاء لما مضى من سوالف الجميل ... ولقد أراب ذلك كثيراً من المؤرخين — ممن سجلوا حوادث عصره — حتى لاتّهموه فى هذا الحلم التصنع ، ولم يثبتوه له كفضيلة يحمد عليها ؛ وكان ذلك إما حقداً عليه وغمطاً لحقه ، وإما توسماً فى استنباط سريرة نفسه ، واستكناه بواعث تصرفه ؛ جرياً على سنة المتفلسفين والنقدة من أمثال الجاحظ ؛ فقد ورد فى كتابه البيان والتبيين[1] إنه قيل لشريك بن عبد الله[2] : كان معاوية حليما ! فقال : لو كان حليما ما سفه الحق ولا قاتل عليا ، ولو كان حليما ما حمل أبناء العبيد على حرمه ، ولما أنكح إلا الأكفاء . ثم يقول الجاحظ : وأصوب من هذا قول الآخر[3] : كان معاوية يتعرض ويحلم إذا أسمع ، ومن تعرض للسفيه فهو سفيه . وقال الآخر[3] : كان يحب أن يظهر حلمه ؛ وقد كان طار اسمه بذلك ، فكان يحب أن يزداد فى ذلك .

وكيفما كان الرأى فى حلم معاوية فقد وطد بهذا الخلق الكريم ملكه ، ومسح ببلسمه الجراح التى أسال دماءها ؛ ولم يكن ليلومه على هذا التصرف إلا غِرٌّ مأفون ، أو نزق أرعن سفيه ، وكذلك كان ابنه يزيد الذى عتب على أبيه يوماً فقال : لقد أفرطت فى الحلم حتى خفتُ أن يعد ذلك جبناً ( ! ! ) فأجاب الوالد الحصيف : ليس مع الحلم ندامة ولا مذمة ...

**أبو جعفر المنصور :**

يعد الناس أبا جعفر مؤسساً لملك بنى العباس ، بما بذل فى ذلك من همة وأنفق من جهد ... لكن سبقه إلى تبوُّء عرش الخلافة أخوه أبو العباس السفاح ، ومن ثم يصطلح المؤرخون على تلقيب أبى جعفر بالمؤسس الثانى للدولة العباسية ، ولقد أفضى اللواء إلى يده بعد أخيه فنهض بأعباء الكفاح وحده ، وعنف على مناوئيه عنفاً مزق به أديمهم وفلّ حدهم ، إذ كانوا من القوة ومن الكثرة — وهو الضعيف بجدة ملكه القليل بعدة أنصاره — بحيث لا تجدى مع مثلهم المهادنة ، أو تدفع من بأسهم المطاولة والمصانعة . كان ملك بنى العباس كنبتة غضة لا تكاد تنهض على ساقها لتأخذ حظها من الغذاء والنماء ؛ إلا أن يحيطها بسياج متين من القوة والبطش يرد عنها كيد الموتورين من بقايا آل مروان ، وثورة الحاقدين من شيعة آل هاشم ، وسائر من يتربصون به الدوائر من العرب . ولم تكن قد تهيأت بعدُ لخلفاء بنى العباس تلك القداسة التى حظوا بها على تطاول السنين ، وإنما كانت أكثر العيون تنظر إليهم كدهماء ارتفعوا على ظبات السيوف إلى تلك المكانة العلية التى بلغوها ، فلا غرو إذن أن تكون ظبات السيوف وحدها هى التى تحفظ عليهم هذه المكانة ، وتقرها فيهم وفى أحفادهم من بعدهم[1] . قال عبد الصمد بن على العباسى للمنصور يوماً : لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو . فقال المنصور : لأن بنى مروان لم تَبْلَ رممهم ، وآل أبى طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين قوم رأونا أمس سوقة واليوم خلفاء ، فليست تتمهد هيبتنا فى صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة !

تلك كانت سياسة المنصور التى أخذ نفسه باتباعها مواجهة منه للمخاطر التى تهدد ملكه ؛ ولقد بعثته الريبة على أن يبسط يده بالعدوان إلى أقرب الناس إليه ، من وزرائه وخاصته وأعوانه فضلا عن أعدائه والخارجين عليه . فاستقام للمنصور الأمر ، وعنتْ له الوجوه رغبة منها أو كرهاً ، حتى لعادت إلى نفسه بعد حين تلك الطمأنينة التى تفيء معها النفوس إلى جانب من الحلم والإسجاح ...

---

(١) صفحة ١٦١ من الجزء الثالث . طبعة السندوبى .

(٢) كان شريك بن عبدالله النخعى عالما فقيها تولى القضاء بالكوفة والأهواز أيام المهدى ، ثم عزله الهادى . وقد ولد سنة ٩٥ هجرية بمدينة بخارى وتوفى بالكوفة عام ١٧٧ هـ .

(٣) لعل الجاحظ إنما كان يعنى نفسه بهذا الآخر الذى يحكى عنه .

(١) يضاف إلى هذا أن استيلاء العباسيين على الخلافة كان ينطوى على الخيانة لأبناء عمومتهم العلويين ، إذ كانت الدعوة إنما بدأت باسمهم منذ عهد بنى أمية حتى سلبهم العباسيون حقهم فيها . ويدل على تبلور هذه الفكرة وشدة استيلائها على الأذهان ما حاوله المأمون فيما بعد من تحويل الخلافة إلى على الرضا بن موسى الكاظم ، حتى صده العباسيون عن ذلك بانتخابهم عمه إبراهيم بن المهدى فى بغداد ، وقد رجع المأمون عن رأيه وتخلص من على الرضا بطريقة غامضة ثم قدم بغداد ، فلاذ عمه بأذيال الفرار حتى وقع القبض عليه عام ٢١٠ هـ .

وكأنما كانت نفس المنصور قد غثيت لمنظر هذه الدماء التى أفاضها أنهاراً ؛ أو عادت إليه ثقته ووقاره بعد أن طاحت بهما رهبة الحوادث ، أو هو قد بلغ من نفسه هذا الزجر والتقريع الذى كان يلقاه به أمثال عبد الصمد بن على من فضلاء أصحابه ، وذوى الرأى والنصيحة فيهم ؛ أو كأنما استشعر المنصور قلق الرعية من هذا الكابوس الجاثم فوق صدورها ، ورأى مرجل الحفيظة والسخط يغلى فى قلوب الناس فمال إلى شىء من التحلم بقدر ما استراحت إلى ذلك نفسه ، وكان عجيباً — عند النظرة غير الدقيقة — أن يصدر مثله عن مثله !

ولعله كان لا يزال يعالج هذا الأمر من نفسه ، ويتكلف الدربة عليه ، ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ... عند ما اعترضه المعترض فى خطبة له وهو يذكر بالله تعالى فقال : أذكرك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين !

فكان من جوابه أن هش للاعتراض وبش ، وذكر الله واستعاذ به ثم قال : وما أنت يا قائلها فوالله ما الله أردت بهذا ، ولكن ليقال قام فلان فقال ، فعوقب فصبر ، وأهون بها من قائل لو كانت . وأنا أنذركم أيها الناس أختها ! فإن الموعظة الحسنة علينا نزلت وفينا ثبتت ... ثم أخذ بقائم سيفه وقال : إن بكم داء هذا شفاؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، فليعتبر عبد قبل أن يعتبر به ، فما بعد الوعيد إلا الإيقاع ؛ وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

كان المنصور — وقد ظفر برؤوس أعدائه - لا يضيره أن يعفو عن أذنابهم ، وأن يضفى ثوب حلمه على من نهض مع الرؤساء من أوشاب الناس وعامتهم ، لأن إشمال العقوبة لا يخلو من الظلم ، والعفو عن العامة — وهم سريعو النفرة سريعو الفيئة — أقوم بأسباب الملك وأجمع لشمل الرعية ، وأكفل بتقدم الحياة وانتظام العمران .

قال المنصور يوماً لجعفر الصادق : قد رأيت إطباق أهل المدينة على حربى — يعنى عند ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن العلوى فيهم [1] — وقد رأيت أن أبعث إليهم من يعور عيونهم ويجمر نخلهم . فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ! إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر ، فاقتد بأيهم شئت ، وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون . فقال أبو جعفر : إن أحداً لا يعلمنا الحلم ، ولا يعرفنا العلم ! وإنما قلت هممت ولم ترنى فعلت . وإنك لتعلم أن قدرتى عليهم تمنعنى من الإساءة إليهم ...

وتحقيقاً لهذه الأغراض البعيدة نفسها كان عفو المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ، فإنه كان ممن شق عصا الطاعة ، وداهن فى شأن إبراهيم بن عبد الله العلوى [1] . فلما صار إلى المنصور أمر الربيع بخلع سواده [2] ، ووقف به على رءوس اليمانية فى المقصورة فى يوم الجمعة ، ثم قال : يقول لكم أمير المؤمنين ، قد عرفتم ما كان من إحسانى إليه وحسن بلائى عنده ، والذى حاول من الفتنة والغدر والبغى وشق العصا ومعاونة الأعداء ... وقد رأى أمير المؤمنين أن يهب مسيئكم لمحسنكم ، وغادركم لوفيكم !

وحمل إلى المنصور عبد الحميد بن ربعى بن خالد بن معداق فقال : لا عذر فأعتذر ، وقد أحاط بى الذنب ، وأنت أولى بما ترى . قال : لست أقتل أحداً من آل قحطبة [3] بل أهب مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم .

وعفا المنصور عن عمه عبد الله بن على بعد أن تمت هزيمته على يد أبى مسلم الخراسانى ، واكتفى باعتقاله حتى مات فى محبسه [4] .

وهكذا بدأ المنصور قاسياً شديد القسوة ، ثم تكلف من التحلم ما أفضى به إلى قريب من الحلم ، عند ما استتب له الأمر وبلغت الطمأنينة من نفسه مبلغها .

( يتبع ) محمود عزت عرفة

(١) يلقبونه النفس الزكية . خرج بالمدينة عام ١٤٥ هـ وقتل فى رمضان من نفس السنة ؛ قتله عيسى بن موسى قائد جيش المنصور .

(١) أخو النفس الزكية . دخل البصرة وأعلن البيعة لأخيه ، ثم استولى على الأهواز وواسط . قتله عيسى بن موسى فى موقعة باخرى ، لخمس بقين من ذى القعدة سنة ١٤٥ هـ .

(٢) شعار العباسيين ومن على ولائهم .

(٣) كان قحطبة بن شبيب الطائى أحد الدعاة العباسيين ومن نقبائهم الاثنى عشر ، عقد له إبراهيم الامام اللواء بيده ، وصرفه إلى أبى مسلم فى خراسان ( سنة ١٠٣ هـ ) فأبلى فى قتال الأمويين البلاء الحسن .

(٤) كان عبد الله بن على والياً على الشام ثم ثار عام ١٣٧ هـ طامعاً فى الخلافة ، ولما هزم لجأ إلى أخيه سليمان بن على بالبصرة فأسلمه إلى المنصور سنة ١٣٩ ، وظل فى سجنه حتى مات سنة ١٤٧ هـ

# علوم البــــلاغة
## بين القدامي والمحدثين
للأستاذ كامل السيد شاهين

مدرسة الرسالة ، لها طابعها الخاص ، في المساجلة والنقاش على هذا أسست ، وامتحنتها الأيام بضروب من المحن ، فثبتت على الزعازع ، وانتصرت على الأغراض والأهواء . يعلم ذلك من تابع « الرسالة » منذ مولدها الميمون إلى حاضرها الزاهر .

فالرسالة للجميع بلا تفضيل ولا إيثار . لأن البحث والدرس يلدان الحقيقة التي كانت نشدة أصحاب العقول منذ خلقت الفلسفة وبهما تقررت الحقائق وثبتت، ولم يسفها التضليل مع السافيات .

إذا تقرر هذا ، فليسمح لى الزميلان : الطنطاوى والعمارى ، أن ألفت نظرهما فى رفق إلى مزالق ما كنت أحب لهما أن يتورطا فيها ، أو ينحدرا إليها فقد راع الأول أن يقول أستاذ البلاغة فى الجامعة « الله يقول لنبيه : يا أخى أنت حارق نفسك ليه ؟ » . وراح يزعم أن هـذا إشراك وكفر ، ويستعدى على الجامعة والجامعيين ، ويثير الناس ليداركوا أبناءهم أن يجرفهم تيار الشرك والإلحاد !

بالله هوّن عليك يا على ! ، فليس ثمت شرك ولا كفر ، وأنت أخبرُ الناس بذلك ، وأدراهم أن هذه الكلمة قد فقدت حقيقتها فى أفواه الناس ، ألم تسمع إلى الفلاح يهز حماره ، ويقول يا أخى سِرْ ! أفتراه قصد أخوة النسب أو الرضاع ، أو الآدمية ، أو الحمارية . لا : إنما هى كلمة تحنن وتعطف ! وشبيه بهذا قول السائق لحصانه : ياشيخ ! والنظائر فى هذا أكثر من أن تحصى .

فلا تُرَعْ ، ولا تستنفر وأبق على الجامعة والجامعيين ، ودَعْ حديث الكفر والإلحاد فقد جنت مصر ثمراً مراً فى دهر طويل ، كانت حريّة أن تصرفه فيما يفيد ويغنى !

ثم اللغة العربية ، ليست لغة الإيمان والإسلام ، فقد سبقت الإيمان والتوحيد بقرون طويلة ، فإن أبيْتَ إلا أن تخرُج لنة مؤمنة مسلِمة موحدة ، فدونك فامنع دراستها فى كلية اللغة ودار العلوم بمصر ، ودار العلوم ببغداد ، وأنشىء لك اللغة المباركة التى ولدت مسلمة وشبت مسلمة ، ثم أدعنا ، وإنا — إن شاء الله — لمستجيبون ! وأظن هذه لمحة دالّة فى علاقة اللغة بالإيمان والإسلام . فإن غُمّت فسنفرد لها مقالا خاصاً يضم الشتيت ويجمع المتفرق .

وأما أنت يا عمارى ، فكنت بمنجاة من اللوم ، إذ عرضت للاسلوب الذى تدرس به البلاغة فى الجامعة فلكل امرئ فيما يحاول مذهب ، وما كنت أحسب أنه سيفريك نقد الأسلوب بنقد الآراء ، فأما إذا انحدرت إلى هذا فهلُمّ ! :

(١) تقول : « إن الفكرة المتسلطة عليه فى هذا الفن أن يجعل لكل عبارة من عباراته منبعاً لمعان نفسية » .

إى نَعم ، يا على ، أأنت قرأت تعريف البلاغة ؟ إن الذى لا يختلف فيه اثنان هو أن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ولا أزيد بياناً ولا بسطاً ، ولكن هـذه المطابقة لا تكون إلا بإدراك المتكلم لنفسية السامع وما تحوى من ملابسات ، فهذا هو فحوى كلام الأستاذ الخولى ، أفتمارى فى هذا ؟ إذن فهات تعريفك أنت لعلم البلاغة فانا منتظرون ! .

(٢) تقول : « أن الأستاذ لا يؤمن بالماديات الصرفة ، ولا يستحسن تشبيه الفرس بالثلج فى البياض » ؛ فهو ذاك يا صاح ! فإنه لا يجْمُلُ إلا حيث يكون للبياض مزية كالمساعدة على الاختفاء ، وعدم ظهوره فى آل الصحراء ، فأما إذا لم تعتبر هذه المزية فلا فضل لأبيض على أبلق أو كميت ! وذلك هو ماقصد إليه الأستاذ من تنبيهه على تفاهة التفضيل المقتضى للتشبيه فى بيت ابن الزّبير الأسدى .

(٣) عاب أستاذ الجامعة البيتين :

| | |
|---|---|
| ولا زوردية تزهو بزرقتها | بين الرياض على حمر اليواقيت |
| كأنها بين قامات ضعفن بها | أوائل النار فى أطراف كبريت |

وخلاصة العيب أن الشاعر شبه صورة بصورة فى الوضع واللون ، ولم يلتفت إلى ما وراء ذلك من إيحاءات وأفاعيل ، ينتظرها السامع من شاعر !

وقد خالف عليه الأستاذ العمارى بأن الفن يوجد فى المعانى كما يوجد فى الماديات .

وليس هذا بالكلام يُصغى إليه ، فالماديات بحتة لا تأثير لها وإنما التأثير لما يتعلق بها من معانٍ ، أفإن قلت : إن تمثال الزهرة كالزهرة كنت مشبهاً تشبيهاً مصيباً مؤثراً ، لا إنه لاعتبار إلا لما يوحيه ويستلزمه هذا التشبيه من دقة الصناعة والمهارة فى المشاكهة بين زهرة الورق أو الصلصال وأختها الطبيعية الحية .

ياسيدى : إن مثل التشبيه فى البيتين فى خلوه من الروح كمثل من يرى بقعاً من دم قتيل أو طائر منثورة على الرمال، ثم يسير فيجد خرزات حمراً مستديرة فيفجأ السامع : أتدرى ؟! إن بقع الدم التى رأينا كهذه الخرزات احمرارها . احمرارها ، واستدارتها استدارتها ، وحجمها حجمها ، وانتثارها على غير نظام انتثارها ! أفيعجبك هـذا ويكون تشبيهاً غريباً عجيباً مصيباً مستحقاً للاطراء والثناء ؟ !

أحسب أن لا ! .

ذلك أن السامع حين يُذكر الدم تعتريه الرهبة والإشفاق والرثاء لصاحب الدم المطلول ، وحب التشفى ممن سفكه ، ولا يخطر له ببال أنه مستدير أحمر منثور على غير نظام .

فمثل هذا التشبيه عبث ولغو وشعبذة ، وسقوط بالقيم الفنية للشعر إلى حد سخيف ! .

وهمسة أهمسها ، لا بل مجلجلة أعلنها لا متردداً ولا هائباً ، تلك : أن الثقة بأذواق النقـاد القدامى يجب ألا تطرد ، وأن استشهادهم يجب أن يكون موضع نظر جديد ، وأن الاستشهاد بآرائهم يجب أن يعرض على محكّ التمحيص . ذلك بأنهم — على جلالتهم — قد شملهم ذوق العصر ولم تستقم فى أذواقهم اللغة غضة طرية ، عطلا من زينة وحلية ، وأثر البيئة أثر جليل فى الأذواق والعقول ، ومن ثم كانت تفاهة الاستشهادات ، والتخريجات ، وكان لجوؤهم إلى الفلسفة والناحية العقلية هرباً من الناحية الذوقية ، فقاسوا بالشبر والقيراط ، واتخذوا المبالغة أساساً للتفضيل ، ولم تظهر لهم الزينة فى القوة والعذوبة والسلاسة والنغم فطلبوها بالصّبغ والألوان والشعبذة اللفظية . إذا ثبت هذا فأعفنى — عافاك الله — من استحسان البلاغيين ، وعدم استحسانهم ، فنحن نسأل الذواقين من أمراء البيان . فطه حسين والزيات ، والعقاد ، وأحمـد أمين ، وخليل مطران ، أولئك المحكّمون ترضى حكومتهم . فأما السعد والخطيب فلا نعيبهما ولـكن نقول غلبت عليهما شقوة العصر وفساد الذوق ، وقوة الفلسفة ! .

فكلام عبد القاهر فى أن التباعد كلما زاد كان موجباً لارتياح النفس ليس مطرداً ، وليس أدل على هذا مما سقته لك مثلا من تشبيه الدم بالخرز الأحمر .

(٤) وأما حسد جرير لعدى بن الرقاع العاملى عندما أنشد :

تزجى أغن كأن إبرة روقه  قلم أصاب من الدواة مدادها

فناحيته أنه أعرابى لا يعرف التحبير ، ولم يخبر من المدنية ما يطوع له أن يعرف قراطيسها ، ومحابرها وأقلامها ، فظن جرير أنه لن يهتدى إلى شيء يشبه به رُوق الأغن ، فلما أصابه حسده جرير . ألا تراه يقول : « قلت : قد وقع ! ماعساه يقول ؟ وهو أعرابى جلف جاف ! » .

فأنت قد وقعت — يا علىّ — فى سِرّ حسَد جرير ، ولم تدره فظننت أنه إنما حسده لأنه كان تشبيهاً بارعاً مصيباً له تأثيره وجماله ، وما هو بذاك .

(القاهرة) **كامل السيد شاهين**

مدرس بالمدارس الأميرية

# جنـــازة . . . !

للأستـــاذ عثمان حلمى

ولقد تبعت ضحى جنازة راحل لمنازل فى القفر غير أواهل
ووقفت فيمن شيَّعوه بساحة لم تخفَ وحشتها على متجاهل
الراقدون بتربها تحت الثرى ما بين أحجار وتحت جنادل
والنائمون بها ولا من موقظ يُرجى ولا صبح يلوح لآمل
ستر التراب عن العيون بلاءهم وأظلهم تحت البلاء الشامل
وسرى البلى فيهم فلم يترك لهم
غير العظـــام عليهم كدلائل
فعجبت للانسان كيف يغرُّه بحياته محض الغرور الباطل
لما نظرت إلى اللحود وكم طوت
من عالِم جمِّ الذكاء وجاهل
أو ذى يسار جنب عاف معدم أو عاشق دفنوه جنب العاذل
ضم التراب شتاتهم فأواخر يمضون فيمن ضم إثر أوائل
لم يُجزع الأضدادَ قربٌ مباين
فيه ولا الأشـــباه بعدُ مُشاكل
خلطوا فتلك على الزمان جماجم من فوقها أقدام جيل زائل
وتفتتوا حتى تخال جميع ما فى الأرض دمَّ مفاصل وأنامل
وقرأت ما كتب الألى فوق الألى
دفنوهمو — من خلة وشمائل
أحسست أنى قد دفنت بجنبهـــم
ما كان بى من غيرتى ودخائل
ومضى الذى قد كان أثقل مهجتى
من كلِّ همٍّ بالتـــوافه شاغل
أنظر فهذا دون طرفك ثاكل
يبكى ابنه واعذر فؤاد الثـاكل
وابن هنا يبكى أباه وأمـه وبدمعه معنى الغرور الشامل
والسوف يتلوا نعيُه نعْيَيهما فى ذات يوم للنعاة مماثل
وتقرِّب الأيام بينهـــم إذا وصلوا تباعاً نحو هذا الساحل
من مات هذا اليوم ساوى من قضى
فى موته أيام دهـــر كامل
أنظر فهذا القبر كاد لطول ما هجروه يبدى لهفة المتسائل
أين الذين بكوا عليه وما لهم شحوا فما زاروه زورة باخل
محتْ الليـــالى كلَّ وجد منهمو
والبينُ أبرأ كلَّ حزن قاتل

عثمان حلمى

---



# القاهرة الجديدة

## للأستاذ نجيب محفوظ

بقلم الأستاذ ثروت أباظة

قصة رائعة من صميم الحياة المصرية وضعها الفنان الموهوب الأستاذ نجيب محفوظ ، وقد استهدف فيها عدة آراء عالجها بأسلوب يتفق وكل رأى ، فهو ساخر حيناً ؛ جادٌ حيناً آخر ، رائع فى الحينين . وللأستاذ نجيب ريشة لا تخطئ النأمة الخالجة فى شخصياته ، وهو واثق من فنه فتراه لا يقصر هذه الريشة على شخص واحد بل يطلقها على أشخاص كثيرين يرسمهم فتعرفهم وتعيش معهم وتحس إحساسهم فتصبح شريراً مع الشرير خيّراً مع الخير مندفعاً متأججاً مع المندفع المتأجج .

وشخصيات الرواية مركزة فى أربعة شبان وفتاة . أما الشبان فتجمعهم رابطة الدراسة فى الجامعة فهم جميعاً فى الليسانس كما يجمعهم اتحاد السكن . ثم تتشعب بهم مسالك الخلق فلا مواءمة ولا انسجام ؛ فأحدهم — وهو من طارده الأستاذ نجيب وجعله بطلا لقصته — شاب فى الرابعة والعشرين من عمره ذو منبت يابس وتربية وضيعة تأصلت فى نفسه ، واجتمع الفقران ، فغدا ولا أصل يتكئ عليه ، ولا مال يتستر به . فكفر بالأخلاق ، وأصبح مثله الأعلى « طظ » التى يلجأ إليها كلما اكفهرت الحياة وأغلقت شعابها دونه . « فطظ » فى الأخلاق ، « وطظ » فى الفضيلة « وطظ » فى القوم ، وليس « طظ » فى شىء واحد هو نفسه ، وعلى هذا النهج سار ، وعن طريقه وصل إلى زوجه وهى فتاة القصة ، وعن سببها تم تعيينه . فهى عشيقة موظف ضخم ، زلّ وأراد أن يتمادى فاتخذ من « الطظ » ستاراً . فقبل قائلا : طظ ...

وهذه الفتاة هى ابنة بائع سجائر مواجه للجامعة ذات أم عاهرة ، ووالد من حزب الطظ محتاج إلى المال فخرض ابنته لتأتى له به . فتمنعت أول الأمر ، وانصاعت لحب عفيف بينها وبين أحد الشبان الأربعة هو على ... شاب جميل ذو أصل ليس بالهين ، ومال يكفيه ذلة السؤال ، له آراؤه الملحدة ، ولكن عن عقيدة ، وله أيضاً مثله العليا التى يسعى لتحقيقها ؛ فهو اشتراكى يفخر بغناه واشتراكيته ، ولا يمنعه الإلحاد ولا الاشتراكية من أن يكون عفيفاً فى حبه ، قوياً فى خلقه ذا نجدة عند الشدة ، وهو بعدُ صافى القلب لا يحمل ضغينة ولا موجدة على عكس زميله محجوب طظ ... أحبت إحسان علياً وإن لم يملك الحب لبها ، وأحبها هو وتمكن الحب منه ، ولكن ما لبث أن فجع فى حبه حين تعرض لفتاته الموظف الضخم الذى أغرى عياله ... فطمع والداها ، وشجع ابنته ودفعها فسقطت وحاولت أن تقنع نفسها أنها إنما تضحى من أجل والديها وإخوتها ... سقطت ووجدت زوجها شاباً ساقطاً لا ضمير له ؛ عرفته أيام كان تلميذاً . فهو صديق لعلىّ ، وهو بعينه الأستاذ محجوب طظ الذى لا مانع لديه من أن يغذى قرنين ينبتان فى رأسه مادام فى الأمر منفعة له ، وطظ فى الكرامة ... تزوجت محجوباً وعُيّن وارتفع وما زال فى ارتفاع سادراً عن كل شىء غير معنىٍّ بأبيه مدقع الفقر الذى أعياه المرض فقعد عن العمل ، ومحجوب مادام لا يهمه الوالد فالأصدقاء لا قيمة لهم ، ولتتقطع وشائج الزمالة ، وليغضب مأمون للأخلاق ما شاء ، وليحزن علىّ على حبيبته مادام محجوب يرتفع كل يوم ... وفى نشوة الارتفاع ركل محجوب سالماً الأخشيدى ، وهو الذى قدمه إلى الموظف الكبير ، وقد كان أثيراً عنده قبل أن يأتى محجوب فانتقم الأخشيدى لنفسه ، ودبر المؤامرة فعصفت بالموظف الكبير ، وكان قد أصبح وزيراً ، وعصفت بمحجوب وزوجه فذهب وكأنما أراد الأستاذ نجيب أن يهمس فى أذنه : « طظ فى طظك ، ولتحى الأخلاق ! » .

أما مأمون فشاب ملؤه الإيمان بالدين وبالقضية العربية أخره المرض وهو طفل عن الالتحاق بالمدرسة ، وعندما التحق أخذ نفسه بالشدة ، فكان الأول دائماً ، وكانت حياته سائرة على

نظام رتيب ، وأنك لتجده كل خميس ذاهباً إلى مصر الجديدة حيث خطيبته التي تزوجها بعد حصوله على الليسانس وسافر معها إلى باريس في بعثة علمية .

وأما الرابع فهو أحمد طالب صحفي لا يلعب كثيراً على مسرح الرواية ، ولا نعرف له رأياً لأنه صحفي والصحفي في رأيه — ولعل هذا هو رأيه الوحيد الذي أذاعه — لا يصح أن يقول رأياً ، وهكذا اجتمع هؤلاء الأصدقاء وليس من سبب يجمعهم سوى درس في الصباح ومسكن في المساء .

ولا يقتصر الأستاذ نجيب على هؤلاء بل هناك أشخاص كثيرون غيرهم كوالدى محجوب وحمد يس بك وأسرته ذات الماضي المتواضع ، والحاضر الارستقراطي ، وإن لمحجوب معها لشأناً في حالي فقره وغناه ، وهناك أيضاً جامعة أعقاب السجاير التي أبرز الأستاذ لها صورة واضحة تلمسها في وصفه لها وحديثها مع محجوب فتسمعها تقول : وجب ، وغير ذلك من ألفاظ تكمل الصورة وتوضحها ، وهناك عفت وغيره من أصدقاء محجوب في أيام العز ... تمر الريشة على كل هؤلاء فتبرز معارف وجوههم وخلجات نفوسهم نابضة بإحساسهم غير مغفلة شيئاً .

وتدور حوادث القصة في سنة ١٩٣٠ ، والناحية القصصية فيها أبرز منها في قصة خان الخليلي وقد كانت هذه الأخيرة أشبه بمعرض صور رائع منها بقصة ، وإن لم يفقدها هذا شيئاً من روعتها وقوتها ...

وواضح أن الأستاذ نجيباً أوجد علياً ومأموناً وأحمد في قصته الجديدة ليثبت أن الأخلاق وإن هتكت عند محجوب فهي مصونة عند أصدقائه ، وقد تعرض الأستاذ نجيب في قصته هذه لنواح اجتماعية عديدة يغض من رونقها كثرة ترددها إذ نحن الآن في حاجة إلى العلاج أكثر من حاجتنا إلى الشكوى ، وإن بالقصة لفتات فنية رائعة ننتظرها من الأستاذ نجيب الذي خطا بالقصة المصرية خطوات واسعة نحو الكمال ، وهذا أمر لا نستغربه عليه فهو فنان موهوب بفطرته جشع في القراءة العربية والغربية ... وعسى أن لا يتأخر إنتاجه القادم . فنحن في شوق منتظرون ...

**ثروت أباظة**

## نفحات من سيرة السيدة زينب

إن أعصى ما يتكاءد المصلحين ، تلك العادات التي امتزجت بدماء العامة ، والعقائد التي أشربتها نفوسهم ، فتمكنت فيها على مر الأيام .

وإنه لمن الجهل والسفاهة ، تحدى هذه العادات والعقائد ومهاجمتها في عنف ، بل الواجب علاجها بالحكمة ، والاحتيال لاقتلاعها ؛ أو توجيهها وجهة نافعة .

وقد اتخذ الأستاذ أحمد الشرباصي في كتابه « نفحات من سيرة السيدة زينب » خطة جديدة في « التربية الشعبية » ودرج على غير المنهج المتبع في الثورة بعقائد الناس . بل تناول مسألة الموالد ، والأذكار ، والتوسل ، والتشييع ، والتمسح بالأضرحة ، والنذور ، بروح جديدة ، هي روح عالم النفس الحاذق ، هي روح « الإعلاء » التي تعالج بها الغرائز وتهذب ، ويحد من جوحها وطغواها ، وتجعلها أداة صلاح وخير ! .

والكتاب بعد ذلك عرض تاريخي أنيق لحياة هذه السيدة الكريمة ، وتوجيه نافع للشباب الذي يريد أن يحيا حياة طيبة ، ولا يستخذى أمام القوى الطاغية ومثل عال في التضحية والجهاد .

فللوعاظ والمرشدين وللمؤرخين المعنيين بتحقيق حياة الشخصيات الإسلامية البارزة ، ولمن يريد أن يتهدى بهدى جديد في التربية الشعبية ، ولمن يبتغى الأسوة والقدوة في حيوات عترة النبي الكريم .

لهؤلاء جميعاً وضع هذا الكتاب ، جامعاً بين دقة البحث ، وطلاوة الأدب ، وتأثير الوعظ واستخلاص العبر .

**كامل السيد شاهين**




# لا قـــــدر الله . . . !

للروائي الأنجليزي أوسبرت سيتويل

لست أعرف بعد كيف ستنتهي هذه القصة ، فإن ماسأقصه عليك إنما حدث صباح أمس ، قبل أن أغادر السفينة فى السويس .

جلست على كرسي طويل من القماش ، وإلى جانبي أكداس من الكتب وصحفة حساء فارغة ، أتطاول ببصرى إلى الفضاء المكلل بالغمام ، الفضاء الخاوى الذى لم يخفف من وطأته على الصدر سمك بتوائب فيسلى المسافرين . بدا كل شيء دفيئاً رطباً بالغ الرطوبة . وكانت حافة السماء تتدلى منها أعلام مهلهلة من السحب ، وقد ذابت فيها حافة البحر . وكان الرجل الجالس بجوارى قد بسط على حجره كتاباً مفتوحاً ، وإلى جانبه أيضاً عدة كتب ، وكان هو الآخر يحملق بنظرة ثابتة إلى المنظر النائى الخاوى . كان البحر يثير روحاً من الكآبة والاغتمام ، لا يساعد على احتمالها إلا ما تبعثه فى النفس من الفتور والكسل ، وأنها تولج اليوم فى اليوم فتحمل أناسا كثيرين على الاعتقاد بأنهم لا بد قد تمتعوا بالرحلة ما دام الوقت قد مر بهذه السرعة . كان من الواضح أن هذه الروح الكئيبة المغتمة تخيم على وعلى جارى أيضاً . كان جارى طويل القامة نحيفاً دقيق اليدين ، وكان يبدو على خلقته حساسية بالغة الارهاف ، وساءلت نفسى من تراه يكون ... لم تكن الكتب التى بجواره تساعدنى على إجابة هذا السؤال ، إذ كانت متنوعة : ترجمة لمجموعة شعر إغريقية ، ورواية عصرية ، وكتاب علمى ، ودراسة لسيرة أحد السياسيين ، ومجموعة من القصص القصيرة الحديثة . ثم لاحظت معها كتاباً من كتبي ، وهو ذلك المسمى « الرجل الذى فقد نفسه » وبغتة حوّل عينيه عن الماء وخاطبنى قائلا : « أتحب البحر؟ » . فأجبت : « نعم أنا أحبه ، نوعاً من الحب ، على الرغم من ملاله ، وما يبعث فى اسوء الحظ من الرعب . إننى بحار ماهر ، ولكن حين يتمدد الآخرون فى فرشهم الخشبية يتمنون لو أنهم يغرقون ، أتمدد أنا على فراشى الخشبى ، مرتديا جميع ملابسى ، أبتهل إلى الله لئلا أغرق ، وأفكر فى الخضم الشاسع من المياه الذى يتلاشى فيه رأس الإنسان فلا يكاد يكون شيئاً . ذلك هو السبب فى أننى أفضل البحر الأبيض المتوسط ، حيث نكون عادة على مرأى من البر ... لكن يبدو أنه قد اختفى كلية فى هذا اليوم ... بل ليتنى أبلغ قناة السويس ، فإنى أرتقب أن أحظى بوقت ممتع » .

قال : « نعم أنا أعرف هذا الشعور ، فإنه يداخلنى أنا أيضاً بعض الشيء . وما دمت أنت كاتباً ، فسأقص عليك قصة عنه ولكن أرجو ألا تكون ممن يؤمنون بالطيرة والفال

ربما لا تستحق هذه القصة أن تسمى قصة فى واقع الأمر . هى شاهد أكثر منها قصة ، أو هى برهان على إحدى النظريات ... هذه النظرية ، أو المغزى ، هى تلك النظرية القديمة البديهية التى شغف أحد الروائيين المحدثين بترديدها ، وهى أن ما تشعر به يكون أشد صدقاً ، ولا بد أن يكون دائماً أشد صدقاً ، من مجرد الفكرة التى تدور بخلدك . أو بعبارة أخرى ، اعتمد فى حكمك على اللمس ، لا على البصر . ولكن الناس فى هذه الأيام تعوزهم الشجاعة التى تجعلهم يعملون كما يشعرون ، فهم يعملون طبقاً للعقل ، ثم يحاولون أن يخترعوا تفسيراً منطقياً فيما بعد ، يفسرون به الأشياء الفذة التى تحدث لهم . لكن لا جدوى من وراء هذا مطلقاً

كانت السفينة مبحرة إلى أمريكا الجنوبية . غادرت تلبرى فى عصر يوم ممطر من أيام ديسمبر ، ولكن فى اليوم التالى كان البحر هادئاً كأنه بركة زرقاء فى فصل الصيف . واستمر كذلك ثلاثة أيام ، حتى عندما عبرنا خليج بسكاى . ولكن برغم هدوء البحر تأخرنا عن الوصول إلى لشبونة ، حتى إذا وصلنا إليها أخذ موظفو الميناء يتجادلون جدالا لا ينتهى ، كأنهم عقدوا العزم على أن نتأخر عن الاقلاع من الميناء . وقفت أرقب المسافرين النازلين وأستمع إلى المشاجرة البرتغالية الصاخبة تعلو وتتناثر كأنها صواريخ مبتلة ، بين وكيل السفينة وأحد موظفى الجمرك ... لم يكن بين المسافرين الجدد من يلفت النظر إلا امرأة انكليزية وزوجها . كانت جميلة حقاً ، ولكن جمالها كان من

نوع عجيب ، كأنها إلاهة القدر الاغريقية . كانت عيناها واسعتين ذواتى زرقة عميقة ، يمكن أن تقرأ فيهما معانى كثيرة ، أحدها صادق وكثير منها كاذبة . كانت قسماتها المذعورة الحجرية كأنها تمثال كلاسيكى ، يكمن فيه شىء من المأساة . ثم إنى ظننت أو الأحرى أن أقول أحسست — أن بقسماتها شيئاً من حورية البحر . إذ انتمت عيناها إلى البحر ... كان زوجها إلى جانبها يبدو عادى المظهر . لكن منظرها الفذ كان مقتصراً على محياها ، أما ملابسها فكأنها اختيرت بحيث تمحو الأثر الذى يخلفه جمالها العجيب ، وتحط من سموه وتجعله عادياً مألوفاً .

فى الصباح التالى كنت جالساً على ظهر السفينة ، كما أنا جالس الآن معك ، فوجدتنى مجاوراً لها . وبعد أن عبثنا برهة بكتبنا عبثاً يشابه فى اضطرابه حركة السفن واهتزازها - حقاً إن هناك رابطة قوية بين دوار البحر والكتب المطبوعة — بدأنا نتحدث قليلا . وحين تحدثنا لم يتركا فى النفس أثرا غير عادى ، وكان صوتها هادئاً مليئاً بالاهتمام ثابت النبرات وإن كان فارغاً بعض الشىء ، ولم يكن به أى عنصر غريب من المأساة أو من النبوءة . ولكنى برغم ذلك عرفت ، بل شعرت وأحسست ، بأنها كانت تصلها بتلك العناصر الغريبة صلات وثيقة . تجاذبنا أطراف الحديث ساعتين أو أكثر ، وكان البحر قبل ذلك هادئاً كالبساط ، ولكنه بدأ فى خلال محادثتنا تظهر عليه علائم التغير الأكيدة . وكأنه كان يحاول اختبار قواه ، ليستخدمها فى مناسبة مقبلة . فصفرت فى جنباته رياح هينة ، وأخذت السفينة هزةٌ أثارت المزاح والضحك المعهودين بين الشبان من المسافرين الذين كانوا يتنقلون على ظهر السفينة فى جلبة ، وضاعفت من حماسة اللاعبين فى لعبهم المختلفة ، فازدادوا مرحاً ، حتى يخفون ما شعروا به من بداية التقزز والغثيان ... تسألنى عم كنا نتحدث ؟ ... قد نسيت ، ولكنها كانت أشياء مختلفة ، من السياسة ، والأسفار ، والكتب — الكتب البريئة المملة .

ولكن كلما مرت دقيقة ازداد التحدث صعوبة ، إذ ارتفعت بين آونة وأخرى أصوات الأشياء المتصادمة ، وازدادت الريح دوياً ، وإن كان الركن الذى انتحيناه محمياً هادئاً بعض الشىء ...

أخبرتنى أنهما كانا ذاهبين إلى بونس أيرس ، حيث يمكثان أسبوعاً ، ثم يعودان إلى وطنهما مباشرة . فإن المستر روفنى — وهذا اسم زوجها — كان مريضاً ، وقد نصحه الطبيب بالقيام بهذه الرحلة البحرية . وقال الزوج : « لقد حاولت أن أثنى زوجتى عن المجىء ، ولكنها ألحت . أنا لم أغرك بالمجىء يا حبيبتى ، أليس كذلك ؟ لقد بذلت كل جهدى لمنعك » .

كلا ، لست أستطيع أن أتذكر كل المحادثة بجلاء ، وإنما أتذكر شيئاً أو شيئين من هذا القبيل . أتذكر المسز روفنى تقول ، بصوتها الحازم الذى لا يقبل أى سخف أو عبث ، والذى كان مع ذلك فارغاً بدرجة عجيبة ، ذلك الصوت الذى نطق بالأشياء كأنه لا يعنيها — أتذكرها تقول : « مهما يكن من شىء ، فأنا مؤمنة بالقضاء والقدر . أنت لن تستطيع النجاة مما سيحدث لك فهذا هذا ، وما عليك إلا أن تتقبله بأحسن ما فى استطاعتك . لن يستطيع ثعلب أن ينجو إلى الأبد ، إذا كانت كلاب الصيد تطارده » ... أنا أتذكر ذلك جيداً ، فإن هذه الملاحظة ، برغم أنها شىء معهود طالما سمعناه على الرغم منا ، ضايقتنى إذ ذاك أشد مضايقة ، حتى كدت لا أكتم سخطى ؛ إذ وجدتها لا تنسجم مع ذلك الجمال العجيب ، أو ذلك الوجه الذى كان يبدو مترقباً لأحد الانفعالات العاطفية العظمى — وكنت واثقاً أن هذا الانفعال هو الخوف — فما يجىء هذا الانفعال حتى يصير ذلك الوجه آية رائعة من التعبير ... ولكن ما أكثر ما ينطق الناس فى هذا المجال بأفكار تخيب ظن المرء إذ لا يجدها تنسجم معهم ... ثم إنها استرسلت تتحدث عن الأسواق فى مقاطعات انكلترة ، وأسلمت نفسها إلى نوبات طفيفة من الاعتداد بالذات لم تنسجم معها أيضاً .

ولكنى ساءلت نفسى فى ذلك الوقت : أكانت تلك حقاً نوبات من الاعتداد بالنفس ؟ لقد شعرت بأنها أدخلتها فى الحديث لا لتحدث وقعاً على نفسى بل لتدخل الراحة والاطمئنان على نفسها هى . فإن مثل هذا الاعتداد بالنفس يرتبط بالحياة اليومية ، والحياة اليومية هى عادة خالية من البطولة والبسالة ومن النكبات والمآسى ، كما أن الأفكار التى عبرت هى عنها كانت أفكار الحياة اليومية العادية . وقد تشبثت هى بهذه الأفكار لأنها

كانت تتوق أشد توق إلى أن تقنع نفسها بأن حياتها ليست فى حقيقتها إلا من ذلك النوع العادى ، وأنه ليس من وجود فعلى لتلك النكبة العظيمة والمأساة القديمة التى ترتبط بها والتى هربت منها . فكل فكرة عبرت عنها ، وكل مناسبة أشارت إليها ، كانت كأنها تقرص نفسها لتتأكد من أنها صاحية ومن أن الكابوس المخيف قد زال ...

ازداد الطقس اضطراباً ، ولم أرهما بعد ذلك فى ذلك اليوم . فقد تضاعفت حدة الزوبعة فلم يعد أحد ليجد متعة فى الرحلة البحرية . بل لم يعد من المستطاع أن ينام المرء ، وإن كانت الزوابع فى العادة تجعلنى أستغرق فى النوم . فإن طرق عينك السبات لحظة واحدة فى الليل فلا بد أن يوقظك فى الحال صوت الأبواب تنفتح وتنصفق وتتصادم ، أو يوقظك إحساس عجيب بأن الروح نفسها ، تلك الذات النفسانية التى بنى حولها الجسد ، قد تنقلت من مقرها بعض الشىء ... يسائل المسافرون أنفسهم ، كعادتهم فى خلال رحلة بحرية : « لم قمت بهذه الرحلة ؟ » ولكنى لم أشعر إلا بشعور واحد ، شعور طالما أحسست به فى المحيط الأطلنطى ، وإن كنت قد قمت فيه برحلات كثيرة لم يكن عنها من محيد ، ذلك الشعور هو الرعب . لم يغلبنى دوار البحر ، وإنما شعرت بالرعب من تلك الأودية الباردة فى أعماق المياه تحت سطح البحر ، تلك الأودية اللانهائية المتعرجة التى أخبرنا بأنها فى عمقها تماثل جبال البر فى علوها ... وبهذه المناسبة ( سامحنى لقطعى حبل قصتى ) ألم يزدد الطقس اضطراباً منذ بدأنا حديثنا ، أم ليس هذا إلا وهما من أوهام مخيلتى ؟ »

فاضطررت إلى أن أعترف بأن الطقس قد تغير ؛ فقد بدأت السفينة تترنح بصورة غير منتظرة .

« لقد ظننت كذلك » قال ذلك وتوقف برهة ، ثم استرسل : « على أية حال ستكون القناة هادئة ... ولكن لأستمر فى قصتى : من حسن الحظ أننى كنت سأغادر السفينة فى مادىرا ، ولم يكن دونها إلا رحلة يومين . ولكن كم تشوقت إليها فى ذينك اليومين ، تلك الدرة البديعة المستقرة فى وسط المحيط تحت غطاء سحاب الأطلنطى » .

كان اليوم التالى سيئاً للغاية ، بحيث لم يعد المرء يهتم بشىء ما لا بالطعام ولا بالشراب ولا بالنوم ولا بالمسافرين : ولكنى لاحظت مع ذلك أن المستر روفنى جلس إلى طعام الغداء وحيداً ... وفى الصباح التالى بدا كأن الزوبعة قد هدأت قليلا ، وفى أثناء تجوالى على ظهر السفينة قابلته .

صحت بحماسة كاذبة : « صباح الخير ... ! كيف أنت فى هذا الصباح ... يؤسفنى أن أراك وحيداً » .

فأجاب : « نعم إنه شىء مقلق . كم تمنيت أن يكون الطقس لطيفاً ... فإننا نقترب من مادىرا الآن ، وينبغى ألا يكون الطقس هكذا ... إننى أصارحك بأنه يزعجنى ... ليس ذلك لأن زوجتى غير متعودة على الأسفار البحرية — فإنها الآن لا تشعر بالدوار — بل الحق أن الرعب يتملكها فى أى سفينة ! »

قلت : « ليس هذا شيئاً مخجلا ، فأنا أيضاً مرتعب ... وأعتقد أن كثيرين جداً من الناس هم أيضاً كذلك ، لو أنهم اعترفوا بالحقيقة ! »

أجاب : « قد يكون هذا صحيحاً ... ولكن الأمر مختلف بالنسبة إليها فإن آخر رحلة بحرية قامت بها كانت فى (التيتانيك) وقد غرق أخوها التوأم مع تلك السفينة ، ولم تنج هى إلا بمعجزة ... ولسنين عديدة رفضت أن تركب سطح سفينة على الاطلاق ، بل إنها أبت أن تقوم برحلة القناة الانكليزية التى لا تستغرق إلا ساعة واحدة ، مع أنها قبل ذلك كانت مغرمة بباريس ... وسأذكر لك شيئاً غريباً : قد يكون البحر هادئاً بالغ الهدوء ، ولكن ما تكاد تضع قدمها على سطح السفينة حتى تبدأ الزوبعة ، بداية لا شك فيها . لقد شاهدت ذلك يحدث فى القناة الانكليزية عشرات المرات ، حتى إننى كثيراً ما تمنيت أنى لم أحملها على تغيير عزمها والمجىء معى ، حتى لتلك المسافة القصيرة ... ما كان ينبغى أبداً أن أسمح لها بالمجىء فى هذه الرحلة ... كان ينبغى أن أحظر ذلك حظراً باتاً ، من البداية ... ولكنها كانت قلقة البال علىّ — فقد كنت مريضاً زمناً طويلا ، وأولئك الأطباء اللاعين قالوا إن رحلة بحرية طويلة هى الشىء الوحيد الذى يرد إلىّ العافية — فألحت هى وأصرت . ولم أستطع منعها ، فقد بدا كما لو كان من المحتم أن تجىء ، وإن ارتاعت هى من ذلك ، لو كنت تفهم ما أعنى ... »

وإذن فهذا هو السر! لا غرابة إذن أن تكون مرتاعة، حتى على أشد المياه ضحولة. تذكرت تلك السفينة الفاخرة فى رحلتها البكر، وتذكرت اليدين اللاعبتين، والاصطدام المفاجئ الرهيب، والسكون الشامل، حين وصلتها رياح التدمير، ثم تذكرت الاضطراب والفوضى فى الماء، والتلاقى الغريب الصامت فى الدروب العميقة الخضراء بين الأمواج، حيث ترنح القادرون على السباحة إلى أعلى وإلى أسفل، أو اصطدموا الواحد بالآخر كأنهم سدادات الفلين، ولكن لم يستطيعوا تخاطباً، إذ كانت أصواتهم قد ضاعت تحت صوت المحيط، فبدوا وكأنّ بعضهم لبعض عدوّ ... إذن فهذا هو السر ... ! هذا هو معنى تينك العينين الواسعتين، كعينى تمثال فى ضياء الشمس الباهر، ذلك هو المعنى المختفى تحت كلماتها العارضة، السخيفة الجادة معاً: « لن يستطيع ثعلب أن ينجو إلى الأبد، إذا كانت كلاب الصيد تطارده ». كلا، ولا الإنسان يستطيع النجاة، إذا كانت قطعان الشر والهلاك تصاحب مجيئه وذهابه.

فى عصر ذلك اليوم وصلنا ماديرا. فودعت المستر روفنى وزوجته. وعلى رغم أنهما كانا مشغولين مع أهل الجزيرة الذين هاجموها يريدون أن يبيعوا لهما ما يحملون من الأقمشة المطرزة والزهور والنعال والصناديق المصنوعة من خشب النخل، ونماذج العربات التى تجرها الثيران، وملابس سكان الجزيرة — فإنهما لوحا لى بأيديهما إذ غادرت السفينة فى زورق إلى البر. ولاحظت مرة أخرى خلو وجهها من التعبير خلوا عجيباً، وذلك شىء إن أنعمت النظر فيه تجلى لك رعب أشد من الرعب. ثم ظننت أنها نظرت إلى البر نظرة المتلهف المشتاق، ولكنى كنت أبعد من أن أرى بوضوح ... مهما يكن من الأمر فإنهما الآن سالمان، فإن بقية الرحلة، خصوصاً فى هذا الوقت من السنة، هادئة فى المنطقة الحارة، تتجلى فيها الحدائق العميقة الزرقاء المتألقة تحت المياه، وتقفز الأسماك الطائرة فوقهما كما تثب العصافير فوق أرض البستان.

مضى أسبوعان، قبل أن أقرأ فى صحيفة هذا الخبر: « إعصار فى المحيط الأطلنطى الجنوبى. أمواج الد تطغى على الدن الساحلية. باخرة بريطانية تغرق على مقربة من (ريك). غرق جميع المسافرين ». وفى الحال تذكرت المسز روفنى ... إذن قد انتهى الأمر الآن ... إنها كانت تنتمى إلى البحر بكيفية ما ... ولا بد أن يستردها البحر إلى أحضانه. لقد كانت تعرف ذلك دائماً، وإن لم يستطع عقلها تصديق ذلك أحياناً. مهما يكن من شىء، فقد انتهى الأمر، كائناً ما كان مغزاه. انتهى طراد طويل، لا يستطيع المرء أن يتعرف على بدايته، أو لعله ليس إلا الفصل الأوسط فى درامة تستغرق عدة قرون، أو عدة أحقاب ... ساءلت نفسى: ترى كيف كانت هيئة ذلك الوجه الجميل فى النهاية، وإلى أى حد جعلت صوتها هادئاً عملياً وهى تحدث زوجها للمرة الأخيرة، عارفة ما يخبئ لها القدر ... ولكن الواقع كثيراً ما يختلف عن النبوءة، وهذا ما حدث فى هذه الآونة ... فإننى عاودت قراءة الصحيفة، فقرأت فى أخبار آخر ساعة: « إنقاذ أحد المسافرين. اتفاق غريب ... المسز روفنى التى أنقذت عصر أمس فى حالة إنهاك، يتحقق أنها أحد الذين نجوا من التيتانيك، حين غرق أخوها التوأم مع تلك السفينة. ويخشى أن المستر روفنى، المشهور فى عالم الرياضة، وجميع المسافرين الآخرين والبحارة، قد غرقوا » ... إذن فالبحر لم يستردها بعد، والثعلب قد نجا مرة أخرى، يا للمسكينة! لم يتم الفصل الأخير بعد.

لعلك تعتقد أننى من المؤمنين بالخرافات إذ أشعر بما أشعر الآن؟ ولكن الحياة تبدو أقرب إلى الفهم حين يؤمن المرء بالخرافات ... على أية حال، قد حدث ذلك منذ ثلاث عشرة سنة ... وأستعيذ بالله، إنها فوق هذه السفينة، مسافرة إلى سيلان لترى ابنها. لقد تحدثت إليها هذا الصباح، هى كأنها لم تكبر يوماً واحداً. ولكن ماذا ينبغى أن يفعل المرء: أيجيب غريزة الإيمان بالخرافات أم يتحداها؟ ... إننى أجبن من أن أرتكب سخف مغادرة هذه السفينة فى السويس ».

توقف عن الحديث، واستغرق فى الصمت والتفكير — ولكننى جاهدت حتى نزلت إلى قاع السفينة، متشبثاً بكل ما وقعت عليه يدى حتى لا أفقد توازنى، وهناك أرسلت رسالة برقية.

[عن مجلة الأدب والفن الانجليزية] **أوسبرت سيتويل**



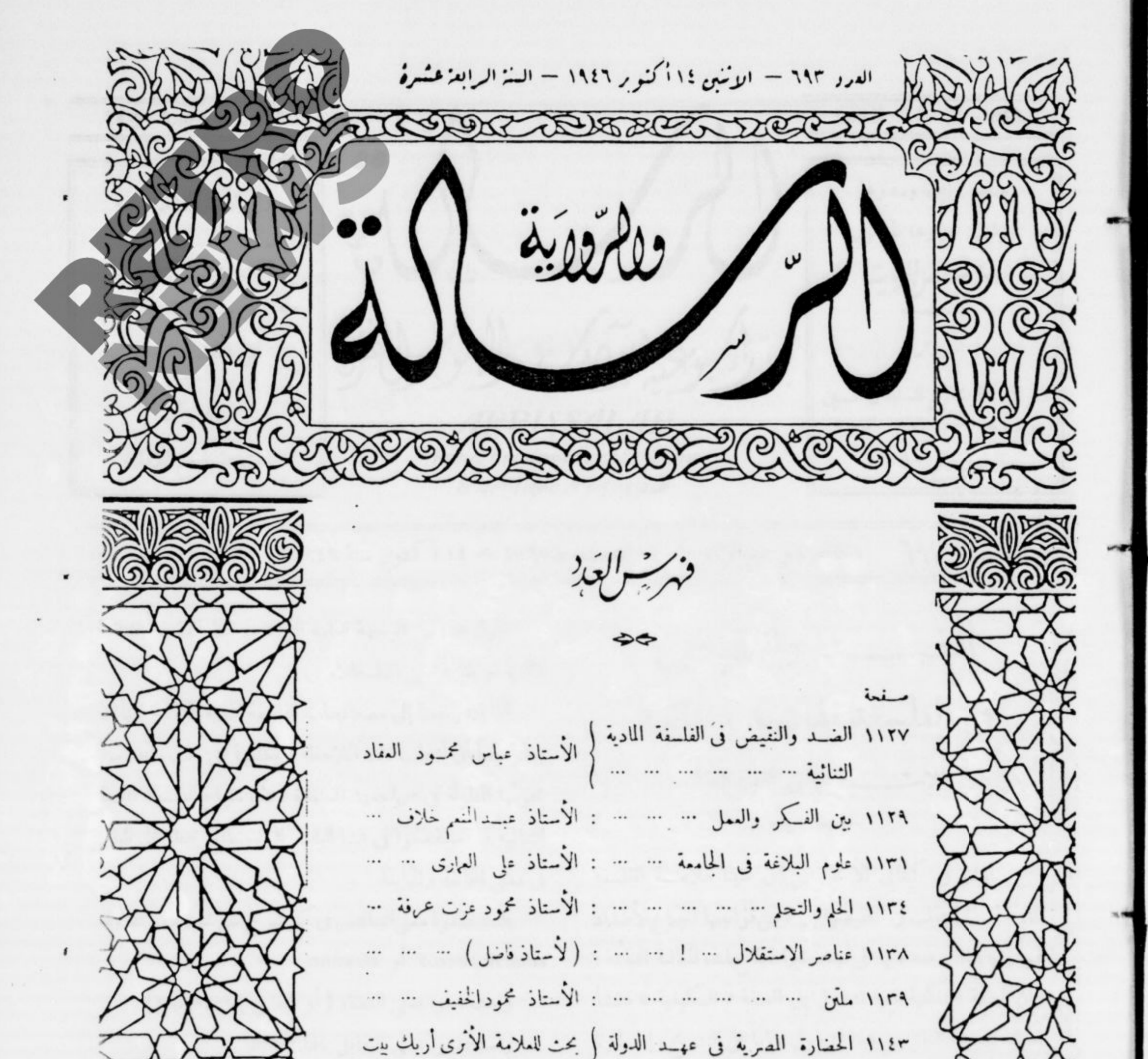





[ طبعت بدار الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين ]



العدد ٦٩٣ — الاثنين ١٤ أكتوبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

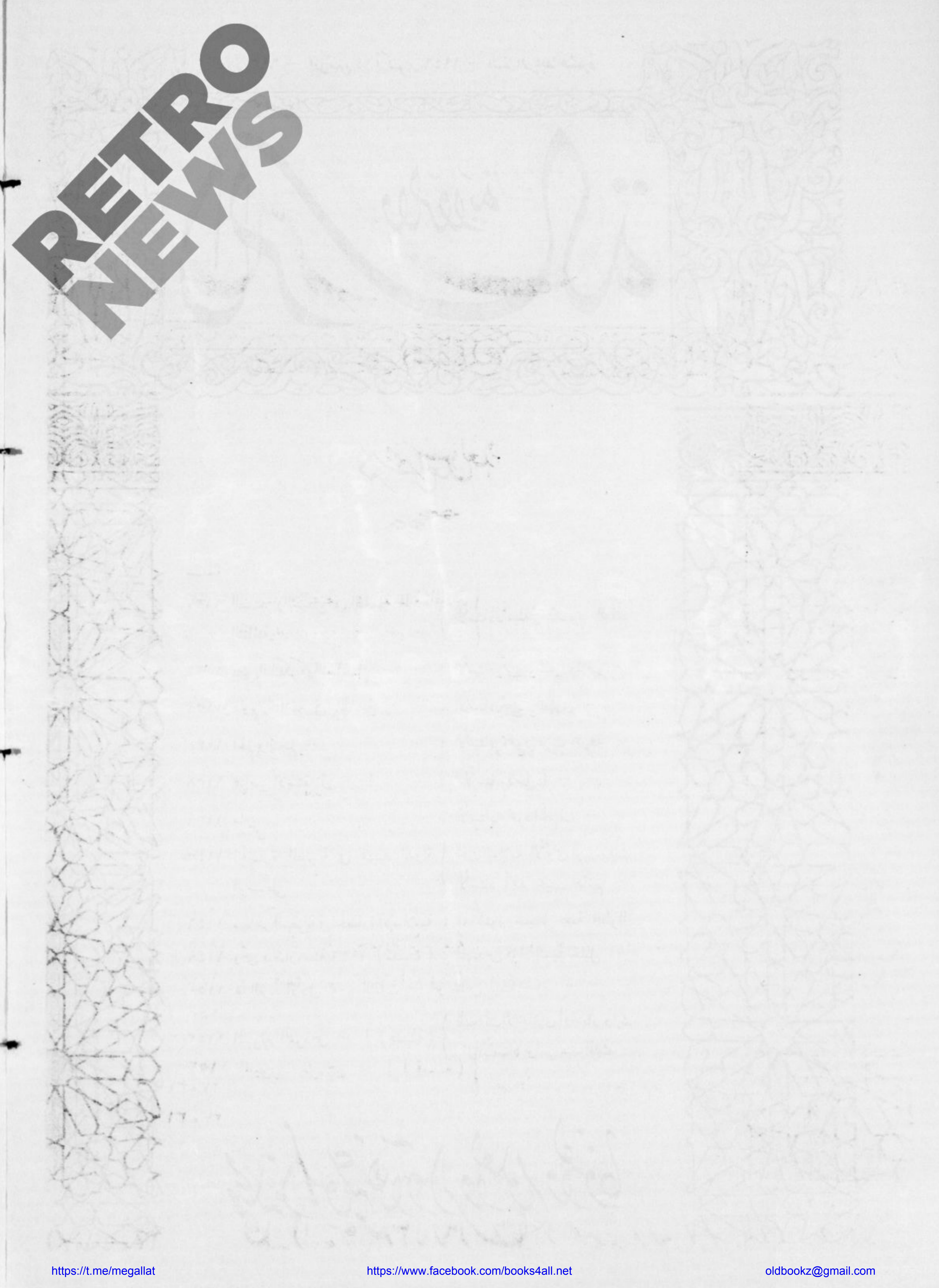



فهرس العدد



٢٧٠٣١

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون



14 me Année No. 693

Lundi—14—10—1946

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٦٩٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٦٥ — ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة



# الضـــد والنقيض

## فى الفلسفة المادية الثنائية

للأستـــاذ عباس محمود العقاد

تناولت فى كتابى الأخير عن ابن سينا خلاصة الفلسفة المادية الثنائية فقلت فى تلخيصها إن « من قوانينها اجتماع الأضداد فيها ربما يتغلب ضد منها على ضده بغير انقطاع لهذه المغالبة الدائمة، وإن الصفة الكمية فيها تتحول إلى الصفة « الكيفية » فتنشأ الحياة كما ينشأ العقل من هذا التحول، إما على التدريج وإما طفرة كما يظهر بعض أنواع النبات من الأنواع الأخرى، فلا توجد كيفية إلا وهى نتيجة التغير فى الكمية، ولا توجد حالة قط إلا وهى تنطوى على ما يناقضها، فلا تبلغ تمامها إلا ظهر منها النقيض الذى تنطوى عليه ... »

وقد كانت هذه النبذة موضع ملاحظة بين بعض المشتغلين بالمباحث الفلسفية، لأنهم وهموا أن إيراد النقيض والضد فى عبارة واحدة يدل على استخدامهما بمعنى واحد. وهما مختلفان

وتصحيح هذا الوهم أن النقيض يأتى بمعنى الضد، لأن كل نقيض لشىء من الأشياء فهو ضده بلا استثناء، ولا خطأ إذن من الوجهة العامة فى الجمع بين الكلمتين فى سياق واحد، ولا حرج من التخصيص بعد التعميم على الإجمال

نقول هذا من الوجهة العامة التى لا ترتبط بالفلسفة الثنائية المادية أو بغيرها من الفلسفات

أما إذا رجعنا إلى مصطلحات الفلسفة المادية الثنائية فهنالك يبدو جلياً أن أصحاب تلك الملاحظة لم يطلعوا على بحث واحد من بحوثها المطولة فى مراجعها المعتمدة؛ لأن شراح الفلسفة المادية الثنائية قد استخدموا فى هذا الباب كل مصطلح يخطر على البال فى معنى المخالفة والمباينة

فاستخدموا معنى التناقض فى كل شرح من شروحهم المطولة Contrasts أو Contradictions

واستخدموا معنى التضاد (أو التقابل) Opposites

واستخدموا معنى التقابل antisethis

واستخدموا معنى التغاير Change

واستخدموا فى جميع هذه الأحوال كلمة التنافى أو التناسخ أو التناقض فى أقوى معانيه Negation.

فمن أمثلة استخدامهم لمعنى التناقض شعارهم الذى اقتبسوه من هيجل حيث يقول بالنص الإنجليزى:

Contradiction is the root of all movement and vitality

وترجمتها: « أن التناقض هو جذر كل حركة وحيوية »

ومن أمثلته قانونهم الثالث الذى يقولون فيه بالنص الإنجليزى:

Each state or phase of development is considered a synthesis. which resolves the contradictions contained in the preceding synthesis.

وترجمته : « إن كل حال أو وجه من أحوال التطور ووجوهه يعتبر تركيبة تقرر النقائض المطوية فى التركيبة السابقة »

ومن أمثلة استخدامهم لمعنى التضاد قولهم الأول الذى نصه بالإنجليزية The law of the unity and Conflict of opposites

وترجمته : « قانون الاتحاد والتنازع فى الأضداد »

ومن أمثلته قول لينين فى شرح هيجل بنصه الإنجليزى : Develofment is in fact the conflict of opposites

وترجمته : « إن التطور فى الواقع إنما هو التنازع بين الأضداد »

ومن أمثلة استخدامهم لمعنى التقابل قول كارل ماركس فى شرح نشأة رأس المال :

The synthesis negates and overeomes both the thesis and also the antithesis

وترجمته : « إن المركب ينقض المقرر كما ينقض ما يقابله ويتغلب عليهما »

ومن أمثلة استخدامهم لمعنى المغايرة كلام الفيلسوف الشيوعى بلخانوف p'ekhanov فى شرح هيجل : « إن الثنائية هى تغاير أبدى فى الصور Eternal change of forms »

أما التنافى أو التناسخ أو التناقض ، فأكثر من أن يؤتى له بشاهد أو بضعة شواهد ، وحسبك منه نص القانون الثالث ، وهو قانون نفى النفى أو نسخ النسخ أو نقض النقض كما يسمونه : The negation of negation ولا يخلو مبحث واحد من مباحث شراحهم من تكرار هذه الكلمة عشرات المرات فى كل سياق

فنحن قد لخصنا مذهب القوم بعباراتهم ، ولم نأت بكلمة من عندنا فى معناها اللغوى أو معناها المنطقى أو اصطلاحها الفلسفى الذى أرادوه ، وقد ذكرنا النقائض والأضداد لأنهم أكثروا من ذكرها فى أمهات كتبهم ومطولات شروحهم ، ولم يدعوا لوناً من ألوانها فى التعبير الفلسفى والتعبير اللغوى إلا ذكروه وكرروه

ولم يخطئ القوم فى استخدام هذه المصطلحات ، لأنها تلزمهم جميعاً فى مواضعها وتفيدهم فى تفسير أطوار المادة وأطوار المجتمع الاقتصادية على اختلافها وتعاقب مظاهرها وصفحاتها

ولكنهم إذا استغنوا عن بعض هذه المصطلحات فهم أحوج ما يكونون إلى مصطلحين منها ، وهما النقائض والأضداد

فلا يخفى أن مذهب القوم يدور على الحتم واللزوم ، وقد سماه بعضهم بالحتمية المادية أو material determinism ، لأنه لا يسمح بفكرة المشيئة الإلهية التى تقضى بالإرادة والاختيار فى تدبير هذا العالم

فالحالة المادية تخرج نقيضها على سبيل الحتم واللزوم لا على سبيل المشيئة والتدبير ، ولهذا وجب عندهم أن تخرج نقيضاً واحداً لا اختيار فيه ، ولو كانت تخرج شيئاً فى طبيعية الأضداد المتعددة لاقتضى ذلك مشيئة تميز بين الأضداد وترجح بعضها على بعض فى التطور من حال إلى حال . ولا يخفى أن الشىء قد تكون له أضداد كثيرة غير أضداد التقابل ولا يكون له غير نقيض واحد ليس يقبل التعدد والتكرار

فذكر النقيض فى مذهبهم لازم على قدر ما فى هذا المذهب من الحتم واللزوم

أما الأضداد فلزومها عندهم أن الحالة اللاحقة تنقض الحالة السابقة ، ولكن السابقة لا تنقض اللاحقة ولا تبطلها ولا تنفيها . فهى مضادة لها وليست ناقضة لها أو واقفة عندها موقف النقيض من النقيض

ومثال ذلك فى مذهب القوم أن طور الصناعات البخارية ينقض طور الصناعات اليدوية لأنها تأتى بعدها . ولكن الصناعات اليدوية لا تنقض الصناعات البخارية التى تعقبها ، وكذلك عصر المدن التجارية ينقض عصر الإقطاع ، ولكن عصر الإقطاع لا ينقض عصر المدن التجارية ، وقس على ذلك جميع الأدوار فى ترتيب التطور الاقتصادى ، أو ترتيب التطور فى مادة الكون على التعميم

فإذا تعددت هذه الحالات ، فالأصح أن تسمى كلها أضداداً بعضها لبعض ، لأن هذه الصفة تصدق عليها جميعاً بلا استثناء ، ولكنك لا تسمى السابق منها ناقضاً لما يأتى بعده ولا مناقضاً له إلا فى عالم العقل دون عالم الواقع الذى يفسره الماديون الثنائيون .

وبعد ، فهذه همسة فى الآذان المفتحة ، وعركة فى الآذان المغلقة ، وقد يفتح العرك ما استغلق من الآذان !!

**عباس محمود العقاد**

# بين الفكر والعمل

للأستاذ عبد المنعم خلاف

كلما استعرضت ما يقال فى الأندية الثقافية والمعاهد العلمية ، وما يكتب فى الصحف والمجلات حول الأخلاق والمثل العليا ، ووازنت بينه وبين حياة الواقع وما تندفع إليه مراكب الحياة العملية من الانحدار والسوء ... كدت أميل إلى أن الكلام فى المثل العليا ليس إلا لإدراكها فى عالم الفكر فقط ، وأننا لا نملك قدرة عملية على تحقيقها ، وأن الكلام فيها ليس إلا لحملنا على الإيمان بأن هنالك عالماً للكمال الذى فى آجل حياتنا ، فيجب أن نؤمن به للآجل لا للحاضر . وكدت أميل إلى أن الكلام فى تلك المثل ليس إلا صناعة اتخذناها للارتزاق كما اتخذنا صناعة الأحذية ودبغ الجلود للارتزاق أيضاً ... لما رأيته من أن كثيراً من المتكلمين يؤجرون كما يؤجر الراقصون والمغنون وغيرهم من محترفى الفنون الذين يستعان بهم للترويح عن النفس وللزينة وتجميل الحياة ، و « للاستعراض » والترف الذهنى واستعمال ما يسمونه « حرية الفكر » ...

ولكن ... هل هذه الظاهرة — ظاهرة بعد حياة الواقع عن حياة الفكر — مطردة فى جميع الأمم ؟ إننا نعلم أن هنالك أمماً أدركت فى حياة الواقع كثيراً من أحلام الكمال ، أو اتجهت نحو الكمال أو سددت وقاربت إن لم تكن أدركت ، وأن العزيمة الصادقة والإرادة القوية والإخلاص للجمال والنظام صفات جديرة أن تنزل بعض سماء ما فى عالم النفس والفكر من أحلام الكمال إلى عالم الواقع وتجسيمها .

والحق أن كثيراً من حقائق الأخلاق اليوم فى بعض الأمم كانت أحلاماً بالأمس ، وأن ضمير تلك الأمم قد صقل بالخير واقتنع به وارتاح إليه وبنى حياة الاجتماع عليه .

والحق كذلك أن تعاليم الخير صار ينادى بها الآن — ولو نظرياً — فى معاهد جميع الأمم .

وانظروا : هل فى الأرض إلا أمم وأفراد ترفع رءوسها نحو الحريات والكرامات تطلبها لنفسها بالدم والرأى والسلم والثورة ؟ وهل فيها صرخات وهتافات بكلمات الحق والعدالة يطلبها المستضعفون لأنفسهم وللناس ، ويتشدق بها الأقوياء والمسلطون كحلية يزينون بها صوالج دولهم ، ويجملون بها الأحاديث عن سلطانهم ، ويزعمون أنهم حماتها وأساتها والماهدون لها فى مجال سطوتهم ؟

فما ذا يدل عليه ذلك غير أن « سطح الحياة الإنسانية » ابتدأ يغلى ويفور ويشتد ويقذف وينضج ؟ إن كل وحدة إنسانية تطلب الآن لنفسها ولقومها حقوق الحياة الكريمة الطيبة ، لأنها تريد أن « تعيش » فى عصر أصبحت فيه الحياة جديرة بأن « تعاش » بعد أن فتح العلم آفاقها ومهد مسالكها ووسع رحابها وأمدها بروح من قدرة الله وجدد ديباجتها وملكها مفاتيح كنوز الصحة والثروة ومقامع المرض والفقر والجهالة ، وأفاض عليها بركات من السماء والأرض ، وإنما يسىء إلى الحياة شىء واحد يشوه وجهها ويطمس سحرها ، وهو أنانية بعض الأقوام !

هو الاستعمار الجشع : سواء كان استعمار طبقة لطبقة أم قوم لقوم أم فرد لفرد . فهو الشىء الوحيد الكافر بروح هذا العصر والناشز فى انسجامه والمشوه لوجهه !

***

ولو أحسنا الإدراك والتفريق بين الأفكار التى للعمل والأفكار التى للترف الذهنى ، وعرفنا كيف نقدم الاستفادة بأفكار العمل فى الأمم الشارعة فى النهوض على غيرها من الأفكار لأنها أساس حياة الاجتماع ووسيلة بعث الثقة فى نفوس الأفراد وتأمين حياتهم وحل مشكلات « عيشهم » لوفرنا على أنفسنا أزمات وشدائد تثير فى نفوسنا الشك فى حديث المثل العليا وتوهى عوامل الثقة والطمأنينة إلى الحياة .

وأعنى بأفكار العمل الأفكار التى هى أمهات الأخلاق والعلوم والأعمال الصالحة ، وهى الأفكار التى درجت الإنسانية ونقلتها من طفولتها وأقامت الحرمة والقداسة حول أصول حياتها ، وهى تشمل أيضاً العلوم والمعارف الطبيعية التى تمهد الحياة المادية تمهيداً يسمح باستقرار العيش ورفاهته والإقبال على الحياة فى ثقة بها واستمتاع بطيباتها

وهى أفكار يجب الحرص عليها دائماً فى كل عصر لحفظ

الاجتماع واحترام حرمات الإنسان والاستمساك بقيم الحق والخير فى حياته ، وهى أيضاً أفكار لا يجوز مطلقاً أن يعفى من العلم بها والعمل بمقتضاها أى فرد فى الدولة ، بل والمحيط الإنسانى ، لأنها « القاسم المشترك » فى جميع النفوس ، والميراث الواحد الذى انحدر إلينا جميعاً من تاريخ جهاد الإنسانية فى سبيل الحق والكمال والألفة والوحدة .

فنحن لا يؤاكل بعضنا بعضاً فى الأسرة ، ولا يجامل بعضنا بعضاً فى القبيلة والأمة ، ولا نتراحم بالمعنى الواسع فى الإنسانية ، ولا نسعى لترقيها وإسعادها بالعلوم والمعارف إلا تحت تأثير القديم العميق لمواريث هذه الأفكار العملية التى هى فى مبتدى أمرها فيض من روح الخير فى الطبيعة البشرية ومن هدى « الدين » الذى قاد هذا الطبع الخيّر فى ظلمات التاريخ ، حتى وصل الانسان إلى عصر رشده وقدرته .

وقد يعترى نفوسنا بعض الانقباض والاستثقال لتلك الأفكار العملية وما يتبعها من تكليف نظراً لما يلابسها من قيود ومضايقات تقيد حرية الطبع والهوى الذى لا يعرف إلا الانطلاق وإشباع الشهوات ، ولكن هذه القيود نفسها لازمة لتحقيق حرية الطبع وحرية الفكر فى حدود المعقول ؛ لأن القيود التى تفرضها الجماعة فى الواقع إنما هى لحفظ الحريات الفردية فى حدود خاصة غير مختلطة ، ولن تتحقق لأى فرد حريته الضرورية إذا أطلقنا لكل فرد حريته الطبيعية ؛ لأن الحريات عندئذ تتصادم وتتنازع ، ويتغلب قوىّ واحد يسلب الجميع حرياتهم ويستعبدهم ، ويتمتع هو وحده بإشباع هواه الطليق الذى لاحدود له ، ويترتب على هذه النتيجة السيئة جميع الحالات السيئة فى حياة الاجتماع ، والتى كانت طابع عصور الاستبداد والمظالم والجهالات والضياع فى مجرى التاريخ .

***

أما أفكار « الترف الذهنى » فمرتبتها بعد تلك ، وخاصة فى بدء النهضات كما قدمنا ؛ ولكن مع الأسف قد ذهب كثير من رواد الفكر والإصلاح فى مصر من عصر إسماعيل للآن إلى أن جلبوا لأمتهم الأزهار وتركوا الثمار ، وفتنوا بالألوان والأضواء وتركوا جواهر الأشياء .

وكان إدراك « محمد على » الكبير أصح من إدراكهم ، وجهده أقرب إلى طبيعة الأشياء من جهدهم . إذ عنى ببناء أساس النهضة المصرية العملية المعتمدة على الأفكار العملية قبل أن يعنى بالترف الذهنى . فأسرع الخطى بمصر ، وبعث الثقة فى نفوس أبنائها ، والخوف فى قلوب أعدائها .

وكذلك فعلت اليابان فى بدء نهضتها ؛ إذ كانت تكثر من إرسال البعوث إلى المصانع والمعامل الأوربية وتقلل من البعوث النظرية للآداب والفنون والفلسفات .

وكان من نتائج الاتجاه إلى الترف الذهنى أن وجدنا فى مصر الطبقة المثقفة الأولى طبقة أوروبية أو أمريكية بالفكر والسلوك الظاهرى وهم مصريون باللون والجنس والانتساب ، وقد انفصلوا بأفكارهم وحياتهم عن أمتهم ، وضاقوا بالمتخلفين منها ذرعا ، ووجدت بينهم وبين السواد الأعظم هوة واسعة سحيقة ، وحين يحاولون إصلاحها يكون أول ما يتوجهون إليه أن يجلبوا لها آخر ألوان الإصلاح والترف فى الأمم العريقة فى النهضة والرقى ، قبل أن يقيموا أسباب الحياة الصالحة على قواعد بسيطة عريضة تتسع للشمول . فصاروا يهتمون بالقرى النموذجية ، والمناظر الاستعراضية وفنون الحياة الأمريكية والأوروبية ، ويتحدثون عن أحدث ألوان الحياة ويتركون الحديث عن قراهم ودساكرهم التى كأن سكانها من آثار الأزل السحيق والماضى الواغل فى القدم !

وبدهى أن إصلاحا على هذا الأسلوب يكون كإلقاء قطعة من السكر فى بحر من الملح !

***

وكل يوم يمر على أمة بدون أن تعلم ما استجد فى العالم من الكشوف والمخترعات يجعلها أمة بائدة ضعيفة متخلفة وراء الأمم العالمة ...

فما بالنا بالأمم الواقفة عند خطوات آبائها الأولين من آلاف السنين كالمستنقعات الآسنة التى تزيدها حرارة شمس كل يوم جديد عفونة !

**عبد المنعم خلاف**

# علوم البلاغة فى الجامعة

للأستاذ على العمارى

— ٣ —

وماذا يقول الاستاذ فى قول الله تعالى : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » ؟ لقد ذكر أن تشبيه زرقة البنفسج بأوائل النار فى أطراف الكبريت ليس شيئاً لأنه ينقلنا من جو الزهر والجمال إلى جو اللهب والاختناق ، ولم ينظر إلى فنية التشبيه ، ولا إلى ندرته . فهل يقول فى هذا التشبيه فى الآية الكريمة إنه ليس شيئاً أيضاً ؛ لأن القمر مسكنه فى السماء والعرجون مسكنه فى الأرض ، والقمر من فصيلة الكواكب ، والعرجون من فصيلة النبات ، والقمر مثال العلو والهداية ، والعرجون شىء تافه حقير لا تكاد تظهر له فائدة ؟ وهل تخسر البلاغة القرآنية شيئاً إذا وقف الأمر عند حد تشبيه القمر حين يختصر فى آخر الشهر فيدق وينحنى ويصفر بالعرجون المحول الذى دق وانحنى واصفر ، ولا يلاحظ شىء وراء ذلك مما توجبه صورة العرجون وبيئته وتفاهته ؟

لا بد إذن أن نكون مع علماء البلاغة حين يرون أن القصد من التشبيه ليس فقط إثارة جو عام بين المشبه والمشبه به أو أنه منبع لمعان تتداعى يجب أن نتلمس آثارها فى النفس ، ويكفى أن نقول معهم إن التشبيه بالمحس المشاهد يحدث نوع اطمئنان ، وأن السامع قبل أن تذكر له التشبيه قد يكون الكلام عنده غامضاً مضطرباً حتى إذا شبهت استقر القول فى نفسه ، وأنت قد تبالغ فى القول ولاتدع مزيداً فى الاسراف فلا يكون ما يكون حين تشبه بشىء محَسّ فتقول مثلا : يوم بلغ فى القصر نهايته ، وليس وراء هذا القصر قصر ، وما علمت يوماً أقصر منه ، ولكن هذه العبارات مجتمعة لا تفيد ما يفيده قول الشاعر :

ظللنا عند باب أبى نعيم  يوم مثل سالفة الذباب

( سالفة الذباب : ناصية مقدم العنق ) .

وكما أن للتشبيه هذا الأثر فكذلك التمثيل ، فحين يقول ابن الرومى :

وإذا امرؤ مدح امرأً لنواله  وأطال فيه فقد أطال هجاءه

تأخذ السامع موجة من الشك فى صدق هذا المعنى ، ولكنه حين يسمع قوله بعده :

لو لم يقدر فيه بُعد المستقى  عند الورود لما أطال رشاءه

ويرى أنه شبهه بالبئر فيها الماء كلما كان أبعد احتاج أن يطيل الماتح حبله . حينئذ تتبدد الشكوك من نفسه ، ويذهب الاستغراب عن وعيه وحسه . وإنما سقت هذه الجملة من القول لأطيل التعجب من الأستاذ كيف ينكر على البيانيين أن يجعلوا من أغراض التشبيه بيان إمكان المشبه أى بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود ، وذلك إذا كان أمراً غريباً يمكن أن ينازع فيه ، فيعلق على قول المتنبى :

فان تفق الأنام وأنت منهم  فإن المسك بعض دم الغزال

بقوله : كلامهم فى أن الغرض من هذا التشبيه بيان أن وجود المشبه ممكن : مرفوض ؛ لأن الأديب لا يضع نفسه موضع المناقش ، ولكنه يفرض نفسه على الناس ، وكل ماهنالك أن الناس من طبيعتهم إنكار هذا الامتياز ، والمعنى فيه شىء من الغرابة فى أنه واحد منهم وفاق عليهم . فقال هذا لا غرابة فيه ؛ لأن له نظائر وشواهد . اهـ .

وهذا كلام غريب جداً ووجه غرابته أمران :

أحدهما أنه ينفى الشىء ثم يثبته فى وقت واحد وسطر واحد ؛ فهو يرفض كلامهم بدعوى أن الشعراء قوم متغطرسون يفرضون أنفسهم على الأجيال وعلى الأذواق وعلى الطبائع ، ولكنه يحس أن من طبائع الناس إنكار هذا الامتياز ؛ فالشاعر يقول لا غرابة . ولا يقصد العلماء من إمكان ثبوت المشبه أكثر من أن المتكلم يأتى بقضية تقرب إلى الأذهان أن هذا جائز مادام شبيهه واقعاً .

وربما كان من الخير أن نسمع للشيخ عبد القاهر الجرجانى يحدثنا فى أسرار البلاغة عن هذا الغرض من التشبيه فقد يكون فى كلامه مقنع . « فان قلت إن الأنس بالمشاهدة بعد الصفة والخبر إنما يكون لزوال الريب فى الأكثر ، أفتقول إن التمثيل إنما أنس به لأنه يصحح المذكور والصفة السابقة ، ويثبت أن كونها جائز حتى لا يكون تمثيل إلا كذلك . فالجواب أن المعانى التى يجىء التمثيل فى عقبها على ضربين : غريب بديع يمكن أن يخالف فيه

ويدعى امتناعه نحو قوله : فان تفق ... البيت ، وذلك أنه أراد أنه فاق الأنام إلى حد بطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ومقاربة بل صار كأنه جنس برأسه ، فإذا قال : « فإن المسك بعض دم الغزال » فقد احتج لدعواه وأبان أن لِما ادَّعاه أصلا في الوجود . والضرب الثاني ألا يكون المعنى الممثل غريباً يحتاج في دعوى كونه على الجلة إلى بينة . نظيرذلك أن ينفى عن فعل من الأفعال التي يفعلها الانسان الفائدة ويدعى أنه لا يحصل منه على طائل ثم يمثل في ذلك بالقابض على الماء والراقم فيه ، وليس بعجيب أن يخيب سعى الانسان حتى يستشهد على إمكانه ، وتقام البينة على صدق المدعى لوجدانه[1] » .

ولنخرج قليلا عن مناقشة الآراء العلمية لنتحدث في شيء من البساطة عن دقة الشيخ في تعبيراته ، والمعلوم لكل من يدرس كتب المتقدمين أنهم يدققون كل التدقيق في وضع الألفاظ ، وهم في ذلك أشبه برجال القانون لا يدعون لفظة تؤدى غير معناها ولا فوق معناها ، ولعلهم أفادوا كثيراً في هذه الناحية من دراسة المنطق ، ولذلك نجد الشراح وأصحاب الحواشى من المتأخرين عنوا عناية خاصة بنقد التعابير والألفاظ . والحق أن العلوم المقعدة في حاجة إلى هذه الدقة حتى تكون التصاريف والمصطلحات وافية بالغرض . عرض لى كل ذلك حين ابتدأت اقرأ مذكرات الأستاذ في علم البيان فما كدت أنتهى من السطرين الأولين حتى وجدت أغلاطاً أربعاً ، وليست هى أغلاطاً لغوية ولا أغلاطاً نحوية حتى يمكن التسامح فيها ، ولكنها أغلاط علمية لو فهمها الطلاب على ما هى عليه لفهموا حقائقها مغلوطة محرفة قال :

« هم يقولون إن بعض التعابير أوضح من بعض . فعلم البيان هو الذى يبين درجات هذا الوضوح . فالجلة تتكون من أجزاء سليمة وهذا ما يكفله علم النحو؛ صالحة للسكنى ، وهذا ما يكفله علم المعانى . هذه الجلة ذاتها يمكن أن تعرض عرضاً متنوع الأنماط ، وهذا ما يكفله علم البيان » .

فأولا — ليست وظيفة علم البيان البحث في درجات وضوح التعابير ، وإنه لن تنقص هذا العلم أن نقول إن مباحثه تقتصر على معرفة أن مهزول الفصيل أوضح من كثير الرماد في الدلالة على الكرم ، أو أن التشبيه والاستعارة مختلفان في وضوح الدلالة ؛ ولكن هذا العلم له أبحاث كثيرة قد يكون البحث في وضوح الدلالة أقلها .

وثانياً — قوله : « الجلة تتكون من أجزاء سليمة ، وهذا ما يكفله علم النحو » . فالنحوى لا يبحث في سلامة المفردات وإنما يبحث هذا علم التصريف ، ووظيفة النحوى سلامة التراكيب .

وثالثاً — كون الجلة صالحة للسكنى ليست وظيفة علم المعانى ، ولكن صاحب المعانى يعنيه إذا أردنا أن نلجأ إلى التعبير بالمبنى أن يعرف هل هذا البناء مطابق للمواصفات التى وضعها المهندسون ، أو غير مطابق ، كما يعنيه أن يعرف هل هو ملائم للمكان والبيئة أو غير ملائم .

أما الغلطة الرابعة — فقوله : إن هذه الجلة يمكن أن تعرض عرضاً متنوع الأنماط . والذى يدقق في هذا الكلام يجده عليلا ؛ ذلك أن الجلة نفسها لا تعرض وإنما يعرض المعنى فاذا عبر شاعر عن طول الليل بقوله :

أضلَّ النهار المستنير طريقه ... أم الدهر ليل كله ليس يبرح

وعبر الآخر بقوله :

حدثونى عن النهار حديثاً ... أوْصِفوه فقد نسيت النهارا

وعبر الثالث بقوله :

فيالك من ليل كأن نجومه ... بكل مغار الفتل شدت بيذبل

فهذه التعابير كلها ليست عرضاً لجلة واحدة ، وإنما هى عرض لمعنى واحد .

***

ينكر الأستاذ على علماء البلاغة جعلهم أداة التشبيه ركناً ، ويرى أن ذلك إغراق منهم في الماديات ، ومتابعة مسرفة للتصوير العقلى أدى إلى نسيان الناحية الأدبية في التشبيه ، وهى أن أفضل التشبيه ما يقوم على إيهام أن المشبه هو المشبه به ، وهذا لا يكون إلا بحذف الأداة .

ولا معنى لهذا الكلام إلا أنه كلام فحسب ، علماء البلاغة

(١) ص ١٠٣ ، ١٠٤ طبعة المنار ( بتصرف )

وضعوا لها ضوابط ، ورأوا أن من أحكام هذه الضوابط أن تكون أداة التشبيه ركناً من أركانه لما رأوا أنها لا تنفك عن التشبيه مطلقاً ، فهى إما مذكورة وإما مقدرة ، والتشبيه البليغ لم ببن على نسيان الأداة أو إعدامها ، وإنما بنى على حذفها فى اللفظ ، وهذا الحذف اللفظى كاف فى إيهام أن المشبه هو المشبه به .

وإذا كان التشبيه إلحاق أمر بأمر ، وكانت اللغة وضعت أداة لهذا الإلحاق فلا يمكن أن يتخلى الإلحاق عن أداته مطلقاً ما دامت طبيعة اللغة تأبى هذا التخلى بل وطبيعة الناس كذلك .

فأنت عند ما تسمع كلمة تشبيه يتبادر إلى ذهنك أول ما يتبادر أن هناك أداة ألحقت شيئاً بشيء وشبهته به ، والحمل لا يمكن إلا أن يكون كذلك . تقول محمد كريم فتحمل كريماً على محمد لأنه صفة ، ولكنك إذا قلت محمد حاتم تريد تشبيهه به فى الكرم لا يمكن إلا أن تلاحظ أن هنا أداة صححت الحمل ، وإلا كنت حاملا ذاتاً على ذات وطبيعة اللغة تأباه . وقد فطن علماء البيان لمكان الأداة فى التشبيه ، ورتبوا عليها أحكاماً هى فى غاية الدقة والضبط ؛ فرأوا أنه إذا لم يمكن تقديرها مطلقاً كان الكلام استعارة ، وإذا أمكن بسهولة دار الأمر بين كون الكلام تشبيها أو استعارة ، وهو ما يسمونه التشبيه البليغ . فإذا أمكن تقدير بعض الأدوات دون بعض كان إطلاق التشبيه على الكلام مقبولا ؛ فان غمض مكان الكاف وكأن بأن يوصف الاسم الذى فيه التشبيه بصفة لا تكون فى ذلك الجنس وأمر خاص غريب كقوله :

شمس تألق والفراق غروبها عنا وبدر والصدود كسوفه

فهو أقرب إلى أن نسميه استعارة ؛ فإنه قد غمض تقدير حرف التشبيه فيه إذ لا تصل إلى الكاف حتى تبطل بنية الكلام ، وتبدل صورته . وقد يكون فى الصفات التى تجيء فى هذا النحو ما يختل به تقدير التشبيه فيقرب حينئذ من القبيل الذى تطلق عليه الاستعارة من بعض الوجوه كقوله :

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه يرعد

لا سبيل لك إلى أن تقول هو كالأسد وهو كالموت لما يكون فى ذلك من التناقض [1] .

وأيا ما كان فلا معنى لأن ننكر شيئاً يقره المنطق والعقل واللغة والذوق . ولا أحب أن أختم قولى فيما كتبه الشيخ تعليقاً على بعض مباحث البيان حتى ألفت نظر القارىء إلى ما يلجأ إليه الأستاذ من تكلف الشطط فى تأويل النصوص الأدبية وبيان مواضع البلاغة فيها . يقول بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ويقول الأستاذ : « التركيب يفهم على أنه صورة ملونة . الغبار تكاثف حتى أظلم ووصل إلى السواد القاتم ، وليس تشبيه مثار النقع بالليل لمحض القتام ، وإنما ملحوظ فيه أيضاً الحيرة والظلام والخطورة والاضطراب وهذا ما يطلب فى القتال بالسيوف ؛ فاذا أضفنا إلى هذا الحالة النفسية لمن يقاتل بالسلاح الأبيض نجد أنه يعتقد أنه معرض للموت بشهاب ممزق ، ولذا قال فى السيوف ليل تهاوى كواكبه » .

فهذا كلام يقوله من لا يحسب لعقول الناس حساباً فمن أين له أن بشاراً لاحظ فى تشبيه الغبار بالليل الحيرة والضلال والخطورة ؟ ! ومن أين له أنه لاحظ أن المقاتلة يتوهمون أنهم معرضون لشهاب ممزق ؟ ! ومتى فكر المقاتل فى رُجُم السماء وهو مشغول عنها برجم الأرض ؟

المسألة بسيطة جداً : يريد الشاعر أن يمثل جماعة يقاتلون وقد عقد الغبار فوق رؤوسهم ظلاماً كما يقول أبو الطيب :

نثرت سنابكها عليها عثيراً لو تبتغى عنقاً عليه لأمكنا

ثم تصور سيوفاً بيضاً لوامع مستطيلة تعلو وتهبط وتجىء وتذهب ، تتلاق وتتداخل ويقع بعضها فى بعض . فالتمس لذلك شبهاً فوجده فى ليل مظلم تتساقط كواكبه ، وما أظنه خطر على باله شيء مما يقول الأستاذ ، ولكنها دعوى التجديد .

**على العمارى**
المدرس بمعهد القاهرة



(١) أسرار البلاغة ص ٢٨٦

# الحلم والتحلم ...

للاستاذ محمود عزت عرفة

— ٣ —

« إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتحر الخير يعطه ، ومن يتوق الشر يوقه »
حديث شريف

**المأمون :**

يرتفع الستار بعد موت الرشيد عن مشهدين متنائيين — أحدهما في بغداد والثاني في مرو — بينهما متسع من الأرض فسيح تخب الدسيسة فيه وتضع .

ولم يكن هذا النزاع بين الأمين والمأمون إلا مظهراً لنزاع أشد وأروع بين حاشيتيهما في حاضرتي العراق وخراسان ، وكان على رأس الأولى الفضل بن الربيع يشد أزره فريق من دعاة السوء وأرباب المطامع ... وعلى رأس الثانية الفضل بن سهل يكتنفه الشيعة من أهل خراسان ، وقد وطدوا عزمهم على تقويض العرش العباسي ببغداد وإسناد الخلافة إلى العلويين ، ( والعجيب أن المأمون أصبح يرى هذا الرأي ، بل هو يضعه موضع التنفيذ كما سترى ) .

ولم يكن بين الأخوين من العداوة الشخصية ما يبلغ حد القتال ، ولكن بُعد ما بينهما أفسح المجال للدسائس والوشايات ، وكان الأمين ضعيف المنّة فاشل الرأي يصيخ لإغراء وزيره ، ودسِّ رجال حاشيته ، فنادى بخلع أخيه من ولاية العهد وجعلها لابنه موسى ( الناطق بالحق ) .

وكان خليقاً بالمأمون أن يرفض هذا التبديل ، وأن يأبى التنازل عن حق كفله له أبوه الرشيد بإشهادين أودعهما البيت الحرام ... وكان قد أزالهما الأمين عن موضعهما بإشارة خبيثة من الفضل[1] .

(١) كان الرشيد عند وفاته بطوس ( ١٩٣ هـ ) قد أوصى بالجيش وسائر معداته وذخائره لابنه المأمون ، فخالف الفضل بن الربيع هذه الوصية وارتد بالجيش إلى بغداد وفقاً لرغبة الأمين ، ولم يقبل دعوة المأمون له بالرجوع ، فأوقع ذلك في نفسه الرهبة من انتقامه إذا ما تولى الخلافة و... ومن هنا كان تفنن الربيع في الكيد للمأمون !

تحركت جيوش جرارة من بغداد منذ عام ١٩٥ هـ بقيادة : علي بن عيسى ، وعبد الرحمن بن جبلة ، وابن مزيد ، وابن قحطبة على التوالي . فانبرى لقتالها رجلا المأمون : طاهر بن الحسين ، وهرثمة بن أعين .

وبعد حروب امتدت ثلاثة أعوام وطئت عساكر المأمون أرض بغداد . وقُتل الأمين بأيدي الخراسانيين ، وحمل رأسه إلى أخيه مع بقية شارات الملك ، وكان هذا القتل على غير رغبة المأمون ...

تولى كِبرَه رجال طاهر من الفرس حين أسلم الأمين نفسه إلى هرثمة بن أعين . وليس من شك في أن الأمين أيضاً كان يضنّ بأخيه أن يقتل فيما لو أظفره الله به . وإنا لنراه يوصي قائد جيوشه ( علي بن عيسى بن ماهان ) يوم وجَّهه من بغداد إلى خراسان فيقول :

إذا أشخصتَه — يعني عبد الله المأمون — فليكن مع أوثق أصحابك عندك ، فإن غره الشيطان فناصبك العداء فاحرص على أن تأسره أسراً !

وتقول زبيدة أم الأمين في وصيتها للقائد ( علي ) : اعرف لعبد الله حق والده وأخوّته ، ولا تجبهه بالكلام فإنك لست نظيره ، ولا تقتسره اقتسار العبيد ، ولا توهنه بقيد ولا غل ... ولا تركب قبله ، ولا تستقل دابتك حتى تأخذ بركابه ، وإن شتمك فاحتمل منه ، وإن سفه عليك فلا تراده ... ثم هي ترفع إليه قيداً من الفضة وتقول : إن صار في يدك فقيده بهذا القيد !

فلما تم النصر للمأمون ، واستولى على عرش بغداد قال لجلسائه مرة وهو يثلب الفضل بن الربيع ويعدد مخازيه : كان صغوه إلى المخلوع ، فحمله على أن أغراه بي ودعاه إلى قتلي ، وحرك الآخر ما يحرك القرابة والرحم الماسة فقال : أما القتل فلا أقتله ، ولكن أجعله بحيث إذا قال لم يطع ، وإذا دعا لم يُجَب . فكان أحسن حالاتي عنده أن وجَّه مع علي بن عيسى قيد فضة بعد ما تنازعا في الفضة والحديد ؛ ليقيدني به ، وذهب عنه قوله تعالى : « ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغي عليه ، لينصرنه الله » هـ

كان المأمون يعرف عن أخيه فسولة الرأي وسهولة الانقياد لمن أحاط به من بطانة السوء ، ولعله لو وقع في أسره لكان أقصى

ما يفعله معه أن يقيده بهذا القيد من الفضة الذى أعده له ، ثم يحمله حتى يطرحه عند أمه زبيدة فيقول لها : أدِّ بى ولدك يا أماه بما أساء ، فلقد خان عهد أبينا الرشيد ، وأصاخ إلى من يريدون بأمرتنا وبملكنا شراً ...

ولكن جرت الأمور بغير ما قدر هؤلاء جميعاً ، وطاح رأس الأمين على مذبح هذه الفتنة المشوم ، والتفت المأمون حوله فإذا سكون شامل وصمت رهيب ؛ وإذا أعداؤه ما بين قتيل قد كُفى شره ، أوهارب يتلمس التخفى ويطلب أسباب النجاة ، ولم تنشط نفس المأمون إلى ورود بغداد واعتلاء عرشها الدامى إلا بعد انطواء ست سنين على مقتل أخيه ( من ١٩٨ إلى ٢٠٤ هـ ) ، وكأنما كانت نفسه قد ملت القتل وبرمت بالقتال ، وامتلأ قلبه بالسكون وبالطمأنينة ، وبالفلسفة والتأمل الصامت ؛ فجنح إلى العفو والمسامحة ، وشغل عن كثير من مطامع الحياة وأهواء السياسة والمجتمع ، وانصرف بجهده إلى العلم ومدارسته وتشجيع المشتغلين به ، وحثهم على التوفر عليه ؛ كما هو معلوم من سيرته ...

وكان عفوه عمن دخلوا فى فتنة الأمين شاملا ، وأتبع ذلك عفوه عن عمه إبراهيم بن المهدى الذى ادعى الخلافة (عام ٢٠١ هـ) قبل مقدم المأمون إلى بغداد ، وكان سبب قيام ابن المهدى فى بغداد ما أجمع عليه العباسيون من خلع المأمون عند ما اختار لولاية عهده علياً الرضى بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق من العلويين وظهر الفضل بن الربيع وقتئذ — وكان مختفياً منذ مقتل الأمين — فانضم إلى ابن المهدى متحدياً المأمون للمرة الثانية ، وكان من العجيب أن يشمله العفو رغم كل ذلك . ولما مثل بين يدى المأمون فى ذلته وانكساره قال له : يا فضل ، أكان من حق عليك وحق آبائى ونعمهم عند أبيك وعندك ، أن تثلبنى وتسبنى وتحرض على دمى ؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إن عذرى يحقدك إذا كان واضحاً جيلا ، فكيف إذا حفته العيوب وقبحته الذنوب ؟ فلا يضق عنى من عفوك ما وسع غيرى منك ، فأنت كما قال الشاعر فيك :

صفوحٌ عن الإجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالى أن يكون به الأذى ... إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما[1]

(١) قال الصولى : الشعر للحسن بن رجاء.

فأسبل المأمون عليه ثوب عفوه ...

وعفا عن إسحق بن العباس ، وكان ممن أجلب مع ابن المهدى ، وعفا أيضاً عن ذوى قرابته من آل عبد الملك بن صالح بعد أن كان قبض ضياعهم . فردها عليهم وقضى حوائجهم .

بل لقد هجاه دعبل الخزاعى الشاعر بداليته التى يقول فيها :

أيسومنى المأمونُ خطة خسفِهِ ... أو ما رأى بالأمس رأس محمد ؟

فلم يمد إليه يداً بسوء . ثم عمل دعبل أبياتاً فى إبراهيم بن المهدى بعد العفو عنه ، أولها :

نعر ( ابن شكلة ) بالعراق وأهله ... فهفا إليه كل أطلس مائق

فشكاه إبراهيم إلى المأمون . فقال له : لك أسوة بى ، فقد هجانى واحتملته ، وقال فىّ : أيسومنى المأمون ... وأنشده الأبيات . فقال إبراهيم : زادك الله حلماً يا أمير المؤمنين وعلماً ، فما ينطق أحدُنا إلا عن فضل علمك ، ولا يحلم إلا اتباعاً لحلمك .

وهجا الحسين بن الضحاك المأمون بقصائد ، ثم دخل عليه فى بغداد مادحاً ، فعاتبه ووبخه ؛ ثم عفا عنه ، وقال : جعلت عقوبة ذنبك امتناعى عن استخدامك .

***

كانت فتنة الأمين والمأمون شديدة الوقع فى نفوس العباسيين جميعاً ، وضاعف من وضعها مقتل الأمين الذى يعد الحادث الأول من نوعه فى تاريخهم ، وقد تلا ذلك فترة سكون وسلام داخلى زينها المأمون بعفوه وتسامحه ، وبلغ من تماديه فى هذا الخلق الكريم أن كان يقول : أما لو عرف الناس ما لنا فى العفو من اللذة لتقربوا إلينا بالجنايات !

وكأنما كان يسمع كلامه هذا أحدُ البغداديين حين أثنى عليه بقوله :

مازلتَ فى البذل والنوال وإطـ ... ـلاق لعانٍ بجرمة غَلِقِ
حتى تمنى البراء أنهمو ... عندك أسرى فى القيد والحلق

ولقد أتى على المأمون حين من الدهر كان لا يثق فيه بالسلامة من أعدائه فضلا عن التغلب عليهم . فلما توطد له الأمر وتمت عليه نعمة ربه ؛ جعل من العفو عن أعدائه شكراً يتقرب به إلى الله

وقد ألم بهذا المعنى فى كلامه غير مرة … كان فى مجلسه من أصحابه يوماً حين انهملت عيناه بالدمع ، فلما سئل عن سبب بكائه قال : ما ذلك من حدث ، ولا لمكروه هممت به لأحد ، ولكنه جنسٌ من أجناس الشكر لله لعظمته ، وذكر نعمته التى أتمها علىّ كما أتمها على أبوىّ من قبل . أما ترون ذلك الذى فى صحن الدار — يعنى الفضل بن الربيع — كان فى أيام الرشيد ، وحاله حاله ، يرانى بوجه أعرف فيه البغضاء والشنآن ؛ وكان له عندى كالذى لى عنده ، ولكنى كنت أداريه خوفاً من سعايته وحذراً من أكاذيبه . فكنت إذا سلمت عليه فرد علىّ ، أظل لذلك فرحاً وبه مبتهجاً …

وعفا المأمون عن سعيد الخطيب وقال عنه — وقد وقف على رأسه يمدحه ويشيد بسيرته — : هذا الخطيب كان بالأمس يقف على المنبر الذى بإزائى مرة ، وعلى المنبر الغربى مرة ، فيزعم أنى المأفون ولست بالمأمون ! … ثم هو الساعة يقرظنى تقريظه المسيح ومحمداً عليهما السلام !

## صلاح الدين الأيوبى :

يعد صلاح الدين النموذج الكامل للحليم يجنى عليه حلمه ، ويُوزده وقومه موارد الضر والأذى . فهو قد نهض بهذا السلاح النبيل فى وجوه قوم لم يتخذوا سوى الغدر والخيانة عدة لهم وسلاحاً ، وكانوا بما دسّ فى عقولهم رهبان القرون الوسطى لا يرون فى الحملات الصليبية إلا وسيلة لإبادة المسلمين بالمشرق ، والاستيلاء على تراثهم المادى فيه .

وهكذا كانت خرافة بيت المقدس وتطهيره من ( الكفار ) تخديراً — ليس أكثر — لأعصاب اللاتين من طغام أوربا ، واستثارة للعصبية الدينية المقيتة فى نفوسهم ، ولم يكن ليسع البابا أوربان الثانى وهو يرسل صيحاته المفتعلة — فى كليرمونت بفرنسا عام ١٠٩٥ — إلا أن يقرنها بذكر الباعث الحقيقى على شنّ هذه الحروب فيقول : إنها ليست لاكتساب مدينة واحدة ؛ بل لامتلاك أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التى لا تحصى . فاتخذوا البيت المقدس حجة ، وخلصوا الأراضى المقدسة من أيدى المختلسين لها ، وامتلكوها أنتم خالصة لكم من دون أولئك الكفار ، فهذه الأرض كما قالت التوراة : « تفيض لبنا وعسلا »[1] .

وكان سواد الجيوش الصليبية يتألف من رعاع أوربا الذين طمست الجهالة بصائرهم ، فساقهم رجال الدين سوق السائمات لتحقيق مآربهم السياسية وأطماعهم المادية . يصفهم المستشرق الانجليزى سير وليم موير بأنهم « الطبقة الدنيا … خرجوا فى جموع غفيرة متبعين بطرس الناسك وغيره من القواد ، مدفوعين بالتعصب الشديد ؛ ولكن لم يلبثوا أن ظهروا عبيداً للشهوات والميول الدنيئة[2] » .

ويقول عنهم فى موضع آخر : « أما البارونات والفرسان مهما كانت طبقتهم ، فلم يكن همهم غير التنازع على السيادة . والواقع أنه قضى عليهم الشره والغيرة والخصام والمبالغة فى الترف وهؤلاء الرجال الدنسون هم حماة الأرض المقدسة ! » .

ويصف من شرهم يوم فتحوا بيت المقدس أنهم سفكوا دماء سبعين ألف مسلم لم يراعوا فيهم حرمة لشيخ أو امرأة أو طفل . ثم يقول : « وبعد أن أشبع جنود الصليب شهواتهم الوحشية أوفوا بنذورهم وقبلوا الحجر الذى كان يغطى المسيح الذى قال : إن مملكتى ليست من هذا العالم وإلا لما قاتل أتباعى » .

هؤلاء هم الأعداء الذين قدر لصلاح الدين أن يلقاهم فى ميدان الجهاد … فكيف لقيهم ؟

لسنا نعدو هنا الإشارة إلى بعض مواقفه حيالهم ، غب كل انتصار كان يتم له عليهم ، ففى ذلك وحده ما يكفى فى الدلالة على ما نريد .

أسر السلطان صلاح الدين فى موقعة حطين : جاى دى لوزينان ( جوى ) ملك بيت المقدس ، وبليان صاحب الرملة ، ورينولد أمير الكرك والشوبك . فلم يهدر إلا دم الأخير منهم وفاءً ليمين كان أقسمها أن يضرب عنقه بيده جزاء ما تطاول به على مقام النبوة ، ولسوء غدره ، وكثرة تعرضه لقوافل المسلمين المجتازة على الكرك .

(١) تاريخ صلاح الدين الأيوبى للدكتور أحمد بيلى

(٢) تاريخ دولة المماليك فى مصر تأليف وليم موير ، وترجمة محمود عابدين وسليم حسن

أما بليان صاحب الرملة فقد استأذن من صلاح الدين — كما يستأذن الحر الشريف ! أن يتركه يمضى إلى القدس فيحمل زوجه وأولاده قبل أن تدهمها جحافل السلطان وأقسم ألا يتجاوز مكثه بها الليلة الواحدة . فلما بلغها التف حوله القوم ضارعين ، واستماله البطريق إلى أن يقيم معهم ليضطلع بقيادة الحملة الصليبية وأباحه كنوز الكنيسة يتناول منها ما يشاء . فجنح الأمير إلى الغدر ، ونسى يمينه ووعده فما ذكّره بهما إلا صلاح الدين وهو يدق عليه أبواب بيت المقدس ، ثم يفتحه على القوم صلحاً ؛ ومن العجيب أنه خرج مع سائر من خرجوا — وفق شروط الصلح — معافى موفوراً ...

وأما جاى دى لوزينيان Guy de Lusignan ملك بيت المقدس فقد احتمله السلطان معه فى تنقلاته فترة ما ، فلما كان فى (أنطرطوس) أطلق سراحه بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق أن يغادر الشام إلى أوربا نافضاً يده من القتال . فحنث هذا الملك بعهده ؛ ومضى إلى صور حيث أبى عليه كونراد صاحب حاميتها أن يتولى معه زمام أمر . فاتجه إلى طرابلس وحشد بها الحشود ، ثم ذهب إلى عكا — وكانت فى يد المسلمين — فضرب حولها الحصار عامين ، يعاونه فيليب ورتشارد ملكا فرنسا وانجلترا ، وقد قتل فى هذا الحصار ستون ألفاً من المسلمين ، ثم جرت يوم فتحها مذبحة رهيبة ذهب فيها ألفان وسبعمائة مسلم . ويقول المؤرخون إن ملكى الانجليز والفرنسيس مرضا فى أثناء هذا الحصار فأرسل إليهما صلاح الدين ألطافاً من ثلج وشراب بارد وفاكهة وغيرها[1] .

لقد كان صلاح الدين فى الحقيقة أسداً باسل الهمة كريم النحيزة ، يلقى ذئاباً ضاريات حشو جلودها الخسة والمكر ، والخديعة والجبن ، وأشباهها من دنيئات الأخلاق .

ولقد أفضى سقوط عكا عام ١١٦١ م فى أيدى الصليبيين إلى نتيجة مؤلمة رهيبة هى — فى أوجز تعبير — امتداد الحروب الصليبية « مائة عام » أخرى يسجلها التاريخ بمداد من الدم الصبيب !

فقد اتخذ الصليبيون عكا حصناً لهم عوضاً عن بيت المقدس ، وظلوا يناوئون منها المسلمين فى الشام وفى مصر ؛ حتى كان سقوطها على يد السلطان الظاهر بيبرس ( ١٢٩١ م ) خاتمة لهذه المذابح الفظيعة التى انتهت بطرد الصليبيين من المشرق بعد أن لطخت سجل تاريخ العصور الوسطى بدماء لا تبلى ولا تجف . فما أبهظ الثمن الذى دفعه المسلمون من دمائهم ومن مدنيتهم — خلال مائة سنة « إضافية » من الحرب — لقاء هذه اللحظة العابرة التى تحركت فيها مشاعر صلاح الدين فأطلق سراح ملك بيت المقدس جاى دى لوزينان ! حقاً إنها للحظة حاسمة من لحظات التاريخ ؛ تركت على وجه الأرض أثرها الذى لا يُمحى .

( يتبع ) **محمود عزت عرفة**

(١) وفى موقعة عند يافا بين صلاح الدين ورتشارد يقولون إن السلطان أهدى إلى الملك جوادين من أفره جياده ، لما رآه يقود جوعه راجلا .

# عناصر الاستقلال . . !

[ مهداة إلى شباب العرب ]

( لأستاذ فاضل )

ليست هناك فكرة جلية لدى الأمة وفريق من خاصتها ، عن الاستقلال الحقيقي ؛ بل إنهم يفهمون من – الاستقلال – الاستقلال السياسي فحسب ! وقليلون أولئك الذين يفهمون الاستقلال على حقيقته ، والعلة في ذلك قلة ما صدر حتى اليوم من الكتب التي تعالج القضية الوطنية ، على أنها محدودة الشمول ، أو سطحية الخ .

والاستقلال بمفهومه العام يقوم على أركان ثلاثة أساسية ، وفقدان أحدها يعد ثلماً في الاستقلال ، إذ يؤثر على الآخرين . وإذا كنا لا نفيد كثيراً من المفاضلة بينها إلا أنه يهمنا أن نقرر أن كلا من هذه الأركان خطير الأهمية .

وبعد ، فما هي عناصر الاستقلال وأركانه التي يقوم عليها ؟ هذه الأركان ثلاثة هي :

الاستقلال السياسي .

الاستقلال الاقتصادي .

الاستقلال الفكري .

ولا يعزب عن البال أن العرب حتى اليوم لم يعيروا الركنين الأخيرين ما يستأهلانه من العناية والاهتمام . ولعل مرد ذلك إلى أن الأجنبي هو الذي حال دون ذلك حتى اليوم .

كذلك لا يعزب عن البال ما للركن الثالث من أهمية (خاصة) لأن علاقتنا مع ( أجنبي ) جنى ( ويجني ) فوائد عظيمة من ثلم الاستقلال الفكري ، بل هذا هو سلاحه الفتاك ، أعني « الدعاية » بمفهومها الواسع التي توفر عليه إراقة الدماء ومر العناء ، مما لم يثبت أجنبي غيره قدرته على الاستفادة من هذا السلاح ...

ولما أصبح مفهوم الاستقلال السياسي وقضية الحرية من البدائه التي لا يختلف فيها اثنان فسوف نقصر كلامنا على الركنين الأخيرين ، إجمالا .

أولا : ما هو الاستقلال الاقتصادي وأهميته وأثره ؟

هو أن يكون للبلاد زراعة ثم صناعة ثم تجارة مزدهرة ، بحيث يكون ميزانه التجاري وميزانه الحسابي سليمين ، فلا يعتمد في شيء من حاجاته على بلد أجنبي ما لم ينتج ما يسد النقص .

وعلى ضوء هذا التعريف البسيط الموجز نتساءل هل نحن مستقلون اقتصادياً ؟ ؟ الحق أننا لم نجتز بعد الخطوة الأولى في مضمار التقدم الاقتصادي ، ومازلنا مستعبدين اقتصادياً ، فكثير من المشاريع المنتجة العظيمة في بلاد العرب ، تستغل برؤوس أموال أجنبية ولا يصيبنا منها إلا نصيب الأيتام على مأدبة اللئام !

ولم تغب بعد من الأذهان والخواطر تلك الحالة الاقتصادية البائسة التي فرضت علينا طيلة الحرب العالمية الثانية ، وما تزال ، حيث تمكن الأجنبي من تحطيم كيان العرب الاقتصادي بين عشية وضحاها ، فأحصى علينا حركاتنا وسكناتنا ، ووقعنا تحت رحمته أسارى ، وازدهرت الأندية والملاهي والخلاعة ... وسهل عليه أن يستعمل جيشاً لجباً من رجالنا ... كرتزقة ... !! الخ ... الخ ... الخ ...

( وأبقى لنا جلداً رقيقاً وأعظما ) أورثنا الطبلاوي افندي[1] هذا الحيوان الذي أتخيله وحشاً يخرب ويدمر ... ويبتلع الأخضر واليابس ... وأورثنا التضخم النقدي ... وسرق الرغيف منا سراً وعلانية ، وابتلع نتاج أرضنا من بترول ومعدن ... وذهبت الدماء التي أريقت منا هباء منثوراً ... ولئن عادت تلك الظروف عدنا نحن والهنود وغيرهم ... ندفع الثمن !!!

إذن ما نزال تحت رحمته ، ولم نخط خطوات محسوسة في سبيل الاستقلال الاقتصادي ، وهذا يعني – وهو حقيقة مرة – أن الوضع الحاضر المقيت سيمتد إلى أجل غير مسمى في بلاد العرب ... وسيبقى الاستقلال السياسي – إذا أتممناه – عديم الفائدة .

ثانياً : ما هو الاستقلال الفكري وأهميته ؟ ؟

هو ألا نجري وراء الآخرين بل نجاريهم في كل شيء !

هو ألا نصدق بكل ما يرد إلى بلادنا من أفكار ومذاهب وآراء على علاتها .

هو ألا نشعر بأننا قاصرون ، وأقل جدارة ، وأحط أهلية

---

(١) ثرى الحرب كما ينعته الأستاذ الكبير الزيات

**الأدب في سير أعلامه :**

# ملتن ...

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال .. ]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٢٨ —

**البطل الضرير :**

وكان ملتن في جنوحه إلى الراحة يفكر فيما عسى أن يرد به سلامسيس على رده هو عليه ، ويدير في خاطره ماذا يصنع وماذا يعد من رد ؛ حتى جاء هذا الكتاب فاستأثر بفكره ، وطلب إلى ملتن أن يرد فيدفع عن وطنه ما يتهم به كما فعل حيال صيحة سلامسيس ، وما كان في حاجة إلى أن يطلب إليه ذلك . في هذا الكتاب تهجم وقح على قوم بجلهم وعلى حكومة يعتز بها فضلا عما فيه من مطاعن شخصية كفيلة بأن تثيره وتسخطه على صاحبه أعظم السخط .

ومن عسى أن يكون صاحب هذا الكتاب ؟ ذلك ما أخذ يتساءل ملتن عنه ؛ فليس على غلافه إلا أنه طبع بإشراف ألكسندر مورس ، وفطن ملتن آخر الأمر أن مورس هذا هو مؤلف الكتاب ولكنه يتوارى . والواقع أن مؤلف الكتاب كان يعيش في انجلترة ما بين أكسفورد ولندن ، وهو بيير دى مولان ، ولم يجرؤ بالضرورة أن يلقى بكتابه إلى مطبعة في انجلترة فأرسله إلى مورس في هيبيج ، وهو من سلالة اسكتلندية ولكن أباه نزح إلى هولندة ؛ ونشر مورس الكتاب وقدم له ، وظن ملتن وشايعه في ظنه أكثر الناس أن الناشر هو المؤلف ؛ وكتم مورس حقيقة الأمر كتمانا شديداً فيما يتعلق بمؤلف الكتاب ، ولكنه أنكر أنه مؤلفه ؛ إلا أن إنكاره لم يزد الناس إلا اعتقاداً بأنه هو لحقت عليه لعنة ملتن وأصحابه أجمعين ، وبالغ مورس في كتمان سره وكان شديد الوعى ؛ فلو بدرت منه كلمة أو إشارة

---

من الآخرين . ففي مضمار السياسة والوطنية يجب أن نعمم الأفكار العربية الصحيحة ، وأن تكون لنا فكرة أو عقيدة ثابتة لا نخرج عن حدودها .

وأن نميز بين الآراء الصحيحة والمغشوشة التي تُبثّ في وسطنا ، فنفضح الموضوعة بقصد التمويه والتضليل ... فكثير من المفتريات والأباطيل تلعب دوراً خطيراً في عقول عامة الناس وفريق من الخاصة .

ولنضرب مثلا : لنفرض أنها حدثت ثورة في بلد عربي في وجه الطغيان ... وقد حدثت فعلا ... وكانت النتيجة المعروفة ... وذهبت الأمة في آرائها مذاهب شتى ! لماذا ؟ لأن الأجنبي سمم الأفكار وألبس الباطل بالحق ... بأبواق دعايته المنظمة ... ونجح أخيراً في تفريق الكلمة وصدع الشمل ، وتشتيت الجماعة ، ورد الكيد إلى النحر ... وباتت الأمة تئن أحرارها ... وتخبط في دياجير العمى جهلتها ... وكانت الطامة الكبرى والعياذ بالله ! .

وفي مضمار المعرفة : يجب أن يكون لنا منبع علمي عربي تنهل منه ناشئتنا ، فلا نشعر بالنقص على الدوام ، ويعقم عقليتنا .

وفي اللغة : ( وهي الأمة ... والأمة هي ) كما يقول الحكماء لغتنا الخالدة يجب أن نؤمن بعبقريتها ، ونفخر ونعتز .

ولا بدّ من زيادة الإيضاح حول « الاستقلال الفكري » لكي ندلل على أهميته وأثره :

قضت البلاد العربية حيناً من الدهر طال وهي تتلقى صنوف المصائب من غفوة طبيعية في ظلام العهد العثماني .. إلى غفوة صنمية ! إكراهية في هذا العهد الأسود الأبيض المميت ، حيث تتلقى كل يوم بل كل ساعة بل كل لحظة ؛ ضربة صامتة في صميم الاستقلال والكرامة — يوجهها عبدة المادة وإخوان المطامع . لقد توطنت النفوس على الشعور بالنقص ، وضعف الثقة بالذات مع مرور الزمن ... وصرنا نسلك مسلكا عجيباً ، يندى له جبين التاريخ العربي . لنذكر كل أولئك لنعرف مدى حاجتنا إلى الاستقلال الفكري !

وصفوة القول : لا استقلال صحيح إلا بهذه الثلاثة .

(***)

تنم عن صاحب الكتاب لحاق به وهو على مقربة من كرمول ، ومن ملتن سوء العذاب ...

وتنزى ملتن تنزى الليث الجريح يريد أن يتعجل الرد ؛ ولكن المرض يقعده والعمى يحوجه إلى من يكتب له ؛ ولم يك أعون له يومئذ من ابن أخته چون فيليبس ، ولكن فيليبس كان فى شغل رد كافه به عمه على هجوم آخر صغير وجه إليه ؛ لذلك لم يكن بد من التمهل . فتمهل ملتن على رغمه وإن جوانحه لتتقد حقداً على مورس ومن دفعه من الكائدين .

وظل ملتن يرصد أنباء مورس ويتسقط معايبه ، ويرسل من يتجسس عليه ويجمع ما يستطيع جمعه مما عسى أن يكون حوله من أمور تشينه فى حياته العامة وفى حياته الخاصة .

وكان ملتن حرياً أن يترفع عن هذا فلا يكلف نفسه مثل هذا العناء من أجل إمعة من النكرات بعد ازدراء ملتن إياه لما فى ذلك من مجرد الاكتراث له شرفا يلحق به ، وحسبه أن يرد على ما نسب إلى الحكومة من مثالب مقيما الدليل إن أمكنه على بطلانها وحقيقة الدافع إليها .

وإنه لما يؤسف حقاً أن يتنزل رجل مثل ملتن على جلالة قدره وسمو أفقه إلى ما لا يخرج فى جوهره عن كونه مغالبة ومجادلة حزبية لقوم يعكفون عليها غدوًا وعشياً لا يبتغون إلا الكيد ولو أنه أعرض عنهم واستصغر أذاهم لكانوا هم المكيدين ...

وجاء رده بعد سنتين أى سنة ١٦٥٤ إذ نشر باللاتينية « الدفاع الثانى » ، وإن المرء ليتملكه الأسف كلما فكر فيما كانت تجدى على الشعر مثل هذه الطاقة من جانب شاعر اقترن اسمه بالسمو فى ذلك الفن ، وجاوز بلسان قومه فى شعر الغناء والملاحم أسمى درجة أمكن أن يبلغها شاعر قبله وبعده بحيث صار له فى الشعر الانجليزى أفق يشرف أقوى الشعراء بعده تحليقا أن يدنو منه فيستشرف له ، وفى شعر الدنيا قاطبة مكانة تسلكه فى القلائل الأفذاذ .

على أن كتاباته النثرية اللاتينية منها والانجليزية لم تخل من فائدة وأهمية فيها وقفنا على كثير من آرائه فى الدين والسياسة والاجتماع ، ومنها لمحنا بعض خلاله ونزعات وجدانه وخلجات شعوره ، هذا إلى أنه كان يبلغ أحيانا فى نثره كما سبق القول درجة لا تتقاصر عن مستوى شعره ، بلاغة عبارة ، وإشراق ديباجة ، وقوة أداة ، وروعة فن . مما جعله يعد فيمن لهم على اللسان الانجليزى عظيم فضل ...

ويستبين كثير من صفاته ككاتب أحسن ما تستبين فى كتابه هذا « الدفاع الثانى » فالرأى مجتمع على أنه من خير ما كتب ملتن إن لم يكن خير ما كتب جميعاً ، ويقول ذوو الخبرة باللاتينية ممن تحدثوا عنه إن ملتن أشرف على ذروة البلاغة فيه ، وقد ضمنه جانباً من حياته الشخصية ، وتعرض فيه لأقوى شخصيات الحكومة الجمهورية وأورد طائفة من آرائه الأساسية فى السياسة والحكم ، وأنذر فى ختامه بما يخاف ، وأفصح عما يتوقع إن لم يأخذ بنصحه المعاصرون .

أسرف ملتن فى التفاخر بحكومة كرمول وما أدته إلى انجلترة من صنيع ، وما كان لها فى قضية الحرية من مواقف مشهودة ، وما أتيح لها من نصر فيها لم تشهد الدنيا مثيلا له ، وما كان إلا مردداً بكلامه هذا ما سبق أن ذكره فى الرد على سلامسيس ؛ وكذلك كان شأنه فى امتداح رجال ذلك العهد وما قدمت أيديهم من خير ، وأمعن ملتن فى الذهاب بنفسه وكان شعوره بأنه قاهر سلامسيس يدفعه إلى الغلو فى ذلك حتى لقد أشبه أن يكون غلوه شططاً ، وكان كلما تذكر ما رماه به خصمه من مطاعن يعظم غلواؤه فينسى أنه بذلك يبدى ما كمن فى نفسه من غيظ .

يقول لمن ظن أنه خصيمه : « تتساءل من أكون ومن أين جئت وتزعم أنى فى ذلك يحيط بى الشك ، كذلك أحاط الشك بهوميروس من يكون وأحاط بديموستين ... » ثم يسرد ملتن تاريخ حياته ويعدد مآثره ومفاخره ، ويدفع عن نفسه ما نسب إليه ، حتى ما عيّر به من فقد بصره فلم يدع هذا بغير رد فأشار كما سلف القول إلى براءة عينيه فى مظهرهما مما يعيبهما حتى ليخالهما من يراهما مبصرتين كأحسن ما يكون الأبصار وأنه ، ونجد فيما يقول ملتن عن نفسه مثلا من أحسن الأمثلة لما يلحق الرجل القوى من ضعف إذا عنى من الأمور بما لا يتفق وسامى منزلته وعظيم خطره ؛ والحق إن شدة إحساس ملتن بذاته هو الذى يجره إلى مثل هذه المواقف ...

ويرضى ملتن لنفسه فضلا عن هذا أن يوجه المطاعن إلى

مورس وكان خليقاً أن يدرك وهو المسرف في كبريائه وغلوائه أن الجملة من مثله على مورس وأشباهه إن هي إلا ضرب من المهانة وإلا جاز أن يتداخل المرء إعجاب بقوة النسر أو الصقر إذا انقض على عصفور وديع ، أو ببطولة الفارس إذا جندل غلاماً لم يدر ما الدرع بعد ولا ما السيف !

ومن عجب الأمور حقاً أن يهتم ملتن اهتماما كبيراً بالعيب على مورس كأنما كان له نداً يحرص أن يظهر عليه ، وأن يأتي في مهاجمته بأمور حسبه فيها من إساءة إلى نفسه أن يكون هو قائلها ؛ فهو يتدسس على علاقاته بالنساء ويستعرضها متهكما ساخراً وينعت مورس أثناء ذلك بما يشاء خياله من نعوت ويعنف عليه ويغلظ غلظاً كبيراً حتى ليكون للمرء عذره إذا ظن أن ملتن إنما يباهي بمقدرته على الطعن والكيد ...

ولكن « الدفاع الثاني » على الرغم من هذا كله يعرض أحسن ما كتب ملتن كما ذكرنا ، ومرد ذلك إلى صفات فيه بيناها ، ونزيد عليها صفة أخرى جديرة بالاعجاب حقاً وخليقة أن تجعل للكتاب ذلك الأثر الحسن في نفوس قرائه وتلك هي هواجسه وقلقه على الحرية ؛ فقد أحيطت حماسته لكرمول بما ألقى عليها الفتور من التحذير والنصح والإبانة عما توسوس به نفسه من مخاوف .

وكان كرمول قد استغنى عن البرلمان وأصبح يلقب بحامي الجمهورية ، وإنه في الحق لملك مستبد بالأمر لا ينقصه إلا التاج ، وأحس ملتن أن الحكومة القائمة حكومة أقلية متحكمة تعتمد على الجيش ، ولا سند لها من الشعب إلا أقلية تدين لها طوعاً أو كرهاً ، وعلى ذلك فلا بد أن يكون لها من المبادئ ما تستغني به عن الكثرة المؤيدة لحياتها في استمساكها بما يميزها من غيرها قدراً وفضلا .

ولم يك ملتن راضياً عن مسلك كرمول في المسألة الدينية كما ذكرنا ، وكذلك لم يعجبه تنكر كرمول لبعض الرجال ممن قام على كواهلهم عهده ، وأزعجه تشدد كرمول والتجاؤه إلى العنف وعد ذلك نذيراً بخنق الحرية بأيدي أوليائها ؛ وغمزت على قلبه المخاوف أن يمنى بخيبة جديدة كتلك التي منى بها من القساوسة أولا ثم من البرسبتيريز ؛ فها هو ذا رأس الدولة يميل إلى القائلين بإشراف الدولة على الكنيسة أعنى بإقامة كنيسة للدولة ، وهكذا يجد ما كان يحلم به من حرية العبادة وحرية النشر وحرية الطلاق تتهادى جميعاً صرعى في عالم ما أبعد أهله عن الفطنة والمدنية في رأيه وما أبعده في جملته عما وصف به من السمو ، وما علق عليه من آمال ...

وتتجلى لباقة ملتن فيما اصطنعه لبيان معايب كرمول فهو يسوق كلامه ساق النصح فينهاه عن أمور ويطلب إليه فعل غيرها فيتضمن نهيه وطلبه أن كرمول فعل ما لا يصح فعله وقصر فيما يجب أن يفعل ...

يقول ملتن إن الدولة مكينة الدعائم إذ أنه يسيطر عليها رجل عظيم ويعينه مجلس يتكون من عظماء أماثل ، وهي بذلك خير مما تكون عليه لو وجد البرلمان وفساده وسخافاته ؛ ولكن لا بد من الحرية ، ولا بد أن تكون الحرية آمنة مطمئنة لا يأتيها خوف ولا يمسها عنف . فإنها إن مسها العنف من الرجل الذي تكفل بحمايتها كان ذلك بمثابة ذبح الفضيلة ؛ ويتجه بالخطاب إلى كرمول طالباً إليه أن يمسك عليه ذوي الرأي والمشورة من رجاله ويذكر له بعض الأسماء ؛ ثم يسأله ملحاً أن يدع الكنيسة للكنيسة ويعظه ألا يزيد القوانين وقد رأى عدداً كبيراً منها يشرع حديثاً وألا يحظر شيئاً لا يصح أن يحظر ، وأن يعنى بالتعليم ونشر الثقافة وأن يكافئ المجتهدين في هذا السبيل ، وينصح له أن يطلق حرية الفلسفة ، وأن يدع كل ذي رأي ينشر رأيه بغير رقابة فلا يأتي العلم على أيدي الجهلاء ؛ ثم يدعوه أن ينصت إلى كل شيء وألا يخاف من استماع أي رأي خطأ كان أو صواباً إلا رأي من يدعو إلى الوقوف في وجه الحرية ...

وفي ذلك الذي يقوله ملتن أبلغ رد على الذين اتهموه بممالأة كرمول بالحق وبالباطل ؛ ونعجب أن يكون رجل مثل الدكتور جونسون ممن اتهموه بهذا . قال جونسون في كتابه عن ملتن : « وكان كرمول قد طرد البرلمان معتمداً على السلطان الذي قضى به على الملكية ، وأخذ يتملك بنفسه تحت اسم حامي الجمهورية ، ولكن كانت له قوة ملكية بل وأكثر من قوة ملكية ؛ أما أن سلطانه كان مشروعا فذلك ما لم يقل مدع به ، ولقد أقام هو نفسه أساس حقه على الضرورة ، ولكن ملتن وقد ذاق

حلاوة استخدامه هكذا فى صورة عامة لم يكن يرضى أن يعود إلى الجوع والفلسفة نخان الحرية التى دافع عنها وأسلمها إلى قوته ، بينما كان يؤدى وظيفته فى عهد اغتصاب واضح ، وليس فى الآراء أحق وأعدل من الرأى القائل بأن الثورات لابد أن تنتهى إلى العبودية ، وأن الذى برر قتل مليكه بسبب أفعال عدها غير قانونية يرى الآن وهو يبيع خدماته وضروب ملقه لطاغية ، لا يمكن كما هو واضح أن يجد عنده عملا قانونياً » .

وما خان ملتن الحرية ولا أسلمها إلى قوته وسلطانه ، وإنما خاف على الحرية منذ أن لاحت له أمارات تخيفه عليها من شخص أفرط فى حبه ، وليس يدل ذلك إلا على أنه يجعل الحرية فوق كل شىء وأنه فى سبيلها يضحى بكل شىء ، والحق أننا لا نجد فيما سلف من مواقفه فى جانب الحرية موقفاً أكثر من موقفه هذا دلالة على صدق حبه للحرية وصدق إخلاصه فى كل ما ينهض له من دفاع عنها ، وما نجد كلام جونسون إلا مثلا لما تكون عليه الكتابة عن غرض أو عن جهل .

ويختم ملتن كتابه فيعود إلى الإنذار والتحذير قائلا إنه فعل ما يجب عليه فعله وعلى مواطنيه أن يتدبروا فى أمرهم ، وإلا ساءت العاقبة ، ومهما يكن من شىء بعد ذلك فرده إليهم فعليهم تبعة كل خير أو شر . يقول فى ذلك « لقد أديت شهادتى ، وأكاد أقول إنى قد بنيت تمثالا لا يسهل هدمه يقوم شاهداً على تلك الأعمال الفريدة الجبارة التى تسمو على كل مدح ؛ وكان مثلى مثل شاعر الملاحم الذى يحرص على قواعد هذا الضرب من النظم ، فلا يعنى بأن يصف حياة بطله الذى يمجد كلها ، وإنما يقتصر على بعض أفعال خاصة من حياته كأخيل إذ كظم ما فى نفسه تلقاء طروادة وكعودة أوليس وكمجىء إينياس إلى إيطاليا ؛ وكذلك فعلت فحسبى مبرراً لموقفى أو عذراً عنه أنى مجدت كما تمجد البطولة على الأقل فتحاً من فتوح بنى قومى ومررت بغيره مراً ، إذ من ذا يستطيع أن يسرد أعمال أمة بأسرها ؟ فإذا تنكبتم طريق الفضيلة بعد هذا الذى أظهرتموه من البساطة والحمية وفعلتم ما لا يخلق بكم وما هو دون قدركم . فان أعقابكم سوف يحكمون على أخلاقكم ؛ ولسوف يرون أن الأسس أحكم وضعها وأن البداية كانت مجيدة ، ولكن يحزنهم أن لم يوجد من يرفع القواعد ويتم البناء » .

هذا هو ملخص « الدفاع الثانى » أورد ملتن على مورس ، ولقد بذل هـذا المسكين أقصى ما فى وسعه قبل أن ينشر ملتن كتابه ليقنعه بأنه ليس صاحب الكتاب الذى يريد أن يرد عليه فلم يعد من ذلك بطائل إذ أصر ملتن على أنه هو ، وتلك خلة من خلال الشاعر العظيم فما تتجه نفسه إلى أمر أو تتعلق بفكرة إلا اشتد تمسكه بها فصعب زحزحته عنها أو استحال ذلك ، ومن السهل أن نرد هذه الخلة إلى شدة اعتداده بنفسه أولا ثم إلى ثقته ويقينه من أنه لا يفعل شيئاً عن هوى ولا يريد إلا الحق ...

ولما نشر كتابه هالت مورس تلك العاصفة التى أرسلها عليه ، وعاد ينفى عن نفسه أنه كتب شيئاً ، ولقد كان يستطيع أن يفشى السر فيدل على الخصم الحقيقى لملتن ولكنه آثر أن يتحمل الأذى وهذه محمدة ومكرمة منه لا ريب ...

وتعاظم مورس الأمر فما يدرى ماذا هو فاعل حياله ، وأول ما خطر له هو شراء ما ورد هيج من نسخ الكتاب وإعدامها جميعا ولكن ماحيلته فيما نشر من النسخ فى القارة وفى انجلترة ؟ وأعد رداً على ملتن لم يعد كونه دفاعا عن نفسه ونفياً لما رمى به من تهم وبخاصة ما يتصل بعلاقاته بالنساء ، تلك التهمة التى جعلت الأمهات فى كل بيت يجفلن من دخوله عليهن وعلى بناتهن الأمر الذى أحزنه وأزعجه حتى كاد يذهب بصوابه .

ولم يشأ ملتن أن يسكت حتى على هذا الكتيب الذى رد به مورس ، فبادره بكتيب سماه « الدفاع عن نفسه » وعاد يسخر فيه من مورس ويضيف إلى ما رماه به من مطاعن شخصية مطاعن جديدة ليست دون سالفتها إفحاشاً وإقذاعا ، وعقب مورس على هذا محاولا أن يبرىء نفسه من كل ما رمى به ، ولكن ملتن يأبى إلا أن تكون له الكلمة الأخيرة ولذلك لقيه برد ثالث آثر بعده مورس الصمت فلا طاقة له بهذا الذى يرسل الصواعق عليه لا ينى ولا يفتر ولا يريد أن يسمع دفاعا ولا استغفاراً .

هذه هى قصة النزاع بين ملتن وبين سلاميس ومورس وهى قصة كما رأينا حوت الكثير مما يكشف لنا عن جوانب شخصيته ويرينا جانباً من آرائه وموقفه من كرمول وحكومته ورجال عصره .

( يتبع ) **الخفيف**

# الحضـــــارة المصرية

## فى عهد الدولة الوسطى

بحث للعلامة الأثرى أريك بيت
للأســـــتاذ أحمد نجيب هاشم

الرقيق :

أحدث الغزو الأجنبى تغييرات أخرى فى المجتمع ، فأصبح الرقيق الأجنبى طائفة خاصة ، وكان أغلبهم من الشام وقليل من النوبة ، ولذا أصبحت لفظة « عام » مرادفة لرقيق فى عهد الأسرة الثانية عشرة — ولم يكن هؤلاء الأرقاء ملحقين بخدمة الأفراد فقط ، بل كان الكثيرون منهم يلحقون بخدمة المعابد كنصيب الآلهة فى غنائم الحرب . على أن نصيب المعابد لم يقتصر على الرقيق ، بل كان ينالها عدد كبير من الماشية ومقدار عظيم من الغلال ، وكثير من الغنائم المختلفة التى تعود بهـا الحملات الخارجية — وقد أدى ذلك بطبيعته إلى ازدياد ثروة طائفة الكهنة وعددهم ، فقويت هذه الطائفة حتى استطاعت بعد ألف سنة أن تخلع الفراعنة من عروشهم

مركز النساء :

ولم يكن مركز النساء فى هذا المجتمع حقيراً بأى حال ، ولكن مجال السيدة كان فى البيت ، ولذا كان لقبها « بنث بر » أى ربة المنزل ، ونراها فى النقوش ممثلة بلون أصفر خفيف . أما الرجال ، فكانوا يمثلون بلون نحاسى داكن نظراً لقضائهم أغلب وقتهم فى الهواء الطلق تحت أشعة الشمس — وكانت السيدة تقوم بالأعمال المنزلية المختلفة من خبز وعمل الجعة وغزل ونسج ، وقد يساعدها الرجل فى كل ذلك أحياناً — وكان الزوج يحب زوجته ، ونراها فى النقوش الظاهرة على جدران المقابر جالسة وقد وضعت ذراعها وراءه ، أو مرافقة له فى نزهاته للصـــيد فى المستنقعات ، وكانت ترسم عادة فى هذه الظروف بشكل أصغر ، ولعل ذلك دلالة على أنها كانت تأخذ بنصيب أقل فى هذه الرياضة

ولا نعرف عن الطقوس الخاصة بحفلات الزواج شيئاً ما ، وجرت العادة أن يكتفى الرجل بزوجة واحدة ، ولكن هناك أمثلة كثيرة لرجال اتخذوا زوجتين أو أكثر . والظاهر أن القانون لم يمنع تعدد الزوجات ، وقديماً أيام الأسرة الخامسة أوصى الحكيم بتاح حتب وزير الملك إسيسى بمحبة الزوجة ، فقال فى نصائحه المشهورة : « كوّن لنفسك منزلا ، وأحب زوجتك ، واكفها حاجتها من الطعام والملبس ، وقدم لها العطر ، فإنه دواء لها ، وأدخل على قلبها السرور مدة حياتك ، إن المرأة حقل نافع لزوجها إذا أحسن معاملتها ! »

الزواج من الأخت :

كثيراً ما يقال إن الملوك المصريين كانوا يتزوجـون من أخواتهم ، ولا جدال فى أن البطالسة فعلوا ذلك ، بل هناك أمثلة أقدم منهم عن هذا النوع من الزواج ، ولكن ليس لدينا ما يدل على أنه كان قاعدة عامة ، فإن إشارات القصائد الغرامية إلى الصديقة بلفظ « أختى » جعلت البعض يعتقدون أنها تشير إلى وجود هذه العادة ، ويجب أن نشك فى صحة هذا الاعتقاد ، لأن التعبير فى هذه الأحوال قد يكون مجرد لفظ تقدير وإعزاز

كذلك يعتقد البعض أن الوراثة كانت تؤول عن طريق الإبنة الكبرى ، ولكن الأمثلة التى ضربت لتأييد ذلك تدل على أن الميراث آل إلى البنت ونسلها فى حالة موت أبناء الرجل دون أن يتركوا وريثاً .

النساء الكاهنات :

وقد لعب النساء دوراً هاماً فى نظام الكهنة ، فكان بعهد إليهن — بصفة خاصـة — الحفلات الموسيقية التى كانت تقام للآلهة من ذكور وإناث ؛ وفى عهد الدولة الحديثة أصبح أولئك الكاهنات الموسيقيات محظيات للاله آمون رع ، وكانت تعرف

رئيستهن بزوجة الإله ؛ والظاهر أن هذه الحالة وجدت فى عهد الدولة الوسطى أيضاً .

**المنازل وهندستها :**

نعرف تفاصيل الحياة المنزلية من الرسوم الكثيرة الواردة على جدران المقابر ، بيد أننا لا نعرف إلا الشيء القليل عن البيت العادى ، إذ لم يبق من بيوت الدولة الوسطى أو القديمة سوى بيوت مدينة صغيرة بنيت خصيصاً فى اللاهون للعمال الذين اشتغلوا ببناء هرم الملك سنوسرت الثانى ؛ وأغلب هـذه البيوت أكواخ للعمال والبيوت القليلة التى أعدت لمراقبى العمل كانت أكبر حجما ، واختلفت اختلافاً كبيراً عن منازل الدولة الحديثة التى نعرفها جيداً من آثار تل العمارنة

أجل ، لقد كانت مادة البناء واحدة فى الحالتين ، فاستعمل اللبن والخشب ؛ كذلك حوى كل بيت بهواً بأعمدة يقوم السقف عليها ويدخل إليه النور من نوافذ فى أعلى الجدران فوق مستوى أسقف الحجرات المجاورة ؛ ولـكن بينما نجد فى منازل تل العمارنة نافذة للبهو الأوسط مفتوحا نصفها نحو السماء إلى الجهة الشمالية والغربية ، نرى البهو الأوسط فى بيوت اللاهون يتقدمه حجرة فسيحة بعرض البيت ، ويتقدم هذه بهو ذو أعمدة

**الأزياء :**

والآن ، فلنحاول أن نتخيل سكان هذا البيت هناك . أولا : رب الأسرة ، ويرتدى فى الأحوال العادية إزاراً قصيراً من نسيج الـكتان الرقيق يصل إلى ما بعد ركبتيه بقليل ، وقد يلبس فى مناسبات أخرى فوق هذا الإزار قميصاً أطول يصل إلى عقبيه — وقد يكون فى بعض الأحوال لحمايته من البرد ، ولذا كان يصنع من نسيج أكثر سمكا — ولـكن لم يكن ذلك شرطاً أساسياً ، فـكثيراً ما كان يصنع من كتان رقيق جداً ، فيظهر القميص القصير الذى تحته

ومن الملابس النادرة التى تلبس فى الحفلات ، ويلبسها الملك بصفة خاصة ، قبص الصيد ، وهو قميص من الـكتان ذو ثنيات يربط جانباه إلى الأمام ، وبينهما ميدعة مثلثة الشـكل مصنوعة من نسيج القميص نفسه ؛ ويلبس رب الأسرة فى قدميه نعالا مصنوعة من البردى ، أو من الجلد ، وتلبس زوجته ملابس بسيطة من الـكتان الأبيض ، هى مهلهل ضيق غير مكمم ، كاس للجسم من الثـديين إلى القدمين ومثبت فوق الـكتفين بشريطين من النسيج نفسه ، وكانت تلبس فوقه فى الحفـلات والولائم قميصاً آخر به خيوط من الخرز . وهكذا كانت الملابس فى الدولة الوسطى تمتاز ببساطتها ، أما فى الدولة الحديثة فقد تعددت الأزياء

واعتاد صاحب البيت أن يقص شعره قصيراً أو يحلقه بالموسى وأن يضع على رأسه فى الحفلات الرسمية قلانس شعرية ، وهذه القلانس نوعان : أحدهما قصـير الشعر أجعده ، والآخر شعره طويل ناعم مفروق فى الوسط ، وكانت الزوجة تترك شعرها مرسلا إلى الأمام فى ضفيرتين على كتفيها ، وليس لنا أن نفرض أنهما من الشعر الطبيعى ، لأن هناك رسوماً كثيرة عن نساء راقيات وفتيات صغيرات وخدم بشعر قصير جداً ، وكان أطفال البيت الصغار لا يثقلون أنفسهم بالملابس ، أما الـكبار منهم فـكانوا يتشبهون بوالديهم ، فالأولاد يلبسون قميصاً قصيراً ، والبنات يلبسن مهلهلا طويلا ، ويضع الأولاد خصلة طويلة من الشعر ، ويكتفى البنات بخصلة قصيرة

**الحياة المنزلية :**

وليست الحياة فى البيت حياة كسـل أو خمول ، فنجد فى إحدى الحجرات الخدم يغزلون الـكتان على مغازل أولية لا تزال تستعمل فى الأمم المتأخرة ، بينما يشتغل آخرون على النول الأفقى أو العمودى بنسج أنسجة تيلية تختلف خيوطها من حيث الدقة والمتانة ، ولا تزال بعض هذه المصنوعات موجودة ، وهى لا تقل جمالا وجودة عن أجمل الحرائر الحالية — ولا نعرف إلا الشيء القليل عن استعمال الصوف فى الدولتين القديمة والوسطى — بيد أن المعاطف الثقيلة التى نراها ممثـلة أحيانا على التماثيل أو فوق النقوش ، لا بد أنها كانت مصنوعة منه

ونرى العمل قائماً على قدم وساق لإعداد الطعام فى مطبخ

البيت ، ونجد النساء يطحن القمح بقطعة من الحصى على لوح كبير من الحجر ، ويعجن الأرغفة فى أشكال مختلفة من الشعير والشوفان ويخبزنها فى فرن اسطوانى من الفخار أو أفران من اللبن ، ونلاحظ أن هذه الأفران كانت منخفضة ومفتوحة فى عهد الدولة القديمة ومرتفعة ومقفلة بعدها

كذلك نجد صناع الجعة يأخذون الكعك المصنوع من الشعير أو حبوب البيشة ويكسرونه فى الماء ، ثم يضغطونه بعد أن يتخمر فى مناخل رفيعة ، ويعصرونه فى أوان كبيرة ، ويعبئ غيرهم العصير الناتج فى قدرين طويلتين . أما النبيذ ، فالراجح أنه لم يكن يصنع فى المطابخ ، بل قرب الكروم نفسها ، فكان العنب يحمل فى سلال ، ثم يوضع فى مكبس ، هو لوح كبير من الحجر له سطح مجوف ، ثم يدهسه خمسة رجال أو ستة ممسكين بحبال مربوطة إلى عمود أفقى مثبت فوق رؤوسهم ، وبعد أن يصب النبيذ فى قدر تحته يوضع العنب المدهوس فى قطعة من القماش أو فى زكيبة يلف طرفاها لفاً عكسياً بقطعتين من الخشب يمسك كل واحدة منهما رجل ، وبهذه الطريقة يعصر العنب عصراً جيداً ، ثم يوضع هذا العصير الأخير فى قدر ، وينقل العصير كله إلى قدر ليختم كل منها بالطين كما يفعل الفلاح اليوم بقدر عسله وجبنه ، ويبصم الغطاء بخاتم اسطوانى ، أو فى شكل جعران عليه اسم صاحب الكرم أو الموظف المسئول عنه

**وسائل التسلية :**

وقد اعتقد المصرى أن الغرض من النبيذ هو إدخال السرور على نفسه ، كما أولع بإقامة الولائم فكان الجار يدعو جيرانه ليقضوا معاً « يوماً سعيداً » . ونرى فى الرسوم الضيوف من رجال ونساء جالسين فى هدوء يشاهدون ما أعد لهم من وسائل التسلية والسمر يشمون أزهار اللوتس ويحتسون النبيذ من الطاسة عند ما تقدم لهم ، وفى أثناء ذلك تعزف فرقة موسيقية على العود والقيثارة أنغامها الشجية ، ويقوم المغنون بدورهم ويصفقون بأيديهم تصفيقاً منتظما ، ويعرض الراقصون والراقصات حركات بسيطة بالأذرع الأرجل والجسم . ويجب أن نذكر أن الموسيقى والرقص لم يكونا وسائل للتسلية فحسب ، بل استعملا بكثرة فى الحفلات الدينية والجنائزية .

ويظهر من الرسوم التى وصلتنا أن المصارعة كانت أكثر الألعاب الرياضية انتشاراً ، ولم تقتصر الرياضة على الرجال ، بل أخذ النساء بقسطهن فيها ، ولدينا رسم واحد لسيدات يلعبن الكرة ، ورسوم كثيرة عن سيدات يقمن بحركات بهلوانية ، ولا سيما الشقلبة إلى الخلف . فإذا أراد القوم تسلية هادئة ، لجأوا إلى ألعاب منزلية شتى يلعبونها بقطع ولوح خشبى أشبه بالشطرنج ومن أبسط الألواح التى عثر عليها وأقدمها لوحة عليها رسم فى شكل ثعبان ملتف حول نفسه . ونرى ألواحاً أخرى مقسمة مربعات عددها أربعة وعشرون أو ثلاثون ، تتحرك عليها القطع طبقاً لقواعد نجهلها ، ولعلها اللعبة المعروفة اليوم باسم « السيجة » والتى لا يزال يلعبها كثيرون من أبناء الصعيد

**أحمد نجيب هاشم**

# مظاهر العبقـــرية

## في الحضارة الاسلامية

للدكتور خليل جمعة الطوال

— ٥ —

في العلوم الطبيعية :

ولم يعتمدوا فى دراسة العلوم الطبيعية والميكانيكية والسوائل والبصريات على مجرد النظر ؛ بل اعتمدوا على فرض الفروض واستخراج النتائج منها بالمراقبة والامتحان . ولقد كان الحسن ابن الهيثم الذى ظهر فى القرن الخامس للهجرة ؛ علماً فذاً فى هذه العلوم ، ولئن تجاهله المسلمون فقد عرف فضله الغربيون ، وقدروه قدره وأوفوا كتبه حقها من الدراسة العميقة وأحاطوا شخصه بما هو أهل له من الاحترام والاكبار . فقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية : إن ابن الهيثم قد أوحى بكتابته فى الضوء إلى اختراع النظارات ، وأن علماء القرون الوسطى كروجر باكون العالم الانكليزى المعروف ، وبول واتيلو ، وليونارد فنشى ، وكوبرنيكس وكبلر ، وغيرهم ، قد اعتمدوا على كتاباته ، واقتبسوا منها معظم بحوثهم فى مختلف المواضيع . وقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية أيضاً مانصه : « كان ابن الهيثم أول مكتشف ظهر بعد بطليموس فى علم البصريات » .

وجاء فى كتاب تراث الاسلام : « إن علم البصريات وصل إلى أعلى درجة من التقدم بفضل ابن الهيثم » . ويقول الأستاذ سارطون[1] : « إن ابن الهيثم أعظم مؤلف ظهر عند العرب فى علم الطبيعة ؛ بل هو أعظم علماء الطبيعة فى القرون الوسطى ، ومن علماء البصريات المعدودين المشهورين فى العالم كله ... » ، وجاء عن العالم الفرنسى « لوتيرتياردو » بأن « كبلر » قد استمد معلوماته فى الضوء وانكساره فى الجو من كتابات ابن الهيثم .

وإلى ابن الهيثم يرجع الفضل الأول فى معرفة قانون الانعكاس وزاويتى السقوط والانعكاس ، وهو الذى أثبت أن الضوء يسير فى خطوط مستقيمة فى الهواء وفى أى وسط آخر ، وأنه إذا سار من وسط إلى وسط آخر انكسرت أشعته ، وقاس كلا من زاويتى السقوط والانكسار ، وأظهر خطأ بطليموس فى بحثه عنهما . وقد اخترع آلة لبيان العلاقة بين زاويتى السقوط والانكسار ؛ فبنى علماء الغرب فيمابعد آلتهم الحديثة على أساسها . وقد علل كثيراً من الظواهر الجوية التى تنشأ عن الانكسار تعليلا علمياً صحيحاً ، وأصلح خطأ رأى أقليدس القائل بأن شعاع النور يخرج من العين إلى الجسم المرئى ، وقال بأن النور يأتى من الجسم المرئى إلى العين ، وقد بحث كثيراً فى العدسات وحاول استعمالها فى إصلاح أمراض العين ، وكتب فى الزيغ الكرى وفى تعليل الشفق[1] وهو إلى جانب ذلك أول من رسم العين ، وبين جميع أجزائها ، وكيفية تشريحها ، ووضع أساس آلة الاستريتسكوب .

على أننا لسنا فى صدد تدوين تاريخ ابن الهيثم أو بيان مآثره فذلك أمر لا تفى المقالة ، ولا المقالات حقه ، ولهذا فإننا نكتفى بهذه اللمحة الموجزة عنه ؛ لنتقدم بفقرة أخرى موجزة نشير بها إلى مواطن ابتكار العبقرية العربية فى هذا العلم الجليل الشأن .

يقول درابر : « لقد قرر العرب فى الميكانيكا نواميس سقوط الأجسام وطبيعة الجاذبية ، وعللوا القوات الميكانيكية ، واصطنعوا فى نقل الموائع وموازنتها الجداول الأولية للجاذبية النوعية ، وبحثوا فى طفو الأجسام وغرقها فى الماء ... وأثبتوا أننا نرى الشمس والقمر قبل الشروق وبعد الغروب ، ومما قال أيضاً : والذى يدهش كثيراً أن نتصور أشياء نفاخر بأنها من ابتكارنا ثم لا نلبث أن نراهم قد سبقونا إليها . فتعليمنا الحاضر فى النشوء والارتقاء كان يدرس فى مدارسهم[2] وحقاً إنهم وصلوا إلى الأشياء الآلية وغير الآلية فكان المبدأ الرئيسى فى الكيمياء عندهم ، والمظهر الطبيعى للأجسام المعدنية »

وقال جوتيه : « لقد علمنا العرب صنع البارود ، وعمل إبرة

---

(١) مجلة الرسالة الغراء عدد ١١

(١) Ameer Abi : the siqrit glseam

(٢) الاسلام والحضارة العربية

السفينة ؛ وعلينا أن نقدر دائماً مدى الشوط الذى كانت تقطعه مدنيتنا لو لم تقم على مخلفات المدنية العربية ، ولقد عرف العرب قبل غيرهم آلة الظل ، والمرايا المحرقة بالدوائر ، والمرايا المحرقة بالقطوع وقطعوا شوطاً بعيداً فى علم الميكانيكيات » وجاء عن سيديليو : « أن هارون الرشيد الخليفة العباسى قد أهدى إلى شارلمان ساعة دقاقة ، فلما أطلع عليها حاشيته تعجبوا كثيراً من أمرها ، وحاروا فى معرفة تركيب آلاتها[1] » .

وقد حاول حكيم الأندلس عباس بن فرناس الطيران ، واخترع صناعة الزجاج من الحجارة ، وكتب فى الموسيقى ، ووضع آلة المثقال التى يعرف بها الوقت على غير حساب ، ومثل فى بيته السماء بنجومها وغيومها وبروقها ورعودها تمثيلا يقرب من الحقيقة ، وقد سبق العرب إلى معرفة الطباعة فألف أبو بكر القدسى كتاباً فى الخواص ، وصنعة الأمدة وآلة الطبع غريب فى معناه .

**الطب والكيمياء :**

يقول ولز[2] : «لقد ازدهر علم الطب والتداوى عند العرب على حين كان الأوروبيون يجهلون هذا العلم الشريف ويحتقرون أربابه ، إذ أن الكنيسة كانت قد حرمته عليهم ، وحصرت التداوى بزيارة الكنائس ، والاستشفاء بذخائر القديسين ، وبالتعاويذ والرقى التى كان يبيعها رجال الدين ، ولقد كان لعلم الجراحة عند العرب أهمية كبرى ؛ فقد كان جراحوهم يزاولون العمليات الجراحية الكبرى بطريقة علمية فنية ، وساعدهم على ذلك ابتكارهم للمخدرات والمطهرات التى تشغل المكان الأكبر فى علم الطب الحديث ؛ على حين كان الأوروبيون ينظرون إلى الجراحة كعمل منكر ، ويستنكفون من النظافة لأنها تشبه الوضوء عند المسلمين » .

ونذكر من السابقين فى هذا الميدان من أطباء العرب : طبيب طليطلة المشهور ابن الوافد ( ٩٩٧ — ١٠٧٤ ) صاحب كتاب « الأدوية البسيطة » الذى ترجم إلى اللاتينية أكثر من أربعين مرة ، وقد وصف فيه أنواعاً من العلاجات ، ترتكز على النظم الغذائية ، وما زالت جهود العلماء حتى الآن منصرفة فى هذا السبيل . أى بناء العلاجات على الأسس الغذائية .

ونذكر من الذين سموا بعلم الجراحة إلى مكان العلوم الراقية الجراح العربى الكبير أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى ، صاحب كتاب « التعريف لمن عجز عن التأليف » وقد شهد بنبوغه وتفوقه الجراح الكبير « فورج » فقال : لا شك فى أن الزهراوى أعظم طبيب فى الجراحة العربية ، وقد اعتمده واستند إلى بحوثه جميع مؤلفى الجراحة فى القرون الوسطى ... ويستحق كتابه فى الجراحة أن يعدّ اللبنة الأولى فى علم الجراحة » ، وقد سبق الزهراوى إلى أشياء كثيرة ، ومبتكرات عظيمة فى علم الطب ؛ فهو أول من بحث فى علاج الأقواس الضرسية ، ومعايب الفم ، وربط الشرايين[1] ، وهو أول من وصف عملية تفتيت حصاة المثانة ، واستخراجها بعملية جراحية ، وعالج الشلل ، ووصف كيفية استخراج الأجسام الغريبة من الأذن ، وداوى الخراجات الكبيرة ، ووضع أساساً لمعالجتها بالطرق الجراحية ، ووصف علاج الباسور بالكى ، وتكلم فى فن الولادة ، وهو أول من استعمل خيوط الحرير فى العمليات الجراحية ، وعالج النزف بالكى ، وما تزال أوروبا حتى الآن تدرس نظرياته الطبية فى جميع معاهدها .

ومن عباقرة العالم فى هذا الباب أيضاً « أبو بكر الرازى » المعروف بأبى الطب العربى ؛ ولكتب الرازى أهميتها العظيمة فى علم الطب ، فقد وصف الجدرى والحصبة ، وعرف أعراضهما ، ومعالجتهما ، وطرق الوقاية منهما ؛ وكان أول من استعمل « الفتائل » فى العمليات الجراحية ، وكذلك الأنابيب التى يمر منها الصديد والقيح والإفرازات السامة ، وقد ألف فى الطب ما يناهز (٢٠٠) كتاب وقد ترجمت جميعها إلى اللغة اللاتينية[2] .

وكان الطبيب مروان بن زهر الأشبيلى مستفيض الشهرة فى العالم الأوروبى ، فهو أول عالم بالطفيليات ، وفى معرفة مكروب الجرب ، وأول من وصف شلل البلعوم ، والتهاب الأذن

---

(١) سيدليو : تاريخ العرب
(٢) مختصر التاريخ لولز

(١) من بحث للدكتور زكى على .
(٢) روح الاسلام ( بالانكليزية ) لأمير على .

الوسطى ، ووصف لبن الماعز فى علاج الدرن .

وقد كان ابن رشد إلى جانب تفوقه فى الفلسفة طبيباً لا يجارى ، وما زالت كتبه تدرس فى أرقى جامعات العالم ، فهو أول من أشار وعلل الدورة الدموية فى كتابه « الكليات » الذى استمد منه وليام هارفى معظم نظرياته وبنى عليها . ومن أطباء العرب الأعلام موسى بن ميمون وله شهرة واسعة فى عالم الطبابة .

وقد سبق العرب إلى معرفة مرض النوم ، وسموه النوام ، ووصفوا علاجه وصفاً علمياً دقيقاً ، وسبقوا أيضاً إلى استعمال الحجامة فى أمراض الصرع ، واستعمال الماء البارد فى الحمى الدائمة وقرح العين واستخراج الجريم المسمى الشفاف منها ، وهم أول من عرف الطاعون وكيفية علاجه ، وانتقال العدوى عن طريق الملابس والأوعية والحلى .

ومن آثار العرب التى سبقوا إليها ، تأسيس البيمارستانات لمعالجة الأمراض العقلية ؛ ويعزى إليهم الفضل الأول فى إقامة المستشفيات ، وكان نظامها وتجهيزاتها فى غاية من الكمال والإبداع ، وكانت إمبراطوريتهم الواسعة تغص بآلاف من المستشفيات الراقية ، وقد ذكر العلامة الأمريكى فكتور روبنصن أنه كان فى طليطلة وحدها ما يزيد على أربعمائة مستشفى .

وقد برع العرب أيضاً فى فن الصيدلة ، ويشهد كتاب « الجامع فى الأدوية المفردة » لابن البيطار بعلو كعبهم فى هذا الباب فقد جمع فيه ما يناهز الألفين وصفة من أوصاف العقاقير المشهورة ، ويعتبر هذا الكتاب اليوم فى العالم الأروبى مرجعاً أساسياً فى الوصفات الطبية والعلوم الغذائية وقد سبق العرب الأروبيين فى وضع الأوانى الزجاجية الكبيرة التى تحتوى على السوائل الملونة عند مدخل الصيدليات ، وقد ميزوا بين مخازن العقاقير و « الأجزخانات » وإلى العرب يرجع الفضل فى إدخال التمر الهندى ، والمسك ، والسنامكى ، وجوز الطيب ، والرواند ، والتمر ، وعرق السوس ، والكافور ، والقرنفل ، والزعفران فى تركيب الأدوية ، والوصفات الطبية . وقد تعلم الأروبيون من العرب أيضاً طريقة طلاء الحبوب العقارية بالورق المذهب ، وتقطير ماء الورد ، واستعمال المقيئات .

وأما فى علم الكيمياء . فللعرب مكانة لم ينازعهم عليها أحد فهم الذين اكتشفوا الحامض الكبريتيك . اكتشفه الرازى وسماه « زيت الزجاج » وقد اكتشف أيضاً هذا العالم الجليل الكحول ، وذلك باستقطار المواد النشوية والسكرية المختمرة ، وألف فى استخراج الذهب من المعادن الأخرى .

ومن أفذاذ العرب فى هذا العلم أيضاً « جابر بن حيان » ، ويقول المسيو برتيلو فى الجزء الثالث من كتابه « الكيمياء فى القرون الوسطى » : « إن كتب جابر بن حيان فى الكيمياء هى غاية ما وصل إليه العقل العربى من الابتكار ، وإن كل المشتغلين بهذا العلم من بعده كانوا عالة عليه نقلا وتعليقاً » .

وقد حاول كيميائيو العرب العثور على إكسير الحياة ، وعلى اكتشاف حجر الفلاسفة ، وكتبوا كثيراً فى خصائص الفلزات واللافلزات ، وعملوا لها جداول علمية دقيقة ، وعرفوا ماء الفضة والقلى ، وطرق إذابة الذهب وملح النشادر ، وحجر الكى ، والسليمانى ، وصنع الصواريخ ، والنترات الفضية ، والغول ، وكيفية استخراج المعادن كالذهب والفضة ، والنحاس والبرونز ، والفولاذ ، وعرفوا أيضاً طرق الصباغة الفنية ، وعمل الأوانى الفخارية ، وتحضير الورق من القش ، وعمل الأشياء الجلدية الثمينة ، واستخرجوا السكر من القصب والألوان من الأعشاب .

( يتبع ) خليل جمعة الطوال

# وحى فيضان سنة ١٩٤٦

للمهندس فؤاد السيد خيل

سارت على الطوفان وهو جبال
ورست على الجودى وهى جمال

ونجت من الهول العظيم بحكمة        جلى وفن ما له أمثال

أخذت من الفيض المدمر خيره
ومشت على طغيانه تختال

مصر الحبيبة للقلوب جميعها        وإذا اشتكت يوماً يهب رجال
من كل شهم للبلاد مجاهد        هو فى الكفاح مهندس رئبال
إن لم يسر فى المشرقين كلامه        يوم النزال فإنه فعّال
أو غاب عن سمع الأنام وحسهم        فاعلم بأن وجوده أعمال
ليس الشجاعة إذ تقاتل فتية        مثل الشجاعة أن دهى زلزال

والموت أهون بالمدافع فى الخلا
من أن تموت وفوقك الصلصال

ما النبل تقتيل العباد وإنما        نحمى رجل من أذى وعيال
ينسى غداة الروع كل محبة        وتكون مصراً وحدها الآمال
تتنكر الأيام والساعات فى        شغل ويختفى العيد والآصال
تتشابه الأوقات وهى عصيبة        وتعمها الأحداث والأحوال

ولكم تقيل الجن وهو مثابر
ولكم رآه كوكب وهلال
ولكم رأته الشمس فى حمامها
بالنيل يحرسها سناً وجلال

* * *

لما أتى النيل العظيم بخيله        لا هدنة منه ولا إمهال
يزجى المياه كتائباً وجحافلا        ترد البلاد كأنها أغوال
قام المهندس للدفاع بفنه        وبنفسه ، وحياته أهوال
يحدوه واجبه العظيم وحبه        لا تزدهيه عقوبة ونوال
وأتاه من أهل الادارة نخبة        مشكورة والجند والعمال
قاموا جميعاً للجهاد بهمة        لا يعتريها فى الجهاد كلال

وعمادها الفلاح وهو علاج كل
ملمة . لم يهتضمه نضال

إن قلدوه السيف فهو بطولة        أو قلدوه الفأس فهو غلال
قوى الجسور بقوة وعزيمة        لم يثنه مرض به قتال
فلاح مصر ذخيرة مطمورة        وجلاؤها التعليم والأعمال
ابن الفراعنة العظام وطالما        آتاه فى شتى الفنون كمال
لو علموه فأطعموه وعالجو        ه لكان منه عباقر وغزال
وللحل بالدستور كل صعوبة        إن العليم لصعبه حلال
أرأيت فى التاريخ طراً أمة        ترقى بشعب جله جهال
بالعلم عزت فى الزمان ممالك        وصلت لما لم يبتدعه خيال

* * *

خزان أسوان العظيم تحية        منا إليك كأنها تمثال
حملت مصر وأهلها لك منة        عظمى ستذكرها لك الأجيال
ودفعت عنها شر أرعن مزبد        بحر خضم دافق هطال

وجدت بحصنك فى المهالك والأسى
ما لم تجده ( بروسيا ) و ( الفال )
يا قوم هيا عززوه بآخر
فى حفظ مصر تنفق الأموال
لا تتركوه على الحوادث ( مأربا )
فإذا أصيب دهى البلاد وبال

أيجوز أن الماء وهو حياتنا        يلقى سدى فى البحر أو يغتال
فى خزن ماء الفيض كل رجائنا        والاعتماد على الجسور محال

* * *

يا مصر حبك فى القلوب عقيدة
يحيا بها الأبوان والأشبال

لكن بنوك تفرقوا فى حبهم        حتى قسوا وتقطعت أوصالا

ماذا عليهم لو تكاتف جمعهم
فى رد عادية الألى قد مالوا




**الثقات :**

كان هذا الضعيف إذا وجد فى مكتوباته أو منسوخاته فى « الرسالة » الغراء تطبيعاً بادر إلى إصلاحه ، ثم هجر طريقته هذه ، وفوض أمره إلى الله ( تعالى ) متكلا عليه ، وعلى الظن الكريم الحسن لقراء « الرسالة » بخادم قرآنهم ولغتهم . فنثل التطبيع فى ( آمالى الإمام القالى ) و ( المسيح بن مريم ) فى كلة ( لا غير ) فى « الرسالة » ٦٩١ — يروح فى سبيل التفويض بيد أن ( الثقاة ) بهذه الهاء أو التاء القصيرة التى تبدو بهذه الصورة المنكرة فى كل جريدة ومجلة — يدعو تطبيعها فى كلة (لاغير) إلى غير التفويض والاتكال إشفاقا من أن يضعف ذلك الظن الحسن أو يزول إن لم يكن قد ضعف أو زال ...

وإذا كنت لم أصل بعد فى ( علم العربية ) إلى درجة التلاميذ لتلاميذ الامام ابن خالويه فانى أقدر — بحول الله — أن أفرق بين المكسر والصحيح فلا أجمع ( الثقة ) إلا على ( الثقات ) ذات التاء المطولة ، ولا أحسبها مثل ( القضاة والدعاة والرعاة والسعاة والبناة والشراة والأباة والرماة ) ف ( الثقات ) جمع صحيح سالم ، وهنا الجمع المكسر حين نجمع به .

فى اللسان : « ورجل ثقة وكذلك الاثنان والجميع ، وقد يجمع على ثقات ، ويقال : فلان ثقة وهى ثقة وهم ثقة ، ويجمع ثقات فى جماعة الرجال والنساء » ومثله فى مستدرك التاج .

وقد استوى فى الثقة المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع لأنه فى الأصل مصدره فى المصباح المنير : « وهو وهى وهم وهن ثقة لأنه مصدر ، وقد يجمع فى الذكور والأناث فيقال : ثقات كما قيل : عدات » .

وأول من نبه على ذلك الخطأ هو العلامة اللغوى الكبير الشيخ إبراهيم اليازجى فى مجلته الضياء فى سنة من سنيها لا أتذكرها اليوم ، ولا أتذكر رقم الصفحة فيها ، ثم أغار على نقد الشيخ مغير ، وعزو الفضل إلى صاحبه لن يضع من عازيه ولن يضير .

ذكرنى بالامام ابن خالويه هذا الخبر :

« جاء رجل إلى ابن خالويه وقال : أريد أن أتعلم من العربية ما أقيم به لسانى . فقال : أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو فما تعلمت ما أقيم به لسانى »

**محمد إسعاف النشاشيبى**

---

يستكثرون على الشعوب حياتها
وحياتهـــا الحسنى والاستقلال

ويرون أن الشرق ظلَّ بضاعة — يشرونها وتَغرُّهُ الأقوال
فى الشرق قوم لا تَلين قناتهم — يحلو الفناء لهم ولا الاذلال
كم ظالم فى مصر أظهر بأسه — سَخِرتْ به الفتيات والأطفال
مصر الكنانة والإله نصيرها — والحق والأملاك والأبطال

* * *

فاروق عهدك آية قدسية — تَسمو بها الألباب والآمال
أكثرت فى مصر المآثر والهدى
وأشعت فيها العـــلم فهو حلال
الشمس أنت على المدائن والقرى
منـك الســنا والمخلصون ظلال
حاربتَ أدواء الرعيـة كلها — وعلى يديك تحطم الأغلال
عصر به حكم الزمان لأهله — طرًّا بأن شعوبهم أعدال
والنيل مِلكك لا مردَّ لحكمه
وعلى جوانبـــه يعيش الآل
شعبٌ يحبك بالفؤاد وبالنُّهى — ويذود عن واديكَ من يغتال
فاسلم ودم للمشرقين منارة — ويحفُّك التوفيق والأجلال

**فؤاد السيد خليل**

## أبو شاس أيضاً :

علق الأديب زكي الحافظ الفيومي في العدد ٦٩٠ من الرسالة الزاهرة على ما كتبناه في تحقيق ما ورد في الشابستي والعمري والزيات عن أبي شاس ، وقلنا إنه تصحيف أبي نواس ، وأوردنا الأدلة الكثيرة على ذلك ، وذكرنا أننا لم نعثر لأبي شاس على ذكر في أي مصدر آخر غير ما ذكرناه ، لكن الأديب الفيومي ذكر أننا تسرعنا في الحكم ، وأنكر علينا حكمنا ، وقال : لو رجع الأديب إلى مظان أسماء الشعراء لتحقق أن هناك شعراء يكنون بأبي شاس ، منهم أبوشاس التميمي ، وأبوشاس الطبري المذكوران في معجم الشعراء للمرزباني . ثم قال : هنالك شعراء يتسمون بأبي شاس منهم شاس بن نهار بن الأسود بن عبد القيس .

أقول : لا أزال على رأيي الأول من أن هذا الإسم أبوشاس الذي مر ذكره في الشابستي والعمري والزيات هو تصحيف أبي نواس ، وهذه الأدلة :

١ — طريقة الشابستي في كتابه الديارات أنه يعرف بالشاعر أولا ، ثم يذكر أخباره ونوادره وما له علاقة بموضوع كتابه ، فذكر أبا شاس وعرف به ، ثم ذكر أخباره ، وفي كلامه على دير فيق ذكر شعراً لأبي نواس دون تعريف به ، وكذلك فعل معه في الكلام على دير سرجس ودير هند .

٢ — إن هذا الشاعر الماجن الخليع الذي كان — على رأي الشابستي — أطبع الناس ، مليح الشعر ، كثير الوصف للخمر ، لازم الديارات وتطرح بها ، وفتن رهبانها ومن فيها ، هو أبو نواس نفسه لا أبو شاس ، لأن هذه النعوت التي وصفه بها تنطبق على أبي نواس ، ولم يرو عن أبي شاس المزعوم مثل هذه النعوت أبداً .

٣ — ذكر الشابستي والعمري والزيات شعراً وجدته بنصه في شعر أبي نواس .

٤ — الممزق العبدي شاعر جاهلي واسمه شأس بن نهار ، لم يرو عنه شعر في الخمرة ، وإنه تطرح في الحانات ، وإنه فتن رهبانها ومن فيها ، وهو الذي يقول :

فإن كنت ما كولا فكن أنت آكلي
وإلا فادركني ولما أمزق

وهذا البيت سبب تسميته

٥ — أما أبو شأس التميمي وأبو شأس الطبري ، فلم يرو عنهما في كتب الأدب والسير أنهما شربا الخمرة ووصفاها ، بل لم يرو عنهما خبر له قيمة ، كما لم يرو أنهما كانا أطبع الناس شعرا ...

٦ — ارتجل حبيب زيات اسما لأبي شاس هذا فأسماه أبو شاس منير ، ولم يرد ذكر لهذا الإسم في جميع كتب اللغة والسير .

( بغداد ) شكري محمود احمد

مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية




# المليونير النموذجي ... !

للكاتب الإنجليزي أوسكار وايلد

إن لم يكن الإنسان ثرياً فلا جدوى من كونه فاتناً ، لأن الشعر والحب من مميزات السراة وليسا شأناً من شؤون المتعطلين ، وعلى الفقراء أن يكونوا رجالا عمليين عاديين . وخير للانسان أن يملك دخلا ثابتاً من أن يكون ذا فتنة أخاذة .

تلكم أعظم حقائق الحياة الحديثة التي لم يفطن إليها « هوفى ارسكاين » المسكين . فلم تكن قواه الذهنية خارقة للعادة ولم تند عنه قط فكرة متألقة أو غير عادية ؛ ولكنه كان مشرق الطلعة بشعره البني المجعد وعينيه الرماديتين ، مما حبب فيه الرجال والنساء جميعاً ، وكان يتمتع بكل وسائل الحياة إلا وسيلة كسب النقود .

ولم يخلف له أبوه سوى سيفه الذي علقه « هوفى » فوق مرآته ، وكتاب تاريخ في خمسة عشر سفراً وضعه وسط مجموعة من المجلات . ثم قنع بالعيش بمبلغ يسير منحته إياه عمة شمطاء بعد ما أخفق في كل عمل مارسه . فقد تردد على البورصة ستة أشهر ، ولكن ما حيلة فراشة بين ثيران وذئاب ؟ واتجر بالشاى مدة أطول ، ولكنه سرعان ما عزف عن التجارة . ثم زاول بضع مهن أخرى لم يفلح فيها . وأخيراً أصبح لا شيء ؛ أصبح شاباً مرحاً عقيما ذا وجه صبوح بلا عمل ...

ومما زاد الطين بلة أن « هوفى » كان متيما بحب « لورا مرتون » كريمة ضابط متقاعد فقد أعصابه وخسر معدته في الهند ولم يستعدهما . وكانت « لورا » تحب « هوفى » حباً يكاد يصل إلى العبادة ، وكان يسعده أن يلثم سيور حذائها ، وشهدت لهما لندن بأنهما أجمل حبيبين وأوفاهما فيها لأن المال لم يعترض حبهما. وكان الضابط ولوعاً بهوفى ؛ بيد أنه أبى أن يعقد خطبة ابنته له ، وجرى على أن يقول له « عد إلى يا بني عند ما تملك عشرة آلاف جنيه وسنتدبر الأمر حينذاك » فيكتئب « هوفى » ويبدو عليه الوجوم ويقصد إلى « لورا » طلبا للسلوى .

وبينما كان « هوفى » ذاهباً إلى « هولاند پارك » حيث تقطن أسرة « مرتون » ذات صباح عرج على صديقه « آلن تريڤور » الرسام . وكان « آلن » فناناً متفرداً إلا أنه كان جافا غريب الأطوار ؛ طفح النمش على وجهه وأرخى لحية حمراء شعثاء ؛ أما حين يمسك بالفرشة فإنه يثبت أنه سيد فنه حقاً ، وكان يجد في البحث عن أمثلة صوره بشوق وتلهف . وما جذبه إلى « هوفى » في بدء الأمر إلا إشراق وجهه ، ولا غرو فكان دائماً يقول « ما على الرسام أن يعرف من الناس سوى البسطاء الوجهاء الذين تجد في النظر إليهم لذة فنية ، وفي التحدث معهم راحة الذهن . فالوجهاء من الرجال والحسناوات من النساء يحكمون العالم ، أو يجب أن يفعلوا ذلك على الأقل » وكلما زاد معرفة بشخصية « هوفى » زاد إعجابه بروحه المرحة الخفيفة ، وطبيعته الكريمة الطائشة ، حتى فتح أبواب مرسمه على مصراعيها أمامه في كل وقت .

وعند ما دخل « هوفى » وجد « تريڤور » يجمل صورة رائعة لشحاذ بالحجم الطبيعي ، وكان الشحاذ نفسه واقفاً على ربوة مرتفعة في زاوية من زوايا المرسم ، وهو رجل عجوز تبدو الحكمة على وجهه المتغضن الكئيب الداعي إلى الشفقة . وكانت على كتفه عباءة رثة من قماش داكن ، وكان حذاؤه الغليظ قديماً مرقعاً . واتكأ الكهل بإحدى يديه على عصا غليظة بينما مد يده الأخرى بقبعته البالية يتكفف الناس .

وصافح « هوفى » صديقه وقال همساً « ياله من مثال رائع ! »

فصاح « تريڤور » بأعلى صوته « نموذج رائع ؟ أعتقد ذلك ، لأنه لا يلتقى بأمثال هذا الشحاذ كل يوم ! إنه كنز ياعزيزى »

— مسكين هذا الرجل ! ياله من بائس ! ولكنى أظن أن وجهه بالنسبة إليكم معشر الرسامين هو كل ثروته ؟ .

— بلا شك . إنك لا تريد الشحاذ يبدو سعيداً ؛ أو تريد ؟

فسأل هوفى « وكم يتقاضى النموذج مقابل هذه الجلسة ؟ » واتخذ مقعداً مريحاً .

— شلنا فى الساعة .

— وكم تتقاضى أنت عن الصورة يا آلن ؟

— آه ! عن هذه أتقاضى ألفين .

— من الجنيهات .

— نعم يا عزيزى .

فصاح « هوفى » ضاحكا « هذا حسن ! ولكن يجب أن يظفر النموذج بنسبة مئوية لأن عمله لا يقل مشقة عن عملك » .

— كيف ذلك ؟ انظر إلى مشقة توزيع الألوان والوقوف طيلة اليوم أمام منصة الرسم ! كل هذا يروقك أنت يا « هوفى » ولكنى أؤكد لك أن هناك لحظات يكاد يصل فيها الفن إلى منسوب العمل اليدوى . والآن أوجز ولا تثرثر لأنى جد مشغول ؛ فدخن سيجارة والزم الهدوء .

وبعد فترة من الزمن دخل الخادم وأخبر « تريفور » أن صانع الإطارات يريد مقابلته . فقال « تريفور » وهو خارج « لا تجر يا « هوفى » فسأعود بعد لحظة » .

وانتهز المتسول فرصة غياب « تريفور » ليستريح على مقعد خشبى وراءه ، وكان يبدو عليه البؤس والشقاء حتى أشفق عليه « هوفى » فبحث فى جيوبه ليعرف ما عنده من نقود ، وكان كل ما وجد جنيها وبضعة بنسات ، ثم فكر فى نفسه « هذا الزميل العجوز المسكين يفتقر إليها أكثر منى » وذرع الاستوديو ونفح الشحاذ بالجنيه .

تحرك الرجل العجوز وعلت شفتيه اليابستين ابتسامة صفراء وقال « شكراً يا سيدى ، شكراً » .

ولما عاد « تريفور » استأذن « هوفى » فى الخروج ووجهه محمر لما فعل . وقضى ذلك اليوم مع لورا ، وقبل الإياب إلى منزله ظفر منها ببعض التأنيب والتقريع لتبذيره .

وفى مساء ذلك اليوم بينما كان « هوفى » يتجول فى نادى « الباليت » فى الساعة الحادية عشرة وجد « تريفور » جالساً وحده فى غرفة التدخين فقال له مشعلا سيجارته : « أأتممت الصورة على ما يرام ؟ » .

— تمت ووضعت فى الإطار يا بنى . ولئلا أنسى لقد تمت بعزو ، فذلك النموذج يدين لك بالإخلاص الشديد ، وقد أطنبت له فى الحديث عنك — من أنت ، وما هو دخلك ، وما هى آمالك —

— « يا عزيزى آلن » صاح هوفى « ربما وجدته فى انتظارى عند عودتى إلى المنزل ؛ ولكنك تمزح بدون شك . مسكين هذا العجوز البائس ! وددت لو استطعت مساعدته . إنه لشىء مرعب أن يصل إنسان ما إلى هذا الدرك من البؤس . أتعتقد أنه يحفل بشىء مما عندى من أكوام الملابس القديمة ؟ وكيف لا ! فإن أسماله كانت تتساقط قطعاً » .

— ولكنه يبدو بديعاً فى هذا النوع من الملابس . وأنا لا أرسمه بملابسه الرسمية السوداء مقابل أى ثمن ؛ لأن الذى تدعوه أنت خرقاً بالية أسميه أنا خيالا رائعاً ، وما يبدو لك فقراً مدقعاً هو ما يستحق التصوير عندى . وعلى كل حال سأخبره باستعدادك لمنحه بعض الملابس .

فقال « هوفى » جاداً « آلن ! أنتم معشر الرسامين لا قلب لكم » .

— قلب الفنان رأسه ، وعلاوة على ذلك لا تنس أن عملنا تصوير العالم كما نراه لا كما يجب أن يكون ؛ ولكل عمله ، والآن أخبرنى كيف حال لورا ؛ فالنموذج العجوز أظهر اهتمامه بها .

— إنك لا تعنى أن تقول إنك حدثته عنها ؟

— بل فعلت بلا ريب . فهو يعرف كل شىء عن الضابط القاسى الفظ و « لورا » الحلوة والعشرة آلاف جنيه .

فصاح « هوفى » محمراً من شدة الغضب « أتخبر ذلك المتسول العجوز عن جميع شؤونى الخاصة ؟ » .

وقال تريفور مبتسما « ياولدى العزيز ! ذلك المتسول العجوز ، كما تدعوه ؛ من أثرى رجال أوربا . فهو يستطيع شراء لندن غداً دون أن يسحب أكثر من رصيده ، وهو يملك قصراً فى كل عاصمة ، ويتناول الطعام فى أطباق من ذهب ، ويستطيع أن يمنع روسيا من دخول الحرب عند ما يرغب فى ذلك » .

— ماذا تعنى بالله عليك ؟

— إن الرجل الذى رأيته فى الاستوديو اليوم هو « بارون هوسبرج » وهو صديق حميم لى يبتاع جميع صورى ، وقد أعطانى جعلا فى الشهر الماضى لأرسمه فى زى شحاذ ! ماذا ترجو من

أهواء مليونير ؟ ولكن يجب أن أعترف أنه بدا مثالا رائعاً فى خرقه ، أو فى ملابسى أنا ، لأن ما كان يرتديه إن هو إلا عباءة قديمة لى اقتنيتها من أسبانيا .

فصاح هوفى « بارون هوسبرج ! يالله ! فقد نفحته جنيها ! » وغاص فى المقعد المريح مرتعباً فزعاً .

وانفجر تريفور فى الضحك « منحته جنيها ! لن تراه ثانية يا ولدى العزيز ، فما أعماله إلا مستمدة من نقود الآخرين » .

وقال هوفى عابساً « أظن أنه كان يجب أن تخبرنى يا آلن ، ولا تتركنى أخدع نفسى إلى هذا الحد » .

— فى الحقيقة لم يتصور عقلى أنك توزع الصدقة بتلك الطريقة الطائشة . إنى أفهم تقبيلك نموذجا جميلا ، ولكن إعطاءك جنيهاً لنموذج قبيح — لا ، بالله ، لا ! فهذا مستحيل . وعلاوة على ذلك فالحقيقة أنى أنكرت وجودى فى الاستوديو لكل طارق اليوم ، فعند ما دخلت أنت لم أعرف هل يجب « هوسبرج » أن يذكر اسمه ، فأنت تعرف أنه لم يكن يرتدى ملابسه الرسمية ؟

— لا بد أنه حسبنى شيخ البلهاء فى هذا البلد .

— لا ، أبداً . فقد كان مسروراً بعد خروجك ، وكان يحدث نفسه ويمسح يديه المجعدتين ؛ ولم أستطع أن أستنتج سبب شغفه بمعرفة كل شىء عنك ، ولكنى فهمت كل شىء الآن .

— « إنى شيطان عديم الحظ » زجر هوفى « خير ما أستطيع عمله هو الإيواء فى مخدعى . وياعزيزى آلن يجب ألا تخبر أحداً بما حدث ، فإنى لا أستطيع ان أواجه المجتمع »

— ولم ذلك ؟ إن عملك هذا لأقوى دليل على حبك لخير البشر يا هوفى . والآن خذ سيجارة أخرى وتحدث عن « لورا » بقدر ما تحب .

بيد أن « هوفى » لم يطع وذهب إلى منزله حزيناً مكتئباً ، وترك « آلن تريفور » يقهقه من شدة الضحك .

وفى الصباح التالى فى أثناء تناول « هوفى » طعام الافطار حمل إليه الخادم بطاقة كتب عليها « المسيو جوستاف فودان من طرف البارون هوسبرج » فأمر الخادم بدخول الزائر ودخل الحجرة رجل عجوز بمنظار ذهبي وشعر رمادى ، وقال بلهجة فرنسية « هل لى شرف التحدث مع المسيو أرسكاين ؟ » .

فانحنى هوفى .

وقال الرجل : « جئت من عند البارون هوسبرج ، والبارون ... » .

تلجلج هوفى « أرجو يا سيدى أن تقدم للبارون أصدق اعتذاراتى » .

فقال الرجل العجوز مبتسما : « كلفنى البارون أن أحمل إليك هذه الرسالة » ، وقدم له مظروفاً مختوماً .

وكتب على خارج الظروف : « هدية زفاف لهوفى أرسكاين ولورا مرتون ، من متسول عجوز » ، وكان بداخله صك بمبلغ عشرة آلاف جنيه .

* * *

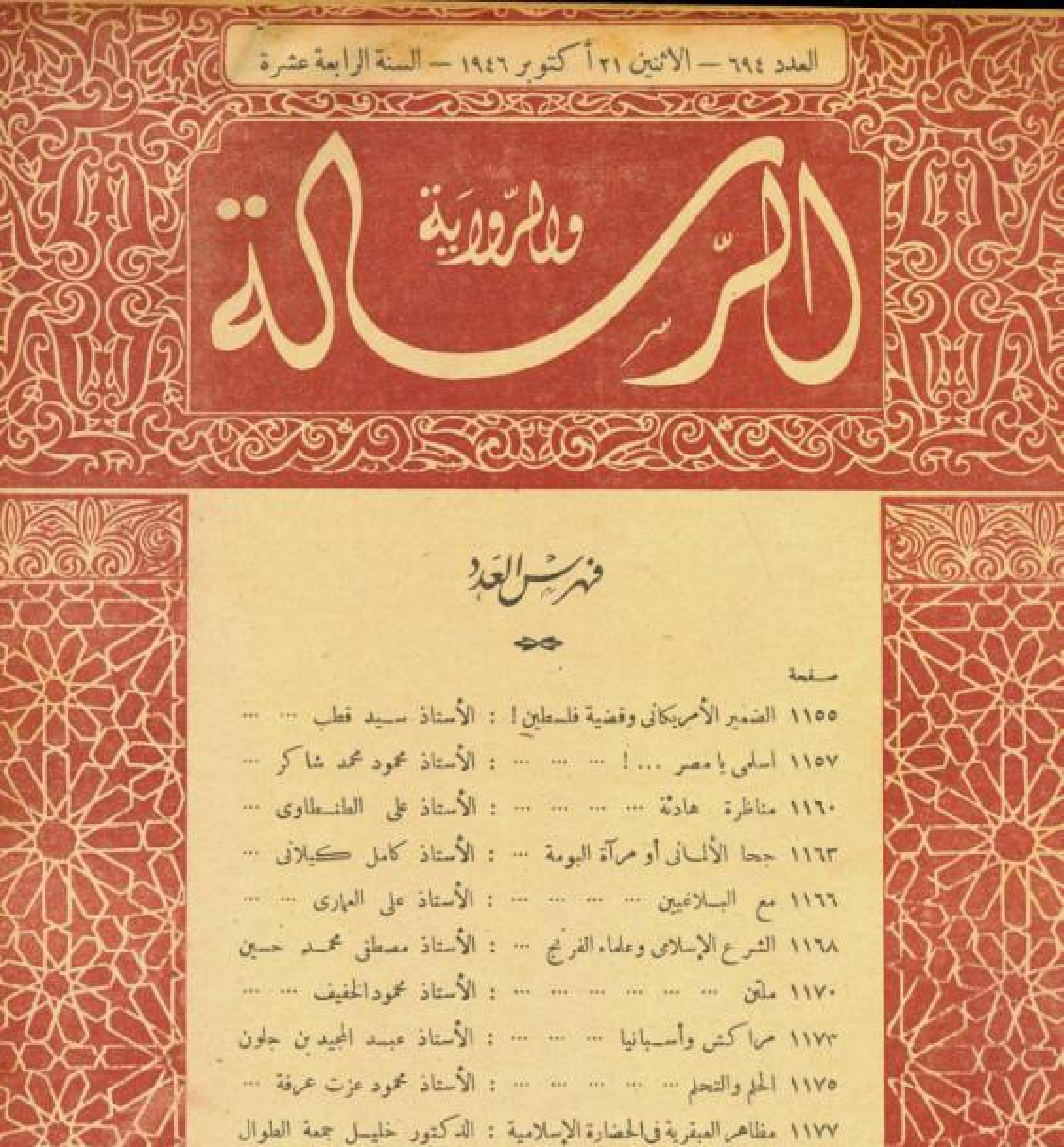
ولما تزوجا كان « آلن تريفور » شاهد العروس ، وألقى « البارون هوسبرج » كلمة فى حفلة الزفاف .

وتعجب آلن قائلا : « إن من أندر الأمور الظفر بنموذج مليونير . ولكن أندر منه الظفر بمليونير نموذجى » .

**بولس عنز الملك**

بمعهد الصحافة بالجامعة الأميركية

[ طبعت بدار الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين ]



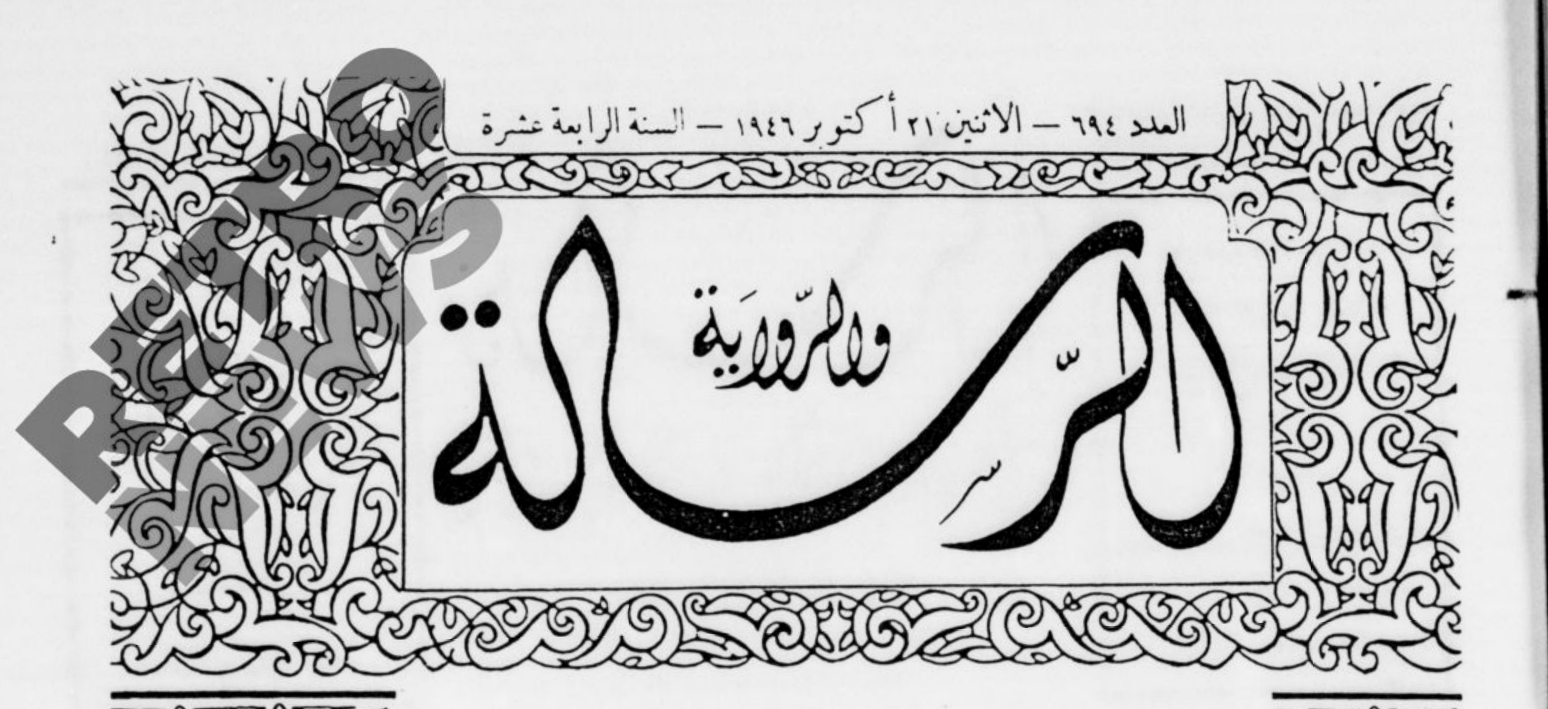
العدد ٦٩٤ – الاثنين ٢١ أكتوبر ١٩٤٦ – السنة الرابعة عشرة

# الرسالة والرواية

## فهرس العدد



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



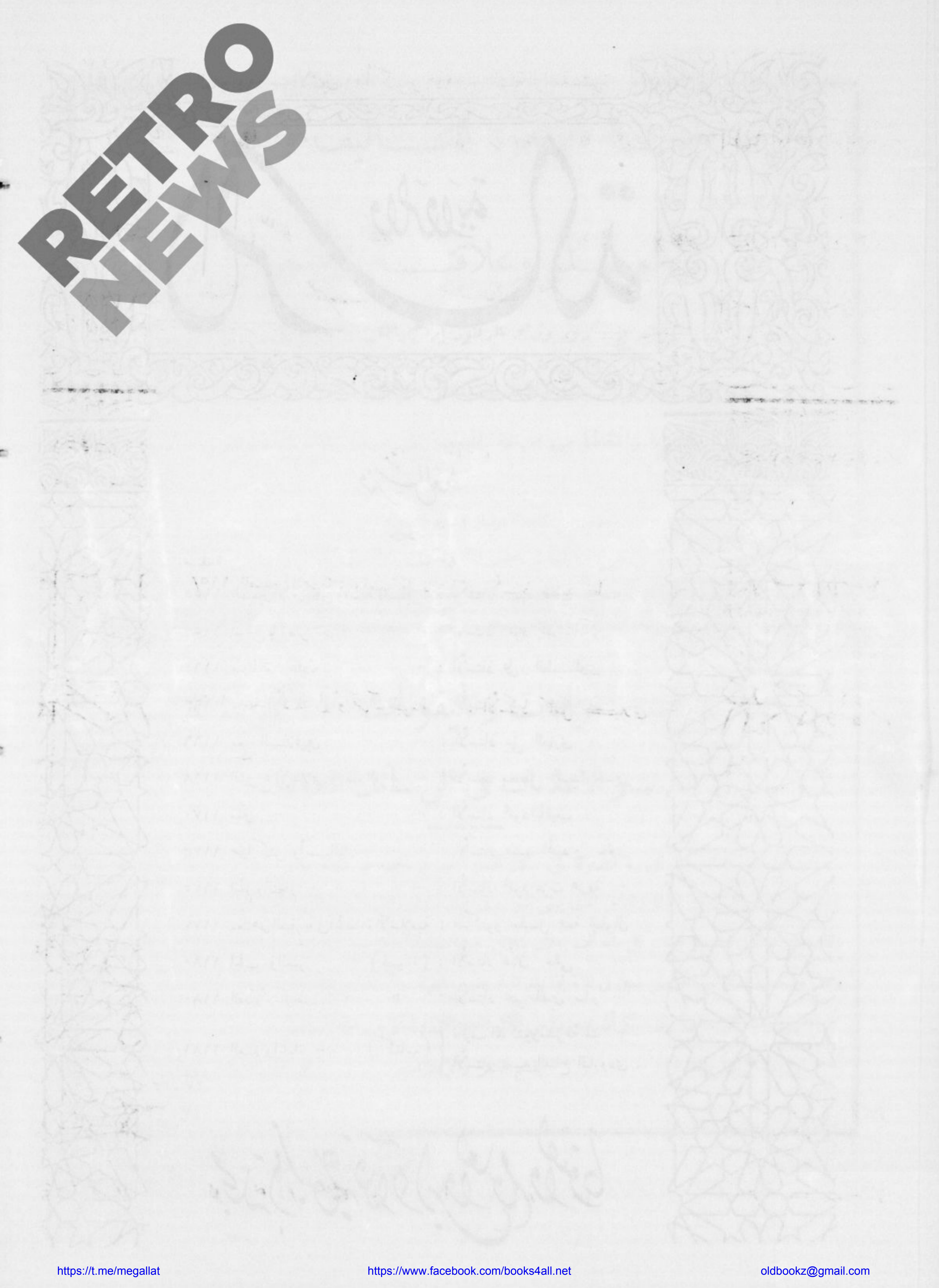
العدد ٦٩٤ — الاثنين ٢١ أكتوبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

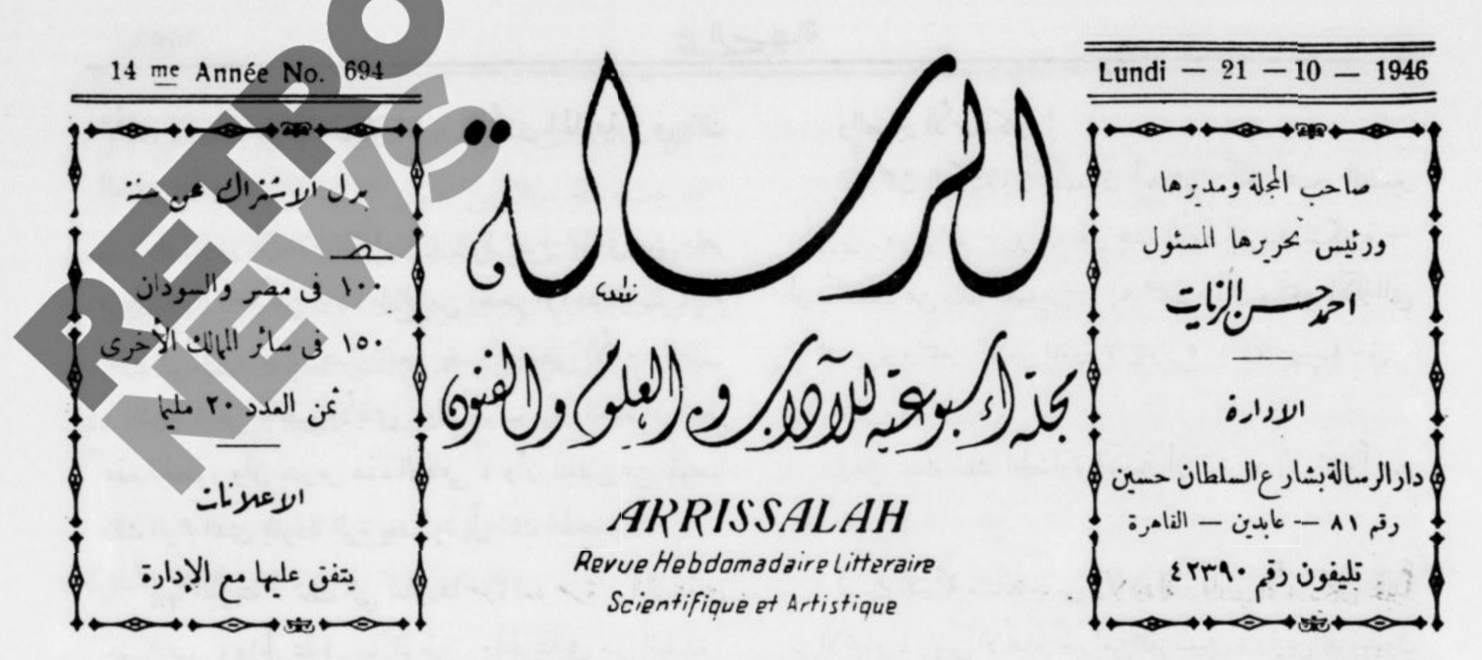
فهرس العدد



٢٧٥٣٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




14 me Année No. 694
Lundi — 21 — 10 — 1946

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٩٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ ذو القعدة سنة ١٣٦٥ — ٢١ أكتوبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة



# الضمير الأمريكاني . . . !

## وقضـــية فلسطين

للاستاذ سـيد قطب

أخيراً يتكشف ضمير « الولايات المتحدة » الذى تعلقت به أنظار كثيرة فى الشرق، وحسبته شيئاً آخر غير الضمير الإنجليزى والضمير الفرنسى، وسائر الضمائر الأوربية المعروفة

أخيراً يتكشف ضمير « الولايات المتحدة » هذا، فإذا هو — كـكل شىء أمريكى آخر — « ضمير أمريكانى » !

ونحن نعرف فى مصر « اللعبة الأمريكانية » ونعرف أنها « نصب » فى « نصب »، وقد حرمت هذه اللعبة لما فيها من غش وخداع . و « الضمير الأمريكانى » الذى تكشف عنه تصريحات ترومان لا يرتفع كثيراً عن هذه اللعبة الممنوعة !

ولقد كان الكثيرون مخدوعين فى هذا الضمير؛ لأن الشرق لم يحتك طويلا بأمريكا، كما احتك بانجلترا وفرنسا وهولاندا، فلما بدأ الاحتكاك فى مسألة فلسطين تكشف هذا الخداع عن ذلك الضمير المدخول، الذى يقامر بمصائر الشعوب، وبحقوق بنى الإنسان، ليشترى بضعة أصوات فى الانتخاب.

وكلهم سواء أولئك الغربيون : ضمير متعفن، وحضارة زائفة، وخدعة ضخمة اسمها « الديمقراطية » يؤمن بها المخدوعون !

تلك كانت عقيدتى فى الجميع، فى الوقت الذى كان بعض الناس يحسن الظن بفريق ويسىء الظن بفريق، وكانت أمريكا فى الغالب هى التى تتمتع بحسن الظن من الكثيرين

فها هى ذى أمريكا تتكشف للجميع . هذا هو « ترومان » يكشف عن « الضمير الأمريكانى » فى حقيقته، فإذا هو نفسه ضمير كل غربى، ضمير متعفن، لا يثق به إلا المخدوعون !

إنهم جميعاً يصدرون عن مصدر واحد، هو تلك الحضارة المادية التى لا قلب لها ولا ضمير . تلك الحضارة التى لا تسمع إلا صوت الآلات، ولا تتحدث إلا بلسان التجارة، ولا تنظر إلا بعين المرابى، والتى تقيس الإنسانية كلها بهذه المقاييس .

كم ذا أكره أولئك الغربيين وأحتقرهم ! كلهم جميعاً بلا استثناء : الإنجليز، الفرنسيون، الهولنديون . وأخيراً الأمريكان الذين كانوا موضع الثقة من الكثيرين .

ولـكننى لا أكره هؤلاء وحدهم . ولا أحتقر هؤلاء وحدهم . إنما أكره وأحتقر أولئك المصريين، وأولئك العرب، الذين لا يزالون يثقون بالضمير الغربى عامة، وضمير الاستعمار على وجه الخصوص .

إنها الجريمة . تلك التى يقترفونها كل يوم فى حق شعوبهم المسكينة . جريمة التخدير والتفغيل، وإنامة الأعصاب على

الأذى ، وهدهدة الآمال الباطلة ، والأمانى الخادعة ؛ فى ذلك الضمير المأفون .

يقول نبى الإسلام الكريم : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ، وها نحن أولاء نلدغ من الجحر الواحد مرات ، ثم نعود فى كل مرة إلى هذا الجحر نفسه مغمضى الأعين نتطلب « الشهد » من جحور الأفاعى . ولا نجرب مرة واحدة أن نحطم هذه الجحور وأن ندوس هذه الأفاعى ، وأن ننفض عن نفوسنا ذلك الوهم الذى يقودنا المرة بعد المرة إلى تلك الجحور !

إنها الجريمة . تلك التى نعاودها مرة بعد مرة . الجريمة فى حق النفس ، والجريمة فى حق الوطن ، والجريمة فى حق العقيدة . إنها الغفلة التى لا يستحق صاحبها الاحترام ، وهو يشهد على نفسه بالتغفيل !

ولكن من الحق أن لا نصم الشعوب العربية بهذه الوصمة . إن هذه الشعوب لأذكى وأشد حمية من أن ترضى لنفسها بالهوان ولكنها تلك الحفنة من ساسة الجيل الماضى فى مصر وبعض البلاد العربية . تلك الحفنة الرخوة المسنة الضعيفة المتهالكة ، المهدودة الأعصاب ، لا تقدر على الكفاح ، ولا تدع الشعوب تكافح ، لأن أنانيتها الأثرة تمسكها عن الانسحاب فى الميدان وتركه للقادرين !

هذه الحفنة من ساسة الجيل الماضى هى التى اخترعت كلمات : المفاوضات ، والمحادثات ، والمؤتمرات ... لماذا ؟ لأنها وسيلة مهلة لا تكلف شيئاً ، وتضمن كراسى الحكم والسلطة فترة من الزمان . وكلما همت الشعوب أن تسلك طريقها ، وأن تواجه المستعمرين بذاتها ، حال هؤلاء بينها وبين المستعمرين ، ووقفوا من دونهم يصارعون الشعوب ، وتصارعهم الشعوب . فإذا أتعبهم الصراع مع شعوبهم راحوا يبثون فى الأمة روح الثقة بالمستعمرين ، وراحوا يشيعون الآمال الخادعة فى هذا الضمير المدخول !!

تلك هى القصة . قصة الجحور والأفاعى . وقصة اللدغ المتكرر من هذه الجحور . وإنها لمأساة ، ولكن من العدل أن نبرىء منها الشعوب العربية ؛ فلا تؤخذ بجريرة حفنة من الساسة الضعفاء المرضى المتهالكين !

والضمير الأمريكانى !

لقد كان الكثيرون يفهمون أنه شىء آخر غير الضمير الأوربى . فأراد الله — ولعله لخير هذه الأمة العربية المنكوبة — أن يكشف عن ذلك الضمير ... إنه ضمير مادى ، ضمير الآلة التى لا تحس ، وضمير التاجر الذى لا يتورع ، ولا يهمه حق ، ولا عدل ، ولا حياء .

وهل تملك تلك الحضارة الآلية أن تنشىء إلا ضميراً من هذا القبيل ؟

ليست المسألة مسألة جنس ولا دولة . فليس الأمريكان خيراً من الإنجليز ، وليس الانجليز خيراً من الفرنسيين ، وليس الفرنسيون خيراً من الهولنديين ... كلهم أبناء حضارة واحدة . حضارة مادية بغيضة لا قلب لها ولا ضمير . حضارة تأخذ ولا تعطى ، وتجرح ولا تأسو . حضارة أنانية صغيرة مهما بدت من الخارج ضخمة ذات بريق وضجيج !

إنها حضارة زائفة لأنها لم تقدم للانسانية زاداً من الروحية ، ولم تحاول رفع الآدمية عن قانون الوحوش . وهل تطبق هذه الحضارة مع شعوب الأرض المنكوبة إلا قانون الوحوش ؟

ثم يوجد بين أمم الشرق غافلون أو خادعون يثقون بأصحاب هذه الحضارة ، ويراودون شعوبهم على الثقة بذلك الضمير ، ويثبطون عزائمهم عن الجهاد الحاسم ، والكفاح المثمر ، فى أنسب الظروف !

وبين ضجيج الآلات يرتفع بين آن وآخر صوت إنسانى خافت فى تلك الربوع : ينادى بالعودة إلى الله ، كذلك الصوت الذى أرسله الكردينال جريفان فى انجلترا منذ أيام ، حين ألقى بكتدرائية وستمنستر عظة دينية فقال :

« لقد أبعد الله عن ميثاق هيئة الأمم المتحدة . وهذا هو السبب فى أن الأمم المتحدة لم تستطع إلى اليوم أن تصبح « متحدة » فعلا » .

« وإنه لينبغى أن يكون لله ومبادئه القائمة على الإحسان والعدالة مكان فى الشئون الدولية حتى تصبح الحرية حقيقة فى العالم بأسره ويعيش الإنسان فى ظل السلام والأمن » .

ولكنه صوت خافت لا يسمع فى ضجيج الآلات التى

# اسلمى يا مصر ... !

للأستاذ محمود محمد شاكر

ظللتُ سنوات معتزلاً أو كالمعتزل، وما اعتزلتُ إلا لأن الحياة أرادتنى على ذلك فأطعتها، وليتنى ما فعلتُ! ثم جاءت أيام فهزّتنى حتى كادت تقتلعُ جذور الحياة من أغمض أعماقها فى نفسى وفى قلبى وفى سائر بنيانى وحواسّى، فانتبهت كالذاهل المغمور وأنا لا أدرى أحىٌّ أنا أم ميت، وإن كان لم يشعر بما أشعر به إلا رجلٌ أو رجلان أدركا ما أنا فيه من محنة وشقاء. ثم انجلت الغمة وارتفعت الغشاوة، وبدأتُ أرى الدنيا كما ينبغى لمثلى أن يراها، فأقبلتُ عليها أتفحصها كأنى أقرأ تاريخاً جديداً لم يكن لى به علم ولا خبر. ومن يومئذ آثرت أن أغفل شأن هذه الشعرات البيض التى تلتمع على فودىّ نذيراً وبشيراً، وقلت لنفسى: كذب والله علىٌّ بن جبلة الخزاعى، فإنى لأجد هذه الشعرات البيض أخفٌّ على قلبى محملاً وأشهى إلى نفسى من كل ما استمتعت به فى صدر شبابى، وكيف أشجَى بشىء قد جعله الله بديلاً من جنون الصِّبا وعُرامِ الشباب. وأنا أسوق هنا أبيات علىّ بن جبلة، وإن كان لا حاجة للمقال بذكرها، لأنى أعتدُّها من أجود الشعر وأرْصنه وأحسنه تمثيلاً لمقدم الشيب، وأدقه تصويراً لإحساس الفزع الذى تتجرّعه النفوس الشاعرة فى يوم الكريهة — يوم المشيب. قال يذكر الشيب وقد بلغ الأربعين:

ألقى عصاه، وأرخى من عمامته ... وقال: ضيفٌ. فقلت: الشيبُ؟ قال: أجل!

فقلتُ: أخطأت دار الحىّ! قال: ولِمْ؟ ... مضتْ لك الأربعون التِّمُّ! ثم نزلْ

فما شَجيتُ بشىء ما شَجيتُ به، ... كأنما اعتمّ منه مَفْرِقى بجَبَلْ

ولست أنكر أن عُلوّ السن بالمرء أمر ينبغى أن يلقى له باله ويتعهده حتى لا يؤخذ على سهوة وفى غفلة، وأن الشيبَ هو النذير العريان — ولكن ما بالشيبِ من عارٍ، فنحن إنما خلقنا

تغشى على صوت الضمير، ونغمة مبحوحة لا تسمع بين صراخ المطامع، وعواء الشهوات، فى ذلك العالم الهائج الشعور!

والآن. أيها الشرق. ماذا تريد؟

فأما إن كنت تبغى الخلاص من براثن الوحش الغربى. فهناك طريق واحد لا تتشعب فيه المسالك. فهو أقرب طريق ... اعرف نفسك، وراجع قواك، واستعد للصراع، وابدأ فى الكفاح، ولا تستمع إلى صوت خادع يوسوس لك بالثقة فى ضمير الغرب المدخول.

وأما إذا كنت تبغى الراحة مع ذلك الجيل المكدود المهدود من الساسة المترفين الناعمين، فأمامك طرق كثيرة ذات شعب ومسالك، وذات منعرجات ودروب. هناك المفاوضة، والمحادثة، وجس النبض، واستطلاع الآراء. وهناك الدبلوماسية الناعمة الرقيقة، والكلمات الرقيقة الظريفة، وهناك الانتظار الذى لا ينتهى، والاستجداء الذى لا يغنى. وهناك المؤتمرات الحافلة والموائد المستديرة، وهناك الكتب البيض، والكتب الزرق، والكتب الخضر، وما لا ينتهى من الطرق والمنعرجات والدروب!

والحمد لله — أيها الشرق — لقد تكشف لك القناع عن آخر ضمير «الضمير الأمريكانى» الذى كانت تتعلق به الأنظار، أنظار الغافلين والخادعين!!!

والحمد لله — أيها الشرق — إن شمسك الجديدة فى شروق، وشمس هذا الغرب الفاجر فى غروب. وإنك تملك من الرصيد الروحى، ومن ميراثك القديم، ما لا يملكه هذا الغرب المتطاحن الذى يأكل بعضه بعضاً كالوحوش لأنه يحكمه قانون الغابة فيما يشجر بينه من شقاق لا ينتهى، وهل ينتهى الشقاق فى الغابة بين الوحوش.

إنها الفرصة السانحة — أيها الشرق — للخلاص. فانفض عنك رجال الماضى الضعفاء المهوكين. وابرز بنفسك للميدان، فقضايا الشعوب فى هذه الأيام لا بد أن تعالجها الشعوب.

وما قضية فلسطين إلا قضية كل شعب عربى، بل كل شعب شرقى. إنها الصراع بين الشرق الناهض، والغرب المتوحش. وبين شريعة الله للانسان وشريعة الناب للوحوش.

سيد قطب

لنحيا ونموت ، فلتكن حياتنا كلها كما بدأتْ جهاداً متصلا جريئاً في سبيل الغاية التي نفخ الله فينا من أجلها الروح . وقبيح بامرىء علمته الأيام ووعظته الأسى منذ كان أبوه الشيخ آدم إلى يوم الناس هذا — أن يجزع أشفَّ جزعٍ من منهل لم ينج سابق من وروده ، ولن ينجوَ من وروده لاحق .

وليت شعري ماذا يضيرني من شيبةٍ في شعراتٍ ، إذا كان قلبي لا يزال غضًّا جديداً كأنه ابن الأمس القريب ؟ ولو قد كان ذلك ضائري لقد هانت الحياة هواناً يجعلها أسخف وأخفّ وأضأل من أن أحفل بها أقل حفل . وكذلك عقدت عزمي على أن أضربَ في مسالك الحياة حيث لا يعوقني وقار غثٌّ ، ولا حنبلية متزمّتة ، وحيث أخبرُ الحياة على وجهها الذي هي عليه اليوم ، لأعرف ما الذي ستكون عليه غداً . فأسرعت إلى حلقات الشباب ممن تجاوزوا العشرين وأشرفوا على الثلاثين ، لأرى كيف يفكرون ، وأنظر كيف يعملون ، وأعرف ماذا يدبرون ، وأعلم أين يستقبلون فرأيت ونظرت وعرفت وعلمت ، فأشفقتُ وأمّلتُ ، وخفتُ ورجوتُ ، ولكني على ثقة من أن رحمة الله أوسع من أن تضيق بأمة ضلّت في بيداء هذه الحياة ، وقد خرجتْ تضرب في جوانبها مطموسة البصر إلا ماشاء الله .

كان من أهم ما شغلني أن أسمع ماذا يقولون عما يشغل الناس جميعاً في هذه الأيام ، وأن أناقشهم فيما يقولون حتى أعرف خبء نفوسهم وضمائرهم ، وأن أنقل ما استطعت شيئاً مما يعتلج في هذه القلوب الشابة التي تريد الحياة الحرة الكريمة — أي تريد الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وينبغي لكل صاحب قلم أن يحرص أشد الحرص على بيان ما يرى وما يُراقب ، فإن الجيل الماضي الذي صارت إلى يديه مقاليد الحكم في مصر غافل كل الغفلة عن الآمال والآلام التي تساور القلوب المصرية الشابة ، وجاهل كل الجهل بالمولود الجديد الذي ولد في أرض مصر وشبّ ونشأ واستوى وكاد يبلغ مبالغ الرجال . يقول قائل الشباب :

« لقد خرجت مصر كلها ، عالمها وجاهلها وغنيها وفقيرها ، تنادي يوماً ما باسم « الجلاء » وباسم « وحدة وادي النيل من منبعه إلى مصبه » وباسم البلد الواحد الذي هو « مصر والسودان » . والشعوب أو الجماهير إن شئت ، لا تعرف تفاصيل التاريخ ولا يهمها أن تعرف ، بل هي تحس وتدرك وتتمنى وتسعى وتفعل كل شيء بالإلهام الذي تسدّده الفطرة المستقيمة ، وهذه الفطرة المستقيمة إذا نظرت إلى شيء استوعبت لُبّه وطرحت نُفايته

ولقد نظر الشعب المصري بفطرته المستقيمة فرأى دولة طاغية تحتل سماء بلاده وأرضها وبحارها ، بل تحتل أرزاقها المقسومة لأهلها من طعام وشراب ، وتشاركها في نسمات الهواء بل تضيق عليها أيضا ، وتحرمها النفحة بعد النفحة من هذه النسمات . وإذن فهي تمنع عنها ما هو مباح للوحوش في مساربها ، والبهائم في مراعيها ، والطير في مسابحها . وإذن فلا بد من أن تظفر بما يظفر به أدنأ الخلائق وأهونها على الناس وعلى الله ربّها وربهم . وإذن فالشعب لن يعرف إلا كلمة واحدة هي : « الجلاء » ، ولا ينادي إلا بشيء واحد هو : « اخرج من بلادي أيها الغاصب » ، ولا يعرف من التاريخ ولا من السياسة ولا من البراعة والحذق في الدهاء إلا أن هذا غاصب واقف بالمرصاد يغتاله ويغتال أسباب حياته ، ويرمي به في الرغام ليعيشَ هو في رغد وفي بحبوحة .

« قام الشعب فأسمع من كانت له أذنان ، فإذا فئة من محترفي السياسة ، ومن كل محتال عليم اللسان ، ومن كل وجيه زيّنه ماله وغناه ، ومن كل ذي صيتٍ رفعته الأقدار بالحق أو بالباطل — قد هبّوا جميعاً مع الشعب يقولون بمثل الذي يقول ، فظن الشعب أنهم قد صدقوا بعد ماضٍ كذّبَ على التاريخ وعليهم ، فرضي عنهم وأعانهم ، ولكن لم يلبث إلا قليلا حتى رأى الوادي يموج عليه بالحيّات والأفاعي والعقارب ، وكل لدّاغ ونفّاث وغدّار ، فانتبه فزعاً يطلبُ النجاة مما تورط فيه من ثقة بأقوام لم ينالوا يوماً ما ثقته ، ولاحمّلهم أمانته ، ولارضي عن أعمالهم ، ولا سلّم إليهم مقاليده إلا مرغماً أو مغرَّراً أو مخدوعاً . ثم بقي الشعب يترقب نهاية هذه المفاوضات العجيبة التي نالت فيها مصر كل شيء إلا الجلاء ، وحازت كل خير إلا الاستقلال ، ورأت كل عجيبة إلا عجيبة ارتحال الجيوش البريطانية ذات الزيّ العسكري أو الزيّ المدنيّ » .

ويقول قائل الشباب : « إنني لاأعرف تاريخ القضية المصرية على الوجه المعقّد الذي يدلّسُ به الساسة علينا ، ويدخلونَ به المخافة والذعر في قلوبنا . لا أعرفُ من تاريخ هذه القضية إلا أن بلادي كانت توشك أن تكون قُبيل سنة ١٨٨٢ إحدى الدول العظمى في العالم ، ثم إذا بأوربة كلها تتألّبُ على هلاكها ، وقتلها ، والولوغ في دمها بتحريض دولة واحدة قد امتلأ قلبها جشعاً وحقداً . فلما ظفرت بما أرادت ، ذادتْ كل دولة عن

طريقها ، ورمت مصر غدراً وخيانة فاحتلتها فى سنة ١٨٨٢ ، وحسدتها الدول ، وخافت مغبة احتلالها لأرض مصر ، فتألبت عليها وطالبتها بالخروج منها ، فوعدت أن تجلو عن أرض مصر جلاء ناجزاً بعد أن تستقر الأمور ويتوطد سلطان العرش المزعزع ! وقامت مصر تطالب بالجلاء فوعدت أيضاً بالجلاء ، وظلت بعد ذلك تعد وتعيد وتعيد وهى لا تمل وعداً ولا تحققه ، إلى أن كانت سنة ١٩٠٦ ، فإذا هى تعلن الجلاء إعلاناً تاماً صريحاً بيناً واضحاً ناجزاً سريعاً ، وتبدأ تجلو ، ولكن من غرفة إلى غرفة ، ومن سرير إلى سرير ، ولكنها لا تخرج من باب الدار إلى لَقَم الطريق .

« ثم إننا نرى هذه الفئة التى اختالت فى ثياب « الزعامة » وبجدتها الصحافة وسمتها باسم « الزعامة » قد دخلت فى المفاوضات بينها وبين البريطانيين باسم مصر ، ومصر منها براء ، فإذا بريطانيا تزعم للشعب أنها جلت عن مصر ، فأخلت القلعة ، وأخلت فندق سميراميس ! وكانت فيه القيادة العليا البريطانية للجيش البريطانى فى مصر ، وأخلت كذا ، وستجلو عن كذا ، ولكنها تأبى فى المفاوضات إلا أن تبقى فى مصر لتشارك مصر فى الدفاع عن أرض مصر العزيزة — على بريطانيا بطبيعة الحال !

« أفتظن هذه الفئة أن الله قد سلب الشعب المصرى فطرته السليمة ، حتى تخدعه كل هذه الترهات الباطلة التى يرسلها كهنة السياسة من كهوف المفاوضات على واديه المحرّم ؟ لئن ظنوا فقد خابت ظنونهم وباءوا بأخيب الرأى وأبعده عن مواقع الصواب إن الذى بيننا وبين بريطانيا قد بان وتكشّف لكل ذى بصر . نعم لقد مضى على مصر دهر وهى مخدوعة بالمفاوضة ، ومخدوعة بقدرة السياسة على نيل الحقوق المهضومة ، ولكن لم يبق فى مصر بعد اليوم شابٌ فى قلبه ذرّة من إيمان بالحرية ، وفى عقله ذرة من حسن التقدير وصدق التفكير ، إلا وهو يعلم أصدق العلم أن المفاوضة معناها كذب القوىّ على الضعيف ، وذلة الضعيف بين يدى القوىّ . ونحن ننظر صابرين إلى هذا العبث الدائر بين رجال قد أحدّوا أنيابهم ، وأعدّوا مخالبهم ، ورجال قد عرّضوا مقاتل أمتهم لهذا الضارى المفترس ليقضم منها حيث شاء كما شاء ، ثم يقول للفريسة : لقد أعددت لك الأطباء والممرضين ليضمدوا جراحك ويحقنوا دمك ، ويدفعوا عنك عادية الرّدَى ! وكذلك تكون شفقة الأسود الرحيمة !

« إن القضية المصرية أبسط قضيّة على وجه الأرض : غاصب قد أقرّت الدول جميعاً منذ سنة ١٨٨٣ أنه غاصب معتدٍ ، ومغصوبٌ لا يزال يصرخ منذ ذلك التاريخ ، ويقول لأهل الدنيا : أنقذونى . فما معنى الدخول فى المفاوضات بيننا وبين بريطانيا ؟ إن العالم كله مطالب بإخراج بريطانيا من مصر ، ونحن لا نحب أن نفاوض بريطانيا ولا ينبغى لنا أن نفعل ، بل الذى ينبغى هو أن نفاوض الدول كلها إلا بريطانيا فى شأن إخراج هذا الغاصب وإجلائه عن برّنا وجوّنا وبحارنا ، وفى صدّه عن عُدوانه على أعراضنا وعلى طعامنا وعلى أرزاقنا وعلى أخلاقنا وآدابنا وثقافتنا ...

« إن بريطانيا دولة قوية ما فى ذلك شك ، ولكننا أقوى منها لأننا أصحاب حق . فليعلم هؤلاء المفاوضون أن مصر لن تقبل الدنيّة فى مستقبلها ومستقبل أجيالها ، وليعلم هؤلاء المفاوضون أنهم لا يملكون التصرف فى رقاب أهل مصر الحاضرين ، ولا فى رقاب الأجيال الآتية ، وأنهم وإن كانوا مصريين كراما ، إلا أن مصر خالدة على وجه الدهر ، وهى أكرم منهم على أبنائها ورجالها الآتين . ونحن الشباب الناشىء نعرف أننا لن ننال لأنفسنا ولبلادنا حقها وحريتها إلا بالحزم والعزم وترك التهاون ، والإقلاع عن هذه الخبائث التى يسمونها المفاوضات ، ونسميها نحن المساومات . ونحن الشباب الناشىء نعرف أن الحياة لا معنى لها إذا خلتْ من الشرف والكرامة ، وأن الشرف والكرامة عندئذ هى الموت . فلنمت كِراماً صادقين ، فذلك خير من أن نعيش أذلاء مستعبدين . ولتعلم هذه الفئة أنها تسير بمفاوضاتها فى وادٍ ، وأن الشباب يسير فى وادٍ غيره ، فليحذروا مغبة ما يفعلون ، وخير لبريطانيا أن تفهم هذا ولا تتجاهله ، فربما جاء يوم لا ينفعها فيه هذا التجاهل ، وكان خليقاً أن ينفعها الفهم وحسن الإدراك » .

هذا حديث الشباب أيها الشيوخ ، فاحذروا غداً ، فإن القوة التى تتجمع فى الصدور قد أوشكت تنقض السدود التى رفعتها بريطانيا وشيدتها وجعلتكم عليها قُوّاماً وحُرّاساً . أيها الشيوخ شاركوا الشباب قبل أن يأتى يوم لا يُغنى عنكم عقلكم ولا استبصاركم ولا تلبُّسكم بأثواب السياسة ومُسُوح الحكمة وعمائم الوقار . وذلك يوم قد دنا أوانه .

محمود محمد شاكر

# منــــــاظرة هادئة...

للأســـــتاذ علي الطنطاوي

نحن معشر الرجعيين . . لا نرى قتال المرأة ولا نزالها ، ونجد ذلك قادحاً بالرجولة ، ونعد ذنب المرأة مغفوراً وجنايتها جُباراً ، ولكن آراء الرجعيين الجامدين من أمثالي ... صارت أثراً عتيقاً من آثار القرن الماضي لا تصلح إلا لدار الآثار ... وقد تغيرت الدنيا وأهلها ، وأصبح من أشد ما تأباه المرأة (أو السيدة إذا شئت الأدب فى الخطاب) وتنكره وتراه هواناً لها ونزولا بها عن منزلتها أن نترفق بها لأنها امرأة وغدت تريد أن تكافح الرجل وتنازله ، لا ترى نفسها أصغر من أن تغلبه ولا تجده أكبر من أن ينهزم أمامها . فعلى هذا ، وإكراماً للسيدة الجديدة ، ومجاراة لها فى مذهبها ، ووفاء بحق هذه الأمانة ، أمانة (القلم) التى منّ الله به علىّ وجعلنى من أهله ، لأضرب به فى كل ميدان إصلاح ، وأقرع به كل معالم الفساد ، لا تمنعنى من ذلك رهبة عدوّ ، ولا رغبة فى مودة صديق ... لهذا كله أعرض اليوم عرضاً إلى هـذه (النهضة النسائية) التى أصبح الـكلام فيها واجباً وجوب عين ، فعفوَكنّ — يا سيداتى — فأنتن أردتن هذا ، وإنه لا يزعجكن — فيما أظن — الـكلام فى هذه النهضة ، لأنها ليست من الضعف (فى رأيكن) ومن الوهن بحيث تنهدم من ضربة ، وتطير من نفخة ، ثم إنى كتبت مجيباً لا مبتدئاً ، ومنتصفاً لا معتدياً ...

ولا بدّ لى قبلُ من ذكر مقالتى (دفاع عن الفضيلة)(1) ، لأن هذا الفصل كالتعليق عليها ، ولولا الحياء وخوفى من أن أوصف بالغرور ، وبأنى ممن يحرص على (صيد) الفرص ، لينوّه باسم نفسه ويزكيها ، لقلت : إنه قلما تصيب مقالة من النجاح الصحفى ما أصابت هذه المقالة (فى بلاد الشام) ، فقد نفدَت نسخ « الرسالة » كلها فى ساعات من نهار ، حتى صارت النسخة تطلب بأضعاف ثمنها فلا توجد ، وقرأ كل نسخة — فيما أقدّر — أكثر من خمسة ، ومن القراء من أخبرنى أنه كان يعقد لها المجالس ليتلوها فيها كما تتلى المحاضرات ، وسُرَّ بالمقالة جمهور من الناس ودعا لى من أجلها وأثنى علىّ وهنأنى ، وغضب منها جمهور من الناس ودعا علىّ وشتمنى ولعننى ، ورأى فيها إخواننا الرجعيون ... الخيّرون أنصار الفضيلة ترجمة آرائهم ولسان أفكارهم ، ورأى فيها المجددون بتجديد الباطل ، المجردون أنفسهم وأهليهم من ثياب الستر ، المبددون تراث الأجداد الماجد الثمين ، سدًّا فى طريقهم إلى غايتهم التى يدعون إليها ، وبلاء صبّه الله عليهم ، وخزياً لهم وغيظاً لقلوبهم ، فقالوا : رجعى ؛ وقالوا : مجنون ؛ وقالوا : مُشنّته محروم ينفس بهذا عن نفسه ؛ وقالوا : فاجر يتستر بالدفاع عن الفضيلة ، وما باليت كل ما قالوا ... لأنى ما كتبت هذا المقال ، وما قبله ، ولا ألححت هذا الإلحاح على محاربة تلك المفاسد ، ابتغاء رضا الناس ، فأنا أعلم أن من تغضبه هذه الـكتابات أطول يداً ، وأشدّ سلطاناً ، وأحدّ لساناً ، وأقدر (ولا يقدر إلا الله) على نفعى وضرى ؛ ولـكنى كتبتها ، وكتب مثلها الأستاذ سيد قطب ، غضباً لله ولدينه ولمحارمه ، وتنبيهاً لهذه الأمة الغافلة ، أن يفتك بها ذلك الداء ، وتحرقها تلك النار ، ووطنت نفسى على حمل ما (قد) تأتينى به من الأذى ، لا حمل الضعيف العاجز ، بل المحارب المقاتل الذى لا تصيبه الضربة حتى يردها بعون الله عشراً . على أنى إذا لمت الحكومات ورجالها ، فلا أبرئ العلماء ولا الأدباء ، فهم أولى باللوم ، وأحمل للتبعة ، إذ يسكتون عن إنكار المنكر ، ولا يسخرون له ألسنتهم وأقلامهم ، ولو أنهم أدّوا زكاة بيانهم دفاعاً عن الفضائل والأعراض ، وأثاروها داحسيّة بسوسيّة على الإباحية والفجور ، لما حقت هذه اللعنة علينا حتى صار يقود ناشئتنا فى دورنا وأسواقنا نفر من الفجار عباد إبليس ، سموا أنفسهم كتاباً وصحفيين ، وصارت لهم كتب تقرأ ومجلات .. وما كتبهم ولا مجلاتهم إلا الترجمة الفنية لحديث المراقص والمواخير ، وبيوت الخنا والزنا ، وما يكون فيها من مشاهد وصور ، تحملها كل يد إلى كل دار ، فيقرؤها الشاب فى المدرسة ، والفتاة فى الخدر ، فتـكون هادياً لهم إلى تلك البيوت وإماماً !

ولـكن المسؤول قبل الحكومات وأرباب البيان ، والمجرم الأول ، ومنبع الشر ورأس البلاء ، إنما هو الأب ، الأب الذى يشترى لبنته لباس الرشدات ، وتُبّان السباحة(1) ، ويقطع لها

(1) الرسالة ، العدد ٦٨٧

(1) التبان : هو المـايوه بذاته .

( تذكرة السفر ) إلى بلاج الأسكندرية ، وفندق بلودان ، ومحاقل لبنان ، ويرضى لها أن تتكشف وتتعرى . وتحتك بالشبان فى الترام ، وتشرب القهوة عند البياع فى سوق الحرير ، ويرسلها إلى مدارس يعلم فيها أدب بشار وأبى نواس شباب فى أعصابهم مثل النار التى فى أعصابها ، ويبعثها فى رحلاتهم التى تمتد أياماً وليالى ، تنزل معهم فى الفنادق ، وتركب معهم فى السيارات ، وتؤم معهم المتنزهات ، وتسمع ( وكيف لا تسمع ؟ ) الفاحش من نكاتهم ، والبذىء من أغانيهم ، وما أغانيهم إلا غزل فى مثلها وتشوّق إليها ، وهى فى السن التى تصرّخ فيها غريزتها ، وتغلى دماؤها ، ويتفتح للحب قلبها !

ولا يدرى هذا الأب المغفل القرنان أن ليست عاقبة هذا إلا فضيحة تقصم الظهر أو مرضاً يحمل إلى القبر ، ثم إنها لظى ، نزاعة للشوى ، تدعو من أدبر وتولى !

أقول : إن هذه المقالة شغلت الناس ، واختلفت فيها آراؤهم ، وكان من أعجب ما سمعت من التعليق عليها ، أنى كنت فى الترام ، وكان الترام فى تلك الساعة خالياً ، فسمعت حديثاً بين امرأتين فى غرفة النساء ، لا أراهما ولا ترياننى ، موضوعه التعليق على هذه المقالة ، ولست أروى من هذا الحديث إلا كلمتين اثنتين تدلان عليه ، قالت الأولى :

— يُهْ ! ما تردّى عليه ؟ ينزل عليه الدم ان شا الله ، وعلى هالمشايخ كلهم !

قالت الثانية : وانت ليش مهتمة فيه ، مين رادد عليه ؟ يبعت له الحمَّى ، يعنى بدّو نرجع للورا ، ونضيع النهضة النسائية ونرجع جاهلات متحجبات ، يتحكم فينا الرجال ؟ فشر ! إننا سنكسر راسه !

وليصدقنى القراء إذا قلت لهم إن هذا كلامهم بالحرف الواحد! وأنا لا أحب أن أردّ الشتائم ولا أحسن مثلها مع الأسف الشديد، إنما أحب أن أبحث فى أصل الموضوع ، أما رأسى فقد عجزت عن كسره أقلام كتاب فحول ، حاولته من قبل ، وألسنة خطباء مقاول ، وعصىّ حكام جبابرة ، فلن تكسره أقلام طرية ، فى أيدٍ ذات سوار ، رخصة البنان ، محمرة الأظافر . لا يا سيداتى ، إن الله قد صنعه من ( مواد غير قابلة للكسر ) ، فدَعنَ رأسى وتعالين نتناظر ( مناظرة هادئة ) فى هذه النهضة النسائية ، فذلك أجدى عليكن من كسر رأس لا تستفدن من كسره شيئاً ... لأن رؤوس ( الرجعيين ) لا تزال كثيرة جداً !

ما هى هذه النهضة النسائية ؟ بما ذا تختلف نساء اليوم عن نساء الأمس ؟ أنا ألخص الاختلاف فى كلمات :

كانت نساؤنا تقيات جاهلات متحجبات مقصورات فى البيوت ، فرقّ دينهن وتعلمن وسفرن وخالطن الرجال ، فلننظر فى كل خصلة من هذه الخصال ، أكانت خيراً أم كانت شراً :

أما الدين ( على إطلاقه ) وخوف الله فى السر والعلن ، وما يكون معه من الاطمئنان والرضا ، والإحسان إلى الناس ، والبعد عن الفواحش ، وترك الكذب والغش والحسد والمكر ، وهذه خلائق يوحى بها كل دين من الأديان الصحيحة والفاسدة ، فلا يشك عاقل فى أنه خير ، وأن تركه شرّ ، وأن هذه النهضة بإبعادها النساء عن شرعة الدين ، قد أضرّت ولم تنفع ، وكان ضررها مضاعفاً مكرراً ، لأنه إن جاز أن يمنع الرجل من الفاحشة خلقه وإرادته ، فقد ثبت أن المرأة لا يمنعها منها إلا دينها !

وأما العلم ، فهو خير للمرأة بشرط أن تتعلم ما يصلحها ويصلح لها ، وألا يوجب تعلمها اختلاطها بالرجال ، لأننا إن قدرنا العلم قدره ، وعرفنا له فضله ، فلا نستطيع أن نفرط من أجله بالشرف ولا نضيع العرض ، وهما أكبر قدراً وأكثر فضلا ، وليس معنى هذا أن كل اختلاط يؤدى حتما إلى إضاعة العرض ، لا ، ولكن الغرائز موجودة ، والشهوات مستقرة فى النفس ، إنْ منعها سدّ فقد تطغى فتحطم السدّ أو تعلو عليه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، والعبرة بالشائع الغالب ، لا الأقل النادر ، وعلى ذلك نزلت الشرائع ووضعت القوانين ، ولو كان احتمال سقوط المرأة فى هذا الاختلاط واحداً فى الألف لوجب منعه وتحريمه ، لأن أمة فى كل ألف من نسائها واحدة ساقطة لأمة فاجرة ليست بذات خلق قويم ، ولا تستحق أن تعيش ....

ونحن لا ننكره أن نرى فى نسائنا أمثال باحثة البادية ، ووردة اليازجى ، ومىّ ، ومارى عجمى ، ووداد سكاكينى ، ولكن أين السبيل إلى أن نوجد أمثالهنّ ؟ وهل توصل إلى ذلك مدارسنا ؟ إننا نبصر فتيات يتجاوز عددهن الآلاف المؤلفة ، يقطعن الطرقات كل يوم إلى المدارس ، غدواً إليها ورواحاً منها وهنّ بأبهى زينة وأبهج منظر ، يقرأن كل ما يقرؤه الشبان من هندسة وجبر

ومثلثات وكيمياء وفيزياء وأدبِ غَـزِل ، ويتعلمن الرسم والرياضة والغناء ، ويدخلن مع الشبّاب فى الامتحانات العامة ، ويحملن مثلهم البكالوريات والدبلومات ، ويجمعهن مجلس بعد هذا كله بالعاميات الجاهليات ، فلا تجدهنّ أصح منهن فكراً ، ولا أبعد نظراً ، ولا ترى لهذا الحشد من المعلومات الذى جمع فى رؤوسهن من أثر فى المحاكمة ولا فى النظر إلى الأشياء ، فكأنّ هذه المعلومات الأغانى التى تصب فى اسطوانات الحاكى ( الفونوغراف ) إن أدرتها سمعت لهجة فصيحة ، وكلاماً بيناً ، ونغماً حلواً ، فتقول إنها تنطق ، فإذا سألتها وكلمتها رأيتها جماداً أخرس ، ليس فيها إلا ما استودعته من الكلام الملحّن ... !

وهذا حق ، ما أردت بسرده الانتقاص ، ولكن بيان الواقع ثم إن تزوجن لم يعتزن إلا بإهمال الولد ، وتركه للخادمات والمراضع ، والانصراف عن الدار وأعمالها ، والترفع عن الزوج ، ثم إنه لا يعجب إحداهن إلا أن تلقى فى زوجها حماراً ( ولا مؤاخذة ) تركبه إلى غايتها ، لا رجلا تحبه وتطيعه ويحبها ويرفق بها

وإن هى اشتغلت معلمة أو محامية أو طبيبة ، لم تكن إلا (دون الوسط) فى المعلمين والمحامين والأطباء ، فما هذا العلم ؟ ولماذا لا تتعلم ما ينفعها امرأةً وزوجةً وأماً وربةَ بيت ؟ ولماذا لا تتعلم مع ذلك التحرر من عبادة ( الموضات ) والأزياء ، ومن حبّ تقليد النساء الغربيات حتى فيما هو ضرر محض ، وأن يجعل لها العلم استقلالا فى فكرها ، تتبع كل ما تجده صالحاً ولو كان مخالفاً للموضة ، مبايناً لما عليه أهلها ؟

وأما الحجاب ، وأعنى به ستر الأعضاء التى تثير غرائز الشر فى نفوس الرجال ، حتى تبقى الفتاة كالجوهرة فى صدفتها ، لا يصل إليها سارق ولا غاصب ، فأنا أفهم سبب ثورة الفساق من الرجال عليه . إنهم يريدون أن يستمتعوا بالجمال المحرّم عليهم ، ولكنى لا أفهم أبداً لماذا يقلدهم النساء فى هذه الثورة ، وما وضع الحجاب إلا لصيانتهن وإكرامهن ؟ وماذا يضر السيدة الفاضلة المتعلمة إذا لبست اللباس المحتشم الساتر ، وهى ترى الرجل الذى تحاول التشبه به لا يكشف إلا وجهه وكفيه ، مع أنها هى التى ينبغى ألا يظهر منها إلا وجهها ( عند أمن الفتنة ) وكفاها ؟ أفانعكستْ الحال ، وانقلبت الأمور ، حتى احتجب الرجال وتكشف النساء؟ وما الذى ربحناه من السفور؟ ليجب من كان عنده جواب مقنع ،

أما أنا فأدعى أننا لم نربح منه إلا الشرور والفجور ، والدلائل حاضرات :

أما الاختلاط ، واشتغال المرأة بأعمال الرجل ، فأنا أعجب من مطالبة المرأة به ، ولا أفهم من منا يريد لها الخير ، ومن الصديق لها ومن العدو !

نحن نريد لها أن تكون سيدة حقاً مخدومة لا خادمة ، تأتيها حاجتها من غير أن تسعى إليها ، وهم يريدون أن تسعى وتزاحم الرجال حتى تصل إلى خبزها ، ولو اشتغلت بأخسّ الصناعات وأحطّ المهن ، ويدعون مع ذلك أنهم أنصار المساواة

أين المساواة إذا حملت على ظهرها مثل حمل الرجل وهى تحمل فى بطنها ولده ، وأخذت مثل وظيفته وهو يغذى نفسه وهى تغذى نفسها وتغذى من ثديها ابنه ؟

ثم إنكن تقلدن أوربة ، مع أن المرأة تشتغل فى أوربة عن عوز وحاجة ، وكريمات السيدات لا يشتغلن شيئاً ، إنما تعمل البائسات الفقيرات ويتمنين زوجاً يخلصهن من جهد العمل ، وإن عقلاء أوربة يصيحون شاكين من مزاحمة المرأة الرجل . فقد عطلت بيتها ، وشغلت الرجل بـ ( غير العمل .. ) فقللت إنتاجه ، ورضيت بالأجر الخسيس ، فنزلت الأجور ، فاضطر العامل أن يبعث بامرأته إلى العمل ، فجاءت قضية الدور التى زعم المناطقة أنها من المستحيل !

أفنبدأ نحن من حيث أراد الغرب أن ينتهى ؟ أنلحق ما يريدون هم الفرار منه ؟ !

وهذه هى الصناعات ، فأيها تصلح له المرأة العادية وتعدل فيه الرجل ؟ إعرضها كلها من تكسير الحطب وتنظيف المجارى وكنس الطرق إلى المحاماة والقضاء والنيابة والوزارة ، وأخبرنى عما تخترن منها ...

نعم ، إن الدهر يجود أحياناً بنساء نابغات يصلحن لبعض أعمال الرجال ، ولكن الكلام على سواد الرجال والنساء لا على النادر ، فكم هى نسبة الصالحين لكل من هذه الأعمال من الجنسين ؟ وإذا صلح لها النساء فهل يصلح الرجال ( بالمقابلة ) للطبخ وإدارة المنزل وتربية الطفل ؟ إن هذا ينتهى بنا إلى إعلان (مساواة الجنسين) ، وأنه لم يبق مجال للتفريق بين رجل وامرأة ؛ وإذن يجب على الحكومة أن تسنّ قانوناً يحمل الحَبَل على كل

منهما سنة ، فهى تحبل مرة وهو مرة ، وهى ترضع ولداً وهو يرضع ولداً ، وأن ينص هذا القانون على أن من يستعمل ( نون النسوة ) يعاقب بغرامة قدرها عشرة جنيهات !

يا سيداتى ، إنكن تعودتن منا التشجيع والتصفيق والهتاف ، ولكن المسألة خرجت عن المجاملات وصارت مسألة موت لهذه الأمة أو حياة ، فأعدن التفكير فى أسس هذه النهضة ، واجعلن مصلحة الأمة هى الميزان فيها !

يا سيداتى ، لقد كنا نرجو منكن أن تدفعن عنكن هؤلاء السفلة من الرجال ، وأن تصفعنَهم على وجوههم النجسة ، كما تصفع المرأة العفيفة أحد هؤلاء الكلاب إذا حاول الاعتداء على عفافها ، وأن تقاطعن هذه المجلات الداعرة الخبيثة التى تؤذى شرفكن باسم الصحافة والفن ، وأن تثرنَ على هذه الأفلام السينمائية الداعرة ، وأن تخرجن معلمات حاذقات وتنادين بمنع كل شاب مهما كان شأنه ، معلماً أو مفتشاً أو ناظراً ، من تجاوز عتبة مدرسة من مدارس الأناث ، فهل تحققن هذا الرجاء ، هل تقمن هذه النهضة على أساس الدين والخلق والعلم النافع ؟ !

( دمشق ) **على الطنطاوى**

---

**أعلام الفكاهة :**

# جحا الألمـــانى
## أو
# مرآة البـــومة

للأســتاذ كامل كيلانى

لا يسع الباحث — مهما أغفل من الشخصيات الجحوية فى أرجاء العالم وهى كثيرة كما رأيتم — أن يغفل الحديث عن « تل » جحا الألمان الملقب : بـ « مرآة البومة » .

فنحن إذا تركنا الشرق الذى أبدع فيما أبدع من أعلام الفكاهة الشرقية : هذين الجحوين الفاتنين : الشيخ « أبا الغصن دجين بن ثابت » والأستاذ « نصر الدين » ، وانتقلنا إلى ألمانيا رأينا شخصية جحوية ثالثة تظهر فى العصر الذى ظهرت فيه شخصية الأستاذ « نصر الدين » أعنى فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وهو رجل شديد الشبه بجحا الترك ، يكاد يكون — فى كثير من أحواله — نسخة مكررة له ، إن لم يكن على التحقيق .

وقد نشأ « تل » : جحا الألمان ، كما نشأ صاحبه الأستاذ نصر الدين : جحا الأتراك فلاحاً يحرث الأرض ويزرعها .

وقد ولد « تل » فى مدينة « كنيت لِـنجن kneit lingen » من أعمال « برنزويك Brunswick » ومات فى « مين Molln » بالقرب من « سْـليسْـفِج Sblossiuig » عام ١٣٥٠ . قالوا :

وكان كثير السياحة والتجوال على قدميه فى أنحاء ألمانيا ، ولم يتجاوز « تل » منتصف العقد الثانى من عمره حين مات أبوه فى مدينة « هـلِّـى Holle » . عاش « تل » و « نصر الدين » كلاهما فى عصر واحد ، كما ترون ، فى بلدين متباعدين ، من قارتين متجاورتين .

وقد أطلق عليه لقب « مرآة البومة » ، وهو لقب بارع الدلالة رائع المغزى . فإن البومة — برغم إجماع الناس — مهما تباينت أجناسهم وعصورهم — على النفرة منهـا ، واستنكار صورتها — لا ترى فى المرآة إلا وجهاً طبيعياً ليس به ما ينكر ، ولا فيه ما يعاب . وهو لون مبتدع للتعبير عن الحكمة المأثورة الخالدة : « إن المرء لا يرى عيب نفسه » .

وقد شاء بعض الباحثين أن يميز « تل » ذلكم الفلاح الذكى بقسط موفور من الغفلة ، كما حلا لآخرين أن يعزوا إليه شيئاً قليلا من الخبث . واستدل بعضهم على ضيق ذهنه وموفور غفلته ، بمـا يؤثر عنه من المغالاة فى تطبيق ما يسمع تطبيقاً حرفياً ، والوقوف عند مدلول الألفاظ الحرفى ، غير معنىّ بمـا تنطوى عليه فى أثنائها من دلالات حقيقية كانت أم مجازية .

وقد افتن المتخيلون فى نسبة كثير من الطرائف إليه فى هذا الباب تمثل — أكثر ما تمثل — ألواناً من آراء متخيليها وروح الدعابة الأصيلة فى نفوسهم .

ولكن أىّ الشخوص الجحوية سلم من أمثال هذه الغمزات؟ على أن سواد الباحثين يذهبون — فى غير مغالاة — إلى أن « مرآة البومة » كان فلاحاً ذكياً مستقيم الفطرة ، وأنه لم يلجأ إلى التشبث بحرفية ما يلقى إليه من حديث ، إلا رغبة فى السخرية من غرور سكان المدن المتحضرين الذين لا يستطيعون إخفاء

ما يضمرونه من احتقار لأمثاله من الفلاحين .

ويستدلون على ذلك بقصته مع الخباز ، وإليكم خلاصتها فما يتسع الوقت لغير الخلاصات .

قدم « مرآة البومة » على خباز فى بعض المدن ، واتفق معه على أجر يومى لعمله . وأمره الخباز ذات يوم أن ينجز — فى غيبته — ما اعتاد أن ينجزه كل يوم من أرغفة الخبز .

فسأله « تل » متباهاً : « ماذا أخبز ؟ » .

فضاق صدر الخباز بغباء صاحبه ، وقال له متهكما :

« اخبز لنا بوماً وغرباناً ! » :

وما كان أشد حيرته حين عاد فرأى صاحبه يطبق ما سمعه منه تطبيقاً حرفياً ، فيخبز كل ما لديه من الدقيق بعد أن يقطّعه على صُوَر البوم والغربان وأشكالها ، ولا يكاد الخباز يعود ، ويرى ما فعله « تل » حتى يتملكه الغيظ ، فينهال عليه تعنيفاً وتقريعاً . فيقول « تل » : « ماذا يغضبك ؟ ألم تقل لى ذلك ؟ ألم تأمرنى أن أخبزه بوماً وغرباناً ؟ » .

فإذا اشتد هياج الخباز قال له « تل » : « هوّن عليك ياصاحبي ولاتماد فى غضبك ، وخبرنى ثمن ما أتلفت من خبز؟» .

فيقول : « جنيهان » فينقده « تل » ما طلب . ثم يحمل السلة إلى السوق ، فلا يكاد يراها الناس حتى يتهافتوا على شراء تلك الأشكال الطريفة التى أبدع صنعها ولم يكن لهم عهد بمثلها فيبيعها بخمسة أمثال ما دفعه للخباز . ويَنْمى إلى الخباز ما ظفر به صاحبه من نجاح ، فيعود إليه مستعطفاً ، ليستأنف عمله ، بعد أن ظهر له وجه الفائدة فى ابتكار « تل » ولكنه لا يعثر له على أثر . فقد غادر المدينة ، وكأنما كان « تل » يتوقع هذه النتيجة ، فذهب إلى مكان آخر ليستديم حسرة الخباز عقاباً له على ما أسلفه إليه من إساءة وغرور .

ومن بديع ما يستدل به الباحثون على حرص « تل » على التقيد بحرفية ما يقول بعد أن استدلوا — بما أسلفناه — على حرصه على التقيد بحرفية ما يسمع ، تلكم الطرفة التالية :

سأله سائل : ترى بعد كم من الزمن أبلغ المدينة ؟

فقال له « تل » : سر فى طريقك .

فحسبه الرجل لم يسمع ، فأعاد عليه السؤال مكرراً رجاءه بصوت مرتفع . فأجابه « تل » نفس إجابته الأولى . فغضب الرجل وحسبه يهزأ به ، فصرخ فيه : أجب عن سؤالى أيها الغبى ؟

فقال له : « سر فى طريقك » فتركه الرجل ، وسار فى طريقه وهو يكيل له اللعنات ، والغضب آخذ منه كل مأخذ ، ولم يكد الرجل يبتعد عنه قليلا حتى صاح به « تل » أن يتمهل ريثما يفضى إليه بأمر يعنيه . فوقف الرجل متعجباً من غرابة أطوار هذا الرجل . وسأله : « ماذا تريد ؟ » .

فقال له فى هدوء الفيلسوف : « إذا سرت على هذا النهج بلغت المدينة بعد ساعتين » .

لم يفهم الرجل أول الأمر ما يعنيه « تل » بقوله : سرْ فى طريقك وحسبه يتعالى عن إجابته ويرغب فى التخلص من رؤيته ، ولكنه أدرك أخيراً أن صاحبه على صواب ، فلم يكن فى وسعه وهو يتوخى الصحيح فى إجابته أن يعرف مدى الزمن الذى يستغرقه حتى يبلغ المدينة قبل أن يتعرف من مشيته مدى اتساع خطوته ..

ألم يقل أبو نواس : « عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء » ثم ، ألم يقل المتعمقون : إن لكل مسألتين وجهين على الأقل ؟ فها هو صاحبنا يأخذ فى فهم ما يسمع وما يقول بالوجه الثانى للمسألة ، فلا يبعد فى حاليه عن الصواب . ورحم الله القائل :

« خذا وجه هرش أو قفاها ، فإنما
كلا جانبى هرش لهن طريق »

ومن عجيب المصادفات أن تجنى الحرفية والتشبث بالمشاكلات اللفظية على صاحبنا بعد مماته ، كما جنت عليه أثناء حياته . فإن لقبه : « مرآة البومة » مؤلف — كما ترون — من لفظين : « مرآة » و « بومة » ، وكلمة مرآة تكتب بالألمانية « سيجل siegel » وتذكرنا حروف رسمها كلمة « سجنجل » ومعناها — فيما يعلم القارىء — مرآة ، وهى ترجمتها بالعربية .

ولكن حروف سييجل ، إذا لفظها الألمانىّ قلب الياء الأولى باء ، فنطقها « شبيجل » دون أن يثبت هذا القلب فى كتابتها . وقد استخرج الفرنسيون منها لفظاً يجمع بين الكتابة والنطق ، وتمسكوا بالحرفية فى كليهما ، فأضافوا إلى بنية الكلمة

المكتوبة حرف « الياء ؟ » الذى ينطق به الألمان ولا يثبتونه. وبذلك تألفت منهما كلمة « اسپيجل espiegle » ، ومعناها : ألعبان أو هازل ثم خرجوا منها كلمة « espieglerie » ومعناها الألعبانية أو المجون . ثم أوحى لهم هذا التخريج الجائر ومشتقاته أن يَنْحلوه قصصاً يدور محورها على الهزل والمجون . فكان لهم ما أرادوا . ورحم الله المتنبى القائل : « ومثلك من تخيل ، ثم خالا » .

وقد ذكرتم تلكم المغالطة اللفظية — أو الحرفية إن توخينا الدقة — بمغالطة أخرى منطقية ابتدعها ابن الرومى الشاعر البارع منذ أكثر من أحد عشر قرناً تخلص منها إلى نتيجة عجيبة ، لا تقل فى غرابتها عما وصل إليه ذلكم الساخر الفرنسى الذى جوز لفظ المرآة — وهى ترمز إلى الطيبة أو الغفلة — إلى لفظ « الألعبان » وفيه من الخبث ما فيه .

اتخذ ابن الرومى من قول الإمام العراقى أبى حنيفة بجواز شرب النبيذ وتحريم شرب الخمر ، ومن رأى الإمام الحجازى الشافعى : أن النبيذ كالخمر ، نتيجة لم تخطر على بال الامامين على بال . أراد الشافعى كما تعلمون وكما يعلم ابن الرومى المغالط الأكبر أن يقول :

« إن النبيذ كالخمر فهو مثلها حرام » ، وعكس ابن الرومى قصد الإمام فقال : مادام النبيذ حلالا فى رأى أبى حنيفة ، والخمر كالنبيذ فى رأى الشافعى ، فالخمر حلال كالنبيذ فى رأى القياس المنطق .

وهكذا استطاع الخبيث بما وهبه الله من أدوات الخبث وفنون المغالطة أن يتخذ من المنطق سلماً إلى الفرار من الحقيقة التى لم يخلق المنطق إلا لدعمها وبنائها ، فقال : غفر الله له :

أجاز العراقى النبيـذ وشربه
وقال : « الحرامان المدامة والسكر »
وقال الحجازى : « الشرابان واحد »
فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما
وأشربها ، لا فارق الوازرَ الوزر

**الحظ السعيد**

ومن بديع سخرية « تل ! ونهكمه ، ما تمثله لنا قصته مع أحد السادة وكان يصحبه إلى الغابة ليصطادا ؛ فلقيا فى سيرهما أرنبا صغيراً يجرى مسرعاً ، وكان صاحبه كشاعرنا ابن الرومى ، من المتطيرون . فلم يطق مواصلة سيره خشية أن يصيبه مكروه فى ذلك اليوم ، وحاول « تل » أن يقنعه بسخف ما يذهب إليه المتطيرن ، فلم يفلح . فلما جاء اليوم التالى رأيا فى طريقهما إلى الغابة ذئباً فقال له « تل » : الآن وجب علينا أن نرجع ، حتى لا يصيبنا مكروه ! وليس فى أيدينا ما ندفع به عاديته من السلاح . فراح صاحبه يهون عليه ويقلل له من خطره ، ويحدثه أن الذئب متى اعترض الإنسان فى طريقه ، فذلك بشرى بما تدخره له الأقدار من حظ سعيد ، وحاول « تل » أن يثنيه عن عزمه فى متابعة السير ، ويقنعه بفساد هذه الخرافة فلم يفلح .

ثم لم يلبث « تل » أن ظهر رجحان رأيه بعد قليل : فقد أقبل الذئب على جواد صاحبه ، وهو مربوط إلى بعض أشجار الغابة ، فافترسه وأكل من لحمه ما شاء ، و « تل » وصاحبه مشغولان بالصيد . فلما عادا ورأيا الذئب منهمكا فى تمزيق لحم الجواد وازدراده ، التفت « تل » إلى صاحبه ، وقال له متهكما :

« ما أصدق رأيك يا صاح : ألا ترى حُسْنَ الحظ وهو يأكل جوادك » .

* * *

بحسبنا هذا القدر على وجازته وإلا امتد بنا نفس القول فشغلتنا طرائف « مرآة البومة » عما هدفنا له من أغراض . على أننى أجتزىء فى الحديث بتلكم الطرفة التى تعزى إلى « تل » مرة وإلى « بات » مرة أخرى ، وإن كانت بثانيهما ألصق ، وبطبعه أليق .

فهى من أبرع ماقرأته من أخبار هذه الشخصيات الرائعة : فقد زعموا أنه بعث إلى خليلته أو حليلته ، فما يدرى ذلكم أحد على وجه التحقيق ، بالكتاب الآتى :

« أرجو ، إذا لم تصل إليك هذه الرسالة ، أن تسرعى — من فورك — بالكتابة إلىّ لأعرف أنك لم تقرئيها .

رد على نقد :

# مع البلاغيين ..

للأستاذ على العمارى

كتب الأستاذ كامل شاهين فى عدد « الرسالة » ( ٦٩٢ ) مقالا تحت عنوان ( علوم البلاغة بين القدامى والمحدثين ) يرد به علىّ وعلى الأستاذ على الطنطاوى فيما كتبناه عن علوم البلاغة فى الجامعة . وأنا أوثر أن أترك للأستاذ الطنطاوى أن يرد عما وجهه إليه الكاتب . فللأستاذ أسلوبه وقلمه البليغ ، وما أحب أن يحرم قراء « الرسالة » من بيانه فى هذا الموضوع .

والأستاذ شاهين مشكور لأنه لما رأى سكوت الأستاذ الخولى وجماعته من الذين يسمون أنفسهم ( الأمناء ) تبرع بالذبّ عنهم ، والانتصار لهم ، وما أظنهم راضين عنه فقد كان السكوت أولى من مثل هذا الرد المملوء أخطاء وتخليطاً ، وحسب القراء أن أنقل إليهم الفقرة الأولى من كلامه ليتبينوا مدى ما فيها من الأغاليط :

١ — « تقول إن الفكرة المتسلطة عليه فى هذا الفن أن يجعل لكل عبارة من عباراته منبعاً لمعان نفسية . أى نعم ياعلىّ ، أأنت قرأت تعريف البلاغة ؟ إن الذى لا يختلف فيه اثنان هو أن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ولا أزيد بيانا ولا بسطاً ولكن هذه المطابقة لا تكون إلا بادراك المتكلم لنفسية السامع وما تحوى من ملابسات . فهذا هو فحوى كلام الأستاذ الخولى أفمارى فى هذا ؟ إذن فهات تعريفك أنت لعلم البلاغة فإنا منتظرون » .

وأنا قد قرأت تعريف البلاغة ، واطلعت على أكثر الكتب التى عرفت البلاغة ، ومما يؤسف له ياسيد كامل أن أحداً من العلماء لم يعرف البلاغة هذا التعريف الذى ذكرته ، ويبدو لى أنك تريد أن تجدد كما يجدد الشيخ أمين الخولى ، والتجديد سهل ميسور ، ما دام قصارى المجدِّد أن يسوق قضايا مخطئة ، وإليك ما أعرفه أنا وما يقوله العلماء فى تعريف البلاغة :

ذكر يحيى بن حمزة صاحب كتاب الطراز وهو من الكتب المدودة فى البلاغة تعريفها فقال : « اعلم أن البلاغة فى وضع اللغة هى الوصول إلى الشىء والانتهاء إليه فيقال بلغت البلد أبلغه بلوغاً والاسم منه البلاغة ، وسمى الكلام بليغاً لأنه قد بلغ به جميع المحاسن كلها فى ألفاظه ومعانيه ، وهو فى مصطلح النظار من علماء البيان عبارة عن الوصول إلى المعانى البديعة بالألفاظ الحسنة ، وإن شئت قلت هى عبارة عن حسن السَّبك مع جودة المعانى » فهذا عالم من علماء القرن الثامن الهجرى وهو يذكر أن هذا التعريف (فى مصطلح النظار من علماء البيان) وعرفها أبوهلال العسكرى صاحب الصناعتين فقال : « البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه فى نفسه لتمكنه فى نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن » ، وللعلماء والأدباء تعاريف كثيرة للبلاغة ليس منها : مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

ونحن إذا سألنا طالباً صغيراً عن تعريف علم المعانى يقول : « إنه علم بقواعد وأصول يعرف بها مطابقة الكلام لمقتضى الحال » . فاذا قلنا له : هل مطابقة الكلام لمقتضى الحال هى البلاغة . يقول : لا . بل لا بد من زيادة وإضافة إليها . فنقول كما قال بعض العلماء ( مع فصاحته ) ، وهذه عبارة مهمة جداً ومكملة للتعريف .

والطلاب الصغار يعرفون أن علوم البلاغة ثلاثة : المعانى ، والبيان ، والبديع . وأن لكل علم تعريفاً خاصاً ، ولا يصلح تعريف علم منها لأن يكون تعريفاً للبلاغة . فهل يصر الأستاذ شاهين على أن هذا التعريف للبلاغة « لا يختلف فيه اثنان » أو يسلم معنا أنه كبا حيث أراد النهوض .

على أنى كنت أنقد كلام الأستاذ فى علم البيان وقلت ( فى هذا الفن ) أقصده فهل يحتج بتعريف علم المعانى على كلام فى علم البيان ؟

---

كما أرجو أن تعلمى أيتها العزيزة — إن كنت لاتعلمين — أننى لا شأن لى بما يقع فى كتابى من خطأ فى بعض الأحيان . فلست أنا مصدرها ، ولا يجوز أن أحاسب عليها . إنما يؤخذ بها قلمى ، فهو من نوع غير جيد ، وكثيراً مايتعثر فى الكتابة ، ويخونه التوفيق ، فيجرى بغير الصواب .

كامل كيلانى

٢ — قلت إن اللغة العربية مملوءة بالتشبيهات الحسية التى لا ترمى إلى معانٍ وراءها ، وعبت على الشيخ الخولى أن يعتبر جمل العلماء بيان حال المشبه من أغراض التشبيه (كلاماً فارغاً) بجاء الأستاذ شاهين يرد علينا هذا ، وهو لم ينصف الشيخ أمين ولم ينصفنا .

العرب يقولون : أسود كحنك الغراب ، ويقولون : أحمر كالدم القانى ، ويقول امرؤ القيس :

ترى بعر الآرام فى عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

ويقول الله سبحانه وتعالى (وجفان كالجواب وقدور راسيات) أفلا تكون هذه التشبيهات مقبولة حتى نتلمس لها معانى وراءها .

على أن الخبط وتلمس المعانى سهل ميسور ما دمنا لا نبالى الخطأ . فكل إنسان يستطيع أن يحمل النصوص ما لا تحتمل ، ولذلك مثال سقناه فى مقالنا الثالث المنشور فى « الرسالة » وهو تعليق الشيخ أمين على بيت بشار بن برد .

٣ — ونحن لا نأخذ كلام المتقدمين قضايا مسلمة دائماً ، كما لا نتهم أذواقهم ولكنا نقبل منها المقبول ، ونرفض ما يتبين أنه ضعيف واهٍ . وليس كلامهم الذى سقناه بالكلام الضعيف الواهى ولكنه حسن جميل يعتمد على الذوق قبل كل شىء ، فأنت حين تسمع ذكر المشبه تستشرف لما يجىء بعد وتخطر فى ذهنك أكثر التشبيهات القريبة ؛ فإذا جاء الشاعر أو الناثر بتشبيه بعيد نادر وقع من نفسك موقعاً حسناً ، وعرفت مقدار ما عانى الشاعر فى استخراج هذا التشبيه . والتشبيه فن ، وهو يكون فى الماديات البحتة كما يكون فى المعنويات ، وتلمس المعانى وراء كل تشبيه إنما هو تعنّت وحذلقة .

أين المعانى النفسية وراء قول طرفة :

كأن حدوج المالكية غدوة بقايا سفين بالنواصف من دد

أو قول امرىء القيس :

كأن ثبيراً فى عرانين وبله كبير أناس فى بجاد مزمّل

أو قول المهلهل بن ربيعة :

كأنا غدوة وبنى أبينا بجنب عنيزة رحَيَا مدير

أو قوله :

كأن رماحهم أشطان بئر بعيد بين جالَيها غرور

الخ ... الخ .

ونكذّب على هذه التشبيهات بما شئت فإنك تستطيع أن تحيطها بكثير من المعانى ، ولكنها بعد من عندك وصنعك ، ولم يفكر فيها الشاعر ولا إليها قصد .

يختلف معى الأستاذ شاهين فى سر إعجاب جرير بن الخطفى بتشبيه عدى بن الرقاع فى بيته :

تزجى أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

فهو يرى أن سر إعجابه أن هذا التشبيه حضرى وعدى بدوى جلف جاف ، وأنا أرى أن سر الإعجاب أن الشاعر استطاع أن يأتى بمشبه به موافق كل الموافقة للمشبه . ثم جاء به من مكان بعيد لا ينتظر أن يهتدى إليه .

غزال صغير له قرن صغير فى طرفه سواد أراد الشاعر أن يلتمس له شبهاً وجرير حاضر فوقع فى نفسه أنه لا يمكن الإتيان بشبيه له لدقته وبعده عن الافهام، فلما تهدّى إليه الشاعر ووجده فى قلم لم يصب من المداد إلا قليلا ووجد جرير أن الشبه تام بين المشبه والمشبه به حسد عدياً على هذه القوة البيانية .

أما أنه حسده على أنه أتى بتشبيه حضرى فمعنى ذلك أن جريراً كان يتوقع من الشاعر أن يهتدى لهذا التشبيه نفسه أو مثله من التشبيهات الحضرية ، وما أظن جريراً خطر على باله شىء من ذلك . وهب أن شاعراً شبه شيئاً بدوياً بشىء حضرى وكان التشبيه ضعيفاً واهناً أكان يعجب ذلك جريراً . لا . وإنما إعجابه كان لما ذكرنا .

٥ — كنت أحب للأستاذ شاهين أن يخلو نقده من هذه الكلمات .

« فليسمح لى الزميلان الطنطاوى والمهرى أن ألفت نظرهما إلى مزالق ما كنت أحب لهما أن يتورطا فيها أو ينحدرا إليها » .

وقوله : « فأما إذا انحدرت إلى هذا فهلم » وقوله : « وليس هذا بالكلام يصغى إليه » إلى غير ذلك من الكلمات التى تجرح وأظن أنا كلنا له صاعاً بصاع فان زاد زدناه .

علی العماری
المدرس بمعهد القاهرة

# الشرع الاسلامي وعلماء الفرنج (*)

للأستاذ مصطفى محمد حسين

« كتب الفرنج كثيراً عن الشرع الاسلامى وعن النبى العربى صلى الله عليه وسلم ، وفى ما كتبوه الغث والسمين ، والحالى والعاطل ، والحق والباطل . ولكن العصر الأخير أنصف الاسلام كثيراً بالقياس إلى العصور الخوالى ، كما يتبين من الأقوال التى أنقلها ولو عنى المسلمون بدعاية منظمة للاسلام لصححوا أباطيل كثيرة وبددوا أوهاماً كثيرة تتعلق بهم وبدينهم ، ولاهتدى إلى الاسلام جم غفير يؤثرون تأثيراً شديداً فى مجرى السياسة العامة » .

قال كارليل : فى الإسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها ، وهى التسوية بين الناس ، وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأى ، فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض ، والناس فى الإسلام سواء . والإسلام لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضاً حتماً على كل مسلم ، وقاعدة من قواعد الإسلام ، ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة الرجل ، فتكون جزءاً من أربعين من الثروة تعطى إلى الفقراء والمساكين والمنكوبين . جميل والله كل هذا ، وما هو إلا صوت الإنسانية ، صوت الرحمة والأخاء والمساواة يصيح من فؤاد ذلك الرجل ابن القفار والصحراء ( صلى الله عليه وسلم ) .

وقال الدكتور انسباتو الايطالى فى كتاب : ( الإسلام وسياسة الحلفاء ) الذى نشره سنة ١٩١٩ : إن الكرم العلمى والصدقة الفكرية صفتان من صفات الإسلام شأنهما أن تجعلا الأمة العاملة بهذا الدين أهلا لأن تبلغ من الحضارة ذروتها العليا .

لما كان الأستاذ أمين الريحانى فى السفينة الشراعية على ساحل جزيرة البحرين قاصداً ساحل الأحساء ، أثقل الهواء جفنه فنام قليلا ، ثم أيقظه صوت الملاحين ، وهم إذ ذاك يشتغلون فى قلب الشراع طوعاً للريح ويرددون : ( صلى على النبى ) فقال الريحانى فى كتابه ( ملوك العرب ) يصف أثر ذلك فى نفسه : وربك أيها القارئ ، ما سمعت فى أنغام الليل على المياه أطرب منها ، إلا أن يكون صوت المؤذن فى الخليج وهو يؤذن الفجر ، ليس فى صلوات الأمم كلها أدعى منه إلى الورع والخشوع ، وقل فيها ما هو أجمل وقعاً فى النفس من صلاة الملاح فى ظل الشراع .

اجتمع الأستاذ محمد لطفى جمعة مع السيد توفيق البكرى ، بعد عودته من مستشفى بيروت إلى القاهرة ، ودار بينهما حديث نشره المقطم ، ومما قاله فيه : وجاء على لسانى عرضاً ذكر برتلميه سانت هيلير فقال السيد : بعد أن تنتهى من حديثك سأذكر لك عبارة تاريخية تنسب إلى سانت هيلير . فتكلمت وأسهبت ، ولكن السيد لم ينس وعده فلما انتهيت قال لى :

قال سانت هيلر فى تاريخ النبى محمد الذى ألفه باللغة الفرنسية إنه كان يشك فى صدق النبى فى رسالته حتى قرأ فى جميع السير أنه لما نزلت آية الحفظ ووعد الله نبيه بأنه سيتولى حراسته ( والله يعصمك من الناس ) . بادر محمد إلى صرف حراسه ، والمرء لا يكذب على نفسه ولا يخدعها ؛ فلو كان لهذا الوحى مصدر غير الله لأبقى محمد على حرسه .

وقالت مسز سررجنى نائدو الشاعرة الهندوسية : لقد دعا الإسلام قبل اليوم بثلاثة عشر قرنا إلى المساواة والأخوة ، وقد أسس الإسلام أول جمهورية كان القانون الإلهى رائدها ، والفقير والغنى سواء فيها ، ولا شك مطلقاً أنه يأتى يوم يبتلع الإسلام فيه جميع الأديان .

وقال شبلى شميل : إن فى القرآن أحوالا اجتماعية عامة ، حتى فى أمر النساء فإنه كلفهن بأن يكن محجوبات عن الريب والفواحش ، وأوجب على الرجل أن يتزوج بواحدة عند عدم إمكان العدل ، وأن القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة ، ولترقية الروح والجسد ، بعد أن أوصد غيره من الأديان تلك الأبواب فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلى عن هذا العالم الفانى .

وقال هنرى دى شامبون مدير ( ريفوبارلمنتير ) الفرنسية : لولا انتصار جيش ( شارل مارتل ) الهمجى على تقدم العرب فى فرنسة لما وقعت فرنسة فى ظلمات القرون الوسطى ولما أصيبت بفظائعها ولا كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الدينى

(*) ذكرنى بهذه الكلمات مقال الأستاذ حسن أحمد الخطيب ( الشريعة الاسلامية وأعلام القانون فى هذا العصر ) المنشور فى عدد الرسالة ٦٨٩ .

والمذهبي . ولولا ذلك الانتصار البربرى على العرب لنجت أسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ، ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون . ونحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا فى العلم والفن والصناعة ؛ مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة فى الفضائل . وحسبها أنها كانت مثال الكمال البشرى مدة ثمانية قرون ، بينما كنا يومئذ مثال الهمجية ، وإنه لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف ، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى .

وقال المؤرخ ولز الانجليزى كبير كتاب انجلترا : كان النبى محمد زراعياً وطبيباً وقانونياً وقائداً ، واقرأ ما جاء فى أحاديثه تتحقق صدق ما أقول ، ويكفى أن قوله المأثور : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » هو الأساس الذى بنى عليه علم الصحة ، ولم يستطع الأطباء على كثرتهم ومهارتهم أن يأتوا حتى اليوم بنصيحة أثمن من هذه . وقال إن محمداً هو الذى استطاع فى مدة وجيزة لا تقل عن ربع قرن أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم وأن يقلب التاريخ رأساً على عقب ، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكناً لها واشتهرت بالشجاعة ورباطة الجأش والأخذ بالثأر واتباع آثار آبائها ، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الأمة العربية على أمرها . فمن الذى يشك أن القوة الخارقة للعادة التى استطاع بها محمد أن يقهر خصومه هى من عند الله .

وقال غوستاف لوبون : يستعيد العالم الإسلامى اليوم من قوته ما يضطر أوربة إلى أن تطأطىء له رأسها .

وقال المؤرخ الفرنسى لافيس : كان محمد مشهوراً بالصدق منذ صباه حتى كان يلقب بالأمين . . الخ .

وقال غود فروا دمبومبين وبلاتونوف فى ( تاريخ العالم ) : غاية ما نقدر أن نجزم به هو تبرئة محمد من الكذب والمرض ، وإنما كان محمد ذا مواهب إلهية عليا ساد بها أبناء عصره ، وهى رباطة الجأش وطهارة القلب وجاذبية الشمائل ونفوذ الكلمة وأنه كان عابداً عظيما ، وأنه كان يجمع بين حرارة الاعتقاد بالرسالة التى هو مأمور بها من جانب الحق تعالى ، وبين ملكة الأعمال الدنيوية ومعرفة استخدام الوسائل اللازمة لنجاح تلك الرسالة .

وقال غروسه صاحب ( مدنيات الشرق ) : كان محمد لما قام بهذه الدعوة شاباً كريماً مملوءاً حماسة لكل قضية شريفة ، وكان أرفع جداً من الوسط الذى كان يعيش فيه ، وقد كان العرب يوم دعاهم إلى الله منغمسين فى الوثنية وعبادة الحجارة ، فعزم على نقلهم من تلك الوثنية إلى التوحيد الخالص البحت ، وكانوا يفنون فى الفوضى وقتال بعضهم بعضاً . فأراد أن يؤسس لهم حكومة ديمقراطية موحدة ، وكانت لهم عادات وأوابد وحشية تقرب من الهمجية ، فأراد أن يلطف أخلاقهم ، ويهذب من خشونتهم . . الخ .

وقال الأستاذ مونته أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة جنيف فى كتابه ( محمد والقرآن ) : أما محمد فكان كريم الأخلاق حسن العشرة عذب الحديث صحيح الحكم صادق اللفظ ، وقد كانت الصفات الغالبة عليه هى صحة الحكم ، وصراحة اللفظ ، والإقناع التام بما يعمله ويقوله ... إن طبيعة محمد الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه القصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص ، فقد كان مصلحاً دينياً ذا عقيدة راسخة ، ولم يقم إلا بعد أن تأمل كثيراً وبلغ سن الكمال بهاتيك الدعوة العظيمة التى جعلته من أسطع أنوار الإنسانية فى الدين ... ولقد جهل كثير من الناس محمداً وبخسوه حقه ... ولقد منع القرآن الذبائح البشرية والخمر والميسر ، وكان لهذه الاصلاحات تأثير غير متناه فى الخلق ، بحيث ينبغى أن يعد محمد فى صف أعاظم المحسنين للبشرية . . إن حكمة الصلاة خمس مرات فى اليوم هى إبقاء الإنسان من الصباح إلى المساء تحت تأثير الديانة ليكون دائماً بعيداً عن الشر . وحكمة الصيام تعويد المؤمن غلبة شهوات الجسم ، وزيادة القوة الروحية فى الإنسان . وحكمة الحج هى توطيد الإخاء بين المؤمنين وتمكين الوحدة العربية فهذا هو البناء العظيم الذى وضع محمد أساسه ، وثبت وما يزال ثابتاً بإزاء عواصف الدهور الدهارير .

وقال ولز : إن ديانة محمد كان فيها روح حقيقية من العطف والكرم والإخاء ، وكانت بسيطة مفهومة سائغة ، وكانت ملأى بمكارم الأخلاق وعلو النفس والمعالى التى يشغف بها أهل البادية .

وقال العلامة هيار أستاذ الألسن الشرقية فى باريس فى كتابه ( تاريخ العرب ) : اتفقت الأخبار على أن محمداً كان فى الدرجة العليا من شرف النفس ، وكان يلقب بالأمين ، أى الرجل الثقة المعتمد عليه إلى أقصى حد ، أى كان المثل الأعلى فى الاستقامة .

مصطفى محمد حسين

الأدب في سير أعلامه :

# ملتن ...

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والجمال .. ]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٢٩ —

البطل الضرير :

وآن أن يتجه ملتن إلى الأدب بعد طول انقطاعه عنه ؛ وكان يميل به إلى الأدب ما تنطوي عليه نفسه من حنين إليه شديد ، ما برح يملأ خاطره كلما خلا إلى نفسه لحظة من السياسة ومشكلاتها وخصوماتها ، وتزايد هذا الحنين في نفسه إلى الشعر حين اطمأن قلبه من جهة إلى أنه أحسن البلاء فلم يعد يقوى على مجادلته خصيم ، وحين توجس قلبه من جهة أخرى خوفا من المستقبل ، إذ كان يكربه إعراض الناس عن الجمهورية ، وتزايد رغبة الكثرة في إعادة الملكية وإن كان لا يجرؤ أحد على الجهر بذلك ؛ وكذلك دب إلى قلبه السأم من كرمول نفسه فيما يتصل بسياسته الدينية إذ كان كرمول لا يريد أن يتحول عن إقامة كنيسة تشرف عليها الدولة ، ويكون لرجالها حقوق وامتيازات مالية ؛ وكان ملتن شديد التمسك بفصل الكنيسة عن الدولة لأنه يعتقد أن قيام طائفة دينية تعتمد في حياتها على الدولة هو سبب ما يلحق بهذه الطائفة من فساد ، ثم تكون هذه الطائفة بدورها السبب الأكبر في فساد الدولة ...

لهذا رغب ملتن وقد أزعجه شبح اليأس أن يعكف على الشعر فلا تكون له إلى السياسة عودة ، وقد جعل مرتبه معاشاً له مدى حياته فزالت عنه مخاوف الرزق ، والحق أنه بعد رده على مورس بات فيما يشبه العزلة ؛ أما عمله الرسمي فكان نائبه فيه يؤديه عنه إلا إذا استدعى الأمر إشرافه ، ولم يك ذلك في الأكثر إلا عند كتابة الرسائل الهامة باللاتينية أو ترجمة ما يرد منها إلى الانجليزية وكان يستعان بغيره أحيانا فيما يتطلب الدقة والمراجعة ...

ولم يستدع إشرافه واهتمامه بعد تلك المعارك المنيفة بينه وبين خصوم الجمهورية إلا حادث وقع سنة ١٦٥٥ فاهتز له البروتستانت في أوربا كلها ، واهتم به كرمول اهتماماً عظيما ، وشايعه في ذلك ملتن وامتلأت يده بسببه بالمكاتبات وذلك هو مذبحة بيدمنت ؛ وخلاصتها أن شارل عمانويل الثاني دوق سافوي وأمير بيدمنت ، قد أنذر البروتستنت في بيدمنت منه بريح عاتية فعليهم أن يعتنقوا الكاثوليكية وإلا فليخرجوا من ملكه في مدى عشرين يوماً ؛ وكأنما رأى هذا الأمير أن المذاهب حتى الدينية منها كالثياب لا يكلف الناس فيها إلا استبدال ثوب بثوب ! ورفض البروتستنت في بيدمنت أن يذعنوا لهذا الطغيان وآثروا أن يذوقوا العذاب ألواناً ، فأرسل عليهم الملك طائفة من جنده أكثرهم من المرتزقة ، وما فيهم إلا كل فظ غليظ القلب كأنما قدت كبده من صخر فأخذوا يذبحون من يلقون أو يقذفون بهم رجالا ونساء وأطفالا من فوق الجبال إلى الأودية ولقد وجد الناس أماً ورضيعها في قرار سحيق في أحد الأودية ، قد ألقي بهما من فوق الجبل ، أما الأم فكانت جسداً هامداً ولكنها كانت تحتضن بيديها الميتتين الباردتين رضيعها ولما يزل على قيد الحياة ...

وضج البروتستنت في أوربا بالسخط ، وقال كرمول إن الحادث قد مس قلبه كما لو كان يتصل بأقرب الناس إليه وأعزهم عنده ، وأمر فجمع الشعب الانجليزي أربعين ألف جنيه معونة للمنكوبين ، واحتج كرمول ، وأخذ يتأهب ليعقب احتجاجه بتدخل مسلح لولا أن تداركت فرنسا الأمر ، وحملت شارل عمانويل الثاني على سحب قراره . فعاد إلى البروتستنت في بيدمنت الأمن والهدوء .

ولم يقتصر ملتن على إملاء رسائل الحكومة ؛ بل أعلن سخطه في مقطوعة من أقوى مقطوعاته الشعرية ومن أكثرها ذيوعاً قال : « انتقم أيها المولى العلي لقديسيك المذبوحين الذين تتناثر أعظمهم على جبال الألب الباردة ، فقد حل العذاب حتى بهؤلاء الذين حافظوا على دينك الحق خالصاً كما كان في عهده الأول [1] في حين كان يعبد آباؤنا الأوثان والأحجار [2] ؛ لا تنسهم أيها المولى ، وسجل في كتابك أنين هؤلاء الذين كانوا قطيعك والذين

(١) قيل إن هؤلاء الشهداء قد احتفظوا في أوديتهم المنعزلة بتعاليم المسيحية كما كانت في عهد الحواريين

(٢) نظر ملتن إلى الكاثوليك نظرته إلى الوثنيين لأنهم يحنون رؤوسهم لصورة العذراء وصور القديسين .

ذبحهم فى قرارهم القديم أولئك السفاحون من أهل بيدمنت ، وألقوا بالأم وطفلها من حالق فوق الصخور ترميهم صخرة إلى صخرة ؛ لقد كان لأناتهم فى الأودية صدى رفعته إلى التلال ، ونقلته التلال إلى السماء ؛ انثر أيها المولى دماءهم الشهيدة وأشلاءهم على حقول إيطاليا كما تنثر البذور[١] حيث لا يزال يتسلط الطاغية الثلاثى[٢] عسى أن ينمو من هذه مائة نمو فيكون منها جيل يعجل وقد علم سبيلك بالقضاء على هذا الكرب البابلونى[٣] » .

وجنح ملتن إلى العزلة بعد هذا الحادث ، وكان يقضى أكثر الوقت فى بيته ، يقرأ له ابن أخته أو غيره من تلاميذه القدامى أو من محبيه من التأدبين حاشيتى النهار وطرفاً من الليل ، وكان يدير فى رأسه فى تلك الأيام ما عسى أن ينهض له من الشعر . ففكر فى أن يجعل موضوعه بطولة الملك آرثر ، ذلك الموضوع الذى فكر فيه من قبل فينظم الآرثريادا كملحمة يسجل فيها فترة من تاريخ قومه ؛ ولكن أكثر اتجاهه كان إلى موضوع آخر كما يذكر ابن أخته وذلك هو « قصيدة من قصائد البطولة عنوانها الفردوس المفقود » ، واقتصر جهده على التدبر فى هذا الموضوع والصورة التى يصوغه فيها وقراءة ما يتصل به ، وكان أول الأمر يريد أن يتخذ نوعاً من المسرحيات لباساً له ؛ على أنه كما يذكر ابن أخته فيليبس لم يبدأ نظم قصيدته فعلا إلا لسنتين قبل عودة الملكية أى سنة ١٦٥٨ ...

وكانت الحكومة قد أسكنت ملتن هويت هول فى أول عهده بالوظيفة ، ولكنه لم يلبث هناك طويلا فاستأجر بيتاً على مقربة من حدائق سان جيمس وعاش فيه منذ سنة ١٦٥٢ ، وفى هذا النزل أقام ملتن حتى سنة ١٦٦٠ حيث أجبرته عودة الملكية إلى الاختفاء حينا لينجو بنفسه من الهلاك .

وكان يزوره فى منزله أصدقاؤه ، وهم بين تلميذ له جاوز مرحلة التعلم أو معجب به من المثقفين ، وقل فى زائريه من كان من البرزين من رجال العصر فى الأدب أو فى السياسة أو فى الدين ، وذلك أن اعتداد ملتن برأيه وتعاليه بثقافته جعلا بينه وبين أكثر الناس ممن يرون أنفسهم أنداداً له حجاباً كثيفاً ، فكان هؤلاء يرمونه بالكبرياء والصلف ويكرهون منه أن ينظر إليهم من عل نظرة ترفع وتحفظ وإعراض ، هذا إلى أن آراءه الدينية قد باعدت بينه وبين النابهين من البرسبتيرن ، وميوله السياسية قد جعلت من الملكيين أعداء له ، وعنفه فى الخصومة قد ألقى فى روع الناس أن من يتصل به لا يأمن أن يصبح من عدوه لأقل خلاف فى الرأى أو فى العقيدة .

ويجب أن نضيف إلى تلك الأسباب محبته للعزلة منذ أيامه فى هورتون وعكوفه على المطالعة والدرس ؛ فقد كان ميله إلى العزلة من الظواهر الواضحة فى حياته ؛ وقد كرهت إليه محبة العزلة لقاء الناس وغشيان مجالسهم أو سوامرهم ، وعنده من الكتب عن ذلك عوض . ففيها لنفسه ولعقله متعة حق متعة .

ونستطيع أن نتبين مقدار ما كان بينه وبين نابهى عصره من جفاء مما ذكرته أرملته عن رأيه فى هوبز الفيلسوف الكبير قالت « لم تكن له معرفة به ، وكان لا يحبه زوجى أبداً وإن كان يصرح أنه رجل ذو نواح عظيمة » .

وكان من أحب أصدقائه إليه وأكثرهم اختلافا إلى منزله وأقربهم مجلساً منه لورنس وسيرياك سكنر ونيدهام وهارتلب وأولدنبرج وأندرومارفل ، وكان الأولان تلميذين له أما البقية فكانوا من ذوى المكانة الأدبية وعلى الأخص آخرهم ذلك الذى اختير مساعداً لملتن فى وظيفته الرسمية سنة ١٦٥٧ ، وكان مارفل متين الخلق كصاحبه لا تضعضعه النوائب ولا تحنى رأسه الفاقة ، وكان أصغر من ملتن باثنتى عشرة سنة وكان مثله متخرجاً فى كمبردج ، وقد أحب ملتن حباً شديداً وأعجب به إعجاباً عظيما فتوثقت بينهما عرى المودة وظل مارفل على ولائه له حتى فرق بينهما الموت .

ويذكر فيليبس أنه كان يزور خاله إبان السنوات الثمانية التى قضاها فيما يشبه العزلة قبل عودة الملكية عدد كبير من ذوى المكانة ثم لا يشير إلا إلى اثنين : ليدى رانالا ودكتور باجت ، وكانت ليدى رانالا على حظ من الذكاء غير قليل كما كانت ذات ثقافة وذات ميول حرة ؛ وكانت قد وكلت إلى ملتن تعليم ابن أخ لها ثم ابنها من بعده ، وقد أعجبت بالشاعر العظيم ولما كان لا يستطيع زيارتها كانت تزوره هى وتستمع فى إكبار وإجلال إلى حديثه ...

---

(١) إشارة إلى حكمة مؤداها أن دماء الشهداء هى بذور الكنيسة

(٢) إشارة إلى البابا الذى يلبس عمامة بها ثلاثة تيجان .

(٣) شبه ملتن روما وكنيستها ببابل وهى عند المسيحيين من أتعس المدن وأشقاها وكانوا يسمونها بابلون .

وحدثت عنه ديبورا إحدى بناته فقالت : « إنه كان جليساً مؤنساً ، وكان حياة حلقة من الصحاب تدور به ، وذلك لأنه كان يتدفق بشتى الأحاديث والموضوعات وكان عذب الروح مرحاً ذا مودة في غير تـكلف لشيء من هذا » .

والحق أن ملتن كان لين الجانب طلق المحيا محبب العشرة صادق المودة لمن يجلس منه مجلس التلميذ من أستاذه وهؤلاء هم خاصته الذين ذكرنا ، وكانت لهجته في مخاطبتهم لهجة المعلم ، وكان يتلو عليهم ما يظن أنهم في حاجة إلى معرفته ولا يحب أن يجادلهم أو يبادلهم حجة بحجة فليس هـذا شأن الأستاذ مع تلاميذه ، وما منهم إلا من يكبره ويخفض له جناحه ويغض عنده من صوته ، وإن كثيراً منهم ليتنافسون من يكتب له إذا أملى ومن يقرأ له إذا طلب بحثاً من البحوث ، ومن يقوده ويأخذ بيـده ليمشي ساعة في الحدائق القريبة ، وكلهم بذلك مغتبط أيما اغتباط .

وكان يزوره في منزله كثير من كبراء الأجانب ممن يهبطون انجلترة ، وكانوا يسمعونه عبارات التجلة والاعجاب ، ويذكر أوبري أحد مؤرخي حياته في ذلك قوله « إن الحافز الوحيد الذي كان يحفز فريقاً من الأجانب لزيارة انجلترة كان في الأكثر رؤية أليفر كرمول حامي الجمهورية ومستر چون ملتن ، وكانوا يرغبون أن يروا بيت الشاعر والحجرة التي ولد فيها فقد كان الاعجاب به خارج انجلترة أشد منه في موطنه كثيراً » .

وكان يعينه في كثير من شؤونه إلى جانب أصدقائه ابنا أخته . أما بناته الثلاثة فـكن صغيرات فقد تركتهن أمهن حين ماتت منذ ثلاث سنوات أي سنة ١٦٥٢ وكبراهن في السادسة من عمرها ووسطاهن في الرابعة وصغراهن بنت شهر واحد .

وفي سنة ١٦٥٦ تزوج ملتن بزوجة ثانية ، وقد جاءت كما أحب رجاحة عقل وصدق عاطفة ، واستنشى الشاعر نسيم المودة والرحمة بين يديها ، وأحس كأنما يحيي حياة جديدة على الرغم مما يحيط به من ظلمة ، وكان كمن ألقت به الصحراء المجدبة إلى واحة ظليلة ؛ ولـكنه لم يلبث في واحته هذه أو جنته إلا خمسة عشر شهراً ثم نـكبته النـكبة في زوجته فـكأنما كان يكيد له الدهر حين أذاقه النعيم فما كان ذلك منه إلا ليعظم في نفسه هول الجحيم وماتت الزوجة كسابقتها في سرير الوضع وتركت له كذلك أنثى لم تعش بعد أمها إلا نحو شهر ؛ وفزع الشاعر إلى قيثارته يخفف عن نفسه ما يعتلج فيها من حزن ، وكأنه من فرط ما في جوفه من حريق يحس كأن الجحيم نفسها تتنفس على كبده . قال الشاعر المحزون : « رأيت فيما يرى النائم أن قديستي التي تزوجت بها أخير قد أحضِرت إلى من القبر كما أحضرت أليستس(١) التي أرجعها الإبن الأكبر لجوف إلى زوجها الذي امتلأ فرحاً وقد نجاها ابن جوف من الموت بقوة ولو أنهـا ظلت شاحبة هزيلة ، ولـكن امرأتي جاءت كما لو أنها اغتسلت مما يتركه الوضع فتخلصت بذلك من التطهر وفق الوضع القديم ؛ ونظرت فإذا بي كأني أملأ منها عيني في الجنة بغير عائق ما ، وقد خطرت في ثياب بيضاء نقية نقاء عقلها ، ولـكن وجهها كان مقنعاً ، بيد أني أبصرتها بعيني خيالي فإذا الحب والجمال وطيبة القلب تضيء في هيكلها بصورة لن يكون أحسن منها وأبهج في وجه من الوجوه ... ولـكنها يا ويلتا ما كادت تميل إلى لتعانقني حتى صحوت فلم أجدها ووجدت النهار يحيطني ثانية بليلي المظلم » .

هذا هو الشاعر يصف في هذه القطوعة الجميلة مبلغ حزنه ولـكن به كبرياء أن يصرعه الخطب ؛ وإن صدق إخلاصه للشعر واعتقاده أنه خلق لعظيمة فيه ليرتفع به عن الحزن ؛ وكان يجد عزاءه فيما يقرأ له أصدقاؤه وفيما تنطوي عليه نفسه وتختزنه ذاكرته ؛ وإنه في هذا ليتداوى بالتي كانت هي الداء ، فهذه الـكتب هي التي أفقدته ناظريه؛ على أنه اليوم يقرؤها بعيني غيره .

وكان يقول لمن حوله إن خياله يضيء ويلتمع في الظلمة أكثر ممـا يضيء في النور ، وأن النور لم يذهب عنه ولـكنه تسرب إلى داخله ليرهف مخيلته وعقله ، وتلك تعلات كان لا بد له منها لـكي يقوى على ما كان يحيط به ، وإنه لينهض على ما هو فيه لقصيدة تضعه في مستوى هوميروس ودانتي ، وما نعرف شاعراً كانت حاله أكثر سوءاً من حال هذا الشاعر حين يضطلع بعبء كهذا العبء وفي هذا أبلغ شاهد على سمو روحه وقوة نفسه .

(يتبع) الخفيف

---

(١) زوجة أودميتس ملك فيرا في تساليا ، وقد وعد أن ينقذ من الموت إذا مات أحد بدله فماتت بدله أليستس ، ولـكن هرقل ابن جوف وكان صديقاً لزوجها أرجعها حية إلى ذلك الزوج ، وقد قص يوروبيد هذه القصة في مسرحية أليستس .

# مراكش وأسبانيا

للأستاذ عبد المجيد بن جلون

هناك حقيقة تاريخية لا يمكن إغفالها عند التحدث عن العلاقة بين المراكشيين والأسبانيين ، وهذه الحقيقة التاريخية هي أن الدولتين ظلتا في خصومة مستمرة منذ عهد بعيد وطيلة أجيال متعاقبة ، وقد دخلت تلك الخصومة في طورها الفعال بعد أن قويت دولة النصرانية في الأندلس واستطاعت أن تستولى قواتها على شبه الجزيرة كلها

شبت منذ ذلك الحين معركة قاسية طويلة الأمد بين المراكشيين والأسبانيين، وكانت على شكل غارات بحرية متوالية ، فكان الأسبانيون ينزلون إلى سواحل مراكش غازين مغامرين ، وكان المراكشيون ينزلون إلى السواحل الأسبانية غازين مغامرين مدمرين ، وظل الأمر على ذلك أزمنة طويلة حتى بعد قيام الأمبراطورية الأسبانية ، إلى أن ضعف أمر الدولة المراكشية في القرن التاسع عشر ، فاقتحم حدودها الأسبان سنة ١٨٦٠ ، وشبت دون مدينة تطوان معركة طاحنة بين الفريقين تبادلا خلالها النصر والهزيمة مرات كثيرة ، إلى أن دارت الدائرة على الجيش المراكشي وسقطت المدينة لتدوسها سنابك خيل العدو ، فذاقت مدة من الزمن حياة المهانة على يد أعدائها القدماء . ولولا الظروف السياسية والتنافس الدولى لذاقت مراكش كلها ما ذاقته المدينة التعسة ، ولكن كان على الجيش الأسبانى أن يغادرها تحت تأثير الظروف الدولية ؛ وهكذا خبا أمل الأسبانيين وضاعت الفرصة الثمينة التي أشرقت ثم غار نورها .

ولكن فكرة غزو مراكش زادت قوة ، فظلوا يتحينون الفرص للانقضاض عليها . وكانت الجيوش الفرنسية في الجزائر على حدود مراكش الشرقية تشارك الأسبانيين هذا الأمل الخلاب ، وباتت مراكش بين هاتين القوتين المضطرمتين ، ولكن تطور الحوادث بعد ذلك دفع بالدولتين إلى الاتفاق .

كان ذلك في مفتتح هذا القرن ، إذ اتفق الفرنسيون والأسبانيون على اقتسام مراكش بينهما ، على أن تستولى أسبانيا على نصفها الشمالي إلى ما بعد مدينة فاس ، ويستولى الفرنسيون على الباقي . ولكن الوضعية الدولية تغيرت واستطاعت فرنسا أن تعقد الاتفاق الودى المشهور مع انجلترا سنة ١٩٠٤ ، وبذلك قوى مركزها الدولى ، وتزعمت منافسة ألمانيا التي كانت تعمل هي أيضاً للاستيلاء على مراكش . وشبت الخصومة قوية خلال سبع سنوات بينهما ، وتطورت تطورات خطيرة كادت تعجل بقيام الحرب العظمى ، يوم دخل الطراد « بنثر » مياه أجادير وكاد يطلق القذيفة الأولى في أول حرب عالية . كانت أسبانيا مختفية طول تلك المدة ، بينما كانت فرنسا في مقدمة العاصفة ، وقد غامرت بمستقبلها في سبيل مراكش ، ولذلك ألغت من تلقاء نفسها الحدود القديمة التي اتفقت عليها مع أسبانيا ، واكتفت بإعطائها ، بعد أن انتهت القضية المراكشية إلى ما انتهت إليه ، منطقة صغيرة في الشمال ، ولم تسمح لها بالاستيلاء على مدينة فاس .

وهكذا انتهت تلك القصة الطويلة سنة ١٩١٢ يوم فرضت معاهدة الحماية على مراكش ، ولكن تلك النهاية كانت إيذاناً ببداية معركة أخرى ، هي معركة بين شعب يدافع عن نفسه وشعب آخر يحاول اغتياله والقضاء عليه . وما أن انتهت الحرب العظمى حتى هبت ثورة بطل مراكش الكبير الأمير عبد الكريم الخطابي في وجه الجيش الأسباني ، وبدأت الأحلام الأسبانية تترنح تحت الضربات القاصمة التي وجهها إليها الأمير البطل ، ذلك الرجل الذي أثخن الجسم الأسباني جراحاً ، وقدم إلى أسبانيا جزاء على مغامرتها مرارة الثكل واليتم والآلام ، إلى درجة أنهم فكروا جدياً في الإقلاع عن السير في هذه الطريق المحفوفة بالأخطار . ولكن تدخل فرنسا في النهاية واستفحال القوات المهاجمة أرغما البطولة على الاستسلام ، فلم يكن للجيش المراكشي الباسل مناص من إلقاء السلاح أمام الجيوش الجرارة التي جردتها عليه الدولتان القويتان

انتهت المعركة وبدأت أسبانيا تحاول أن تشق الطريق إلى أهدافها في القضاء على مراكش مرة أخرى ، ولكن منعها من ذلك قيام الحركة الوطنية وانتشارها بشكل واسع في البوادي والمدن ، وقد كان قيام هذه الحركة بمثابة تحصين لروح الأمة وكيانها ؛ كما منعها من ذلك أنها لم تحقق من أحلامها العسكرية في مراكش إلا اليسير ، فهي ما تزال بعيدة كل البعد عن ذلك ما دامت لم تسيطر إلا على هذه الرقعة الصغيرة من الإقليم المراكشي

ولذلك فإن تسرعها فى محق هذه البلاد لا يمكن أن يكون عملياً ما دامت لم تسيطر بعد عليها كلها .

وإذن فلتؤخر الكارثة إلى أن تتمكن أسبانيا من الاستيلاء على مراكش كلها . وهكذا اتجهت السياسة الأسبانية إلى نوع من المخاتلة ، محاولة إخفاء نياتها الحقيقية لكي تستعين فى الوقت المناسب بسمعتها ضد الفرنسيين . وكانت فى نفس الوقت تخاف أن يهب فى وجهها عبد الكريم آخر إذا هى اتجهت فى سياستها نحو الشدة . كانت تقول للوطنيين : لا تطالبوا أسبانيا بشيء ، فإن مسألة مراكش فى يد فرنسا ، وفرنسا هى التى أعطت أسبانيا هذه المنطقة . ثم إن أسبانيا لا تستطيع أن تتنازل عن نفوذها فى هذا الجزء الصغير من مراكش لكى تستولى عليها فرنسا . ولذلك فإنه يجب على الوطنيين أن يوجهوا جهودهم نحو تحطيم الاستعمار الفرنسى ، وبعد ذلك تكون أسبانيا على استعداد للتنازل عن نفوذها لكى يتمتع المراكشيون جميعاً باستقلالهم الحقيق

وهذا كلام لا يعوزه المنطق ، ولكنه ليس صحيحاً ، فقد اندلعت الحرب الأهلية فى أسبانيا ، وتلاحقت الحوادث بعد ذلك تلاحقاً خطيراً أدى إلى نشوب الحرب العظمى الثانية ، فخيل لأسبانيا الفاشستية — بعد الهزيمة الفرنسية — أن الفرصة الموموقة قد سنحت ، وأن مسألة استيلائها على مراكش أصبحت مسألة زمن فقط ، وفعلا اجتازت جيوشها الحدود إلى مدينة طنجة الدولية ، وكادت تقتحم منطقة مراكش الجنوبية ، ولكن كلا من سياسة ألمانيا حيال الأمبراطورية الفرنسية والمطامع التى كانت تجيش بها إيطاليا الفاشستية حال دون ذلك .

ووجدت أسبانيا نفسها مرة أخرى عاجزة عن تحقيق مأربها القديم ، فهى لن تستطيع الاستيلاء على مراكش إلى جانب المحور ، ولن تستطيع ذلك بالطبع إلى جانب الحلفاء . ومالت كفة النصر نحو الديمقراطيات ثم انتهت الحرب بانتصارها ، وانسحبت أسبانيا المعزولة عن مدينة طنجة ، وتلاشى بريق الأمل الذى أوهمها أنها قاب قوسين من الشروع فى خطتها التى ترمى إلى الاستيلاء على تلك البلاد

لقد حالف الفشل والإخفاق أحلام أسبانيا التاريخية ، وإذن فلتلتفت إلى المراكشيين لتصب عليهم نقمتها وغضبها . وإذا كان لعلم النفس دخل فى السياسة ، فقد خلف عندها هذا الفشل عقدة نفسية ، وطاقة مكبوتة ، وهى تتصرف اليوم حيال المراكشيين بإيحاء من تلك العقدة التى تزيد تعقدها فى الشعور الباطن طمع هائل وباع قصير .

وهكذا تجرد اليوم أسبانيا على مراكش سوط عذاب ، ولا تزيدها المقاومة إلا تمادياً فى القسوة والجبروت ، فهناك عند سفوح جبال الريف يتفنن أيتام النازية والفاشستية فى السفك والجلد والتنكيل لأسباب تافهة ، ويراقبون الضمائر وخلجات النفوس ، ويهددون الأحرار بالمحق ، ويتربصون الدوائر بالحركة الوطنية كلها .

أما الطامة الكبرى ، فهى الهجرة الأسبانية إلى شمال مراكش ، ذلك أن أسبانيا حينما أحست بالفشل يحاصر آمالها عمدت إلى فتح السدود أمام سيل الهجرة العرم ، فتدفق على البلاد وكأنه الطوفان . كان قوام السيل من العجزة والعاطلين ، فنشروا الأمراض ، وقاسموا المراكشيين ما أبقى لهم الجفاف من قوت ، وبلغت المأساة فى أول السنة الحالية ذروتها ، فكان الموتى يحملون فى عربات النقل من الشوارع تحت جنح الظلام!

هذه هى الناحية المنسية من المسألة المراكشية التى ارتبطت بفرنسا وحدها ، تخيل إلى الناس أن كل ما حاق بهذه البلاد هو نتيجة لأعمال فرنسا وحدها . كلا ، فإن المراكشيين يقاومون فرنسا ويقاسون عذابها مؤمنين بأن التخلص من الاستعمار لا يكون دون صراع ، وبأن الغلبة فى النهاية للإيمان لا للقوة ، ولكن ما يحيق بمراكش من ختل أسبانيا ووعودها الكاذبة وتربصها وهول أطماعها ، وتصرفاتها الشاذة ، يضاعف أتعاب المراكشيين فى مقاومتها .

وليس هذا بالشيء الخفى ، فلدى كل دولة عشرات من التقارير عن الحالة فى مراكش قدمها إليها المراكشيون الأحرار ، وفى أمانة الجامعة العربية عشرات كذلك ، وكلها تشرح بالأرقام والصور ما حاق بمراكش العزلاء على يد أسبانيا الفاشستية المدججة بالسلاح ، دون أن يبدى أحد حراكا . ولكن المراكشيين سوف يمضون فى مقاومة هذا الطغيان إلى آخر رجل سواء ناصرهم أحد أو لم يناصرهم . فلأن يقال غداً إنهم انقرضوا دون شرفهم ، خير من أن يقال إنهم خفضوا هامهم للطغيان !

عبد المجيد بن جلون

# الحلم والتحلم ...

للأستاذ محمود عزت عرفة

— ٤ —

« إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتخير الخير يعطه ، ومن يتوق الشر يوقه » حديث شريف

## دواع إلى التحلم :

تدعو إلى التحلم عوارض كثيرة ، وأمور متعددة ، لأن التكلف كيفما كان خروج على الطبيعة ، وتحويل للغريزة ؛ وشيء من ذلك لا يكون أبداً وحده ، ولا يتم مجرداً عن العلل خارجاً على البواعث والأسباب .

فما يدعو النفس إلى التحلم ويطوعه لها أن تستشعر القدرة على الانتصار فيفثأ ذلك من حر غضبها ، ويبدلها بقلقها هدوءاً ، وبجزعها تثبتاً واطمئناناً وحينئذ تنتفى بواعث الانتقام ، فيكون التحلم الذى يتطاول مع الزمن حتى يصير حلماً ، وأكثر ما يكون عفو الملوك لمثل هذا الباعث ، وقد مرت بنا أمثلة منه مختلفات . ويكاد يضع يدنا على هذه الحقيقة وضعاً قول المنصور لجعفر الصادق بعد عفوه عن أهل المدينة : إنك لتعلم أن قدرتى عليهم تمنعنى من الإساءة إليهم [١] .

ومن كلام بعض الحكماء : ليس الحليم من ظُلم فحلم ، حتى إذا قدر انتقم ؛ ولكن الحليم من ظُلم فحلم ؛ حتى إذا قدر عفا .

ويقول عبد الله بن مسعود : انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه ، وأمانته عند طمعه . وما علمك بحلمه إذا لم يغضب ؟ وما علمك بأمانته إذا لم يطمع ؟

وقد نصح معاوية لابنه يزيد فقال : عليك بالحلم والاحتمال حتى تمكنك الفرصة ؛ فإن أمكنتك فعليك بالصفح ، فإنه يدفع عنك معضلات الأمور ، ويوقيك مصارع المحذور ... ولعل هذا الخلق الكريم — العفو عند المقدرة — يعد أشرف مواقف الرؤساء ، وأدلها على أصالة النبل فى نفوسهم ، واستحواذ الكرم والفضيلة على طباعهم .

ومن البواعث على التحلم أيضاً مايكون من الاستهانة بالمسىء أو استضعاف شأنه ، حتى لكأنه المعنىُّ بمثل قول « مسلم » :

فاذهب فأنت طليقُ عرضك إنه ... عِرضٌ عززتَ به وأنت ذليل

وبمثل قول الآخر :

نجابك عرضُك منجى الذبابِ (م) حمته مقاذيرُه أن يُنالا !

ولقد عفا مصعب بن الزبير — لمثل هذا الباعث — عن قاتل أبيه [١] . فقد روى أنه لما ولى العراق جلس يوماً لعطاء الجند ، وأمر مناديه فنادى : أين عمرو بن جرموز ؟ — وهو الذى قتل أباه الزبير — فقيل له : أيها الأمير ، إنه قد تباعد فى الأرض . فقال : أويظن الجاهل أنى أقيده بأبى عبد الله ؟ فليظهر آمناً ليأخذ عطاءه موفوراً ... !

وقال عمر بن الخطاب لأبى مريم السلولى قاتل أخيه زيد بن الخطاب — وكان قد كفَّه عنه دينُه وورعه وعدالته — : والله إنى لا أحبك حتى تحب الأرض الدم ! قال : أفيمنعنى ذلك حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا ضير ، إنما يأسى على الحب النساء !

ولقد يدعو إلى التحلم فرط السآمة من الانتقام ، ورغبة النفس عن التشفى لطول ما بلغت من ذلك حظها ، والشىء إذا زاد عن حده مال إلى ضده ، وللنفوس ثورة تجنح معها إلى السكون ، ومؤاخذة تميل بعدها إلى المتاركة ، ويبدو ذلك المظهر واضحاً فيما يسجله التاريخ من عفو المنصور بعد حروبه مع العلويين ، وتسامح المأمون بعد حوادث الفتنة بينه وبين أخيه الأمين . ولما انتهت فتنة ابن الأشعث أُتِى عبد الملك بن مروان بأسارى موقعة دير الجماجم [٢] ؛ — وكانوا ممن خان عهده ونقضوا بيعته وقاتلوا جنده قتالا عنيفاً — فقال لرجاء بن حيوه : ما ترى ؟ قال : إن

(١) انظر الحوار بتمامه فى الحلقة الثانية من هذا البحث .

(١) اشترك الزبير فى موقعة الجمل كما هو معلوم ، ثم اقتنع بخطئه فى مخاصمة على فنفض يده من الأمر وقفل راجعاً إلى المدينة — عام ٣٦ هـ — فلما كان بوادى السباع نزل فنام ، فجاء عمرو بن جرموز فقتله

(٢) حدثت قرب الكوفة عام ٨٣ هـ وفر بعدها عبد الرحمن ابن الأشعث إلى فارس فآواه إليه رتبيل ملك الترك ، وكاتبه الحجاج وتوعده إن لم يرسل إليه ابن الأشعث فقتل عبد الرحمن نفسه بأن تردى من أعلى القصر ، وحمل رأسه إلى الحجاج عام ٨٥ هـ .

الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر ، فاعط الله ما يحب من العفو ! فلم يكن بأسرع من أن فك قيودهم وعفا عنهم .

ونحن لا نكاد نفهم عفواً يصدر عن الحجاج — أظمأ ولاة المسلمين إلى الدماء — إلا على هذا الوجه ، ولمثل ذلك الباعث . فهو قد أبلى فى قتال ابن الأشعث أعظم البلاء ، وذاق أمام قواته مرارة الهزيمة وحلاوة الانتصار ، حتى قهره فى موقعة دير الجاجم فلما عرض الأسرى من رجاله على السيف مثل أمامه الشعبي[1] فى جملتهم . فقال : أصلح الله الأمير ، نبا بنا المنزل ، وأجدب الجناب ، واستحلسنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وضاق المسلك ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء . قال الحجاج : صدقت ، والله ما بررتم بخروجكم علينا ولا قويتم ... خلوا سبيل الشيخ !

وكان قوم يتحلمون على السفهاء إذا اعترضوهم بالأذى ، بل ربما تعرضوا إليهم عامدين طلباً لاكتساب الحلم وتدرباً عليه ، وقهراً للنفس على السكون ، وتعويداً لها على المسامحة . روى أن جعفر بن محمد الصادق كان إذا أذنب له عبد أعتقه . فقيل له فى ذلك فقال : إنى أريد بفعلى هذا تعلم الحلم ! ومن كلام الأحنف ابن قيس وكان من أحلم الناس : لست بحليم ولكنى أتحلم[2] !

ويقول أبو عثمان الجاحظ فى بيانه وتبيينه : « كانوا يأمرون بالتحلم والتعلم ، وبالتقدم فى ذلك أشد التقدم » ، وحجة القائلين بهذا أن تكلف الفضيلة عند فقدها فضيلة . نعم ، يفرق الصوفية — فى المعنى وفى الدرجة — بين حالتى الوجد والتواجد مثلا ، ولكنهم لاينكرون المقام الأخير متى قصد به التوسل إلى بلوغ الأول وتحصيله ، والأصل عند الجميع فى هذا مايروى عن الرسول عليه الصلوات من قوله : إن لم تبكوا فتباكوا !

هذا وقد تحمل الشفقة على المسىء والرحمة له إلى مقابلته بالحلم ، إذا ما تقرر فى الذهن أن الإساءة لا تعدو أن تكون تصرفاً مريضاً مبعثه الجهل ، وأن صاحبه أولى بالعلاج منه بالعقوبة ، وهذا باعث كريم على التحلم لا يتسامى إليه من النفوس إلا أكرمها عنصراً وأزكاها جوهراً .

ولقد عوتب كسرى أنوشروان مرة على ترك عقوبة المذنبين فقال : هم المرضى ونحن الأطباء ، فإذا لم نداوهم بالعفو فمن لهم ؟ وقال إبراهيم التيمى : إن الرجل ليظلمنى فأرحمه ! قال الغزالى : « وهذا إحسان وراء العفو ، لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم ، وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب » .

وحكي الفضيل بن عياض قال : ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان ، جلس إلىّ فى المسجد الحرام ثم قام ليطوف ، فسرقت دنانير كانت معه . فجعل يبكى . فقلت : أعلى الدنانير تبكى ؟ فقال لا ، ولكن مثلتنى وإياه بين يدى الله عز وجل ، فأشرف عقلى على إدحاض حجته ، فبكائى رحمة له !

وقد يحلمون — فى غير موضع الحلم — تجانفاً عن شبهة قد تعرض فى القصاص وإن كان عدلا ، والتماساً لمرتبة من الخلق أسمى من هذا العدل ، وأبعد مما يتلبس به من تلك الشبهة . قال عمر بن عبد العزيز لرجل غلط غلطاً اشتد له غضبه : لولا أنك أغضبتنى لعاقبتك . وإنه فى هذا ليأتسى بجده ابن الخطاب ، وقد أشرنا — فيما سبق — إلى كفه عن السكران الذى شتمه ، وقوله : إنه أغضبنى ، ولو عزرته لكان ذلك لغضبى لنفسى ...

وربما يكون التحلم وسيلة لتحقيق غاية بعيدة ، خفية أو ظاهرة ؛ من تطييب نفس ، أو رب صنيعة ، أو إتمام سالف جميل ، أو مراعاة قديم حرمة ، أو تمهيد لاستمالة وتكليف : وكان أصحاب الجنايات من الولاة والوزراء والعمال يدركون هذا الباعث ، ويعملون على إثارته فى نفوس الخلفاء إذا هم تعرضوا لسخطهم وصاروا موضع نقمتهم .

ولى معاوية روح بن زنباع ثم عتب عليه فى جناية فكتب إليه بالقدوم . ولما قدم أمر بضربه بالسياط ، فلما أقيم ليضرب قال : نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تهدم منى ركناً أنت بنيته ، أو أن تضع منى خسيسة أنت رفعتها ، أو تشمت بى عدواً أنت وقمته . وأسألك بالله إلا أتى حلمك وعفوك دون إفساد صنائعك . فقال معاوية : إذا الله سنّى عقد أمر تيسر ... خلوا سبيله .

ومن العفو لمثل هذا الباعث عفو الأمين عن الحسين بن على

---

(١) أبو عمرو عامر بن شراحيل ، كوفى تابعى عالم جليل توفى سنة ١٠٥ هـ .

(٢) يشبه هذا قول طلحة بن عبيد الله — وكان من الأجواد — : إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء ، ولكنا نتصبر !

# مظاهر العبقرية في الحضارة الاسلامية

للدكتور خليل جمعة الطوال

(تتمة)

**في سائر الصنائع :**

وقد أدخل العرب إلى أوربا أنواعاً كثيرة من الحبوب كالحنطة ، والقنب ، والتوت ، والأرز ، والزعفران ، والنخيل ، والليمون والبرتقال ، والبن ، والقطن ، وقصب السكر ، وما زال هواؤهم الفاسد بزفير آلاتهم ومخترعاتهم التي كبلت الأيدي ، وشلت حركة الأعمال ، يعبق بشذا الأزهار الجميلة التي أخذوها عن الشرق .

وقد تعلم الغربيون منا صناعة تزيين الأقمشة الدمشقية ، وصناعة السختيان ، وأقمشة الحرير المزركشة بالفضة والذهب ، والشاش الموصلي والمخمل ، وعمل الحلويات والمشروبات وصناعة الجوخ(١) ، وعمل الجليد .

**كلمة غوستاف لوبون :**

أما وقد أظهرنا مواطن القوة في الحضارة العربية فيحسن بنا أن نقدم للقارىء : رأى لوبون في العوامل الرئيسية التي أدت بالغربيين للنيل من العرب ومن حضارتهم . فقد سأل لوبون نفسه هذا السؤال : لماذا غمط اليوم حق العرب وتأثيرهم ، وأنكر حسناتهم علماء عرفوا باستقلال أفكارهم ، وبعدهم عن مظنة الشك ؟ ...

ثم تقدم للاجابة وقال : « ... أرى أنه لا جواب على هذا السؤال غير ما أنا كاتب ، ذلك أن استقلال آرائنا هو في الواقع صوري أكثر مما هو حقيق ؛ ونحن لسنا أجرأ على ما نريد في خوض بعض الموضوعات ، وهذا لأن فينا أحد رجلين الرجل

(١) حضارة العرب . لغوستاف لوبون ، والاسلام والحضارة العربية

---

ابن عيسى بن ماهان ، وكان قد انتقض عليه أيام حربه مع المأمون ، وخلعه وحبسه يومين في قصر أبي جعفر ، ثم بايع للمأمون . ولكن قام أسد الحربي وجماعة فدافعوا عن الأمين ، وفيلوا رأى الجند فيما صنعوه من طاعة الحسين بن علي . ثم قاموا فقاتلوا الحسين وأصحابه ، وكسروا قيود الأمين وأجلسوه في مجلس الخلافة ، ولما أتي بالحسين لامه على انتقاضه وذكره بسالف نعمته عليه وعلى أبيه (وكان أبوه قد قتل على رأس جيش الأمين في حربه مع المأمون) ، ثم قال الأمين : ما الذي استحققتُ به منك أن تخلع طاعتي ، وتؤلب الناس عليّ ، وتندبهم إلى قتالي ؟ قال : الثقة بعفو أمير المؤمنين ، وحسن الظن بصفحه وتفضله . قال : فإن أمير المؤمنين قد فعل بك ذلك ، وولاك الطلب بثأرك ومن قتل من أهل بيتك ! ثم دعا له بخلعة فخلعها عليه ، وحمله على مراكب وأمره بالمسير إلى حلوان . وخرج الحسين فهرب مرة أخرى في نفر من خدمه ومواليه ؛ فنادى محمد في الناس فخرجوا في طلبه حتى أدركوه فقتلوه ...

وقد يدفع بالنفس إلى التحلم مجرد ما تدركه من فضيلة الحلم ، وما تشاهد من جميل أثره على المتصفين به في الدنيا ؛ مع ما ينتظرهم من الكرامة عند الله في الآخرة . ذلك أن الفضائل كلها صور جذابة حالية يكفي أن تهتدي الفطر السليمة إلى حقائق جمالها ، أو تشهدها على المتخلقين بها حتى تجنح إلى اكتسابها والتمسك بأسبابها . قال الأحنف بن قيس : تعلمت الحلم من قيس بن عاصم !

والذي يتفهم قول عليّ عليه الرضوان : أول ما عُوّض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . لا يرى في الحلم إلا خيراً كله . بل من يعرف أن الله سبحانه سمى نفسه (الحليم) ولم يتسمَّ بالعاقل أو العالم يتبين له قدر الحلم بين الفضائل بحالة لا تدع له دون التمسك به من سبيل .

يقول الغزالي في كتاب ذم الغضب من سفر الإحياء : ينبغي أن يعالجَ هذا الجاهلُ — يعني المغضوبَ غير المتحلم — بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو ، وما استحسن منهم من كظم الغيظ ، فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء ، وضد ذلك منقول عن الأكراد والأتراك والجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم .

(للحديث بقية أخيرة) محمود عزت عرفة

الحديث الذى صاغته دروس التهذيب ، وعمل المحيط الأدبى والمعنوى فى تنشئته . والرجل القـديم المجبول على الزمن بخميرة الأجداد وبروح لا يُعرف قراره ، يتألف من ماض طويل ، وهذا الروح اللاشعورى هو وحده الذى ينطق فى معظم الرجال ، ويبدو فى أنفسهم بمظاهر مختلفة ، يؤيد فيهم المعتقدات التى اعتقدوها ، ويملى عليهم آراءهم ، وتظهر هذه الآراء بالغة حداً عظيما من الحرية فى الظاهر فتحترم ، وقال : « ... وقد تراكمت الأوهام الموروثة المتسلطة علينا ، والنقمة على الإسلام وأتباعه فى عدة قرون حتى أصبحت جزءاً من نظامنا ، وكانت هـذه الأوهام متأصلة فينا ، كالبغض الدوىّ المستتر أبداً فى أعماق قلوب النصارى لليهود » .

« وهناك سبب آخر ، وهو أن بعض أرباب الأفـكار يرى أنه من العار أن يعتقد أن أوروبا النصرانية مدينة لأعداء دينها بخروجها من ظلمة الهمجية ... وليس من شك فى أن العرب كانوا ممدنينا وأساتذتنا مدة ستمائة سنة .

« ولا جرم أن كثيراً من المؤرخين قد اندفعوا بسائق هذه الأوهام ، فأتوا بآراء بعيدة عن محجة الصواب فى بيان فضل الحضارة الاسلامية ، ولا يزال التحامل على العالم الإسلامى القديم بحاله من الشدة ، ولذلك وجب أن يعاد النظر فى تاريخ القرون الوسطى بجميع أجزائه التى لها مساس بانتقال المدنية القديمة إلى العصور الحديثة » .

ونود فى ختام هذا الحديث . أن نثبت أقوال بعض عظماء المستشرقين فى الحضارة الإسلامية العربية ، وذلك استجماعاً للموضوع من جميع نواحيه ، ودحضاً لأوهام الخصوم وحملاتهم ، بشهادة من لا تجمعهم بنا إلا صلة العلم ، ونزاهته الحقيقية ، دون أى آصرة أخرى من أواصر القربى ، وعلائق الدم ، وصلات الجنس :

يقول أوليرى : « إذا محونا العرب من سجل الحضارة . تأخرت النهضة الأوربية قروناً عديدة » .

ويقول هـ . ج . ولز : « إن العرب هم الذين حفظوا كنوز الحضارة اليونانية من أن تتسرب إليها بكتيريا همجية القرون الوسطى ، وليس طبقـة الاكليروس الذين خنقوا نشوء العلم بحجزهم الحرية الفكرية ، ولولا العرب لما قطعت المدنية هذا الشوط الواسع فى مضمار التقدم والرقى » ، وقال أيضاً : « كانت طريقة العربى أن ينشد الحقيقة ، بكل استقامة وبساطة ، وأن يجلوها بكل وضوح وتدقيق ، دون أن يترك منها شيئاً فى ظل الابهام ، وإن نشدان النور إنما تعلمناه من العرب وليس من اللاتين » .

وقال العلامة السياسى أوجين يونغ فى كتابه يقظة الإسلام والعرب : « ... لقد كان للعرب ماض مجيد يدعو إلى الدهشة : ماضٍ حربى ثم ماضٍ فى العلم الراق والصنائع الزاهرة ؛ ذلك الماضى الذى اتخذته أوربا فى نهاية القرون الوسطى دعامة لحضارتها بعد أن كانت نصف متوحشة » .

ولله در جوتيه إذ يقول : « إن محصول المدنية العربية فى العلم يفوق محصول المدنية اليونانية كثيراً ، وذلك لأن العلم عندهم كان يقوم على أصول علمية ثابتة »

وقال فلوريان : « انكب العرب فى عصرهم الذهبى على مواصلة الدرس ، وترقيـة العلم والفنون ، حتى إن حضارتهم كانت العامل الأكبر والأول فى نهضة القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد » .

وشهد بذلك العالم الفرنسى سيديو فقال : « تشهد آثار العرب ومخترعاتهم ومستكشفاتهم على أنهم كانوا أساتذتنا فى كل علم وفن » ، وقد وافقه على هـذا الرأى العلامة جورج سارطون إذ يقول : « يستخف بعض الغربيين بما أسداه العرب إلى الحضارة والمدنية ، ويزعمون أنهم لم يكونوا إلا حفظة للعلوم القديمة دون أن يضيفوا إليها شيئاً ... والحقيقة أن هذا الرأى فاسد من أساسه . فلولا العرب لتوقف سير المدنية . إذ كانوا مشعل الحضارة ، وأساتذة العالم فى القرون الثلاثة وهى الثامن والحادى عشر والثانى عشر » .

وقال آرثر جلين ليونارد[1] : « يجب أن تكون حالة أوربا مع الإسلام بعيدة من كل هذه الاعتبارات الثقيلة ، وأن تكون حالة شكر أبدى بدلا من نكران الجميـل الممقوت والازدراء المهين ... فلقد وصلت المدنية الاسلامية عند العرب إلى أعلى

(١) إيقاظ الغرب للاسلام لهتلى تعريب البارودى

مستوى من عظمة العمران والعلم فأحيت جذوة المجتمع الأوربى وحفظته من الانحطاط . ولم نعترف ونحن نرى أنفسنا فى أعلى قمة من التهذيب والمدنية بأنه لولا التهذيب الإسلامى ومدنية العرب وعلمهم وعظمتهم فى مسائل العمران ، وحسن نظام مدارسهم ، لكانت أوربا إلى اليوم غارقة فى ظلمات الجهل » ، ويقول ويدمان فى هذا الصدد : « ... لا تقل خدمات العرب للغرب عن خدمة نيوتن وفراداى ورنتجن » .

ويقول غوستاف لوبون[1] : « ما كاد العرب يخرجون من صحارى بلادهم حتى اتصلوا بالمدنية اليونانية اللاتينية ، فتمثلوها ، وكان تمثلها يتطلب فكراً مهذباً ... ونحن نجهل ما كان لهم من حضارة راقية قبل الرسول (ص) فقد كانوا على اتصال بالتجارة مع العالم ، وكانت لهم ثقافة أدبية عالية قبل الإسلام ، ومن ثم حضارة علمية زاهرة بعد الإسلام » ، وقال أيضاً : « تفوق العرب فى المدنية على شعوب كثيرة ، وربما لم يقم من الشعوب من تقدمهم فى هذا السبيل » .

وشهد نوبرجر بالحضارة العربية شهادة ترفع الرأس عالياً . فقال : « فاقت المدنية العربية فى عصرها الذهبى مدنية رومية القديمة فى حيويتها » ووافقه دوسن فقال : « إن المدنية الغربية الأوروبية مدينة للمسلمين بميراث حكمة الأقدمين ، وأن فتوح العرب فى الإسلام لتعد من عجائب التاريخ ، ومما يدعو إلى العجب أيضاً أن يصبحوا سادة نصف العالم فى أقل من قرن ، وأن يصبحوا فى مئة سنة ذوى ثقافة عالية ، وعلوم راقية ، ومدنية زاهرة . بينا نجد الجرمانيين لما فتحوا الامبراطورية الرومانية قد قضوا ألف عام قبل أن يقضوا على التوحش ، وينهضوا لإحياء العلوم » .

وقال العالم يهودا وهو رجل عبرانى يدرس فى جامعة مجريط « أخذ الناس يدركون الآن أن أوربا فى القرون الوسطى مدينة للحضارة العربية التى اغترف من مناهلها المسلمون ، واليهود ، والنصارى على السواء . أخذ الناس الآن يفهمون أن العلوم الطبيعية والقوانين الأساسية فى الفلسفة ، والرياضيات ، وعلوم العمران كانت تستمد روحها فى زمن النهضة والاصلاح من ذلك المنهل العذب ألا وهو الحضارة العربية ، وبدأ علماء العصر كلما تعمقوا فى دراسة هذه الحضارة أدركوا أثرها البليغ فى حضارة اليوم ، وكشفوا مئات الكلمات الداخلة فى اللغات الأوروبية من أيام تلك الحضارة » .

وقال سينوبوس : « لامرية فى أن العالم الإسلامى كان أسطع نوراً من العالم الغربى . فكان المسيحيون يشعرون بنقصهم فى التهذيب ، ويعجبون بما يبدو لهم من غرائب الشرق ، وكان النازع فيهم إلى العلم يقصد مدارس العرب » .

هذه هى حضارة العرب الزاهرة التى يطعن عليها سرفيه وأمثاله من الخصوم والمتشيعين ، والتاريخ كفيل بأن يعيد نفسه ، فيتبوأ العربى عالى مكانته ، ويستعيد زاهى مدنيته .

وهذه أيضاً صورة أخرى من كتابنا « تحت راية الإسلام » المائل للطبع . فعسى أن نكون قد أسدينا لهذه الأمة العزيزة بعض حقها علينا .

( شرق الأردن ) **خليل جمعة الطوال**

(١) الاسلام والحضارة العربية ج ١ .

---

# الحب والعمر . . .

للأستاذ عثمان حلمى

من سحر عينيك للأبصار معجزة
يحوطها من جلال الحسن أسرارُ
يحارُ فى وصفها الراءون إن فتنت
أبصارهم ويحق إن هم حاروا
ومن حديثكِ أنغام لها أبداً
فى السمع والقلب إن حدّثتِ أوتار
ما بين سمعى وقلبى من تدفقها فى كلّ هامسة من فِيكِ تيّار
وفيكِ رقّةُ نفس دون رقتها إذا تأمل فيكِ - العقل جبار
نوع من الضعف فيه محض قسوته
كلمس السيف مهل وهو بتّارُ
وأنتِ غامضة كالليل واضحة مثل النهار فإعلانٌ وأسرار
ضدّان من عجبٍ فى نفسك اجتمعا
كالغصن يكمن فيه الماء والنار
أخاف منك على ما فيك من دَعَة
كأنما لكِ عندى فى الهوى ثار
وليس لى أىُّ سلطان عليكِ وفى صميم قلبى عليه منك قهّار
وفى جبينكِ من صبح الشباب ومن
ضُحاه من مغرياتِ الحبّ أنوار
هدى لمن شاء فيها للغرام هدى
وفى الضلال له إن شاء أعذار
مالى أراكِ بشيب الرأس ضاحكة
متى كأن مشيبى فى الهوى عار
أما لكهل إذا ما شاب مفرقه مهما تجمّل عند الغيد أنصار
لا تسخرى من غرامى إنه قدرٌ
والحبُّ كالرزق والأعمار أقدار
لم يطفىء العمرُ من نيران عاطفتى
قلبى شبابٌ وجسمى كاد ينهارُ
فليس للعمر فى شرع الغرام مدى
وليس فى الحب للعشاق أعمار

# القدرُ الرطب ! !

للأستاذ محيي الدين صابر

لعينيكِ أيامى... ينازعها الحبُّ كما نازع الأحلامَ فى قفرة ركبُ
طويت على قلبى هواكِ ... كأنه لقلبى إذا جفّ الحنينُ به قلب
يشارفنى أفقٌ بعينيك خلتُه أساطير ملأى حين يسرى بها الغيب
كلانا به صمتٌ تطيفُ به الرؤى
أناشيدَ منها الشوق والحزن والعتب
ورفضٌ أحلاماً ذواهلَ فى دمى كما رفض أسراباً مصبّنة سحب
أمدُّ بها نفسى وينهلُ خاطرى ويملؤنى معنًى على وجهها عذب
قرأت به وحى النبيين فى الهوى كأنى نبى، أو كأن الهوى رب!
لقد عشتُ فى صحراء نفسى نخلةً يسامرنى جن ويمتصنى جدب
وتسفو على جذعى رياح عقيمةٌ وتعمرها هى الخضر أغربة شهب
وتمشى الرمال الصفر حولى حزينة إذا مر سرب خاشع جاء فى سرب
فضاء كأيام المجانين ... شاردٌ فليس به أمنٌ وليس به رعب!
فأصبحت أحيانى هواكِ فجرت ينابيع فى عمرى يرف بها العشب
وغنت عذارى الطير فى ربوتى منى كأن حياتى من تدفقها وثب
وأترف أيامى ووشى خواطرى وألهم قيثارى سناً نابض خصب
فيا ساحراً.. كفّاه بعث ورحمة وخمارة... غنى بأفراحها الشرب
لعينيكِ مذخورُ الخلود بمهجتى فأنت عليها فى الهوى قدرٌ رطبُ
ويا لفتةً يُطوى زمانى عندها خيالا ويغشانى بها زمن رحب
فإن تك أيامى ذنوباً ... فإنه بحبكِ يا دنياى يُستغفر الذنبُ
حشدت مزاميرى لمنغومة الصبا كأن جمالا قبلها صدقه كذب
لمحمومة الأشواق محرومة المنى
كما انهلّ من بين الصفا جدول سكب
شباب بخديها... ومجد بجيدها وجوع بعينيها. فيا شهوة تصبو
وفى نهدها من يقظة الفن لفتةٌ وفى قدها سكرٌ يميدُ له اللب
وفى شفتيها وقدةُ القلب فى الصبا وفى شعرها أغرودة للهوى نهب
بها مثل ما بى من أسى فى كيانها إذا ضمنا خطب يفزّعنا خطب
فإن رجعت فى الليل أنة موجع تلفتَ فى عينى وفى مهجتى الحب
وتسمعنى فى الليل أشكو فتشتكى وفى روحها جرح وفى قلبها ندب
هى الزاد . ما باليت بعد غرامها أسلمٌ إذا وفّت حياتى أم حرب!

الكتب

أعلام عابرة :

# العلم والحياة

**تأليف الدكتور مشرفة بك**

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

يتقمص الأستاذ الجليل الدكتور مشرفة فى معظم كتبه عدة شخصيات أهمها العالم والمدرس والأديب معاً ، وهذه ميزة قلما تتوافر لعالم غيره وهى فى هذا الكتاب بارزة جداً ، والظاهر أن ذلك راجع إلى أنه يتمشى مع المنهاج الموضوع لسلسلة « اقرأ » المقصود به صلاحيتها لأوساط الناس على اختلاف ثقافاتهم . فأولا :

**شخصية العالم :**

وتبدو واضحة لدرجة المحاباة ، محاباة العلم والعلماء . يقول : « إن العلماء أعرف الناس بالخير وأقربهم إلى الفضيلة » ويقول : « من الخطأ الفاحش أن يقال إن العلماء يقفون عند المظاهر المادية للعالم، فالعلماء إذ يبحثون عن الحقيقة يسمون بعقولهم إلى المنتهى » ولعل الدكتور يريد أن يصف العلماء كما يجب أن يكونوا أو يظن أنهم جميعاً على شاكلته أطهار أبرار ؛ وإلا فأهوال الحروب الحديثة لا تؤيد القول الأول ، وبعض الباحثين لا يؤيدون القول الثانى بل يقولون بمثل ما يقول به ( تشارلتن ) فى كتابه ( فنون الأدب ) : « إذا أردنا الدقة ألفينا العلم بعيداً كل البعد عن الحياة العملية ، إذ العلم لا ينظر إلى المعرفة من وجهها النافع المفيد فهو لا يعنيه إلا المشكلات المجردة والمبادىء العامة . العلم مجرد فكر يقوم به العالم بغض النظر عما إذا كان يفيد أو لا يفيد » . وثانياً :

**شخصية المدرس :**

وطبيعى أن يكون الدكتور الفاضل مدرساً ناجحاً فى معظم كتابه لأنه متصل الوقت والجهد بالتدريس مشرفا وأستاذاً ومحاضراً . والذى لا شك فيه أنه تطبع لهذا على أن يتصور أن الأذهان التى يحادثها أذهان طلاب فى حاجة دائمة إلى شىء من الإعادة والتكرار والتشويق والمبالغة أحياناً كلما اقتضت الظروف . غير أن هذا التطبع قد اضطره هنا إلى بعض الإطالة ، وصحيح أن الإطالة من مثله مرغوبة محببة لأنها تحمل فى غضونها معلومات مفيدة أو طريفة غالباً إلا أن حجم هذا الكتاب لا يحتملها نسبياً . فمثلا فى القسم الأول لكى يصل إلى تفهيمنا أن العلم يخدم السياسة يبدأ بأقوال شتى لمحمد عبده وأرسطوطاليس وبلاتون وسقراط، وإلى هنا يكون قدامتنفد سبع صفحات من تسع صفحات مخصصة للقسم كله.وهكذا فى سائر الأقسام تقريباً . كذلك يطيل فى شرح بديهيات . فقد عقد قسما كاملا عن ( العلم والمال ) يدور حول تعريف أصحاب الأموال والعقارات أنهم لو استخدموا الطرق العلمية فى إدارة أموالهم وتنظيم عقاراتهم لزاد إنتاجهم .

وهناك سمة أخرى من سماته كمدرس نلمسها حين يدلى ببعض آرائه فى صيغة الأحكام المؤكدة التى لا تقبل المراجعة أو التعقيب من ذلك قوله : « السياسة أرفع الفنون البشرية منزلة وأعلاها قدراً » ! ! لماذا ياسيدى ؟ يقول : « لأن كل فن يرمى إلى تحقيق فائدة لنفر من الناس ، أما فن السياسة فغرضه نفع الناس جميعاً » ! ! وأظن أنه ليس هناك ما يمنع أى إنسان من أن يرفع من شأن أى فن يشاء . غير أن السائغ المحتمل أن الفنون كلها رفيعة المنزلة بلا تفاضل ، كما أنه ينبغى أن ترمى كلها إلى نفع الناس جميعاً ، قد يجوز التفاوت ولكن هل يجوز أن يعزى — إن وجد — إلى الفائدة من حيث كثرتها أو عمومها ؟ ! وثالثاً :

**شخصية الأديب :**

وما بنا من حاجة إلى وصف الدكتور بالأديب فإن كل إنتاجه يمت إلى الأدب الممتاز بصلة وثيقة تفسح له بين أساطين

الأدب مكانا محترماً . غير أن معظم العلماء الأفاضل حين يكتبون يميلون إلى زخرفة أسلوبهم بما تدلهم عليه ( قواعد البلاغة ) ، وهذا الأسلوب على هذا النحو هو الذى ينم على أنهم عماء

لذلك نجد الدكتور تارة يصطنع « التضمين » اصطناعا يكاد يكون مقصوداً لذاته ، فيقول مثلا وهو يستحث الشرق لينهض كالغرب : « فإما خففنا معهم وإما تخاذلنا فقعدنا فرمونا بحجارة من سجيل فجعلنا كعصف مأكول » ، ويقول وهو يسرد حقيقة علمية معروفة : « الجسم إذا كان فى موضع مرتفع فإن ذلك يكسبه مقدرة خاصة على اكتساب الحركة فيكون كجلمود صخر حطه السيل من عل » .

ونجده تارة أخرى يستشهد بالشعر بغير ضرورة ملحة :

( العلم يرفع بيتاً لا عماد له) (على قدر أهل العزم تأتى العزائم )

بل يستشهد بشعر صوفى :

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

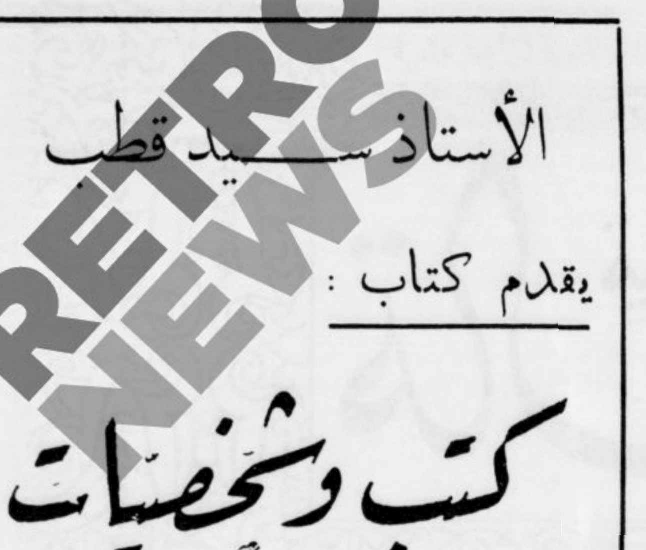
ولعل هذا كله للتنويع المقصود به الترفيه عن القارئ.

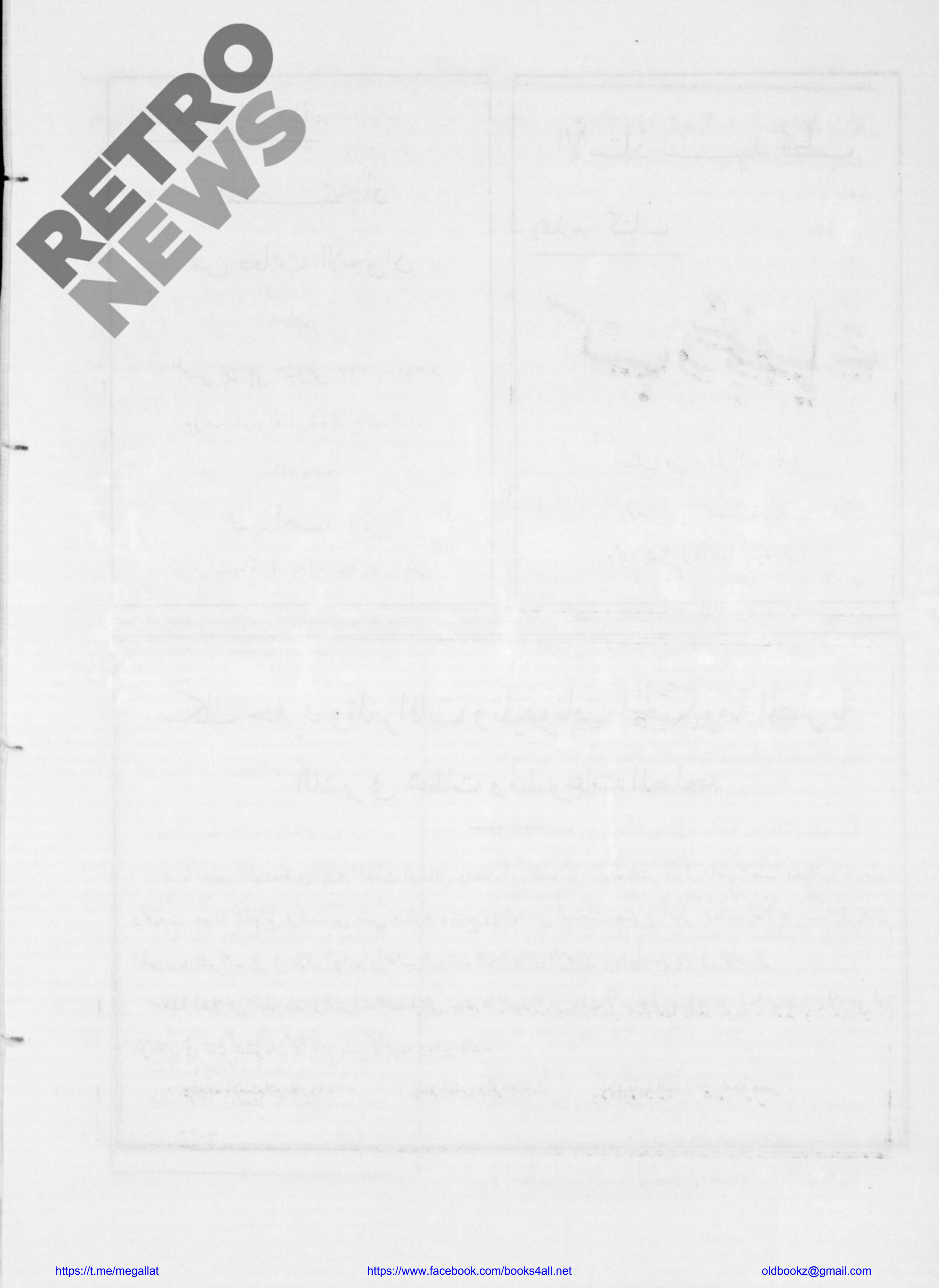
غير أن الحق أنه بهذه الشخصيات المتنوعة قد استطاع أن يجعل من كتابه هذا سجلا شاملا لحسنات يرجع إليها المستفيد لمحض الاستفادة والمستفيد لغرض الاستزادة علماً وعملا على السواء؛ فمن حسناته أنه يصحح أخطاء شائعة بين الجمهور وأخرى بين الأوربيين وثالثة بين العلماء . إذ من الجمهور من يعتقد أن الدين يؤخر العلم والكتابُ ينفى ذلك بالحجة الدامغة والواقع والمنطق الاستقرائى . ومن الأوروبيين من يعتقد أنهم أصحاب الفضل على العلم والكتابُ يبدههم بأن العلم إنما ازدهر قبل ميلاد الفكر الأوربى بمئات السنين . ومن العلماء من يعتقد أن (بيكون) هو الذى استحدث ( المنهاج ) والكتابُ يدلهم على أن المصريين والبابليين عرفوه من قديم . وهكذا . كتاب عظيم بمادته الغزيرة وحقائقه المدعمة بالأرقام حيثما كان للأرقام مجال . والمؤلف فطن غاية الفطنة إذ يعقب عليها بما يعود بالنفع على وطنه وعلى العالم جميعاً . فحينما يذكر مقدار الثروة المعدنية فى مصر يهيب بشباب العلم أن يفكر فى استخدامها وتنميتها ... وحين يقرر أن الجزء المزروع من الوجه البحرى فقط ( ٢٣٠٠ كيلومتر ) يمكن أن يسع سكان الأرض طرا ( ٢٠٠٠ مليون نسمة ) بحيث يخص كل فرد حوالى عشرة أمتار يستطرد فيشير إشارة خفيفة عنيفة إلى أن هذا النصيب الفردى الضئيل لا يحصل عليه كثير من المصريين ، ثم يستطرد فينبه الأثرياء إلى أن حريتهم فى أموالهم يجب أن تخضع للشعور بالمسؤولية وتقدير الواجب . وهكذا .

ولو أن فى الكتاب أيضاً آراء سلفية تردد أقوال سقراط وأفلاطون وجلوكون عن الجمهورية والطيموقراطية والأوليجراكية وهى — بالمعانى التى قصدها — أسماء تكاد تكون معدومة المسميات بل معدومة الوجود والأثر فى عام ١٩٤٦ لذى نعيش فيه ، ويحسن أن نعيش له وللأعوام المقبلة إلا أن الكتاب فى مجموعه كنز ثمين يزيد من قيمته أنه متجه كله نحو الخير والانسانية .

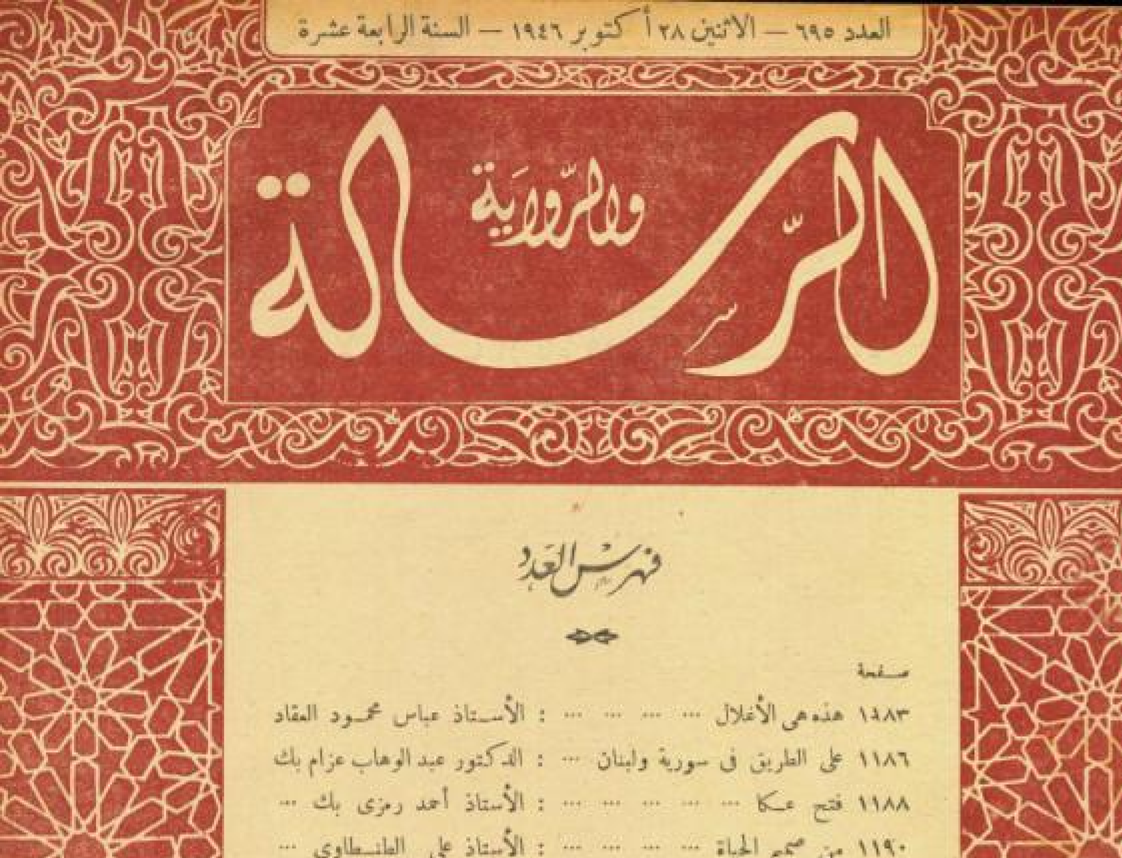
عبد الفتاح البارودى

---





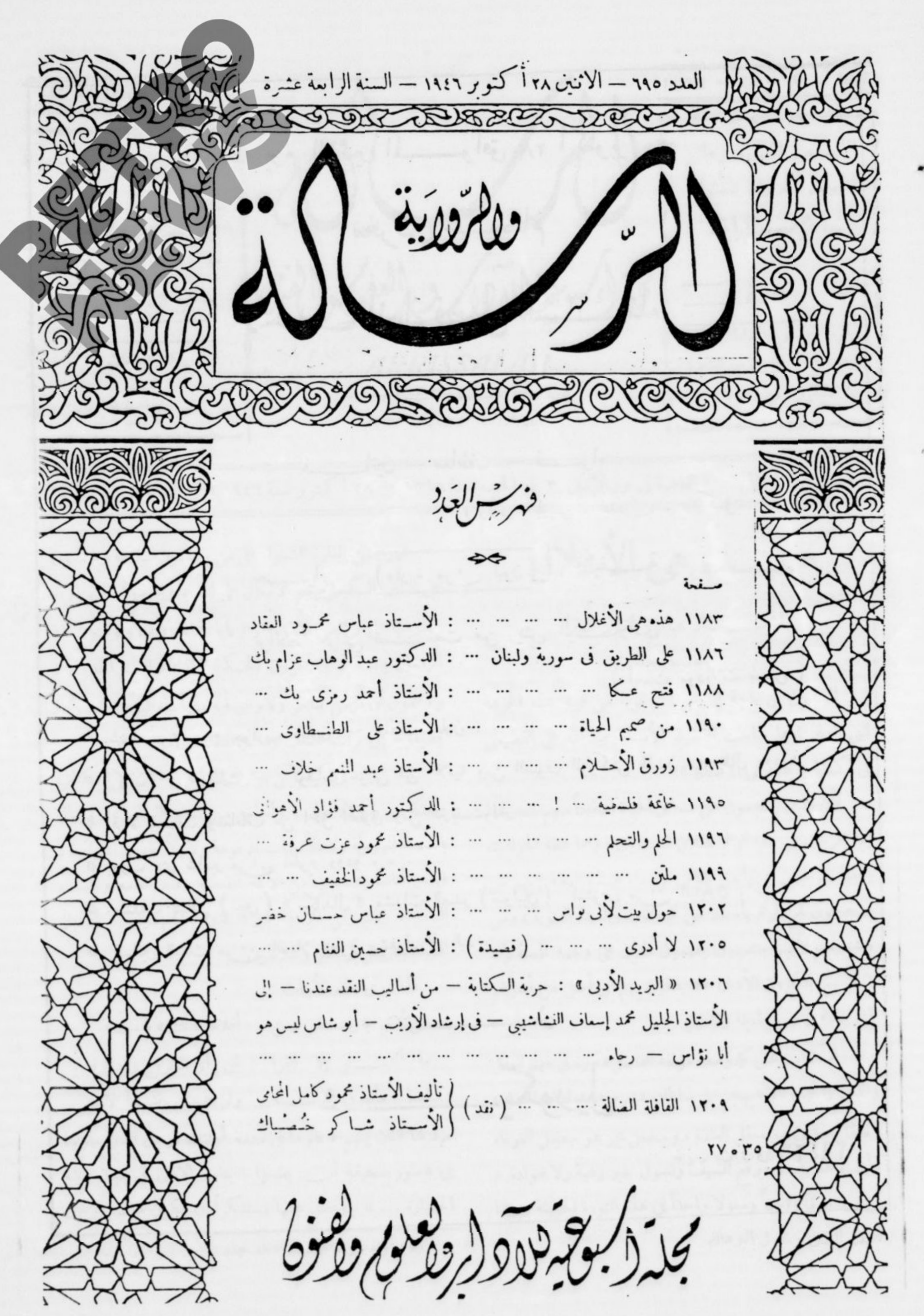
العدد ٦٩٥ — الاثنين ٢٨ أكتوبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة




فهرس العدد



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ٦٩٥ — الاثنين ٢٨ أكتوبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

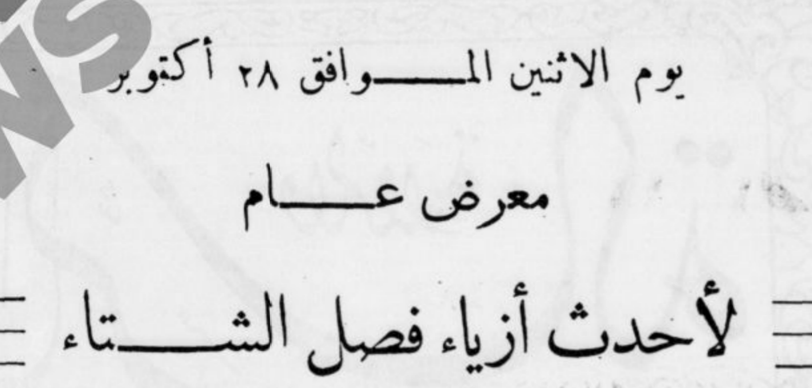
# الرسالة والرواية

## فهرس العدد



٢٧٠٣٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




يوم الاثنين المـــــوافق ٢٨ أكتوبر

## معرض عـــام

# لأحدث أزياء فصل الشـــتاء

فســاتين – معاطف – فــراء

( وارد : باريس . لندن . بروكسل . نيويورك )

حـــراير (واردة من ليون) قطيفـــة

برانيط حريمي صـــنعت من ريش البـــارادى

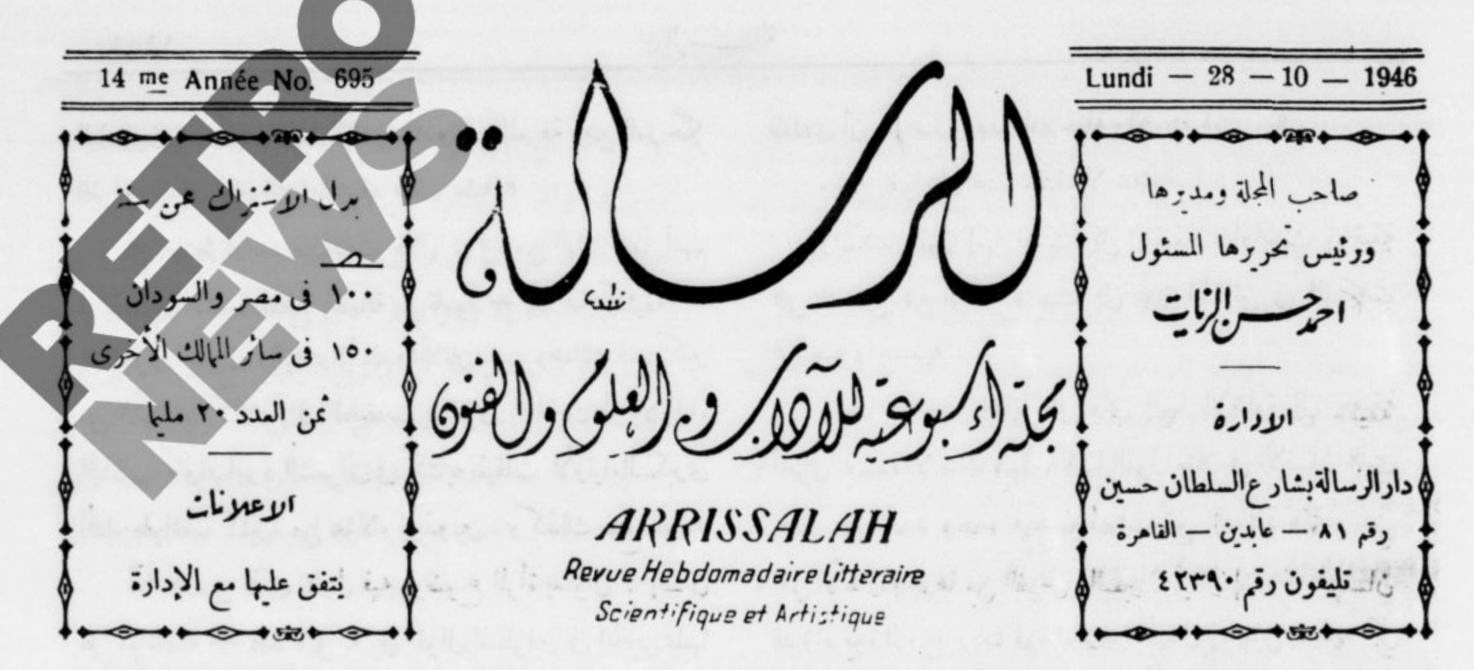
( أحدث موديلات باريس )

* شنط حريمى – جوارب نايلون – حمالات نايلون . . .
* كاف – مربعات – كوفيات حريمى من اللاميه ومن الصوف المزركش بالمعدن من محال روديبه . . .
* فراء للكاف ومعاطف من الحمل المحلوق ومن البريتـشوانتز . . .
* روب دى شامبر من الحرير روديا . . .
* مشدات للبطن (جين) « سكاندال » مشدات للصدر (سوتيين) كستوس من النايلون . . .
* فساتين للبنات من الفيبيلا بتطريز مشغول على اليد . . .

## عنـــــــد

# شـــــــيكوريل

م . ت . ق ٢٦٤٢٦




العـــدد ٦٩٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣ ذو الحجة سنة ١٣٦٥ — ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

# هــذه هى الأغلال

للأستاذ عباس محمود العقاد

المسلمون فى حاجة إلى جرعات قوية من قبيل هذه الجرعة التى ناولهم إياها صاحب الفضيلة الأستاذ عبد الله على القصيمى فى كتابه « هذه هى الأغلال ».

لأن الذين يحجمون عن مساعى الحياة اعتقاداً منهم بتحريمها إنما يخرجهم فى هذا الوهم عاملان ضروريان، وهما عظة الحوادث وعظة المرشدين، وأحق الناس بإسداء هذه العظة إليهم من يصححون لهم الوهم بأسناد من الكتاب والسنة النبوية، ومن يرشدونهم لأنهم متدينون يفهمون الدين على وجهه المستقيم، لا لأنهم ينكرون الأديان فلا يلتقون بهم فى أصل من أصولهم التى يتقبلون منها الحجة والدليل

والكتاب بحق كما وصفه مؤلفه الفاضل «ثورة فى فهم العقل والدين والحياة» لأنه يهجم على سلطان غشوم هو سلطان الجهل، ومعقل حصين هو معقل العادة، وجحفل مجر هو جحفل الغوغاء وأشباه الغوغاء، فيرفع السيف والمعول بغير رهبة ولا هوادة، ويعتمد سيفاً واحداً ومعولا واحداً فى هذه الثورة الجريئة، وهما سيف اليقين ومعول البرهان.

فهو يشن الغارة الشعواء على من يقدسون البلاهة ويوجبون على الناس الكسل باسم الاتكال على الله، ويحرمون تعليم المرأة وتدريبها على فرائض الأمومة والرعاية الاجتماعية، ويوهنون ثقة الإنسان بنفسه، وينكرون الحكمة القديمة والعلم الحديث، ويزعمون أن الزمن يتأخر ولا يرجى فيه من أبناء اليوم والغد رجاء يضيفونه إلى تراث السلف ومآثر المتقدمين

وقد استند فى كثير من معارض النقد على آيات من الكتاب وأمثلة من سير الأنبياء، وأسانيد من المنطق السليم، ولم يبال بالسمعة الموروثة ولا بالأنصاب المرفوعة ولا بالأكاذيب المتواترة، فهاجم أناساً يحسبون من الأئمة المقدسين عند العامة وأشباه العامة، وذب عن فلاسفة غير مسلمين لم يشهدوا عهد الأديان الكتابية مثل أرسطو وأفلاطون

فلما روى هذه الأبيات:

من أنت يا رسطو ومن أفلاط قبلك « يا مبلد »[1]
ما أنتمـــو إلا الفرا ش رأى السراج وقد توقد
فدنا فأحرق نفســـه ولو اهتدى رشداً لأبعد

مهد لها قائلا إنهم « قالوها فى مذمة أولئك الرجال الذين حاولوا فى عصور سحيقة أن يضعوا اللبنات الأولى فى بنيان هذه الحضارة ... ». وعقب عليها مستنكراً أن يكون هؤلاء الرجال

(١) وقد رواها الأستاذ « قد تجدد »

الباحثون » حكمهم حينما أرادوا الدنو من المعرفة ومن العلم حكم الفراش الذى يرى النور المتوقد فيثب عليه »

ثم استطرد بعد صفحات فقال : « ومن البلاء حقاً أنهم لم يقصروا عند امتداح الجهالة بل قاموا — ببلاهة كثيفة — يمتدحون الجنون والبله والبُـله والمجانين ... وهنالك قسم كبير من الأولياء كُتبوا فى الطبقات يسمون بالمجاذيب أو بالأولياء المجاذيب ، وقد أورد الشعرانى فى كتابه طبقات الأولياء الكبرى أسماء طوائف كثيرة من هؤلاء المجذوبين . وكذلك صنع غيره »

أما الفصل الذى تناول فيه موضوع المرأة بعنوان : إنسان هى أم سلعة — فقد قابل به بين أقوال المتطرفين فى الحجر عليها وأقوال المتطرفين فى تخويلها حقوق العمل والحرية ، ووقف بين الطرفين وسطاً يعدل بين هؤلاء وهؤلاء ، ولكنى أحسبه لو خير بينهما لآثر الإطلاق على التكبيل بقيود الحجر والجمود

***

ونحن نوافق الأستاذ القصيمى على الهدف الذى يرمى إليه ، وعلى الآفة التى يشكو منها ، ولكننا نخالفه فى بعض الآراء كما نخالفه فى بعض العبارات ، ولا نخص منها بالذكر هنا إلا جانباً واحداً يلتبس فيه الرأى ويبدو فيه الظاهر على وجه غير وجهه الباطن ، أو وجهه الذى نطلع عليه بعد المراجعة والموازنة بين الحقائق المتقابلة . فرب حقيقة تقابلها حقيقة أكبر منها ، ورب ناحية تراها وحدها فإذا هى مستنكرة ، وتراها فى مكانها من مجموعة النواحى المختلفة ، فإذا هى لازمة لا غناء عنها

هذا الجانب الذى نخصه بالذكر فى هذا المقام هو كلام الأستاذ على فلسفة التصوف إذ يقول : « إن وجه الخطأ فى هذه الفلسفة أنهم اعتقدوا أن الروح والجسد عالمان مستقلان متعاديان ، وأن كلا منهما حرب للآخر ، وأن كلا منهما أيضاً إنما ينمو ويزكو على حساب الآخر . فإذا أهين أحدهما وعذب نما الآخر وترعرع وقام بوظيفته خير قيام ، وإذا أكرم وأريح وأجم أصاب الآخر بالعكس .. وهذه فلسفة عقيمة لا تقف أمام الحقائق . فإن الروح مهما اختلف فى حقيقتها وفى تفسيرها تزكو وتقوى وتقدر على أداء وظيفتها إذا صح الجسم وقوى واستراح ، وتضعف وتخبو وتعجز عن القيام بعملها إذا مرض الجسم أو تعب أو عجز ... وهذه حقيقة هى اليوم فوق مذاهب الشك ، وفى استطاعة الرجل العادى أن يعلم صدق هذا بالملاحظة والاستقراء ... » .

ونحن نقول إن هذه حقيقة لا شك فيها .

ولكننا نقول إنها ليست كل الحقيقة ، أوليست بالحقيقة التى تستغنى عن الرجوع بها إلى جملة الحقائق فى الملكات الروحية والجسدية .

ولعلنا نستعجل الغاية التى نرمى إليها بالإشارة إلى حقيقة أخرى مجسمة لا شك فيها . فما القول مثلا فى الإنسان الذى يقبل على الجسد وحده فيجعله أصلب من الفولاذ وأقدر على حمل الأثقال وجرها من الفرس والبعير ؟ أيقال إن هذا الإنسان قد زاد قوة الروح بزيادة قوة الجسد ؟ أيقال إنه مثل يحتذيه كل إنسان ولا يصيب الأمة نقص فى الملكات إذا اقتدى به كل فرد من أبنائها ؟

لا يقال ذلك ، ولا يقال مع ذلك إنه مثل ضار وخيم العاقبة على أبناء الأمة ، بل يقال إنه لازم ومطلوب ومعقول ، وأن « القصد الحيوى » فى تربية الإنسانية يسمح للرياضة البدنية أن تصطفى لها أفراداً من هذا الطراز ، ويسمح للرياضة الروحية أن تصطفى لها أفراداً من طراز آخر ، ولا تسمح لهذه ولا لتلك بتعميم حكمها على جميع الآحاد .

هذا « القصد الحيوى » هو الحقيقة الكبرى التى تقابل تلك الحقيقة المبسوطة فى كتاب الأستاذ .

فالملكات الإنسانية أكثر وأكبر من أن ينالها إنسان واحد .

ولكنها ينبغى أن تنال . فكيف يمكن أن تنال ؟

إنها لا تنال إلا بالتخصص والتوزيع ، ولا يتأتى هذا التخصص أو هذا التوزيع إذا سوينا بينها جميعاً فى التحصيل ، وألزمنا كل أحد أن تكون له أقساط منها جميعاً على حد سواء .

ولا يقتصر القول هنا على الملكات العقلية أو الروحية التى لا يسهل إحصاؤها ولا تحصيلها ، ولكننا نعمّ به هذه الملكات ومعها ملكات الحس والجسد ، وهى محدودة متقاربة فى جميع الناس .

فهذه الملكات الجسدية — فضلا عن الملكات العقلية والروحية — قابلة للنمو والمضاعفة إلى الحد الذى لا يخطر لنا على بال ولا نصدقه إلا إذا شهدناه

وقد رأينا ورأى معنا ألوف من أبناء هذا البلد رجلا أكتع يستخدم أصابع قدمه فى أشياء يعجز الكثيرون عن صنعها بأصابع اليدين : يكتب بها ويشعل عيدان الثقاب ويصنع بها القهوة ويصبها فى الأقداح ويشربها ويديرها على الحاضرين ، ويسلك الخيط فى سم الإبرة ويخيط الثوب الممزق ، ويوشك أن يصنع بالقدم كل ما يصنع باليمين أو باليسار .

ورأينا ورأى معنا ألوف من هذا البلد لاعبى البليارد فى المسابقات العامة يتسلمون العصا ثم لا يتركونها إلا بعد مائة وخمسين إصابة أو تزيد ، ولعلهم لا يتركونها إلا من تعب أو مجاملة للاعبين الآخرين ، وهم يوجهون بها الأكر إلى حيث يريدون ، ويرسلونها بين خطوط مرسومة لا تدخل الأكر فى بعضها ، ولا تحسب اللعبة إذا لم تدخل فى بعضها الآخر . بحيث لو قال لك قائل إن هؤلاء اللاعبين يجرون الأكر بسلك خفى لجاز لك أن تصدق ما يقول .

ورأينا من يقذف بالحربة على مسافات فتقع حيث شاء ، ورأينا من ينظر فى آثار الأقدام فيخرج منها أثراً واحداً بين عشرات ولو تعدد وضعه بين المئات ، ورأينا من يرمى بالأنشوطة فى الحبل الطويل فيطوق بها عنق الانسان أو الحيوان على مسافة أمتار .

هذه هى الملكات الجسدية المحدودة ، وهذه هى آماد الكمال الذى تبلغ إليه بالتخصص والمرانة والتوزيع .

فما القول إذا حكمنا على الناس جميعاً أن يكسبوا أعضاءهم ملكة من هذه الملكات ؟

إننا نخطىء بهذا أيما خطأ ونعطلهم به عن العمل المفيد .

ولكننا نخطىء كذلك كل الخطأ إذا عاقبنا إنسانا لأنه أتقن ملكة من هذه الملكات الجسدية ، ولو جار فى نفسه على ملكات أخرى يتقنها الآخرون .

فاذا كنا جاوزنا بالقوى الجسدية حدودها المعهودة بالمرانة والتخصيص فما الظن بالقوى الروحية أو العقلية وهى لا تتقارب فى الناس ولا تعرف الحدود .

وإذا كان طالب القوة الروحية يجور على جسده فلما ذا نلومه وننحى عليه ونحن لا نعاقب اللاعب إذا جار على روحه أو عقله فى سبيل إتقان لعبة أو تدريب عضو أو تزجية فراغ ؟

إذا لمنا من يجور على جسده لأنه يضر الناس إذا اقتدوا به أجمعين فمن واجبنا أن نلوم كل ذى ملكة وكل ذى عمل وكل ذى ملكة وكل ذى فن وكل ذى رأى من الآراء ... فما من واحد بين هؤلاء إلا وهو يضر الناس إذا اقتدوا به أجمعين .

ومما لا جدال فيه أن نوازع الجسد تحجب الفكر عن بعض الحقائق الاجتماعية فضلا عن الحقائق الكونية المصفاة .

ومما لا جدال فيه أن شواغل العيش وهموم الأسرة عائق عن بعض مطالب الاصلاح فى الحياة اليومية ، فضلا عن الحياة الإنسانية الباقية على مر الدهور .

ومما لا جدال فيه أن طالب القوة الروحية كطالب القوة البدنية له حق كحق المصارع ، والملاكم ، وحامل الأثقال فى استكمال ما يشاء من ملكات الإنسان ، ولسنا على حق إذا أخذنا عليه أنه جار على جسده أو لذات عيشه ، لأننا لا نلوم المصارع إذا نقصت فيه ملكة الفن أو ملكة العلم أو ملكة لروح .

لو أصبح كل الناس مصارعين لفسد كل الناس .

ولكن لا بد من المصارعة مع هذا ، ولا بد من المتفرغين لها إذا أردنا لها البقاء .

ولو أصبح الناس كلهم متصوفين معرضين عن شواغل الدنيا لفسدت الدنيا وبطل معنى الحياة ومعنى الزهد فى الحياة .

ولكن لابد من هذه النزعة فى بعض النفوس ، وإلا قصرنا عن الشأو الأعلى فى مطالب الروح ، وفقدنا ثمرة « التخصص » أو ثمرة « القصد الحيوى » الذى ينظم لنا ثروة الأرواح وثروة العقول وثروة الأبدان .

* * *

فنحن لا نفند الحقيقة التى بسطها الأستاذ القصيمى فى كتابه الجرىء على الباطل .

ولكننا نقابل حقيقته بالحقيقة التى توازنها ونتمم لها موازينها ونقول إن الإفراط فى العناية الروحية كالإفراط فى العناية الجسدية بلاء إذا عم جميع الناس ، ولكن البلاء الذى هو أعظم منه وأقسى على الناس جميعاً أن يبطل فيهم « الاختصاص » ولو كان الإفراط من مستلزماته ، لأن « الإنسانية » كلها تستفيد من زيادة ملكاتها ، وهى لا تزيد إلا بنقص فى بعض الآحاد المعدودين .

عباس محمود العقاد

# على الطريق

## فى سورية ولبنان

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

أثبت فى هذا المقال طرفاً مما شهدت فى طريقى أثناء تجوالى فى سورية ولبنان فى سفرتى الآخرة

لا أعرض لما شهدت وسمعت فى المجامع والمجالس من آيات الحب والود بين البلاد العربية وإكبار إخواننا فى سورية ولبنان لمصر وأهل مصر ، ولكن أسجل حوادث طارئة ، وأمارات عابرة شهدتها على الطريق لم تصدر عن إعداد أو احتفال أو تكلف بل ترجمت به الأنفس عما فيها ترجمة صادقة خالصة :

سارت بنا باخرة صغيرة اسمها القاهرة من الأسكندرية تؤم بيروت . وكان ركبان الباخرة قليلين أشتاتاً ألَّف بينهم سفر قصير ، ولم أحاول أن أختلط بهم أو أتعرف إليهم ، وتركت نفسى على سجيتها ، والأمور على أذلالها

رأيت شاباً أسمر عربىّ السحنة يتكلم لهجة عذبة بين العامية والفصيحة .

قال : أنا من زحلة ، وأقيم مع أسرتى فى نيكارجوى من أمريكا الوسطى ، وهناك بيتان من العرب فقط ؛ ولكنا نحفظ لغتنا ونحرص على تعلمها والتكلم بها .

قلت : ولكن لغتك عربية خالصة تعلو على العامية .

قال : هذا أثر الدرس والقراءة

قلت : لقد نطق وجهك قبل لسانك بأنك عربى . فسرّ معتزاً

ورأيت كهلا يقيم فى دكار من بلاد السنغال وقد غاب عن بلده سنين كثيرة زهاء ثمانى عشرة فيما أذكر .

حدّثنى الرجل عن مهاجرى العرب فى دكار وعن تجارتهم ومكانتهم وعن العرب من أهل البلاد والمستعربين ، وأفادنى كثيراً من أخبار تلك البلاد وحالاتها . ومن طريف ما أخبرنى أن أهل السنغال شجر بينهم وبين الفرنسيين خلاف ، وامتد بينهم نزاع على بعض الأمور ؛ فقال السنغاليون يهددون فرنسا : نحن عرب ، وسنعمل للانضمام إلى الجامعة العربية

وسمعت عجوزاً من زحلة أو ما يصاقبها من القرى تقول وقد سمعتنا نتحدث عن اللغة العربية وحرص العرب عليها حيثما ساروا وأينما ساروا . قالت : أيترك الإنسان أمه إلى جارتها !

شرحت صدرى ، وأضاءت نفسى هذه الأحاديث وأشباهها وكم أصخت إلى صاحبى القادم من دكار يحدثنى فى ضوء القمر ، ونحن نساير الساحل الشرقى من البحر الأبيض ، ونرى جباله ومناراته وأضواء بلاده بعيدة خافتة .

ونزلت من الباخرة صباح السبت لعشرة من شهر آب ، وفى سحنتى ولهجتى ما يسّر لى الأمور فى الميناء

وأخذت سيارة إلى دمشق ، فلما بلغنا أول مخفر فى سورية وقف عليه السائق وتقدم شرطى ينظر فى السيارة . قلت : أتريد جوازالسفر ؟ فضحك وقال : عرفناك بلغتك . أهلا وسهلا ، مع السلامة مع السلامة . يعنى أنه عرفنى مصرياً .

ودخلنا مدينة حماة بعد ظهر الإثنين سادس شوال أنا ورفيق الأستاذ عبد المحسن الحسينى فطعمنا واسترحنا فى فندق أبى الفداء ثم خرجنا نتفرّج ونرى النواعير الهائلة على نهر العاصى ، ونستمع لحنينها الدائم . وكنا على نية زيارة ملك حماة أبى الفداء صاحب التاريخ . فقلت لصاحبى : نرجع إلى الفندق فلن نعدم من يتعرّف بنا ويدلنا على أبى الفداء . فلما بلغنا الفندق رأينا عربة تقف على الفندق ، فقلنا نركب هذه العربة إلى مزار أبى الفداء ، ورأينا رجلا ينزل من العربة وطفلا يبقى فيها ، فانصرفنا عنها ، وإذا الراكب الذى نزل يتقدم إلينا ضاحكا قائلا : أأعجبكما صورة العلم المصرى على ظهر الحصان . إن هذا الهلال والأنجم تصوّر العلم المصرى . قلنا : بارك الله فيك . وسألناه عن الطريق إلى أبى الفداء فعرّفنا نفسه وعرفناه ، فإذا هو من وجوه المدينة ولا أريد ذكر أسماء فى هذا المقال . قال : شرّفوا ودعانا إلى الركوب . قلنا : معك طفل ، وقد خرجت للتنزه ، أو جئت للجلوس فى هذه الحديقة ، فلا نصدك عما خرجت له . فأبى إلا أن نركب معه . فأجبنا دعوته وسرنا إلى ضريح أبى الفداء فى ظاهر المدينة ؛ ولجنا باباً فرأينا إلى اليمين حجرة صغيرة عليها قبة ، فدخلنا إلى

ضريح قديم كتب عليه اسم أبى الفداء وتاريخ وفاته . ثم هبطنا درجات إلى صحن فيه أنبوب يستخرج الماء من نبع ويستقى منه جيران المسجد . وتقدمنا شطر الجنوب إلى مسجد صغير قيل لنا إن العامة تسميه مسجد الحيايا ( أى الحيات ) لأن فيه عمداً على صورة الحيات . فدخلنا إلى مصلًى فى جداره القبلى إلى جهة الشرق نافذتان بينهما عمود من الرخام نحت نحتاً عجيباً ، وصورت عليه حبال متداخلة مجدولة كأنها حيات التفّ بعضها على بعض

وأبى كرم السيد الذى شرّفنا بصحبته إلا أن يرينا بعض الدور الأثرية فى حماة . فقلنا : قد رأينا دار العظم فى مهرجان أبى العلاء . فسار بنا إلى حىّ قديم فيه دار كبيرة جليلة مشرفة على العاصى ، هى دار الكيلانى ، فاستأذن لنا من أهلها فدخلنا فرأينا من نظام بيوتنا العتيقة وجمالها وجلالها ما راقنا وسرّنا .

وأمر مضيّفنا السائق أن يتوجه تلقاء داره . فسرنا إلى دار نزهة خارج المدينة على منحنى العاصى مشرفة على النهر يزينها وتزينه ، وجلنا فى الحديقة إلى النواعير الخمس التى ترفع الماء إلى البساتين المجاورة ، فكان مشهداً عجيباً جميلا . وكان لأصوات النواعير وخرير المياه بين الأشجار ومجرى النهر وأشعة الأصيل الشاحبة على النواعير العالية جمال ورهبة وسحر .

ثم جلسنا فى حديقة الدار مطلين على النهر فى حفاوة صاحب الدار وكرمه .

فلما استأذنا أبى إلا أن يعود بنا إلى الفندق ، ولم يستجب رجاءنا إذ أشرنا عليه بالاستراحة فى داره ، وكان يشكو ألماً يقطع عليه حديثه بين الحين والحين . ورجع بنا إلى الفندق وجلس معنا فى المقهى حيناً ، وقام ليذهب إلى الطبيب معتذراً إلينا . وقد ألح علينا أن نبقى إلى الغد ، فعرّفناه أنا أزمعنا السفر ليلاً إلى حلب

فهذه حفاوة سيد من سادات حماة بمصريين قابلاه على الطريق دون معرفة سابقة . بارك الله فيه وفى طفله بشّار الذى آنسنا بصحبته وراقنا بمخايله وبما قصّ والده من أحاديث ذكائه .

وليس هذا إلا مثلا كريماً مما يلقاه المصرىّ فى الشام حيث توجّه !

***

وأزمعنا السفر إلى حلب بالقطار ، وعلمنا أنه يبرح محطة حماة والساعة ثلاث ونصف بعد نصف الليل ؛ فلم يثن هذا عزمنا وتركنا الفندق والساعة اثنتان ونصف .

وبينا نحن فى انتظار القطار تقدم نحونا شرطىّ عرفنا بوجوهنا أو لهجتنا ، فتحدث إلينا وتلطف . وساق الحديث إلى ثورة سورية وبلاء أهل حماة ، وأفاض الرجل فى الحديث ، ثم تكلم عن الجامعة العربية ، وعن عبد الرحمن عزام فأثنى عليه . ثم نظر إلى وقال : أرى فيك والله شبهاً منه . فضحكت وقلت : هل رأيته ؟ قال : رأيت صورته . ومازال الرجل يتعهدنا حتى أركبنا القطار وودّعنا .

فهذا شرطىّ فى محطة صغيرة فى أخريات الليل لم يشغله عمله وتعبه عن الحديث والودة . ولم يقصر علمه عن معرفة البلاد العربية والجامعة العربية ورجالها .

( للكلام صلة ) **عبد الوهاب عزام**

---

# فتح عـــكا

(٦٩٠ هجرية — ١٢٩١ ميلادية)

للأستاذ أحمد رمزى بك

جاء فى نهاية المقال القيم الذى كتبه الأستاذ محمود عزت عرفة بعدد الرسالة رقم ٦٩٣ أن سقوط عكا بيد المسلمين كان فى عهد الملك الظاهر بيبرس ، والحقيقة أن الفتح تم فى عهد الملك الشهيد الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون فى سنة ٦٩٠ هجرية ١٢٩١ ميلادية ، وقد تم على يده فتح صور وصيدا وبيروت وغيرها من مدن الساحل فأعادها إلى الاسلام ، وأطلق على هذه الحروب إسم الفتوحات الأشرفية ، واستمر المسلمون قرونا بالساحل والجبل يؤرخون بهذا الفتح فيقولون تم هذا فى أيام الفتح الأشرفى أو بعده أو قبله . وفى بيروت حىّ مشهور اسمه حىّ الأشرفية نسبة إلى ملك مصر الشهيد الأشرف خليل بن قلاوون ، وقد ذكر جيبون المؤرخ الانجليزى نهاية هذه الحروب وهذا الفتح فقال : « ساد سكون محزن على امتداد ذلك الساحل الذى ظلّ أزماناً طويلة ميداناً تسمع فيه قعقعة سيوف نضال العالم » .

وهذا الفتح من أهم الفتوحات الاسلامية التى منّ الله بها على مصر الاسلامية فى أزهى عصورها بل جعل منها دولة مهيبة الجانب يخشاها العدو ويرهبها الصديق ، وبقيت موضع رعب أوربا حتى موقعة امبابة أيام نابليون .

ويقول ابن الفرات فى كتابه إن سلطان مصر لما عزم على التوجه إلى حصار عكا أمر بجمع العلماء والقضاة والأعيان والقراء بتربة والده الملك المنصور وهى لا تزال بالقاهرة إلى اليوم وتعدّ تحفة من تحف الفن الاسلامى العربى ومفخرة من مفاخر ذلك العصر . أرجو أن تذهب لرؤيتها وإشباع النظر بها .

قال إنهم اجتمعوا فى ليلة الجمعة الثامن والعشرين من صفر من هذه السنة ، وباتوا بالقبة المنصورية يقرأون القرآن الكريم ، وحضر الملك الأشرف إلى التربة فى بكرة نهار الجمعة وتصدّق بالهبات وفرّق على القراء والفقراء أموالا كثيرة غير الكسى والهدايا التى وزعها على أهل المدارس والرباطات والزوايا . كأنه كان يودع والده حينما عزم على التوجه للجهاد .

وفى الثامن من ربيع الأول نزل السلطان من القلعة وتوجه بالعساكر المنصورة إلى دمشق وسار منها حتى نزل على عكا وحاصرها وسدّ الطرق عليها ، وكان الفرنجة لما بلغهم مسير الجيوش الاسلامية المصرية وعزم السلطان على محاصرة مدينتهم فى قلق زائد ، ولذلك كتبوا إلى ملوكهم وسألوهم النجدة . فاجتمع لديهم جموع من مختلف مللهم ونحلهم . ويقول السير وليم مور « إن جزيرة قبرص بعثت بنجدة إليهم » ، ولكن الذى يظهر من كلام المؤرخين المعاصرين أن أكثر النجدة أتت إليهم من الأرمن المقيمين بالمشرق .

وليس فى عزمى شرح المعارك التى ظهر بها المسلمون على الصليبيين فى آخر عهدهم ، ولا ذكر القتال يوماً بعد يوم وتتبع الشهداء والقواد وأهل الرياسة من جند مصر والشام فتلك ملحمة من ملاحم الاسلام أجمع لها المواد ليوم قريب بإذن الله ؛ كما أنه ليس فى العزم أن أكتب عن الملك الشهيد الأشرف خليل وحياته ، ولذلك نمرّ على ذلك مراً ، ونكتفى بشهادة بعض المعاصرين نقلا عن صاحب النجوم الزاهرة .

قال النويرى : « كان ملكا مهيباً شجاعاً مقداماً جسوراً جواداً كريماً » .

وقال الذهبى : « لو طالت أيامه لأخذ العراق وغيرها . فانه كان بطلا شجاعاً مقداماً مهيباً عالى الهمة » .

وقال صاحب النجوم « وجمهور الناس على أنه أشجع ملوك الترك قديماً وحديثاً بلا مدافعة ، ثم من بعده الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ، وشهرتهما فى ذلك تغنى عن الاطناب فى ذكرهما » .

ولقد كان الأمير بيبرس المنصورى شاهد عيان لمعركة عكا ،

ولذلك أطنب فى وصفها ووضع ذلك فى كتابه « زبدة الفكرة »

وقال إن هذا الفتح العظيم جاء فى يوم الجمعة المبارك السابع عشر من جمادى الآخرة من سنة ٦٩٠ ، وإن عكا انتزعت من يد المسلمين فى عهد صلاح الدين سنة ٥٨٧ ، وبقيت بيد الصليبيين ١٠٣ سنة ، وختم كلمته بقوله : « لله الحمد على انتصار المسلمين واستظهار الموحدين بهمة أولى الهمم العلية ، والعزمات المنصورة المنصورية ( نسبة إلى المنصور قلاوون ) الأشرفية ( نسبة إلى الأشرف خليل ) ، ولا شك فى أن هذه الطائفة أربت على الأول ونالت بها الدولة من النصرة والنضرة ما لم تنله الدول » .

ويصف السير وليم موير فى كتابه « تاريخ دولة المماليك » سقوط آخر معقل للصليبيين بالمشرق والحقد يأكل قلبه فهو لا يترك نقيصة إلا ألصقها بالمسلمين وملكهم فيقول : « حتى الفرسان الذين وُعدوا بأن يفسح لهم طريق النجاة أمر السلطان بقطع رقابهم جميعاً بدون رحمة ، وأن ما لاقاه أهل بيروت من إهدار دمائهم وقتلهم صبراً لا يقل فظاعة عما وقع فى عكا » . يسوق كل هذا ولا يبين لنا أسباب هذا الغدر من الجانبين .

ولقد احتفلت العاصمتان مصر ودمشق بهذا الفتح الأشرفى العظيم ، ولما دخل الأشرف مدينة دمشق زينت له الشوارع وأقيمت القباب وأقواس النصر ، ودخل وبين يديه الأسرى من الفرنج تحت الخيول وفى أرجلهم القيود وأعلامهم منكسة ، ولما دخل مصر شق المدينة من باب النصر إلى باب زويلة ، وأقيمت له الاحتفالات الشائقة .

ولما كثرت الأقاويل والروايات عن هذا الفتح ، وصرح كثيرون أنهم تنبأوا به قبل وقوعه ، وقال بيبرس المنصورى : ولما أتاح الله هـذا الفتح وسهله وأباحه وعجّله قرظه الشعراء ، وذكره الفضلاء » .

وقد اطلعت فى كتاب ابن الفرات على الكثير من القصائد التى قيلت أعجبنى منها بعض الأبيات أنقلها لقراء « الرسالة » .

فمن قصيدة الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد بن عمر المنجى التاجر المقيم بالقاهرة :

بلغت فى الملك أقصى غاية الأمل
وفُقت شأو ملوك الأعصر الأول

ونلت بالحول دون الناس منفرداً
ما لم تنله ملوك الأرض بالحيل

وهى طويلة فيها العربية السهلة وبعض الألفاظ العامية ومن الغريب أن يأتى بعد خمسة قرون من ينحو نحوها ويقول :

ماذا أقول وكيف القول فى ملك
قد فاق كل ملوك الأعصر الأول

وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر أظنه صاحب سيرة الملك الظاهر :

يا بنى الأصفر قد حل بكم    نقمة الله التى لا تنفصل
قد نزل الأشرف فى ساحلكم    فابشروا منه بصفع متصل

وكتب القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبى كاتب الانشاء قصيدة أطول من كل هذا نحا فيها نحو صاحب قصيدة « السيف أصدق أنباء من الكتب » ، وقلّد عباراته وتشبيهاته جاء فيها :

بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت
بك الممالك واستعلت على الرتب

فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها
مدّت إليك نواصيها بلا نصب

أدركت ثأر صلاح الدين إذ غضبت
منه لسر طـــواه الله فى اللقب

إن عكا مدينة عزيزة على القلب بذكرياتها ، اقلب صفحات الفتح الأشرفى فاقرأها بجانب صفحات من عاصر صلاح الدين وعانى قلقه على جنوده المحاصرين بقلعتها . أمضيت أياماً أسجل من سيرته تنقلاته فى التلول المقابلة لسهول عكا ، وأتابع تلك النفس العظيمة ، ولذلك كنت كلما مررت بهذه الجهات يخفق قلبى وتهتز نفسى شوقاً إلى أرواح الشهداء الذين ماتوا على تلك البقعة التى تجمع مع الطهارة الخلود فى نفس كل مسلم .

أحمد رمزى

# من صميم الحياة . . .

للأستاذ على الطنطاوى

هذه قصة شاب مدرس فى ثانوية من ثانويات البنات فى بلد من بلاد الله حديث السن لم يجاوز إلى الآن الرابعة والعشرين ، معتزل متفرد عاكف على كتبه ودفاتره ، لا يخالط الناس ، وليس ممن يبتغى الظهور فيهم والحظوة لديهم ، فلا يحاول أحد من القراء أن يبحث عنه أو يسعى إلى معرفته ، وليكتفوا من قصته التى قصها علىّ بمكان العبرة منها ، إذا كان قد بقى فى القارئين من يفتش على العبرة ، أو يسعى إلى الاعتبار ...

***

وهذا الشاب ابن صديق من أدنى أصدقائى إلى قلبى ، وكان فى صباه تلميذاً لى ، وكان من أذكى الطلاب قلباً ، وأطهرهم نفساً ، وأمتنهم خلقاً ، وأتقاهم لله فى سرّ وفى علن ، وكان على صغره جاداً بعيداً عن المزاح ، مجتنباً الهزل ، باراً بأمه وأبيه ، لايعرف إلامدرسته وبيته ، لم يُرَ قط واقفاً فى طريق ، أو ماشياً إلى لهو ، وثبت على ذلك حتى شبّ وأكمل الدراسة ، وفارق المدرسة ، وهو لم يدخل قهوة ولاسينما ، ولم يصاحب أحداً أبداً ، ولم يجالس امرأة غير أمه ولم يكلمها . .

وكان لذلك بمنزلة الأخ الأصغر منى ، أحبه محبة الإبن ، ويجلنى إجلال الوالد ، وكان ينفض إلىّ دخيلته ، ويكشف لى سريرته ، وكان من مزاياه أنه صادق اللهجة ، لم أجرّب عليه فى هذه المدة الطويلة كذباً قط ...

***

وانقطع عنى مدة طويلة ، ثم رأيته فأخبرنى أن والديه قد توفيا بالتيفوئيد فى شهر واحد ، وأنه غدا وحيداً فاحترف التعليم ، وبعثتْ به الوزارة ، لما تعلم من عظم أخلاقه ، إلى مدرسة ثانوية للبنات ، فثار وأبى وطلب نقله إلى غيرها من مدارس البنين ، فما زالوا به يداورونه ويقنعونه بأنه إن كان معلمَ البنات رجل مثله ، فذلك خير لهن من أن يدخل عليهن فاسق خبيث ، وإن قبوله التدريس فى هذه المدرسة قربة إلى الله ، فخدع المسكين وقبل!

قال : وبتّ ليلة افتتاح المدرسة بليلة نابغيّة لم ينطبق فيها جفناى ، من الفكر والوساوس والمخاوف ، فلما أصبح الصباح ذهبت أقدم رجلا وأؤخر أخرى ، حتى دخلت المدرسة ، فما راعنى عند الباب إلا أن فتاتين كاملتى الأنوثة ليستا بالصغيرتين ولا القاصرتين قد دخلتا أمامى ، فلما صارتا من داخل ألقتا عنهما الخمار ، فعادتا كأنهما فى دارهما . وتلفتّ حولى فإذا ملء الساحة فتيات نواهد نواضج الأجساد ، قد حسرن ورحن يلعبن ويمشين وهنّ بالثياب الحريرية الزاهية ، شعورهن مهدّلات على الأكتاف ، والسواعد عاريات والسيقان ، فأحسست كأنما قد صبّ علىّ دلو من الماء الحامى ، فاحترقت منه أعصابى ، فاستدرت راجعاً ونفضت يدى من الوظيفة ، وقلت : الرزق على الله !

وقصدت بيتى فما وسعنى والله البيت ، ووسوس إلىّ ( لا أكتمك ) الشيطان ، وزين لى تلك المتعة بمعاشرة أولئك الفتيات ، والحياة بينهن ، فاستعذت بالله ، وأعرضت عنه ، وذهبت أفتش عن عمل غير هذا ، فسدّت فى وجهى الأبواب إلا هذا الباب ، ولاحقتنى الوزارة وإدارة المدرسة حتى عدت مكرهاً . .

وأنا رجل رضت نفسى على العفاف ، وأخذتها بضروب الرياضات حتى سكنت شِرّتها ، ولكنها مع ذلك كانت تثور بى كلما سبقت عينى وأنا غافل إلى فتاة فى الشارع كاشفة ، أو سمعت أذنى حديثاً من أحاديث الشبان سقط إلىّ وأنا لا أطلبه ، أو قرأت ( وقلما أقرأ ) قصة خليعة ، أو نظرت ( ونادر أن أنظر ) مجلة من هذه المجلات الداعرة الخبيثة وما المرأة التى يفتش عنها الشبان ويتحدثون عنها إلا هذه النّصف التى تصلح ما أبلى منها الدهر بالثياب والأصباغ وما عند العطار ، والتى تقاذفتها الأيدى حتى صارت كالغصن الذاوى وكالثوب الخَلَق ، فما بالك بشاب كتب عليه أن يعاشر النهار كله فتيات كزهرة الفلّ ، أو كالغلالة الجديدة ، لم تمسسهن يد بشر ، ولم يعرفن من تجارب الحياة ما يتقين به شبا كها ، ويطلب منه أن يكون عفيفاً شريفاً ، وأن يكنّ هن أيضاً عفيفات شريفات ، وله فى نفوسهن مثل الذى لهن فى نفسه ؟

يا أستاذ ! إن الخطر أشد مما تتوهمون أنتم معشر الكتاب المعتزلين فى بيوتهم أو فى أبراجهم العاجية ، كما يقولون عن أنفسهم ، الخطر أشد بكثير .. شباب وشابات ، يُصبى كلاً منهما أن يشم ريح الآخر من مسيرة فرسخ ، يجتمعون على دروس الأدب وقراءة أشعار الغزل ... تصور ( يا أستاذ ) المدرس يلقى على طالباته حديث ولاَّدة وابن زيدون ، وإنها كتبت كما رووا ( كذباً أو صدقاً ) على حاشية ثوبها :

أمكن عاشقى من صحن خدى وأمنح قبلتى من يشتهيها

ويمضى يشرح لهن ذلك ويفسره لهن . . حالة فظيعة جداً يا أستاذ ... ولو كن كبيرات مسنات ، أو كن مستورات محجبات ، أو لو كن صائمات مصليات يخفن الله ، لهان الأمر ، ولكنهم يجتمعون بهن على سفور وحسور وتكشف ، وتنطلق البنت حرة تزور معلمها فى داره ، وتمشى معه إن دعاها إلى السينما أو المتنزَّه ، كذلك يرى الآباء اليوم بناتهم فلا ينكرون ذلك عليهم .. !

أنا لا أقول إن الآباء كلهم لا يهمهم أعراض بناتهم ، وأن كل أب قَرْنان ، معاذ الله أن أقول ذلك ، ولكن هؤلاء الآباء قوم مغفلون ، أعمى أبصارهم بريق الحضارة الغربية فحسبوا كل شىء يجىء من الغرب هو خير وأعظم أجراً ، ولو كان ذهاب الأعراض والأديان و لأبدان ! إن هؤلاء كالنعامة يلحقها الصياد فتفر منه حتى إذا عجزت أغمضت عينيها ودسّت رأسها فى التراب لظنها أنها إذا لم تبصر الصياد ، فإن الصياد لا يراها ! إن هذا الأب يحسب أن كل رجل ينظر إلى ابنته بعينه هو ، وطبيعى منه ألا ينظر هو إليها بعين الشهوة ، فلذلك يطلقها فى الشارع ، ويبعث بها إلى المدرسة على شكل يفتن العابد ، ويحرك الشيخ الفانى .. !

***

دخلت يا سيدى ودرست ، وكنت أغض بصرى ما استطعت وأحافظ على وقارى ، ولا أنظر فى وجوه الطالبات إلا عابساً ، ولا أقول كلمة فى غير الدرس المقرر ، وكنت مع ذلك أدارى من أثرهن فى أعصابى مثل شفرة السيف الحديد ، وإذا قرع الجرس خرجت قبلهن مهرولا حتى لا أماشيهن ولا أدنو منهن ، فذهبت مسرعاً إلى دارى أصلى وأسأل الله أن يصرف عنى هذه المحنة ، وأن يجعل رزقى فى غير هذا المكان ، وكنت أصوم وأقلل الطعام لأطفئ هذه النار ، فإذا مشيت إلى الفصل وسمعت كلامهن ، وسبقت عينى إلى بعض ما يبدين من أعضائهن وزينتهن زادت ضراماً واشتعالا .. !

وكان فيهن طالبة هى ... لا .. لست أصفها ولا ينفعك وصفها ، وحسبك أن تعلم أنها زكية ومتقدمة فى رفيقاتها ، وأنها من أسرة من أنبل الأسر ، وأنها فوق ذلك جميلة جداً . . جداً . . إنها تمثال ، هل رأيت مرة تماثيل الجمال والفتنة ... ؟ وكانت كلما نظرتْ إلىَّ قرأت فى عينيها كتاباً مفتوحاً ، رسالة صريحة لى أنا وحدى ، وأحسست منها بمثل شرارات الكهرباء تحرق قلبى ... فكنت أزداد عبوساً وإعراضاً ، فلا يردها عبوسى ولا يثنيها إعراضى ، وأسرعت مرة ورائى وأنا خارج وهى تناديني : « سؤال يا أستاذ » ... ولها فى صوتها رنّة ... يا لطيف . . ! فوقفت لها فجعلتْ تدنو منى حتى شعرت كأنى ألامس ... ألامس ماذا ؟ لا أجد والله شيئاً أشبهها به ، لأنه ليس فى الدنيا شىء آخر له مثل هذا التأثير ... فهربت منها وأسرعت إلى الدار ، وحرصت على ألا أدعها أو أدع غيرها تفعل مثل هذا !

وكنت أكتب الدرس فى كراس وأدفعه إليهن لينسخنه ، فهو يدور عليهن ، فلما كانت نوبتها عاد إلىّ الكراس وفيه هذه الأبيات لعلى بن الجهم :

نطق الهوى بجوى هوالحق وملكتنى فليهنك الرق
رفقاً بقلبى يا معـــذبه رفقاً وليس لظـــالم رفق
وإذا رأيتكِ لا تكلمنى ضاقت علىّ الأرض والأفق

مكتوبة بخطها منقولة من (المنتخب) ، فمحوتها وكتمت الأمر ، وعقدت العزم عقداً مبرماً على ترك التدريس ، وخرجت من الفصل بهذه العزيمة ، وكان فى الساحة تلميذات فرقة أخرى فى درس الرياضة ، وقد اصطففن بالشَّلحات ، كاشفات الأفخاذ والأذرع ، راسخات النهود ، يقفن كذلك بين الرجال (والمعلمون كلهم رجال ) ... فكبر رأسى وأسرعت إلى الشارع ، وقد حلفت ألا أعود ولو متّ جوعاً ، وبعثت بكتاب الاستقالة !

ومرت أيام وكنت وحدى فى الدار — وأنا وحدى دائماً ليس لى زوجة ولا قريب — فإذا الباب يقرع ، فقمت ففتحت وإذا بها تدخل علىّ ، وتغلق الباب وراءها ، وترفع الغشاء عن وجهها ، وتلقى المعطف عن منكبيها ، وكأن تحت جلدها الأبيض المورّد الناعم أنهاراً من الدماء تجيش بالرغبة ... مثل الشلالات المتحدرة ، وجلست أمامى كما تجلس أمام زوجها . . وقعدت تحدثنى تطلب درساً خصوصياً ، وعيناها تحدثاننى تطلبان غير الدرس ... ولست يا أستاذى رجل سوء ولا أليف دعارة ، ولكنى رجل على كل حال ... فلما رأيتها فى دارى ... وتحت يدى ... والباب مغلق ... وهى تريد ... ملكنى الشيطان ... ورأيت الدنيا تدور بى ، ولما حاولت أن أتكلم اختنق صوتى ثم خرج وفيه بحة غريبة كأنى أسمع معها صوت إنسان آخرغيرى ، وهممت يا أستاذ ... ولكن صوت الدين رنّ فى أذنى ، ينادى لآخر مرة كما يصرخ الغريق آخر صرخاته ... فاستجبت له ... ولوأعرضت عنه لحظة لضاعت هذه الفرصة إلى الأبد ، ولخسرت أنا والبنت الدنيا والآخرة من أجل لذة لحظة واحدة ... ولم أتردد بل قلت لها بصوت بارد كالثلج ، قاطع كالسيف ، خشن كالمبرد : « يا آنسة ، أنا آسف ، إن هذه الزيارة لا تليق بطالبة شريفة ، فاخرجى حالا ! » ... وفتحت لها الباب وأغلقته خلفها ، وتم ذلك كله فى دقيقة !

ولما خرجتْ ندمت ... نعم ندمت ... وعاد الشيطان يوسوس لى ، وضاق بى المنزل حتى كأنى فيه محبوس فى صندوق مقفل ، ولم أعد أدرى ما ذا أصنع ، وأحسست أنى أضعت كنزاً وقع إلىّ ، وتغلبت غريزتى ، فأخفت صوتها صوت الدين والعقل، وأحسست توتراً فى أعصابى ، حتى وجدت الرغبة فى أن أعضّ يدى بأسنانى ، أو أضرب رأسى بالجدار ، وعدت أتمثل حركاتها ونظراتها ... فأراها أجمل مما هى عليه ، وأحس بها فى نفسى ، فكأنى لا أزال أشم عطرها ، وأرى جمالها ، بل لقد مددت يدى لأمسك بها ، فإذا أنا أقبض على الهواء ، وخيّل لى الشيطان أن هذه البنت لم تعد تستطيع البصر بعد أن أذكى هذا النظام المدرسى نار غريزتها ، وأنها ستمنح هذه الـ ... هذه النعمة رجلا غيرى ... فصرت كالمجنون حقاً ، وحاولت أن أقرأ ففتحت كتاباً فلم أبصر فيه شيئاً إلا صورتها ، وأردت الخروج فرأيتنى أنفر من لقاء أىّ من أصحابى كان ولا أريد إلا إياها ، وحسدت إخوانى المدرسين الذين لم يتربوا مثل تربيتى الصالحة ، فتمنعهم من الانطلاق فى هذه اللذائذ انطلاق الذئب فى لحم القطيع الطرىّ !

والعفو يا أستاذ إذا صدقت فى تصوير ما وجدت ، فأنت أستاذى أشكو إليك ، وأنت الرجل الأديب قبل أن تكون الشيخ والقاضى ، فقل الآن ما ذا أصنع ؟ إنى تركت التدريس واشتغلت بغيره ، ولكنى لم أستطع أن أنساها ، ولو أنا أردت وصالها لقدرت عليه ولكنى لا أريد ، فما ذا أصنع يا أستاذ ؟ لقد حاولت الزواج ، فرأيت الأب الذى لا يكاد يمنع ابنته حراماً لا يمنحها حلالا إلا بمهر وتكاليف يستحيل دفعها على مثلى ، فأيست من الزواج ، فما ذا أصنع ؟

* * *

ماذا يصنع يا أيها القراء ؟ قولوا ، فإنى لم أجد والله ما أقول!

( دمشق ) علي الطنطاوي

# زورق الأحلام ...

للاستاذ عبد المنعم خلاف

هذه السفينة الجوية الجبارة التى طارت فى أربعين ساعة من هونولولو إلى القاهرة فى مرحلة واحدة ، مصعدة إلى جزر الوشيان وشبه جزيرة ألاسكاو منطقة القطب الشمالى ، ثم حادرة إلى جزر جرينلند وأيسلند والجزر البريطانية والقارة الأوربية والبحر المتوسط ، مخترقة أجواء مختلفة ومناطق متضادة ، حاملة عشرة رجال من طلائع الإنسانية الحديثة ... إنها زورق أحلام حقاً تطير به الإنسانية كلها من أمسها إلى غدها فى غزوة من غزواتها للطبيعة

أجل، ليس الذين طارت بهم عشرة وحسب ، وإنما هم الإنسانية كلها عبرت حاجزاً ، وكسرت قيداً ، وتخطت عقبات، وكشفت مجهولا ، وأدخلته فى رحاب المعلوم ، وصححت أخطاء ، ومهدت طريقاً لنفسها فى سعيها الحثيث نحو صوب مجهول ...

وإنه لزورق أحلام حقاً عاشت به الإنسانية الواعية الراصدة فى حلم سعيد ما لبث معبّر الزمان أن أوّله وعبره مع فلق صباح جميل على أرض النيل ...

وقد أحسست قلبى يرافق هؤلاء العشرة حين علم بانطلاق ذلك الزورق من قيود الأرض هناك فى هونولولو ، فإن فيهم سر نوعه الذى وثق به وآمن بمستقبله ودعا إلى ذلك ...

وإنها للحظة فرح عميق سجلت على لوح الأرض حين بلغ هذا الزورق مرساه فى غزوة من غزوات الإنسان لحصون الزمان والمكان ...

ولو قيل للناس: إن ملكاً أو جنّا سيطير إليكم من هونولولو إلى النيل لخرجوا إليه فى يوم مشهود مجموع له ليزوّدوا فضولهم ونهمهم بحديث متاع لايزالون يجترّونه ويذيعون سيرته مدى أعمارهم ... ولكن الذين طاروا كانوا عشرة من الناس ذوى الوجوه المألوفة والأجسام المحدودة المعروفة ، ولذلك قل من أبه لهم من هذا الجنس الذى لايزال ذاهلا عن قيمة ما يصنع فى فتوح العلم وقيمتها فى عقائد الحياة ...

***

إن فرحى بوصول زورق الأحلام فى هذا الأوان الذى يجادلنى فيه المجادلون فى قيمة الإنسان لا يعدله إلا فرحى يوم طالعت الإعلان عن كتابى « أومن بالإنسان » فى جريدة الأهرام منشوراً تحت خبر الوصول إلى سر القنبلة الذرية الذى أعلنه ترومان وأتلى ، فشعرت أن هذا التوافق المصادف إشارة موافقة من الأقدار على فكرة الكتاب ! ولقد ظل هذا الإعلان ينتظر فى الأهرام دوره فى النشر ما يزيد على شهر حتى أتى ذلك اليوم . ولو خيرت ما اخترت غير هذه المناسبة للاعلان ولو تأخر شهوراً أخرى ... ولو طولبت بأجر على ذلك التأخير وتلك الموافقة التاريخية لدفعته عن طيب خاطر ؛ فإنه ليس بالقليل أن ترى الأقدار تؤنسك بلفتة من لفتاتها وتتطوع لتصديق رأيك بتقديم دليل جديد يؤيدك وأنت فى شك مما سيقابلك الناس به غداة الإعلان على رءوس الأشهاد عن قضيتك : « أومن بالإنسان » !

وحسبك من جزاء على التبشير بمستقبل الإنسان فى زمن الشك والجحود به أن ترى أو تسمع كلمة تصديق وتشجيع ينطق بها ناطق الزمان فجأة وعلى غير انتظار !

وإنه لنصر فى أول الطريق يثير الشجاعة إلى المضى إلى آخره حين تحس أن الكون معك بهتافاته وإرهاصاته !

وإن القضية التى يُعلن عنها وتدخل إلى الأذهان مع صدى ذلك الطارق الجبار المنيف الذى تنسف القدرة الإنسانية به مدينة فى لحظة تترك عالبها سافلها ، لقضية ينبغى أن تكون أسلوباً جديداً من أسلوب تجديد الدعوة الدينية ، دعوة إقرار القيمة العليا التى للوجود ورب الوجود وخليفته فى الأرض !

***

إن خطوات الفكر الإنسانى فى مجالات العلم السرية والجهرية خطوات متلاحقة تطالعنا بها الصحف والمجلات مع كل صباح ، ولكن طى الأبعاد والمسافات الشاسعة فى سرعة بالجسم البشرى الثقيل ، رهين الأحباس والقيود بطيران يخترق حجاباً وراء حجاب، ويركب طبقاً عن طبق فوق العباب والسحاب والتراب ،

وبين المناطق المتضادة الجواء، وعند قمة الأرض فى قطبها الشمالى، حيث البقاع التى يعمرها السكون الموحش والصمت المطبق والمناطق البكر والسهوب المثلجبة التى تتجمد فيها الحياة وتضل فيها خطرات الظنون والأوهام — يجعل أمر اليوم الذى حمله زورق الأحلام أمراً خطيراً كبيراً يراه العوام قبل الخواص، فيشعرون جميعاً أن هذا هو المجال الأصيل للجهد الإنسانى كله لو عقل الناس!

أيها الزورق العابر مناطق الجو وفضاء النفس البشرية! القاهر لما فى الآفاق من سدود وعوائق، ولما فى النفس من شكوك وقيود تقعد بالإرادة البشرية عند العجز القديم الذى يقعد ببنى الإنسان عن أن يبلغوا غايتهم من السيادة التى أرادها لهم خالقهم حين ينبههم كل يوم إلى أنه ليس هناك باب فى الطبيعة مكتوب عليه «ممنوع الدخول» إذا ما كان فى أيديهم المفتاح!

لقد كانت حمولتك أيها الزورق من أحلام البشرية العالمة الراصدة أضعاف حمولتك من ثقل الحديد والفولاذ والوقود وأجسام ملاحيك!

ولقد سلِمتْ تلك الأحلام من الارتطام بصخور العجز والشك والوهن والكسل عن الاقتحام حين سلِمت أثقالك من الارتطام بصخور الأرض!

وإن اليد الإلهية التى حملتك وسددتك إلى غايتك من غزو المجهول وكشف المستور وتصحيح المغلوط، إنما هى يد تشير بالموافقة وتلوح للقاعدين على التراب أن هُبُّوا ويحكم أيها النوّام إلى السحاب، ولا تقعد بكم عقائد الجهل ومثبطات الهمم عن محاولة الانطلاق وراء أحلامكم الطليقة ما دامت لا تبطل حقاً ولا تحق باطلا

وما كانت عبثاً تلك الطاقات المذخورة من الأحلام التى عشتم بها أيام العجز القديم، ورفرف بها خيالكم حول عالم القدرة والحرية ...

أجل، ما كان ذلك عبثاً، وإنما كان إعداداً لهذا الحاضر، وتدريبا باللعب على مستقبل حياة الجد والاكتمال، وإرهاقا للعزائم والإرادات، ودفعا لها إلى أن تحاول تحقيق الأحلام فى عالم اليقظة!

أيها الزورق! لقد ألقيت بحمولتك من الأحلام التى حملتها من تلك الجزيرة التى كانت مجهولة غائبة فى المحيط الأعظم إلى أرض النيل التى عُرفت فى دفاتر التاريخ أنها أول أرض حاول الإنسان فيها تحقيق الأحلام وتجسيم الآمال، وحبت الإنسانية على عتباتها ودرجت وخطت إلى بعض غاياتها فى الآلاف الأربعة قبل الميلاد، فكأن هذه الرحلة عبور لطريق الحضارة الإنسانية من آخرها فى أمريكا إلى أولها فى مصر ...

وكم ذا من الآماد بين الأمس البعيد واليوم! وكم من جثث الرواد الذين عبدوا هذا الطريق مطروحة على حافتيه! وكم رأى هذا الطريق من وجوه تطلعت فى نهاياته البعيدة فهالها بعد الشقة فقعدت حيث ولدت إلى أن ماتت ودفنت فى حفره وأغواره! وكم قرعته أقدام القافلة الإنسانية فى وقع رهيب وزحف ودبيب، وصلصلة قيود وأصفاد جعلتها تسير ثقيلة الخطى، محرومة المدى مطموسة الأفق!

واليوم أيها الزورق الحالم، تأتى طائراً فى أربعين ساعة من أقصى الأرض، وفى هبوة من هبوات الرياح تثير غباراً فى أثرك هو لا شك رفات مسحوق من عظام أولئك الرواد الذى ماتوا على الطريق ودفنوا فيه!

وحسبهم عزاء أنهم رأوا ذواتهم غباراً يلحق ذيلك الجرار... وأن رأوا أحفادهم يمتطونك فى خيلاء القوة، وعزة الحديد وقبضة العلم كأنهم ركب من الجن فى زى ناس..

وهل تملك الجن الحمراء أن تطير فى عالم الثلوج البيضاء؟!

أفتِنا يا سليمان! فإنك أعلم الناس بعالم الريح، وصاحبُ البساط ومسخِّر الجن وملهب ظهورها بالسياط!

وعليك السلام، فقد كنت ثمرة مبكرة فى شجرة الإنسانية أمدت أحلامها وغذت آمالها وأفهمتها أن أحلام القدرة والانطلاق فى حيز الإمكان، فلم تيأس حتى وصلتْ إلى تلك «الكرامات» العامة بعد تلك «الكرامات» الخاصة التى صنعها الله لبعض أصفيائه ليشير للنوع بهم إلى طريق التحرر والقدرة والانطلاق!

عبد المنعم خلاف

# خاتمة فلســفية ... !

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

تلك هى الخاتمة التى انتهى إليها الأستاذ عباس محمود العقاد .

ولم تكن هذه الخاتمة غريبة على هـذا الكاتب الذى بدأ حياته أديباً ، ناقداً ، شاعراً ، وكل شىء إلا الفلسفة . فقد يبدو للقارىء العادى أن معالجته الفلسفة الحقيقية مما يتنافى مع مظاهر كتاباته وكتبه ، ومطالعاته فى الكتب والفنون ، غير أن الناظر فى أعماق آثاره القلمية ، أو القارىء ماوراء السطور ، يلمح ولا ريب فكراً نافذاً عميقاً يتخطى الظواهر القريبة المألوفة ، ويذهب إلى الأصول الأولى والغايات البعيدة . وتلك هى النظرة الفلسفية ، رد الكثير إلى الواحد ، والبحث عن العلة الأولى والغاية النهائية .

ولهذا السبب كان جمهور القراء يجدون مشقة فى فهم آرائه ، لأنه لا يحفل بالتوافه ويمضى إلى الأعماق ، ولأنه كاتب لا ينزل إلى الجماهير بل يأخذ بأيديهم إلى مستواه .

وكتاب « فى بيتى » الذى صدر فى سلسلة « إقرأ » ينبىء عن هذه الخاتمة الفلسفية ، ولو أن صاحب الكتاب تجنب الاعلان فى العنوان .

أما كتاب الشيخ الرئيس ابن سينا ، الذى صدر بعد ذلك بعام ، فقد أسفر وأبان ، وكشف فيه العقاد عن حقيقة نزعاته الفكرية ، واتجاهاته العقلية .

غير أن نزعة الأدب التى التزمها خلال سنوات طويلة من حياته لم يتخل عنها ، فهى منه بمنزلة الطبيعة . وبتعبير فلسفى : أصبحت « مادة » فكره فلسفية ، و « صورة » فكره أدبية . وأعنى بالصورة الأدبية أنه ينحو منحى ذاتياً شخصياً فى التعبير ، فى مقابل النزعة العلمية التى يعبر فيها صاحبها تعبيراً موضوعياً . لا تحس فيه بالتأثيرات الشخصية .

أو هكذا أفهم الأدب ، ولعل فريق الأدباء يفهمون منه شيئاً آخر .

وقد تسأل نفسك : ما المادة وما الصورة ، هذان الاصطلاحان اللذان وضعتهما بين أقواس ؟ .

ليس غريباً على من درس الفلسفة أن يعرفهما ، فهما خلاصة مذهب أرسطو فى الفلسفة ، حين يقول : إن كل جسم طبيعى مركب من هيولى أو مادة ، وصورة . ولا مادة بغير صورة كالتمثال مادته النحاس ، وصورته هيئته التى هو عليها . ولست تجد نحاساً بغير صورة ، مهما تكن .

لقد تعرض العقاد ، حين تحدث عن فلسفة ابن سينا ، لأفلاطون وأرسطو ، وأفلوطين ، والكندى والفارابى ، بل وصل إلى فلسفة العصر الأخير الذى نعيش فيه ، فكأنه اتخذ من الشيخ الرئيس محوراً تدور حوله الآراء من الماضى البعيد إلى الحاضر القريب .

وهو منهج سليم ، لأن الفلسفة هى تاريخ الفلسفة .

وقد رأى أن يصنف المشكلات الفلسفية التى سوف يعالجها حتى يمضى فى ترتيب ووضوح ، فلخصها فى مسائل أربع : وجود العالم ، وجود النفس ، وجود الشر ، حرية الإنسان . ثم نظر إلى حلول الفلاسفة القدماء لهذه المشكلات العسيرة الحل ، وأثبت رأى ابن سينا فيها ، وهى على كل حال مشكلات لا تزال قائمة ، تعالجها الفلسفة ، وأكبر الظن أن الآراء سوف تظل متضاربة فى شأنها ، لأنها تفوق نطاق العقل وحدوده ، على الرغم من تقريب العلم الحديث لبعض تفصيلاتها .

وإذا أردت أن تعلم رأى العقاد الشخصى فى هذه المشكلات فاقرأ تعقيبه فى آخر الكتاب ، فهو يذهب إلى أن المادة والعقل شىء واحد . فيضع بذلك حداً حاسماً للمشكلة التى أثارها الأقدمون مشكلة الثنائية فى الوجودات ، أو الفلسفة المادية والفلسفة الإلهية ، كما يقول العقاد فى تقسيمه لمشكلات الفلسفة ، أو بين المادية والروحية كما يذهب إلى ذلك بعض المفكرين .

وفى ذلك يقول ما نصه فى آخر الكتاب « فصورة المادة

# الحلم والتحلم ...

للاستاذ محمود عزت عرفة

( تتمة )

« إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتخير الخير يعطه ، ومن يتوق الشر يوقه » حديث شريف

**نواحي الرذائل :**

قال طرفة في شعر له : حنانيك ، بعض الشر أهون من بعض !

وتلك جملة موجزة في لفظها وفي معناها ، ولكنها تنطوي على حكمة بليغة ، وتكوّن نظرية في الأخلاق عظيمة النفع إذا نحن حاولنا أن نفهمها وأن نحسن تطبيقها ، ومؤدّى هذه النظرية أن يتقبل الإنسان الشر من الشرور ، ويحتمل غضاضة الرذيلة من الرذائل ، تخلصاً بهما من شر ورذيلة أبلغ ضرراً وأوخم عاقبة وتعد هذه مرحلة — لا بد منها — نتحول بها من وضع إلى وضع ، فنخلص بأنفسنا من غياض الشر إلى رياض الخير ، وننتقل بجوهر أخلاقنا من مناقع الرذيلة إلى منابع الفضيلة .

ذلك أن الخير ( كالحلال ) بيّن ، والشر ( كالحرام ) بيّن ، وبينهما أمور متشابهة ، يلتبس فيها حق بباطل ، ويلتقي مباح بممنوع ...

وتحذير الرسول عليه الصلوات ، في حديثه المعروف ، من هذه المواطن التي يشتبه فيها الحرام بالحلال إنما يتجه إلى الأخيار الذين أحرزوا من الفضيلة القسط الوافر . لأن تلبس أحدهم بالمتشابهات يعد انتكاساً له بعد عافية ، وانحداراً لنفسه بعد ارتقاء ، أما من ران الشر على قلوبهم ، وملكت الرذيلة عليهم وردهم وصدرهم ، فهؤلاء سبيلهم إذا أرادوا الخلاص لأنفسهم أن يحاولوا « الترقي » أولا إلى درجة المتشابهات ، لأنها الطريق المفضي بهم فيما بعد إلى الخير والفضيلة خالصين من كل شائبة . ويعد هذا الترقي إلى المتشابهات في حقهم فضيلة وتقدما ، وإن عُد في حق الفضلاء من غيرهم شراً وارتكاساً ، ولا غرو فحسنات العاصين سيئات المطيعين !

وقد ذكرنا قبلُ من دواعي ( التحلم ) ما يُعدّ وسائل إلى بلوغه وتحصيله ، وضروباً من ترويض النفس وإغرائها على الأخذ منه بنصيب .

ونضيف هنا إلى ما سبق هنالك أن التحول بالنفس من معرة الغضب والحدة ، إلى كمال الحلم وفضيلة الإسجاح ، قد لا يتم دفعة ؛ وإنما يكون على مرحلة أو مراحل نساير فيها النفس التي

---

في أذهاننا باطلة . فكيف نعلم ما يؤثر فيها وما لا يؤثر فيها على وجه التحقيق ؟

« والذي يثبت في روعنا أن الكائنات خلق واحد يدور حول ( الوحدانية ) ، ولا فرق بينها غير الفرق بين التعميم والتخصيص .

« فالتعميم مظهر المادة ، والتخصيص مظهر العقل والحياة .

« فالمادة في أبسط صورها شعاع « عام » لا فرق فيه بين مكان ومكان من الفضاء » .

ولقد ميز ديكارت من قبل بين المادة والفكر ، وجعل في العالم ثنائية يصعب الجمع بينهما بعد ذلك . غير أن اسبينوزا بالذات وهو من المدرسة الديكارتية ، اضطر للتوفيق بينهما إلى القول بوجود ما يسميه الامتداد العقلي .

ومهما يكن من شيء فإن اهتداء العلم الحديث إلى أصل المادة وأنها ذرة أو جزء لا يتجزأ ، وأن هذه الذرة هي في النهاية إشعاع أو طاقة ، كل ذلك لا يحل مشكلة المادة والعقل ، لأن العقل ليس إشعاعاً ... من يدري لعله كذلك ولكننا لا نستطيع أن نجزم بشيء .

والعبر التي نأخذها من كتاب العقاد كثيرة ، منها أن اتجاه مفكرينا وجهة فلسفية دليل على الرقي العقلي ، والسمو إلى عالم المعاني ، ومنها أن استساغة الجمهور لهذا النوع من التأليف ، بل إقباله عليه . دليل على رقي الجمهور بل على انتقاله من طفولة الفكر إلى شبابه .

والخاتمة الفلسفية هي نهاية التقدم .

**أحمد فؤاد الأهواني**

نعالجها من حال إلى حال . فقد نستطيع مثلا أن نفثأ من حر غضبها وشدة بادرتها بنوازع — نجعلها تستريح إليها مؤقتاً — من الكبر والاستهانة بالمسيء وتحقير شأنه .

ونحن لم نعْدُ في هذا أن تحولنا بها من رذيلة إلى رذيلة ، ولكن إذا مرنت النفس على ذلك ، وتزحزحت عما استولى عليها من الغضب والحدة إلى خلق طارىء من الأنفة والاستكبار أمكننا أن نعالج هذه الحالة الأخيرة بوسائل علاجها ، ثم لا نزال ننتقل بالنفس من وضع إلى وضع حتى تخرج عن حد الرذائل والمتشابهات جملة ، وتنتهي إلى الخير المحض الذي نتوخاه لها .

وقد نص الغزالي على هذه الوسيلة من العلاج في مؤلفاته غير مرة فهو يقول مثلا في كتاب « رياضة النفس وتهذيب الأخلاق » من سفر الإحياء : من لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأساً أو بترك صفة أخرى ، ولم يسمح بضدها دفعة ؛ فينبغي أن ينقله — أي المرشد — من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه ؛ كالذي يغسل الدم بالبول ، ثم يغسل البول بالماء ، إذا كان الماء لا يزيل الدم . وكما يرغّب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ، ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ، ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ، ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة . ه .

وفي « ربع المهلكات »[1] من سفر الإحياء إشارات متعددة إلى هذا العلاج يدرجها الغزالي في أعقاب كل خلق مرذول عند النص على أوجُه علاجه . ففي كتاب ذم البخل وذم حب المال يقول : ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء ، فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعاً في حشمة الجود ؛ فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب لها خبث الرياء . ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه . ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال ، كما قد يسلّي الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها ، لا ليخلّي واللعب ، ولكن لينفك عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره . فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض . ه

وهذا العلاج الذي وضعنا له عنوان « تماحي الرذائل » ينطوي على خطر غامض دقيق يستوجب ألا يتعرض لمزاولته وأخذ المريد به إلا كل طَبّ خبير بأدواء النفوس ، عارف بالعلل الخلقية دقيقها وجليلها ، وأيها أصعب علاجاً ، وأيها أيسر تحولا ... وإلا تفاقمت العلة بمريضه وهو يحاول شفاءه ، أو مات بين يديه وهو يريد إحياءه ...

وقد سبق الغزالي إلى توضيح هذه الخطورة وإلى التحذير منها — وكم للغزالي من سبق إلى مثل هذه الحقائق النفيسة الخالدة — فهو يقول بعد ذكر علاج البخل ( بتكلف السخاء على قصد الرياء ) : إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء ، فيبدل الأقوى بالأضعف ، فإن كان الجاه محبوباً عنده كالمال فلا فائدة فيه ، فإنه يقلع من علة ويزيد في أخرى مثلها !

ويضرب لنا الغزالي في موضع آخر مثالا حسياً عجيباً لتناحر هذه الرذائل واصطراعها في النفس حتى تضعف فتفنى جميعاً ، وتحل محلها الفضيلة التي جعلناها هدفنا من العلاج ، فيقول : مثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دوداً ، ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ، ثم يأكل بعضها بعضاً حتى ترجع إلى اثنتين قويتين عظيمتين ، ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تغلب إحداهما الأخرى فتأكلها وتسمن بها ، ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها إلى أن تموت . فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلّط بعضها على بعض حتى يقمعها ويجعل الأضعف قوتاً للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة ، ثم تقع العناية بمحوها وإذابتها بالمجاهدة . ه

خاتمة :

الحلم كسائر الفضائل وسط ممدوح بين طرفين مذمومين . فإذا نحن « تحيفنا » منه متجهين إلى أحد طرفيه كان ذلك تفريطاً في الحلم يتحول بنا إلى الحدّة وإلى السفاه وسرعة الغضب . وإذا نحن « تزيدنا » فيه متجهين إلى طرفه الثاني كان إفراطاً يفضي إلى الضعف والخور وفقد الحمية ، وكلا الطرفين مذموم .

---

[1] يقسم الغزالي مؤلفه النفيس ( إحياء علوم الدين ) أربعة أرباع : ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات ؛ وكل ربع يتألف من عشرة كتب فجملة ( الاحياء ) أربعون كتابا .

أما الأول لحاله معروف ، والتحذير من الغضب كثير ، لأن النفوس إليه أسرع ، فكان التخويف منه أوجب وأولى .

وأما فقد الحمية فآفة أقل — فى سواد الناس — من الغضب انتشاراً ، ومع ذلك يتردد ذمها كثيراً ، لأنها الإفراط المتناهى فى الحلم الذى يتحول به من ممدوح الفضائل إلى مقبوح الرذائل .

يقول الغزالى فى هذا المعنى : « لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم فى جانب الرفق أكثر ؛ فلذا كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف ، وإن كان العنف فى محله حسناً ، كما أن الرفق فى محله حسن . فإذا كان الواجب هو العنف ، فقد وافق الحق الهوى ، وهو ألذ من الزبد بالشهيد ! »

هذا ، ومن الشاهد الذى يستحق التسجيل أن السفه قد يكون مستحسناً فى بعض المواطن ، وربما يبدو فى بعض الظروف واجباً حتى ليذكر فى معرض المدح . ومن هنا يقول عمرو بن العاص : أكرموا سفهاءكم فإنهم يقونكم العار والشنار ! ويقول مصعب بن الزبير : ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا ! ويقول الشافعى ناصحاً للفقهاء : ينبغى للفقيه أن يكون معه سفيه ليسافه عنه !

وانظر بعد إلى قول أبى تمام فى مدح إسحق بن إبراهيم المصعبى :

إن المنايا طوع بأسك، والوغى ممزوج كأسك من ردًى وكلوم
والحرب تركب رأسها فى مشهد عُدل السفيه به بألف حليم !
فى ساعة لو أن لقمانًا بها — وهو الحكيم — لكان غير حكيم

وفى حديث شريف : خير أمتى أحداؤها ( من الحدة ) الذين إذا غضبوا رجعوا . ومن مأثور قول الشافعى : من استُغضِب فلم يغضب فهو حمار . قال الغزالى : « فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا فهو ناقص جداً . وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال : أشداء على الكفار رحماء بينهم . وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ... وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية ، وهو الغضب » .

على أن الغزالى يحدد لنا صفة الغضب فى موضع آخر فيقول :

« المطلوب من صفة الغضب حسن الحمية ، وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعاً ؛ وبالجملة أن يكون فى نفسه قوياً ، ومع قوته منقاداً للعقل »

فليس يغنى المرء إذن أن يُعرف بالحلم فى موضعه ما لم يعرف بالغضب كذلك فى موضعه ؛ وإذا قلنا ( الغضب فى موضعه ) ، فقد جعلناه فضيلة وحكمة ، إذ ليست الحكمة إلا وضع الأمور فى مواضعها . بل لو قرنّا ذكر أية رذيلة بقولنا ( فى موضعها ) لأصبحت فضيلة يُحث عليها ويشاد بذكرها . فالكذب فى موضعه فضيلة وقد نسميه : حسن التأتى ، واللباقة ، وحسن التصرف . والجبن فى موضعه فضيلة ، نسميه : الحرص ، والتوق ، والحذر .. وهكذا .

المقياس الصحيح إذن أن نوائم بين تصرفنا — بالقول أو بالعمل — وبين الموقف الذى نكون فيه ؛ وبقدر اختلاف المواقف يكون اختلاف التصرفات . والخطأ فى التطبيق هنا يتأتى من الخلط بين كل موقف وما يلائمه من تصرف . وأحسب أن النعمان بن المنذر كان أحد من أخطأوا على هذا الوجه . فقد روى أنه أتى برجلين قد أذنب أحدهما ذنباً عظيما فعفا عنه ، والآخر أذنب ذنباً خفيفاً فعاقبه . ثم أنشد يقول :

تعفو الملوك عن العظيـ ـم من الذنوب بفضلها
ولقد تعاقب فى اليسيـ ـر ، وليس ذاك لجهلها ...
لكن ليُعرَف حلمها وتُخافَ شدة ذحلِها !

وهذا سوء تصرف منشؤه الخلط بين مواطن العفو ومواطن العقوبة

نعم ، كان من حق النعمان أن يعرّف الناس حلمه ، وأن يخوفهم شدة ذحله ، لكن على أن يجعل لكل من الحالين موضعاً لا يعدوه ، وشرطاً لا يخل به . فأما وقد فاته ذلك فقد صيّر حلمه تفريطاً وعقوبته إفراطاً ... وكلا الأمرين وضَح[1] فى جبين الحق ، وانحراف فى ميزان الحكمة والعدالة .

( تم الحديث — جرجا ) **محمود عزت عرفة**

---

(١) من معانى الوضح : الضوء والغرة والشيب ، والبرص ، والمعنى الأخير نريد ؛ ومنه سمى جذيمة الأبرش بالوضوح انظر القاموس

**الأدب في سير أعلامه:**

# ملتن ...

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال .. ]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٣٠ —

**البطل الضرير:**

وكان ينتاب الشاعر الحزن على فقد بصره الحين بعد الحين وذلك كلما أحس الوحدة قاسية موحشة بعد فقد زوجته الثانية والظلمة محيطة به وبنياته لا يملكن لأبيهن ولا لأنفسهن عوناً ولا نفعاً ، ولقد كن يتمهن وهن زغب الحواصل وأبوهن ضرير ، لا يرى في وجوههن رضاهن إذا رضين ولا ألمهن إذا ألمن ، من أكبر بواعث حزنه وغمه ...

ولكنه كان يعتصم بالحكمة أن يهن أو يتخاذل عزمه أو يتزايل وقاره ؛ وكان يلوذ بالشعر فيجد فيه ما ينشد من عزاء لروحه ، بل لقد كان والظلام والغم يعتورانه يجد فيه من الأنس ما يكاد يحس معه مثلما يحس الناس في الحياة لنفوسهم من بهجة ؛ وبحسب المرء أن يذكر هذا ، وأن يذكر كيف بلغ مع ذلك بقصيدته الكبرى مبلغاً تنقطع دونه الآمال ، وقد توالت عليه ألوان غير هذه من الشدائد ، ليرى مقدار أصالته في الشعر ومبلغ تعلقه بفنه ومدى إخلاصه له ؛ والحق أنه إن كان ثمة رجل له مما حاق به أكبر المعذرة عن القعود عما نهض له فلن يكون هذا الرجل إلا ملتن ، ومن لقى من الحياة مثلما لقى ؛ ولكنه لم يقعد بل لم تزده المحن إلا صبراً وإقداماً . فدل بذلك على أنه من الأفذاذ القلائل الذين تتضاءل الدنيا في نظرهم وتتحاقر تلقاء ما يسمون إلى بلوغه من نبيل الغايات ...

وضايقه يومئذ من ابني أخته أن سارا على نهج غير نهجه في الأدب والفن وسلكا سبيلا غير سبيله ، بل لقد كان ذلك يكربه أحيانا إذ يحس الفشل حتى في هذا ، فلقد قام على تربيتهما بنفسه وتوجيههما الوجهة التي يريد ، فلما كبرا كرها التزمت والزيد من الجد والاحتشام ، وبرما بالبيوريتانية الجافة التي تبدو لهما كالشجرة جردت من كل ثمرة وكل زينة وإن بقيت قوية الجذع والأغصان فما ترى العين من معاني الشجرة فيها إلا القوة والصرامة

وأقبل الفتيان يستمتعان بالحياة كما يستمتع الفتية في المدينة وكان الناس قد سئموا البيوريتانية في نزعتها الاجتماعية وضاقوا بالحياة خالية من المرح والزينة . فتهافت الشباب على الموسيقى والشعر ، ورأت الحكومة ألا مناص من مماشاة هذه النزعة مخافة أن يؤدي التشدد في صدها إلى ازدياد الدعوة إلى إعادة الملكية ؛ فسمحت بنشر بعض الكتب الخفيفة التي تطلب للتسلية واللهو أكثر مما تطلب للمنفعة ؛ وكانت المسارح جميعاً مغلقة تحول الشرطة دون فتحها ؛ ولكن واحداً استجد فسمحت الحكومة بأن يستمتع فيه الناس بالموسيقى ، وبعض المسرحيات من النوع الغنائي ، وأحس أهل لندن بشيء من المرح والأنس يدب في الحياة التي ألقت عليها قيود البيوريتانية كثيراً من الوحشة والجهامة .

وتطرف الفتيان في مسايرة النزعة الجديدة ، وعلى الأخص أصغرهما چون فيلبس فقام على نشر كتاب احتوى على غير قليل من الاستهانة والمجون . ثم نشر كتاباً آخر جمل عنوانه : « سخرية من المنافقين » وهاجم فيه البيوريتانية هجوماً عنيفاً ، وأما أكبر الأخوين فكان لايزال يغلب عليه التحفظ والتحرج وإن شايع الاتجاه الجديد كما تجلى في كتابه : « أسرار الحب والفصاحة » .

وفي أوائل شهر سبتمبر سنة ١٦٥٨ قضى كرمول نحبه ، وذهب بذهابه الرجل الذي طالما عقد ملتن عليه الرجاء ؛ وحزن الشاعر للنبأ العظيم وازدادت من المستقبل مخاوفه ، وإن كانت حماسته لكرمول قد مسها الفتور قبل مماته بسبب سياسته الدينية

ولسنا نعرف على وجه اليقين هل كانت ثمة صلة شخصية بين الرجلين ؟ ولقد ذهب فريق من المؤرخين إلى أن مثل هذه الصلة كانت قائمة بينهما ، ولكن لا يسوقون حادثة واحدة تؤيد زعمهم هذا وقصاراهم الاستنتاج والظن ، فقد كان كرمول يحب النابهين ويحسن جزاءهم ويقربهم إليه فما يفوته أن يصطفى رجلا مثل ملتن وضعته الحكومة في مثل ذلك المنصب الخطير ، وما ينسى له نضاله عن الجمهورية وبلاءه في رد كيد الكائدين ،

ويحاول هؤلاء أن يجدوا فى مقطوعته التى امتدح بها كرمول دليلا على صلة شخصية بينهما ...

ولكن فريقاً آخر من رجال الأدب ينكر هذه الصلة ، ويقولون إن رضاء كرمول عن ملتن لا يستلزم أن تكون له به معرفة شخصية ، وما دامت تعوزنا الحوادث المبينة التى تثبت ذلك فلا قيمة للظن والاستنتاج والاعتماد على قرائن واهية ، فما كل من ينظم مقطوعة أو قصيدة لملك أو حاكم يكون ذا صلة بذلك الملك أو ذلك الحاكم ، وأنا أميل إلى هذا الرأى وأزيد عليه أن ملتن رجل ذو كبرياء ، وقد عرف عنه أنه كان قليل الصلة برجال الحكومة أنفة منه وتعففاً أن يقال به حاجة إلى أحد ، كما أنه كان شديد الاعتداد بنفسه والحرص على كرامته ، فلم يك لذلك حدِّيث مجالس ولا كان ممن يحسنون فن التقرب والتودد الذى هو فى حقيقة الأمر ضرب من الملق وإن تعارف أهله على تسميته بالكياسة أو اللباقة ، ولذلك لم يتقرب ملتن ولم يتودد وإن كان فى دفاعه عن الحكومة بكتبه شديد التحمس فياض الثناء ؛ ولم يك تحمسه وثناؤه إلا شعوراً وطنياً من ناحية وأمراً يقتضيه الدفاع والمغالبة من ناحية أخرى . وكان ملتن شاعراً ولم يك للشعراء عند رجال الحكومة من البيوريتانز ما ينبغى أن يكون لهم من رفيع المنزلة إن لم يضعهم الشعر فى موضع الكراهية لهم والاستخفاف بأمرهم ، هذا إلى أنه كانت للرجل آراء فى الطلاق وفى الدين عده الناس فيها مسرفا أو به جِنَّة ، وكان يحس ملتن كثيراً من الفتور والبرود عند من تضطره الظروف إلى لقائهم من كبار رجال الدولة ، وهو رجل فى أنفه ورم وفى نفسه أشد من الكبر على كل ذى كبر ، ولذلك تجافى هؤلاء الكبراء ، ومن كان هذا شأنه معهم كانوا خليقين أن يصرفوا بحيلهم نظر كرمول عنه إن اتجه إليه إن لم يعملوا على الكيد له والوقيعة به ، أما هو فلم يسع من جانبه إلى تقرب أو تودد ؛ قال ملتن يرد على رجل التمس وساطة فى أمر « يؤسفنى أننى غير قادر على أن أفعل ذلك ؛ فان معرفتى ضئيلة بأولئك الذين فى أيديهم القوة تناسب فى ضآلتها حرصى على أن ألزم بيتى فى الأكثر ، وإنى لأوثر أن ألزمه » .

وظل ملتن بعد موت كرمول فى منصبه يعينه فيه مساعد ، ولكنه كما قلنا كان فيما يشبه العزلة فقلما شغله من ناحية منصبه عمل وإنه ليطيب بذلك نفساً لأنه يستطيع أن ينصرف اليوم إلى بغية شبابه ويعكف على تحقيق ذلك الحلم الذى انشغل عنه دهراً طويلا ...

ومن عجيب أمره أن همه يومئذ لم يك منصرفاً إلى الشعر وحده على شدة ولوعه به وتحرقه إليه ؛ بل لقد كتب باللاتينية رسالة طويلة فى العقائد المسيحية ضمنها آراءه فى الله وفى غرضه من خلق الناس وفى أصل الوجود وفى الحياة والموت وفى خطيئة آدم وخروجه من الجنة ، وفى علاقة المرأة بالرجل ومنزلتها فى المجتمع وفى السياسة والدولة والحرية . وفى مسائل القضاء والقدر وما يتصل بها ...

ولكن كتابه هذا لم يعثر عليه إلا سنة ١٨٢٣ أى بعد قرابة قرن ونصف من وفاته ، وقد عثر عليه مصادفة ضمن إضبارة من الورق كانت تحتوى كذلك على صور مراسلاته اللاتينية الرسمية التى كتبها وهو فى منصبه ؛ وليس يعرف على وجه اليقين متى بدأ كتابة هذه الرسالة ، وأكبر ظن المؤرخين أنه كتبها ما بين سنتى ١٦٥٥ ، ١٦٦٠ ، وكذلك لم يعرف غرضه من كتابتها ؛ ويرى بعض النقاد من تقسيمها وتبويبها أنه قصد بها أن تكون رسالة يدرسها الناشئون ، ويقرؤها غيرهم من المثقفين ويرى آخرون أنه ضمنها خلاصة فلسفته لتكون مرشداً وهادياً لمن يقرأ قصيدته الكبرى فأكثر آرائه فى القصيدة يتمشى مع ما ذكر فى رسالته اللاتينية ، وكلا العملين الفنى منهما وغير الفنى يلقى من الضوء على الآخر ما يكشف عن دقائقه ويوضح كثيراً من أسراره ، ولعل هذا هو غرضه الحقيقى من كتابة هذه الرسالة ، ولذلك نميل إلى أن نرجىء الكلام عنها حتى يأتى ذلك عند دراسة فلسفته فى قصيدته الكبرى ، ونكتفى الآن بأن نذكر أن ملتن اعتمد على الكتاب المقدس فيما أورد من آراء كما ذكر ذلك ، ولكنه لم يتقيد بأقوال المؤولين والمفسرين قبله ، بل اعتمد على تأويله هو وتفسيره . فأتى بكثير من الآراء التى لا يتفق معه أحد فيها ؛ ويعنينا ذكر هذا لأنه يدل على ناحية من نواحى شخصيته وهى حرية فكره ورغبته فى التخلص من كل قيد ، ولقد تجلت هذه النزعة فيه من قبل أيام كان يجادل القساوسة وأيام كان يدافع عن الطلاق ...

وما كان يظن أحد ممن حوله أنه سوف ينصرف عما أقبل

عليه من شعر ومن دراسة ؛ ولكنه ما لبث أن انصرف عنهما سنة ١٦٥٩ وعاد إلى كتيباته ! فنى أوائل تلك السنة قدم للبرلمان رسالة عنوانها : « حول السلطة المدنية فى الأمور الدينية لبيان أنه ليس من المشروع لأية قوة على الأرض أن تتبع الإكراه فى مسائل الدين » ؛ وأخذ يدافع عن الحرية الدينية ويعلن أشد سخطه على الاضطهاد الدينى وإكراه الناس على غير مايعتقدون ، ولم يقتصر سخطه على غير البروتستنت ، بل شمل البروتستنت كذلك ، لأنه يمقت الاضطهاد والقهر أياً كان مصدره ؛ ومعنى ذلك أنه يجب أن يقبل أن تتاح الحرية للكاثوليك ، وإلا فكيف يحل لنفسه ما يحرم على غيره ويدعى مع ذلك أنه طالب حرية ؟ ولكنه يناقض نفسه فى هذا الأمر فيحاول أن يفلت من التناقض فيأتى برأى عجيب عن الكاثوليكية ، فهى ليست ديناً ، ولكنها بقية باقية من حكومة روما ، وعلى ذلك فلا تسامح معها فى انجلترة خوفاً على سلامة الدولة ، فما يضطهد الكاثوليك لمذهبهم ، وما عوقبوا من قبل لإلحاد أو زيغ ولكن لخيانة ؛ ومهما يقل ملتن فلن يستطيع أن ينفى عن نفسه ما يكرهه من غيره من اضطهاد وإكراه ؛ وألح ملتن فى هذه الرسالة فى مطالبة البرلمان بماطالب به كرمول من قبل ، وهو ألا تكون هناك كنيسة للدولة .

ونشر فى أغسطس من السنة نفسها كتيباً عنوانه « نظرات فى أمثل الطرق لطرد المأجورين من الكنيسة » . وعنده أن أمثل هذه الطرق أن تتخلص الدولة من هؤلاء القساوسة جملة ؛ فإطعام هؤلاء يمكن أن يوكل إلى من يقومون على رعايتهم وهديهم ؛ وفى استطاعة القساوسة أن يجدوا لأنفسهم عملا آخر وذلك خير لهم ؛ وفى رأيه أنه ليس ثمة ضرورة لهؤلاء القساوسة ، وأن المال الذى يعطى للكنيسة يمكن إنفاقه فى أوجه كثيرة هى خير مماينفق فيه ، كأن تبنى مدارس وتنشأ مكتبات تلحق بهاتيك المدارس ، حيث يتعلم الناس اللغات والفنون بغير أجر تعليما شعبياً لا يعوقهم عن مزاولة أى عمل يكسبون منه أقواتهم فتستنير بصائرهم ويرتفع مستواهم الثقافى فتنتشر المدنية فى أنحاء الدولة .

وينبغى ألا يذهب رجال الدين إلى الجامعات ، فما يتركون فيها إلا أسوأ الآثار ، فهم كطلاب يكونون فى الأكثر ضيق الأفق أغبياء وليسوا أحسن حالا وهم رجال ، وخلاصة القول إنه يجب أن تتخلص المسيحية من هؤلاء المأجورين لتتحقق لها السعادة ، فإن إفساد الدين على يد السلطة الزمنية يكون بإحدى وسيلتين القوة أو المال ، وإفساده بالمال أشد من إفساده بالقوة ، لأن القوة ممثلة فى الاضطهاد قد تؤدى إلى ازدياد الاستمساك بالدين ، ومن ثم تمتد جذوره وتسمق فروعه ؛ أما المال فبه تشترى الضمائر وبه يستأجر الضعاف والجهلاء من المرشدين والقائمين على أمر الدين ، ومن هنا يكون التدهور والفساد الحق

ولم يعد ملتن بطائل من وراء هاتين الصيحتين ، فقد كان البرلمان فى شغل بما هو أخطر من المسائل الدينية ، فقد أخذت تصطرع الأهواء فى عهد ريتشارد حامى الجمهورية الثانى ، وتزايدت الدعوة إلى إعادة الملكية ، وقل أنصار الجمهورية فى البرلمان ، وعاد إلى البرسبتيرينز شىء من قوتهم فرغبوا فى الثأر من المستقلين وتفرق الناس على هذه الصورة شيعاً وأحزاباً ، فلا غلبة إلا لمن يثبت أنه أقوى جنداً أو أكثر نفراً

وكان يدرك ملتن أنه كمن يصرخ فى واد قفر من أهله فلا سميع ولا مجيب ولا صدى لصوته ؛ ولكنه على الرغم من ذلك — كما يقول — مطمئن إلى أنه يفعل ما يجب عليه فعله وأن يفعله فى وقته لا يبتغى إلا الخير لدينه ولوطنه

وإن المرء ليتملكه العجب من إصراره على هذا النحو ودأبه على محاربة رجال الدين ، لايدع فرصة ولايدركه سأم ؛ فها هو ذا يرسل عليهم سهامه فى عهد ريتشارد مؤملا أن يجد عنده من القبول ما لم يجده عند أبيه ، ويميل بعض من كتبوا حياة ملتن إلى رد هذه الصرامة إلى حنقه عليهم وعلى الأخص البرسبتيرينز لما نال من أذى على أيديهم ولأنهم أعلنوا طرده من الكنيسة ، ويرى غير هؤلاء أن مرد قسوته عليهم إلى عقيدة فى نفسه لا يتحول عنها وهى أن تسلط رجال الدين مهما يكن مذهبهم على شؤون الدولة هو سبب كل طغيان وكل خنق للحرية ، ولما كان يكره الاستبداد من أعماق قلبه بقدر ما يحب الحرية فقد انصبت كراهته على هؤلاء الذين يرى فيهم رمز العناد الغبى والتسلط الأحمق ، وزاده إيذاؤهم إياه يقيناً بأنهم أصل كل شر ، وسبب كل رجعية لأنهم خاصموه من أجل مبادئه فى الزواج والطلاق ، وهو لم يرد بهذه المبادىء إلا الخير للانسانية جميعاً ، وما ساوره شك فى أن ما دعا إليه إنما هو الحق .

( يتبع )

**الخفيف**

# حول بيت لأبي نواس ...!

للأستاذ عباس حسان خضر

مات ابن الحجاج وأخوه في يوم واحد ، وكان اسم كل منهما محمداً ، فقال : « يالله ! محمد ومحمد في يوم ! » فكرر محمداً ، ولو قال : « محمدان في يوم » لما أدى المعنى الذي أداه التكرار ، فأحد المحمدين ابنه والآخر أخوه ، وهو بالتكرار يفصّل الفاجعة فيهما ، وما تقوم التثنية بنقل هذا الشعور إلى السامع ، أو قل ما شئت في التعليل ، ولا أشك في أننا متفقون على حسن التكرار هنا ، وأن التثنية لا تغني شيئاً .

وقال أبو نواس :

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى وأضغاث ريحان جنيّ ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم وإنى على أمثال تلك لحابس
ولم أدر من هم غير ماشهدت به بشرقيّ ساباط الديار البسابس
أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يوم الترحل خامس

أفترى التكرار في البيت الأخير حسناً كذاك ، أم تراه معيباً لا غناء فيه ؟

وقع نظري في كتاب « البلاغة الواضحة » لمؤلفيه الأستاذين على الجارم بك ومصطفى أمين بك على هذا البيت ( أقمنا بها . الخ ) مسبوقا بهذه العبارة : « بيّن ما تراه في الأبيات الآتية من العيوب البلاغية » ومتلوًا بأبيات أخرى[1] . تأملت هذا البيت المتهم بالعيوب البلاغية وهو ماثل في قفص التمرينات المطلوب حلها ... فلم أرَ به ما يريب ، ثم رجعت إلى نفسي وكدت أتهم عقلي بالقصور ، وتخيلت أني طالب ألقي إليه بهذا السؤال في الامتحان ، فهالني الصفر الأحمر يسقط عليّ من قلم الممتحن المهيب ... ثم لمحت رقماً بين قوسين على آخر البيت ، فتبعته إلى الهامش حيث وجدت به : « يريد أنهم أقاموا ثمانية أيام ، عدّ منها ثلاثة في الشطر الأول ، ثم أضاف إليها خمسة في الشطر الثاني ، لأنه يقول إننا أقمنا بعد ثلاثة الأيام الأولى يوماً له يوم الرحيل خامس أي خمسة أيام أخرى » فذهب عني الفزع وقلت : وهذه مسألة أخرى أرى الخطأ فيها ظاهراً ، مما يطمعني في تبرئة البيت مما يراد لصقه به من العيوب البلاغية .

ويلحق بهذا الكتاب القيم — رغم ما نحن بصدده — كتاب اسمه « دليل البلاغة الواضحة » لنفس المؤلفين ، يشتمل على حل التمرينات التي تضمنها كتاب « البلاغة الواضحة » . فلا بد أن يكون به بيان « العيوب البلاغية » الموجهة إلى بيت أبي نواس ، وهناك رأيت « في هذا البيت تكرار غير مفيد ، فإن أبا نواس يريد أن يقول إننا أقمنا بها ثلاثة أيام ، فكرر كلمة ( يوماً ) تكراراً معيباً لا غرض فيه ، ولا قصد منه ، والتكرار إذا لم يورث اللفظ حلاوة ، ولم يكسب المعنى طلاوة كان ضرباً من السخف والعيّ ، والعجب لأبي نواس يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العيّ الفاحش مع أبيات عجيبة الحسن تتقدم هذا البيت[1] » .

ووجدت بالهامش تعليقاً على ثمانية الأيام مايلي : « في المثل السائر أن أبا نواس يريد أن يقول إنهم أقاموا بها أربعة أيام » .

وفي كتاب « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » قال مؤلفه الشيخ ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الموصلي الشافعي في باب التكرير : « وعلى هذا الأسلوب ( يشير إلى ما سماه التكرير في اللفظ والمعنى غير المفيد ) ورد قول أبي نواس :

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يوم الترحل خامس

ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ، ويا عجباً له يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العي الفاحش في ضمن تلك الأبيات العجيبة الحسن التي تقدم ذكرها في باب الإيجاز وهي : ودار ندامى عطلوها وأدلجوا ... » .

ولقد وددت لو وافق صاحبا « البلاغة الواضحة » مؤلف « المثل السائر » في عدد أيام الاقامة بدار الندامى ، وخالفاه في تهجين البيت ، ورميه بالسخف والعي ... ولكنهما عكسا ، فعارضاه في الأولى ، وأخذا بالثانية ، وإن كان أدق منهما في

(١) ص ٢٠٧

(١) ص ١٣٢

عجبه من وقوع هذا البيت فى ضمن أبيات عجيبة الحسن وعجبهما من وقوعه بعـد أبيات عجيبة الحسن ، لأن الأبيات التالية له لا تقل حسناً إن لم تزد عن التى تتقدمه ، وها هى ذى :

تدور علينا الكأس فى عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفى جنباتها مهاً تدّريه بالقسىّ الفوارس

فللخمر ما زرت عليه جيوبهم وللماء ما دارت عليه القلانس

قال الجاحظ : نظرنا فى شعر القدماء والمحدثين ، فوجدنا المعانى نقلت ، ورأينا بعضنا يسرق من بعض إلا قول عنترة : « وخلا الذباب بها فليس ببارح » وقول أبى نواس : « قرارتها كسرى ... الخ » .

وأرجع إلى جادة البحث فأقول : إننى أخالف مؤلف المثل السائر وصاحبى البلاغة الواضحة فى الزراية على بيت أبى نواس ورميه بالتكرار المعيب ، وأخالف الأخيرَين فى أن أبا نواس وصحبه أقاموا بدار الندامى ثمانية أيام ؛ وأقدم الكلام على المسألة الثانية لأفرغ للأولى .

الشطر الأول : « أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً » يدل على ثلاثة أيام قطعاً ، أما الشطر الثانى « ويوماً له يوم الترحل خامس » فيقول صاحبا البلاغة الواضحة إنه يدل على خمسة أيام أخرى ، وإنى لأعجب كيف يقولان ذلك وهما معدودان فى الصف الأول من رجال اللغة العربية فى هذا العصر ، وهل يستقيم فى العربية أن تقول — على رسم ذلك — : أقمت يوماً فى الاسكندرية له يوم السفر خامس ؟ ! إنهما يعلمان أن صيغة ( فاعل ) من العدد لا تكون فى مثل هذا الاستعمال إلا مُصيِّرة ما تحتها بدرجة واحدة مساوياً للعدد الذى اشتقت منه ، أو دالة على بعض العدد الذى اشتقت منه ، فيقال خامس أربعة وخامس خمسة ، ولا يقال خامس واحد أو اثنين أو ثلاثة . وعلى هذا لا يدل قوله ( ويوماً له يوم الترحل خامس ) إلا على أن هذا اليوم هو الرابع ويوم الرحيل خامسه ؛ فالبيت يدل على أنهم أقاموا أربعة أيام وسافروا فى اليوم الخامس .

أما الحملة المنيفة التى حملها الشيخ ضياء الدين على التكرار الوارد فى بيت أبى نواس وتابعه فيها صاحبا البلاغة الواضحة ، إذ عدّوه تكراراً معيباً سخيفاً ، وعجبوا من الإتيان به فى ضمن أبيات عجيبة الحسن — فإنى أرد هذه الحملة عن البيت ، وأريح العاجبين من عجبهم الذى لا محل له ، لأن البيت نفسه عجيب الحسن كإخوته ، وما كان لأبى نواس — وهو أبو نواس وقد واتاه الإبداع فى سائر الأبيات — أن يسف هذا الإسفاف بحيث يكون كل ما يريد أن يؤديه بهذا البيت أنهم أقاموا بالدار أربعة أيام أو ثمانية ويرتكب لتأدية هذا المعنى التافه ذلك التكرار الذى لا غرض فيه ولا قصد منه !

إنما يقول أبو نواس إن هذه الدار التى غادرها أهلها مخلفين بها آثاراً تدل على ما كان لهم بها من لذات الشراب وطيب العيش عرجنا عليها لنجدد عهد الراحلين عنها ، فأقمنا بها يوماً كان العزم أن نرحل بعده ، ولكن طابت لنا الإقامة فمكثنا يوماً آخر ، وحلا لنا التمادى فى التمتع بلذة الشراب بهذا المكان فتلبثنا يوماً ثالثاً ، واستمرأنا الإقامة على هـذه الحال فتراخينا يوماً رابعاً ، وفى اليوم الخامس اضطررنا إلى الرحيل .

فهل كان يمكن أن يؤدى هذا الشعور بغير ذلك التكرير ! وإن العائبين عليه ليريدون أن يقيموا من البيت جداراً مسموكا لا تنفذ منـه أشعة ذلك الإحساس المعهود فى الحالات التى تستطيبها النفس وتتمنى دوامها . وأى تكرار يورث اللفظ حلاوة ، ويكسب المعنى طلاوة إن لم يكن هو هـذا التكرار . . ؟

ولقد أتى أبو نواس بنوع آخر من التكرار إذ قال فى وصف صاحبته جنان :

والحسن فى كل عضو منها معـــاد مردَّد

فليس هذا تكرارا فى اللفظ ولا فى المعنى ، بل المكرر الجمال يرى معاداً مردداً فى كل عضو من أعضائها ، وهذا التكرار ليس كمثله إلا ( تكرير ) السكر ...

ويجرنا حديث التكرار إلى بعض المفارقات العجيبة فى هذا الباب ، فبينما تجد نسقاً منه لم يدفع إليه إلا العى والحمق، إذا أنت ترى ما يشبه هذا النسق مقبولا مستساغاً

قال الجاحظ فى باب العى من « البيان والتبيين » :

« وتزعم بنو تميم أن صَبِرة بن تيمان قال فى حرب مسعود والأحنف : إن جاء حُتاتٌ جئت ، وإن جاء الأحنف جئت ، وإن جاء جارية[1] جئت ، وإن جاؤا جئنا ، وإن لم يجيئوا لم نجىء ! »

وأنت تعرف التكرير الذى احلولى به أسلوب الدكتور طه حسين بك ، والعجيب أن نحواً منه يشبه الكلام المعزوّ إلى صبرة بن تيان . وهاك أمثلة من مقال له عن كتاب ( نابليون ) تأليف إميل لودفيج فى مجلة الكاتب المصرى الصادرة فى أول اكتوبر الحالى :

« ولست من المعجبين بإميل لودفيج وفنه إعجاباً شديداً . ومصدر هذا فى أكبر الظن أنى لم أقرأه فى نصه الألمانى ، ومصدر هذا فى أكبر الظن كذلك أن بين خياله الألمانى البعيد وتفكيره الألمانى الملتوى وبين خيالى القاصر وعقل العربى الذى يواجه الأشياء أكثر مما يدور حولها ، أمداً بعيداً ، ومصدر هذا فى أكبر الظن كذلك أنى حاولت أول ما حاولت أن أعرف لودفيج عن طريق كتابه عن حياة المسيح ، ومن طريق كتابه عن حياة جوت ، فلم أستطع أن أمضى فى الكتابين إلا قليلا ، ومصدر هذا آخر الأمر أنى لقيت لودفيج فى القاهرة حين زار مصر مهنئاً لإنشاء كتابه عن النيل ، فلم أحمد لقاءه ولم يحمد لقائى » ، وفى نفس المقال : « يظهرنا لودفيج على هذا كله وعلى أكثر جداً من هذا كله ، فى هذا الكتاب الذى لم يخلص للتاريخ ولم يخلص للقصص ، وإنما كان مزاجاً منهما » .

على أن بعض الناس لا يرتضون هذا التكرار الذى تشتمل عليه كتابة الدكتور طه حسين بك ، وغيرهم يعجبون به ، ويعدونه حلواً طلياً .

عباس حسان خضر

(١) حتات والأحنف وجارية أعلام رجال .

# لا أدرى ...

للأستاذ حسين الغنام

أسائل شاطئ البحر
وأسأل نجمة الفجر :
إلى م يلج فى الهجر
ويمعن ساحرى نأيا ؟
وضاق بنأيه صبرى
فقالت ، وهى لا تدرى

وعدت أسائل البحرا
ورحت أخاطب البدرا
هناك ، بمهجة ، حرى :
ألم ترَيا هنا ظبيا
أغن وفتنة كبرى ؟
فقالا : نحن لا ندرى

وقال البحر فى إرغاء
لكم مرت على ظبياء
وقال البدر فى خيلاء :
وإنى است معنيا
فكم مرت هنا حسناء
فن فيهن ؟ لا أدرى

وقال البدر فى عتبى
اليك عرائس الحب
فشم فيهن من تصبى
هواك ، أمهد اللقيا
يظلى الوارف الرحب
نسكم ! قلت : لا أدرى

فظنبى ، إنه حسبى
لقد أسكنته قلبى
وكم من ريقه العذب
نهلت ، ولم أجد ريا
سواه لقلبى الصب
فأين ؟ فقال لا أدرى !

وسرت أسائل الليلا
ومر الليل وانسلا
فعدت أسائل الطلا
وظلت أسائل الدنيا
لأين بقمة ولى
غزالى الحلو ، لا أدرى !

( المندرة — الرمل ) حسين الغنام




### حرية الكتابة :

اطلعت على مجلة « الرسالة » عدد ٦٩٢ فقرأت فيها موضوعا عنوانه « مقالات فى كلمات : للاستاذ على الطنطاوى » لفت نظرى فيه فقرة حول «حرية الكتابة» تعرض فيها إلى موضوع نشر فى مجلة « الثقافة » الغراء التى تصدر فى دير الزور عن « الموازنة بين الأدب العربى والأدب الفرنسى » ، وقد أسعدنى الحظ أنى أنا أيضاً اطلعت على الموضوع نفسه فى المجلة نفسها ، فاذا هو لا يخرج عن كونه مقارنة تحليلية طيبة من الأدبين ، حاول فيها الكاتب أن يكون باحثاً موضوعياً جهد المستطاع . فاستغربت جد الاستغراب أن يتجاوز السيد على الطنطاوى حدود النقد النزيه القائم على المناقشة العلمية الهادئة التى لا علاقة لها بالعاطفة والمزاج الشخصى .

يذكر الناقد فكرة ( السكون والحركة ) التى وردت فى المقال ، ويعلق عليها بأنه لم يفهم منها شيئاً . ولو رجع — حفظه الله — إلى فلسفة اليونان لوجد أن فكرة السكون والحركة قد لعبت دوراً كبيراً من المدرسة « الأيلية » إلى مدرسة « هرقليط » على أن فكرة السكون ليست مأخذاً على الأدب العربى ، فالطمأنينة النفسية هى غاية ما يتوخاه المؤمن المتعبد ، بدليل الآية الكريمة « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك ... » .

أما حملته على «حرية الكتابة » فنحن نرفضها جملة وتفصيلا فانما تحت ظلالها الوارف أينعت المدنية الإسلامية ، كما أينعت المدنيات القديمة والحديثة من العهد اليونانى إلى العصر الحديث . وإذا كنا نفخر بشىء فانما نفخر بحرية الكلام وحرية الفكر وحرية الكتابة التى شع نورها فى بغداد والقاهرة ودمشق ، والتى أثمرت تلك العلوم والفنون التى لا نزال نتغنى بها فيما نتغنى بأمجاد الماضى والتهمة التى ألصقت بنا فى حرق مكتبة الأسكندرية قد نجمت عن ضيق بعض العقول التى كانت تتصور فى وهمها بأن العرب أعداء الفكر والعلم والأدب الأجنبى . فلم تنشأ البذرة الأولى للعلوم فى العهد العباسى إلا بعد أن أدرك العرب أن عند غيرهم من الأمم علوماً وفلسفة يجب أن يطلعوا عليها وأن يتأثروا بها .

« لا إكراه فى الدين » ، هذا هو المذهب العربى الصميم . فليس من الضرورى أن توافق الآراء بعضها بعضاً ، ولا أود أن أبدى رأيى الشخصى فى الموضوع ، مادام الناقد الطنطاوى لم يراع فى نقده مبادىء النقد الأولية . فله رأيه إذا كان مخالفاً لصاحب المقال ، شريطة مع ذلك أن يكون جارياً على أصول المنطق والذوق والتهذيب ، وعدم مزج المهاترة والألفاظ النابية فى البحث العلمى ، وإنى مثلا لا أفهم ما هو مكان النزعة السياسية فى النقد الأدبى ! ...

ويدخل فى هذا الباب أيضاً مزج الأخلاق بالأدب ، فليس غرض الكاتب صاحب المقال فى « الثقافة » أن يدعو إلى الأباحية ... وقد عرفناه فى جميع ما يكتب بعيداً عنها بعد الأرض عن السماء . فهو لا يبتغى كما يوحى مقاله إلا بيان خصائص الأدبين العربى والفرنسى ، على حسب ما وصل إليه جهده ونزاهته ، فان لم يصب المرمى على رأى الناقد ، فحسبه أن اجتهد « وللمجتهد أجره وإن أخطأ » .

أما قولك يا سيد على بأن الكاتب لا أخوات له ولا بنات ، فلا ينطبق على الحقيقة ، ولا دخل له فى موضوع النقد الأدبى . أما إذا كان فى النية بيان تأثير الأدب فى الأخلاق ، وما ينجم عن ذلك من فضائل ورذائل ، فلذلك طريقة خاصة فى البحث غير الطريقة التى سلكتها ...

وأختم كلمتى بالرجاء إلى السيد على الطنطاوى أن يتقبل ملاحظاتى المتواضعة بصدر رحب ، كما أنى أرجو جميع الناقدين أن يلتزموا حدود البحث العلمى ، والحيادية ، والتجرد عن النزعات الشخصية ، وعن الطعن البعيد عن الروح الموضوعية ، كى تثمر مناقشاتنا الثمرات المؤملة ، والسلام .

( حلب ) الدكتور محمد يحيى الهاشمى

**من أساليب النقد عندنا :**

إن القارىء المنصف ليأخذه العجب حين يطالع تلك الفصول التي يكتبها النقاد المحدثون ؛ فأكثرها يمليه الهوى ، ولا يصدر عن رأى خالص لوجه الحق ، ولا سيما ما يكتب مقدمات لكتب المؤلفين ، ودواوين الشعراء ، ولكن العجب الذى لا يكاد ينتهى ما يلاحقك حين تقرأ لناقد واحد لكتاب واحد فى أسبوع واحد كتابين متناقضين .

كتاب « نفحات من سيرة السيدة زينب » وضعه الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى ونقده الأستاذ كامل السيد شاهين فى مجلة « الرسالة » بتاريخ ١٢ من ذى القعدة سنة ١٣٦٥ ، وفى مجلة الإسلام بتاريخ ١٦ من الشهر نفسه فبين الكلمتين أربعة أيام فقط ، ولكن هذه المدة القصيرة غيرت رأى الناقد . ولو كانت إحدى المجلتين تصدر فى أمريكا أو فى الصين ، ولو كان بين النقدين زمن طويل لالتمسنا للناقد عذراً ، ولا يمكن أن يحمل كلامه فى « الرسالة » إلا على أنه مجاملة لزميله وصديقه ، ولكن كان يجب أن يفهم أن « الرسالة » ومثيلاتها من المجلات التى تكتب للخاصة ليست موضعاً للمجاملات .

وانسق جملة من كلتا الكلمتين ليعرف القارىء إلى أى مدى تكون المجاملة . فى مقال الرسالة ص ١١٢٢ « والكتاب بعد ذلك عرض تاريخى أنيق لحياة هـذه السيدة الكريمة . فللوعاظ والمرشدين والمؤرخين المعنيين بتحقيق الشخصيات الاسلامية البارزة لهؤلاء جميعاً وضع هذا الكتاب جامعاً بين دقة البحث وطلاوة الأدب ... الخ » . فالكتاب إذن للمؤرخين الذين يعنيهم التحقيق والتدقيق وصاحبه قد بذل فيـه جهداً جباراً حتى جاء دقيق البحث ، فما باله يصبح فى مجلة الاسلام عارياً عن التحقيق جامعاً بين الغث والثمين والطم والرم ، حتى فى أخص ما يجب فيه التحقيق وهو تأويل آيات الله الكريمة قال الناقد ص ١٨ « نحا المؤلف فى تأويل الآيات القرآنية منحى شيعياً ، وذلك يذكرنا بشر ما يقع فيه إنسان أن يكون كتاب الله الكريم خاضعاً فى تأويله لمجارى الأهواء ، وقد انساق كثير من المفسرين فى هذا التيار عن غفلة وثقة بمن يأخذون عنهم ، وما كنا نحب من المؤلف أن يأخذ مما قاله الرواة والمفسرون بدون تحقيق ولا تمحيص » . وإذا كان فى هذه الفقرات يعيب على صاحبه عدم التحقيق فى تفسير الآيات القرآنية ، فهو فى موضع آخر يعيب عليه عدم التحقيق فى الروايات التاريخية وهى ما قام الكتاب عليها ، فلا مندوحة لمن يقرأ كلامه أن يعتقد أن المؤلف لم يحقق ولم يدقق فى أصول كتابه أو فروعه . قال الناقد فى مجلة الاسلام ص ١٨ أيضاً « وآخر ما أذكر به المؤلف أن يراجع ما كتب ، ولا يأخذ من أفواه المؤرخين والمفسرين أخذاً لينظر فيما قيل ويعرضه على محك عقله ، وحقيقة دينه ، فأما أن يجمع بين الغث والسمين فذلك غير ما نأمل فيه » ، وقد تلفت القارىء هذه الكلمة من الناقد « وحقيقة دينه » ولا عجب فان الناقد يرى المؤلف بعيداً عن روح الاسلام فى بعض ما كتب ، قال بعد أن ذكر تأويل المؤلف لآيتين من كتاب الله ، وذكر هو تفسيرهما : « هذه هى روح الاسلام الصحيح ولا ينبغى أن يبعد عنها رجل يبتغى بعمله وجه الله ورسوله ، فإن كنت يا سيدى تؤمن بأن الله اصطفى طائفة من نور ، وجعل طائفة من نجس فذلك عن روح الاسلام بمعزل » .

والناقد يشير بقوله : « ولا ينبغى أن يبعد ... الخ » أن المؤلف قصد بما ساقه عن آل البيت تملق العامة وابتغاء ما عندهم ثم ترى أن الأستاذ شاهين يذكر لصاحبه فى مجلة « الرسالة » أنه تناول التربية الشعبية « بروح جديدة هى روح عالم النفس الحاذق » ، ولكنه فى مجلة الاسلام يقول : « ولا أنسى أن ألوم المؤلف على أنه ذكر أن النساء لطمن خدودهن عقب مصرع الحسين ، فان هـذا الكتاب للعامة ولا يصح أن تساق هذه الأشياء وأمثالها فيتخذها العامة ذريعة لاستحلال ما حرم الله . والحرام حرام مهما كانت مكانة فاعله ومنزلته » .

( وبعد ) فان القارىء يتبين مما نقلته مدى التناقض بين كلامى الناقد ، وأنه بصنيعه هذا فى المجلتين ، وما ساقه امتداحاً لصاحبه ثم ما عقب به من هذا النقد الذى يهدم كل ما بناه ليذكرنا بما قاله المرحوم شوقى بك على لسان أحد أبطال روايته مجنون ليلى يخاطب منازلا غريم قيس فى حب ليلى :

مناز بابن العم ما هـذا الخبر    رفعت قيســـاً فجملته القمر
والآن أغريت بقتله الزمر    كفعل جزار اليهود بالبقر
برأها من العيوب وعقر

أما رأيى فخلاصته أن المؤلف — على ما نعهد فيه من علم وفضل — كان فى هذا الكتاب حاطب ليل ، وأنه استهدف لنقد عنيف محق وأمكن الرامى من صفاء الثغرة كما يقول العرب فى أمثالهم .

**على العمارى**

إلى الأستاذ الجليل محمد إسعاف النشاشيبي :

ذكرتم فى النقلة ٦٩٧ قصة عن محمد بن الحسين اللخمى وتلميذه ، وفى ختامها هذه الأبيات :

ربَّ ما أقبح عندى عاشقاً مستهاماً يتقفَّا سمنــــا
قلت من ذاك ؟ أنا ؟ فاستضحكت
ثم قالت : من تراه ؟ فأنا
قلت زورينى فقالت عجباً أنا والله إذن قارى منى
إذ يصلى وعليــــه زيتهم أنت تهوانى وآنيك أنا ؟

فمن هو قارئ منى الذى يصلى بالناس وزيتهم عليه ؟ وهل هذه القصة حقيقية ؟

( البصرة ) محمد حسين اسماعيل

فى إرشاد الأريب :

كنت أراجع مقالات الأستاذ إسعاف النشاشيبى فى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب فعرض لى فى العدد ( ٦٥٥ ) من « الرسالة » الغراء ما أردت إثباته ، وبالله العون .

جاء فى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ج ٩ ص ٨ : فكتب إليه المهلبى : وصل كتابك يا أخى ... المتضمن نفيس الجواهر من بحار الخواطر ، الحاوى ثمار الصفاء من منبت الوفاء وفهمته ، ووقع ما أهديته من نظم ونثر ... موقع الرى من ذى الغُلة ، والشفاء من ذى العلة ، والفوز من ذى الخيبة ، و « الأدب » من ذى الغيبة ، وجاء فى الشرح : الأدب التأديب .

ورأى العلامة النشاشيبى فى تحقيقاته أن المهلبى قال : (والغنم من ذى الغيبة ) ويعزى إلى امرئ القيس :

لقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وأظن أن الصواب هو ( والأوْب من ذى الغيبة ) والبيت الذى أورده الأستاذ لامرئ القيس دليل بظاهر ما أوردته فى سياق المعنى المراد .

هذا ، وفى الختام إلى أستاذنا المحقق تحيلتى ، والسلام .

( الزيتون ) عدنان أسعد

أبو شاس ليس هو أبا نؤاس :

رأى الأستاذ شكرى محمود أحمد فى « الرسالة » الغراء ( ٦٨٨ ) أن أبا شاس الشاعر هو أبو نؤاس نفسه وإنما صحفه النساخ ، وقد أيد رأيه بأبيات منسوبة لأبى شاس وهى موجودة فى ديوان أبى نؤاس .

وإنى أقول للأستاذ إن لفظة أبو شاس قد وردت لعلمين من أعلام الأدب العربى كما فى معجم الشعراء للمرزبانى وهما أبو شاس التميمى وأبو شاس الطبرى .

فأما التصحيف الذى ذكره الأستاذ فلا يمكن أن يقع على مثل هذه الكلمات لبعد الشبه بينها .

وأما الأبيات التى استشهد بها فيمكن أن تكون لأبى نواس وإنما وجدت منسوخة عند أبى شاس من غير أن تعزى إلى أحد فظنها من وجدها عنده أنها له فأذاعها بين الناس باسمه فنسبت له .

كما أن أبا نؤاس لم ينفرد بهذه الكنية بل هناك أبو نؤاس آخر هو أبو السرى[1] سهل بن يعقوب المكنى بأبى نؤاس قيل إنما كُنّى بذلك لأنه كان يظهر التطيب والتخالع مع الناس فسمى أبو نؤاس لتخالعه وقد كان محدثاً فقيهاً .

( كربلاء ) م . ع . ك

رجاء :

لاحظت أن كثيراً من الأدباء ينشرون المقالة فى « الرسالة » ثم بعد ذلك ينشرونها فى الثقافة ، ومن هؤلاء العلامة الدكتور محمد البهى فى مقالة ( الدين الصناعى ) ، والأستاذ الشاعر محمد رجب البيومى فى قصيدة ( مقبرة ريفية ! والأديب الفاضل أحمد عبد المجيد الغزالى فى مقاله ( الصراصير ) ... ومن المعلوم أن قراء « الرسالة » فى الغالب — هم قراء الثقافة فما الداعى إلى ذلك ؟ مع أننا معشر القراء — نريد الطريف الجديد لا المكرر المعاد !! ...

سعاد كامل

(١) ذكره المامقانى فى الجزء الثانى من رجاله عدد ٥٤٠٥ وكذلك ذكره غيره كأبى على فى رجاله والقمى فى كناه وألقابه




# القافلة الضــالة . . .

**تأليف الأستاذ محمود كامل المحامى**

[ منشورات دار الجامعة ]

للاســتاذ شاكر خصباك

للأستاذ محمود كامل المحامى باع طويل فى القصة القصيرة ، فقد أخرج منذ أن اقتحم هذا الميدان حتى الآن ما يقارب الخمسة عشر مؤلفاً ، ضمت بين دفتيها عشرات الأقاصيص والقصص . هذا عدا الروايات الطويلة والقصص المسرحية التى احتوتها ثمانية مؤلفات . فكتابه « القافلة الضالة » إذن ليس أول محاولة قصصية يقوم بها ، وفى هذه الحالة يترتب علينا عدم الإغضاء عن أى ضعف فى أسلوب أقاصيصه الحديثة ، أو تشويش فى حوادثها ، أو ركاكة فى لغتها . إذ لو وقع فى مثل هذه الأغلاط التى تفقد القصة بعض مميزاتها الفنية قصاص مبتدئ لتسامحنا معه بعض المسامحة . أما والأستاذ محمود كامل قصاص قديم فسنلجأ إلى التشدد والصرامة فى محاسبته على ما اعتور مؤلفه من أغلاط فنية كثيرة .

— ١ —

فلنتصفح الكتاب ولنتناول قصصه قصة قصة ؛ فقد افتتحه بقصة « موسيقار الطريق »

وملخصها : ( أن نادية — وهى مدرسة للموسيقى فى إحدى المدارس الثانوية — سافرت فى الصيف إلى ( عتاقة ) ، فأحبت هناك موسيقاراً شاباً وأحبها ، وتوثقت بينهما عرى الصداقة ، وقويت أواصر الود ، ولكن ما كادت تمضى على اجتماعاتهما ثلاثة أيام حتى فرت نادية عائدة إلى القاهرة . . لماذا ؟ ! لأنها خشيت أن يتمكن حب هذا الموسيقار فى قلبها ، فى حين أنه قد يكون شاباً من هؤلاء الشباب الذين يقضون فترة خاطفة من الوقت على شاطئ البحر ليقتنص أثناءها فتاة من المصادفات يخدعها ويلهب عاطفتها ، ثم يفترق عنها ولا يعود يدعى إليها أو يسمع بها كأن أحداً لم ير الآخر ! !

غير أن هذا الموسيقار تبعها إلى القاهرة وهو لا يعرف من عنوانها غير الشارع الذى تسكن فيه ، فلجأ إلى أسلوب غريب ( وغريب جداً ) فى البحث عنها : وهو أن يحمل أكورديونه ويجوب فى ذلك الشارع ليلا متغنياً بقطعة غنائية كان قد غناها لها آخر مرة . واستمر على ذلك بضع ليال دون أن يبالى بصحو الجو أو اكفهراره ، حتى أن الماء كان يتساقط من كتفيه فى بعض تلك الليالى الماطرة . وأخيراً شاءت له المصادفة أن يعثر عليها فتم بينهما الزواج »

وهكذا تنتهى من القصة ! !

وبعد ، فهل سمعت من قبل أو من بعد أن محباً حمل آلته الموسيقية وانطلق يجوب بها الشارع الذى تسكن فيه حبيبته ، وهو يغنى ويعزف كيما يستجلب انتباهها ؟ ! قد تكون سمعت بمثل هذا فى أقاصيص العجائز الخيالية البعيدة عن الواقع ، أو فى أقاصيص بعض القصاصين الكلاسكيين أمثال شيكسبير وبوكاتشيو وسرفانتيس . وأما أن تقرأه فى كتاب قصصى لمؤلف مصرى معاصر؛ يقول فى مقدمة كتابه إن :« أقاصيصه عبارة عن مجموعة صور منتزعة من الحياة الاجتماعية المصرية » . فالحق معك إن استغربت من ذلك وأغرقت فى استغرابك . إذ أن مثل هـذا التصرف الشاذ بالنسبة لعادات وحياة المجتمع المصرى بعيد عن الوقوع كل البعد . وبما أننا نعنى بـ( الصور الاجتماعية ) الحوادث التى يتكرر وقوعها حتى تصبح من سمات المجتمع ؛ فهذه القصة إذن قد فقدت طابعها الفنى — باعتبارها قصة اجتماعية واقعية — ببعدها عن الحقيقة وإغراقها فى الخيال ، وأقصد ببعدها عن الحقيقة عدم واقعية تكرر حدوثها فى المجتمع المصرى ذاته ، ولا علينا أن يحدث لأحدهم أن يحمل أكورديونه ويعزف عليه ويغنى وهو يجوس فى ظلمات الليالى فى الشارع الذى تسكن فيه حبيبته فى بلاد أخرى أو لا يحدث ما دامت القصة مصرية وليست أجنبية !

ويكفى هذا السبب للحكم على هـذه القصة بالفشل ، لأن

تجوال صاحبنا جمال فى شارع يلبغا بشبرا وغناءه وعزفه كما تسمعه حبيبته نادية وتخرج له . حادث رئيسى فى القصة ترتكز عليه حوادث مهمة ونتائج خطيرة . ومن هنا أطلق المؤلف عليها اسم « موسيقار الطريق » . ولما كان هذا الحادث فاشل — لافتقاره إلى الصدق والواقع — فإن ما ارتكز عليه من حوادث ونتائج فاشلة بالطبع ، فالقصة فاشلة إذن

— ٢ —

ونفرغ من القصة الأولى فنتناول القصة الثانية وهى « رسائل حب » . وفى ظنى أنك لو قرأت يا عزيزى القارئ هذه القصة لما خرجت منها بشىء . وهذا ما حدث لى بالضبط عند قراءتها فاستمع الآن إلى ملخصها علك تجد شيئاً من الصحة فيما ذكرت:

فـ « ممدوح صادق طالب فى كلية الهندسة : سافر مع أسرته فى الصيف إلى الأسكندرية ، فالتقى هناك بسنية فى أحد الملاهى ، وكانت هذه فى صغرها تسكن فى نفس الشارع الذى تسكن فيه أسرته ، لكن والدها التاجر أفلس أخيراً فانتقل إلى حى آخر ، ولم ير سنية منذ ذلك اليوم ، فلما رآها الآن تملكه شعور قوى جذبه إليها ، واضطر إزاء ذلك الشعور أن يتعرف إليها ، ثم جلسا حول مائدة يتحدثان عن الماضى والحاضر ، فعلم أنها قد أصبحت ممثلة ، وعلمت أنه طالب فى كلية الهندسة ، ومن ثم اتفق معها على أن يبعث لها برسائل غرام عند ما تعود إلى القاهرة ، وذلك لأن أحد ناشرى الكتب أوصاه أن يكتب رسائل غرام حقيقية لينشرها له — وهنا يجدر بى أن أشير إلى أن لممدوح صادق ميلا إلى القصة ، وقد نشر فى بعض المجلات أقاصيص قصيرة — ولكنه لم يوف بوعده بعدئذ ، بل كتب الرسائل واحتفظ بها لنفسه عملا بوصية الناشر .

ومضت الأيام سراعاً ، وإذا بخطاب يصله من سنية ذات يوم تبلغه فيه أن رسائله الغرامية التى بعث بها إليها مدهشة جداً جداً ، وأنها حازت إعجابها ، وأنها تأمل أن تراه قريباً . فدهش لأنه لم يبعث لها بأية رسالة ، وظل فريسة للقلق والاضطراب إلى أن عاد إلى القاهرة مع أسرته . فسأل عن سنية وعلم أنها سافرت إلى إحدى قرى الريف لتصوير مناظر فلم جديد .

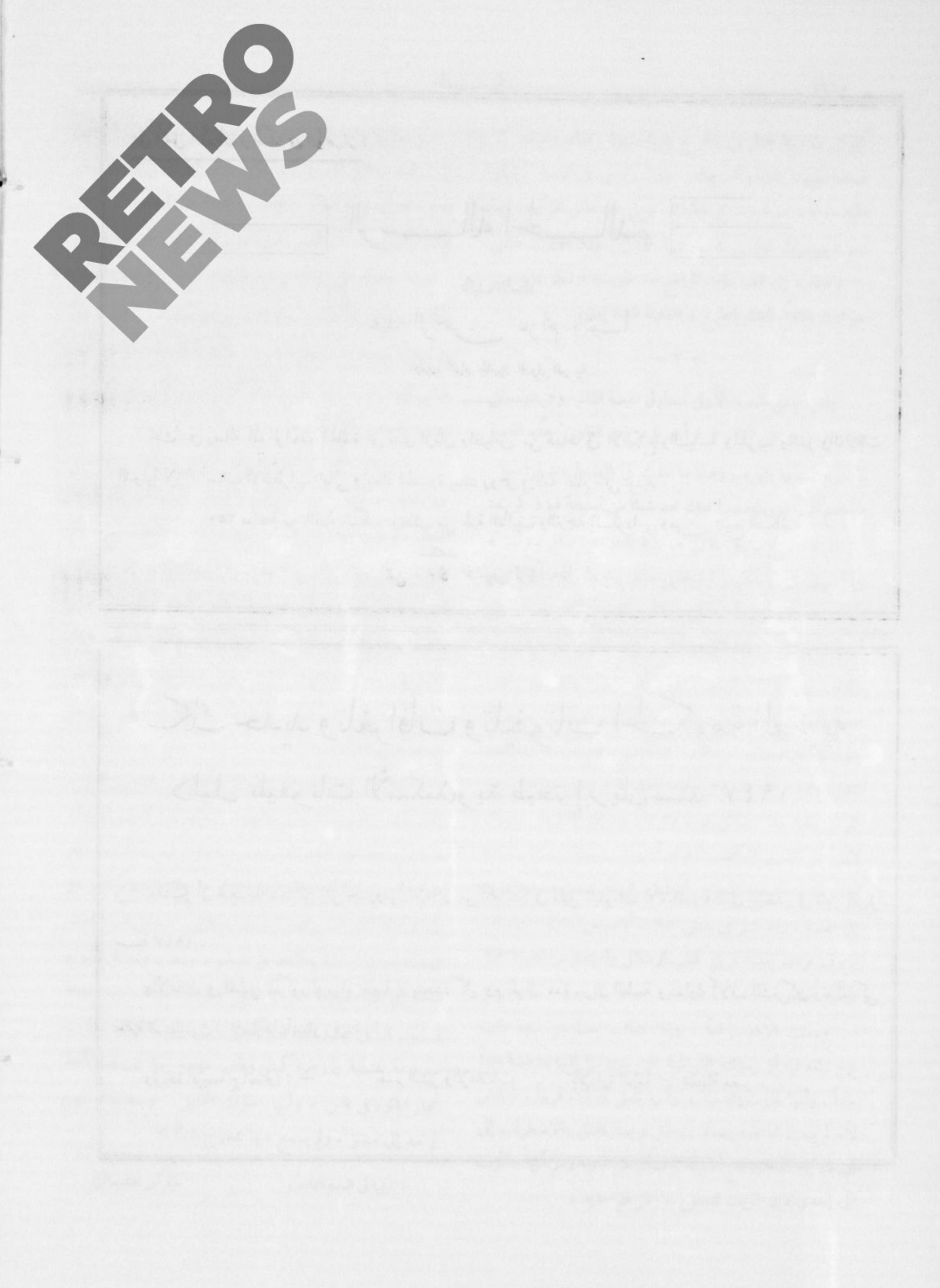
. وقصد ذات يوم إلى حلاق قريب من داره ، فبدأ صبى الحلاق يؤدى عمله ، وفتح الدرج الذى أمامه ليخرج (المسن) الجلدى ، فلمح ممدوح صورة لسنية مقتطعة من صحيفة من الصحف ومحاطة باطار رشيق ، وسأل الصبى عن اسمه ولقبه ، فإذا هو « ممدوح أسعد » . وسأله عن علاقته بسنية فأخبره أنه رآها مرة فى حياته فأعجب بها أشد الإعجاب . وقد بحث عن صورتها طويلا فعثر عليها فى إحدى الصحف واقتطعها منها ، وأنه يكتب لها كلما شاء أن يفضى إليها بشىء . وأخبره أيضاً أنه أديب يكتب فى المجلات بعض القصص والأزجال !

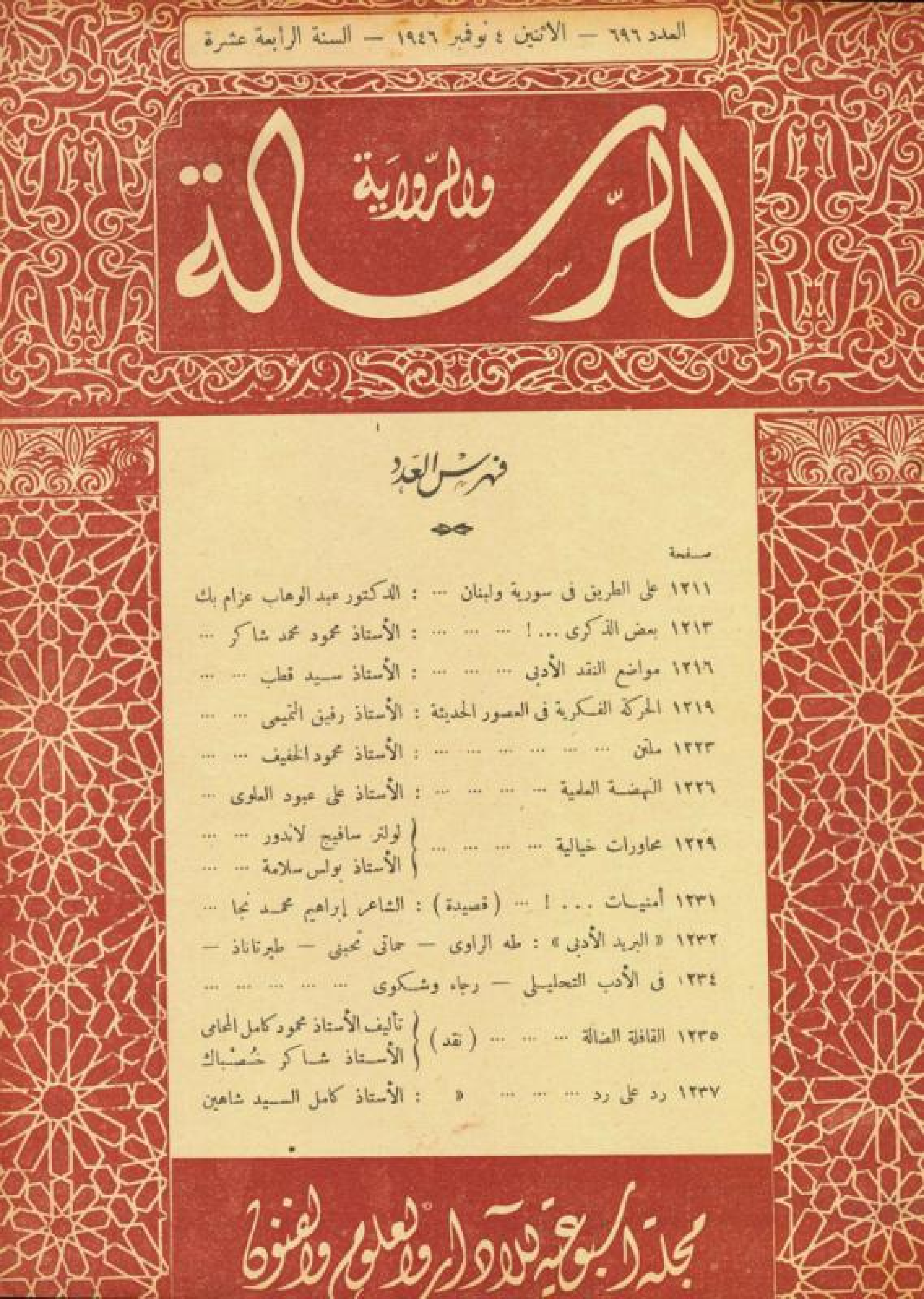
. . ومضت أيام على اجتماعه بذلك الصبى ، وإذا ببرقية من بور سعيد تصله من سنية : تطلب منه فيها أن يوافيها إلى محطة القطار . وبعد تردد طويل أجاب طلبها . وما كاد القطار يبلغ المحطة حتى قفزت سنية من العربة وتعلقت به ، وانطلقت تطرى مقدرته الأدبية ، ثم قدمت له مجموعة من الرسائل الأنيقة (الزرقاء) التى كانت موقعة بتوقيع (ممدوح أسعد) . ثم سألته عن سر هذا التبدل فى اسمه ، فأخبرها أن « ممدوح صادق » الإسم الذى يعرف به فى المدرسة ، و« ممدوح أسعد » اسمه الحقيقى ، والذى يعرف به فى عالم الأدب

وبعد المقابلة عاد إلى المنزل مهدم الأعصاب وقد فهم السر . وفتح الدرج الذى اعتاد أن يحفظ به رسائله التى كتبها لسنية ، وانطلق يتلوها فى خيبة أمل ومرارة . وقبل أن يتم تلاوتها سمع صراخاً وصوت احتشاد أقدام فى الشارع . فلما استطلع الخبر علم أن الترام قد قتل الصبى ممدوح أسعد الحلاق . فاستغل هذا الحدث لصالحه ومزق رسائله وألقاها فى الموقد ، وذهب برسائل ممدوح أسعد إلى مجلة معروفة نشرتها له فى أعداد متسلسلة . وبعد بضعة أسابيع قرأ فى نفس المجلة خبراً يتعلق بسنية التى كانت قد سافرت مع فرقة تمثيلية إلى مراكش وفاس مفاده أنها تزوجت بأحد تجار الجلود فى فاس ، وأنها اعتزلت التمثيل . ومنذ ذلك اليوم لم تعد إلى مصر ، ولم يسمع عنها ممدوح شيئاً »

(البقية فى العدد القادم)

شاكر خصباك


RETRO
NEWS



العدد ٦٩٦ — الاثنين ٤ نوفمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

الرسالة والرواية

## فهرس العدد



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٩٦ — الاثنين ٤ نوفمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

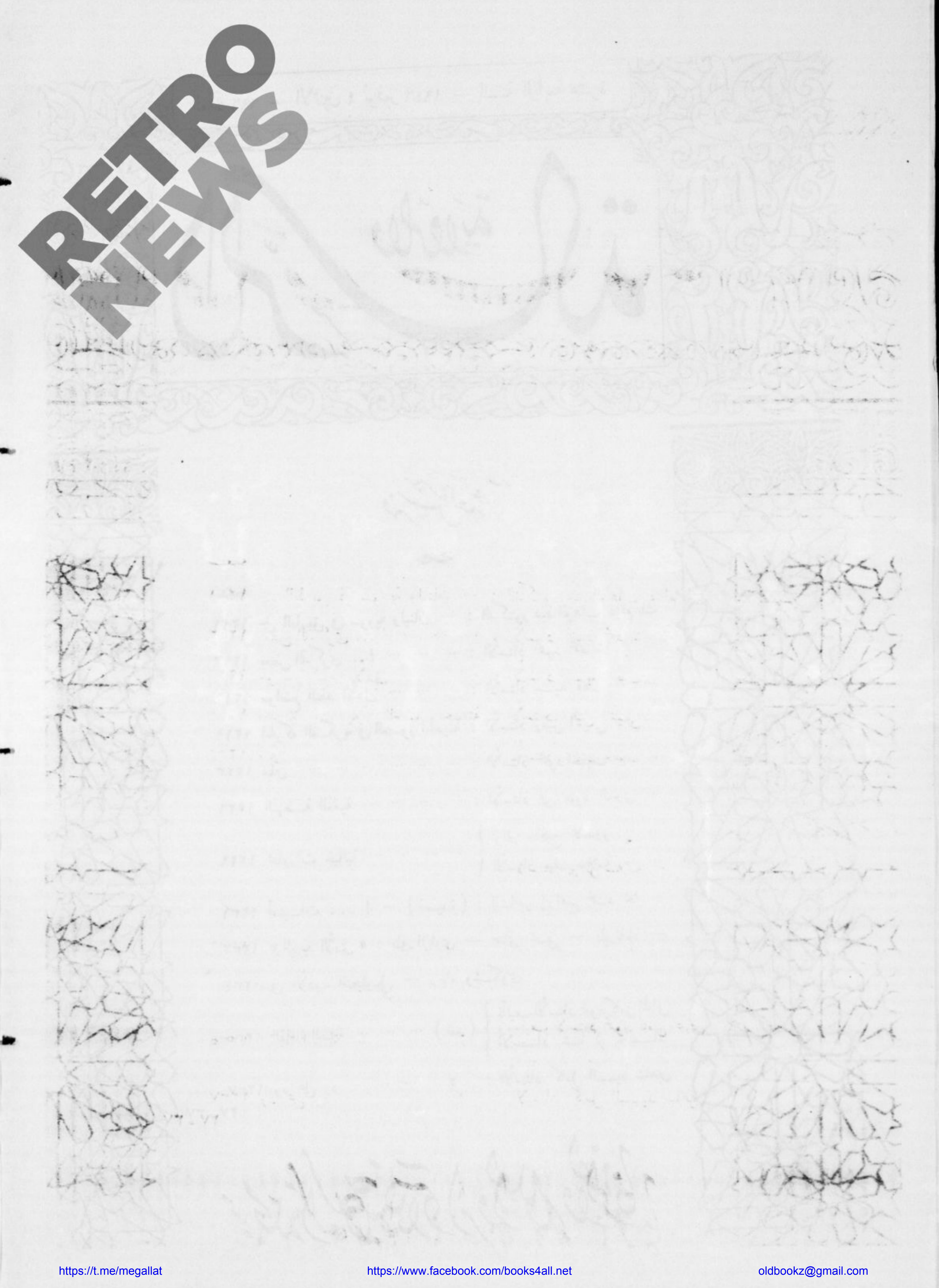


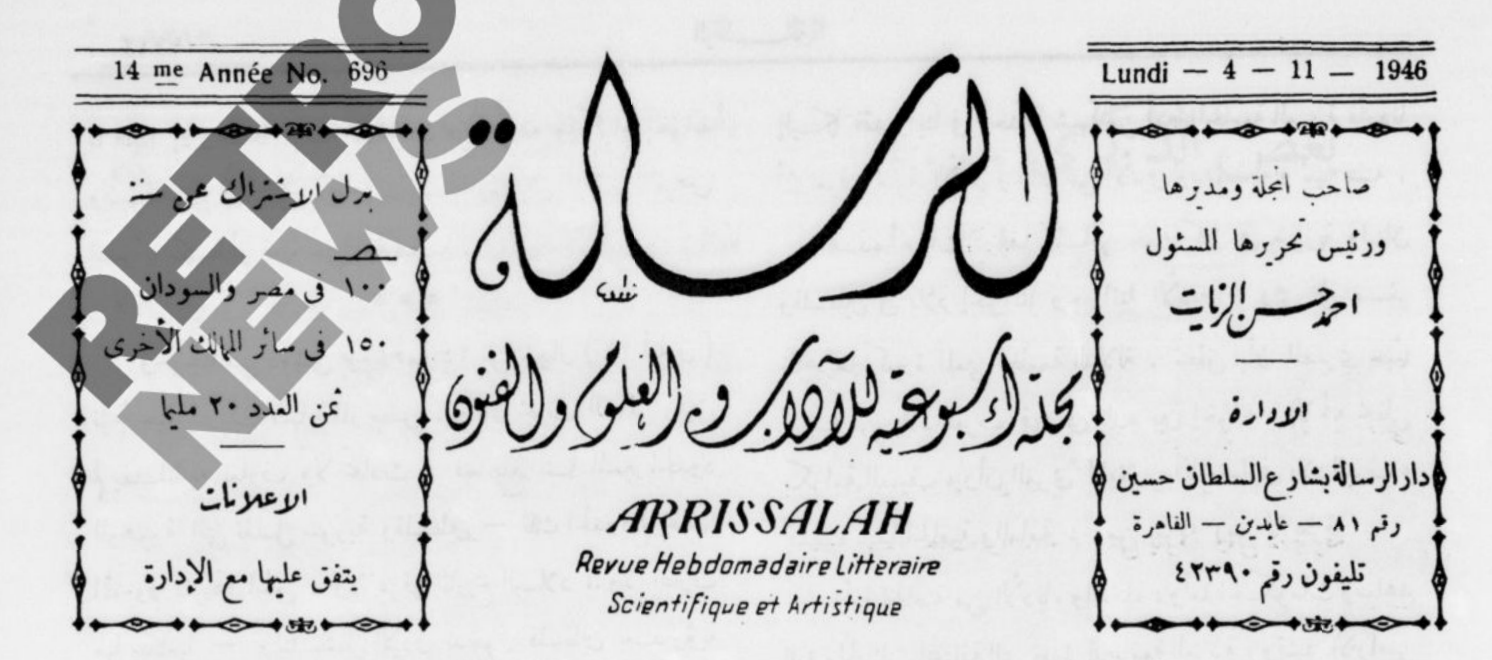

فهرس العدد



٢٧٠٣٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





14 me Année No. 696

Lundi — 4 — 11 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٦٩٦ «القاهرة في يوم الإثنين ١٠ ذو الحجة سنة ١٣٦٥ — ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٦» السنة الرابعة عشرة



# على الطــــريق

## في سورية ولبنان


للدكتور عبـــد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب


- ٢ -

وعدنا من حلب بالطريق الحديدي في مركبة كالمركبة الديزلية تسمى (أوتومتريس) وقد سميتها المستارة. وتذاكر الدرجة الأولى في هذه المركبة تخوّل لحاملها القعود في المقاعد الأولى من السيّارة الحافلة التي تنقل مسافري السكك الحديدية بين حمص ودمشق. وهذه الحافلة تقبل غير ركاب السكة الحديدية، ولكن هؤلاء أولى بها إن لم تتسع لغيرهم، ولما تركنا محطة حمص إلى هذه السيارة ألفينا ركاباً قد شغلوا المقاعد الأمامية، وكان الجوّ حاراً فبدا لي أن أتركها وأستأجر سيارة خاصة ورجعت إلى المحطة آوياً إلى الظل من وهج الشمس، وثار جدال بين بعض من رافقونا في المستارة ومن شغلوا المقاعد الأمامية. فسمعت أحد هؤلاء الرفقاء يجادل عن نفسه وعنّي وأنا بعيد عنه، وما حسبته رآني؛ ولكنه تطوّع بالدفاع عن حقي كما دافع عن حقه، ودعيت أنا ورفيقي المصري إلى الركوب وخُلّي لنا مكان. وجاء أحد من حجزوا المقاعد الأمامية في ضجّة يقول: «قد حجزت مكاني ومعي رقمه، والأرقام تتكلم» فأشار إليه أحد الراكبين، وهو مشتدّ في جدله متحمس في الدفاع عن حقه؛ وما زال الرجل يشير إليه ليقترب منه، فلما دنا قال له: إنهم مصريون. فسكت غضبه، وهدأت ثورته بغتة وقال: مصريون؟ على رأسي إذن. ولم نكن نحن المصريّين أخذنا مكانه بل أخذه أحد من شاركنا في المطالبة بالمقاعد الأمامية، ولكن الذي أراد أن يسكن غضب الرجل لم يجد أجدى عليه من أن يقول إنهم مصريون؛ وقد تمادى الرجل في مروءته بعد أن آثر المصريين بمكانه فعمّ الراكبين جميعاً وقال نحن حمصيّون وهذا بلدنا. نؤثر كل راكب على أنفسنا.

كانت كلمة مصريين قاطعة لكل جدل، ذاهبة بكل غضب، نضّر الله وجوه إخواننا في حمص وغيرها، وجزاهم عن مودّتهم ومروءتهم خيراً.

ونزلنا في النَّبْك نستريح قليلا، فأوينا إلى حديقة هناك يجري فيها جدول تدور به ناعورة، وكنا جلسنا في هذه الحديقة أيام مهرجان أبي العلاء في طريقنا إلى حلب وفي رجوعنا إلى دمشق وفي سفرتنا الأخيرة من دمشق إلى حلب، فجلسنا فشربنا القهوة، فإذا أحد رفقاء السفر ممن يعرفنا ولا نعرفه تطوع بأداء

ما علينا إذ وجدها فرصة للاعراب عن مودته وإكرام إخوانه وتبيوفه على الطريق بتَّية وســيية . وما زال يرتقب الفرص ليسرّنا بكلمة أو فعلة حتى افترقنا .

* * *

وخرجنا من دمشق يوم الجمعة ٢٤ من شوال ( ١٩ أيلول ) نؤمّ حيفا لنركب منها قطار مصر . وكان بجانب السائق رفيق لم يصِلنا به تعارف ولا تحادث . فلما بلغ بنا المسير الحدود الموهومة التى تفصل سورية وفلسطين — تلك الحدود لم يخلقها الله ولم يقرّها الحق ، ولا عرفها تاريخ البلاد ، ولا اعترف بها سكانها — نزلنا ننتظر الإذن بدخول فلسطين بعد رؤية جوازات السفر والأعمال المعتادة على الحدود ، ورأينا دكاناً أمامه كراسىّ فأخذنا سجاير وجلسنا لنشرب القهوة أنا والأستاذ محمد خلاف بك ، ووجد ذلك الرفيق الذى لم يحادثنا ولا تعرّف إلينا فرصة للتودد إلينا والإعراب عما يضمره من مودّة فأصرّ على أن يؤدّى ثمن القهوة وأبى أن يستمع لقولنا ، وأن يلين لإلحاحنا .

ثم اجتزنا الحدود وواصلنا السير حتى مررنا بعين عذبة باردة يجرى عنها الماء فى جدول وفى أنابيب من الحديد . فنزلنا هناك لنشرب من العين ووجدنا دكاناً فتقدمنا لنشترى فاكهة وقلنا حبذا فاكهة مبرّدة فى ماء هذا النبع . فلما اشترينا ما أردنا غافلنا هذا الرفيق وأصرّ إصراره الأول على أن يؤدى ثمن الفاكهة .

ليس شيئاً ثمن القهوة ولا ثمن الفاكهة ولـكن مقصد هذا الشاب كان عظيما ، ومعنى هذا العمل جليل . فهذا شاب من نابلس عرّفنا مصريين فأراد أن يحيينا بما تهيأ له على الطريق ، أو عرف شخصيّينا فبالغ فى الإيناس والإكرام .

ولما دخلنا حيفا ، وعلمنا أن المحطة التى نسافر عنها نُسفت قبل دخولنا المدينة بقليل ، وحسبنا أن السفر لا يتيسّر يومنا ، جاء رفيقنا هذا معه سيارته يدعونا إلى المضىّ معه إلى نابلس إلى أن يمكن السفر على السكة الحديدية ، فشكرنا له وانتظرنا حتى تسنّى لنا السفر .

وجاءنا فى القطار بعض الموظفين يسألوننا عن جواز السفر ثم سلّما وتحدثا إلينا وقال إنما تعللنا بطلب الجواز لنتحدث إليكما فقد رأينا فى أحدكما شبهاً من أمين الجامعة العربية فأردنا أن نعرف جلية الأمر وسألا عن الأمين ودعوا له وأثنيا عليه .

هـذه أحداث يراها المسافر حيث كان فى سورية ولبنان وفلسطين فى بلاد إخواننا وجيراننا الأدنين ، وهى على صغر ظاهرها كبيرة المعنى عظيمة الدلالة . تنطق بأن المصرى حيثما توجّه من بلاد العرب فهو فى بلده بين إخوانه ، إلا أنه يحظى بكرامة الضيف ، وأن العربىّ لا يغترب أيان سارفى بلاد العرب ، يشعره بهذا الخاصة والعامة ، ومن يعرفه ومن لا يعرفه .

وأما الخاصة من الأدباء والعلماء ، وأما الحكومات ومعاهد العلم والهيئات المختلفة التى تعمل للجامعة العربية ، وتشدّ الأواصر بين بلاد العرب ، وما يقال فى هـذا ، وما يكتب ، وما يعمل ، وما يدبّر ، فله حديث آخر طويل .

عبد الوهاب عزام

# بعض الذكرى . . . !

للأستاذ محمود محمد شاكر

كان ذلك منذ عشرين سنة ، وكنت فتى لا يمل الدؤوب والسعي ، وكانت أول مرة أدخل فيها بيت ذلك الشيخ[1] الضئيل البدن المعروق اللحم ، الذي ينظر إليك أبداً كالمتعجب . وكان الذي سعى بي إليه حب قد ملأ قلبي له ، وإجلال قد أخذ على المهدأن أبي لهذا الشيخ ماحييت وفاء الذكرى ووفاء العلم ووفاء الاقتداء ؛ وكنت يومئذ قد حضرت بعض دروسه في مسجد البرقوقي ، وقرأت عليه شيئاً من كتاب أبي العباس المبرد ، وكان يعدني كبعض ولده لسابق معرفته بأبي رحمهما الله . وكنت يومئذ سقيم الجسم خفيف اللحم محيل التجاليد ثائر الشعر ، فإذا لقيته فربما كان يقول لي : « كأنك آيب من سفر بعيد أيها الفتى » . فكنت أفهم عنه ، فإذا انقلبت إلى الدار عدوت إلى المرآة لأرى ماذا حمل الشيخ على مقالته التي لم يزل يقولها لي ويدي على يده أو في يده ، فما أرى سوى وجه شاحب ضامر ، وعينين غائرتين كأنهما تنظران إلى شيء بعيد في جوف واد سحيق عميق . فأقول لنفسي : هذا جهد التحصيل وكد النفس في قراءة هذه الأسفار القديمة التي تباعدت معانيها وتقادمت عهودها .

طرقت بابه في ذلك اليوم على غير ميعاد ، ففتح لي صغير من حفدته وقادني إلى غرفة الشيخ ، فإذا هو جالس على حشية على بساط كالح من تقادم الأيام ، وعلى يمينه خزانة كتب مطوية في جوف الجدار ، وأمامه صينية صفراء من نحاس فيها أداة القهوة ، وعلى يساره كتب مركومة ، وفي يمناه قلم يكتب . فلما سمع حسي رفع إلي بصره وسكن ، وظل كذلك ساعة وأنا بين يديه يأخذني ما قرب وما بعد من هيبته ، وجعل ينظر إلي فأطال النظر ؛ ثم لم يلبث أن قال بصوت خافت ما كنت لأتبينه لولا أني عرفت الذي يقول وكنت أحفظه ، وهي هذه الأبيات من شعر بعض الأعراب :

(١) هو إمام العربية وحامل أمانتها شيخنا وأستاذنا سيد بن علي المرصفي رحمه الله .

رأت نِضْوَ أسفارٍ ، أُمَيْمةُ ، شاحباً
على نضو أسفارٍ ، فجنَّ جنونها[1]

فقالت : « مِنْ أيِّ الناسِ أنت ؟ ومن تكن ؟
فإنك راعي صِرْمةٍ لا يَزِينها[2] ! »

فقلت لها : « ليس الشحوبُ على الفتى
بعارٍ ، ولا خيرُ الرجالِ سمينها .

« عليك براعي ثَلَّةٍ مُسْلَحِبَّةٍ
يَرُوحُ عليه مَخْضُها وحَقِينُها[3]

« سمينِ الضَّواحي ، لم تؤرِّقه ليلةً
— وأنعمَ — أبكارُ الهمومِ وعُونُها[4] »

وكان الشيخ حسنَ التقسيم للشعر حين يقرؤه ، فيقف حيث ينبغي الوقوف ، ويمضي حيث تتصل المعاني ، فإذا سمعت الشعرَ وهو يقرؤه فهمته على ما فيه من غريب أو غموض أو تقديم أو تأخير أو اعتراض ، فكأنه يمثله لك تمثيلا لا تحتاج بعده إلى شرح أو توقيف ، وكان في صوت الشيخ معنى عجيب من الثقة والاقتدار ، وفي نبراته حين ينشد الشعر معنى الفهم للذي يتلوه عليك ، فلا تكاد تخطئه المعاني التي ينطوي عليها ، لأنها عندئذ ممثلة لك في صوته . والصوت الإنساني هو وحده القادر على الإبانة عن المعاني الخفية المستكنة في طوايا النفوس أو في أحاديث النفوس .

(١) نضو أسفار : مهزول قد أذابت لحمه الأسفار ولوحته البيد . يعني بالأول نفسه ، وبالثاني بعيره

(٢) الصرمة القطيع من الابل والغنم .

(٣) الثلة . جماعة الغنم . مسلحبة : أي منبطحة في مراعيها قد اطمأنت شبعاً ورياً . والمخض : اللبن الذي يستهلك فيه زبده فلا يكاد يخرج منه زبد ، وهذا أطيب ألبان الغنم وأمرؤها على البدن . والحقين : هو اللبن يجمع في السقاء ويصب رائبه على حليبه ، فهو غذاء حسن ، وذلك كله كناية عن طيب مطعم هذا الراعي وحسن مشربه ، فهو في خفض ونعمة

(٤) الضواحي : ما برز من الانسان كالمنكبين والكتفين ، يريد ممتلئ البدن من الراحة والدعة وسكون النفس . والأبكار : جمع بكر ، وهي المرأة لم تتزوج بعد . والعون : جمع عوان ، وهي المرأة كان لها قبل ذلك زوج . أما قوله : « وأنعم » فهي كلمة معترضة أراد بها أن قد طال على ذلك الراعي ما هو فيه من خفض ورغد وراحة ورفاهية حتى ربا وسمن وزاد ، فلم يشغله شيء يضنيه أو يأكل من بدنه .

وربَّ رجل أو امرأة تسمع كلامه أو كلامها وأنت لا تعرف عن أحدهما شيئاً ، فيخيَّل إليك وأنت تسمع أنك قد نفذت على نبرات هـذا الصوت إلى أعمق الأعماق المدفونة فى هذه النفس الإنسانية التى تحادثك ، وهذا شىء لا يكون إلا فى ذوى النفوس الصادقة الصافية البريئة من حشْو الحياة وسفْسافها ، وهذه النفوس وحدها هى القادرة على أن تجعل الصوت بمجرَّده لغة مبينة عن أغمض المعانى التى تعجزُ لغات البشر عن حملها وأدائها .

وأنت محتاج حين تسمع « لغة الصوت » أن تكون يقظ النفس حيَّ الإحساس ، نفّاذاً إلى المعانى المتلفّـِّمة بالغموض ، حسن التيقظ للنبرات التى تدل على ضمير اللفظ ، سريع الخاطر فى إدراك هذا الموج المتلاحق من الحركات المختلفة . فإذا كان الذى تسمعه كلاماً يُتلى أو يُنشد كالشعر مثلا ، وكان الذى ينشده قد عاش ساعة فى معانيه حتى تلبَّس بها ونطق لسانه معبِّراً عن لسانها وعن لسان قائلها الأول — كان عليك أن تكون ليِّناً طيِّعاً سريع التبدُّل جرىء النفس فى غمرات العواطف ، حتى يتاح لك أن تعيش أنت نفسك فى هذه المعانى ساعة تتلى عليك . وعندئذ تغشاك غمرة لذيذة تدبُّ فى غضون نفسك ، فتحسُّ كأنك تُبعث بعثاً جديداً فى حياة جديدة حافلة بالصُّور التى قلما يدركها العقل إلا مُشوَّهة مُشيَّأةً متخالفة التركيب ، فلا يزال يجهدُ فى تلفيق أجزائها حتى لا يبقى من أصولها الحيَّة الصريحة الصادقة شىء ألبتة . فإن استطعت يوماً أن تجد فى نفسك أنك مستطيع أن تكون على هذه الصفة ، فقد فهمت الشعر ونفذت إلى أغواره ، وإن عجزت عن بيان ما فيه .

وفى الناس ناسٌ ، وقليلٌ ما همْ ، قد أجادوا « لغة الصوت » إجادة بارعة ، وإن كانوا فى أكثر الأحيان لا يدركون أنهم يحسنون منها شيئاً ، وذلك لطول ما انطوَوْا على أنفسهم حتى غمروها فى بحر النسيان . وربما سمعتَ أحدهم وهو يتكلم ، فما يكاد ينطق حرفاً أو حرفين حتى تحسَّ كأن كل معانى نفسه تتسربُ فى نفسك واضحة بيِّنة ، وأنك قد عرفت منه ما يكاد يخفيه عن الناس جميعاً ؛ لأنه متكبر أو قانط أو هيَّاب جزوع .

وهـذا الضرب من الناس هم أشد خلق الله حرصاً على إخفاء آلامهم ، وأبعدهم رغبة فى الاستمتاع بالعذاب الذى يقاسونه ، لأنهم يظنون أنهم بذلك قد حازوا النصر على آلامهم ، وعلى الناس أيضاً ؛ إذ استطاعوا أن يواروا عنهم خبء ما فى نفوسهم الحزينة المعذبة ...

* * *

لما سمعتُ الشيخ رحمه الله ينشد تلك الأبيات ، تمثّلت لعينى تلك المأساة الخالدة بين الرجل الصادق والمرأة التى أحبَّها ، وكانت تطمع أن يكون لها كما خيَّلت لها أوهامها ، وأن يأتيها بتحقيق أحلامها — أى أحلام حواء منـذ كانت حواء ، على اختلاف العصور وتباين الحضارات . فهذا أعرابىٌّ محب لصاحبته « أميمة » التى ذكرها فى شعره ، فدارت به الأيام فى فيافى الحياة ملتمساً ما يحقق به أمانى هذه المرأة المحبوبة ، ثم عاد إليها وقد أذابت البيد منه ما أذابت بظمئها وشمسها وجوعها ومخاوفها . فلما رأته شاحباً مهزولا رثَّا أسوأ حالا مما عهدته ، أنكرته وقد أثبتته معرفة ، فجُنَّ جنونها لأنها محبـةٌ قد أخطأت فى الرجل الذى تحبُّ كل ما كانت تؤمله ، وخانها ما كانت تتمثله فى أحلامها من صحة وشباب وأناقة وجمال . وما أسرع ما تتنكر المرأة إذا خاب ظنها وتبددت أحلامها ، وفاجأتها الحقيقة العارية بالشىء الذى يخالف ما كانت تتوهم !

كانت المفاجأة صارخة فى نفس أميمة ، فلم تلبث أن غلبتها تلك الطبيعة المتقلِّبة الغدَّارة التى طال عهد المرأة بها ، فأظهرت كأنها لا تعرفه ولم تلقَه ساعة من دهر . وجرى على لسانها ذلك الحديث الذى يرويه لنا المحبّ ، فقالت : مِنَ أىِّ الناس أنتَ ؟ ولم تقف عند هـذا فأبدت الفزع منه لئلا يخونها ما فى حنايا ضلوعها فيظهر على لسانها فعادت تقول : ومن تكُنْ ؟ ولكن أنَّى للمرأة الضعيفة التى زلزلت المفاجأة بُنيانها أن تكتم حقيقة نفسها ؟ لقد كانت منذ هنيهة تسأله سؤال الجاهل من هو ومن يكون ، فإذا بها تنهار من شدة ما تعانى من اهتزاز كيانها ، فتقول له مقالة الناقد الساخر ، محاولة أن تبدى عن احتقارها وازدرائها لما ترى ، فزوَتْ عنه وجهها وهى تقول : لو كنت

راعيَ إبلٍ ـكنت خليقاً أن تنكر النفوسُ والأعيُن ما ترى من حقارتك وبذاذتك ، فكيف ترجو أيها المحب المغرور أن تكون حسناً فى عين من تحبُّ، وأن تكون زيناً لامرأة أحبتك؟ وهكذا المرأة — إلا من عصم الله ...

فهم الشاعر المحبُّ مرمى كلامها فأنف لنفسه ، فانطلق يسخر منها بعد أن تكشّف له ضمير المرأة النادرة . فقال لها : ليس الشحوب على الفتى بعارٍ، ولا خير الرجال سمينها ، وإذا كان شحوبى قد ساءك وآذاك حتى أنكرت منى ما تعرفين ، فنعم ولك العُتبى علىّ . عليك بمن يزينك . اطلبى لنفسك راعى غنم قد اطمأنت به وبها الحياة ، فعاش خافضاً وادعاً لا همَّ له إلا بطنه ، حتى امتلأ وتضلّع وغدا سميناً بضاً جميلا كأحسن ما تأملين ، فأنتن أيتها النسوة إنما تحببن من الرجال الزينة وجدها ، كأنكنَّ إنما تتخذن الرجال حلياً لا أصحاباً ولا أزواجاً. وهكذا المرأة ، هى لضعفها تؤثر لحياتها كل ظاهر يدلُّ على القوة فهى تؤثر البدن القوى على البدن الضعيف ، وتؤثر اليسر على الخصاصة ، وتؤثر القناعة على الطموح ، وإن كان قلبها يؤثر بالحب ذلك الضعيف الفقير الطمّاح الذى أضرَّ به الكدح ، ولكن قلب المرأة هو آخر ما تهتم له إذا جاءها بمن لا ترضاه لحياتها ؛ فالمرأة مفتونة بكل مايدل على القوة الظاهرة ، ولا تكاد تبالى شيئاً بالقوة المستكنّة كالعلم والعقل والجهاد والصبر ؛ لأنها تريد أن تحيا حياة مطمئنة محفوفة بما يحسدها عليه النساء سواها لا أن تحيا مجاهدة فى عذاب حبيب مجاهد .

ومنذ سمعتُ الشيخ ينشد تلك الأبيات ، وقفتُ على كلمة فى هذا الشعر لا أزال أعجب لها وهى : « أبكارُ الهموم وعُونُها» « أبكار الهموم » ! يا لها من كلمة عبقرية ! إن مزيّة هؤلاء الأعراب البُداة على سائر من نطق بالعربية هى هذه الجراءة العجيبة التى تنقضُّ على اللغة فتنفضُها نفضاً وتختار من ألفاظها كلة تضعها حيث تشاء ، فلا تراها تقلق فى مكانها أو تضطرب ، وهم بذلك يختصرون المعانى كلها فى كلة واحدة يخبأون فيها أحلامهم وخيالهم وأحاسيسهم وأسرار قلوبهم ، كما خبأ هذا الأعرابى كل ما كان فى نفسه فى « أبكار» ، ودلَّ بها على المعانى التى كانت تضطرم فى قلبه حتى أضنته ومسحت وجهه بالشحوب ، وعرقت لحمه بالهزال ، وصيّرته إنساناً منكراً فى عين من يُحب .

فهذا الأعرابىُّ الجرىء ، والمحب المزدَرَى ، والساخر المستخفُّ عندئذ بالناس وبالنساء وبالحياة ، قد أراد أن يُعلمَ « أميمته » الباغية أنها إذا كانت تؤثر عليه امرأً غضاً ناضراً ناعماً لم تؤرّقه هموم النفس ولم يُضرَّ به الكدح فى بوادى الأحلام والآلام والآمال ، فإنه غنىٌّ عنها ، وعن سائر نساء العالمين — وأن أمثالها لسنَ له بهمٍّ ، وأن له من حاجات نفسه وهمومها « أبكاراً » كأبكار النساء و « عوناً » كعونها ، فهو راضٍ بها وبما يلقى فى سبيلها من أرقٍ وسُهادٍ . وأراد أن يُعلمها أنه لا يأسى على ما فاته من بِكرٍ ولا عوانٍ ، فإن للنفس الشاعرة هموماً « أبكاراً » لم تمسسها يدٌ ولا فكرٌ ولا حُلُم ، تجد النفس المحبة فيها ما يجد المحبّ فى العذراء الحييّة المصيّة من فتنة وجمال ونضرة وشباب ، ولا يزال يداورها ويحاورها ويشقى بالسعى فى طِلابها شقاء لذيذاً له فى القلب نشوة أوسُمار. وهى « أبكار » لا تزال عذراء على وجه الدهر لا تغيّر منها الأيام شيئاً ، ولا تُنيل الطالبَ المحبَّ إلا متاع الحبّ المجرد من شهوات الأبدان ، بل هى تغتذى بالأبدان فتضنيها وتنهكها لتبقى هى أبداً أبكاراً .

وللنفس أيضاً هموم « عُون» قد أصاب الناسُ منها ما أصابوا ، ولكن بقيت منها للنفوس الشاعرة بقية فاتنة بما فيها من دلال وكبرياء وقدرة على الامتناع عند الإمكان ، ونُبْل فى الخضوعَ والتسليم عند العجز ، فهى تداور صاحبها وتحاوره حتى تشقيه شقاء لذيذاً ثم تنيله ما يشاء حتى يرضى .

ولقد عجبتُ للشيخ يومئذ وهو يكرّر : « لم تؤرّقه ليلة ، — وأنعمَ — أبكارُ الهموم وعُونُها » فقد كانَ فى صوته ما جعلنى أنتى أنى لم أزلْ واقفاً أنصِتُ لدبيب هذه الحياة فى جوّ الغرفة ، ثم خرجتُ من عنده ولا يزالُ صَدى صوته يردّد فى نفسى تلك الكلمات المصوّرة المبدعة : « أبكارُ الهموم وعُونها».

محمود محمد شاكر

على هامش النقد :

# مواضع النقـــد الأدبى

للأســــتاذ سيد قطب

التعبير فى الفن للتصوير والتأثير . التصوير للتجربة الشعورية التى مرت بالفنان ، والتأثير فى شعور الآخرين بنقل هذه التجربة إلى نفوسهم فى صورة موحية مثيرة لانفعالهم ، وهذه هى غاية العمل الأدبى .

ولما كان العمل الأدبى مؤلفاً من عنصرين هما التجربة الشعورية والتعبير عن هذه التجربة ، فإن مواضع النقد الأدبى تنحصر فى هذين العنصرين .

ولكن التجربة الشعورية لاتبدو لنا — فى العمل الأدبى — إلا من خلال التعبير . فهو وسيلتنا الوحيدة لإدراك هذه التجربة التى مرت بالأديب فحركته للتعبير عنها . وإذا نحن فقدنا هذه الوسيلة لم نستطع بحال أن ندرك ما جاش بنفسه ، ولا نوع إحساسه به ، ولا درجة انفعاله كذلك .

ومن هنا يستمد التعبير قيمته فى النقد . فليس هو ألفاظاً وعبارات ؛ ولكنه العمل الأدبى كاملا باعتبار ما يصوره من التجارب الشعورية .

وهذا التعبير يدل على التجربة الشعورية بخصائص ثلاث مجتمعة وهى :

١ — الدلالة اللغوية للألفاظ والعبارات .

٢ — الإيقاع الموسيقى للكلمات والتراكيب .

٣ — الصور والظلال التى يخلعها التعبير من خلال الكلمات والعبارات .

وتزيد خاصة أخرى مشتركة بين الشعور والتعبير تدل على طبيعة التجربة الشعورية ونوعها ودرجتها وعلى سمة الأديب التعبيرية أيضاً . هذه الخاصية هى طريقة التناول أو طريقة السير فى الموضوع أو ما نسميه الأسلوب .

ومعروف أن لكل أديب أسلوبه المعين . وكثيراً ما يطلق بعضهم الأسلوب على العبارة اللفظية ، ولكنه فى الحقيقة أشمل ، فهو طريقة الإحساس بالموضوع والسير فيه وطريقة تنسيق العبارات واختيار الألفاظ .

يقول عمر الخيام :

طوت يد الأقدار سفر الشباب　　وصوحت تلك الغصون الرطاب
وقد شدا طير الصبى واختفى　　متى أتى ؟ يالهفا ! أين غاب ؟(١)

فما المعنى العام الذى يريد أن يبلغه لنا فى هذه الشطرات ؟

إنه يريد أن يقول : إن شبابه قد ولى ، وقد جف عوده سريعاً ، وانتهى صباه عاجلا ، فما كاد يبدأ حتى انتهى .

ولكن الأمر لم يكن معنى فى ذهنه ، بل شعوراً فى نفسه ، وهو لايريد المعنى بل يريد ما وراءه . ولهذا آثر أن يسلك طريقة أخرى فى التعبير غير التى سلكناها ، فعرض علينا صورة ليد الأقدار تطوى كتاب الشباب ، وصورة بجوارها للغصون الرطاب تصوح وتجف ، وهما صورتان توقعان فى النفس الكآبة والأسى ، وتغمرانها بالحسرة والوجوم ، وتخلعان على المشهد ظلالا كابية حزينة . ثم شاء أن يشعرنا أنه لم يحس بشبابه ولم يستمتع فلم يقل لنا هذا المعنى مباشرة . بل رسم لنا صورة متحركة ، فقد شدا طير الصبى واختفى ، وإنه لواقف يتلفت فى لهفة ويتساءل فى وجيعة : متى أتى ؟ متى غاب ؟ ومن هنا ينقل إلينا شعوره نقلا حياً موحياً فنكاد نتلفت معه على هذا الطائر — طائر الصبى الجميل السريع — الذى ما كاد يظهر حتى اختفى ، وترك وراءه اللهفة والأسى !

طريقة السير فى الموضوع إذن هى التى جعلتنا نزداد شعوراً بما يخالج نفس الشاعر فى الأسى والكآبة ، وفى اللهفة والحسرة ، دون أن يقول لنا : إنه مكتئب آس ملهوف حسير . وهذه الطريقة هنا هى نظام عرض الصور واحدة بعد الأخرى ، فتخلع كل صورة ظلا ، وتجتمع الظلال وتتناسق فتثير فى نفوسنا انفعالا خاصاً ، هو الانفعال الذى عاناه الشاعر أو ما يشبهه .

وبطبيعة الحال لقد اشترك فى إحداث هذا الأثر كلٌّ من المعانى اللغوية للألفاظ والعبارات ، والإيقاع الموسيقى للتراكيب ، والصور والظلال التى يخلعها التعبير .

انتهينا إذن إلى أن العمل الأدبى يبلغ غايته وهى التأثير بتوافر عناصر الكمال فى خصائص التعبير ، وهى طريقة الأداء ، والدلالة اللغوية للألفاظ والعبارات ، والإيقاع الموسيقى للكلمات

(١) ترجمة « رامى »

والتراكيب والصور والظلال التى يخلعها التعبير ، وهى زائدة على المعنى العام للتعبير .

ولـكن التعبير بعناصره هذه إنما هو وسيلة لغاية هى إبراز التجربة الشعورية وتجليتها .

وعلى هدى هذا البيان يظهر أن مواضع النقد الأدبى هى :

أولا : التجربة الشعورية أو الشعور كما يبدو من خلال التعبير

ثانياً : التعبير بخصائصه التى أسلفنا عنها الحديث

ونقد التعبير وخصائصه والحكم عليها سهل نوعاً إذا قيس بنقد الشعور والحكم عليه ، لأن إخضاع خصائص التعبير لقواعد عامة أمر مستطاع — مع ما فى هذا من حرج — ما دمنا نملك وضع قواعد للنقد الأدبى فيها سماحة كبيرة وشمول ، بحيث تسمح بظهور الخصائص الشخصية كاملة فى كل أديب ، ولا تقيده باتباع « مشـق » معين فى طرق الأداء أو طرق التعبير !

أما إخضاع خصائص الشعور لقواعد معينة فتحكم فى النفوس والطبائع والمشاعر غير مأمون ، والحكم على الشعور الإنسانى مسألة ليست من حقنا على إطلاقها ، فقد يطرق الأديب عوالم من الأحاسيس والخطرات والانفعالات لم تتهيأ لنا من قبل لأنه هو إنسان ممتاز غير مكرور !

ولـكن ما ذا نصنع ؟

ترانا نقبل كل شعور ونعده فى صف واحد مع كل شعور آخر من حيث قيمته الفنية ، ما دام صاحبه قد عبر عنه بطريقة صحيحة من ناحية التعبير ؟

إننا بهـذا نبخس العمل الأدبى قيمته ، لأننا نعده صوراً وألفاظاً خارجية ، لا رصيد لها فى عالم النفس والشعور .

ولحسن الحظ أن لدينا حقيقتين واقعتين فى هذا المجال : أولاهما أن التجارب الشعورية الإنسانية مشتركة فى مساحة واسعة من النفس الإنسانية ؛ وثانيتهما أن الناقد هو الذى يستطيع أن يعلل لنا حكمه .

وفى الحقيقة الأولى ضمان بأن عدداً كبيراً من الناس سيدرك قيمة التجارب الشعورية التى يصورها الأدب ، لأن لها صدى فى نفوسهم على كل حال ، وإذا لم يتحقق هذا فى جيل ، فإن تتابع الأجيال كفيل بتحقيقه ، فركب الإنسانية متصل المواكب ، والتجارب الشعورية ملك للجميع .

وفى الحقيقة الثانية ضمان بأن الحكم على قيمة شعور ما لن يبقى مجرداً كإشارات الصم البكم ، بل ستتبعه أسبابه ، وبيان الأسباب يتيح للآخرين أن يقتنعوا بها إن وجدوا لها فى نفوسهم صدى ، أو لا يقتنعوا ، ولهم ما يشاءون !

لهذا كله نرى أنه لا بد للنقد الأدبى أن يتناول طبيعة الشعور الذى يصوره التعبير ، فيصفه — على الأقل — كما يبدو من خلال الصورة التعبيرية ، ويحكم على قيمته فى عالم التجارب الشعورية .

ونضرب هنا بعض الأمثال :

يقول شاعر حديث فى قصر أنس الوجود :

قف بتلك القصور فى اليم غرقى ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين فى الماء بضا سابحات به وأبدين بضـــا

وكل بيت بمفرده جميل من ناحية التعبير والإيقاع والأداء ، ولـكنهما مجتمعين يكشفان عن اضطراب فى الشعور ، أو عن تزوير فى هذا الشعور ، ذلك أنا حين نستعرض البيت الأول :

قف بتلك القصور فى اليم غرقى ممسكا بعضها من الذعر بعضا

نجد أنفسنا أمام مشهد غرق ، والغرقى مذعورون يمسك بعضهم من الذعر بعضا ، فالشاعر إذن يرسم لنا مشهداً مثيراً لانفعال الحزن والأسى ، مشهداً يظلله شبح الفناء المتوقع بين لحظة وأخرى ، ونفهم أن هـذا هو الانفعال الذى خالج نفسه وهو يتملى ذلك المشهد الذى يثير الذعر ويقبض الصدر .

ولـكنه ينتقل بنا فجأة ونحن أمام المشهد نفسه لم نزايله ، فيقول :

كعذارى أخفين فى الماء بضا سابحات به وأبدين بضـــا

فأى شعور بالانطلاق والخفة والمرح يوحيه مشهد العذارى ، ينزلن الماء سابحات ، يخفين فى الماء بضاً ويبدين بضا ؟ !

هنا ظل لا يتسق مع الظل الأول ، ولا تفسير لوجوده هنا إلا بأن الشاعر زوّر لنا تجربة شعورية لم تمر بنفسه ، لأنه لو كان قد انفعل حقيقة بالمنظر لغمره شعور نفسى واحد إزاءه فى اللحظة الواحدة ، أو غمرته مشاعر مختلفة ، ولـكن من جو واحد .

فحكمنا هنا ينصب على شعور الشاعر لا على تعبيره ، ولـكننا إنما نحكم على هـذا الشعور من خلال التعبير ، ومن حقنا أن نحكم هذا الحكم لأن التعبير المعروض علينا يصور لنا شعوراً مزوّراً ، والفن شعور صحيح . ولو أنه فى بيته الثانى رسم لنا ظلالا

تتسق مع ظلال البيت الأول ، لكان هذا دليلا على صحة الشعور وصدق تأثره بالموقف .

ويقول شاعر قديم فى وصف زهرة حمراء على عود أخضر : إنها مثل « أوائل النار فى أعواد كبريت »

فنحس حين نقرأ البيت أن شعوره بالزهر والطبيعة كان شعوراً « من الظاهر » ، ولم يتصل حسه بالطبيعة أى اتصال ، فاقتصر بصره على تشابه الأشكال ، ومسخ الطبيعة الحية شكلا جامداً لا حس فيه ولا شعور ، ولا تعاطف بينه وبين قلب الشاعر ولا منافذ له إليه عن أى طريق .

وفى الناحية الأخرى نجد شاعراً كالبحترى يقف أمام إيوان كسرى المهجوز ، فتجيش نفسه بانفعال صادق يغشى الجو كله بغشاء واحد ، غشاء الأسى وشجون الذكرى .

فهذا الإيوان :

يُتظنَّى من الكآبة إذ يبـ ـدُو لعينىْ مصبِّح أو ممسِّ
مُزعجاً بالفراق عن أُنس إلفٍ عزَّ ، أو مُرهقاً بتطليق عِرْس
فهو يبدى تجلداً وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسى

فهو يحس بالإيوان المهجور كئيباً حتى ليظنه من يراه مزعجاً بالفراق عن أليف عزيز ، أو مرهقاً بتطليق عرس ، وهو يبدى التجلد ، ولكن كلكل الدهر ينيخ عليه ويرسى بثقله ... وهى صور حية موحية ، تشعر بالانفعال الصادق العميق .

ونجد شاعراً كابن الرومى ينظر إلى مشهد فى الطبيعة فيحسه « من الباطن » حياً ، ويتجاوب معه ويتعاطف كالأحياء : ذلك حين هبت ريح الشمال :

هبت سُحَيْرا فناجى الغصن صاحبه موســوساً وتنادى الطير إعلانا
ورق تغنى على خضر مهدلة تسمو بها وتشم الأرض أحيانا
تخال طائرها نشوان من طرب والغصن من هزه عطفيه نشوانا

وهكذا يحس الغصن حياً ذا نفس يناجى صاحبه موسوسا ، والطير تنادى إعلاناً ، والورق تتغنى على الأفرع الخضر المهدلة ، وكأنما هذه تداعبها وتؤرجحها (تسمو بها وتشم الأرض أحيانا) والطائر يخال نشوان من الطرب ، والغصن يشاركه فيهز عطفيه

وهكذا يحس الطبيعة حية ، وكأنما هى فى مرقص تميل من النشوة وتتغنى من الفرحة ...

وهكذا يعاطف الطبيعة وتعاطفه ، ويتصل حسه بحسها . وذلك معنى الصدق فى الإحساس بالتجارب الشعورية !

**سيد قطب**

# الحركة الفكرية
## في العصور الحديثة

للأستاذ رفيق التميمي

١ — الحركة الأدبية :

لقد ظهر في أوائل القرن السابع عشر ثلاثة من كبار الأدباء كانوا النجم اللامع في سماء الأدب العالمي الأوربي وهم شكسبير وسرفنتس، ولوب دي فينا . والأول شاعر الانكليز الأشهر . أما الثاني والثالث فقد ظهرا في أسبانيا

والحركة الأدبية في فرنسا لم تتبوأ مكانتها الرفيعة إلا اعتباراً من انتهاء الثلث الأول من القرن السابع عشر .

لقد ظهر في انكلترا خلال القرن السابع عشر رجلان عظيمان هما شكسبير وملتن . أما شكسبير فقد تبوأ مكانته الأدبية الرفيعة في عصر الملكة اليصابات ، وظل يغذي الأدب الانكليزي بآثاره الخالدة في أيام الملك جيمس الأول . ويقول أساتذة الأدب العالمي إنه ليس بين الشعراء المتقدمين والمتأخرين من أبرز مثله معارف واسعة في جميع أدوار الحياة وأطوارها ، ولا أبدى سواه مثل اطلاعه على ظواهرها وأسرارها ؛ فقد كتب في موضوعات يدخل فيها كل وجه من وجوهها . وبحث في كل مطلب من مطالبها ، وكان في جميع هذه الأبحاث أستاذاً كبيراً وحكيما وخبيراً حتى يكاد الناس اليوم لا يعمدون إلى درس موضوع منها ما لم يساقوا بطبيعة الحال إلى درسه في مخلفات شكسبير ، فهو كراوية لا مضارع له ، أما كشاعر فلا يذكر بجانب اسمه إلا واحد أو اثنان ، وكفيلسوف حكيم لا تكاد تفكر في معضلة حيوية إلا تراه قد طرقها وحلها ، ولا تطلب مطلباً إلا تجده بين كنوزه التي لا تحصى ولا تثمن .

والألمان أول من ترجم شكسبير إلى لغة أجنبية وقام نقاد كبار منهم يوضحون مزاياه الرائعة ومراميه السامية حتى انفتحت أعين العالم على معينه الفياض فأخذوا يغترفون منه ما لذ وطاب ؛ وهكذا تحول أعظم شاعر في انكلترا إلى أعظم شاعر في العالم كما يقول علماء الأدب .

ولشكسبير آثار خالدة : منها الزوبعة وحلم ليلة في منتصف الصيف ومكبث وروميو وجوليت وهملت وتاجر البندقية والبطل وقد ترجمت هذه الكتب باللغة العربية .

وظهر في أيام الملك شارل الثاني شاعر كبير هو ملتن ، وقد كان على المذهب البيوريتاني وألف باللاتينية بعد إعدام الملك شارل الأول كتاباً دافع فيه عن العدالة في قتل الملك . فلما عاد آل استوارت إلى عرش انكلترا اضطر ملتن إلى أن يعتزل العالم أربع عشرة سنة ، وفي خلال ذلك وضع في عزلته وعماه قصائده الخالدات الإثنتي عشرة وهي التي سماها الفردوس المفقود والفردوس المردود .

ونبغ في أيام ملتن أديب بيوريتاني آخر هو يوحنا بنيان كان سجن بعد عودة آل استوارت اثنتي عشرة سنة لأنه لم يكن على المذهب الانجليكاني ، وفي وحشة سجنه وضع كتاباً سماه (سياحة المسيحي) وهو من أعجب الرموز - في الأدب الانكليزي .

وفي خلال القرن الثامن عشر ازداد عدد الكتاب والشعراء والروائيين والمؤرخين . ولا شك أن لظهور طائفة من أمهات الجرائد والمجلات الانكليزية حينئذ علاقة كبرى بذلك الازدهار الأدبي والعلمي نذكر هنا على سبيل المثال (أدباء البحيرات) الذين خلدوا جمال الطبيعة في أشعارهم ، والروائي الذائع الصيت (ولتر اسكوت) وبه يبدأ الدور الإبداعي في الأدب الانكليزي ، وجون كيتس ، والمؤرخ أدوردجيبن . وظهر في ألمانيا خلال القرن الثامن عشر الكاتب الكلاسيكي (كلوبستوك) ، والأديب (وايلند) والروائي (لسينغ) و (هردر) ، وكان هؤلاء الأدباء ينقلون عن الأدب الفرنسي ويقلدون المؤلفين فيه .

وفي الثلث الأخير من القرن الثامن عشر نشأ في ألمانيا طراز جديد للتأليف بفضل أدباء عظام يأتي في مقدمتهم لسينغ ، وغوته ، وشيلر . وقد وضع هؤلاء منهاجاً جديداً يختلف عن المنهاج الكلاسيكي الذي كان شائعاً آنئذ في فرنسا ، وسمي هذا الدور في الأدب الألماني بدور العاصفة أو الهجوم .

لقد اتجهت عناية هؤلاء الأدباء الكبار إلى تحسين أداء

المعانى التى تثير العواطف دون الالتفات إلى إرضاء الناس بإجادة معانى الكلام وتنميق العبارات ، وفى خلال هذه الحركة الأدبية الجديدة بات الكتاب والشعراء والأدباء ينطقون بما توحيه إليهم أفكارهم ومشاعرهم وينتقون من الحوادث اليومية مواضيع لكتاباتهم . فاذا اختاروا حادثاً قديماً فانهم يجعلون رجاله من بين الألمان القدماء المعاصرين أمثال وليم تل وولنشتين، وقد انصرف همهم إلى أن يكتبوا بلغة يفهمها الناس ويألفها القراء ، وبذلك أصبحوا يخاطبون سواد الشعب ولا يعنون بأبناء الطبقة الممتازة .

وكان نابوليون وصف غوته ، أحد رجال المذهب الأدبى المتقدم ذكره ، بأنه رجل ، وهو فى الحقيقة رجل عبقرى استطاع أن يستغل مواهبه الرفيعة ، وأن يسمو فى أعماله وأدبه إلى الذروة ، ويطلق العنان لتفكيره فيذهب فى مختلف الشعاب ، ويبلغ به أقصى الأغراض . وامتاز غوته بعقله الخصب وإحساسه المتقد وخياله الخصب الواسع ، وكان يستوحى من حياته الطويلة التى كادت تمتد إلى قرن كامل كل العظات الجسام التى حفلت بها ، ويستخلص من حوادثها دروساً جليلة فى الفن والأدب والفلسفة والاجتماع ، ومن آثاره الخالدة « فاوست » و « آلام فرتر » .

وظهر فى فرنسا خلال القرن السابع عشر من الكتاب والروائيين العظام ( كورناى ) و ( ديكارت ) واضع الفلسفة الحديثة و ( بسكال ) المعجزة فى الرياضيات ، وعدو اليسوعيين . وظهر فى النصف الأخير من القرن المذكور الروائى الكبير ( موليار ) والشاعر ( بوالو ) والروائى العظيم ( راشيل ) وواضع الأمثال الشعرية الخلابة ( لافونتين ) ، و ( بوسويه ) الواعظ ببلاط الملك لويس الرابع عشر ، و ( لابروبار ) الروائى والوصاف للأخلاق والآداب المعاصرة ، و ( فنلون ) الأسقف والكاتب . ولقد اتصف هؤلاء الكتاب والأدباء والشعراء بمعرفتهم التامة لنوابغ اليونان والرومان وبتقليدهم إياهم فى جميع آثارهم الخالدة التى ازدان بها الأدب الفرنسى الحديث .

وفى بدء القرن التاسع عشر أخذت مبادىء الحركة الأدبية الجديدة تنتشر فى ألمانيا على يد كبار الأدباء وفى مقدمتهم غوته ، وشيلر ، ولسينغ ، وسميت تلك الحركة بالمذهب الابداعى (الرومانتيك) ، ومع أن هذا المذهب كان دون المذهب الكلاسيكى كمالا فان الألمان وجدوه ألعب بالألباب ، وأكثر تأثيراً فى العواطف وأقرب إلى طبيعة القارئ واستقبلوه بالإعجاب والتقدير .

وما لبث المذهب الأدبى الجديد أن انتشرت مبادئه وقواعده فى سائر البلاد الأوربية وبات البيان الألمانى نموذج لكتاب أوربا منذ بداءة القرن التاسع عشر . وقد رفع لواء المذهب الابداعى الجديد فى ألمانيا كل من شليكل ، وتيك ، وبرنتانو وهوفمان ، وحينما كانت ألمانيا ترزح تحت السيطرة الفرنسية أيام عظمة نابليون ألف فريق من الشباب المتحمسين جمعية ( ألمانيا الفتاة ) وأخذوا ينشرون مبادئهم القويمة بمختلف الطرق وينبهون بنى قومهم إلى وجوب تخليص وطنهم من الحكم الأجنبى ، ودعم هذه الحركة الوطنية فريق من الأدباء والشعراء ووضعوا لذلك مؤلفات قيمة ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء من الأدباء : (غوتزكو) و (لوبه) و (بورن) و (هنرى هين) و (شنكندورف) .

وفى أواخر القرن الثامن عشر دخلت مبادئ المذهب الابداعى إلى إنكلترا غير أنها لم تكن فى بادىء الأمر إلا عبارة عن ( بدعة مخالفة للشعر المألوف ) كما كانوا يقولون عنها . فحاول بعض الشعراء نظم القصائد والأشعار باللغة العامية وأحيوا ما كاد يندرس من قصائد العصور المتوسطة .

وظهر فى الربع الأول من القرن التاسع عشر الشاعران النابغان ( بايرون ، وشيلى ) الاريستقراطيان وأضافا إلى الأدب الانكليزى صفحات خالدة من الشعر الرقيق ، ومات الاثنان فى سن الشباب . وذهب الأول ضحية الحمى فى مدينة (ميسولونكى) حين ذهب إليها ليشارك الثوار اليونان فى ثورتهم ضد الدولة العثمانية ، وكان بايرون لا يبحث فى شعره إلا عن نفسه ، وقد فصل فيه مغامراته وآلامه وملذاته وغرامه وحقده وشدة شغفه بالابتعاد عن الناس وضجره من الحياة ، واحتقر بوقاحة أبناء الطبقة البورجوازية .

وامتاز الكاتب الكبير ( ولتر سكوت ) برواياته التاريخية التى نالت إعجاب الجمهور وتقديره . أما ( تشارلز ديكنز ) فلم يعن بالحوادث التاريخية فى رواياته بل انصرف بكليته إلى وصف الظروف والبيئة الاجتماعية التى وقعت قصصه فيها فجاءت كتبه مرآة صافية انعكست فيها أخلاق القوم وميولهم وعاداتهم . وبرع الكاتب الفكه ( تكرى ) فى دقة الوصف وقوة التعبير فى كتابيه : أغنياء الجيل ، ومعرض الأباطيل

وامتاز النصف الثانى من القرن التاسع عشر بوفرة الانتاج الأدبى واتصاله الوثيق بالفنون الجميلة ، وظهر من الأدباء والشعراء فى انكلترا من كان له باع طويل فى الرسم والنحت مثل : روستى الرسام ، ووليم موريس النقاش ، وجون رسكين الذى مثل عصره خير تمثيل بكتاباته التى تزخر بحماسة غير مفتعلة ، وبلاغة ساحرة ، وامتاز رسكين بتفكير سليم مكنه من أن يتناول أعقد الأمور وأخطر المواضيع فى الأخلاق والاجتماع ، ويناقشها بسهولة عجيبة ، وقد اشتهر أسلوبه بالبهجة والرشاقة رغم طول الجملة فى كتاباته وتزاحم الأدلة والبراهين فيها ، وقد كان لرسكين أعمق الأثر فى ترقية الفنون الجميلة وتنسيق الجهود الرامية إلى تدعيم الأخلاق وتقويتها .

وخلف راسكين فى ترقية الفنون والآداب فى انكلترة طائفة من الشعراء والفلاسفة والرسامين وكتاب القصص ومنهم (مريديث) و (رديارد كبلينغ) و (أتش . جى . ويلز) ، وامتاز مريديث بدقة الملاحظة وإتقان التحليل النفسى؛ أما كبلينغ فقد سجل فى كتبه عظمة الشعب البريطانى وقوة تفكيره ، ومتانة خلقه وسلامة ذوقه . ورمى ويلز بمؤلفاته المختلفة الأدبية والاجتماعية إلى وجوب القيام باصلاحات عميقة فى حياة الأمم الاجتماعية والسياسية .

وأشهر من ألف روايات تمثيلية (اسكار وايلد) و (برناردشو) . وانصرف وايلد إلى وضع روايات هزلية امتازت بشدة الحوار والتعمق فى البحث والنقد إلا أنه أغضب طائفة كبيرة من الشعب بنقده اللاذع ومجونه . أما برنارد شو الإيرلندى الاشتراكى المتطرف فقد أدخل إلى مسارح انكلترا روايات هزلية ذات طابع خاص فلسفى ، وانصرف بكليته إلى نقد المجتمع المعاصر نقداً لاذعاً وإلى وصف النواحى العوجاء فيه وصفاً مؤثراً طالب فيه بوجوب القيام باصلاح اجتماعى عاجل . وتحمل كتبه كلها طابعاً اشتراكياً متطرفاً .

وفى خلال القرن الثامن عشر ظهر فى فرنسا عدد من الكتاب البارعين سموا أنفسهم فلاسفة على أنهم لم يبدوا رأياً جديداً فى القضايا التى كانت محط نظر رجال الفلاسفة وإنما صوبوا أنظارهم إلى المسائل العلمية فدرسوا العقائد والسنن القائمة فى عصرهم . وكانوا إذا ظهر لهم منها ما يخالف العقل طفقوا يحملون عليها بأقلامهم ويفضحون معايبها . فهم والحالة هذه كانوا منشئين أكثر منهم فلاسفة .

وكانت الهيئة الاجتماعية يومئذ فى بلاد أوربا قائمة على دعائم متشابهة هى السلطة المطلقة للحكومة ، وكان الشعب قد اعتاد على الطاعة للملوك ، وكانوا يقولون إن سلطة الملك مستمدة من الله تعالى فللملك حق الحكم وعلى شعبه واجب الطاعة . وهكذا كان شأن المؤمنين مع الكنيسة سواء أكانوا فى البلاد البروتستنتية أم الكاثوليكية ؛ فلقد كان من حقوق الكهنة تقرير العقائد الواجب اتباعها وتعيين الاحتفالات وكانوا لا يطيقون أن يكون فى الدولة الواحدة أكثر من مذهب واحد ، وكانت الكنيسة تتعاون مع حكومة الملك المستبد فى تنفيذ المبادىء المتقدم ذكرها فكانت الحكومة تقتص من الهراطقة ، وتوجب على الشعب إطاعة الكنيسة ، وقد جعل الكهنة مقابل ذلك إطاعة الملك فرضاً دينياً لا يجوز إغفاله .

وقام فريقان من الفلاسفة المصلحين فى فرنسا : الأول فى النصف الأول من القرن الثامن عشر وقوامه فولتير ومنتسكيو ، والجيل الثانى فى النصف الأخير من ذلك القرن وقوامه جان جاك روسو ، وديدرو ، وجماعة العلماء المعروفين برجال الموسوعة .

أما منتسكيو وفولتير : فكلاهما من أهل الطبقة العليا ، وكان فولتير عدو الأديان الموضوعة ولا يعترف إلا بالدين الطبيعى القائل بوجود الله وخلود النفس . وقد بشر بالتساهل ودافع عنه فى جميع كتبه وطالب بديانة خالية من العقائد والرموز والأسرار ، ومقتصرة على تعاليم أدبية واجتماعية شعبية ، وقلما خاض فولتير فى مسائل الحكومة ، وكان تلاميذه الكثيرون يبتعدون عن السياسة ويكتفون بمهاجمة الكهنة وأنظمة الكنيسة تحت عنوان العقل أو الانسانية .

أما منتسكيو فقد وضع مبدأ توزيع السلطات وهى التشريعية والقضائية والتنفيذية وحض على فصل هذه السلطات بعضها عن بعض ليتسنى للشعب حكومة عادلة ، ودافع منتسكيو عن مبدأ استخدام النبلاء فى مناصب الدولة وعن عدالة توزيع الضرائب على جميع أفراد الشعب بلا استثناء ، ووجوب إلغاء التعذيب والعقوبات القاسية واحترام حرية الفرد .

وكان كتاب الجيل الثانى يعتنقون مبادىء ثورية ويحرضون

الشعب على نقض التشكيلات الاجتماعية والسياسية والدينية القائمة . وكان روسو يعتبر أن الإنسان صالح بالطبع إلا أن التشكيلات الاجتماعية القائمة فى عصره قد حرمته من خيرات الطبيعة وأن حق التملك جائر ، وأن الحكومة أكثر جوراً لأنها تستبد بالناس وتنشر بينهم مبادئ شريرة ؛ فيجب والحالة هذه القضاء على التشكيلات الاجتماعية القائمة وإبادة حق التملك والحكومة المستبدة ثم الرجوع إلى الطبيعة ليتفق الناس حينئذ على شكل من أشكال الحكومة يستحسنه الجميع ويساوى بين الجميع فى الحقوق والواجبات ، ويستعاض به عن سلطة الملك بسلطة الشعب ويصبح الوطنيون كلهم سواء، وتخول الحكومة التى يختارها الواطنون السلطة المطلقة لتدبر وتنمى ثروة البلاد وتنشر العلوم وتشرف على مبادئ الدين ومعابده . وقد فصل روسو هذه المبادئ الثورية فى كتابه الشهير (العقد الاجتماعى).

وحينما كان روسو ينشر تعاليمه كان الأستاذ ( ديدرو ) ينشر موسوعته الشهيرة ، وقد جمع فيها خلاصة المعارف الإنسانية بعنوان الانسيكلوبيديا ، واشترك فى تأليفها جماعة من رجال الأدب والعلم والفلسفة ، وهى فى ثمانية وعشرين مجلداً ضخما انتشرت فى جميع أنحاء أوربا ، ونقلت معها أفكار الفلاسفة الإصلاحيين فى إصلاح المجتمع من الوجهات السياسية والدينية والاجتماعية والأدبية .

وانتشر المذهب الابداعى بفرنسا فى أيام نابليون ، وذلك بفضل الأديبة مدام دى ستايل التى كانت تنشر مقالات متتابعة عن الحركة الأدبية الجديدة فى ألمانيا .

وفى أوائل القرن التاسع عشر ظهر الكاتب الفرنسى العبقرى ( شاتوبريان ) فغذى الأدب الفرنسى بمؤلفاته القيمة التى حافظ فيها على قواعد المذهب الكلاسيكى إلا أنه اقتبس مادتها من الكتب الدينية والحياة العصرية خلافاً لما كان متبعاً فى العصور السابقة .

وحين نبغ شاعر فرنسا الأكبر فيكتور هوغو انتشرت مبادئ المذهب الابداعى التى تحض على تنويع مادة الكتابة ، وعلى نقل مؤلفات الكتاب الكبار فى الأمم الأجنبية إلى اللغة الفرنسية . وامتاز الابداعيون عن سواهم بالبحث عن الفرد إلى جانب مجموع الأمة وانصرفوا إلى التوسع فى وصف المناظر والأشخاص والأشياء وصفاً دقيقاً حتى بانت كتاباتهم كأنها مرآة صافية انعكست فيها ما كان يقع تحت بصر الكتاب من الأمور والمناظر المختلفة .

وحمل لواء هذا المذهب الجديد من الأدباء والشعراء لامارتين وفيكتور هوغو ، وجورج ساند . ثم تبعتهم طائفة كبيرة من الشبان ، وحين نشر فيكتور هوغو روايته ( كرومول ) اعتبرت مقدمتها بمثابة منهج للمذهب الابداعى . وأخذ الكتاب يخاطبون الشعب بلغته الدارجة دون أن يتحرروا الأسلوب العالى فى الإنشاء وبات الإبداعيون يعرفون بأنهم يرمون فيما يكتبونه إلى جمل فن الكتابة أكثر وضوحاً وأقرب إلى مباهج الطبيعة ومناظرها الجميلة بخلاف مبادئ المذهب المدرسى (الكلاسيكى) الجافة المملة .

وفى خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر قام فريق من الكتاب يناهضون الإبداعيين ويدعون الدفاع عن الحقيقة وعن الطبيعة كما هى دون طلاء أو تزويق ، ثم انصرفوا إلى وصف مشاهد الحياة المختلفة وصفاً دقيقاً مع إسهاب فى ذكر الجزئيات وقد دعى أرباب هذه المذاهب بالواقعيين Rèalistes أو الطبيعيين Maturalistes واتصفوا بدقة التعبير ووفرة المفردات اللغوية وجمال الأسلوب . ومن أشهر هؤلاء الكتاب ( غستاف فلوبير ) و ( الكونت دى ليل ) و ( أميل زولا ) .

وفى فجر القرن العشرين ظهرت طائفة من الأدباء والكتاب والشعراء فى مختلف الممالك أسدت للبشرية خدمات قيمة فى تنويع الأدب العالمى وزخرفته . ومن هؤلاء الأديب الفرنسى بيارلوتى الذى وصف البلاد الحارة والشرقية أحسن وصف ، والروائى النرويجى ( ايبسن ) الذى درس جهود الأمم الراقية التى تستهدف هدم الأوهام والتقاليد البالية والقضاء على العوائد السخيفة .

وامتاز بأدب القصة كتاب روسيون أشهرهم ( تولستوى ) و ( دستويفسكى ) . وظهر فى السنين الأخيرة مذهب جديد فى الأدب هو المذهب الرمزى ( Symbolisme ) وقد أهمل أتباعه القيود البيانية القديمة ، ونهجوا مناهج جديدة فى النثر والشعر اعتقدوا أنها أخف وقعاً فى النفوس وأرق بياناً وأحكم إعراباً عن مختلف المشاعر والأحاسيس ، وترأس هذه الحركة الأدبية بفرنسا الأديب (ملارميه) ثم تبعه كل من (بودلير) و (فرلين) .

رفيق التميمى

**الأدب في سير أعلامه :**

# ملــتن ...

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال ... ]

للاســتاذ محمود الخفيف

— ٣١ —

**البطل الضرير :**

أيقن ريتشارد ولم يك له شيء مما كان لأبيه من قوة العزم وصدق العبقرية أن الجيش قد غلبه على أمره ، بعد أن آثر الانحياز إليه وطرد من أجل ذلك البرلمان الذي اجتمع في عهده لكثرة أنصار الملكية فيه ، فلم يعد له وهو حامي الجمهورية بعد أبيه من السلطان شيء ، ففضل أن يركن إلى الدعة وأن يفلت من الحكم إذ لا طاقة له بالنضال والاقتتال في وقت اضطربت فيه شؤون الدولة وتصارعت أهواء الرجال ، فترك « هويت هول » إلى داره قبل أن تكرهه الحوادث إكراهاً على ذلك ...

وأصبح الحكم لرجال الجيش ، وكان على رأسهم في انجلترة لامبرت ، ولكن لامبرت فوجئ بهجوم مُنك قائد كرمول في اسكتلندة فنهض لملاقاته ، وتهددت البلاد حرب جديدة ، ولكن فيرفاكس ذلك الذي مجده ملتن بمقطوعة من مقطوعاته — كما رأينا — أنذر لامبرت بأنه منضم إلى منك ، فاستخذى لامبرت وتفرق أصحابه وتم الأمر لمنك ، فدعا مؤتمراً لينظر ما ذا ينبغي فعله ، فجاءت الكثرة فيه من الملكيين والبرسبتيريز الذين أذعنوا على رغمهم سنين للجيش ؛ واجتمعت كلمة المؤتمر على إعادة الملكية ، وذلك في مايو سنة ١٦٦٠ .

وكان ملتن في ذلك الجو الملئ بالعواصف لايزال يشغل نفسه بالدفاع عن الجمهورية ، فنشر في مارس سنة ١٦٦٠ آخر كتيباته السياسية ، وجعل له عنواناً طويلا هو : « الطريقة العاجلة السهلة لإقامة جمهورية حرة وما يترتب على ذلك من حسنات إذا قورن بالأخطار وعدم التلاؤم المترتبين على السماح بإعادة الملكية في هذه الأمة » .

وحسب القارئ عنوان الكتاب وحده للدلالة على مبلغ ملتن من الشجاعة ؛ وليس مصدر شجاعته التهور ولا الجهل بما يحيط به كما قد يخيل إلى بعض حسدته وكارهيه ، وإنما كان مثله مثل الجندي في مدينة محاصرة ، إذ تأبى عليه نفسه إلا أن يطلق آخر ما في كنانته وأن يبذل أقصى ما في طوقه أنفة منه وحفاظاً وإن علم أنه هالك لا محالة !

ولم يقف ملتن وحده للدفاع عن الجمهورية الذاهبة وتخويف الناس وتحذيرهم من الملكية العائدة ، وإنما حذا حذوه طائفة من أنصار الحكم الجمهوري ، فكان هو بكتيبه هذا ترجمانهم القوي الأمين ، ولكن هؤلاء الجمهوريين كانوا في الحق أشبه بعلماء بيزانطة الذين اشتد بينهم وبين خصومهم الجدل ، بينما كان محمد الفاتح يقرع عليهم أبواب مدينتهم ، وقد سوى جنده وأعد للأمر عدته !

وإن المرء ليتملكه العجب حقاً إذا قرأ ما جاء في كتيب ملتن ، وقد نشر قبل مجيء شارل الثاني بنحو شهرين . اقرأ مثل عبارته هذه وانظر أي مبلغ بلغت شجاعته . قال : « حقاً ، إن الناس قد أصابهم الجنون ، أو أطبقت عليهم الغفلة ، فهم يلقون أكبر آمالهم في الطمأنينة أو الأمن على رجل واحد ، لا يصنع أكثر مما يصنعه أي رجل غيره إن جاءت به المصادفة طيباً ، ولكن له من القوة ما يصنع به من الشر أكثر مما يصنع ملايين الناس إن كان خبيثاً ، وليس يصده عن وجهه أحد ؛ إن سعادة الناس لا تتحقق إلا في مجلس حر يختارونه كله بأنفسهم حيث لا يتحكم فرد واحد ولكن يسود العقل وحده ؛ وأي جنون هذا الذي يبلغ بقوم يقدرون على أن يدبروا شؤونهم في نبل حتى يلقوا تدبير هذه الشؤون على كاهل رجل واحد ، ويفعلون ذلك في ضعف واستخذاء ، فيكونون أشبه بصبية لم يبلغوا سن الرشد إذ يتركون كل شيء لرعايته ومطلق تصرفه في حين أنه لايستطيع أن ينهض بما تعهد به ، وهو في الوقت نفسه إذ يؤجر على تعهده لا ينظر إلى نفسه نظرة خادمهم ، بل يعد نفسه سيدهم المطاع ! »

ويقترح ملتن أن يكون للمجلس الذي يشير إليه حق الاجتماع مدى الحياة ، فلا يتغير رجاله كل مدة معينة إلا من مات أو ترك لأمر ما ؛ ويقول ملتن إن هذا المقترح يبدو عجيباً لأول وهلة عند قوم ألفوا البرلمانات ، ولكنه ضائق بهذه البرلمانات المتغيرة ، وعنده أن مثل هذا المجلس الدائم يكون أجدى على الدولة ، لأنه يكتسب الخبرة بطول الأمد ، ويقف على حقيقة ميول الناس ، وما يتطلبه إصلاح أمورهم وتتوثق صلاته بهم ، كما تعظم خبرته

بالأمور الخارجية ، ولكى تضمن الدولة صلاحية من يختارون وصلاحية من اختيروا ، ينبغى أن تصلح نظام التعليم وتغرس فى نفوس الناس حب الفضيلة والإيثار والتواضع والاعتدال ، فلا يغترون بالمظاهر ، ولا يخضعون لذوى المال والجاه ، ويجب أن يعلموا مبادىء الحرية ، ويعلموا كيف يسمون بأرواحهم وعقولهم ولن يحقق هذا للناس إلا جمهورية رائدها الخير للجميع .

ولكن ملتن يائس من بنى قومه ، موقن أنهم لن يستمعوا له فيقول : « إنى على يقين أنه كان علىّ أن أتحدث إلى الشجر والحجارة فحسب ، فليس ثمة من أصيح به ، ولكنى أهتف مع النبى: أيتها الأرض .. أيتها الأرض . . أيتها الأرض ... لأنى التربة نفسها ما يصم أبناؤها المخالفين آذانهم عنه » !

ويتحسر ملتن على الأمل الضائع فيقول : « أين ذلك البرج الشاهق الطيب ؟ أين الجمهورية التى افتخر الإنجليز بأنهم يقيمونها لتغشى الملوك بالظلمة وتكون روما أخرى فى الغرب ؟ ... إذا عدنا إلى الملكية ووجدنا المساوىء القديمة تعود شيئاً فشيئاً .. تلك المساوىء التى لا بد أن تنجم عن الملك والقسيس مجتمعين ، فربما اضطررنا إلى أن نحارب مرة ثانية كل ما حاربناه من قبل ، وكلما اعتبرت فى هذه الأشياء الواضحة السهلة المعقولة ! »

ولكن هذه الصيحة على قوتها وبلاغتها وما تنطوى عليه من حرارة الإيمان وجرأة القلب ، ما لبثت أن ضاعت فى ضجيج الناس وأفراحهم بالملك العائد وذهبت فى المواكب الهاتفة وفى رعود المدافع القاصفة ، كما تذهب حفنة من الماء يلقى بها فى عباب دافق ، فها هو ذا شارل الثانى يهبط انجلترة فى اليوم التاسع والعشرين من شهر مايو سنة ١٦٦٠ ، وهو يوم عيد ميلاده ، فأصبح كذلك عيد عودته ، وكان له من العمر يومئذ ثلاثون عاماً.

وكانت عودة الملكية وبالا على ملتن والجمهوريين جميعاً ؛ فقد فقد منصبه بالضرورة ، ولكن فقد المنصب خطب هين إذا قيس إلى ما بات يتهدده وأصحابه ، ولم يك ملتن يتوقع أقل من الشنق نكالا به وبمن ذهب مذهبه من الجمهوريين . وكان اسمه أبغض الأسماء إلى الملكيين بعد اسم كرمول وحده ، ولم يعف كرمول الموت من التنكيل برفاته . فقد بلغ الحنق بالعائدين أن نسوا إنسانيتهم فأخرجوا رفاته من القبر وشنقوا ما تركه البلى من عظام كما يشنق الأحياء فى حفل شهده الناس ؛ ولن يصل الحقد والحنق فيما نرى إلى أبعد من هذا ، ولن يكون فى السخف ما هو أسخف من هذه الفعلة التى نحار كيف نصف شناعتها ، وأى نعت ننعتها به ، وإذا كان هذا موقف الحانقين من الموتى فكيف بموقفهم من الأحياء ومن ملتن على الأخص ذلك الذى دافع عن إعدام شارل والذى ناصر حكومة كرمول بكل ما فى طاقته من جهد ، والذى لم يأل جهداً فى السخرية من أسرة ستيوارت وإطلاق قلمه فيهم بكل عيب ، والذى ظل عدواً للملكية يرى فيها شراً محققاً ويدعو الناس إلى كراهيتها بكل ما فى وسعه من أوجه القول ووسائل الإقناع إلى ما قبل عودتها بنحو شهرين ...

ولم يك يشك أحد من أعدائه أنه يتحدى الموت ، وإلا فما باله يريد أن يسمع الشجر والحجارة ما لا يريد الناس أن يسمعوا ، وما باله يظل على عناده لا يتزلزل ولا يتحول ، وأيقن أصدقاؤه أن الموت لا محالة جزاؤه ، فحملوه إلى سمثفيلد حيث أخفوه أربعة أشهر من مايو إلى أغسطس ١٦٦٠ .

وفى أواخر أغسطس أصدر الملك عفواً عاماً عن أعدائه السياسيين إلا من جاءت أسماؤهم فى قرار العفو ، فهؤلاء حق عليهم العقاب ، وهم الذين كانت لهم صلة وثيقة بمحاكمة شارل الأول وإعدامه ، وقد أعدم من هؤلاء عشرة وألقى فى السجن عدد غيرهم ، ولم يك ملتن من هؤلاء ولا من هؤلاء ، إذ لم يدرج اسمه فيمن أستثنى من العفو ...

وكيف تأتى ذلك ؟ كيف نجا ملتن من حبل المشنقة وهو الذى برر إعدام شارل فى كتاب أذاعه فى أوربا لا فى انجلترة وحدها ؟ هل أنجاه الاختفاء ؟ كلا ؛ فلم يك يمنع اختفاؤه أن يجىء اسمه فيمن يقتلون أو يسجنون حتى يعثر عليه .

لقد ذكرت آراء حول نجاته ، ولكن مردها جميعاً إلى الظن ، إذ لم يقف المؤرخون على حقيقة مقررة فى هذا الأمر ؛ فمن قائل إن أصدقاءه فى البرلمان الجديد بذلوا قصارى جهدهم لينجوه ، وكان له فى البرلمان بضعة نفر من المعجبين به ومنهم صديقه الحميم مارفل؛ وثمة رواية رواها ريتشاردسون فى مذكراته وهو أحد من كتبوا عن ملتن فى أوائل القرن الثامن عشر ، وقد استمدها من الشاعر بوب الذى يعزوها إلى بترتون أحد مشاهير الممثلين فى الفترة التى أعقبت عودة الملكية ، والذى يرجح أنه أخذها بدوره من الشاعر الملكى دفنانت ، ومؤداها أن دفنانت هذا قد ألقى به فى السجن أثناء النزاع بين شارل الأول

والبرلمان ، ولكن ملتن عمل على نجاته وما زال يسعى حتى أطلق سراحه ، فلما دارت الأيام دورتها ووقع ملتن فى مثل ما كان فيه دفنانت ، رد هذا الشاعر له الجميل فعمل على خلاصه ؛ وهناك رأى غير هذين يميل إليه كثرة النقاد ومنهم د كتور جونسون وخلاصته أن مرد نجاته إلى شىء من القدر وشىء من العطف ، فإن رجلا مثل ملتن كان خليقاً أن يحمل بعقوبته كثيراً من أولى الرأى والبصيرة على أن يقدروه حق قدره فيطلقوه لما هو عسى أن يأتى به فى الشعر والفن مما يكون من مفاخر بلاده ؛ وكذلك كان ملتن خليقاً أن يحمل الظافرين على الرحمة به لما أصابه ، فهو اليوم ضرير فقير وحسبه ما أنزله به الدهر من حزن وما ناله به من عقوبة ؛ ولقد كانت كلة واحدة من شارل كفيلة أن تفقده حياته ، ولكنها كانت تفقد أدب انجلترة وأدب الدنيا كلها « الفردوس المفقود » و « الفردوس المستعاد » و « سمسُن أجُنسْتِس » ، تلك الآثار الخوالد التى ما كانت تجود بمثلها أو بما يقرب منها عبقرية غير عبقرية ملتن .

وشمل العفو ملتن ، ولكن كان للناس عجباً بعد ذلك أن يأمر البرلمان به فيلق فى السجن ، حيث أحرقت كتبه أمامه ، وإن لم ير شيئاً حوله ، فإن ما يحيط به من ظلمة لن يمحوها ألف نار كالنار التى أوقدتها كتبه ؛ ولا يزال أمر حبسه على هذه الصورة غامضاً ، ولكن « ماش » ، وهو من أشهر من كتبوا عنه يفسر ذلك بأن البرلمان كان قد أصدر هذا الأمر بسعى أصحابه ليجنبوه به الكارثة الصحيحة ، وهى إدراج اسمه فى المستثنين من العفو ! ومهما يكن من الأمر ، فإنه لم يلبث إلا قليلا حتى أمر بإطلاقه ، ولإطلاقه قصة نوردها كشاهد جديد على عناده واستكباره ، حتى فى مثل هذا الظرف ، فقد طلب إليه القائم على أمر السجن أن يدفع أجرة إقامته حسب التتبع ، ولكن ملتن رأى أنه غالى فيما طلب ، وأحس فى ذلك جوراً ظن أنه مقصود به فرفض أن يدفع — وفى يده المال المطلوب — فما يطيق أن يتحكم فيه رجل مهما لقى من عنت الأيام ، وتقدم أصحابه فأدوا عنه المال المطلوب على غير علمه ، وجاء بعضهم فأخرجه من السجن ، وكان ذلك فى نهاية سنة ١٦٦٠ ، وله من العمر اثنتان وخمسون سنة .

ولولا ما كان يحيط بالشاعر العظيم من أسباب الشقاء والأسى لجاز أن يتطرق شىء من الفرح إلى فؤاده ، وقد نجا من الموت واسترد حريته ، ولكن أين هو من الفرح ، وإنه ليذوق مرارة الفشل ويجرر أذيال الخيبة ؛ ففى بضعة أشهر ذهبت جهوده التى بذلها فى عشرين سنة من عمره هباء ، وخرصرح آماله من قواعده ورأى أصحابه يساقون إلى الموت ، كما رأى القبور تفتح فيحمل إلى المشنقة من طوتهم يد المنون ! وبلغ من نفسه كل مبلغ أن يجد الكنيسة وقد عادلها سلطانها فى ظل الدولة ، وأن البرلمان يقيد حرية النشر بقيود غليظة ، وأن الحياة يشيع فيها الفجور والفسوق ، ويتسلط على سياسة الدولة النساء والمتعصبون والأذلاء من المتملقين والماجنين .

وترك ملتن الحى القريب من هويت هول ، واتخذ له مسكناً بعيداً فى المدينة أو فيما جاورها . ويقول ريتشاردسون إنه لبث أياماً ينتابه الرعب أن يؤخذ غيلة بيد متعصب من أنصار الملكية ، ولذلك كان قليلا من الليل ما يهجع ، وكان خوفه على بناته أشد من خوفه على نفسه !

وقل حظه من الثراء قلة كبيرة ، فقد فقد مرتبه كما فقد ألفين من الجنيهات تعادل سبعة آلاف من جنيهاتنا اليوم كان قد أودعها فى مأمن حكومى أثناء الجمهورية ، فصودرت كما صودر بعض ما اشتراه من أملاك ؛ على أنه على الرغم من ذلك ظل يعيش عيشة مرضية لا هى إلى الرغد ولا هى إلى العوز .

وأصابه النقرس ، فكان يلقى من آلامه ما يتضاءل عنده ما يعانى من عمى ، وظل هذا المرض ينتابه من حين إلى حين ، فيضيف آلامه إلى ما ترشقه به الأيام من سهام !

وكان أوجع هاتيك السهام ما كان يلقاه على أيدى بناته ، وكانت كبراهن سنة ١٦٦١ فى الخامسة عشرة من عمرها ، ووسطاهن فى الثالثة عشرة ، وصغراهن فى الثامنة ؛ وهن بناته من زوجته الأولى التى ماتت سنة ١٦٥٢ ؛ وكان يأمل أبوهن أن يكن أنسه وسلوة نفسه فى وحدته وشقائه ، ويكن له عوناً على الأيام ، وهو الضرير الذى زال عنه جاهه وألح المرض على بدنه ، وهجره إلا قليلا ابنا أخته ، إما انشغالا بما ملأ قلبيهما من لهو أو تهرباً مما يكلفهما به من قراءة ومراجعة ، ولم يذكرا يده عليهما وقد رباهما فى بيته صغيرين ولبثا فى رعايته من عمريهما سنين .

ولكن عقوقهما لم يك شيئاً مذكوراً تلقاء عقوق بناته ، فقد كان أسوأ ما لقى من دهره هذا العقوق الذى ذاق معه أعمق الحزن ، وهو الشاعر الذى تتأثر نفسه بالمعانى أضعاف ما يتأثر بها غيره من الناس ، ولعقوق بناته إياه قصة يحسن أن نأتى بها على سردها ...

(يتبع) **الخفيف**

# النهضة العلمية

للأستاذ على عبود العلوى

« ظلت الحياة الأدبية فى حضرموت برهة من الزمن وهى تحت السير فى اقتفاء السمة التى كانت متغلبة على الآداب فى القرون الماضية ، وما زالت كذلك إلى أن أتاح الله لها من يوجهها الوجهة الصادقة فنهضت من كبوتها نهوضاً تجلى أثره فى أدب الكهول اليوم كما اتشح به أدب الشباب .
والفضل فى ذلك يعود إلى زعيم النهضة الأدبية السيد أبو بكر ابن عبد الرحمن بن شهاب العلوي الموجود سنة ١٢٦٢ هـ والمتوفى سنة ١٣٤١ هـ .

وهذا ما حدا بنا لدراسة أدبه دراسة مفصلة وهذه الكلمة من إحدي لبنات هذه الدراسة أخص بها « الرسالة » الغراء » .

ما اهتزت ربوع الوطن الحضرمى كاهتزازها للثورة الفكرية التى امتد سناها على وادى ابن راشد[1] إن لم نقل تجاوزته إلى الأماكن الأخرى .

أجل هكذا انبعثت فى حضرموت روح النهضة العلمية فى القرن الثالث عشر الهجرى فسطع تاريخها بأعلام لهم فوق مكانتهم العلمية المرموقة مكانة الزعامة السياسية والاجتماعية والإصلاحية والاقتصادية ، وكل هذه قيم عظيمة تستدعى من المؤرخ المنصف الوقوف أمامها وقفة الخاشع ليتهيأ له إصدار الحكم عنها بعد نفاذ الفكر والتحليق به فوق أوج مراميها ، وبذلك ينير السبيل للتاريخ ، وهو فى أمان من أن يطغى الحكم فى ناحية فيمس النواحى الأخرى .

ومن شأننا فى هذه الكلمة أن نلم بالموضوع إلمامة وجيزة ندرك بها تاريخ العصر الذى نشأ فيه شاعرنا الشهاب العلوى ومعرفة مقدار الأثر الذى تركه فى أدبه وميوله .

امتدت الثورة الفكرية فى حضرموت امتداداً لم يسبق له مثيل فيما قرأناه من تاريخ حضرموت وسير أعلامها ؛ إذ انبعثت منها روح فياضة ترمى إلى محو الأمية ، وتنوير الأفكار والقيام بنشر العلم قياماً يرتكز على أن تتخطى الدعوة إليه المدن والقرى التى تزدان معاهدها ومساجدها بالدروس العلمية الخاصة والعامة إلى نشره بين جميع الطبقات حتى التى تسكن الجبال من البادية بإرسال المرشدين إليهم تلو المرشدين .

ومرد هذا فيما نعتقد أنه من قبيل رد الفعل . فقد أنفت حضرموت من الظلم الذى طال عهدها به والعبودية والتسخير التى فرضها كل من له أى قدرة إلى حد العامة الذين تناط بهم إدارة الحياة الاجتماعية فقد كونوا لهم رابطة تساعدهم على الإضراب عن العمل وأداء الواجبات إن لم تمنح لهم الأتاوة المفروضة بحسب رأيهم .

ومما شجع هؤلاء الفوضويين على العبث بالأمن ضعف الحكومة الحضرمية — أستغفر الله — بل فقدها بالكلية وتلاشى أمرها ولم تبق لها سمة معروفة ولم يذكر التاريخ إلا تعدد الحكام ما بين كل ربعة وأخرى بل فى البلدة الواحدة[1] .

لا نستثنى من هذه الفوضى إلا ما كانت تنعم به بعض القرى التى يناط الحكم فيها لبعض السادة العلويين — المناصب — أو القرى التى يحكمها بعض أبناء بيوتاتها ممن كانت لأجدادهم مكانة علمية وصلاح وفضل ويسمون أيضاً ( بالمناصب ) .

من أجل هذا فكر أكابر علماء القطر الحضرمى وقادة الرأى فيه فى الوسيلة التى يمكن القضاء بها على هذه الفوضى .

وأى وسيلة بيدهم أعظم من نشر الدعوة الإسلامية بصورة أوسع نطاقا مما كانت قبلها .

وأنى تلاقى دعوتهم آذانا صاخية إن لم تتجاوز المحيط الذى طالما تاق إلى وجود قيام الوالى العدل من كثرة ما أصيب به من الظلم ؟

فلا بد إذاً من توسيع نطاق الدعوة بصورة أكبر مما عرفتها حضرموت فى الماضى ليضمنوا بها بعض الفائدة إن لم تحققها كلها .

وما دام مصدر الفوضى آتيا من قبل البادية التى تروع القطر بما تصبه على البلاد من ويلات تلو الويلات . فلابد إذاً من غزوها فى عقر دارها بالدعوة الاسلامية وتعريفها بعض الواجبات وإرشادها إلى ما فيه الخير والصلاح .

---

(١) ويطلق عليه عرفا من محل يسمى بالعقاد غربى ( شنبام ) إلى نبى الله هود عليه الصلاة والسلام .

(١) راجع من كتابنا ( الشهاب العلوى ) مقال من تاريخ حضرموت السياسى . أو : النهضة السياسية .

وهذه دعوة عظيمة لا بد من تدعيمها بقوة الروح والإيمان الصادق ، وصدق العزيمة وبذل الأموال ولا شك أنها أصابت فى قائدها المحنك وزعيمها الممتاز من أسبغ الله عليه الفضل الواسع وأهَّله بجميع المؤهلات التى تخول له قيادة مثل هـذه الحركة العظيمة بما أوتيه من نباهة الذكر والسمة العلمية ، والفطنة ، وقوة الإيمان ، والعزيمة الصادقة ما هيأ لدعوته أن تجوب القطر الحضرمى ويتردد صداها بين الخافقين .

فمن هذا الزعيم الذى أسندت إليه حضرموت قيادة هذه الحركة الاصلاحية ؟

هو العارف بالله السيد أحمد بن عمر بن سميط العلوى المتوفى سنة ١٢٥٧ هـ .

نشأ هذا السيد الإمام فى محيط يشع بالسؤدد والمكارم ، وزحابة الأخلاق ؛ تحيط به هالة من النور والفضل والنبل والعلم وسراوة التقوى فكان من هذه المكونات فذاً فى التاريخ .

وعلى نبعة العلم والده السيد عمر بن زين تثقف ثقافته الأولى ؛ وكان السيد عمر مشغوفا بالقراءة ليلا ونهاراً ، وحينما استطاع السيد أحمد الاندماج فى الصف الذى يصله بركب والده العلمى أصبح هو الذى يروى ظمأ والده بالقراءة عليه ليلا ونهاراً[1] . وبالطبع تهيأ له من الاتصال بوالده ما لم يتهيأ لغيره ، وهذا له أثر عظيم فى تكوينه العلمى ، وكان هذا شأنه إلى أن لحق والده بربه فى ٢٤ / ٣ / ١٢٠٧ هـ فاتصل بابن عمه السيد عبد الرحمن بن محمد زين[2] ، وامتد اتصاله بعد هذا بأكابر رجال عصره وهم من الكثرة بحيث لا يمكن الإلمام بهم فى مقام يقتضى أن نسير فيه بالإيجاز .

وما إن ترعرع فى الطلب حتى تم له من التفوق ما لا يدركه إلا الصفوة المختارة من أمثاله .

وما كانت نشأته إلا فى عصر مضطرب أشد الاضطراب تعصف به الناحية السياسية القلقة من جانب ، والحياة الاجتماعية المريضة من الجانب الآخر كما تتجاوب فيه الموجة العلمية الفياضة .

وليس بمستغرب أن يدوى صيته فى القطر الحضرمى تجاه التموجات التى كان يذيعها من على منبر الإصلاح نحو التوجيه العام ، ومن كان فى مثل مكانته العلمية خليق أن ينهل من نبع علمه الفياض الراغبون فى المعارف والثقافة العالية .

وحسبك أن تعلم أن حضرموت لم تتوان عن الاتصال بهذا السيد الإمام . بل اندمجت فيه وكرعت من حياض علمه الزاخر وانتشت بدعوته الإصلاحية وتبارت فى القيام بتنفيذها .

كيف كانت حضرموت فى عصره ؟

وعلى ماذا تنطوى دعوته ؟

أما حضرموت من الناحية السياسية فقد تمزقت أوصالها وأصبح النفوذ لمن عزّ كما فى المثل . ولبحث هـذه الناحية موضع آخر[1] .

أما ما يتصل بوشائج البحث إلى هذه الناحية فلا بأس من أن ننير السبيل فيها ولو قليلا لكى نتصور أثر النهضة العلمية تصوراً تاماً .

١ — كان من أثر قسوة الظلم والفوضى التى سادت فى هذا العصر أن تمزقت أوصال الحياة الاجتماعية فنتج عن هذا ازدياد الهجرة ازدياداً خيف من عواقبه الوخيمة بأن تصبح البلاد ولم يبق بها من السكان أحد .

وكانت الحال تصل إلى هذه النتيجة ؛ فقد جرفت الهجرة عدداً وافراً من أبناء الوطن بل بلغ بها الحال أن سافرت بعض الفخائذ العلوية بأكملها ، وإلى اليوم لم يبق بحضرموت منهم أحد . والهجرة وإن تكن قديمة وقد برم بها الامام الحداد إذ يقول :

مشتتون بأطراف البلاد على رغم الأنوف كما تهواه حساد

إلا أنها فى هذا القرن بلغت أقصى ما يتصوره العقل .

٢ — كان من جراء الفوضى أن خربت البلاد وقلت حاصلاتها ، ولم تبق لدى الزراع رغبة فى الزراعة على ضعفها لأنهم يتعرضون للضرائب الفادحة من ناحية الحكام المتعددة أسماؤهم ، ولعبث البادية من الناحية الأخرى .

وكذلك ضعفت التجارة فكسدت الأسواق وكادت تتعطل الحياة الاجتماعية والاقتصادية من كل ناحية .

ضاق بهذه الحالة أعيان القطر الحضرمى وفى مقدمتهم الامام أحمد بن عمر بن سميط ، ونظر إلى الوسيلة التى يمكن بها القضاء على ما آل إليه الأمر : فرأى أنها تنحصر فى الأمور الآتية :

---

(١) راجع عقد اليواقيت الجوهرية ج ١ صفحة ٩٣ طبع مصر سنة ١٣١٢ هـ .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٩٣ .

(١) راجع من كتابنا ( الشهاب العلوى ) من تاريخ حضرموت السياسى ، والنهضة السياسية .

١ — نشر العلم بين جميع الطبقات .

٢ — تنظيم الحياة الاقتصادية بما يكفل للبلاد الخير والصلاح .

٣ — الدعوة إلى إيجاد والٍ عدلٍ ، وبذلك تنتعش الآمال ويسود ما بين الناس الهناء والطمأنينة .

دأب مجاهداً فى سبيل إعلاء هذه الفكرة السامية أربعين سنة[1] وهو لا تفتر له عزيمة ولم تقعد به همة .

ومن أجل هذا « كان يشدد على كل عالم ومتعلم ويلومه أشد اللوم فى ترك الدعوة ولا يتركه حتى يأخذ عليه العهد بالدعوة فإذا جاء ثانياً سأله عما فعل[2] » .

« أخذ يرسل الدعاة إلى القرى قرية فقرية وطلب لهم المعاونة المالية من أربابها[3] كما كان يفيض عليهم من ماله الخاص[4] . فكان الدعاة يجوبون بها طرقها وينادون من على رؤوس المنابر وبعد الصلوات ، وقد يطلع منهم جماعة على منارة جامع القرية فيدعون الناس إلى الله ويتداولون ذلك فيجتمع الناس قياماً وقعوداً فى سطوح بيوتهم يستمعون إليهم ويتعلمون منهم ، ومنهم من يشرف من طاقته منصتاً لذلك[5] » .

ثم ألقى نظرة نحو الناشئة فأخذ فى تعميم الكتاتيب ووضع لها نظاماً خاصاً ، ولم يقصر الأمر على تعليم البنين بل أمر بتعليم البنات .

وكان يقول : « إن البنت التى لم نعلمها أمر دينها ولم نمكن الإيمان من قلبها لا تأتينا بنجباء ، ولا تربى أولادها على محبة الخير . فاجتهد فى تعليم طائفة منهن ثم نشرهن للتعليم فلم تمض مدة وجيزة حتى كانت البيوت تحن بالتعليم والقراءة كأنها بيوت النحل .

وكان الرجال من قبل لا يسمعون لفظة تعيير منهن على التقصير أو الخطأ بل ربما يحبذنهم عليه .

فلما تعلمن كن مهمازاً لهم إلى الخير ، وطالما عيرنهم على ظلمهم وقبحنهم على ما يرتكبون منه فلم يعلم إلا الله كم كففن من يد ظالمة وأنهضن من همة نائمة[1] » .

ثم التفت نحو البوادى ، وخصهم بمزيد عنايته وقال : « لا ينبغى لنا أن نلومهم على ما يفعلون إذا لم نعلمهم فإن تعديهم الحدود نتيجة جهلهم . فعلينا أن نزيل السبب الذى هو الجهل فيزول المسبب وهو الظلم » .

وألقى نظرة نحو البوادى المتنقلة وهم الذين لا قرى لهم أولهم قرى بعيدة لا تبلغها أقدام الدعاة فجعل لهم ليالى تعليم ودعوة إذا جاءوا إلى بلدة (شبام) بقوافلهم وجلبهم فكان الدعاة يأتونهم ليلا فيسمرون عندهم وهم فى محطاتهم خارج البلد على الرمل . فكان الأعرابى يأتى وأنفه فى خزامة الشيطان وينقلب مبصراً بنور الإيمان[2] .

وفى مسئولية أهل العلم يقول :

| | |
|---|---|
| معاشر أهل العلم قوموا جميعكم | قيام امرئ فى دعوة الخلق تؤجروا |
| ونوبوا عن المختار فى نشر ما أتى | إليكم به عن ربه لا تقصروا |
| ولا تخذلوا شرع الرسول فإنه | عزيز عليه ما عنتم بل انصروا |
| فمن نصر الشرع الشريف فنصره | تكفل مولاه به فتدبروا |

وما دام مناط الدعوة ونجاحها يرتكز على سمو أخلاق الدعاة والمرشدين وابتعادهم عما يتنافى ومكانتهم الأدبية ودعوتهم لذلك وجه إليهم إرشاداته فقال :

| | |
|---|---|
| يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً | إذ عبت فيهم أموراً أنت تأتيها |
| أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً | والموبقات لعمرى أنت حاويها |

ودعوة مثل هذه تستدعى نفقة عظيمة ومن أجدر بالتسابق والإنفاق عليها من ذوى السعة والمال ، ولذلك عرض بالحث على الانفاق والمباراة فيه فقال :

| | |
|---|---|
| لا ينفع المرء إلا ما يقدمه | لنفسه عند مولى الخلق باريها |
| ما للحريص على الدنيا سوى كفن | ولو أتاه من الأموال غاليها |
| لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة | فليس إنفاقها فى الخير يفنيها |
| ولا تضن بها فى حال جفوتها | فليس إمساكها بخلا يبقيها |

(يتبع) على عبود العلوى

(١) راجع صفحة ٢٠٨ من مجلة الرابطة العلوية السنة الثانية .
(٢) نفس المصدر ص ٢٠٤ و ص ٩٢ ج ١ من عقد اليواقيت .
(٣) الرابطة ص ٢٠٤ .
(٤) تاريخ الشعراء الحضرميين ج ٣ صفحة ١٠ نقلا عن حدائق الأرواح .
(٥) صفحة ٢٥٥ من مجلة الرابطة السنة الثانية .

(١) صفحة ٢٥٥ من مجلة الرابطة السنة الثانية .
(٢) المصدر السالف الذكر ص ٢٠٦ .

من عيون الأدب الغربي:

# محاورات خيالية

لولتر سافيج لاندور

للأستاذ بولس سلامة

— ٣ —

## الخصوم النبلاء

تمهيد:

[كانت رومة وقرطجنة في كفاح دام مرير حول السيادة على البحر، هذا البحر الذي يفصل بين قارتين ويصل بينهما والذي كان ولما يزل موضع النزاع بين الدول الكبرى حتى حربنا هذه. ذلك أن الذي يسود هذا البحر يسود البر والبحر معاً. وكان هنيبال ومرسيل قائدي الجيشين المتحاربين

وفي هذا المقال من مقالات (لاندور) نرى مرسيل وقد خر صريعاً في الميدان ووقف بجانبه خصمه هنيبال يريد أن يبتهج بالنصر ولا يستطيع. ثم نسمع هذا الحوار النبيل بين القائدين أحدهما جريح مقهور والآخر ظافر منصور

تأمل هذه الصورة الرائعة ثم الق نظرة على ما يجري حولنا الآن من محاكات ثم قارن بين الحالين واسأل نفسك كما سألت نفسي: هل تقدمت الانسانية أو تقهقرت في مدى هذه القرون الطوال].

(مارسيل القائد الروماني ملقى على الأرض أمام هنيبال)

هنيبال: هلا أجد فارساً نومادياً سريعاً! مرسيل مرسيل. إنه لا يبدي حراكا. أظنه قد مات. ألم يحرك إصبعه! أيها الجند تنحوا. دعوه يستنشق شيئاً من الهواء. اعطوه قليلا من الماء. اجمعوا هذه الأوراق والأعشاب وضعوها تحت رأسه. اخلعوا شكته، وارفعوا عنه خوذته. هاهوذا يتنفس. يخيل إلى أنه فتح عينيه ثم أغمضهما. ولكن من الذي لمس كتفي (يلتفت وراءه) هذا فرس مارسيل. لا يمتطيه من بعده أحد. إيه حتى هؤلاء الرومان بدأوا يتذوقون النعيم. ما هذه الحلي الذهبية (مشيراً إلى الفرس).

قائد غالي[1]: يا للّص. إن هذه السلاسل كانت قلادة مليكنا. لقد انتقمت منه الآلهة.

هنيبال: سوف نتكلم عن الانتقام بين أسوار روما. ابحث عن الطبيب الآن فالسهم يجب أن ينزع مهما كان عميقاً. أرسلوا السفن إلى قرطجنة وقولوا لها إن هنيبال على أبواب رومة وإن قاهر سيراقوسة قد وقع مقهوراً. لقد سقط مارسيل الذي كان يحول بيني وبين روما. (مخاطباً مرسيل) أيها الرجل الشجاع. إني أود أن أبتهج ولكني لا أستطيع. هذا المحيا أي جلال فيه! وهذا القوام أي عظمة تحتويه! إنها لعظمة أولئك الذين سمعنا عنهم في أرض النعيم. أولئك الذين جاهدوا وخروا على الأرض المضمخة بدمائهم ثم تأمل: ما أبسط سلاحه وعدته!

قائد غالي: لقد قتله أصحابي. بل أغلب الظن أني قاتله. إن هذه السلاسل الذهبية وقد كانت للمليكي يجب أن تكون من نصيبي. إن شرف بلادي يقضي أن لا يأخذها غيري.

هنيبال: يا صاحبي إن عظمة مرسيل كانت في غنى عن هذه السلاسل، فلما قتل مليككم لم يحتفظ بها لنفسه ولا للآلهة ولكنه وضعها على فرسه.

قائد غالي: اسمع لي يا هنيبال.

هنيبال: ماذا تقول؟ أفي هذه اللحظة التي يرقد فيها مرسيل أمامي مثخناً بالجراح وهو بين الحياة والموت، أفي هذه اللحظة التي قد تعود فيها حياته إليه فيساق في موكب النصر إلى قرطجنة، أفي الوقت الذي تنتظر فيه إيطاليا وصقلية واليونان تلبية أوامري، أفي هذا الوقت تسألني أن أستمع لك؟ ولكن هوّن عليك! سوف أعطيك سرجي هذا المرصع بالجواهر، وهو أثمن من هذه السلاسل عشر مرات.

قائد غالي: لي أنا!

هنيبال: نعم لك أنت.

قائد غالي: وهذه الجواهر؟

هنيبال: نعم.

قائد غالي: إيه هنيبال الذي لا يقهر، وما أسعدك يا بلادي بهذا الحلف العظيم! إني مدين لك بالشكر، بالحب، بالولاء إلى الأبد.

هنيبال: نحن عادة نحدد الوقت في المحالفات. عد الآن

---

(١) نسبة إلى بلاد الغال (فرنسا).

إلى مركزك . إنى أريد أن أرى الطبيب وأعرف رأيه ، حياة

مرسيل ، انتصار هينبال . وماذا فى العيش بعد ذلك . رومة ، وقرطجنة ، ولا شىء .

مرسيل : أموت الآن ، للآلهة الحمد . فالقائد الرومانى لا يؤخذ أسيراً .

هينبال : ( للطبيب ) ألا يقوى على السفر بحراً . انزع منه السهم .

الطبيب : إذا نزعته قضى نحبه .

مرسيل : إنه يؤلمنى ، انزعه .

هينبال : يا مرسيل إنى لا ألمح ظلا للألم فى محياك . وإنى أكره أن أتعجل منيتك وأنت خصمى فى يدى . وما دام شفاؤك عسيراً فأنت — كما تقول — لست أسيراً .

هينبال : ( للطبيب ) أليس لديك ما يخفف هذا الألم الذى يمضه وإن كان يخفيه ؟

مرسيل : يا هينبال أعطنى يدك . لقد حبوتنى بعطفك ، وآسيت جرحى بلطفك . ( للطبيب ) اذهب يا صاحبى فهناك كثيرون محتاجون إليك ؛ كثيرون وقعوا بجانبى .

هينبال : يا مرسيل هل لك أن توصى بلادك بالصلح وتخبر مجلس الشيوخ بتفوق قواتى التى لا تجدى معها المقاومة . اللوح معد ، وهذا ختمك دعنى أنزعه من يدك لتختم . كم يسرنى أن أراك تستطيع أن تتكىء قليلا وتبسم

مرسيل : بعد ساعة أو بضع ساعة سوف تلقانى الآلهة غاضبة وهى تقول يا مرسيل : هذه كتابتك . لقد فقدت رومة رجلا فقدت مثله رجالا من قبل ؛ ولكن لما يزل فى رومة رجل .

هينبال : ماذا تقول ؟ أتخشى الكذب ؟ إنه ليخجلنى أن أعترف لك بأن رجالى متوحشون والمراكز القريبة يقوم عليها غاليون موتورون ، والنوماديون ليسوا بأقل وحشية . وإنى لا أستطيع البقاء بجوارك إذ أحتاج أن أكون بعيداً ، وأخشى أن ينالك سوء فى غيابى إذا علم هؤلاء أنك أبيت أن تنصح بلادك بالصلح فتمنعهم العودة إلى بلادهم التى طال عنها غيابهم .

مرسيل : يا هينبال أنت لا تجود بأنفاسك كما أجود .

هينبال : ماذا تعنى !

مرسيل : أعنى أنك تخشى أشياء كثيرة ولكننى لم أعد أخشى شيئاً . إن قسوة جنودك لا تضيرنى وجنودى لا يكونون

علىَّ قساة . إن هينبال تبعده مهام عمله فتبتعد فى أثر جواده سلطته ، وعلى هذه الحشائش بقايا قائد مجروح ولكن لا يزال هو روح الجيش وقوته . أتستطيع أن تتنازل عن سلطان منحته لك بلادك ؟ أو تستطيع أن تقول إنك بأخطائك قد جعلته دون سلطان خصمك ؟ لقد تكلمت كثيراً . دعونى أستريح . إن هذه العباءة تضايقنى .

هنيبال : لقد وضعتها على رأسك لتقيك الشمس لما خلعوا عنك خوذتك . دعنى الآن أضعها تحت رأسك وأن أعيد هذا الخاتم إلى إصبعك .

مرسيل : بل خذه لك . لقد أعطتنيه امرأة لاجئة فى سيراقوسة غطته بخصلة من شعرها وقالت لى خذه هبة منى فهو كل ما أملك . ولم يخطر ببالى يومذاك ان سيأتى على يوم يكون فيه حالها حالى ومقالها مقالى . ما أعجب القدر ! فى لحظة تتحول مصائر البشر ! خذه يا هينبال ، وليكن وهذه العباءة التى وسدتنيها هدايا ضيفين يفترقان . قد يأتى يوم تجلس فيه تحت سقف بيتى ظافراً أو غير ظافر فتجد هذه الهدايا ذات نفع فنى شدتك قد يذكر أبنائى أن فوق هذه العباءة جاد أبوهم بأنفاسه فيكافئونك على جميلك ؛ وفى رخائك قد يسرك أن تحميهم غوائل الدهر ، وهى أقرب ما تكون إلى الإنسان حين يظن أنه بنجوى منها ، ولكن هناك شىء واحد .

هينبال : ماذا ؟

مرسيل : هذا الجسم .

هينبال : أين تريد أن تحمل ؟ الرجال معدُّون .

مرسيل : لست أعنى هذا . قوتى تزايلنى ، ويخيل لى أنى أسمع ما بداخلى ولا أسمع ما حولى . نظرى وحواسى تضطرب . أريد أن أقول إن هذا الجثمان بعد أن تفارقه روحى لا يستحق اهتمام أحد ، ولكن نبلك يأبى عليك أن تضن به على أهلى حناناً وعطفاً .

هينبال : هل عندك شىء آخر تسأله ، فإنى أحس رغبة مكبوتة فيك .

مرسيل : الواجب والموت يذكراننا بالوطن أحيانا .

هينبال : أجل فإلى الوطن تتجه أفكار المنصورين والمقهورين على السواء .

مرسيل : هل عندك أسرى من حرمى .

# أمنيـــات ...!

للشاعر إبراهيم محمد نجا

يا ليتني كنت العبـــير إلى ورودك ينتمى
يا ليتني كنت الغـــدير على ظلالك يرتمى
يا ليتني كنت الهزار بدوحـــك المترنم
يهدى إلى دنياك أغنـــية المحب المغرم !

---

يا ليتني كنت الندى وافى زهورك فى الصباح
فاستضحكت وتمايلت نشوى بأحضان الرياح !
يا ليتني كنت الفراش يرف عربيد الجناح
يهفو إلى العطر المحبب ، والرحيق المستباح !

---

يا ليتنى كنت الشعاع سما بأجواز الفضاء
كالموجة العذراء تسبح بين موجات وضـــاء
بالشوق يصعد للذرى ... بالحب يرقى للعلاء
يهفو إليك ، وأنت نجم قد تناءى فى السماء !

---

يا ليتنى رؤيا منـــام فى العيون النـــائمه
يا ليتنى ذكرى غرام فى القلوب الحالـــمه
يا ليتنى نجوى العيون أو الشـــفاه الناعمه
يا ليتنى الفرح الطليق مع الأمانى الهائمه !

---

يا ليتنى يا واحــة الأيام نبع فى حمـــاك
يا ليتنى يا كعبة الأحلام حـلم فى صبـــاك
يا ليتنى يا قبـلة الأشواق شـوق فى هواك
يا ليتنى يا مبعث الإلهـام إلهام حـــواك !

---

يا ليتنى أحيا — وأنت معى — على قمم الجبال
نرنو إلى الأفق الموشح بالضيـاء وبالظـــلال
والبحر جياش كأشواق المحب إلى الوصال
ونظل نسبح فى الفضاء على مويجات الخيال

---

يا ليتنى — وأنا المحب عواطفى نار ونور —
أسمـــو بأشواقى إلى الأفق المحجب بالستور
فأظل أسمـــعه شكاياتى ؛ ليأذن بالعبور
فإذا عبرت ، فقد خلصت إلى اللباب من القشور !

---

يا ليتنى شـــدو البلابل فى الليالى المقمرات
يا ليتنى إشراقـــة الآمال فى ليـــل الحياة
يا ليتنى ... أواه من تلك الأمانى الضائعات !
كيف العزاء ، وكل شىء ضاع ... حتى أمنياتى ؟!

---

لو كنت يا دنياى فى الغيب المحجب لا أزال
كنت استرحت ، فليس لى قلب يحن إلى الجمال
وسلمت من لهف إلى النبع الوشح بالظلال
وتركت أيامى تمـــر كأنها رؤيا خيـــال !

ابراهيم محمد نجا

---

هينبال : كثيرون . رأيتهم مطروحين على الأرض يموتون فليموتوا ، إنهم توسكانيون . ورأيت آخرين هاربين ، إلا شاباً رومانياً رأيته يكر علينا وهو مجروح . أحاطوا به وأنزلوه من فوق فرسه وهم يطعنون الفرس بالسيوف ، ولـكن هؤلاء الرومان الشجعان يعرفون كيف يملـكون زمام شجاعتهم وكيف يستردونها فى نبل . ولـكن لماذا تفـكر فيهم يا مرسيل ؟ أو لك أمنية أخرى وما الذى يزعجك ؟

مرسيل : لقد كتمتها طويلا ... ابنى ... ابنى العزيز .

هينبال : أين هو . لعله هو ، وهل كان معك ؟

مرسيل : لو كان معى لشاركنى نصيبى ، ولـكنه نجا . حمداً للآلهة التى رفقت بى حياً ، وكانت بى فى مماتى رفيقة . أشكر لك صنيعك .

(الخرطوم — سودان) بولس سلامة




**طه الراوي :**

كنت منذ ساعتين في احتفال للجامعة العربية فلقيت صاحب الفخامة السيد جميل المدفعي فوقفت معه أحدثه ، ورأيت أن نتحدث عن العراق . فبدأت بأحب الذكريات إلى نفسي ، وأقربها إلى قلبي . فقلت : كيف السيد طه الراوي ؟ فأجاب بصوت لا أكاد أسمعه : « لا أقدر على أن أخبرك خبره » وأشار إشارة لم أتبينها . فحسبت أنه يعني ما عرفت من قبل من ضعف بصر الأستاذ الراوي . فقلت : قد لقيته في القدس منذ ثلاث سنوات وفي دمشق منذ سنتين ، وكان يشكو ضعف بصره . ولكن كيف هو ؟

فقال السيد جميل والأسى يملك عليه صوته : قد مات . وسكت وسكت .

وا أسفا ! وا حسرتا على الصديق الحميم ، السيد النبيل العالم الجليل ، الأديب المتبحّر . وا حسرتا للخلق الكريم ، والنفس الزكية ، المحبَّبة إلى كل من عرفها ، والقريبة إلى كل من سمع عنها .

والله ما ذُكر في مجلس من معارفه إلا اجتمعت القلوب على حبه ، والألسن على مدحه ، وما ذكرته عند من يعرفه في مصر والشام بله العراق إلا كان الجواب ثناء عليه ، وإعجاباً بعلمه وأدبه ، وإكباراً لخلقه .

عرفت الأستاذ الكريم — أوسع الله له في رحمته ، وأجزل لآله وإخوانه وتلاميذه الصبر والعزاء — منذ عشر سنين ولقيته في بغداد ، والقاهرة ، والقدس ، وفي مدائن من سورية ولبنان ، وراسلته على البعد ، وجالسته طويلا ، وتحادثنا في العلم والأدب والسياسة والاجتماع والأخلاق وفي أمور شتى . فما عرفته إلا ذكياً عالماً أديباً فاضلا ، لا يتكلم في موضوع إلا أفاض فيه إفاضة المحيط بأطرافه ، المتمكن منه ، المتثبت فيه ، وكم قلت في حضوره وغيبته اعترافاً بالحق : « ما يجلس أحد إلى الأستاذ طه إلا استفاد من فلسفته » وأشهد أني ما حضرت مجلساً له في داره أو في غير داره ؛ إلا فرحت بمجلسه ، وأنست به ، وأصخت إلى حديثه وهو يصرّف الكلام في شجونه ، وينقل الحديث في معارفه الواسعة ، وتجاربه الجمة .

وكنت أصغي إليه ، وأعجب به فيما أوافقه فيه وما أخالفه . وندر أن خالفته ، وما أذكر أني جادلته أو ماريته قط . بل كنا نلتقي التقاء صديقين تقاربت قلوبهما وعقولهما ، ومعارفهما ، وعواطفهما ، وآراؤهما .

وما لقيته أو كتبت إليه ، أو حمّلت أحداً إليه رسالة ، أو بُلّغت عنه قولا أو خبراً إلا فرحت وهششت ، والتمست السرور في ذكراه ، وحاولت أن أسرّه بكلمة من الجدّ أو المزاح يسمعها أو يبلّغها .

وقلّ أن صادفت أحداً فوثقت به ، وسكنت إليه ، وأنست به حاضراً ، وبذكره غائباً كالصديق الكريم العزيز المفتقَد السيد طه الراوي .

وقد أردت هذا العام أن أحقق مقصد الجامعة العربية في تزاور الأساتذة في البلاد العربية ، وفكرت في أن أدعو بعض أدباء العراق والشام لزيارة جامعتنا ، والمحاضرة فيها . فكان الأستاذ الراوي أول من ذكرته وأول من ذكره لي من استشرته في الشام ومصر .

وما قدّرت أن الموت يسبقنا إليه ، ويستأثر به ، ويحرمنا منه ويصيبنا فيه .

أي خسارة للأدب ! وأي رزء للأخوة ، وأية حسرة للصداقة ، وأي مصيبة للخلق الكريم .

أي نعي فادح ، ونبأ قاصم ، نعي السيد الراوي إلى أصدقائه وإخوانه وتلاميذه ومعارفه .

ياصديقي العزيز لك رحمة الله ، ولإخوانك اللوعة والحسرة ، والأسى والحنين والافتقاد والبكاء عليك ؛ ثم لهم الصبر والتأسي .

يا صديقي النبيل ! هذه كلمة يدفعها الحزن ويصدّها ، ويعدّها الأسى ويقبضها ، وتطيلها اللوعة وتقصرها . ففي النفس معان تستعصي على اللفظ ، وعلى اللسان ألفاظ ينوء بها القلم ، وفي القلم اضطراب لا يُقِرّه واقفاً ، ولا يتركه سائراً . فليجف المداد ، ولتسل الدموع يا صديقي .

وقفت الحيرة بقلمي هنا . فرحمك الله . رحمك الله .

**عبد الوهاب عزام**

## حماتي تحبني :

سألت ( الاثنان ) الغراء الأديب الكبير الأستاذ أحمد رامي الشاعر الناثر المشهور عن هذا المثل ( حماتي تحبني ) ، وقد روته تلك الصحيفة ( حماتك تحبك ) فأملى على الأستاذ أدبه المستنبط في أصله ومعناه ما أملاه ، وفي الجواب تفنن وبراعة ، وقد يضيف سهم الرامي . والذي نراه أن أصل المثل لا يدريه إلا أهل القرن الذي نجم فيه ، وهو القرن السابع حسب المظن . وأما معناه فقد أظهره العلامة الخفاجي في كتابه (شفاء الغليل) قال :

( حماتي تحبني ) هو من أمثال العامة ، يقوله من صادف نعمة لم تكن على خاطره ، قال ابن نباتة مورياً :

كلما جئت في حما ة على خير موطن
أجد الأكل والندى فحماتي تحبني

قلت : صاحب هذين البيتين هو ( المصري ) لا ( السعدي ) معاصر ( المتنبي ) . ونون نباتة عند ناسبي الشاعر إلى جده القديم ( عبد الرحمن بن نباتة ) صاحب الخطب المشهورة — مضمومة ، أو الضم في هذا العلم أكثر وأثبت كما قال ( المجد ) وعند ناسبي ( جمال الدين ) إلى ما ذكره شيخ صاحب ( التاج ) مفتوحة ، وهذا قوله كما روى شارح ( القاموس ) :

قال شيخنا : وأما الجمال محمد بن نباتة المصري الشاعر فانه بالفتح كما جزم به أئمة من شيوخنا لأنه كان يوري في شعره بالقطر النباتي ، وهو بالفتح لأنه نسبة للنبات ، وهو نوع من السكر العجيب ، يعمل منه قطع كالبلور شديد البياض والصقالة ، والظاهر أنه فارسي حادث ، وكان أولى بالمصنف — يعني صاحب القاموس — أن ينبه عليه ولكنه أغفله .

قلت : الضم خير مع حلاوة هذا القول[1] ...

**السهمي**

## طيرناباذ :

نقل الأستاذ شكري محمود أحمد في العدد ٦٨٢ من «الرسالة» النيرة تعليقاً على نقل الباحث الفهامة محمد إسعاف النشاشيبي المنشورة في العدد ٦٧٨ من «الرسالة» الغراء : أن الخبر المنسوب إلى محمد بن مسروق في هـذه النقل النشاشيبية هو من أخبار الحسن بن هانىء . كما رواه ابن منظور في الصفحة ٢٠٢ ، ٢٠٣ وإن الاسم في البيت الأول هو «طيزناباذ» وليس «بطور سيناء» ثم نقل في الحاشية عن كتاب مسالك الأبصار أن هذا الاسم : «هو موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج . الخ»

والذي أروم عرضه على الأستاذ — وعلى غيره من جهابذة «الرسالة» — هو رواية ثالثة لهذا الاسم تختلف عن «طورسيناء» و «طيزناباذ» ... فقد ذكر أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد المتوفى ٣٢٨ هـ في الجزء الرابع من عقده الثمين « الطبعة الأولى ١٩١٣ المطبعة الأزهرية بالقاهرة » — عند كلامه على ضروب العروض شعراً — ذكر أبياتاً ذالية ؛ يظهر من فحواها أن هذا الاسم يدعى « طيرتاناذ » — بالراء المهملة والتاء المثناة بعدها الألف ثم النون يليها الألف أيضاً — وأنه محلة من محلات اللهو والشرب والأنس . أنظر قوله :

أذكرتني طـيرتاناذ فقرى الكرخ ببغداد
فهـوة ليست ببارقة لا ولا تبع ولا ذاذي[1]

أفيكون أن « طيرتاناذ » هذه هي محلة من محلات بغداد أم هي طور سيناء ابن مسروق أو طيزناباذ ابن منظور ؟ ولكن حروف المطابع حولتها من طيرتاناذ — إلى طيزناباذ — إلى طور سيناء ؟ كما حولت غيرها من الأسماء والألفاظ ، والمحلات والكلمات ؛ فعملت بها تصحيفاً وتحريفاً وغيرت مواضع الحروف تأخيراً وتقديماً

وإني لأرى في لفظ الاسم على رواية ابن منظور وصاحب مسالك الأبصار بعض النبو والسماجة ، وأن الصحيح هو صاحبنا ابن عبد ربه ، وخصوصاً في لفظ المقطع الأول ، ولو أنها كانت في عصر ابن هانىء ، ذلك العصر الذي لاءم بين عفاف العرب ، وحشمة الإسلام من جهة ، وخلاعة الترك ومجون الفرس من الجهة الثانية ؛ وإن هذا الاختلاط لا بد وأن يكون مدعاة لكل بدعة في السلوك الأخلاق ولو بالأسماء والكنى . فأرجو من الأستاذ — وغيره من أدباء العصر أن لا يضنوا علينا بطرائفهم الأدبية وأخبار مصادرهم العلمية في تحقيق أمثال هذه الأسماء ، وتعيين مواضعها — وله مني أجمل الثناء ، وأفضل التحيات .

( العراق — القرنة ) **حسين السيد جعفر الجابري**

(١) من الكتاب من يقول في مثل هـذا التعبير : ( رغماً عن حلاوة هذا القول ) وانظر إلى الرغم — وأصله معروف — في هذا المقام كيف يكون ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون !

(١) ص ٨٣ من العقد الفريد . الجزء الرابع . الطبعة المذكورة .

## فى الأدب التحليلى :

فى صيف سنة ١٩٢١ م خرج جبران خليل جبران ونسيب عريضة وميخائيل نعيمة وعبد المسيح حداد ، وهم من أدباء المهجر المشهورين كى يتمتعوا بمناظر الطبيعة والخلاء فى مزرعة « كاهوزى » بأمريكا ، ولما دنا المساء وغابت الشمس ، أخذوا يسيرون الهوينى على الطريق العامة ، وهم فى حديث متواصل ، وبينما هم كذلك إذ خطر لميخائيل نعيمه هذا البيت :

أسمعينى سكينة الليل لحناً من نشيد السكينة الأبديه

فألقاه على مسامع رفاقه الثلاثة ، فوقع من نفسهم موقعاً حسناً ، وجعل كل واحد يُتبعه ببيت أو بنصف بيت ، والآخر يزيد على ما قال سابقه ، حتى نتج عن ذلك الأبيات التالية :

أسمعينى سكينة الليل لحناً من نشيد السكينة الأبديه
وافتحى يا نجوم عينىّ علّى أن أرى بينك الطريق الخفيه
واجعلى يا رياح منك بساطاً واحمليني إلى الرياض العليه
واخطفى يا نسائم الليل روحى وخذيها منى إليك هديه
ودعينى هناك أسرح حراً إنما العبد يشتهى الحريه
طال سجنى وطال فى الأسر يأسى واحتمالى لحالتى البشريه
أنا مالى وللورى ، فارفعينى ودعيهم فى بؤسهم والرزيه
ملّ قلبى بغضاءهم ، وهواهم ملّ قلبى سبابهم والتحيه
ولسانى قد صار يخشى لسانى وجنانى أضحى علىّ بليه
وفراشى شوكا ، ونومى ارتماشاً ويقينى شكا ، وبرى خطيه
وشرابى تململا وأواما وطعامى مجاعة روحيه
ولباسى رماد فكرى تذريه رياح تثيرها الأمنيه
تلك حالى . حرب عوان ، فإن أظفر فنفسى قتيلة أو سبية !

والقصيدة على صغرها زاخرة بالمعانى حافلة بالآراء الفلسفية والفكرية . وإنا لنتساءل : أتصور هذه القصيدة نفسية واحدة ، وتنبئ عن ذهن فرد من أفراد منشئيها ، فنقول إن أفكار ذلك الفرد كانت ساعة الإنشاء للقصيدة قوية وذهنه متوقداً ، فاستطاع أن يفرض شخصيته وطريقة تفكيره على زملائه ، فقلدوه وتابعوه فى هذه الساعة ، أم أن الرفاق الأربعة وهم من مشهورى الأدباء قد اتفقت آراؤهم وأحاسيسهم ، فهم كالشخص الواحد ، كما يحدث كثيراً فى مثل هذه اللحظات التى يتجرد فيها الإنسان من أثقال الحياة ويتعبد فى محاريب الطبيعة والجمال الإلهى الخالد . فالقصيدة حينئذ تعبر فى مجموعها عن رأيهم جميعاً ؛ أم أن القصيدة ليست ذات وحدة مطردة وطابع خاص شامل ؛ بل إن فيها أشتاتاً من الآراء والأفكار ، ولكل واحد من الرفاق بعض هذه الأفكار ؛ وفى استطاعة أدباء التحليل ودراسة الشخصيات والآثار الأدبية أن يعرفوا بوسائلهم الفنية أن هذا البيت لهذا الرفيق ، وذاك لذاك ، وذلك لذلك ، وهكذا ؟! ...

لا يستطيع أن يتحدث بجدارة فى هذا المجال إلا من درس هذه الشخصيات الأربع المشهورة ، ووقف على آثارها الفكرية وقفة الدارس البصير ؛ وأظن لو أن أحد هؤلاء الخبراء قام بتحليل هذه القصيدة وتشريحها وذكر مجهود كل من الأشخاص الأربعة فيها ، مستعيناً فى ذلك بأصول البحث الأدبى المشهورة ، وإيراد الدلائل الكافية لنعمنا بطرفة تحليلية رائعة ! . .

**أحمد الشرباصى**

## رجاء وشكوى :

مما يلاحظ — مع الأسف الشديد — أن بعض الأساتذة الكتاب يبدأن فى نشر مقالات ممتعة ذات فصول ، ثم يتركون الموضوع بدون أن يتم بعد كتابة فصل أو أكثر ، وإنا لنذكر بعض هؤلاء رجاء أن يتداركوا الأمر ويعلموا أن من حق القارىء أن يقرأ الموضوع كاملا ... فمنهم الأستاذ فخرى قسطندى فى مقاله « حول الاتباعية والابتداعية » آخر ما نشر منه فى العدد ٦٨٩ والأستاذ محمد رجب البيومى فى مقاله « من أخلاق البحترى » كتب البحث الأول فى العدد ٦٩٠ ثم انقطع البحث بعد ذلك .

والأستاذ محمد سليم الرشدان فى مقاله « الأدب فى فلسطين » آخر ما كتب منه فى العدد ٦٨٩ .

ورغم أن هذا العدد رقم ٦٩٦ — أى أن حوالى شهر ونصف أو يزيد قد مضى على بعض المقالات ولم تتم بعد فصولها .

وإنا لنرجو من أصحاب هذه المقالات مراعاة حق القراء وإتمام فصولهم بدون مباعدة بينها

(المنصورة) **ليلى عبد السلام**
المدرسة




# القافلة الضــالة

**تأليف الأستاذ محمود كامل المحامى**

[منشورات دار الجامعة]

**للاستاذ شاكر خصباك**

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

ومن ثم تنتهى القصة ! فبالله عليك أيها القارئ خبرنى : أى شىء استنتجته من هذه القصة المملة ؟ ! لاشك أنك ستجيبنى بـ « لا شىء » ! إذاً ما قيمة تلك الحوادث التافهة ليصاغ منها قصة تستغرق ثمانى عشرة صفحة ؟ ! ثم ما علاقة تلك الخاتمة التى تنتهى بها القصة ، وأقصد بها زواج سنية من تاجر الجلود بحوادثها المتواترة الأخرى ؟ ! كأنى بالمؤلف تورط فى سوق الحوادث بغير حساب ، ولم يدر كيف سينهيها ، ثم عن له أخيراً أن يختمها على تلك الصورة الغريبة ففعل ! وما هذه المصادفات العجيبة المسيطرة على جو القصة ، والتى لا تحدث فى الواقع إلا نادراً ؟ ! فتلك الصدف تدفع ممدوح صادق مثلا أن يخبر سنية أنه سيبعث لها برسائل غرام ، ولكنه يضرب عن هذا العمل ، وتجعل من ممدوح أسعد محباً لسنية أيضاً حيث يبعث لها برسائل غرامه فتعتقد أنها من ممدوح صادق ؟ !

انظر إلى تلك المصادفات واعجب ، إذ يجعل منها قصاص قدير حوادث قصة منتزعة — على ادعائه — من صميم حياة مصر الاجتماعية ! !

إن المصادفات فى هذه القصة لتتوارد وكأن المؤلف قد أقحمها إقحاماً ، بل كأن أبطال القصة شخصيات آلية يحركها المؤلف بدلا من أن تتحرك هى نفسها ! وبهذا فقد فقدت القصة عنصراً مهماً من عناصرها الفنية هو عنصر إظهار حيوية الشخصيات !

وأخيراً ، دعنى أسألك يا عزيزى القارئ قبل أن أغادر هذه القصة : إن كنت قد ضحكت أولا عندما أخبرتك فى ملخصها أن الصبى ممدوح أسعد (الحلاق) الذى تخرج من الصف الثالث الابتدائى أديب موهوب يكتب قصصاً وأزجالا ينشرها فى مجلات معروفة . ويكتب رسائل غرام تجعل من ممثلة تحتقر الأدب تقدس كاتبها غاية التقديس ؟ !

— ٣ —

وقصة الكتاب الثالثة « تمثال يتحطم » قصة تحليلية ممتازة ولا أود التعرض لها بشىء ، فليس فيها نقيصة ، بل إن من واجبى أن أشركك يا صديقى القارئ بإعجابى بتحليلها النفسى اللذ الذى توفق فيه المؤلف أعظم التوفيق !

— ٤ —

ولأنتقل الآن سريعاً إلى القصة الرابعة التى كانت بعنوان « المعلم حنفى » . والواقع أن جو هذه القصة فاتر الفتور كله . ولعلك تتبين هذا من الملخص الذى سأسوقه لك الآن :

فـ « رفيق حامد طالب فى الجامعة ، ولكنه لا يشبه رفاقه ممن اعتادوا فى مثل هـذا السن أن ينشئوا علاقات غرامية مع النساء ، بل كان منصرفاً إلى قراءة المسرحيات الفرنسية ليكون فى المستقبل كاتباً مسرحياً . وكان يتحاشى الاختلاط برفاقه الطلاب الآخرين حتى قيل عنه إنه متوحش . وقد اعتاد أن يتردد على مقهى « فينيكس » فى شارع عماد الدين ، فينتبذ مقعداً منعزلا — من جهة الزقاق الذى تجتمع فيه سيارات وعربات الأجرة — فأشيع عنه أنه يعتز بصداقة الحوذية والسواقين . ولكنه لم يهتم بكل تلك الاشاعات ومضى يطبق برنامجه حتى إنه كتب قصة بعنوان « المعلم حنفى » استوحاها من شخصية معلم من معلمى عربات النقل فى « الجيوشى » إمعاناً فى العناد .

ثم إنه نال ليسانس الآداب وتوظف فى إحدى المدارس الثانوية فأبعدته مشاغله عن مقهى فينيكس وأقصته عن الجو الأدبى نوعاً ما .

وبدأ يسترد لونه الطبيعى — بعد أن كان « صفراوى » من كثرة الجهد الذى يبذله فى الدراسة — ثم بدأ يعنى بهندامه

ويخيط ملابسه لدى خياط شهير . وتقدم خطوة أخرى فى ميدان حياته الجديدة فاشترى سيارة .

ثم إن الأستاذ على عبد السلام — ناظرمدرسته — دعاه ذات يوم بمناسبة عيد ميلاد ابنته سعاد وقدمه لها على أنه قصصى فسألته عن قصصه ؛ وعندما أخبرها بقصة « المعلم حنفى » هزت كتفيها احتقاراً ؛ وأشارت إلى أنها تفضل قراءة القصص الغرامية على قراءة قصة عن حوذى . فعاد إلى منزله وقد صمم أن يكتسب إعجاب ابنة رئيسه . وأعد هيكل مسرحية تدور حول حادثة حب عنيف . وبعد أسبوع ( !! ) تمت الرواية ؛ ومثلتها إحدى الفرق التمثيلية فنجحت نجاحاً باهراً ( !! ) وتناقلت خبرها الصحف المصرية والأجنبية بإعجاب ( !! ) .

وعاد رفيق فى الليلة الأخيرة لتمثيل روايته إلى داره ؛ ففوجىء بدقات التلفون ؛ وإذا بفتاة تخبره أنها شاهدت تمثيل روايته أسبوعاً كاملا وأنها معجبة به كل الإعجاب .

وتطور هذا الإعجاب من جهة الفتاة وجهته فأصبح حباً عنيفاً . وانطلقا يتواعدان على اللقاء باستمرار دون أن تعلم أسرة الفتاة بتلك العلاقة الغرامية . ولكن علاقتهما انكشفت ذات يوم لسائق سيارة الأسرة ؛ فبينما كانت الفتاة تهبط من سيارة رفيق أمام منزل من المنازل وإذا بالسائق السودانى العجوز يبصرها . فثار لكرامة ابنة سيده ، واعترض سيارة رفيق ؛ ورفع يده ليهوى بها على رأسه ، ولكن رفيق دفعه دفعة ألقته على الأرض وأسرع بسيارته هارباً .

ووقف عند مقهى فينيكس فاختار مقعداً منفرداً وجلس يفكر بما صنع مع السائق العجوز وقد شعر بالندم يتسرب إلى نفسه. وفى أثناء ذلك اجتمع حوله السواقون والحوذية يسائلونه عن سر تلك الغيبة الطويلة . فرحب بهم ودعاهم إلى تناول أقداح الشاى

ولما عاد إلى منزله لبث ليلته ساهراً حتى الصباح وقد انهمك فى كتابة قصة جديدة عن سائق عجوز لأسرة من الأسر كان أكثر وفاء لابنة الأسرة وحرصاً عليها من أهلها .

ومنذ تلك الليلة فضل أن يستعيد لقبه القديم الذى عرف به فيما مضى على أن يقوم بعمل مشابه للعمل الذى قام به فى تلك الليلة المشئومة !

وبهذا انتهت القصة ... ! ! وبانتهائها تسنح لى الفرص لإبداء رأيى فيها .

فأول نقطة لاحظتها عليها هو الفتور الذى صبغ به المؤلف جو القصة . يبدو هذا الفتور فى حوادثها الاعتيادية المجردة من عنصر الحركة والنشاط . وفى ذات الوقت فهى تفتقر إلى عنصر مهم من عناصر القصة الفنية هو عنصر اللذة أو التشويق . إذ أن القارىء قد يترك هذه القصة فى أى قسم منها دون أن يشعر بجاذبية تربطه بها كيما يتمها . تلك الجاذبية التى يخلقها عنصر اللذة أو التشويق فى القصة الفنية .

والملاحظة الثانية هى أن الصورة التى انتهت بها القصة قد أقحمت إقحاماً . وإلا فما وجه الندم فى دفع سائق عجوز وإلقائه على الأرض ؟؟ !!

أهذا الحادث التافه يقلب حياة شاب رأساً على عقب ؟ ! ! أهذا الحادث البسيط يبدل أفكار رجل وآراءه ويوجهها وجهة جديدة ؟ !! اللهم هذه نفسية شاذة ولاقياس على الشاذ .. !!

ولكن رويدك يا أستاذ . ما هذه الغلطة الفظيعة ؟ !! أيمكن لقصاص مبتدىء أن يكتب مسرحية فى ظرف أسبوع وأن لا يطول مدى تفكيره فى هيكلها أكثر من ساعة أو ساعتين ؛ ثم تنجح نجاحاً باهراً جداً ؟ !! إن هذا النجاح الذى لقيته تلك الرواية التى كتبت فى أسبوع والتى تناقلت أخبارها المجلات والصحف المصرية بإعجاب ونقلتها عنها المجلات الأجنبية المحلية لا نلقاها إلا رواية كاتب كبير ذو مران طويل ؛ لا كاتب ناشىء ليس له — حسب تحليلك — القدرة القصصية ؛

ثم إن الرواية التى ترفع كاتبها إلى مرتبة كبار كتاب المسرح — على حد قولك — لا يفكر فى هيكلها ساعة ولا تسجل فى ظرف أسبوع يا أستاذ بل تحتاج إلى مدة طويلة ليعاد تهذيبها مرات ومرات .

ودع عنك كل ذلك ، ولكن ما هذا التحليل السطحى يا سيدى ؟ !! إنه لا يفوق تحليل أقل كاتب ناشىء إطلاقا . أين هذا التحليل — ولا أدرى كيف أسميه « تحليلا » !! — من نفسيات شخوص قصتك « تمثال يتحطم » ؟ !! ولكن صبراً فهناك ما هو أدهى من ذلك وهى ...

— ٥ —

قصة « شبح اللقاء » . إنها قصة مفككة الحوادث باردة الأسلوب عادية المعنى . ولا أغالي إن قلت إنها أتفه ما في الكتاب من قصص . وهي تتلخص فيما يلي :

فـ ( الأستاذ حمدي يحب فتاة اسمها راجية . وينافسه في حبها ابن عم لها اسمه سامي . إلا أن الفتاة لا تحب سامي بل حمدي على الرغم من أن أهلها يعارضون في ذلك الحب .

ثم إنهما اتفقا على الزواج ، ولكن حمدي سافر إلى باريس لقضاء عطلته ولكي يمتع نفسه بمباهجها قبل أن يربط حياته بحياة راجية . وهناك تعرف براقصة فرنسية كانت قد اتفقت مع إحدى الملاهي في الأسكندرية على العمل فيه .

فلما أراد أن يعود إلى الوطن صحبته تلك الفرنسية . وعند عودته علم أن راجية قد عقدت خطبتها على ابن عمها سامي ، فقرر أن ينتقم منها : وقد اغتنم ذات يوم فرصة وجودها في أحد المطاعم مع خطيبها فدخل إليه مصطحباً الراقصة الفرنسية معه . فتعشيا معاً ، ثم انقضت فترة قصيرة وعزفت الموسيقى تدعو للرقص فأما راجية فقد أحجمت عن الرقص لئلا يتألم حمدي . وأما حمدي فقد نهض وتبعته الراقصة إلى حلقة الرقص ومضيا يرقصان . وكان هذا هو الانتقام الذي أعده لها ( !! ) .

وفي صباح اليوم التالي تلقى حمدي من راجية رسالة تخبره فيها بانقطاع العلاقة بينهما إلى الأبد ... ) وبذا انتهت القصة ..!

أتمعنت في حوادثها الخطيرة يا عزيزي القارئ ؟؟ !! تلك هي الصورة المنتزعة من صميم المجتمع المصري .. !!

ولا حاجة بي أن أكرر الحديث عن ضعف أسلوبها وركاكته مرة أخرى . ولا حاجة بي أن أكرر الإشارة إلى حوادثها الاعتيادية — وأقصد بالاعتيادية تلك التي لا تصلح أن تكون مادة لقصة من القصص — وموضوعها التافه . والحق أنني أعجب لقاص شهير كالأستاذ محمود كامل المحامي أن يكتب أمثال هذه القصة . والواقع أننا يجب أن نطلق على مثل هذه القصص اسم « حكايات المجالس » لا اسم « قصص اجتماعية » . وكان الأحرى بالمؤلف أن يطلق عليها ذلك الإسم كي لا يكلف نفسه مئونة نقد النقاد . فبالله عليك أيها القارئ خبرني أي فائدة جنيتها من مطالعة تلك القصص ؟ ! ! وأي عبرة اعتبرتها من قراءتها ؟ ! !

ومع ذلك فالمؤلف يفخر في مقدمة كتابه بأن قصصه هذه عبارة عن مجموعة صور اجتماعية انتزعت من صميم حياة مصر الاجتماعية

— ٦ —

والقصة السادسة هي قصة « الجارة الراحلة » . وهي قصة نفسية جيدة وإن كان فيها شيء من الاستخفاف بنفسية المرأة لا نصيب له من الواقع .

ولكنها على كل حال قصة فنية من طبقة قصة « تمثال يتحطم » .

وأختتم نقدي لهذا الكاتب بالإشارة إلى ضعف لغته فهي إن لم تكن في الدرجة المتوسطة فأقل منها . وقد لاحظت أن المؤلف قد استعمل كلمات في غير موضعها أمثال كلمة « الحياكة » — في قصة « موسيقار الطريق » — بدل « الخياطة » ، و « الحائك » — في قصة « المعلم حنفي » بدل « الخياط » .

العراق — الحلة **شاكر خصباك**

---

# رد على رد

**للأستاذ كامل السيد شاهين**

---

كتب الأستاذ العماري في عدد « الرسالة » (٦٩٤) بعنوان (مع البلاغيين) رداً يزعم فيه :

١ — أن التشبيه الذي يقصد منه بيان حال المشبه تشبيه معتبر معدود ، ويمثل له بقول العرب «أسود كحنك الغراب» وقولهم « أحمر كالدم القاني » .

وتلك عثرة بطيئة الإقالة ، فإن أغمار التلاميذ في المدارس الثانوية يميزون بسهولة بين التشبيه الذي يراد به بيان الحال ، والآخر الذي يراد به بيان مقدار الحال، ولنسق عبارة عبدالقاهر في هذا المقام لعل فيها مقنعاً للأستاذ الكبير . قال :

« قد يحتاج الوصف إلى بيان المقدار فيه ، ووضع قياس من غيره يكشف عن حده ومبلغه في القوة والضعف والزيادة

والنقصان . مثال ذلك قولهم هو أسود كحنك الغراب ، فالقصد إلى التعريف بمقدار الشدة لا التعريف بنفس السواد على الإطلاق » .

وأما الآية الكريمة « وجفانٍ كالجواب » فهى تدل على مقدار الاتساع لا أصل الاتساع ، وذلك ما لا يصح أن يقع فيه جدل أو مُماراة .

٢ — أنه لا يأخذ كلام المتقدمين قضايا مسلمة دائماً ولكن هذا — يا سيدى — لا يتفق مع ما جئت به وسقته من كلام عبد القاهر فى تحسين التشبيه بين البنفسجة وأوائل النار فى أطراف الكبريت فما كان لك من حجة إلا هذا الكلام الذى ساقه ، أفبعد أن تطعم على مائدتهم وتتوكأ مغمض العينين على عصاهم تزعم أنك لست كلاً عليهم ؟

٤ — أن بيت امرئ القيس :

كأن ثبيراً فى عرانين وبله     كبير أناس فى بجادٍ مزمل

لامعنى وراءه ، وليست هذه الدعوى بالتى يستمع لها ، فإنه لما صور الجبل وقد أصابه الوَبْل بعث فى نفس السامع الرهبة وأشاع شيئاً من البرودة التى يقتضيها المطر ، فشبهه رجلا مَهيباً مُزَمَّلا فى بِجَادة فأصاب ما أراد من المعنى الذى أحاط به المشبه .

وأما قول طرفة :

كأن حدوج المالكية غدوة     بقايا سفين بالنواصف من دد

فإن الحدوج حينئذ لها اعتبار خاص فهى ليست ملقاة فى الفناء أو خارج الخيمة ، ولكنها متأهبة للرحلة مشدودة على البعران ، مهيأة للسفر ، فمن ثم أصاب القصد فيما نصيبه العين من بقايا السفين المقلعة بعد أن أبعدت عن مرساها ، وفيه إبراز للاشفاق والحنين والتخوف من الوحشة ، وذلك لايدركه إلا قلب شاعر !

٤ — أننى أخطأت فى تعريف البلاغة ونقصتها قيدا ، وأنه كان ينقد فى البيان فلا يحتج عليه بتعريف المعانى .

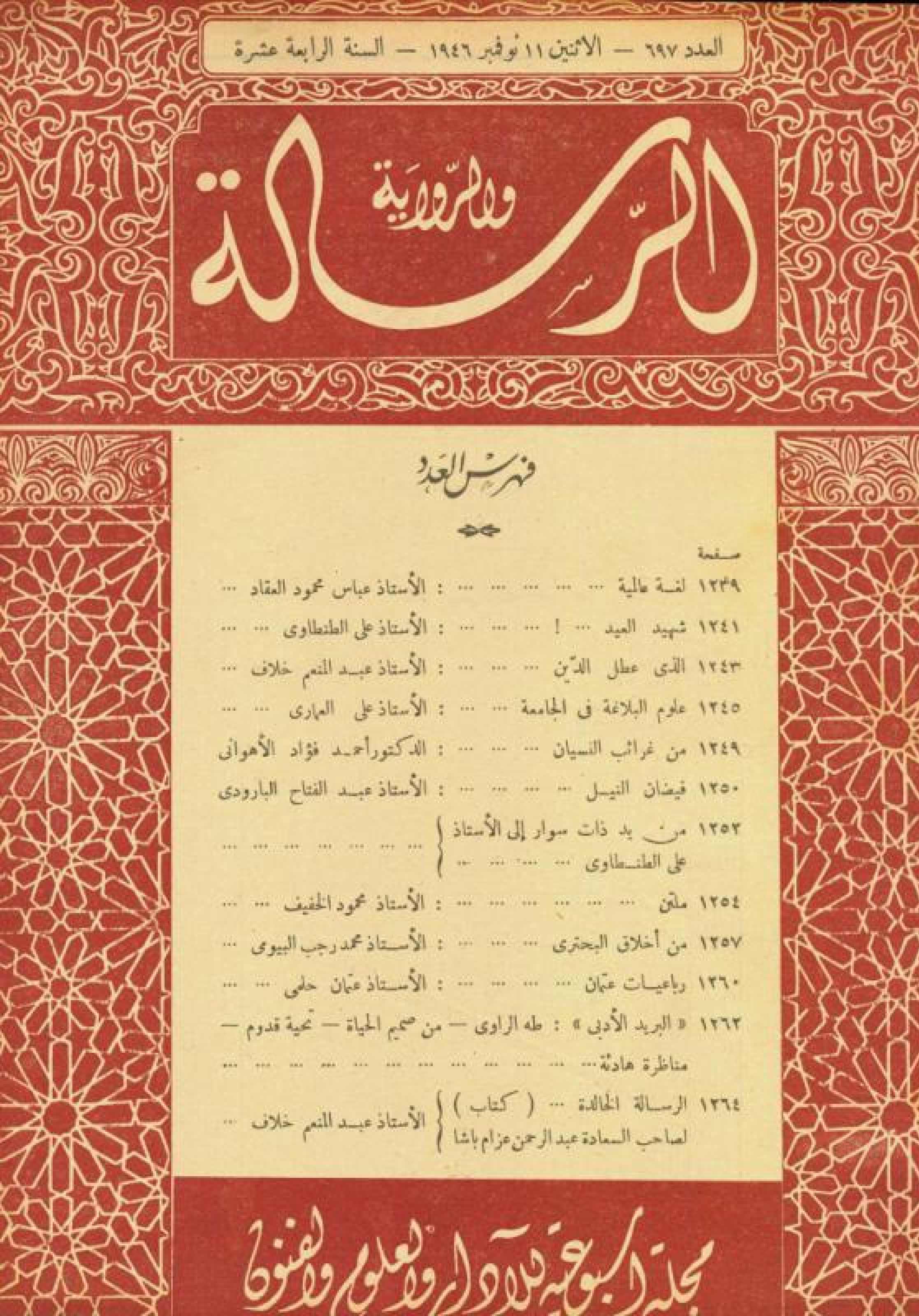
أما القيد الذى ذكره فقد تركته لأنه ليس محط الإجابة ، واقتصرت على ما به أداء الغرض حتى لا يضل عن القصد فتكثر شطحاته .

وأما أنه يتكلم فى البيان فلا يحتج عليه بتعريف المعانى فهذا ما كنت أُجلّ الأستاذ عن أن يقع فيه ، وكأنه يريد بذلك أن من التراكيب تراكيب ينظر إليها علم المعانى وأخرى ينظر إليها علم البيان ، فتركيب القصر ، والانشاء مثلا لا ينظر إليهما من ناحية أنهما استعارة أو كناية ، و « مكر الليل والنهار » لا ينظر إليهما على أنهما إيجاز أو إطناب . إن كل جملة — يا سيدى — خاضعة للنظرين فلا تقل بعد اليوم : إن هذا التركيب خاص بعلم البيان ، وذاك خاص بعلم المعانى . فهذا عن الصواب بمنأى .

٥ — أن حسد جرير لابن الرقاع إنما كان لروعة التشبيه ولكن قول جرير « ما عساه يقول وهو أعرابى جلف جاف » مما يفيد أنه إنما حسده لاستطاعته وهو بدوى جلف أن يصل إلى تشبيه مدنى حاضر . فلا تزال شجاً مؤلماً وغصة مانعة من إساغة تأويل الأستاذ .

كامل السيد شاهين
المدرس بالمدارس الأميرية


دار الكتاب العربي
للطباعة والنشر
٢ حارة باغوص بشارع فاروق
ت ٥٠٩٣٨ - ٥٨٩٢٠
لصاحبها
محمد حلمى المنياوى و سعيد جوده السحار
تستطيع فى القريب العاجل
بعون الله تعالى
أن تؤدى خدمتها كاملة
للكتاب العربي . . .



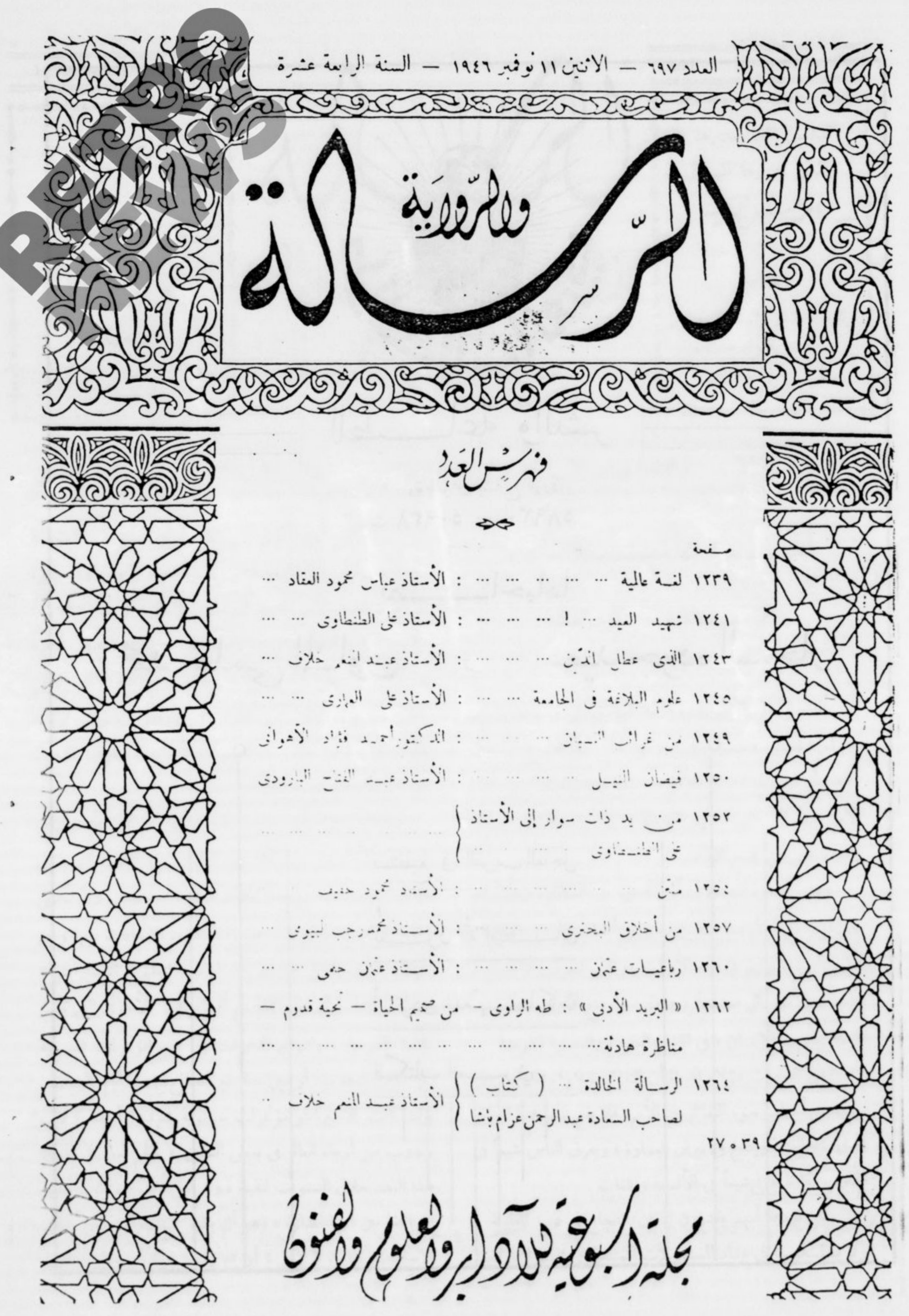
العدد ٦٩٧ — الاثنين ١١ نوفمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

# الرسالة والرواية

## فهرس العدد



مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ٦٩٧ — الاثنين ١١ نوفمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

# الرسالة والرواية

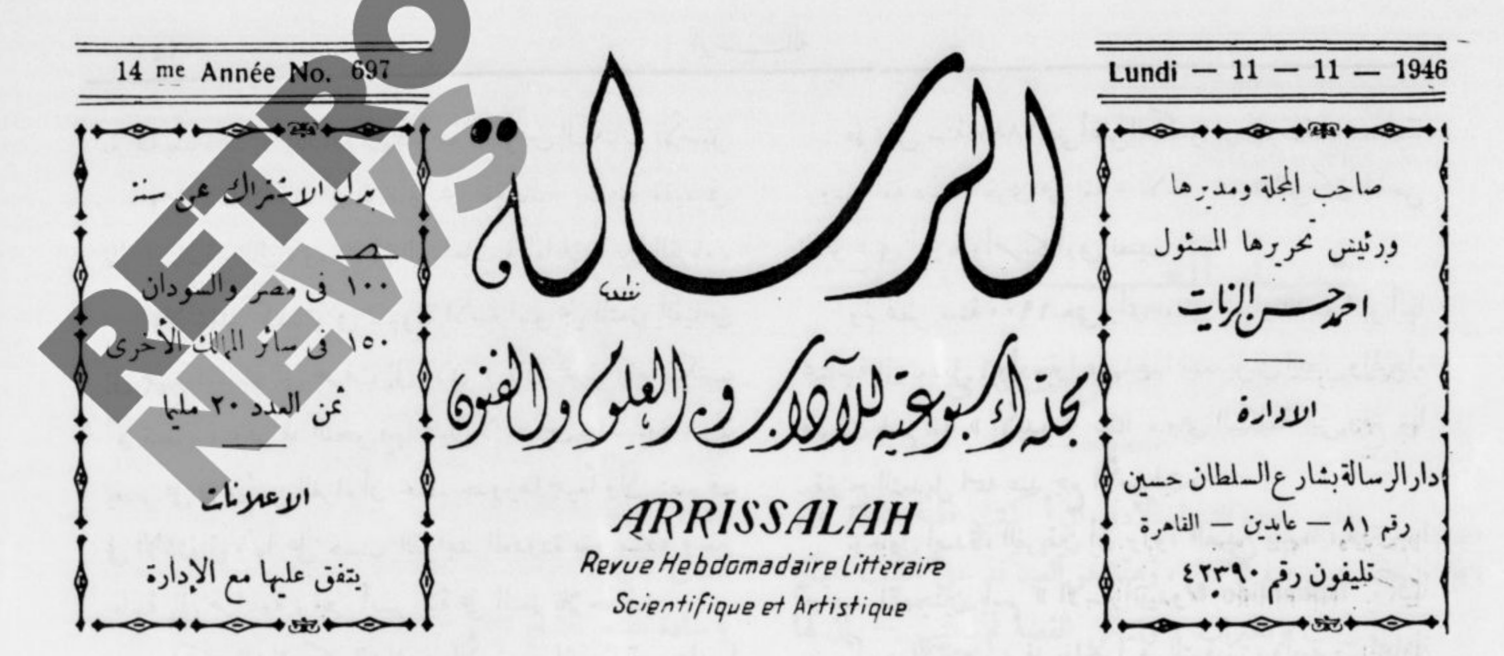
## فهرس العدد



٢٧٠٣٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


دار الكتاب العربي
للطباعة والنشر
٢ حارة باغوص بشارع فاروق
ت ٥٠٩٣٨ – ٥٨٩٢٠
لصاحباها
محمد حلمى المنياوى و سعيد جوده السحار
تستطيع فى القريب العاجل
بعون الله تعالى
أن تؤدى خدمتها كاملة
للكتاب العربي . . .


14 me Année No. 697 | Lundi — 11 — 11 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٩٧ « القاهرة في يوم الإثنين ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٦٥ — ١١ نوفبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة



# لغـــة عالميـــة . . .

## للأســـتاذ عباس محمود العقاد

تجدد في هذه الأيام نشاط الدعاة العالميين إلى تعميم لغة واحدة بين أمم الحضارة، لتصبح في يوم من الأيام لغة النوع الإنساني كله، أو لتصبح — على الأقل — لغة إضافية يتفاهم بها أبناء الأمم جميعاً إلى جانب لغاتهم القومية، إذا تعذر الاتفاق على لغة واحدة تغني عن جميع اللغات.

وهذه الدعوة تتجدد في أيام الدعوة إلى السلام، وهي أرفع ماتكون صوتاً وأبعدما تكون صدى في أعقاب الحروب العالمية؛ لأن الناس يشعرون في هذه الأوقات بعواقب التفرق والانقسام، ويستمعون إلى كل نصيحة يرجون منها منع الحروب وتقريب الشقة بين بني الإنسان، في اللغة والعقيدة والعصبية القومية

ومن تقديرات هؤلاء الدعاة أن التفاهم بلغة واحدة يقضي على سبب من أسباب سوء التفاهم بين الأمم، فلا يقع بينها هذا التنافر الذي يثير الفتنة وينفخ في نيران العداوة، ويفرق الناس شيعاً في القلوب كما تفرقوا شيعاً في الألسنة واللغات

ومن البديه أنهم يقدرون إمكان النجاح في هذه المحاولة، ولا يسلكونها في عداد المستحيلات الممتنعة على جميع المحاولات

ونشاطهم اليوم أقوى من نشاطهم في السنوات الماضية، فقد شهدوا أمم العالم تجمع مندوبيها في صعيد واحد، وقد بلغوا في عهد عصبة الأمم المنحلة أن تعترف العصبة (سنة ١٩٢٧) بأشهر اللغات العالمية وهي « الاسبرانتو » التي سمعنا عنها كثيراً في البلاد العربية. فإذا بلغوا في عهـد الأمم المتحدة أن يتكلم المندوبون بهذه اللغة، أو يتكلم أحدهم بها ويفهمه بعض زملائه، فهي خطوة مفلحة في سبيل التعميم، وقد تتبعها خطوات تشترك فيها الحكومات وتنتظم فيها الشعوب

فالمجلات التي كانت تطبع بلغة الاسبرانتو ثم احتجبت في السنوات الماضية تعود الآن إلى الظهور، والمجلات التي ضاق نطاق انتشارها توسّع هذا النطاق جهد ما تستطيع، ولا تكتفي الجماعات الدولية بمطبوعات هذه اللغة فتعقد الاتفاقات بينها وبين المجلات المشهورة على تخصيص أقسام منها لتعليم « الاسبرانتو » ونشر الترجمات إلى هذه اللغة مع أقسام المجلة الأخرى التي تنشر بلغتها القومية، وتتوالى الدعوات إلى عقد المؤتمرات السنوية كما كانت تنعقد منذ أربعين سنة بغير انقطاع فيما عدا أيام الحروب. وقد كانت للاسبرانتو مؤتمرات سنوية شهدها أربعة آلاف مندوب من أرجاء العالم في بعض السنين، ولهمَ أمل في ازدياد هذا العدد خلال السنوات المقبلة، ولهم أمل أهم من ذلك وأجدى على اللغة بين أمم الحضارة، وهو أن يظفر كتاب أدبي من كتب الاسبرانتو بجائزة « نوبل » أو بجائزة من قبيلها، ولايسمحون

بترجمة بعد ذلك إلا إذا اقترنت الترجمة بنصوص الكتاب الأصيل

ومما لا شك فيه أن الاتفاق على لغة عالية إضافية مفيد فى عالم السياسة والمال ، ومفيد فى السياحات والمقابلات بين الغرباء .

ولا شك كذلك فى سهولة الاسبرانتو على المتعلم بالقياس إلى جميع اللغات التى عرفت إلى الآن ، لأن كلمات اللغة تكتب كما تنطق ، وقواعد النحو فيها قليلة لا يعرض لها شذوذ ، ولا يعسر على قارئ من القراء أن يحفظ جذورها جميعاً وأن يتصرف فى الاشتقاق منها على حسب القواعد المعدودة بغير مشقة وبغير حاجة إلى مراجعة ، فهى أيسر لغة على المتعلم بلا خلاف

ولكن الشك كل الشك فى الأساسين اللذين يقوم عليهما بناء اللغة والرجاء فى جدواها ، وهما إمكان التعميم ومنع الخلاف بهذا التعميم

فموضع الخطأ الأكبر فى تقدير هؤلاء الدعاة حسبانهم أن اللغة وسيلة تفاهم وكفى ، ولا شأن لها قبل ذاك ولا بعد ذاك .

والواقع كما نشهده أن اللغة « كائن عضوى » يمتزج بكيان الأمم فى ماضيها وحاضرها ، ومستودع حيوى لما يجيش فى نفوسها وعقولها من فكر وأمل وعاطفة واعتقاد

ومهما يبلغ من إنصاف الدعاة المشغوفين بالسلام وتوحيد الشعوب ، فلن يستأصلوا من نفوسهم تمييز جنس على جنس ولسان على لسان ، وآية ذلك أنهم قصروا جذور اللغة العالمية على مصادر اللغة اللاتينية ومشتقاتها ، فليس فيها حساب للعرب مثلا ولا لأهل فارس أو الهند أو الصين

ونحسبهم لو استطاعوا أن يلحظوا اللغات كافة فى جذور لغتهم لما ضمنوا بذلك توحد اللغة ، ودوام التوحد فيها مائة سنة متوالية ، ولا نقول بضع مئات

وتاريخ اللغة العالمية شاهد على ذلك يغنينا عن ترقب حكم المستقبل البعيد أو القريب

فقد ظهرت أول لغة عالية فى سنة ١٨٧٩ قبل إعلان الاسبرانتو بنحو تسع سنوات

وقد وضع تلك اللغة قس ألمانى يسمى شلير Schleyer وأطلق عليها اسم « الفولبك » Volpuk منحوتاً من كلمات انجليزية وجرمانية معناها لغة العالم

فلم تمض سنة ١٨٨٧ حتى أعلن الدكتور زمنهوف Zamenhof الروسى لغة عالمية أخرى هى لغة « الاسبرانتو » التى كان لها من الذيوع فى أوربة وأمريكا أوفى نصيب

ولم تمض سنة ١٩٠٠ حتى رأى بعض أنصار الاسبرانتو أنها محتاجة إلى تعديل ، وأدخلوا عليها هذا التعديل فى النطق والهجاء فعرفت باسم لغة « الأيدو » ido ، وهى الكلمة التى وقع بها مقترح التعديل اسمه عند جمع الأصوات،

وحاول أصدقاء الفريقين أن يرأبوا الصدع بينهما ، فاقترحوا توحيد اللهجتين باسم « الاسبرانتيدو » ispirantido تركيباً مزجياً من الاثنتين ، فلم يفلحوا فى التوفيق ، وأسفرت المحاولة فى أقل من أربعين سنة عن ثلاث لغات أضيفت إلى اللغات المتفرقة ، فزادت ولم تنقص بمحاولة التوحيد

ويحدث هذا فى كل محاولة يراد بها جمع البشر كافة إلى لغة واحدة أو عقيدة واحدة أو تفكير واحد ، وشواهد ذلك عندنا فى الشرق المعروف ، وفى العصر القريب

فالباب قد أراد فى القرن الماضى أن يفسر الكتب الدينية تفسيراً يقبله المسلمون والمسيحيون واليهود ويجمع به الأديان الثلاثة إلى كلمة واحدة ينحسم فيها الخلاف ، فلم يمض على دعوته عمر رجل واحد حتى كانت « البابية » نفسها ثلاث شعب لا تدين واحدة منها بأمامة الشعبة الأخرى ، فلم تتوحد العقائد بل زادت عقيدتين مع الدين الجديد .

وحاول القاديانى فى الهند مثل هذه المحاولة فلم يسلم الروح حتى أصبح الأحمديون شعبتين متنازعتين تدين إحداهما بنبوة الإمام وتنكر الأخرى عليه النبوة وتنعته بلقب الاجتهاد والأمامة وافترق أتباعه قبل أن يوحدوا الأديان . وقد تنقسم الفرقة إلى فرق والشعبة إلى شعب . دون أن يتحقق القصد الذى نزعوا إليه .

والاسبرانتو على هذا القياس ستصبح لغات ولهجات قبل أن تتفق على لغة واحدة إلى جانب اللغات القومية . أما أن تزول هذه اللغات القومية جميعا فذلك تقدير بعيد ، بل جد بعيد .

* * *

والخطأ فى التقدير الآخر أن نرجع بأسباب الحروب إلى تعدد اللغات ، وأن نعتقد أن توحيد اللغة يزيل تلك الأسباب ،

من أحاديث الإذاعة :

# شهيد العيد . . . !

للأستاذ علي الطنطاوي

كلفتني محطة الشرق الأدنى أن أكتب قصة لتذاع عن أول يوم من عيد الأضحى ، وهذا هو العيد قد حلّ حلّت عليكم فيه البركات والخيرات ، ولكن القصة لم تكتب ... إن لها قصة يا سادة ، فاسمعوا قصتها ...

* * *

أنا رجل من طبعه التأجيل والتسويف ، أؤخر الأمر ما دام في الأجل فسحة ، وأرجئه إلى آخر لحظة منه ، ثم أقوم كالمجنون أنطّ[1] قافزاً مثل الأرنب الذي زعم (أخونا ...) لافونتين أنه نام حتى سبقته السلحفاة ، وإن لم أكن قد رأيت في عمري سلحفاة تسبق أرنباً ...

فلما ورد عليَّ كتاب المحطة نظرت فإذا بيني وبين موعد الأذاعة أمد طويل فاطمأننت ونمت ، حتى إذا كانت ليلة العيد ، ولم يبق أمامي إلا ساعات معدودة أكتب فيها القصة وألحق بها البريد الجوي ، أخذت قلمي وصحيفتي لأكتب فسدّت عليّ أبواب القول ومنافذه وكواه ... وعدت مرتجاً عليّ محبوساً لساني كأني ما مارست الكتابة قط ، وكذلك نفس الأديب يا سادة تتفتح تفتّح الينبوع الدفاق ، ثم تشحّ شحّ الصخرة الصماء ما تبض بقطرة ماء ، ولكن الناس لا يصدقون ذلك : إنهم يحسبون الكاتب يخرج المقال من نفسه كما يخرج التاجر البضاعة من دكانه ، لا يدرون أن هذا الكلام يجيء أحياناً حتى ما يقدر الأديب على ردّه ، ويعزب حيناً حتى لا يلقاه ، وأنه يعلو ويصفو وينزل ويتعكر ، وما عجزت الليلة عيًّا ولا فهاهة ، فأنا أكتب في الصحف من عشرين سنة ، ولكن الكتابة بالأجرة

(١) نط في الأرض : ذهب .

---

أو يزيل سبباً قوياً منها إن لم يُزل جميع الأسباب .

فإن الحروب التي وقعت بين أبناء اللغة الواحدة لا تقل عن الحروب التي وقعت بين أبناء اللغات المختلفة ، وأمثلة ذلك ظاهرة في تواريخ الرومان واليونان والعرب والصقالبة والجرمان والانجليز ، وأبناء الهند والصين .

ونحن إذا رجعنا إلى الحروب بين أبناء اللغات المتعددة لم نستطع أن نردها جميعاً إلى انقطاع التفاهم بين أمة منها وأمة ، أو بين زعماء الأمة الذين يقودونها إلى الحرب وزعماء الأمم التي يحاربونها . فربما فهم كل فريق منهم ما يريده الآخر ووقعت الحرب بينهم لأنهم « يفهمون » لا لأنهم لا يفهمون .

فإذا خطر لنا أن تعميم « الاسبرانتو » يعمم الوفاق ويقضي على أسباب الشقاق فليس في حوادث الماضي ولا في حوادث الحاضر ما يعزز هذا الخاطر بدليل .

وغاية ما يرجى من تعميم لغة إضافية بين أبناء النوع الانساني أن تتيسر بينهم المعاملات ويستفيد العارفون بتلك اللغة من سهولة قواعدها فينقلون تلك القواعد شيئاً فشيئاً إلى لغاتهم القومية التي تحتاج إلى تعديل .

أما امتناع الحروب فليس سبيله توحيد الكلام ، بل توحيد البواعث التي يعبر عنها الكلام ، وتوحيد هذه البواعث مستطاع في ناحية واحدة على وجه التقريب لا على وجه الشمول والاطلاق ، وهذه الناحية هي ناحية المثل العليا للأخلاق والقيم والأقدار . فإذا أعجب الناس بفضيلة واحدة واشمأزوا من رذيلة واحدة وتكلموا بألف لغة فذلك أدعى إلى التقارب بينهم من لغة واحدة يتكلمونها وليس بينهم وفاق في مواطن الاستحسان والاستنكار ، وليس لهم مقياس واحد يقيسون به أعمال الدول والرجال .

وآية ذلك أن اتجاه الناس إلى وحدة المقاييس الخلقية يطرد في مراحل التقدم والحضارة ، ولم يكن تفرقهم في مذاهب اللغة والرأي مناقضاً لاتجاه التقدم والحضارة في عصر من العصور .

عباس محمود العقاد

بيع وشراء ، ولكل مبيع ثمن ، وأنا أحب أن أنتصف وأنصف الناس من نفسي ، لذلك رأيتني كلما سقطت على موضوع وزنته فوجدته لا يساوي الثمن الذي تدفعه لي المجلة ، فتركته وفتشت عن أغلى ، وكلما خطرت لي فكرة طمحْت إلى أعلى ، حتى كاد يمضي الوقت ولم أصنع شيئاً ، ونزل بي ما نزل بالأستاذ توفيق الحكيم لما كلفوه أن يضع حواراً للفلم وجعلوا له جعلا ضخماً ، فحصر فيه فكره ، وحشد له قواه ، وفرَّ لأجله من داره . ثم انتهى به الأمر أن ألّف كتاب (الحمار) ولم يضع الحوار .

عند ذلك أيست ولبست ثيابي ، وهربت إلى الأسواق .

* * *

جلت في الأسواق ، وأسواق دمشق ليلة العيد كأنها المحشر ، قد أوقدت فيها المصابيح ، وفتحت المخازن ، وانتشر الباعة ، وتدفق عليها أهل البلد والفلاحون ، بالأزياء المختلفة واللغات المتباينات ، وكل بائع ينادي برفيع صوته ، وكل مشتر بصيح ، وكل مجتاز يتكلم ، والبضائع معروضات من كل مأكول وملبوس ومفروش ومنظور ومشموم ، وكلٌ يريد أن يعدَّ الليلة عدته للعيد فيشتري فيها طعامه ولباسه ...

وكنت أسير في هذا الزحام شارد الذهن ، نازح الفكر ، أعمل عقلي في هذه القصة ... التي وعدت بها المجلة ، فأعلنت عنها وبشرت بها ، ثم لم أستطع أن أكتبها ، حتى وصلت إلى (باب المصلى [1]) ؛ فإذا أنا بحشد عظيم من الناس قد احتشد حيال دكان ، فدفعني الفضول إلى معرفة الخبر ، فأقبلت أدفع الناس بكتفي ، وأشق طريقي بيديَّ كلتيهما وأطأ أعقاب الناس وأقدامهم ، وأصغي إلى هذا الفيض العجيب من ... النثر الفني .. الذي جادت به قرائحهم ، فتدفق عليَّ من ألسنتهم ، حتى بلغت المشهد ، ونظرت ...

* * *

نظرت ، فرأيت اثنين يختصمان ويعتركان ، أما أحدهما فكان مسكيناً قميئاً أعزل عاجزاً ، وأما الآخر فكان ضخماً طوالا كالح الوجه ، مفتول العضل ، وسخ الثوب ، قد حمل سكيناً في يده طويلة النصل ، حديدة الشفرة ، وهجم بها على صاحبه والناس ينظرون ولا ينكرون ، وصاحبه المسكين يصرخ ويتلفت تلفت المذعور ، يطلب الغوث فلا يغيثه أحد ، ويبتغي الهرب فيسد عليه الناس طريق الهرب ...

وإني لأفكر ماذا أصنع ... وإذا بالخبيث العاتي يذبحه والله أمامنا ذبحاً ، ويتركه يتخبط بدمه ، ويوليه ظهره ويمضي إلى دكانه متمهلا ، فيعالج فيها شأنه على عادته ، كأنه لم يرتكب جرما ، ولم يأت الأمر النكر جهاراً !

وكدت أهجم عليه ، وأسلمه إلى الشُّرَط . ثم ذكرت أن الشجاعة في مثل هذا الموطن تهور وحماقة ، وأن المجرم بيده السكين لا يمنعه شيء أن يَجَأ بها من يريده بشرّ ، وطمعت أن يتحرك أحدُ الواقفين فيقدم عليه فأتبعه وأشد أزره ، فلا والله ما تحرك أحد منهم ، ولا جَرُؤ على ذلك ؛ بل لقد تكلم واحد منهم ، فلما رفع القاتل رأسه ونظر إليه رأيته يجزع منه ويفزع ، ويقول له بصوت مضطرب متلجلج : « الله يسلِّم يديك » !

وحرت ماذا أعمل : أأبلغ الشرطة ، أو أدعهم وأمضي إلى داري لا عليَّ ولا لي ؟ ثم رأيت أن خير ما أفعل أن أكتب وصف ما رأيت ، وأبعث به ليذاع ويعرفه الناس .

* * *

وهأنذا أتهم هذا الرجل بالقتل ، وأدعو الحكومة إلى القبض عليه حتى يعاقب ويكون عبرة لمن يعتبر . ولا يحسبن أحد أنه فرّ ، أو أن القصة متخيلة أو مكذوبة ، أو أنها من أساطير الأولين ، أو من أخبار العصور الخوالي ، فالقاتل موجود في دكانه ، يغدو إليها ويروح إلى بيته ، والقصة صحيحة رأيتها بعيني رأسي وأنا سالم العقل غير مجنون ولا معتوه ، متيقظ غير نائم ولا حالم ، صاحٍ غير مخدّر ولا سكران ، ثم أني رأيتها الليلة البارحة !

* * *

هذه هي الحادثة الفظيعة التي كتب الله أن تكون هي موضوع قصتي التي فكرت فيها وأطلت التفكير فكيف رآها الناس فلم يحفلوا بها ولم يأبهوا لها ؟ أفسدت الأخلاق ، وضاعت

---

(١) حي في أول (ميدان) الحصى في دمشق ، كان فيه مصلى العيد ، لما كان الناس يعرفون السنة فيصلون العيدين فيه لا في المساجد .

# الذى عطل الدين

للأستاذ عبد المنعم خلاف

ما رأيت شيئاً أضر الحياة وأضر الدين وحال دون شيوعه فى الناس مثل ما عطله الإيغال فيه والاستغراق فى معانيه حتى يصير بعيداً عن متناول عقول أكثر الناس ومتناول جهدهم المحدود وإحساسهم بالحياة ... ! وينبغى لقواد الاجتماع ألا يخطوا خطوة عامة فى رحاب الفكر الاجتماعى إلا وهم مقدرون أن جمهور الإنسانية يستطيع أن يخطوها وراءهم.

وقد كان نتيجة ذلك الإيغال أن حياة أكثر الناس انفصلت عن حياة الدين واتجهت إلى مجرى المادية الصماء — وهو المجرى الظاهرى وحده — من غير أن يصحبها الروح السامى الذى يليق بعظمة تفرعاتها المادية وتشقيقاتها .

ولو أن الدين نظر إليه على أنه موقف لازم من مواقف الحياة كالأكل والنوم والرياضة والعلم الخ ... وساير حياة المجتمع ، وفُهِم على أنه « ركن مادى » فيها لا بد أن تقوم عليه كما تقوم على غيره من دعاماتها كالقانون وحفظ الأمن مثلا ، ولم تلتصق به نزعات التصوف والانطلاق الشعرى المغرقين ، وتصوير موقف الإنسان فيه موقف الفناء والإنكار للنزعات المادية التى تستلزمها الحياة بالجسد ، والخروج من الدنيا بالسهر والجوع والزهد واستمراء الآلام قبل الخروج منها بالموت ... إذاً لسارت الحياة الإنسانية فى تناسق بين جانبيها الروحى والمادى .

ولو علمنا أن الحياة صادقة أصدق من تلك النزعات الشاذة التى تجلت فى أفراد من المتشائمين ، من كل من طلق الدنيا ألماً منها أو زهداً فى لذاتها ، لتغير الموقفِ العام ، فإن الحياة الإنسانية فى مجراها العام أخذت الإنسانية كلها ، ونقلتها إلى رحاب الكرامات والتسلط والتسخير عن طريق العلوم الموضوعية ومكارم الأخلاق العملية لا الاستغراقات الذاتية الضيقة.

ولا يغرَّنّنا من شذوذ كل أولئك الصوفيين المغرقين ما تركوه من كلام شعرى مزوّق جميل فى طيوف وأشباح وأصداء لوجداناتهم المحرومة المولهة التى تركت طرق الحياة الواضحة ، وأرادت أن تدرك الله الأعلى بعقولها المحدودة ، فكانت النتيجة الحتمية لذلك الطلب هى بلبلة الخاطر وخفاء البيان واضطراب السير ...

إن الحياة المادية العلمية الظاهرة هى الحكَم لصالح حياة الجماعة ، وهى الأفق الأول الذى أراد الله العظيم أن تتجلى فيه أسرارنا ونتائج خلقتنا ، ونتائج جهادنا فيها نتائج دائمة ثابتة ، يراها أطفالنا وجهالنا كما يراها علماؤنا وفلاسفتنا .

وأنا مؤمن بالإنسانية ذات المنطق الواقعى المستمد من الطبيعة ، ناشدٌ كمالها عن طريق تكميل سيطرتها على الطبيعة وإدراكها للنفس إدراكا علمياً وتحكمها فى العمل تحكماً صالحاً .

ومن الذى سار وراء الشذاذ من الصوفية والمتشائمين وأخذ أخذهم فى الحياة ؟ إنهم أقل عدد ، ومن صالح الأرض أن يكون

---

الروءات حتى لا ننكر الأمر المنكر ، أم خارت العزائم ، وانخلعت القلوب حتى لا نجرؤ على المجرم الظالم ؟ وهل نامت الحكومة فى الشام نومة أهل الكهف حتى ما تدرى بالدم يسيل فى شارع من أكبر شوارع دمشق ؟

لقد سكت الجميع ، حتى أن أنسباء القتيل قد ناموا عن دمه ، وقعدوا عن الثأر له ، ولم يتقدم أحد منهم شاكياً ولا مدعياً لأن القاتل كما قالوا ، عازم على ذبحهم كلهم إن قدر عليهم ، وماضيه حافل بأمثال هذه الجرائم .

فما سرّ هذا السكوت ؟

لقد علمت السرّ بعدُ يا سادة ...

ذلك أن المسكين الشهيد كان خروفاً من خرفان الضحية ، وأن القاتل كان جزّار الحارة ، وأن الناس شاركوه فى جرمه . فأكلوا لحم الذبيح مشوياً ومقلياً ومطهياً ، وأكلت معهم ونسيت من طيب اللحم هذا المشهد ...

هذه هى سنة الحياة ، يموت المسكين لنستمتع نحن بأكلة طيبة . فكلوا منه أنتم أيضاً هنيئاً ، واشربوا عليه مريئاً ، واشتغلوا بالأكل عن مطالبتى بالقصة ، وكل عام وأنتم بخير !

**على الطنطاوى**

ذلك كذلك ، إذ لوطاوعهم الناس لعطلت الأعمال فى الأرض ، ولم تتحقق الأعمال البارعة التى للانسان فى المادة وأسرار الحياة

* * *

غير أن الإنسانية إن كانت طبيعية بسيرها هكذا فقد أساءت بإهمال جانب الروح فيها باعتباره دعامة أساسية فى الحياة ذلك الإهمال الشنيع .

وربما يكون ذلك الأمر محتملا فى العصور السالفة ، عصور القصور والطفولة ، ولـكن الآن يجب أن تدرك أنها بلغت دوراً لا يصح أن تسكت فيه على إهمال الجانب الروحى فى حياتها باعتبار أنه « ركن حيوى » ودعامة نظامية لحياتها المادية ذاتها ، والحمد لله قد تحول كثير من أحلام الروحيين القدماء إلى أخلاق عملية عامة .

والتصوف بمعناه العملى شىء سام عظيم فى رياضة الخلق وتطبيع الأعصاب على السمو والخير وإيقاظ الضمير ، ولـكنه بمعناه الشعرى الذى نراه فى شعر بعض القوم ليس أخلاقاً ، وإنما هو أحلام وتأملات مستغرقة حادة للخلاص من الجسد لرؤية الحقيقة العظمى والخروج من نطاق الأرض لرؤية ماوراءها ، وهؤلاء قد لا يهتمون بالأعمـال والأخلاق كالحلاج وغيره ؛ فواجب أن ننظر إليهم لا كرجال دين يسنون طرقاً ليسير الناس عليها ، وإنما كشعراء استهوتهم المعانى الدينية فأسرفوا فيها ، واستغرقوا وانطلق وجدانهم فيها كما استغرق أبو نواس فى الخمر وبشار فى الملذات الحسية ...

وقد ينظر إلى معانيهم على أنها انطلاقات فى « فن الدين » أو موسيقى فى جوه ليست ذات محصول ... وقد ينظر إليهم رجل الدين العالم العملى على أنهم صناع أحلام استهوتهم إلى غير الطريق الجمعى . وكل فتح عظيم لهم وتستطيع الإنسانية أن تنتفع به ينتهى إلى « صواب الأحكام » عن طريق البيان ؛ لأنهم أطالوا التأمل وأدمنوا تقليب النظر فى وجوه الأشياء المختلفة . وهذا لا يتيسر لـكثير غيرهم .

ولم يأت وصف لله تعالى على لسان أى مخلوق بما يخرج عن نطاق عمله تعالى وصفاته الممثلة فى الطبيعة التى تدرك بالقوى الواعية وبالحواس .

نعم قد تشرق عليهم لمعات من الأذواق الغريبة عن الحياة ومن المشاهد الغيبية ، ولـكن لا يستطيعون إظهارها ، لأنها يضيق عنها نطاق النطق كما يقول الغزالى .

وإنى ما قرأت بيان صوفى إلا وجدته خيالا شعرياً جميلا ، إن كان صاحبه قديراً ، ورديئاً إن كان صاحبه قاصراً كليل الذهن ، وكثيراً ما أظفر بمثله من بيان أهل الدنيا السائرين على ظاهرها .

* * *

وتظهر قيمة القرآن العظيم حين أراه يأخـذ المجتمع كله بمنطق وسط صالح للجماعات ، وحين أراه كتاب العدل والاتزان والاعتراف بالحياة المادية والحياة الروحية كأساس واحد لازم للحياة الانسانية .

والعمل هو روحه ، لا الأمانى الشعرية ، ولا الأغانى الدينية ولا التماس « حسن التعليل » ولا الأماديح التى تتملق ويتهرب بها صاحبها أو يتشفع بها ويعتذر فى مسئولية إهمال الأعمال ، كتلك المعاذير التى يتخذها الناس مع رؤسائهم الدنيويين .

والثواب والجنة الحسية والحسنى والرضا والرحمة والاحترام والخير لذى الخيـر هى من أدواته كذلك فى الدعوة ومجازاة الفضائل والطبائع الـكريمة لأنها منطق الغرائز الصالحة والأخلاق المثلى . وكل أخلاق القرآن هى أخلاق أبناء الحياة بجزءيها العاجل والآجل ، الصالحين لعمارة الأولى ونموها والعاملين لحيازة الأخرى والرفعة والرفاهة الخالصة فيها .

وكل عقائد القرآن واضحة مأخوذة من منطق الانفصال بين الإنسان والله تعالى ؛ فلا حلول ولا وحـدة ولا اتحاد ، وبين الله والطبيعة ، ومن موقف الخلافة فى الأرض خلافة واسـعة والتدخل فى شئونها جميعاً ، لا التقليل من شأنها والهرب من مجابهة فتنتها كدار امتحان وكفاح وابتلاء . موقف الاعتراف بقيمة الجسد الإنسانى وسمو الروح الإنسانى ووجوب الجمع بينهما لصلاح الحياة والفـكر .

فَلْـنَدِنْ لله بالحياة ، ولنتعبد بها هى ذاتها ، ولنتخذ منطقنا من سننها التى لا تتبدل وحقائقها التى لا تلتوى ، لأنها منطق الله ربنا وربهـا ، وما عرفنا الله إلا منها . فـكيف نهملها ؟ وكيف نجهلها أو نجهل عليها ؟ فيها قِوامها ، ومنها دينُنها ! .

# علوم البلاغة فى الجامعة

للأستـــاذ على العمارى

— ٤ —

انتهينا فى المقال السابق من مناقشة آراء الأستاذ الخولى فيما يتعلق بعلم البيان ، وقد أغضينا عن أشياء استكثرنا على علم الأستاذ وفضله أن تكون من آرائه وتوجيهاته ، فنحن هنا لا ننقد إلا ما يتأكد عندنا أنه من رأيه بمراجعة النسخ المختلفة لمذكرات الطلاب ، أو بأن يشيع الرأى فى فصل من الفصول فيتكرر فيه مرات . ولقد عملنا بالحكمة المأثورة « ما استقصى كريم قط » فأنكرنا بعضاً وأعرضنا عن بعض . وحديثنا اليوم عن آرائه فى باب القصر ، وهذا باب تعرض منه لثورة عنيفة فناله من حرائها شر مستطير ، نرى من الحتم علينا أن ننصفه ، وأن نرد إليه كرامته ، فان مسائل العلم لها عند دارسيها كرامة تعلو على كرامة عظماء الرجال ، والأستاذ بدأ أولا فمزق هذا الباب إرْباً إرْباً ،

---

ولنَعْرض أقوال الرجال على موازينها قبل الأخذ بها فى تسليم وغرور ... ولنحذر أن نعكس الأمر فنعرض أمر موازينها على أقوال الرجال ، فإن أقوال الرجال متغيرة متناقضة وأقوالها هى ثابتة لا تتبدل !

ولكل عقل موهوب الحق فى الاتصال بها والاحتكاك بقوانينها ليكون من وراء ذلك اتصال مباشر بعقل الوجود ، وقلب الطبيعة ... !

وقد صارت الحياة تغزو بصدقها قلب الإنسان وتستهويه وتبعده عن الخوف والوجل من القرب منها ، وجعلت أبناءها المجاهدين الشجعان هم السادة ، وتركت الفارين منها فى خوف ووجل يئنون تحت أثقالها وهم يحسبون أن أنينهم هذا شعر ونشيد وحكمة ... ! وما ظفر فيها بالحق إلا من أحسّ بها وتقرب إليها وبَعُد عن أساطير الأولين من المرضى والفارين الذين حرموا من الإحساس بعنفوان شبابها يفيض فى كيانهم ...

عبد المنعم خلاف

ورمى بكل شِلو منه فى ناحية . فذهب بقطعة إلى علم النحو ، ومضى بثانية إلى علم البيان ، أما سائره فأبقاه فى علم المعانى ولكن بعد أن هاض جناحه ، وتحيّف أطرافه . ورأيه أن القصر الجدير بأن يبحث عنه البلاغى هو القصر الادعائى ، أما القصر الذى يعبر عن الواقع فيجب أن يبقى فى علم النحو لأنه يؤدى به أصل المعنى المراد فقط ، والبلاغى إنما تعنيه المعانى الثابتة ، وهى المعانى التى يومئ إليها الكلام وراء المعنى الأصلى : « القصر صيغة من صيغ التعبير العربية التى يحتاج إليها فى أداء المعانى الأصلية ، وتأتى المرحلة الثانية وهى أن القصر الحقيقى ما دام حقيقياً بمعنى أنه مطابق للواقع فهو مرحلة لا تتجاوز أصل المعنى وصحته ، أى أن معناه النحوى هو دائماً معناه الوحيد ولا يخرج عنه إلى أغراض أخرى . أما القصر الادعائى فبخلاف ذلك له وراء المعنى الأول لصيغة القصر معانٍ أخرى يرمى إليها المتكلم ومن أجلها لجأ إلى هذا الادعاء فأسقط من حسابه كل شئ غير المتكلم فيه وأثبت المعنى الذى عنده له » .

ثم يقول : « القصر الادعائى إذا توسعنا قليلا فى فهمه وتطبيقه فاننا نستطيع نقله من باب المعانى إلى أسلوب من أساليب التعبير الأدبى . فلا نقصر المسألة على البحث اللفظى والدلالة على جزء المعنى الذى هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال . إذن نخرج من باب القصر بأسلوب يدخل فى البيان لا فى المعانى » ، ويؤكد هذا الرأى فى موضع آخر : « القصر عندى معنى نحوى لا بلاغى ، أى أنه من الصيغ العربية لازم لصحة المعنى لا لحسنه ؛ فهو يساق لتقوية المعنى لا لجماله ، وأنه لا احتراز فيه ولا نفى فيكون معناه أنه تعبير قوى . يتلخص من هذا أن للقصر استعمالات ثلاثاً :

١ — القصر طريق من طرق التعبير العربى فهو صيغة نحوية لأصل المعنى .

٢ — القصر صنيع بلاغى قوى لتقوية المعنى .

٣ — القصر أسلوب من الأساليب البيانية » .

هذا كلامه . ولإنارة هذه المسألة نقول : إن بعض العلماء يرى أن مباحث النحو يجب أن تفصل عن مباحث البلاغة ، والحد الفاصل بينهما أن البلاغى لا بد أن يكون له ملحظ وراء المعنى الأصلى ، فاذا لم يكن له غرض من الكلام غير أداء المعنى

الأصلى فلا يدخل أداؤه فى مباحث البلاغـة . مثال ذلك ذكر المسند إليه ، فانه إذا قامت قرينة تجوّز حذفه كان المتكلم بالخيار بين أن يذكره أو يحذفه ، والحال هو الذى يرجح عنده أحدهما فالشاعر الذى يقول :

بالله يا ظبيات القلاع قلن لنا  ليلاى منكن أم ليلى من البشر

كانت له مندوحة أن يحذف المسند إليه (ليلى) ولـكنه آثر ذكره بعد دلالة القرينة عليه لو حذف لغرض فى نفسه ، فإذا لم تكن قرينة تدل عليه إن حذف كان الذكر واجباً ، وحينئذ لا يعلل هذا الذكر بغرض بلاغى وهكذا .

على هذا الضوء ننظر فيما ذهب إليه الأستاذ الخولى فنرى أنه غفل عن أمور أربعة حين رأى أن بعض القصر يجب أن يبعد عن دائرة البلاغة ، ويبقى فى مباحث علم النحو :

١ — فأصل الجملة الواحدة فى العربية أن تؤدى حكماً واحداً مقصوداً لا تتعداه سواء أكانت حقيقة أو مجازاً ، وغالباً مايتبع هذا الحكم غرض يسمونه وأمثاله مستتبعات التراكيب ، وهذه الأغراض هى التى يلاحظها المتكلم ويقصدها من كلامه .
فاذا أدت الجملة حكمين مختلفين خرجت عن أصل الجمل العربية ، وكان هذا الاختصار من المقاصد التى يلجأ إليها المتكلم ، وهو مقصد وراء الأداء الأصلى . يقول الشاعر :

وليس أخى من ودّنى رأى عينه

ولـكن أخى من ودنى وهو غائب

فنجد هذا المعنى أدى على طبيعة الجملة ، فاذا أردت أن تسوقه فى أسـلوب مختصر قلت : ما أخى إلا من ودنى وهو غائب ، فتلجأ إلى القصر لغرض الاختصار .

٢ — من المعروف لدى كل من يشـدو شيئاً من علوم البلاغة أن القصر فى كل حالاته يفيد التوكيد والتقوية ، والأستاذ لايخالف فى هذا ولا ينفيه بل يذكره فى غير موضع من مذكراته وبراه أدل على إفادة التوكيد من الاختصاص فيقول إن ما نعبد إلا إياك آكد من إياك نعبد ، وبدهى أن التوكيد ليس غرضاً أول بل هو من أوليات الأغراض البلاغية .

ولهذين الأمرين المتقدمين لم يعدّ العلماء من أدوات القصر الألفاظ التى تدل عليه من مثل اختصر وقصر وما إلى ذلك ؛ فمثل قوله تعالى والله يختص برحمته من يشاء ، وقوله : حور مقصورات فى الخيام لا يعد من القصر ؛ لأن الجملة لم تؤد غير معنى واحد مقصود ولا اختصار فيها ؛ فلا يرتبون شيئاً من أحكام القصر على هذه الألفاظ ، ولذلك نحن لا نرى رأى أستاذنا الشيخ سليمان نوار حين يرى أنه يجب أن نعد من القصر كل أسلوب ينحدر منه الذهن إلى معنى القصر وإن لم توجد أداة من أدواته المعروفة ، ويعرف القصر بأنه دلالة جملة واحدة على اختصاص أمر بآخر سواء كان منشأ تلك الدلالة الوضع أم العقل أم الذوق فيشمل نحو :

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى  حتى يراق على جوانبـه الدم

ونحو :

أرونى أمـــة بلغت مناها  بغير العلم أو حدّ اليمانى

ثم يعجب قائلا « لماذا يجعلون شبه ومشبها من صيغ التشبيه ولا يجعلون نحو اختص من صيغ القصر » وأظن الفرق واضحاً بين دلالة شبه على التشبيه ودلالة اختص على القصر الذى رتبوا عليه الأحكام البلاغية الكثيرة ؛ والذوق شاهد عدل فى هذا . فأين قولك قصرتك على الشعر من قولك : إنما أنت شاعر ؟ وكذلك لم يجعلوا من صيغ القصر الاستثناء التام المثبت لأنه يؤدى معناه الأصلى لاغير . قال صاحب الأطول : « إذ الاستثناء من الإيجاد ليس القصد فيه إلى الحصر بل إلى تصحيح الحكم الإيجابى ، فهو بمنزلة تقييد طرف الحكم ؛ فكما أن جاءنى الرجال العلماء ليس قصراً كذلك جاءنى الرجال إلا الجهال ليس قصراً بخلاف نحو ماجاءنى إلا زيد ، فان المقصود منه قصر الحكم على زيد لا تحصيل الحكم فقط وإلا لقيل جاءنى زيد »

ونحن نريد أن نبسط القول فى أدوات القصر لنقطع كل حجة على من يتهم العلماء بأنهم ضيقوا دائرته ، وأنهم غفلوا عن مزاياه ، وأنهم وضعوا فى علوم البلاغة ما كان يجب أن يوضع فى علم النحو ، وسنقتصر على الطرق الأربعة التى ذكرها الخطيب القزوينى فى الإيضاح وهو الكتاب الذى يشرحه الأستاذ فى الجامعة ويعلق عليه .

« التقديم » قد كفانا الأستاذ مؤونة القول فى هذا الطريق

وأنه لا يؤدى به أصل المعنى فحسب بقوله : « أما التقديم فما دام الأصل فيه التأخير أى أن الحالة الطارئة هى التقديم فلا يكون إلا لملحظ بلاغى » .

« العطف » ومن المسلم به عند العلماء والذى لا يعارض الأستاذ فيه أن هـذا الطريق لا يؤدى به إلا القصر الإضافى ، وأنه « لرد السامع عن الخطأ فى الحـكم إلى الصواب » وهذه عبارته ، وطبيعة القصر الإضافى تقتضى ذلك فهو إما لبيان خطأ المخاطب فى اعتقاد الشركة بين الأمرين أو فى اعتقاد العـكس ، وإما لإخراجه من ظلمة التردد والحيرة فى قصر التعيين ، فهذا الطريق أيضاً لا بد أن يلاحظ فيه ملحظ بلاغى .

« النفى والاستثناء » . « إنمـا » قد فات الأستاذ فيهما أن يرجع إلى الشواهد العربية ، ونظر إلى الموضوع من ناحية القواعد الجافة مجردة عن شواهدها ، ولو أنه نظر من هذه الناحية لرأى عجباً ، كما يرى أن المرجع الأول للبلاغة وهو كلام العرب يدل بوضوح على أن هذين الطريقين لا يجيئان حين يراد أصل المعنى أبداً ، وإنمـا يجيئان حين يقصد المتكلم غرضاً من الأغراض . فالأصل فى الأول أن يجىء فيما يجهله المخاطب وينكره ، فاذا جىء به فيما يعلمه لوحظ تنزيل العالم منزلة الجاهل أو تنزيل المعترف منزلة المنكر « وأما الخبر بالنفى والإثبات فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه ، فاذا قلت ما هو إلا مصيب قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته ، وإذا كان الأمر ظاهراً لم تقله كذلك فلا تقول للرجل ترققه على أخيه وتنبهه للذى يجب من صلة الرحم ومن حسن التحـابّ : ما هو إلا أخوك . ومتى رأيت شيئاً هو من المعلوم الذى لا يشك فيه قد جاء بالنفى فذلك لتقدير معنى صار به فى حكم المشكوك فيه[١] » .

وأما « إنمـا » فتجىء فيما يعلمه المخاطب ولا ينكره ولـكن مع ملاحظة غرض غير ماتضمنه أصل الـكلام « اعلم أن موضوع « إنمـا » على أن تجىء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة ، تقول للرجل إنما هو أخوك ، وإنما هو صاحبك القديم ، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولـكن لمن يعلمه ويقر به إلا أنك تريد أن تنبهه للذى يجب عليه من حق

(١) دلائل الاعجاز « بتصرف » .

الأخ وحرمة الصاحب . وأما مثال ما ينزل هذه المنزلة فـكقوله :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ادعى فى كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمر ظاهر معلوم للجميع على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا فى الأوصاف التى يذكرون بها الممدوحين أنها ثابتة لهم وأنهم قد شهروا بها وأنهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذى لا يجهله أحد . واعلم أنه ليس يكاد ينتهى ما يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق[١] » .

لعل القارئ يتبين بعد ذلك أننا نخطئ الخطأ الأكبر حين نعتمد على القواعد جافة مجردة عن شواهدها ، أو نلجأ إلى الشواهد التى وضعها المتأخرون ثم نحاول هدم القواعد جملة. والذى قلناه فى هـذه الطرق المشهورة يمكن أن نقوله فى كل طرق القصر ، وبذلك نجد أن العلماء حين وضعوا القصر فى علم المعانى لم يخطئوا .

٤ — أجاب بعض العلماء عن مثل هذا الاعتراض بما أعده « أضعف الإيمـان » ولـكنه على كل حال جواب صالح . وذلك أن المتكلم قد تدعوه الحال إلى أن يؤدى الـكلام مقتصراً على المعنى الأصلى ، وما زال العلماء يرون أن خالى الذهن يجب أن يلقى إليه الـكلام مجرداً عن التوكيد ، وبذلك يطابق الـكلام مقتضى الحال . قال التفتازانى فى المطول : « أن المقتضى أعم من الموجب والمرجح ، ولا نسلم المنافاة بين وجوب الذكر وكونه مقتضى الحال ، فان كثيراً من مقتضيات الأحوال بهذه المثابة » وهو جواب عن المسألة التى ذكرناها فى أول هذا المقال .

* * *

أما الذهاب بالقصر الادعائى إلى علم البيان فأمره أشد غرابة . وذلك أن علـم البيان وضع ليحترز به عن التعقيد المعنوى ، فهو يبحث فى الجملة من حيث أداؤها للمعنى ، فينظر فى ألفاظها ومدلولاتها وتركيبها ، فرجع مباحثه إلى اللفظ التركيبى ومدى تأديته للمعنى ، فالتشبيه والمجاز والاستعارة والـكناية كلها طرق يمكن البحث فى صورها من حيث دلالتهـا على ما سيقت له ، وليس كذلك القصر الادعائى فان المزية التى فيه ليس لها مظهر فى صورة الـكلام ، وإنمـا مظهرها فى اعتبار المتكلم ،

(١) المصدر السابق

فتناسى المتكلم لكل حالة غير الحالة المتكلم فيها أمر فى نفسه هو ولا مظهر له فى أجزاء تركيب الجملة ، وإنما جملت الجملة مشيرة له ، ففرق بين أن تقول : ما شوقى إلا شاعر ، وبين أن تقول : شوقى بلبل غرّد ثم سكت ، فأنت تبحث فى الثانية عن الكلمات وأدائها للمعنى ، وأما فى الأولى فأول مرجعك قصد المتكلم وغرضه ، والحال التى ألجأته إلى هذا التعبير ، وهذا هو مبحث علم المعانى . على أن العلماء قالوا إن الجملة يمكن النظر إليها من جهات مختلفة فهى من حيث مطابقتها لمقتضى الحال تكون من مباحث المعانى ، ومن حيث أداؤها للمعنى تدخل فى مباحث البيان ، ولاشك أن القصر بجملته يلاحظ فيه الأحوال الداعية . وقد يمكننا على هذا أن ننقل كثيراً من الأساليب إلى علم البيان؛ فالالتفات بأقسامه الكثيرة ، والتعبير بالخبر عن الإنشاء ، والأسلوب الحكيم ، والتعبير عن الأمر بطريق الاستفهام وما يتصل به من هذه المباحث الطويلة العريضة كل أولئك مما يمكن التلمس لها فتدخل فى مباحث البيان ، ولكن أهى غريبة عن علم المعانى ؟

أهناك داع إلى هذا التمزيق ؟ لا .

المسألة يجب أن تقتصر على التجديد فى قواعد الفن والزيادة عليها أو النقص منها ؛ أما أن نجدد فننقل قطعة من مكان إلى مكان ثم لا نفعل شيئاً أكثر من ذلك فلا .

وأحب أن أهمس هنا همسة فى آذان الذين ينتقصون القدماء من غير مبرر وهى أن علماءنا الأعلام لم يكونوا أصحاب أذواق مريضة ، ولم يضعوا القواعد وهم مغمضو الجفون عما وراءها من الشواهد ، ولكنهم درسوا تراث العرب الأدبى وفهموه وتذوقوه ثم وضعوا بعد ذلك قواعدهم — أليس السكاكى وهو مقعّد هذا الفن ومفلسفه هو صاحب الرأى القائل بأن إعجاز القرآن لا يدرك إلا بالذوق . وفى ذلك يقول : « واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ، ومدرك الإعجاز عندى هو الذوق ليس إلا[1] » . ويقول فى موضع آخر بعد أن ذكر وجوهاً أربعة للإعجاز « يخمسها ما يجده أصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة ولا استبعاد فى إنكار هذا الوجه ممن ليس معه ما يطلع عليه فلكم سحبنا الذيل فى إنكاره ثم ضممنا الذيل ما أن ننكره[1] » . أوليس السكاكى هو الأعرج الثانى الذى قيل فيه وفى صاحبه الزمخشرى : « لولا الأعرجان لضاعت بلاغة القرآن » ؟ أفبعد هذا يقول قائل إننا لا نثق فى ذوق المتقدمين « وأنهم شملهم كغيرهم ذوق العصر ، ولم تستقم فى أذواقهم اللغة الغضة طرية عطلا من زينة وحلية ، ومن ثم كانت تفاهة الاستشهادات والتخريجات، وكان لجوؤهم إلى الفلسفة هرباً من الناحية الذوقية ، فقاسوا بالشبر والقيراط ، ولم تظهر لهم الزينة فى القوة والعذوبة والسلاسة والنغم فطلبوها بالصبغ والألوان والشعبذة اللفظية[2] » .

بخ . بخ ... لقد قال شوقى على لسان أحد أبطاله :

تهددنى زياد وأنت ظل لمجنون وراوية لهاذى
وتزعم أننى ندٌّ لقيس رضيت من المصائب غير هذى

فهل كان يقوله على لسان السكاكى والخطيب وغيرهما من أساطين البلاغة والأدب ؟!

( يتبع )

علي العمارى
المدرس بمعهد القاهرة

(١) مفتاح العلوم ص ١٧٦ طبعة الحلبى .

(١) المصدر السابق ص ٢١٧ .
(٢) من مقال للأستاذ كامل شاهين « الرسالة » ( ٦٩٢ )

# من غرائب النسيان . . . !

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

كنا جماعة نتحدث في شتى الشئون ، فأطلعنا الأستاذ محمد عبد الغني حسن على كتاب فرنسي طبع حديثاً نقل فيه صاحبه مقتطفات من الشعر العربي إلى اللغة الفرنسية ، وكانت إحدى هذه القصائد بعنوان « تحت الشراع » للأستاذ عبدالغني ترجمها الناقل عن مجلة « الرسالة » عام ١٩٤٠ . وتتبعنا الشعر الفرنسي محاولين رده إلى أصله العربي فعجزنا ، وهنا طلبنا من صاحب الشعر — أي الأستاذ عبد الغني — أن ينشد شعره الذي نظمه ، فأجاب : لقد نسيت ! قلنا : ألا تذكر مطلع القصيدة ؟ قال : لا . قلنا : ولا بيتاً واحداً ؟ قال : لا . وهنا بلغ منا العجب مبلغه ... كيف ينسى صاحب الشيء شيئه هذا النسيان الغريب !

ومن المعروف أن كثيراً من الشعراء يحفظون شعر أنفسهم ولا ينسونه وينشدونه في المناسبات . ومن هؤلاء على سبيل المثال صديقنا الشاعر غنيم . غير أن السؤال الذي يحتاج إلى جواب هو : لماذا ينسى المرء أعماله وآثاره ، وبمعنى آخر : لماذا ينسى نفسه ؟ !

قلت في تعليل ذلك — وسكت الأستاذ عبد الغني عند هذا التعليل دون تعليق — : إن الشاعر شخص مبدع خالق مبتكر قبل كل شيء ، مثله في ذلك مثل الفنان الذي يبدع آثاراً فنية ، كالتماثيل التي يصنعها النحات ، أو اللوحات الزيتية التي يرسمها المصور ، والشعر كالتمثال أو كاللوحة الزيتية ، يتركب من شيئين : من المعنى الحائر في الذهن ، أو الفكرة المبتدعة في صفحة الخيال ، ومن مادة يصوغ فيها الفنان هذه الفكرة ؛ فمادة التمثال الرخام أو النحاس ، ومادة اللوحة الألوان ، ومادة الشعر الألفاظ . وكثيراً ما يسخط الفنان على عمله فلا يرضى عنه ، وعندئذ يحطم النحات تمثاله ويكسره ويأبى أن يظهره ، أو يمحو المصور لوحته ، وقد يتركها دون أن يتمها ، أو يأبى وضع اسمه عليها . تعرفت بمصور بمدينة المنصورة كان يشتغل مدرساً بها ، اسمه الأستاذ حلمي ، ثم طلبت منه صورة زيتية من ريشته أحتفظ بها تذكاراً لصداقته ، فأحضر لي صورة تمثل منظراً ريفياً على شاطئ النيل ، ولم تكن ممهورة باسمه ، فقلت له : ضع عليها خاتمك ، فرفض . ولم أثقل عليه ، لأني فهمت ما يقصد : الصورة أعجبتني ، ولكنها لا تعجبه ، ولو أنه صانعها !

فإذا كان الأستاذ عبد الغني قد نسي شعره ، فذلك لأنه فنان يسخط على ما يفعل ، ولا يرضى عما يبدع ، إذ يتطلع دائماً إلى الكمال والترقي . ولو رضي الناس عن أعمالهم ما تقدموا . وأكبر الظن أن الصورة الشعرية تكون في الذهن بالغة غاية الروعة ونهاية الكمال ، غير أن تحقيقها في المادة ، وصياغتها في أثواب من الألفاظ هو سر نقصها . والمادة هي علة النقص في الوجود .

وأذكر حادثة أخرى من نوع آخر :

ركبت المترو من عماد الدين ، حتى إذا بلغت مصر الجديدة في إحدى محطاتها المتوسطة ، سألني أحد الركاب — وكان يجلس أمامي — هل هذه الحافظة لك ؟ فنظرت إلى جانبي فرأيت مكان الراكب الذي كان إلى جواري خالياً ، ورأيت حافظة نقود ليست حافظتي . قلت : إنها ملك الراكب الذي نزل ! وهنا سألت نفسي : ما شكله ؟ هل هو شاب أو شيخ ؟ هل هو هزيل أو بدين ؟ هل هو أسمر أو أبيض ؟ كل ذلك لم أذكر منه شيئاً كأن أحداً لم يجلس إلى جانبي . ثم تناولنا الحافظة وفتحناها ووجدنا فيها أوراقاً باسم « عماد » . وبدا لي أن أنادي هذا الاسم لعل صاحبه يستجيب ، فقلت : عماد ... والتفت شاب أوشك أن ينصرف في أعماق الشارع ، ولوحت له بالحافظة فأدرك المقصود ، وعاد مسرعاً وأخذها شاكراً . هنا فقط تذكرت ؛ أو على الأصح تعرفت عليه ، وبان لي أنني تأملت هذا الشخص حين كان إلى جواري ، إذ كان يقرأ كتاباً باللغة الإنجليزية فيه أشكال رياضية ، واستنتجت عند ذلك أنه طالب في كلية الهندسة أو كلية العلوم ، وكان يلبس بنطلوناً وقميصاً فقط . ثم سألت الراكبين : هل يذكر أحدهم هذا الشخص ؟ فقالوا جميعاً : لا . قلت في نفسي : لو أن هذا الشخص ارتكب حادثة أو جناية ، ولم تكتشف إلا فيما بعد ، ثم طلبنا البوليس إلى الإدلاء بالشهادة فماذا كنا نجيب ؟ ثلاثة رجال لا يتذكرون شيئاً عن شخص رابع ظل يجلس معهم نصف ساعة على الأقل ، ووقعت أبصارهم

...ويصف عليه ، وشاهدوه ، ثم ينسون كل شىء عنه ... هذا أمر عجيب ! والأغرب من ذلك اتفاق الثلاثة على هذا النسيان ! اللهم إن شهادة الشهود فى المحاكم أمر مشكوك فيه ، ويجب على القضاة أن يتنبهوا إلى هذه الحقائق النفسية الثابتة بالخبرة والتجربة !

لا أملك الحديث عن زملائى الآخرين ، ولكنى أعرف نفسى . فأنا حقيقة كثير النسيان ، وعلى الخصوص فيما يتصل بأسماء الأشخاص . وهذه مسألة تحدث لى كثيراً من الخجل والارتباك عند ما أكون فى صحبة صديق ، ثم أقابل صديقاً آخر فى الطريق مثلا فأحييه ويحيينى ، ويستوقفنى يتحدث إلىّ ، ثم أحاول أن أقدم الشخصين أحدهما إلى الآخر ، وهنا تخوننى الذاكرة فأفتقد اسم صديقى ، وقد يكون عزيزاً لدى أعرفه من زمن طويل ، وليس مايدعو إلى نسيان اسمه ، فأقع فى الحيرة والخجل ، وألجأ إلى الحيلة فلا أقدم أحدهما إلى الآخر ، وأضرب صفحاً عن هذه المجاملات الاجتماعية الضرورية .

وقد تسألنى : وما علة هذا النسيان ، وما سبب نسيان أسماء الأصدقاء بالذات ؟

الواقع أننى لم أعثر على جواب يقنعنى ، ولعل أحداً يتبرع بالجواب ...

**أحمد فؤاد الأهوانى**

# فيضان النيـــــل ...

## بين التفاؤل والتشاؤم

**للاســـــتاذ عبد الفتاح البارودى**

ذكرتنى القصيدة التى نشرتها « الرسالة » تحت عنوان : ( وحى فيضان سنة ١٩٤٦ ) فى عددها رقم ٦٩٣ بالفزع البالغ الذى أصاب البلاد جميعاً إبان اشتداد الفيضان فى أغسطس الماضى ، وغنى عن البيان أن النكبة كانت جسيمة وأن الخسارة الناجمة عنها كانت ولا تزال فادحة ، ولكن هل كان ينبغى أن يصل الأمر إلى هذا الحد من التشاؤم الذى شاهدناه مرتسما وقتئذ على وجوه الناس والذى صورته كل الصحف بلا استثناء والذى أوحى إلى الشاعر أن يصف الفيضان ( بالهول العظيم !! ) ويصف مياه النيل بأنها ( ترد البلاد كأنها أغوال !! ) ؟

صحيح أنه كان لشدة اهتمام الحكومة وقلقها ومظاهر الرعب التى بدت على تصريحاتها أثر محسوس فى الإشعار بالخطورة ، ولكن أليس المفروض من جهة أخرى أن التزاماتها ومسؤولياتها قد تسوغ لها « تقدير البلاء قبل نزوله » لتهيىء الشعب لاحتماله أو دفعه أو توقيه بالحيطة والحذر والعمل تهيئة جدية ؟ ومع هذا فالإجراءات التى اتخذتها — وقصاراها اعتماد مبلغ ٢١٠ آلاف جنيه وتشغيل بعض الأيدى العاملة — كان ينبغى أن ترشدنا إلى أن الحالة كانت مطمئنة أو على الأقل غير مروعة إذا قورنت بالسوابق فى الفيضانات التى انتابت البلاد الأخرى فى القديم والحديث، بل إذا قورنت بالسوابق النير بعيدة فى فيضانات النيل ذاته « نسبياً » : ذكر ابن تغرى بردى فى ( النجوم الزاهرة ) أنه كان يُرصد لعمارة جسور النيل واتقاء فيضانه ثلث الخراج سنوياً ، وحكى ابن لهيعة أن المرتبين للوقاية من الفيضان سنوياً مائة ألف وعشرون ألف رجل : سبعون ألفاً للصعيد ، وخمسون ألفاً للوجه البحرى . ورغم هذه الاحتياطات الشديدة فقد روى ابن زولاق أن أحمد بن المدبر لما ولى الخراج بمصر كشف أرضها فوجد غامرها أكثر من عامرها .

أى أن الحالة التى كانت استفحلت هذا العام لم تكن غريبة على الوادى ، ولم تكن تستلزم ولا تحتم التشاؤم الأسود الذى قابلناها به ، بل إنى أزعم بكل شجاعة — بعد فوات الأوان ! — أن التفاؤل المطلق كان أنسب لها وأحرى بنا ! ! لماذا ؟ أبادر فأقول إن الحجة حاضرة ولكنى أريد قبل أن أسوقها أن أسوق من بعض حوادث أسلافنا بهذا الصدد عبرة وقياساً ولو لمجرد الترفيه الفنى والتذكير التاريخى : جاء فى ( نهاية الأرب ) للنويرى أن النيل يبلغ تمامه إذا وفى ستة عشر ذراعاً ، والذراع أربعة وعشرون إصبعاً بمقياس مصر . أى أنه بالبداهة إن زاد عن ١٧ ذراعاً مثلا كان مُغرقا وإن نقص عن ١٣ ذراعاً مثلا كان مقحطاً . فما الرأى فى أن الناس كانوا يتفاءلون بزيادته مهما أغرقت ويتشاءمون من أى نقصان مهما قصد واعتدل ؟ وما الرأى فى أن الحوادث كانت تؤيدهم دائماً تأييداً إن يكن غير منطقى إلا أنه واقعى ؟ فمثلا عند ما بلغت زيادة النيل أقصاها ( ١٩ ذراعا ) فى سنتى ٣٢٣ هـ ، ٤١٠ هـ تصادف أن كانت حوادثهما سعيدة فى الغالب . ففى السنة الأولى تزوج ابن الخليفة المتقى بالله بينت

ناصر الدولة بن حمدان التغلبي وتآلفت قلوب المسلمين ... وفيها أطلق الروم أسارى المسلمين ... وفى السنة الثانية فتحت بلاد الهند وغنم المسلمون بغنائمها ... الخ . هذا بينما عند ما بلغ انخفاض النيل ( ١٢ ذراعاً ) فقط فى سنتى ٢١٥ هـ ، ٣٥٦ هـ تصادف أن كانت حوادثهما محزنة فى الغالب . ففى السنة الأولى غضب الناس على الوالى عبدويه بن جبلة وحزنوا كذلك لوفاة زبيدة بنت جعفر زوجة هرون الرشيد، وكانت أعظم نساء عصرها ديناً وأصلا وجمالا وصيانة ومعروفاً ... وفى السنة الثانية مات السلطان معز الدولة ابن بويه ، وقبض على الملك الناصر وولده أبو تغلب ومات الإمام العلامة أبو الفرج الأصبهانى مصنف كتاب الأغانى ... الخ .

مصادفات . ولكن أعجب ما فيها دلالاتها المطردة فى سنى الرخاء والجدب على السواء .

فإذا تركنا التكهنات إلى الحقائق . وجدنا بالاستقراء والاستقصاء أن وادى النيل لم ينكب نكبة واحدة بسبب الفيضان أياً كان طغيانه فى حين أن المجاعات الفظيعة فى مصر كالمجاعة التى حدثت فى آخر حكم الأسرة السادسة الفرعونية ، والمجاعة التى حدثت أيام يوسف الصديق ، والمجاعة التى حدثت فى العهد الفاطمى وعرفت باسم « الشدة المستنصرية » ، والمجاعة التى حدثت فى عصر المماليك زمن السلطان كتبغا ... إلى آخر المجاعات التى روعت الوادى واجتاحته فى مختلف العهود تدل دلالة قاطعة على أن سببها الوحيد المباشر هو انخفاض النيل على تفاوت . وأظن أنى لست فى حاجة إلى وصف حالة البلاد وسكانها أثناء هذه المجاعات فذلك مذكور مشهور فى كتب الأدب والتاريخ . ومن قبيل التمثيل أذكر بعضاً مما حدث أثناء « الشدة المستنصرية » فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، فقد وصل الأمر إلى حد أن أكلت النساء أولادهن الموتى، وأكل الناس الحيوانات الميتة من كلاب وقطط وحمير وغيرها لدرجة أن تسبب عن التهافت عليها ارتفاع أثمانها وصعوبة الحصول عليها ، وزادت المحنة اشتداداً حتى كاد الناس من هول الجوع يأكل بعضهم بعضاً . رُوِىَ أن وزير المستنصر نزل عن بغلته أمام باب القصر وتركها تحت حراسة غلامه فهجم ثلاثة رجال على الغلام وأخذوا البغلة قسراً وذبحوها وأكلوا بعضها وباعوا الباقى فقبض عليهم وصلبوا عقاباً لهم فى أحد الميادين . فلما أصبح الناس لم يروا إلا بقايا عظامهم إذ كان الشعب الجائع قد أكل لحومهم أثناء الليل ! !

هذا مثل واحد من أمثلة المجاعات التى كانت تحدث بسبب انخفاض النيل ، ولذلك أجمعت الروايات المختلفة على أنه « كان يحصل لأهل مصر إذا وفى النيل — بغير تحديد — فرح عظيم بحيث أن السلطان يركب فى خواصّ دولته وأكابر الأمراء فى الحراريق إلى المقياس ويمد سماطاً يأكل منه الخواص والعوام ويخلع على القيّاس ويصله بأجزل الصلات » ونحو ذلك .

فلماذا لا نساير منطق الحوادث ، ومنطق الحقائق ، ومنطق التاريخ معاً ، ونتفاءل أعظم التفاؤل من الفيضان الذى دهمنا هذا العام — بشرط عدم التهاون أو التراخى فى تدبير وتوفير وسائل المكافحة الدائمة مستقبلا — فلعل خطورته أن تسفر كالمعهد بها عن مصادفة سعيدة ، ولعلها أن تكون تحقيق « الجلاء ووحدة وادى النيل » .

عبد الفتاح البارودى

# من يد ذات سوار

## إلى حضرة الأستاذ على الطنطاوى

موضوعاتك ياسيدى صفقات رابحة فى عالم الأدب ، ونفحات عاطرة من أريج القلم . ومنْ أنا حتى أستطيع أن أقول ما يعنّ لى تلقاءها ؟ وا أسفاه ! لست ربة قلم ، ولا صاحبة بيان ، وليس لى من الحول والطول مايعيننى على نشر مايجول بفكرى وخاطرى .

بعثت بمقال مرة رداً على أحد الكتاب إلى إحدى المجلات ، فكان نصيبه الإهمال . وكم فرحت كثيراً لأنه لم يُنشر ، ذلك أنى بعد أن بعثت به تذكرت : ( إن الله تعالى يحب معالى الأمور ويكره سفسافها ) . فإما أن أكتب فى « الرسالة » بين كتاب الأدب الرفيع وإلا فلا .

ولو أن الله وهبنى من العقل كِفَاء ما وهبنى من الحسّ لكان لى فى ميدان الكتابة شأن . ولقد شاء الله أن أتذوّق فنون الكلام وحلاوة البيان ، و « للرسالة » فضل كبير فى هذا التذوق ، فقد عكفت على قراءتها بانتظام منذ أكثر من عام ، وعشت بنفسى وحسى مع كتابها العظام ، أحمل لهم من التقدير والاحترام ما لا ينضوى تحت صفة ولا معرفة ، وأنت يا سيدى الطنطاوى من هؤلاء ، فلو رأيتنى حين أقرأ مقالاتك ، لوجدتنى تجوّالة بها جوالة فى عالمى الصغير باحثة عن زميلة تشاركنى السرور فى تلاوتها ، خصوصاً ، وأنك من قطر شقيق لى فيه صديقات تتجلى فى سجاياهن أرفع آيات المودة والإخلاص والنبل .

وإنى أخشى أن أثيرك بهذه العجالة فيصيبنى من يراعك ما لا أنساه ما عشت .

إن استهلالك فى موضوعك (مناظرة هادئة) بقولك : ( نحن معشر الرجعيين لا نرى قتالَ المرأة ولا نزالها ) هو الذى شجعنى على أن أقف أمام مقامك الكريم موقف التلميذ من معلمه — ويحى !! وهل لمثلى أن تطمع فى هذا الشرف ؟ .

لو كنتُ من قريباتك ... مالى أقول هذا والمسلم أخ للمسلمة وهى أخت له . وإذن لى — بهذه الأخوة — عليك دالّة خفيفة مشفوعة بالأدب والطواعية ، وعلى ذلك أتقدم إليك قائلة : إن موضوعاتك كلها تأخذ بمجامع قلبى ، وتغذى روحى ولبى ، وكلها من صميم الواقع الملموس ، غير أن بعضها موشى بقليل من المغالاة والحدة ، وإن الموضوع الذى عنونته ( مناظرة هادئة ) كنت أتمنى أن تسميه ( مناظرة ثائرة ) . ألستَ معى فى أن لفظ مناظرة فيه معنى النظير ، وهذا لا يتفق مع ما بدأت به مقالك . يعلم الله أنى تلوت هذه المناظرة بشغف ، ولم ألمس فى غضونها ذلك الهدوء الذى نعتها به ، وإنما لمست فيها صرخة مجلجلة وتهداراً .

إنه لايزال يتوارد على نفسى ، ويرن فى سمعى كل يوم حديث تلك القصة التى طلعتَ بها علينا فى صفحات « الرسالة » عن تلك الفتاة التى صُوِّرت عارية ، فسجلتَ بذلك على هذا العربى الذى فعل هذا الفعل خزياً لم نسمع به من قبل . يا للعار والقسوة أيحدث مثل هذا فى بلد عربى ؟

إن القلم الذى تحمله رهيف يحز فى نفسى ، ويترك أثره فى حسّى ، فهلّا رأفتَ وخففت من إرهافه ؟ رأفت ! كيف أقولها وأنت الذى فى ثنايا فؤادك ( رفقاً بالقوارير ) .

إنى لتعجبنى تلك النزعة التى تنزع إليها فى مناهضة السفور واختلاط الجنسين ومشاركة المرأة الرجل فى أعماله ، ومن المعروف أن النهضة النسائية قام الرجل فيها بقسط كبير ، وكانت له اليد الطولى فى توجيه دفتها ، ومادام الرجل قواماً على المرأة فهو الذى يحمل وحده وزر هذه التبعة ، وهو الذى فتح عليها سدود النهر فجرفها التيار ، ثم بعد ذلك قطعت شوطاً بعيداً فى عالم الأزياء ، وقلدت الأجنبيات ، وحملت الشهادات من بكالوريات ودبلومات

إن هذه الحملة التى تقوم بها تكون أجدى لو أرسلتها صواعق متوالية فى غارات مدوّية على الذين بيدهم مقاليد الأمور والحكم ؛ فإن هؤلاء فى مقدورهم أن يحملوا الناس على السير بتعاليم الإسلام ، وفى مكنتهم إغلاق أبواب الفجور ، ومنع إصدار الصحف التى تخدش كرامة الفضيلة .

يا للاساءة التى تصبها على المتعلمات بقولك : (ويجمعهن مجلس بعد هذا كله بالعاميات الجاهلات ، فلا تجدهن أصح منهن فكراً ، ولا أبعد نظراً ، ولاترى لهذا الحشد من المعلومات الذى جمع فى رءوسهن من أثر فى المحاكمة ولا فى النظر إلى الأشياء ،

فكأن هذه المعلومات التى تصب فى اسطوانات الحاكى (الفونوغراف) إن أدرتها سمعت لهجة فصيحة وكلاماً بيّناً، ونغماً حلواً فتقول إنها تنطق، فإذا سألتها وكلمتها رأيتها جماداً أخرس ليس فيها إلا ما استودعته من الكلام الملحّن.

هذا يا أستاذ كلام لا تقبله فتاة ولو كانت نصف متعلمة مثلى. هـذا تجريح لإنسانيتها التى يكتنفها العقل والشعور. (جماداً أخرس؟) يا لبشاعة الوصف والتشبيه! (جماداً أخرس؟) كيف؟ وقد برأها البارئ إنساناً ضاحكا ناطقاً فيه حركة ولب وإحساس. هذا لا يُستغرب لأنك لا تؤمن بالإنسان.

إن لى صديقات، وأعرف جمًّا غفيراً من السيدات والفتيات كلهن متعلمات وحاملات للشهادات: ولسْنَ كما تقول، فإذا جمعك بهن مجلس وسمعت حوارهن ونقاشهن لا يسعك إلا أن تغيّر رأيك فى بنات هذا الجيل، وإذا كنت تصف المثقفة بالجماد الأخرس فبماذا تصف الجاهلة؟

قل ما شئت من ناحية الدين فى فتاة العصر، فإنى أشايعك على كل ماتقول، ولو أن هنا فى مصر نهضة نسائية دينية مباركة، يملك زمامها جمعية الأخوات المسلمات، بارك الله فيهن، وحقق على أيديهن ما يرضاه الدين للمرأة المسلمة. أما من ناحية العلم والمنطق فالبَوْن شاسع والشقة بعيدة بين الجاهلة والمتعلمة.

لستُ بهذا أدافع عن نفسى، وإنما الدفاع واجب علىّ لمن عرفت فيهن سداد الرأى واستقلال الفكر وبعد النظر ووزن الأمور بميزانها.

وقلت أيضاً: (ثم إن تزوجن لم يعتزن إلا بإهمال الولد الخ).

وأقول أنا إزاء هذا: إنى أعرف سيدات فضليات متعلمات، لا جاهلات عاميات، ينشّئن أطفالهن أحسن تنشئة، ويحرصن على تربيتهم بأنفسهن، ليكون منهم فى المستقبل رجال نابهون، وأجناد مجاهدون، وقادة محنكون.

إن تلك التى تهمل طفلها وتتركه بأيدى الخدم خرقاء، ولا تُعد فى سواد النساء.

(إنه لا يعجب إحداهن إلا أن تلقى فى زوجها حماراً) هكذا قلت. ولكن أكلّ هؤلاء الرجال الذين تزوجوا متعلمات تعدهم فى شرعتك حميراً؟ (معاذ الله) من فيهم يرضى بهذا؟

إن السيدة المتعلمة الراقية المستنيرة لا ترضى على الإطلاق أن تلقى فى زوجها (حماراً) تركبه — كما تقول — إلى غايتها. إنها ترفض فى شمم وإباء أن تفقد احترامها للرجل الذى يشاطرها الحياة، ولا بد لها من الإحساس بأنه السيد المطاع القوّام الذى تخافه رغبة لا رهبة. وقياساً على هذا أتقول إن أزواج المتعلمات كلهم أشقياء؟ إن كان الإيجاب، فيالعثار جدهم، وسواد عيشهم!

إنى استحييت مرة من قراءة بعض العبارات التى وصفت بها محاسن المرأة وصفاً سافراً، ولولا حرصى على قراءة أفكارك كلها لأبيت قراءتها.

وما يعجبنى إلا كتابتك فى الحب والغزل، وحسن وصفك للغوانى. قديرٌ قدير — بلا شك — فى ألوان الكتابة. أوَليس فى هذا الكفاية لما تحمله من احترام المرأة وإكرامها؟

كثيراً ما تدفعنى مقالاتك إلى الكتابة. لعل فيها سراً يحبب إلىّ الأخذ بناصية القلم، ولكنى لا ألبث أن أدعه هيبة وإجلالا.

لا أدرى كيف كتبت هذا المقال الجرىء، مع أنى أعلم أنى أمام جهبذ من جهابذة الأدب، فاعذرنى ياسيدى لأن الحق أنطقنى.

لا يغضبنك هذا القول، فما قصدت به إلا الترفيه عنك، ليزول من صدرك تبرّمك بالمرأة المتعلمة. وعسى أن تجد فيما كتبتْهُ صاحبة اليد ذات السوار — كما وصفتها — رَوْحاً وترويحاً... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(يد ذات سوار)

---

الأدب في سير أعلامه :

# ملتن ...

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال ... ]

للأستاذ محمود الخفيف

– ٣٢ –

البطل الضرير :

أدت نظرة ملتن إلى المرأة أنها دون الرجل منزلة وعقلا إلى إهمال منه معيب في تعليم بناته فكبرن وحظهن من الثقافة قليل ، وكن لا يعرفن إلا لغتهن إذ رفض أبوهن أن يعلمهن لغة غيرها . وكان يقول في ذلك ساخراً « حسب المرأة لسان واحد » ؛ وكان أبوهن في شغل عنهن أكثر الأوقات بكتيباته وخصوماته وأعباء منصبه فكان يترك أمورهن للخدم . والحق أن ملتن كان متخلفاً عن عصره في النظر إلى تعليم البنت ولذلك لم يشايع كومنس حين كتب هو عن التعليم رسالته التي سلفت الإشارة إليها إذ كان كومنس يذهب مذهب أفلاطون في المساواة بين البنين والبنات ، وكان لا يعني ملتن إلا بالبنين ، وعنده أن من العبث تعليم البنت كما تعلم الكائنات العاقلة على حد تعبيره .

وأملت عليه بيوريتانيته أن يحيط بناته بشيء من الخشونة فلم يتمتعن كما تتمتع البنات إلا قليلا ، فأحسسن استبداده بهن وإن لم يشعرن منه بغلظة أو فظاظة ، وزاد إحساسهن شدة حرمانهن من أمهن ، فقر في نفوسهن شيء يشبه أن يكون جفاء منهن لأبيهن .

ولما عاد ملتن إلى الشعر وأراد أن يرجع إلى الكتب التي تتصل بموضوعه ، كان يقرأ له ويكتب رجل استأجره لذلك ، ولكنه كان لا يعرف غير الانجليزية حتى لقد شكا ملتن في كتاب إلى صديقه أنه كثيراً ما يتضجر ويضيق بهذا الكاتب الذي يضطره إلى أن يذكر له هجاء كل عبارة لا يتبينه يملها عليه كلمة كلمة ، وكان يقرأ له أحياناً بعض الشباب ممن تنافسوا في الحظوة بهذا الشرف وممن طلبوا الفائدة من القراءة له ، كما كان يرسل بعض أصدقائه أبناءهم ليحظوا عنده بالقراءة أو الكتابة له وليقوموا بذلك ألسنتهم وليفيدوا عرفانا وبيانا .

ولكنه كان لا يضمن مجيء هؤلاء إليه كل حين ، وعلى ذلك فقد عول على تعليم بناته النطق باللغات المختلفة وهن لا يفهمن شيئاً مما تتحرك به ألسنتهن وبذل في ذلك جهداً كبيراً وهو على حاله من المرض والعمى ؛ وإنه لمجب أن يحرص هذا الحرص كله على المعرفة فلا يقعد عن وسيلة مهما بلغ من عسرها وإنها لحالة تملأ النفس أسى على ما مسه من ضر بقدر ما تملؤها إعجاباً بعزيمته التي لا تعرف كلالا ولا سأما . ولا ريب أنه كان يستشعر كثيراً من المرارة والحزن في تلك اللحظات التي لا يجد فيها من يقرأ له أو يكتب ما نظم من الشعر ، ولم يك له عزاء في هذا البلاء إلا استغراقه في قصيدته الكبرى وإقباله عليها بكل جوارحه وارتياح نفسه إلى أن يحقق أملا طالما طاف بخياله وأثلج فؤاده وأبهج نفسه .

وكان يدعو بناته ليقرأن له ما يطلب من الكتب اللاتينية والعبرية والأغريقية والفرنسية والطليانية والأسبانية ، فينطقن نطقاً آلياً بعبارات لا يفهمن منها بالضرورة شيئاً ؛ وكن يضقن بهذا ويتبرمن به ويتضجرن منه ، وحق لهن أن يكرهن هذا العمل كرهاً شديداً ، فإذا دعاهن أبوهن إليه أقبلن متثاقلات متكرهات ، ثم اعتذرت كبراهن بما في لسانها من حصر لا تحسن معه النطق فأعفاها أبوها من القراءة وجعلها للكتابة فوقع عبء القراءة على الوسطى فازدادت بذلك ضيقاً وضجراً .

وما زال يشتد ضجر ماري وهي الوسطى حتى أصبح تمرداً وعصياناً فصارت تهمل ما يطلب إليها أبوها متغافلة أو متناسية . وكانت تعرض عنه أحياناً ساخطة ناقمة ؛ وصبرت دبرا وهي الصغرى بعض الصبر ، ولكنها ما لبثت أن تكرهت لأبيها وخشنت عليه وما برحت تشكو لأختها أنه يدعوها في أي ساعة من ساعات الليل فيوقظها وهي مستغرقة في نومها لتكتب بضعة أسطر نظمها .

وتفاقم الأمر فكره البنات أباهن حتى ما يطقنه ؛ قالت الوسطى مرة وقد سمعت أنه يزمع أن يتزوج « ليس فى الحديث عن زواجه ما يعد جديداً من الأنباء. أما أن أسمع بموته ففى ذلك ما يؤبه له » .

وتآمر البنات مع إحدى الخدم على غشه فيما يشترى ويبيع مما يحتاج المنزل إليه ، وفعلن أقبح من ذلك فأعنَّ الخدم على بيع كتبه بغير علمه فإذا علم بشىء من هـذا مسَّ الحزن قلبه مساً شديداً ولـكنه يكظم غيظه ويكتم أمره عن الصحب والجيرة مخافة العار ، وكم كان وقع ذلك أليماً على نفس كبيرة مثل نفسه ، وكم كان يشعره ذلك بمـا آل إليه حاله من استكانة بعد عزة ، ويذكره بهذا الضر الذى أحاطه بالظلمة فجعل من بناته عدوات له .

ولـكن روحه قوية على الرغم من هذا كله ، وإقباله على قصيدته واستشرافه لآفاقها الفسيحة العليا يدفع عن نفسه القنوط إذ يرفعها من عالم صغير حقـير إلى ملـكوت لا يدرك جلاله وعظمته إلا عقل مثل عقله وروح مثل روحه . ولقد كان له فى الشعر أعظم العزاء وأطيبه وإن كان يعمـد أحياناً إلى قيثارته فتختلج أوتارها بين يديه بلحن يسرى به عن نفسه أو يهيء به جواً ملائماً لما تجيش به نفسه من شعر .

**عود إلى الشعر :**

انقطع ملتن عن الشعر منذ سنة ١٦٤١ كما سلف القول ، ولم يكد يعود إليه سنة ١٦٥٨ حتى انشغل عنه بما كتب فى عهد ريتشارد وقبيل عودة الملـكية . ثم أقبل عليه إقبالا غير منقطع منذ أن نجا بحياته فى أواخر سنة ١٦٦٠ ؛ ومن ذلك نرى أنه انصرف عن الشعر قرابة عشرين سنة وهى مدة طويلة لم يقضها فى تأمل وهدوء وتهيؤ على نحو ما كان يفعل فى هورتون ، وإنما كانت حياته فيها كما رأينا مليئة بالأحداث حافلة بالخصومات ، ولـكنه أفاد خبرة عظيمة وتم نضجه فأصبح كالشجرة المحملة بالثمرات تجود بأطيبها لأقل هزة ...

ولم تخل هذه السنوات العشرون من الشعر خلواً تاماً فقد نظم الشاعر أثناءها بعض المقطوعات فى مناسبات مختلفة ، وليست هذه المقطوعات من نفاية الشعر كما قد يخيل إلى المرء فإن لها لشأناً جليلا فى ذاتها ومنزلة سامية فى تاريخ هذا النوع الذى نسميه المقطوعات ، ولذلك نرى أنه يجدر بنا أن نتكلم عنها ونبين مبلغ ما لها من خطر فى الشعر الانجليزى قبل أن نتكلم عن الفردوس المفقود وما جاء بعدها .

جاء ملتن من هذه المقطوعات بما لم ينته فيه كثير من أفذاذ هذا الضرب من النظم منتهاه ، ولقد قلَّ فيه أكفاؤه وذهب له فيه صيت عظيم جعله نداً لشكسبير فى هذا الباب على قلة ما نظم منه بالقياس إلى شكسبير إن لم يك يبرعه فى أكثر من ناحية من نواحيه . ولقد أصبح فيه مثالا لمن جاء بعده فاحتذى حذوه وأعجب به وردزورث وكيتس وغيرهما من شعراء القرن التاسع عشر .

ولا بد لنا من كلمة فى أصل هذه المقطوعات ونشأتها لا فى شعر ملتن وحده ولا فى الشعر الانجليزى وحده ولـكن فى الشعر الأوروبى بوجه عام ثم نعطف الـكلام بعد على مبلغ ما توافى لملتن فيها من براعة وتبريز .

لم يقطع نقدة الأدب الأوروبى برأى فى نشأة المقطوعات[١] وتسميتها بهذا الإسم الذى سموها به ؛ ويرى بعضهم أن الإيطاليين هم مبتدعوها ، وأن اسمها يرجع إلى لفظ إيطالى معناه اللحن الصغير أو الصوت الصغير[٢] وهو لحن كان يغنى على عود أو قيثارة . ويرى فريق آخر أن منبتها كان فى فرنسا فى مقاطعة بروفانس وأن اسمها نجم من تلك الـكلمة الفرنسية التى تطلق على الجرس الصغير[٣] أو جرس النغمات . ويذهب البعض إلى أن أصلها أغريقى وأن الأغريق اختاروا لها لحنها ووضعها الفنى بعد أن مرت على عدة أطوار من الخلق والابتكار . ولأحد النقدة وهو وليم شارب رأى غير هذه جميعاً فهو يردها إلى أغانى الرعاة فى صقلية وجنوبى إيطاليا ويرى أنها انتهت إلى وضعها المعروف بعد أطوار مختلفة ، ويرد اسمها إلى الإسم الذى كان يطلق فى هاتيك الجهات على أغنيات الفلاحين والرعاة[٤] على وجه العموم .

---

(١) Sonnets : وقد اخترنا لها لفظ المقطوعات فى العربية ، وإن كان لا يؤدى المعنى الفنى لها ، ولـكنه على أى حال خير من تسميتها بالأغنيات

(٢) Sonetto (٣) Sonnette (٤) Stornello

وكان أول ما ظهرت تلك المقطوعات فى صورتها ولحنها الخاصين بها فى الأدب الإيطالى فى القرن الثالث عشر فى شعر شاعرين هما : بييردل فنى وجيوتودارزو ؛ وكذلك كان أول من طرق هذا الضرب من النظم من كبار الشعراء من الإيطاليين فقد تغنى دانتى فى أواخر القرن الثالث عشر بحبيبة قلبه بياتريس فاتخذ لغنائه عدداً من هاتيك الألحان ، وكذلك أفصح بترارك فى أوائل القرن الرابع عشر عما ينبض به قلبه من حب لمشوقته لورا بعدد من تلك الأصوات الصغيرة التى سميناها المقطوعات .

أما عن الصورة أو الوضع الذى انتهت إليه المقطوعة فى الأدب الإيطالى فانها لم تك تزيد على أربعة عشر سطراً . ثمانية منها تكون من حيث النغم والموضوع فاتحة المقطوعة أوصدرها ، وتكون الستة الباقية خاتمتها أو « قفلتها » . ولا بد فى الفاتحة أن تجرى قوافيها على وضع معين، فالقافية فى السطر الأول مشاكلة لها فى الرابع وبينهما الثانى والثالث متحدة قافيتهما ولكنها مغايرة لما بدأت به المقطوعة ، ثم يكرر هذا الوضع حتى تتم الأسطر الثمانية[١] بعد ذلك وتتغير القافية فى الأسطر الستة التى تكون الخاتمة على أساس أن تكون ثلاثتها الأولى مشاكلة لثلاثتها الثانية[٢] .

وأما عن موضوع المقطوعة فهى كما يفهم من حجمها يقصد بها التعبير عن معنى من المعانى تجيش به النفس فى مناسبة من المناسبات ، أو هى تسجيل لخاطر يخطر للقلب فى غير استطراد يخرج به عن أن يكون خاطراً هو ابن لحظته أو ابن مناسبته ؛ ويقول فى ذلك وليم شارب إن المقطوعة « هى خير وسيلة للتعبير عن خاطر شعرى منعزل عن غيره تعبيراً موجزاً محدوداً » ؛ وتقتضى طبيعتها أو يقتضى النجاح فيها أن يكون التعبير قوياً رائعاً يجمع إلى عمق الفكرة وجمالها بلاغة اللفظ وإشراقه ، كل أولئك فى إيجاز لا يخل بالمعنى المراد . وما أجمل ما وصف به روزتى المقطوعة وهو من الشعراء الذين أحبوها وبرعوا فيها فى القرن التاسع عشر ، قال « إن المقطوعة هى تمثال لحظة » وهذا

(١) تكون على هذا النحو إذا رمزنا للقافية بحروف (اب ب ا اب ب ا)

(٢) (ج د هـ ج د هـ)

التعبير القوى الجميل هو من قبيل ما يجب أن تبنى منه المقطوعات القوية أو التى تتسم بالنجاح ؛ ومن هذا ندرك أنها عمل فنى يتطلب قدراً كبيراً من البراعة الفنية والطاقة الشعرية ، وحسب الشاعر أنه يقيم تمثالا فى لحظة ولن يكون التمثال جديراً باسمه وبالغرض منه إلا إذا حملك على الإعجاب به والشعور تلقاءه بما تشعر به تلقاء كل عمل فنى من روعة الفن وجلاله .

والمقطوعة ضرب من الشعر الغنائى ، ولكنها تختلف عن القصيدة الغنائية الصغيرة بما ينبغى أن يلقيه الشاعر على غنائه من الوقار والاحتشام فلا يتبذل ولا يسف ولا يتلاعب بالألفاظ والأسجاع وألوان التورية وأشباهها مما يستساغ فى القصيدة العادية ولا يجوز هنا ، حيث ينبغى التأمل والتسامى كى يأتى التمثال معبراً عما يراد به التعبير عنه ، ومانقام التماثيل إلا للجليل من الأشخاص والأفكار .

وقد شبه أحد النقدة لحن المقطوعة بالموجة إذ يتدفق ويتجمع ماؤها فتمج به وترتفع ثم تهبط فتنساح ويرتد الماء ليعود ثانية إلى البحر ، والمقصود من هذا التشبيه أن المقطوعة وحدة غنائية ملتزمة الصورة واللحن فلا حرية فيها للشاعر أن يجرى ألحانه كيفما شاء وأن يتظرف ويتخلع وينطلق حسبما يتجه خياله ومزاجه وهواه .

وظهرت المقطوعة أول ما ظهرت فى الانجليزية فى ثنايا كتاب نشره أحد رجال الأدب واسمه تتِل سنة ١٥٥٧ تحت عنوان « خليط من الأغانى والمقطوعات » ولما كانت مقطوعات كثيرة منها غفلا من أسماء أصحابها فليس يدرى من الرائد فى هذا الضرب من النظم فى الانجليزية ، على أن الانجليز لم يتبعوا ما وضعه الإيطاليون ، فقد تصرفوا فيه وأتوا بصورة جديدة للمقطوعة وإن بقى عدد أسطرها كما هو فى المقطوعة الإيطالية ، وجاءت الصورة الانجليزية أيسر بناء من الصورة الإيطالية كما يتبين من طريقة التقفية فيها[١] ، وليس يشترط فيها أن يكون هناك تغير بين صدرها وخاتمتها وإن كان الغالب أن يحدث هذا التغير كما هو واضح من المثال الذى أثبتناه فى ذيل الصفحة ؛

(١) جعلوها على هذا النحو (اب اب ج د ج د هـ و هـ و ز ز) .

صحائف مطوية :

# من أخلاق البحترى

للأستاذ محمد رجب البيومى

— ٢ —

ذكرتُ فى مقالى السابق [1] أن أبا عبادة البحترى كان ذا حظوة سعيدة لدى الخلفاء ، فقد أغدقوا عليه من الهبات الجزيلة ما اشترى به ضياعاً واسعةً فى ضواحى بغداد ، وأخرى فى منبج بالشام ، ولكنه على رغم ثروته الطائلة كان يُضيّق على نفسه فلا يلبس سوى الخز الرخيص ولا يأكل غير ما يقوم بحاجته الضرورية ، وطبيعىٌ أن يعامل أهله بهذه الكزازة الشحيحة ، قال الحكم بن يحيى : « كان للبحترى أخ وغلام معه فى داره فكان يقتلهما جوعاً ، فإذا بلغ منهما الألم مبلغه أتياه يبكيان فيرمى إليهما بثمن أقواتهما مُضيّقاً مُقتّراً ويقول: كُلا ، أجاع الله أكبادكما وأطال إجهادكما [2] » ، وكان يأخذ أضيافه بنوع من القسوة لا ينبغى أن يَصْدر من شاعر مرهف الإحساس رقيق الشعور ، قال أبو مسلم محمد بن الأصفهانى الكاتب « دخلت على البحترى يوماً فحبسنى عنده ودعا بطعام له فامتنعتُ من أكله وعنده شيخ شامى لا أعرفه فدعاه فتقدم وأكل معه أكلا عنيفاً فغاظه ذلك ، والتفت إلىّ قائلا : أتعرف هذا الشيخ ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا رجل من بنى الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر :

وبنو الهجيم قبيلة ملعونة   حمر اللحى متشابهو الألوان
لو يسمعون بأكلة أو شربة   بعمان أصبح جمعهم بعمان

قال : فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك [1] » .

ولقد كان غرام الوليد بالمال خيراً وبركة على شعره ، إذ فتح له أبواباً من القول ضاعفت إنتاجه ، فقد كان لا يرى عند خليفة أو رئيس سيفاً أو فرساً أو خاتماً أو قلماً إلا وصفه وصفاً بارعاً ثم استهداه منه ؛ فإذا تمّ له ما أراد أخذه فباعه وأضاف ثمنه إلى خزينته ، والواقع أن هذا استجداء غير مشرّف ، لأن الهدية لا تباع بحال من الأحوال !!

وقد نشأ البحترى فى عصرٍ تفاخر فيه المترفون باقتناء الجوارى والغلمان ، باذلين فى ذلك أنفس ما يملكون من ذخر وعتاد ، فكان الوليد لا يفتأ يستهدى مَن يروقه من المُرْد الحسان فى أسلوب جميل يجعل سامعه يمنح الهديّة فى سرعة واغتباط ، وهل تجد أرق من قوله فى استهداء غلام يدعى ميخائيل :

فإن تَهد ميخائيل تبعث بتحفةٍ   تقفّى لها العتبى ويغتفر الوزرُ
غرير تَراءاه العيون كأنما   أضاء لها فى عُقب داجيةٍ فجرُ
ولو يجتَلى فى بضع عشرة ليلة   من الشهر ماشك امرؤ أنه البدر
إذا انصرفتْ يوماً بعطفيه لفتةٌ   أو اعترضتْ من لحظه نظر شزْر
رأيت هوى قلب بطيئاً نزوعه   وحاجة نفس ليس عن مثلها صبر
تجاوزْ لنا فيه فإنك واجد   به ثمناً يُغليه فى مدحك الشعر
والطف منه فى الفؤاد محلّة   ثناء تبقّيه القصائد أو شكر

وإذا كان البحترى قد هام بميخائيل لأنه وضىء الوجه حسن الصورة ، فليت شعرى بِمَ نعلل هيامه بنسيم ؟ وقد كان روميًّا دميم الصورة كريه الرائحة ! ألِأنّهُ وجد هذه الصفات تجعل صاحبه يفرّط فيه بسهولة ، فكان يستهديه ويبيعه ، ثم يستهديه ويبيعه ، فهو إذن شرك « مُحكم » يصيد به النقود ،

(1) المنشور بالعدد ( ٦٩٠ ) .

(2) الأغانى

(1) مقدمة الديوان .

---

وكانت تنتهى بسطرين فى قافية واحدة يكونان نغمتها الأخيرة .

وذاع هذا الوضع الجديد ، وسميت مقطوعاته المقطوعات الانجليزية أو المقطوعات الشكسبيرية ، فقد نسبت إلى شكسبير ولو لم يك مبتكرها لأنه خير من أجاد فى بناء هذه المقطوعات ولأنه من أكثر الشعراء إنتاجاً فيه ؛ ولقد كثر نظم المقطوعات كثرة ملحوظة فى العصر الاليزابيثى وبرع فيه غير سبنسر وشكسبير نحو اثنى عشر شاعراً ، هذا فضلا عن عدد كبير لم يكن لهم مثل ما لهؤلاء من الإجادة وحسن السبك .

( يتبع ) **الخفيف**

ومُلهِمٌ بقدح شاعريته ، فيصفه بما ليس فيه ، ويبالغ فى التشوق إلى لقائه مبالغة تستهوى الأفئدة كأن يقول :

دعا عبرتى تجرى على الجور والقصد
أظن نسيما قارف الهجر من بعدى

خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه فيا عجباً للدهر فقداً على فقد

خليلىّ هل من نظرة توصلانها إلى وجنات ينتسبن إلى الورد

وقدٍّ يكاد القلب ينقدّ دونه
إذا اهتز فى قربٍ من العين أو بُعد

فلو تمكن الشكوى لخبَّرك البكا
حقيقة ما عندى وإن جلّ ما عندى

غُصبتك ممزوجاً بنفسى ولا أرى
لهم زاجراً يُنهى ولا حاكماً يعدى

أبا الفضل فى تسع وتسعين نعجة غنىً لك عن ظبى بساحتنا فرد

ومهما يكن من شىء فلقد مات نسيم فى ميعة صباه ، وارتاح الناس منه ومن عاشقه المشوق !

على أن البحترى كان يغيّر فى سبيل المال مذهبه واعتقاده فهو لا يثبت على قول واحد ، فإذا مدح معتزليًّا كان معه ، أو سُنّيًّا جاراه فى رأيه ، قال إبراهيم بن عبد الله الكجى : قلت للبحترى ويحك ! إنك فى قصيدتك « أألفاق صب من هوى فأفيقا » تقول :

يرمون خالقهم بأقبح فعلهم ويحرّفون كلامه المخلوقا

فهل صرت معتزليا قدريًّا ؟ فقال : كان هذا دينى فى أيام الواثق ثم نزعت عنه فى أيام المتوكل ! فقلت له : هذا دين سوء يدور مع الدول(١) » .

وإذن فالوليد لا يهتم بغير المال مهما غيّر رأيه واستجدى أصحابه ، وعنّف أضيافه ، وقتّر على نفسه وأهله كما تقدم فى صدر هذا المقال ، وذلك كثير ! !

* * *

بقى أن نتحدّث عن علاقة الوليد بزملائه الشعراء ، وهى فى جملتها غير مرضية ، فقد نشأ فى عهد نبغ فيه المُعلّمون من أبطال الشعر وقادته ؛ فكانوا يتراكضون فى ميدان فسيح ، فمَن حاز قصب السبق كانت له الشهرة المستفيضة ، والصيت الذائع ، وهذا تنافس شاق ترك فى نفس الوليد أثره الواضح ، فأبو تمام مثلا كان لا يستحق منه غير المدح الجزيل ، فقد أخذ بيديه فى بادئ أمره ، وقرّظه للعامة والخاصة ، وواصل تعريفه بالناس ولولاه ما أكل الخبز — كما يعترف بذلك البحترى — ولكنه لم يرع له هذا الجميل ، فهاجمه بعد موته ، وقال لولده أبى الغوث « إنه ما مات حتى أصفى من الشعر ، وقد سألتُ ابن الأعرابى عنه فقال : إن كان شعره شعراً فجميع ما قالته العرب باطل » بعد أن كان يقول فى حياته « إن نسيمى يركد عند هوائه ، وأرضى تنخفض عند سمائه

ونود هنا أن نلفت الأنظار إلى قصة روتها كتب الأدب عن مبدأ تعرفه بأبى تمام ، وخلاصتها أن البحترى قد مدح أبا سعيد محمد بن يوسف بقصيدة :

أألفاق صبٌّ من هوى فأفيقا ؟ أم خان عهداً أم أطاع شفيقا

وكان أبو تمام حاضراً فنسبها إلى نفسه ، وصدّق جميع من فى المجلس ، فجعل البحترى يقسم بالله أنها له ، إلى أن استحيا أبو تمام ، فقال : الشعر لك يا بنى ولكنى ظننت أنك تهاونت موضى فأقدمتَ على الإنشاد بحضرتى تريد بذلك مضاهاتى ، ... ونحن نقول إنها قصة مكذوبة نجل أبا تمام أن يصدر عنه ما ذُكر بها ، سواء رواها البحترى أم سواه ، لأن حبيباً كان ذا مذهب مشهور فى القول حتى إنك لتعرف قصيدته من أول بيت تسمعه ؛ فلو أنه ادّعى ذلك ما صدّقه أحد فى دعواه ، لخلوّها عن بيت واحد تشمّ منه رائحته ، ولا سيما وجميع من فى المجلس يعرفون جيداً من هو أبو تمام ! وإلى أى حد ينزع .

أما ابن الرومى فقد جرّ على البحترى من البلاء ما أقلق باله وأزعج خاطره ، ذلك لأنه كان مولعاً بهجاء من يعرف ومَن لا يعرف مِن الناس ، فخاف الوليد على نفسه منه ، وطلب من سعيد بن الحسن الناجم أن يجمع بينهما فى مجلس ، وما إن تم ذلك حتى نشأت بينهما صداقة وليدة ، ولكن البحترى عاد فهجّن شعر صاحبه على ملأ من الناس ، وما إن شاع فى ذلك

(١) الموشح .

حتى انفجر ابن الرومى كالبركان الهائج بقـذف الحمم على رأس الوليد . فهجاه مرات عديدة ، ولم ينس أن يتعرض إلى شعره فيُبيِّن رأيه فيه بوضوح حين يقول :

قُبحاً لأشياء يأتى البحترى بهـا
من شعره الغث بعد الـكد والتعب

عبد يغير على الموتى فيسلبهم — حر الـكلام بجيش غير ذى لجب
وقد يجئ بخلط فالنحاس له — وللأوائل ما فيه من الذهب
يعيب شعرى وما زالت بصيرته — عمياء عن كل نور ساطع اللهب
الحظ أعمى ولولا ذاك لم تره — للبحترى بلا عقلٍ ولا أدبِ !

إلى آخر ما قال .

هـذا وقد هاجم على بن الجهم بدون ذنب جناه . فقد ورد على المتوكل على الله من البادية فأعجب الخليفة بخشونته وبسط له جناح عطفه ، وما زال به حتى دمث طبعه ، ورقتْ معانيه فأتى فى شعره بالرقص المطرب ، ولـكنَّ الوليد لم يطق ذلك من المتوكل ، فانبرى يهجو ابن الجهم هجاء مُرًّا ، وكان علىٌّ قصير الباع فى السِّباب فلم يستطع الصُّمودَ أمام غريمه ، فتزيّد عليه البحترى مُوجّهاً جُلَّ هجوه إلى ما تحت ثيابه ! وكان الأولى بالوليد أن يترفع عن هذه الناحية المقيتة ، ولـكن هذا ما كان ! على أن للبحترى فيه هجاء قد خلا من الفحش الصارخ . فـكان جيّد المعنى ، رائع السّبك ، يدل على تفـكير قوى وشاعريّة ثرّة ، كأن يقول :

يا قذىً فى العيون يا غُلَّةً بـ — ـين التراقى يا حرارة فى الفؤاد[1]
يا طلوع العذول غب صفاء — يا غريماً أتى عـلى ميعاد
يا ركوداً فى يوم غيم وصَيْفٍ — يا وجوه التجار يوم الـكساد
خلِّ عنّا فإنمـا أنت فينا — واو عمرو أو كالحديث المُعاد
امض فى غير صحبة الله ما عشـ — ـت مُلقى فى كل فجٍّ ووادى
يتخطى بك المهامه والبيد — دليلٌ أعمـى كثير الرقاد
خلفك البـاتر المصمّم بالسـ — ـيف ورجلاك فوق شوك القَتاد

كما أن من الغريب أن الدور الذى مثّله البحترى مع أبى تمام قد مثّله مع دعبل الخزاعى ، فـكان فى حياته يرفع شعره إلى درجة عالية ، وما سمع بموته حتى بدّل رأيه فيه ، فقال لمن سأله عنه « إنه يدخل يده فى الجراب ولا يقول[1] شيئاً » ولعله كان يخاف من لسانه السليط !

ومهما يكن من شىء فإن حبيباً ودعبلاً أقربُ إلى نفس البحترى من ابن الرومى وابن الجهم ، وهذا يرجع إلى تقدمهما فى السنّ من جهة ، وعطفهما عليه من جهـة أخرى ، فليت الوليد قد حبس لسانه عنهما حتى نذكره مع الذين يحفظون الجميل !

***

وبعد فأخشى أن أكون قد أغضبت عُشّاق البحترى بهذا الإلمام السريع . فأنا أعترف كما يعترفون ببراعته الفائقة ، وخياله الرائع ، وديباجته المشرقة ، ولـكنى أعترف أيضاً بسلاطة لسانه ، وقلة وفائه ، وشح نفسه .

« ومن ذا الذى يُعطى الـكمال فيـكمل ! » .

( الـكفر الجديد ) **محمد رجب البيومى**

(١) كذا فى الديوان ولعلها ( يا جمرة فى الفؤاد ) كيلا ينكسر البيت .

(١) الوشح أيضاً .

# رباعيات عثمان ...!

للأستاذ عثمان حلمي

كم جبان من الخيال يراعُ هو في نفسه الجريء الشجاعُ
فإذا جد أي أمرٍ تبينـ ـت جزوعاً خانت قواه الطباع
كيف أضحى وجه العبوس كوجه الـ ـطفل هشاً والقلبُ وهو شعاع
هكذا تأخذ المظاهرُ بالأ باب أخذاً ويستقيم الخداع

هكذا ما استقام في الأرض ظلٌ أو تعزّى في ظلها المستظلُّ
ما بنوها أقل ميناً ولا الأر ض على المين من بنيها أقلُّ
معدنٌ واحدٌ فلا ترج ما ير وى الصدى من كذابهم أو يُعلُّ
وتبسمْ ولا تملّ فإن الـ عاقل المستنير من لا يملُّ

أيما أبصرته مقلة رائي باطل في بصائر الفهماء
فأرح في الحياة نفسك ما اسطعـ ـت بما تستطيع من إغضاء
ما على الأرض لو تأملت خيرٌ لك من لقمة وجرعة ماء
وسوى ذاك باطلٌ أي بطلٍ وعناء ما بعده من عناء

أي حق ما لابسته الظنون ليت شعري فأين أين اليقينُ
الذي كان ليس يدريه حيٌّ ومحال إدراكُ ما سيكون
حُلُمٌ هذه الحياة على الأر ض وسرٌّ لا ينجلي مكنون
ذلك السرُّ ليس يجلوه للأحـ ـياء — لولا الضلال — إلا المنون

كل نفس لها لدى الفكر حق فالذي خلته هو الحق — حق
والذي خاله سواك هو الحق ، فمن منكما لعمري أحق
شدّ ما في رأييكما من خلاف هو غربٌ وأنت في الرأي شرق
ليس من يعرف الحقيقة في الخلـ ـق برأيٍ ما في ثناياه خرق

فعلام الجدالُ والاضغانُ وعلام الحقود والطغيانُ
نحن مهما تباين الرأي فينا واختلفنا فأصلنا الانسان
ما جرى في عروقنا من دماء أو حوتْ في صميمها الأبدان
واحدٌ ذلك التراب إذا ما حللته الأحداث والأزمان

كل حيٍّ في الأرض أسعد حالا من بني آدم وأسمى مثالا
فالحمار الذي حسبناه أشقى الخلـ ـق منّي ومنك ، أنعم بالا
فهو أنّى اغتدى على الأرض لم يجـ ـن على نفسه بخطاه وبالا
ومع العقل يا ابن آدم تزدا د لعمري حماقة وضلالا

نهض العلمُ بابن آدم نهضاً فسمى يبتغي سوى الأرض أرضا
ترك الأرض بعد أن دوّخ الأر ض وجاب السماء طولا وعرضا
وارتقى فيه كل شيء ولكن بقيت نفسه كما هي فوضى
وتقضي بعقله كل نقص غير نقص بنفسه ما تقضى

هذه النفس يا أخي كيف تصفو إن حواها جوٌّ من الشر صرف
هي إبليس لو فطنت وفيها مَلَك حائر على الخير يهفو
وهي وحش من الوحوش ونسر بجناح على النجم يرف
لم يهذّبْ مر القرون طوايا ها فظلت من ضعفها تُستخف

ملك النسل أمرها والجوع فهي طفل على الدهور رضيعُ
أيما أيقظا هواها فما ينـ ـفع فيها التثريب والتقريع
هكذا قام في غريزته الأصـ ـل وقامت على الأصول الفروع
ما استطاع الإنسان حدّ هواها لا ولا حدّ شرّها مستطيع

عجز العلم والنهى والدين والردى دون نقصها والسنون
فتأمل أيان كنت وأنّى شئت فالضعف جاثم والشجون
وفنون من الخصاصة والتعـ ـس وجمٌّ من الشقاء فنون
ودمٌ في براءة مُهراق وغريم من كلّ شرٍّ مصون

يا لها من حقيقة تتوارى خجلا والنفوس منها حيارى
فإذا ما تحجبتْ أسدل اليـ ـن على وجهها البغيض ستارا

وإذا ما تكشَّفت لم ير البـــصر فيما يراه إلا صغارا
كم رى النفس كيف لطخها الطيـــن وخنَّت حماقة وسَعارا

كلنا لائم فأين الـــلوم أين منا الأريب أين الحكيم
فالتمس للنفوس ما اسطعت من عذر فما في نفوسنا المعصوم
وتقبل ما ساء منها وما سـرَّ بقلب ما أثقلته الهموم
هكذا كانت النفوس فلا يحـزنك منها صحيحها والسقيم

لو تراني والشر يطغى أمامي ودموعي يطغى عليها ابتسامي
لو تراني عجبت لي كيف أمضيـت حياتي في راحة وسلام
فتأمل مع ابتسامك في عصـري وكيف انقضت به أيامي
لو تأملتها كفتك كثيراً من تجارب سادرٍ مغتام

كلما زاد بالحياة اهتمامي واشتغالي زادت بها آلامي
وتبيَّنت كلما مرَّ يوم إثر يوم حقيقـة الأيام
فالتجارب علمتني أن تذ عن نفسي فيها لغير مرامي
والقيود التي فُرِضْنَ على الأحيـاء فيها قوبلن باستسلامي

والسلام الذي أراه أمامي كم تبينت فيه عكس السلام
غير أني على مرارة سخري لم أبح في انتقاده بملام
هذه حكمة الحكيم جناها عقله من تتابع الأعوام
من يُردْ هذه الحياة جحيما جاء من نفسه لها بضرام

أصبحت تشبه الحمـامة نفسي
فهي تضحي على الهـدوء وتمسي
حسبها السعي للقليل من الرزق وحسبي الرضى به والتأسي
ثم حسبي أن لم أرق ماء وجهي لابن أنثى من ذي ثراء وبأس
وأرى في الرضى أماناً من الهم وبرءاً من كل غم وبأس

ولقد رُضتُ في العواطف قلبي وتقلبتُ بين بغض وحب
ثم أصبحت لا أود ولا أقــلي ولا يستقيم للعطف لُبِّي
كل همي أن أبصر الخلق عن بُعـدٍ على مسرح الخليقة قربي
ساخراً من مشاهد تتوارى بين سهل من الأمور وصعب

ليس للحب والقلى أسبابُ أدر كتها النفوس والألبابُ
حيَّر العلم كل عقل ودون الـعلم عن حيرة القلوب حجاب
ربَّ قلب أحبَّ نفساً أساءتـه ومن أحسنت يبغض تَتاب
ذاك أمرٌ مثل المنية خافٍ جهل الشيب سره والشباب

كل ما في حياتنـا أوهام إن خبرت الحياة أو أحلام
فاسأل الغيبَ عن حقيقة دنيا نا تجبك النجوم والأجرام
وسل الكائنات عن منشأ العقــل ومأوى النهى يجبك الرغام
واعتصم يا أخي بعجزك إن الـعجز فيه إذا ضللت اعتصام

كم سؤال لا ينتهي وجواب لم يكن في هداك فصل الخطاب
فتبرَّمتَ بالحيـاة ولم يرددك عقل إلى سواء الصواب
ما الذي يستطيع عقلك أن يفـهم مما اختفى وراء الحجاب
ولعمري ما الأرض في الكون إلا
ذرة في خضمِّه الصخـاب

عثمان حلمي




## طه الراوي

بعد أن كتبتُ الكلمة التي حملت إلى قراء « الرسالة » الخبر المصمّ، والنعي الكارث، نعي فقيد الأدب العظيم الأستاذ طه الراوي جاءتني هذه « الرسالة » من الأستاذ حسن حبشي مدرس التاريخ بمدرسة المعلمين العالية ببغداد، وكنت حمّلته بطاقة إلى الأستاذ الكبير رحمه الله، فقابله قبل وفاته بيوم واحد.

وهي أسطر قيمتها في أنها تتحدث عن الأستاذ في آخر حياته، وتحمل إلى أصدقائه من أواخر نفحاته.

قال الأستاذ حبشي:

« ما كدت أبلغ عاصمة الرشيد حتى توجهت يوم السبت إلى الأستاذ طه بك الراوي وكنت قد بعثت ببطاقتكم إليه مع الأستاذ جميل سعيد، وقد رحّب بي الرجل أجمل ترحيب، وسألني أن أحدّثه عنكم، إذ هو مشتاق إلى الوقوف على أخباركم، وقال إنه يعتب عليكم في أنكم لا تجيئون العراق، مع أنه قد ألحّ عليكم من قبل، وكان حاضراً المجلس الدكتور مصطفى جواد. وأنبأني أنه سيكتب إليكم.

ولكن العجيب يا أستاذي أن هذا الأديب الكريم كان ممتلئاً صحة، وكانت دلائل العافية بادية عليه، لا تلمح به أثراً من جهد أو تعب، ولكن ما انقضى اليوم الثاني حتى وافانا نعيه فكان الرزء فيه عظيما. وأي خطب للأدب والدين في العراق أجل من أن يختطف الموت طه الراوي وقد كان ملء السمع والبصر، وكانت جنازته جنازة دلّت على مكانته، فقد شيعه كبار القوم ببغداد، وعارفو فضله وأدبه، على الرغم من أن المدة بين نعيه وبين تشييعه إلى لحده لم تتجاوز خمس ساعات.

فإن يكن قد كتب إليك فذلك آخر ما كتب، كما أن رسالتك التي حملتني إياها كانت آخر ما تسلّم، ولا أستطيع يا أستاذي أن أصوّر لك مبلغ حبّه لك مما بدا في حديثه معي ومع سائر زواره في ذلك اليوم، وإنني لأرجو أن يفسح الله له في جناته بقدر خدمته للأدب والعروبة والدين ».

## من صميم الحياة:

القاضي الفاضل الأستاذ علي الطنطاوي من بقايا السلف الصالح، يرسل علينا من آن لآخر آيات فيها العظة والاعتبار بأسلوب رشيق وقصص ممتع، وفيها أيضاً أثارة من قلم أستاذنا الرافعي طيب الله ثراه.

ساق إلينا في « الرسالة » رواية عن شاب مستقيم الخلق والدين عهد إليه بالتعليم في مدرسة ثانوية للبنات، ثم انتهى به فساد بعض التلميذات إلى الاستقالة من المدرسة؛ ولي على الكاتب الفاضل ملاحظات:

١ — تغلب عليه روح التشاؤم فيما يكتب، ونحن في عصر نهوض أو في عصر انقلاب اجتماعي قد نسيء وقد نحسن، فنحن في حاجة إلى من يروضنا ويبعث فينا روح التفاؤل بأسلوب يهز النفوس هزاً لتنشط إلى السير قدماً في طريق الفلاح والنجاح، ويحملها على الاعتراف بالخطأ فتصفو من عيوب المجتمع وتسلك سواء السبيل.

٢ — لقد قدّم لنا بطله في مدارس البنات شاباً ضيق الأفق ضعيف الحيلة أشد حياء من العذراء، ثم صوّر تلميذته في صورة داعر تعشق معلمها من غير مقدمات ... وليتها فعلت كما قال شوقي:

نظرة فابتسامة فسلام  فكلام فموعد فلقاء

وما هكذا طبائع الأشياء، وما كذلك مدارس البنات!

٣ — كثيراً ما تتغلب الفكرة والخيال على الأستاذ الكاتب فيفوته الواقع في قصصه: (فهي فتاة من أنبل الأسر تسرع وراء معلمها فيعف عنها ثم تكتب له:

وإذا رأيتك لا تكلمني  ضاقت علي الأرض والأفق)

وما كان لها أن تخجل وتعرض عن معلمها بعد أن صدّ عنها وأعرض، حتى هجمت عليه في منزله كالوحش الضاري لتهتك عرضه لا — يا أستاذ — لقد شط معلمك شططاً بعيداً. ولعلي أصدقك — وقد كنت في ماضي حياتي معلماً بمدارس البنات — فهذه المخاوف التي استولت على ذهنك كنا نتصورها، أو قريباً منها، حتى إذا وجدنا أنفسنا في هذا الوسط أحسسنا أن هؤلاء البنات بناتنا والمعلمات أخواتنا، وزال هذا الخوف الأسود من مشاعرنا، وصارت الحياة عادية، وهذا شأن سائر المعلمين في مدارس البنات

فرفقاً بالناس وحنانيك، وإنصافاً — يا حضرة القاضي — فالأمر إن شاء الله على ما تحب بفضل القدوة الصالحة والتهذيب الصحيح أولا فلتغلق مدارس البنات والسلام

**حسنين حسن مخلوف**
مفتش بوزارة المعارف

## تحية قدوم:

[من الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين إلى الأستاذ أحمد أمين بك بمناسبة قدومه من أوربا]:

سعدت بمقدمك العباد يا خصب أذهان البلاد
الشرق محتفل القلوب بكم وإن حال البعاد
بشرى تناقلها البلاد تناقل النغم المعاد
يسرى شذاها حاملا أملا إليها في ازدياد

**أحمد الزين**

## مناظرة هادئة

اطلعت بالعدد ٦٩٤ من مجلة «الرسالة» الغراء على المقال القيم بقلم الأستاذ الكبير على الطنطاوي. وإني وإن كنت من (الرجعيين) أمثال الأستاذ الكبير، إلا أني أريد أن أنصف النساء والرجال أيضاً فأقول: إن النساء لم يجرمن ولم يذنبن، (وطالب القوت ما تعدى)، فموضوع النساء كموضوع الرجال تماماً، ينحصر في غريزتين اثنتين: وهما المحافظة على الذات والمحافظة على النوع، وبعبارة أصرح الحاجة إلى الطعام واللباس والغريزة الجنسية، وكان الزواج يكفي المرأة هاتين الحاجتين؛ إلا أن الشبان في هذه الأيام — تبعاً للتصور الفكري والمادي — أرادوا أن تكون زوجاتهم على علم يتفق وثقافتهم، كما رأوا أن الزواج عبء ثقيل لما يتبعه من تربية أبناء وتعليمهم وعلاجهم فأرادوا أن تكون لزوجاتهم ثروة تعينهم.

واضطرت البنت إلى أن تتعلم، أو اضطر أهلها إلى تعليمها، واستتبع التعليم حتما السفور، ثم اضطرت الفتاة إلى أن تعمل لتكون لنفسها ثروة يطلبها الرجال!

وكان لا بد من أن تتطور أفكار الفتاة تبعاً لثقافتها وقدرتها على الكسب، فرأت لنفسها الحق في شيء من الحرية والاستقلال وهو أمر — إذا لم يتعد حدوده — لا يتنافى مع الدين ولا مع الشرف ولا مع حقوق الزوجية!

وفي فترة انتظار الزوجة المتعلمة الغنية اتصل الشاب ببعض المتهتكات — اللاتي كانت المشكلة الاقتصادية أيضاً هي السبب الرئيسي في سقوطهن — فاستمرأ المرعى ووجد الأمر أسهل من الزواج

وظنت الفتاة المتعلمة أن الشبان يفضلون المظاهر الخلابة، فأرادت أن تتقرب إليهم ببعضها فنفروا من زواجها! فماذا تصنع؟!

كما رأت أخوات لها تزوجن رجالا ابتزوا أموالهن وجروا وراء شهواتهم وملاذهم، بل طلقوهن وهربوا من النفقة! فأصبحت هي أيضاً تخشى الزواج!

ومن هذا ترون أن المشكلة أشد تعقيداً من أن ينفع فيها لوم المرأة، والمرأة وحدها. إنها مشكلة الجوع والحرمان — المادي والمعنوي — مشكلة العصر الحاضر كله، والذين وضعوا أسسه ونظمه هم الرجال لا النساء.. فما ذنب المرأة؟!

الشاب يحب أن يتزوج فتاة مثقفة محتشمة، والفتاة تريد أن تتزوج رجلا يرعاها ولا يظلمها، ولكنهم جميعاً يخشون المستقبل، ولا ضمان لهم، فلا التعليم مباح لأبناء الفقراء، ولا العلاج ميسر للمرضى، ولا العمل مكفول للعاطلين والعاطلات!

فليس التعلم إذن ولا السفور مسئولين عن هذه التبعة الثقيلة، ولو كانت الفتاة جاهلة ومحجبة وحرمت الزواج، لما كانت الحال أحسن، بل تكون أسوأ، لأن الجاهلة لا تجد ما يشغلها، وكل ممنوع محبوب ومطلوب!

صحيح أنه يوجد في التعليم والاختلاط أخطاء وضحايا، ولكن العلاج ممكن ببعض التنظيم والتهذيب، فالفضيلة أسهل من الرذيلة التي لا يلجأ إليها الإنسان إلا مضطراً لسوء الظروف أو سوء التربية

إن الزمن يتطور، والنظريات تتغير، وإن التيار جارف شديد لا يمكن اعتراضه، ولكن يمكن توجيهه إلى الخير، إذا صلحت النيات وقويت العزائم

والمشكلة الرئيسية مشكلة اقتصادية — كما أوضحنا — فإذا أراد أولياء أمورنا حلها، فعليهم أن يوفروا للرجال والنساء حاجتهم من العيش والزواج بكرامة واطمئنان، ليوفروا التعليم للفقراء، والعلاج للمرضى، والعمل للعاطلين، ليكفوا الناس شرور الفقر والجهل والمرض!

وبغير هذا (فصاحب الحاجة أرعن)، ولا فائدة من اللوم ولا من الكلام!

**فؤاد السيد خليل**




دعوة فى وقتها :

# الرســالة الخالدة . . .

بقلم الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا
الأمين العام لجامعة الدول العربية

## عرض وتعليق

للأســتاذ عبد المنعم خلاف

— ١ —

### دين وســياسة

هذا الكتاب إن شئت قلت هو كتاب دين كتب بقلم سياسى مفكر عارف بآفاق الحياة البشرية ، له بأكثر الأمم والأديان والعلوم والمعارف والحوادث العالمية والقومية خبرة نادرة ، فلست تجد فى كتابه الذى نحن بصدده تلك العقلية النمطية المقيدة التى تواجه القارىء فى أكثر مايعالج المسألة الدينية من كتب .

وإن شئت قلت هو كتاب سياسة كتب بقلم رجل هو فى أعماق نفسه وظاهر حياته رجل عقيدة وفضيلة وسمو ، يرى الحياة السياسية لن تكون على شىء غير الخداع والكذب وحب الغلب واللعب بالشعوب والأفراد إن لم تؤسس على العقائد السامية التى يستمدها العقل والقلب من التعلق بتلك الحقيقة الأولى العليا وهى الإيمان بالله عز وجل واستمداد الضمير مما يفيضه سبحانه على الكون من قيم الحق والخير والعدل والرحمة والجمال والنظام وغير أولئك من عزائم الإحسان التى توحى بأن تكون وجهة الناس خدمة الحياة البشرية جميعها بدون نظر إلى ما بين الناس من فروق الجنس واللغة والدين والطبقات ، والسعى المخلص للتوفيق بين الأمم ودفعها لخدمة الحضارة والعلم ومقاومة عوامل التفريق والتنازع فى مجالات الكسب المادى .

### صوت متوقع من الشرق

والصوت الذى يعلو فى هذا الكتاب كان لا بد أن يرتفع الآن من الشرق العربى مع أصوات الدعاة فى العالم ومع نهوض الجامعة العربية برسالة « الأمة الوسط » التى يلتقى لديها الشرق والغرب لقاء جميلا ، ليجلو هذا الصوت وجهة رسالة الله الواحدة الخالدة التى تنقلت بشعلتها يده تعالى مع تنقل البشرية وتطورها التاريخى حتى استبانت معالمها التاريخية على أيدى أربعة من هذه « الأمة الوسط » هم إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد .

وكان لا بد لهذا الصوت أن ينطق عن هذه الرسالة بلسان هذا العصر ويوضح منطقها بأسلوبه ويبين عن آرائها فى الحضارة الروحية التى لا بد منها أولا لتوطيد أسس الحضارة المادية فى القلوب والعقول قبل إقامتها فى المجالات المادية .

وقد رأينا دعاة السلام فى الغرب يعالجون مشكلات العالم بأسلوبهم وحسب تكييف حياتهم ومواضعات بيئاتهم ، مثل مافعل ( وندل ويلكى ) و ( هنرى ولاس ) و ( ويلز ) وغيرهم . وما كان لسكان الشرق الأدنى صاحب الرسالات الفاصلة فى توجيه الحضارات الروحية والمادية ، والماهد لها فى قديم التاريخ وأوسطه ، والجامع لأطراف إنسانية الشرق والغرب حيث نزل إلهام الله ووحيه على رسله وأنبيائه فى رسالات لا تزال هى المسيطر على أرواح أعظم جماهير الأمم العظيمة للآن . . وما كان لهم أن يتركوا الناس يتخبطون فى التماس الهدى وحل مشكلات الفكر والعيش دون أن يرتفع فيهم صوت يذكر الناس برسالة الله الخالدة ويعلن عما فيها من هدى قديم جديد .

### البحث عن غــد

والغربيون يبحثون عن غد يشرق عليهم ضحاه ، وقد خرج روادهم منذ الحرب العالمية الأولى يبحثون عن ذلك الغد فى كل مكان حين أحسوا ظلمة المادية تخنق أنفسهم ويومهم وتتراكم على منافذ حياتهم الروحية فتحجب عنهم أضواء الهدى وتخنق حياة الوجدان والضمير وتطارد طمأنينة النفس إلى الحياة وإلى قيم الحق والخير فيها . . .

غير أن الموجة المادية كانت قد وصلت إلى ذروتها من الظلام والطغيان على الفكر الغربى بحيث لم يستطع الباحثون عن السلام أن يصدوا من طغيانها وظلامها ، فانطلق سيلها الجارف الهدار حتى طم على حياة الغرب والعالم كله فأغرقه بفلسفة البحث عن « الذهب الأسود » و « الفحم الأبيض » وأحرقه بنارها مع ما جمع من الحديد والفولاذ وأدوات المتاع والزينة والخيلاء والجشع والاستعلاء ... ، وإذا بأوربا موئل الحضارة المادية تشقى بحضارتها وتدمر بوسائل قوتها حتى تصبح خاوية على عروشها لايطمئن إلى الحياة فيها سكانها وهجرها عشاقها كما تهجر الفيران السفينة حين تشفى على الغرق ... وإذا الحقيقة الخالدة تتجلى من جديد ، وهى أن الحياة الانسانية إذا لم تقم على الطمأنينة والسلام وعقائد الخير وانسجام الإنسان مع ما أراده الله فى الطبيعة ، فهى إلى فناء وزوال فى غدها مهما غنيت فى أمسها وحاضرها !

## نعمة تستحيل إلى نقمة

وهذه الحضارة نعمة عظيمة لا يكدر صفوها إلا الطيش والجشع بينها ؛ لأنها حضارة جعلت للانسانية قدرة على تحقيق أحلام السيطرة والتغلب على كثير من قوى الطبيعة ، وكشفت للبشر عن مدى قدرتهم التى صارت لا يقاس بها ما كان لآلهة الخرافة عند القدماء من قدرة على التكوين والتخريب . فلماذا يصرون على الحروب والخصام بعد أن صار فى حروبهم من الهول والدمار ما يسحق جذور الحياة نفسها ، وبعد أن وضح لهم أن الأرض دار واحدة لهم جميعاً وأن خيراتها كافية لأن ينعم بها الجميع ويتمتعوا ما وسعتهم القدرة على المتاع ؟ !

إن ذلك طيش وسفه يجب أن ينهض لمقاومته العصبة ذوو القوة من المفكرين والمربين ودعاة السلام فى الشرق والغرب وأن يصدعوا بذلك ، كل فى محيطه ووطنه والعالم .

وهذا ما أراده عزام باشا حين أخرج بحوث هذا الكتاب الذى لا شك فى أنه ضوء عريض سيكشف للعالم جميعه مدى ماعند وارثى «الرسالة الخالدة» من فهم وإدراك وعلاج لمشكلات الفكر والعيش والسلم والحرب والاجتماع ، وما لديهم من استعداد عظيم للمشاركة فى إقامة حياة كريمة بين الناس جميعاً ؛ ومدى ما فى طبعهم من سماحة تؤهلهم أن يكونوا بحق « الأمة الوسط »لا فى المركز الجغرافى وحده ، بل فى المركز الفكرى كذلك

## مسألة المسائل

والمسألة الدينية هى أعظم مسائل الحياة قيمة وتشويقاً وإثارة للجانب السامى فى النفس البشرية وللتفكير والرجاء والرغبة والرهبة ، وقد كانت ولا زالت محور بحوث العقول المفكرة وعقول الجمهرة ، لأنها تتصل بأعماق الفطرة ويترتب عليها قيمة الحياة وقيم الحق والخير فيها ، ومعرفة المصدر والغاية منها ، وما برحت « ما نحن ؟ وما الكون ؟ ومن أين ؟ وماذا وراء الطبيعة ؟ وما هى الغاية ؟ » أسئلة خالدة تثيرها القوى المفكرة فى كل فرد ، وهى موجهات الحياة ومكيفاتها ، تضل الجماعة البشرية أو تهتدى حسب توفيقها فى الإجابة عليها . وهذا الكتاب يعالج الحياة الإنسانية ومشكلاتها بتثبيت جذور هذه المسألة الدينية وتفريع فروعها فيتمشى بذلك مع طبيعة الشرق واتجاهاته من قديم ، فالشرق دائماً يعالج حياته المادية بالاستمداد من خالق الوجود وواهب الحياة ، ويقيم علاقات الاجتماع على أسس من علاقات الناس والكون بالله . بينما الغرب من قديم كذلك يتمشى مع عقليته المادية ، فهو دائماً الباحث المادى الرهين بالمحسوسات المستوحى جفاف الأرقام ...

ولذلك كان المزاج الشرقى واسع الرحاب برحابة ما يتصوره من عالم الكماليات الإلهية وراء هذه الطبيعة ، طليقاً فى أحيان كثيرة من القيود المادية التى تحبس الخيال وتربطه بالأرض ، يأخذ الماديات لالعبادتها وتأليهها ولكن للتعلق بسبب أسبابها .

## الحاجة إلى حضارة الروح

والدعوة الدينية هذه فى حاجة ماسة إلى الحديث الدائم عنها وخصوصاً فى هذا العصر المادى ، بأسلوب هذا الكتاب الذى رأى المسألة الدينية أكبر معين لبناء الحضارة المادية على أوتاد ثابتة من الإيمان والإحسان ، فاستعان بها أعظم استعانة واستفتى نظرياتها وأفكارها لتطبيقها على التاريخ الحى الذى يحياه الناس الآن ، ليريهم أن منشأ ضلال الحياة الغربية هو ترك الاستعانة والاعتماد على الهدى المجرب من هذه المسألة .

وقد ثبت أن من الخير المؤكد للناس أن يحكموا بحكومة الوجدان والضمير من داخل نفوسهم قبل أن تحكم أجسامهم وظواهر أعمالهم بالقوانين ، لأن حكومة الوجدان راعيها الله المطلع فى كل حين على خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، بينما حكومة الأجسام لاترى إلا ما فى الشوارع ولن تستطيع أكثر من هذا ... ولن تقوم حكومة الوجدان إلا فى ظلال الدين الصحيح الكفيل بإقناع الناس فيما بينهم وبين أنفسهم بقيم الحق والخير والفضيلة ، وبقبح الباطل والشر والإثم والجريمة .

## الفكر والسلطة

والكتاب مثل واضح لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الفكر والضمير والسلطة حتى يكون « فن الحكم » — وهو أعظم فنون الحياة — قد استكمل أدواته فى نفوس الحاكمين والمحكومين

والعلاقة بين الفكر والسلطة هى مشكلة الحضارة فى هذا العصر ، إذ أن المفكرين المؤمنين العالمين بسير الحياة بالأحياء والساكنين فى قمة العلم والخلق لا يزالون بمعزل عن حكم الناس ، قد تركوهم للسياسيين المحترفين والسماسرة والدجالين واللاعبين بالشعوب المنقطعين عن العلم والخلق ، ولا هم لهم إلا الثروة المادية والبطش والخيلاء والغلبة على الأعداء ..

والذين يعرفون المؤلف يشهدون فى إجماع أنه من نوابغ المفكرين المؤمنين السياسيين العمليين والآملين فى آن واحد . ولذلك وفق غاية التوفيق فى أن يكون كتابه كتاب تربية وتهذيب ودين وسياسة وإصلاح اجتماعى ، وفقه فى العلاقات الدولية ، ومعالجة أسباب المشكلات العالمية ، ووضع نظام عالمى جديد .

فهو كتاب من الكتب المتفردة التى يخرجها عمالقة الفكر والخلق الذين يلتقى فيهم العقل والقلب ذلك اللقاء المنشود المحبب الجميل ، ليفرقوا بها أمراً حكيما من أمور باطلة ، يضعونه على طريق الانسانية فى مرحلة من مراحل تاريخها ، فيكون مناراً يضىء مسالك الخطى حين تختلط الطرق وتضل الاتجاهات ويحتاج الناس إلى صوت يقول لهم : من هنا الطريق ...

## المدخل

ودعونا الآن نلج إلى الكتاب من أبوابه الستة ذات الفصول الثلاثين لنتعرف إلى أمهات مسائله فى إلمامة خاطفة ونظرة عابرة إن فاتها التعرف إلى الدقائق فلن يفوتها التعرف إلى الجلائل :

الكتاب كما يتضح من عنوانه « بحث فى رسالة الله الواحدة الخالدة على مدى الزمن ، واقتباس من هداها فى الاجتماع والسياسة والحرب والسلم والعلاقات الدولية ، لإزالة أسباب الاضطراب العالمى وإمداد الحضارة بسند روحى فى إقامة نظام عالمى جديد » وقد أوضح المؤلف فى مقدمته أن الذى دعا إلى تناول موضوعاته هى حالة الشذوذ والاضطراب أثناء الحرب الأخيرة والرغبة فى الكشف عن أسباب هذا الاضطراب العالمى ، ومحاولة إيجاد علاج له بعد أن تبين أن هذا العلاج غير ميسور فى هدى الدعاوى المبادئ السارية فى هذا القرن ، والتى أوحت بها المدنية المادية الحديثة . فلا بد إذاً من النظر بجد لالتماس الهدى فى غيرها بعد أن ظهر عجزها فى تنفيذها الواقعى بأوروبا وأمريكا .

فهل هذا العلاج فى الرسالة الخالدة التى تعاقب رسل الله على الدعوة إليها وجاء بها إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد .

وقد تولى الكتاب الإجابة على ذلك ، وهو إن كان أفاض فى التعرض لشرح وجهة النظر الإسلامية باعتبارها آخر تطور للرسالة الخالدة « فإنما قصد بذلك إلى التعاون والقربى لا التنابذ والتفرقة وأن يجد الناشئ الجديد المتعطش إلى المعرفة والطالب للهدى من المسلمين وغير المسلمين ، مادة للتفكير وسبيلا إلى رأى عالمى مستقيم بعد هذه الحروب المدمرة التى أثارت اضطراباً لا نظير له » واضعاً نصب عيون المسلمين وغير المسلمين قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه » .

وهو يهيب بالجيل الناشئ من العرب « أن يكونوا أهلا لحمل هذه الرسالة يمدون الحضارة والعلم بالسند الروحى الذى لا بد منه لعالم جديد متضامن متعاون على تثمير خيرات الأرض متجه نحو دولة عالمية واحدة تبارکها يد الله ويرعاها رضاه » .

( يتبع ) **عبد المنعم خلاف**

# فهرس مفصـــــل

## لكتاب « فى أصول الأدب » الذى ظهر هذا الأسبوع

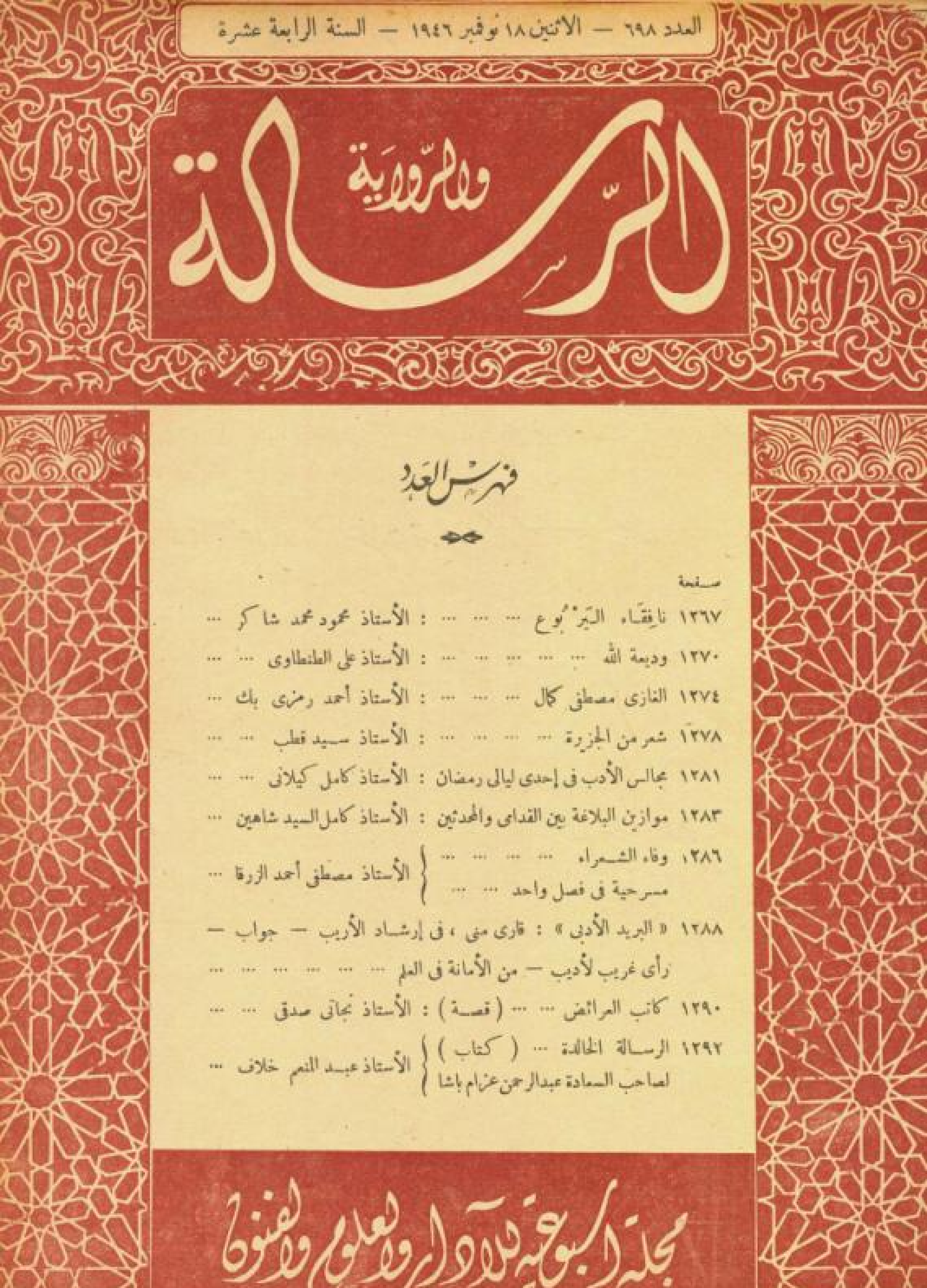
## المحاضرات

صـفحة



## المقـــــالات





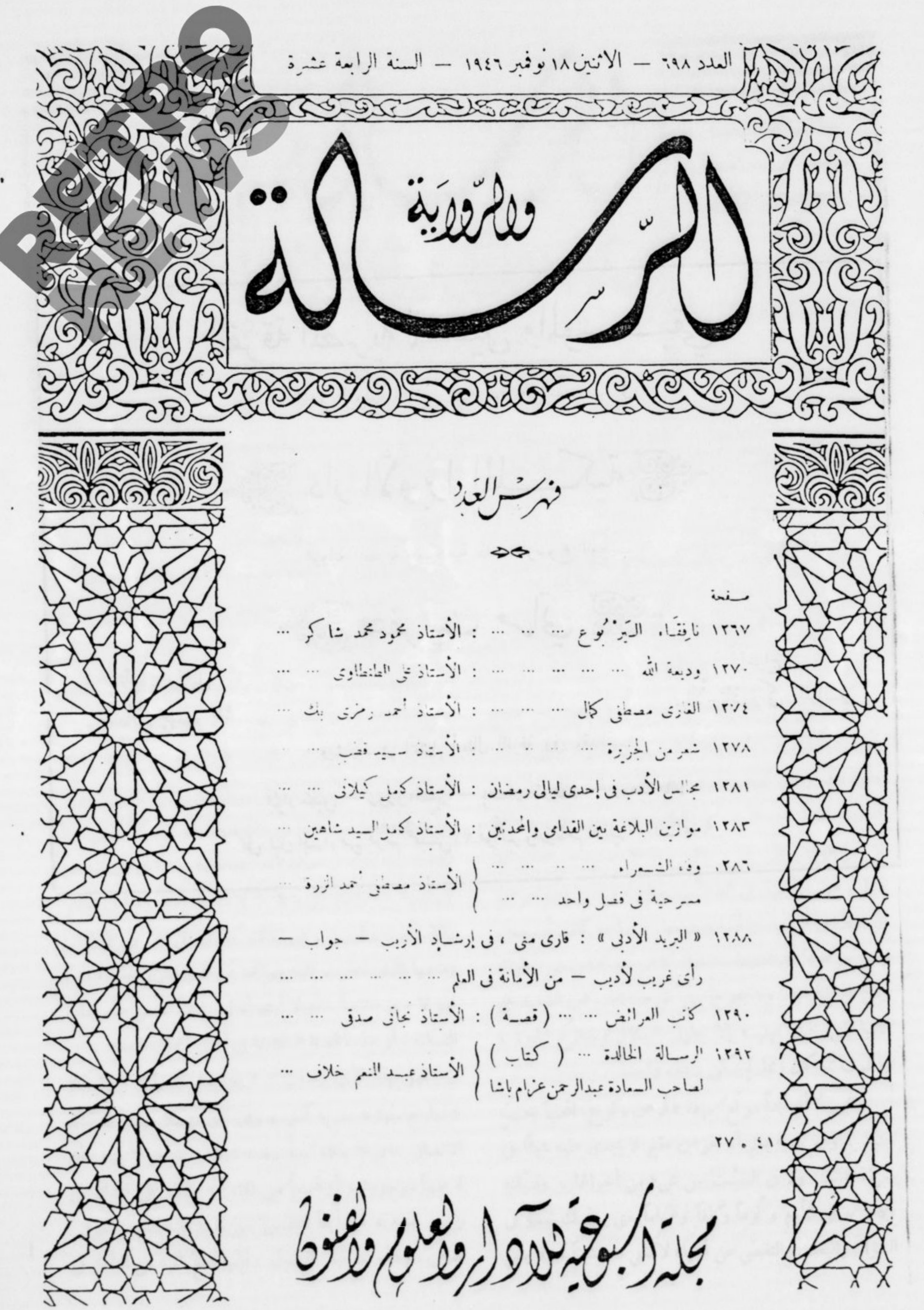
العدد ٦٩٨ — الاثنين ١٨ نوفمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

# الرسالة والرواية

## فهرس العدد



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ٦٩٨ — الاثنين ١٨ نوفمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

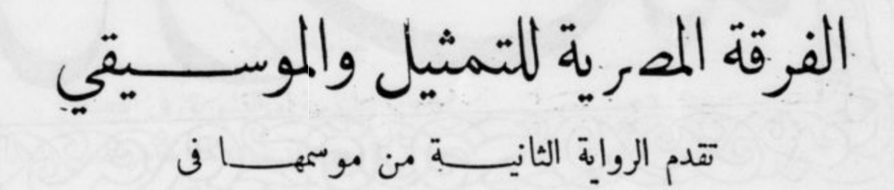
# الرسالة والرواية

## فهرس العدد



٢٧٠٤١

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون



# الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقي

تقدم الرواية الثانية من موسمها فى

## دار الأوبرا الملكية

الرواية المصرية الفكاهية ذات الموضوع العجيب

## عفريت مراتي

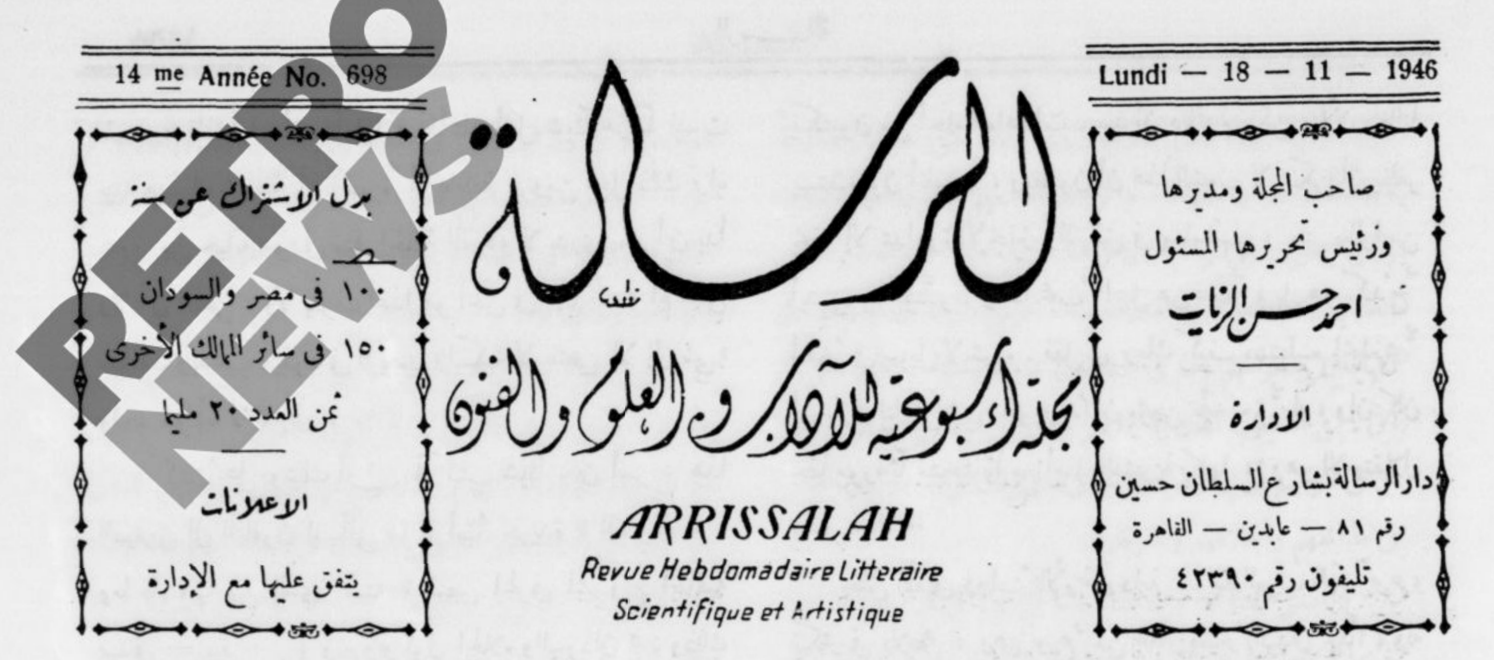
تأليف وتمثيل
سليمان نجيب بك

إخراج
الأستاذ زكى طليمات

ويشترك فى التمثيل أبطال الفرقة وفى مقدمتهم

**فؤاد شفيق — زوزو الحكيم — إحسان شريف — روحية خالد**

**كل ليلة ابتداء من يوم الخميس ٢١ نوفمبر والأيام التالية — الساعة ٩**






العـدد ٦٩٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٤ ذو الحجة سنة ١٣٦٥ — ١٨ نوفبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

# نافقاء اليربوع

للأستاذ محمود محمد شاكر

لى صديق ، أطال الله بقاءه ، يعيش فى الدنيا وهو خارج منها . هذا غاية نعْته وصِفته : « يعيش فى الدنيا » وهو حريص عليها ، لا حرصَ البخيل الذى يجمع المال ، ولا حرصَ المستمتع المستهتر باللذات ، ولا حِرْصَ الطامح الطامع فى الخلود — كلا بل هو حرصٌ على حِدَته وعلى حِياله لا يُشبهه فى الناس إلا قليل . هو حِرْصٌ على التعجُّب منها ومما فيها ، وهو حرصٌ على النظر فى الأشياء والحيرة فى فهمها — واضحة كانت أو مبهمة ، وهو حِرْصٌ على استيعاب الحياة كما هى عند الناس من نُظرائه ومن غير نظرائه . ولا يخرجُ من كل هذا الحِرْص الشديد على الدنيا التى تحت عينيه إلا بطول التساؤل وبتنازُع الحيرة ، وبالخوف مما كان ومما لم يكن . هذه واحدةٌ .

وعجيبٌ أنه أبداً مولَعٌ بهذا الحرص ولَوعَ المحبِّ بحبٍ جديد . وهو نفسه يعلم أنه حرص عقيم لا يجدى عليه شيئاً فى معرفة الدنيا ولا فى التثبُّت من شىء من أحوالها ، ولكنه يزدادُ به على الأيام وُلوعاً وكلفاً وغراماً حتى يستهلك نفسه فى السؤالِ والبحث والتقصّى عن أشياء لا تغنى عنه شيئاً ، ولا يغنى عقله فى إدراكها ، ولا يغنى قلبه فى الإيمان بشىء منها . وهو يأبى أن يُلقى عن كاهله هذا العبء الثقيل الفادح ، وإن كان يثق كل الثقة بأنه شىء لا جدوى من حَمْله ، ولا من الصَّبر على بلواه . هذه ثانيةٌ .

وثالثة الأثافى ، كما قال أسلافنا ، أنه إنسان حىُّ النفس قابلٌ للتلقّى ، فكل شىء من حوله يثير فى نفسه الفضول ، وينشُر عليه ذلك الحرصَ الشديد على المعرفة — مجديةً كانت أو غير مجديةٍ ، لا يبالى . فإذا هو كالمغموم إذا اعترضه ما يعوقه عن الاستقصاء . وأشدُّ من ذلك هولاً أنه لا يكادُ ينسى شيئاً مما ائتمنَتْه نفسه على استقصائه ، إذا قطعه ذلك العارض البغيض إلى نفسه ، فإذا عادَ إلى ما لا بدَّ له منه عاد أشدَّ رغبة فى النفاذِ والاستقصاء والبحث . فهو بذلك مُعَانٌ على الحرصِ على الدنيا وما فيها بالتى انطوت عليه جوانحه ، وبالذى فطرت عليه نفسه ، فهو لا يرى خلاصاً ، أو لا أرى أنا له خلاصاً ، من هذه العادة المتمكنة ، أو هذه الخصلة الكامنة فى أعمق أعماق طبيعته .

فهو بهذا الذى وصفت : « يعيش فى الدنيا » ، ولكنه « خارج منها » بشىء آخر ، وإن كان متصلا بهذا كله أشد الاتصال . فهو لا يكاد يُعبأُ بنفسه شيئاً ، بل هو لا يعرف أن له نفساً موجودة ، أو أصح من ذلك أنه يشك كل الشك فى وجود نفسه ، فهو أبداً مختلَسٌ من نفسه بالبحث عن نفوس الناس . وهذه مَسْلَبة الفضول ، فإنها تمنعُ المرء عن التأمل فى

نفسه ، فإذا أراد أن يتأملها فكأنما يتأمل شيئاً غريباً ليست بينه وبينها وشيجةٌ أو آصرةٌ أو عاطفة . ومن أجل ذلك تراه يدور من حياته هو فى مثل الحلقة المفرغة لا يدرى من أين بدأ ولا أين انتهى ، ولا يعرف أهذا هو الحق فى فهم نفسه أم الحق سواه . ويذهب ويعود فى البحث ولكنه لا ينتهى إلا إلى شىء واحد هو أنه لا يدرى .

كنتُ على وشك أن أكتب شيئاً حين أسرع هذا الصديق إلى التلفون ليسألنى هل قرأتُ جريدة « المصرى » ، وما جاء فيها من الذى سمّته « النص الحرفى لمشروع اتفاقية صدقى — بيفن ، ولبروتوكول الجلاء والسودان » : وذلك فى عدد الأحد ١٠ نوفبر سنة ١٩٤٦ ، وكنت قد فرغت لساعتى من قراءته ومن التعجب لما جاء فيه . وأنا لا أستطيع أن أطمئن إلى نصٍ مختَلس لا أدرى أحقٌ هو أم باطل ، ولكنى قرأته فإذا لم يكن هو النص فكأنه هو ، لأنه أشبه مُمَوَّجٍ بحقيقة العوج . ولا أظن أن الانجليز يبلغ بهم صدق الطبيعة أن يقولوا فى السياسة شيئاً على وجهه وعلى استقامته ، فلذلك خُيِّل إلىّ أن فى هذا النص طرفاً من الحقيقة الدالة على طبيعة الاعوجاج فى ألسنة هؤلاء الساسة الإنجليز ، ولست أعجل إلى مثل هذا النص المختلس فأقول فى عبارته قولا ، فإن العجلة فى مثل هذا شىء لا غناء فيه ، كما لا غناء لك فى إقناع الإنجليز بأن الحق الذى لك هو حقك ، إذا كان الإنجليزى يرى أنه ليس حقاً لك ، وإن ظاهرتك الدنيا كلها على حقك .

ونحن منذ كانت سنة ١٩١٩ أخذنا نجهل كيف يعاملُ هؤلاء الناس ، فإن ذلك الخطَل الذى ضَرَب على آذاننا وأبصارنا وقلوبنا ، والذى يسمونه « المفاوضة » قد جرّفنا فى عُباب مُتلاطم من الحيرة والضلال ، فما نكاد نبصر ولا نعى ولا نعقل شيئاً من حقيقة هذا الشعب الإنجليزى أو ساسته الذين يتصرفون فى أمور الدنيا كأنهم وارثوها وأصحابها الذين تلقّوا مقاليدها من يدِ الله القدير العزيز . وكنت أظنّ أن التجارب قد حنّكت رجالنا فعرفوا مواعيد هؤلاء القوم ، وادركوا كيف تكون مواثيقهم منذ علا أمرهم فى الأرض ، وكيف كان تاريخ معاهداتهم منذ كان لهم شأن فى هذه الدنيا يكتبونه من أجله المعاهدات . بيد أن ذلك لم يكن ، لأن رجالنا يستضعفون أنفسهم ، ويظنون أن هذا الشعب لا يمكن أن يظفر بحقه إلا بمداورة الإنجليز والترفق فى معاملتهم ، حتى ينالوا من أيديهم ما تيسَّر ! وهذا عجبٌ ! بل هو غفلةٌ ، بل هو كدحٌ أحمقُ فى سبيل لا شىء . فقل لى بربك كيف يستطيع إنجليزىٌ أن ينزل لنا عن شىء هو يريدُ أن يؤمن بأنه حقٌ له ، وإن كان حقاً موروثاً متحدّراً مع أصل البشرية كلها ، وهو الاستقلال والحرية ! ...

خلق الله فى دوابّ الأرض دابة يسميها العرب اليَرْبُوع ، تكثر فى بلادهم ، وهى نوعٌ من الفأر قصيرُ اليدين جدًّا ، وله ذنب كذنب الجُرَذ يرفعه صُعُداً ، وفى طرفه شِبْه النُّوّارة . ولهذا اليربوع أسلوب فردٌ فى حياطة نفسه وأموره ، حتى إنه يتخذ لعشيرته رئيساً يقف حارساً على جحرة اليرابيع يحميها ، فإذا قَصَّر فى الحراسة ، وهجم على اليرابيع من جراء غفلته وإهماله هاجمٌ أفزعها أو أضرَّ بها ، انقلبت على ذلك الرئيس فقتلته وأقامت غيره مقامه . ويتخذ كل يربوع منها جحرةً يلوذ بها ، ويجعلها سبعةً لها سبعة أبواب . فيبدأ أول ما يبدأ بالجحر الذى يسمونه « الرَّاهطَاء » فيغطيه بالتراب حتى لا يبقى منه إلا على قدْر ما يدخل الضوء منه إلى جحره هذا ، ثم يحتفر جحراً يسمونه « الحَاثِيَاء » يحثو عنده التراب برجليه ليخفى مدخله . ثم يحتفر آخر يسمّونه « الدَّامَّاء » لأنه يُدَمِّمه بتراب نَبِيثَته حتى لا يَنْفذَ منه عدُوّ ، ثم ينشىء جحراً آخر يقالُ له « العانقاء » يملؤه تراباً ، فإذا فجأه مايخاف اندسَّ فيه إلى عنقه . ثم يَحْفر « القاصِعاء » وهو جحرٌ يسدُّه سدًّا محكما لئلا يدخل عليه منه حيّة أو دابة . ثم يحفر « النافقاء » ويجعل على فمه غشاء رقيقاً ، فإذا أُخِذ عليه بقاصعائه عدا إلى هذه النافقاء فضربها برأسه ونفق منها ومرق خارجاً . ثم يجعل سابع سبعة جحراً يقاله له « اللُّغز » يجعله بين القاصعاء والنافقاء ، يحفره مستقيما إلى أسفل ، ثم يعدلُ به عن يمينه وشماله عُرُوضاً تعترض ، يُعَمِّيه ليخفى مكانه بذلك الإلغاز ، فإذا طلبه طالب بعصاً أو سواها نَفَق من الجانب الآخر

أفرأيت إلى كل هذه الحيطة وكل هذا التدبير ! فلا تعجبْ

فإنك واجدٌ فى الخُلق الإنجليزى أكثر من هذا مداورةً وتفلُّتاً وإلغازاً ومراوغة . والإنجليز أنفسهم يعلمون أنهم كذلك وأنهم يخفون فى سرائرهم ما لو اطلعْت عليه لاستصغرت من احتيال هذه الدابة ما استكبرت . ومن أراد أن يدخل على الإنجليز جحرتهم وقع فى متاهة لا يدرى معها من أين ولا إلى أين . فمن العجيب الذى لا ينقضى عجبه أن يظن رجالٌ من رجالنا أن فى طوقهم أن يراوغوا الإنجليز فيستولوا على جحرتهم المحتفرة فى طبائعهم وأخلاقهم وعقولهم .

إن معنى المفاوضة والمعاهدة بيننا وبينهم هى أن يسعى الانجليز جُهدهم حتى تطمئن إليهم ، فإذا فعلت أخذوا بيدك وقادوك إلى مثل جحرة اليربوع ، فيدخلون بك من واحدٍ إلى ثانٍ إلى ثالث ، حتى إذا خُيل إليك أنك قد تمكنت منهم «نفقوا» من نافقائهم بأسهل مما كنت تتصوَّر . وهكذا شهدنا وعرفنا وخبرنا منذ احتلوا بلادنا فى سنة ١٨٨٢ ، فوعدوا الدنيا كلها — لا نحن وحسب — بالجلاء الناجز ، ولكنه ظلَّ وعداً إلى هذا اليوم . وجاءونا اليوم يعدوننا أيضاً أن يَجْلوا عنا بعد عام أو عامين أو ثلاثة — أيُّ ذلك كان . فمن الذى يصدّق هذه اليرابيع ؟ ومن شفيعهم وضمينهم فى كل هذا ؟ أهو الخطُّ المكتوب ، أم اللفظ المنطوق ، أم سوابق العهود المؤكدة والمواثيق الغليظة !!

إنها لغفلةٌ أن يرى امرؤ نفسه أقدرَ على خديعة هذه اليرابيع من قدرتها هى على خديعته . وليس يعلم شيئاً من ظن أن الإنجليز ينفضون أيديهم من شىء هو كائن فى أيديهم . فالإنجليز يرابيعُ بالطبع والممارسة ، حتى إن « النِّفاق » الذى علمته فى أخلاق اليرابيع ، قد صار أيضاً خُلُقاً من أخلاقهم يشهدون هُمْ به على أنفسهم ، ويشهدُ عليهم به تاريخهم منذ كان لهم تاريخ . وهذا النفاق المطبوع هو الذى جعلهم أقدر شعوب الأرض فى كل شئون السياسة . وما مواعيدهم ، ولا معسول ألفاظهم ، ولا روعة دعوتهم إلى الحرية ، ولا كمال إخلاصهم فى تحرير الجنس البشرى من غوائل النازية ، ولاصبرهم على المكاره فى سبيل المثل الأعلى للانسانية — كل ذلك ليس ببعيد عنا فى زمن الحرب الماضية . لقد نطقوا بكل شىء ، ولكنهم لم يحققوا شيئاً مما نطقوا ، فكيف نرضى لأنفسنا أن نؤمن بأنهم فاعلون

معنا شيئاً لم يردّهم خجل ولا حياء عن نكث مثله وإخلافه ، بل أكبر من ذلك أنهم فعلوا نقيضه ودافعوا عن فعله بمثل القوة والبلاغة التى كانوا يزيّنون بها لأمم الأرض أن تعينهم فى أيام محنتهم وبلواهم !

ومن عجائب الإنجليز أنهم يعلمون علماً ليس بالظن أنهم معتدون متغطرسون ظالمون ، يأكلون الحقوق أكلا لا يرعون فيه حرمة ولا ذمة . ومع ذلك فهم من طول ممارستهم للنفاق قد انتهوا إلى أن أقنعوا أنفسهم بأن هذا الاعتداء وهذه الغطرسة وهذا الظلم ليس له وجود حقيقىّ ، بل العكس هو الصحيح ، وهو أنهم وحدهم دون سائر العالمين أهل العدل والنَّصَفة والتواضع ، وأنهم هم الذين جاءوا إلى الدنيا ليردوا الحقوق إلى أهلها ، وأنهم هم القُوَّام على هذه الرسالة السامية . ولذلك ترى كلام رجالاتهم كلاماً نيّراً مضيئاً فاتناً ساحراً إذا عرضوا لمعنى الحرية وما أطافَ بها ، ويُخيل إليك أن إيمانهم بهذه المثل العليا إيمان لا يعتوره نقصٌ . وهذا حق ، ولكنهم إذا جاءوا إلى تنفيذ مايقولون رأيتهم أهل بغْى وعُدْوان فيما ترى ويرى الناس ، ولكنهم هم يصرُّون على أن هذا هو الحق الذى لا محيصَ لك ولا للناس عن الأخذ به ، تقول : وإن كان بغياً وعدواناً ، فأقول : وإن كان بغياً وعدواناً !

والانجليزى يرى أن هذه الأمانة التى حُمِّلها هى الأمانة ، وأنه مؤدِّيها على وجهها ، فإن أنت خالفته وزعمتَ له أنه يجورُ عليك جوراً عبقرياً قال لك : إنك شديد المماكسة مولَعٌ بالجدال ، ويحاول أن يبسُط لك الأمر بسطاً حتى تقتنع بأنه غير ظالم ، بل هو العادل الذى لا يعرف العدل أحدٌ سواه . ومن شاء أن يناقض هذا الذى أقوله فلينظر إلى حُجَّة هذا الشعب فى موقفهم أو احتلالهم للهند ، وفى احتلالهم لمصر من أجل الهند . فالهند مستعبدة ظُلماً وجوراً ، وهم يريدون أن يحللوا بقاءهم فى مصر ، لأن فيها قناة السويس ، وهى التى تؤدى أو تسهل الطريق إلى بلاد الهند . فإذا خرجت القناة من أيديهم كان ذلك وبالا مستطيراً على مصالحهم فى الهند ! فينبغى عندهم أن ترضى مصر بالأمر الواقع ، وهو بقاؤهم حراساً على القناة ، لئلا تضيع مصالحهم فى البلاد التى استعبدوها واستذلوها وأفقروا أهلها وأكلوا أموالها

وأعروْا ذَرَاريها ، وهتكوا الستور عن أحرار نسائها . ياله من منطق ! وهل فى طاقة أحد أن لا يقتنع برأيهم فى حفظ كيان هذه الامبراطورية الضخمة ! كلا بل ينبغى أن يُطيع العالم وأن يَسمع . فلو أن الإنجليز فرَّطوا لهوَى العلم البريطانى إلى الرغام فى أرض الهند ، ولبقيت الهند عارية لا تجدُ هذا الدفء الحلو اللذيذ ، ولا هـذا الظل الوارفَ الناعم الذى ينشره عليها علم بريطانيا !

فحدثنى أيها الصديق ماذا تريد بعد ذلك أن أقول لك فى هذه المعاهدة التى تريد إنجلترا أن توقعها مصر راغمة أو راضية ! دَعْ عنك الحيرة ، ودع عنك تقلب الرأى ، واختر لى أنت رأياً أصير إليه . وإلا فإنى أقول لك كما قلت دائماً : إن المعاهدة بيننا وبين بريطانيا ، هى أن ندخل معها فى جُحر اليربُوع حتى إذا استقرَّ بنا المقام قليلا « نفقت » كما يمرق اليربوع من نافقائه إذا سُدَّت عليه المسالك !

**محمود محمد شاكر**

---

**من التاريخ الاسلامى :**

# وديعـــة الله (*)

### للأســتاذ على الطنطاوى

[ إلى أصدقائى وتلاميذى فى بغداد ، ولا سيما الأحبة على طريق الأعظمية ليذكرونى بهذه المدية كما أذكرهم دائما ]

« على »

كان فتى من أبناء التجار ، بارع الفتوّة ، واسع الغنى ، قد جمعت له اللذائذ ، وسيقت إليه المنى ، دكانه البحر تنصبّ فيه جداول الذهب ، وداره الجنة تجرى من تحتها الأنهار ، وفيها الحور العين ، خمسون من الجوارى الفاتنات اللائى حملن إلى بغداد من أقطار الأرض وحشدن فيها ، كما تحمل إلى مخدع العروس كل وردة فاتنة فى الروض ، وزهرة جميلة فى الجبل ...

ولـكنه لم يشعر بنعيم الحياة ، ومتعة العيش ، حتى اشترى هذه الجارية بخمسمائة دينار ، وكان قد رآها فى سوق الرقيق فرأى جمالا أحلى من أحلام الحب ، وأجمل من بلوغ الأمانى ، وأطهر من زنبقة الجبل ، فهام بها هياماً وزاد فيها حتى بلغ بها هذا الثمن ، وانصرف بها إلى داره ، وهو يحسب أنْ قد حيزت له الدنيا ، وأمتع بالخلود ، واشتغل بها وانقطع إليها ، ولم يعد يخرج إلى الدكان إلا ساعة كل يوم ثم لا يستطيع أن يصبر عنها ؛ ويزلزله الشوق إليها ، وتدركه هواجس الحب فيغار عليها ، لا من الناس فما يصل الناس إليها ، بل من الشمس أن تلمحها عين الشمس ، ومن النسيم أن تلمسها يد النسيم ؛ ويشعر بهذه الغيرة المحرقة فى قلبه ، فيُهرع إليها ليطفئها بلماها ...

لقد صار هـذا الحب مصدر لذته ، وسر حياته ، ما كان يدرى من قبله ما اللذة وما الحياة ، وما كان يحسّ أنه يعيش حقاً وأن له قلباً ، وما كان يدرك من قبله بهاء النهار ، ولا فتنة الليل ، ولا سحر القمر ، كان ذلك عنده كالألفاظ بلا معنى ، يفهم منه ما يفهمه الأعجمى إذا تلوت عليه غزل العرب ؛ فلما عرف الحب أدرك أن وراء هذه الألفاظ معانى تهز الفؤاد ، وتستهوى القلب . وكان يمشى فى طريق الحياة كما يمشى الرجل فى النحف المظلم فطلع عليه هذا الحب نوراً مشرقاً أراه هذه التحف الفاتنات وهذه الروائع ...

***

وتتالت الأيام ، وزاد إقبالا عليها وإعراضاً عن الدكان . وكان يبصر دنياه تدبر عنه ، وتجارته تذوب فى ضرم هذا الغرام كما يذوب الثلج ، وتتبدد كما يتبدد الندى فى وهجِ الشمس ، ولـكنه لا يكره هذا الحب ولا ينفر منه ولا يزداد إلا تعلقاً به وتمسكا بأهدابه . وكان كل ما فى الحياة من متع ، لا يعدل عنده لحظة واحدة من لحظات الوصال ، وذهب الأرض كله لا يساوى هناءة من هناءات الحب ، فكان يترك البائعين والمشترين ويسعى إليها ليشترى منها اللذاذات والقبل .

وكانت كلما نصحته وأرادته على العود إلى تجارته قال لها : مالى وللمال ؟ أنت مالى وتجارتى ومكسبى ، فلا تستطيع أن تفتح فمها بجواب لأن شفتيه تقيدان فمها فلا ينفتح !

***

(*) كتبت لتذاع من محطة الشرق الأدنى فى يافا وأصل القصة فى الفرج بعد الشدة للقاضى التنوخي فى أوائل الجزء الثانى فليرها القراء .

وأصبح الرجل ذات يوم فاذا التجارة قد بارت ، وباد المال ، وذهب الأثاث ، وبيعت الجوارى ، ولم يبق فى يده شىء يباع ؛ فأقبل ينقض الدار ويبيع أنقاضها ، ولم يأسَ على ذاهب ، ولم يحسّ بفقد مفقود ، فقد كان يلقى الحبيبة ، ويجد فى حبها غذاءه إذا جاع ، وريّه إذا عطش ، ودفئه إذا برد ، وفى وجنتيها ما يغنيه عن الأوراد ، وفى ثناياها بديلا من اللآلئ ، وفى ريقها عسله المصفّى ، وخمره المعتق ، ومن ريحها عطره الفواح ، وفى صدرها دنياه وآخرته ، ويرى الدار الخالية معها قصراً عامراً ، والصحراء روضة مزهرة ، والليل المظلم معها نهاراً مضيئاً ...

وأثمر الحب وجاء الحصاد ، ولكنه قد خالف موعده ، فلم يجىء فى الربيع الطلق ، ولا فى الصحو الجميل ، بل قدم فى الشتاء الكالح ، والأيام القاتمة الدكناء أيام الفقر والعوز؛ وأخذها المخاض فجعلت تتلوى من الألم على أرض الحجرة ، وما تحتها إلا حصير تقطعت منه الخيوط ، وفراش بلى وجهه وتناثر قطنه حتى اختلط بالتراب ... وطال عليها الوجع وهو واقف أمامها يحس أن ألمها فى ضلوعه ، وأن كل صرخة منها سكين[1] محمى يحز فى قلبه ، ولكنه لا يملك لها شيئاً ، وقالت له بعد أن عجزت عن الاحتمال :

— إنى أموت ... فاذهب فاحتلْ بشىء تشترى به عسلا ودقيقاً وشيرجاً[2] ... اذهب وعجل ، فانك إذا أبطأت لم تجدنى .

***

وخرج ... وصار يعدو كالمجنون ... أين يذهب والليل قد مالت نجومه ، والناس نيام فى دورهم ، ولا يجد من يلجأ إليه ، فقد فصله الحب عن الدنيا وصيّره غريباً فيها ، ليستْ منه ولا هو منها ، وكذلك يصنع الحب ! وجعل يهيم على وجهه حتى بلغ الجسر ، جسر بغداد ، وكان الليل خاشعاً ساكناً ، والناس قد أمّوا بيوتهم ، وأنسوا بأهليهم ، وهو الوحيد الشارد لا أهل له إلا التى خلّفها تعانى سكرات الموت ، وعجز عن إسعادها ؛ ولا دار له إلا هذه الخربة التى فرّ منها . لقد كانت هذه المرأة حظّه من دنياه ، وها هى ذى تموت فلا يبقى له فى دنياه حظ ، وكانت هى نورَها فلن يبقى له بعدها من نور . وتصور الوحشة المخوفة ، والوحدة المرعبة التى سيقدم عليها إن وكّلت عنه هذه المرأة التى كان يعيش بها ولها ، ونظر إلى ماء دجلة يجرى أسود ملتفاً ببرد الليل ، فأحب أن تواريه أحشاؤه ، وتراءى له الموت حلواً فيه متعة اللقاء ، وأنَسة الاجتماع ...

وعاد فذكر آلام الحبيبة وانتظارها ، وعجزه عن معونتها وإسعادها ، فتوجه إلى الله ودعاه من قلبه صادقاً مخلصاً وقال : « يارب ، إنى استودعتك هذه المرأة وما فى بطنها ... » ، وهمّ بالقاء نفسه فى الماء ، وفكر فى الموت فوارت صورته أحلام الحب وصوره ، ولم يعد يرى إلا هذه الهوة التى سيتردّى فيها ، وتسلق درابزين الجسر فأدركته حلاوة الروح فراح يتصور برودة الماء ويفكر فى الموت هل يأتيه مهلا هيناً ، أم هو سيذيقه العذاب ألواناً ، وحاول أن يتذكر ما سمع عن الغرقى وهل يختنقون عاجلا أم يبطىء عليهم الموت ، وذكره هذا العذاب بعذاب الله يوم القيامة ، أليس الله قد حرّم الانتحار ؟ أليست هذه النفس ملكا لله وحده أودعها جسده أمانة ليستردها متى شاء ليست له هو ولا يملكها ، وليس هو الذى خلقها وأبدعها ، وذكر أنه توجه لله واستودعه حبيبته فكيف يلقى الله آثماً ويسأله عونها وحفظها . وتنبه إيمانه فتردد ، ووقف ... ثم عاوده التفكير فى حياته بعد اليوم ، وكيف تكون إن ذهبت منها متعة الحب ، فرجع إليه يأسه وقنوطه وعزم عزماً مبرماً على الموت ، وأغمض عينيه وخفق قلبه من هول ما يقدم عليه ، وكاد يقفز ولكن ... ولكن يداً لم يطق لها دفعاً ، ولم يملك معها حراكا أمسكت به ... ذلك هو صوت أخذ أذنيه من بعيد ، ثم امتد حتى بلغ الأفق الذى أطلّ منه الفجر والأفق الذى انغمس فيه الليل ، ثم غمر النهر والشاطئين والمدينة ... فأحسّ به يشرق على نفسه كهذا الفجر فيبدد ليلها ، ذلك هو صوت المؤذن ، ينادى فى صفاء الليل وإصغاء الدنيا ، أجلّ وأجمل نداء اهتز به هذا الفضاء ومشى فيه : « الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله » .

وسمع : « حى على الصلاة ، حى على الفلاح » فرأى فيها مجد الآخرة بالعبادة ، ومجد الدنيا بالنجاح ، وصبت القوة والعزم فى أعصابه فعدل عن الموت ، وأقبل يسعى فيما جاء له ، ولكنه لم يجرؤ ( على هذا كله ) أن يعود إلى الدار ، وحدثه قلبه أن

(١) السكين مذكر وحكى فيه التأنيث

(٢) دهن السمسم معرب شيره وعامة الشام ومصر تسميه اليوم السيرج

الفتاة قد ماتت ، فمضى على وجهه تقذفه قرية فتتلقاه قرية ، يضيفه الناس ، وقد كان في الناس سلائق العرب وآداب الإسلام : يضيفون الغريب لا يسألونه من هو ولا يبتغون منه أجراً ولا شكراً ، وجعل يطوى الأرض والأرض تطوى صحائف عمره ، حتى حطَّت به النوى في خراسان .

ولقى من عرفه فيها ومدَّ إليه يده مُسْعِداً ومعيناً فعاد إلى تجارته ... وجعل يفكر لما استقر به المنزل في داره وامرأته والشك يَحِزُ في قلبه ، ويكتب الكتب يسأل عنه وعنها ويستنجد ، ويلح ويتوسل حتى كتب ستة وستين كتاباً[١] ، ولم يرجع إليه جواب فأيقن أنها قد ماتت ...

وأثرى وامتلأت يده بالذهب ولكن قلبه ظلَّ خالياً من الحب . وما كان يوسع فيه الأسى مكاناً لحب جديد ، فكان كما احتواه العشيةَ منزله ، وأغلق عليه بابه جفا عالم الناس وراحت روحه تسبح في عالمه هو ، عالم ذكرياته وماضيه الذى أحبه وافتقده ولم يجد منه بديلا ، فيشعر بحرارة تلك القبل ويسمع وسوستها ويلمس دفء ذلك العناق ، ويستروح نسيم تلك الدار التى كانت جنة وارفة الظلال ، فيها الروح والريحان وفيها من كل فاكهة زوجان ، فصيَّرها الحب قاعاً صفصفاً ... ولكن تلك الخربة أحب إليه من هذا القصر الذى يعيش فيه اليوم وحيداً لا يؤنسه فيه إلا الذهب ...

وتصرَّمت السنون ، وتتابعت خالية فارغة حتى أقامت بينه وبين ليلة المخاض حاجزاً من الأيام سمكه ثمان وعشرون سنة ، وهبَّت على عمره رياح الخريف ، فذوى غصنه ، وكاد يدركه الجفاف ، فأفزعه أن يموت بعيداً عن بغداد وعن داره التى ثوت فيها الحبيبة ؛ فباع كل ما يملك بعشرين ألف دينار من الذهب واشترى قماشاً وبضاعة حملها إلى بغداد ، وسار في قافلة له ضخمة يؤم دار الوطن ... ولم يكن له من أمل إلا أن يقيم بهذا المال قبراً ضخماً للحبيبة ويجعل فيه له مكاناً ، ولكن الدهر لم يبلغه حتى هذا الأملَ ، فقد خرج على القافلة اللصوص . فنهبوها ، وقتلوا من فيها ، ولم يتركوا منهم أحداً ...

***

ونهض من بين الموتى ، وسار على رجليه وقد تبلَّد ذهنه من عظم الفاجعة حتى ما يقدر على الحزن . ومشى حتى حاذى النهر ، وجعل يمر على مغارس النخيل ، ومشارع المياه ، ومنابت الورد والفل ، وهو سادر ساهم ، كأنما يمشى في حلم ، قد ماتت في نفسه كل رغبة إلا الرغبة في الموت ... وماذا بقى له في الحياة بعد ما فقد الحب وفقد المال ؟ ولكنه لم يشأ أن يموت إلا في داره ولم يرد أن يضمَّ عظامه إلا الثرى الذى ضمَّ أعظم الحبيبة ، حتى يجاورها في الموت كما جاورها في الحياة ، وتحامل على نفسه وقام يجرّ رجليه جراً ، وكلما دنا من بغداد وأحسَّ ريحها انتعش واشتد ، وعاش بذكريات الحب الذى ذهب ولم يبق إلى عودته سبيل ، وآنسه أن يرى مرة ثانية الديار التى شهدت صور هذا الحب ، ولكنه أعيا أخيراً وسقط على الشاطئ ولم يعد يستطيع الحراك ...

وجعل يفكر تفكيراً مبهماً ملتاثاً يقطعه الجوع الذى يفرى أمعاءه ، والتعب الذى يهدّ عظامه ، فيرى أنه كان في حلم وصحا منه ... الدنيا كلها حلم كاذب : الحب ، والمال ، والصحة ، والسعادة ، والمجد ... لا يخلد شيء من ذلك ولا يبقى ... لا يبقى منه إلا ذكرى تبعث آلاماً ، وتثير حسرة ، وتحرق القلب ، وتمنى أن لو كان خلق فقيراً منفرداً ، ما عرف لذة الألفة ، ولا متعة الغنى ، وعادته فكرة الموت التى كانت مرت بذهنه منذ ثمان وعشرين سنة ، ولكن دينه منعه أن يختم حياته بهذه الخاتمة البغيضة وأن يجمع على نفسه شقاء الدنيا وعذاب الآخرة ، وهبت عليه نفحة من نفحات الإيمان فاستراح إليها ، وذكر أنه استودع فتاته الله ، ولا تضيع عند الله الودائع ، وأن وراء هذه الأحداث حكمة بالغة ، وقدراً حكيما . فاطمأن إلى حكمة الله وسلم أمره إليه ووجد لهذا الاطمئنان راحة وشبعاً ...

وسمع صوت بوق يرعد على حاشية الأفق فنظر فإذا (زلال[١]) ضخم قد أقبل عليه ، فلما حاذاه أشار ونادى ، وسأل صاحبه أن يحمله إلى بغداد ، وكان فيه أمير كبير ، ولكن (الديمقراطية) كانت شعار العرب ، وكانت سليقة فيهم ، لا يمنع الأمير مجده أن يقف لفقير سائل ويحمله معه فأدخله الزلال وأطعمه وخلع

(١) كذا في الأصل .

(١) كلمة عباسية مولدة معناها السفينة الحربية .

عليه . ولم يُسائله عن خبره ، لأن النوم قد غلب عليه فهجع كالقتيل قبل أن يسأل وقبل أن يجيب .

ولما أفاق كان المساء قد حلّ ، وكانت بغداد قد بدت ، وسربت الزوارق والسفن على سطح دجلة الفاتن تنشد لهواً وتبتغى لذة ، وتملأ الضفتين نغماً سائغاً ، وحباً ومجداً ؛ وترنحت القصور طرباً ، وانتشت الرياض أنساً ، وتمانق النخيل وتشاكى الغرام . وتراقصت الأمواه من دجلة وتناجت بالحب ، وسكرت السفن وهامت ، وسدرت بغداد فى نشوة الظفر ، وكانت بغداد هى الدنيا وكانت دارة الخلافة ، وكانت عاصمة الأرض ، وكانت منبع العلم والفن ، ومثابة الغنى والترف . وكان فيها الصلاح وفيها الفجور ، وفيها الخيرات وفيها الشرور ، وفيها من كل شىء ... وكذلك تكون الدنيا !

وكان دجلة يسير مَزْهوًّا طرباً . فقد بدأ سيره منذ الأزل ، ورأى الحكومات تقوم وتقعد حتى ملَّ قيامها وقعودها ، وشهد من بأساء الحياة ونعيمها ما زهّده فى نعيمها وبؤسها ، ورأى الأنام حتى كره مرأى الأنام ، ولكنه لم يرَ أياماً أحلى ، ولا مجداً أبقى ، ولا ناساً أنقى وأتقى ، من تلك الأيام وناسها ...

وجاز الزلال بتلك السفن والزوارق الحالمة السكرى كأنه البطل القوى يمر بالحسان فى يوم عرس ، فاجتمع على الصفحة الحب والحرب ، والعز والهوى ، هذا يمثله زلال القائد ، وتلك تمثلها زوارق العشاق ، وكان يمضى إلى غايته مسرعاً كأنه يسابق شعاع الشمس إلى الأفق الزاهى ، وكان هو أيضاً شعاعة من الشمس التى أضاءت الدنيا فى هاتيك الأيام ، فأشرقت على القلوب عاطفة وجمالا ، وعلى العقول علماً وكمالا ، وعلى الإسلام عظماً وجلالا ، وعلى الناس كلهم حضارة وتمدناً وسلاماً وأمناً ، وضوّأت لهم طريق المجهول ، وشقت لهم السبيل الموصلة إلى تحقيق المثل العليا فى المجتمع البشرى ، تلك هى شمس بنى العباس إذ كان بنو العباس سادة الأرض .

وأنزله الزلال على الجسر ، حيث قام تلك الليلة ، فأعاده الجسر إلى ماضيه ، فأحسّ بأن هذه السنين كلها لحظة واحدة ، وأنها صفحة قد سقطت من سفر حياته ، فاتصل ما قبلها بما بعدها ، ورأى الناس من حوله فهمَّ بأن يسألهم درهماً يشترى به عسلا

ودقيقاً وشيرجاً لامرأته التى أخذها المخاض ، وأسرع يريد أن يدركها قبل أن يشتد بها الألم ، ثم انتبه فرأى هذا الحجاب الصفيق من الزمان يقوم بينه وبينها ، ثمان وعشرون سنة ليست يوماً ولا يومين بين دهر طويل ولد فيه ناس ومات ناس ، عمر كامل ... فتهافت وخمدت هذه الشرارة من الأمل التى أضاءت فى نفسه ، وسار محطماً مكدوداً ، يبصر الوجوه من حوله فيراها غريبة عنه لا يعرفها ، ويرى المسالك والدروب فيفتش عن ذكرياته فيها فلا يجدها ... حتى بلغ الدار ونظر فاذا الخربة التى خلّف فيها الحبيبة قد صارت داراً فخمة على بابها الجند والشاكرية فوقف ينظر إليها من بعيد ... هذه داره التى رجع اليها ليتخذ لنفسه من ثراها قبراً قد أنكرته وأعرضت عنه . لقد عاد غريباً فى بيته . منكراً فى بلده . إنه ميت يمشى بين الأحياء . لقد بحث عن أثر واحد من دنياه التى كان يألفها ، فاذا كل شىء قد تبدل ، فلا الوجوه بالوجوه ، ولا الأمكنة هى الأمكنة : فياويح الزمان كيف صنع ذلك كله ! هذا الجبار المخيف الذى يفعل الأفاعيل ، ولا يحس به أحد ولا يبصره ولا يلمسه بيده ... ثم استغفر الله وأناب إليه ، إنه هو الفاعل المدبر ، فلا الزمان ولا الأحداث بقادرة على شىء ، إنه هو وحده الذى يصرف الأكوان .

وولى ليعود فيضرب فى الأرض حتى يموت ، فما يبالى الآن أين يدركه الموت بعد أن حرم آخر أمانيه ، وهى أن يواريه الثرى الذى وارى جسد الحبيبة ، ولم تسِل من عينه دمعة ، ولم يتحرك لسانه بكلمة وداع ، ولم يفكر فى شىء . فقد تواردت الآلام على قلبه حتى صار هو كتلة من الألم جامدة تسمى قلباً ، وتتابعت عليه المصائب حتى صارت حياته كلها مصيبة ... ويئس من السعادة حتى ما عاد يفكر فيها ، أو يؤلمه فقدها ، وتلفت ليودع المكان الذى اصطفاه من دون الأمكنة ، وأودعه أعز شىء عليه : حبيبته وذكرياته ، ويشمله بنظرة فاذا هو يرى دكان بقال كان يعرفه لا تزال قائمة على العهد بها ، كما يقوم الطلل البالى فى المدينة العامرة ، فأسرع إليها ...

وكان فيها شاب حدث علم منه أن أباه البقال مات من عشرين سنة ، وأن الدار لابن داية أمير المؤمنين المأمون وصاحب بيت ماله ، وأن لهذا الرجل قصة عجباً ، فقد كان أبوه من سراة التجار ،

# الغازي مصطفى كمال

## بحث وتحليل للدوافع النفسية التي دفعته إلى الزعامة

للأستاذ أحمد رمزي بك

[ إن من السهل على المرء أن يعمل من أن يفكر ، وإذا فكر فمن أصعب الأمور أن يجعل عمله خاضعاً دائماً لما أوصله إليه فكره ] . «جوته»

عند اقتراب نهاية هذا العام يكون قد مضى على وفاة مصطفى كمال ثمانية أعوام ، خرج منها العالم من حرب عالمية طاحنة ، وتمخض فيها بالتغييرات والانقلابات الكثيرة . وكلما مرت الأيام تمثلت إلىَّ شخصية الغازي كأنموذج لكلمة جوتة الخالدة : إذ هو من الأفراد القلائل في الشرق الذين عملوا بعد تفكير طويل ، وأخضعوا أعمالهم لفكرتهم الأولى ، ولما لازمهم التوفيق في جهادهم ، لم تسكرهم نشوة الظفر ولا شغلتهم مظاهر السلطان عن فكرتهم التي بدأوا منها وأخذوا بها ، ولذلك جاءت حياتهم العامة صورة لما انطبع في أذهانهم من أفكار وآمال كبار .

إن الزعيم المجاهد والجندي المنتصر قد أصبح الآن في ذمة التاريخ ؛ ولن يضيرنا اليوم أن نعرض لشيء من حياته وأعماله وخدماته ، فلو كان حياً يرزق لقيل لنا إننا نتملقه أو نتملق بلاده وشعبه ولاتخذ بعض الناس ذلك للقيل والقال ، أما وقد خفت ذلك الصوت الهادئ النبرات الذي كنت تسمع له رنيناً عند ما كان يخطب بالمجلس الوطني الكبير بأنقرة ، وأغمضت العينان اللتان كانتا تشعان نوراً وبريقاً ، فقد أصبح في وسعنا أن نقول ما نعتقد وأن نكشف الستار عما نعلم وليست لنا غاية سوى إرضاء الحق .

* * *

بين ٢٥ إبريل و ٩ ديسمبر ١٩١٥ كانت حملة الدردنيل حيث دارت رحى الحرب على روابي شبه جزيرة غاليبولي ، وكانت معاركها محط أنظار العالم إذ كانت سلسلة من التجارب للقيادة التركية بل كانت أكبر من ذلك للجندي المقاتل . كانت

---

فاشترى جارية أولع بها وعكف عليها حتى افتقر ، وجاءها المخاض فذهب يطلب لها شيئاً فلم يرجع ، وأسعفها البقال أبو الفتى ، وولد للرشيد مولود فطلبت له المراضع فلم يقبل ثدي واحدة منهن فدل على الجارية فقبل ثديها ، وصارت ظئره وكان المولود هو أمير المؤمنين المأمون .

ويسمع الرجل القصة فيحس أن الأرض تدور به ، فيمر بآلاف الصور والألوان ، والشكوك والأماني ، ثم يسأله : وأين أم الولد ؟ ويحسب أن هذه اللحظة التي انتظر فيها الجواب ، قد طالت حتى غدت دهراً ، وأنه كالقائم ليسمع الحكم عليه بالبراءة أو القتل . فيقول الفتى : إنها باقية تغدو إلى دار الخليفة أياماً وتكون مع ابنها أياماً ، ولكنها لا تزال حزينة لم تمسح آلامها الأيام ولم ترقأ لها دمعة .

ويدعه الرجل ويركض إلى الدار يشعر أنه يمشي في الزمان ، يعود أدراجه إلى لياليه الماضيات ، إلى عهد الحب الضاحك ، ولياليه المترعات بالقبل . لقد نسي في هذه الخطوات كل ما لقي من شقاء ، وما حمل من ألم ، وامتلأ قلبه شكراً لله الذي استودعه حبيبته وما في بطنها فما ضاعت عنده الوديعة ، هذه الحبيبة التي طالما بكاها يحسبها ميتة وجاء ليدفن جسده الواني بجانب رفاتها ، قائمة تنتظره لتمنحه عطرها وسَحْرها ونحرها ، وهذا الجنين الذي خلفه على باب الموت شاباً ممتلئاً قوة وأيداً ومالا ومجداً ...

ووصل إلى الشاب ، فقال له : ما تبتغي ؟

تخفق قلبه ، وتلاحقت أنفاسه ، وهمت مقلتاه ، ولم يجد ما يمهد به الحديث ، فقال له :

— أنا أبوك !

ونظر الشاب شاكا ، وقال له : اتبعني ، فاتبعه فاجتاز به صحناً بعد صحن ، حتى انتهى إلى مكان الحرم فأقامه أمام ستارة ، وذهب ليسأل أمه ، ودلَّ الرجل قلبه على أن الحبيبة وراء الستارة فناداها ، وإذا الستارة تهتك ، والمرأة تثب إلى عنق الرجل ، تبكي وتضحك وتضحك وتبكي وتقول ما لا تدريه ...

ويدير الشاب وجهه فما يحسن به أن ينظر إلى أبويه وهما يعيدان عهود الهوى والشباب ...

علي الطنطاوي

له مدرسة قاسية وامتحاناً وعراً أظهرا مزاياه وصفاته ، ففي معركة أنافارطة أوقفت هذه الصفات الخلقية الكامنة في نفسه الهجمات البريطانية المتراصة المتتالية المتتابعة كأمواج البحر .

وكان ذلك تحت قيادة رجل نحيف الجسم عصبي المزاج امتاز على أقرانه الضباط بعناده وقوة شكيمته : ذلك هو الأميرالاى مصطفى كمال الذى أقدم فى ساعة من ساعات التاريخ الفاصلة لحمل عبء أفدح المسئوليات التى تواجه رجل الجندية ، إذ كان الموقف جدىّ الخطورة ، وكانت القيادة فى قلق من انهيار الجبهة إزاء هجوم بريطانى حاسم ، ولم يكن الوقت يتسع للمداولة وتبادل الرأى فلم يكن لديها سوى رأيين يتلخصان فى نعم أو لا ، فنعم كانت قبول الهزيمة وما يتبعها من تراجع وفشل وسقوط العاصمة والفناء ، و« لا » كان معناها قبول المعركة فى ظروف سيئة ولكن فيها الثبات والعناد والمصادمة والمقارعة حتى يتم النصر .

وكان القائد الأعلى للجبهة الجنرال فون ساندوس الألمانى وهو من خيرة ضباط السوارى فى الجيش البروسى قد وجدها كبيرة عليه أن ينطقها لما تحتمله من المجازفة فى دخول معركة تبدو خاسرة ، فهو ليس من أهل البلاد ، وهو يعلم جيداً أن الفن العسكرى والعبقرية لا يجديان شيئاً أمام ساعات التاريخ الفاصلة ، وأمام القرارات الحاسمة ، التى لا تصدر عن إرادة القائد الحربى ، إلا بعد أن يدعمها الشعور القومى الواعى ، والإحساس الوطنى الوافر الذى يربط المرء بأرض بلاده وتاريخها ويجعله يشعر بأخطار المستقبل وبالمسئولية أمام الوطن ، وفى مواجهة الأجيال القادمة .

ولذلك ألقى العبء والمسئولية على عاتق مصطفى كمال ، فتولى المعركة وأعلن للقائد الألمانى « أن الهاجمين لن يقتحموا الجبهة وأنه يتحمل وحده مسئولية ونتائج المعركة التى تبدو خاسرة » .

واعترف مصطفى كمال بأن الذى دفعه لذلك هو إيمانه بأن الجنود الذين تحت إمرته سيبذلون ما فى طاقة البشر للقيام بواجبهم وأنهم سيقبلون التضحية بمجرد اشتباك القتال وأنهم سيثبتون فى مراكزهم ، وحققت فكرة قائدهم فقد ظهر جندى المشاة فى الصورة التى رسمها فى مخيلته مصطفى كمال . وهكذا ذاقت تركيا طعم النصر بعد سلسلة طويلة من النكبات والهزائم . فكانت وقفة رائعة لفتت الأنظار إلى عبقرية هذا القائد حتى إنه عند زيارته لألمانيا بادره الامبراطور غليوم عند ما قدم إليه بقوله : « الفرقة التاسعة عشرة أنافارطة » ونظرة عابرة تريك ماهى هذه الوقفة .

إن القطع العسكرية التى فى الخطوط الأمامية ذابت تحت نيران المدفعية وقذائف الأسطول ونيرانه المركزة ، ولكن لم يتراجع أو يفر فرد واحد منها ، بل فنيت بأ كلها حتى آخر جندى فيها ، وكانت عظيمة فى موتها واستشهادها لأن الطلقات التى استمرت تقذف بها أوقفت الهجوم فى أشد الأوقات وأنقذت الجبهة إذ لم يطأ العدو خنادقها إلا بعد أن لفظ آخر جندى بها أنفاسه الأخيرة .

أما الفرق التى تجمعت فى الخطوط التالية فقد كانت تسير إلى الموت وقد ظهر تصميم القتال على وجوه أفرادها ، كانت رائعة فى مواقفها وفى ثباتها وهى تتراص ، كانت قد تحملت نيران العدو وقذائفه ثلاثة أيام بلياليها ، لم تؤثر فيها أيام الانتظار ولا ساعات السير على الأقدام من موقع لموقع . كان يخيل إلى من رآها أنها قد أتت من المؤخرة من ساحة العرض أو احتلت مراكزها بعد راحتها وكأنها لا تعلم بما يدور حولها أو كأنها لم تر بعينها سوق الموت القائمة .

نعم كانت معنوياتها وأعصابها باقرار كل من كتب عن هذه الحرب من النقاد الحربيين من البريطانيين والألمان وغيرهم ، فوق المستوى العادى للبشر فى الساعة التى رأت قائدها العنيد يباشر القتال بنفسه ويصدر أمره مقتحما أول ربوة واجهته ليقودها إلى النصر ، ولذلك جاء هجوم هذه الوحدات كأعصار يدك كل شىء ، ولم يكن الخصم ينتظر دفاعاً مثل الذى لقيه فى أول يوم ولا هجوماً كهذا ، وعليه ولى الهاجون الأدبار وأخلوا المواقع التى احتلوها متجهين إلى البحر ، وفى مساء آخر يوم للمعركة جاء قائدهم من جزيرة لمنوس على باخرته من الجنوب ليشهد الشراذم تتجمع على الشاطئ لركوب القوارب ، كانت بقايا الوحدات النظمة التى قذف بها على الجزء الغربى من غاليبولى : وكان أن اتخذ الأتراك اسم المعركة لقباً لأبطالهم فخلفوا بانافارطة واحتفلوا بها واتخذوا يومها عيداً لهم يعيدون فيه ويشيرون إلى أن بعثهم من جديد كأمة بدأ من ذلك اليوم .

واختتمت معركة أنا فارطة بأيامها ولياليها والقمر شاهد عليها بالنصر الذى جعل أعظم قوات العالم تبدّل وتغيّر فى خططها الكبرى واستراتيجيتها ثم تقرر إخلاء شبه الجزيرة ، وانتهت بذلك حملة الدردنيل بعد أن فتحت الطريق للقواد والنقاد والكتاب الحربيين يضمون المؤلفات عن تاريخها وأيامها ومواقعها فإذا نحن أمام مكتبة فيها عشرات المجلدات بمختلف لغات العالم ما تقرأ مجلداً بالانجليزية حتى تراه مترجماً للتركية وترى مثيله فيها ، وما تجد مؤلفاً بالألمانية حتى تجد ما يساويه بالفرنسية ، استعرض كاتبوها مواقع البر ومعارك البحر وحدّدوا سير القتال ومواضع الزحف وانتقدوا عمل الأساطيل كما انتقد رجال البحر عمل رجال الجندية ، وتبين من أقوال الاختصاص أن مشاريع اقتحام المضايق درست وبحثت ووضعت تفاصيلها منذ عام ١٩٠٦ ، وضع المؤلفون كتبهم وتداولها الناس ولكن رجلا واحداً بقى صامتاً لا يتكلم هو مصطفى كمال صاحب المواقف الحاسمة وبطل أنافارطة ، إنه لم ينسب لنفسه شيئاً بل قال : « إن ماحصل عليه من مجد ليس من عمله ؛ إنه نتيجة كفاح الجندى التركى وحده » ذكر مراراً ذلك وأعاده وكرره .

لقد انتهت المعركة التى جعلت منه بطلا عالمياً وخفتت أصوات المدافع وزمجرة البطاريات السريعة الطلقات وزالت الأخطار عن عاصمة آل عثمان فأقيمت الأفراح فإذا بأنصاف الرجال يدقون الطبول ويرفعون أرباع الرجال إلى السماء ، وإذا بهم يتقاسمون الأسلاب ويفرحون بما لم يفعلوا وينسبون أمجاد الغير لأنفسهم ، ووقف القائد العنيد يدخن سيجارته بهدوئه وصمته وقد اتجهت أنظاره إلى آفاق بعيدة ، فما الذى أوحت به إليه تلك الأيام الحالكة السواد وهذه المعارك الفاصلة ، وماذا تركت فى نفسه من دوافع وما حملت إليه من أفكار ؟ لقد كانت إقامته وقتئذ بمركز قيادة الفرقة التاسعة عشرة بشبه جزيرة غاليبولى ، وكان يقضى الأيام والليالى فى وحدة شاملة وقد تجمعت أفكاره واتجهت إلى مستقبل هذا الوطن الجريح ، وقد اخترقت عينه النافذة ما وراء الحجب فإذا هى تبصر ما يحيط ببلاده من الأخطار وما يحاك حولها من مكائد وما يرسم ويدبر من خيانات ، وما يرقبها من أهوال ونكبات .

فى لحظات التركيز والوحدة استرد مصطفى كمال ثقته فى نفسه وإيمانه فى أمته ، فأيقن أن الأقدار قد حمّلته رسالة مقدسة هى إنقاذ تركيا من مصائبها . ويحدثنا عن نفسه فى تلك الفترة الرهيبة فيقول : أخذت تتتابه الأفكار وترتاده الآمال الكبار وهو يحركها فى بوتقة التحليل مستعيناً بعنطقه الجبار فيفرز الغث من السمين ويطرد الهواجس والأحلام والخيالات الوهمية من نفسه بل يجتهد أن يحرر عقله منها ، وأخيراً وجد ضالته فقال :

« إن الامبراطورية التى أقامها بنو عثمان من بقايا ملك آل سلجوق وقدّر لها أن ترى فتح القسطنطينية يتحقق على يديها ، هذه الدولة التى سبّبت المتاعب والمخاوف لأوروبا وشعوبها ودانت لها الدنيا ستة قرون لم تعد شيئاً مذكوراً بعد الضربات التى تلقتها من أعداء الداخل والخارج ، فكل عمل يبذل لإنقاذها سيذهب هباء منثوراً » .

واضطربت نفسه أمام نكبات تركيا المتتالية وحروبها التى لا تنقطع فأراد أن يجد لذلك مبرراً من دروس الماضى متسائلا لماذا كانت بلاده من بين بلاد العالم هى التى توجّه إليها الضربات والهجمات من كل جانب ؟ حاول أن يجد تفسيراً لذلك فقال :

« إن الأعلام الحمراء التى ظهرت فى آسيا وحملتها جيوش المسلمين إلى أوروبا حتى ظللت أسوار فينا ، وقفت هناك وقفتها الأولى وكان ذلك فى القرن العاشر من الهجرة ، كما وقفت من قبل أعلام العروبة والإسلام[1] فى تود وبواتييه من أرض فرنسا فى القرن الأول قبل الوقفة الثانية بتسعة قرون » .

« إن العهد الذى لقى فيه المسلمون أولى هزائمهم وفترت فيه معاركهم الزاحفة الفاصلة قد حرّك روح الانتقام لدى أعدائهم وأن القاعدة أن كل هجوم تعقبه فترة هدوء واستجمام للمهاجم ولكن هذا لا يمنع أن كل تصادم يحرّك تصادماً وكل هجوم يعقبه هجوم مضاد ، فالهزيمة التى أوقعها شارل مارتل بجيوش المسلمين فى فرنسا كانت فاتحة الهجوم المضاد الذى شنّته أوروبا على العرب فى أراضيها والذى دام ثمانية قرون حتى قذفت بهم

(١) لا يندهش القارئ من ذكر فتوحات العرب فقد أوردها بالنص فى خطبته وتحدث عن هذه النظرية مراراً وهو من أقدر الرجال فى استخلاص الحقائق من التاريخ .

على الشاطىء الأفريقي ، ولم تقف عند ذلك الحد ، بل استجمعت قواها في القرنين التاسع عشر والعشرين وأخذت تطارد العرب في ديارهم وتنزع من أيديهم الجزائر وتونس ومراكش ومصر وطرابلس ، وما ملاحقة هذه الشعوب والعمل على إفنائهم وإسكان الأوروبيين بأراضيهم سوى حلقة من حلقات ذلك الصراع الصليبي الذي بدأ من تور وبواتييه أو قل هو الثمن الذي يدفعه العرب نتيجة لهزيمتهم في قلب فرنسا » .

« أما الأتراك العثمانيون فقد أثاروا الهجوم المضاد عليهم من يوم هزيمتهم تحت أسوار فينا إذ تلاحقت عليهم النكبات في خلال ثلاثة قرون ، فرض عليهم القتال فيها ولم تبق أمة من أمم أوروبا إلا اشتركت وساهمت فيه بحق وبغير حق ، بل وافتخرت بما سفكت من دماء المسلمين وبما أفنت من رجالهم وبما مزقت من أشلائهم وبما خربت من مساجدهم وآثارهم وقبورهم . لقد تجمعت على الأتراك القوى من كل جانب وحاصرتهم في البر والبحر ولم يبق بعد طول العراك سوى هذه البقعة من الأرض يرفرف عليها علمهم : فما قيمتها للجندي المقاتل الذي أغمض عينيه للمرة الأخيرة أمام نظر قائده ؟ هي له الموئل والمآل فهل هي النهاية كما كانت للأجداد بداية ؟ » .

في ليلة من ليالي أنقرة بقصر نشان قايا أخذ الزعيم يشرح هذه النظرية أمام جمع التف حوله فقال : « إن المعارك التي خضنا غمارها بالأمس والتي سندعى لغيرها بالغد هي حلقة من حلقات هذا الهجوم المضاد القاسي الذي شنه الغرب علينا وأثاره الترك بزحفهم إلى فينا كما أثاره العرب بفتوحاتهم الأندلسية ودخولهم إلى قلب فرنسا » .

قال إنه بعد معارك الدردنيل وفي وسط حرب الاستقلال كان يحدث نفسه قائلا : « لقد فرض علينا الأعداء أن نفنى لأننا كنا أقوياء وخيل إليهم أن جهادنا التاريخي قد انتهى وأننا نعالج سكرات الموت في الموقع الأخير the hast fost فهل تنفخ في البوق النغمة الختامية على أجساد آخر المقاتلين من بقايا تلك الملايين التي جادت بالأرواح في حومة الوغى وتطوى تركيا وتحمل إلى اللحد كما فنيت وطويت آشور وروما وكما زال فرعون وثمود وعاد » .

حدث عن نفسه قائلا إنه في أسوأ المواقف كان يشعر « بأن هذا لن يكون وأن بلاده ستبعث قوية وستحيا إلى الأبد » .

وهنا التفت وصوب نظراته النافذة وخرج كلامه قويا فقال « إن إطلاق النظريات الإنشائية والآمال والأفكار الكبرى سهل على النفس ولكن التمسك بها والسير على ضوئها صعب ، لأن هذا يستلزم أولا إخراج ما يلابس هذه النظريات والمبادئ من عوامل السلبية وما يلازم الفكر البشري من عناصر الضعف والتردد ، إن الأفراد الذين ينصبون أنفسهم لخلاص الوطن يجب عليهم أن يتجردوا من أشياء كثيرة عزيزة عليهم » .

ذلك مبدؤه الذي نادى به في تلك الليلة ؛ وتفسير ذلك أن معارك الدردنيل أصبحت له قوة دافعة بل كانت حداً فاصلا في حياته إذ أمضى الشهور ونفسه متوثبة متطلعة تحت تأثيرها ، ولكن ما لبث أن واجهتها الحقائق : عادت إليه ذكريات الهزائم المتتالية وأخذت تبدو إليه العاصمة بمظاهر التفكك والانحلال الخلقي وعوامل الهدم وتأثرت نفسه لما استعرض تاريخ الحروب والمعارك التي كسبها مقاتلة الترك ثم أضاعها رجال السياسة والمواقف التي اكتسبها هؤلاء في ميادين السياسة وأضاعها رجال الحرب في ميادين القتال .

وبرزت تركة الرجل المريض المحتضر على حقيقتها محملة بالأعباء والمصائب وبدا المستقبل قاتماً مظلماً كالليل . تلك هي النواحي السلبية التي أخذت تساوره في الأيام التاريخية التي وقعت بين حملة الدردنيل وعودته من ألمانيا ، قال « إنه وجد أمامه بصيص نور من أنوار الأمل هو ذلك الضياء الذي ارتسم على وجه الجندي التركي في معركة أنافارطة حينما لقي الموت وهو قرير العين ، كانت ابتسامة تحمل الخلود للأمة التي أنجبت هذا المقاتل الذي لقي ربه وهو ضاحك بعد أن أدى واجبه نحوها » .

وكتب مصطفى كمال فقال : « لو قدر لهذا الجندي أن يجد القيادة الحازمة ، ولو لمس الإخلاص الذي يشع من قلبه فوجده في قلوب الساسة والقادة لغير وبدل ما كتبه التاريخ في عصور الانحطاط ولأعاد مرة أخرى عهد الدماء القوية التي حملت الأعلام الحمراء إلى قلب أوربا وفرضت النصر في كل معركة دخلتها . إنها ليست أخطاء الشعب إنها خطايا القادة التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه »

على هامش النقد :

# شعر من الجزيرة

للأستاذ سيد قطب

١ — الهوى والشباب : أحمد عبدالغفور عطار
٢ — الشاطىء المسحور : محمد عبده غانم

هذه تحية لا نقد ؛ فتلك بواكير يقظة فى قلب الجزيرة ، ما أجدرها منا بالتحية ، لا لأنها لا تثبت للنقد ، ولكن لأن التحية هنا أليق !

وهما ديوانان من الشعر ، والشعر فى هذه الفترة يعانى أزمة ، فبين مئات الكتب التى صدرت فى فترة الحرب بوفرة ، لم تصدر إلا دواوين قليلة تعد على الأصابع ، وذلك موجب آخر من موجبات التحية !

شعر من الحجاز وشعر من اليمن . . وقد اعتدنا أن ننتظر الشعر فى لبنان ومصر ، وفى سورية والعراق ، وربما فى تونس ، فقد نبغ فيها الشابى شعلة تضوى ثم تخبو سريعاً ، فها هو ذا الحجاز ، وها هى ذى اليمن تساهمان أيضاً بنصيب ... فما أجدرهما بالتحية !

وكم ذا يسرنى — كمصرى مشتغل بالنقد الأدبى — أن أستقبل هذا النتاج ، وأن أضم بدىّ على طاقة من تلك الزهرات من مشرق الشرق العربى إلى مغربه ، فمصر كثيراً ما تتهم بالتقصير فى حق جيرتها ، فهى فى عرف بعضهم غافلة أو متغافلة عن خطوات النهضة الأدبية فى البلاد الشقيقة .

وهذا ظلم لمصر ، فما أحسبها قصرت فى التنويه بأى أدب ، ولا بأى أديب وصلت إليها أنباؤه ، وإنى لأعلم أن صحافتها تفسح لأبناء البلاد العربية ما لا تفسحه لبنيها ، وتؤثر بريد البلاد العربية على بريدها ؛ ولا تجد فى نفسها غضاضة ولا حسداً أن يتفوق بعض أبناء الشقيقات على بعض أبنائها ؛ وإنها لحفية بكل مايصل إليها من هناك . أما الذى لايصل فليس الذنب ذنبها ، ولايكلف الله نفساً إلا وسعها .

وقبل أن يلومنا الإخوان على إهمالنا لنتاجهم ، يجب أن يسألوا أنفسهم : هل بلغنا نبأ ذلك النتاج ؟ هل هو يباع فى أسواقنا ؟ هل أعلن عنه فى صحفنا ؟ هل وصلتنا صحفهم التى أعلنت عنه ؟ وإلا فما نجد سبيلا إلى الحصول على كتب ممايصدر فى كثير

---

ولم يدر مصطفى كمال فى تلك الفترة أن ابتسامة الشهيد التى رآها هى نفحة من نفحات الإسلام يرزقها المولى لمن ذاق حلاوة الإيمان فى قلبه ولقى الموت وهو يؤدى فرض الجهاد ابتغاء مرضاة الله ، وفى سبيل الله وعملا بما أمر به الله . فهى ليست دليلا على تفوق العنصر بل هى آية من آيات الرسالة المحمدية للناس كافة

إننى أكتب هذه الكلمة بعد إقامة سبع سنوات بتركيا وبعد أن التقيت بمئات من المسلمين من أنحاء الأرض منهم من جاء من كاشغر عاصمة التركستان الصينية ، ومنهم من كان فى القرم وفى قفقاسيا وعلى نهر الفولجا : لأقرر أن الثورة الكمالية فى عنفوان شدتها ، والثورة الشيوعية بأساليبها التى لا يقرها العرف وكلاهما فى إبان القوة والبطش لم يستطيعا التغلب على الإسلام فى البلاد التى رسخ فيها ، وإن الذين خُيِّل إليهم أن سلطان الإسلام قد زال من الأقاليم الاسيوية الخاضعة للسوفييت وأن ظله قد تقلص من تركيا واهمون : وسيبعث الإسلام ودين محمد فى تلك الجهات ويعود على صورة تبهر العالم .

إن أقوى التعاليم الدنيوية والنظريات لا تلبث أن تهوى وتذبل مع الزمن ، أما قواعد الثورة المحمدية الكبرى التى أودعت فى تعاليم الإسلام وأتت بها النبوة فباقية مع الزمن فى أفئدة الشعوب والجماعات والأفراد وحتى الذين خرجوا عليها وشقوا لأنفسهم الطريق بعيداً عنها ونابذوها العداء لا يلبثون أن يعودوا إليها ، وما مصطفى كمال إلا واحد من هؤلاء ستكشف الأيام الكثير عن روحه الحائرة وسنعود يوماً لدرس هذه النفس المتمردة من ناحية الإيمان والعقيدة وكل آت قريب .

(يتبع) **أحمد رمزى**

من البلاد العربية إلا أن نقوم برحلة إلى هناك ، وهذا ما لا يستطاع لكل فرد فى كل آن .

لقد أعلنت مرة فى « الرسالة » — وهى مقروءة فى كل بلد عربى — أننى فى حاجة إلى كل ديوان شعر وإلى كل قصة أو أقصوصة طبعت فى شتى البلاد العربية ، لأن لدى بحثين معطلين عن : « الشعر المعاصر » وعن « القصة الحديثة » ، ولأننى كرهت أن أقتصر على الشعر المصرى وعلى القصة المصرية ؛ وقلت : إننى لا أطلب « هدايا » ، ولكننى أطلب هذه الكتب محوّلا بثمنها على البريد ، ذلك أننى لا أجدها فى السوق المصرية ، ولا أجد لى سبيلا إليها . فما ذا حدث ؟

حدث أن تفضل بعض الشعراء والأدباء فى فلسطين والعراق والحجاز بإهداء دواوينهم وقصصهم إلىّ ، ولكن البقية لم تصلنى كما أن سورية ولبنان لم يسمعا النداء ، وهمس بعضهم فى أذنى : إن هناك موجدة على مصر لأنها تصدر أدبها ولا تستورد آدابهم وهذا غريب . فلقد اشترينا هنا كل ما صدر إلينا من هناك ، ومن سورية ولبنان خاصة ، وإننى لأكره هذه النغمة ، إنها نغمة مقيتة — وفى جو الأدب خاصة — فكلنا شركاء فى النهضة ومصر تؤدى واجبها الذى فرضته عليها الظروف ، وإنها لتجد نفسها سعيدة حين تنهض شقيقة لها أو أكثر بالمشاركة فى العبء فهو عبء أثقل من أن تنهض به وحدها ، وما يجوز أن ترتفع هذه النغمة المقيتة فى بلد من البلاد الشقيقة

فلندع هذا كله لنعود إلى تحية الشاعرين والديوانين

***

هنالك شبه عجيب بين النسيج الشعرى فى كلا الديوانين ، فهو نسيج رقيق هفهاف ، والشعر الحجازى القديم مشهور بالرقة والعذوبة ، والشعراء الغزلون قد نشأوا هناك ، فديوان « الهوى والشباب » ليس غريباً فى بيئته ، فالظاهر أن الرقة والعذوبة ما تزالا كامنتين — تحت الشظف — فى مدائن الحجاز . أما « الشاطئ المسحور » ، فيبدو أنه يستمد عذوبته ورقته من خصب اليمن ورواثها التاريخيين ، فالبذرة هناك كامنة ما تزال .

وإذا كان فى شعر الأستاذ « عطار » جزالة تمازج الرقة فى بعض الأحيان ، فإن فى شعر الأستاذ « غانم » انسياباً وسيولة دائمين فى جميع فصول الديوان ، ولكنهما قريب من قريب .

وإليك قطعتان من الديوانين :

يقول صاحب « الهوى والشباب » بعنوان « وعود الغانيات » :

وعودك يا غادتى جمة ... ولكن إلى اليوم لم تصدقِ
كأنك لم تبصرى عاشقاً ... ألح به الحب لم يشفق
يعيش بعماله كاسفاً ... ويغرقه الهم للمفرق
يسير بلا وعيه ناجياً ... إليك ... إلى بيتك المغلق
عساه يرى طيفك المشتهى ... يلوح له كالسنا المشرق
ويسمع صوتك جم الحنان ... يغرد كالبلبل المطلق
فيحسبه أغنيات الخلود ... ترف على قلبه الشيق
فهلا رحمتِ الفؤاد الحزين ... وأنجيته من ردى محدق
وهلا أنلت الرضى مغرماً ... يصافى الوداد ولم يمذُق !
بهجرك أمسى يذوق اللظى ... ولو أنت وفّيت لم يوبق
ولولاك ما اجتر آلامه ... وأمسى صريع الهوى المطبق
وعاش على أمل شارد ... يلوح كآل الفلا المرهق
فإنك إن تكذبيه الوعود ... فليس سوى يأسه المُعنِق
ألا فاصدق مرة وامنحى ... حبيبك رشف الجنى الرّيق
فقد صرعته أكف الخطوب ... وما انفك عن حبه الموثق
وصفق كفيه غل الأمى ... فضاع حجاه مع المنطق

ويقول صاحب « الشاطئ المسحور » بعنوان « أنين » :

لست تمشين على الأرض ولكن فوق قلبى
تلك أنغام خطىً قد مازجت روحى ولبى
تقلى الخطو كما شئت ولا ترثى لصب
ضاق بالآلام والآمال فى بعد وقرب

ما براك الله مثل الناس من لحم وعظم
أنت إشعاع من القدس لقلبى المستحم
جمع الله بك الألوان فى أبدع نظم
وأرانا كيف يجلو آية الحسن الأتم

كم تعرضتُ لعينيك لكى أحظى بنظره
وتمنيت بأن أرشف من ثغرك قطره
وتحايلت لكى ألمس من جعدك شعره
وتلويت لكى أقطف من وردك زهره

وتمرين كأنى لست موجوداً بقربك

وكأنى ما ملأت الكون أشعاراً بحبك
لا تغضى الطرف عنى وانظرى نحوى بربك
أنا والله الذى ترضين لو عشت لقلبك

---

أنا لحن فى فم البلبل ترويه الرياح
ورحيق فى كؤوس الحب تحسوه الملاح
وشماع فى الثرى النعسان يزجيه الصباح
وشذا ما منه للهائم بالروض براح

---

لستُ أدرى ما الذى تخشين منى لست أدرى
وأنا الشاعر لا أرضى لمخلوق بضر
أنا لولا لوعتى صنتُك فى قلبى كسرّ
ومنعتُ القلبَ أن يخفق حتى لا تضرى

---

كم يقاسى الشاعر الهائم فى دنيا الجمال
كم له من أنة حمراء فى سود الليالى
ودموع دونها لولا الهوى رطب اللآلى
قد جرت فوق الروابى وتلاشت فى الرمال

---

أنت يا رب الذى أوجدت فينا الشاعرينا
وجعلت الحب للشاعر فى دنياه دينا
كلما لاح جميل جن بالشوق جنونا
ومضى ينفث فى آهاته الداء الدفينا

---

لست أدرى لِمْ خلقت الحب يا رب غشوما
وملأت القلب بالإحساس والوجد جحيما
لو محوت الحسنَ ما ذقنا به الذل الأليما
أو مسخت القلب صخراً عاش كالصخر كريما

---

أنت قد سلّحت يا رب الحسان الفاتنات
بلحاظ فاتكات وقدود طاعنات
وحرمت القلب فى بلواه من درع الثبات
فهو بين الضرب والطعن على وشك الفوات

***

هاتان القصيدتان تمثلان فنى الشاعرين كل التمثيل ؛ وحينما يبدو من الأستاذ « عطار » ميل إلى اتباع « عمود الشعر العربى » يبدو من الأستاذ غانم ميل إلى الرومانتيكية « الإبداعية » ثم يجتمع كلاهما على الرقة والعذوبة كما رأينا .

وقد أثبت القصيدتين كاملتين بما فيهما من مواطن الضعف ومواطن القوة فى الشعور وفى التعبير ، لأننى أرمى إلى التعريف بالشاعرين . ولقد يدهش الكثيرون أن يجدوا مستوى الأداء قد وصل إلى هذا الحد فى الحجاز وفى اليمن ، لأننا حديثو عهد بالنهضة الأدبية فى هذين البلدين الكريمين .

وقد يكون الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار معروفاً للقراء فى مصر ، لأنه كتب فى بعض صحفها ، كما نشر من قبل كتابين: « كتابى » و « محمد بن عبد الوهاب » ، والأول مجموعة مقالات لها قيمتها فى الأدب والاجتماع والسياسة . والثانى دراسة طيبة لحياة المصلح الكبير « محمد بن عبد الوهاب » ، فكتبت عنهما الصحف المصرية مثنية مشجعة .

أما الأستاذ محمد عبده غانم ، فيسرنى أن أقدمه شاعراً عذب الإيقاع ، رقيق العبارة ، حلو الروح

وإنه ليسرنى أن أجمع بين الأدباء والشعراء فى جميع البلاد العربية ، وبين قراء « الرسالة » فى مصر وفى هذه البلاد مرات بعد مرات ...

**سيد قطب**

مجالس الأدب:

# فى إحدى ليالى رمضان

للأستاذ كامل كيلانى

[ تثبت فيما يلى نص الحوار الطريف الذى دار بين ثلاثة من أدباء مصر وشعرائها فى إحدى ليالى رمضان كما أذاعته محطة الشرق الأدنى ]

## ١ — المعرى يصوم ويصلى

عبد الغنى : بمناسبة شهر رمضان ، هل كان كبار الشعراء — يا أستاذ كامل — يصومون ؟ وهل كان أستاذك المعرىّ يصوم ؟

كامل : ويُصلّى أيضاً .

عبد الغنى : إذ يقول فى الصلاة يا أستاذ كامل .

كامل :

« وأعجز أهل هذى الأرض غاوٍ أبانَ العجز عن خمس فُرضْنهْ »

ولكنه يريدها صلاة خالصة لوجه الله ، وإلا حلّت اللعنة على صاحبها .

عماد : إذ يقول ؟ يا أستاذ كامل .

كامل :

« إذا رام كيداً بالصلاة مُقيمها فتاركُها عمداً إلى الله أقربُ »

ولن يصح تديُّنُ الإنسان — فيما يرى — إذا اقتصر على الصلاة والصوم ، دون أن تخلُصَ نفسه من أرجاسها ، وتكفّ أذاها عن الناس .

عبد الغنى : وما الذى يحضُرُك من شعره يا أستاذ كامل ؟

كامل :

« ما الدِّين صومٌ يذوب الصائمون له

ولا صلاةٌ ، ولا صوف على جسدِ

وإنما هو ترك الشر مطرحاً

ونَفضُكَ الصدرمن غل ومن حسد»

عماد : أو يقول ؟

كامل : ما أكثر ما يقول فى هذا المعنى — يا صاحبىَّ — وما أبرع قوله فى هذا الباب :

« إذا الإنسان كف الشر عنى فسقياً — فى الحياة — له ورعيا

ويدرسُ — إن أراد — كتاب موسى

ويضمر — إن أحبّ — ولاء شعيا »

عبد الغنى : فهل كان يصوم يا أستاذ كامل ؟

كامل : كان صائمَ الدهر ، يصوم عن الأكل كما يصوم عن الأذى والشر .

عبد الغنى : وماذا قال فى هذا الباب يا أستاذ كامل ؟

كامل :

« أنا صائم طول الحياة ، وإنما

فِطرى الحِمام ، وذاكَ حين أُعَيِّدُ »

## ٢ — عقيدة المعرى

عماد : إذن يا أستاذ كامل كيف تعلل اتهامه فى دينه ؟

كامل : لم يتهمْهُ فى دينه إلا قاصرٌ أو مُقَصِّرٌ فى درسه ، أو راغبٌ فى إذاعة مبادىء الشك على لسان غيره ، أو متسرِّع فى فهم مراميه ، أو رجل يُحسن الظن بآراء بعض الباحثين ، فلا يُعَنِّى نفسه بمناقشتها وتمحيصها ، أو ببغاء يُردد ما يسمع بلا تعقل .

عبد الغنى : فكيف تعلل قوله :

« فى القدس قامت ضجة ما بين أحمد والمسيح

هـذا بناقوس يدق وذا بمئذنة يصيح

كلٌ يعلل دينه ياليت شعرى ما الصحيح ؟ »

كامل : إن السخرية واضحة فى الأبيات كما تريان ، ولعلكما تذكران الآية الكريمة : « كل حزب بما لديهم فرحون » كما تذكران الآية « وإنَّا — أو إيَّاكم — لعلى هُدًى أو فى ضلال مُبين » . ولن يدور بخلدٍ كائنٍ كانَ : أن الرسول ( ص ) كان شاكّاً فى أنه على هدى ، وأن مُجادليه فى ضلال مبين .

عبد الغنى : فكيف تعلل اضطرابه وتناقضه فى شعره يا أستاذ كامل ؟

كامل : لم يضطرب أبو العـلاء ، ولم يتناقض . ولـكن اضطرب فى فهمه المتسرعونَ وتناقضوا ، ورأى بعضُهم — فى مرآة نفسه المضطربة — صورته ، فحسبها صورة المعرى ، وهو منها برىء .

على أن المخلصين فى فهمه ، ممن رموه بالتناقض ، نَسوا الحكمة التى درسوها فى مستهل حياتهم ، وهى : « لـكل مقام مقال » فـكان مَثلهم مثلَ من يُنصت إلى رجل : فيسمعه مرة يقول لولده مُغرياً : « لا شك عندى فى أنك باذلٌ فى دروسك يا ولدى قصارى جهدك وسيكون لك إن شاء الله شأن عظيم . ولتبلغن بجدك أعلى المراتب وأسماها » .

ثم تسمعه مرة أخرى يقول له :

« لن تنجح يا ولدى ما دمت مستسلماً لـكسلك ، متمادياً فى غَيك ، مسترسلا فى تهاونك » أو يقول له غاضباً ثائراً : « والله لا أفلحت أبداً » .

فيزعم أن الوالد متناقض مضطرب ، لأنه يتمنى لابنه النجاح مرة والاخفاق مرة أخرى ، وينسى أنهما أسلوبان متباينان يهدفان — على اختلافهما — إلى غرض واحد : هو حفز الولد إلى الخير . وكلاهما يعبر عن حب أبيه لولده وحرصه على نجاحه .

* * *

وما أدرى — أيها الصديقان — كيف يشك فى صدق إيمان هذا الرجل ، دارس متعمق حصيف ، يجمع بين الإنصاف والإحاطة والفهم ؟

كيف يشك فى حسن عقيدة من يقول :

أُقِر بأن لى رباً قديراً ولا أُلْقَى بدائعه بجَحْـد

أو يقول ويصل إلى ذروة الإبداع :

تعالى الله ، وهو أجل قدراً من الإخبار عنـه بالتعالى

إلى آخر ما يقول ، فما أنتما بحاجة إلى أن أتلوَ ما يزخر به شعره ونثره من الآيات الدالة على سلامـة عقيدته ، وخلوصِها من الشكوك والأوهام .

### ٣ — الفطرة المؤمنة

وقد علمتما — يا صاحبيّ — أننى عرضتُ لهذا الموضوع فى مناسبات عدة لا سيما فى رسالتَى الغفران والهناء ، وكتابى على هامش الغفران ، وحديقة أبى العلاء وربما أنجزت كتاب « عقيدة المعرى » وأعددته للطبع بعد قليل .

حسبكما الآن قوله فى رسالة الغفران ، ولعله — على وجازته — أبرع ما رأيت فى هـذا الـكتاب ، لأنه يقرر فى بلاغة علائية فاتنة : أن الإنسان مؤمن بغريزته ، وأن الله سبحانه قد وهبه فطرة مؤمنة تعصمه — إذا لاذ بها — من الزَّيغْ والإلحاد ، كما يعصم الحصن الحصين من يلوذ به ويحميه من المغيرين وإليكما ما قال :

« والتأله ( يعنى : الإيمان بالله ) موجود فى الغرائز ، يكون لهنّ كالألجاء الحرائز ( يعنى : كالحصون الحصينة كما تعلمان ) »

وبهذه الجملة البارعة يلتقى المعرىُّ بمـا أبدعه لامرتين فى قصيدة « الخلود » وهى من غرر الشعر الفرنسى وروائعه .

كما يلتقى مع شكسبير فى قوله : « كل ما نلقاه حسنٌ إذا حسنت خاتمته » . فيقول :

« إن ختم الله بغفرانه فـكل ما لقيته سهـــل »

لا أدرى كيف يجرؤ منصف على اتهام مثل هـذا الرجل الطاهر فى عقيدته . ألا ما أصدق المثل :

« رمتنى بدائها وانسلت »

ورحم الله ابن الرومى القائل :

ما خمدت نارى ، ولـكنها ألفت نفوساً نارُها خامده

قد فسدت فى دهرنا أنفس تستبرد السخنة لا البـارده

### ٤ — شيطان الشعر

عبد الغنى : هل تحسن نظم الشعر وأنت صائم يا أستاذ عماد ؟

عماد : كلا فإن سطوة الجوع تكفل هدم كل بيت من الشعر أحاول بناءه . أو لعل شيطان شعرى يسجن فى شهر رمضان مع سائر إخوانه الشياطين ، وإن كنت أنا نفسى مثلت دور شيطان فى هذا الشهر المبارك .

عبد الغنى : وكيف كان ذلك يا أستاذ عماد ؟

عماد : فى ليلة مظلمة من أحد رمضانات الحرب ، التى حرموا فيها النور عدت إلى منزلى متأخراً وكنت مرتدياً بذلة سوداء ، وبينما أنا واقف أمام الباب والشارع مقفر أقبل شخص

# موازين البلاغة

## بين القدامى والمحدثين

للأستاذ كامل السيد شاهين

— ١ —

وبعد جهد جاء الأستاذ العمارى يتمسح فى الآية الكريمة « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » زاعماً أنه نظير قول الآخر فى تشبيه البنفسج بأوائل النار ... الخ . غافلا أو متغافلا عن قدر التشبيه وما وراءه ، مدعياً أن أمره واقف عند حد الدقة والانحناء -- قال — والاصفرار ، ولو كان الأمر كما رجم لكان منزلة التشبيه فى الآية منزلة التشبيه بالمنجل والزورق الفضى ، وقلامة الظفر ، مما يظهر فيه النحول والتقوس .

فالمعنى الذى تمتلىء به النفس عند رؤية القمر آخر الشهر هو الفناء بعد الامتلاء ، وذلك أن القمر نزل منازل مختلفة منذ طلوعه فهو قد زاد نوره قليلا قليلا حتى استكمل ثم تناقص قليلا قليلا حتى كاد يذهب ضياؤه ، مثله كمثل العرجون يكون حياً فى نفسه ممداً شماريخه بالحياة ثم يدب فيه اليبس والفناء فيرجع ولا غناء فيه ولا حياة . فوجه الشبه بعد التصور يرجع إلى قلة النفع والاضمحلال واقتراب النهاية ، وإنما يهدى إلى ذلك سلامة الفطرة وحسن التذوق[1] .

ولا أترك القول فى التشبيه المحس حتى أضع يد الأستاذ على الميزان الذى يعرف به قيم التشبيه جمالا وغثاثة فقد ترك القدماء لنا ميزانا شائلا أملته طبيعتهم الأعجمية المتفلسفة ، وقديماً تحدى بعض الأدباء ابن الرومى ببيت ابن المعتز فى الهلال :

أنظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر

وقوله فى الآذريون ، وهو زاهر أصفر فى وسطه خمل أسود :

(١) وفى اللسان : أنه — أيضا — نبت أبيض مستدير ، ييبس — إذ ضرب من الكمأة قدر شبر أو دون ذلك ، وهو طيب ما دام غضا .

أقول : لعل التشبيه فى الآية بأحد هذين وليس بعرجون النخلة . وهو أقرب إلى حقيقة الصورة وأظهر فى إبراز المعنى

---

من بعيد ، ولكنه حين لمحنى تباطأ فى مشيته ثم وقف متردداً ، فأدركت أنه خاف منى . وأنه حسبنى أحد شياطين الظلام ، فدفعنى حب العبث إلى أن أمثل دورى إلى النهاية . فتقدمت نحوه خطوتين فاضطرب وكاد يولى هارباً ، ولكن إلى أين ؟ وقد علم سلفاً أنى أدركه بوثبة شيطانية واحدة . وكان منزله لسوء حظه مقابلا لمنزلى ، فجمع قواه واندفع يجرى من أمامى فى سرعة الريح وهو يتلو آية الكرسى فى صوت عال محاولا إحراق بها ، وأنا أشير إليه إشارات تزيده رعباً ، حتى أدرك باب منزله فارتمى فيه على وجهه .

كامل : وماذا كان وقع آية الكرسى فى نفسك يا أستاذ عماد ؟

عماد : برداً وسلاماً على خلاف عادتها مع الشياطين .

عبد الغنى : إن هذه الحادثة لا تخلو من فائدة ، فهى تعلل لنا الحوادث التى يؤكد بعض الناس أنهم رأوا فيها الشياطين رأى العين

ولكن قل لى يا عماد هل تعتقد حقاً أن لكل شاعر شيطاناً يوحى إليه الشعر ؟ كما كان يعتقد حسان بن ثابت إذ يقول :

ولى صاحب من بنى الشيصبان ... فطوراً أقول وطوراً هوه

عماد : هذا بالطبع أمر لم يقم عليه دليل مادى ، ولكن مما لا شك فيه أن الشاعر عند ما ينظم قصيدته يكون مدفوعاً بقوة غير عادية ، فقد يعود إلى قراءة هذه القصيدة فى وقت آخر فيراها أعلى من مستوى تفكيره ، ويعجب من نفسه كيف تيسر له نظمها على هذه الصورة . والشاعر الذى أعنيه هنا هو الشاعر الصادق الذى لا ينظم إلا متأثراً بفكرته ، فالتأثر هو الذى يوحى إليه ما يحسبه من وحى قوة فوق قوة البشر ، كالشياطين أو الملائكة . أما الشاعر الكاذب المقلد فشعره من وحى القردة لأنها أطبع المخلوقات على التقليد ، ويجب عليه إذا ذكر وحيه أن يقول قال لى قردى لا قال لى شيطانى .

عبد الغنى : هذا حق والشعراء القردانية كثيرون فى كل عصر لسوء الحظ .

( البقية فى العدد القادم ) ... كامل كيلانى

كأن آذريونها والشمس فيها كاليه
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

فمذهب القدماء « أن الغرض من التشبيه هو مضاهاة أبيض على أبيض ، وأصفر على أصفر ، ومستدير على مستدير ، ومستطيل على مستطيل ، مما يُرى بالعين ، ولا فضل فيه للشعور والتخيل ، وقصارى ما يطلب من الشاعر في التشبيه أن يثبت لك أنه رأى شيئين في شكل واحد ومن لون واحد كأنك في حاجة إلى ذلك الإثبات الذي لا طائل تحته ، فأما أنه أحسَّ وتخيل وصور إحساسه وتخيله باللفظ المبين والخواطر الذهنية الواضحة فليس ذلك من شأنه ولا هو مما يدخل في باب البلاغة والشاعرية .

وهذا خطأ بعيد في فهم الوصف والشعر يخرج بهما عن القدرة النفسية إلى القدرة الإلهية التي تحكي المناظر الظاهرة كما تحكيها المصورة الشمسية .

وليس يعنيك أنت أن يكون الشاعر صحيح العين مطلعاً على المرئيات المتشابهة ليتصل وجدانك بوجدانه ، ولكنما يعنيك منه أن يكون حياً يشعر بالدنيا ، ويزيد حظك من الشعور بها[1] » ويجلي لك ما اضطرب في نفسك من أحاسيس وخوالج لا تستطيع لها كشفاً ولا بياناً وتلك مزية الشاعر في كل زمان ، وما كان للقدامى أن يخلطوا في الحكم لولا أنه التبس عليهم ملكة الشعر بملكة الوصف ، وأن هذه شيء وتلك شيء آخر . « فمن وصف وشبَّه ولم يشعر فليس بشاعر ، ومن شبه وأبلغك ما في نفسه بغير وصف مُشَبَّه[2] » .

ذلك هو ما جر عبد القاهر وغيره إلى سوء الاختيار وطول الإطراء لسخافات هؤلاء الوصافين المصورين ، وإلا فأي جمال وروعة وأي وجدان أثاره الشاعر بقوله في صفة مِنْسَر البازي :

في هامة علياء تهدي مِنسرا كعطفة الجيم بكف أعسرا
يقول من فيها بعقل فكرا لو زادها عيناً إلى فاء ورا
فاتصلت بالجيم صارت جعفرا

وتقرأ عبد القاهر ، فإذا كلام جميل ، وتطريز بديع أملاه تركيب الرجل العقلي الفلسفي .

ويجري في هذا الميدان قوله :

كلنا باسط اليد نحو نيلوفر
كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد

وقول الآخر :

لم أر صفاً مثل صف الزُّطِّ تسعين منهم صلبوا في خطِّ
من كل عالٍ جذعُه بالشطِّ كأنه في جذعه المشتط
أخو نعاس جدَّ في التمطي قد خامر النوم ولم يغطِّ

كل هذه صور ولكنها ليست شعراً ولا تقوَّم في باب الشعر بقليل ولا كثير ، ولا يحسب لصاحبها وإن رقت صناعته بين الشعراء حساب ، وكل ما لها من حسن مرجعه دقة الريشة ، وقوة الملاحظة . أما الشعور ، أما الإحساس ، أما الإثارة التي تهز الوجدان ، فما أبعدها عن هذه الصور الميتة الجامدة .

والفرق بين الشعر والوصف ، كالفرق بين الحياة والموت فالذي يشعر إنما يعطيك صورة تدب الحياة في أعطافها ، والذي يصور يعطيك تمثالا لا حركة فيه ولا حياة .

— ٢ —

يقول الأستاذ الخولي في قول المتنبي :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

كلامهم في أن الغرض من التشبيه بيان أن وجود المشبه ممكن مرفوض لأن الأديب لا يضع نفسه موضع المناقش بل يفرض نفسه على الناس . وإنما دعاه إلى هذا التمثيل أن الناس ينكرون المزايا ، فقال إن لذلك نظائر . اهـ

أما أن الشعراء يفرضون أنفسهم فذلك ما لا يسع أحداً التشكك فيه ، ودونك فافتح صحيفة من ديوانٍ ، أيَّ ديوان ، فإنك واجدٌ أكثر من مثال :

قال أبو العلاء في رثاء الشريف الموسوي :

ذهب الذي غدت الذوابل بعده رُعْشَ المتون ، كليلة الأطراف
طار النواعبُ يوم فادَ نواعيا فندبنه ، لموافق ومُنافِ
أسفٌ أسفَّ بها وأثقل نهضها بالحزن فهي على التراب هواف

فهذا الذي ادعاه من اختلاج أواسط الرماح وكلال أطرافها ، وهذا الذي ادعاه من أن الغربان قامت نوادب للشريف ، وأنها لحزنها ثقلت حتى كادت تخالط التراب ، وما زعمه بعدُ من أن الغربان رثت الشريف بقصيدة على رَوِيِّ القاف .

---

(١) ، (٢) ابن الرومي : حياته من شعره . للاستاذ العقاد .

هذا كله إدعاء سوّغه أن الشعراء يفرضون أنفسهم على الناس ، فليس فى حسابه أن يقول له القوم كذبت فأقم الدليل على ما تقول . فإذا قال المتنبى أنت أربيت على الأنام وفقتهم ، فما عليه بأس ، وليس لأحد أن يقول له هذا غير ممكن أو ممكن حتى يقال إن قوله : فإن المسك بعض دم الغزال لإثبات هذا الإمكان ولكنه حين يقول ذلك يؤكد دعواه ، ويقرّب المعنى الذى قصد إليه ، وإلا فما هو بالذى يحتاج أن يثبت أن الأمر ممكن ، لأن للشاعر أن يدعى ما شاء وليس لأحد أن يحصى عليه ، فاقبض على هذا الأصل وَعِهْ ، وتبينه ، فلن نجد تناقضاً ولا غرابة ، وجُمّال الرد فى هذا : إن الشعراء لهم أن يدعوا ما شاء لهم الخيال ، وإن التشبيه هنا للتأكيد والتقوية والإيضاح

ولا يفوتنى أن أنبه الأستاذ أنه ذكر أن مَرَدّ الغرابة فى كلام الأستاذ الخولى أمران ، ثم ذكر أحدها ولم يذكر الآخر ، فلعل فى هذا المَنْسِيّ الإلزام والافحام ، والإقناع والإمتاع ! .

— ٣ —

يقول الأستاذ الخولى :

( ا ) هم يقولون إن بعض التعابير أوضح من بعض ، فعلم البيان هو الذى يبين درجات الوضوح » .

فيقول الأستاذ العمارى « ليست وظيفة علم البيان البحث فى درجات الوضوح » ثم يقول « هذا العلم له أبحاث كثيرة ، قد يكون البحث فى وضوح الدلالة أقلها » .

فأى تهافت هذا وأى اضطراب : علم البيان لا يبحث فى الوضوح والخفاء ، علم البيان يبحث فى هذا ولكن ليس هذا وحده .

تعال — يا أستاذ — أين الخطأ فى قول أستاذ الجامعة ؟ هل عبارته تفيد أن علم البيان لا يبحث إلا فى أمر الوضوح والخفاء كما تزعم ؟ . إنه يقول « علم البيان هو الذى يبين هذا » نعم هو ذاك فليس ذلك موكولا إلى علم المعانى أو علم البديع ، ولكنه لم يقل إن هذا كل مباحث علم البيان يا دقيق ! !

( ب ) ويقول أستاذ الجامعة :

« والجملة تتكون من أجزاء سليمة ، وهذا ما يكفله علم النحو » فيزعم الأستاذ العمارى أن النحو « يبحث فى سلامة التراكيب » و« أن الذى يبحث فى المفردات إنما هو علم التصريف »

فليفرخ روعك ياصديقى ، فان الكلمة فى الجملة لها ناحيتان : ناحية هيئتها من مادة وترتيب حروف وضبط وهذه للصرف ، وناحية آخرها — إذ هى فى جملة يا فتى ! — وهذه للنحو .

وأستاذ الجامعة حين كفل النحو بذلك إنما أراد النحو والصرف ، قال فى الشافية : واعلم أن التصريف جزء من النحو بلا خلاف بين أهل الصناعة[1] » .

( حـ ) ويقول الأستاذ الخولى :

« والجملة قد تعرض عرضاً متنوع الأنماط » فيصل الأستاذ المحقق إلى أنه كان يجب أن يقول : ومعنى الجملة ... إلى آخره .

وذلك لا يخفى على غبى ولا لبيب .

يقول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ، ليل تهاوى كواكبه

فقرر أستاذ الجامعة أن الشاعر قصد وراء التصوير وهو مداخلة السيوف ومزايلتها والتماعها فى العجاج ، معنًى نفسياً هو الحيرة والاضطراب فتشبيه هذه الحالة بالليل تتساقط كواكبه مرشد قوى إلى هذا الخوف الذى يتملك المحارب عند الالتحام وهياج المثير وانعقاده على رءوس الفرسان :

ولكن الأستاذ العمارى ينكر هذا ، وما كان لينكره لولا أنه يقتفى أثراً مُضلّلا ، فيتقل ما كتب عبد القاهر حرفاً حرفاً ، ويسير وراءه إصبعاً إصبعاً ، ومع هذا فإنى أناشد شاعريته أيهما أليق بالشاعر : أن يكون مصوراً نحاتاً كما يريده القدامى أم يكون حساساً للظلال التى تحيط بالمرئى مُشعراً لك بها فى وضوح ونقاء كما يريد النقاد المحدثون ؟

أحسب أن حكم الشاعرية لا يَعْضُدك ولا يسنُدك وحسبى بها حَكما .

كامل السيد شاهين

المدرس بالمدارس الأميرية

---

(١) ج ١ ص ٦ طبعة محمود توفيق .

# وفاء الشعراء . . .

## مسرحية فى فصل واحد

### مهداة إلى صاحب السعادة عزيز أباظه باشا

بمناسبة زواجه الجديد السعيد

[ كان زواج الشاعر الكبير عزيز أباظه باشا ، بعد أن عاهد روح زوجه الأولى على ألا تشغل امرأة بعدها بيته ولا قلبه ، حديث الأندية الأدبية حيناً من الدهر ، ثم انتقل الموضوع من الحديث إلى الكتابة ، فنظم فيه الشعراء ونثر الكتاب واطلع صاحب ( الأنات الحائرة ) على بعض ما كتب فسمح بنشره واعداً أن يعقب برأيه على جلة ما ينشر ]

## المقـــــــدمة

الأشخاص :

١ — عبد الرحمن صدقى : صاحب ديوان (من وحى المرأة)

٢ — عزيز أباظه باشا

٣ — سعاد
٤ — وداد
٥ — خالصة
٦ — نعمى
} رفيقات مخلصات لزوجه زينب الفقيدة رحمها الله

٧ — روح المرحومة زينب المستحضر

عبد الرحمن صدقى :

عزيز ، فأين العهد أوثقت عقده
وأرسلته يدوى فيختال من عُجب ؟
أحقاً ، عزيز ، قد تزوجت بعدها
أأنسيتَ بيتاً ظل أنشودة الركب ؟
(سألقاكِ لم يُشغل فراغ تركته   بيتى، ولم يُملأ مكانك فى قلبى)

سعاد :

عزيز ، لفقدها ذو اللب طاشا   وكان وفاؤك العجب انتعاشا
إذا قاسوا وفاءك قلتُ : حِـلا   وإن ذكروا شبيهك قلت: حاشا
أتبنى بعدها أنساً بزوج   وتبنى بعد ما رحلت فراشا

وداد ( تنادى سعاد مستفهمة ) :

سعاد ؟

سعاد ( تجيب ) : قد تزوج

وِداد : لا

سعاد : وحقّـك

وداد : كيف ؟

سعاد : لا أدرى

فأين العهد ؟ ويح العهد   زال كنشوة الخمر
أكان العهد مصنوعاً   بقصد رياضة الشعر ؟ !
وما عهد الرجال لنا ؟   فكلهم إلى غدر
عهود دونها الأحلام   فى إغفاءة الفجر
ستنفضها رؤى اليقظات   عن جفن وعن فكر

خالصة :

ألا لا عهد إن غابت   عيون الإلف فى القبر

سعاد :

ألا تعرفن قلب المر   ء بين أصابع الربّ
يقلّبه إذا ما شا   ء جلّ مقلّب القلب

عزيز باشا :

أيا ربّ مالى فى قضائك حيلة   وإنى إلى الرضوان منك لأحوج
وإنك أدرى بالنوايا ، فان أرم   سوى شرعك الهادى فانى أهوج
فهب لى رضاك المبتغى وسكينة   لقلبى ، فلا يطغى ولا يتحرّج
لئن أنطقتنى سورة الحزن صَلّبة   فعقل الفتى تحت الأسى يتلجلج
وما بىَ عىّ عن جواب وإنما   أرى الصمت خيراً لى إذا الحق أبلج
لئن كان شرع الله حنثاً ومأثماً   فالامرئ من حوزة الإثم مخرج
يظنون بى غير الوفاء لزينب   ألست بأوفى اليوم ، إذ أتزوج
رأيت رسول الله لى خير قدوة   وسنّته للعقل والفضل منهج

عبد الرحمن صدقى :

يا ليت زينب أشرفت   من كوة الخلد البعيد
فترى العزيز وعرسه   فرحين بالعش السعيد
أنست جوارحه بها   وتذوقت معنى الجديد
أنجته من ألم الفراق   وأطفأت حرّ القصيد

عزيز باشا :

يا زين قد أقسمت إلا   أن تطلى وتعودى
جودى بوجهك وافصلى   ما بيننا بالله جودى
هل أنت راضية — أبينى —   عن وفائى والعهود ؟

شبح الفقيدة زينب :

ويح الرشاد بدار اللهو واللعب  لقد تحكمت الأهواء بالأدب
كفُّوا السهام فما أصميتم أحداً  غيرى بها ، يالها من نصرة عجب
أتمسكون برهبانية حرمت  والجاهلية فى ظل النبى العربى
هل تنكرون إذن وحشية سلفت
يحدو بها الجهل قوماً فى دجى الحقب
قوم إذا مات زوج عندهم دفنوا  رفيقه معه فى ظلمة الترب
فهل تريدون بيتاً لا عماد له  وأى أنس ببيت موحش خرب
هل الوفاءُ سوى الذكر الجميل إلى  فعل نبيل وقصدٍ طيب الحلب

نعمى :

ماذا نشاهد ؟ أحلام وأوهام  أم روح زينب أم وحى وإلهام ؟

سعاد :

بل رُوحها ، جلّ باريه ومرسله  واليوم يستحضر الأرواح أقوام
تأتى وتنطق عن علم ، وربّتما  تلوح منها لبعض القوم أجسام

وداد :

أفزينب غضبى وهـــذا  زوجهـا لم يرْعَ إلاَّ !
أيسرهـــا ما ساءنا  من أجلها وتراه فضلا

سعاد :

لا تعجبى فالمرء فى الأ  خرى يرى ما لا نرى
فلعـــلَّ ما تأبى عوا  طفنا يكون هو الهدى

خالصة :

يا زين لم ننكر عليه زواجه  لو لم يكن بالعهد شد رتاجه
أوليس أجدر أن يبرّ بعهده  من أن يعود بعهده أدراجه

شبح زينب :

ألا إن شرع الله عهد وموثق  بأعناقكم لو تعلمون مهانق
فذاك هو القسطاس . كل أليّة  تحيد بكم عنه فذلك موبق
ألم تحفظوا ما كان أوصى رسولكم
ولم يك يوما عن هوى منه ينطق
إذا المرء بالمكروه أبرم عهده  فحنثٌ وتكفيرٌ أحقّ وأوثق

عبد الرحمن صدق :

صدقت ورب البيت . ليس بممسك
على خطل إلا جهول وأحمـــق
وكائن نقضنا فى الحياة عزائماً  إذا لم يكن فى العزم حزم ومنطق
جميل ثبات فى الفتى عند عزمه  وأجمل من ذاك الصواب الموفق

سعاد :

بوركت زينب عم فضلك  فى الحيـــاة وفى الممات
فلأنت أفضل من عرفنا  من نساء المكرمات
أوتيت من فصل الخطاب  وفضل خير المحصَنات

شبح زينب :

عزيز ، تمتع ما أباح لك الله  وودّك عندى راسخ لست أنساه
عليك سلام الله فاهنأ وبوركت  عروسك فى أحلى نعيم وأصفاه
وعند إله العرش مجمع شملنا  على خير ما يرضيه منا ويرضاه

( يتوارى شبح زينب وينشد عبد الرحمن صدقى مخاطبا عزيز باشا ) :

دم عزيزاً يا عزيز فلقــد  نلت حظاً من ولاء ورشد

سعاد :

فلك التوفيق يسمى والرغد  فى وفاء ورفاء وولد

وداد :

عشتما فى الأمن من كيد الحسد

خالصة :

وشرور النافثات فى العقـــد

نعمى :

ما أنار الكون مصباح الأبد

( دمشق ) **مصطفى أحمد الزرقا**

أستاذ الحقوق المدنية فى الجامعة السورية




## قاري منى ، في إرشاد الأريب :

١ — إلى السيد محمد حسين إسماعيل في البصرة :

قصة ( القاري ) — يا أيها الفاضل الأديب — حق ، وهل يمنع من صحتها مانع؟وهذا الشاعر إنما شعر في الذي كان واشتهر ، والأبيات رواها الخطيب في ( تاريخ بغداد )—ج٢ ص٢٣٧— ولم يشر إلى حكاية ، لم يزد على الرواية ، والشعر يشرح نفسه ، ولم أعثر في مصنف طالعته على حديث ذاك القاري ، «ومن هوى الصدق في قولي وعادته » ، صددت عن البناء على الرجم ، فمن يعرف من أهل الفضل ما غاب عنا فليشر كنا — غير مأمور — فيما استفاد مشكوراً . وغير ضائر — ونحن في التكلم على قاري منى — أن أروى مقال ياقوت في ( منى ) كيما يجيء في هذه الخرفشة أو الخربشة شيء مفيد . قال صاحب ( معجم البلدان ) :

« منى بالكسر والتنوين[1] ... بليدة على فرسخ من مكة ، طولها ميلان ، تعمر أيام الموسم ، وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها . وقل أن يكون في الإسلام بلد مذكور إلا ولأهله بمنى مضرب . وعلى رأس منى من نحو مكة عقبة ترمى عليها الجمرة يوم النحر ، ومنى شعبان بينهما أزقة ، والمسجد في الشارع الأيمن ، ومسجد الكبش بقرب العقبة ، وبها مصانع وآبار وخانات وحوانيت ، وهي بين جبلين مطلين عليها . وكان أبو الحسن الكرخي يحتج بجواز الجمعة بها لأنها ومكة كمصر واحد . فلما حج أبو بكر الجصّاص ورأى بعد ما بينهما استضعف هذه العلة ، وقال : هذه مصر من أمصار المسلمين تعمر وقتاً ، وتخلو وقتاً ، وخلوها لا يخرجها عن حد الأمصار ، وعلى هذه العلة يعتمد أبو الحسن القزويني ، قال البشاري : وسألني يوماً كم يسكنها وسط السنة من الناس ؟ قلت: عشرون إلى ثلاثين رجلا ، وقلما تجد مضرباً إلا وفيه امرأة تحفظه ، فقال : صدق أبو بكر فيما علل . وقد ذكر منى الشعراء ، قال العرجي:

نلبث حــولا كاملا كله ... ما نلتــقى إلا على منهج

الحج إن حجت وماذا منى ... وأهله إن هي لم تحجج[1] ؟ »

قلت : تلكم ( منى ) بالأمس ، فكيف اليوم حالها ؟

٢ — إلى السيد عدنان أسعد في الزيتون :

لاريب في أن أصل «والأدب من ذى الغيبة» هو «والأوب من ذى الغيبة » والدليل على ما ذهبت إليه أنت — أيها الفاضل الأديب — قريب وإن تباعد مني ؛ فإن الناسخ القديم البارع (سامحه الله) استبدل بالواو دالا ثم جاء الطابع فطبع . وأما بيت امرئ القيس فلا يظاهرك لكن قد يشايعني ، وقول ( الملك الضليل ) هو الذي ضلل ... وقوى ( الغنم ) عندى ، فهو لم ير الإياب غنيمة بل رضى من الغنيمة بالإياب ، ولم تكن حاله كما قال في هذه البائية :

ألم أمض المطى بكل خرق ... أمق الطول يلماع السراب[2]

وأركب في اللهام المجر حتى ... أنال مآكل القحم الرغاب[3]

وقد طوفت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب[4]

---

(١) في الصحاح : يصرف ، وفي اللسان والتاج : يصرف ولا يصرف

(١) في الأغاني في أخبار العرجي وفي الكامل : ( في الحج إن حجت و ( الحج إن حجت ) عند أشكال هذا الشاعر الغزل من أدباء عصرنا — أحسن . والبيتان في أبيات ، مطلعها :

عوجي علينا ربة الهودج ... إنك إن لا تفعلي تحرجي

وقد كان العرجي ( غفر الله له ) خليفة عمر بن أبي ربيعة في مكة

(٢) في شرح ديوانه للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب : الأمق الطويل ، واليلمع من أسماء السراب ، وفي البيت ما يسأل عنه من طريق العربية وهو إضافة أمق إلى الطول فيتوهم أنه من إضافة الشيء إلى نفسه لأن الأمق هو الطويل . وليس على ما يتوهم ، إنما هو كما تقول بعيد البعد . ( قلت ) : أراد ( يلمع السراب . فأشبع كما قال عنترة ( ينباع من ذفرى غضوب جسرة ) في طويلته والفعل ينبع . وفي شرح ديوان امرئ القيس تأليف الأستاذ حسن السندوبي : ( لماع السرابِ ) والظاهر أنها رواية وجدها الأستاذ فآثرها .

ومن معاني اليلمع البرق الخلب ، وما لمع من السلاح . والخرق الأرض الواسعة .

(٣) في شرح الوزير أبي بكر : اللهام الجيش الكثير العدد ، المجر الثقيل ، القحم جمع قحمة وهي الدفعة الكثيرة من المال أو غيره ، الرغاب الواسعة ( قلت ) : وفي شرح الأستاذ السندوبي : القحم البضع الكثير من الأموال وغيرها .

وفي كتب اللغة التي بين يدى : القحم عظام الأمور التي لا يركبها كل أحد ، الأمور العظام الشاقة واحدها قحمة ، وربما عنى امرؤ القيس ذلك وللأستاذ السندوبي في إرشادنا إلى مراجعه في شرح ( القحم ) الرأى الأعلى

(٤) قال الوزير : أي أكثرت من الطواف في الآفاق حتى شق على ذلك ، وحتى صار رجوعي إلى أهلي خائبا غنيمة لي ولهم .

لم تسكن حاله كما قال و« لم يركب الأهوال إلا لينال الآمال[1] »

فلما أخفق رضى من الغنيمة بالإياب . وكأن الغائب الآئب غير غانم أو رابح أو ناجح أو مستفيد لا تتم غبطته وغبطة الأهل به . والأوبة البحت[2] أو البحتة المجردة التي تسر العائد والمنتظر إنما هي أوبة الجندي من المعركة ، من ميدان الحرب ... « ومن نجا برأسه فقد ربح » — كما قال الشاعر في صفين — أو عودة الحبيبة — كما يقول العارفون — عند المحب وعندها . والسلام .

**محمد إسعاف النشاشيبي**

### جواب :

كتب مجهول باسم مستعار لا وجود لصاحبه ، يعلمنا أصول النقد وقواعده ... ونحن نجاهد هؤلاء الإباحيين بأقلامنا جهاداً ، نرجو عليه ثواب المجاهدين ، ولسنا ننتقدهم نقداً . ثم إن النقد نحن أربابه ، ونحن ألَّفنا فيه لنعلم الناس قواعده ، وندلهم على أصوله ، وما أنت منه يا هـذا في قليل ولا كثير ، فانصرف رحمك الله إلى ما تفهم ، ودع النقد لأهله ، ولولا أنك كتبت في « الرسالة » ، لكان جوابك مني جواب الذي نبحني في آخر دقيقة ، وطنَّ في أذني من شاطئ الفرات ، و( سلاماً ) !

( دمشق ) **علي الطنطاوي**

### رأي غريب لأديب :

لبعض القراء تعليقات على ما يقرأون ، ولكن بعض الناس يرون من الغرابة أن تتتبع القارئات المقالات الأدبية بشغف واهتمام ، ويجدون ذلك دليلا على فقر صاحبته من الجمال ، لأن الجمال في رأيهم يغنيها عن هذا التتبع . هـذا رأي أديب كتبه له أحد محرري مجلة الأسبوع ، وهو رأي كما ترون غريب . فما العلاقة بين الأدب والجمال ؟ ! وهل إذا دققت المرأة فيما تقرأ وتذوقته عُدَّ ذلك دليلا على أنها ليست على جانب من الجمال تشغل به ؟ !

غريب جداً هذا الرأي في الوقت الذي نشكو فيه من أمية القراء ونطلب الثقافة للجميع ، وأغرب منه أن يكون من أديب يفهم قيمة الأدب ويعرف مقدار الثقافة !

فما رأي الأدباء في رأي هذا الأديب وفي نعيه على المرأة قراءتها للمجلات الأدبية ؟ ثم ما رأي أديب مجلة الأسبوع فيما يريد أن تقرأه المرأة وما ينبغي لها أن تكون ؟ افتونا أفادكم الله فإنه يخيل إليَّ أننا لا زلنا في ظلمات !

**« قارئة بالمنصورة »**

### من الأمانة في العلم :

نشر الأستاذ المنجد ( دور القرآن بدمشق ) وترجم لأعلامه سوى بضعة رجال قال إنه لم يعثر على تراجمهم :

١ — الخضر بن كامل بن سالم بن سبيع الدمشقي السروجي المعبر ( لا المقير ) توفي في شوال سنة ٦٠٨ على ما في ( شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ) ج ٥ ص ٣٣

٢ — أمين الدين أبو الغنائم سالم بن الحسن بن هبة الله الشافعي التغلبي الدمشقي . توفي في جمادى الآخرة سنة ٦٣٧ عن ستين سنة ، ودفن بتربته بقاسيون ، وخلف ذرية صالحة أبقت ذكره . ترجم له أيضاً في ( شذرات الذهب ) . ج ٥ ص ١٨٤

وهو نجل الحافظ أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصري ، المترجم له في ( شذرات الذهب ) ج ٤ ص ٢٨٥

٣ — أبو مسلم الكاتب محمد بن أحمد بن علي البغدادي . توفي بمصر في ذي القعدة سنة ٣٩٩ ، له ترجمة كذلك في ( شذرات الذهب في أخبار من ذهب ) ج ٣ ص ١٥٦

٤ — محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد العزيز البصروي . ولد ببصرى ، ثم تحول لدمشق ، واشتغل بالعلم حتى بلغ درجة الإفتاء ، توفي بدمشق في أواخر سنة ٨٧١ ، ترجم له السخاوي في كتابه ( الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ) ج ٧ ص ٢٩٥ ، وهو مذكور في ترجمة الخيضري (صاحب مدرسة القرآن المشهورة) من ( الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ) ج ٩ ص ١١٧

**عبد الرحمن محمد عبد الوهاب**

---

(١) من مثل أصله : من لم يركب الأهوال لم ينل الآمال .

(٢) في اللسان : وأكل الخبز بحتا بغير أدم ، وفي الأساس : وقدم إليه قفارا بحتا لا أدم معه . وفي اللسان : القفار بالفتح الخبز بلا أدم ، والقفار الطعام بلا أدم ، يقال أكلت اليوم طعاما قفارا إذا كان غير مأدوم




# كاتب العــرائض . . .

للأستاذ نجاتي صدقي

تذكر جميل العكرماوي بعد مضي خمس وثلاثين سنة من عمره ، أن والدته كانت تقول له في حداثته : والله يا بني لأزوجنك متى كبرت من فتاة شامية ، جسمها أبيض مثل الثلج ، وشعرها أشقر مثل الذهب ، وخداها أحمران مثل التفاح ، وكان هو يسمع كلام أمه هذا وعلى ثغره ابتسامة الحداثة البريئة .

ومات أم جميل ، وتعاقبت السنين ، فكبر جميل ، وتخطى العقد الثالث ، وأناخ الدهر عليه بأثقاله وهمومه ، فكان من البائسين المعدمين ، يضطر إلى ممارسة كتابة العرائض كوسيلة للمعاش . .

ورأس ماله في هذه المهنة : صندوق خشبي صغير ، وكرسي أصغر ، ومحفظة كرتونية ، وقلم حبر ، ودواة ، والقليل من الأوراق ، ونسخة من قانون العقوبات الجديد الذي نسخ قانون الجزاء العثماني القديم .

وبعد أن عمل في هذا الحقل عشر سنوات ، تمكن من ادخار بعض المال بفضل صفقات خاصة عقدها مع السذج من الفلاحين ، وكان يخفي هذا المال في حزام لا ينفك يطوق خصره ليلا ونهاراً ... وذات يوم راح يخاطب نفسه : أنت وحيد يا جميل ، وعليك أن تجد سبيلا قويما لتتدبر فيه أمر ما ادخرته من مال ... هيا افتح لنفسك مكتباً يرفع من مكانتك بين الناس ... كلا . كلا ... هيا افتح لنفسك حانوتاً يدر عليك الربح الوفير ... كلا . كلا ... لا هذا ولا ذاك ... عليك أن تتزوج من امرأة غنية تستفيد من ثروتها واذكر ما كانت تقوله له المرحومة أمك : « والله لأزوجنك من فتاة شامية » وسرعان ما سافر إلى دمشق في طلب العروس .

حل جميل افندي في فندق « أميّة » في دمشق ، وهو من أشهر فنادق العاصمة السورية ، وسجل في دفتره اسمه : « جميل بك العكرماوي محام من القدس » ... وكان يضع على عينيه نظارة بسلسلة ذهبية ، ويلبس لباساً أنيقاً ، ويثبت في ياقته دبوساً ثميناً ، ويحلي أصابعه بخواتم ذهبية ، وأشاع في الفندق بأنه أتى دمشق يطلب زوجة .

وإذ علم سماسرة الزواج في دمشق أن في فندق « أمية » وجيهاً فلسطينياً يود الزواج من فتاة مثرية ، هرعوا إليه ، وطرحوا خدماتهم عند قدميه .

وكان بطل قصتنا بحكم عمله ككاتب عرائض خبيراً بضروب الدّجل والمخاتلة . فكان يستقبل سماسرة العرائس ، ويكرم وفادتهم ويساومهم . ويستفهم عن الأسر القديمة الغنية ، ويجمع عنها المعلومات المفصلة إلى أن قرّ رأيه على خطبة بنت (...) باشا ، وهي تنحدر من أسرة تركية عريقة استوطنت دمشق منذ أيام عبد الحميد ، ثم آثرت ، واستعربت .

وبعد مداولات مع أهل العروس ، وهدايا متواصلة حملها جميل بك لإبنة الباشا ، وحديث مطول ألقاه على مسامعهم عن أملاكه في فلسطين في عين كارم والخليل ... وبياراته في يافا واللد ... وعن مكتبه الرئيسي في القدس ، وفروعه المنتشرة في جميع أنحاء البلاد المقدسة ... اقتنعت أسرة الباشا بمكانة جميل بك السامية ، وكان له شريك في القدس يرسل إليه برقيات عن سير « القضايا » في دور المحاكم ! ...

وهكذا تمّ عقد قران ابنة الباشا على جميل بك العكرماوي في حفلة اقتصرت فيها الدعوة على الأقارب والأصدقاء ، ثم رحل العروسان إلى لبنان ليقضيا شهر العسل في فندق ( القاصوف ) في ضهور الشوير ... وطالما كان يحدث العريس عروسه وهما في مصيفهما الجميل هذا ، عن أشهر مرافعاته في المحاكم محركا يديه ، وملوّحاً بأكمام ( الروب ... دي شامبر ) ، ومتنقلا في الغرفة ذهاباً وإياباً ، وكانت عروسه تستمع إليه طربة ، وهي مستلقية على مقعد وثير طويل وقد عقدت يديها تحت رأسها .

وقالت له مرة : حدثتني كثيراً عن قضاياك ... لكنك لم تحدثني قط عن حياتنا الزوجية في بلدك وكيف ستكون ؟

قال : دعى الحديث عن حياتنا المقبلة ، فقد صرنا الآن روحين فى جسم واحد ، أو جسمين تختلج فيهما روح واحدة ! ... وثق بأننى سأوفر لك جميع أسباب الرفاهية والسعادة فى منزلى الجديد الذى أبنيه فى حى القطمون فى القدس . والآن أرجوك ترك هذا الموضوع الجاف ، وهيا بنا إلى البستان لنأكل ما طاب لنا من الفاكهة .

وبعد انقضاء شهر العسل سافر العروسان إلى القدس ، ونزلا فى بيت حقير شبه قذر يقع فى محلة ( وادى الجوز ) ... ولما وطئت قدما إبنة الباشا هذا البيت ارتدت إلى الخلف مذعورة وقالت : ما هذا الذى أراه يا ابن عمى ؟ !

قال : لا تضطربى ... إننى متخاصم مع أهلى ، وقد انفصلت عنهم مؤخراً ، واضطررت إلى استئجار هذا البيت المفروش مؤقتاً إلى أن يتم بناء بيتى الجديد فى حى القطمون ... وبيتى الجديد ... عفواً ... بيتنا الجديد ، هو عبارة عن طابقين مبنيين من الحجر الأحمر المعرّق ، وله حديقة غناء مزروعة بأطيب الزهور والرياحين ، وله أربع شرفات فى جوانبه الأربعة ، تطل إحداها على المدينة المقدسة ، وتطل الثانية على هضاب بيت لحم ، وتطل الثالثة على قرية المالحة ، أما الرابعة فتطل على أحياء القدس العصرية ، وسأفرشه بأفخر الأثاث المصنوع من خشب الزيتون .

ومرّ الأسبوع الأول ، ثم تلاه الثانى والثالث ، ثم اكتمل الشهر ... وكل شىء باق على ما هو عليه ضمن الوعود المتواصلة وكانت سيارة تأتى إلى البيت فى كل صباح لتقلّ جميل بك إلى عمله ثم تعيده مساء ...

ويبدو أن ابنة الباشا قد خامرها بعض الشك فى سلوك زوجها ، فعقدت النية على أن تزوره فى مكتبه وأن تلح عليه بالذهاب معاً لرؤية البيت الذى لم يكتمل بناؤه بعد . وراحت فى أحد الأيام تبحث عنه وعن مكتبه بجوار دور المحاكم ...

وهناك سألت أحد سعاة البريد عن مكتب المحامى جميل بك العكرماوى ، فقال لها إنه لم يسمع بهذا الإسم قط ... ثم سألت غيره فتلقت منه الجواب ذاته ... ثم سألت عنه أحد كتاب العرائض ... فقهقه هذا وظنها عميلة جديدة وقعت فى فخ زميله جميل ... فقال لها : إننى لا أعرف جميل بك العكرماوى ، لكننى أعرف جميل العكرماوى كاتب العرائض ، وهاهوذا يجلس فى تلك الزاوية من المهارة ... وأنصحك بألا تكتبى عنده شيئاً فهو شخص يغرر بالسذج من الناس وإننى لعلى استعداد بأن أتقاضى منك من الأجر نصف ما يتقاضاه هو ... يضاف إلى ذلك أننى آخذ على عاتقى ملاحقة قضيتك فى جميع الدوائر ، هلا أطلعتنى أيتها السيدة على ماهية قضيتك هل هى جزائية ... أو حقوقية ...؟

وتركته المرأة مسرعة إلى حيث أشار ، فرأت زوجها يضع ورقة على ركبته ، والعرق يتصبب من جبينه ، وهو يكتب رسالة لرجل فقير كسيح ...

فصرخت ... وخرّت على الأرض مغمى عليها .

**نجاتى صدقى**

---




دعوة فى وقتها :

# الرســالة الخالدة . . .

بقلم الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا
الأمين العام لجامعة الدول العربية

## عرض وتعليق

للاســتاذ عبد المنعم خلاف

— ٢ —

### فى أصول الدعوة

وهو يقرر فى فصول الباب الأول من الكتاب أصول تلك الرسالة الخالدة ، وهى تنحصر فى دعامتين اثنتين وهما الإيمان بالله الواحد والإحسان ، فمن آمن بالله الواحد وعمل صالحاً فهو مسلم متبع لرسالة الله ، سواء أ كان قبل محمد أم بعده « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ! » والإحسان على معناه الأوسع الأعم الذى يشمل كل نشاط ينفع الناس ويعمر الدنيا .

وهذه الحقيقة وإن كانت معروفة للخاصة من الناس إلا أنها لدى العامة مجهولة ، ولذلك تأتى الآن فى وقتها ، وقت الدعوة إلى الإنسانية الجامعة والعالمية الشاملة التى لا بد فيها من فهم الدين على حقيقته فهماً يجمع الناس ولا يفرقهم ، ويعقد بينهم سباقاً للخير كما يقول الله لأهل الأديان الثلاثة : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ، فاستبقوا الخيرات » لا سباقاً إلى الشر والحروب كما يقول الشيطان ...

وتقرير هذه الدعوة الآن بلسان زعيم من كبار زعماء المسلمين وأمين جامعة الدول العربية أمر له ما بعده ! وشأن جدير أن يخطو بالجامعة العربية والجامعة الإنسانية خطوات حثيثة .

والحق أن القرآن أتى فى هذا الأمر بالعجب العجاب الذى لم تأت به فلسفة العصر من التسامح وفهم روح الدين .

والحق كذلك أن الأرض تحتاج مسيس الحاجة إلى وحدة اتجاه أهل الأديان الثلاثة السماوية وأهل الدينين الكبيرين العامين منها المسيحية والإسلام بوجه خاص ليقاوموا عوامل الجحود والطغيان والتنكيل بميراث الإنسان .

والحق كذلك أنها دعوة مدخرة لسكان الشرق الأدنى من المسلمين والمسيحيين واليهود — إن تركوا مزاعم الصهيونية البغيضة — وقد نصر الله روح حضارتهم على روح الوثنيات دائماً ، وآخر معركة بين الروحين هى معركة اليابان التى ما كان أحد يدرى ما ذا كان يحدث لأتباع الأديان الثلاثة من انقلاب فى مثلهم العليا الدينية الواحدة لو انتصرت اليابان وأتت بموجات وثنيات الشرق الأقصى طاغية بها على بلاد المسيحيين والمسلمين واليهود ؟ !

وقد كنت كمسلم أخشى هذا وأتمنى أن أدعو المسلمين وقت معركة اليابان إلى الفطنة لهذا المعنى وأخذ نصيبهم من المعركة ، لولا أن قعد بى ملاحظة أن فى هذه الدعوة ممالأة للانجليز غاصبى بلدى وبلاد المستضعفين من قومى وغيرهم ، مما يدعو الأحرار أن يتمنوا هزيمة أعداء الحرية ولو على يد الشيطان كما قال تشرشل حين حالف روسيا العدو الأول للامبراطورية البريطانية ضد الألمان ...

وعزام باشا يثبت دائماً هذا المعنى الجامع للمسلمين وأهل الكتاب خصوصاً النصارى ، ويدعو المسلمين والمسيحيين فى الشرق بوجه خاص لينهضوا برسالة الإنسانية فى العصر الحديث ، وينادوا العالم إلى ما عندهم من الأخوة السامية على الأجناس والألوان والنعرات . وهو يقرر دائماً أن التسامح هو السبيل الوحيد إلى تحقيق الوحدة العالمية ، ولن يكون التسامح إلا بتوطيد الدعامة الثانية للدين وهى الإحسان المبنى على أصلين عظيمين : هما الرحمة والإخاء

## فى الاصلاح الاجتماعى

يرى المؤلف فى فصول هـذا الباب الأربعة أن الإصلاح الاجتماعى فى الإسلام على أربعة فصول : التطهير الخلقى للفرد ، والتكافل بين الجماعة ، والبر الذى يطارد الفقر والترف والربا ، والعدالة والحرية اللتين هما ميزان الخليقة والشريعة . فأما التطهير الخلقى للفرد فهو نتيجة للعقيدة الخالصة بالله المتصف بجميع صفات الكمال والجمال والجلال ، إذ العبد مأمور أن يتخلق بأخلاق الله ومطبوع على أن يقلد صفات سيده الذى لا شريك له ولا سلطان مع سلطانه ، فلا يتوجه قلب من يعرفه إلى غيره ولا يخشاه إذ تتساوى الخلائق فى ملكوته وفى العبودية له . فالمؤمن شجاع صادق صريح جرىء فى الحق مناضل للباطل والفساد ، كريم ، وفىّ ودود إلى آخر صفات المروءة والكمال .

وأما التكافل فهو مبنى على مسئولية الفرد عن الجماعـة ومسئولية الجماعة عن الفرد واعتبار المسئوليتين هما أولى الوسائل فى الاصلاح الاجتماعى إذ بهما ينشأ « الرأى العام » الحارس لكيان الأمة البصير بمصالحها ، الدافع للآفات عنها المعالج بالتشريع لما ينشأ من أدوائها .

وأما البر فهو الإحسان والمواساة للفقراء ، والمتخلفين فى المجتمع . والفقر هو مشكلة العصر ومادة حديث الدعوات السياسية والاجتماعية والبر نتيجة للتكافل الجماعى . ولم يجعل الدين الفقر سبباً لازدراء صاحبه بل كانت أول مواساة الفقير هى شعوره بالمساواة مع غيره من الأغنياء . والفقير لعجز أو مرض جعل الدين مواساته وكفاية حاجاته حقاً له على المجتمع « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » والفقر لفقد الوسيلة إلى العمل جعل الدين علاجه واجباً على الدولة بإيجاد وسائل العمل والتكسب . والعمل هو الأصل وقد حض عليه الدين كثيراً .

وقد طارد الدين الترف فى أعلى المجتمع والبؤس فى أسفله ليجعل مستوى الحياة متناسقاً ، وكذلك حارب الاكتناز والربا والإسراف فى الشهوات ، واستعلاء طبقة على طبقة ؛ إذ المؤمن الصادق لا يضمر فى نفسه أنه خير من خادمه مع سيطرته عليه . وقد أعطى الإسلام سلطات واسعة لولى الأمر ليحقق البر والمساواة بين الناس ، ودعا إلى البر بجميع الوسائل بالترغيب والترهيب ، وجعل حق الفقير حق الله فهو مصون وليس لأحد أن يمن به . والبر فى الدين بر عام شامل لفقراء المسلمين وغيرهم لا فرق بين فقراء دين وفقراء آخر .

والحق أن فى هذا الفصل بياناً واضحاً لطرق مكافحة الفقر بتثبيت قواعد البر وصوره فى الضمير قبل ظواهر القوانين .

وأما العدالة والحرية فهما مبدآن فى السياسة وفى الدين الذى هو محطم القيـود والأغلال الوهمية عن النفس البشرية ، ولن يقوم مجتمع صالح إن لم يؤسس على ميزانهما الذى لا يحابى الأحباب ولا يظلم الذين وقع عليهم البغض والشنآن .

والحرية فى الإسلام من أقدس الحقوق فى السياسة والفكر والدين والحياة الدينية ، وهى مكفولة للصابىء والمجوسى واليهودى والنصرانى والمسلم يقول ويكتب مايشاء فى حدود المصلحة العامة فلينظر من شاء كما يشاء فى الكون ليستنبط لنفسه ما يراه حقيقة تطمئن نفسه إليها ، ولا ملام عليه ولا جناح .

## فى العلاقات الدوليـــة

فى هذا الباب فصول ستة يتجلى بها الطابع الأصيل الذى غلب على حياة المؤلف كرجل سياسة من الطراز الأول ، وقد أتى فى فصوله بأبحاث بكر عن الدولة الإسلاميـة الأولى وتاريخ علاقاتها بالناهضين للاسلام ، وحلل أولى معاهدة دولية بين المسلمين واليهود والوثنيين ، وخرج منها بمبادىء يجعلها نموذجاً قديماً لعصبة الأمم الحديثـة . ثم بيّن الدواعى والأسباب التى جعلت الحرب الدفاعية أمراً لا مناص منه بين الدولة الإسلامية الناشئة والناهضين لها ، وبين تقييد الحرب فى الإسلام بالأغراض السامية ، سلبية كانت كدفع الظلم والاعتداء عن النفس وعن المظلوم أيا كان ، أم إيجابية كالخير العام أو الصالح العام ، ولا يجوز أن تكون أغراضها هى التوسع فى الملك أو الاستعمار أو تعجيز الآخرين لإضعافهم عن المنافسـة فى ميادين العيش ، ولا العلو والاستكبار وحب البطش .

وبيّن أن الإسلام دين عملى يواجه الحقائق حين أباح الحرب لدفع العادية أو نصرة المظلوم ، وما ورد فى القرآن من آيات الشدة

والغلظة على الأعداء. وليس معناها الدعوة إلى الابتداء بالاعتداء، وإنما هي تحميس للنفوس إذا وقعت الحرب فعلا ولم يكن مناص منها؛ لأن الضعف والذل ظلم للنفس لا يرضاه الله بل يعاقب عليه.

والحرب الهجومية لا يبيحها الإسلام مطلقاً؛ والحرب المشروعة ضرورة تقدر بقدرها؛ فإن جنح الخصم للسلم فليجنح لها المسلمون متوكلين على الله، فالإسلام على استعداد دائم لعقد اتفاقات مع من شاء لصيانة السلم، ولا تحالف في الإثم والعدوان.

والمسيحية وإن حرمت الحرب تحريماً قاطعاً إلا أن الحياة العمليـة التي واجهت المسيحيين جعلتهم يختلفون في تحريمها. فالكنيسة الشرقية أحلتها بإسراف حين خلطت بين شخصية الرئاسة الدينية وشخصية الدولة الزمنية في شخص واحد فوضت إليه أن يعلنها كما يشاء، بينما حرمتها الكنيسة الغربية في القرون الأولى للمسيحية تحريماً باتاً حتى ولو كانت دفاعاً عن النفس.

وقد لجأ المسيحيون أخيراً إلى شبيه بالنظرية الإسلامية التي جمعت بين ما يقتضيه إقامة صرح العدالة العالمية وما تقتضيه الرحمة والأخوة البشرية والانصاف وكبح أهواء النفس الشريرة وجنون الدماء، وإقامة السلام.

وقد وضع الإسلام آداباً عامة للحرب وآداباً خاصة حين فشل في القضاء على الحرب كما فشل في القضاء على الرق؛ لأن تنظيم الشر الذي لا بد منه خير. وقد أتى في هذه الآداب بما في طاقة البشر من السمو، وروح الفروسية والنبـل ورحمة الأعداء، وحماية حقوق المستأمن ومسالمة غير المحاربين ومجاملة رسل العدو والإحسان للأسرى، والترفع عن التخريب والإحراق وإيذاء الضعفاء وغير المحاربين، وقد امتلأ تاريخه بهذه الخلال التي تجعل الحرب كأنها ميدان لظهور مكارم الأخلاق ظهوراً قد يغطي على ما فيها من سفك الدماء ...

وقد أتى المؤلف في هذا الباب بنظرة جديدة في أحكام الأسر والاسترقاق تجعل استرقاق الأسرى لا سند له من القرآن والسنة الصحيحة، وقد أتى بالحجج العقلية والنقلية على ما يقال من جواز القتل لعلة الكفر أو الشرك وحدها، وبيّن أن هذا ينافي روح الإسلام الذي يقرر أن لا إكراه في الدين، وقد أمده التاريخ بنصوص وحوادث لا سبيل إلى الشك فيها.

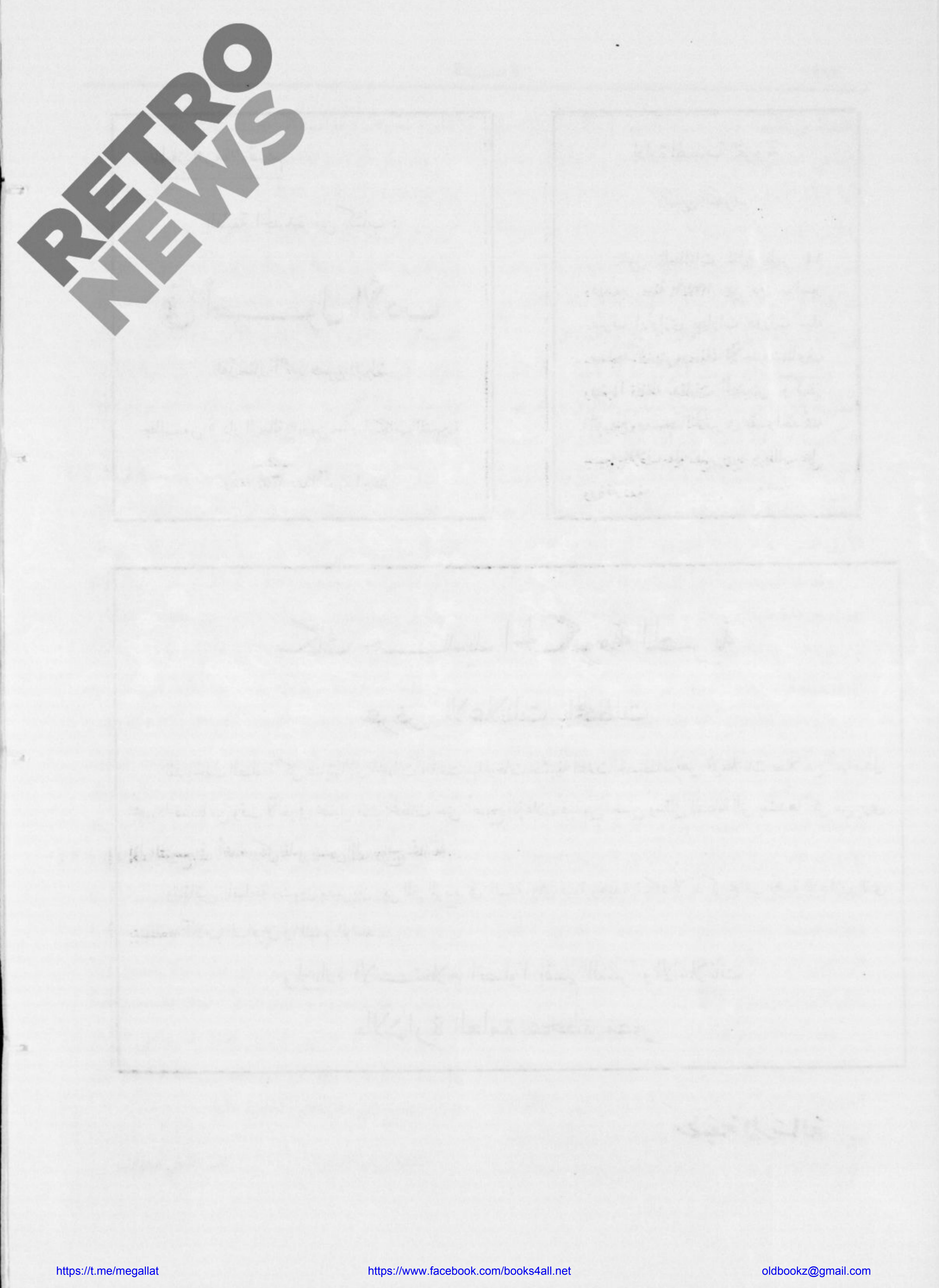
وقد بيّن أن السلم الدائمة هي أساس العلاقات الدولية في نظر الإسلام، وأن الحرب طارئة عليها. وقد دفع التهم والأوهام التي تزعم أن دعوة الإسلام قامت على السيف وتقوم به وأن الإسلام بصفته ديناً ودولة في حالة نزاع دائم مع من يخالفونه، وبيّن أن روح الإسلام السلمية واحدة في مكة أيام الضعف وفي المدينة في عهد القوة، وقد استشهد بالأجانب وبالتاريخ وقد بيّن أطراف العهود والمواثيق التي يمكن أن تقوم بين دولة إسلامية وغيرها سواء أكان ذلك الغير جماعة إسلامية أخرى أم جماعة معاهدة أم جماعة ليس بينها وبين المسلمين عهد.

ومن الأمور الهامة التي رأى فيها رأياً جديداً مسألة التخيير بين الإسلام والجزية والسيف؛ فقد بيّن أن هذه الحالات الثلاث التي كانت تعرض على الأعداء ليست آتية في عمل المسلمين على سبيل الحصر فقد وجـدت اتفاقات وحالات سلم بين المسلمين وجيرانهم ودول أخرى بغير أن يشترط فيها حالة من الحالات الثلاث. وحق إمام المسلمين وجماعتهم في عقد ما يرونه صالحاً متفق عليه. فصلح الحديبية مثلا لم يشترط شيئاً منها بل كان فيه شرط اعتبر إعطاء للدنية من المسلمين أمام المشركين المحاربين. وإنما كان الأمر المطرد الذي يلحظ في جميع اتفاقات الرسول صلى الله عليه وسلم هو القصد إلى نشر دعوته والوصول بها إلى الظهور بدون أن تعترضها قوة، وكثيراً ما كان الوصول إلى حالة سلم مستقرة هو الهدف الأسمى لتمكين الدعوة من الحرية اللازمة لظهورها. فلا يشـترط شيء آخر، بل يكون شرط الجزية أو الإسلام مؤخراً ومانعاً للتفاهم فيؤجل انتشار الدعوة التي سلاحها الوحيد أنها حق لا يقاومه جدل. ففي هذه الحالة يصبح شرط الإسلام أو الجزية مضراً ويكون فاسداً، وعلى ذلك ليس حقاً أن إمام المسلمين أو جماعتهم ملزمون بإقامة السلم على شرطي الإسلام أو الجزية، وإلا كانوا في حالة حرب دائمة مع أكثر البشر وامتنع ظهور الإسلام كدعوة عالمية.

(البقية في العدد القادم)

**عبد المنعم خلاف**

مطبعة الرسالة



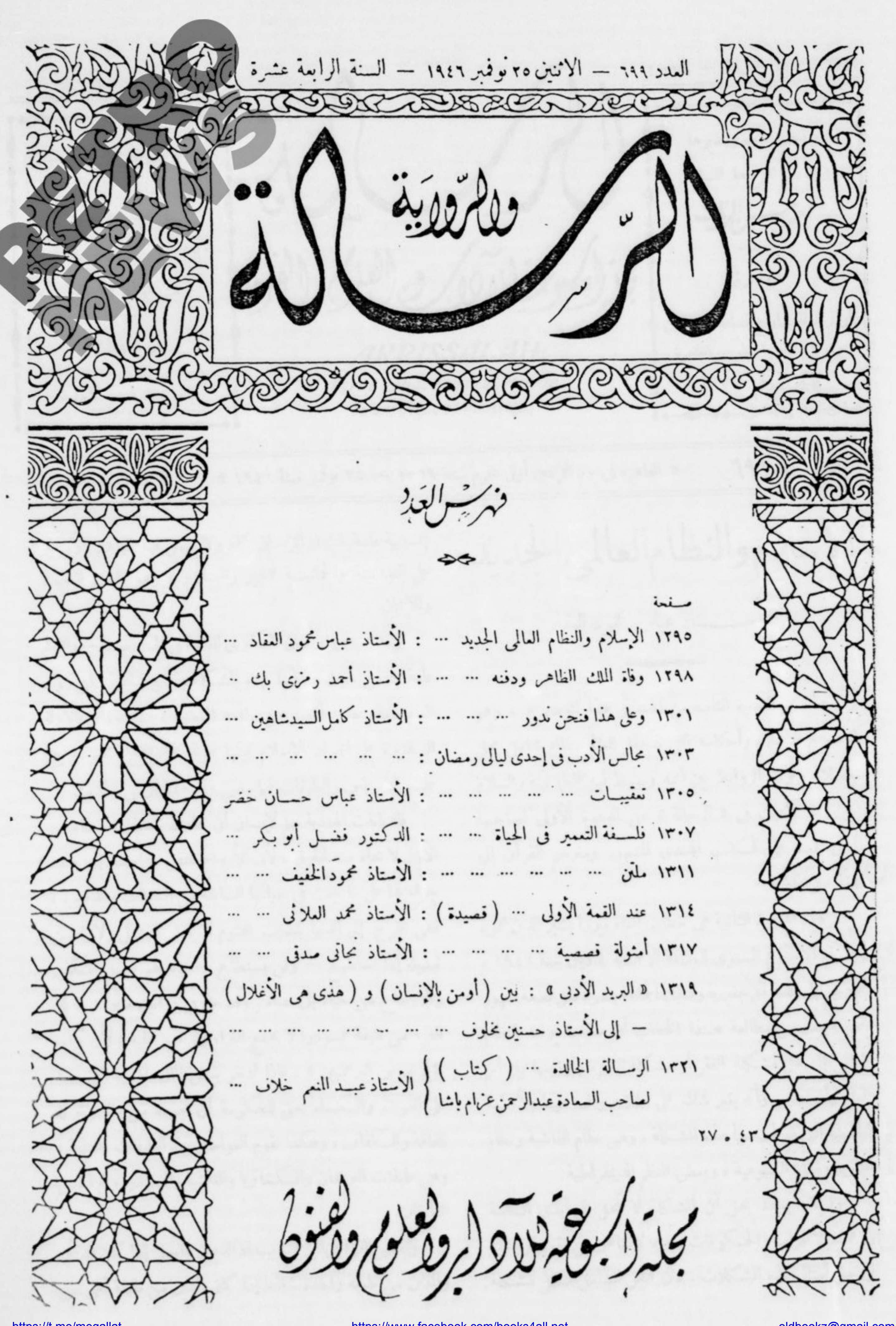
العدد ٦٩٩ — الاثنين ٢٥ نوفمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة




فهرس العدد



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ٦٩٩ — الاثنين ٢٥ نوفمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

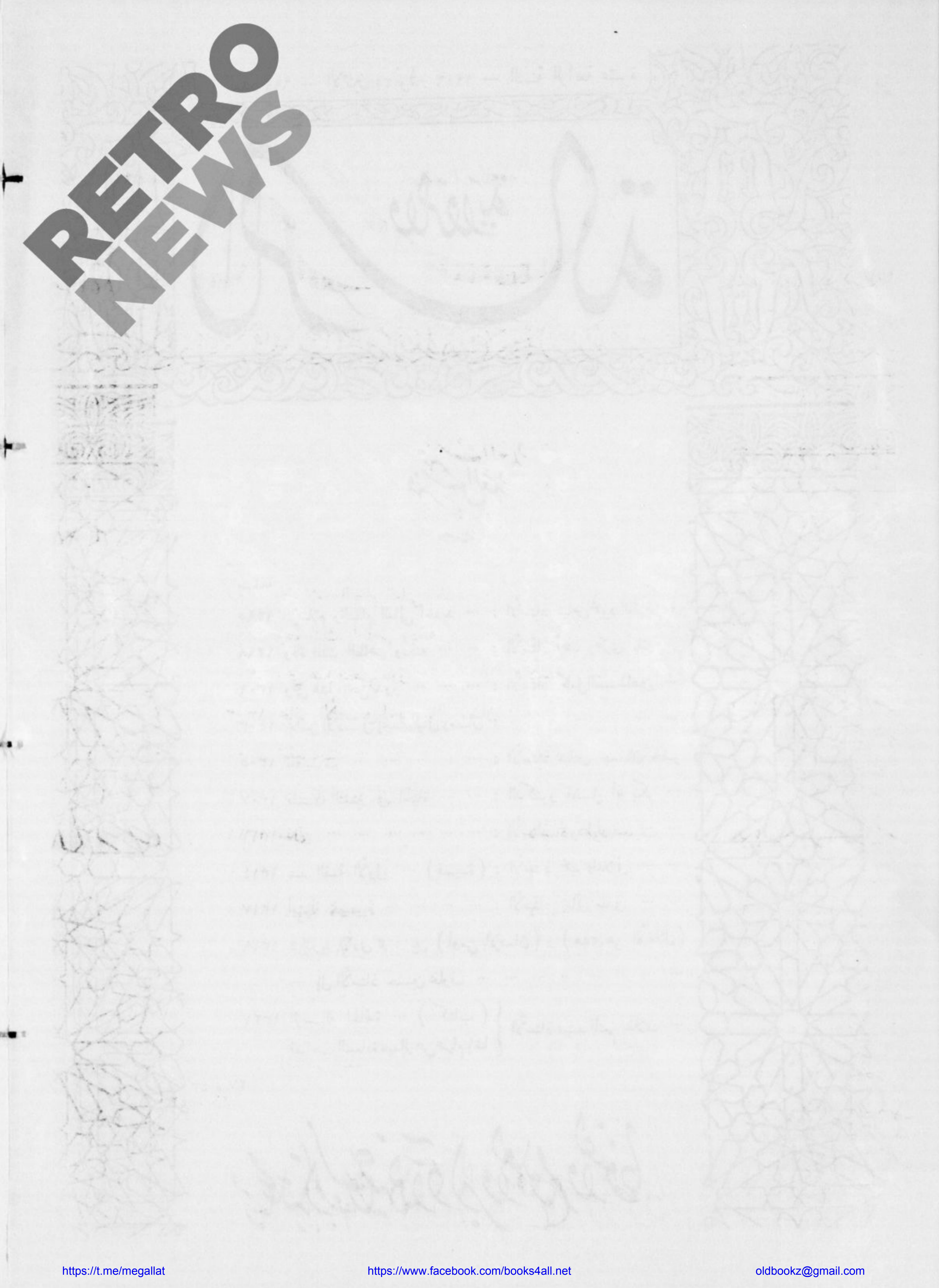
# الرسالة والرواية

فهرس العدد

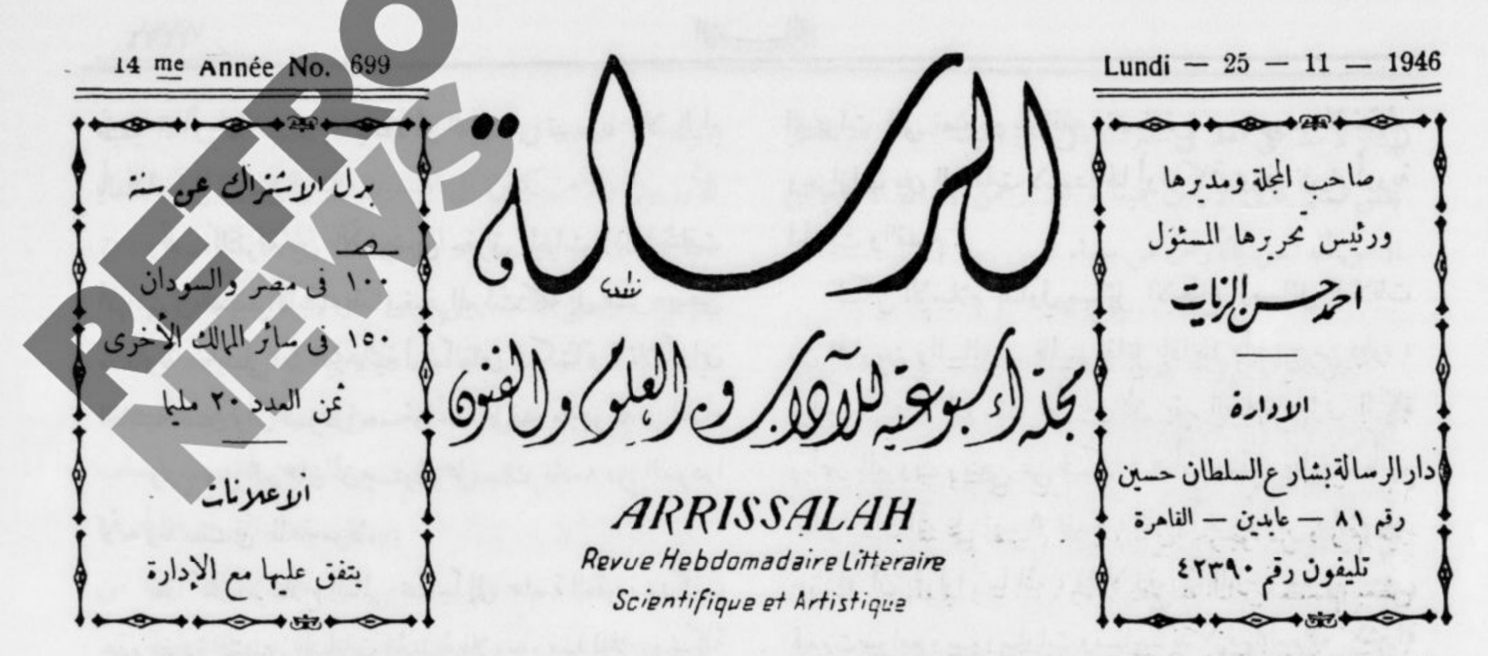


٢٧ ، ٤٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



14 me Année No. 699 Lundi — 25 — 11 — 1946




صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٩٩ « القاهرة فى يوم الإثنين أول محرم سنة ١٣٦٦ — ٢٥ نوفبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

# الإسلام والنظام العالمى الجديد

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذه هى الدعوة الثانية من الهند فى هذا الموضوع ، وهو موضوع الإسلام وأحكامه التى تتكفل للعالم بنظام شامل يحل معضلاته ويوثق الروابط بين أممه ويبسط فيه الطمأنينة والسلام

وقد كتبت فى « الرسالة » عن الدعوة الأولى لصاحبها المولى محمد على الكاتب الهندى المشهور ومترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية

وهذه الدعوة الثانية هى خطاب ألقاه ميرزا بشير الدين محمود أحمد فى الاجتماع السنوى للجماعة الأحمدية بقاديان سنة ١٩٤٢ ، ثم ترجم إلى اللغة الإنجليزية وعنيت الجماعة بنشره قبل بضعة شهور

ويبدو من مطالعة هذا الخطاب أن صاحبه يوجه النظام العالمى إلى حل مشكلة الفقر أو مشكلة الثروة وتوزيعها بين أمم العالم وأفراده ، وأنه بغير شك على اطلاع واف محيط بالأنظمة الحديثة التى عولجت بها هذه المشكلة ، وهى نظام الفاشية ونظام النازية ونظام الشيوعية ، وبعض النظم الديمقراطية

ولكنه يعتقد بحق أن المشكلة لا تحل على أيدى الساسة وزعماء الأحزاب والحكومات ، وأنه لامناص من القوة الروحية فى حل أمثال هذه المشكلات ، لأن الحل الشامل لكل مشكلة إنسانية عامة يتناول الإنسان كله ولا يهمل فيه الباعث الأكبر على الطمأنينة والحماسة للخير والصلاح ، وهو باعث العقيدة والإيمان .

وقد عرض للأديان الكبرى القائمة فى الهند خاصة — والعالم عامة — من حيث علاقتها بهذه المشكلة وتدبير الحلول التى تزوّد العالم بنظام جديد أفضل من نظامه المغضوب عليه ، فأتى بالأدلة الكثيرة على انفراد الإسلام بينها بمزية الإصلاح وتعميمه بين جميع الأجناس والطبقات فيما مضى وفى هذا الزمن الحديث

فالديانات الهندية تعلم الإنسان أن تفاوت الطبقات قضاء من الأزل لا نجاة منه لمخلوق ، لأن الأرواح تنتقل من جسد إلى جسد جزاء لها على ما جنت فى حياتها السابقة من السيئات والذنوب ، فهى تخرج إلى الدنيا بنصيب محتوم لا يقبل التبديل ولا يحسن تبديله إذا استطيع — ولن يستطاع — لأنه هو سبيل التكفير والارتفاع من حياة إلى حياة . وقد جاء فى قوانين مانو : « إن الفرد من طبقة السودرا لا يجمع الثراء ولو قدر عليه ، لأن ثراءه يؤلم نفوس البرهميين » . فإذا ادخر بعض المال لحاجاته التى تزيد على القوت والكساء حق للحكومة أن تجرده من ماله وتتركه للفاقة والكفاف ، وهكذا تقوم الفواصل بين الطبقات المختلفة ، وهى طبقات البرهمان والكشاتريا والفاشيا والسودرا وهم أخس الطبقات .

وتقضى القوانين البرهمية بسداد الديون بالعمل إذا كان الدائن والمدين من طبقة واحدة . فأما إذا كان المدين من طبقة أعلى من

طبقة الدائن فلا سداد إلا بالنقد أو العين متى تيسر ، ولا إلزام بالسداد قبل التيسير .

وتجب التفرقة بين الأخوة فى حقوق الميراث إذا اختلفت أمهاتهم فى الطبقة الاجتماعية . فيقسم الميراث كله إلى عشر حصص متساوية ، ويعطى ابن البرهمانية أربعاً وابن الكشاترية ثلاثاً وابن الفاشية اثنتين وابن السودرا حصة واحدة على قدر ما يجوزله من الثراء

ومن حق البرهمان أن يستولى على ملك خادمه من السودرا لأنه وما ملك فى طاعة مولاه .

فاذا كان الإصلاح العالمى محتاجاً إلى حماسة العقيدة ، وكانت هذه عقيدة المؤمنين بالديانات الهندية فلا رجاء فيها لعلاج مشكلة الفقر وإنصاف الطبقات المظلومة والتقريب بين الناس فى حظوظ الحياة .

أما الإسرائيلية فهى بأحكامها المنصوص عليها فى كتاب العهد القديم تخص اليهود ولا تعم الأمم جميعاً بالمساواة . فحرام على اليهودى أن يقرض يهودياً بالربا ولا يحرم عليه أن يتقاضى الربا المضاعف من أبناء الأمم الأخرى . ولا يجوز استرقاق اليهودى طول حياته ولا تزيد مدته فى الرق على سبع سنوات ، ولكن استرقاق العبيد فى الأمم الأخرى جائز فى كل حال ولا حرج عليه . وفى الإصحاح العشرين من سفر التثنية يقول العهد القديم لشعب إسرائيل : « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك .. وأما مدن هذه الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما ... » .

هذه هى حدود المعاملة بين المؤمنين بالعهد القديم وسائر بنى الإنسان ، فإذا سادت هذه المبادئ فالأمم كلها عبيد مسخرة وأبناء إسرائيل وحدهم هم أصحاب السيادة والثراء .

والمسيحية كما هو معلوم لم تعرض لمسائل القانون ومسائل السياسة أو الاجتماع ، ولهذا كانت دعوتها إلى السلام من الدعوات التى تصطدم بالواقع وتتمخض عن حروب لا تنقطع وحزازات بين الطبقات لا يهدأ لها أوار كما نرى فى تاريخ أوربة الحديث والقديم .

لكن الإسلام يتناول مسائل الاجتماع ومسائل العلاقات بين المحاربين والمسالمين . فالمسلم يقاتل إذا ظلم وأخرج من دياره ، ويأمره كتابه إذا ملك الأرض أن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

ولا يجيز الإسلام للنبى أن يكون له أسرى : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » .

ثم هو يستحب للمسلم المن أو الفداء « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق . فأما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » .

ومن بقى فى الأسر وطلب المكاتبة فقبول طلبه واجب على مولاه « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

ولا مطمع فى معاملة بين الشعوب المتمادية أعدل من هذه المعاملة وأقرب منها إلى إزالة العداء والبغضاء . فأما المعاملة بين المسالمين فهى كفيلة بإنصاف جميع الطبقات ؛ لأن الناس يتفاضلون بالأعمال الصالحة ولا يتفاضلون بالمظاهر والأنساب . وينكر الإسلام الجور فى توزيع الثروة فلا يجيز لأحد أن يكنز الذهب والفضة قناطير مقنطرة . ومن جمع مالا وجب عليه أن يؤدى زكاته للفقراء والمساكين ومصالح الجماعة بأسرها ، وعليه أن يعين من يطلب منه العون قرضاً حسناً لا مضاعفة فيه للربا ولا تجاوز فيه لمكاسب البيع والشراء ، فلا تطفيف للكيل ولا مغالاة بالربح ولا مماكسة ولا خداع ، وكل يجزى بعمله وسعيه دون

إيثار لأحد على أحد فى خيرات الأرض جميعاً ... « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » فلا يزعمن إنسان أو جمع من الناس أنه أحق بالأرض من سواه .

***

فالنظام العالمى لا يعتمد على عقيدة أصلح لتعميمه وحض النفوس عليه من العقيدة الإسلامية ، وقد أجاز الإسلام الوصية وندب لها المسلمين فى بعض الحالات . فان قصرت موارد الزكاة فموارد الوصية لا تضيق بما يطلب منها ، لأنها تشمل جميع الأموال والعروض ، وقد حث « الميرزا أحمد القاديانى » أتباعه على التوصية بمقدار من ثرواتهم يتراوح بين عشرها وثلثها ، للانفاق منها على الدعوة والاصلاح .

***

ولم يقصر المؤلف — أوصاحب الخطاب — مقابلاته ومقارناته على العقائد الدينية التى أجملنا الاشارة إليها فيما أسلفناه ؛ ولكنه خصها بالعناية لأن العقيدة كما قال هى أمل الإصلاح الوحيد ، ونظر معها إلى النظم السياسية أو الاجتماعية فإذا هى قاصرة عن بغيتها من الوجهة العملية والوجهة الروحية على السواء .

فالفاشية — ومثلها النازية — لا تؤسس نظاماً عالمياً مكفول الدوام لأنها تقوم على تفضيل الجنس والعصبية القومية . فلا مكان فيها لأمم العالم غير الخضوع والتسليم للجنس الذى يزعمون له حق السيادة والرجحان .

والشيوعية تعطل البواعث الفردية وتسلب النفس حوافز الاجتهاد وتجعل الحياة مادة فى مادة لا يتخللها قبس من عالم الروح ، وتأخذ للدولة كل ما زاد من ثمرات الأفراد ، ولم تفلح مع هذا فى إنصاف العاملين ، لأن السادة فى روسيا الشيوعية طبقات فوق طبقات فى الترف والمتاع ، وقد روى الصحفيون أن وليمة الدولة للمستر ويلكى مُدت فيها ستون صحفة من ألوان الطعام ، فهل يجعلون هذه المائدة مثلا يقتدى به المقتدون ؟ أو هى بذخ مقصور على فريق من الضيوف دون فريق ؟

***

والترجمة الانجليزية التى اشتملت على تفصيل هذه الخلاصة تقع فى مائة صفحة من القطع المتوسط وبعض صفحات ، ونحسبها صيحة لا تذهب فى الهواء إذا انتشرت بين قراء الانجليزية الأوربيين والأمريكيين بل الهنديين والشرقيين ، ولكننا نقرأ فيها أن مؤلفها يلقب بأمير المؤمنين وأنه الخليفة الثانى للمسيح الموعود ، ومعنى ذلك أنه من فريق القاديانية الذين يدينون برسالة « مسيحية » أو مهدية للقاديانى ولا يكتفون له بوصف الاجتهاد كما اكتفى المولى محمد على وأصحابه من الهنود المسلمين . فنعجب لهذه الألقاب التى تحيط الدعوة بين المسلمين أنفسهم بأسباب الحبوط والإنكار ، ونسأل : ماهو موضع هذه المسيحية الجديدة أو هذه الخلافة إذا كانت الحجج التى ساقها المؤلف كلها من المراجع الاسلامية الأولى ولا زيادة عليها من وحى جديد ؟

فخير للدعوة أن تقصى عنها هذه الألقاب التى لا تزيدها قوة وتأخذ منها كثيراً من قوتها بين المسلمين أنفسهم ، فضلا عن غير المسلمين .

**عباس محمود العقاد**

# وفاة الملك الظاهر ودفنه

للأستـــاذ أحمد رمزى بك

« إن الذين قالوا ربنـا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » ( سورة فصلت الآية ٣٠ )

إيه أيتها الليلة الظلماء القاتمة السواد لماذا فجرك يتأنى ويتمهل ؟ وأين صبح نهارك ؟ لماذا لايشرق ؟

وأنت ياموكب الحزن الشامل مالك لاتزال مرابطاً بأشباحك السود على أبراج قلعة دمشق وعلى جدران القصر الأبلق ؟

أين الطبول والدبادب التى كانت تقرع على أسوار الحصون والقلاع ؟

أين آلات الحرب والـكراع التى كانت تدك معاقل الأفرنج ما لها قد سكتت ؟

أين الأعلام وأين السيوف ؟ أتراها قد نكست وأغمدت لدى مصرع الملك الشهيد الراحل، وتنزلت أرواح الشهداء من الأمراء والجند بأمر الرحمن تحمل أرياح الجنة إلى قلعة دمشق تحيى بطل الفتوح وسيد المعارك الذى قادها إلى النصر والشهادة .

إنه يرقد بداخل تابوت تراه معلقاً وسط قاعة من قاعات الجند . إنه الملك الظاهر الذى لم تكن تحويه الدنيا بأسرها .

* * *

فى ساعة بعد الزوال من يوم الخميس ١٧ المحرم سنة ٦٧٦ هـ ( يولية ١٢٧٧ ميلادية ) فى حجرة من حجرات القصر الأبلق ومكانه اليوم التكية السليمانية بمدينة دمشق فاضت روح الملك الظاهر أبو الفتوح بيبرس بعـد مرض بسيط لم يمهله غير أيام معدودات ، وبموته انتهت حياة أعظم ملوك مصر والشام طراً فى عصرها الإسلامى العربى المجيد لا بل فى جميع أعصر التاريخ .

وكان السلطان العظيم قد دخل دمشق على رأس جيشـه الظافر عائداً من الجهاد عن طريق أنطاكية يحمل على جبينه غار النصر فى آخر حملة قادها إلى أواسط آسيا الصغرى حيث حارب وقاتل وقارع وانتصر ، ودخل مدينة قيصرية ، وخطب باسمه على منابر أرض الروم بعد أن كسر التتار هناك وشتت شملهم ، وحرر بلاد المسلمين من طغيانهم . ويقول مؤلف سيرته القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر :

« دخل دمشق معتقداً أن الدنيا فى يده قد حصلت ، وأن سعـده استخلص له الأيام والليالى والممالك شرقاً وغرباً » ، ولـكن المنية كانت على مقربة منه كما قال تعالى : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » سورة الأنعام .

وكان رحمة الله ورضوانه عليه بطلا من أبطال الإسلام أمضى العمر مجاهداً فى سبيل الله ذائداً عن دينه وصفه المعاصرون فقالوا « كان طويل القامة أسمـر اللون أزرق العينين أشمر اللحية جهورى الصوت شديد الهيبة تخضع له أسود الرجال وكان خفيف الركاب سريع الحركة لا يستقر فى جهة حتى يظهر فى أخرى » . يوماً بمصر ويوماً بالحجاز ويو ماً بالشآم ويوماً فى قرى حلب كان رجلا من رجال الله يحمل بين جنبيه قلباً لا يعرف المخاوف ولا ترهبه الأخطار ، وكان بعيد الهمة عظيم الآمال يقدم بطبعه على عظائم الأمور ويرحب بالمجازفة ومقارعة الأخطار ، يواجهها وهو ثابت مطمئن ويدفعها بالهدوء الذى يلازم النفس المطمئنة ذات النظرة النافذة التى لا تحيد عن الهـدف ولا ترتد ، والتى تشعر بأن لصاحبها من القوى الـكامنة والظاهرة ما يجعله يسيطر على حوادث الزمن ، وأن فيه من صفات الرجولة ما يجعله بطلا من أبطال العالم ، وأنها تشعرك بأن لوازم القيادة متأصلة فيه ، فهى التى أوصلته أن يتحكم على نفسه ويقودها كما شاء ثم مكنته أن قاد الناس معه .

كان من أبطال المسلمين المؤمنين بعظمة الإسلام لا ينفك يفـكر فيه ويخفق قلبه له ، فهو من أولئك الذين إذا قاموا بعمل عظيم وضعوا كل شىء فى سبيل تحقيقه والوصول إليه . هؤلاء ليس لهم أن يختاروا من الأمور أوسطها وأسهلها أو يقفوا بين طريقين مترددين وجلين ؛ لم يكن من أولئك الذين تشغلهم أمور الدنيا فترى الواحد يوزع جهوده ذات اليمين وذات اليسار . بل

كان من الفريق الذى يضع عقله وروحه وما يملك فى إتمام ما بدأ فيه ويحشد عواطفه وغرائزه ، فى تأكيد إرادته نحو الغاية التى ينشدها ، فكان أن وصل بالإيمان والثقة إلى أن تملكته نفحة من تلك النفحات الدافعة التى يُسبغها المولى على من اختار من عباده ، فأصبحت هذه النفحة غريزة فى خُلقه وقوة فى نفسه ودمه ، تحركه للعمل والجهاد فى سبيل الله وخدمة دينه ونصرة كلمته ، فغدا بهذه النفحة قوة من قوى الخالق جل شأنه « إنى لهذا أقمتك لكى أرى قوتى فيك » .

***

عجب الناس له : إذ رأوه ملكا على أعظم ما تكون الملوك عليه هيبة ووقاراً ، وقائداً على أعظم ما يكون عليه القواد أمام الأخطار والمعارك ، ساس الملك وخاض المعارك فأدهش الدنيا بملكه وعظمته ، وأدهشها بفتوحاته وانتصاراته ومواقعه الحاسمة الفاصلة . حكم فعدل ، وخُطب باسمه فى مشارق الأرض ومغاربها وأعاد الخلافة العباسية ، وقاد الجند فى الحروب فما من معركة دخلها ضد الفرنج أو التتار إلا وانتزع النصر من أيدى أعدائه ، لحطم قلاعهم وحصونهم وساق الملوك والأمراء والقادة أسرى بين يديه . لهذا بقيت صورة الملك الظاهر حيَّة خلال الأعصر ، ولهذا صاحبت أعماله السنين ، وبقيت خالدة مع الزمن راسخة فى قلوب الناس جيلا بعد جيل يتناقلها الخلف عن السلف ويسمر بسيرته الرجال .

ألم تر السامعين لسيرته . ما الذى يجمعهم حولها ويجعلهم يأنسون بها ؟ إنهم يلتمسون من عزيمته وعزمه ما يقوى عزيمتهم وعزمهم ، إنهم يرون فى صبره وإقدامه وشجاعته ما يخفف من وقع الأحداث والنوائب عليهم ، ولذلك عاشت سيرته وأعماله وأصبحت أعماله مضرب الأمثال ، وأطلت شخصيته من وراء الأجيال والقرون تحدث الناس بدروس البطولة والجد .

* * *

وفى ليلة وفاته كتب مؤلف سيرته : « قبض الله روحه الزكية فرجعت إلى ربها راضية مرضية ، وكأن نفوس العالم كانت نفساً ، وأنزل الله السكينة فلا تسمع إلا همساً ، واستصحب نهايته السكوت ، وخادعت العقول نفسها بين مصدق ومكذب ، وسكتت الشفاه والألسنة ، وتناومت النفوس من غير نوم ولاسنة ، وأسدلت ستور المهابة ، وأُفرد بقاعة من القلعة يوماً إليه بالترحم والسلام ، ولا يزوره غير الملائكة الكرام ، وكانت مدة مرضه قدس الله روحه ثلاثة عشر يوماً ، وهى مدة مرض الشهيد صلاح الدين رحمهما الله تعالى » .

وفى قاعة من بيوت الجند من المماليك البحرية بقلعة دمشق وضع جثمان الملك الظاهر فى تابوت بعد أن تولى غسله وتصبيره وتكفينه خادمه الخاص الشجاع عنبر ، وساعده المؤذن كمال الدين على المنيحى بحضور الأمير عز الدين الافرم ، وبقى التابوت معلقاً حتى شهر رجب من تلك السنة حينما جاء وفد من القاهرة لدفنه بتربته التى أنشئت بالمدرسة الظاهرية . ذكر صاحب البداية والنهاية : أن العمارة بدأت فى يوم السبت تاسع جمادى الأولى فى مكان الدار المجاورة لحمام العقيق تجاه المدرسة العادلية ووضعت أسس التربة فى خامس جمادى الآخرة .

عندئذ أوفد ابنه الملك السعيد : الأمير علم الدين سنجر والطواشى صفى الدين جوهر الهندى فوصلا من مصر إلى دمشق ، ولما كانت ليلة الجمعة الخامس عشر من رجب سنة ٦٧٦ حمل نعش الملك الظاهر من القلعة ليلا على أعناق الرجال :

خرجوا به فوق الرقاب وساروا تهديهم من وجهه الأنوار
وسروا به ليلا ليخفوا قبره والليل لا تخفى به الأقمار
هم سارعوا نحو الثرى بعبيره وقبوره الأسماع والأبصار

وسارت جنازته إلى صحن الجامع الأموى للصلاة عليه ، ولما انتصف الليل خرجوا به يتقدمهم نائب السلطنة المصرية بالشام الأمير عز الدين أيدمر ومعه أمراء جند الشام وتوجهوا به إلى المدرسة الظاهرية ثم إلى التربة التى أنشئت له ، وهناك ألحده قاضى القضاة عز الدين بن الصايغ . ولما أرقد رقدته النهائية بدأ القراء مستفتحين بالآية الكريمة « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » ، ولقد زرت هذا الضريح ووصفته على حالته بعدد « الرسالة » ٤٧٠ المؤرخ ٢٣ نوفبر سنة ١٩٤٢ ، وكنت

لا أدخل دمشق إلا جعلت من برنامجى زيارة هذا القبر الطاهر والوقوف أمامه أرتل قول القائل نقلا عن ابن الفرات :

صاح هذا ضريحه بين جفنىّ فزوروا من كل فج عميق

وهو القائل أيضاً : « إن الأسف تجدّد بدفنه فكأن العالم فجعوا بأبيهم الشفوق ، وقضوا حق التعزية وأنى يقضى أحد ما له من الحقوق » .

ولقد تقلبت بى الأيام وتنقلت بين بلدان كثيرة وأتيت من كل فج عميق لأجدد عهد الإخلاص أمام الملك الظاهر أعظم ملوك الإسلام المجاهدين المرابطين ، فما وجدت بقعة أوحت إلىّ وملأت روحى مثل هذه البقعة وقبر صلاح الدين . لقد جعلانى أومن بحق الوطن الخالد وعظمة مصر قلب العروبة والإسلام وأوحت كل منهما إلىّ بالدوافع النفسية للعمل وعرفتنى مكانة بلادى فى التاريخ إن القوى الكامنة فيها لا تقهر وإنها سوف تظهر للعالم وتكتب فى تاريخ العرب والمسلمين صفحة جديدة ، وستبعث بعثاً جديداً بإذن الله .

إلى هذه التربة انتهى المسير بجثمانه الطاهر ليرقد رقدته الأبدية إلى يوم البعث إذ هناك يرقد بطل المنصورة وعين جالوت وصاحب الفتوحات الكبرى : قيصرية وارسوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف وأنطاكية وحصن الأكراد ، وغيرها من البلاد والحصون والقلاع ، صاحب مصر والشام وبرقة والحجاز والنوب وأرض الفرات :

تدبر الملك من مصر إلى يمن إلى العراق وأرض الروم والنوبى

ولن أترك الظاهرية من غير أن أشير إلى ما ذكره اليونينى فى تاريخه عن أول درس للشريعة ألقى بها بعد بنائها إذ قال : « وفى يوم الأربعاء ثالث عشر صفر كان أول درس بها ترأسه نائب السلطنة المصرية بالشام ، وكان درساً حافلا حضره القضاة وكان مدرس الشافعية الشيخ رشيد الدين محمود بن الفارانى ، ومدرس الحنفية صدر الدين سليمان ، ولما توفى تولى بعده حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن أنوشروان الرازى الحنفى الذى كان قاضياً بمدينة ملطية » .

ها قد عشت يوماً من أيام الملك الظاهر فانظر أثابك الله إلى آثار ذلك العهد وإلى علمائه وتعجب لحالنا اليوم وما نحن فيه .

فهل فكَّر أهل مصر والشام فى الظاهرية والملك العظيم المدفون بداخلها ؟ هل أعطيت له مكانة البطولة التى يستحقها فى التاريخ ؟ انظر إلى الحجر الرخامى على الباب تجده من عمل أحد الولاة بدمشق فيه شعر ركيك بالعربية وبالتركية يكيل المدح ، وينسى واضعه أن يذكر صاحب المدرسة والتربة بكلمة واحدة .

ومن نكد الدنيا أن الوقفية على المدرسة الظاهرية منقوشة على أحجار البناء على الباب الكبير ، ولكن هذا لم يمنع الولاة والغاصبين من أن يحرموا الظاهرية من القرى الموقوفة على دروس الدين . إنى أستحى من نفسى وأخشى أن يقرأنى العالم إذا ذكرت للناس أسماء الضياع وأسماء من اغتصبها : رحم الله الإسلام والمسلمين ووقانا من شر أعمالنا .

قضى وله على الدنيا أيادٍ بصح بها من الزمن السقام
فراح من الملائك فى صفوف لهم من حول تربته زحام

**أحمد رمزي**

إلى وزارة المعارف :

# وعلى هذا فنحن ندور ...

للأستاذ كامل السيد شاهين

وها هو ذا العام الدراسى قد ابتدأ ، بعد أن تحيفته عوامل وأسباب نستكره الخوض فيها ، ونرجو أن تكون عوامل خير واستعداد وتهيؤ لا عوامل تخوف واستيحاش وإجفال .

يبدأ العام الدراسى بعد شهور خمسة قضتهـا الوزارة فى فتح المدارس وتنظيم المصروفات ، وإجراء التنقلات والترقيات ، وغير هذا مما هو من نصيب المدرس أو الناظر أو المفتش أو المراقب، وكلهم — بحمد الله — يقظ ، مفتح العين ، مترقب عامل دءوب ، متنسم لأخبار الترقيات والعلاوات ، متخصص فى تطبيق « الكادر » سباق إلى ذوى الحظوة المقربين ليقفز درجة أو ينال مرتبة .

وقد أبلت وزارة المعارف بلاءها السنوى . فنال من نال ، وحرم من حرم ، وبات الجميع بين مفطور القلب أسوان ، ومفتر الثغر فرحان . فأما الذى نسيته الوزارة والقوامون على تصريف شئونها ، وأغفلته شر إغفال ، ولم يذكرها به مذكر ، فذهب ضياعا وراح هدرا ، فهو حق التلميذ . فللتلميذ الحق الأول لدى وزارة المعارف ؛ وليس حقه هذا فى مصروفات تزاد أو تنقص ، ولا فى غذاء يخفف أو يجود ، فالخطب فى المال يسير ، وهو فى الغذاء أيسر ، وما كان أمر المال أو الطعام بالأمر الذى يدخل فى اختصاص وزارتنا فى الصميم ، وإنما حقه فى تيسير العلم ، وترقية الطرق ، وتغذية المواهب ، وحل المشكلات ، والتجانف عن التعقيد والالتواء . وإماطة الأشواك المربكة لعقله ، والمعوقة لفهمه ، وتنقية الكتب من الطفيليات العلمية التى تتعلق بالأصول المفيدة ، فتحد من إفادتها وتقلل من قيمتها .

وما كانت وزارة المعارف — وحاشاها — أن تلتفت إلى حق التلميذ هذا ، وكيف تلتفت وصاحب الحق قاصر ، والقوام عليه مشتغل بشأنه عنه ؟ وكيف تلتفت ، وهذه اللفتة لا تفيدها ضجيجاً ولا تلفت إليها الأنظار ، ولا تخرجها إلى عالم لا يسمع إلا الفرقعة المدوية ، والانفجار الهائل ؟

وكيف تلتفت ، وهذه اللفتة لا تفيدها ثناء ولا إطراء ، ولا تجر إليها إعجاباً ولا إكبارا ؟ وهى بمنجاة من اللوم ، فصاحب الحق خافت الصوت لا يعرف حقه ولا يدريه !

ابتدأ العام الدراسى ونظرنا فإذا المقررات هى هى ، وإذا الكتب هى هى ، منذ عشرة أعوام حتى لكأنما سار هذا الموكب الحافل من المدرسين والمفتشين طوالها لا يلمسون عيباً ، ولا يحسون عوجاً ، ولا يرضون عنها بديلا . وكأنما رضوا ما آتاهم المفتشون وأصدقاؤهم من كتب خالدة باقيـة على الزمن يتغير كل شىء ولا تتغير ، وتعيش فى جو يجر التلميذ والمدرس إليه كرهوا أم رضوا ، تعبوا أم استراحوا فإنما هو تأليف فلان أو فلان من الخيرة الأعلام الراسخى الأقدام !

يتغير كل شىء ويتطور ، وتخرب الأرض وتعمر ، وتقوم الحرب وتضع أوزارها ، وتثور الشعوب وتخمد ثورتهـا ، والكتب الدرسية ماضية فيما هى فيه لا تتأثر بهذه الأحداث ، وأى عيب فى هذا ؟

أليست حقائق الأشياء ثابتة ما لها من زوال ؟

لقد بحت أصواتنا — نحن المدرسين — أن أدركوا الناشئة من التلاميذ التى جنت عليها الدراسات العقيمة فى الأدب والقواعد الجافة التى لا تخرج عن أنهـا مضيعة للوقت ومفسدة للعقل ، فقالوا : هدامون نسافون مخربون ، فجئنا لهم بالأحجار والملاط ، وقلنا لهم شيدوا ! أولا ، فأفسحوا لنا المجال لنشيد بعيدا عن تحكم المفتشين ، وعجرفة المناهج ، فأبوا إلا مضياً فى الفساد ، ورجفت قلوبهم من التغيير والتجديد . وهأنذا أضع بين يدى القارئين طرفاً من هذا الموج حتى يلبيوا القائمين على شئون التعليم بوزارة المعارف ، ويردوهم إلى شىء من التبصر فى أمر هذه الناشئة .

فالتلاميذ فى المدارس الثانوية يدرسون أدب اللغة العربية على طريقة التلقين فالحفظ من غير تذوق الإدراك ، ولا إحاطة

بملابسات العصر المدروس ، فى كتب مضغوطة محشوة ، وكثيرا ما يلجأ المدرس إلى بترها أو مسخها أو سلخها ، فيزيد من غموضها وانبهامها ، ويخرج التلميذ بجمل فى كل شاعر أوخطيب لا تبقى معه إلا ريثما يخطها فى ورقته ثم يفرق الله بينهما أبد الآبدين .

وقد اقترحنا علاج هذه المشكلة بأن يقرر مع العصر روايات لها فائدتها فى إنارة العصر المدروس وأحواله الاجتماعية ، فرب رواية تكون أجدى على التلميذ من قراءة كتاب من موضوعات أدب اللغة .

اقترحنا أن تقرر رواية «عنترة بن شداد» مع العصر الجاهلى ، ورواية « شاعر ملك » مع العصر الأندلسى ، ورواية « فارس بنى حمدان» مع العصر الثانى العباسى ، وأن تنشأ روايات أخرى لهذا الغرض عينه يراعى فيها الإكثار من الشواهد ، والتحرى لطابع العصر ، فلذلك فائدته وجدواه ، وقلنا : إن التاريخ الأدبى مغلول بالتاريخ السياسى مقيد به ، ومع اعترافنا بقيم الأحداث السياسية ، فإننا نرى أن متابعة تاريخ الأدب للتاريخ السياسى خطوة خطوة وشبراشبرا مما يتضمن الإسراف على حقائق الأدب وتطوره إلى أبعد مدى .

وقلنا : إن الدراسات النثرية فى الأدب لم تأخذ حظها وافيا من الدراسة وأن الشعراء خطوا خطوة واسعة ، على حين أهمل أمر كثير من الكتاب . ولو أننا تتبعنا الأعمدة التى وضعها الكاتبون فى أدب اللغة لتطور الكتابة لوجدناهم قد راعوا ناحية الوظيفة ، فجعلوا من الكتاب « الموظفين » أعمدة على حين بقى غيرهم لا يعرف ولا يشار إليه ، فى هذه الطريق نجد « عبد الحميد » وهو موظف ، ثم بعده نجد ابن العميد ثم بعدهما نجد القاضى الفاضل ، وهما موظفان كذلك . فيملأ العجب جوانحك وتتساءل فى استغراب ودهش : أين ابراهيم بن المهدى ، وهو ذو أسلوب فى النثر مبتدع ؟ وأين الجاحظ سيد كتاب عصره ، والذى سوى لنفسه طريقة لا تزال تؤتسى إلى يوم الناس هذا . وهذان مثلان من مُثل كثيرة ، ليس هذا مقام تتبعها وأياً ما كان ، فإنه يجب أن يخطط تاريخ الكتابة تخطيطاً جديداً ، ويخص بقسط من العناية أوفى .

قلنا هذا كله ؛ وسمعنا إطراء وثناء وبدت لنا الآذان مفتحة والنفوس منشرحة ووعدنا بالنظر ، فكان النظر فى كل شىء إلا فى حق التلميذ فقد بقى « على قدمه » ، كأنما هذا الذى بين يديه ، غاية الغايات وآية الآيات !

وقلنا إن المستوى الإنشائى للتلاميذ غير مناسب ، فيجب أن تقرر عليهم روايات أخرى تنزع بهم إلى ترقيه الأسلوب وتذوق الجمال فى الآثار الأدبية « كآلام فرتر » و « روفائيل » وكتب فيها مقالات أمشاج ، تذهب فى علاج نواحى اجتماعية أو سياسية فى أسلوب أدبى راق « كفيض الخاطر » و « مختار البشرى » على أن يكون لها نصيب من الدرجات حتى يرغم التلميذ على قراءتها وإجادتها وتذوقها والإفادة منها .

ونحن إذ نهيب بوزارة المعارف أن تولى أمر المناهج والمعلومات التى يتلقاها التلاميذ عنايتها إنما نفعل بدافع من هذا الأسف الممض الذى يعتصر قلوبنا اعتصاراً على نابتة تفنخ فى غير فخم ولا تسير فى طريقها على أمم !

ولى عودة إلى مناهج التعليم الابتدائى إن شاء الله .

**كامل السيد شاهين**
المدرس بالمدارس الأميرية

مجالس الأدب :

# فى إحدى ليالى رمضان

( تتمة ما نشر فى العدد الماضى )

[ تثبت فيما يلى نص الحوار الطريف الذى دار بين ثلاثة من أدباء مصر وشعرائها فى إحدى ليالى رمضان كما أذاعته محطة الشرق الأدنى ] ...

### ٥ — المعرى والجهه

وما رأى المعرى فى الجن يا أستاذ كامل ؟

كامل : يقول :

فاخشَ المليكَ ولا تَقعُد على رهَب
إن أنت بالجن فى الظلماء خشيتا
فإنما تلك أخبارٌ مُلفَّقةٌ لخدعة الجاهل الحوشىِّ ، حوشيتا

### ٦ — شكوى ابن الرومى

عماد : قل لى يا أستاذ كامل . هل كان ابن الرومى كالمعرى يصوم أيضاً ؟

كامل : كان المعرىّ يصوم الدهر مختاراً . وكان ابن الرومى يكاد يصوم الدهر مضطراً ، لأنه لم يكد يظفر بالقوت .

عماد : إذ يقول يا أستاذ كامل ؟

كامل : « فلو كَفَّ قوتى ماء وجهى صُنْتُه » .

أو يقول :

« لا تَعجبنَّ لمرزوق أخى هوج
حظاً تخطَّى أصيل الرأى طرّافا
نِخالقُ الناس أعراءٌ بلا وَبَرٍ كاسِى البهائمِ أوباراً وأصوافا »

أو يقول مُتبرّماً بحظه :

« إن للحظِّ كيمياء إذا ما مسَّ كلباً أحاله إنسانا »

أو يقول :

« حُرمت فى سِنّى وفى مَيْسَمتى قِرَاىَ من دنيا تَضيَّفْتها
لهفى على الدنيا ، وهل لهفة تُنصف منها ، إن تَلهَّفتها »

إلى آخر ما يقول مما يفيض به ديوانه .

### ٧ — ابن الرومى وشهر الصوم

عبد الغنى : ولكن هل كان يحب رمضان ؟

كامل : كانت تجهدُه أيامه بقدر ما تبهجه لياليه .

عبد الغنى : إذ يقول يا أستاذ كامل ؟

كامل : من طرائفه فى هذا الباب قوله مداعباً :

« أذمُّهُ غيرَ وقت فيهِ أحمدُه من العشاءِ إلى أن تَسْفع الديكه »

عماد : هذا بيت رائع ، فهل تذكر إخوته ؟

كامل :

« شهر الصيام وإن عظمت حُرمته
شهر ثقيلٌ بطىء الظلّ والحركه
يمشى الهوَيْنى ، فأما حين يطلبنا
فلا السُّلَيْكُ يُدانيه ولا السُّلَكه
يا صدق من قال أيام مباركة
إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركه »

### ٨ — بياض المشيب

عبد الغنى : ولكن قل لى يا عماد إن الشعرات البيض فى رأسك تكاد تظفر بالشعرات السود ، فلماذا لا تعمد إلى الخضاب تسود به ما ابيض من شعرك كما يفعل كثيرون ، وكما فعل ابن الرومى حيث يقول :

ببياض المشيب سودت وجهى عند بيض الوجوه سود العيون

وبهذه المناسبة هل تذكر يا أستاذ كامل شيئاً لابن الرومى فى المشيب ؟

كامل : كثير ، ولكن هيهات يُنسى قوله :

أما رأيت الدهر كيف يجرى يثبت ما أكتمه من عمرى
بأحرف يخطها فى شعرى يمحو بها غض الشباب النضر
إذا محا سطراً بدا فى سطر

عبد الغنى : والآن أجبنى يا أستاذ عماد لماذا لا تعمد إلى الخضاب ؟

عماد : إنى لا أحب الكذب فى الشعر وأنا لا أحبه أيضاً فى الشَّعر . ومع ذلك فأنا مقيد بقسم قديم لا أستطيع التحلل منه الآن .

عبد الغني : وما هو هذا القسم ؟

عماد : قد تطغى على النفس البشرية فى الشباب ساعات يأس أليم تبغض إليها الشباب حتى لتحسب سعادتها فى الشيخوخة، وذلك رغبة فى الانتقال من حال إلى حال . لا لأن الشيخوخة سعيدة فى حقيقتها ، وقد قلت فى شبابي الباكر قصيدة يأس أذكر منها هذه الأبيات الغريرة :

قل يا رعى الله المشيب ... ولا رعى الله الشباب
عهد بلوت عهـــوده ... فإذا بأغلبها كذاب
حلو على مُرٍ فهـــل ... يرضيك من هذين صاب
من لى بظهر قـد تأطّـ ... ـر أو بيوم يقال شاب
آليت ثمّ أليـــة ... أن لا عمدت إلى الخضاب

## ٩ — ليلة الوزة

عبد الغني : أذكر يا أستاذ كامل . أن الصحف والمجلات منذ خمسة عشر عاماً أشارت إلى ليلة من ليالى رمضان أقيمت فى دارك وأطلقت عليها : « ليلة الوزة » اجتمع فيها على مائدتك الزنكلونى وأحمد حسنين وشوقى والهراوى والهياوى وصادق عنبر وأحمد عيسى وأبو العيون ودراز ، ولا أزال أذكر منها الأبيات التالية :

« هذا هوالمجلس ، لاتذكروا ... شبيهه فى الصفو لا تذكروا
رأيت فيـه كيف أضحت به ... حقيقة مَرْئيـــة عَبْقَر
كان زكى باشا ، إلى جنبه ... زعيمُ سوريا الحرُّ شَهْبَنْدر
وكان هرّاوىُ الرقيق الدقيـ ... ـق ، واللنوى صادق عنبرُ

فما حكاية هذه الليلة ؟

كامل : جاء ولدى ذا صباح متهللا يُبشرنى بأن الوَزّة التى طارت من بيتنا منذ يومين إلى بيت الجيران عادت إلينا . وكان بعض الأدباء حاضراً فقال متظرفا : « ما دمت قد وجدت الوزة الضائعة فقـد وجب عليك أن تدعونى إلى الإفطار عليها غداً . فأجبته إلى اقتراحه ، وجاء ثان وثالث ورابع وخامس وسادس وصاحبنا لا يكف عن تظرفه ، ولا يفتأ يروى قصة الوزة ثم يختمها قائلا :

والكيلانى يدعوك إلى الإفطار غداً على هذه الوزة ابتهاجاً بعودتها . فيقبل صاحبنا الدعوة فى غير تردد .

فلما رأيته يتمادى فيما يظنه إحراجاً لى وهو — لو علم — مصدرُ سرور وبهجة ، قابلت تحدّيه بمثله ، فرحت أدعو بقية أصحابى تلفونياً إلى الفطور بعد أن أوجز لهم القصة ، حتى تجاوز عددهم الأربعين .

ولا أكتمكما أن تظرُّفَ صاحبى — مضافا إليه انسياقى معه فى التحدى — قد جَنَيا على كبش لم يكن له فى هـذه الجناية يد ، كما جنيا على جماعة أخرى من ذوات الأجنحة تكفى لإطعام أربعين أديباً ، من بينهم أديبان ، كلاهما — علم الله — جديرٌ أن يكون أمة وحده .

وقد استولى المرح على الحاضرين حين سمعوا أحد الأديبين يشكو أضراسه وهو يطحن الأكل طحناً ، وعلا هتافهم حين سمعوا قول ابن الرومى :

على أنه ينعَى إلى كل صاحب
ضروساً له تأتى على الثور والكبش
يخبر عنها أن فيها تَثَلُّماً ... وذلكم أدهى وأوكد للجرش
ألم تعلموا أن الرحى — عند نقرها
وتجريشها — تأتى على الصلب والهشّ

وكانت ليلة أنس حافلة قلّ أن يجود بمثلها الزمن . وتوسطت الوزةُ المائدة ولم يفكر أحد فى لمسها وتمزيق لحمها شكراً لما أسدته إلينا من جميل ، بما هيأت لنا من اجتماع سعيد . وقد اجتمع الحاضرون على تخصيص الليلة كلها لأبرع ما يعرفون من حكايات الوَزّ .

## ١٠ — ساق الوزة

عماد : بمناسبة اشتغالك بجحا يا أستاذ كامل فى هذه الأيام هل كان لجحا نصيب من حكايات الوَزّ .

كامل : نصيب الأسد . فقـد ظفِرَتْ بعضُ حكاياته — على عادتها — بالجائزة الأولى . وخلاصتها أن الجوعَ استبد به ذات مرة ، فاضطره إلى التهام ساق الوزة المشوية قبل قدوم صاحبه .

فلما سأله فى ذلك قال :

ألا تعلم أن للوز ساقاً واحدة ؟

واشتدّ اللجاج بينهما فخرجا إلى حديقة الدار — وكان يوماً

# تعقيبــات ...

للاستاذ عباس حسان خضر

**أعداء المرأة :**

منذ سنين أطلق بعض المروجين للأستاذ توفيق الحكيم عليه لقب ( عدو المرأة ) ، واتخذت المجلات الشعبية هذا اللقب مادة للتندر فيما يتصل به ، وطاب ذلك للأستاذ نفسه ، فأكثر فى كتاباته مما يثبته ويسيّره بين الناس ، وكان بين الناس ، ولم يزل بينهم ، من يتساءل عن معنى هذه العداوة . وأكثر هؤلاء المتسائلون تساؤلهم لما رأوا أخيراً الدكتور زكى مبارك يعلن بنفسه فى مجلة ( مسامرات الجيب ) أنه عدو المرأة ، ويتبع ذلك بحملة عشواء ... يعلو فيها مثار النقع ، وتنجلى غمراتها عن هزيمة الجنس الناعم أمام أسلحة الشتائم التى جرد منها بالتثقيف والتهذيب ، واتخذها بعض الرجال أداة لحربه ...

ويعجب الشاهدون لهذه المامع من هؤلاء ( الأبطال ) الذين يريدون أن يعكروا صفو المودة بين الجنسين التى هى من آيات الله الذى جعل لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها وجعل بيننا مودة ورحمة ؛ ويعجبون أشد العجب لتحقير اللائى هن من أنفسنا ونحن منهن ولا يحق لهن إلا الكرامة والإعزاز

ويقول السائلون عن معنى تلك العداوة : أهى عداوة جنسية بحيث يدعوأولئك المغاوير سائر الرجال إلى حرب النساء ، ويضطر النساء إلى المقاومة ، فيقف الجنسان فى الميدان صفين على رأس أحدهما توفيق الحكيم وزكى مبارك ... ؟

ما الرجل ؟ وما المرأة ؟ أليسا نصفى شىء واحد هو الإنسان ؟ وهل يستطيع هذا الإنسان أن يتحرك إذا شل نصفه ؟

إن الرجل ليس رجلا إلا لأن هناك امرأة ، فهما متقابلان لا وجود لأحدهما دون الآخر ، وليست المرأة إلا شريكا للرجل له قيمته ، وليس من الرجولة أن تنتقصه وتتنكر له !

فإذا كان من يتسمون أعداء المرأة يريدون أن يحاربوا عيوباً تتصف بها ، ونقائص جرت أو طرأت عليها ، فليس السبيل إلى ذلك إيذاء شعور الكرائم وجرح نفوسهن بتلك المهاترات ، إنما السبيل هو الذى يسلكه ذوو الألباب من التنديد بالنقائص والعيوب والدعوة إلى نبذها والتجمل بأضدادها ، كما يصنع الأستاذان الطنطاوى وسيد قطب فى « الرسالة » الزاهرة

وليس للرجل أن يعيب المرأة — من حيث هى امرأة — لنقائص فى جنسها ، أولأن أفراداً منه حادوا عن الجادة ، فالرجال فى ذلك كالنساء ، بل إن من الرجال من لا تستطيع أشد النساء إمعاناً فى الخزى أن تبلغ شأوه فى هذا المضمار ، وهم المتشبهون بها ... ومن يتخذونهم بدلا منها ... ومع ذلك لم نسمع أن امرأة نودى بها أو نادت بنفسها عدوة للرجل ... !

فعداوة الجنس برمته لا موضوع لها إلا أن يكون القصد منها الترويج والتهريج والتظاهر بأعجب البطولات !

**رؤيا لم تقص :**

رأى أحد الأشرار فى نومه أنه قتل رجلا ، ولم يستطع الفرار ؛ فوقع فى يد الشرطة ، وقدم إلى المحاكمة . وحكم عليه بالإعدام ، وحل وقت التنفيذ ، وأتى به إلى المشنقة ؛ وبينما كان الرجل سابحاً بفكره فى رؤياه دخلت زوجه لتوقظه ، وفى اللحظة التى وصل فيها إلى أن كان الجلاد يمدُّ له حبل المشنقة — لمست يد زوجه عنقه ، فقامت هذه اللمسة مقام الحبل فى التأثير فى الرجل ... ففاضت روحه .

مهلاً قارىء « الرسالة » ، فأنا أعرف فطنتك ، وما يقاس ذكاء مثلك بمثل هذه الحكاية ، فلا إخالك إلا سائلا : وكيف عُرف أن الرجل رأى هذه الرؤيا وقد اتصل نومه بالموت فلم يقص رؤياه على أحد . . ؟ !

وبعد ، فقد قرأت قصة ( قطر الندى ) للصديق الكريم الأستاذ محمد سعيد العريان التى ظهرت فى سلسلة ( اقرأ ) ، وهى

---

قائظاً يكاد يلتهب فرأيا الوز واقفاً على رجلٍ رجل .

فقال جحا :

أرأيت صدق ما أقول

فأسرع صاحبه إلى الوَز وهشَّه ، فجرت كل وزة على ساقيها فقال له :

أرأيت الآن لكل وَزّةٍ ساقين ؟

فقال جحا متباهياً :

آه ! لقد ذبحتها ياصاح من غير أن أقول لها هش !

قصة ممتعة جلاها أسلوب العريان الطلي وحلاها براعته الفنية ، ولكنني وقفت فيها عند رؤيا لم تقص ... لست أدري كيف عرفها الأستاذ العريان ؟ !

ذلك أن ( أم آسية ) حاضنة قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد ابن طولون — رأت ذات ليلة أنها فى قصر عظيم تزف فيه قطر الندى بنت ملك الغرب (خمارويه) إلى ملك الشرق (الخليفة العباسى ) ، وكأنها ( أم آسية ) أم العريس ، وقد أفسحوا لها حتى دخلت إلى دار الحرم فشاهدت قطر الندى جالسة على سريرها... وحملها أريج البخور على جناحين من لهب إلى السماوات ، فما تنبهت إلا على صائح يصيح .. !

وقصت رؤياها على سيدها خمارويه راجية منه أن تكون ماشطة الأميرة يوم زفافها ... ثم كبرت الأميرة ... وهيئت للزفاف إلى المعتضد ، وسار ركب العروس من مصر إلى العراق . وفى بعض منازل الطريق نامت أم آسية ماشطة العروس ذات ليلة ، فرأت تمام الرؤيا التى بدأتها فى منامها منذ سنين ... حملها الأريج إلى السماوات ، وسمعت هذه المرة صيحة الصائح ... عرفته وفهمت عنه رسول من مصر يهتف بنبأ مروع ... قال الأستاذ : « وطوت صدرها على السر فلم تكشف لأحد عن خبره » . وقال : « واشتد بها الوجع ذات ليلة فى بعض منازل الطريق ، وأصبحت ميتة لم تكشف عن سرها ولم تتحدث إلى أحد برؤياها ! »

وعرفنا من حوادث القصة بعد ذلك أن تمام الرؤيا قد تحقق كما تحققت بدايتها ، إذ كان النبأ المروع أن غلمان خمارويه وثبوا عليه فقتلوه !

ولا أشك فى أنك الآن مشاركى العجب من معرفة الأستاذ العريان رؤيا أم آسية الثانية وهى لم تتحدث إلى أحد بها ! اللهم إلا أن يكون قد رأى أم آسية فى نومه فأفضت إليه بالسر الذى طوته حقبا من الدهر ... ؟

**فى تعليم اللغة العربية :**

كتب الأستاذ عادل الغضبان فى مجلة الكتاب الصادرة فى أكتوبر الفائت مقالا بعنوان « اللغة العربية بين المعلم والطالب » بين فيه ما رآه من أسباب ضعف الناشئة فى اللغة العربية ، ووزع التبعة فى ذلك بين الطالب والمعلم والمنهج ، فالطالب منصرف عن الدرس مقبل على مطالعة صحف المتعة والتسلية ، والمعلم مرهق بكثرة العمل مشغول بأسباب معاشه فى عصر كثرت فيه المطالب والنفقات . وقد أفاض الأستاذ فى هذه النقطة فأنصف المعلم ودعا الدولة إلى رعايته وتقديره

وتلك أسباب لضعف الطلبة فى جميع المواد لا فى اللغة العربية وحدها ، ويظهر أن الكتاب ، لغيرتهم على اللغة العربية وتشبعهم بحبها ، يقصرون الكلام عليها حينما يتعرضون لشئون التعليم من حيث انخفاض المستوى العلمى للطلبة مع أنه يكاد يكون على سواء فى جميع المواد

أما كلام الأستاذ فى المنهج ، فقد تضمن ما نخالفه فيه ، عاب معالجة المنهج المشحون بالحذف والتبسيط ، ولكنه لم يقل بم يعالج ، فمن المعلوم أن ازدحام المنهج بالمواد يتخم الطالب ويعسر عليه هضم المعلومات ، فبم يعالج إن لم يكن بنقصه وتسهيل صعبه ؟

وحمل على التبسيط فقال : « واقد عمت موجة التبسيط كل مقومات اللغة ، فتناولت اللفظ والأسلوب والصرف والنحو والبلاغة والأدب . فبدت اللغة العربية لذهن الطالب بعد ذلك التبسيط شجرة جرداء مقلمة الفروع جافة الغصون » . وقال : « إن هذا التبسيط يبعد الطالب عن الأساليب القديمة البليغة » . إلى أن قال : « وأعجب العجب ما قرأناه أخيراً من أن أستاذاً فى الجامعة يملى على تلامذته تفسير القرآن باللغة العامية »

والذى أراه أن أستاذ الجامعة يسف فى التسهيل والتقريب ، والأستاذ عادل الغضبان يوغل فى البعد عن مدارك التلاميذ ، ومن أسس التربية المفروغ منها وجوب البدء بالسهل ثم الانتقال منه إلى الصعب ثم إلى الأصعب ، ولكن الأستاذ عادل يريد أن يصدم الأذهان الغضة بالأساليب القديمة البليغة ، وأستاذ الجامعة ينتهى بالجامعيين إلى ما هو دون ما يجب أن يبدأ به ، فالتلميذ يبدأ فى السنة الأولى الابتدائية بالمحادثة العربية وينتهى فى الجامعة بالبلاغة العامية .. !

ويغالى الأستاذ عادل فى بيان قيمة القواعد ويرى الإكثار منها فى المدارس ، ولم يول اللغة نفسها أى الكلام العربى شيئاً من الاهتمام مع أنه هو الغاية المنشودة ، والأجدى فى الوصول إلى هذه الغاية أن نعرض الكلام نفسه مكونا مركبا على الناشىء بمختلف الوسائل ، ليدركه ويتذوقه وينطبع مثاله فى ذهنه ، قبل أن نحشوه بتلك القواعد التى تحلل الكلام وتفككه . وبهذا نحقق فائدتين : الأولى تكوين ملكة لغوية يقتدر بها

# فلسفة التعمير فى الحياة

للدكتور فضــــــل أبو بكر

وخوف الردى آوى إلى الـكهف أهله
وعلم نوحاً وابنه صنعة السفن
وما استعذبته روح موسى وآدم
وقد وعدا من بعده جنتى عدن

« أبو العلاء المعرى »

التشبث بأهداب الحياة أمنية كل إنسان ، بل هدف جميع المخلوقات من الأحياء ، وهى ليست أمنية أو محض رجاء ، بل هى سعى وكفاح أزلى دائم بين تلك الأحياء تتنازع فيه من أجل البقاء ولأجل البقاء ، فينتصر فى هذا العراك الأقوى ويحرز النصر الأصلح على حساب الضعيف الذى لا تعد له الطبيعة حساباً ، كما سمعت صيحة أزلية داوية يتجاوب صداها فى خلال القرون « الويل للضعيف » ! وتنازع البقاء هـذا هو علة العلل — هو سبب الويلات والحروب التى يشنها الأفراد كما تشنها الأمم بعضها على بعض من حين إلى حين كلما اشتدت وطأة هذا التنازع ، كما تشتد وطأة البراكين فتثور ثائرتها وتقذف حممها وهذا التنازع يغرى بالأثرة ويوعز بالأنانية التى تعـد من أقوى الغرائز المتأصلة فى الإنسان ، وقد يخفف من وطأتها ويهذب بعض الشىء من شراستها القوانين الأخلاقية وما أنزل من السماء من كتب مقدسة تحث على الإيثار وتندد بالأثرة ، ولـكن هيهات ! إذ الطبع يغلب على التطبع ، والغرائز لا يمكن استئصالها وإن كان من المحتمل تهذيبها

ألم يأتك نبأ الأم وقد خرجت من دارها مذعورة تحمل وحيدها على ذراعيها لما طغى الماء وهدد بالطوفان ؟ ! كانت ترفع فلذة كبدها إلى أعلى رويداً رويداً كلما زاد طغيان الماء وعلا منسوبه ولما قارب الماء وجهها رفعت الإبن إلى هامة رأسها ، وما أن أدرك الماء الوجه منها وهددت بالاختناق والغرق ، حتى ألقت طفلها فى القاع لـكى تعلو عليه فيقيها شر الخطر المحدق ولو إلى حين ! ضحت بابنها لـكى تنجى نفسها ولم تضمه فى تابوت مريح وتسمى عليه كما فعلت أم موسى ، وكما يقول المرحوم شوقى بك فى إحدى قصائده:

---

الناشىء على التعبير الفصيح وتذوق الأساليب العربية ، والفائدة الثانية أن يقبل على القواعد بعد ذلك شاعراً بالحاجة إليها لضبط ما عرفه ومرن عليه من الـكلام .

ومن مغالاة الأستاذ فى هذا الصدد قوله : « أما البلاغة فقد أخنى عليها الذى أخنى على القواعد فبسطت بالحذف دون مراعاة جلال شأن المجذوف ، فقد حذف من أبوابها باب الفصل والوصل ولعله فى نظرنا أهم أبواب البلاغة والطريف أن للبلاغة تعريفات جمة منها أنها ( معرفة الفصل من الوصل ) ولو عرف كثير من الـكتاب هذا الباب ووقفوا على أسراره ودقائقه لاهتموا بأن يقدموا للقارىء أسلوبا لا تتعادى فقره ولا تتجافى ألفاظه ولا تختلط فيه حروف العطف اختلاطا متنافراً متنا كراً » .

وأنا أقول له : إن الـكتاب الذين يشير إليهم إن يقرءوا باب الوصل والفصل فى كل كتاب من كتب المعانى مائة مرة فلن يأتوا منه فى أسلوبهم بشىء ، إنما يعوز هؤلاء — كى يقدموا للقارىء أسلوبا لا تتعادى فقره .. الخ - أن يقرءوا الأدب العربى ويفهموه ويتذوقوه ويعيشوا معه حتى يكتسبوا منـه سليقة يعرفون بها الفصل من الوصل وغير الفصل والوصل من مقتضيات البلاغة ، فالذى أفهمه من معنى أن البلاغة هى معرفة الفصل من الوصل أن الـكلام البليغ ما يجىء فيه كل من الفصل والوصل فى موضعه ، فليس المقصود من البلاغة هنا أنها « علم بقواعد » .

وفى وسع أى كاتب أن يرد على هذا الـكلام بمقال يبين فيه الفوائد التى لا تحصى من دراسة علوم البلاغة ، ولـكن المحقق أنه لن يفكر وهو يكتب هذا المقال فى شىء من قواعد هذه العلوم ...

وبعد فثمة عامل من عوامل ضعف تلاميذ المدارس فى اللغة العربية لم أر أحداً نبه عليه ، ذلك أن فروع اللغة العربية من إنشاء وأدب وقواعد وتطبيق ومحفوظات ومطالعة وإملاء وخط — متعاونة كلها متآزرة كأعضاء الجسد ... الواحد إذا اشتكى فرع منها تداعى له سائر الفروع بالدرجات المـكملات للنهاية الصغرى اللازمة للنجاح ... فالذى يقع من جراء ذلك أن التلميذ يهمل فروعا قد يجهلها جهلا تاما اعتماداً على تلك الوحدة الرائعة ..

فلا تعجب إذا رأيت تلميذاً ينجح فى امتحانات اللغة العربية وهو لا يستطيع كتابة سطر بأسلوب سليم ، لأنه يحفظ القواعد أو يحسن غيرها من بقية الفروع ، وقل مثل ذلك فى الباقى ، ولو جعل لـكل مادة درجة معلومة لا بد منها للنجاح لا ضطر التلميذ أن يصل إلى المستوى الذى يجب أن يكون عليه فى كل مادة بدلا من أن تمكن له أن يجهل شيئا بشىء .

**عباس حسان خضر**

كأم موسى على اسم الله تكفلنا وباسمه ذهبت فى اليم تلقينا

وقد يبدو من تصرف تلك الأم كثير من الأنانية ، غير أن غريزة حب النفس طغت على عاطفة الأمومة ، وهل عاطفة الأمومة نفسها إلا جزء من غريزة حب النفس ؟ ! فالأم تحب ابنها لأنه جزء منها ولأنه عزاء لها بعد مماتها إذا قدر لها أن تموت قبله ، فهو موصل ومكمل لتلك الحياة .

كل ذلك كما أسلفنا سببه تنازع البقاء وطلب الخلود حتى الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر وقد أفعم الإيمان قلوبهم وزهدوا عن حطام الدنيا تراهم يعلقون بالحياة وتراهم يعزون أنفسهم — وقد علموا ألا خلود فى الحياة — بأن الحياة ما هى إلا طيف خيال ، وأن وراءها الدار الخالدة الباقية ؛ فالبقاء هو الغاية فى كلتا الحالتين .

فالإنسان يطمع إذن فى خلود نسبى ، إذ لا سبيل إلى المطلق فى هذه الدنيا « وما لا يدرك كله لا يترك جزؤه » . فهو يرجو بعبارة أخرى أن يطول عمره إلى أقصى حد ممكن . لهذا أريد أن أوضح باختصار بعض الطرق المؤدية إلى التعمير ، وهى طرق نفسانية غير الطرق الطبية والصحية المألوفة مع اعتقادنا بأنه « لكل أجل كتاب » . وهذه الطرق هى كالآتى :

١ — الاعتقاد فى طول العمر والاختلاط الدائم بالشباب .
٢ — نبذ عواطف البغض والحسد والغضب .
٣ — الإيمان بالله والاعتقاد فى البعث والخلود .

**١ — الاعتقاد فى طول العمر :**

أن نؤمن بحقيقة أن بعض الناس منذ بدء الخليقة وفى كل زمان ومكان قد بلغوا من العمر عتياً وتناقل أخبارهم الناس فى شىء من الاستغراب والغبطة ، غير أن عملية الإحصائيات لم تنظم إلا متأخراً نسبياً . ولنذكر بعضاً من أولئك المعمرين على سبيل المثل :

روى المؤرخ الرومانى « بلين » ( ٢٣—٧٩م ) أن عمل فى ذلك الوقت إحصاء فى شمال إيطاليا ، وكان محصوراً فى ثلاثة ملايين نسمة وجدوا بينهم أكثر من ١٧٠ ممن عاشوا بعد المائة عام . كما روى المؤرخ « استرابن » أن بعضاً من سكان البنجاب زادت أعمارهم على المائة . كما ذكر الشاعر الإغريقى « أنا كريون » أن ملك قبرص فى ذلك الوقت واسمه « سنجراس » بلغ من العمر ١٦٠ سنة . كذلك يقول العالم الفسيولوجى « هالر » فى كتابه « مبادئ الفسيولوجى » أن المتوسط لعمر الإنسان يمكن أن يبلغ ٢٠٠ عام — وعمل إحصاء فى مدينة بوينس إيرس بأمريكا الجنوبية سنة ١٨٩٦ فوجدوا أن أحد السكان واسمه « برونو » بلغ عمره ١٥٠ سنة . وعملت أيضاً إحصائية بالولايات المتحدة سنة ١٨٩٠ أسفرت عن وجود ٣٨٩١ من المعمرين الذين عاشوا بعد المائة عام إلى غير ذلك من الإحصائيات .

هذا ، وقد ذكر بعض العلماء مثل : هاملر وبلاندن وجريفز أن بعضاً من المعمرين تنبت أسنانهم للمرة الثالثة ، وأن امرأة هرمة ربا عمرها عن ١٤٠ عام عادت إليها أسنانها للمرة الثالثة كما تبدل بياض شعرها سواداً . والبعض منهم يحتفظ بقواه العقلية والجسمية بدرجة تمكنه من إدارة شؤونه . فوليم جلادستون مثلا الذى كان زعيما لحزب الأحرار البريطانى ، والذى كان زميلا ومعارضاً لدزرائيلى زعيم المحافظين فى ذلك الوقت بلغ جلادستون من عمره التسعين ، ومع ذلك كان محتفظاً بقوة عقله وجسمه ، وكان يمارس قطع الأخشاب كغية فى وقت فراغه ، وهو عمل شاق حتى على الشبان .

كان يلذ للناس منذ قديم الزمن ويسترعى فضولهم أن يسألوا المعمرين عن سر تعميرهم ، وهل عثروا على حجر الفلاسفة وأكسير الحياة ؟ ! وكانت الأجوبة فى كثير من الأحيان لا تروى ظمأ ولا تشفى غليلا ، بل كان فيها أحياناً شىء من التناقض ، مثال ذلك ما يرويه الفرنسيون على سبيل التندر عن بعض المعمرين من سكان بريتانيا فى شمال فرنسا . سألوه ذات مرة عن السر فى طول عمره ؟ فأجابهم بشىء من التحدى : « إن السر فى ذلك بسيط جداً . كنت إذا ما أكثرت من شرب الخمر رجعت فأكثرت من التدخين ، وإذا ما أكثرت من التدخين عدت لأدمن الخمر وهكذا دواليك » . والمفروض فى هاتين اللذتين ، أى الخمر والتبغ ، هو ضررهما بالجسم ولا سيما فى حالة الإدمان . غير أن الذى يشاهد فى معظم الأوقات أن أغلب المعمرين كانت حياتهم هادئة نسبياً قليلة الهموم والعواطف المؤذية

مثل الغيرة والحسد والبغض . وقد قال بعض علماء الصحة — فى شىء من المبالغة — إن الإنسان لا يموت موتاً طبيعياً ، ولـكنه ينتحر لإسرافه وعدم مراعاته الاعتدال الذى هو أهم العوامل لصيانة الجسم . فالإفراط مادياً كان أو نفسياً يعود على الجسم بأضرار بليغة ؛ كما أن الـكثير من الناس يتعاطى من الطعام ثلاثة أضعاف ما يلزمه ، ومن هنا نشاهد نسبة التعمير بين الفقراء ومتوسطى الحال تفوق نسبتهم بين الأغنياء المترفين . وليس خطأنا فيما يتعلق بالأطعمة محصـــوراً فى « الـكم » ولـكنه يشمل « الـكيف » من حيث تحضير الأطعمة . نتفنن فى طرق طبخها ونبالغ فيه ، وفاتنا أن كثرة الطهى تفقد الأغذية كثيراً من قيمتها الغذائية ، كما أن المواد الحية من حيوان أو نبات هى أفيد لصحتنا وأجدى لإحياء أجسامنا . خذ مثلا بعض سكان التروبخ وسيبريا الذين يعيشون فى أغلب الأوقات على المواد النيئة من حيوانية مثل السمك والقواقع وغير ذلك مما يلفظ البحر ، ونباتية مثل الفواكه والخضروات والبقول نجد نسبة المعمرين مرتفعة عند تلك القبائل . وقد استرعت هـذه الخاصية أنظار العلماء والفلاسفة منذ عهد بعيد . ويذكر الفيلسوف العالم أرسطاليس أن بعض التماسيح تبلغ من العمر عتياً ، وقد يمتد بها الأجل إلى أكثر من ٥٠٠ عام ، ومن أهم الأسباب المؤدية لطول أعمارها — كما يزعم — هو كونها تتغذى على الأحياء المائية من نبات وحيوان .

أما الاختلاط الدائم بالشباب الأقوياء ، وكونه مؤديا إلى الاحتفاظ بالشباب ، فقد أقر هذه الحقيقة القدماء ونوه بها بعض الفلاسفة والعلماء مثل جالينوس ؛ وكذلك الفيلسوف الإنجليزى « روجر بيكن » . وقد قال فى ذلك : « إن هنالك أرواحا وإشعاعا ينبعثان من الإنسان الشاب القوى ، ويكون فيهما شفاء للمريض ، وتجديد لشباب من ولى عنه الشـباب وعلا مفرقه الشيب » . والواقع أن هذه الظاهرة النفسية الحيوية قد أثبتها العلم الحديث ووجد لها تعليلا بيولوجياً بواسطة الاهتزاز والذبذبة الخلوية « Vibration ocellatoire Ce 114 Laire » ، وأثبت عملياً وجود مثل هذه الذبذبة بواسطة أجهزة بلغت منتهى الإتقان والحساسية ، وكلما كان الجسم قوياً شاباً كانت الذبذبة أكثر نشاطاً ، ومجموعة الاهتزازات والذبذبة المنبعثة من الخلايا الحية تكون ما يسمونه « بالإشعاع الحيوى » وهذا الإشعاع إذا ما صادف — بالقرب منه — جسماً هرماً أو هزيلا أحدث فيه اهتزازاً قوياً لخلاياه بواسطة الجذب الـكهربائى المغنطيسى .

وقد استخدم بعض العلماء ظاهرة الإشعاع الحيوى وما ينتج عنه من جذب مغنطيسى كهربائى لإعادة الشباب منها طريقة « جاورسكى » بواسطة حقن دم شاب قوى لآخر معتل الصحة أو متقدم فى السن على شرط أن تكون الدماء من نفس النوع والفصيلة لـكيلا تحدث تفاعلات مؤذية للجسم . وهناك طريقة أخرى هى طريقة « فورونوف » . وهى تطعيم الجسم بخلايا وأنسجة من جسم آخر وهى نوع من الترقيع الجسمى Greffe Tissulaire

وليس من النادر أن نشاهد فتاة زوجت من شيخ ، وهذا كثير الحصول عندنا فى الشرق ، إذ عامل الجاه والغنى يلعب دوراً كبيراً فى مثل هذه المناسبات . فنلاحظ أن الزوجة الشابة تذبل قبل أوانها ، بينما تبطأ خطوات الشيخ نحو الهرم والمشيب ، والسبب فى ذلك هو ما أسلفنا من شرح . وحتى من المتداول بين عامة الناس أن الشيخ إذا تزوج من شابة « شرب أنفاسها »

٢ — **نبذ عواطف البغض والحسد والغيرة :**

الحسد داء عضلى يفسد الأود وينهك الجسد . هو أخبث مكروب يودى بحياة صـــاحبه ، وقد قام بعض علماء النفس بإحصائيات دقيقة ، فوجدوا أن كثيرين ممن أصيبوا بهذا الداء لم يعمروا كثيراً إذا استثنينا بعض الشواذ « يعجل الله بالأحياء » أو كما يقال بالفرنسية Ce sont les bons qui s, en uont ، ولـكن فى الغالب فالوضع كما أسلفنا . والحسد يسبب البغض والغضب عن الغير لما أصابوا من نعمة أو ما حصلوا عليه من جاه ، وهذه العواطف الذميمة تؤثر تأثيراً سيئاً على سائر أعضاء الجسم ولا سيما الجهاز العصبى فتتوتر الأعصاب ويعتريها التعب من فرط التهيج والانفعالات ، كما تتأثر بقيـة الأجهزة لخضوعها المباشر للجهاز العصبى فيحدث بالجسم ضرراً بليغاً . وقد أجاد بعض شعراء العرب فى وصف مفعول الحسد فقال :

أصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
كالنــار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وكثيراً ما يكون الحسد سبباً فى إفساد العلاقات الودية بين أفراد العائلة ، كما يفسد صحة أولئك الأفراد . وقد قص علىّ صديق فرنسى مأساة عائلية مؤداها أنه تعرف بعائلة كريمة كانت فى رغد من العيش ، وتتكون من أبوين وأربع بنات يربط أفرادها حب عائلى وثيق . تزوجت الكبرى بمهندس دمث الأخلاق موفق فى جميع مشاريعه وأعماله ؛ فمهرها أبوها مهراً عالياً — كما هو الحال عند الغربيين — وجهزها بكل ما تحتاج إليه ، كما قام بنفس الواجب نحو باقى البنات . نجح المهندس زوج الكبرى وازدهرت أعماله وتضخمت ثروته بعكس ما وصلت إليه حال بقية الأزواج ، فقد ساءت لحد بعيد ، وذلك بسبب سوء تصرفهم أو سوء حظهم أو لكليهما معاً . دب الحسد فى قلوب الأخوات الثلاث نحو الأخت الكبرى وصرن يتقولن عليها ويرمينها وزوجها بالبخل والتقتير حيناً وبالكبرياء أحياناً ، وأن زوجها من عائلة وضيعة ، وأنه جمع ثروته سحتاً عن طريق التزوير ؛ وأصبحن لا شاغل لهن غير التعرض لأختهن وزوجها ، وتسبب فى نفوسهن مايشابه « العقدة النفسية » من جراء هذا الحسد ، فماتت إحداهن فى سن مبكرة لم تزد على السادسة والعشرين كما قضت الأخرى نحبها فى سن الثامنة والعشرين بأمراض عادية أخف وطأة — فيما أعتقد — عن مرض الحسد الذى قصر من عمريهما . أما الصغرى فقد انتحرت نتيجة مشاجرة مع زوجها . هذا مثل بسيط سقته على سبيل الاستشهاد ، وإن كانت الحياة اليومية ملأى بمثل هذه المآسى المحزنة .

### ٣ — الايمان بالله والاعتقاد فى البعث والخلود :

لا جدال أن الإيمان بالله وباليوم الآخر فيه طمأنينة للنفس على عكس الشك والحيرة فى أمر الإله ، فهو مدعاة للقلق والخوف والخوف مضر بالجسم وقد يسبب الموت إذا اشتدت وطأته فيسبب للجهاز العصبى ما يسمى Inhibition «بال» أى يوقف حركته ، ومن المتعارف بين الناس أن الخوف مميت بخلاف من يؤمن بالله وبالبعث فيقل خوفه من الموت ومن التفكير فى شأنه ويهون عليه بعض الشىء فراق الحياة ، إذ يعزى نفسه بالأخرى وهى خير وأبقى .

ويقول بعض علماء النفس أن قوة إيمان الصالحين والقديسين وعدم مبالاتهم كثيراً بالموت كل ذلك له بعض الدخل فى تعميرهم .

أما مسألة الخلود — أى خلود الأرواح — فقد نوهت عنه الأديان كما حاول إثباته نفسياً علماء الروح وعلمياً أساتذة الطبيعة ، فالذى يموت فى الإنسان إنما هى مادته وليست روحه التى تفارق تلك المادة ، وحتى الموت نفسه لا يستطيع فناء تلك المادة لأن المادة خالدة لا تفنى ، ولكنها تتحول إلى عناصرها الأولية التى تحفظ فى الطبيعة ، فالحياة بعبارة أخرى ما هى إلا مجموعة الذبذبة والاهتزاز الخلوى كما سبق ذكره ، وهذه المجموعة هى إحدى القوى الطبيعية « Energie » مثلها مثل قوة الجاذبية والدوران ، والقوة الكهربائية من حيث أنها قوة كلها من أصل واحد هو « Origine Cosmique » أى من أصل كونى . والقوى كالمادة لا تفنى ، ولكنها تتحول من نوع إلى نوع آخر على حسب العوامل التى تسيطر عليها . كذلك الروح« L Ame » كما يسميها النفسيون والقوة الحيوية « Energie Vitale » كما يسميها الطبيعيون ليست فانية ، وإنما هى موجودة ومحفوظة فى الكون .

ذكرنا كذلك أن الجسم لما تفارقه الروح أو القوة الحيوية أو بتعبير آخر يموت صاحبه تنهدم مادة الجسم وتنحل إلى عناصرها الأولية ، وهذه العناصر موجودة ومحفوظة فى الكون أيضاً ، ومن المعقول جداً أن يعود الجسم مرة ثانية ويبعث من جديد بائتلاف عناصره الأولية مرة أخرى ، إذ الحياة ما هى إلا حلقة من بناء « Metabolime » يعقبه هدم « Catablisme » ، ثم يعقبه بناء وهكذا . وإذا ما عاد بنا الجسم من جديد جذب إليه روحه التى فارقته بواسطة نوع من الجذب المغنطيسى الكهربائى إذ كل روح تنجذب إلى جسمها الذى فارقته ، وشبيه الشىء منجذب إليه .

**فضل أبو بكر**

الأدب في سير أعلامه :

# ملتن ...

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال ... ]

للاستاذ محمود الخفيف

— ٣٣ —

عود إلى الشعر :

وانطوى ربيع الأليزابيثين فكان من ألحانه التى احتبست بانطوائه تلك المقطوعات ، وظل الحال كذلك حتى جاء ملتن فى صيف البيوريتانز ، فغنى فى طلائع ذلك الصيف ألحان الربيع الراحل ؛ وجدد هذا الطائر المتخلف لحن هاتيك المقطوعات . وكان ملتن يحب إيطاليا فازداد حباً لتلك المقطوعات فى أول عهده بالشعر وهو فى جنة الشباب وريعانه ؛ وكيف لا يتغنى شاعر مثل ملتن بهذا الضرب من الأغانى وفى نفسه من الخواطر وفى خصائص شعره من الوسيقى وسحر اللفظ ما يجعله كأنما خلق لهذا الغناء وحده . على أنه كان مقلا فلة تبعث على كثير من الأسف ، وذلك لانشغاله بأمور الدين والسياسة وإن كانت أكثر مقطوعاته وليدة هذا الانشغال

ولكنه على إقلاله قد أضاف إلى تاريخ تلك المقطوعات فصلا ممتعاً رائعاً فى أدب قومه . ولقد كانت مقطوعاته من بعده كالوحى لشعراء القرن التاسع عشر من قادة المذهب الابتداعى وفى مقدمتهم وردثورث الذى أعجب إعجاباً شديداً بمقطوعات ملتن ودأب على محاكاته ، ويتضح هذا الإعجاب فى مقطوعته التى بدأها بقوله : « أى ملتن ، إنه لينبغى أن تكون موجوداً فى هذه الساعة ، فإن انجلترة فى حاجة إليك » ؛ والتى وصفه فيها بأن نفسه كالكوكب فى سموه ومنعزله ، وأن له صوتاً ينبعث كما ينبعث صوت البحر ، طاهراً كالسماوات الصافية العارية عليه سيماء الجلالة والحرية ، وأنه خالد يتنقل مسافراً فى طريق الأبدية . وقد تبع وردثورث فى تحيته ملتن بيرون وكيتس وبروننج وأرنولد وروزتى وتنيسون ، ولهذا الأخير مقطوعة رائعة تغنى فيها بمجد ملتن بدأها بقوله : « يا ذا المقول القدير ، يا مبدع النغمات والألحان ، إيه يا من وهب المهارة ليغنى للزمن أو الخلود ، يا من هو لانجلترة صوت أرغنها جاءها هبة من الله ... ملتن هذا الإسم الذى سوف يرن فى مسامع الأجيال »

وليس بين ما تغنى به ملتن من مقطوعات وبين ما أوحت به مقطوعاته إلى هؤلاء الأفذاذ الذين افتتنوا به شىء يذكر من هذا الضرب من الغناء ، وهذه هى القيمة التاريخية لمقطوعاته وخطرها فى أدب قومه

لم يترك ملتن إلا أربعاً وعشرين مقطوعة ، منها خمس نظمها بالإيطالية ، ويرجح نقدة الأدب أنه نظم هذه الخمس أثناء مقامه بإيطاليا ، وهى من أغانى الحب ، وجهها الشاعر الشاب إلى غادة إيطالية من بولونا سحرته بسمرة محياها وبمقلتيها الدعجاوين اللتين افتتن بهما لأنه كان بهذا الدعج مولع كما قال ، وبصوتها الحلو وغنائها المطرب الذى هو كفيل أن يسحر القمر السابح ؛ وقد تغنى الشاعر بجمال فاتنته وشكا من قسوة قلبها عليه كما يشكو الشباب فى أول عهدهم بالحب !

أما عن الطريقة التى جرى عليها فى نظم هذه المقطوعات الخمس ، فإن اثنتين منها جاءتا وفق الطريقة الإيطالية ، وجاءت الثلاثة الباقية مزيجاً من الإيطالية والإنجليزية على صورة اتبعها ملتن ذلك الذى كان كثيراً ما يحب أن يتخلص من الأوضاع المتبعة والقيود

والذى يعنينا فى الواقع هو مقطوعاته الإنجليزية ، ونحب قبل أن نتحدث عن مادتها وعن قيمتها الفنية أن نشير إلى ما اتبعه الشاعر فى نظمها ، لأنه لم يجر فيها جميعاً على طريقة واحدة ، إذ أنه لم يتقيد بالطريقة الإيطالية فيها جميعاً ولا بالطريقة الإنجليزية أو الشكسبيرية ، وإن كان فيها محافظاً أكثر منه مجدداً

ويمكن القول بوجه الإجمال أنها جميعاً أقرب إلى الطريقة الإيطالية إلا الحادية عشرة منها ، وهى جميعاً إيطالية الصدر أو الفاتحة ، وهى كذلك جميعاً إيطالية الخاتمة ماعدا الحادية عشرة ، فهى فى خاتمتها مزيج من الإيطالية والشكسبيرية ؛ بيد أن ملتن

لم يتقيد فى بعضها بإحداث تغيير فى القوافى بين الفاتحة والخاتمة بل تركها تنساب كما هى بعد السطر الثامن . ونستطيع أن نقسم مقطوعاته التسع عشرة على النحو الآتى : تسع إيطالية من جميع الوجوه ، وثمان إيطالية ولـكن بغير فاصل بين الفاتحة والخاتمة ، وواحدة هى الحادية عشرة بين الإيطالية والإنجليزية ، وهى التى وجهها إلى كرمول ، وواحدة هى التاسعة عشرة أو الأخيرة ذات ذيل بعد خاتمتها . ولم نشر من قبل إلى هذا النوع الأخير ، فنقول الآن : إن هـذا النوع المذيل ليس من ابتكار ملتن ، ولـكن وقع مثله فى مقطوعات الإيطاليين ، وإن كان ذلك مما ندر ، فإن بعض الشعراء كانوا يضيفون سطرين أو خمسة إلى الأربعة عشر سطراً التى تتكون منها المقطوعة إذا لم يستطيعوا أن يعبروا عن المعنى كله فى هذا العدد من الأسطر ، وكان يعد هذا الضرب معيباً ضعيفاً ولذلك قلما لجأ إليه الشعراء . ولم يخل من هذا الضعف ملتن نفسه فى ذلك الذيل الذى أضافه إلى مقطوعته الأخيرة : « إلى مستكرهى الضمائر الجدد فى عهد البرلمان الطويل » ، ففى هذا الذيل ما ينبو عن الذوق من خشونة وعامية وتلاعب باللفظ .

أما عن مادة هذه المقطوعات ، فيجدر بنا أن نذكر ما سلف به القول من أنها قيلت فى مناسبات ، ولذلك جمعت بين الخواطر السياسية والدينية والوطنية وما يتصـل بالرثاء والحب والمسائل الشخصية . وكانت المقطوعات قبل ملتن تدور على الحب ، وندر فيها ما خرج عن هذا المجال سواء عند الإيطاليين وعند الأليزابيثيين ولذلك مال بعض نقدة الأدب إلى استصغار شأن المقطوعات على العموم ونظرهم إليها نظرتهم إلى التافه من الأشياء ، فهى عندهم من مظاهر العبث واللعب وملء الفراغ بما لا يجدى ، وليس فيها صدق ولا علم ولا فائدة من أى نوع . ولعل لهؤلاء بعض العذر فيما ذهبوا إليه ، فإن شعراء الشباب كثيراً ما كانوا ينظمون خواطرهم فى مقطوعات وليسوا جميعاً مجيدين فشاع فيها الضعف والفسولة ، ولـكن قدراً منها كان محكم السبك رائع المعنى صادق العاطفة جليـل الشاعرية كما يتبين فى أكثر مقطوعات سبنسر وفى مقطوعات شكسبير جميعاً على كثرتها . إذ قد بلغت مائة وخمسين مقطوعة ، وما جعل بعض النقاد يحتقر شأن المقطوعة كضرب من ضروب الشعر إلا سأمهم من نغمات الحب الشاكية الباكية فى معظمها ، وظنهم أنها ما نظمت إلا على سبيل اللهو وإبراز المقدرة على النظم ، فإن كان فى بعضها شىء من الصدق ، ففيها كذلك كثير من المبالغة والـكذب !

وجاء ملتن فخرج بالمقطوعة عن مجال الحب وجعلها لـكل ما يخطر على قلبـه ، فاكتسبت المقطوعة على يده قوة وخطراً وطبعت بطابع الصدق والإخلاص ، وجرت فيها إشارات إلى أمور تتصل بالعلم أو بالفلسفة فألبسها ذلك كثيراً من الجد والفائدة وليس هذا الاتجاه بالأمر الهين فى تاريخ المقطوعة إذا ذكرنا أنه أوحى إلى شعراء القرن التاسع عشر أن يحذوا حذوه ، فكان لمقطوعاتهم فى الحرية والسياسة وانتقاد عيوب المجتمع وأشباه ذلك من المسائل قيمة عظيمة وأثر بعيد فى القلوب والأذهان ما كان يتفق لها لو أنها اقتصرت على التغنى بمعانى الحب والجمال . ويتجلى أثر ملتن فى هذا التوجيه فى مقطوعة وردزورث التى أشرنا إليها والتى يقول فيها شاعر القرن التاسع عشر : إن انجلترة فى حاجة إلى ملتن ؛ والتى يذكر فيها شكواه قائلا : « نحن قوم طغت علينا الأنانية ، فارجع إلينا وارفعنا وامددنا بالمُثل فى الآداب والفضيلة والحرية والقوة »

ويحس من يقرأ مقطوعات ملتن أنها نفثات نفس عظيمة وهمسات روح قوية ، وهى على قلتها زاخرة بفيض من الخواطر ، ويرجع ذلك إلى طبيعة المقطوعة فى بنائها كما يرجع إلى مقدرة ملتن العظيمة على الإيجاز البليغ الذى جعله يعبر بالكلمات القلائل عن المعنى الواسع الـكثير الوشائج ، وهى مقدرة جعلها مكولى من أبرز خصائص شعره ، بل جعلها خاصته التى يمتاز بها من أكثر الشعراء ، وهى من ألزم الصفات كما ذكرنا لبناء المقطوعة

وحسبك أن تقرأ فى هذه المقطوعات العاطفة الرقيقة التى تعبر عنها النغمة الهادئة الرخية كأنها نسمات الفجر ، إلى جانب الصرخة الصاخبة المدوية كأنها هياج العاصـفة أو اصطخاب الموج ، لتعرف كيف استطاع ملتن أن يجعل من المقطوعة شيئاً آخر قوياً مهيباً له خطره وأثره ، وتجد مثالا للأولى فى إشارته إلى ما أصابه من عمى وفى توجده على فقد زوجته الثانية ، وتجد

مثالا للثانية فى غضبته لمذابح بيدمنت وحملته على مستكرهى الضمائر من البيوريتانز ، وفى سخريته ممن انتقدوا كتيباته من خصومه . وبين هذا وذاك نقع على نغمات تتصف بالقوة والجلال وهى التى مجد بها أبطال قومه مثل فيرفاكس وكرمول ، والتى دافع بها عن الحرية الدينية والسياسية

بهذه الصفات وأمثالها رفع ملتن المقطوعة مكاناً علياً ، فلم تعد كما كانت مجرد أغنيات غرامية رائعة أو مائعة ، وإنما أصبحت هتاف شاعر يهيب بقومه إلى جانب كونها خلجات نفس تتألم وتتفجع كسائر النفوس ، وما أصدق وأجمل كلمة وردثورث التى وصف بها المقطوعة على يد ملتن إذ قال : « لقد أصبحت هذه بوقا فى يديه »

ولئن خرج ملتن بالمقطوعة عن نطاق الإليزابثيين ومن قبلهم من الإيطاليين ، واتخذ منها أداة لخواطره السياسية والاجتماعية إلى جانب خطراته المنحصرة فى حياته الشخصية ، فإن تمكنه وصدقه قد جعلا لمقطوعاته فى السياسة والاجتماع من الجمال والسحر ما تسمو به إلى مستوى الآثار الأدبية الرفيعة ، وأعانته ضلاعته على أن يلبس الآراء السياسية لباس الأدب الصحيح ، ويضفى عليها رونق الفن وروعته وهو عمل يستعصى على من لم يكن له مثل عبقريته . ولما كانت المقطوعة عند الايطاليين والاليزابيثين شكاة فى الأكثر من حبيب قاس أو من ضنى الحب ومجهده ووجده فقد ألفتها النفوس فى هذا المجال وإن كان قد تطرق إليها بسبب هـذا الفتور والصنعة حتى استصغر شأنها بعض النقدة كما أشرنا .

ويُعد خروج ملتن بها عن نطاقها جرأة فى الفن تنهض دليلا على فحولته وصدق شاعريته يضاف إلى ما توافى له من أدلة وذلك فضلا عن كونه فتحاً فى تاريخ المقطوعة صار له ما بعده .

ولقد أشرنا إلى أكثر هذه المقطوعات كلا فى موضعها من سيرته أو فى المناسبة التى نظمها الشاعر فيها ، وكانت مقطوعته التى ناجى فيها البلبل أول شبابه هى باكورة مقطوعاته الانجليزية وتليها المقطوعة التى نظمها بعد ذلك بقليل بمناسبة بلوغه الثالثة والعشرين من عمره ، وكلتاهما من المقطوعات التى تدور حول شخصه ، ومن أشهر تلك المقطوعات الشخصية ما نظمه حين أصيب بفقد بصره ثم تلك المقطوعة التى رثى بها زوجته الثانية .

أما مقطوعاته العامة فأولها مقطوعة جميلة لم تنشر إليها من قبل وهى التى اتخذ عنوانها « حينما أزمع مهاجمة المدينة » وكان ذلك سنة ١٦٤٢ إذ تهددت جنود شارل مدينة لندن ، وهو يخاطب فيها الفرسان ألا يزعجوه فى مأمنه وألا يزعجوا الشعر فى منزله وجزاؤهم على ذلك أن يخلد أسماءهم بثنائه ويشير فيها إلى ما فعله الاسكندر الأكبر حين حطم مدن مقدونيا فانه استثنى البيت الذى كان يعيش فيـه من قبل الشاعر بندار ، وكذلك فعل ليساندر القائد الأسبرطى فانه أنقذ أثينا من الدمار لأنها أنجبت يوروبيدس وكان القائد قد سمع بطريق المصادفة شيئاً من شعره .

ومن أشهر هذه المقطوعات العامة مقطوعة عن مذابح بيدمنت وتلك التى مجد فيها فيرفاكس ثم تلك التى رفعها إلى كرمول .

ولسنا بحاجة إلى كثير من القول لبيان قيمة تلك المقطوعات جميعاً من حيث بلاغة الشعر فيها وروعته ، فان خصائص شعر ملتن كما أسلفنا كانت مما يوائم بناء مثل هذه المقطوعات ؛ ولقد كانت جزالة اللفظ مع إشراقه وجماله ووجازته وأداء المعنى المراد لا أكثر منه ولا أقل من أبرز خصائص شعر ملتن ، وكذلك كان من خصائصه قوة تأثيره فى النفوس بما توحيه ألفاظه من رؤى وأطياف ومايتداعى إلى الخاطر عند سماعها من معان وأخيلة كأنما كان للفظه قوة خفية سحرية لا تنكر وإن كانت لا تدرك ؛ أضف إلى هذا موسيقى عذبة ناتجة من ائتلاف الألفاظ وصوغها وإضافة بعضها إلى بعض على صـورة تكسب كلا منها جمالا لا يكون له فى غير هذا الوضع وتجعل منها فى مجموعها لحناً عجيباً تستشعره النفس كما تستشعره الأذنان ، ويرى أكثر النقاد أن هذه الخصائص واضحة فى هاتيك المقطوعات لم تشذ إلا فى أسطر قليلة أو فى كلمات معدودات كانت أقرب إلى لغـة العوام فى مقطوعة من المقطوعات التى هاجم فيها الشاعر منتقدى فلسفته فى الطلاق من خصومه .

( يتبع ) الخفيف

# عنـــد القمة الأولى . . .

للاستـــاذ محمد العلائى

[ أخى سيد قطب :

كان فى حسابك وحسابى أننى سأبعث بهذه القصيدة أو بمثلها من « لندن » ولـكن ! ضحكت الأقدار وبعثت بها من هذه القرية المصرية الهامدة التى مزقت أهلها متربة الأنفس ومجاعة الأفواه !! .. فهل يأذن أستاذنا « الزيات » وهو والد كريم ولمحنتى حق فى « رسالته » هل يأذن فى أن أشهد على وزارة المعارف المصرية وموقفها من « بعثتى » بعد أن أصبحت حقاً لا يقوى على اغتصابه إلا من أعفى نفسه من الواجب والضمير . أريد أن أشهد على وزارة المعارف وعلى شعورها بقضيتى أولئك الذين منى عطفهم أو عنايتهم من أساتذتى بالجامعة وخارجها ومن أصدقائى الأقربين ...

وأشهد وزراء المعارف وذوى الأنفس والآراء فى الشرق العربى على وزارة المعارف المصرية وكيف أفقدتنى الثقة فى وطنى وبيئتى مما جعل غايتى فى الحياة أن أخرج من « مصر » التى أبت على أن أقنع من الدنيا بالماء والهواء وأن أكون عاملا أميناً مخلصا فى قضية الحق والخير وأن أخدم طائفتى من أبناء الظلام فأعوضهم عن ظلمة البصر نور البصيرة . فلتحتمل وزارة المعارف المصرية تبعة انزوائى فى هذه القرية أو هجرتى من هذا الوطن الذى لم تشملنى وزارة معارفه بذرة من العطف الذى شملتنى به وزارتا المعارف الأنجليزية والأمريكية ] .

« العلائى »

---

طال عهد النوى فسيروا أمامى    ودعونى فلن يطول مقامى !
ودعونى فما انتهيت ولـكن    أوهن الخوف والرجاء عظامى
وازدرائى لما أرى لم يدع لى    أملا فى الثرى ولا فى الغمام
فرّق الصحو مهجتى وطوانى    ألم السهد بين قوم نيام
قصّر العزم خدعة بعد أخرى    فى شعور مفزّع بالحمام !
كم طويت الشعاب أحمل نفسى    تحت عبء الرغاب قيد الظلام
وسقى الشوك فى الأجادب مائى    وترامى على الأفاعى سلامى !!
أستر الفحش فى عيون الليالى    وأدارى سفاهة الأيام
أستحث الخطى صباحاً فتبدو    عثرات المساء فى أقدامى
مسرف لا أريد غير بعيد    يائس تستخفنى أوهامى
وبصدرى مع الشقاء صراع    بين حب المنى وبغض الزحام
كنت أهوى امتداد خطوىَ حتى    تتوارى مواطن الأحلام
غير أنى أحس ضعفاً ... وهذا    مجمع الشوق والعواطف دام
وبنفسى تساؤل وملال    ولجفنىّ رغبة فى المنام

---

ذهب الركب والتقيت بنفسى    هامد الحس من صروف الليالى
من طريق أحلامه عبرات    فى ظلام الكهوف والأدغال
وقطيع دماؤه من صديد    أفرزته نجاسة الأذيال
حمل الخزىَ فى وجوه عليها    بصقات الزمان غير مبال
فى عظامى تقزز . . وبنفسى    غثيان من قوله والفعال
فى حماه عشقت سود الأمانى    وشربت القذى طرح الملال
وعدمت الصديق أهفو إليه    فى ذرى شوقه ومسرى اكتمالى
أنزع الشوك من رؤاه ... وترمى    زهرة الشر من رياض انفعالى
نسكب النور فى المدى ونوالى    دوحة الخلد فى سكون الكمال
وعدمت الملاك يشرع ذاتى    فى سلام الربى ومجد الأعالى
فوق عرش من المودة يندى    بشذى رحمتى وفيض ابتهالى
سكنت روحنا إليه وغابت    فى أناجيل من وراء الخيال
ضل عنى رجاؤها رغم أنى    صانع الوهم خالق الآمال
واحتوانى السكوت رغم لسان    عرفته مضارب الأمثال

---

ذهب الركب والتقيت بنفسى    أنزع الحس من رميم الشقاء
وكأنى بهم مقابر موتى    بعثرتها عواصف الصحراء
وأرى بالعظام جمرة سُخرى    وبأشلائهم قروح ازدراء
عفَن فاح من جماجم أهلى    أشبهت ريحه صديد البلاء
ذكرتنى الرمام عهداً تولى    وزماناً مضى لغير لقاء !!
ذكرتنى بأنفس وأفاع    شرقت بالزعاف تحت سمائى
مسنى غدرها فأضحك همى    ثم أهدى لها الدوارَ وفائى
وبأخرى منحتها من وجودى    نشوة الأمن واحتساب الرجاء
ورمتنى بشبرها فوقانى    شر نفسى وشرة الأهواء
وبأخرى تظامأت تحت حسى    فسقاها تنبلى وحيائى
شربتنى وحين خارت قواها    علمت أن حكمتى فى دمائى

وبأخرى وأخريات تلوى    تحت ماض يمور فى أحشائى
آه من يبعد الرمام وبقصى    فضلات البلى ودود الفناء
غير أن الرمام خير وأزكى    من ذويها بعالم الأحياء

---

ذهب الركب والتقيت بنفسى    بين أجداثها ومسرى الحياة
ومضى الناس أنفساً تتشهى
جيفة الأرض، وامتصاص الرفات
دنسوا مورد الحياة وفاتوا    رجس أفواههم على الثمرات
عشت فيهم بظاهر من شعورى    مشمئز النهى رضى السمات
ثم ضمدت بالزعاف جراحى !!    وتغنيت للأصم شكاتى !!
يا لنفسى بها نبىٌّ وطفل !!    فهى فوق المدى وبين اللدات !
تسع الكون غاية وابتداء    ولها بعد ذاك فى التافهات !!
يالنفسى بها بشائر غيث    يغمر الجدب ماؤه بالصِّلات
وبعد الظلال تهوى إليها    أنفس الظامئين للرحمات
يا لنفسى بها بشائر نجم    ينفح الليل نوره بالهبات
يكشف الستر عن كثير ويغشى    فى الدياجى مهازل الحرمات
يا لنفسى جهلتها ... كيف غيرى ؟ !
ويح من خاض وهمه فى صفاتى
خاطرى كالسحاب ليس مقيما    هو فى الصبح غيره فى الغداة
أنكرونى ملثما .. ليت شعرى    لو تراءت لهم معالم ذاتى !

---

ذهب الركب والتقيت بنفسى    ليس محواً وليس حلم اتحاد
ذاك ما كنت أرتجيه وهذا    فوق ما أرتجي وفوق مرادى !!
تلك نفسى وذاك غير قليل    مائىَ النور والحقيقة زادى
فرحة الغيب أشرقت فى ضميرى    وينابيع راحها فى ازدياد
أومض الحق بالرجاء وهبت    نسمة الروح فى كيان الجماد
لمحات تمايلت فى سناها    راسيات المكان والآباد
لمسات من الكمال وأخرى    تاه فيها المدى وذاب فؤادى
ونشيد من الجمال تبدى    فيه أحلام غايتى وانفرادى
دوحة الخير هذه ... كم تراءت    فى منامى ظلالها وسهادى
شهدت مولد الزمان وألقت    فى يديه بما نرى من أياد !
ذلك البحر قطرة من نداها    بين هذى الربى وتلك الوهاد
مست الكون يوم كان فألقى    حظه من تكامل وامتداد
سكرت مهجتى وغابت رؤاها    ويك إنى أخاف سفح ارتدادى
نشوة الحلم فى حسابىَ أهدى    من يقين بواقع الأصفاد

---

ذهب الركب والتقيت بنفسى    بين هم مضى وحلم كذاب
منذ حين دفنت أمسى حتى    زهرات ورثتها أحبابى
ورسوماً تفوح منها معان    نسيتها لدىَّ ريح الشباب
وتناسيت أرضنا وهواها    وتجاهلت أننى من تراب !
ثم أسلمت للسماء رجائى    وتخيرت فى السها محرابى
وتساميت فى المدارج حتى    مست الغيب فى العلا أسبابى
وارتوى خاطرى وأوشك ينسى    موبقات الصدى وراء السراب
واستوينا على السكينة لكن    عاود النفس حبها للعذاب
يا لنفسى تذكُّرٌ واشتياق    نازعاها إلى حضيض الرغاب
هاهنا الدوح والظلال فمالى    أتشهى منابت الأعشاب !!
لى فؤاد يعاف قبل اكتفاء    مستطار يهيم بعد ارتياب
ظلمة الطين حركت فى ضلوعى    صور الناس وارتياد الشعاب
ضجة الركب لم تزل تحت سمعى    وأمانيه لم تزل فى حسابى
فوق هذا الأنام روحىَ لكن    لم يصل بى مكانة الأرباب

---

ذهب الركب والتقيت بنفسى    أستشف المدى وروح الزمان
أنطق الوهم كل أعجمَ حتى    كلمتنى صخور هذا المكان !؟
وتوهمت أن للدوح سمعاً    فعزفت الشجىَّ من ألحانى !!
وتخيلت فى النجوم عيوناً !    فكشفت الجراح قبل الأمانى !!
وحسبت الرياح تعقل خطبى    فأفاضت سريرتى وبيانى !!
وتأملت ... لم أجد غير نفسى !!    وجماد غمرته بالمعانى !!
وتراجعت أسترد شعورى    فأهالت جمودها فى كيانى
ضل فى عثرة الجماد ذكائى    بعد ما ضل فى بنى الإنسان !!
كم تمنيت غير شىء وخاضت    فى فضاء مفرغ أشجانى
كم ركبت الشقاء نحو ضلال    وتوسدت فى الدجى أدرانى
كم تلهيت بالكبائر حتى    طفر الرعب من دم الشيطان !!
كم تطهرت بالقداسة والنور وفاض الحياء من إيمانى !!
أنت يا من خلقتنى كنت أولى    بضيائى من الثرى والهوان !!

أنا راض بما قضيت ولكن عاتب أخرس الحياء لسانى

---

ذهب الركب والتقيت بنفسى نتشاكى مذاهبى ودبارى
أطفأ اليأس ما أمامى حتى مثل النور بعد شمس النهار!
وجم القلب... لا صلاة عليه لا. ولا قدرة على أوزار!
وانقضى الخوف والرجاء وزالت شائقات الرضى ففيم انتظارى؟!
لم تدع موجة الصمود لحسى رمقاً أهتدى به فى انحدارى!!
كلما لاح فى الأصائل معنى طمسته شوائب الأسحار
أذهلتنى مواقف الحظ منى وجنونى بحكمتى واختيارى
راعنى ذلك التصادف حتى خلت فيه تصرف الأقدار
ليتنى لم أذق تجارب دهر سلبتنى إرادة الأحرار
حلقات من التماسك هاجت فى أوجاعها خطوب انهيارى
شرقت بى محافل ستباهى بازدرائى لها وتبكى احتقارى
قيم الأرض وهى منها أثارت فى سمائى رواسب الأغوار
لم أزل أذكر السماء فتهوى فى أحلامها لغير قرار!
بين جنبى خفقة لو رأوها لأصابت قلوبهم بالدوار

---

ذهب الركب والتقيت بنفسى فى مهب الأسى ومهوى ارتفاعى
وذكرت الشفاء فى اليم حتى ذهبت ريحه ومال شراعى!
وتوسدت خيبتى ورجاء مزقته وساوس الأوجاع
وتواريت فى بقايا كيان أتملى فضاءها وأراعى!
بعدت غايتى وقصر عزمى حرج الضعف واشتباه الدواعى
وجنونى بما شربت عليه غير كأس من القذى والخداع
وانطوائى على فراغ وخوف سكرات المنى وهول الصراع
وانتفاضى لما أهاجت بصدرى عثرات الجدود والأوضاع
من جراح تمرغت فى دماها سابحات البلى ومرضى الأفاعى
وخطوب تمفنت واشتهتها آكلات الرميم دود البقاع
ضاقت الأرض والسماء ومالى غير نفس قليلة الأطماع
غاية العيش عندها أن ترانى فوق مرمى العيون والأسماع
أهب الحب والرجاء وتسرى نفحات السلام خلف شعاعى
ويح هذا المدى أمامى أمسى وورائى غدى ففيم اندفاعى؟!

---

ذهب الركب والتقيت بنفسى فى اشتياق عليه لون الفراق!!
وزماناً ذكرته حين هبت ريح أيامه على آفاق...
وحياة أضعت حظى منها فى جنونى بها وفى إغراقى!
وشباباً زويت يومى عنه بانطوائى على غد واحتراقى!
وأمانى ذهبن إلا هشيما ليس فيه تفاؤلى واشتياقى!
وأمانى تشربتنى ومصت دفء قلبى وحكمة الأعماق!
أذهلتنى عن الحياة ودست فى شعورى تمائم الأخفاق!
وأمانى تهافتت يوم صحوى صوراً من تزيدى واختلاقى!
وأمانى أرقت فيها وجودى ثم جاءت فلم تجد أشواقى!
وأمانى من الذرى وإليها طال فيها مع المدى إطراقى
علمتنى الذرى محبة نفسى وكفى الغير بسمة الإشفاق!
علمتنى وباركت فى طموحى نشوة الكبر ساعة الأغداق!
فسلام على الذرى... ولنفسى ما تمنيت من جزاء ووفق!
خفق الحظ بالجنوح فاما لغروب خطاى أو إشراق!

(الزقازيق — كفر الحمام) محمد الهلالى

---

# أمثولة قصصية . . .

للأستاذ نجاتي صدقي

زارني صديق أديب وقال لي : إنني أميل إلى كتابة القصة ، لكنني غير متمكن من قواعدها ، فهل لك أن تعينني على ذلك ؟ أرشدني إلى أساليبها ، وأطلعني على كيفية بنائها ، وكن على يقين من أنني لن أنسى لك هذا المعروف ما حييت .

فأجبته : القصة فن قائم بذاته يا صديقي يعتمد بالدرجة الأولى على مواهب القاص ، ودقة إحساسه ، ومستوى ثقافته ، ومدى اختباره للحياة ، وعلى ذلك تراني عاجزاً عن تلبية رغبتك .

قال : إنني درست بعض قواعد القصة ، وقد رسخت في ذهني ، لكنني لم أوفق بعد في وضع قصة قوية في عقدتها ، مثيرة في خاتمتها .

قلت : إذا كنت درست فن القصة ، فكيف تحدده ؟

قال : استناداً إلى ما رواه أبو العباس الشريشي في ( شرح المقامات الحريرية ) : « فالقصة هي نقل الحديث من صاحبه إلى طالبه » ... وجاء في مقدمة كتاب ( جمع الجواهر في الملح والنوادر ) لأبي إسحاق الحصري القيرواني : « أن القصة هي التي ترتاح إليها الأرواح ، وتطيب لها القلوب ، وتشحذ بها الأذهان ، وتطلق النفس من رباطها فتعيد بها نشاطها إذا ما انقبضت بعد انبساطها » ... وقال بديع الزمان الهمذاني في ( المقامات ) : « وربما كان للقصة سبب لا تطيب إلا به ، ومقدمات لا تحسن إلا معها فعلى المحدث أن يسوقها » .

قلت : إن ما ذكرته لي من أقوال في القصة لأدباء العربية الأقدمين لا يساعدك على وضع قصة ... فللقصة العصرية خمس قواعد فنية دقيقة وهي : الصدر ، والعقدة ، وتطور الحوادث ، والقمة ، والخاتمة .

قال : اضرب لي مثلاً في مادة تصلح لأن تؤلف قصة ، وطبق عليها هذه القواعد ، مرحلة فرحلة .

فارتجلت هذا المثل البسيط : كان لعزيز جار ، وكانت علاقتهما جد سطحية ، لا تتعدى تبادل التحيات في الصباح أو المساء ، والتبريك في المواسم أو الأعياد ، لكنهما كانا يجتمعان في كثير من الأحايين في حلقة ذكر ، أو حفلة مولد ، أو فرح بمناسبة عقد قران ، أو طهور أطفال ، حتى وفي هذه الاجتماعات العامة كانت علاقتهما لا تتجاوز التحية أيضاً ، والسؤال عن الطقس ، والأحوال العامة ، والثناء على صاحب الدعوة ، والتنويه بكرمه ولطفه .

وفي فجر أحد الأيام ، استيقظ عزيز كما استيقظت الحارة كلها على عويل صبايا ، وصراخ أطفال وولولة عجائز ، فعلم من ذلك أن أسرة من الأسر أصيبت بمكروه ، فأطل برأسه من النافذة ، فشاهد رؤوساً كثيرة تطل من نوافذها أيضاً ، متتبعة مصدر الأصوات ، مستفهمة عما حدث ... وبعد قليل من الوقت نُعي إلى عزيز أن جاره قضى نحبه ، فتمتم قائلاً : لا حول ولا قوة إلا بالله ... إنا لله وإنا إليه راجعون .

ورأى أن الواجب يدعوه لأن يسير في جنازة جاره عملاً بالتقاليد المرعية منذ قرون . فتعطل عن عمله في ذلك النهار ، وخرجت الجنازة حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً ، وسار عزيز خلفها ، وكان الطقس حاراً ، والشمس تسطع في كبد السماء ، وبعبارة أخرى كان ذلك في العشرين من تموز ( يوليو ) ، وكانت درجة الحرارة وقتئذ تشير إلى الأربعين سنتغراد ، وهي الدرجة التي يكتب في الموازين إزاءها كلمة ( سنيغال ) ... أي ما فوق حرارة الإنسان .

سار عزيز خلف نعش جاره وسار إلى جانبه شخص لا يعرفه ، ولما كانت المقبرة تقع على مسيرة نصف ساعة رأى ذلك الشخص أن يقطع الوقت بالتحدث إلى عزيز ، فاستهل كلامه قائلاً : حر لا يطاق ! ... فأجاب عزيز : جهنم ...

— إن عزرائيل لا يرحم ! ...

— لا يرحم المشيعين فقط ... أما الميت ، فسيان عنده الحر أو البرد .

— أنت تعرف المرحوم ؟ ...

— أعرفه معرفة سطحية مع أننا جيران ... غير أن المشهور عنه في الحارة أنه كان دمث الأخلاق .

وهنا اعترضت الجنازة سيارة شحن فعرقلت حركة المرور ، وسدت الطريق على باقي السيارات فاختلطت في بعضها ، مما اضطر المشيعين إلى الوقوف مدة عشر دقائق ... وكان عزيز يكاد يجن من شدة القيظ فتارة يجفف العرق المتصبب من وجهه بمنديله ، وتارة يضع هذا المنديل على رأسه ، ويغطيه بطربوشه ، وطوراً يرفع الطربوش والمنديل ويضع راحته على رأسه ، وطوراً آخر

يغتنم فرصة وجود شخص ضخم الجسم يسير أمامه فيستتر في ظله ...

ثم تابعت الجنازة سيرها ، وتابع رفيق عزيز حديثه قائلا : السير وراء الميت رحمة ...

فأجابه عزيز : لا شك فى ذلك ، غير أننى أفضل تشييع الجنازات بالسيارات .

— ماذا ؟ ... بالسيارات ؟ ... هذا لا يجوز أبداً .

— لماذا ؟ ...

— لأن الناس يستنتجون من ذلك أن المشيعين يريدون التخلص من الفقيد على عجل ...

وبلغت الجنازة مسجداً فى الطريق ، فوقف المشيعون ، وأدخلوا النعش فى المسجد ، ودخل بعضهم فى أثره ليصلوا على روح الفقيد ، وظل عزيز واقفاً خارج المسجد وكان يحس أن رأسه سينفجر من شدة الحر ، فيشرب ماء ويتحول هذا الماء فى لحظات إلى عرق منهمر .

ثم يخرج النعش ، وتتابع الجنازة سيرها إلى أن تصل المقبرة .

وبعد أن أنزل الميت فى لحده ، وورى التراب وقرأ الشيخ عبارات التلقين المعتادة ، وقرئت سورة ( الفاتحة ) على روحه ، وقف أهل الفقيد فى صفوف طويلة ليتقبلوا التعازى ، وكان عددهم يناهز الخمسين ... ووقف الناس فى صفوف طويلة أيضاً ليقوموا بواجبهم فى التعزية ... ولسوء حظ عزيز أنه كان يقف فى آخر تلك الصفوف .

وبدأ الناس يصافحون أهل الفقيد ، فرداً فرداً قائلين : عظّم الله أجركم .

فيجيبونهم : كرّم الله سعيكم ...

وبعد نصف ساعة على وجه التقريب ، جاء دور عزيز فى تأدية واجبه ... وكان منظره يبعث الألم فى النفس .

وعاد إلى بيته منهوك القوى ، وهو يشعر بدوران شديد ، فانطرح على فراشه فى شبه غيبوبة ... وعند فجر اليوم التالى استيقظت الحارة على عويل صبايا ، وصراخ أطفال ، وولولة عجائز ... فتساءل الناس عن الخبر فقيل لهم إن عزيزاً قضى نحبه ... وكان موته ناتجاً عن ضربة شمس ! ..

***

قلت لجليسى : وإليك الآن مقاييس هذه الأمثولة القصصية :

الصدر : إن عزيزاً له جار ، وكانت علاقته به سطحية ، لكنهما كانا يجتمعان فى الحفلات والمواسم ، فمات جار عزيز واقتضت التقاليد أن يسير عزيز فى جنازته .

العقدة : إن التقاليد تقتضى أن يحتمل عزيز وطأة الحر الشديد ، وكان يسير وراء النعش متبرماً ، غير راض عن تأدية هذا الواجب .

تطور الحوادث : اضطراب حركة المرور ، وتوقف الجنازة عن المسير مدة عشر دقائق ، والدخول بالميت إلى المسجد .

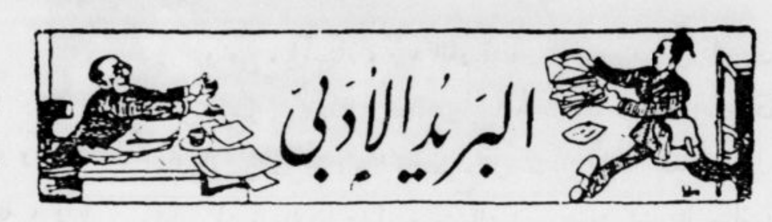
القمة : وقوف عزيز فى صفوف المعزّين وهو فى حالة شديدة من الأعياء وانهيار القوى .

الخاتمة : موت عزيز :

ارتاح زائرى لهذه الأمثولة فى فنّ القصة ، ونهض قائلاً : سأحاول وضع قصة مبنية على هذه القواعد .

قلت : وفقك الله ... ولكن لا تنس أن تتدبر المواهب ! ...

**نجاتى صدقى**




**بين ( أومن بالإنسان ) و ( هذى هى الأغلال ):**

لقد أخذتنى فرحة هزتنى حين تصفحت بسرعة كتاب ( هذى هى الأغلال ) للأستاذ عبد الله القصيمى النجدى ، فرأيته يتناول بالشرح والتأييد القضيتين اللتين يدور حولهما فكرى ويكاد يقف على الدعوة إليهما قلمى منذ ست سنوات أو تزيد ، وهما قضية « الإيمان بالإنسانية » وقضية الاعتقاد أن « الحياة صادقة » وذوو الفلسفات الذين يزرون عليها وينادون بالحرمان من ينابيعها كاذبون ، لأننى أعتقد أن اعتناق هاتين الفكرتين أمر جدير أن يحدث انقلاباً عظيما فى نظرة الناس إلى أنفسهم وإلى الحياة وإلى واهب الحياة ، إذ هما الشىء الواحد الجديد الذى يمكن تقديمه للبشرية جميعها الآن ويمكن اللقاء بينها فى مجاله ، ويمكن به إمدادها بكثير من عوامل التأميل والإسعاد والتفاؤل .

فما إن رأيت أن الفصل الأول من ( هذى هى الأغلال ) عنوانه ( لقد كفروا بالإنسان — الإيمان به أول ) حتى قلت الحمد لله ثم الحمد لله ! إذ أرى عالماً من نجد — وما أدراك ما علماء نجد فى محافظتهم ! — يعتنق الفكرة ويدعو لها بحماس ويصدر بها كتابه .

وما إن رأيت كذلك أغلب فصول الكتاب يستعرض أقوالا معدودة فى سجل الحكم والفضائل عند كثير من المسلمين وتنحى عليها بالنقض ثم تجعلها فى سجل الرذائل المدمرة للحياة والدين ، حتى ثنيت الشكر لله على أن ما سبق أن قلته فى مقالات ( الحياة صادقة ) فى هذه المجلة فى أوائل سنة ١٩٤٢ وما بعدها قد وجد صدى مدوياً . ولكن ما لبثت هزة الفرح والابتهاج أن انقلبت إلى أسىً ووجوم واشمئزاز ! إذ رأيت الكتاب يخلو من أدنى إشارة إلى تسجيل سبق فى هذه الدعوة ، وإذ رأيت صاحبه مع ذلك يحدث ضجة مفتعلة حوله ، ويصدر غلافه بهذه الجملة « سيقول مؤرخو الفكر : إنه بهذا الكتاب قد بدأت الأمم العربية تبصر طريق العقل ... » وإنه « ثورة فى فهم الدين والعقل والحياة ... » كأن مؤرخى الفكر عميان لا يتلمسون مصادر الآراء !

وإنى أعجب كيف يجرؤ كاتب أو مفكر يحترم رأى الناس ويستحيى من نفسه أن يسبق التاريخ ويصدر حكمه على عمله بهذه الدرجة من الافتتان والزعم !

إن المفكر الواثق من أنه أتى بجديد حقاً يضع آثاره بين يدى التاريخ فى صمت ويدع له أن يحكم ولا يتعجل الحكم حتى تعلنه الأيام سواء فى حياته أم بعد مماته .. والمفكر الأمين الثقة الغيور على الحق وحرية الفكر يترفع عن أن يغمط حق غيره وعن أن يغطى جهود من سبقوه بالدعاوة الجريئة لنفسه ، لأن هذا إن جاز فى مجال الإعلان عن المتاجر والمهن فلن يجوز فى رحاب الفكر والخلق

ولكن ما للمؤلف وللحديث عن الأخلاق ، وهو كما روى عنه الأستاذ سيد قطب فى مجلة السوادى يرى « أنه يجب أن ننفى العنصر الأخلاقى من حياتنا ، فالحياة لا تعرف العناصر الخلقية ولا قيمة لها فى الرقى والاستعلاء ... » .

ومما زاد أسفى أن أرى المؤلف يتجاهل حين سأله الأستاذ قطب أن يكون قد علم بسبقى إلى الفكرة . فهلى فرض أنه لم يطلع على ( أومن بالإنسان ) بعد ظهوره مجموعاً فى سنة ١٩٤٥ فهل يكون من المقبول أو المعقول أنه لم يقرأ حتى بعض مقالات ( أومن بالإنسان ) التى تقارب العشرين حول تلك القضية أثناء بسطها فى « الرسالة » وأحياناً فى الثقافة فى مدى خمس سنين تقريباً ، ولا أزال أبسطها للآن ويتناولها بعض الكتاب بالمناقشة ؟ أم هو يزعم أنه لم يقرأ « الرسالة » أيضاً طول هذه المدة ! !

ولئن كان سرورى بانتشار الفكرة برغم انتحال ناشرها لها قد قعد بى ما يزيد على شهرين بعد اطلاعى مصادفة على كتاب ( هذى هى الأغلال ) لدى الأستاذ الجليل محب الدين الخطيب ، دون أن أنبه القراء ، يضاف إلى ذلك أننى كنت على ثقة من أن النقد اليقظ سيرد الأمر إلى صاحبه ... لئن كان ذلك هو ما قعد بى عن التنبيه فاننى حين اطلعت على مقال الأستاذ سيد قطب فى مجلة (السوادى) فى الأسبوع الماضى ورأيته يكشف عن خبايا كبيرة فى آراء القصيمى الشخصية وسلوكه السياسى نحو محطمى أمجاد الاسلام والأديان ومهدرى كرامة الانسان ... شعرت أن الواجب يقتضينى أن أنبه القراء إليه .

ولعلى أجد من الوقت ما يسمح بتتبع الالتواء الذى خرج به المؤلف عن جادة الفكرة الأصيلة التى تبناها فى حياة أبيها ...

عبد المنعم خلاف

## إلى الأستاذ حسنين مخلوف :

قرأت شاكراً ما كتبت وكتبت اليد ذات السوار وكتب الأستاذ فؤاد السيد خليل ، ورضيت ووافقت فى الجملة ، وأنا رجل لا أكره النقد ولا أطيل النزاع فى أدبى وأسلوبى ، لأنى أعرف من نقائصهما أضعاف ما يتنبه له الناقدون ، وما ادعيت لهما الكمال قط ، ولكنى أنازع فيما أجد فيه خروجاً على الجادة ومضرة للناس كقولك : « ولعلى أصدقك ، وقد كنت فى ماضى حياتى معلماً فى مدارس البنات ، فهذه المخاوف التى استوت على ذهنك كنا نتصورها ، أو قريباً منها ، حتى إذا وجدنا أنفسنا فى هذا الوسط ، أحسسنا أن هؤلاء البنات بناتنا ، والمعلمات أخواتنا ، وزال هذا الخوف الأسود من مشاعرنا ، وصارت الحياة عادية ، وهذا شأن سائر المعلمين فى مدارس البنات

« فرفقاً بالناس وحنانيك ، وإنصافاً ، يا حضرة القاصى ، فالأمر إن شاء الله على ما تحب بفضل القدوة الصالحة ، والتهذيب الصحيح ، وإلا فلتغلق مدارس البنات ، والسلام »

يا أستاذ ، إن القضية أهم من أن نضيع الحق فيها فى غمرة المجاملات ، وإن لها من الأثر فى حياتنا ما يوجب علينا إيجاباً الكلام فيها بصراحة ووضوح ، كما يتكلم الطبيب فى المرض ابتغاء علاجه ، وعلى ذلك أقول لك إننا ، وما قلت (نا) على سبيل تعظيم نفسى ، بل أردت الجمع الحقيقى ، وأنا أتكلم عن نفسى وعن كل من قال أنا عربى ، وكل من شهد أنه لا إله إلا الله ، وأسوق قضايا لا أظن أن فى الدنيا عربياً أو مسلماً يعارض فيها .

أقول لك : إننا لا نجد مدارس البنات فى الشام على ما نحب ، بل على ما نكره أشد الكراهية ، وعلى ما نألم منه ونشكو ونستغيث ، وإذا فتشنا عن القدوة الصالحة فى مصر وجدنا مدارس مصر أدهى وأمر ، ووجدنا أن مدارس البنات فى الشام إذا قيست بمدارس مصر كانت مساجد ، وأشهد أنه ما جاءنا هذا الذى نشكو منه إلا من مدارسكم ومجلاتكم وأفلامكم . ولا تحسب أنى أتعصب للشام ، ولا تأخذك عصبية لمصر ، فأنا أيضاً مصرى الأصل طنطاوى ، ولقد أحببت مصر وعشت فيها زمناً ، وأنا قادم إليها الآن لأعيش فيها زمناً آخر ، ومن محبتى لها أذكر عيوبها ...

ونحن ، يا أستاذ ، نريد العلم للرجال وللنساء ، ومن ذا الذى لا يريد العلم ؟ ولكننا نريد الدين أيضاً ورضا الله ، ونريد الأخلاق والعفاف والشرف ، ولا نستطيع أن نصدق ولو أكدت القول لنا ، أن فى الدنيا شاباً متدفق الشباب رجلا ناضج الرجولة ، يعيش بين بنات ناضجات الأنوثة ، كاشفات الوجوه والأيدى والسوق يقفزن أمامه ويلعبن ، ويمزحن ويضحكن ، ويقرأن عليه فى الدروس أشعار الحب والغزل . ويقرأن وحدهن هذه المجلات المصورة الملونة ، ويرين هذه الأفلام الدنسة ، لا يصلين وكيف يصلين مكشوفات العورة ، ولا يعرفن الحلال ولا الحرام ، ثم يحس أن هؤلاء البنات بناته ، وأن المعلمات أخواته ، وتصير الحياة عادية ، ويكون هذا شأن سائر المعلمين فى مدارس البنات ، هكذا على التعميم بلا استثناء !

إذا كانت هذه الحياة عادية ، ليس فيها شىء غريب ولا شاذ ، كانت قوانين الطبيعة التى وضعها الله ، وكانت أحكام العقل ، وكانت مقررات الشرع هى الشاذة الغريبة ، فانظر رحمك الله ما تقول !

يا أستاذ ، أنت رجل مسلم ، فهل تعتقد أن الله حرم شيئاً عبثاً ، ومنعه لهواً وتسلية ، تعالى الله عن ذلك ، أم لحكمة بالغة ، ومنفعة شاملة ؟ وهب أن الحكمة من أمر أو نهى خفيت علينا ، فهل يملك مسلم تعدّى حدود الله ؟ وإذا هو استحل ما حرم الله ، فهل يبقى مسلماً ؟

فقل لى : هل يجوز فى دين الله أن نعيش ويعيش الشباب فى هذا الوسط ، ولو كان المستحيل وصارت الحياة عادية ، ورأيت البنات كبناتك ، والمعلمات كأخواتك ؟ أريد الحكم الفقهى الشرعى لا أريد الآراء والخطابيات ، فإن مصر دينها الرسمى الإسلام !

وهل يجوز وهذا هو حكم الله ، والغرائز بعدُ موجودة ، والميول قائمة ، والنفس أمارة بالسوء ، والشيطان عامل للشر كادح . أن تقيم وزارتكم مهرجاناً رياضياً فى أول الصيف الماضى ، نرى صورة له فى مجلة مصورة ، فنرى من التكشف ( تكشف البنات اللائى هن كبناتك ) . ومن الأوضاع الرخيصة الفظيعة ما يذكر بأخبث ما يشاهد فى السينما الخليعة ، وأن تفتح مسبحاً للبنات ونبصر صورهن منشورة وهن يسبحن فيه أمام الرجال ؟




دعوة فى وقتها :

# الرســـالة الخالدة . . .

بقلم الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا

الأمين العام لجامعة الدول العربية

## عرض وتعليق

للاســتاذ عبد المنعم خلاف

— ٣ —

وقد بين المؤلف أخوة الذمة والعهد وحقوق الذمى وواجباته مما يتضح منه أن غنمه أكثر من غرمه . وبين الفرق الكبير بين نظام الذمة الإسلامى ونظام الحماية الحديث الذى كل همه الاستيلاء على المواد والاستعلاء على الأقوام ، وبين أن أى عهد بين المسلمين وغيرهم هو فى كفالة الله وشهادته عليه ، فهو فى حماية العقيدة وحراسة الضمير الناصح المخلص الذى لا يخدع ولا ينافق .

---

فهل يجوز هذا فى شرعة العروبة وغيرتها وشهامتها ؟ هل يجوز فى دين الدولة المصرية الرسمى ؟ هل يجوز عند أهل العقل الذين يعلمون بعقولهم ما هى نتائجه وإلى أين يوصل ؟

أهذه هى القدوة الصالحة ؟ أهذا هو التهذيب الصحيح ؟ أنصف أنت أيضاً ، فما يطلب الإنصاف من القضاة وحدهم … إنه ليطلب من المفتشين !

أما القصة التى انتقدتها ، فإنى أحلف لك بالله الذى لا يجرؤ على الحلف به كذباً مسلم ، إنها واقعة وإنها ليست متخيلة ، وإنى ماصنعت فيها إلاما يصنعه إذ يكتب القصة الواقعية الأديب ، وإن الطالبة كتبت له الشعر وزارته فى الدار ، ولك أن تصدق أو تكذب ، أنت حر !

( دمشق ) علي الطنطاوي

---

ولا تملى شرائط الصلح عوامل الخوف أو الطمع ، وليس للحرب إلا غاية واحدة هى أن يستقر السلام والعدل وبين أن حرمة العهود فوق صلة الدين : « وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » وهو مبدأ يفخر به المسلمون وتعتز به البشرية كلها

وقد أكرم الفرد واحترم كلمته التى يقولها فى تأمين محارب أو إجارة مستجير ولو كان ذلك الفرد عبداً أو امرأة … واحترم الكلمة ولو لم تكتب ما دام قد سبق عليها اتفاق ، وبين أن الحالة الوحيدة التى يجوز فيها نقض العهد هى حالة التوجس وخيفة الخيانة من المعاهد . وهو نقض يجب الإعلان والنبذ به على سواء.

والحق أن ما فى فصول هذا الباب شىء عظيم جداً يجب أن يوضع على أعين الأشهاد فى المجال الدولى لأنه طريق السلام والأمان . وقد اضطررت إلى خطف بعض مسائله الهامة خطفاً لا يغنى.

### فى أسباب الاضطراب العالمى

فى الفصول الخمسة لهذا الباب تتجلى عقلية المؤلف كرجل عالمى مهتم بقضايا الإنسانية كلها مشخص لأدوائها ، واسع المعرفة بدخائل حياتها فى المشرق والمغرب . وإذا كان تشخيص الداء فى الطب هو أول وسائل العلاج ، فإن ذلك صحيح فى الاجتماع أيضاً . وإذا كان ذلك لا يتأتى إلا للملهمين من الأطباء ، فإن هذا لا يتأتى إلا للملهمين من علماء الاجتماع .

لقد حصر الأسباب الرئيسية للاضطراب العالمى فى الاستعمار، وفى النزاع بين الطبقات على النظم الاقتصادية ، وفى الإفراط فى النزعة الوطنية والعنصرية وإنكار حقوق الآخرين ، وفى طغيان المادية وحب الترف ، وفى انهزام القوى المعنوية أمام القوى المادية مما ترتب عليه تبلبل الأخلاق والعقائد والعرف الصالح ، وفى تفشى فلسفة الكذب والغدر والنفاق فى السياسة .

وقد بين بالوقائع والأسانيد أن الاستعمار خراب وأن فرائسه هى فرسانه ! وأنه سراب لا تملأ أمواجه ملعقة … وأنه سبب الحروب فى القرنين الأخيرين ، وأنه شر على الغالب وشر على المغلوب فى الغرب وفى الشرق ، وأنه لابد من التضحية به لنجاة الحضارة ، وأن الرسالة الخالدة تنكره وتنكر مبرراته !

أما نزاع الطبقات ، فقد صار فى العصر الحديث عنصراً للاضطراب العالمى بين الفقراء والأغنياء والعمال والصناع والملاك

والمدين . وقد ضاعف التعقيد العصرى المذاهب والدعوات فى خطر هذا العنصر ، وكذلك ضاعف استخدام البخار والكهرباء فى عوامل استفحاله بين رأسمالية الآلة والعمال ، وتفرق الناس من أجل فلسفات هذا النزاع بين الشيوعية والرأسمالية والفاشية والنازية والديمقراطية . ولا شىء يستطيع أن يقاوم التعقيد فى هذا العنصر إلا البساطة الدينية فى معالجة مشكلات المال . فقد جعلت للمحروم حقه الثابت فى أموال الناس جميعاً . وهذا المبدأ الثابت يتناوله التنفيذ المرن بحسب الظروف . والقرآن أوجب الزكاة ، وعلى الإمام أن يوجهها حسب الحاجة . وكل مصلحة اجتماعية فهى سبيل الله ، فتشمل التأمين الاجتماعى والصحى مثلا. ولم تكتف هذه البساطة أيضاً بفرض هذا الحق المعلوم فى أموال القادرين للمحتاجين ، بل جعلت الدولة كفيلة على إقامة التوازن الاجتماعى ، سواء أكان بالزكاة أم بغيرها إن لم تكف الزكاة الحاجات العامة . وحيثما كانت المصلحة والعدل فثم شرع الله ودينه . وفى التاريخ الإسلامى أمثلة رائعة لتصرف الدولة حسب الظروف مع عدم تقيدها بالنصوص القرآنية فى أهم المسائل الاقتصادية والسياسية . وقد ضرب منها مثلا فى تصرف أبى بكر فى مساواة السابقين إلى الإسلام واللاحقين فى الأعطية وتفضيل السابقين فى عهد عمر ، ومثلا آخر فى عهد عمر حين رأى عدم تقسيم أرض العراق والشام كفىء على المحاربين وأجرى لهم أعطية من خراجها مع بقائها فى أيدى الأجراء يعملون فيها محافظة على حقوق الذريات والأجيال الآتية ، مع أن النص القرآنى صريح فى تقسيمها كفىء على فاتحيها .

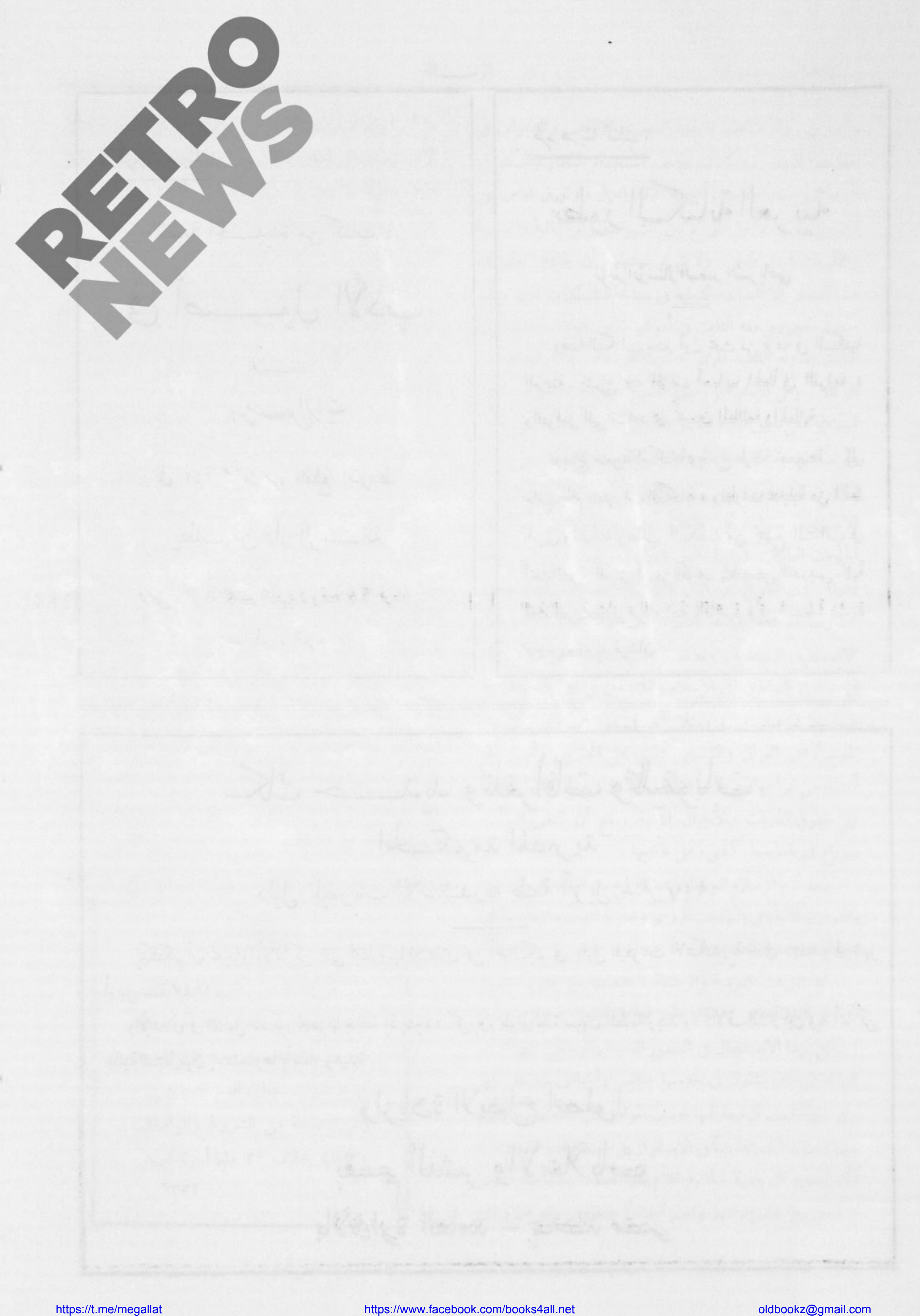
وقد ألزم الإسلام السلطان بمنع النزاع بين الطبقات وبالتأمين والتوازن الاجتماعى بالتهذيب الروحى ومحاربة الترف والبذخ والجمع بين الوجدان والسيف

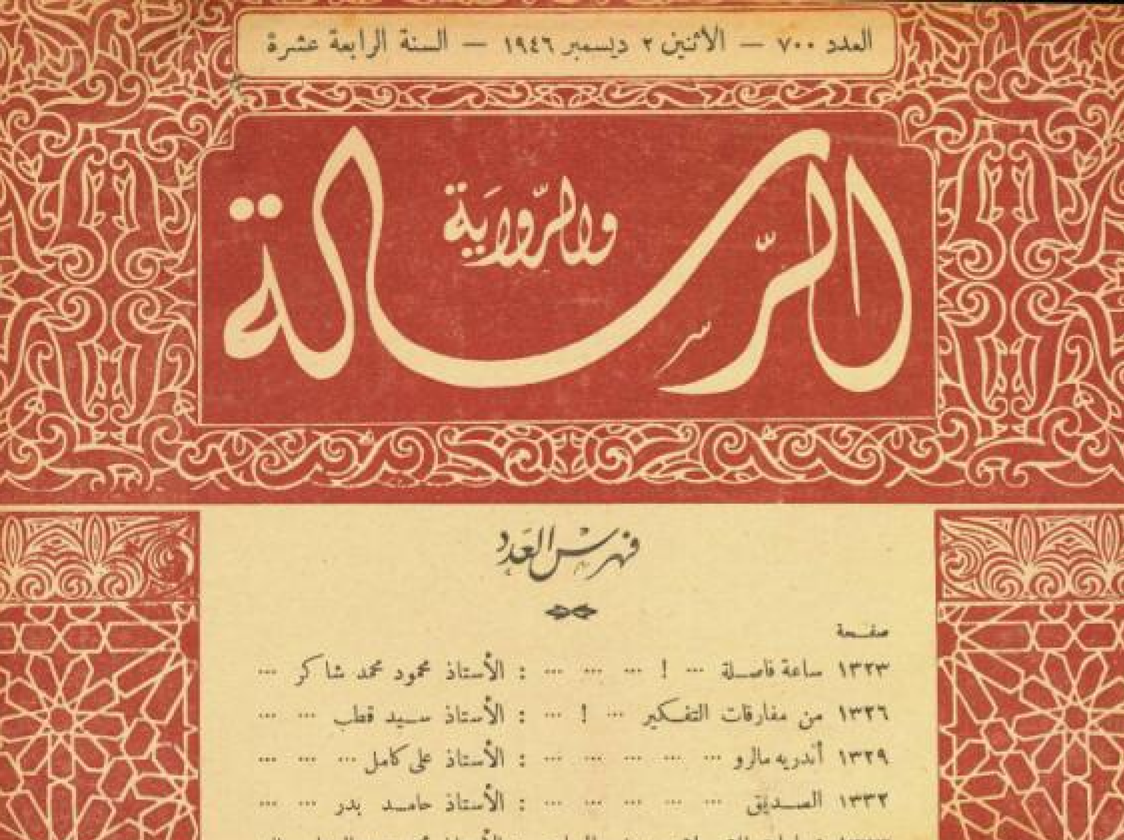
أما النزعات القومية والوطنية ، فقد صارت عصبية حديثة أوحاها التشدد فى الحدود الجغرافية والجنسية ، وهى نزعات لم تكن بهذا الاستفحال فى العصور القديمة والوسطى حين كانت الدولة الواحدة يشترك فى خدمتها عناصر وأجناس متفرقة كلها ترقى سلم المناصب الرفيعة فيها بحسب المواهب فى خدمتها . فليست هذه النزعات الحديثة سبباً فى الاستقرار بل عاملا لزيادة الاضطراب لأن الحدود السياسية الحالية للأوطان حدود صناعية كثيراً ما تفرق بين جنس واحد وتضم أجناساً مختلفة . وقد مر قرنان على أوربا وقد غرقت فى الدماء من جراء النزاع على الحدود وتحرير الأقليات بين الفرنسيين والألمان ، وبين النمسويين والألمان وبين هؤلاء وهؤلاء والصقالبة ، وبين النمسا وإيطاليا ، وبين البلقانيين جميعاً ، وبينهم وبين الدولة العثمانية وبين روسيا وغيرها من جيران الشرق والغرب ، وبين المجر والتشك والبولونيين والرومانيين .

وقد انتقلت هذه العصبيات إلى الشرق لتأدبه بأدب الغرب ، فعلى سنجق الأسكندرونه خلاف بين سوريا وتركيا ، وعلى شط العرب خلاف بين العراق وإيران ، وقد ابتدأوا ينسون الأدب المحمدى فى النظرة إلى أشبار الأرض ...

وقد لجأت الدول إلى الهجرة الإجبارية فلم يستفد منها أحد ، وحاولت عصبة الأمم حل مشكلات الأقليات فلم تحصل على طائل والإسلام لا يعرف الوطنية والعنصرية إلى هذا الحد الوثنى ، ويضع العلاقات البشرية على أساس معنوى ، فإن الخلاف فيه أخف من الخلاف فى المجال المادى الذى يثير أخس الغرائز وأعنفها وليس لديه اعتراف بسيادة أو عبودية ، بل بالأخوة الشاملة . أما هزيمة القوى المعنوية ، فهى أثر من آثار السيطرة على المادة ، وسرعة التطور المادى وبطء التطور الروحى ، وتباعد الفروق بين الناس تبعاً لحظوظهم من العلم المادى ولعلاج ذلك يجب التوفيق السريع بين الروح والمادة قبل الكارثة الكبرى التى ستهدم الحضارة . والإسلام قد وفق بين الحياتين لئلا تستحيل نعم المادة إلى نقم كما وقع فى الحربين الأخيرتين التى حطمت مدنيتنا مرتين فى ربع قرن . ولا ملجأ للقوى المعنوية إلا بالرجوع إلى منابع الرحمة والهدى فى الأديان

**عبد المنعم خلاف**



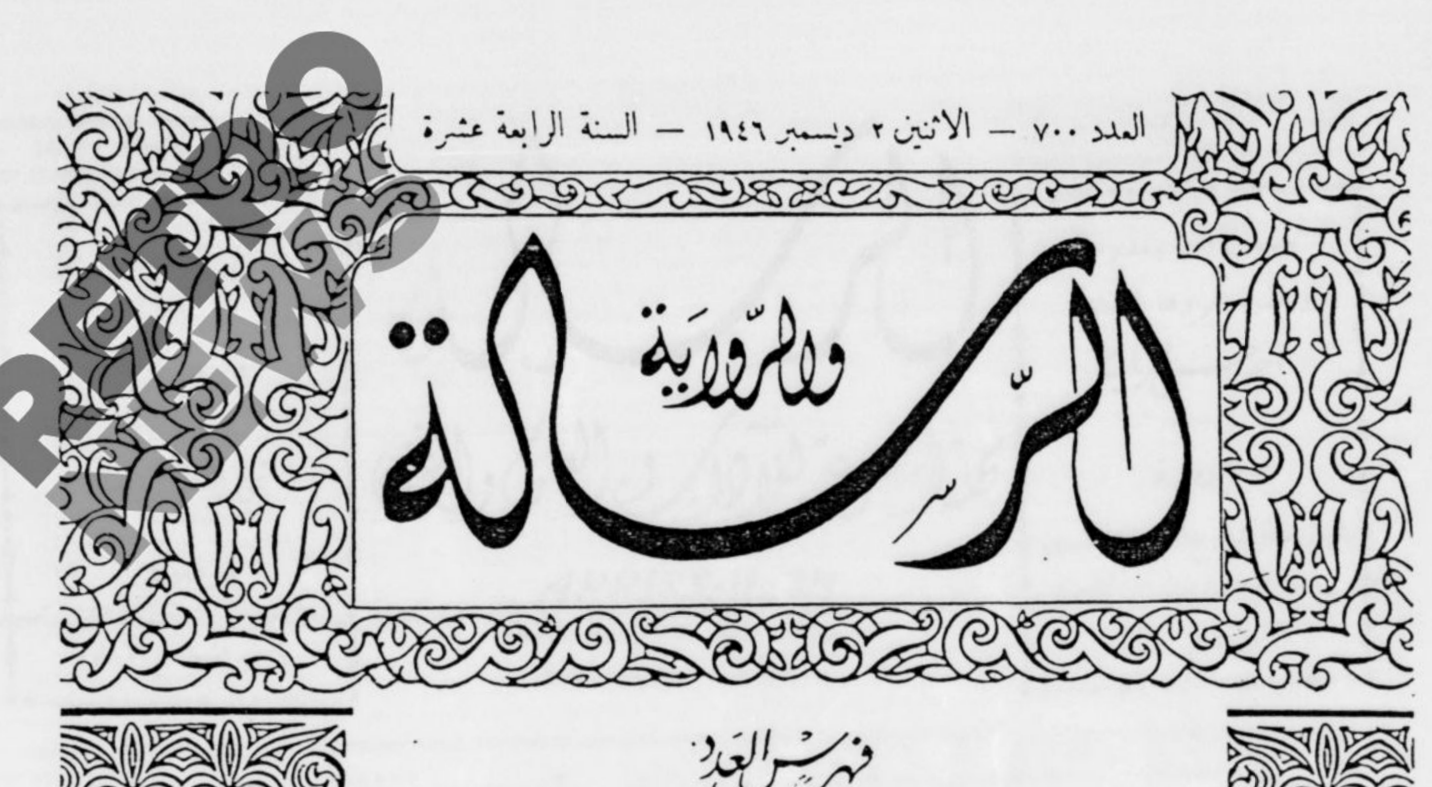


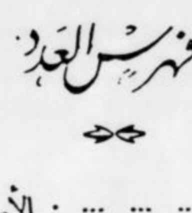

## فهرس العدد




مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٠٠ — الاثنين ٢ ديسمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

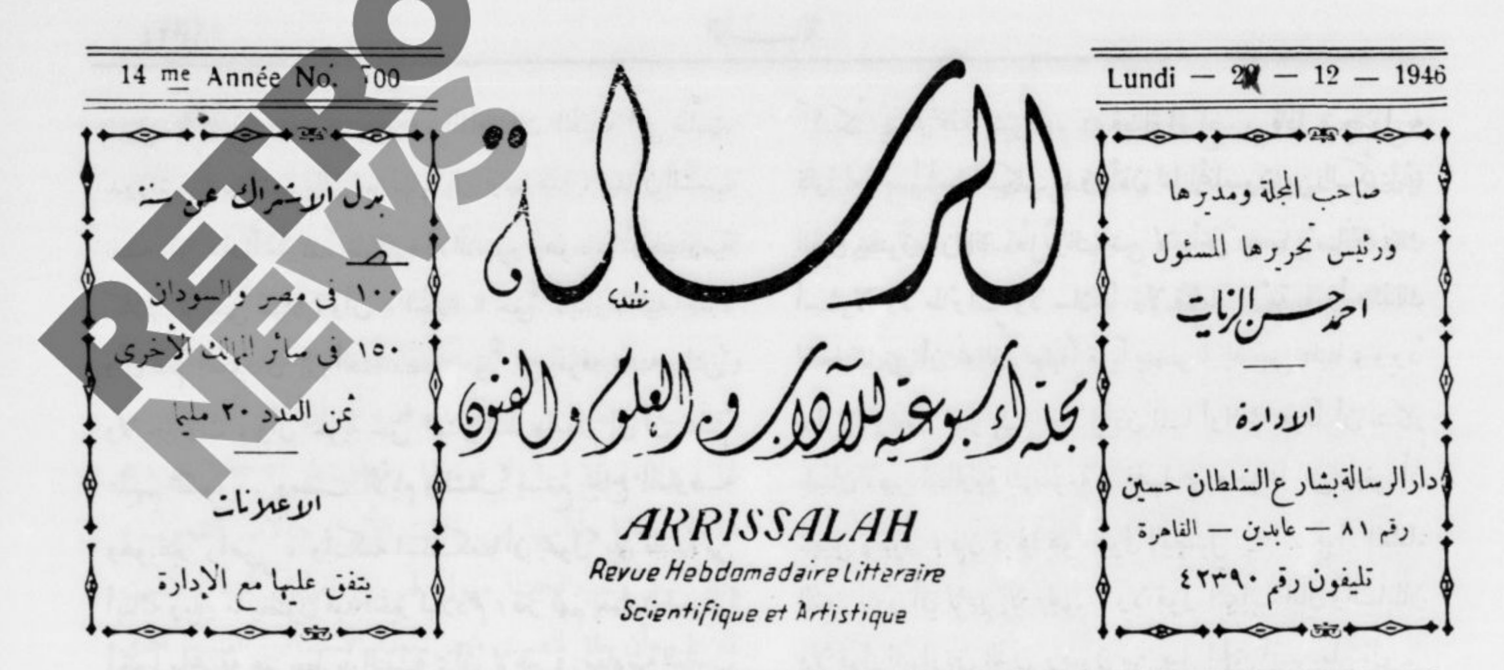





٢٧٠٤٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون




العـدد ٧٠٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٨ محرم سنة ١٣٦٦ — ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

# ساعة فاصلة ...!

للأستاذ محمود محمد شاكر

إذا المرء لم يحتلْ وقد جدَّ جِدُّه
أضاع وقاسى أمرَه وهو مُدْبِرُ

ولكن أخو الحزمِ : الذى ليس نازلا
به الخطْبُ إلا وهو للقصْدِ مُبصِرُ

فذاك قريع الدهر، ماعاش، حُوَّلٌ
إذا سُدَّ منه مَنْخِرٌ جاش مَنخِرُ

وأيُّ خطب ! ! فنحن أمة قد عاشت أكثر من أربع وستين سنة تجاهد عدُواً لدوداً ، واسع الحيلة ، كثيرَ الأعوان ، ينفثُ سمه حيث مشى ، ويُخفى غوائله ليكون فتكه أخفى وأنكى وأشدَّ . فاتخذ لنفسه من صميم هذا الشعب رجالا خدعهم عن عقولهم ، وزيَّن لهم أن يعملوا فى الدسيسة للأرض التى أنبتتْ عليهم شحومهم ولحومهم وحملتهم على ظهورها هم وآباءهم وأبناءهم وذَرَاريهم ، وأظلَّتهم سماؤها بالظلّ الوارف الظليل ، وسكَبتْ فى نفوسهم سرَّ الحياة ، وسقاهم نيلها بدَرِّهِ الذى اشتدَّت عليه أبدانهم وأحوالهم ، ومهَّد لهم من المتاع ما أطغاهم وكان خليقاً أن يملأ قلوبهم شكراً ، وألسنتهم حمداً وثناء .

وزاد فأطلق فى جنَبات هذا الوادى أسراباً من صعاليك الآفاق الأجنبية ، أخافت الوادِع ، ولدَّغت السليم ، وذادتْ عن سُهول هذا الوادى كل حىٍّ من أبنائه حتى ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبتْ وضاقت عليهم أنفسهم . ولم يزل ذلك دأبنا ودأب عدوِّنا حتى أتاح الله الحرب العالمية الأولى فاستعلن من ضغينته وبغضائه ما كتم ، وأعلن الحماية على أرض مصر . فلما خرج ذلك العدوّ من لأوائها منصوراً مظفراً ، لم يبال الشعب المصرى العزيز بسطوة ولا بأس ولا قوة من حديد ونارٍ ، فثار ثورته العجيبة فى أوائل سنة ١٩١٩ ، وما كان يخيَّل للعدو الباغى أن ذلك شىء ممكن ، وبعد لأى ما تحقَّقَ من أنه شعب حديدُ العزم لا تُرْهبه القوة الباطشة ولا العدوان الغشوم . فاحتال له حيلة أخرى يفرّق بها بين الرجل وأخيه ، والأب وبنيه ، والأمّ وفلذات أكبادها ، فرمانا بالداهية الدَّهياء التى جعلت الناس يختلفون بينهم على غير شىء إلا الحُكم والسلطان ، وتدسَّس إلى قلوب الرجال شيطانٌ مَريدٌ هو : تلك الحزبية والعصبية للأشخاص ، فكادت تنقض بناء هذه الأمة حجراً حجراً .

ثم كان من رحمة الله أن جاءت الحرب العالمية الثانية ، فخرج منها عدوُّنا مرة أخرى منصوراً مظفراً ، فلم يبالِ الشعب المصرى وخرج يقول له : « اخرجْ من بلادى ، ورُدَّ علىَّ جنوب الوادى » وكادَ يكون ما كان فى سنة ١٩١٩ ، ولكن العدو كان أسرع حيلة وأرشق حركة ، فنَصَبَ رجالا منَّا ليحملوا بلادهم على

سبيل مضللة . فكانت هذه المفاوضات الخبيثة التى ظلت تدور شهراً بعد شهر إلى غير نهاية إلى يومنا هذا ، بيد أن الشعب نفسه ظل هادئاً متربصاً طوال هذه الشهور وهو عالم أن المفاوضة كلام لا يغنى فتيلا ، وأن « الجلاء » حق لا ينازعه فيه أحد ، وأن ضم السودان إلى أخته مصر حق لن يعوقه عنه بطش ولا جبروت ، وأن الحرية حق البشر منذ يولدون إلى أن تطم عليهم القبور . ومضت الأيام والشعب يسمع لجاج المفاوضة وهو غير راض ، ولكنه استنكف أن يحول بين طائفة من أبنائه وبين ما يظنون فيه الخير لبلادهم ، فتركهم يعملون ليعرفوا أخيراً ما عرفه هو بفطرته النقية : أن لا خير فى مفاوضة الغاصب القوى حتى يرد على المغصوب الضعيف ما سلب منه ، وأن الإباء هو خلق الأحرار ، وأن العزم هو المنقذ من ضلال السياسة ، وأن اجتماع الكلمة على الجهاد فى سبيل الحق هو الخلاص وهو سبيل الحرية .

وقد انتهت الآن هذه المفاوضات وجاءنا المشروع الذى يراد لنا أن نصدق عليه ونقبله ، فللأمة حقها اليوم أن تقول كلمها ، ولكل مصرى أن يقول كلمته ، وليس لهيئة المفاوضة ولا لرئيس الوزارة أن يفتات على حق الشعب بشىء لا يرتضيه الشعب ، فإن هذه ساعة حاسمة فى تاريخ الشعب المصرى ، بل ساعة حاسمة فى حياة أبنائنا الذى يدبون على الأرض ، وحياة النسل المصرى الذى يسرى فى الأصلاب حتى يأتى قدره .

وإنه لهول أى هول أن ينفرد رجل أو فئة من رجال بالتصرف فى هذه الأنفس البشرية كأنهم أصحابها وخالقوها والنافخو الحياة فى أبدانها . فالله الله أيها الرجال فى مصاير بلادكم وأبنائكم وورثة المجد القديم الذى يطالبهم كما يطالبنا بأن نعيش أحراراً فى بلادنا ، وبناة لأمجادنا ، وحفظة على تاريخ أجدادنا .

وليأذن لنا أولئك الذين يظنون أنهم كما قال الشاعر :

وعلمت حتى ما أسائل واحداً   عن علم واحدة لكى أزدادها

وليأذن لنا أولئك الذين يظنون أنهم مالكو رقاب هذا الشعب بمالهم أو جاههم أو سلطانهم ، وليأذن لنا أولئك الذين هانت عليهم أنفسهم فضاقوا ذرعاً بإباء هذا الشعب أن يكون كالكلاب الزفقة يشركهم فى فضلة الزاد ، فإذا ضجروا به قالوا له اخسأ أيها الكلب ، وليأذن لنا المخلصون من الكتاب الذين يظنون أن التساهل والتغاضى لا بأس به ما دمنا لا نملك أسطولا ولا طائرات ولا سلاحاً ولا قنابل ذرية ، وأنه لذلك لا بد لنا من أن نحالف حليفاً قوياً ينصرنا إذ بغى علينا ، ويرد عنا إذا زحف عدو إلينا — ليأذن لنا أولئك جميعاً أن نتكلم بلسان مصر المظلومة المهضومة ؛ فإنها هى وحدها التى ينبغى أن تنطق وتقول ، فإن قولها هو القول الفصل — لا قول العلماء الذين يرون أن لا علم إلا علمهم ، ولا قول أصحاب المال والسلطان ولا قول المتهاونين الذين يرضون من نيل الحق أيسر ما ينال .

إن هذه المعاهدة الجديدة التى تمخضت عنها المفاوضات الطويلة تقوم على أربعة آساس :

الأول : أن الجلاء سيتم بعد ثلاث سنين

الثانى : أن تعد مصر بأن تقوم مع انجلترا بالعمل الذى تتبين ضرورته فى حالة تهديد سلامة أى دولة من الدول المتاخمة .

الثالث : مجلس دفاع مشترك يقرر الرأى فى الذى سموه « تهديد السلامة » وجعلوا له حق تنظيم الأسباب التى تسهل مهمة اشتراك الجيش المصرى مع الجيش الإنجليزى فى الحرب .

الرابع : أن تكون الأهداف الأساسية فى مسألة السودان هى تحقيق رفاهية السودانيين وتنمية مصالحهم وإعدادهم « إعداداً فعلياً » للحكم الذاتى ، وممارسة حق اختيار النظام المستقبل للسودان ، وإلى أن يتم ذلك بعد التشاور مع السودانيين تظل اتفاقية سنة ١٨٩٩ سارية وكذلك المادة ١١ من معاهدة ١٩٣٦ — هذا محصل ما تقوله المعاهدة الجديدة .

ومصر تقول إنها لا تثق بالمواعيد الإنجليزية المتعلقة بالجلاء فقد بلت ذلك أكثر من ستين عاماً فلم تر إلا شراً ، وإنها لا تريد أن تقر ساعة واحدة للانجليز بالبقاء الشرعى فى بلادها فكيف ترضاه وتوقع عليه وتعترف بشرعيته ثلاث سنوات طوالا .
وتقول إن تحديد السنوات خداع وبيل العواقب غير مأمون المغبة فإنها لا تدرى ماذا عسى أن يكون غداً أو بعد غد ، وإن الإنجليز قادرون إذا شاؤوا على الجلاء فى أقل من ستة أشهر جلاء كاملا

عن كل بقعة من بقاع هذا الوادى ، فالإطالة مُرادَةٌ لنفسها لأسباب جهلها من جهلها وعلمها من علمها . وقبيح بامرىء ذاق الذل من وعود الانجليز ستين عاماً أن يجهل شيئاً عن مثل هذا الوعد المدخول المكتم بالأسرار .

أما الأساس الثانى : فان مصر تقول إن بلاء البلاد المتاخمة لمصر هو كبلائها مثلا بمثل . فالانجليز هم الجاذب الداعى إلى أن يعتدى عليها معتدٍ طاغٍ يريد أن يضرب انجلترا فى مكامنها ، كما كانوا سبباً فى عدوان الألمان والإيطاليين على مصر فى الحرب الأخيرة السالفة . فلماذا يريد الإنجليز أن يتخذونا أعواناً وأنصاراً على إذلال جيراننا ، وأن يجعلونا نعترف ضمناً بأن لهم حق الدفاع عن هذه البلاد التى سلطوا عليها بَغْى استعمارهم ؟ ولماذا تسفك مصر دماء أبنائها فى سبيل المحافظة على هذه الامبراطورية التى ملأت رحاب الأرض جوراً ؟

ثم إن هذا العدوان إذا وقع ، فهو النذير العريان بالحرب العالمية الثالثة ، والمعتدى فيه معروف منذ اليوم للانجليز ولغير الانجليز . والأسباب الداعية إلى انفجار هذا البارود راجع إلى أسباب أخرى غير الرغبة فى التوسع . وهو جشع الاستعمار القائم اليوم فى هذا الشرق الأوسط والشرق الأدنى والهند . يوم يقع هذا العُدوان فالدُّنيا كلها ستهبّ هَبة رجل واحد ، ولا يدرى أحدٌ منذ اليوم كيف يكون الأمر غداً وأين تكون مصلحته ، فعلام تريدنا إنجلترا أن نتعجَّل ، وأن ندْخلَ نحن فى حروبها التى ضرَّمتْ نيرانها منذ كانت ، وأن نفرض على أنفسنا منذ اليوم قيداً لعلّ غداً يأمرنا أن نعيد إلى خلافه حتى لانكون طعمة للمنصور إذا كانت إنجلترا هى الخاسرة ؟ أليس يقول لنا ذلك المنصور يومئذ ، لقد قاتلتمونى وحاربتمونى فأنا أستحلّ دياركم وبلادكم وأقداركم بحكم الفتح ؟ فماذا تقول مصر يومئذ ؟ ومن زعَمَ أن سياسة الدنيا سوف تجرى غداً على النهج الذى جرت عليه حتى اليوم ، فقد أنكر عقله وأنكر تلك القوى العاملة التى تؤثر فى سياسات العالم . ثم لماذا تريد إنجلترا أن تكون قيِّمةً على مستقبلنا ونحن شعبٌ حىٌّ حرٌّ يريد أن تكون بلاده ملكا له ليتوخى لها مراشدها التى ينبغى أن يتوخاها ؟ وإذا كان الانجليز يؤمنون بأن مصلحتنا غداً ستكون فى أن نكون معهم يداً واحدة ، فعلام الجزع إذن ؟ أو يظنون أننا نخرج غاصباً من بلادنا ثم ندعها نُـهْبى تتعاورها أيدى لصوص الأمم فلا نؤازرهم فيما نرى أن لنا فيه منفعة وصلاحاً ؟ اللهم إن الانجليز يعلمون أننا على حق فى هذا كله وأنهم هم المبطلون ، وإنما يريدون بهذا النص أن يمكثوا فى بلادنا سادة يستضعفوننا ويمنعوننا أن نفعل فى بلادنا ما نريد ، أى أن نظل أمة لاجيش لها ، ولا مصانع فيها ولا قوة لها ، وأن تظل « مجالا حيويا » لها ولأشياعها وأفاعيها من نفايات الأمم وحثالات الشعوب ، وأن يكون وجودهم بيننا معواناً لهم على تفريق كلمتنا وتشتيت قلوبنا ، وأن يظل المصرى يحس بهذا الاحساس القبيح الذى يوهن القوى ، وهو أنه غريب فى بلاده .

أما الاساس الثالث : فهو شىء باطل كله لأنه مبنى على الثانى ، ولأنه شىء لامثيل له فى تاريخ معاهدات الدنيا كلها ، ولأن أخطاره على مصر أخطار موبقة . فان كلمة القوى هى العليا ؛ فاذا قلنا لانجلترا إننا نرى كذا وكذا ، وقال إنجليز هـــذا المجلس ، كلا إن هذا ليس لنا برأى ! فمن يكون الفَيْصل بيننا يومئذ ؟ أليست هى قوة الانجليز نفسها ؟ وإذا كانت مصر تخرج اليوم من استعباد خمس وستين سنة ، فهل تظن أن الرجال المصريين الذين سيضمهم هذا المجلس ، سوف يكونون أو يختارون إلا ممن ترضى عنهم إنجلترا وتقول إنها تستطيع « العمل معهم » ؟ هل يظن غير هذا عاقل ؟ يالهذه من سخرية بنا وبعقولنا وبعقول كل من يقرأ هذه السفسطة الانجليزية ! .

أما الأساس الرابع ، فان مصر لم تعترف قط باتفاقية سنة ١٨٩٩ ولن تعترف بها ، وهذه المعاهدة تريدنا أن نعترف بها ، وتريدنا أيضا أن نرضى سَلفاً عن أبشع المبادىء التى لاعقل فيها . وهى بتر جنوب مصر عن شمالها . فالسودان ليس أمة نحن مستعبدوها بل هى جزء من مصر من أقدم عصور التاريخ ، وهى أهم لمصر من مصر نفسها بشهادة عقلاء الساسة من إنجليز وغيرهم . ولو فرضنا أن فئة أضلتها الأموال الانجليزية والوعود البريطانيـــة والأكاذيب الملفقة ، قامت فى السودان وقالت : إنى أريد أن أكون أمة وحدى ودولة وحدى ، فهل يُقبل هذا إلا إذا قبلت إنجلترا مثلا أن تقوم أسكتلندة — وبين الاسكتلنديين

على هامش النقد :

# من مفارقات التفكير ... !

## الأستاذ إسماعيل مظهر وكتاب الأغلال

للأستاذ سـيد قطب

لا يزال الإنسان يصادف بين آونة وأخرى صنوفاً من مفارقات التفكير ، ما كان ليتصورها لو لم تقع فعلا فى الحياة ، وتبدو آثارها للعيان . فقد تجد الرجل المحقق المتفوق فى علم أو فن ، يبدى فيه الرأى ، فإذا له الكلمة الصائبة ، والنظرة النافذة ... ثم يجاوز مادة تخصصه إلى شأن آخر ، فيأتى بالكلام الذى لا تصدق نسبته إليه إلا إذا قامت لك البراهين على أنه هو قائله ؛ لأنك تجد عندئذ رجلا آخر لا تعرفه ، دون ذلك الرجل بمراحل ومسافات .

وأقرب مثل يحضرنى اليوم هو الأستاذ اسماعيل مظهر . فما لا شك فيه عندى أن الرجل مثقف مطلع ، ذو مشاركة طيبة فى الحركة الفكرية المعاصرة .. ولكننى رأيته يكتب فى جريدة الكتلة مرة ومرة عن كتاب « هذى هى الأغلال » بطريقة عجيبة ، فمرة يقول : إنه يساوى ثقله ذهباً ؛ ومرة يرتفع بصاحبه على مقام جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ! ويخلو أسلوبه على كل حال من التمحيص والاتزان اللذين أعهدهما فيه ...

وعجبت من أن يكتب رجل كالأستاذ اسماعيل بمثل هذا الأسلوب ، وأن يعتقد فى مثل هذا الكتاب وصاحبه ذلك الاعتقاد ... وظللت متحيراً فى هذه الظاهرة العجيبة . وكنت قد قرأت الكتاب فوجدت صاحبه يتعلق بالتافه من خرافات العوام ، ومن الأضاليل الخرافية التى حاربها الزمن فى البيئة الإسلامية وانتهى من حربها منذ خمسين عاما أو تزيد . يتعلق بهذا التافه فيصول ويجول فى الكفاح والنزال ، ويبدو — كما قلت فى مجلة السوادى — فى هيئة « دون كيشوت » يطعن فى الهواء يحسب طواحين الهواء فرسانا ، وزقاق الخمر قساوسة !

---

والانجليز من الفروق ما لا يوجد مثله بين مصر والسودان — فتقول : سوف أكون أمة وحدى ودولة وحدى . أفترى إنجلترا تقول يومئذ نعم ونعمة عين وتخلى بينهم وبين ما يريدون ، أم تخضعهم يومئذ بقوة السلاح وبالحديد والنار كعادتها فى كل بقاع الدنيا ؟ ونحن ولله الحمد ليس بيننا وبين السودان مثل هذا ، بل السودان كله ، إلا من طمس مال الانجليز قلبه ، كلمة واحدة على أنه جنوب مصر لا أنه أمة وحده أو دولة وحده . إن مصر لا تستطيع أن تفرط فى بتر السودان من جسمانها ، فان فى ذلك هلاكها وهلاك السودان جميعاً . فليقلع عن هذا الرأى كل من غفل عن حقيقة الوطن المصرى أو الوطن السودانى ، فمعناهما سواء .

بقى شىء واحد هو أن إنجلترا قد خرجت من هذه الحرب فى المرتبة الثالثة من دول العالم . فإذا جاءت الحرب الثالثة فانجلترا خارجة منها لا محالة كما خرجت فرنسا — أى إنها سوف تخرج ولا تملك غير الجزيرة البريطانية إن بقيت لها ، فعلام نربط مصايرنا بمصير مظلم يُفزّع أهله منذ وضعت الحرب الأخيرة أوزارها ؟

وكان ينبغى أيضاً أن لا يغيب عن أذهان أولئك الأذكياء أن هذه الفرصة إذا أفلتت فلن تعود ، فإن انجلترا اليوم لا تملك أن ترغمنا على شىء ، وإنها لتهددنا وتبدئ وتعيد فى تهديدها ، ولكننا إذا صبرنا وعزمنا وأبينا ميسم الذل الذى تريد أن تسمنا به ، فهى لن تملك إلا التسليم بلا قيد ولا شرط . فكان عليهم أن يكونوا أبصر بخير هذه الأمة المجاهدة المصرية ، وأجرأ على تلك الأمة الانجليزية ، ولو فعلوا لرأوا عجباً ، فإننا إنما أتينا من قبل الخوف والهيبة والعجز عن إمضاء العزيمة على وجهها ولكن لم يفت الأوان بعد ، فاحملوا على أنفسكم أيها المفاوضون المصريون واملأوا قلوبكم إيماناً بالله ، وإخلاصاً للوطن ، وأجمعوا رأيكم وارفعوا النير عن هذا الشعب بالإباء والأنفة والحميّة ، ورفض المفاوضة والمعاهدة ، فإن إنجلترا لن تملك يومئذ صرفاً ولا عدلا ، فإن لم تفعلوا فالله من ورائكم محيط . واحذروا غضبة الشعوب فان لغضباتها مواسم ككَىّ النار هى ذل الدهر وسُبّة الأبد .

**محمود محمد شاكر**

ثم ينتهى فى التواء إلى أن هذه هى العقلية الدينية الإسلامية ؛ فهى إذن عقلية لا تصلح للحياة ولا لوراثة الأرض . بينما الأوربيون يتبعون منطق الحياة ، فهم إذن أولى بوراثة الأرض من أصحاب العقلية الدينية . وإذن فما يحق للشرق أن يثور على استعمار ولا أن يحنق على مستعمرين ! وتلك هى النتيجة الحتمية لكل مقدمات الكتاب . ولعلها هى الهدف الأول الذى لف فى طواياه !

ولا ينتهى الرجل إلى هذه النتيجة وحدها ، عن هذا الطريق الملتوى الملىء بالمغالطات ، إنما ينتهى إلى نتيجة أخرى — لعلها هى التى قادته إلى سلوك هذا المسلك المريب ؛ ولعلها كانت رائده فى كتابه وفى حياته .. تلك أن العنصر الأخلاقى يجب أن ينفى من الحياة . فكل ما يقال له روح وضمير وخلق ودين ... إن هو إلا « أغلال » ومموهات وتعلات فارغة لا تجدى ؛ والمعول فى الحياة على القوة المادية : قوة الصناعة والتجارة والمال !

ولعل الرجل يطبق فى كتابه وسلوكه تلك المبادئ الذهبية !

أقول عجبت من أن يبذل الأستاذ مظهر إعجابه كله لمثل هذا الكتاب المريب فى هذا الأوان ، إلى درجة أن يستخفه الإعجاب ، فيفارقه ما عرف به من النفاذ والتؤدة والاتزان ... ولكن أخيراً تكشف لى السبب ، فبطل منى العجب ؛ وذلك فى كلمة افتتاحية فى المقتطف الأخير عن كتاب « هذى هى الأغلال » أيضاً !

إن الأستاذ اسماعيل فيما يظهر قد استغرقته الدراسات الفلسفية والدراسات العلمية — وفى أوربا خاصة — فلم يجد وقتاً يتتبع فيه الحركة الفكرية فى الشرق العربى — وفى مصر خاصة . فظل يعتقد مخلصاً فى اعتقاده أن أهم ما يشغل بال المسلمين فى الآونة الحاضرة من أمور دينهم ودنياهم مسائل من نوع : [ الكلام فى مثل ما تكلم فيه السيوطى فى كتابه « كشف المعمى فى فضائل الحمى » وكتابه « الطرثوث فى فضل البرغوث » أو ما تكلم فيه ابن حجر العسقلانى فى كتابه « بذل الماعون فى فضل الطاعون » أو ما ترى فى كتب المناقب وغير كتب المناقب فى الخرافات التى تهلع لها قلوب الأحرار ، والأساطير التى تهتز لها الأرض وتفزع السماء ، أو البحث فى من يحمل فوق ظهره قربة ملئت فساء هل تصح صلاته بها ام ينتقض وضوؤه ] كما كتب فى هذه الافتتاحية العجيبة !

وهذه هى الخرافات التوافه التى أخذ المؤلف يبدئ فيها وفى أمثالها ويعيد ، ويصم التفكير الإسلامى كله بأنه يصدر عنها ؛ ثم أخذ ينازلها كما نازل « دون كيشوت » طواحين الهواء ، ويشقها بسيفه كما شق « دون كيشوت » زقاق الخمر ! والتى خيل للأستاذ مظهر أنها كذلك تشغل بال المسلمين فى هذه العصور ، فأخذ بالقوة التى يهاجمها بها مؤلف الأغلال ، فقال :

« أنتصر لهذا الكتاب ، لأنى أشم فيه ريح القوة والجبروت والعزة التى هى من صفات الإسلام ، وليست من صفات المسلمين ! » !

وهنا زال عجبى وعرفت القصة . فالأستاذ اسماعيل مظهر بقدر ما هو عالم ومطلع فى الفلسفة الحديثة والعلم الحديث ، بعيد كل البعد عن حركة الفكر الإسلامى فى القديم أو فى الحديث . فكل حديث عنها فى نظره إعجاز وإبداع ! !

ومثل إعجابه البالغ الذى لا يتحفظ فيه بهذا الكتاب كمثل من يعجب أشد الإعجاب برجل يشنها حرباً شعواء على من يقولون : إن الأرض محمولة على قرن ثور . فما تزيد معظم الخرافات التى تصدى لها المؤلف فى أهميتها اليوم وفى مقدار اعتقاد الناس فيها ، على اعتقاد بعض العامة أن الأرض محمولة على قرن ثور !

ويا ليت إخلاصاً يبدو فى ثنايا الكتاب ، حتى مع هذا التمحل وهذا التزوير المدسوس على عقلية الشعوب الإسلامية فى العصر الذى نعيش فيه ؛ إنما هنالك الريبة التى تخالج القارئ حين يذهب فى القراءة إلى النهاية ، فيشم رائحة غير نظيفة تشيع بطريقة ملتوية خبيثة ، رائحة إشعار الأمم الشرقية بأنها لا تستحق وراثة الأرض ، ولا تستحق سوى العبودية والذل ، وأن الأمم الأوربية هى التى تستحق هذه الوراثة ، وأن العرب خاصة فى حاجة إلى حماية الانجليز والأمريكان لهم ، لأن الخطر الصهيونى يتهددهم وهم عزل من كل قوة ، ولا سند لهم إلا قوة خصومهم من الانجليز والأمريكان!

ترى هذه هى « ريح القوة والجبروت والعزة التى يتحدث عنها الأستاذ اسماعيل ؟ اللهم إن رجلا بعيداً عن كل اتصال بحركة الفكر الإسلامية ، راعته البديهيات الساذجة التى يسوقها رجل مريب ، فلم يتنبه فى — زحمة الروعة — لهذا العنصر المريب !!

***

وكتب الأستاذ « عبد المنعم خلاف » فى عدد « الرسالة » الماضى يشير إلى مانبهت إليه من سرقة المؤلف لأفكاره فى كتابه « أومن بالإنسان » وادعائه أنه لم يسمع بموضوع هذا الكتاب!

قلت فى كلمتى بمجلة (السوادى) إننى لم أحترم هذا التجاهل ، لأنه ليس سمة الباحثين المخلصين . وقال الأستاذ عبد المنعم بعد أن قرر أنه فرح لانتشار فكرته التى دعا إليها منذ سنوات ، فكرة الإيمان بالإنسان والاعتقاد بأن الحياة صادقة .

«ولكن ما لبثت هزة الفرح والابتهاج أن انقلبت إلى أسى ووجوم واشمئزاز إذ رأيت الكتاب يخلو من أدنى إشارة إلى تسجيل سبق فى هذه الدعوة ، وإذ رأيت صاحبه مع ذلك يحدث ضجة مفتعلة حوله ، ويصدر غلافه بهذه الجملة :

( سيقول مؤرخو الفكر : إنه بهذا الكتاب قد بدأت الأمم العربية تبصر طريق العقل .. وإنه ثورة فى فهم الدين والعقل والحياة ... ) كأن مؤرخى الفكر عميان لا يتلمسون مصادر الآراء !

«وإنى أعجب كيف يجرؤ كاتب أو مفكر يحترم رأى الناس ، ويستحى من نفسه . أن يسبق التاريخ ويصدر حكمه على عمله بهذه الدرجة من الافتتان والزعم !

«إن المفكر الواثق من أنه أتى بجديد حقاً ، يضع آثاره بين يدى التاريخ فى صمت ، ويدع له أن يحكم ، ولا يتعجل الحكم حتى تعلنه الأيام سواء فى حياته أو بعد مماته ... والمفكر الأمين الثقة الغيور على الحق وحرية الفكر يترفع عن أن يغمط حق غيره ، وعن أن يغطى جهود من سبقوه بالدعاوة الجريئة لنفسه ، لأن هذا إن جاز فى مجاز الإعلان عن المتاجر والمهن ، فلن يجوز فى رحاب الفكر والخلق .

ولكن ما للمؤلف وللحديث عن الأخلاق ، وهو كما روى عنه الأستاذ سيد قطب فى مجلة « السوادى » يرى ( أنه يجب أن ننفى العنصر الأخلاقى من حياتنا ، فالحياة لا تعرف العناصر الخلقية ، ولا قيمة لها فى الرقى والاستعلاء ) » .

والأستاذ عبد المنعم يحاكم الرجل إلى مبادئ ومثل يقول هو عنها : إن التشبث بها هو سبب تأخر الشرق وجموده . فما الخلق ؟ وما الضمير ؟ وما الحياة ؟ إنها كلها « أغلال » تقيد الخطو وتخلق العثرات . إنما المهم كما يقول هى الأخلاق الصناعية والتجارية والمالية ! !

والواقع أنها جرأة عجيبة ، ولكن لماذا لا يجرؤ الرجل ، وفى مصر كتاب كبار لا يتنبهون لهذه الجرأة العجيبة ، فيسبغون على فكرة مسروقة ومستغلة استغلالا مريبا كل هذا الاهتمام والإعجاب ؟

ولكننى أعود فأستدرك ، فلعل هناك اتهاماً للأستاذ عبد المنعم ، وطعناً فى ضميره وخلقه ووطنيته حين نذكر أن فكرة الأغلال مسروقة من كتابه « أومن بالإنسان » .

إنها مسروقة نعم فى عمومها وفى الكثير من قضاياها ، ولكن الأستاذ عبد المنعم كان يعالج فكرته فى استقامة ونزاهة ، ويحسب للدين وللخلق وللضمير حسابها فى قيم الحياة ، وحين دعا إلى الإيمان بالإنسان مستدلا بما أبدع فى الأرض بفكره ويده ، لم ينس أنه يهدف إلى قضية أكبر ، وهى قضية الإيمان بخالق هذا الإنسان وقضية التسامى بضمير هذا الإنسان .

ولقد وافقت الأستاذ عبد المنعم على قضيته وأهدافه ، وخالفته فى طريقة استشهاده ، ووددت أن يفسح للوجدانات الروحية ، وللأعمال الفنية مكانا أكبر فى الاستشهاد على عظمة هذا الإنسان ، ليكون نشيد الإيمان به أوسع وأشمل ، حين نضم إلى إبداع فكره ويده إبداع وجدانه ومشاعره .

أما هذا الرجل ، صاحب الأغلال ، فيأخذ الفكرة لينحدر بها انحداراً عن مستواها ، وليبدو فيها ضيق الآفاق لا يتصور أن الإنسان جسم وروح ، وأن الحياة مادة ومعنى . ثم ليستخدم الفكرة فى الزراية على الشرق عامة والمسلمين خاصة ، وليحطم فى نفوسهم كل شعور بالعزة ، وليسود عليهم مستعمريهم ، وليثبت هم أنهم فى حاجة إلى قوة هؤلاء المستعمرين ، إلى أن يتخذوا طريقهم فى الإنتاج !

وما يخدم قضية الاستعمار فى طورها الحالى كما يخدمها بث هذه الروح . وإذا كان الشرق يعتز فى جهاده للاستعمار بماضيه وبعقائده وبكرامته القومية ، وبعدد من مثل هذه المعنويات . فهذا رجل منه يقول له : إنما تعتز بترهات جوفاء . والمستعمر أحق بوراثة الأرض منك ، فلتحن هامتك إذن ، فتلك سنة الحياة!

وبدلا من أن ينبه النقاد الكبار إلى هذا الاتجاه المريب يؤخذون بالدعاوة المفتعلة ، ويبذلون إعجابهم المطلق للكتاب وصاحب الكتاب ! والرجل والحق يقال : ماهر فى الدعاوة ، لا تقيده فيها الأغلال ! !

ألا إنه لكتاب يساوى ثقله ذهباً ، كما قال الأستاذ مظهر . ولعل من تهمهم مثل هذه الكتب لم يبخسوا الكتاب قدره وكل الدلائل تشير إلى أنهم لم يبخسوه قدره ، والحمد لله !

**سيد قطب**

نحو عالم جديد :

# أندريه مالـــرو

André Malraux

## فنه وتفكيره

للاستاذ على كامل

لعل من النادر أن نرى بين أدباء الغرب المعاصرين أديباً يمثل روح العصر الحاضر مثل الأديب الفرنسي الشاب أندريه مالرو . وهو من هذه الناحية ومن حيث تأثير فنه على عقلية شباب هذا الجيل الذى نعيش فيـه يقف إلى جانب الـكاتب الـكبير أندريه جيد . إلا أن كلا منهما يتميز من حيث المشكلة التي يطرقها ويسعى لحلها . فأندريه جيد يكاد يقتصر فنه على معالجة المشكلة الجنسية التي يعتبرها مشكلة المشاكل، بينما يطرق مالرو الشخصية الإنسانية بأكملها ، بكامل غرائزها ساعياً لتحديد موقفها في هذا العصر المضطرب الطافح بالانقلابات والتطورات .

كان أندريه مالرو منـذ ابتداء حياته الأدبية كاتباً اجتماعياً لايستطيع أن يتصور كيف يمكن للأديب أن يبتعد عن معالجة مشاكل المجتمع الذى يعيش فيـه واتخاذ موقف محدد حياله . كان ألد عدو لذلك النفر من الأدباء الذين اتخذوا من خيانة الفكر مذهباً أسموه ( الفن للفن ) أو ( البرج العاجى ) يقبعون فيه غير عابئين بمـا يدرر حولهم من مآسى الحياة ونكباتها حتى بلغ الأمر ببعضهم إلى اعتبار أن مجرد المساس بحقائق الحيـاة الحزنة الدامية تشويه « للجمال » فنهم ! ! ؟ إن هذه الزمرة من الأدباء في نظر مالرو ونظرائه من الأدباء الاجتماعيين ما هي إلا طائفة من المرائين الذين اتخذوا القلم سلماً للوصـول والنفعية ، وهم قبل كل شيء يعملون — بوعى أو بغير وعى — لخدمة مصالح الطبقات المميزة فى المجتمع الإنسانى ، وهـذه الطبقات لا يهمها معالجة مشاكل الحياة القاسية لأنها لا تعانى ويلاتها بل من مصلحتها — إذا لمحتها فى طريقها — التغاضى عنها وتعمد تجاهلها ؛ لأن أنانيتها لا تتفق وافتضاح الخلل فى المجتمع الذى تعيش على حساب تعاسته ، وتصعد قمة المجد على جماجم شهدائه

على أن مالرو لم يقتصر على استخدام قلمـه لخدمة المجتمع الانسانى، بل كان يهب كلما سنحت الفرصة ليخدم بقوة السلاح المبادئ السامية التي يؤمن بعدالتها . فلم تكد تنشب ثورة الصين التحريرية حتى سافر إليها يعمل إلى جانب جيوش الوطنيين فى سبيل المثل الأعلى الذين يدافعون عنه . وعندما قامت الثورة الأسبانية الجمهورية بادر بالسفر إلى أسبانيا ليعمل فى جيوش الجمهورية الشابة كطيار مدافعاً عن سماء مدريد الشهيدة . وأخيراً لم تـكد تخر فرنسا على ركبتها عام ١٩٤٠ صريعة الخيانة حتى عاد مالرو إلى حياة الـكفاح العملى فأبى أن يهجر وطنه فى محنته وانضم إلى العصابات الفرنسية الداخلية ليكافح الغاصب . وعلى رغم هذه الحياة المضطربة الخطرة لم يهمل مالرو قلمه وهو سلاحه الأول للتعبير عن تفكيره فاشتغل فى كتابة قصة طويلة من ثلاثة أجزاء بعنوان : ( الصراع مع الملاك ) La lutte avec L' Ange وانتهى من الجزء الأول وهو ( أشجار التنبرج ) Les Noyers de L' Altenburg الذى نشر فى سويسرا عام ١٩٤٣

* * *

كانت أول أعمال مالرو إصداره كتاباً صغيراً بعنوان: ( إغراء الغرب ) La Tentation de L' Occident وهو عبـارة عن رسائل يقارن فيها الـكاتب بين المدنيتين: الشرقية والغربية ، ونحس حين قراءتها بألمه وخيبة آماله فى مدنية الغرب . وسرعان ما لفت هـذا الـكتاب الأنظار إلى مؤلفه الذى أحس النقاد بنواحى التجديد فى تفـكيره وما يختزن فى صدره بمـا يبشر بظهور لون جديد من ألوان الأدب العالمى . وفى عام ١٩٢٨ ظهر كتاب مالرو الثـانى الفاتحون Les Conquérants وهو أقرب إلى تحقيق صحفى منه إلى قصة . وفى عام ١٩٣١ ظهر كتابه الثالث ( الطريق الملـكى ) La voie Royale . وفى عام ١٩٣٣ أخرج مالرو قصته : ( الطبيعة الإنسانية ) La Condition Humaine التى نال بها جائزة جونكور لذلك العام ؛ وهى أكبر الجوائز الأدبية الفرنسية .

وتفكير مالرو الذى يسيطر على جميع أعماله يتحدد منـذ صدور كتابه الفاتحون ثم يجلو ويبلغ أقصى وضوحه فى ( الطبيعة الإنسانية ) . كانت هاتان القصتان حدثاً جديداً فى الأدب الغربى

إذ لم يسبق أن عالج الفن القصصى مشاكل المدنية الغربية بالطريقة التى عالجها بها مالرو فى هذين الكتابين ، وسار على نهجهما فى كتبه التالية ؛ وذلك من حيث التجديد فى الفكرة وحرارة الأسلوب وطهارة الإخلاص .

يرى مالرو أن الإنسان منذ فجر التاريخ يميل « بطبيعته » إلى الثورة على الأمر الواقع وتحسين الحالة الراهنة واكتشاف ما يحيطه من المجهول ، وكانت الأديان أقوى وسيلة لتهدئة هذا الجموح الطبيعى وإطفاء هذا الغليان الغريزى ، وظل تأثيرها قوىّ المفعول مدى قرون طويلة وأحقاب عديدة . ولكن الآن والمدنية الغربية قد بلغت مرحلة لا احترام فيها للعقائد ولا مراعاة لسنن الأديان ، بل ولا اعتبار للأسس التى قامت عليها هذه المدنية التى أوشكت أن تنهار دعائمها بعد أن طفحت القلوب بالشك فى قيمتها . الآن ، ما هو موقف (الإنسان) و(النفس الإنسانية)؟ ما هو موقف الفرد الأوروبى أو غير الأوروبى إذا كان من أبناء المدنية الحديثة المتأثرين بتياراتها المتحررين من كل قيد تقليدى ؟ يرى مالرو أن الإنسان الجديد يقف أمام أحد أمرين لا ثالث لهما : فإما الاستسلام للأمر الواقع والتردى فى هذه الفوضى الغاشمة التى لا ضابط لها ولا حياد فيها ؛ وإما التعلق بمثل أعلى لخدمة نفسه وخدمة المجتمع البشرى كما يتعلق الغريق المحتضر بقارب النجاة .

أما الأمر الأول فهو طريق الضعفاء فضلا عن أنه لا يتضمن جمال الإحساس بالقيام بعمل سام جميل . وأما الأمر الثانى فهو الطريق السوىّ الطبيعى لذوى النفوس العالية ، والإنسانية الواسعة ، وهو الطريق الذى اختاره أندريه مالرو لأبطاله مصوراً حياتهم وطريقة تفكيرهم ، وضروب تضحيتهم وسمو إيمانهم . فنرى ( جارين ) فى قصة (الفاتحون) و( كيو) فى قصة ( الطبيعة الإنسانية ) شخصيتين من تلك الشخصيات التى لا تستطيع الخضوع لحياة لا غرض لها إلا قضاء أيام متشابهة مملة . فهما يعانيان ذلك المرض الذى لا يختلف كثيراً عن المرض ، الذى يسمونه مرض القرن والذى — كما يرى مالرو — هو بالنسبة لفئة من الناس مرض جميع القرون ... إن هذه الدنيا لا تكفيهم . إنها لا قيمة لها إذا لم تمنحهم الفرصة لانفجار كل نواحى الكفاح والنشاط فيهم . إن حياتهم لا مبرر لها ولا قيمة إذا لم يحققوا للإنسانية أفكاراً سامية .

ولما كانت كل مصائب المجتمع الحاضر مبعثها الظلم الاجتماعى وعلاجها إيجاد مجتمع بشرى تسوده العدالة الاجتماعية والإخاء الإنسانى . لهذا تعمد مالرو اختيار أبطاله من رجال المثل العليا فى السياسة والاجتماع . فإصلاح المجتمع فى نظره وتسييره فى الطريق الذى تفرضه روح العصر هو الأساس الذى بغيره لا يرجى إصلاح فى العلم أو الفن أو الأدب أو الأخلاق أو غيرها .

كان ( جارين ) ثائراً على كل شىء . كان ثائراً على المجتمع ، كان ثائراً على الغرب وماديته فهجره إلى الصين حيث الملايين الحاشدة ينشر بينها تعاليمه الاشتراكية ويبين لها حقها فى الحياة . كان ثائراً على الدين لأن الأديان فى نظره كانت دائماً على مر القرون هى الميناء الذى تهدأ عنده ثورة النفوس البشرية ويخمد جموحها . كانت العزاء والملاذ الأخير لكل منكوب ( إذ كيف يمكن لمصاب بالبرص — كما يقول — أن يستسلم لمصيره ولا يسمم الآبار التى يقترب منها إذا لم يفض قلبه بالأمل فى حياة ثانية حيث تعوّضه العدالة عن مصيبته وينال النعيم الأزلى ؟ ) .

فجارين يريد أن يعيش واقعياً بكل ما فى هذه الكلمة من معان . إنه يريد أن يحقق الجنة الأرضية لأنه مثالى يؤمن بالمثل العليا ويوقن بإمكان تحقيقها بالجهاد والتضحية . إنه يستهين بالمخاطر ويواجه الموت إلى جانب الأحرار الصينيين فى ثورة كنتنفرن راضياً مطمئناً . ومثل شخصية جارين نرى شخصية ( كيو ) وشخصية الطالب ( تشن ) فى قصة (الطبيعة الإنسانية) . هذين الشابين الصينيين اللذين آمنا إيمان المؤمن بدينه بعدالة قضية الصين فى جهادها التحريرى . هذه الشخصيات الثلاث نراها جميعاً تلقى بنفسها فى ذلك المحيط الثورى بقوة عنيفة ودافع خفى مستعذبين كل تضحية ؛ لأن المثل الأعلى عندهم دين كسائر الأديان ، والدين فى حاجة إلى شهداء . ومن ذلك نرى أن أندريه مالرو لا يعتقد أن هناك فرقاً بين هؤلاء المثاليين وأولئك المتدينين الأوائل الذين كانوا يحطمون الأوثان وأقصى آمالهم فى الحياة أن يتعذبوا من أجل عقيدتهم الدينية . فتصوير هذا النوع الشائع من الشبان المثاليين المتحمسين هو أهم ما يطبع كتب مالرو بطابع القوة والعظمة .

وللقارئ أن يتساءل لم اختار مالرو حوادث قصته (الفاتحون) و ( الطبيعة الإنسانية ) فى الصين النائية كما ذكرنا . أليس فى بلاد الغرب مجال لظهور هذه الشخصيات ؟ ألم يجد فى غير الصين

مجالا لظهور الأبطال وأعمال البطولة ؟ إن مالرو العالمى التفكير يتتبع النهضات القومية أينما هبت . فكما اشترك بنفسه فى كفاح الصينيين القومى مما أوحى إليه كتابة قصتيه هاتين ، كذلك حارب فى صفوف الجمهوريين الأسبان كما عرفنا ، وكتب عن الجمهورية الشابة قبل أن تتشدها الرجعية الفاشية كتابه المشهور (الأمل) Espoir (١٩٣٧) . لقد وجد مالرو فى هذه البلاد الحية بحركاتها الشعبية مجالا خصباً لذلك النوع من الأبطال الذين اختارهم لقصصه . فهو يرى أن العالم الغربى أصبحت تسوده للأسف الوطنية المتعصبة . فالحدود مغلقة ، والمادية تطغى على كل شىء ، والفردية يلمسها المرء أينما حل . فأوروبا الحاضرة فى نظر مالرو لم يعد فيها إلا نوعان من الكفاح : الأول كفاح العالِم الذى يفنى السنين فى اكتشاف علمى وهذا الأمر ليس فى متناول غير العلماء المتخصصين ، والثانى كفاح رجال الأعمال لتكوين الأموال مما صبغ الحياة كلها بالمادية البذيئة التى لا تعرف الرحمة . أما هناك ، هناك فى الشرق البعيد حيث ألف بين الناس البؤس المشترك والشقاء العميم ، حيث وحد بين قلوب الملايين الغفيرة الإيمان القوى والقلق العام والحساسية المرهفة ؛ هناك الحقل اليانع لأصحاب المبادئ السامية والمثل العليا الجريئة التى سرعان ما تتشبث بها الجماهير وتتفانى فى خدمتها بمجرد إحساسها بأنها طريق الخلاص ، واقفة منها موقف المؤمن بدين جديد جاء ليغير حياته ويبعثه بعثاً جديداً .

* * *

ولقد كانت فى الحرب الحاضرة ومحنة فرنسا مادة غزيرة أمام أندريه مالرو لدراسة الشخصية الإنسانية فى ظروف جديدة وأماكن غير الأماكن التى وقعت فيها حوادث قصصه السابقة . فكتب كتابه الأخير (أشجار التنبرج) وهو كما ذكرنا الجزء الأول من قصة طويلة فى ثلاثة أجزاء بعنوان (الصراع مع الملاك) .

و (أشجار التنبرج) عبارة عن ثلاثة أقسام : القسم الأول تقع حوادثه فى يونية عام ١٩٤٠ فى أحد السجون فى بلدة شارتز بفرنسا . وفى القسم الثانى يصف الكاتب حياة والده حتى الحرب العالمية الأولى فنعرف منه أن والده الألزاسى المولد بقى فى الألزاس حتى عام ١٨٧٠ ثم عين مدرساً فى جامعة استانبول واختير بعد ذلك مستشاراً للجنرال أنور باشا ، ثم أرسل فى مهمة إلى أفغانستان وبعد سنين طويلة فى تلك البلاد الشرقية يعود إلى وطنه الألزاس حيث يموت والده (جد الكاتب) بعد وصوله بفترة قصيرة . وفى الألزاس يشترك فى (أحاديث التنبرج) وهى أحاديث تدور على موضوعات معينة فى كنيسة قديمة حيث يجتمع تحت زعامة عمه (والتر) نخبة من المثقفين والعلماء والأساتذة من مختلف البلدان ، وفى عام ١٩١٥ تقوده الحرب إلى جبهة الفستولا ، حيث يشترك فى هجوم بمساعدة الغازات السامة . وهناك يترك المؤلف والده مغشياً عليه فى ساحة القتال ؛ منهك القوى أثر المناظر الوحشية التى شاهدها ومن تأثير الغاز . يتركه ليعود إلى نفسه ، وعندئذ يبدأ القسم الثالث من القصة فنرى أنفسنا فى عام ١٩٣٩ نصحب المؤلف فى سيارته المدرعة حيث يواجه مع رفاقه الموت الحاصد الذى يخرجون منه بأعجوبة فينظرون إلى العالم تحت ضوء فجر جديد لامع ، وبعيون جديدة ، عيون نسيت الماضى ولم تعد تعرف غير الحاضر . وهنا تنتهى قصة (أشجار التنبرج) أول جزء من قصة (الصراع مع الملاك) .

ومنذ بداية هذه القصة أيضاً فى ذلك السجن الموحش المعزول عن العالم الخارجى ، نرى أندريه مالرو يعود إلى موضوعه الرئيسى وشاغله الأول فى كل ما كتبه وهو (الإنسان) ...

اسمعه وهو يقول : (منذ عشر سنوات لا يشغلنى ككاتب غير موضوع واحد هو الإنسان . ذلك هو الموضوع الأساسى فى فنى) . وهذا الشاغل نفسه يتملك والده أيضاً حين يقص علينا مالرو حياته ويروى لنا (مقابلاته) مع الإنسان ، وهى مقابلاته الشخصية مع الموت والقسوة الانسانية والقدر الغامض . يقول والده : (إن اللغز الأكبر ليس فى أنه ألقى بنا دون حساب بين المواد المتفجرة الغزيرة وبين الكواكب . بل إننا ونحن فى هذا السجن كنا نستمد من أنفسنا صوراً قوية لتكذب واقع حياتنا وهو أننا كائنات لا وجود لها) وهذا اللغز هو ما تريد (أحاديث التنبرج) أن تكشفه . فكل المناقشات تدور حول هذه المسألة . هل يمكن إيجاد تحديد معين لمعنى كلمة إنسان ؟ (إن الإنسان بمعناه الحقيقى ما هو إلا أسطورة . هو حلم فى ذهن المفكر) . فما الذى نعرفه عن الإنسان ؟ إننا لا نكاد نعرف شيئاً (حتى الثقافة لا تعلمنا شيئاً عنه . إنها تعلمنا بكل بساطة ماهية الرجل المثقف بقدر ماهو عليه من ثقافة) إننا نعرف

فقط (أننا لم نخـيّر حين ولادتنا وأننا سوف لا نخـيّر عند موتنا ، وأننا لم نختر والدينا ، وأننا لا نستطيع شيئاً حيال الزمن ، وأن بين كل منا وبين العالم فاصلا معيناً . وعند ما أقول إن كل إنسان يحس بقوة بوجود القدر فأنني أقصد أنه يحس — بحرارة ومن وقت لآخر على الأقل — باستقلال الكون عنه وإهمال المجتمع لشأنه) .

هذا الإحساس المرير من جانب الفرد بعزلته فى هذا العالم مما دفعه إلى التعلق بالقدرة والاستعانة بالخيالات والأوهام لتبرير حياته والرضى بما هو فيه من هوان هو فى نظر مالرو نتيجة تفكك الروابط الاجتماعية فى حياتنا الحاضرة وطغيان المادية على كل اعتبار حتى هانت القيم البشرية ، وأصبح الاستهتار بكرامة الإنسان وحياته وتضحيتهما هشيما مهلا فى سبيل المآرب الذاتية ، أمراً ما أهونه فى هذا العصر الذى سماه أندريه مالرو بحق وأطلقه عنواناً لأحد كتبه الخالدة (عصر الازدراء) للمخلوق البشرى !

Temps de mepris

ما القدَر الذى نصادفه دائماً فى قصص مالرو ؟ هو ذلك الملاذ الغامض الذى يلجأ إليه الإنسان حين يحس بوحشته فى هـذا العالم وتتوالى المظالم والنكبات عليه دون أن يعرف لها مبرراً أو تفسيرا ... فلـكى ننتزع الإنسان من استعباد القدرية ونحرر شخصيته ونرد له اعتباره يجب كما يرى مالرو أن نخلق له مجتمعاً واقعياً تسوده قوانين العلم والمنطق ؛ مجتمعاً يحس فيه بوجوده ويدرك بين أحضانه أنه يعمل للمجموع ويعمل المجموع له . وهذا المجتمع لا يتحقق إلا بنظام اجتماعى تسوده العدالة والأخاء البشرى وتبرز فى ظلاله قوى الفرد ونواحى نشاطه لتتسلط بقوة العقل على قوى الطبيعة الغاشمة وتخضعها لخدمة الإنسان بدل أن تخضعه هى لطيشها وعتوها .

وأسلوب مالرو أسلوب حزين، عميق كتفكيره ، جامح كفنه الرائع . ذلك الفن الذى يضعه فى مقدمة كتاب العصر التقدميين والذى تنبض أرجاؤه بتلك العالمية الواسعة وذلك الهم الذى يحمله فوق ظهره فى سبيل الأنسانية وخيرها .

**على كامل**

خواطر مسجوعة :

# الصـــديق ...

للأستاذ حامد بدر

الدمعة إن مسّها الراحة جفّت ، والنازلة إن شورك فيها خفّت ، والطود الذى عظم ، ينقص لو قسم ؛ وكلنا هدف لنوَب الزمان ، لم يأخذ أحد لنفسه الأمان !

نشرب الكأس حلوة مَرة ، ومَرة مُرة . ومن وجدته فى الضيق ، فذلك هو الصديق ، وذلك هو الكنز الثمين ، والساعد اليمين ... !

الصديق الذى يواسيك ، فى مآسيك ، ويؤثرك على ذاته ، ويقيك بحياته . فإن ظفرت بذلك ، ولا إخالك ، فاهدم حجة من قال : وجود الوفى محال !

وعندى لا صديق غير هـذا الطراز ، إلا على سبيل المجاز . فاصحب الصديق المجازىّ على عيبه وداره ، وعالجه بإقالة عثاره . وقدر الفضل لأهله وإن قل ، ولا تجحد البعض إن لم تنل الكل . وأحسن الظن بالصريح البرىء ، وتغاض كرماً عن عيب المسىء ؛ فالصاحب إن نقدته فقدته ، والعيب إن تفقدته وجدته !

أدعو إلى الصداقة ولا أنهى ، وإن كنت طعينا منها ! صاحبت أخداناً وخلاناً ، وخصصت بالثقة فلاناً ، وتوالى الجديدان ، وطال الزمان ، وزعمت أنى ظفرت من دنياى ، بما لم يظفر به سواى ، وفاخرت بصديق الصحاب ، وجعلته حديثى المستطاب . وكل همى إقامة البرهان ، على أنه صفوة الإخوان ، وأنه الذى لا يتغير عند انتياب الصروف ، ولا يتنكر بتنكر الظروف ؛ فإن قيل لا وفىّ قلت كلا ، هذا هو المستثنى بإلا . ولـكنه برغم أنى أعرب ، بحجة تقطع شك المريب ، على أنه اسم معرب ، يتغير بتغير التراكيب !

(الزنكلون) **حامد بدر**

# شهادات للإسلام من غير المسلمين

للأستاذ محمد عبد الوهاب فايد

قال (جول مهل): العرب والرومان أقدر الشعوب فى التشريع:

وقال (الأستاذ نيس): إن شريعة الحرب والأنظمة العسكرية عند الأسبانيين تأثرت كثيراً بشريعة الحرب عند المسلمين، كما تأثرت فلسفتهم بفلسفتهم وآدابهم بآدابهم.

وقال (فاندنبرغ): لقد وضع للرقيق فى الإسلام قواعد كثيرة تدل على ما كان ينطوى عليه الرسول وأتباعه من الشعور الإنسانى النبيل، ففيها نجد من محامد الإسلام ما يناقض كل المناقضة الأساليب التى كانت تتخذها إلى عهد قريب شعوب تدعى أنها تمشى فى طليعة الحضارة.

وقال (بورغا): ابتدأ الصليبيون سيرهم على بيت المقدس بأسوأ طالع، فكان فريق من الحجاج يسفكون الدماء فى القصور التى استولوا عليها، ويأكلون لحوم القتلى فى أيام القحط، وقد أسرفوا فى القسوة حتى أنهم كانوا يبقرون البطون ويبحثون فى الأمعاء عن الدنانير. أما صلاح الدين فلما استرد بيت المقدس بذل الأمان للصليبيين، ووفى لهم كل الوفاء بالشروط المعقودة، وجاد المسلمون على أعدائهم ووطأوهم مهاد رأفتهم، حتى أن الملك العادل شقيق السلطان أعتق ألف رقيق، ونودى بأن كل من يخرج من باب معين فى المدينة يكون آمناً، ومنّ على جميع الأرمن، وأذن للبطريرك بحمل الصليب وزينة الكنيسة، وأبيح للأميرات والملكة فى مقدمتهن بزيارة أزواجهن. وكان الجنود الذين يصحبون اللواتى أمرن بالجلاء يعطفون عليهن أشد عطف ويواسونهن كل المواساة. ولا يمكن أن يظهر فضل صلاح الدين وكمال خلقه بأحسن من تهديده السفن الإيطالية حتى ترد أولئك البائسين إلى ديارهم وكذلك كانت سيرة الملك الكامل لما أخذ بمخنق الصليبيين فى واقعة دمياط فأحاط بهم النيل وهددتهم المجاعة وإليك ما وصف المسلمين به أحد الذين حضروا الواقعة من مؤرخى النصارى قائلا: هؤلاء الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم وإخوتهم وأخواتهم بطرق شتى ... هؤلاء الذين سلبناهم أموالهم وأخرجناهم عراة من منازلهم، تداركونا وسدوا خلتنا وأطعمونا بعد أن أهلكنا الجوع، ومازالوا يحسنون إلينا حتى غمرونا ببرهم وإحسانهم لما كنا فى ديارهم وفى قبضة أيمانهم، فلو ضاع لأحدنا عير لما أبطأ رده إلى صاحبه.

وقال الأستاذ فارس الخورى:

إن محمداً أعظم عظماء العالم، ولم يجد الدهر بعد بمثله. والدين الذى جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها، وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذى دعا الناس إليها باسم الله وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية. إن محمداً أعظم عظماء الأرض سابقهم ولاحقهم، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ، وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها.

وقال الأستاذ أيضاً: البون شاسع بين شريعتى موسى ومحمد عليهما السلام، فالأولى: تأمر بالتقتيل بلا إنذار ولا عهد ولا صلح ولا دعوة لإيمان، فلا يقبل من الأعداء اليهود، ولا يعصمهم من القتل والفناء الإيمان، خوفاً من الارتداد فيما بعد، ولا يسمح لهم بالرحيل والجلاء عن بلادهم لتخلو لليهود الفاتحين، خوفاً من استجمام القوى والكر على الغاصبين. والثانية: تأمر بدعوتهم إلى الإسلام، فإن قبلوا الدعوة عصموا دماءهم وأعراضهم وأموالهم، وإن أبوا فالجزية، وإن أبوا فالقتال. وهذه دعوة دينية قبل كل شىء.

وقال أيضاً: المقايسة بين الشرع الإسلامى والشرع الرومانى لا نراها تستقيم لنا بالنظر لاختلاف الهدف والسنة بين الشرعين: الأول منهما قائم على قواعد العدل المطلق ومقتضيات المعقول. والثانى على المصالح والمنافع الدنيوية. فيبنى على هذا التخالف أن الأساس فى الشرع الإسلامى مصلحة الفرد فى الدنيا والآخرة: وفى الشرع الرومانى مصلحة الجماعة فقط. وهذه المبادىء ظاهرة آثارها فى كل صفحة من صفحات هذين الشرعين تفرق بينهما تفريقاً يتعاصى على المزج والتوحيد، حتى إن الحكيم يكاد

يستنبط استنباطاً الحكم بالمسائل المعروضة فى كل من الشرعين إذا اعتبر بهذه القواعد ورجع إليها . وفى الأعم الأغلب يكون ظنه يقيناً ؛ مثال ذلك مرور الزمان ، إما أن يسقط الحق وإما أن يسقط الدعوى ؛ فالشرع الإسلامى لايمكن أن يقول بسقوط الحق لأن الحق يبقى فى الذمة ، والفرد لاتبرأ ذمته إلابالوفاء أوبالإبراء ، مهما مر من الزمان على الحق ، ولذلك قال إن الحق لا يسقط بتقادم الزمان وإنما يمنع الحاكم من سماع الدعوى فلم يكتف الشارع الإسلامى بتأمين مصلحة الدنيا بل استهدف مصلحة الآخرة أيضاً ، فى حين أن الشارع الرومانى اتخذ الجانب الآخر وقال إن الحق المتروك يسقط والساقط لا يعود . ولم يكترث بأثقال الذمة وعقاب الآخرة . لذلك ترى أنه ليس من السلامة القول بأن أحد هذين الشرعين مأخوذ عن الآخر . وإذا طالعت أقوال فقهاء الأمتين فى إحدى المسائل تجد كل فئة تعلل اجتهادها بطريقتها الخاصة مراعية المبادىء المتقدم ذكرها ، غير متأثرة بالأساليب وطرق التعليل التى سلكتها الفئة الأخرى .

وقال الأستاذ كذلك : من أين لأمير من أمراء القرون الوسطى غير مأخوذ بالعاطفة الدينية وغير حريص على سلامة آخرته أن يجعل رائده تقوى الله فى حروبه وغزواته ، ويحرص على كل ما ينيله ثواب الخلود والمرتبة العالية فى الجنة بالتزام العدل والرحمة والبعد عما يشوب طهارة النفس وفضائل الأخلاق ؟ ذلك ما نراه شائعاً بين أمراء المسلمين وقوادهم ، وأمثلته كثيرة .

ومن أحسن مانذكره فى هذا القبيل أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبى وقاص ومن معه من الأجناد : (ونح منازل جنودك عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يرزأ أحد من أهلها شيئاً ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم ففوا لهم). ففى هذا الأمر الصريح لا يكتفى أمير المؤمنين ابن الخطاب بالتوصية الحسنة بأهل الصلح والذمة ، بل تجاوز فى الرفق بهم العهود المقطوعة لهم ، وفيها أنهم يضيفون عسكر المسلمين ثلاثة أيام ، أما هو فأمر بتنحية العسكر عن قراهم حتى لا يصابوا بأذى ولا معرة . وفى هذه الفقرة بيان يدلى به هذا الإمام المعظم عن ثقل وطأة الفاتحين على أهل البلاد ، ومرارة نفس الغالب فى عدم الإعتداء على مغلوبه ، فقال لقومه : إنكم ابتليتم بالوفاء بحرمة أهل الصلح وذمتهم ، كما ابتلوا أيضاً بالصبر على تغلبكم وتحكمكم بهم فى بلادهم فعليهم الصبر وعليكم الوفاء .

وقال أيضاً : فى الإسلام كثير من الأمور التى تستوقف نظر المطلع فيعجب عندها من فكرة العدل المجرد الراسخة فى نفوس زعماء العرب وحرصهم على النهج القويم والصراط المستقيم فى أفعالهم وصلاتهم مع محاربيهم ومعاهديهم ، من ذلك الأصول التى وضعت للنبذ عند جوازه ، فإذا فسخوا الصلح وأصبحوا فى حالة حرب لا يناجزون خصومهم إلا بعد إعلامهم بالفسخ ، ومضى الوقت الكافى ليخبر الملك رعاياه فى أطراف البلاد وعند تخوم المسلمين ، حتى إذا هاجمهم هؤلاء لايكونون مأخوذين على غرة وغفلة . وهذه درجة من الإنصاف قصر عنها أهل زماننا مع ما عندهم من حقوق الدول وقواعد الحرب ، فإن دول العصر الحاضر تبدأ بالهجوم وسائر أعمال الاعتداء حالما تعلن الحرب ، دون أن تكون مجبرة على الانتظار بعد الإعلان ، حتى إن بعضها تهاجم قبل إعلان الحرب بصورة رسمية كما فعلت اليابان بالمدرعات الروسية الراسية فى ميناء سيبول فى لوريا سنة ١٩٠٤ وغير ذلك .

ومن هذا القبيل قاعدة عدم أخذ العامة بجرائر الخاصة ، وهذا مستند للآية الكريمة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فنهوا عن تحميل المغارم أهل القرى بالجملة لأجل الجرائم التى يقترفها أفراد منهم . وأنت ترى أن حكومات هذا العصر تفرض الغرامات على القرى وتأخذ الطائعين فيها بجريرة العاصين . وأمامنا حوادث التقتيل والتهجير فى القرن العشرين بمرأى أوربة ومسمعها ، وإن شئت فقل برضاها ، تدلنا على أن العرب فى عنفوان دولتهم كانوا أقرب إلى العدل والإنصاف من أكثر أهل هذا الزمان .

وقد شرعوا أيضاً أن خروج الشراذم من المعاهدين واعتداءهم على بلاد المسلمين بغير إذن ملكهم لا يعد نقضاً للعهد ولايوجب الغرم على الملك المعاهد أو على قومه بصورة عامة . وهذا مبلغ من الإنصاف جدير باحترام أرقى الصور وأعلقها بالإنسانية والعدل .

وما زالت الدول غير خاضعة لهذه القاعدة ولا عاملة بها ، فقد حملت إيطاليا الغرم دولة اليونان بسبب اعتداء بعض اليونانيين على البعثة الإيطالية فى اليابان ، وفرضت عليها غرامة خمسين مليون فرنك مع أشياء أخرى واحتلت جزيرة كورفو ضماناً لإنفاذ

هذه المطالب . وفعلت انكلترا مثل ذلك مع الحكومة المصرية فى مقتل السر لى ستاك باشا فأخذتها بجريمة بعض الشبان . وجرى فى بلاد الشام حوادث شتى من هذا القبيل فى أثناء الحرب العامة السابقة ، وبعدها فى أيام الثورة ، كما أخذت النمسا حكومة الصرب بجناية اغتيال ولى العهد بيد فتى صربى ، وكان ذلك سبباً مباشراً لاضطرام الحرب الكونية (الماضية) ، وغير ذلك .

ومن المبادىء العربية العالمية اجتناب قتل النساء والأطفال ، وهذا أيضاً تقاصرت عنه المدنية الحديثة فإن وقائع الحرب العالمية وحوادث ثورة دمشق سنة ١٩٢٥ و١٩٢٦ وما لا يحصى غيرها من فواجع القتال أدلة ناطقة على أن قواعد حقوق الحرب التى تحظر على المحاربين إطلاق القنابل على الأماكن غير المحصنة لا توجد إلا فى بطون الأوراق والدفاتر .

وقال (هولتز ندورف) و (ريني) : إنه يوجد فى الفقه الإسلامى جميع القواعد الجوهرية التى تتعلق بشريعة الحرب ، ولم تقتصر على الفتح والغنيمة بل تجاوزتها إلى فرض الضرائب وذكر المواد المحرمة على التجارة ونظائرها ، مما لا يختلف إلا اسمه عما يستعمل فى يوم الناس هذا .

وقال (غولد زيهر) : إن معاملة الفاتحين من المسلمين لأصحاب الأديان الأخرى فى هذا العهد الأول الذى وضعت فيه أسس الشرع الإسلامى كانت معاملة رفق ورحمة ، وليست الخطط التى تسير عليها الدول الإسلامية فى هذا العصر مما يقرب فى أخلاقها السياسية من التسامح إلا وهى مقتبسة من القواعد التى وضعت فى النصف الأول من القرن السابع ، ومن إطلاق الحرية لغير المسلمين من الموحدين فى القيام بفروضهم الدينية... وكما أنهم كانوا أحراراً فى دينهم فقد كان على المسلمين أن يحاسنوهم فى شؤون دنياهم ، وعد ظلم أهل الذمة من الذنوب والكبائر .

وقال (المسيو لوران) المؤرخ الفرنسى : إن أرمينية التى سبق لها أن دخلت فى طاعة هرقل ، أحسنت بعد ذلك استقبال المسلمين لتتحرر من ربقة بيزنطة ، ولتستعين بهم على مقاتلة الخزر ، فعاملهم العرب معاملة حسنة ، وتركوا لهم أوضاعهم التى ألفوها وساروا عليها .

أما الأساس الشرعى لاستقلال أرمينية المحلى ، فهو عهد أعطاه معاوية سنة ٦٥٣ إلى القائد تيودور رختونى ولجميع أبناء جنسه ، فكانت اضطهادات بيزنطة الدينية دافعاً للأرمن على الدخول فى هذا العقد على عجل والرضا بسيادة العرب الذين هم أكثر تسامحاً من الروم . وهذا الشرط الذى منح لأرمينية انتهى أمره بأن أصبح قاعدة للعلاقات بين العرب وجميع النصارى القاطنين فى الولايات الأرمينية . وقد أعطى به معاوية عهده للأرمن ما داموا راغبين فيه ، ومن جملته ألا يأخذ منهم جزية مدة ثلاث سنين ، ثم يبذلون له بعد ذلك ما شاءوا كما عاهدوه وواثقوه ، وعليهم أن يقوموا بحاجة ١٥ ألف فارس منهم ينفق عليهم من أموال الجزية ، ولا يستدعى هؤلاء الفرسان إلى الشام ولكنه يرسلهم إلى سواها حيث يشاء ، ولا يرسل إلى معاقل أرمينية أمراء ولا قواداً ولا خيلا ولا قضاة ، وإذا أغار عليها الروم أمدها بكل ماتريده من نجدات . وهو يشهد الله على قوله .

فعلى هذا العقد أصبح الأرمن مستقلين فى بلادهم تابعين لسيادة الخليفة العليا ، على شروط ارتضوها ، فاحتفظوا بأمرائهم ورؤسائهم وأوضاعهم العسكرية وطبقاتهم الدينية ، وكان الخليفة يكتب إليهم عهوده كما يكتب إلى أمراء المسلمين ، ويلبس الأمير الجديد فى موكب حافل تاجاً وخلعة فاخرة وسيفاً ويركب فرساً ويقلد كل رسوم الأمارة وشاراتها ، ثم يستعرض الجند فى أحسن هيئاتهم وهم يرتلون الأناشيد ويعزفون بالموسيقا ، ويتلى بعد ذلك عهد الخليفة .

هذا وعلى ما كان يتمتع به أمراء الأرمن من الاستقلال ، فقد كان يشرف عليهم ويراقبهم أمير من لدن الخليفة ، وقد يكون فى الغالب عامل إحدى الولايات المجاورة .

وقال (الدكتور جب) المستشرق الإنجليزى :

لابد للباحث عن مصير الإسلام أن يتساءل عما إذا كان من الممكن أن يحتفظ المسلمون بوحدتهم الدينية أمام هجمات العلوم الأوربية ، وتجاه الفوارق السياسية .

ولا بد له أن يفكر فيما إذا كان الإسلام عدواً للمدنية الغربية أو نصيراً لها ، وفيما إذا كان اقتباس المسلمين لهذه المدنية سيوجد بينهم فوارق فكرية تجعل منهم أمماً مختلفة الآراء والثقافة ؟

يظهر لأول وهلة أن الإجابة على هذا السؤال مستحيلة ، إلا أنه يمكن الباحث أن يتنبأ من سير الحوادث بشىء عن مستقبل الإسلام .

لاشك فى أن البلاد العربية المتجانسة كمصر والجزيرة وسورية والعراق ستلعب دوراً يكون له الشأن الأول فى مصير الإسلام . لهذه البلاد المتجانسة ثقافة راقية تتقدم يوماً فيوماً بفضل اللغة العربية الفصحى وسهولة المواصلات ، مما يساعد على توحيد الثقافة فيها توحيداً تاماً .

إن يقظة الإسلام فى مصر وفلسطين والجزيرة والعراق وسورية حقيقة لا تنكر ، ولن تقف فى سبيل هذه اليقظة عقبة ، خصوصاً وأن من المستحيل أن يجرى فى البلاد العربية ماجرى فى بلاد الأتراك .

العرب يتمسكون بلغتهم وأدبهم ، ويتغنون بمجد الإسلام ، ولم تقم فى بلادهم أية حركة وطنية إلا كانت الروح الإسلامية أساسها . فهل يفكر العرب بعدهذا بإبدال حروف لغتهم بالحروف اللاتينية ، أو أن يتنحوا عن لغة القرآن التى تربطهم بالعالم الإسلامى كافة ؟ هذا مستحيل ، وستبقى الروح الإسلامية تسود بلادهم وتتقدم أبداً بلا كلل ولاملل ، ولا يطرأ عليها أى ضعف أو وهن . العرب بحاجة ماسة إلى هذه الروح لأنها أساس حياتهم القومية ، ويجب على كل مسلم أن يتمسك بأهدابها إن كان للمسلمين أخلاق ، ولا أظنهم إلا متمسكين بها .

ستصبح القاهرة والقدس بمرور الزمان فى الدرجة الثانية عند المسلمين بعد مكة . وسيؤمها طلاب العلم من كل قطر إسلامى ؛ وستزودهم هاتان البلدتان بدعاية قوية للفكرة الشرقية يبثونها فى بلادهم ، وتساعدهم على بثها الصحافة العربية التى بلغت من الرقى والتهذيب درجة سامية . أما الفوارق السياسية التى يخشى جانبها فلا تؤثر أبداً فى إسلامية الشرق العربى .

وقال مستر بلانت ( فى الجزء الثانى من مذكراته ) بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٠٩ كتب إلى برنارد شو يقول : أخشى أننا سنلاقى أوقاتاً عصيبة فى الهند ولكن على الهنود وعلى المصريين أيضاً أن يعملوا على تحقيق حرياتهم ، فليس فى وسعنا أن نطلق سراحهم من تلقاء أنفسنا ما لم يتخلصوا من بين أيدينا عنوة ، ومالم تجابهنا الهزيمة ويتداعى صرح الأمبراطورية فى جهات أخرى ، فيضطرنا كل ذلك إلى الخروج من تلك البلاد كما خرج الرومان من بريطانية .

**محمد عبد الوهاب فايد**

صحائف مطوية :

# عمر بن الخطاب الأديب

للشيخ محمد رجب البيومى

أنصف المؤرخون عمر بن الخطاب رضى الله عنه كخليفة عظيم ، فكتبوا عنه الأسفار المتنوعة التى تبرز سياسته الفذة فى حل المعضلات وتوجيه الأمور ، ولكننا لا نجد فصلا واحداً منها تعرض إلى ما كان له رضى الله عنه من ذوق سليم فى نقد الشعر وقدم راسخة فى تفهم مراميه ، مما انتثر فى كتب الأدب عقده ، دون أن يظفر بمن يجمع نظامه فى سلك خاص . وهكذا نجد كثيراً من عظماء التاريخ قد تعددت مواهبهم ، وتشعبت نواحى عبقريتهم فكتب المؤرخون عن أبرز ناحية فى شمائلهم ، تاركين ماعداها فى ذمة النسيان والخمول !

والحق أن عمر رضى الله عنه كان واسع المحفوظ من جيد الكلام ، حتى قال محمد بن سلام الجمحى : « ما عرض لابن الخطاب أمر إلا واستشهد فيه بالشعر » ورجل يملك هذه الثروة الواسعة من القوافى ، لا بد أن يكون ذا ولوع بالمعانى الجيدة ، والأساليب الرائعة ، فهو ينظر فيما يسمعه نظرة الباحث الناقد ، ثم يحفظ ما يروقه ويعجبه ، مستشهداً به فى موضعه ، مثنياً على صاحبه بما يستحق من تقدير .

ولقد كان يقول « أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها فى حاجته ، يستعطف بها قلب الكريم ويستميل فؤاد اللئيم » ويقول أيضاً « الشعر جذل من كلام العرب تسكن به نائرتهم ، ويطفأ غيظهم ويبلغ به القوم فى ناديهم ، ويعطى به السائل » وفى هذا ما يكشف لنا عن غرامه بالشعر والشعراء ... وإذا كانت الطيور لا تقع إلا على أشكالها ، فإن أبا حفص قد تفرس فى أصحابه فوجد عبد الله بن عباس يروى القصائد الجيدة وينتقد ما يعرض له من أبيات فقربه واجتباه ، وكثيراً ما اختلى به الساعات الطويلة يتناشدان ويتطارحان ، قال ابن عباس « خرجنا مع ابن الخطاب فى سفر فقال : ألا تراملون ؟ أنت يا فلان زميل فلان ، وأنت يا فلان زميل فلان ، وأنت يا ابن عباس زميلى ، وكان لى محبا ومقربا ، حتى كان كثير من الناس ينفسون على مكانتى منه فزاملته فأخذ ينشد :

وما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد

ثم قال : يا ابن عباس ، ألا تنشدنى لشاعر الشعراء ؟ قلت ومن شاعر الشعراء ؟ قال زهير ، فقلت لم صيرته كذلك ؟ قال : «لأنه لا يعاظل بين الكلامين ، ولا يتتبع الوحشى ، ولا يمدح أحدا بغير ما هو فيه » فعمر يفضل زهيراً على من عداه ، مبينا أوجه التفضيل ، وهذه سنة حميدة فى النقد . فلقد كان من قبل عمر من الرواة ، إذا نقدوا شعرا قالوا إنه برود يمنية تطوى وتنشر ، أو قالوا إنه سمط الدهر ، أو قالوا إنه مزاد لا يقطر منه شىء إلى آخر هذه التشبيهات المجملة التى لا تفصل حكما ولا تعلل رأياً ، فجاء عمر فى نقده بالتفصيل الواضح ، والتعليل المقبول .

وليس من الغريب أن يخالف الفاروق ما أجمع عليه كثير من أئمة النقد فى الأدب ، فيفضل زهيراً على امرئ القيس ، لأن عمر ذواقة ، يسبر الشعر بعقله فلا يعجبه منه إلا ما جاء متمشياً مع المنطق السليم ، فكان نبيل الغرض ، رائع الحكمة ، وزهير حكيم فذ يزن الأشياء بميزانها الدقيق ، فلا يفحش فى غزله ، ولا يتعابث فى تصابيه ، بل يسوق الحكمة تلو الحكمة رائعة ساطعة ، تجذب إليها كل مفكر حصيف . أما امرؤ القيس فمن المحال أن يرضى عنه عمر ، وجل شعره فى مغازلة الحسان ، ومعاقرة الخمور ، والاسترسال مع الصبوة إلى أبعد شوط ، وهذه أغراض لا يهش لها الحكماء من قادة الرأى وأساطين الفكر كعمر بن الخطاب .

سمع رضى الله عنه مرة قول زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء

فأخذ يحرك رأسه فى عجب ويقول فى تبسم : « إنما أراد أن يبين أن مقطع الحقوق يمين أو حكومة أو دية كما جاء به الإسلام

ولقد كان النابغة الذبيانى يلى زهيراً فى المنزلة لدى الفاروق لأن زياداً أقرب إلى زهير منه إلى امرئ القيس ، فقد كان متئد التفكير ، شريف الغرض ؛ وإعجاب عمر به يرجع إلى ما سمعه من أبياته التى تتحد مع أبيات زهير فى المنطق والسداد « اتى عمر

ابن الخطاب وفد غطفان فقال : أى شعرائكم الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

فقالوا النابغة . قال فمن القائل :

فإنك كالليل الذى هو مدركى

وإن خلت أن المنتآى عنك واسع

فقالوا النابغة . قال فمن القائل :

أتيتك عاريا خلقا ثيابى على وجل تظن بى الظنون

فقالوا النابغة . قال ذلك أشعر شعرائكم » .

وإذن فزهير عنده شاعر الشعراء ، أما النابغة فهو شاعر غطفان!

وطبيعى أن يكون عمر مع هذا النظر الثاقب فى الشعر قادرا على أن يلعب به كيف يشاء ، ويوجهه حيث يريد شأن الذين يتبحرون فى مادة من المواد فلا يكتفون بسردها على الوجه المعروف ، بل يذهبون فى تأويلها إلى مدى بعيد ، لا يقدر على تفهمه واستنباطه غير من فهمها فهما دقيقا ، فقد يأتى إليه البيت وهو صريح الدلالة على معنى خاص ، فيستخرج أبو حفص منه معنى آخر كما يبين مما يلى :

كان بنو العجلان يفخرون بهذا الإسم ، لقصة كانت لصاحبه فى تعجيل قرى الأضياف ، إلى أن هجاهم النجاشى فضجروا وسبوا به ، واستعدوا عليه عمر ، فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا أبشع هجاء ، فقال : ما ذا قال ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة

فعادى بنى العجلان رهط بن مقبل

فقال عمر : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب ، فقالوا إنه قال :

قبيلته لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك ، قالوا فإنه قال :

ولا يردون الماء إلا عشية إذا ورد الوراد آخر منهل

فقال عمر : وما فى ذلك ، هذا أقل للزحام ، قالوا فإنه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم

وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر : كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه ، قالوا فإنه قال :

وما سمى العجلان إلا لقولهم

خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد ، وسيد القوم خادمهم » .

فهذه أبيات كلها سب صريح ولكن عمر يتصرف فيها كما شاء له افتتانه ، ولقد كان لا يخفى عليه — وهو النابغة الألمعى -- ما تتضمنه من هجو لاذع ، ولكنه كان كما يقول صاحب العمدة :« يدرأ الحدود بالشبهات » .

ولقد كان الفاروق على علم تام بشعراء عصره يستطلع أخبارهم ويستفسر عن أحوالهم ، وربما ذكر له الشاعر فجعل يسأل عن كنيته ولقبه وأوصافه الجسمية والخلقية وكأنه يريد أن يفهم شعره على ضوء حياته ، قام مرة يصلى الصبح فوجد رجلا قصير القامة أعور متنكباً قوساً ، وبيده هراوة ، فقال له: أنت متمم ابن نويرة ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : هكذا وصفت لى ، فأنشدنى مراثيك فى مالك أخيك فأخذ ينشده حتى وصل إلى قوله :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن نتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا على طول وصل لم نبت ليلة معاً

فقال : عمر والله هذا هو التأبين ، ولوددت أنى أحسن الشعر فأرثى أخى زيداً بمثل مارثيت به أخاك ، فقال متمم : لو أن أخى يا أمير المؤمنين مات على ما مات عليه أخوك من الإيمان مارثيته ، فقال عمر: ماعزانى أحد عن أخى بمثل ماعزانى به متمم»

ونحن لو فتشنا جميع مراثى متمم هذا ، ما وجدنا أحسن من البيتين اللذين وقف عندهما الفاروق ، وفى ذلك الدليل القوى على سلامة ذوقه ، ودقة شعوره بمعانى الكلام . ولقد جاء بعد عمر من هام بهذين البيتين من أئمة الأدب فكتبهما على قبر أخيه

على أن أبا حفص كان ينفعل انفعالا شديداً يظهر أثره فى وجهه حين يسمع شعراً يقال فى مناوأة الدعوة المحمدية فقد أسكت من أنشده شعر أمية بن الصلت فى رثاء قتلى بدر ، وكأنه يربأ بالشعر أن ينحط إلى درجة تجعله يحيد عن الحق ويميل إلى الباطل . ولطالما توعد من يقول شعراً فى هذا الموضوع البغيض ، حتى إن كراهته لأعداء الرسالة من الشعراء ظلت كامنة فى قلبه برغم إسلامهم بعد ذلك ، فقد كان أبو شجرة بن الخنساء شاعراً مثلها وقد لحق بأهل الردة وأخذ يقول الشعر فى تحريضهم على أصحاب محمد وكان مما قاله :

فروّيت رُمحى من كتيبة خالد وإنى لأرجو بعدها أن أعمرا

ولما أخفق فى تحريضه ورأى الناس يرجعون إلى الإسلام رجع إليه صاغراً ، وقبل منه ذلك أبو بكر ، وعفا عنه فيمن عفا عنهم . فلما كانت خلافة عمر ، قال : يا أمير المؤمنين أعطنى فانى ذو حاجة . فقال عمر : من أنت ؟ فلما عرفه صاح : أى عدو الله ! ألست القائل :

فروّيت رُمحى من كتيبة خالد ... وإنى لأرجو بعدها أن أعمرا

ثم جعل يعلوه بالدرة على رأسه ، فطار عدوا إلى ناقته ، وارتحل عائداً إلى قومه من بنى سليم ، وعمر يكرر البيت فى تهكم واستهزاء .

ولقد كان برغم صرامته فى الحق يعطف على الشعراء المجيدين . وقصة النجاشى السابقة تؤكد لنا هذا المعنى أبلغ تأكيد ، وحسبك أن الحطيئة كان يلقى منه — على سلاطة لسانه وقبح هجوه — كل تسامح محمود ، فقد حبسه عمر رضى الله عنه حين هجا الزبرقان بن بدر فنظم عدة أبيات عاطفية يستميل بها قلبه ومنها :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فرق له عمر ، وأطلقه من سجنه ومنحه دراهم كثيرة على ألا يتعرض لهجو المسلمين .

ولقد شاع فى الناس حبه للشعر وتأثره به أيما تأثر فعمد كثير من أصحاب الحاجات إلى عرض مطالبهم عليه فى أسلوب شعرى فكان يردهم أحسن رد ، قال عثمان بن أبى العاص : كنت عند عمر فأتاه شيخ كبير يسمى أمية بن حرثان فأنشده

لمن شيخان قد نشدا كلابا ... كتاب الله لو قبل الكتابا
أناديه فيعرض فى إباء ... فلا وأبى كلاب ما أصابا
فإنك وابتغاء الأجر بعدى ... كباغى الماء يتبع السرابا
تركت أباك مرعشة يداه ... وأمك لا تطيق لها شرابا
إذا غنت حمامة بطن وج ... على بيضاتها ذكرت كلابا

فقال عمر : مم ذاك يا أخا العرب ؟ فقال : هاجر كلاب إلى الشام فى جيش الحرب ، وترك أبوين كبيرين ولا من عائل لهما : فبكى عمر حتى ما تتبين كلامه ثم كتب إلى يزيد بن أبى سفيان فى أن يرحله ، فقدم عليه ، فقال عمر : بر أبويك إلى أن يموتا ؟

وكان لا يطوف فى شارع أو زقاق ويسمع شعراً ينشد إلا وقف يتسمعه حتى ينقطع الصوت ، وله فى ذلك غرائب عجيبة ، سمع أعرابية تنشد :

فمنهن من تسقى بعذب مبرد ... نقاخ فتلكم عند ذلك قرت
ومنهن من تسقى بأخضر آجن ... أجاج ولولا خشية الله فرت

فعلم ما تريد ، وبعث إلى زوجها فوجده متغير الفم ، فخيره بين خمسمائة درهم أو جارية من الفىء ، على أن يطلق زوجته ، فاختار الدراهم وطلقها ، وهذان البيتان لا يدرك مرماهما غير من له بصيرة عمر وذكاؤه ، ولو سمعهما غيره لظنهما شعراً ينشد وكفى ولكن عمر الدقيق يصل إلى المراد بألمعيته المتوقدة .

وطاف ذات ليلة ببعض خيام المدينة فسمع أعرابية تنشد

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه ... وأرقنى أن لا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله لا شىء غيره ... لزلزل من هذا السرير جوانبه
وبت ألاهى غير بدع ملعن ... لطيف الحشا لا يحتويه مصاحبه
يلاعبنى طورا وطورا كأنما ... بدا قمر فى ظلمة الليل حاجبه
يسر به من كان يلهو بقربه ... يعاتبنى فى حبه وأعاتبه

فسأل عنها فقيل إن زوجها غائب فى جيش القتال من عام ، فذهب إلى زوجته وسألها كم تصبر المرأة عن زوجها ؟ فقالت : مائة وعشرين ليلة ، فأمر أن يمكث المتزوج أربعة أشهر ويستبدل به غيره . ولو أردنا أن نستقصى ما ورد عن عمر من هذا القبيل لطال بنا حبل الكلام .

على أن ذوق الأديب يظهر واضحاً فى قوله ، وكذلك ذوق عمر ، فقد كانت عبارته ممتعة ، ورده بارعا ، مر يوم بمنزل أنيق فقال : لمن هذا ؟ فقيل لعاملك فلان ، فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها . وتنازع عبد الله وعاصم ابناه ، فسأله أيهما أفضل من أخيه ، فقال أنما كحمارى العبادى ، قيل له أى حماريك شر ؟ فقال هذا ثم هذا ! وقال : الكوفة جمجمة العرب ، وكنز الأمصار ، ورمح الله فى الأرض » وكتب الأدب مملوءة بلآلىء عمر الفريدة فليقتنصها من شاء . .

رحم الله الفاروق ، فلقد كان فذا فى سياسته ، فذا فى أخلاقه فذا فى أدبه ونقده ، ولله ما أصدق الحطيئة حين قال فيه :

ما آثروك بها إذ قدموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الإثر

محمد رجب البيومى

# هــــلال المحرم

[ بين مولد عام ، ومأتم عام يجد الشاعر مجالا للتأمل ]

للأستاذ ظاهر محمد أبو فاشا

عاد بعد النوى وألقى الرحالا    صامتٌ قام يخطبُ الأجيالا
وشهيدٌ على الزمان قديمٌ    كالزمان القديمَ يأبى الزوالا !
وكأن الظلام حولَ معانيـ    ـه غُبارُ الدهور مرَّت ثِقالا
والزمان العجوز .. داهية يرْ    بجلُ الموتَ والحياةَ ارتجالا .!
والزمان العنيدُ .. أحمق يرْتا    دُ المنايا ، ويركب الأهوالا !
والزمان العجيب أسطورة ينْـ    ـسِجها الوهم للوجود خيالا .

---

صامت قام يخطب الأجيالا    وَدَّ لو ترْجمَ الضياء مقالا
وبواكيرُ مِنْ سناء تهادَى    كتباشيرَ من رجاء تلالا
خطَّهُ الغيب فى السماوات سطراً    وَهِمَ الناس إذ دَعَوْهُ هلالا
هو همس فى خاطر الكون مشبو    بٌ يقصُّ التاريخَ والأبطالا
هو فنٌّ على السماء ، ومعنًى    كالمعانى ، وهجرة تتوالى
هو شىء غيرُ الأهاليل ، يُوفى    كل عام فيـــوقظ الآمالا
خنجرٌ فى يد المحرَّم مسلو    لٌ على عالم يضج خبـــالا
قد لواه الطعانُ فى لجبِ الدهْـ    ـر .. وعنف الطعان يلوى النصالا

---

هيه يأولَ الطريق من العـا    م يميناً فنهتدى .. أم شمالا ؟!
أى شىء صوَّرْتهُ حين صوَّرْ    تَ من النورِ جابةً وسؤالا ؟
أترانا على الطريق أم انبتَّـ    ـت بنا السُّبْل وانتحرنا جدالا ؟
وخرجنا إلى الحياة مشاكيـ    ـلَ نجيدُ النُّواحَ ، والإعوالا
وقنعنا من المعاركِ بالوصْـ    ـفِ ، وخضنا غمارَها أقوالا
ونصَبْنا لكلِّ ساعٍ شراكا    وملأْنا طريقــه أوحالا
واحتميْنا من الحقائق بالجهْـ    ـلِ ، وسرنا وراءه أشكالا
الذى صار عند قوم حراماً    كان فى يومه القريب حلالا !
ضلَّةً لِلَّجاج يختل قومى    ويريهم أقوالهم أعمالا .
ياهلالا فى طلعة العام أُلهُو    بةَ يسوقُ الأيام وهى كسالى
هات من ذكريات يومك يوماً    يقرَع الغافلين ، والجهَّالا
وأعِدْ قصة الخلود على العا    لم ، واضربْ فصولَها أمثالا
هى ميراثُ أمة غالَها الخُنْـ    ـثُ وصاغت من جهلها أغلالا
قصةٌ ترسُمُ البطولة فى أحْـ    ـدانها العزم صارماً والنضالا
قصةُ الرأى حين تجحده الأر    ض عناداً من حمقها ، أو ضلالا
قصةٌ تُلْهمُ التأمل مسرا    هُ ، وتُضْفى على الوجود جلالا
مانظمت التاريخ فيها : ولكـ    ـنى ضربت التاريخُ فيها مثالا

# من ديوان عالمى الصغير ...

للاســـتاذ العوضى الوكيل

## ١ — حديقة

أقمتُ ببيتٍ ماله من حـديقة
يطوِّف «ممدوح» بها «ودسوقى»(١)

وقد يُرويان الزرع ريِّى سناهما    بشعر كأفياء الخيالِ رقيق
وقد يقطفان الزهر بعد نموه    ويرنو شقيق منهما لشقيق
وقد يخطران الصبحَ فيها بعشية    تسدُّ إلى هم الحياة طريق !
وقد يحملان العشب فيها مقاعداً    تباكرها أيدى الندى برحيق

---

وليدىَّ يسرى فى عروقى هواكما    فتخفق بالحب الطهور عروقى
وفى مهجتى روض من الحب ناضر
نأى عن رعود للحيا وبُروق
تهب عليه نسمة من هواكما    فتخفق فى الأكمامِ أىَّ خفوق
فإن تقطفا أزهاره فقصائد
كلمحة «ممدوح» وصوت «دسوقى»

## ٢ — ممدوح والحب

ممـدوح مالك تهوى    من البنات ، الحسانا
تهفو إلى قبـــلات    منهنَّ آنا فآنا
وإن أتيحَ عناق    غنمته نشـــوانا
إنى عهدتك تهوى الـ    ـتفاحَ والرمانـــا
وقـد عرفتك تستمـ    ـلحُ القدود اللدَانا
ترِق فى القول حتى    ترى حبيبـك لانا
هيهات تسلو الغوانى    وإن لقيتَ هوَانا

---

احذر بنىَّ فإن الـ    ـغرامَ داء عُضالُ
الغيد تفلت منــــه    ويصطليه الرجالُ
فما لهنَّ قلوب    لكن لهنَّ حِبالُ

---

(١) ممدوح ودسوقى ابنا صاحب الديوان .

# صداح النيــــل

[ مهداة إلى صاحب السعادة الأستاذ عزيز أباظة باشا ، لمناسبة عودته من مصيفه بلبنان ]

للاســتاذ ( ابن محمود )

على النيل صداح الأغاريد ساحر لعـذب أغانيه تحن المزاهر
له فى ظلال الأيك عش منغم موارده مخضلة والمصادر
يظلـل به ما بين غاد ورائح تماسيه أطياف المنى وتباكر
إذا ما تغنى ردد الطير شدوه ومالت بأنسام الأصيل الأزاهر
وهدَّأت الأمواج فى الهجير جريها يجاذبها من لذة الصوت آسر
ورجعت الشطئان أصداء لحنه ففى كل شط قينة ومزامر
أشاعر وادى النيل هل أنت سامعى
وهل أنت للشادى المقصر عادر ؟
أعدت إلى ملك القريض مكانه فعاد وعدنا بالقريض نفاخر
مضت فترة من بعد شوقى كأنها على الشعر ليل مظلم الأفق عاكر
تعاجم فيها بالنظيم جماعــة وأثخن فيها بالجراح معاشر
يقولون بالتجديد ، ضعف قريحة وعجمة أسلوب ، به الى ظاهر
وعندهم التجديد شكوى وآهة وبرح هوى فيه التخنث سافر
فكلهمو فى الشعر مجنون عامر ولو عاصروه طاق الشعر عامر

---

أمير القوافى جئت لبنان زائراً
فهل حل فى لبنان مثلك زائر ؟
كأنى بتلك الشامخات تحركت للقياك ترحيبا وراحت تساير
وبالأرز قـد مال عليك غصونه
كما انسدلت خوف الحرور الستائر
ويارب سفح كالبساط منضر مشيت عليه وهو بالوشى زاهر
يخصك بالإعجاب حيث تخصه فما أنتما إلا فؤاد وناظر
يقول أهـذا قيس لبنى بعينه ولُبناه ؟ أم حلم على الأرز عابر
فياسعد لبنان ، تملأ قلبه بقربكما منه وقرت نواظر
رأى الحسب الوضاح يسطع نجمه
مع النسب العالى ، فنعم الأواصر

---

عزيز ! كتمت الحب ، لكن هاتفا
من القلب نادانى فرحت أجاهر
وما أنا والمدح الذى إن أردته نهانى على أن باعى قاصر
أنابغة الأشعار هل أنت سامع
لشعرى ؟ وهل صدقت أنى شاعر ؟

# أنغــــام وأسرار

للشاعر إبراهيم محمد نجا

لن هذه القطعة الساحره توقعها روحك الشاعره ؟
وكيف جرت فوق هذا البيان أنا ملك الحلوة الناضره ؟
وما كنت أعلم يا فتنتى بأنـك مفتنَّـــة قادره
تُصـــور بالنغم العبقرى كما ترسم الريشة الماهره !
كأنى أرى مخدعاً للغرام تقوم به غادة ســاهره
مدلهة أســلمت نفسها لنشوة إحساسها القاهره
تعانق أطياف معشــوقها وتلثم أصــداءه الطائره
تضم يديها إلى صدرها كقديســــة برة طاهره
وتهتف فى ولَه ضارع وفى لهفة بالجوى زاخره :
ظمئت إلى الحب يا ساحرى فأين إذن خمرك المائره ؟
وصرت كريحانة تشتكى بصحرائها وقدة الهاجره
فأنزلْ عليهـا نداك الرطيب وأطلعْ لها شمسك الباكره

---

على وجنتيك شعاع يرف وفى مقلتيـك رؤى باهره
وثغرك يبسم فى رقــة ولـكنها رقــة آسره !
وصدرك يهتز مثل الغدير تداعبه النســمة العابره
وروحك تسبح مثل الفراش ترفرف فى الليـلة الناثره
ويغمرنى منك سحر عجيبٌ به دفء أنفاسـك العاطره
وعينــاك تخترقان الأثير إلى جنـة بالهوى زاهره
أراك بها جد مسحورة فيالك مسحورة ساحره !

---

لقـد ذاع سرك يا فتنتى أذاعته أنغامك الثـائره
فلا تحزنى إن سر الهوى أذاعته أشـعارى الحائره
هو الفن يُظهر ما فى الضمير : ويترك أسرارنا سافره !

# الجامعة فى النضال

## من أجل التقدم الاجتماعى

للأستاذ جوستافو كولونيتى

مدير المجلس القومى للأبحاث العلمية فى روما

[ مهدى إلى القائمين على جامعتى فؤاد وفاروق ]

إن الذين يشاهدون بقلق وضع أوربا المحزن ، ويتتبعون باهتمام الجهود المضنية التى تبذلها فى سبيل تجديد إنشائها وتعميرها ، ليتساءلون أحياناً عما ينقص القارة فى هذه الآونة .

واعتقد أنه ينبغى أن نجيب دون تردد أن أهم ما تحتاج إليه أغلب أقطارنا ، إنما هو نخبة جديدة من الرجال يكون بمقدورها قيادة بلادها نحو المستقبل وفى المستقبل .

والواقع أن الطبقة الحاكمة لما قبل الحرب قد أفلست ، فقد حسبت أنها قد لبت حاجة المرء إلى الحرية ضمن نطاق الاقتصاد الحر ، ولكن هذا الاقتصاد أدى إلى مساوئ الرأسمالية الأكثر أنانية والأكثر ضلالة . وقد ظنت أنها قد لبت حاجة الجميع إلى النظام والعدالة ، ولكن ذلك لم يحصل إلا عن طريق دفاع لا هوادة فيه عن الحقوق المزعومة للطبقات المتمتعة بالامتيازات الأمر الذى أدى بصورة مذهبية إلى إعاقة التطور الطبيعى للنظام الاجتماعى نحو توزيع أعدل لخيرات الأرض . وقد خيل إليها أنها قد لبت الحاجة إلى التقدم باستخدام العلم والرقى الفنى كأدوات للقوة والجبروت ، ولكن ظهر فى الوقت المناسب أن العلم والرقى الفنى صالحان لزرع الخراب والموت فحسب

ويبدو الآن هذا الإفلاس جلياً فى ضمير جميع الشعوب ، وأن اللامبالاة التى استسلمت بها الشعوب إلى الطغاة ( الديكتاتوريين ) ، والتردد الخطر الذى تظهره هذه الشعوب فى محاولاتها تحقيق الرجوع إلى الأشكال الديمقراطية . كل ذلك يعطينا مقياساً عن فقدانها المطلق للثقة فى حكامها السابقين ، وعن حاجتها الماسة إلى رجال جدد . ومن واجب الجامعة تهيئة هؤلاء الرجال وتكوين النخبة الصالحة منهم .

ومن ذلك تبدو لنا المسئولية التى تقع على عاتق الجامعة لأنها لم تعرف فى الماضى كيف تخرج لنا رجالا قادرين على المعرفة والتنبؤ وتدبير الأمور . ونستنتج من ذلك ضرورة تجديد كيان الجامعة وتحملها للمهمة الثقيلة وهى قيادة الإنسانية نحو نظام جديد

وهى فى الحقيقة مهمة ثقيلة الأعباء مفعمة بالمصاعب ، ملأى بكل مجهول ، إذ لا يعنى ذلك إعادة إنشاء ما أصابه التدمير مادياً فحسب ، بل اجتناب الحكم بالتدمير من جديد وبأقرب وقت على ما سنشرع ببنائه . ومن السهل علينا تمييز أسباب الحرب ومسئولياتها ، ولكن لو ذهبنا فى تعمق الأشياء إلى أبعد من ذلك ، لرأينا وجوب التسليم بأن الحرب ما كانت إلا المظهر الخارجى الفاجع لاستحالة استمرار الإنسانية على العيش فى ظروف مادية وعلاقات متبادلة ، ثبت أن العالم قد تخطى العصر الذى وجدت فيه

ولقد تعينت معالم هذا التخطى عن طريق التقدم العلمى والرقى الفنى ، هذا التقدم الذى وضع تحت تصرف الإنسانية كمية فى تضخم مستمر من الثروة لا تستفيد منها إلا بعض الطبقات الاجتماعية

ولكن هذا الحادث لا يزال فى دور التخطيط ؛ فالتقدم العلمى والرقى الفنى سيستمران فى النمو بشكل يزداد على الدوام سرعة ووزناً فى النتائج فى كافة النواحى

ويوشك أن ينهار بنياننا الاجتماعى الذى لم يستطع مقاومة الغزوات الفنية للنصف الأول من هذا القرن ، وستقل مقاومته لصدمة الغزوات الفنية التى ستطبع بلا ريب السنوات القادمة .

ولقد أضحى التقسيم الحالى للبشرية إلى طبقات بالياً ومحكوماً عليه بالزوال وستلغيه فجأة ثورة دامية لا مثيل لها فى التاريخ ، إذا لم نعرف منذ الآن كيف نتغلب عليها بإيجاد نظام جديد تتاح فيه للناس دون ما تمييز فى الطبقات نفس الظروف للتمتع بالخيرات التى وضعها التقدم العلمى والرقى الفنى تحت تصرفنا بمقياس واسع وبشكل دائم الاستمرار

فإيجاد هذا النظام الجديد ، وصياغته بشكل يتفق واطراد الرقى الفنى إلى حد لا يستطاع تحويله كما جرى غالباً فى الماضى إلى أدوات اضطهاد فى يد فئة قليلة من أصحاب الامتيازات توجهها نحو كتل بشرية محرومة من وسائل الدفاع فاقدة الأمل والاعتراف لجميع البشر ، بحق الاقتسام العادل لخيرات الأرض وإمكانية

مساهمتهم فى التقدم المشترك والتمتع به بصورة مشتركة . هذه هى مهمة الغد العظمى النبيلة الشاقة التى لا تقبل أى تأجيل أو تسويف

واليكم فى الوقت ذاته تحديدا للصورة الجديدة لجامعة الغد : على جامعة الغد أن تكون أول من يبادر إلى تحقيق زوال التفاوت الطبقى ، وذلك بأن تتقبل فى أحضانها كل شاب يتصف بالذكاء وحسن النية ، مهما كانت ظروف أسرته الاقتصادية والاجتماعية ومهما كانت موارده محدودة

ولقد أضحى هذا الاقتراح منذ مدة مكاناً شائعاً ، فنعثر عليه فى برامج مختلف الأحزاب السياسية فى كافة الأقطار ، ولكن علينا ألا نحسب أنه نتيجة مكتسبة ومسلم بها ، فهو على النقيض من ذلك ، نصر لا يمكن إحرازه إلا مقابل أعنف المعارك وأهولها

وفى الحقيقة إن أغلب أولئك الذين يسلمون نظرياً فى كثير من السهولة برأينا لا يقصدون سوى ازدياد قل أو كثر لكراسى الدراسة المجانية التى كان يحسب فيما مضى إمكان حل المشكلة عن طريقها

بيد أن هذه الكراسى المجانية قد أتاحت لعدد من هؤلاء الشباب الخروج بل الهرب من الطبقة العاملة ليأخذوا أمكنتهم بين الطبقة البرجوازية أو الطبقة الحاكمة

وإذا كان من العدل أن نعترف بحسن نية أولئك الذين أسسوا هذه الكراسى الدراسية رغبة منهم فى مساعدة أفضل أبناء الشعب على ارتياد مناهل العلم والتربية ، فينبغى التسليم أيضاً بأن هذه المؤسسات قد ساعدت على تعيين معالم هذا التسابق نحو إحراز شهادة تعتبر كوسيلة وحيدة لبلوغ أعلى الدرجات فى السلم الاجتماعى ، هذا التسابق الذى أفسد بصورة خطرة كل حياتنا الجامعية

فالإكثار من الكراسى الدراسية المجانية يبقى المشكلة الاجتماعية على حالها دون أن يحمل إليها حلا ، إذ ليس القصد توسيع أبواب الدخول إلى الجامعات ، بل انتخاب أولئك الذين يدعون لدخولها وانتخابهم بشكل أوسع وفى محيط اجتماعى أرحب . وهدفنا من ذلك منح إمكانيات أعلى مراتب الثقافة لكل الذين يحوزون من المواهب الفكرية ما يسمح لهم ببلوغها ولهؤلاء فقط

والغرض من ذلك فى الوقت ذاته حمل الرأى العام على تقدير كل شكل آخر من أشكال النشاط المنتج الذى لا تقل حاجة المجتمع إليه عن حاجتها إلى العلماء وتوجيه جميع الذين يعتقدون الآن بأن لهم الحق فى الدراسة لا لشىء إلا لكونهم ينتسبون إلى الطبقات المتمتعة بالامتيازات فيجعلون الجامعات مزدحمة بهم ، ليصبحوا فى المستقبل من المتخلفين عن مراتبهم Déclassés ، لا فائدة فيهم لأنفسهم ولا للآخرين ، توجيه هؤلاء نحو هذه الأشكال الأخرى وإعدادهم لها بصورة تدريجية

ولا يمكن بلوغ هذه النتيجة إلا بقلب الوضع الحالى رأساً على عقب ، وهو قلب لا تستطيع تحقيقه إلا الدولة ، وذلك بإدخال الدراسات العليا ضمن نطاق الوظائف الاجتماعية واعتبار النفقات التى تتطلبها بين تلك التى على المجتمع أن يحتمل أعباءها فى سبيل المصلحة العامة

وفى هذا المعنى ينبغى الاعتراف بأن قطراً واحداً قد اقتحم المشكلة بكل اتساعها إلى الآن ، ألا وهو الاتحاد السوفياتى

ولقد كانت التقاليد فى الأقطار الغربية حائلا دون أى تجديد . وسنرى عما قريب ما إذا كانت هذه التقاليد التى نعتز بها بحق ، ستعرف أن تكون نقطة الانطلاق لنظام جديد يتلاءم فيه الماضى المجيد مع مقتضيات الوضع الجديد

وليس من شك فى أننا سننجح بهذا الثمن فقط فى الإبقاء على مركزنا على رأس الحركة نحو التقدم الاجتماعى وفى إنقاذ ما تبقى من حضارتنا

وينبغى أن تتجدد الجامعة لا فى انتخاب الطلاب فحسب ، بل فى جهازها الداخلى أيضاً ، وذلك لسببين اثنين يجب التسليم بهما :

أولا : لأنها لم تكافح الفاشية دائماً عند ما كان ثمة فسحة فى الوقت لمكافحتها فى المجال المذهبى terrain Doctrinal كمبدأ لا يتلاءم مع أى شكل من أشكال الحياة الفكرية والبحث الحر عن الحقيقة

ثانياً : لأنها بالغت فى تنامى دورها فى تكوين العقول وخلق معنى مسئولية الفكر تجاه الوقائع والتاريخ

لقد كونت الجامعة أساتذة فلقنتهم أغمض أسرار الرقى الفنى وفتحت أمامهم مسالك العلم السرية ، ولكنها أغفلت توجيه

انتباههم نحو الخير والشر للذين كان فى مقدور العلم والرقى الفنى دفعهما إلى البشر ، وإفهامهم أنهم مسئولون إلى حد ما عن هذا الخير والشر. ولقد أهملت إفهامهم أيضاً أنه ليس من حقهم التجرد وعدم المبالاة بالروابط التى تربط دراساتهم بحياة البشرية ، وتراخت عن تلقينهم أن جهودهم لا تكون نبيلة ولها ما يبررها إلا إذا كانت تتوخى عيشة أفضل للانسانية جمعاء .

فعلى الجامعة إذن أن تستعيد السيادة على نفسها . عليها أن تضع حداً للتخصص المفرط وتوسع نطاق التعليم الفنى . وعليها أن تبذل عنايتها ، لا فى تخريج علماء وفنيين فحسب ، بل فى تكوين رجال بأوسع معانى الكلمة وأجدرها بالفهم والإنسانية ، رجال لا يبحثون إلا عن الحقيقة ، ويعرفون أنه لا يمكن بلوغها إلا فى جو من الحرية

وسيتخذ النضال ضد الفاشية مكانه ضمن نطاق الحياة الجامعية فوراً وبصورة طبيعية ، لأن الفاشية إذا كانت قد انهزمت عسكرياً فتوارت عن المسرح السياسى مؤقتاً ، فإنها لا تزال تعيش بين ظهرانينا بشكلها المزدوج وهو الكذب وروح الشدة والاقتسار ، فينبغى الاستمرار فى مكافحتها تحت هذا الشكل المزدوج .

أما الجامعة ، فهى المكان الذى يمارس فيه الكذب بالبحث الأمين المجرد عن الحقيقة . الجامعة هى المكان الذى يمكن فيه إلحاق الهزيمة بروح الشدة والاقتسار عن طريق هذه الحرية التى يطالب بها الفكر بالحاح كأعظم النعم الإلهية .

فعلينا إذن أن نعيد فى الجامعة ، إلى الحقيقة والحرية ، الإجلال والقدسية ، وذلك بأن نقصى عنهما كل من قاد زمامهما بالاستسلام إلى الخداع والتهديد أو التضليل

يجب المطالبة والظفر بإكبار الحقيقة وتمجيدها وحتى إعلائها فى الجامعة ولا سيما حين لا تروق فى عيون ذوى السلطان فى الأرض .

يجب أن تكون الجامعة حصناً للحرية ، وعلينا أن نطالب وأن نظفر بعدم التنكر لها فى الجامعة ، وينبغى ألا نضن بالحرية إلا على أولئك الذين يرغبون فى استخدامها من أجل قتلها

وعندئذ تمسى الجامعة هيئة يصبح أعضاؤها ويشعرون شخصياً أساتذة وطلاباً أنهم مسئولون عن الشكل الذى يؤدون به رسالتهم الاجتماعية ، وسيصبحون ويشعرون أنهم أعضاء نخبة ممتازة مدعوة إلى قيادة العالم نحو مصير أفضل، نخبة ممتازة لا تباعد فيما بين أفرادها الحدود السياسية ، وسيكون هذا أولى الصور لهذا المجتمع الدولى الذى سيجنب وحده أوربا كوارث جديدة

وسيكون فى وسع البشر أن يصبحوا أخيراً ، فى عالم حر مغرم بالحرية ، سادة مصائرهم ، وسيكف التقدم العلمى والرقى الفنى عن ترويعنا ، ويستخدمان عندئذ لجعل الحياة أقل خشونة وجفافاً وأجدر بأن نعيشها .

ترجمة

[ عن مجلة L' université ] غالب عارف طوقان

---

# من يد ذات سوار

# إلى يد ذات سوار ...

لى – ياسيدتى – يدٌ ذات سوار كيدك ، وأناملُ ناعمة نعومةَ أناملك ، ونفسٌ مرهفٌ حِسُّها إرهاف حسك . فأما يدى فأصدقُ سعيها أن تصول فى عالم الكتابة وتجول ؛ وأما أناملى فأحبُّ ملمسها أوتارُ قيثارة خالدة توقّع عليها ألحان البيان الرفيع ؛ وأما نفسى فغايةُ مُتمناها أن تصور مايجيش فى أحنائها تصويراً واضح الفكرة قوى الحبكة رائع الأسلوب ، يبوئها فى ميدان الأدب مكاناً عليًّا ترنو اليه الأبصار فتهوى اليه القلوب ..

وانى – بلا ريب – لم أبعث إلى « الرسالة الغراء » بمقالى هذا لأفتح لكِ نفسى فتفتحى لى نفسك ، فان لنا فى أرجاء المجتمع الوسيع لغناءً عن التعارف على صفحات مجلة حملت – وما انفكت تحمل – مشعل الأدب العربى الصميم ، وسمحت وما برحت تسمح للاقلام الرقيقة الأنيقة ، أقلامنا معشر ذوات الأساور ، أن تقوى وتشتد لنكتب فى بعض أبوابها فصولا من معتصرات أدمغتنا ، بها ندافع عن كرامتنا ان خدشت ، وعن شعورنا ان جرح ، وبها نقيم دعائم نهضتنا حين تنقض فرقا من صواعق الرجعيين الجامدين ، أو هلعا من زلازل المجددين المتطرفين ! .

جميلٌ منك – ياسيدتى – أن تثيرك مقالات الأستاذ « الطنطاوى » الأخيرة فتبعثك على الطمع فى المثول بين يديه مثول التلميذ بين يدى معلمه .

وجميل من « الرسالة » أن ترضى ما صبت اليه نفسك ، فتنشر ماجادت به يراعتك ، ليشهد فيه « صاحب الناظرة الهادئة » صورة صادقة التعبير عن الأدب النسائى المتزن بفكره الثاقب ونظره البعيد .

وانه لجميل جدا من الأستاذ « الزيات » صاحب هذه المجلة الغراء أن ينقع غلتى فينشر كلمتى ، ويسمح لى بايضاح فكرتى ، على عجز قلمى وضعف مُنتى ...

غير أنى لا أطمع – ياسيدتى – فى شرف طمعت فيه : فلأنْ أبقى طيلة حياتى فى صومعة النسيان أكتب لنفسى فلا يحس بى قريب أو بعيد – أحبُّ إلىَّ من أن تكون لى « دالة خفيفة » أو ثقيلة ، « مشفوعة بالأدب والطواعية » أو غير مشفوعة ، على عَلَم من أعلام الأدب العربى لا أستبعد أن يرى بعينيه النقادتين الحادتين من الضعف فيما أكتب اليه خاصة مالا يراه فيما أكتب إلى الآخرين ، فيحاسبنى فى حاضره حسابا عسيرا على مستقبلى : وإذا نفخة واحدة من نفخات قلمه العاصف – وهو يهتز تأثراً – تذهب بجميع مايستوقده أدبى الناشىء من نار ، وما يحاول أن يرمى به من شرر ، فلا ألقى بعد إلا يأسا فى قرارة النفس عميقاً ، وزهادة بين الضلوع موغلة ، وأستوحش شيئاً فشيئاً من الأدب والأدباء ، ومن الكتابة والكاتبين .

لا . لست متشائمة يا صديقتى . . ولا والله ما أحب أن تتشاءمى من حديثى هذا اليك ؛ فانى لأعلم أنك – بعد أن تقدمت إلى الأستاذ الطنطاوى بمقالك الجرىء الذى أحسنت سبكه وأحكمتِ ربطه ، وعرفتِ بأى لطف وظرف وكياسة تعرضينه – لن تراعى إذا ماجلجلت مقالات الاستاذ من جديد ، فانها إذا خطفتْ ببرقها بصركِ ، أو أصمّت رعدها سمعك ، لن تزيد فى زلزالها عما تعودت من قوتها وتهدارها ، ولن يهولكِ فيها إذاً آتيها بعد الذى مضى ، ولا مُقبلها بعد الذى خلا ...

ولكن ...

إن يكن فى وسع سيدتى أن تصبر على حملات « الطنطاوى » بعد أن تثيره ، فليس فى وسعى ولا أحب أن يكون فى وسعى أن أصبر على حملة من حملاته من غير أن تخضلَّ عيناى بدموع من الاخلاص سواكب ، لأنى آمنت بأنه لايحمل إلا إذا كان على حق ، وأيقنت بأن الحدة لاتخرج دفاقة من بين ثنايا مقالاته إلا إذا آلمه الشىء النكر ؛ وأنَّى لمثلى – وهى التى يوشك أن يجرفها التيار كما جرف الكثيرات من قبل – أن تصبر على جراح قلم سِلم للحق ، حرب على النكر ؛ يجاهد فى سبيل الله ولا يخاف لومة لائم !

إنى – على إعجابى بما جاء فى مقالك ياصديقتى – لمقتنعة بسداد الأستاذ فى موضوعه ( مناظرة هادئة ) وما سبقه من الموضوعات فى معناه: إذ مهما يكن الرجل قواما على المرأة ، ومهما يكن حاملا من أوزارها ، فلتقعن على عاتقها تبعات كثيرة ، ومسئوليات

جسيمة ، ولا سيما إذا كانت مثقفة ، عالمة بأوضاع الحياة المختلفة وإذاً لاغرابة إذا أرسل الأستاذ « الطنطاوى » شواظاً من نار كلماته الغضبى على سواد المتعلمات اللاتى أهملن رسالاتهن بعد عرفانها ، ونقضن مواثيقهن بعد توكيدها ، فاستحققن من « الطنطاوى » وغيره أن يصفهن بالجمادات الخرساء ولو حملن أعلى الشهادات من بكالوريا ودبلوم وليسانس وماجستير .

لا غرابة فى هذا كله .

ولا غرابة فى أن يناظر الأستاذ أولئك المتعلمات مناظرة ( هادئة ) رفقاً منه بالقوارير ، وحنانا من لدنه على لابسات الحرير . .

ولكن الغرابة حقاً فى أن تثورى لنا من دوننا جميعاً معشر صاحبات « نون النسوة » فتدافعى عن عدد قليل من المتعلمات تصفينه بالجم الغفير ، وتبرزين من سداد رأيه واستقلال فكره وبعد نظره الشىء الكثير ، حتى لكأنى بك تحسبين أن الطنطاوى جاهل أو متجاهل ذلك العدد القليل الذى غاليت فى تمداحه ، أو أنه كتب مقالاته من قبل أن يدرس نفسيته وأطواره .

عفواً يا أختاه ! .

لقد قلبت الآية فجعلت الكثير قليلا ، والقليل كثيراً .

ألا إن أكثر المتعلمات حظا من الحيوية والنشاط واستقامة المبدأ لأقلهن عدداً . وإن أقل المتعلمات خلاقا من الخير والفضيلة وحسن الاتجاه لأكثرهن سواداً .

ولئن عرفت جماً غفيراً من صديقاتك المتعلمات اللاتى يعجبن السامعين بحوارهن ونقاشهن فان أخوف ما أخافه أن يكون حماسك لنا — نحن بنات جنسك — قد بعثك على المغالاة فى نثر المديح ، فانى عرفت مثلك جماً غفيراً من السيدات والفتيات المتعلمات ، لكنى أبيت أن أتخذهن صديقات إلا مارحم ربى ، إذ ألفيتهن إلا قليلا منهن — على كثرة مافى رؤوسهن من المعلومات — يرددن ما يحفظن ترديد الببغاء .

وما أحسبك تنكرين الصلة الوثيقة بين العلم والدين ، وبين الثقافة والفضيلة ، وأنك حين تشايعين الأستاذ على مايقوله فى فتاة العصر من ناحية الدين — والدين كما تعلمين ينبوع الفضائل — فقد شايعتيه على كل ما يلوم عليه أكثر فتيات هذا العصر ، لأن علومهن وفنونهن وآدابهن لاتؤتى أكلها المطلوب ، ولا ثمراتها المنشودة .

إن الأستاذ الطنطاوى لايريد من وراء مقالاته أن يسىء إلى شعورنا معشر الجنس اللطيف ، ولا أن يجرح كرامة المتعلمات وأنصاف المتعلمات بَلْهَ العاميات اللاتى لايفقهن مما يقول حديثاً ، ولكنه — كما فهمتُ من غضون كلماته — يقصد إلى تذكيرنا جميعاً بواجبات طال علينا الأمد فى الغفلة عنها ، فاختار لذلك أعمق الأساليب أثراً ، ليكون فى توالى صيحاته عبرة لمن يخشى .

ألست معى فى أنّ كثيراً منا بات لايعتبر إلا بالكلام الجارح ، والخطاب الصادع ؟ .

ألستِ معى فى أن أنوثة الكثيرات من المتعلمات فينا قد فقدت غير قليل من جمالها حين استبدلت خشونة مشاركة الرجل فى أعماله بنعومة تدبير المنزل وتربية الأطفال ؟ .

أو لستِ معى أخيراً فى أن ثقافة هؤلاء المتعلمات لم تحل دون تقليد الأجنبيات على عمى ، وأن الرقة فى خطابهن واللطف فى مناقشتهن والهدوء فى مناظرتهن لم تزدهن إلا عشقاً لكل جديد ولو كان فيه الموت ، وهربا من كل قديم ولو كان فيه الحياة ؟

اغفرى لى يا صديقتى إذا قلت : لا سبيل إلى إصلاحنا معشر النساء إلا صرخات مدوية . وغارات متوالية ، تهيب بنا أن نوثق عرى اسلامنا قبل أن تنفصم ، وأن نجدد شباب عروبتنا قبل أن يهرم ، وأن نبث روح الفضيلة فى جيلنا قبل أن يموت ...

فشكراً لك ياسيدى الطنطاوى على نفثات قلمك ... ولتمسك بيدك القوية الثابتة مع أيدى إخوانك من الرجال المخلصين بأيدينا الناعمة المرتبكة ؛ فقد كنتم معشر الرجال وما تزالون أقوى منا بأساً ، وأشد منا ساعداً ، وأثبت منا جناناً ، وأربط منا جأشاً ؛ غير أن الحياة لم تصلح فى عهد من العهود إلا على يدين اثنتين : يد الجنس الخشن ويد الجنس اللطيف .

وأما أنت ياسيدتى ذات السوار فاغتنمى هذه الفرصة التى هيأتها لك بالكتابة مرة أخرى إلى الأستاذ الطنطاوى معتذرة ، واذكرى ما غشت تلك التى استعارت اسمك المستعار .

**يد ذات سوار رقم ٢**




**إلى الأستاذ على الطنطاوي :**

لشد ما تتجلى فيما تكتب غيرتك الصادقة على أن تشيع فينا الفضيلة الإسلامية فى أجمل مظاهرها ؛ فالتحلى بحلى الدين خلة شريفة كريمة هى أعز ما نحرص عليه . وليست المسألة يا سيدى أن مصر أو غير مصر أنكرت فضائل دينها عامدة متعمدة ، إنما هى أمراض اجتماعية نريد أن نوفق إلى علاجها ، وليس المجال أن تسألنى : أحرام تكشف الفتاة أم حلال ؟ فما اختلفنا من قبل فى حكمة الله الخالدة ، وليس مناط البحث أننى راض عما أنكرت حتى يصل النقاش إلى هذه المرحلة الخطيرة .

وإنما الأمم حين تتسلط عليها أشعة الحضارة المنسابة من غيرها ممن هى أعلى شأناً وأقوى مُنة تكون فى حالة أقرب إلى الخبل . فإلى أى حد تحتفظ بحضارتها القديمة ، وأى قدر تأخذ من الحضارة الجديدة ؟ هنا تتراقص المغريات العاجلة ، والآراء السطحية وغير السطحية وهذا ما يسمى بدور الانتقال عند الأمم الحديثة حتى إذا ملكت قواها وتماسكت أعصابها عادت إلى رشدها ، وأفاقت من غفلتها .

لقد لفت نظرى فى كلمتك الموجهة إلىّ ( ولا نستطيع أن نصدق ، ولو أكدت القول لنا أن فى الدنيا شابا متدفق الشباب يعيش بين بنات ناضجات الأنوثة ... إلى آخر ما قلت ) ثم سقت الحديث إلى تصوير المعلمين والتلميذات تصويراً جانبيا ثم بنيت عليه أحكاما عامة ورتبت قضايا خطيرة .

ولا يسعنى إلا أن أستفتى سماحة القاضى : ما قولكم دام فضلكم فى خمسة أو عشرة من الرجال ارتكبوا ذنباً فى مدينة من المدن ، ولم يثبت لدى القاضى ثبوتا قطعياً أن أهل المدينة شاركوهم فى هذا الذنب : أيقول القاضى سدًّا للذرائع : اذهبوا بأهل المدينة جميعاً إلى النار ؟

أما الرجال فى مدارس البنات المصرية فالواقع أن وزارة المعارف تنتقيهم بقدر جهدها من خيرة المعلمين دينا وعقلا وخلقا وهم متزوجون فى غالب الأحيان . والذى بينهم وبين التلميذات هو رسالة العلم وحدها . والرجل مضطر أن يزن سلوكه وحديثه فلو أفلتت منه كلمة تؤول تأويلا سيئاً حذره أخوه فى المدرسة وإلا أكل يوماً كل الثور الأبيض ، وقد اعتادت الرياح أن تنقل كل ما يخالف الواجب والقانون إلى وزارة المعارف ، وأقل ما يلقاه هذا المعلم وأمثاله أن يروا أنفسهم سويعاً فى مدارس البنين الثانية . هذا المعلم وأمثاله يمدهم المعلمون فى مدارس البنات بُلْهاً قصار النظر . ومع ذلك فكلما اتسع التعليم العالى للبنات وتخرج العدد الكافى من مدارس المعلمات استغنى عن الرجال على التدرج

واقبل يا سيدى الأستاذ تحياتى وشكرى لهذه النبرة المحمودة على الدين والأخلاق . والله الهادى إلى سواء السبيل .

**حسنين حسن مخلوف**
المفتش بوزارة المعارف

**جحا قال :**

عزيزى المحترم الأستاذ كامل كيلانى :

حظيت اليوم بنسخة من قصص جحا « سارق الحمار » وكنت حظيت من قبل بنسخة من « برميل العسل » وغيرها ؛ ولقد تصفحت الأولى وعاودت قراءتها وقدمتها للصغار من أولادى هدية فإذا الكبار يستولون عليها ويجدون فى قراءتها لذة ومتعة شهدت تباشيرها على أساريرهم وآثارها فى نقاشهم ، وما كدت أدخل عليهم بالثانية حتى هبوا يختطفونها ويتسابقون لبلوغ الأولوية فى الفوز بمطالعتها . ولو شهدت أنت يا سيدى مثل هذا المنظر لكان فيه ما يرضيك ككاتب وفنان وما يرضى كبرياء نفسك كمبدع لهذا النوع من القصص الفكه الظاهر والعميق المغزى ، والجزل اللفظ والمتين المبنى . قواك الله وجزاك عن أطفال الجيل أجمل الجزاء ؛ إذ أنك بما تكتب تدعم بناء صرح جيل صالح مستنير ، ما أحوجنا — فى إبان نهضتنا هذه — إلى صفاء ذهنه ونقاء معلوماته ونظافة خلقه وطهارة لفظه وعفة نفسه . والسلام

**أمين ابراهيم كحيل**
مدير الجامعة الشعبية

**حول كتاب « دور القرآن فى دمشق » :**

تكرم الأستاذ عبد الرحمن محمد عبد الوهاب فدلنى على تراجم بعض الأعلام الذين وردت أسماؤهم فى كتاب دور القرآن ، ولم أعثر على ترجمة لهم فله منى الشكر الخالص .

وألفت نظر الأستاذ إلى مايلى :

١ — ذكر الأستاذ أن الخضر بن المنير هو الخضر بن كامل بن سالم بن سبيع الدمشقي السروجي المعبر المتوفى سنة ٦٠٨ ثمان وستمائة ( شذرات ٥ / ٣٣ ) .

ويعلم الأستاذ أن اسم الخضر قد ورد في كتابي عند الكلام على أن وجيه الدين ابن المنجا — شيخ الحنابلة بدمشق — المولود سنة ثلاثين وستمائة ، ٦٣٠ هـ ، والمتوفى سنة إحدى وسبعماية ، ٧٠١ هـ — ( دور القرآن ص ٥١ — شذرات ج ٦ ص ٣ ) — قد سمع حضوراً من الخضر بن المقير .

فإذا كان ابن المنجا قد ولد سنة ثلاثين وستمائة ، فلا يعقل أن يسمع الحديث ممن توفى سنة ثمان وستمائة .

وعلى هذا ، فإن الخضر المذكور في دور القرآن ، هو غير الذي تفضل الأستاذ بإيراد ترجمته .

٢ — ورد اسم ( أبو مسلم الكاتب ) خطأ مع الذين لم أهتد إلى تراجمهم . والواقع أني أوردت ترجمته في ص ٨٥ من كتابي برقم ٢٠ . فمعذرة .

وللكاتب الفاضل أجمل تحية وأصدق شكر .

( دمشق ) صلاح الدين المنجد

## على هامش النقد :

الأستاذ النابغة سيد قطب ناقد من الطراز الأول ، وله فكرة خاصة في النقد أبرزها في كتابه « التصوير الفني في القرآن » ، وهو كتاب جدير بالإعجاب والتقدير

ولعل من ذيول هذه الفكرة ما كتبه أخيراً في « الرسالة » عن « مواضع النقد » . وهو يرى أن ملاحظة الشعور العام هو أهم ما يعنى الناقد في الآثار الأدبية ، وأن الناقد يجب أن ينظر أولا في صاحب الأثر هل أحس إحساساً صادقاً بالصورة الفنية التي يرسمها ، أم أنه لم يحس بها أو أحس إحساساً كاذباً ، والذي يدلنا على مدى هذا الإحساس من الصدق أو الكذب أن نتأمل ما يهيجه الأثر الأدبي من الشعور ، فإن بعث في نفس القارىء شعوراً واحداً فصاحبه قد أحس به إحساساً صادقاً ، وإن بعث شعورين متناقضين كان إحساس الشاعر أو الكاتب به مزوراً ، وضرب لذلك مثلا قول شاعرنا شوقي :

قف بتلك القصور في اليم غرقى ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين في الماء بضًّا سابحات به وأبدين بضـــا

فالبيت الأول يبعث في النفس شعور الذعر والخوف ، والبيت الثاني يبعث البهجة والانشراح . وقد ذكرت حين انتهيت من مقاله قول الله سبحانه وتعالى « انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ، انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ، إنها ترمى بشرر كالقصر ، كأنه جمالة صفر ، ويل يومئذ للمكذبين » فرأيت أننا لو سايرنا الأستاذ فيما ذهب إليه لغُمّ علينا الأمر في هذه الآيات ، فالجو العام للآيات هو تهديد وإنذار وتخويف ، يقذف باللهب ؛ ويرمى بالشرر ، ولكن التشبيه لا يبعث في النفس إلا الطمأنينة والهدوء والظل الأبيض الناصع . نعم ، إن منظر الجمال الصفر متتابعة مختلطة متحركة في تموج واضطراب هو هو منظر الشرر ، ولكن هذا المنظر لا يبعث في النفس ولا سيما نفس العربي إلا المسرة والبهجة والشعر والجمال ، فالجمل أليف إلى نفسه حبيب إليها ، وهو حين يكون أصفر يزيد في إعجابه وبهجته فهذا اللون من الألوان المحببة ، ولذلك جاء في وصف بقرة بني إسرائيل أنها « صفراء فاقع لونها تسر الناظرين »

وإني سائل الأستاذ سيد قطب رأيه في هذا الجو البياني ؟ ولست أتعجل فأنقض عليه رأيه قبل أن أعرف كيف يذهب في تطبيق نظريته على مثل هذا وللأستاذ تحياتي وتقديري .

علي العماري

( المدرس بمعهد القاهرة )




دعوة فى وقتها :

# الرســـالة الخالدة . . .

بقلم الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا
الأمين العام لجامعة الدول العربية

## عرض وتعليق

للاســـتاذ عبد المنعم خلاف

( تتمــــة )

أما ثالوث الفساد فهو الغدر والكذب والنفاق ، وقد أصبح اصطناع هذه القباحات فلسفة سياسية خطرة . والغدر غير الخدعة فى الحرب ، فإن الخدعة قدرة أمرها متعارف عليه مباح فى قوانين الحرب بخلاف الغدر فهو خسة وعجز عن المواجهة بالقوة . وهو قبيح حتى بين الأشقياء واللصوص ، والكذب فى السياسة والرياء فيها صارا طابعاً عصرياً يفخر به ساسة هذه العصور المتأخرة منذ أن سن لهم ( مكيافللى ) طريقته التى ينكرها الإسلام الذى لا يعرف إلا سياسة الوضوح والصدق ، ويرى الكذب والنفاق صفتين أدنأ من الكفر « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار »

### فى البحث عن سند روحى للحضارة

فى فصول هذا الباب الستة يتجلى عزام باشا كرائد إنسانى عظيم من الباحثين عن سلام العالم ونظام جديد له . وهو يقف فى الشرق الأدنى بين العقلية الشرقية والعقلية الغربية حين يحاكم آراء ( ويلز ) و( سانكى ) فى الغرب و( غاندى ) و( نهرو ) فى الشرق

وهو يبدأ بالسؤال الآتى : هل الوصاية على الحضارة للأقوى أم للأتقى ؟ ويستقرئ مراحل تاريخ المدنية للاجابة على هذا السؤال فيراها شعلة متنقلة بين الأجناس لم تثبت فى مكان واحد ولا دامت لقوم وحدهم ، مما يدل على أن التاريخ يأبى أن يشهد لقوم دون قوم بالصلاح الذاتى والاختصاص بالقدرة على حمل رسالة الحضارة

وقصور علم الإنسان ( أنثروبولوجى ) عن إدراك الفروق الروحية بين الأنواع لا يسمح لنا بالاعتماد عليه فى تفضيل قوم على قوم والفروق البدنية لا تكيف الحضارة ، لأن أغلب الأنواع خليط من دماء وأجناس مختلفة قبل الحدود الأخيرة

وإنما الحضارة بجميع نتاجها المادى والأدبى أثر للحالات النفسية وغير لازمة للصفات البدنية التى تميز قوماً على قوم . وهذا مصداق للقانون القرآنى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

وتداول العلم والجهل دليل على استعداد مشترك ومتساو للخير والشر ، وهو يشير إلى وحدة الروح وتساويها ، وبعبارة أخرى وحدة القوى الذهنية أو تشابهها . وهذا يكفى لنفى امتياز عنصر على عنصر بصفات ذهنية تجعل لأحدهما رجحاناً دائماً .

ومتى وضح ذلك انهارت الدعاوى العنصرية وانهار معها مبدأ القوة كسند للحضارة . فالقول بالحق للأقوى هو قول يرجح بعض الأقوام على بعض دون سبب طبيعى ، ويبيح استبداد القادرين بالمستضعفين ، وهو أمر تأباه الحقيقة الدينية والشريعة المحمدية خصوصاً كل الإباء ، فهى قد جعلت الناس سواسية ، وجعلت الوصاية للأتقى والأبر

وقيام المدنية ودوامها رهين بالقانون القرآنى « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فما من قوم خرجوا على الدنيا برسالة العمران والعرفان إلا كانوا مهيئين لذلك بإيمان قوى وأدب قوى ودعوة قوية . وذلك الإيمان والأدب والعرف الصالح هو بارود القذيفة تدفع الأمم بقدر ما فيها من قوة واستقامة . وساعة الفصل بين التقدم والتأخر رهينة بحلول السيطرة المادية محل السيطرة الروحية ، حين تغلب شهوات الأبدان شهوات الأرواح ويتغلب الترف الذى يورث أهله الضعف عن حمل أمانات الحضارة

ولا منقذ لهذه الحضارة الحالية من وعيد الله ، إلا أن يرزق الله العالم بقوم خماص البطون يحبون الكفاح للحق كما يحب المترفون المال والمتاع ، ويرثون هذه الحضارة ويردون للدنيا ذلك العقل الضائع والإيمان القوى

ولا بد من وضع نظام جديد للعالم يجعل الوصاية على الحضارة دائماً للأتقى ، ولأجل ذلك يجب أن نتحرر من النظريات القديمة التى كانت موضوعة للعالم قبل أن يضيق نطاقه وتتقارب مسافاته

بسرعة النقل . والمدنية فى رأى ( كبلنج ) هى النقل . وعلى ذلك يكون الفرق بين عالمنا والعالم القديم هو ما بين سرعة النقل فى العالمين

ويجب أن نراعى فى وضع النظام الجديد فروق السرعة بين ما فى عالمنا وعالم الغد ، فلا نضع نظاماً جامداً بل مرناً يسمح بالتصرف فى الأزمان الآتية ، وهذا يكون بوضع نظام سلبى نمتنع فيه بتاتاً عن تسليط ما بأيدينا من قوى التدمير والتخريب وعن مضاعفة العوامل التى اضطرب لها وجودنا ، ولا أمل فى شيوخ الساسة والعامة ، بل الأمل فى القدرة العليا التى جعلت الحياة الإنسانية مرنة تتكيف بحسب الظروف . ولنؤجل النظم المثالية المجردة ولنبدأ بعمل الواجب قبل المطالبة بالحق ، ولندرب الناشئين على فهم ذلك ، لأنه هو الطريق المجرب فى الاصلاح دائماً ، ولنجعل أعمال الواجب والتضحية هى أعمال الفخر والتقدير ، ولنحول الغرائز ونتسام بها ، ولنصلح الرأسمالية بعد أن تضاعف خطرها باستخدام الآلة التى ضاعفت من مشكلة التعطل ، ولنضح بالاستعمار لنجاة الحضارة ، ولنفهم أن عالمنا واحد لا يتجزأ السلم فيه ، فيجب أن تكون له قيادة عالية مشتركة تتدرج إلى حكومة عالية . وسبيل ذلك أن نوجه النشء إلى أن تكون الحكومة العالمية هى أملهم وذلك باتخاذ تربية عالية بجوار التربية القومية وبتعويدهم الغضب للمصلحة العالمية العامة .

ويجب أن نتعهد النواة الصالحة فى « هيئة الأمم المتحدة » ونحذر اليأس ونصبر ونصابر حتى تصير هذه الهيئة محكمة حقيقية للأمم تضحى فى سبيل استمرارها وقدرتها كثيراً من حقوق السيادة عن طيب خاطر .

## فى انتشار الدعوة

فصول هذا الباب الأربعة تعتبر ملحقاً بالكتاب يبين تاريخ انتشار الإسلام منذ ظهوره ، والمقصود بهذا الباب هو دفع التهم والأوهام التاريخية فى زعم أن الإسلام انتشر بالسيف والإكراه . ولا بد من إدراك ما فى هذه الفصول كخطوة أولى فى سبيل فهم القوة الذاتية للاسلام ، تلك القوة التى تدفعه إلى الانتشار بما فيه من الحق والصلاح والاقتناع ، لا بالإكراه ولا بقوة السلاح .

وقد بين المؤلف تاريخ انتشار الإسلام فى الوثنيين وانتشاره فى الأمم المسيحية المحيطة بمهده الأول ، وانتشاره فى « الصليبيين » الذين جاءوا لمحوه ومحو أهله فسحر كثيراً منهم وجندهم له .

ثم بين تاريخ انتشاره فى الأمم الأوروبية . وفى كل هذا البيان اعتمد على المراجع الأوروبية المنصفة وعلى الأسانيد والتحليل للعوامل والظروف ، بما جلى تاريخ انتشار الإسلام بالحجة والاقناع

## ختـــام

وقد ختم الكتاب بهذه العبارة التى تناشد الروح الجديدة فى الشرق أن ينهض برسالة الإنقاذ . قال :

«وبعد» فهل يكتب لسكان الشرق من المسلمين والمسيحيين الذين تتعلق نفوسهم دائماً برحمة الله وتترقب هداه إذا اشتدت الكروب والظلمات ، أن ينهضوا مرة أخرى بميراثهم السامى الذى يقوم من عوج النزاع الفكرى والاقتصادى والعنصرى ، ويلطف من حدة المزاج الغربى ، حتى يؤمن بالأخوة الإنسانية ويعمل لخدمة السلام العام باخلاص نية وحسن توجيه ، بما مكن الله له فى الأرض !

ذلك ما نسأل الله رب العالمين أن يعجل بتهيئة أسبابه « إن الله بالناس لرءوف رحيم » .

هذا ختام الكتاب ، ولكنه بدء دعوة ستجد من يحملها بقوة وإيمان ، لأنها نداء الحياة والزمان وروح الحضارة العالمية التى اشترك فى حمل شعلتها جميع الأمم ، والحياة الحالية نبوة ! نبوة الطبيعة وقوانينها وحقائق الأشياء وبراهينها فلا تحتمل شكا أو جدلا فى قيمتها ، وإنما تحتاج إلى الفهم والإيمان والإخلاص والعمل لإنقاذ الإنسانية وإنقاذ الحضارة من فلسفات الشك والهدم والمادية الصماء .

عبد المنعم خلاف

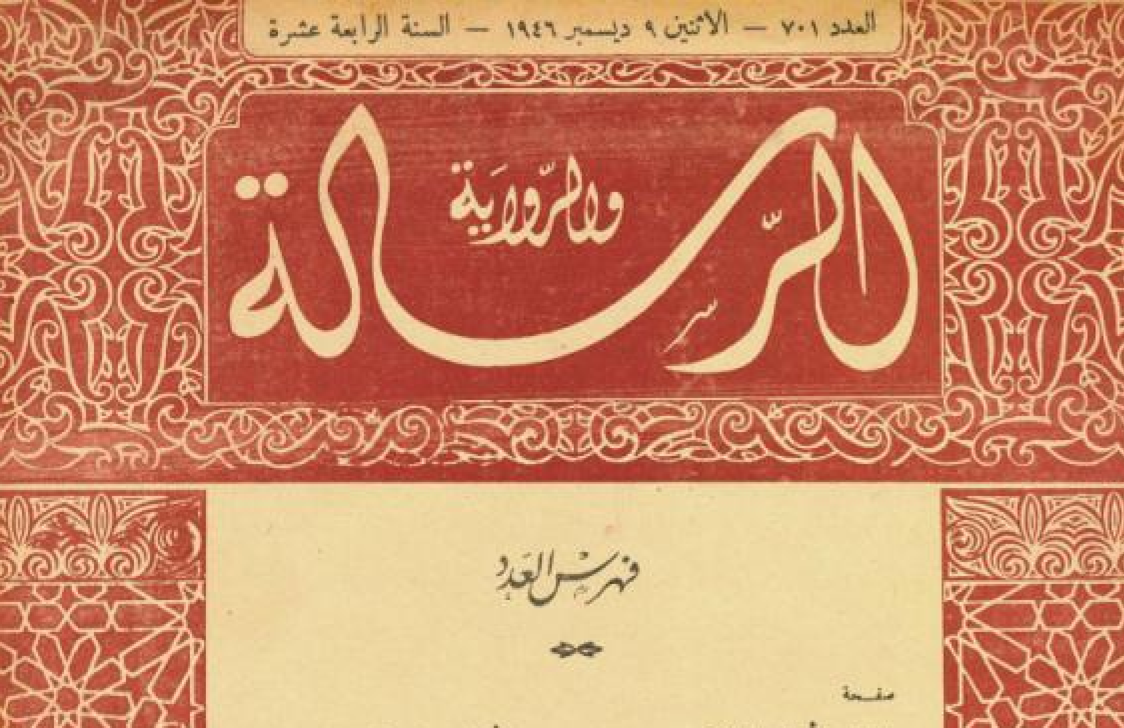
# سكك حـــديد الحكومة المصرية

## تسيير قطارات درجة أولى فاخرة على خط حلوان

يتشرف المدير العام بأعلان الجمهور أنه بمناسبة موسم الشتاء تسير قطارات فاخرة درجة أولى ما بين باب اللوق وحلوان وتقف بالمعادى فقط اعتبارا من أول ديسمبر سنة ١٩٤٦ فى المواعيد الآتية :

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| باب اللوق | ( قيام ) | ٠٨ر١٠ | ١٠ر٠٥ | ١٣ر١٠ | ١٨ر١٠ |
| المعادى | » | ٠٨ر٢٦ | ١٠ر٢١ | ١٣ر٢٦ | ١٨ر٢٦ |
| حلوان | ( وصول ) | ٠٨ر٤٠ | ١٠ر٣٥ | ١٣ر٤٠ | ١٨ر٤٠ |
| حلوان | ( قيام ) | ٠٩ر٠٠ | ١٠ر٤٥ | ١٧ر١٥ | ١٩ر٠٥ |
| المعادى | » | ٠٩ر١٥ | ١١ر٠٠ | ١٧ر٣٠ | ١٩ر٢٠ |
| باب اللوق | ( وصول ) | ٠٩ر٣٠ | ١١ر١٥ | ١٧ر٤٥ | ١٩ر٣٥ |

العدد ٧٠١ — الاثنين ٩ ديسمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



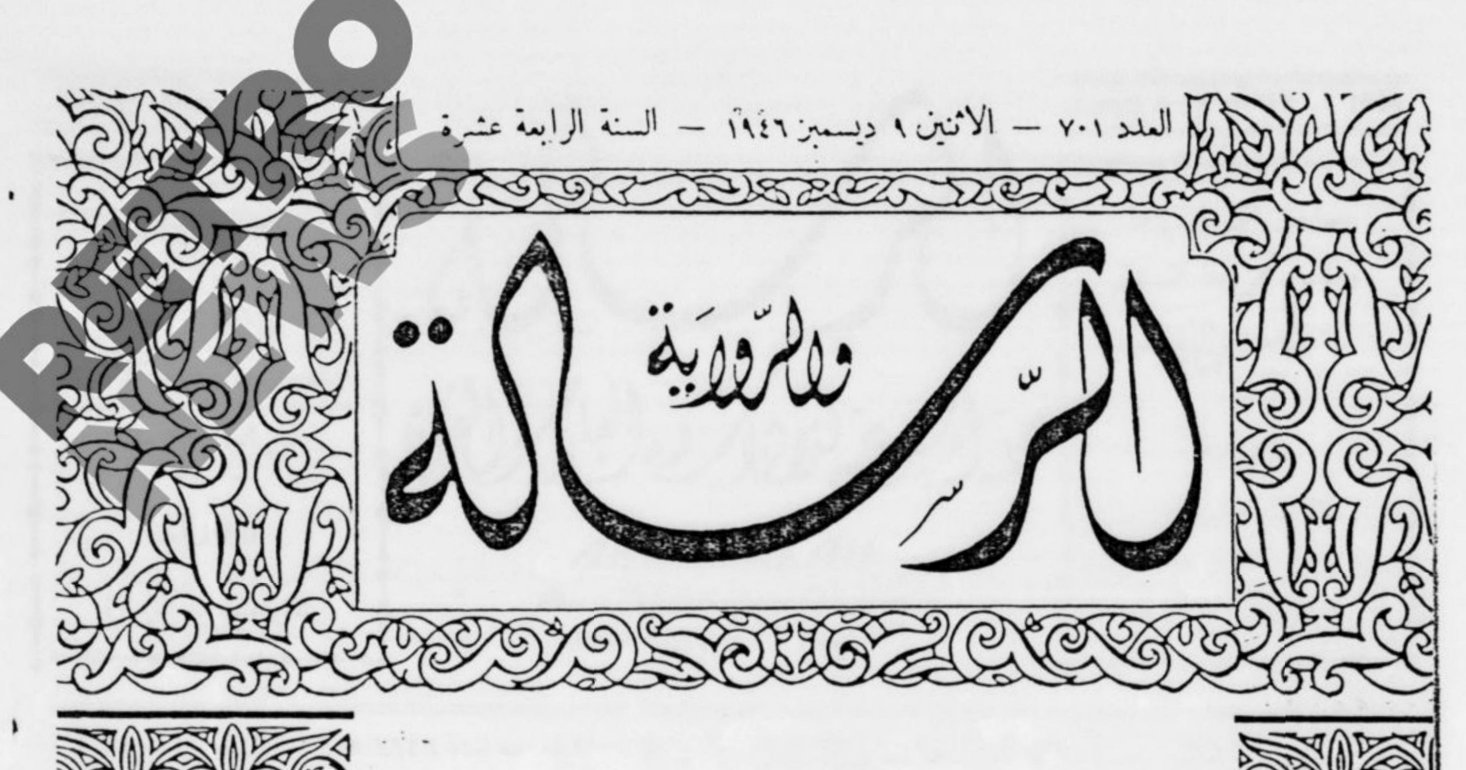

فهرس العدد

صفحة



مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٠١ — الاثنين ٩ ديسمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

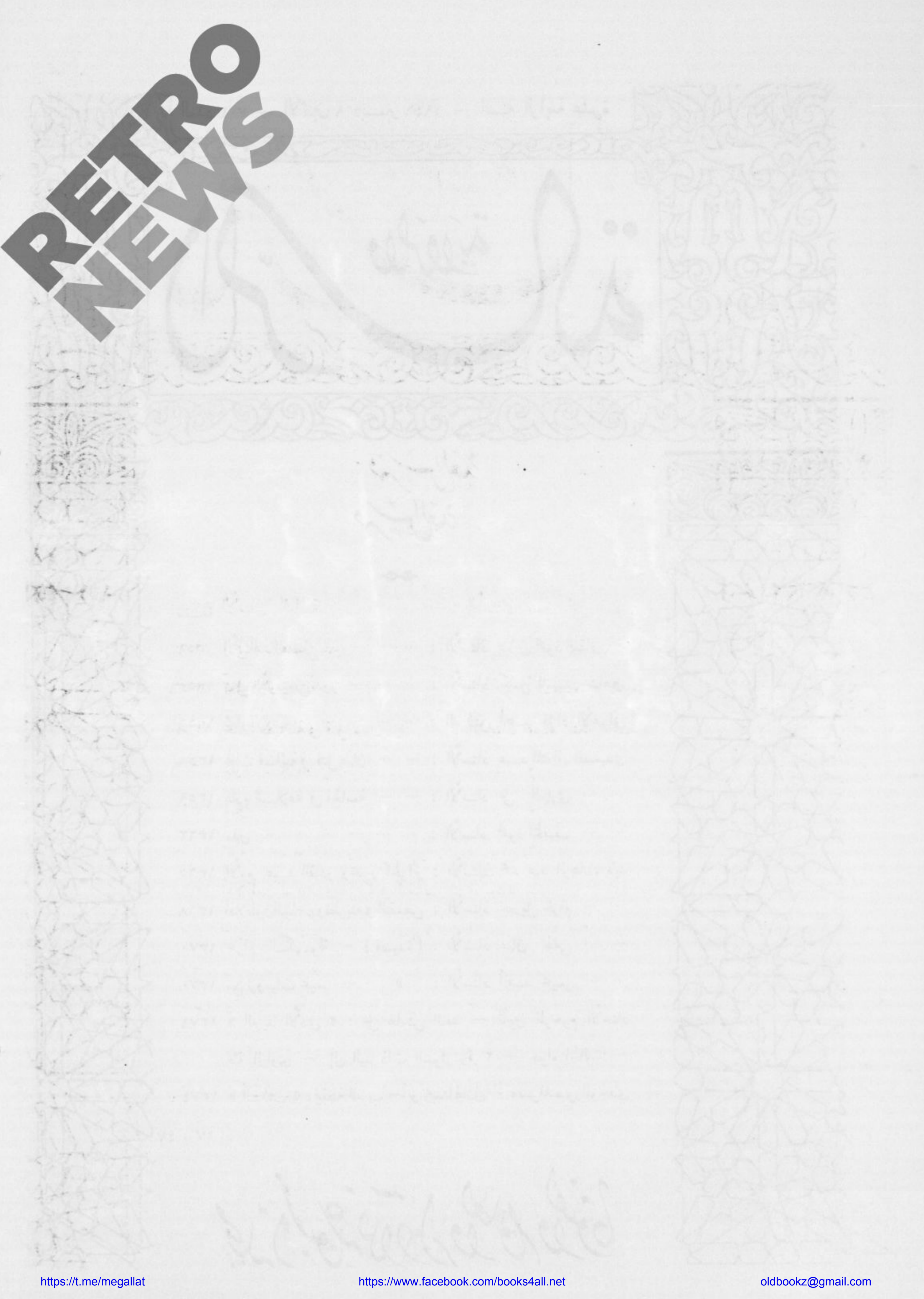


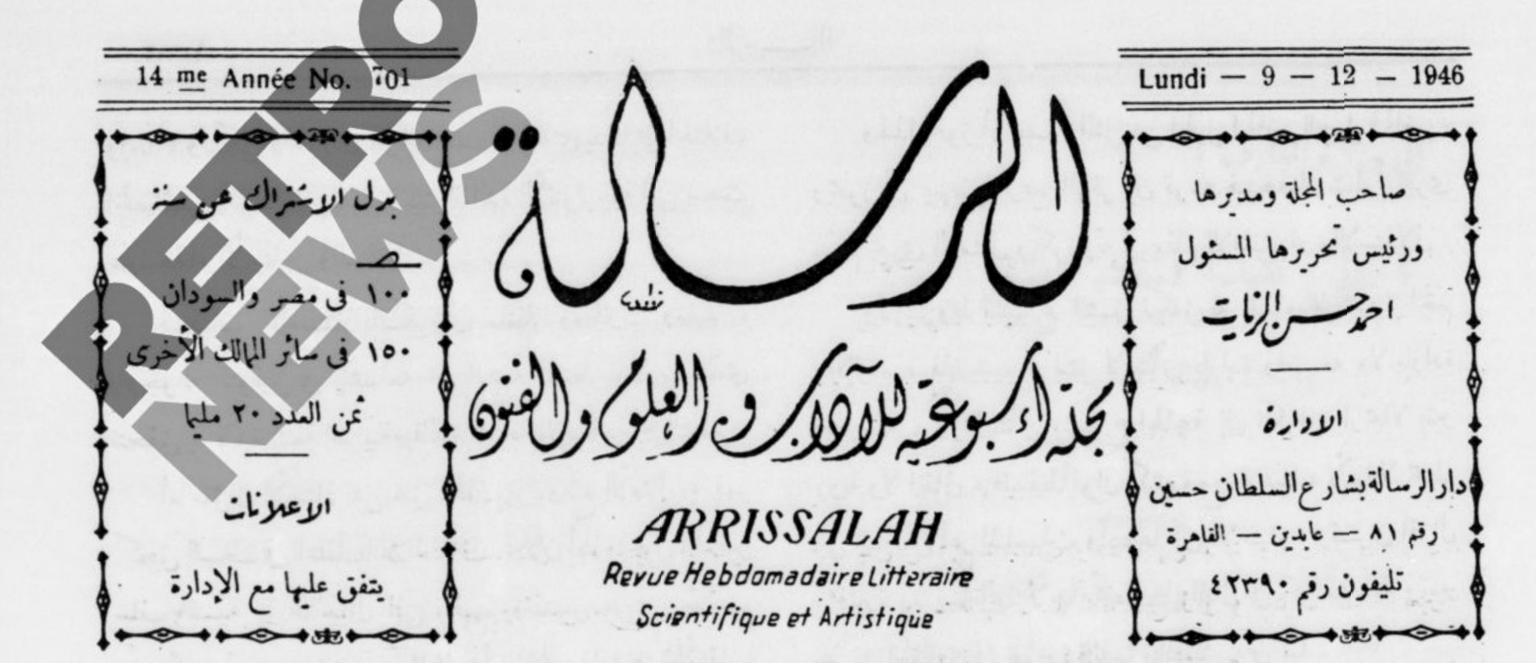

فهرس العدد



٤٧ ٥ ٢٧

مجلة الأسبوعية للآداب والعلوم والفنون




14 me Année No. 701

Lundi — 9 — 12 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٠١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ محرم سنة ١٣٦٦ — ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

# الأمثال العـــالمية

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

كتب إلى الأستاذ عبد القادر الكرمانى بحلب خطاباً ينبئنى فيه « أنه يضع كتاباً عن الأمثال العالمية بلغة الضاد ، وينقل إلى لغتنا العزيزة ما وصلت إليـه يده من أمثال الأمم الأخرى على اختلاف أجناسها وأصقاعها ، وقد أرهف نفسه للسؤال عن ناحية هامة فى المثل وهى : هل وضع الأمثال مقصور على الأسلاف فقط؟ وهل لنا معشر الخلف أن نضع أمثالا أسوة بمن سبقونا ؟ وإذا جاز وضع الأمثال لنا وضربها فى مختلف شئون الحياة فما هى الشروط التى يجب أن تتوافر فيما نود أن نتخذه مثلا ؟ وإذا كان وضع المثل محصوراً فيمن تقدمونا فلم هذا الحصر وما هو الباعث له ؟ وهل اتفقت الأمم جمعاء على السير فى منهاج واحد ؟ أم أن هناك اختلافاً بين شعوب الأرض ؟ ... »

وأقول : إن مكان هذا الـكتاب الذى يشتغل به الأستاذ الـكرمانى لا يزال ناقصاً فى اللغة العربية ؛ لأنها اللغة الوحيدة فيما نعلم بين لغات الحضارة التى خلت من كتاب جامع لأمثال الأمم أو للأمثال العـالمية على حسب موضوعاتها أو على حسب أقوامها ، وهو الموضوع الذى جمعت فيه باللغات الأوربية أسفار ضخام تجمع تلك الأمثال بترتيب أغراضها تارة وبترتيب أقوامها تارة أخرى

وأحسب أن اللغة العربية أحوج إلى هذه المجموعة من اللغات الأوربية ، لأن العرب «سلفيون» يكثرون الرجوع إلى الأمثال ، ولأن الناقلين الأوربيين يخطئون فيما ينقلونه من أمثالهم وينسبونه إلى الأمم الشرقية الأخرى لاشتراك هذه الأمم جميعاً فى الدين وفى أحكام آدابه التى تضرب بها الأمثال . ويبلغ من خطئهم فى هذا أننا رأينا آيات قرآنية وأحاديث نبوية منسوبة إلى الغرب أو إلى الهند لأنها وردت فى أقوال الحكماء والمتصوفة من أبناء الأمم الهندية أو الفارسية ، فإذا اهتم أديب عربى بجمع الأمثال العالمية فهو أحق الناس بتصحيح هذه الأخطاء وتمييز الأمثال الشرقية على حسب الأجناس واللغات . ولا شبهة فى لزوم هذا التمييز ، لأن الخلط بين أمثال العرب والفرس والهند مخالف للواقع من جهة ، ومضلل للباحث فى مقابلات الأمثال من جهة أخرى ؛ إذ لا يخفى أن مسألة الأمثال مسألة « اثنولوجية » لهـا دلالتها على أطوار الأمم وعاداتها وبواعث تفكيرها ووسائل تعبيرها . فلا يشعر الفارسى بالحقيقة الواحدة كما يشعر بها العربى فى البادية أو الحاضرة ، ولا تقع المقارنة بين الحقيقة كما يعبر عنها المثل العربى والحقيقة كما يعبر عنها المثل الفارسى إلا ظهرت من هذه المقارنة خصائص الأمتين وعادات كلتيهما فى المعيشة وأسلوبهما فى الملاحظة والتعبير ، وقد يكون للمثلين شاهد واحـد أو موضع استشهاد

واحد ، ولكن الاختلاف بين الشاهدين هو الذى يدلنا على اختلاف الخصائص والعادات ويفيدنا تلك الفائدة الأنثولوجية التى يبحث عنها علماء الأجناس والسلالات

فكتاب الأستاذ الكرمانى منتظر ومطلوب ومفيد ، ونرجو له التوفيق فى إتمامه على الوجه المنتظر المطلوب الذى تتحقق به فائدة اللغة العربية وفائدة المعرفة الإنسانية على التعميم .

أما سؤال الأستاذ عن حق الخلف فى وضع الأمثال ، فهو كحق السلف فى اعتقادنا بلا اختلاف ، لأن أبناء الجيل الحاضر سلف بالنسبة إلى الأجيال التى تعقبهم وتقتبس من حكمتهم وتجربتهم وتروى ما بقى من آثارهم وأخبارهم ، فإذا تلقى الأعقاب عنهم كلمات صالحة للرواية والاستشهاد ، ودارت هذه الكلمات دورتها على الألسنة كما دارت من قبلها كلمات آبائنا وأجدادنا ، فتلك هى الأمثال يضربها أبناء جيل لأبناء الأجيال ، وذلك هو الحق الوحيد الذى يستند إليه واضع الأمثال .

ولكننى أحسب الأستاذ يسأل عن الأمثال التى يضعها أبناء الجيل الحاضر لأبناء الجيل الحاضر ، ويرى لها موقعاً مختلفاً من موقع الأمثال الموروثة عن الأجيال الغابرة ، وله الحق فيما يراه .

فالأمثال « سلفية » فى طبيعتها ودلالتها ، وقيمة هذه الدلالة آتية من اعتقاد الناس أنها دالة على إجماع التجارب واتفاق العبر بين الغابرين والحاضرين . فإذا حدثت الحادثة اليوم وسمعنا مثلا يلخص لنا الحكم على حادثة مثلها وقعت قبل مئات السنين ونظر الناس إليها يومئذ كما ننظر إليها اليوم ، فهذه هى عبرة الأمثال ، وهذه هى دلالتها لمن يروونها ويستشهدون بها فى مواقعها ، وهذه هى قوة الإقناع التى تستفاد من تجارب السلف ويتخذها الخلف رائداً له فى حوادث الحياة .

لهذا ترجح أمثال الجيل الغابر على أمثال الجيل الحاضر ، فهى حجة القدم واتفاق التجربة دون غيرها ، وهى حجة لا تتاح لأقوال المعاصرين فى زمانهم إلا إذا طال بها العهد حتى توافت عليها العبر وتكررت عليها الشواهد وصح بها الاستدلال

لكن الثقة بالسلف ليست هى الثقة الوحيدة فى مقام الاستشهاد ، ونحن نؤكد الرأى بإسناده إلى زعيم موثوق بعقله وصدقه كما نؤكده بالإسناد إلى الآباء والأجداد .

ولهذا يجوز أن يصدر المثل من الجيل الحاضر للجيل الحاضر ، ويجوز أن ينهض الزعيم الموقر بين قومه فيتخذ له شعاراً يجرى بينهم مجرى الأمثال ويكررونه فى مقام الاستشهاد والاستدلال .

ولا شروط لشيوع المثل تكفل له البقاء على سبيل الحتم والإلزام ، فإن شيوع المثل لا يتأتى بإرادة واضعه ولا بإرادة مروجيه ، وإنما يتأتى بشيوع الحاجة إلى تكراره ارتجالا بغير روية ولا اتفاق ، فتسقط أقوال كثيرة مع بلاغتها ، لأنها لا تخطر على البال فى أعم المناسبات وأدعاها إلى الاعتبار ، وتسرى أقوال كثيرة مع بساطتها لأنها تخطر على البال فى كل مناسبة وتعبر عن « الحالة » فى نفوس قائليها والمستشهدين بها .

ولكن الملحوظ فى جميع الأمثال السارية أنها تجمع بين السهولة والبساطة ودواعى الشعور المشترك بين العديد الأكبر من جملة الطوائف والطبقات ، وإن الحكم للمصادفة فيها أقوى من الحكم للموازنة والاختيار .

وقد تنسب الكلمة إلى زعيم فتشيع لأنها نسبت إليه وهو لم يفه بها ولم يقصد بها قط ما قصده المرددون والمستشهدون ، ومن أمثلة ذلك أن عامة المصريين يقولون فى بعض المناسبات : سعد باشا قال : « مفيش فايدة .. »

وسعد باشا لم يقل هذه الكلمة فى المناسبات التى يريدونها ، وإنما قالها عدلى باشا بالإنجليزية على مسمع من سعد باشا واللورد ملنر فغضب منها سعد وأنكر أن يعدل المتكلمون عن اللغة التى كانوا يتكلمونها إلى اللغة الإنجليزية ليقولوا بها عن مناقشته ما معناه بالعامية : « مفيش فائدة »

إلا أن الكلمة كان لها شأن خطير فى السياسة المصرية ، وعرف عامة المصريين ما كان لها من الأثر فى علاقات الزعماء والعلاقات بين مصر والدولة البريطانية ، ونسوا مناسبتها ولم يذكروا إلا كلمة « مفيش فايدة » ... وإن سعد باشا قالها ونفض يديه من المحادثات الملترية فى ذلك الحين ، فسارت مثلا لأنها سجلت « حالة » من حالات زعيم كبير ، وهى حالة قابلة للتكرار فى كل يوم ، فليس أكثر من الحالات التى تنفض منها اليدان ويرفضها المرء مغضباً وهو يقول : « مفيش فايدة ! »

على أن الأجيال تختلف فى المليقة « المثلية » أو فى السليقة

**إلى وزارة المعارف :**

# وعلى هذا فنحن ندور . . .

للأستاذ كامل السيد شاهين

— ٢ —

فإذا طرّحنا النظر فى منهج التعليم الابتدائى ألفيناه مؤلفاً من : قواعد ، وإنشاء ، ومحفوظات ، وإملاء ، وخط . وبنظرة فاحصة فى كل فرع من هذه ، تنثال علينا مثالب لا نجد إلى ردها سبيلا . ولنتعقبها فرعاً فرعاً لعلنا نجد من تكشيف هذه العيوب سبيلا إلى الإصلاح ، وعوناً على العلاج

فأما القواعد ، فقد وضعت الوزارة بين أيدى تلاميذ السنة النهائية كتاباً ضاق غلافه — على سمته — بأسماء المؤلفين والمراجعين ، ومع هذا فقد خرج الكتاب غير مناسب لروح التطور التربيى ، فهو يعقد الباب بعنوان ، ثم يجرى وراء الأمثلة فيجمعها من كل طريق ، مثال من الصحراء ، وآخر من السماء ، وثالث من الحيوان ، غير مراع نسقاً خاصاً ، ولا حافل بانسجام ، ثم يناقش الأمثلة أو بعضها ويخلص إلى القاعدة

وقد كان هذا كافياً وجميلا فى وقت ما ، أما اليوم فلا كفاية فيه ولا جمال ، ذلك بأن التلميذ يتلقى القواعد تلقياً جافاً لا روح فيه فيمجُّها ويملها ، وقد درسنا ولا زال المربون يدرسون أن التربية الصحيحة تُملى أن يكون درس القواعد بسبب من الإنشاء وأن تكوّن الأمثلة مرتبطة موضوعاً ، أو شبه موضوع ، يقوم فى ذهن التلميذ ويتحيز ، ويدرك منه أن هناك رباطاً وثيقاً بين هذه وتلك ، ويفيد من ذلك ترابط المعلومات وتغذية ملكة الإنشاء وطرافة العرض ، ومن ثم فنستطيع أن نقول إن الأسلوب الذى

---

التى تنشئ الأمثال وتجريها على الأفواه

وربما كان العصر الحاضر من أقل العصور قدرة على تسيير المثل بعد إنشائه ، وأقلها قدرة على إنشائه قبل تسييره

وترجع هذه الخاصة فيه إلى سببين : أحدهما أن توقير السلف فيه ضعيف ، والآخر أنه عصر السرعة — بل العجلة — فلا يصلح من ثم لتدعيم الكلام بالشواهد والأمثال

فأما ضعف التوقير فى عصرنا لكل قديم ، فهو من لوازم الجموح الذى اقترن بالحرية « الشخصية » وخلق لكل فرد من الأفراد اعتداداً بنفسه يخرجه أحياناً عن سلطان الجماعة أو سلطان القبيلة كما عرفوه ووقروه فى الزمن القديم ، ويصرفه عن التماس الشواهد مما قاله الأقدمون ، لأنه لا يتوخى فى أعماله أن توافق آراء الأقدمين ، بل لعله يفخر أحياناً بتعمد المخالفة والشذوذ اغتراراً منه بمعنى المخالفة والشذوذ ، وهو القدرة على التحدى والاستقلال

وأما علاقة السرعة بالأمثال ، فهى ظاهرة من الفرق بين طبيعة الأحاديث التى يسترسل بها المتحدث إلى سوق الشواهد والأمثال ، وبين طبيعة الأحاديث التى يخطفها المتحدث خطفاً ولا يكاد يبدأها حتى ينتقل منها إلى موضوع منقطع عنها ، فإن الجالس فى المنظرة ليقضى البهرة كلها فى قعدة واحدة يستطرد إلى المثل تارة وإلى العبرة تارة أخرى فلا تقع عند السامع موقع الاستغراب ، بل موقع الانتظار والارتقاب

ولكنه إذا جلس فى مرقص الجازبند أو فى رحلة السيارة أو فى القهوة التى تموج بالداخلين والخارجين فآخر ما يخطر على البال أنه يسترسل بالحديث إلى سوق الشواهد وضرب الأمثال .

وتظهر علاقة السرعة بالأمثال فى معرض آخر من معارض العصر الحاضر ، وهو معرض التفرقة بين مناسبات الكلام فى محافل الوعظ والتعليم ومناسبات الكلام فى الصحف والمجالس النيابية وأحاديث المذياع وروايات المسارح والصور المتحركة . فهذه كلها تتجدد لمحة بعد لمحة ولا يأتى اللاحق منها حتى يرخى ذيول النسيان على ما سبق منذ لحظات أو منذ ساعات أو منذ أيام ، وليست معارض الحديث بالأمس على هذا المنوال ، لأنها كانت تتكرر بين الحين والحين ويتسع لها مقام التأمل والاستقرار والترديد .

ولعمرى إنه لسبب آخر من أسباب العناية بجمع الأمثال وتقريبها إلى أبناء الجيل ؛ لأن هذه العناية تستنقذ أثراً من الآثار الماضية يخشى عليه من طيات النسيان الفضفاضة ، وتلقن أبناء الجيل « حالات نفسية » قد تؤدى بهذه العجلة الخاطفة إلى شىء من التؤدة والأناة .

**عباس محمود العقاد**

اتخذه الكتاب أسلوب لا يسد الحاجة ، ولا يسير طويلا فى طريق التربية الحديثة ، ولا يساعد على تغذية وتنمية ملكة الإنشاء ، ويضرب فى الجفاف والعقم إلى حد بعيد .

فإذا ما ضربنا عن الأسلوب صفحاً ، ورحنا نبحث فى ترتيب المعلومات وتبويبها ، ألفينا الجناية الكبرى التى لا تخص مرحلة دون مرحلة ولا جيلا دون جيل — ذلك بأن القوم فى الأزهر ودار العلوم داروا حول كتاب واحد لا يحدون عنه حولاً ، هو ألفية ابن مالك ، فهم يدرسونه بشرح ابن عقيل ، ثم بأوضح المسالك ، ثم بالأشمونى ؛ ومن ثم نجد أن طابعه قد مثل فى أذهانهم وتبويبه وترتيبه قد استقر فيها ، فتجدهم لا يسيغون طريقة المفصل للزمخشرى ، ولا ينظرون فى كافية ابن الحاجب ، وأهملوا الكتب والأصول شر إهمال ، فلم يدرسوا شيئاً قط من كتاب سيبويه ، ولم يعرفوا شيئاً قط عن مقتضب المبرد ، وكانت عقبى ذلك أن اتجهوا اتجاهاً خاصاً هو اتجاه ابن مالك فى بعض كتبه ، وفاتهم بهذا الإهمال أن يوازنوا بين اتجاهه واتجاه غيره من النحاة فى الترتيب والتبويب ، فذلك عسى أن يقودهم إلى اختيار أى السبل أهدى وأقوم

وقد جنت هذه المتابعة على تلاميذنا شر جناية ، لأن الأساتذة المؤلفين لم يكلفوا أنفسهم رهقاً ، فلم يبحثوا عن طريق غير الطريق التى رسمها لهم ابن مالك ، ومن يدرى فلعلهم لا يعرفون أن هناك سبيلا آخر يصل بهم إلى هذه الغاية .

ابن مالك — ومن ورائه مؤلفونا الفضلاء — رسم كتابه على : الكلام وما يتألف منه — ثم المعرب والمبنى — ثم النكرة والمعرفة ، ثم المرفوعات فالمنصوبات فالمجرورات — ثم التوابع .

مسلك الرجل فى الكتاب مسلك من ينظر إلى الصنعة النحوية فقط ، مسلك من يهمه آخر الكلمة رُفع أو نُصب أو جُر ، ولا يهمه تناسق المعانى ، أو افتراقها ، وتنافرها أوانسجامها . حسبه أن هذا الحرف ينصِبُ فيجب أن يكون فى باب المنصوبات وأن هذا الحرف يجر ، فيجر إلى باب المخفوض ، وهلم خلطاً ومزجاً والشر فى هذا أكبر من أن يهوّن ، فالتلميذ يعرف أن « لن » تنصب ، ويعرف أن « لم » تجزم ويعرف أن « ليس » تنصب الخبر ، وأن « ما » فى النفى لا تعمل شيئاً ، وكذلك « لا » ، ولكنه إذا طُلبَ إليه نفى جملة إسمية أو فعلية ، دار بين هذه جميعها وحار ، أينفى بلن ، أم بلم ... الخ . والجناية على المعانى جد عظيمة ولا تمدلها بحال الجناية على الضبط ، فالذى يقول : لم يتفق المفاوضون ، أخف جرماً من الذى يقول لم المفاوضون متفقون ، وإذن فلا بد أن تكون المعانى مساوقة للاعراب إصبعاً إصبعا فيعقد باب للنفى تجمع فيه أدواته وتبين خواص كل أداة ، وفى ذلك من اللذة والفائدة ما فيه . ولكن طريقة ابن مالك ومتابعيه لا تعبأ بهذا ، بل ترى (لم) فى صندوق الجوازم لأنها تجزم ، و(لن) فى صندوق النواصب لأنها تنصب ، و(ليس) فى صندوق النواسخ ناصبة الخبر ، ولا تعرض لما ، لماذا ؟ لأنها مسكينة فارغة ، متصعلكة لا عمل لها فى اللفظ ، أما أثرها فى المعنى فليس للقوم على بال ، وكذلك « لا » مستضعفة فارغة فلا ذكر لها ولا وجود !

والجناية فى التوكيد مثلها فى النفى ؛ « فإن — المفعول المطلق المؤكد — ونون التوكيد — والتوكيد المعنوى » كلها مبثوثة فى الكتاب ولكنها مختصمة متفرقة أيدى سبأ ، كل منها فى باب ، فتوكيد الجملة الإسمية تجده فى الحروف النواسخ ، وتوكيد الفعل بالإسم تجده فى المفعول المطلق ، وتوكيد الفعل بالحروف تجده فى بناء المضارع وبناء الأمر ، وتوكيد الإسم بالإسم تجده فى التوابع ، فإذا رُمت أن يؤكد لك التلميذ جملة إسمية فقد رميت به فى متاهة لأنك بذكر لفظ « التوكيد » قد صرفت ذهنه كله إلى الباب المعقود للتوكيد ، وليس فيه إلا الألفاظ التوابع وهى من الضآلة فى العربية ما هى .

تلك جناية اللفتة السقيمة إلى آخر الكلمة ، تفرق ما بين اللّفق ولفقه ، وتصيب عقل الوليد بالالتواء والتشويش .

لابد أن نعقد أبواب النحو على طريقة أخرى نتوخى فيها المعانى ، فنعقد باباً للتوكيد ، وباباً للنفى ، وباباً للربط ، وباباً للطلب . أمره . ونهيه . واستفهامه . ودعائه . وتمنيه ، وهلم جرا ؛ فذلك أعود بالفائدة وأقرب إلى أن تكون الدراسة ممتعة شائقة غير جافة غثة باردة تعلق نظر الغلام بآخر الكلمة لا بمدوه .

وقد رأيت أن متابعة طريقة ابن مالك قد عادت على المؤلفين بوضع أبواب لا فائدة من دراستها فى المرحلة الابتدائية ، ذلك

بأن مَحَطّ الخطأ إنما هو الإعراب ، أما المبنى فهو بعيد عن مجال الخطأ كل البعد ، وقد جاءت الحروف مبنية ، والأفعال كذلك ، ونَصْبُ المضارع وجزمه سَهْل التدبير ، فإن أدواتهما معدودة محدودة ، ومدار الخطأ إنما هو فى معرب الأسماء التى يتلون آخرها بالضم والكسر والفتح ، والذى يتولى كِبْرَ الضلال من هذه الأحوال إنما هو الفتح ، فأما الضم فإنه يدور حول محور واحد وهو الإسناد ، فإسناد الإسم أو الإسناد إليه مقتض رفعه ، لا يخرجه عن ذلك إلا ناسخ ، وأما الجر فإنه يكون بحرف أو إضافة — فإذا حُدِّدَ الإسم المرفوع وذلك هين ، والمجرور وهو أهون ، فما بقى من اسم فهو منصوب لا يكون إلا كذلك ، فأما أنه منصوب على المفعولية أو الحالية ، فذلك مما لا يعنى مادمت أحرص على النطق السليم الصحيح ، فأنا أبيح التلميذ أن ينصب الإسم متى ظهر أنه ليس مسنداً إليه ولا مسندا ، ولا مستحقاً للجر بالإضافة أو الحرف ، وليس فى الناس من يقول إن التلميذ لا يفهم معنى « عاد التلميذ مصاباً » حتى يعرف أن مصابا حال ، فحسبه إذن أن يقول إنها فضلة . وبذلك وحده نكون قد اختصرنا ثلث النحو ، ونستطيع أن نستغل القرائح فى نواحى أخر أجدى وأعود بالفائدة . وبذلك نكون قد خففنا من هول هذا الشبح المفزع الذى يتراءى للتلميذ فى يقظته ويَرُوعه فى منامه ، وهو شبح القواعد .

ولست أزعم أننى مبدع هذا النسق من الدراسة والاختصار فقد سبق إليه الأستاذ ابراهيم مصطفى فى كتابه « إحياء النحو » ولكنه واضيعتاه لم يجر عليه فى كتب صغار التلاميذ التى هو أحدُ أحدَ عشر كوكباً رَقَّشوا غلافها بأعلامهم الكريمة !

وهنا نترك أمر التبويب والترتيب والاختصار والحشو ، إلى أمر آخر أقذى فى العين ، وأشجى للنفس ، فإن الكتاب كثيرا ما يغفل عن المقرر إلى أى حد وقف ، وعن التلميذ إلى أى مدى درس ، فيطلب منه أعراب شىء ما عرفه بعد ، فيقف التلميذ حائرا مبهوتاً دهشاً ، أو يجتازه على ضرب من الحدس والتخمين ، وما شر من ذلك إلا هذا ، فأما المعلم فإنه يبيت — من رحمته بتلميذه وإشفاقه عليه — قلق الجنبين غير مُوَسَّد !

خذ مثلا : مطالبته فى آخر تمرين على الضمائر بإعراب الجملة « إننا سَلَّمْنا على القادمين » على حين أن التلميذ لم يعرف بعد أن من الخبر ما هو جملة ، وبينه وبين معرفة ذلك مدى طويل ، فالله أنشدكم ماذا يقول المدرس ؟ وكيف يتخلص من أسئلة تصوب إليه فى حرص وقوة ؟ وكيف فات ذلك المؤلفين الستة والمراجعين السبعة ؟

وخذ مثلا آخر : مطالبته بإعراب : « أمسى القانع وهو مغتبط » آخر باب الحال ، وأمسى هنا دائرة بين التمام والجملة بعدها حال ، أو النقصان والواو زائدة كما قالوا فى « فأمسى وهو عريان » فأى البابين أفتح على التلميذ الغض ، باب تمام أمسى ، وهو لا يطيقه ، أم باب زيادة الواو ، وهو لا يسيغه ؛ على أن الواضع — عفا الله عنه — إنما قصد إلى الأول لأنه ذَيَّل بهذا المثال باب الحال . واللجوء إليه يصدم عقول الأطفال الصدمة المضللة بين الناقص والتام ، ويفتح عليهم بابا من التخليط ليس له رتاج !

وبينما تجد الكتاب فى تطبيقاته يحاور التلميذ محاورة اللغز المحاجى ، تجده يقف عند بعض الأمثلة فى بابين متباعدين لا يعدوهما ، فهو يمثل فى باب الحال ، لشبه الجملة بقوله « وزنت القطن فى غِرارة » فإذا عددت خمسة أبواب بعدها تقع فى نحو خمس عشرة ورقة ، وجدته يمثل فى باب النعت ، لشبه الجملة بقوله : « رأيت قطناً فى غرارة » يا لله ، أضاق الأفق عن كل شىء إلا عن القطن والغرارة ، يحيرهما بين باب الحال وباب النعت ؟ ولو أن الواضع أجرى موازنة بين المثالين فى البابين ، لقلنا حكمة حكيمة ، ولكن الذى اضطره إلى ذلك الكسل العقلى ، ولا نقول الإجداب العقلى ، فذلك ما لا نرضاه وصفاً للجلة الفضلاء .

وبعد : أفأنتم مصرون بَعْدُ على أن نذوق غصص هذا الكتاب وهذا المنهج ؟ إن كان ذلك فحسبكم الله على ما فرطتم فى جنب التلاميذ والأساتيذ ! ولى عودة فى نقد المطالعة والمحفوظات إذا شاء الله .

**كامل السيد شاهين**

المدرس بالمدارس الأميرية

# تجار الأدب . . .

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

لا نقصد أولئك الذين يبيعون الكتب ناشرين أو وراقين ، بل نعنى أولئك الذين يتصدون للآداب والعلوم والفنون والفلسفة فيؤلفون فيها ، ويطلعون على الجمهور بثمرة قرائحهم ، لا يخدمون بذلك أدباً ولا يفيدون علماً ، بل يطلبون ربحاً ويطمعون فى ثروة فجعلوا من الأدب تجارة ، وأنزلوا العلم منزلة السلع الرخيصة .

ومن سوء الحظ أن هذه الظاهرة صحبت الحرب الأخيرة منذ بدايتها ، إذ انقطعت أسباب الحصول على الورق ، وتسنى لهؤلاء القوم بأساليب لا تمت إلى الشرف بصلة أن يحصلوا على الورق اللازم للطبع ، ووجدوا المطابع متعطشة فدفعوا إليها بهذه الثمار الفجة ، وخرجت إلى السوق هذه الكتب العجيبة . ليس فيها أثر من جهد أو بارقة من تفكير ، وإنما هى ألفاظ مرصوصة يسود بها أصحابها صحائف الورق ، ويملأون دفتى الكتب .

وكيف تريد أن يكون الأمر غير ذلك ، وبعض هذه الطائفة يخرج فى كل شهر كتاباً ، لو أنفق فيه عالم يمتاز بالضمير ويتصف بالتثبت أعواماً لوجد أنه فى حاجة إلى مزيد من الأعوام .

سئل أحد الناشرين : كيف تطبع لفلان ؟ فقال : « إن الجمهور يقبل عليها كما يقبل على الفول السودانى » وهو تشبيه يقصد به إلى المدح والذم على السواء . ولعله كان يرمى إلى التحقير فما عهدنا أن الكتب توصف بالتشبيهات المادية القليلة الشأن .

ولقد مضى زمن الحرب الذى انقلبت فيه الأوضاع ، فعادت سوق الأدب إلى سابق حريتها ، ووجد الفضلاء سبيلهم إلى المطابع بالطرق الكريمة التى لا تنافى الذوق أو الشرف ، فانكشف أمر أولئك القوم وباءت كتبهم بالخسران ، وزحمت رفوف الوراقين وأكبر الظن أن مصيرها سوف يكون إلى باعة « الفول السودانى » يلفون فيها بضاعتهم فى « القراطيس » .

ولعلك تعجب معى وتسأل عن السر فى بضاعة القوم كيف يتسنى لهم التأليف فى كل شهر ، وهل اتسعت مداركهم ، وسمت عقولهم ، وارتقى تفكيرهم إلى الحد الذى يسمح لهم بتسويد صحائف كتاب جديد كلما طلع الهلال الجديد .

إنهم يفعلون أحد أمرين : الأول السطو على بعض الكتب الأجنبية ، ثم نقل فكرتها نقلاً خاطئاً ، ثم ينسبون الكتاب إلى أنفسهم زوراً وبهتاناً . وهذه المسألة تعرف بالسرقة الأدبية . وهؤلاء هم لصوص الأدب . يريدون أن يقول الناس عنهم إنهم من كبار المؤلفين الذين يُرْجع إليهم ، وهى نزعة تخلو من الأمانة على كلا الحالين ، فهم غير أمناء فى نسبة موضوع إلى أنفسهم وحقيقته لغيرهم ، وغير أمناء فى نقل الفكر ، ولو كانوا قادرين على النقل وحسن التعريب لأعلنوا ذلك .

والأمر الثانى أن يتجهوا إلى الترجمة الصريحة ، وقد زادت هذه الحركة فى الأيام الأخيرة ولكننا نرى المتصدين لها ، أو أغلبهم ، لا يحسنون التصرف ولا يجيدون التعريب ، لقلة خبرتهم ، ونقص علمهم بالموضوع ، وعجزهم فى كلتا اللغتين الأجنبية التى ينقلون عنها ، والعربية التى ينقلون إليها .

ولكنه بريق الكسب يستهوى هؤلاء وأولئك فيدفعهم إلى التسرع ، والسرعة كما قال الزيات فى مطلع كتابه « دفاع عن البلاغة » إحدى آفاتها . وهى لعمرى إن كانت مزية الحضارة الحديثة فهى آفة الإنتاج الجيد فى كل شىء ، مادياً كان أم معنوياً ، وهى فى الآثار العلمية والأدبية أخطر .

كنا فى صدر الشباب نحضر العلم فى الجامعة المصرية على أستاذنا الدكتور منصور فهمى ، ومن أقواله المأثورة التى لا يزال طلابه يحفظونها عنه ويروونها فى المناسبات « اطلبوا العلم للعلم » وكان بعضنا يتحدث إليه فى وجوب السعى لدى أولى الأمر فى الحكومة ليفسحوا المجال للخريجين فى الجامعة والحاصلين على إجازة كلية الآداب فى وظائف الدولة ، فكان يرد عليهم بقولته المأثورة « اطلبوا العلم للعلم » . وما كنا فى ذلك الوقت نحسن تفسير هذا الكلام أو نفهم مراميه البعيدة . هل يطلب العلم للعلم وهل يفضل أحدنا العلم على المال ؟ وهل يغنى العلم وحده فى سد مطالب الحياة ؟ .

لا نقول إن العلم سبيل الحصول على المال ، ولو عكسنا القضية لصح المقال ، إذ الواقع من التاريخ أن المال كان غذاء العلم ، ولقد

عاش العلماء فى قديم الزمان على بذل الملوك والأمراء والأغنياء وما كانوا ينفقونه عن سعة فى سبيل العلم ، وأوقاف الأغنياء المحبوسة على مصلحة العلم والعلماء خير شاهد على ذلك . وكان العلماء من جهتهم زاهدين لا يحفلون بملبس أو مشرب أو مأكل لأن همهم كله منصرف إلى طلب العلم ولذتهم فى تحصيله . وكانت أيديهم تزخر فى بعض الأحيان بالمال فينفقونه فى أوجه الخير والبر .

الخلاف إذن فى الغاية ، هل العلم غاية فى ذاته تطلب لذاتها أم وسيلة لغاية أخرى هى المال ؟

ولا مراء فى أن التضحية بالعلم والأدب فى سبيل الأهداف المادية هو الإنحطاط والإسفاف ، ومَن كانت غايته الثروة فليطلبها فى تجارة السلع المختلفة فهى أكثر للمال إدراراً . ولقد حكى أرسطو فى كتاب السياسة أن أحد فلاسفة اليونان الأقدمين عيّره القوم بقلة ذات اليد والانصراف عن الدنيا ، فاعتزم فى نفسه أمراً ، فذهب فى الشتاء إلى أصحاب المعاصر واستأجرها منهم بأجر زهيد ، فقالوا : هذا مجنون ماذا يفعل بالمعاصر فى هذا الوقت وليس لها عمل ؟ فلما جاء الصيف ، وأراد الزراع عصر العنب لاستخراج النبيذ ، طلب منهم أجرة مضاعفة ، ولم يسعهم إلا الدفع لأنه كان قد احتكر جميع المعاصر . وأرى من هذا الأمر ثروة كبيرة ، فأثبت للقوم أن الفلاسفة لو أرادوا المال لحصلوا عليه ، ولكن بغير طريق الفلسفة !

والسؤال الآن : هل نترك هذه الطائفة أحراراً فى أعمالهم يسيئون إلى العلم والأدب ، ويفسدون الذوق ، ويُشيعون الخطأ ، ويذيعون الباطل ، أم يوكل أمر الكتب إلى هيئة تميز بين الغث والسمين والصحيح والفاسد فلا تجيز إلا الصالح ؟

يقول قوم نحن فى عصر الديمقراطية وأساسها الحرية وعلى الخصوص حرية الرأى والفكر ، فكيف تريد أن تحد من هذه الحرية التى ناضلت البشرية فى سبيلها أجيالاً طويلة ؟ إنكم لو فعلتم ذلك ، لرددتم الإنسانية إلى أظلم عصورها وأحلك أزمنتها ، يوم كان عقاب الأحرار أن تحرق كتبهم ويلقى أصحابها فى غياهب السجون .

والقياس هنا مع الفارق ، لأن فلاسفة القرون الوسطى كانوا يطلعون على الناس بثمرة أفكار جديدة ينتقدون فيها الآراء الشائعة من قديم الزمان ، أما مؤلفو مصر فى هذا الزمان ، فإنهم لا يفكرون تفكيراً جديداً ، ولا ينتقدون قديماً ، ولا يتقدون كشوفاً حديثة ، بل ينسخون كتب غيرهم ويغيرون عليها .

مهما يكن من شىء ، فأنا من أنصار الديمقراطية والحرية ، ولا أحب أن أحجر على فكر الناس ، ولا على الطريقة التى يذيعون بها أفكارهم ، ولكن من واجب الناقدين أن يبصروا الجمهور بحقيقة ما يظهر من تآليف ، وقد كثر عندنا المتعلمون الذين يحسنون تقدير المؤلفين ... فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

**أحمد فؤاد الأهوانى**

---

# لمحات قضائية
## فى قتل عثمان

للاستاذ عبد المتعال الصعيدى

هذه لمحات جديدة فى قتل عثمان من ناحيته القضائية ، تضع الحق فى نصابه ، وتبين هل كان فى قتله قصاص أولا ، وهل سلك الطالبون بدمه الطريق المشروع له أولا ، كما تبين كيف سكتوا عن ذلك بعد أن صار أمر المسلمين بيدهم .

فأما عن الأمر الأول فإن الثائرين على عثمان رأوا أن يأخذوه غيلة بعد أن طال حصارهم له ، فتسوّروا داره من دار مجاورة لها ، ونزل عليه جماعة منهم فيهم محمد بن أبى بكر ، ولم يكن عنده إلا زوجه نائلة بنت الفرافِصة ، لأن أهله ومواليه كانوا يشتغلون بالدفاع عنه أمام باب داره ، فدخل عليه محمد بن أبى بكر فأخذ بلحيته ، فقال له : يا محمد ! والله لو رآك أبوك لساءه مكانك . فتراخت يد محمد حين سمع هذا من عثمان ، وخرج عنه ولم يفعل به شيئاً ، فلما خرج دخل عليه رجلان من الذين تسوّروا داره فقتلاه ثم خرجا .

فصعدت زوجه نائلة بعد خروجهما وصرخت : قتل أمير المؤمنين . فدخل من كان يدافع عنه فوجدوه قد فاضت نفسه ، ولم يمكنهم أن يسألوه عمن قتله .

فانحصر شهود قتله فى زوجه نائلة ، وقد قام على بن أبى طالب بالتحقيق فى ذلك عقب وقوعه ، فذهب إلى نائلة وقال لها : من قتله وأنتِ كنت معه ؟ فقالت : دخل إليه رجلان ، وقصت خبر محمد بن أبى بكر .

فأحضر على محمداً وسأله عن ذلك ، فلم ينكر محمد ما قالت نائلة ، وقال : والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله ، فلما خاطبنى بما قال خرجت ، ولا أعلم بتخلف الرجلين عنى ، والله ما كان لى فى قتله سبب ، ولقد قتل وأنا لا أعلم قتله .

وقد انتهى تحقيق على فى قتل عثمان بذلك ، فلم تعرف فيه نائلة ممن دخل على عثمان إلا محمد بن أبى بكر ، ولكنها لم تشهد بأنها رأته يقتله ، بل ظاهر شهادتها أن قتله كان بيد ذينك الرجلين اللذين لم تعرفهما ، وحينئذ يكون قاتله مجهولا ، وإذا كان قاتله مجهولا فإنه لا يكون فى قتله قصاص ، بل يكون نصيب قضيته أن تحفظ إلى أن يظهر قاتله ، كما يفعل الآن فى كل جناية لا يوجد شهود لها ، ولا يصح أن يؤخذ محمد بن أبى بكر فيها بشىء ، لأنه عزم ولم يفعل ، والعزم لا يؤاخذ عليه فى الشريعة الإسلامية ولا فى غيرها من الشرائع .

وأما عن الأمر الثانى فإنه لما بويع على بالخلافة طالبه طلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام ومعاوية بن أبى سفيان وعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم بدم عثمان ، ولكنهم لم يطلبوا ذلك بالطرق السلمية المشروعة فى القضايا ، بل ذهب طلحة والزبير فى عدة من الصحابة إلى على فقالوا له : يا على ، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود ، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا فى دم هذا الرجل ، وأحلُّوا بأنفسهم .

فقال لهم على : يا إخوتاه ، إنى لست أجهل ما تعلمون ، ولكنى كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت إليهم أعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شىء مما تريدون ؟

قالوا : لا

فقال لهم : إن الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور : فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا ، حتى يهدأ الناس ، وتقع القلوب مواقعها ، وتؤخذ الحقوق ، فاهدءوا عنى ، وانظروا ماذا يأتيكم ؟ ثم عودوا .

ولا شك أنها كانت فتنة جامحة ، وقد اشترك فيها ألوف من الناس ، فلا بد من التريث فى أمرها كما رأى على ، ولا سيما أنه لم يعلم من قام منهم بقتل عثمان ، حتى يتعين فيه القصاص ، ويؤخذ دمه بدمه ، ثم يحكم على من عداه بقدر تبعته فى تلك الفتنة ، وقد كانوا من الكثرة بحيث يجهل أكثرهم ، ولا يمكن تمييزهم إلا بعد مضى زمن يكفى لتمييزهم .

**ولكن هذا لم يرض طلحة ولا الزبير ولا معاوية ولا عائشة، فنادوا بالحرب ، وانتقل الأمر بذلك من قضية يجب أن تؤخذ**

بالسلم كما تؤخذ سائر القضايا إلى حرب مفاسدها أكثر مما يرونه مفسدة ، فقابلهم على حرباً بحرب ، وجرى الأمر بينهم فى ذلك إلى أن قتل طلحة والزبير وعلى ، وآل أمر المسلمين بعدهم إلى معاوية .

وأما عن الأمر الثالث ، فإن معاوية لما آل الأمر إليه لم يعد النظر فى قضية عثمان ، ولا شك أنه وجد نفسه أمام جناية قتل لا يعلم القاتل فيها بيقين ، فلا يمكنه أن يأخذ أحداً فيها بقصاص ، كما وجد نفسه أمام كلمة قد اجتمعت ، وأرادت أن تنسى الماضى بما له وما عليه ، لتأسو الجروح ، وتقضى على الفتن ، فيجتمع الشمل ، ويعود المسلمون إخواناً ، ويتمموا ما بدأ به السلف الصالح من الفتوح ، ويعملوا متعاونين على إعلاء كلمة الإسلام .

فلم يجد معاوية مع هذا إلا أن يترك أيضاً أمر النظر فيمن اشترك فى تلك الفتنة ، حرصاً على جمع الكلمة ، ونزل فى ذلك على مثل ما نزل عليه على ، رضى الله عنهم جميعاً .

**عبد المتعال الصعيدى**

# علوم البلاغة فى الجامعة

للأستاذ على العمارى

— ٥ —

يعيب علينا بعض الكاتبين أننا نستأنس بما كتبه المتقدمون فى مقالاتنا هذه التى ننقد بها بعض آراء الجامعة فى البلاغة ، ويزعمون أن المتقدمين كانوا أصحاب أذواق مريضة ، ومن العجب أن حجة الكاتب على ما يكتب هو ما ينقله عن بعض كتابنا المحدثين ، أفيحرم علينا أن نستضىء بإمام البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجانى ، ويحل له أن يتكئ على ما يقوله بعض المحدثين ؟ ليفتنا هؤلاء العلماء الاعلام الذين وجدوا فى أدب عبد القاهر وبلاغته غذاءهم وريهم ، وإذا أنكر منكر على هذا الامام شيئاً فلن يكون هذا الشىء ذوقه . يعرف ذلك العالمون المنصفون ، ثم أنى كنت اعتزمت أن أرد على هذا الذى يجادلنى على صفحات « الرسالة » ، ولم أجد سبيلا أهدى إلى الحق من أن أحتكم إلى عقول قراء « الرسالة » وكثيرون منهم يفهمون هذه المسائل على وجوهها الصحيحة ، وهى بين أيديهم .

وعجيب أن نعيب على المتقدمين جهودهم فى خدمة علوم البلاغة ونحن لم نفعل شيئاً ، لقد ظل علماء البلاغة منذ القرن الثانى للهجرة إلى أوائل القرن السابع وهم يُنشّئون هذه العلوم وينمونها ، حتى اكتملت قواعدها على يد أبى يعقوب يوسف السكاكى ، فلما جاء من بعدهم من العلماء وقف بهم الاجتهاد ، ولكنهم جاهدوا وجهدوا ، وخدموا هذه العلوم بما لا نرى موضعاً لتفصيله الآن ، فماذا صنعنا نحن ؟ ملأنا أذهان التلاميذ ، وغرف الدراسة بالعيب على المتقدمين والنيل منهم ، والطعن فى كفاياتهم ، ولكن من غير أن نبنى قاعدة ، أو نهدم على بصيرة ونصفة قاعدة ، وإنى لأرى خير ما يتمثل به فى هذا الموضع المثل العربى : « أسمع جعجعة ولا أرى طِحناً » .

وقد سمعت أن فضيلة الأستاذ الشيخ أمين الخولى يريد أن يرد على مقالاتنا هذه التى يسميها « حركة الرسالة » بكتاب فى البلاغة يخرجه للناس ؛ وإنا منتظرون بفارغ الصبر هذا الكتاب انتظار المتعطش إلى التجديد فى هذه العلوم ، وقد نكون أول من يرفع الصوت فى امتداحه إذا وجدنا فيه ما يبعدون به ، ولعله لا يكون صورة لهذه الرسائل الصغيرة التى أخرجها الشيخ ونقدنا بعضها ، ثم نعود إلى مناقشته فى بعض مسائل القصر إتماما لما كنا بدأنا به .

٢ — لا يرتضى تعريف العلماء لقصر الاضافى فيطالعنا هو بتعريف آخر دعاه اليه — فيما نظن — رغبته فى أن يربط علوم البلاغة بعلم النفس وهو نوع من التجديد ، ووجد أنسب ما يلصقه بالقصر الاضافى هذا الذى يسميه علماء النفس « تداعى المعانى » فما يمنع أن يكون القصر الاضافى نظر فيه إلى هذه الفكرة النفيسة ؟ والذى حفظناه عن مشايخنا وقرأناه فى كتب العلماء أن القصر الإضافى يكون حين تتمثل صفتان فى ذهن ، فقد يعتقد اجتماعهما فى موصوف وأنت تريد أن تبين له خطأ هذا الاعتقاد فيكون قصر الافراد ، وقد يعتقد ثبوت احداهما دون الأخرى وأنت تريد أن تعكس عليه اعتقاده فيكون قصر القلب ؛ وقد يحار فى أمر الصفتين فاذا أثبت له إحداهما ونفيت الأخرى كان قصر التعيين ؛ فمدار القصر الاضافى اذن على صفتين أو

أكثر فى ذهن المخاطب وأمام بصيرته ، وله فيهما اعتقاد ، لكن الشيخ يقول : « وأساس القصر الاضافى مايقرره النفسيون ، ويسمونه تداعى المعانى ، أى أن المعانى يرتبط بعضها ببعض بطريقة الضدية أو المناقضة أو المنافاة أو التلازم أو التكامل . والقصر الاضافى فى الكلام قائم على إفراد معنى من المعانى لا على أنه لايوجد سواه فى الموصوف ، ولكن على أساس أن تبعد سواه هذا عن تفكير المخاطب ، أى أن هذا النوع حاجز بين الصفة التى تريد إثباتها للمتحدث عنه وبين ما يمكن أن يقفز إلى ذهنه من الصفات عند ذكر هذه الصفة ، فمثلا تقول ما نريد إلا رياضى ، فعند ذكر كلمة رياضى يحدث تداع فى المعانى فتجول فى الذهن صفات أخرى نحو مهندس . فلكى . موسيقى . مخترع . أديب ولكن إذا قصرت وأتيت بالأسلوب على هذا النحو فقد أبعدت كل هذه الوجوه » وهذا كلام واضح وصريح فى أن المقصود من القصر هو إبعاد ماعسى أن يجول بذهن المخاطب من الصفات التى تتصل بهذه الصفة المثبتة ، وكأنه ليس عند المخاطب صفة ينكرها وأخرى يثبتها ، وينبنى على هذا ـ ولا شك ـ فساد هذا التقسيم الذى ذكره العلماء للقصر الاضافى . وقبل أن نرد على الشيخ نحب أن نذكر له وإن يعيب علينا استدلالنا بكلام المتقدمين ، أن الشيخ عبد القاهر رحمه الله ، تنبه لهذه الفكرة ، ولكنه لم يكن يعرف تداعى المعانى أو تناديها فلم يملأ الجو صياحا وعجيجا ، بل مر يذكر المسألة فى بساطة وسهولة فقال فى كتابه دلائل الاعجاز «واعلم أن قولنا فى الخبر إذا أخر نحو ما زيد الا قائم » أنك اختصصت القيام من بين الاوصاف التى يتوهم كون زيد عليها ونفيت ماعدا القيام عنه ، فانما نعنى أنك نفيت عنه الأوصاف التى تنافى القيام نحو أن يكون جالساً أو مضطجعا أو متكئا أو ما شاكل ذلك ، ولم نرد أنك نفيت ماليس من القيام بسبيل إذ لسنا ننفى عنه بقولنا : ماهو إلا قائم أن يكون أسود أو أبيض أو طويلا أو قصيراً أو عالما أو جاهلا ، كما أنا إذا قلنا : ماقائم إلا زيد لم نرد أنه ليس فى الدنيا قائم سواه ، وإنما نعنى ماقائم حيث نحن وبحضرتنا وما أشبه ذلك » ونلاحظ أن الشيخ عبد القاهر كان دقيقا كل الدقة فلم يقل إن هذا فى القصر الاضافى ، وانما ساقه على أنه فكرة عامة فى القصر ، وأمثلته صالحة لأن تكون قصرا حقيقيا تحقيقيا أو ادعائيا ، وأن تكون للقصر الاضافى ولكن بشرط أن يعين المخاطب فى ذهنه المثبت والمنفى . ثم نرد على الأستاذ فنقول له : ارجع إلى شواهد القصر الاضافى فسترشدك إلى أن النزاع يكون فى شيئين ماثلين فى ذهن المخاطب ، ولنسق نحن جملة من الشواهد الفصيحة يقول الله تعالى : إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر . وما أنت بمسمع من فى القبور إن أنت إلا نذير . ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم . أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا . لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون . ويقول صلى الله عليه وسلم : ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد هو الذى يملك نفسه عند الغضب . إنما أنا قاسم والله يعطى . وهكذا إذا تتبعنا الأمثلة التى صرح فيها بالمثبت والمنفى وجدنا أن كليهما معلوم للمخاطب وله فيه نظرة ، فاذا كان المنفى عاما لم يكن هذا من القصر الاضافى ، ولذلك يقول بعض العلماء إن قول الغطمَّش الضبى :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

من القصر الحقيقى ، ولست ــ والله ــ أدرى من أين جاء للشيخ أن الغرض من القصر الاضافى أن نحول بين ذهن السامع وبين صفات أخر تتوارد عليه لها بهذه الصفة المثبتة صلة ورباط ؟ !

٣ ــ وقد انتهى العلماء منذ زمن بعيد من تقسيم القصر الاضافى ، ووقفوا عند قصر الافراد والقلب والتعيين باعتبار حال المخاطب فى اعتقاد الشركة أو العكس أو التردد ، ولكن الأستاذ يتنبه إلى أن القسمة العقلية كانت تقتضى قسما رابعاً وذلك فى حال ما إذا كان المخاطب خالى الذهن ، وينعى على العلماء اهمالهم هذا القسم الرابع يقول « وعلى ذلك يتضح لنا أن اغفال الحالة الرابعة وهى حالة خلو الذهن فى باب القصر غير مبنى على نظر صحيح » . « فمثلا يجوز لك أن تقول لخالى الذهن عاما : لا اله إلا الله اعتمادا على ما يقدرونه فى علم النفس من أن الخطأ الأول يصعب إصلاحه ، والصورة الأولى يعسر محوها » .

« أما نحن فنقول لهم إن أسلوبكم يقتضى أن ترددوا مواقف المخاطب بين هذه الأحوال الأربعة فلم أغفلتم الحالة الرابعة ؟ » والذى نؤكده أن تقسيم العلماء مبنى على نظر صحيح ، وأنه لاحالة

رابعة هناك حتى نتهمهم بأنهم أغفلوها ، وأدنى نظر فى طبيعة القصر الاضافى يرشدنا إلى ذلك فلا يدفعه أن يكون المخاطب عارفا بالمثبت والمنفى فأنت تقول له : شوقى شاعر لا كاتب إذا كان يعلم هاتين الصفتين فى شوقى فيثبتهما معا أو ينفى احداهما أو يتردد فيهما ، أما إذا قلت له هذا القول وهو يجهل كل الجهل شاعرية شوقى وكتابته كان كلامك خلفاً من القول ، وبعيدا عن اعتبار البلغاء ، فاذا أردت أن تلاحظ هذه العلة النفسية ، وأن تؤكد له من بادىء الأمر رجعنا إلى جهة أخرى وهى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر ، ويقال حينئذ إن المتكلم نزل المخاطب الخالى الذهن منزلة المنكر أو المتردد أو العاكس ويرجع الأمر إلى قسم من هذه الأقسام الثلاثة ، والعلماء إنما يذكرون القاسم الأصلية ، أما الأمور المنزلة فيرجعونها إلى مشابهاتها ، ومعروف ذلك عند من درس فهم يجعلون أضرب الخبر ثلاثة ، ثم ينزلون المنكر منزلة غير المنكر ، وينزلون غير المنكر منزلة المنكر ، وهكذا . ولا يحق لنا أن نقول إن هذه أضرب أخرى للخبر ، على أن المثال الذى ذكره الأستاذ ( لا اله الا الله ) لخالى الذهن لا يصح مطلقاً أن نجعله من القصر الاضافى ، وانما القصر فيه حقيقى تحقيقى ، وهذه الأقسام الثلاثة كما هو معروف لاتتأتى فى القصر الحقيقى .

٤ — وهذا بحث جديد يريد أن يطالعنا به أستاذ الجامعة . العلماء قصروا فى أغراض القصر ، وحصروها فى النفى والاثبات وهو أمر يجب أن نؤاخذهم به « والذى نأخذه على صاحب الايضاح ومن لف لفه من البلاغيين أن شعورهم كان يجب أن يتسع حتى يشمل ماوراء القصر بانها من أنواع القصر ، فكان يجب أن يوسعوا حسهم اكثر من ذلك فليس القصر للاثبات والنفى بل هو للتضييق والتحديد » . « فلعله ثبت مما قلناه إن للقصر مرامى أخرى وراء المعنى النحوى أهملها البلاغيون » وهذه الأغراض التى ذكرها ومثل لها هى غرضان : التوهين ومثل له بقوله تعالى « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » والتأنيب ومثل له بقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام « ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم » قال : إذا نظرنا إلى قوله تعالى : ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً . وجدنا أن التعبير بكلمة رسول عنصر أساسى فى المعنى قصد به التوهين من شأن الرسول فى هذا المقام . محمد ده يطلع إيه ؟ مرسال زى بقية المراسيل ييجى ويروح . القصر هنا واضح فى أن المقصود به التوهين من أثر الرسول فى الدين ولذلك جاءت تسميته هنا برسول ولو قال نذير . هاد . سراج . لقطع الطريق على هذا الغرض » وقال : « ماقلت لهم . . الآية . هذا التأنيب المؤلم مستفاد من وراء الألفاظ ، وهو هنا المرمى البلاغى للقصر ويدل عليه » وقبل أن نرد على هذا الكلام المتداعى نذكر ماقاله العلماء فى أغراض القصر حتى ننفى عنهم تهمة أنهم ضيقوا حسهم أو قصروا . قالوا من دواعى القصر (١) داعى القصر الحقيقى التحقيقى بيان الواقع (٢) داعى القصر الادعائى المبالغة وعدم الاكتراث بما عدا المقصور عليه (٣) الرد على المخاطب فى قصر القلب وقصر الأفراد (٤) تعيين المبهم عند المخاطب فى قصر التعيين (٥) قد يقصد من القصر مجاراة الخصم (٦) التنبيه على أمر هو مقتضى الكلام والغرض منه وجعل القصر وسيلة اليه وذلك كثير فى انما (٧) تنزيل غير المنكر منزلة المنكر لاعتبار مناسب فيخاطب باسلوب القصر [1] .

أما ردنا على ما ذكره من أغراض فواضح أنه ليس القصد فى الآيات الاولى الحط من مقام الرسالة فى الدين ، وهل يريد الله سبحانه وتعالى أن يقول إن محمدا ليس شيئاً ؟ ! لا . ياشيخ ! المسألة أن الله يقول لهم : لامعنى لتعلق الدين بمحمد فان الرسل قبله ماتوا وسيموت هو مثلهم ولا ينتهى الدين الذى يدعون اليه بانتهائهم لأن مهمتهم الرسالة والتبليغ ، والرسالة ولو أنها أمر له قيمته وخطره لكن لايجب أن يتعلق ايمان الناس بمدة حياة صاحبها فهو انما يدعو الى الله . ولعل مما يدل على ذلك أن العرب لم يفهموا أن القصد التوهين من شأن الرسالة ، وهذا أبو بكر يستشهد بها يوم وفاة الرسول ، فهل كان يريد أن يقول لهم : إن محمدا ليس شيئاً فى الدين ؟ مانظن ذلك ولا نرضى لمسلم أن يظنه . وأما التأنيب فى الآية الثانية فليس مستفاداً من القصر وإنما هو مستفاد من السياق . استفهام تعجبى ، واتخاذ آلهة من دون الله ، وهو صادر عن النبى ، وهو المدعى عليه أنه دعاهم

---

(١) مذكرات الشيخ سليمان نوار ص ١٨٨

**الأدب فى سير أعلامه :**

# ملـــتن ...

للاســـتاذ محمود الخفيف

— ٣٤ —

**الفردوس المفقود : موضوع القصيدة الكبرى :—**

فى سنة ١٦٥٨ أخذ ملتن كما أسلفنا يتوفر على نظم قصيدته الكبرى ، ومن ثم تعد هذه السنة بدء هذا العمل العظيم وإن كانت أجزاء قليلة من القصيدة قد نظمت قبل ذلك كما يقول ابن أخته إدوارد فيلبس ، ولم تنته سنة ١٨٦٣ حتى فرغ الشاعر الضرير كما يقول إدوارد كذلك من هذه القصيدة العظيمة التى تبلغ زهاء خمسة آلاف وخمسمائة سطر ، والتى تستغرق نيفا وثلثمائة صفحة متوسطة الحجم ، والتى تعد من أعظم الآثار الأدبية فى أدب الدنيا قديمه وحديثه ، والتى يتبوأ بها ملتن مكانه بين أفذاذ شعراء الملاحم الثلاثة : هوميروس ودانتى وفرجيل إن لم يبزعهم جميعاً فى أكثر من ناحية من القول كما يذكر كثير من النقدة الملحوظى المكانة فى نقد الأدب والشعر .

ويمكن تلخيص موضوع القصيدة فى كلمات قليلة ؛ فهى قصة إبليس بعد أن فسق عن أمر ربه ، فقد تمرد هذا الشيطان الأكبر ومن اتبعه من الغاوين واجترأ على محاربة خالقه فأخذهم الله أخذاً قويا فإذا بهم جميعاً فى جهنم جثيًّا ؛ ثم خلقت جنات عدن وخلق آدم وحواء ودلهما الله على الشجرة المحرمة ونهاهما ربهما أن يقربا هذه الشجرة ، فوسوس لهما الشيطان فأكلا منها وعصيا ربهما فأخرجهما من الجنة .

وحق للمرء أن يعجب كيف يخلق الشاعر من هذه القصة على بساطتها قصيدة بلغت هذا الذى بلغته من الطول ، وما فيها منظر أوفكرة مما يصح حذفه ، ثم ما فيها موضع تطرق اليه شىء من الضعف أو شىء مما يبعث السأم فى نفس القارىء ، بل إنها جميعاً تبلغ من السمو والقوة مدى يتخاذل دونه جهد المبدعين ويتقاصر عنه افتتان المفتنين فما يقع المرء فيها إلا على مايعجب ويطرب وما يشيع فى النفس نشوة روحية قوية تشعرها بسر العبقرية وسلطانها وتذرها مسحورة مأخوذة حتى ينقضى هذا الحلم الجميل .

ولكن دواعى العجب لاتلبث أن تزول إذا ذكر المرء مبلغ ما أوتى الشاعر من خصوبة الخيال وقوته ، ومارزق من دقة الوصف وروعته ، وما وهب من قدرة على الابتكار والتفنن فى خلق الصور الذهنية الأخاذة والتصرف فى مذاهب البيان ، هذا إلى مايشيعه فى قصته من فلسفة وعلم ، وما يدخله بين الفينة والفينة من أساطير الأغريق وآلهتهم وسائر مخلوقاتهم مما يملأ قصيدته بألوان من السحر وأفانين من كل مايفيد ويمتع .

والقصيدة ليست بنت هاتيك السنوات الخمس التى نظمها فيها ، وإنما هى متجه خياله وأرب نفسه منذ أول عهده بالشباب ، فقد كان أمله الذى ملأ خياله منذ حداثته أن ينظم قصيدة تجعل له ولأمته مكانا عليا فى أدب هذه الدنيا ؛ وإلى ذلك أشار فى قصيدته التى ناجى فيها لغة قومه وهو فى سن التاسعة عشرة كما سلف أن ذكرنا ذلك فى موضعه ، وإن لم يك عين موضوع تلك القصيدة بعد .

ولم يتعجل ملتن النظم ، بل أخذ يتهيأ لما يطمح إليه فينهل من المعرفة مايسعه أن ينهل ، وفى نفسه أمل يلازمه ولا يبرح يذكره أنه سوف ينظم فى يوم ما ملحمة كبرى تسلكه فى الخالدين النابهين من شعراء الدنيا ، أما ماذا تدور عليه الملحمة فذلك أمر لم يتبينه يومئذ وحسبه أن يطلب لنفسه ماوسعه من زاد فى الفلسفة والعلم .

وكان يفكر كما ذكرنا قبل فى الملك آرثر وعصره وبطولته وسيرته عله يستخرج من ذلك ملحمة قومية كان يريد أن

---

إلى عبادته وأمه « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلـهين من دون الله ؟ » هذا كثير ، ومدعاة إلى تأنيبهم ، أما القصر فلا يفيد التأنيب ، وهب عيسى عليه السلام لم يقل إلا جملة القصر أكان يستفاد منها التأنيب ؟ وبذلك تسقط دعواه أن التوهين والتأنيب غرضان من أغراض القصر ، ووقفنا عند الأغراض التى ذكرها المتقدمون ، ولا نزال فى انتظار الجديد .

علي العماري
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

يسميها الآرثريادا ، وتقع إشارتان منه إلى ذلك إحداهما في قصيدة أخرى نظمها عقب عودته إلى وطنه ؛ ولكنه مالبث أن طرح موضوع الملك آرثر جانباً ولم يعد إليه بعد ذلك .

وظل ملتن متعلقا بأمله فى نظم قصيدة كبرى ، وكان هذا التعلق المتصل بالأمل المنشود هو الفكرة المتسلطة فى حياته كلها من جميع أقطارها ولذلك لم يأل جهداً فى الافادة مما حوله فكان انقطاعه للدراسة فى هورتون ، وكانت رحلته إلى إيطاليا وكان منصبه فى الدولة وكانت كتاباته الدينية والسياسية ، كل أولئك كان جوانب لدراسته وموارد لثقافته قصد إلى ذلك أم لم يقصد إليه .

وانقطعت صلته بالشعر زهاء عشرين عاما إلا ما كان من مقطوعاته ، ولكن خيال القصيدة الكبرى لم يبارحه قط ، وليس أدل من ذلك على شدة إيمانه بأنه خلق لرسالة فى الشعر وعلى عظم إخلاصه لفنه ، ولقد رأينا ما أحاط به من المحن والكوارث فلم يصرفه ذلك عما خصص له حياته ، وإن واحدة منها لكفيلة بأن تقعد بالمرء عما يحف كثيراً غير ذلك الذى اضطلع به من عبء .

وربما كان خيراً له وللأدب أنه لم ينظم ملحمته الكبرى إلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره فلعلنا كنا لو نظمها فى صدر شبابه لانظفر منه بما ظفرنا به من آثار خبرته بالحياة والناس وطول باعه فى البيان وضلاعته فى المعرفة وانصقال فنـــه وما اكتسب شعره من فحولة وقوة . ولقد حال بينه وبين تحقيق أمله فى شبابه ورغبته كما رأينا فى الاستزادة من الثقافة استزادة تكافىء ما يطمع أن ينهض به من عمل ضخم فى دنيا الفن ، ثم حيرته فى اختيار الموضوع الذى تدور حوله قصيدته ، وجاءت بعد ذلك حربه على القساوسة ثم اشتغاله بالسياسة فأخرته على رغمه تلك السنوات الطويلة .

ولقد هم قبل تلك الشواغل سنة ١٦٤١ بالنهوض بما منته نفسه به ، إذ أنه يتبين من قائمة كتبها الشاعر بين سنتى ١٦٤٠ ، ١٦٤٢ أنه فكر فيما يقرب من مائة موضوع ، وكان ثلثا هاتيـــك الموضوعات مقتبساً من الانجيل ، وكان همه متجها إلى واحد من بينها سماه تارة « الفردوس المفقود » وتارة « آدم يخرج من الجنة » فقد وجد فى هذه القائمة بيان بأسماء شخصيات لدرامة يزمعها وبيان لما تكون عليه تلك الدرامة وقد وضع لذلك عدة صور لعله كان يفاضل بينها ، ولا زالت تلك القائمة محفوظة كأثر من آثار الشاعر العظيم فى مكتبة كلية ترينتى بجامعة كمبردج .

ويتبين من ذلك أن ملتن كان يومئذ يريد أن يلبس موضوعه لباس الدرامة لا الملحمة ، ويؤيد هــذا الرأى ما ذكره فى هذا الصدد إدوارد فيلبس ، وذلك أن الأسطر التى يخاطب بها الشيطان الشمس فى أوائل الكتاب الرابع من الملحمة قد نظمت قبل بدء الشاعر فى نظم الملحمة بنحو خمسة عشر أو ستة عشر عاما وأنها نظمت لتكون فى مستهل عرض لمأساة .

ثم انصرف ملتن كما رأينا عن الشعر وانشغل عن أمنيتــه الكبرى حتى كانت سنة ١٦٥٨ فتوفر على موضوعه ، فلما أتمه كان ملحمة تضاف إلى الملاحم الكبرى فى أدب العالم وسميت الفردوس المفقود .

ونظمت الملحمة فى ستة أقسام أو ستة كتب ، ولقد أوجزنا موضوعها فى أول هذا الفصل فلنبسط هنا بعض البسط ، ولا نجد خيراً من أن نقص خلاصة هاتيك الكتب الستة التى تتألف منها القصة .

افتتح الشاعر الكتاب الأول بمناشدة إله الشعر أو إلاهاته[1] العون فيما هو بسبيله على عادة شعراء الملاحم عند بدء ملاحمهم ، ثم يعرض الشاعر الموضوع كله فيذكر أول عصيان للانسان وما يترتب عليه من إخراجه من الجنة حيث كان موطنه ، ويشير إلى غواية الشيطان ، ويذكر عصيانه وتمرده على خالقه واستطاعته ضم أكثر من قبيل من الملائكة إليه ، حتى طرده الله من الجنة ومن اتبعــه وألقى بهم فى قرار من جهنم سحيق ؛ ثم يصف الشاعر كيف كان هذا الهبوط من الجنة حتى ربنا الشيطان ومن معه فى قرار الجحيم ، فى ظلمات بعضها فوق بعض ؛ ويظل هؤلاء على وجوههم وعلى جنوبهم فى هذا الماء زمناً يتقلبون فى بحيرة هائلة تتلظى بالحمم واللهب وفى نفوسهم رهبة ودهشة مما أخذهم من صاعقة ، ثم يفيق الشيطان بعد لحظة من هذه

---

(١) Muse ، وكانت عند الاغريق تطلق على بنات زيوس التسع ملهمات الشعر والموسيقى ، وفى ملحمتى هوميروس كان يقصد بها إله الشعر الذى يوحى إلى الشعراء ماليس لهم به علم ؛ أما اليهود والمسيحيون فأحلوا روح القدس محل ذلك ، ويجمع ملتن بين الاثنين فبعد أن خاطب الموز عاد يخاطب روح القدس :

الناشية فينادى أقرب أتباعه منه منزلة وأولهم بعده مكانة وهو يصلى النار الحامية إلى جواره ويتحاورن فيما أصابهم من هذا الهبوط ؛ ويتكلم الشيطان الأكبر فى الأباء والعناد والأصرار قائلا إنه لخير له أن يحكم فى النار من أن يخدم ويطيع فى الجنة ؛ ثم يدعو الشيطان أتباعه ولم يزالو مكبين فى النار على وجوههم فينهضون فيسوى صفوفهم ويعدهم للقتال ويختار من بينهم قادتهم وكبراءهم ثم يناديهم فيعدهم ويمنيهم باسترجاع مكانهم فى الجنة وينبئهم بدنيا جديدة تخلق ونوع جديد من المخلوقات يدب فيها وكل أولئك يجىء وفق نبوءة أو نبأ ترامى اليه وهو فى الجنة ولكى يعلم مبلغ ما تحقق من هذه النبوءة وماذا يكون موقفهم من هذه الدنيا يشير إلى مجلس ينتظمهم جميعاً حيث ينظرون ماذا يفعلون ! ثم يشير الشاعر إلى مأوى الشياطين أو قصر الشيطان الأكبر وقد استوى قائما منبعثاً من أعماق الماء وهناك يجلس كبار شياطين الجحيم ليوافيهم أتباعهم ليتشاوروا فيا بينهم كما أراد كبير الشياطين أجمعين ؛ وتتزاحم الشياطين على قصر رئيسهم وقد مدوا فى اللهب أجنحتهم وملأوا الجحيم حفيفاً بهذه الأجنحة الممتدة ، ثم يتساقطون جماعات جماعات حتى يضيق بهم القصر على سعته .

وفى الكتاب الثانى تبدأ المشاورة فيجلس الشيطان الأكبر على عرش هائل ويتحدث إلى أتباعه متسائلا هل هو خير لهم أن يشنوا معركة أخرى لاسترجاع الجنة التى أخرجوا منها ويدعو كل من يحسن الرأى أن يتكلم بما يرى .

ويتتابع عدد من الشياطين كل يدلى برأيه ويبسط حجته ، فكانوا فريقين ، فريق رأيه الحرب وآخر يخشى عاقبتها ولا ينصح بها ، والشيطان الأكبر يوازن بين حجج كل فريق ولكنه لايقطع أمراً ، حتى ينبعث صوت بمقترح مؤداه أن يدعوا الحرب إلى أمر آخر هو النظر فى مبلغ صحة تلك النبوءة أو الرواية التى علمت فى الجنة عن خلق دنيا جديدة ، ونوع آخر من المخلوقات يساوى الملائكة منزلة أو هو لا ينزل كثيراً عن مستواهم وهذا هو وقت خلقهم ، وتتجه أفئدة الجميع إلى هذا المقترح وسرعان ما يجتمعون عليه ، ولكنهم يحاورون منذا يذهب فى تلك الرحلة العظيمة المسيرة فيستطلع لهم ماريدون ؟ ولا تطول حيرتهم فهذا كبيرهم يعلن أنه يذهب وحده فيأتيهم بنبأ يقين ، وبمجده الشياطين شاكرين له هاتفين به ؛ وينتفض عن شياطينه المجلس فيذهب كل إلى حيث يقضى الوقت ريثما يعود كبيرهم من رحلته

ويطير الشيطان الأكبر فيقطع فى رحلته أرجاء الجحيم حتى يأتى أبوابها فاذا هى مغلقة وعلى كل باب ثلاث طبقات من الحديد وثلاث من النحاس وثلاث من الحجر الصلد ، وتحرس هذه الأبواب أنماط من الحرس هى فى أشكالها أليق ما تكون بحراسة أبواب الجحيم ، لا هى من الجن ولا من الوحش ولا من الأفاعى وإنما هى مزيج من هذا كله ركب بعضه فى بعض ، وهى أشباح للخوف والوباء والموت ، ويزجر الخوف الشيطان ويأمره أن يعود إلى مكانه فى النار ، ولكنه لن يزال يطالب أن يفتح له باب حتى يفتح له الموت باباً فيلج منه إلى خارج الجحيم فى عسر شديد ، ويرى مدى ما بين الجنة وجهنم من أمد ، ومازال الشيطان يسبح بأجنحته فى الماء فى عناء وعسر حتى يصبح بمرأى من الدنيا الجديدة فتقع عليها عيناه .

( يتبع ) الخفيف

# الأمير عبد القـــادر وتحرير الجزائر

لمناسبة مضى ٦٥ سنة على وفاته

( مهداة إلى الأمير سعيد الجزائرى )

للأستاذ محمد عبد الوهاب فايد

الدره الأفيق[1] كبير زعماء الجزائر ، وموحـد اتجاهها السياسى ، ومؤلف شتاتها ، الأمير العظيم ، العالم الشاعر الباسل عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسنى .

ولد بوهران سنة ١٢٢٣ هـ فى مهد العلم والتقوى ، وتلقى علوم الشريعة والأدب والتاريخ والحكمة العقلية وغيرها ، حتى حذقها ، وتوفر على الثاقفة بالسلاح وركوب الخيل ، فجمع بين السيف والقلم ، واشتهر بالذكاء والفصاحة والطلاقة وسمو الفكر وقوة البدن وشـدة البأس والإقدام وصلابة الرأى فيما يزمع والإخلاص وقوة الإيمان .

فعلقت به القلوب واتجهت إليه الأنظار ، كل ذلك مع ما كان لأبيه وأجداده من المكانة الرفيعة فى البلاد .

رحل إلى المشرق حوالى سنة ١٢٤١ مع والده وجماعة من أهله وحاشيته بقصد الحج ، فمروا بمصر فأنزلهم محمد على باشا منزلا كريماً ، ثم حجوا وزاروا المدينة المنورة والشام وبغداد ، فازداد عبد القادر بهذه الرحلة التى استغرقت أكثر من سنتين رسوخاً فى العالم وخبرة بالسياسة .

وفى أواخر عام ١٨٣٠ م احتلت فرنسة عاصمة الجزائر ، وأخذت تفكر فى الاستيلاء على سائر القطر الجزائرى ، فبدأت الحرب بين أهل الجزائر والفرنسيين ، واقتحم أهل وهران الحرب بقيادة السيد محيى الدين ، فبدا فى هذا القتال من بسالة عبد القادر ومواهبه الحربية وأصالة رأيه وثورة نفسـه الإسـلامية الحرة وإخلاصه لقضية أمته وبلاده وقوة إيمانه بصدق جهاده ما عقد به أمانى الناس .

ولما أراد أهالى تلك البلاد مبايعة السيد محيى الدين أميراً عليهم اعتذر بعلو سنه ، فبايعوا ولده عبد القادر عام ١٨٣٢ م فاتخذ مدينة المعسكر عاصمة ، ولمّ شعث القبائل ، وجمع الأمة كلها على معنى واحد لا يتغير ، ودفعها بروح دينية واحدة لا تختلف ، وجعل عرق الجهاد يفور كما يفور العرق المجروح بالدم ، وبعث صولة الحياة فى الشعب كله ، ورتب جنده وكان يتقدم جيشه ببسالة عجيبة ، وكأن بينه وبين أرواح جنده نسباً شابكا ، فله معنى أبوة الأب فى أبنائه لا يراه من يراه منهم إلا أحس أنه شخصه الأكبر ، فكانت فيه التكملة الإنسانية لجنده ، وكأنه خلق خاصة لإثبات أن غير المستطاع مستطاع ، وأن القوى الشديدة تعمل كالعدوى فيمن اتصل بها أو صاحبها ، فالأمير قد عدى جنده بقوة شجاعته العجيبة .

ومن نظمه :

تسـائلنى أم البنين وإنهـا لأعلم من تحت السماء بأحوالى

ألا فاسألى جنس الفرنسيس تعلمى بأن مناياهم بسـيفى وعسّالى

ومن عادة السـادات بالجيش تحتمى وبى يحتمى جيشى وتمنع أبطالى

واستمر فى الحرب حتى دانت له كل عمالة وهران تقريباً بعد محاصرته للجنرال بويه وجيشه . ثم تولى قيادة الجيش الفرنسى الجنرال دميشيل ، فكانت بينه وبين الأمير معارك انتهت بعقد المعاهدة المشهورة ( بمعاهدة دميشيل عام ١٨٣٤ ) التى اعترفت بها فرنسة للأمير بجميع العمالة الوهرانية عدا مدينة وهران وآرزاو ومستغانم ، وكان له الحق بموجب هذه المعاهدة أن يعين قناصل فى وهران والجزائر ومستغانم وغيرها ، وأن يستورد الأسلحة من أى جهة شاء ؛ فعظم شأن الأمير وامتد سلطانه وصار الأمير الشرعى لجميع أهالى الجهات الغربية من المغرب الأوسط . ثم مد رواق ملكه على البلاد التى لم تكن داخلة فى حدوده مثل ميدية ومليانة ، وأقام فيها معامل للأسلحة ، مع احتجاج حاكم الجزائر العام .

(١) الدره كبر : السيد الشريف ، والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال ، والأفيق البالغ النهاية فى الكرم أو فى العلم أو فى الفصاحة وجميع الفضائل .

وفى غضون ذلك ثار على الأمير قبيلتا الدوائر والزمالة وانضمتا إلى فرنسة ، فطلب الأمير تسليم رؤسائهم إليه فأبى الجنرال تريزيل ، فبرز عبد القادر إلى القتال فانتصر على الفرنسيين فى ( يوم المقطع ) فى ٢٦ يولية ١٨٣٥ فأرسلت فرنسة جيشاً كثيفاً بقيادة المارشال كلوزل فاستولى على عاصمته ( المعسكر ) وناوشه من ورائه بقية من الأتراك كانوا فى قلعة تلمسان ، وبعثت فرنسة الجنرال بوجو لإغاثة الجنرال دارلنج الذى حصره الأمير ، فانهزم عبد القادر ولكنه بقى ثابت العزم ، واستطاع بدهائه السياسى عقد صلح مع الفرنسيين على شروط ضمنت له أكثر مما ضمنته معاهدة ديميشيل ، وذلك فى ( معاهدة التفنة ) فى ٣٠ مارس ١٨٣٧ التى اعترفت فرنسة له فيها بجميع عمالة وهران وقسم كبير من عمالة الجزائر .

وشرع بعد ذلك يقوى سلطته على البلاد التى أدخلت حديثاً تحت حكمه ، وأخضع عرب الأزارقة ، وأنشأ معامل للأسلحة والعدد الحربية وملابس الجند فى تلمسان ولاغوات وميجانة وزيبان ، وبنى حصوناً لخزائن بيت المال ، وأقام على كل حصن بلدة ، منها تاقدت وتازة وسعيدة وبوغار وعريب وسبدو وغيرها

ثم رتب جيشاً منظماً على نمط جيوش الدول ، وقسمه إلى فرسان ومشاة سماهم العسكر المحمدى ، ومدفعية وسماهم الرماة ، واختار لتدريبه ضباطاً من الجيش التونسى ومن الجند التركى الذى بطرابلس ومن الفارين من الجيش الفرنسى ، ووضع لهذا الجيش قانوناً لمأكله وملبسه ورواتبه ومدة التعليم وشروط الترقى فيه ومنح الأوسمة ، ونظام الرابطة والحرب ، وضرب نقوداً سماها المحمدية ، وعنى بشؤون الزراعة والتجارة والتعليم ، وأقام دهاليز لادخار الحبوب وأنابير للاقوات ورمم القلاع ، ولم يهمل شيئاً مما يجب لتأسيس الحكومات الشرعية . ولم تكن همته زمن السلم أضعف منها إبان الحرب .

ولما كانت معاهدات الدول الاستعمارية مع الأقطار التى تود الاستيلاء عليها هى فى الغالب منازل استجمام بين مراحل الحرب فقد تعللت فرنسة فى تفسير بعض فقرات ( معاهدة التفنة ) وأرادت التخلص منها بعد أن أعدت العدد وعززت الجيش ، مع أن الأمير كان يعمل بها ، فاستؤنف القتال بينهما فزحف المارشال فالى والدوق دومال ، فنادى الأمير بالجهاد فى ٢٠ نوفمبر ١٨٣٩ فاستمرت الحرب من هذا التاريخ إلى عام ١٨٤٣ بلا انقطاع وقام فيها الأمير مقامه المحمود الذى طار ذكره فى الآفاق ، وأثبت فيه عبد القادر للدنيا كلها أن الجزائر الجبارة متى شاءت بنت الرجال من أمثاله فى العظمة والشهرة والمنزلة والقوة .

وعدم تكافؤ القوتين المتقابلتين سبب سقوط أكثر حصون الأمير واحتلال العدو أكثر معاقله ومدنه مثل تاغدت والمعسكر وتازة ووادى الشليف ، فتحول إلى الغرب ، فزحف العدو إلى تلمسان ونواحى ندرومة واحتلها ، فقصد الأمير إلى الجنوب فباغته الدوق دومال وغنم كثيراً من عتاده ، ففت هذا الحادث فى عضده وخذله أكثر أعوانه ففر إلى المغرب ، وسعى لحمل سلطان المغرب الأقصى على شد أزره فأمده بجيش فكانت بينه وبين الجيش الفرنسى ( واقعة إيسلى ) فى ١٢ أغسطس ١٨٤٤ .

ولما كان المغاربة يعوزهم من أدوات القتال ما يملكه الفرنسيون انتصر الجنرال بوجو على الجيش المغربى ، وكانت بوارج فرنسة ضربت طنجة ومغادور ، فاضطر سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام إلى عقد الصلح بالشروط التى تريدها فرنسة وأولها منع الأمير عبد القادر من تجاوز حدود الجزائر ، فلبث زهاء سنتين متربصاً غرة من العدو ينتهزها ، فلما بدت له فى ثورة عام ١٨٤٦ انقض على بلاد الجزائر ثانية وأمعن فى الغارة حتى بلغ بلاد البربر ، واستأنف الأمر كما بدأ ، إلا أن قوته كانت قد تناقصت ، وقدم الفرنسيين قد رسخت فى الجزائر فلم تستمر غارته ، وأحاطت به الجيوش من كل ناحية ، فرجع إلى الحدود المراكشية ، فطلبت فرنسة من سلطان المغرب تسليمه وما زالت تلح فى ذلك حتى ناصرهم وساق عليه قوة عظيمة دهمته فإذا هو بين نارين ، فاشتد به الغضب ، فاشترط شروطا للاستسلام رضى بها الفرنسيون ، وسلم نفسه على يد الجنرال لاموريسيال فى ديسمبر ١٨٤٧ واتفقوا على أن يسافر بأسرته من الجزائر إلى الأسكندرية أو عكا ، ولكن فرنسة أخذته إلى طولون ثم إلى إنبواز وأنزلته فى قصرها معتقلا إلى عام ١٨٥٢ إذ بشره لويس نابليون بنفسه بإخلاء سبيله فى يوم اهتزت له باريس احتفالا بمقدم الأمير .

أجل لم ينتصر البطل بعد جهاد ١٥ سنة جهاداً عزيز المثال فى تاريخ الأبطال ، ولكن الأمم احتفت به لأنه يمثل كمالا من نوع آخر هو سر الانتصار .

ثم سافر الأمير إلى الآستانة وزار السلطان عبد المجيد ، ثم

أقام ببرصا، وفى سنة ١٨٥٥ هاجر إلى دمشق، ومر ببيروت فقام واليها وامق باشا بالحفاوة به. ثم بجبل لبنان فاحتفل به مشايخ الجبل وأمراؤه. فلما أشرف على دمشق خفت المدينة إلى استقبال مدره الإسلام، وتقدم الجمع محمود نديم باشا والى دمشق، وعزت باشا رئيس العسكرية، والعلماء والأعيان، ثم دخلوا المدينة تتقدمهم الجنود بموسيقاها، ونزل ضيفاً بدار عزت باشا، إلى أن اختاروا له دار القباقيبى التى كانت مقر الحكومة فحط رحله فيها.

وقضى بقية حياته بدمشق فى مثافنة العلماء، والتحقيق العلمى ولا سيما التصوف. ومن أمتع آثاره العلمية المطبوعة (كتاب المواقف) الذى يدل على رسوخه فى التصوف علماً وعملا، و(ذكرى العاقل) فى الحكمة والشريعة و(ديوان شعره)

وقد صرح مؤرخو الفرنج أن مملكته العلمية والدينية كانتا من أكبر أعوانه على تأسيس الحكومة التى أسسها، وأنه كان ينال باللسان ما قد يعجز عنه بالسنان.

وقال الماريشال سوليت الفرنسى فى سنة ١٨٤٠ (لا يوجد الآن أحد فى العالم يستحق أن يلقب بالأكبر إلا ثلاثة رجال كلهم مسلمون وهم: الأمير عبد القادر، ومحمد على باشا، والشيخ شامل).

ولما وقعت بدمشق حادثة سنة ١٨٦٠ عنى الأمير عبد القادر بحماية المسيحيين وإنقاذهم ورد العوادى عنهم، فأخلى لهم دوره والدور المجاورة لها حتى هدأت الفتنة، فأجمعت صحف العالم على حمده وشكره، واستحق بهذا الصنيع ثناء الجميع، فأرسل إليه الخليفة السلطان عبد المجيد وفرنسة وأمريكا وأكثر الدول الأوربية أوسمة رفيعة مع رسائل الشكر والحمد.

وفى عام ١٨٦٣ حج ثانية. ودعاه الخديو اسماعيل باشا فيمن دعا من أعيان العالم وملوكه وأمرائه لحضور الاحتفال بفتح قنال السويس.

وما زال مثالا للبر والإحسان والتقوى والأخلاق الكريمة يتهجد الليل ويمارس فى رمضان رياضة الخلوة على طريقة الصوفية، إلى أن قبض رضى الله عنه سنة ١٣٠٠ هـ ودفن إلى جانب ضريح الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى بصالحية دمشق. وذاع نعيه فى الآفاق وأسف عليه الملوك والأمراء ومن عرفه من الخاصة والعامة، ورثاه الكتاب والشعراء، وأبنه العلماء والأدباء.

هذا موجز من سيرة الأمير الكبير، وتاريخ حياته وأخبار نضاله مع الفرنسيين مبسوطة فى كثير من كتب المسلمين والفرنج. وللعالم الجليل السيد أحمد أخى الأمير تاريخ مفصل لحياة أخيه لم يطبع بعد. فيه حقائق لا توجد فى «تحفة الزائر» وأذكر بهذه المناسبة أن الشيخ شهاب الدين محموداً قال: عدت قاضى القضاة ابن خلكان فأنشدنى لبعض أهل الأدب شعراً فى نقيب الأشراف بالمدائن خلب عقلى، وهو هذا:

قد قلت للرجل المولى غسله ... هلا أطاع وكنت فى نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما ... أذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل أوانى للحنوط ونحها ... عنه وحنطه بطيب سنائه
ومر الملائكة الكرام بنقله ... شرفاً ألست تراهم بإزائه
لاتوه أعناق الرجال بحمله ... يكفى الذى حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع فى نفسى أنه أحق الناس بهذا الرثاء، وأنه نعى نفسه فات فى ذلك الأسبوع، وقال الصوفى الذائق السيد محيى الدين بن أخى الأمير عبد القادر: وأحق الناس بهذا الرثاء أستاذى العارف الربانى أمير العلماء وعالم الأمراء سيدى الأمير عبد القادر الحسنى الجزائرى.

محمد عبد الوهاب فايد

# أفلاطون الشاعر

## ونظريته في التقمص

للأستاذ جبريل خزام

نظم أفلاطون الشعر قبل أن يعرف الفلسفة وقبل ان يتصل بسقراط ، وله مسرحيات شعرية ولكنها ضاعت كلها ولم يصل إلينا شيء منها ... وليست تهمنا هنا هذه المسرحيات فى شيء ، ولكن الذى يجدر بنا أن نعرفه أنه كان شاعراً قبل أن يكون فيلسوفا ... ثم تعلم الفلسفة على يدى أقراطيلوس العالم الطبيعى القديم الذى كان يعتقد بالتغير المستمر للأشياء ، ثم عرف سقراط وأعجب به ، ولم يلبث أن صار من تلاميذه المقربين .

وهجر أفلاطون الشعر لسببين : أولهما تحوله تحولا كليا إلى الفلسفة التى بهره بها أستاذه الكبير سقراط . وثانيهما أن سقراط كان لا يرضى عن الشعراء لاعتقاده أنهم يزيفون الحقيقة ويقلبون الحق باطلا والباطل حقاً . ولكن الذى لا ريب فيه أن أفلاطون وإن كان قد هجر الشعر إلى غير رجعة ، إلا أن تأثره الشعرى القديم كان عاملا كبيرا من العوامل التى أثرت فى فلسفته تأثيراً ملحوظاً ، فجاءت ممزوجة ببعض الخيال ، ويتجلى ذلك فى ( فيدون ) عند استعماله ألفاظاً شعرية فى حديثه من أمثال : يلوح لى أو يبدو لى أو إن ما أراه ... تلك التى دعت الكثيرين إلى الشك فى نظرية الخلود التى احتوتها هذه المحاورة المعروفة ، حتى قيل إن هذه النظرية محض اختلاق ، وإنها خيال شاعر أكثر منها فلسفة حكيم .

وأفلاطون يؤمن بأن التأثير الشعرى فى النفس سابق للتأثير العقلى . فنحن حين ننظر فى الوجود وفى الأشياء المحيطة بنا أو عندما نسمع رأيا من الآراء لا نعتبر فى حالة قبول تام مباشر لأننا لسنا كالإناء يصب منه الماء ، ولكن لنا إحساساتنا وعواطفنا التى نسبر بها غور الأشياء أولا قبل أن يستقبلها العقل ؛ فالعين تنفعل إذا وقعت عليها الأضواء والألوان ، وهى تضطرب بمشاعرها وإحساساتها . ثم يتدرج ذلك إلى الشعور العقلى والإحساس الذهنى ، فتدرك العين ماهية هذا الشيء الذى يسقط عليها ، ويستطيع جفناها أن ينفرجا تدريجياً .

ومنهجه فى الجدل دليل آخر على تفكيره الفلسفى الذى يخالطه الخيال الشعرى المتغلغل فى نفسه منذ صباه . ومنهجه هذا يتمثل فى دورين : جدل صاعد وفيه يصعد أفلاطون من المحسوسات إلى المعقولات ، كأن يفكر مثلا فى وجود الأشياء الطبيعية حتى ينتهى إلى الله الذى هو كائن معقول غير محسوس ، ثم جدل نازل وفيه يهبط الدرجات من عالم المعقولات إلى عالم المحسوسات ليرى هل هى بعينها تلك التى صادفها فى صعوده . فأفلاطون يصعد أولا إلى المعقولات غير المستجدة ، وينحدر من عالم المحسوس ليصل إلى نقطة نهائية وهى إثبات وجود الخالق ، ثم هو يبدأ فى النزول من حالق مضطراً له اضطراراً ، مكرهاً عليه إكراها لكى يتأكد من صحة الخطوات التى صعدها ، ليعلم بصواب ما ذهب إليه فى تفكيره .

وهذا المنهج الجدلى يختلف تمام الاختلاف عن منهج سقراط ، فسقراط يطلب من محدثه أن يحدد له الألفاظ التى يستخدمها فى حديثه وله فى طريقته خطوتان هما : التهكم والتوليد ، ففى الأولى يوجه إلى محدثه أسئلة يطالبه بالإجابة عنها حتى إذا اعترف المحدث بعجزه عن الإجابة عنها وقصوره عن إدراك الحقيقة كاملة خطا سقراط خطوته الثانية فيشرح له — عن طريق الأسئلة التوضيحية — رأيه الخاص فى الموضوع الفلسفى الذى كان موضوع المناقشة .

وهذه الطريقة العملية البحتة فى الجدل ، تختلف تماما عن طريقة أفلاطون الصاعدة والنازلة والتى ينزع فيها إلى المعقول ثم إلى المحسوس . زد على ذلك أن سقراط كان جدله بينه وبين الناس ... أما أفلاطون فكان جدله يجرى بينه وبين نفسه ، وهذا ما أسماه بمناقشة النفس نفسها أى التفكير المنفرد الذى هو أشبه بالمناجاة الشعرية الفلسفية منه بالتفكير الفلسفى المحض .

وقد قسم أفلاطون العلوم إلى : حساب وهندسة وموسيقى ؛ وقد رتبها هذا الترتيب لأن كل علم لا حق يعتمد على العلوم السابقة له ، ثم يزيد عليها . فالهندسة تعتمد على الحساب وكذلك الفلك ، كما أن الموسيقى تعتمد عليها جميعاً .

وقد ذهب إلى أن هذه العلوم تظهرنا على أن فينا قوة تترفع عن الإحساس المادى وهى العقل . وأفلاطون فى جميع فلسفته يحاول أن يسمو على الإحساس المقيد إلى التفكير العقلى المطلق ؛ ثم هو لا يقف عند هذه الدرجة ، بل يقول بأن العقل فى جميع مراحله السابقة لا يقنع ، ذلك أن العلوم فى هذه المرحلة القاصرة

تستخدم مبادئ أعلى منها ولا تبرهن على وجودها ، مثال قولنا إن هذا الشيء أصغر من ذاك أو أكبر منه أو مساو له . ويخرج أفلاطون بهذا إلى العلوم والمعارف الإنسانية ، فالعدالة والظلم والقبح والجمال والصغر والكبر والمساواة معان كلية عامة لا نستطيع أن نقول إنها موضوع علم بعينه كالحساب أو الهندسة ولكنها دائرة أوسع وأكثر شمولا للمعرفة العقلية من هذه العلوم . ويخرج أفلاطون من ذلك كله إلى أن الإحساس وحده لا يكفى لإقامة العلم ، ويستدل عليه بأن الحيوان يعتمد على إحساسه المادى ولكنه لا يصل إلى مرتبة المعرفة العلمية .

ويتساءل أفلاطون عن كيفية حصولنا على هذه المعانى الكلية فيقول : إنّا لم نحصل عليها عن طريق التجربة ، لأن هذه المعانى هى نفسها التى ساعدتنا على فهم التجربة ، فلا يبقى لنا إلا أن نقول إنها فى النفس منذ الميلاد ، وما الميلاد عند هذا الفيلسوف الشاعر ؟ إنه نزول النفس إلى الجسم بعد أن كانت فى عالم الأرواح ، أو نزولها من العالم المعقول إلى العالم المحسوس . وهذا ألهمه إياه خياله الشعرى القديم . فهو يعتقد أن النفوس الإنسانية وجدت أول الأمر أرواحا هائمة فى عالم الأرواح غير متصلة بمادة ما ، وأدركت فى ذلك العالم الأمور الروحية ومنها المعانى التى ذكرناها والتى أطلق عليها اسم المُثُل . فلما هبطت هذه النفوس إلى الأجسام المادية وسكنتها اعتراها نسيان لاتصالها بهذه المادة الكثيفة ، فبقيت كأنها لا تعرف شيئا حتى تنبهت بادراك الحواس . وكلما أدركت شيئا ما من حياتها الأرضية كان هذا تذكرا لما حدث مثاله فى حياتها الروحية السابقة ، وهذا هو أصل العلم عند أفلاطون . والنفس الإنسانية فى رأيه قد تعود إلى هذا العالم أكثر من مرة ما دامت لم تتطهر من التعلق بالأشياء المادية المحسوسة ، وفى رجوعها قد تتقمص جسما حيوانيا كما قد تتقمص جسما بشريا . وهذا ما يعرف بالتقمص أو التناسخ

والواقع أن أفلاطون قد مزج فلسفته بالخيال فجاءت مزاجا عجيباً مُعجباً فى آن واحد ... عجيباً لأن الشعر والفلسفة متناقضان على خط واحد ، فهذا ينشد الخيال فى السماء ، وتلك غالباً ما تبحث عن الحقيقة فى الأرض ؛ ومعجباً كذلك لأن فلسفته هذه الممزوجة بالخيال جعلت أسلوبه الجدلى أقرب إلى الفلسفة الأدبية الشائقة منه إلى الفلسفة العلمية الجافة .

جبريل جزام

# غرام الكهولة ...

للأستاذ عثمان حلمي

قلت للنفس حين لجَّ هواكِ   أنتِ إياكِ والهوى إياكِ
جدَّ بى العمرُ فاهدأى واطمئنى   وكفانى مما مضى وكفاكِ
واجعلى ما أصبتُ فى الغىِّ يا نفـس ختاماً فإنَّ فيه هُداكِ
وقفةٌ تلك بين عقلى وقلبى   يا لنفسى ما بين هذا العراكِ
ثم يا لى أرجو السلامةَ فى عمـرىَ هذا من قائدى للهلاكِ
عاصف من هواكِ يعصفُ بالقلـب وعاتٍ يسوقنى فى هواكِ
وعنيد لا أستطيع خلاصاً   منه مما يحوك لى من شباكِ
يا لَقلبٍ خلا من الحب دهراً   ثم صادفتِ خالياً فاصطفاكِ
فأطاع الهوى فلا هو يسلو   كِ على ضعفه ولا ينساكِ
وأطعتُ الغرام فيك برغمى   ولو أنى فى الحق لستُ فتاكِ
لا أذود الغرامَ بالعزم إلا   خاننى العزمُ فيك حين لقاكِ
فتبسمتُ بالرضى وتبسمـت وشمَّتْ لىَ بالرضى مقلتاكِ
غمرَ العطفُ منك من كان يخشا
كِ وشجعتِه فما يخشاكِ
فاستمرتُ الشبابَ من بعد أن ولـى شبابى لرغبتى فى رضاكِ
وتجملتُ فى خريف حياتى   ومشى بى الهوى على الأشواكِ
وكأنى أصبحتُ غيرىَ فى الدنـيا وأضحيتُ غير هذا الشاكى
كيف أشكو النوى وأنتِ أمامى   لم يعكر صفاء عيشى نواكِ
ولقد أتقى لأجلك فى القر   ب فضولَ العيون فيما عساكِ
فأدارى العيونَ حتى كأنَّ الـقلبَ خالٍ أو أنه ما حواكِ
وإذا ما التقتْ بعينكِ عينى   خالَ من خالَ أننى لا أراكِ
وأنادى على سواكِ فما أنـطقُ إمَّا ناديتُ باسم سواكِ
فكأنى عقدتُ باسمك يا « زيـن » لسانى فما له من فكاكِ
أنتِ فى مقلتىَّ أنىَّ توجهـتُ أمامى وأين كنتِ أراكِ
صورةٌ منك لا تفارقُ عينى   كل حسنٌ لها إذا غبتِ حاكِ
لستُ أدرى ما ذا يخبئ لى الغيـبُ وما ذا يطوى لمثلى هواكِ
فلقد حرتُ بعد عمرىَ هذا   كيف لا أستطيعُ أنْ أنساكِ

# من « لزوميات مخيمر » (*)

للأستاذ أحمد مخيمر

[ إلى أصدقائى الشعراء : عبد الرحمن الخميسى ، وعبد العليم عيسى ، والعلائى . . ]

## غنوة . . .

سألتكِ هل تدرين أنكِ غنوةٌ   تغنَّت بها الآزالُ ، فالتفت الدهر
وعشتِ زماناً فى ذَراها صغيرةً
ومهدكِ ينمو حوله العشب والزهرُ
وقد كان مثواكِ المغاورُ والربا   وملعبكِ الغاب المظلل ، والنهرُ
فلم تعلمى إذ ذاكِ أنك رغبةٌ   وأشواق روح فى جوانحها بهرُ
وأنَّ الليالى أسرعت بكِ دونها   فكم صرعت شهراً ليتبعه شهرُ
فمن أجلكِ انسابت على الأفق شمسها
ورفَّتْ على الظلماء أنجمها الزهرُ . . .

## منارة الحب . . .

خبَّ بنا يا ليلَ ركبُ الهوى   فى جسدٍ من شوقه ناحلِ
لغايةٍ لم يدر ما سرها   من لم يكنْ يا ليلَ بالراحل
منارةٌ أنتِ لسيمِ الهوى   أقامها الشوق على الساحل
كأنما فى خلدى نورها   غمامةٌ فى بلدٍ قاحل ...

## لقيا . . .

سرورى بلقياكِ سلوانيهْ   فلا تبعدى الخطو يا غانيهْ
لئن صح ما زعم الزاعمون   فويلٌ لأيامنا العانيه
ويا أسفا إن طوتكِ المنونْ   فرحتِ ، ويا طول أحزانيه
سيخرس بعدكِ هذا اللسان ،   وتُطْبَقُ بعدكِ أجفانيه
فما أبتغى نعمةً لا تدوم ،   وما أشتهى لذةً فانيه
وكيف ؟ وهذا المحيا الجميل   وقد رفَّ مبعث إيمانيه
أرى فى سناه الوجود الرحيب   وأكشف أعماق وجدانيه

(*) عنوان ديوان يصدر قريبا




**على هامش النقد :**

كتب الأستاذ على العمارى فى عدد الرسالة الماضى يسألنى رأيى فى الآيات :

« انطلقوا إلى ما كنتم به تكذّبون . انطلقوا إلى ظلٍّ ذى ثلاثِ شُعبٍ ، لا ظليل ولا يُغنى من اللهب . إنها ترمى بشررٍ كالقصر ، كأنه جِمالةٌ صُفر » .

فهو يرى أن حكمى على بيتى شوقى عن قصر أنس الوجود :

قف بتلك القصور فى اليم غرقى ... ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين فى الماء بضا ... سابحات به وأبدين بضـــا

بأنهما يكشفان عن تزوير فى الشعور ، لأنهما يبعثان شعورين متناقضين فى النفس ، ويدلان على أن الشاعر لم يحس بالموقف الذى يصوره إحساساً صادقاً ... الخ

يرى أن حكمى هذا يصطدم بهذه الآيات القرآنية .

ويقول فى تعليل هذا :

« فالجو العام للآيات هو تهديد وإنذار وتخويف ، يقذف باللهب ، ويرمى بالشرر ؛ ولكن التشبيه لايبعث فى النفس إلا الطمأنينة والهدوء ، والظل الأبيض الناصع . نعم إن منظر الجمال الصفر متتابعة مختلطة متحركة فى تموج واضطراب هو هو منظر الشرر ، ولكن هذا المنظر لايبعث فى النفس ، ولاسيما نفس العربى إلا المسرة والبهجة والشمم والجمال ، فالجمل أليف إلى نفسه حبيب إليها ، وهو حين يكون أصفر يزيد فى إعجابه وبهجته. الخ»

وهذا المشهد من مشاهد القيامة قد تحدثت عنه بتوسع فى كتاب « مشاهد القيامة فى القرآن » ، وهو فى الطبعة الآن . فأكتفى هنا بكلمة قصيرة إلى أن يظهر الكتاب !

ولست أرى وجهاً هنا للبس ولا للموازنة بين البيتين والآيات ؛ فإن مشهداً يصور جهنم ، وقد انبعث منها الدخان الكثيف المتشعب كأنه الظل ، ولكن « لا ظليل ولا يغنى من اللهب » ! وهى لضخامتها وهولها ترمى بالشرر كل واحدة منها فى حجم القصْرة — أى الشجرة الغليظة — أو فى حجم الجمل ... وهى تقذف بها فى عنف وشدة « ترمى بشرر كالقصر » لا متتابعة فى هينة وهدوء كما يريد الأستاذ أن يصور المشهد

وإن مشهداً مفزعاً كهذا المشهد ، لا يدع للحس فرصة ولا فسحة ، يتملى فيها على هينة واتئاد ، وراحة بال واطمئنان خاطر ... منظر الجمال المتتابعة فى رتابة وجمال ، ومتتابعة مختلطة متحركة فى تموج واضطراب » فكل هذا لا أثر له هنا .

وقد استقلت لفظتا « القصر » ـ جمع قصرة ـ و « جمالة » جمع جمل ـ استقلتا بتصوير الضخامة ـ وهى المقصودة أولا فى المشهد ـ واستقلت كلمة « ترمى » بتصوير العنف ـ وهى المقصود ثانياً فى المشهد ـ ثم جاءت كلمة « صفر » لتعطى لهذا المشهد مجرد اللون ، ولتتم الصورة بحجمها وحركتها ولونها على طريقة التصوير فى القرآن .

ولو أراد مجرد الضخامة واللون دون العنف لقال مثلا : ترسل بشرر ولم يقل « ترمى بشرر » ، فكلمة « ترمى » تجىء هنا لتكمل خاصة معينة للصورة

---

وأوقن أن رحاب السماء ... إذا ما دنا أصبحت دانيه
ويبعث بى فرحــة بالبقاء ... تبدِّد شكـّى وأشجانيه
فيا قبسَ الخلد لا تبعـدى ... فأنتِ على الأرض سلوانيه
ظمئتُ لينبوع تلك الشفاه ... فهاتى لى القبـلة الثانية
كأنى بها قطرة من ندى ... ترفّ على وردة قانيــه
إذا نلتهـا خلتُ أنى إله ... أصرِّف بالعزم أكوانيــه
ويا ملكا غادياً بالحنان ... تمرَّدَ فى الصدر شيطانيه
أنازعه جاهداً أن يقرّ ... ويستمرئُ الدهر عصيانيـه
تعالىْ إلى روضتى فى الخيال ... فأسقيك من ماء غدرانيه
وأطعمكِ الثمـر المشتهى ... تدلّى بأطراف أغصانيـه
نما ، وحلا ، وغدا فى الغصو ... ن يرتقب الأيدى الجانيـه
تخالينه فى حواشى الظلال ... كواكب مشرقةً دانيـه
ويا فرحاً فى ضمير الزمان ... بدا بعــد لأى فأغرانيه
وكنتُ ذكرتُ شقاء الوجود ... فلما بدا لىَ أنسانيـه
وزين لى كل شىء أراه ، ... وجمّل بالنـــور أزمانيه
وأفعم بالحب رحب الفضاء ... فقد خلته مهجة حانيـــه
لأمرٍ أريتِ ظلام الحياة ... فأبصرت الأعين الرانيه
وجلّيتِ لى خطرات الوجود ... وما كنّ قبلكِ من شانيه

واللون الأصفر فى مثل هذا المجال لايشيع فى المشهد ما أراد الأستاذ أن يشيع من الوضاءة والهدوء والصفاء !

وأنا أعيذ الأستاذ أن يقف لحظة أمام هذا المشهد الوضئ ! ولو - لا قدر الله - شهده ، ووقف حياله وقفة المهدد به ، لما أغنى اللون الأصفر فتيلا فى تخفيف هوله ، ولما وجد فى خاطره فسحة لتملى وضاءته ! فى ظل ذى ثلاث شعب ، لا ظليل ولايغنى من اللهب ، وهى ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر . إنها هنا صفرة النار التى ترمى بالشرر لا صفرة الظل الأبيض الناصع الذى يمتع النظر !

سيد قطب

## تأبين المرحوم الأستاذ طه الراوى :

ستقوم دار المعلمين العالية ببغداد بالاتفاق مع وزارة المعارف العراقية ولجنة الترجمة والتأليف والنشر العراقية بحفلة تأبينية كبرى للمرحوم الأستاذ طه الراوى أستاذ الأدب العربى بدار المعلمين العالية ببغداد سابقاً ، وذلك فى ذكرى وفاته السنينية فى اليوم العشرين من كانون الأول ( ديسمبر ) ١٩٤٦ . وقد تشكلت لجنة لتنظيم هذا الاحتفال برئاسة عميد دار المعلمين العالية وعضوية الأساتذة : محمد هاشم عطية ، والدكتور محمد مصطفى زيادة ، والدكتور عبد العزيز الدورى ، الأساتذة فى المعهد . وقد رأت اللجنة الاتصال بكافة الهيئات والمؤسسات والشخصيات التى لها صلة وثيقة بالمرحوم لتساهم فى الحفلة التأبينية . فنرجو ممن له هذه الصلة ويرغب فى المساهمة فى الحفلة المنوه عنها أن يتفضل بإرسال كلمته إلى الملحق الثقافى بالمفوضية الملكية العراقية فى القاهرة (٧ شارع محمد مظهر باشا بالزمالك ) ليقوم بدوره بإرسالها إلى لجنة التأبين

## إلى البد ذات السوار رقم ٢ :

لم تأمريننى بالاعتذار ياسيدتى ؟ أبهذا الأسلوب - أسلوب الأمر - تسوق الأديبة طلبها ؟ مم أعتذر ؟ لم أجن ذنبا ولا جريرة أستحق عليهما اللوم والتثريب . إننى لم أسئ إلى قلم الأستاذ الطنطاوى فى كثير ولا قليل . وأشهد الله على ما فى نفسى أنى أحمل له كل توقير وتبجيل . ولو كنت غصت إلى أغوار مقالتى لأدركت الرأى الذى أبديه ، والقصد الذى أبتغيه

وما كان لى أن أستتر تحت اسم مستعار من تلقاء نفسى . ولكن المقام اضطرنى إلى هذا على غير رغبة منى . وإن كنت تخشين أن يحاسبك الناس فى حاضرهم حسابا عسيراً على مستقبلك فإنى والله لا أخشى إلا الذى برأنى وسوّانى . وإن تلك النفحة التى تخافين منها على أدبك الناشىء ، فلله الحمد ليس لى حتى كتابة هذه السطور شىء أرتاع لمرآه إن طيّره نفخ النافخين ، أو أتت عليه أقلام الكاتبين . وعلى كل حال إن المستقبل بيد الله

إن مقالتك لم تبعث فى نفسى وحشة ولا يأسا ، وإنما زادتنى أنْساً بالأدب والأدباء . لو كان فى مقالى شىء من التجريح لَمَا احتاج الأمر إلى دفاعك ، ولهب الأستاذ من فوره يسوق إلىّ النقاش ، وهو الأديب الأريب الذى له - ولزملائه كتاب الرسالة - مكان الثريا فى سماء الأدب .

وما دخل التشاؤم فى موضوعنا ؟ إن من سعادة الحياة أن أنظر إليها من خلال منظار التفاؤل ، ومن حسن الطالع أن حبانى ربى صديقات هن مبعث فرحتى ومصدر مسرتى .

دعى هذا يا سيدتى ، وتعالى لتشاهدى ضربا من الحياة جديدا . هل سمعتِ أو رأيتِ الأصم الأبكم كيف يتكلم ؟ إن تلاميذى وتلميذاتى من هذه الشرذمة البائسة التى قُضى عليها بفقدان السمع والنطق . وها نحن أولاء أخواتك ذوات الأساور نخفف بلواهم ، ونسعى إلى تحقيق مُناهم ، حتى تربطهم بالحياة وشائج يستطيعون معها مسايرة المجتمع .

لعلك اقتنعت بوجهة نظرى بما سقته إليك فى هذه العجالة ، واسمحى أن أختم حديثى بالإسم المستعار الذى استعرته لنفسك ، لأنى فى الواقع ممن لا يألفن التحلى بالسوار . وهأنذى أكشف لك عن حقيقتى كما أحب أن تكشفى لى عن حقيقتك ، وإلا ذهبت بى الظنون مذاهب شتى . وعسى أن يكون اصطفاق قلمينا فاتحة صداقة كنت أنت البادئة بها . ومما يشرفنى ويعلى قدرى أن نبرم سويا عهد هذه الصداقة تحت ظلال دوحة الرسالة الغراء التى لها الشكر أولا وآخرا ، إذ أفسحت وما تزال تفسح لنا فى رحابها مكانا لنشر أحاديثنا ، والسلام ؟

ربيعة محمد سبيح الله

مدرسة بمعهد الصم والبكم - بمطرية القاهرة

**حواء الخالدة :**

قصة مسرحية ألفها الأستاذ محمود تيمور بك ، وأخرجها الأستاذ زكي طليمات ، ومثلتها الفرقة المصرية بدار الأوبرا الملكية

وبطلا القصة عنترة بن شداد العبسي وصاحبته عبلة ، وليست القصة كما روتها أو زعمتها كتب التاريخ والقصص القديمة محيطة بطليها بتهاويل البطولة والحب ، وإنما اتخذ المؤلف من زمانها ومكانها وأشخاصها ، جوا جديداً ، ومادة جديدة ، لعمل فني جديد ، قوامه التحليل وعرض العواطف والميول الإنسانية على طبيعتها .

فعبلة امرأة تزهى بحب الرجل إياها ، وتتخذه لعبتها ، فتشتط في مطالبها ، ولا تبالي أن تدفعه إلى الأهوال ، وتحمله على ترك الديار وتجشم الأسفار ، لتحقيق رغباتها التي يمليها مجرد العبث والزهو .

وعنترة رجل شجاع محب ، ذو بأس وذو قلب ، يبطش بالفوارس ، وترتد عن صفحاته الأسنة ، ولكن تنفذ إليه سهام الأنوثة ويفعل به سحرها ، فينصاع لعبلته ، ويسعى في إجابة مطالبها غير مكترث بما في طريقها من المشاق والمصاعب ؛ وترمي به الحبيبة المدلة في سفر بعيد يمتد به الزمن ، ثم يؤوب كمن صحا قلبه فسلا وأقصر باطله ، ولكن لا يلبث أن يتسلل نشيد الحب إلى مكمنه في فؤاده ، فيعود به إلى مغانيه ، ويظل يروض تلك القطة المزهوة الشرسة حتى ينالها ...

وواضح من سياق القصة أن المؤلف أراد أن يصور المرأة في إدلالها وزهوها وتمنعها وتحايلها وأفانينها في اللعب بالرجل — تصويراً أريد أن أقول إنه (كاريكاتوري) مستعيرا له هذه التسمية من ذلك التصوير الذي يقوم على المبالغة في إبراز الخصائص ، وعلى هذا يمكن أن تحمل تلك المواطن التي بدت فيها عبلة على خلاف ماتجري به العادة في واقع الحياة ، كدؤوبها على العبث واللهو بعد ماقيل من موت عنترة ، وكفتورها في استقباله بعد غيبته الطويلة على رغم حبها له .

ولكن ما بال عنترة يستقبل منافسه في خطبة عبلة بالترحيب والتكريم حيث كانت تقتضي طبيعة الموقف وطبيعة الفارس البدوي أن يلقاه بسيفه ؟ حدث ذلك عند ماجاء هذا المنافس بعد إحضاره النياق المصفورية التي طلبتها منه عبلة ، فوجد عندها عنترة ، وكان عنترة أيضا قد عاد من سفره الطويل الذي دفعته إليه لجلب حجر الزمرد الذي اشترطته ليتم زواجها ، ونراه بعد أن يأتي لها به وبعد ما تجشم في سبيله يستقبل خاطبها الآخر ويهنئهما ... وقد يقال إن أحداث الدهر قد غيرته وجعلته يسلو ، ولكن ماذا يبرر ذلك الموقف الغريب حينما بُعث حبه ، وعاد في هواه سيرته الأولى ، واستحرّ العناق بينه وبين عبلة ، وفاجأهما منافسه ، وإذا عنترة الفارس الذي استعاد صبابته يسلم إلى هذا المنافس حبيبته التي أفلتت من بين ذارعيه ، ويخاطبه كالمعتذر ... ويغادرهما ذاهباً إلى شأنه . . ؟

وهنا نقول إن المؤلف آثر المرأة بعنايته ، إذ كان يهدف إلى إبراز خصائصها بذلك التصوير ( الكاريكاتوري ) ولكنه أهمل الرجل فصوره ذلك التصوير العجيب ، ولم يدبر أمره على سنن الواقع ومقتضيات الطبيعة ، ولم يبد لنا من هذا الصنيع هدف يبرره

وقد كانت هذه الرواية على مسرح الأوبرا مجلى الإخراج الفني البارع المتقن ، وعرس اللغة العربية في جلوتها ورنين جرسها على ألسنة الممثلات اللاتي أثبتن أنها لغة رقيقة ... رقيقة ...

وهي مدعاة إلى استخذاء مؤلفي التمثيليات باللغة العامية الذين صدعوا رءوسنا بهرائهم ، ووجعوا قلوبنا بادعاءاتهم التي لا تدل إلا على العجز المبين

ومن العجيب أنهم يمثلون بالعربية الروايات المترجمة ، ويؤلفون بالعامية التمثيليات المصرية ، كأن العربية في البيئة الغربية أبين منها في البيئة المصرية ! وأعجب العجب تمثيل قصص باللغة العامية وقعت في العصور العربية من جاهلية وأموية وعباسية ! وما تزال أغانيها العامية تتردد على الألسنة كسلامة القس مثلا ! فإلى متى يظل هذا التهريج الفني ؟ ومتى يرتفع الفن بالأذواق الساذجة بدلا من تملقها والانحدار إليها ؟

وأخيراً ، نسوق الحديث إلى محطة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ، لعل عربية ( حواء الخالدة ) تقنعها باصطناع اللغة الفصيحة في إذاعة التمثيليات القصيرة التي أكثرت أخيراً من إذاعتها بالعامية ، وأهملت الفصحى في هذا المجال كل الإهمال فيما عدا المترجم الذي تقدم العجب من الاقتصار عليه في التمثيل بالعربية .

**عباس حسان خضر**




كتب قرأتها :

# يقظة العـــرب

تأليف المرحوم جورج أنطونيوس

ترجمة الأستاذ على حيدر الركابي

بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوى

يقول مؤلف هذا الكتاب المرحوم جورج أنطونيوس فى مقدمته إنه « لا يرمى إلى تدوين التاريخ النهائى لليقظة العربية ... بل إلى رسم الخطوط الكبرى لأصول تلك الحركة » هذه الحركة التى مهدت تربتها ، وبذرت بذورها ، ونبت نبتها ، ونضج حبها ، وتم حصدها فى خلال نصف قرن ، لا بأفاعيل طافرة ، أو وثبات غير متزنات ، بل بعزيمة جبارة ، ومثابرة عنيدة ، مستمدتين من إرادة أمة موحدة لها فى بطون التاريخ فصول كتبها أجداد عباقرة أسمعوا الدنيا نداءهم ، ولقنوا العالم تعاليمهم ، وما هؤلاء الأحفاد سوى جيل وبعض جيل من أبناء الشام أيقظتهم حركة الانقلاب العثمانى عام ١٩٠٨ فاستنهضتهم فنهضوا إلى العمل فعملوا دائبين ملبين غريزة الجد فى طبيعتهم ، وقد دفعوا كل ثمن وبذلوا كل ما يستطاع بذله ، وجادوا بأقصى غايات الجود ، ونالوا نصيب المجاهد المؤمن ، وفازوا بتحقيق أمانيهم واستقلال بلادهم وحريتها ولم يكن ما قربوه من أرواح وأموال فى سبيل الوطن بالثمن الفادح الباهظ

تكاد تكون سطور هذا الكتاب بأبوابها وفصولها ووقائعه بأحداثها وتقلباتها وعظاته بعثراتها وأهوالها . أقول : تكاد تكون وقائع « أنا » بالذات ، وما أوفر عدد من يقول « أنا » فى كتاب يقظة العرب ، إذ ما من فتى فى بلاد الشام سمع نداء الحرية يهدر كالسيل العرم متدفقاً من حناجر الآباء للاستقلال والحرية إلا تيقظ روحه لها وتلقح وعيه بجوهرها ، وسار على منوال أبيه فى اتباع أعمال الرجال الرصناء لنيلهما ، وقد نالها بفضل إخلاصه لوطنه وقوميته وفنائه فى أمته

مؤلف كتاب « يقظة العرب » عالم بحاثة بفطرته ، لا يؤخذ بالظواهر فيعود إلى البواطن ، ولا تجذبه الفروع فى الشجرة ، ولا الجذور المطمورة فى التربة ، بل يرضيه أن يفتش عن مصادر غذاء تلك الجذور وأنواعها ليعلم الدواعى الباعثة على تلك التغذية والغاية المرومة منها .

نعلم « كلنا » أبناء هذا الجيل أن العامل الأكبر فى يقظتنا يعود كما قلت إلى عام ١٩٠٨ وعندنا على هذا العلم شبه أدلة استوحيناها من استقراء عقلية آبائنا ومن مبلغ وعيهم القومى وإحساسهم بالوطنية العربية ، ولكن المؤلف البحاثة قد عاد بنا إلى البذور الأولى ، إلى الفواصل بين الدعوة إلى العروبة والدعوة إلى الإسلام والصلة الروحية بينهما ، ثم إلى الفتح العثمانى .

للحكم العثمانى آثار واضحة المعالم فى نفوس العرب ، لم يكتف المؤلف بتقصيها فى عهد السلطان عبد الحميد ، وهى جامعة للأسباب شاملة للنتائج التى قلبت الأوضاع العربية ، من مطالبته بالإصلاح فى ظل الحكم العثمانى ، إلى العمل سراً على الانفصال عن الترك ، إلى العوامل التى دفعت بجماعة « الاتحاد والترقى » الذين خلعوا السلطان عبد الحميد الطاغية ليقيموا أنفسهم طغاة مثله ، فكانت هى نفسها عوامل فعالة دفعت الأمة العربية إلى عمل إيجابى وهو بناء دولة عربية لحماً ودماً . أقول : لم يكتف المؤلف بهذا ، بل عاد بنا القهقرى إلى عهد محمد على وفتوح الشام على يده ، وشروعه فى تشييد مملكة عريقة ، واختلاف ابنه ابراهيم معه فى الرأى ، لأن الأول كان فى طبيعته خلاقاً للمهالك ، بينما كان الثانى يعمل على الاحتفاظ بتلك الممالك ، وإن الأول كان يرى أن العرب ليسوا أهلا للحكم أنفسهم ، بينما كان الثانى يعتقد عكس رأى أبيه ، ولم ينس المؤلف موقف الإنجليز من محمد على وصدهم إياه عن تأليف المملكة العربية ، وقد خلص من هذا البيان المقتضب إلى ذكر تأليف جمعية أدبية فى بيروت قبل منتهل هذا القرن ، كان النصارى هم القائمين بها ، فما لبثت أن دخلها المسلمون والدروز ، ويقول إنها كانت البذرة الأولى لنهضة الفكر القومى

ويسهب فى وصف الإرساليات ونشرها المعارف ، وتزاحم أقطابها وتنافسهم فى تعليم أبناء البلاد علومهم ، وكيف لم تكن تعاليمهم خيراً محضاً ، وكيف تولدت الطائفية عند أبناء البلاد من جراء هاتيك التعاليم المتضاربة الأسباب والغايات . يمضى المؤلف البارع فى سبيله يتتبع سير الحوادث ، وقد اطردت بانتظام حتى انقدت نيران الحرب العالمية عام ١٩١٤ فيذكر مجىء الشريف عبد الله إلى مصر وتحدثه إلى كتشنر والعروض التى تقدمت للانتقاض على الحكم التركى ومخاوف الإنجليز من عواقب إعلان الترك للجهاد الدينى وقيام هؤلاء فعلا بإعلانه ، ونشر الراية المحمدية ، ووقوف سورية على مفترق الطرق توازن بين الوقوف إلى جانب الأتراك ، وبين شد عضد الشريف حسين المتحفز للثورة

يعرج المؤلف على ذكر العهود التى قطعتها بريطانيا العظمى للشريف حسين ورسائل مكماهون ، فنرى الثورة العربية تعلن فى مكة وتندلع نارها وتمتد حتى تدخل قواتها مدينة دمشق ويحتل رجالها البلاد السورية ، ونقرأ فى فصل الكتاب الثالث عهود الحلفاء المتناقضة ونرى مبلغ تكالبهم على اقتسام غنائم الدولة التركية وتنافسهم فى اغتصاب البلاد العربية واتفاق سيكس بيكو ورسالة بلفور إلى الملك حسين ومفاوضات لويد جورج للصهيونيين ووعد بلفور لليهود ، ثم التصريح البريطانى الفرنسى . ولعل أمتع ما فى هذا الفصل خيانة بريطانيا للعهد ومؤتمر القاهرة وأعمال لورنس والانتدابات على العراق ولبنان وسورية ، وقيام الثورات متعاقبة فى سورية ، ثم يأتى دور عقدة فلسطين ، وحق العرب ، وادعاء اليهود ، وهى العقدة الباقية تنتظر الحل العادل

وددت لو يتسع المجال فأقف برهة ليست بالقصيرة حيال بعض رسوم خطوط هذا السفر الجليل أضم بعض حلقات مفقودة لهذه السلسلة المحكمة العقد ، وأزعم أن لو اتصل المرحوم جورج أنطونيوس مؤلف هذا الكتاب بالكثيرين ممن ألجأهم المرض ، أو السن ، أو الضرورات ، إلى التخلف عن ركب الجهاد ، أو بالذين خلوا الطريق للمتقدمين الطامحين ، أو النهازة المتفرصين ، لكان استوفى أكثر بحوثه وشارف بها على الكمال

اضطلع بترجمة هذا السفر النفيس حضرة الأستاذ على حيدر الركابى فحق له الشكر الطيب والثناء العاطر يسديه إليه كل عربى بعد إذ يسر لأبناء العربية مراجعة سجل حياتهم وقد سلكوا فيها مسالك بناة الملك .

# أبو زيد الهـــلالى

## تأليف الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

لهذا الاسم بريق ولمعان ، وماض مجيد ، وحاضر خافت راكد ، ولكن هذا الحاضر مع خفوته وركوده لم يذهب ببهاء هذا الاسم ، ونضارته ، وما له فى نفوس العامة من أفراد الشعب من التجلة والاحترام . فيكاد يعرفه العامة أكثر مما يعرفه الخاصة — وأعنى بالمعرفة وفرة المعلومات وكثرتها ، لا واقعيتها وحقيقتها — فهو متصل بنفوسهم وحياتهم اتصالا وثيقاً ... يسمعون عن بطولته فى المقاهى والأندية الشعبية ، ما يلهب حماستهم ، ويشعل قلوبهم وأفئدتهم شجاعة وإقداماً ، ويقدم لهم لونا من الخيال الحبيب ، يرضيهم ويطربهم ، ولا يرتضون بغيره بديلا . . !!

وإذا كان من لوازم الأدب التأثير فى النفس ، فإن هذه القصة ، بلغت درجة لم تبلغها قصة غيرها على كثرة ما كان ينشر ويذاع بين هـذه الطبقات ... إذ ظلت حديث المجتمع المصرى ثمانية قرون ، وظل شاعر الربابة يحدث بها الناس من العهد الفاطمى إلى اليوم ، بيد أن شعر القصة اليوم أصبح شبحاً ماثلا ولوناً حائلا يتلاشى صوته فى ضجيج العصر ، وجلجلة المذياع .

وليس من السهل تناول هـذا الموضوع ، فلا يزال حظ الهلالية فى التاريخ قليل ، وأدباؤنا لا يعنون العناية اللائقة بهذا القصص الشعبى ، بل تركوه فى أيدى الوارقين — من الذين لا يعنيهم إلا جمع القرش — يتناولونه بالتحريف والتصحيف . حتى أصبح من العسير الوصول إلى الحقائق الناصعة ، والنتائج السليمة التى ترضى الباحث ويطمئن إليها الخاصة ، ولا يرتابون فيما يقرءون . . وويل للموضوع يفقد ثقة الخاصة ، ولا ينال تقديرهم واحترامهم ... !!

وبنو هـلال وسليم من بطون مضر الكثيرة المتعددة ، الذين كانوا يعيشون قبل الاسلام عيشة البداوة والخشونة . ثم

دخلوا حظيرة الإسلام ، وحملوا رايته ، ورفعوا لواءه ، أيام بنى أمية فى الشام ، وبنى العباس فى العراق ، ثم بنى أمية فى الأندلس

ولأمر ما نزحوا من نجد ، وجاءوا إلى مصر ، فأسكنهم الخليفة الفاطمى صعيد مصر ، بيد أنهم لم يستقم لهم أمر ، فعاثوا فى الأرض فساداً ، وأصبحوا خطراً على الدولة ، فرمى بهم المستنصر مُلكَ صنهاجة والقيروان المعز بن باديس ، وذلك لانحرافه عن مذهب الشيعة إلى مذهب أهل السنة ، وفى ذلك كتب اليازورى وزير المستنصر الفاطمى إلى المعز بن باديس يقول :

« أما بعد ، فقد أنفذنا إليكم خيولا فحولا ، وحملنا عليها رجالا كهولا ، ليقضى الله أمراً كان مفعولا ... » !!

وبذلك ضرب المستنصر عصفورين بحجر واحد ، وهنا تتجلى بطولة هؤلاء الأعراب ، وفروسيتهم التى عمل فيها الخيال الطليق ، ما كاد يخرجها من عالم الحقيقة إلى عالم الخرافات والأوهام ...

ومهما يكن من شىء فقد تناول صديق وزميلى الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف هذا الموضوع فى سلسلة « إقرأ » ، وهو أديب ناقد ، تخرج فى مدرسة « الرسالة » الغراء ، وكان له فيها جولات ، وقد رزقه الله قلماً يعرف كيف يصل به إلى نفوس القارئين . فلا عجب إذا لمّ المتفرّق ، وجمع الشتيت ، جمع الناقد الفاحص ، واتخذ من هذا كله مادته فى هذا الموضوع ، فخلق منه بحثاً قيما مفيداً ، يجدر بكل أديب أن يمتع نفسه به فترة من الزمن ، ليجد ألواناً من الفكر المتزن . فيها جدة ، وفيها جرأة ، وفيها طرافة ولذة ...

ولصديق فهمى عذره فى ترداد اسم ابن خلدون كثيراً ، فهو يكاد يكون المؤرخ العربى الوحيد ، الذى عنى بالكتابة عن الهلاليين ، كتابة فيها مقنع إلى حدّ ما ... وعسى أن تتاح الفرصة لصديقى فهمى ، فيجلو بعض ما فى الكتاب من غموض يسير ، ويوضح بعض ما فيه من إجمال ، أعتقد أن ضيق المقام ، وتقيده بعدد الصفحات هو الذى اضطره إلى ذلك . والكتاب بعد هذا تحفة أدبية لا غنى عنها لأديب .

كتب من مراكش :

# عصر المنصور الموحدى

تأليف الأستاذ محمد الرشيد ملين

للأستاذ عبد الكريم غلاب

وهذا كتاب آخر نقدمه إلى قراء مجلة الرسالة الغراء أصدرته الطبعة المراكشية حديثاً لمؤلف شاب استهل إنتاجه العلمى بهذا الكتاب الذى يقول عنه إنه حلقة من سلسلة « العصور الذهبية المغربية » التى اعتزم إصدارها

وقد كتب المؤلف كتابه عن شخصية وعصر . فصاحب الترجمة هو المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى ؛ شخصية فذة فى تاريخ مراكش ، استطاع الكاتب أن يجعل من تاريخ حياته عصراً يتميز فى خططه السياسية والحربية ويتميز فى حياته العلمية والفكرية ، وبذلك أصبح عصره هذا جديراً بالدراسة والتأليف .

وقد وصل المنصور إلى الخلافة عقب وفاة والده يوسف بن عبد المؤمن عند رجوعه من حرب البرتغال ، فتحمل المنصور الأمانة وهو شاب لا تقوى ساعداه على تحمل المسؤولية ، وكانت أمانة الملك ثقيلة بأعبائها التى تركها له والده : كان البرتغاليون والأسبانيون يغيرون على أطراف المملكة الإسلامية فى الأندلس ، وكان على الموحدين أن يردوا هذا الاعتداء بصفتهم الحارس الأمين على دولة الإسلام فى تلك البقاع . وكان ابن غانية — وهو الذى بقى من نسل المرابطين — يريد أن يرجع دولتهم ، فبدأ بمحاربة الموحدين فى جزر البليار ، ثم انتقل إلى الجزائر وتونس ، محاولا أن يكون دولة مرابطية جديدة ، وأن يقضى على دولة الموحدين . وكان هناك بعض أعمامه واخوته ينقمون عليه أنه تولى الخلافة وهو أصغرهم ، ويرجعون ذلك إلى المصادفة التى جعلته يحضر الغزوة التى توفى فيها أبوه متأثراً بجراحه

كان على المنصور أن يواجه هذه الأعباء بلباقة وحزم ، حتى يستطيع أن يحتفظ بامبراطوريته الواسعة ، التى تمتد إلى الأندلس شمالا ، ثم إلى شمال أفريقيا ، بما فى ذلك طرابلس وبرقة غرباً . ولذلك كانت حياته سلسلة من المعارك الطاحنة التى اشترك فيها الجيش والأسطول ، فقد غزا الأندلس عدة مرات ، وكانت أشهر معركة خاضها هى معركة الأرك سنة ٥٩١ هـ ، تلك المعركة التى تذكرنا بمعركة الزلاقة فى عهد يوسف بن تاشفين ، فقد انهزم حماة النصرانية فى الأندلس فى كلتا المعركتين واستتبت سيطرة المراكشيين على الأراضى الإسلامية هناك

أما على بن غانية ، فقد كان خصما عنيداً لم يكن من السهل القضاء عليه ، وخاصة بعد ما استولى على بجاية فى الجزائر ، وأخذ من رجال الصحراء جيشاً قوياً ليحمى به مملكته الجديدة ، ويعيد بها مجد أجداده المرابطين ، ويقضى على مملكة المنصور . ولكن المنصور تعجل الأمر فبعث إليه جيشاً مكوناً من عشرين ألف مقاتل أردفه بأسطول ضخم تحت قيادة أحمد الصقلى أمهر القواد البحريين فى ذلك العصر . ولم يفد ابن غانية التجاؤه إلى الصحراء ثم فراره أخيراً إلى تونس ، فقد تتبعه المنصور فى معركة أخرى كان من نتائجها أن استولى على كل هذه البلاد ، وقضى على خصمه الألد ، بل قضى على أتباع قراقوش الذين كانوا يساعدونه. وبذلك خضعت الأمبراطورية كلها لرئيسها الأعلى المنصور الموحدى

أما العقبات التى أثارها أعمامه واخوته الذين تأخروا عن مبايعته ، أو أرادوا أن يثوروا عليه أثناء مرضه ، فقد عالجها المنصور بلباقة وحزم ، جعلت أعمامه يخضعون ، وجعلته يتمكن من أخيه الذى حاول الثورة ويقضى عليه بسهولة

ذلك هو الجانب السياسى والحربى من حياة المنصور ؛ بيد أن هناك ناحية أخرى فى حياته لا تقل روعة عن هذا النجاح الحربى ، تلك هى ناحية العلم والإصلاح . فقد كان المنصور عالماً يعقد المجالس للعلماء ليساجلهم فيما يعرضون من أفكار وآراء ، وقد كان من أبرز علماء هذه المجالس ابن رشد الفيلسوف وابن زهر الطبيب . وكان إلى جانب ذلك أديباً وشاعراً ، كما كان فقيهاً ومحدثاً . وبذلك اصطبغ عصره بالصبغة العلمية التى جعلته من أزهى عصور التاريخ المراكشى . ونزعة المنصور الإصلاحية واضحة التأثير فى العصر الذى نتحدث عنه ، فقد وجه جهوده إلى القضاء على كل أسباب الفوضى الإدارية والقضائية والاجتماعية ، كما وجه همته إلى محاربة الأمية : فجعل التعليم إجبارياً للذكور والإناث ، ويكفى أن نقول إنه حارب فكرة عصمة المهدى ( مؤسس الدولة الموحدية ) ، وهى التى قامت على أساسها هذه الدولة

ذلك موجز لكتاب « عصر المنصور الموحدى » ، وقد وفق المؤلف فى عرضه لهذين الجانبين من عصر المنصور ، فكان ترتيب الفصول طبيعياً ومتسلسلا ، وخاصة فى الناحية السياسية. وبذلك توفر فى الكتاب نوع من التنظيم قل أن نجده فى كتب التاريخ . أما أسلوب الكتاب ، فهو سلس وفيه بريق ولا يخلو من مسحة شعرية . ومما يتصل بذلك أن المؤلف لا يكثر من سرد النصوص التاريخية ، ولكنه يكتفى بعرض الحوادث فى أسلوبه الخاص مشيراً إلى المصدر فى أمانة وإخلاص

غير أن لى بعض الملاحظات لا تنقص من قيمة الكتاب : منها أن كتابة التاريخ لم تعد سرداً للحوادث ولا تلخيصاً لما كتبه القدماء ، ولكنها أصبحت فناً يقوم على شىء من التفكير وشىء من الفلسفة . ورب حادثة بسيطة لا تسترعى الانتباه تقوم عليها حياة العصر ، ولو وقف عندها المؤرخ قليلا ووهبها شيئاً من نفسه وتفكيره لشرحت له دقائقه وأسراره . ولكننا لم نجد فى كتاب عصر المنصور أى مجهود من هذا القبيل ، ومن أمثلة ذلك أن المنصور تحول عن عقائد الموحدين وآرائهم التى قامت على أساسها دولتهم ، وأنه وقف من ابن رشد موقفاً غريباً ، فقد كان راضياً عنه مقرباً له ، ثم غضب عليه ، ثم عاد فاستدعاه إليه وقربه . يعرض المؤلف هاتين الحادثتين كما رواها المؤرخون ، ولكن لماذا حصل كل ذلك؟ وكيف؟ لا تجد فى الكتاب تبريراً لذلك

ومن الملاحظات الهامة أن دولة الموحدين قامت على عقائد معينة أتى بها المهدى بن تومرت وأقام الدولة على أساسها عبدالمؤمن جد المنصور . وقد كان حرياً بالمؤلف أن يعقد فصلا لهذه الأفكار

والمقاصد التي قامت عليها الدولة

ومما يؤخذ على المؤلف أنه يسبق الحوادث أحياناً فيدلى بالنتائج قبل أن يسرد الوقائع التاريخية .

وقد قلت من قبل إن الكتاب نظم تنظيماً دقيقاً ، ولكن المؤلف يعرض أحياناً لبعض الإصلاحات الإدارية والعمرانية والاجتماعية والقضائية ضمن ما كتبه عن الحياة السياسية . فقد كان حرياً به أن يعقد فصلا مستقلا لما قام به المنصور من إصلاحات

وكنت أحب أن لا أعرض لما وقع فيه المؤلف من أخطاء إملائية ونحوية ولغوية ، ولكن الأخطاء كثرت بحيث لا تكاد تخلو منها صحيفة من صحائف الكتاب ولعل في ذلك أيضاً مايغنيني عن ضرب الأمثلة . ويجب أن أنبه إلى أن مثل هذه الأخطاء تنقص من قيمة الكتاب . وتشوه من جمال أسلوبه

ولست في حاجة إلى القول بأن هذه الملاحظات لا تغض من قيمة الكتاب العلمية ، وحسبي أن أهنئ المؤلف على مجهوده ، وأن أرجو له التوفيق فيما سيصدره من كتب عن العصور الذهبية المراكشية .

ظهرت حديثاً :

الطبعة الجديدة من كتاب :

# في أصول الأدب

للأستاذ

أحمد حسن الزيات

في ٢٤٢ صفحة من القطع المتوسط

يطلب من دار الرسالة

ومن سائر المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٥ قرشاً

عدا أجرة البريد

# إذا أردت نموذجا

من الميزان الدقيق ، والتحليل العميق ، والرأى الثاقب ، والنقد الصائب ، والدليل الذى يرشدك إلى قيم أشهر الكتب وأقدار أشهر الكتاب فاقرأ

# كتب وشخصيات

للأستاذ الناقد سيد قطب

فهو خير ما صدر فى هذه الفترة الأخيرة

من كتب التحليل والنقد

يقع فى ٣٥٢ صفحة من القطع المتوسط

ويباع فى دار الرسالة

وفى سائر المكتبات الشهيرة وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

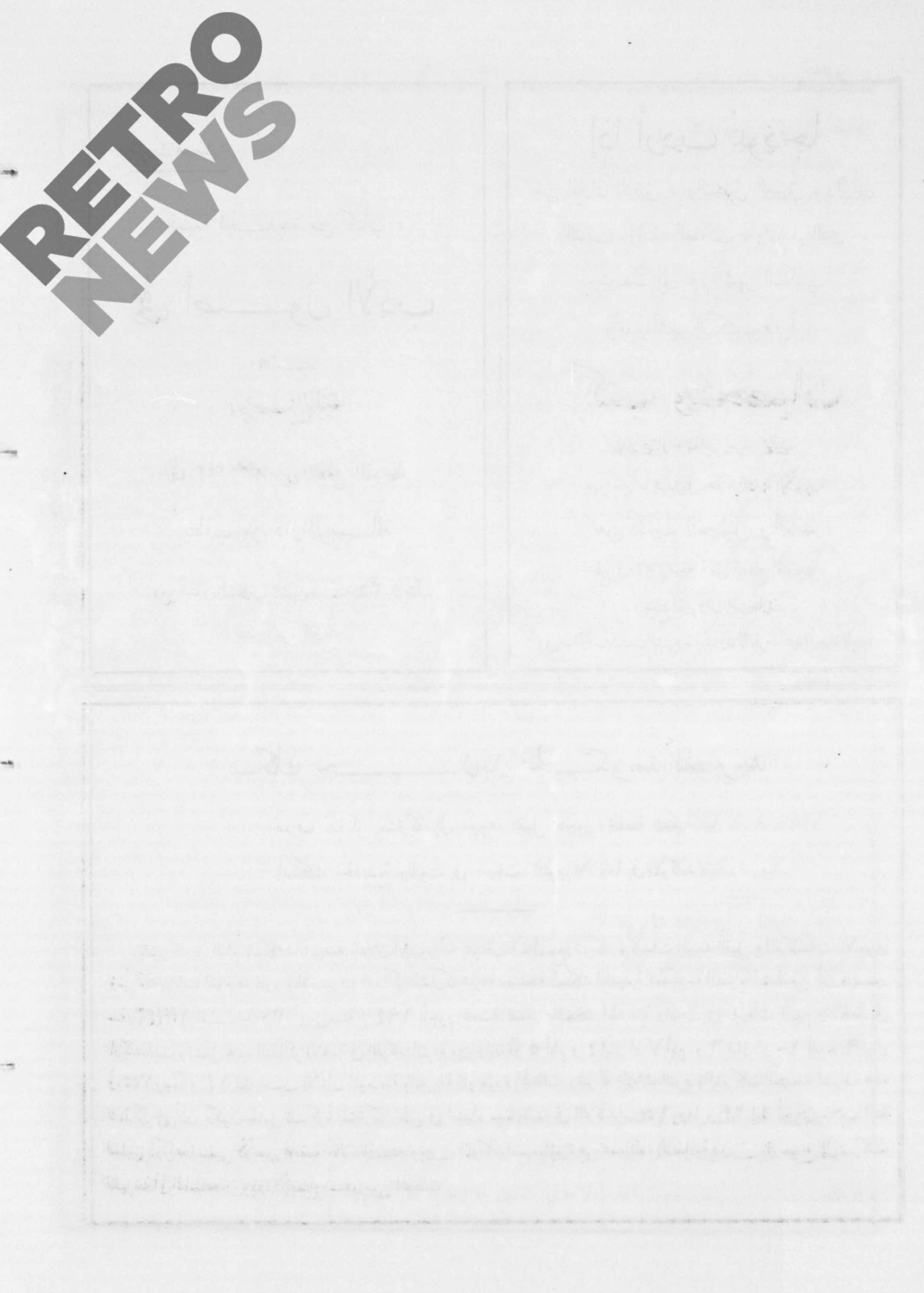
# سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلى بأجور مخفضة للسفر بها

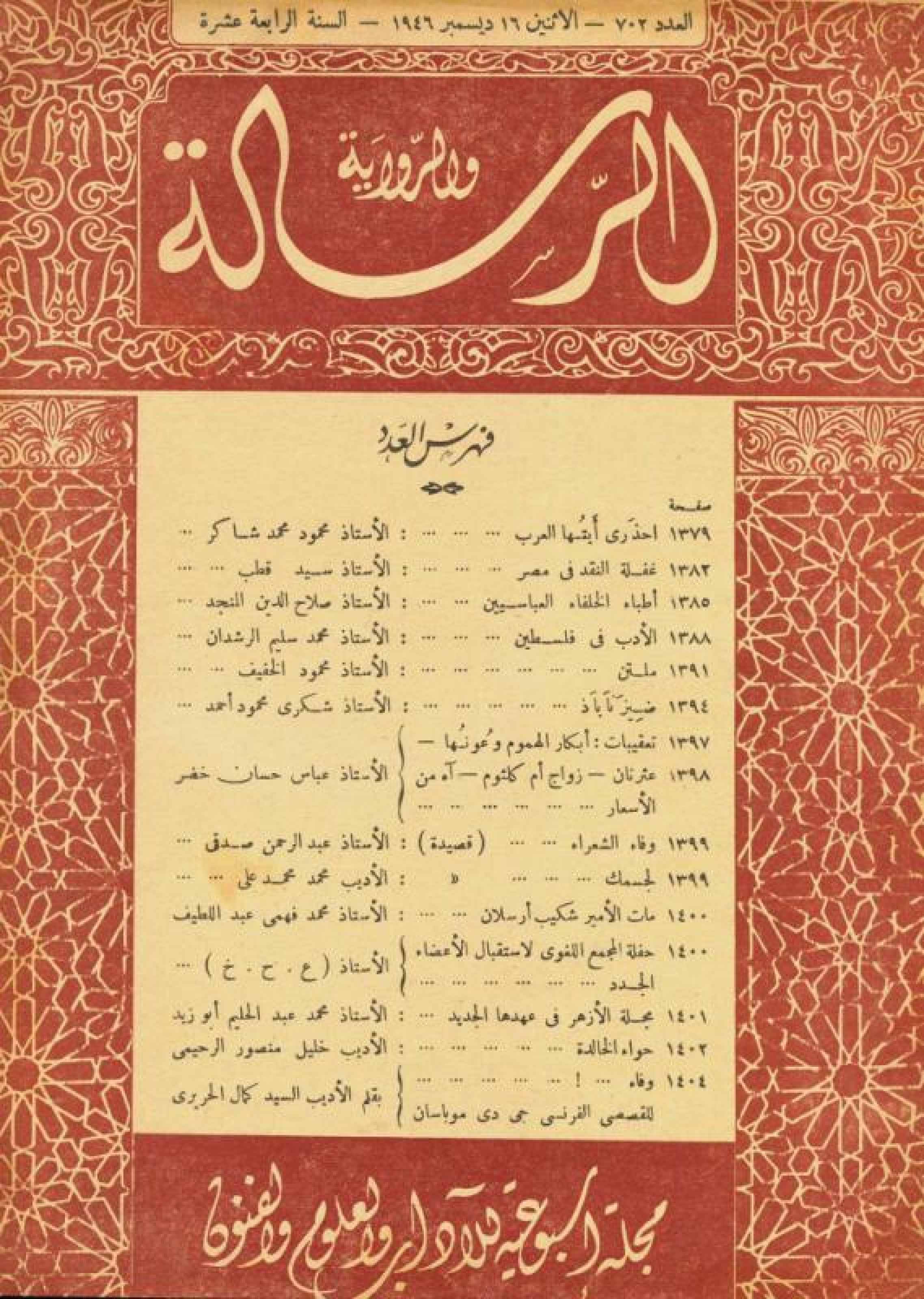
بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والاقامة فى اللوكاندات

---

ينشر المدير العام للسكك الحديدية باعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة لوكاندات الوجه القبلى واللوكاندات الاخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول ديسمبر سنة ١٩٤٦ لنهاية ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٧ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والاقامة فى اللوكاندات وتشمل هذه التذاكر الاقامة فى اللوكاندات يومين وليلة أو ٥ أيام و ٤ ليال أو ٧ أيام و ٦ ليال أو ١٠ أيام و ٩ ليال أو ١٥ يوماً و ١٤ ليلة حسب الأثمان الموضحة بالتعريفة الموجودة بالمحطات وشركة عربات النوم والشركات المعتمدة لصرف هذه التذاكر على أن يكون لحامل التذكرة المشتركة الحق فى امتداد مدة إقامته فى اللوكاندات ١٥ يوما و ١٤ ليلة أخرى خلاف المدة السابق ذكرها بنفس الأجور المخفضة بالاتفاق بينه وبين اللوكاندات مباشرة عن هذه المدة الاضافية دون الرجوع إلى شركات السياحة أو المصلحة ولزيادة الأيضاح يستعلم من المحطات .

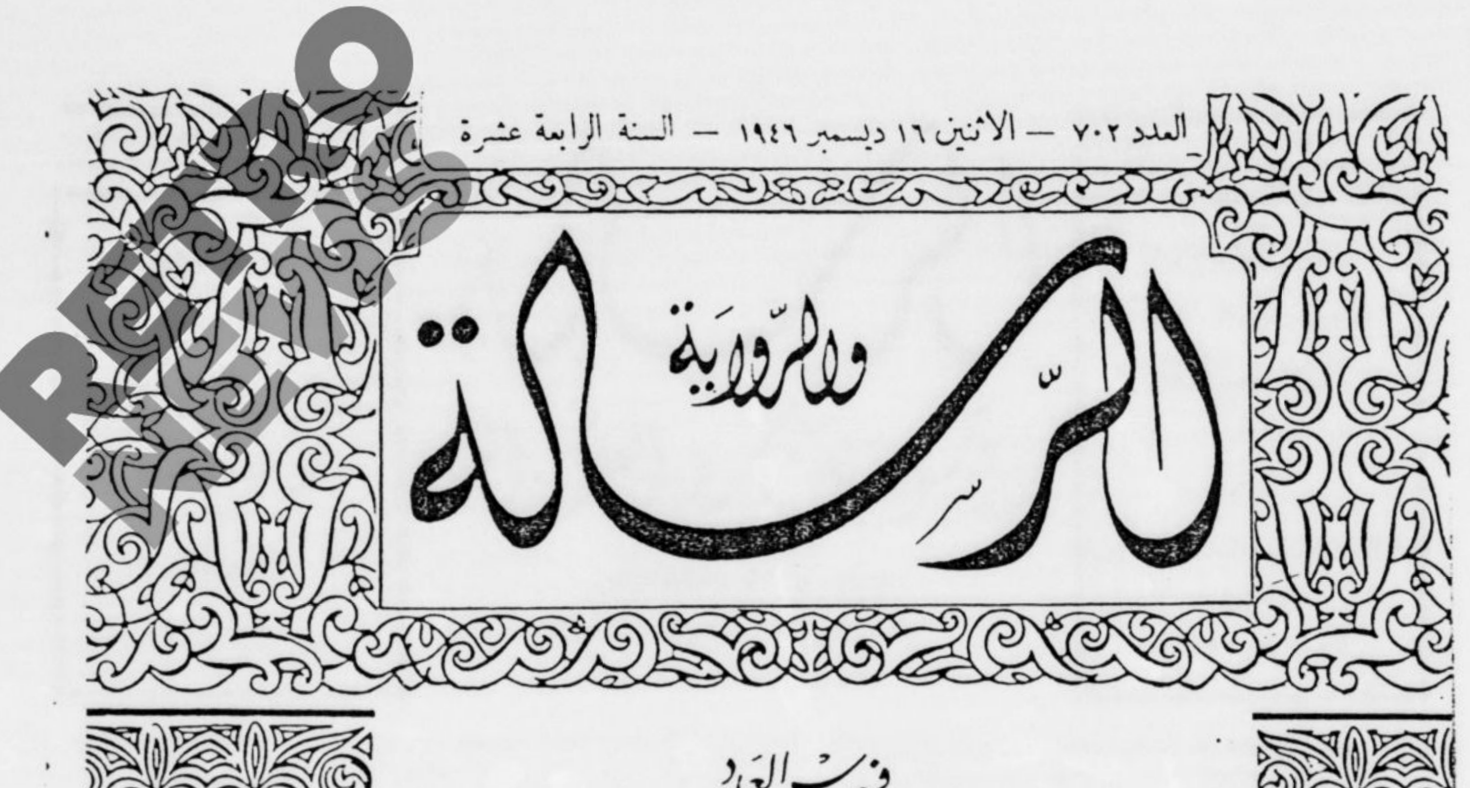

RETRO
NEWS

العدد ٧٠٢ — الاثنين ١٦ ديسمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة




## فهرس العدد

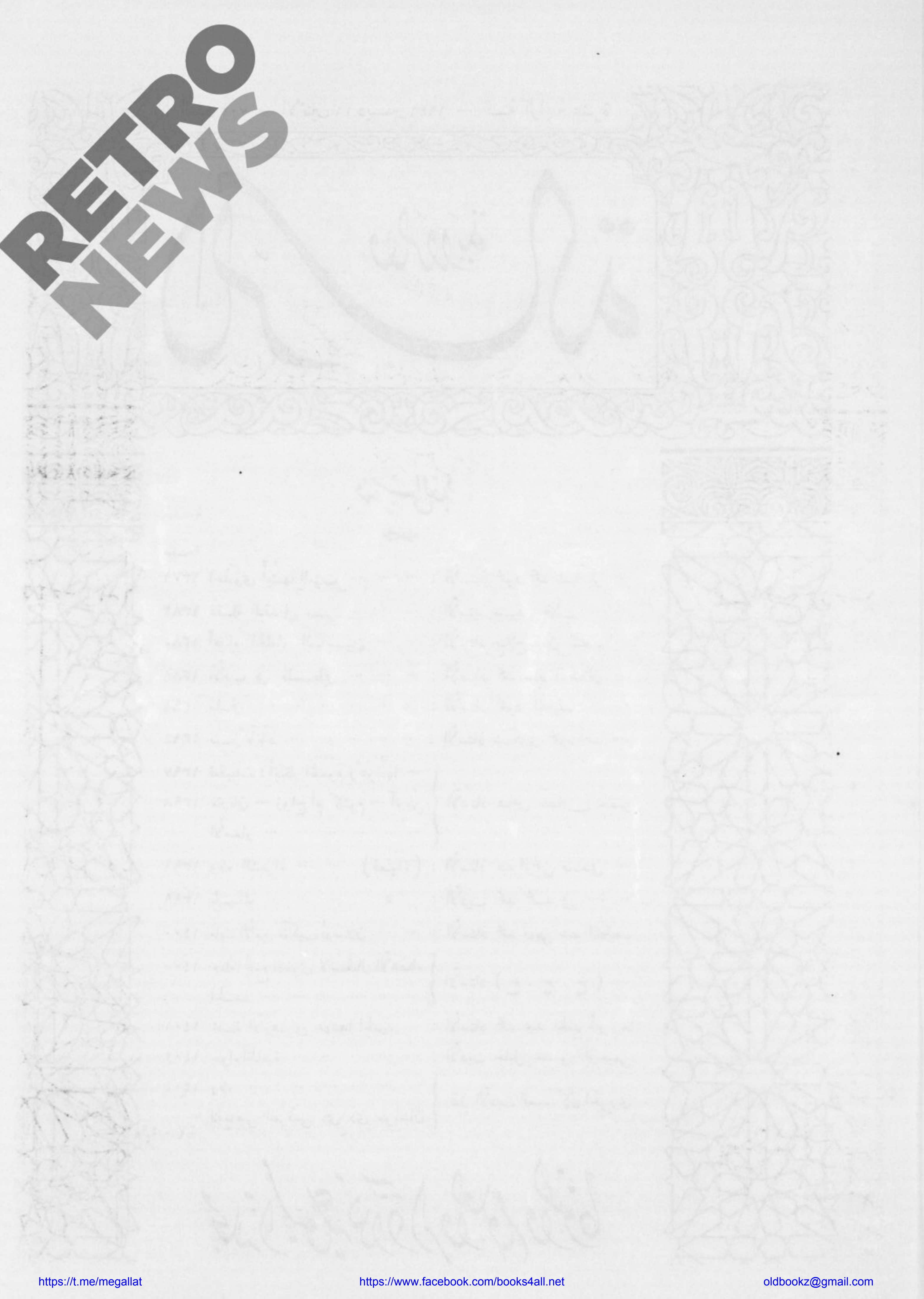
العدد ٧٠٢ — الاثنين ١٦ ديسمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

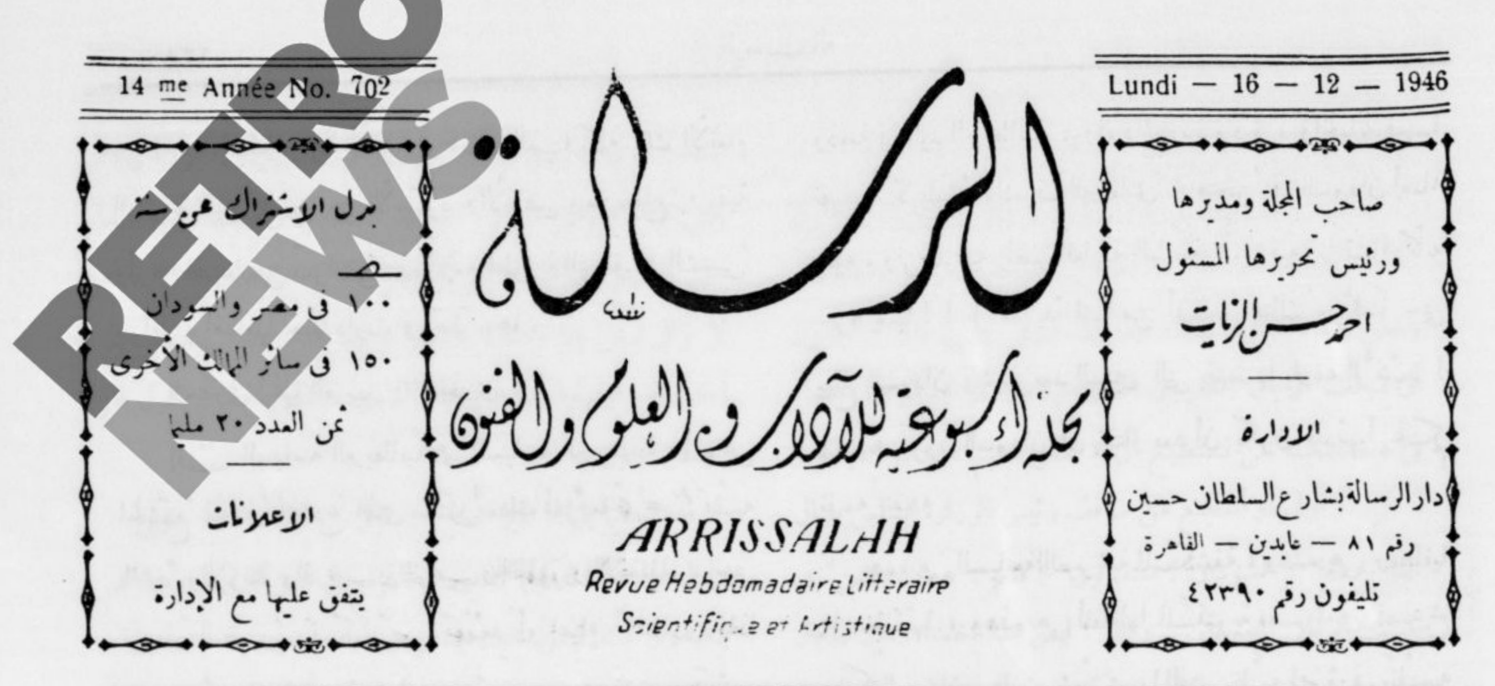



## فهرس العدد



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




14 me Année No. 702
Lundi — 16 — 12 — 1946

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧٠٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ محرم سنة ١٣٦٦ — ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

# احذرى أيتها العرب

للاستاذ محمود محمد شاكر

اليوم ، لقدْ أحدَّ الجزَّار شفرته وشمّر عن ساعديه ، وأقبل على الذبيحة يريدُ أن ينحرَها نحراً فذاً ، وهى راضيةٌ عنه داعية له ، مستسلمة بين يديه ، مقرَّةٌ له بأن ذَبْحها هو نجاتُها ، وأن شفرته هى كما قال الراجزُ فى دَلْوه : « قاتِـلَتى ومِلؤها حياتى » ! !

وبالأمس — فى سنة ١٨٨٢ — وطئت إنجلترا أرضَ مصر لتدعم ما تزعزع من أركان عرشها ، كما زعمت وزعم لهـا من لا يتورّع ولا يتحرّج ، ومنذ ذلك اليومِ والسكّين ماضٍ فى تعزيق أشلاء ذلك البدَن المخدَّر بالأكاذيب وبالغفلة وبالجهل وبالخيانة ، والذى كان يسمّى العالمَ العربى والعالم الإسلامىّ .

وما مضى إلا قليلٌ حتى طارتْ أشلاءُ هذا البدن بدداً متفرقة مفصّلة ، ذهبتْ مصر وحدها ، وذهب الشامُ وحدَه ، وذهب العراق وحده ، وذهبت مراكش وحدها ، وذهبت طرابُلس وحدها ، وذهبت تركيا وحدها ، وقطعت عُنق الخلافة ، وقضى الأمرُ .

واليوم يوشِكُ أن يكون ما كان بالأمس ولكن على أسلوب آخر : أن تحشَد هذه المِزَقُ المقطعة حشْداً جديداً لتساق إلى يوم الحشر ، لتساق مخدَّرة بالأكاذيب وبالغفلة وبالجهل وبالخيانة مرّةً أخرى إلى الهُوَّةِ المضطرمة التى لا تُبْقى على حىٍّ ، إلى الحرب الثالثة .

* * *

هذه إنجلترا تريدُ مرّةً أُخرى أن تعود بحِيَلِها ورجالها وأعوانها وصنائعها ، وبمداوراتها وسياساتها ، لتضرب الضربة الأولى كما ضربتْها فى سنة ١٨٨٢ ، وتخضع أعناق المصريين شاهدَهم وغائبَهم لأحكام معاهدةٍ عجيبة ظاهرها فيه الرحمة (أى الدفاع عن مصر والشرق) وباطنُها من قِبَله العذاب (أى نكال الحرب الثالثة) . ولن تفرغ منها — إذا قدّرَ الله أن تفرغَ ، ولا قدّر — حتى تحملها لتدور بهـا على أمم العرب واحدةً بعد واحدةٍ ، لتنال منها صكاً مكتوباً ، بالأسلوب الإنجليزى ولا ريب ، يجعلها جميعاً فى قبضة الأسد البريطانى ليوم الحشرِ ، فعندئذ تسوقهم جميعاً كعادتها إلى المجزرة الكبرى مُقدَّمين فى الصفّ الأول ليكونوا قُرباناً لجبّار الحروبِ ، ووقاءً للدّمِ الإنجليزى أن يُهَراق منه فى حروب الإمبراطورية البريطانية إلاّ ما لا بُدَّ منه تَحِلَّةَ القسم وردَّ العين الحاسدة ، كما حدث فى الحرب الأولى والحرب الثانية ، حيث لم يُسْفَك

من الدم الإنجليزى إلا الأقل ، وحملت العبء كله تلك الأنعام البشرية التى جمعت من الأسود والأبيض ، من بقاع إفريقية وأرجاء الهند ومن نواحى هذه الإمبراطورية التى تقبل الشمس مواطىء أقدامها حيثما دارت فى مدارها .

فاحذرى أيتها العرب ... احذرى .

إن السياسة البريطانية هى السياسة البريطانية ، أى هى الجشع المحتال المخادع الذى يستل منك أعز ما تحرص عليه بالشد والإرخاء والترغيب والترهيب والظهور والاختفاء ، حتى تنهار النفوس وتسكن من جهد أو إعياء . انظرى ماذا فعلت ، أو ماذا كانت تريد أن تفعل بمصر . شهر بعد شهر بعد شهر والدنيا كلها من حولنا تعج عجيجاً بالمفاوضة والمعاهدة وبالأخذ والرد ، وبالموافقة والمعارضة ، وباللين والشدة ، وبالسكينة والصخب ، حتى دارت الرؤوس على أعناقها ، وتحيرت العيون فى محاليقها ، وتشتت منار الهدى وخيف على صاحب الرأى أن يزول عن رأيه ، وما زالت إنجلترا تمد للطامعين مداً وهم يسمون وراء ألفاظها الخلابة حتى أعيتهم ، وكادت لهم كيداً شديداً حتى أطغتهم فطغوا ، وأرادوا أن يضربوا على عقول هذه الأمة وألسنتها بالقهر والعنف والاستبداد حتى تدع العقل واللسان ، وتقبل منهم ما أرادوا هم أن يفرضوه علينا فرضاً .

ولكن يأبى الله أن يكون لهذا الكيد كله قرار ، فهذه الفئة التى ظنت أنها سوف تخدع إنجلترا عن نياتها الملفقة فى الألفاظ الكاذبة ، قد جاءها البرهان الساطع القاطع ، بأن هذه الدولة « المفاوضة » تضع الألفاظ على قدر ما تريد ، لا على قدر ما يريد مفاوضها أن يفهم . فإذا خيلت له نفسه أنه فاهم من النص ما يقول لها ويبين عن فحوى ألفاظها أرسلت عليه شيئاً يرده إلى صوابه . فبالأمس كان المفاوض المصرى يزعم لمصر أنه جاءها « بوحدة وادى النيل » ، وأن النص المتعلق بالسودان كان خيراً كله ، وأن وأن ... فما أصبح الصباح حتى طلع عليه شىء من أشياء بريطانيا يقول له : جاوزت حدك فاستبق ، وأن بريطانيا لا ترضى هذا التفسير المصنوع من جانب واحد ، وأن السودان وديعة فى اليد البريطانية ، والودائع مستردة ، والخيانة فيها تفريط لا يليق بالشرف البريطانى ! فنحن فى السودان أمناء عليه ، ولن ندعه لمصر العادية الباغية تفعل فيه ما تشاء كأنه جزء منها ! ! بل لا بد لنا من أن نبقى هناك حراساً حتى يبلغ السودان رشده بعد السنين التى يقتضيها بلوغه الرشد ! وعندئذ يكون للسودان أن يختار بعد أن يكون قد تهيأ لحكم نفسه بنفسه .

هذه هى السياسة الصريحة المتكشفة ، وهذه هى بريطانيا على حقيقتها ، وهذه هى ألفاظها المكتوبة مفسرة فى تصريح حاكم السودان . فليت شعرى ما الذى يظنه امرؤ فى نفسه ذرة من الإيمان بحق الإنسان فى الحرية . ما الذى يظنه كائناً بعد ذلك فى تفسير نصوص المعاهدة التى يراد لنا أن نرتبط بها مع هذه الإمبراطورية ؟ ومهما تكن نصوص المعاهدة ، ومهما يقل فى تسويغها أو تقريظها ، وسواء أكانت هذه المعاهدة المعروضة اليوم أم غيرها ، فهل يحل لمصرى أو عربى أن يأمن على بلاده بعد هذه الخديعة التى لا تعرف ورعاً ولا حياء ؟ !

وليس هذا فحسب ، لقد قال حاكم السودان ما شاء ، فماذا كان جواب الحكومة المصرية على هذا التصريح العجيب ! كان الجواب أن ينشر رئيس الوزراء كلمة يحتج فيها على تصرف حاكم السودان ، وأنه قد تجاوز حدود وظيفته من حيث هو حاكم إدارى ، ومن حيث هو موظف مصرى بريطانى معاً ! أيكون حقاً حاكم السودان هو المسئول عن تصريحه ، وهو ينسب مايقول إلى الحكومة البريطانية بلسانه ! هذا ، ومن الغفلة أن يظن ظان أن رجلا إنجليزياً يدير شيئاً من أمور هذه الامبراطورية يجرؤ أن يتكلم من ذات نفسه بالنيابة عن حكومته ويوقعها فى ورطة سياسية كهذه الورطة . إذن أفما كان أولى وأجمل وأكرم وأنبل وأشجع أن يوجه الاحتجاج رأساً إلى الذى أنطق هذا الرجل بما نطق به وأن يقال لهذه الحكومة البريطانية « المفاوضة » إنك أنت الملومة لا هذا

الرجل ! ولكن هكذا كان .

فما الذى سيكون غداً أيها الرجال الدافعون بأقلامكم وألسنتكم إذا جاءتكم لجنة الدفاع المشترك ، وجاء البريطانى ، ونطق لسانه بما لا تطيقه هذه الأمة ولا ترضى عنه ؟ أتظنون أن موقف الرجال المصريين الذين سيختارون ليكونوا أعضاء فى هذه اللجنة ممن تستطيع أن « تعمل معهم » ، سوف يكون أكرم أو أولى أو أشجع من موقف رئيس الوزارة السابق حيال تصريح حاكم السودان ؟ ستقولون كما قلتم : هذا مطعنٌ فى الضمير الوطنى المصرى ... وكلاَّ ! ليس هذا مطعناً ، فإن الرجال الذين سيختارون لهذه اللجنة سيكونون ممن « صُنِعوا على عين بريطانيا » منذ احتلت مصر فى سنة ١٨٨٢ إلى هذا اليوم .

ولأن يقال إن هذا الذى نقول مطعنٌ خير من أن تُلقى مصر كلها تحت أقدام بريطانيا وفى تنُّور حروبها ، لتكون دماء أبنائها فداءً للدم البريطانى الطاهر المقدس .

* * *

أيتها العرب احذرى ... احذرى هذا المصير الذى يرادُ لمصر لا قدر الله أن تصير إليه . ولئن كان هذا يومنا نحن ، فغداً يومكم ليُعرض عليكم مثل الذى عُرض علينا ، لتكون لكم « لجنة دفاع مشترك » كلجنتنا نحن ، فاحذرى أيتها العرب ، ولا تقرى بينك وبين بريطانيا معاهدة أبداً ، فإن بريطانيا تريد بجمعكم اليوم على مثل هذه المعاهدة ، كالذى أرادته بكم جميعاً يوم وطئت أقدامها أرض مصر فى سنة ١٨٨٢ ، تريد أن تمزقكم بعد أن تكونوا وقوداً لنيران الحرب الثالثة .

أيتها العرب احذرى ... فإذا كنت نازلة فى ميدان الحرب الثالثة فانزليها حرة لتموتى حرة ، ولكن لا تُلقى بفلذات الأكباد فى أتون الحرب المسعورة ، ليكونوا هناك عبيداً ويموتوا عبيداً ، كما تريد المعاهدات الإنجليزية بنا وبأبنائنا وبناتنا وأوطاننا

أيتها العرب احذرى ... لقد لبثتْ إنجلترا تدس لكم وعليكم وتنشِّئ فيكم أجيالاً من الخلق صاروا لها صنائع وأعواناً ، أرادوا ذلك أو لم يريدوه ، وعرفوه أو جهلوه ، وعين إنجلترا بصيرة نفاذة فهى تختارهم وتمهد لهم ، وتحمِلهم بسلطانها وبحيلها وبتهديدها حتى ترفعهم إلى الذروة التى تجعلهم أهلا للمكانة فى بلادهم ، ثم لا تزال تعمل هنا وهناك بأنامل بصيرة قادرة متدسسة حتى يتم اختيارهم ، فيتولوا هم زمام هذه الشعوب المسكينة ، ثم تقول لهم كما قال الأول :

فعِشْ فيما يليك بغير قصدٍ ... فإنى عائثٌ فيما يلينى

وإذا هؤلاء المساكين الذين ارتفعوا إلى غير أقدارهم ومنازلهم يكيدون لأممهم من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون ، وإذا سياسة الأمم الناهضة فى أيد لا تُحسن إلا العيث والفساد ، ومصايرها على ألسنة لا تُحسن إلا التغرير والدهان والمالقة .

أيتها العرب احذرى .. ودعى المفاوضة والمعاهدة بينك وبين بريطانيا حتى ترد إليك كل حقوقك كاملة غير منقوصة ولا مهضَّمة ، فإذا فعلت فانظرى فى مراشدك . أما إذا قال لك هؤلاء : وماذا تفعلين أيتها العرب إذا لم تفاوضى إنجلترا وتعاهديها ؟ إذا ألقوا إليك هذا السؤال العاقل الحكيم الذى يفرض عليك أن تترك نصيباً من الحرية من أجل كواذب الآمال والوعود ، فاعلمى أن هذا التعاقل « الشديد » فسادٌ فى الطبائع التى تلقيه عليك :

يرى الجبناء أن العجزَ عقلٌ ... وتلك خديعةُ الطبع اللئيم

* * *

وأنتم أيها الكتاب العرب : هذه أمانة القلم تعرض اليوم عليكم ، وهى أثقل الأمانات ، فاحملوها بحقها أو دعوها بحقها ، فإن الأيام أسرع مُضياً من البرق فى حواشى الغمام . ومن حمل أمانته فعليه أن ينذر قومه قبل أن يأتى يوم لا تغنى فيه النُّذر ، وقبل أن يأتى يوم لا يردّ فيه البكاء على فائت !

محمود محمد شاكر

على هامش النقد :

# غفلة النقد فى مصر

للأستاذ سيد قطب

فى تقديرى أن الضجة المفتعلة التى أثيرت حول ذلك الكتاب المريب ، كتاب الشيخ عبد الله القصيمى ، والتى انزلق فيها بعض الكبار مخدوعين بما صوره لهم المؤلف من مخاوف محيط به وبكل تفكير حر فى المملكة السعودية ، هذه المخاوف التى تدنيه من حبل المشنقة بسبب كتابه ... إلى آخر ما أجاد المؤلف تمثيله من الأدوار ...

فى تقديرى أن هذه الضجة وذلك الانزلاق فضيحة أدبية لمصر ، وقد تؤخذ دليلا على غفلة النقد فيها إلى حد مخجل .

ولقد قُدّم إلىّ هذا الكتاب ، وأديرت على سمعى « الاسطوانة » التى أديرت على أسماع الكثيرين ، وتأثرت ساعتها وتحمست ؛ لحياة كاتب ليست بالشىء الهين ؛ وإهدارهذه الحياة بسبب رأى أو فكرة مسألة لا يحتملها القرن العشرون فوق ما فى الفكر الإسلامى من سماحة تبرئه من الجنوح إلى طريقة محاكم التفتيش .

ولكننى حين عدت فقرات الكتاب بردت هذه الحماسة ، وفتر ذلك التأثر ؛ لأننى لم أجد إلا كاتباً مريباً ، يتناول مسائل ميتة فى الغالب ، ومشاكل محاولة — حلها الزمن فى البيئة الإسلامية منذ نصف قرن على الأقل — ويزيد عليها فكرة مسروقة بنصها وبجزئياتها وبشواهدها من كاتب شاب يعيش وكتابه حديث الصدور لم يبعد به الزمن فينسى ... ليتخذ من ذلك كله ستاراً طويلا عريضا يلف به دعوة غير نظيفة ، للاستعمار والمستعمرين .

ولم أشعر أن الرجل فى خطر ، فأمثال هؤلاء يعرفون طريقهم جيداً — كما قلت فى مرة ؛ ولا خوف عليهم من الشنق ولا غيره . ولو كانوا يعرفون أن الشنق ينتظرهم حقاً ، لما أقدموا على فعلتهم ؛ لأن الحياة على كل حال أغلى من كل ثمن سواها قد يأتى به الكتاب !

ووجدت أنه من المهانة للفكر أن أنزلق فأكتب عن كتاب تافه مريب مسروق كهذا الكتاب ، يسلك صاحبه هذا السلوك فى الاحتيال لبعث الاهتمام به ، وإثارة الضجة حوله ؛ كما أنه يثبت على غلافه شهادة من نفسه لنفسه ، هذه الجملة المتبجحة : « سيقول مؤرخو الفكر : إنه بهذا الكتاب بدأت الأمم العربية تبصر طريق العقل » !

ثم ما أشعر إلا وضجة مجببة يثيرها بعضهم حوله . وهنا فقط وجدت أن لا بد من كشف الستار . فهى فضيحة . وفضيحة لمصر خاصة ، أن تبلغ غفلة النقد فيها هذا المستوى العجيب !

***

لكى ننقد كتابا يعالج مشكلات اجتماعية ونفسية وإنسانية يجب أن نسأل أنفسنا هذه الأسئلة الثلاثة :

١ — هل يعالج الكتاب مشكلات حية تعيش فى هذا الأوان ؟

٢ — هل نفذ إلى صميم هذه المشكلات ، وصورها التصوير الصحيح ، واقترح لها الحلول المناسبة .

٣ — هل كان أصيلا فى تصويرها وعلاجها ؟

وقد سألت نفسى هذه الأسئلة ، وكان الجواب باختصار :

١ — إن المؤلف « دون كيشوت » جديد يطعن برمحه طواحين الهواء يحسبها فرساناً ، ويشق بها زقاق الحمر يحسبها قساوسة ! ويحمل حملات شعواء على أولئك الذين يمدحون الجهل ويذمون العلم ، ويقررون أن الجنة لا يدخلها إلا البله ، ويؤمنون بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إنما بعثت بخراب العالم ...

ولكنه لا يقول : إن هذا كله كان من أوهام العوام ، كان خرافات سوداء فى عهود الظلام ، ثم انتهت بانتهاء هذه العهود المظلمة ... لا يقول هذا ، إنما يتهم العقلية الإسلامية بأن هذه هى أهم مشكلاتها وعقائدها دائما أبدا ليصل من هذا الطريق الملتوى إلى تحقير هذه العقلية فى جميع الأزمان ، وإلى إيثار العقلية الأوربية لأنها خلعت ربقة الدين ، وربقة الخلق ، وربقة التطلع إلى الله ،

وانطلقت تهدف إلى الأرض وحدها ، ولا تعلق نظرها مرة واحدة بالسماء . لأن التطلع إلى الله كفيل بإفساد الحياة !

وفى ثنايا هذا الذى يبدو تحررا فكريا فى ظاهره ، يخدع المخدوعين ممن يحسبون التحرر الفكرى مجرد التحلل من الأديان والأخلاق على أى وضع من الأوضاع ، فى ثنايا هذا يدس ما لعل الكتاب كله قد ألف لأجله : يدس الإيحاء للشرق العربى المسلم بأن لا حق له فى كراهة الاستعمار والمستعمرين ، لأنهم ورثة الأرض الذين يستحقون كنوزها وخيراتها ، لأنهم يتطامون إلى الأرض وأسبابها ، ولا يعلقون أنظارهم بالله ولا بالسماء !

وهناك مسألة أو مسألتان حيتان فى الكتاب ، ولا تزالان تعيشان ، لأنهما إنسانيتان : مشكلة الإيمان بالإنسان ، ومشكلة الإيمان بالأديان .

فأما الأولى فهى قضية الأستاذ عبد المنعم خلاف فى كتابه « أومن بالإنسان » . وقد شغلت من كتاب « هذى هى الأغلال » نحو أربعين صفحة أولا ، وتغلغلت فى ثنايا الكتاب كله أخيراً .

وأما المشكلة الثانية فقد عولجت بسلسلة من المغالطات والأغلاط تتلخص فى أن روح التدين تخالف روح الحياة ، وأن المتدين لا يمكن أن يكون رجل دنيا ... وهذا منطق لا يستحق الاحترام لأن الشواهد الواقعة تنفيه ، ولأن الدين روح حافز للعمل ولا سيما فى الإسلام الذى يصب عليه المؤلف جميع أوزار التأخر والانحطاط وإن عاد فالتوى ونفى عن الدين ذاته هذه الأوزار فى نفاق ظاهر يستحق الاشمئزاز دائما ، ولا يثير الاحترام .

٢ — ولعل الجواب عن السؤال الثانى يكون قد اتضح من الجواب على السؤال الأول ؛ فالنفاذ إلى صميم المشكلات يستدعى قسطا من الاستقامة والإخلاص . وهذان العنصران مفتقدان فى الكتاب كله .

فهو مثلا يستخلص سمات التفكير الإسلامى من أوهام العامة وخرافاتهم ، ومن أقوال لبعض المتصوفة وأمثالهم ، بدل أن يستخلصها من مجموعة المفكرين والمشرعين والفاتحين والعاملين فى التاريخ الإسلامى الطويل . فالحضارة الإسلامية كلها وعمارة الأرض وسياستها فى جميع العصور ليست داخلة فى حساب المؤلف ، وليست دليلا على شىء من خصائص العقلية الإسلامية . إنما الذى يصور هذه العقلية وحده دون سواه . أقوال كهذه الأبيات :

من أنت يا رسطو ومن أفلاط قبلك قد تجرد
ما أنتمو إلا الفراش رأى السراج وقد توقد
فدنا فأحرق نفسه ولو اهتدى رشداً لأبعد

وكلمات للمتصوفة والزهاد يذمون الدنيا والعلم والعقل ، ويمدحون الزهد والبلاهة والغيبوبة .

أولئك هم جميع المسلمين فى نظر المؤلف ، وهذه هى عقليتهم الإسلامية التى يجرد قلمه لينسفها نسفا ، فيقف جماعة من النقاد فى مصر يعجبون بهذا القلم القوى البتار !!!

وبمثل هذا الالتواء المريب يواجه مسألة التدين ومسألة الأخلاق ، ومسألة الأرض والسماء ، فلا ينفذ إلى صميم مشكلة واحدة ، لأن عنصرى الاستقامة والإخلاص لا يتوافران .

٣ — أما الجواب عن السؤال الثالث فهو فضيحة الفضائح فما عهدت أن يعمد مؤلف إلى مؤلف حى ، فيقبض فصولا كاملة من كتابه قبضا ، ويمهرها بتوقيعه ويطلع بها على الناس .

جرأة نادرة . ولكنها جازت على النقد فى مصر !

لقد كنت — وما زلت — أفهم ، أن الناقد قارىء متتبع لسير الفكر . فهذا هو الشرط الأول للناقد كيما يستطيع أن يؤرخ خطوات الفكر ، ويعرف من السابق ومن اللاحق . وأنه يتحرج أشد التحرج من إصدار حكم بالسبق والأهمية ، إذا لم يكن قد اطلع على كل ما سبقه أو جله ، لأنه مسئول عن تقرير أحكامه للضمير وللتاريخ وللقراء .

فما بال كتاب صدر منذ عهد قريب ، ونشر قبل ذلك فصولا فى مجلتين مقروءتين ، ثم يجىء كاتب ، فيهجم هجوما بشعا على فكرته ، وطريقة عرضها ، وبراهينها وأدلتها ، ثم لا يجد ناقداً يقول له : مكانك فهذا استغفال !

لقد عملها الرجل ، ولم يجد من يقول له هذه الكلمة فى مصر إلا بعد حين !

لقد عملها وهو يتحدى : « سيقول مؤرخو الفكر إنه بهذا الكتاب قد بدأت الأمم العربية تبصر طريق العقل » !

ترى كان الرجل يتوقع هذه الغفلة ، أم إنه وقد نزع عن نفسه « الأغلال » لم يكن يبالى وقد صدّقت الأيام ظنه أو تكاد !

***

إن فى مصر غفلة نقد منشؤها أن كثيراً من الكبار الذين كانوا يتولون حركة النقد لم يعودوا يقرأون . وإذا قرأوا لم يقرأوا للشبان ، استصغاراً منهم لما ينشىء أولئك الشبان .

وهم أحرار فى هذا ، ولا يستطيع أحد أن يجبرهم على قراءة معينة . فهم فى دور الكهولة والشيخوخة كثيرو المتاعب ، ولأنفسهم عليهم حق ، ولهم أن يقضوا أوقاتهم فى لذائذهم الحسية والفكرية حسبما يشتهون . فإن من حقهم أن ينالوا الراحة والحرية بعد الجهاد الطويل .

ولكن عليهم فى مقابل الراحة والحرية ألا يتعرضوا للنقد ، فيصدروا فيه الأحكام إلا بعد تتبع لحركة الفكر فى كل كتاب يصدر فى الفن الذى يريدون نقده ، وإصدار حكم عليه . فذلك هو واجب الضمير الأدبى فى أضيق الحدود .

إن القراء يثقون بهم إلى حد ، وهذه الثقة تدعو إلى تحرى الدقة ، فلا يفتون بغير علم ، أو بعلم ناقص . فتلك تبعة ثقيلة على الرقاب .

وأنا واثق أن بعض الذين كتبوا عن كتاب الأغلال ، ما كانوا ليكتبوا لو أنهم أولا قرأوا الكتاب كله ولم يكتفوا بتصفح بعض فصوله . ثم لو أنهم ثانيا كانوا قد قرأوا كتاب الأستاذ عبد المنعم خلاف ، مهما تكن حيلة الرجل بارعة ومهارته فى الدعاية قوية .

***

وقبل أن أنهى هذه الكلمة أوجه إلى فريق آخر من المتزمتين لم يقابلوا الكتاب هذه المقابلة . بل ثاروا عليه وناهضوه وشغلوا أنفسهم بالاحتجاج عليه . وقيل لى : إن بعضهم أخذ يؤلف كتبا فى الرد عليه .

هؤلاء يشاركون — من غير قصد — فى الضجة المفتعلة التى يثيرها الرجل حول كتابه وحول نفسه .

هونوا على أنفسكم ، فالدنيا بخير !

لقد ترددت مرة ومرة فى أن أكتب عن هذا الكتاب التافه المريب ؛ لأن كل ضجة حوله تبلغ به الغاية التى أرادها له صاحبه ومن يهمهم نشر مثل هذه الكتب فى الشرق العربى الناهض لمجاهدة الاستعمار .

ولقد كان رجال الإرساليات التبشيرية فى الشرق يتعمدون إثارة الضجيج حول حوادثهم فى مصر منذ سنوات ، فى خطف بعض الفتيان والفتيات ، ليبرهنوا للجمعيات التى أرسلتهم أنهم ذوو خطر ، وأن لحركاتهم فى دار الإسلام صدى .

أقول كانوا يتعمدون إثارة الخواطر ، بافتضاح الحوادث ليبلغوا هذه الغاية ، وصاحبنا فى طرائقه ليس ببعيد عن هؤلاء .

فلا تبلغوه غايته من وراء الضجيج والصياح ! إنكم أناس طيبون أيها المتزمتون . فلا عليكم من الكاتب والكتاب .

ضجة فارغة حول كتاب مريب أمطرتنا دور الدعاية بعشرات مثله فى أيام الحرب . دعوه ليموت فإنه ميت ، ولن تنفخ فيه الحياة ضجة مفتعلة ، منشؤها الخداع والإيهام .

ولولا أن أنفى عن النقد فى مصر تهمة الغفلة ما كتبت هذه الكلمات .

**سيد قطب**

---

صور من العصر العباسي :

# أطباء الخلفاء العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ١ —

كان أهل جنديسابور يعنون بالطب . وكان لهم حذق بهذه الصناعة وعلم من زمن الأكاسرة . ذلك أن سابور لما تزوج ابنة القيصر فيليبس بعد افتتاحه انطاكية بنى لها مدينة على شكل قسطنطينية ، وهى مدينة جنديسابور ونقلها إليها ، فانتقل معها من كل صنف من أهل بلدها ممن هى محتاجة إليه ، ومنهم أطباء أفاضل . فلما أقاموا فيها ، بدأوا يعلمون أحداثاً من أهلها ، ولم يزل أمرهم يقوى فى العلم ، ويتزايدون فيه ، ويرتبون قوانين العلاج على مقتضى أمزجة بلدانهم ، حتى برزوا فى الفضائل ، وصار أناس يفضلون طريقتهم على اليونانيين والهند ، لأنهم أخذوا فضائل كل فرقة فزادوا عليها بما استخرجوه من قبل نفوسهم ، فرتبوا لهم دساتير وقوانين وكتباً جمعوا فيها كل حسنة . ولم يزالوا كذلك حتى جاءت الدولة العباسية ، فأصبح أهل جنديسابور أطباء للخلافة والخلفاء ما عدا قلائل منهم [1] .

وقد كان هؤلاء الأطباء من أهل جنديسابور ينالون منزلة كبرى فى كل مكان . وكان وجودهم فى بلد ما سبباً لكساد الأطباء الآخرين . وقد ذكر الجاحظ عن أسد بن جانى الطبيب البغدادى أنه أكسد مرة . فقال له قائل : السنة وبئة والأمراض فاشية ، وأنت عالم ، ولك صبر وخدمة ، ولك بيان ومعرفة . فمن أين تؤتى فى هذا الكساد ؟ قال : أما ( واحدة ) فإنى عندهم مسلم ، وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب ، لا بل قبل أن أخلق أن المسلمين لا يفلحون فى الطب . واسمى ( ثانية ) أسد . وكان ينبغى أن يكون صليبا ومرايل ويوحنا ... وكنيتى أبو الحارث ، وكان ينبغى أن تكون ( أبو عيسى ) ( وأبو زكريا ) ... وعلىّ رداء قطن أبيض ، وكان ينبغى أن يكون رداء حرير أسود . ( وأخيراً ) لفظى لفظ عربى ، وكان ينبغى أن تكون لغتى لغة أهل جنديسابور [1] .

والحق أن الخلفاء حفلوا بهؤلاء الأطباء . وكانت أسرة بختيشوع ذات مكانة كبرى عندهم ، ومنها كان أطباؤهم ووزراؤهم ومنها كان أيضاً الأطباء المحترفون ، وأطباء البيمارستانات ، ومعلمو الطب والفلسفة [2] .

***

أول من تقدم باحضار رأس هذه الأسرة إلى بغداد ، هو المنصور . فإنه لما بنى مدينة السلام ببغداد سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة أدركه ضعف فى معدته وسوء استمراء وقلة شهوة وكان كلما عالجه الأطباء ازداد مرضه ، فتقدم إلى الربيع بجمعهم ، فلما اجتمعوا قال لهم المنصور : أريد من الأطباء فى سائر المدن ، طبيباً ماهراً . فقالوا : ما فى عصرنا أفضل من جورجيس بن بختيشوع رئيس أطباء جنديسابور ؛ فهو ماهر فى الطب . فأمر المنصور باحضاره ، فأنفذه العامل بجنديسابور إلى حضرة الخلافة بعد ما امتنع عن الخروج ، ووصى ولده بختيشوع بالبيمارستان وأموره التى تتعلق به هناك . واستصحب معه تلميذيه إبراهيم وعيسى . فلما وصل إلى مدينة السلام أمر المنصور بإحضاره . فلما أحضر دعا للمنصور بالفارسية والعربية . فعجب المنصور من حسن منطقه ومنظره ، وأمره بالجلوس ، وسأله عن أشياء أجابه عنها بسكون . فقال : قد ظفرت منك ياجورجيس بما كنت أطلب . وخبره بابتداء علته ، وكيف جرى أمره منذ ابتداء مرضه . فداواه حتى برئ ، وعاد إلى الصحة فأنزل فى أجمل موضع من دوره ، وأمر أن يجاب إلى كل ما يسأل . وأهدى إليه ثلاث جوار روميات حسان مع ثلاثة آلاف دينار . فأنكر جورجيس أمرهن وقال لتلميذه عيسى : يا تلميذ الشيطان ! لم أدخلت هؤلاء إلى منزلى ؟ ردهن إلى أصحابهن . فأعادهن . فسأله المنصور لم رددت الجوارى ؟ قال : لا يجوز أن يكون مثل هؤلاء فى منزلى ،

---

(١) تاريخ الحكماء ( ليبسك ) ص ١٣٣ .

(١) البخلاء ( ليدن ) ص ١٠٩ .

(٢) انظر مقالة مايرهف فى محاضر جلسات الأكاديمية الروسية للعلوم مجلد ٢٣ سبتمبر ١٩٣٠ . ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتاب : « التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية » ١٩٤٠ .

لأنا معشر النصارى لا نتزوج أكثر من امرأة واحدة ، فما دامت المرأة حية فلا نأخذ غيرها فحسن موقع هـذا من الخليفة ، وأمر فى الوقت أن يدخل جورجيس إلى حظاياه وحرمه بلا إذن ، وزاد موضعه عنده .

وظل جورجيس يخدم المنصور حتى مرض سنة اثنتين وخمسين ومائة مرضاً صعباً . وكان المنصور يرسل إليه فى كل يوم يتعرف خبره . فلما اشتد مرضه أمر بحمله على سرير إلى دار العامة وخرج ماشياً إليه وتعرف خبره وسـأله عن حاله . فخبره جورجيس بها ، وقال له : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى الانصراف إلى بلدى لأنظر أهلى وولدى ؛ فإن مت قبرت مع آبائى . قال له : يا جورجيس اتق الله وأسلم ، وأنا أضمن لك الجنة . قال جورجيس : قد رضيت حيث آبائى ؛ فى الجنة أو النار . ثم خلف بين يدى المنصور تلميذه عيسى ، ومضى إلى جنديسابور ومعه عشرة آلاف دينار وخادم ، فوصلها حياً[1] .

وحل عيسى محل جورجيس . فأخذ يبسط يده فى التشارر والأذية ، خاصة على الأساقفة والمطارنة ، ومطالبتهم بالرشى وأخذ أموالهم . وكان فيه شرارة وطمع فلما خرج المنصور فى بعض سفراته ووصل إلى قرب ( نصيبين ) كتب عيسى إلى مطران نصيبين يتهدده ويتوعده إن منع عنه ما التمسه . وكان عيسى قد التمس أن ينفذ له من آلات البيعة أشـياء جليلة ثمينة لها قدر ، وكتب فى كتابه : أليس تعلم أن أمر الملك فى يدى ، إن أردت أمرضته ، وإن أردت شفيته . فاحتال المطران فى التوصل إلى الربيع وشرح له صورة الحال وأقرأه الكتاب ، فأوصله الربيع إلى الخليفة ، فأمر المنصور بأخذ جميع ما يملكه عيسى ، وتأديبه ، ونفيه ، ففعل به ذلك[2] .

ثم إن المنصور سأل عن جورجيس ليؤتى به . فامتنع لضعفه وأنفذ إلى الخليفة تلميذه إبراهيم . فقربه المنصور وأكرمه وخلع عليه ، ووهب له مالا ، واستخلصه لخدمته . ولم يزل فى الخدمة إلى أن مات المنصور[3] .

(١) عيون الأنباء جـ ١ صـ ١٢٤ ، وتاريخ الحكماء صـ ١٦٠ .
(٢) تاريخ الحكماء صـ ٢٤٨ .
(٣) عيون الأنبا جـ ١ صـ ١٢٥

وكان أبو قريش طبيب المهدى . وكان يعرف بعيسى الصيدلانى ، ولم يكن طبيباً ، وإنما كان صيدلانيا ضعيف الحال جداً ، فتشـكت حظية للمهدى ذات يوم ، وتقدمت إلى جاريتها بأن تخرج القارورة إلى طبيب غريب لا يعرفها . وكان أبو قريش بالقرب من قصر المهدى . فلما وقع نظر الجارية عليه أرته القارورة ، فقال لها : لمن هذا الماء ؟ فقالت : لامرأة ضعيفة . فقال : بل للملكة عظيمة الشأن ، وهى حبلى بملك ! وكان هذا القول منه على سبيل الرزق . فانصرفت الجارية من عنده وأخبرت الحظية بما سمعته منه ، ففرحت فرحاً شديداً ، وقالت ينبغى أن تضعى علامة على دكانه حتى إذا صح قوله اتخذناه طبيبا لنا . وبعد مدة ظهر الحبل ، وفرح به المهدى فرحاً شديداً ؛ فأنفذت الحظية إلى أبى قريش خلعتين فاخرتين وثلاثمائة دينار . وقالت : استعن بهذا على أمرك ، فإن صح ما قلته استصحبناك . فعجب أبو قريش من ذلك وقال : هذا من عند الله ، لأننى ما قلته للجارية إلا وقد كان هاجساً من غير أصل . ولما ولدت الحظية ، وهى الخيزران ، موسى الهادى ، سُر المهدى به سروراً عظيما . وحدثته جاريته بالحديث ، فاستدعى أبا قريش وخاطبه ، فلم يجد عنده علماً بالصناعة ، إلا شيئاً يسيراً من علم الصيدلة . إلا أنه اتخذه طبيباً لما جرى منه واستخصه وأكرمه غاية الإكرام وحظى عنده ، وخاصة عندما علم أنه عنيِّن[1] .

***

واستبقاه الهادى ، وظل مكرماً عنده . وعندما مرض الهادى جمع الأطباء وكان فيهم أبو قريش ، فقـال لهم : أنتم تأكلون أموالى وجوائزى وفى وقت الشـدة تتغافلون عنى . فقال له أبو قريش : علينا الاجتهاد ، والله يهب السلامة[2] .

ثم استدعى له بختيشوع بن جورجيس من جنديسابور ، فداواه وشفى . ثم كادت له الخيزران فأعاده المهـدى إلى جنديسابور[3] .

وكان ممن حظى عند الهـادى الطيفورى المتطبب ، وكان

(١) عيون الأنبا جـ ١ صـ ١٥٣ .
(٢) تاريخ الحكماء صـ ٤٣١
(٣) المصدر السابق صـ ١٠١ .

حاذقاً ، وكان متطببه ومربيه فى رضاعه وطفولته وكبره . وهو جد إسرائيل بن زكريا الطيفورى طبيب الفتح بن خاقان[1] .

***

أما الرشيد ، فقد أعاد بختيشوع ؛ فقد مرض سنة ١٧١ هـ . من صداع لحقه ، فقال ليحيى بن خالد : هؤلاء الأطباء ليسوا يفهمون شيئاً . فقال له يحيى : لما مرض أخوك الهادى ، أرسلوا إلى جنديسابور ، فأحضروا رجلا يُعرف ببختيشوع . فقال الرشيد : كيف أعاده وتركه ؟ قال لما رأى والدتك ، والطبيب عيسى أبا قريش يحسدانه ، أذن له بالانصراف إلى بلده ، فأمر الرشيد بحمله . فورد بختيشوع ودخل على الرشيد فداواه . وأكرمه الرشيد وخلع عليه خِلعة سنية . ووهب له مالاً وافراً ، وقال له : تكون رئيس الأطباء ، ولك يسمعون ويطيعون[2] .

ثم حل جبرئيل بن بختيشوع عند الرشيد محل أبيه . وقد خص بادىء أمره بجعفر بن يحيى ؛ وذلك أن جعفر هذا مرض ، فتقدم الرشيد إلى بختيشوع بن جورجيس بأن يخدمه . وكان من أدب الطبيب اذا كان خاصاً بالملك أن لا يخدم أحداً من أصحابه إلا بأمره ، ولما أفاق جعفر من مرضه قال لبختيشوع : أريد أن تختار لى طبيباً ماهراً أكرمه وأحسن إليه . قال له بختيشوع . لست أعرف فى هؤلاء أحذق من ابنى جبرئيل . وهو من أمهر مَنْ فى الصناعة . فقال : أحضرنيه . فلما أحضره شكا إليه مرضاً كان يُخفيه ، فدبره فى مدة ثلاثة أيام وبرأ . فأحبه جعفر مثل نفسه وصيره رئيس الأطباء ، وكان لا يصبر عنه ساعة ، ومعه يأكل ويشرب[3] .

وقد اتصل جبرئيل بالرشيد بسبب حظية له . فقد كان للرشيد حظية فُتن بها ، تمطت ذات يوم ورفعت يدها ، فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها . والأطباء يعالجونها بالتمريخ والأدهان فلا ينفع ذلك شيئاً . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى : قد بقيت هذه الصبية بعلتها . قال له جعفر : لى طبيب ماهر ، وهو ابن بختيشوع تدعوه وتخاطبه فى معنى هذا المرض ، فلعل عنده حيلة فى علاجه . فأمر باحضاره . ولما حضر قال له الرشيد : ما اسمك ؟ قال : جبرئيل . قال : أى شىء تعرف من الطب ؟ قال : أبرّد الحار ، وأسخن البارد ، وأرطب اليابس ، وأجفف الرطب . فضحك الرشيد وسر . وشرح له حال الصبية . فقال جبرئيل : إن لم يسخط على أمير المؤمنين فلها عندى حيلة . قال له الرشيد : ما هى ؟ قال : تخرج الجارية إلى هنا بحضرة الجمع حتى أعمل ما أريده ، وتمهل على ولا تعجل بالسخط ، فأمر الرشيد باحضار الجارية ، فخرجت ، وحين رآها جبرئيل أسرع إليها ونكس رأسه ، وأمسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها ، فانزعجت الجارية ، ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها ، وبسطت يدها إلى أسفل وأمسكت ذيلها . فقال جبرئيل : قد برأت يا أمير المؤمنين . فقال الرشيد للجارية : ابسطى يدك يمنة ويسرة ، ففعلت ، فعجب الرشيد وكل من كان حاضراً ، وأمر لجبرئيل فى الوقت بخمسمائة ألف درهم ، وأحبه ، وجعله رئيساً على جميع الأطباء[1] .

وكان محله يقوى ويعلو ، حتى أن الرشيد قال لأصحابه : كل من كانت له حاجة إلى فليخاطب فيها جبرئيل ، لأنى أفعل كل ما يسألنيه ويطلبه منى . فكان القواد يقصدونه فى كل أمورهم . ومنذ يوم خدم الرشيد إلى أن انقضت خمس عشرة سنة لم يمرض الرشيد ، فحظى عنده حظوة كبرى[2] .

ونستطيع أن نعلم حال هذا الطبيب وأبوه وجده من كلمة له قالها لابراهيم بن المهدى : « إن عيش جبرئيل ، وبختيشوع أبيه ، وجورجيس جده ، لم يكن من الخلفاء ، وإنما كان من الخلفاء ، وولاة العهد ، وإخوة الخلفاء ، وعمومتها ، وقراباتها ، ووجوه مواليها ، وقوادها . ولى أبوان خدما الخلفاء ، وأفضلوا عليهما ، وأفضل عليهما غيرهم ممن هو دونهم . وقد أفضل على الخلفاء ، ورفعونى من حد الطب إلى المعاشرة والمسامرة ، وليس لأمير المؤمنين أخ ولا قرابة ولا قائد ولا عامل إلا وهو يداربنى إن لم يكن مائلا بمحبته وشاكراً لى ، على علاج عالجته به ، ومحضر جميل حضرته له ، ووصفته وصفاً حسناً عند الخليفة فنفعه[3] » .

( له بقية ) صلاح الدين المنجد

(1) عيون الأنباء جـ ١ صـ ١٥٣ .
(2) تاريخ الحكما صـ ١٠١ ، وعيون الأنباء جـ ١ صـ ١٢٦ .
(3) عيون الأنباء جـ ١ صـ ١٢٧ .

(1) تاريخ الحكماء صـ ١٣٤ .
(2) تاريخ الحكماء صـ ١٣٥ .
(3) المصدر السابق صـ ١٣٩ .

فى ركب الوحدة العربية:

# الأدب فى فلسطين ...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

— ٤ —

## مع الأدباء العلميين

تحدثت فى آخر فصل وقفت عنده (من هذا البحث[1]) عن عالم فلسطين الرياضى الأستاذ قدرى حافظ طوقان ، ولم أبلغ نهاية التعريف بآثاره ، لضيق فى المجال الذى أعددته (يومذاك) ولذا فإننى أقف اليوم بالقارىء الكريم (وقفة يسيرة) ، عند أثر قيم من آثاره ، وهو كتابه «تراث العرب العلمى» فى الرياضيات والفلك . ولعلنا نقدر مبلغ عنايته بإخراجه ، حين نسمعه يقول فى مقدمته :

« شغلت نفسى بهذا الكتاب أكثر من عشر سنين ، وهو خلاصة بحث مرهق ودراسات مضنية ، اعتمدت فيها على مظان عديدة قديمة وحديثة ، عربية وافرنجية ، ومخطوطات نفيسة حصلت عليها بمساعدة بعض الأصدقاء ، من القاهرة وطنجة وتطوان والقدس ... » .

وقد جعل الأستاذ (طوقان) كتابه فى قسمين ، الأول منهما يحتوى على سبعة فصول ، ستة منها تبحث فى الرياضيات قبل الإسلام ، ومآثر العرب فى الحساب والجبر ، والهندسة والمثلثات والفلك . والسابع يتناول الرياضيات فى (الشعر العربى) وهو فصل طريف لعله الأول من نوعه ، أحصى فيه ما قاله شعراء العربية فى الجاهلية والإسلام من الشعر الرياضى . فأورد شعر « زرقاء اليمامة » فى سرب من الحمام ، أبصرته فأحصته عدداً فقالت :

ليت الحمام لِيَهْ ونصفه قدِيَهْ
إلى حمامتيَهْ صار الحمام مِيَهْ

وهى مسألة حسابية معقدة (كما ترى) ، بسطها (حذام معجزة الدهر فى قوة الأبصار) بقالبٍ شعرى لطيف .

كما أورد فى ذلك الفصل أيضاً ، قول الشاعر الرياضى المرح الإمام أبى القاسم البديع الأسطر لابى حين يتغزل فيقول :

وذى (هيئة) يزهو بخال (مهندس)
أموت به فى كل حين وأبعث
(محيط) باوصاف الملاحة وجهه
كأن به (اقليدس) يتحدث
فعارضه (خط استواء) وخاله
به (نقطة) والخد (شكل مثلث)

ولقد استلفت نظرى (هنالك) أرجوزة « ابن الياسمين » التى جمع فيها بين الأدب والرياضيات ، فعرف علم الحساب والجبر وشرحهما ومثل عليهما شعراً . ومن ذلك قوله فى تعريف الجبر :

على ثلاثة يدور الجبرُ : (المال) و(الأعداد) ثم (الجذر)
فـ(المال) : كل عدد مربع و(جذره) : واحد تلك الأضلع
و(العدد المطلق) : ما لم ينسب للمال أو للجذر . فافهم تصب
و(الجذر) و(الشىء) بمعنى واحد كالقول فى لفظ أب ووالد ...

ثم يمثل عليه فى (حل معادلة) كان قد أسلف ذكرها فى أقسام المعادلات فيقول :

فـ(ربع) النصف من (الأشياء) واحمل على (الأعداد) باعتناء
وخذ — من الذى تناهى — (جذره)
ثم انقص (التنصيف[1]) تفهم سره

ويحصى (الأستاذ طوقان) بعد ذلك شعراً ما أعذبه وأطلّه ، كثيراً ما تمثلت به لطلابى (فى دروس البلاغة) ، دون أن أنتبه لما فيه من البراعة فى استخدام الألفاظ ، مما استنبطه الأستاذ من معانيها فى الرياضيات والفلك .

وأما القسم الثانى من الكتاب فيحتوى تسعة فصول ،

---

(١) نشر ذلك الفصل فى العدد ٦٨٩ من الرسالة الزاهرة ، ولعل كلمتى (على هامش الأدب فى فلسطين) رداً تقبله المربية الفاضلة الأديبة (ليلى عبد السلام من المنصورة) ، على كلمتها التى تكرمت بتوجيهها إلى وإلى آخرين فى العدد ٦٩٦ من الرسالة أيضاً .

(١) تحل هذه المعادلة (حسب الطرق المعروفة فى كتب الجبر) على الصورة الآتية :

$س^{٢} + ١٠ س = ٧٥$ ، $س^{٢} + ١٠ س + (\frac{١٠}{٢})^{٢} = ٧٥ + (\frac{١٠}{٢})^{٢}$ ، أى أن $س^{٢} + ١٠ س + ٢٥ = ١٠٠$ ، أى أن $(س + ٥)^{٢} = ١٠٠$ ∴ $س + ٥ = ١٠$ . . $س = ٥$

يسرد فيها سير العظماء من الرياضيين والفلكيين ، وانتاجهم العلمي ، ومؤلفاتهم وانتقالها إلى أوربة ، وأثرها في تقدم العلوم فيما بعد .

وتتجلى في الأستاذ روح العالم العامل بعلمه ، حين يقول لك : إنه توخى في هذا الكتاب « الإخلاص للحق والحقيقة وإنصاف حضارة العرب ، والكشف عن أمجادهم الفكرية في الرياضيات والفلك ... » .

وما دمت في صدد العلم ( حين ينسلك في نطاق الأدب ) ، فلا بأس من أن أذكر ( علماء متأدبين ) آخرين . ساروا في هذا السبيل ، فقطعوا فيه شوطاً محموداً ، والفوا فيه ما لا يتيسر من غير جهد ، ولا يبلغ بعد هذا الشأو من الجودة إلا نضوج مكتمل.

وبين يدى ( أشتات أنباء ) عن ثلاثة من هؤلاء ( العلماء ) وكلهم مارس صناعة التعليم عمراً من عمره ، وربما كان لذلك أثر بين في بعض انتاجهم ، وبعض وجهات نظرهم . وأول هؤلاء الثلاثة:

الأستاذ محمد أديب العامري . وقد كان إلى أمد ( ليس بعيداً ) مديراً لكلية السلط ، وكانت له في ذلك العمل تجارب كثيرة ، فألف ( بوحى منها ) كتباً لتدريس العلوم الطبيعية ، في صفوف مختلفة من مراحل التعليم ، طبع بعضاً منها والبعض الآخر في أثره

وتتألف هذه السلسلة من قسمين ، الأول منها ( مبادئ حفظ الصحة ) للمراحل الابتدائية المتوسطة ، والثانى ( مبادىء العلوم ) وينقسم إلى أجزاء تزامل الطالب حتى تبلغ به المرحلة الثانوية . وترتكز هذه الكتب ( في سائر أجزائها ) ، على أسلوب محدث وطريقة مبتكرة ، يراعى فيها الانتقال من التدرج في الوصف ، إلى التعريف والتحديد فالاستقراء والاستنباط .

كما الف كتابه ( فصائل النباتات الشهيرة ) للمراحل الثانوية العالية ، وصرف في إعداده مجهود ( أعوام ثلاثة ) في البحث والدرس ، والإقتباس عن أشكال الطبيعة مباشرة ، وهذا الكتاب وحيد في أسلوبه وطريقة تنسيقه : يشتمل على ما يفتقر اليه الطالب العربي من أركان هذا العلم ، وسائر تفصيلاته .

كما ترجم بوحى من ذلك العمل (أيضاً) ، كتاب ( الكيمياء العملية ) للدكتور « كلوز Close » رئيس دائرة الكيمياء في الجامعة الأمريكية . فأكمل بذلك جانباً كبيراً من النقص الذي يفتقر اليه الطالب العربي في هذا الباب ..

وله فيما عدا ذلك إنتاج آخر ، يدفعه اليه ميله ( السياسي الاجتماعي ) ، وهذا الميل متأصل في نفسه ـ رغم تخصصه الجامعي في دراسة علم الحياة ـ وطالما استحوذ عليه ، فإذا هو منسرب في مسالكه ، منساق إلى أهدافه ، متطلع إلى مراميه ...

وهو إبان هذا الاستسلام المطلق ، يكتب في ( القصة ) آناً ، ويكتب في ( فلسفة الحياة ) آناً آخر . وحين أعرفه لك في الحال الأول ، أقفك عند كتابه « شعاع النور » ، لكي تستعرض معى ( متمهلا ) هذه الفقرة من مقدمته إذ يقول فيها :

« ... إن هنالك شعاعاً من النور ينتظم سيرة الحياة ، وهذا الشعاع ذاته هو الذى يومض في نفوس هؤلاء الناس ، الذين أقدمهم اليك وأصلهم بك ، ولولا هذا الوميض الذى يستمد نوره وحرارته من طبيعة الحياة ، الحياة الخالدة المتسامية ، لما كان سبيل هؤلاء الناس إلا أن يتلاشوا في العدم ، ولكنهم لا يتلاشون .. »

وأما قصص هؤلاء الناس ( الذين يصلهم بك ) فانها ـ يأخى القارىء ـ ليست من هذا الطراز الذى الفنا قراءته وتكراره ، ولكنها ضرب جديد في القصص ، ( جديد إلى أبعد ما في خيالك من تصوير للجديد ) ، ما رأيت من مثلها فأقربها اليك تشبيها ، ولكننى أصفها . وأين الخَبَرُ من الخُبْر ؟!:

إنك لو وقفت حيال هذه القصص ، لألفيتها قائمة على التحليل النفسى للطبيعة البشرية ، وعلى تصوير الانفعالات المستندة إلى العوامل الموروثة ، التى تمثل نوازع الإنسانية العميقة تمثيلا صادقاً . وهو في خلال ذلك كله يستهدف الإصلاح الاجتماعى ، شاملا من جميع نواحيه .

وله في هذا الباب قصة أخرى عنوانها ( سليم افندى ) ، وهى تحليل شامل لما يعترض النفس الإنسانية من اضطراب وقلق ، ولما يؤدى اليه مركب النقص من تصرفات وأوضاع ، والقصة في إجمالها وتفصيلها تنحصر في دائرة القصة السالفة من جميع نواحيها .

وحين أعرف لك الأستاذ العامرى في الحال الثانى ( أى حين يكتب في فلسفة الحياة ) ، أقفك كذلك عند كتابه ( نحو الحياة ) . وهذا الكتاب سرد من التفاؤل المطلق ، مرتكز على المحاكة والإستقراء ، وقائم على منطق التدرج . فهو يرى فيه أن طبيعة الحياة إيجابية ، وأنها تتقدم من تلقاء نفسها باطراد إلى الأمام ، وأن مستقبل البشرية إلى خير ، على الرغم مما يبدو في

فى جوها – وما بدا إلى الآن – من اكفهرار واضطراب . واليك نمطاً يبين لك الأسلوب الذى يلتزمه فى مثل هذا الحال ، وذلك حين يقول :

« ... طبيعة الحياة نفسها تأبى الردة ، الإنسان والحيوان والنبات ، هذه الأحياء ، كلها تبحث عن الجمال والقوة . والحياة تنتج باستمرار أجيالا أقوى وأجمل . فلو ركّب فى الناس ذوق (من مثل حب القبيح) ، ولو كان (الظلم) هو ماتهواه الطبيعة البشرية فى قرارتها ، لفكرت أن الحياة يمكن أن تتأخر !!.

الناس اليوم أطول أعماراً من آبائهم الأولين ، والناس اليوم أكثر إحساساً بالكرامة ، وأرفع مستوى فى العيش مما كانوا من قبل . وتوزيع الثروة (وإن يكن اليوم منطوياً على إجحاف) أكثر انتشاراً منه فيما مضى من قريب . والمظلوم اليوم أجرأ وأرفع صوتاً فى المطالبة بحق . وحالتنا الحاضرة – فى بعض البلاد الراقية – خير من بعض صور (المدينة الفاضلة) كما رآها بعض المفكرين .

فالى أية غاية ترى هذه النزعات الطاهرة ، الخالصة الصادقة التى لاتكبح ؟!... »

وما يزال بين يدى الأستاذ مواضيع مختلفة ، ينصرف لمعالجتها والتفرغ لدرسها ، على رغم المسئولية التى يضطلع بحملها فى (دار الإذاعة الفلسطينية) فى القدس ، ولقد كتب فى الرسالة الغراء وغيرها ، دراسات كثيرة ، فى العلوم والآداب والأبحاث النفيسة ، التى يميل فيها إلى المذهب التحليلى على طريقة (ادلر) .

وله مجموعة مقالات – مما أذاع به أو القاه فى الأندية كلها تحوم حول الأهداف التى أسلفت الإشارة اليها . وهى تقع فى كتاب ضخم جاهز للطبع .

وأما الباحثان الآخران ، فقد ألف أحدهما بوحى (من عمله التدريسى أيضاً) كتباً علمية لمراحل الدراسة الثانوية ، ثم انطلق على سجيته بعد ذلك فاذا هو يكتب فى الأدب حيناً ، فيؤلف فيه أشتاتاً من الأقاصيص ، وألواناً من الدراسات . يعالج فيها جميعاً كثيراً من المشاكل الإنسانية المعقدة ، والأدواء الاجتماعية المستعصية . ثم إذا هو (حيناً آخر) يكتب فى الفلسفة العلمية ويحلق فى أجوائها ، فينتهى من ذلك بمجموعة من الكتب القيمة ، كل واحد منها يتوجه فى سبيل ، وينتهى إلى غاية ، ثم تأتلف أخيراً لتتحد فى ثناياها صورة مشرقة من صور (الأدب العلمى) .

وأما الثانى فقد ألف كذلك (بوحى من عمله التدريسى) ، ولكنه خالف سابقيه فيما ألف ، فخرج من محيط المدرسة إلى محيط الجمهور . وهو محيط أشمل وأعم . سرعان مايثمر التعليم فيه ويؤتى أكله . ثم إذا هو يصنع له من العلم (الجاف المعقد) مادة هينة لينة ، رقيقة الحواشى مهلهلة الأطراف ، هى على حد قول الإمام الثعالبى :

« يكاد الهواء يسرقها لطفاً ، والهوى يعشقها ظرفا . . »

ويكوّن من هذه المادة كتاباً لطيف الحجم عظيم النفع ، مايكاد يخرج إلى (هـذا الجمهور) ، حتى تتخاطفه الأيدى ، وينتشر فى كل مكان ، ويقبل الناس عليه أيما إقبال .

ويلمس هذا الباحث مقدار نجاحه ، فيمضى فى طريقه قدماً ، فاذا هو يعيد الكرة من غير ماتريث ، ويفاجىء الناس بثانى كتبه ، ليظفر بما يترقبه من نجاح ، بعد أن مهد له السبيل إلى تلك الغاية ذلك الكتاب الذى سبقه . ووقف المؤلف بعدها يستعد لإخراج دروس جديدة ، يلحقها بدينك ، ليؤدى رسالته على الوجه الذى ارتضاه .

وأما هذان الباحثان فأولهما : الأستاذ عبد الله الريحاوى ، وثانيهما الأستاذ على شمث . وسوف أحدثك عنهما مفصلا .

القدس : محمد سليم الرشدان

* أستاذ العربية وآدابها فى كليتى التجارة والأمة

الأدب في سير أعلامه :

# ملتن . . .

[ القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال . . ]

للاستـــاذ محمود الخفيف

— ٣٥ —

الفردوس المفقود : موضوع القصيدة الملحمية

ويفتتح الكتاب الثالث بمناجاة النور مناجاة تعد من أروع ما في القصيدة من مواضع الجمال ، وقد أراد الشاعر بهذه الفاتحة أن يمهد للانتقال من الجحيم والعماء إلى الجنة وما فيها من زينة وبهجة .

ثم يتحدث الشاعر عن الله وقد استوى على العرش وعن يمينه ابنه ، وقد رأى الشيطان طائراً صوب الدنيا وقد تم خلقها قريباً ، و يُرى الله ابنه هذا الشيطان في رحلته وينبئه بما سيكون من نجاحه في إضلال بني آدم وغوايتهم . ويبرئ الله عدالته وحكمته من كل مظنة أو لبس فقد خلق الإنسان حراً قادراً تمام القدرة على أن يقاوم مضله الوسوس له ؛ ومع ذلك فأن الله يكشف عما يشاء لعباده من هدى وسعادة وذلك لأن الإنسان لم يعص كالشيطان بدافع من الشر ، وإنما عصى بدافع من الغواية التي لاحقه بها الشيطان حتى أذله وأخرجه مما كان فيه .

ويرفع ابن الله شكرانه لأبيه على ما أظهره عليه من نية ومشيئة في إسعاد الانسان ؛ ولكن الله يعود فيعلن أن رحمته سوف لا تنال الإنسان إلا على أساس ما ينبغي للعدالة الإلهية من كمال ؛ فقد أساء الإنسان إلى جلال ربه بطموحه إلى الألوهية واقتطافه الثمرة المحرمة ، ولذلك قدر عليه أن يموت ولابد أن يدركه وذريته الموت ، وما له من خلود إلا أن يوجد من هو كفء لأن يسأل عن خطيئته ويكفرعنها بما يحتمل من ألم وعقاب ؛ ويتقدم ابن الله طائعاً مختاراً لكي يكون هو الفداء للانسان ، ويتقبل الأب منه هذا الذي يعرضه ، ويأمر به فيتجسد ويتمثل بشراً سوياً ويرفعه الله مكاناً علياً ؛ فهو فوق كافة الأسماء في الجنة وفي الأرض ويدعو الله الملائكة فيأمرهم أن يسجدوا له ويتعبدوا ، فيفعلون طائعين ويسبحون بحمد الأب والابن وتمجيدهما مرتلين نشيد الحمد جميعاً في نغمة واحدة ترددها أوتار قيثاراتهم .

وفي تلك الأثناء يسقط الشيطان حتى يقترب من كوكب خارجي قصي عن هذه الكرة التي هي الدنيا ، كوكب يفصل بين الأرض وبين العماء والظلمة الممتدة إلى الجحيم من تحته ؛ وهناك يجد بعد تجواله مكاناً سوف يكون فيما بعد جنة المغفلين ويصف الشاعر هنا من سوف يسكنون هذه الجنة فثمة من مات من الأطفال قبل تعميدهم وثمة البلهاء والبسطاء والذين ماتوا قبل أن ينزل الدين .

ويتابع الشيطان طيرانه صاعداً حتى يرى على بعد باب الجنة ، وينظر الشيطان فإذا هو بالغ الروعة والبهاء والزينة ، ليس كمثله بناء فيما سيخلق الانسان في الأرض ، فهو معقود من الذهب والماس ويرتفع الداخل فيه صعدا على سلم من الذهب الوهاج ، وحوله أنهار من اللؤلؤ المذاب ؛ ويستمر الشيطان محلقاً حتى يأتي كوكب الشمس ويجد عنده حارسه أُرْيِل ، فيتنكر ويظهر في صورة ملك من الملائكة الذين هم دون أريل في المرتبة إذ أن أريل من الملائكة المقربين ، ويتوسل إلى أريل أن يدله على ذلك الانسان الذي خلقه الله حديثاً والذي سوف يهبه دنيا جديدة واسعة يعيش فيها وينعم بها . ويقول الشيطان في ضراعة إنه ما قطع هذه الرحلة الطويلة منفرداً إلا ليطلع على بديع ما خلق الله مما سمع عنه هو ورهطه من الملائكة ، وذلك لكي يزداد تمجيداً لله وتسبيحاً بحمده ؛ ويستطيع الشيطان أن يخدع أريل نفسه فيشير أريل إلى مكان ما ويقول للشيطان انظر فهذه هي الجنة حيث يقيم آدم وهذه البقعة الداكنة التي ترى هي عشه ، وينطلق الشيطان بكل ما في وسعه من سرعة فما يزال طائراً حتى يبلغ حيث أراه أريل .

ويبدأ الكتاب الرابع والجنة على مرأى من الشيطان ، وقد أصبح على مقربة من المكان الذي يسكن فيه آدم وزوجه ، والذي سوف يحاول فيه محاولته الجريئة التي عقد العزم على أن يضطلع بها وحده ضد الله وضد الإنسان ؛ ولكنه قبل أن يقدم

على عمله أخذت تساوره وهو على مقربة من الجنة هواجس من الشك واليأس ، كما أخذت تهجس فى نفسه عواطف الخوف والحسد والبغض ؛ وبعد لأى ينطلق من عقال هـذه الهواجس جميعاً ويصمم على الشر الذى جاء من أجله ، ويسرع صوب الجنة حتى يبلغها .

وبعد أن يصف الشاعر وصفاً ممتعاً رائعاً منظر الجنة الخضراء ويتحدث عن أشجارها وثمارها ويبين أين تنبت شجرة الحياة وأين تنبت شجرة المعرفة ، يرينا كيف يتسلل الشيطان فيدخل الجنة واثباً فوق أسوارها .

وفى الجنة يحيل الشيطان نفسه إلى ثعبان ويزحف حتى يستقر فوق شجرة الحياة وهى أعلى الأشجار ، ويدور بعينيه من فوق الشجرة ينظر ماذا يرى حوله . وهنا يتحدث الشاعر عما يرى الشيطان فيأتى بوصف آخر للجنة فى داخلها ويبلغ فى ذلك من الروعة والقوة ما لا يتعلق بمثله وهم شاعر غيره .

وتقع عينا الشيطان على آدم وحواء فيرى أول ذكر وأول أنثى من البشر ، ويتفكر الشيطان فيما هو بسبيله من إغواء ، ويقارن بين ما هما فيه من نعيم وبين ما سوف يدفعهما إليه من شقاء ؛ ويهبط من فوق الشجرة فيتشكل بأشكال ما تقع عليه عيناه من حيوانات حتى يقترب من آدم وحواء فيسترق السمع وهما يتحاوران ويتحدثان ؛ ويعلم منهما أن الله نهاهما عن شجرة المعرفة ، فإن أكلا منها أخرجهما ربهما من الجنة وكتب عليهما وعلى ذريتهما الموت . ويقع الشيطان هنا على بغيته فقد وجد سبيله إلى إضلالهما فما عليه إلا أن يغويهما بالثمرة المحرمة حتى يأكلا منها فاذا هما من الهالكين ؛ ثم يدعهما الشيطان ريثما يعلم من أمرهما أكثر مما علم بما سوف يعده لذلك من وسائل .

وفى ذلك الوقت ينزل أريل على شعاع من أشعة الشمس ، فيحذر جبريل وهو حارس باب الجنة وينبئه أن روحا خبيثا صاعدا من الهاء السفلى قد مر وقت الظهيرة بكوكبه متنكرا فى شكل ملك كريم ، وأنه اتجه بعد ذلك صوب الجنة ، وقد فطن إلى ذلك بعد أن تدبر فى الأمر ؛ ويجيبه جبريل بأنه سوف يبحث عنه فيأخذه قبل أن ينبلج الصبح .

وينزل الليل فيميل آدم وحواء إلى الراحة ويتحاوران فى ذلك ؛ ويأويان إلى عشهما فى الجنة ويصليان لله صلاتهما ؛ ويصف الشاعر هذا العش وهذه الصلاة وصفا رقيقا جميلا

ويعس جبريل فى الجنة على رأس فريق من الملائكة هم من عسسها ، ويضع على عش آدم ملكين قويين غليظين مخافة أن ينالهما بالأذى ذلك الروح الخبيث أثناء نومهما ؛ وينظر الملكان فإذا بذلك الروح يوسوس لحواء فى أذنها وهى نائمة فتحلم بالذى يقول ، ويأخذه الملكان فيجرانه جرا إلى جبريل ، ويسأله جبريل عن فعلته ، فيجيب مستكبرا مستهزئاً ، ويتأهب للعنف والمقاومة ، ولكنه لا يلبث أن يجد نفسه ، وقد منع ذلك منعا بقوة من السماء فيطير ويهرب من الجنة .

ويتنفس الصبح فتقص حواء على آدم ما كان من حلمها الذى شغل نفسها ؛ وبهذا يفتتح الشاعر الكتاب الخامس ؛ ويكره آدم هذا الحلم وينفر منه ولكنه يعمل على تهدئتها ويجتهد أن يصرف عنها ما يشغلها من وساوس .

ويقبل آدم وحواء على عملهما اليومى ويقرآن صلاتهما عند باب عشهما وينشدان نشيدهما يسبحان بحمد ربهما ؛ ولكيلا يكون للانسان على الله حجة يرسل الله روفائيل ليذكرهما بطاعته وامتثال ما نهاهما عنه ، ولينذرهما أن الشيطان لهما عدو وأنه على مقربة منهما ، وليبين لهما لم كان الشيطان لهما عدوا مبينا إلى غير ذلك مما يجب أن يعلمه آدم من علم ينفعه .

ويهبط روفائيل فيدخل الجنة ، ويصف الشاعر ظهوره فى ربوعها ؛ وتأخذه عينا آدم من بعد وهو جالس بباب عشه ، فينهض للقائه ويسلم عليه ويدعوه إلى مقره ، ويقدم له أطيب ما اختارته حواء من فاكهة الجنة ؛ ويتحاور آدم وروفائيل حول الخوان ؛ وينبئه روفائيل بما جاء من أجله ويحذره من الشيطان ويذكر له ما يضمره له ولزوجه من العداوة والبغضاء ؛ ويقص عليه استجابة لطلبه من هو هذا العدو وكيف أصبح لهما عدوا ، ولماذا ينطوى على العداوة قلبه مبتدئاً بما كان من تمرده فى السماء على خالقه وما أعقب ذلك من غضب الله عليه وإلقائه فى الجحيم .

وهنا يصف الشاعر على لسان روفائيل تلك المعركة التى أدارها الشيطان الأكبر على رأس قبيله ، والتى أجمل الشاعر الإشارة إليها فى مفتتح القصيدة

ويستطرد روفائيل فى أول الـكتاب السادس ليتم كيف دارت المعركة فيصف كيف أرسل ميكال وجبريل ليحاربا الشيطان وهو ثائر متمرد على رأس جنده ، وكيف وقف القتال فى اليوم الأول عند نزول الليل ، وكيف جمع الشيطان مجلسا من أعوانه الثائرين فابتـكروا أسلحة أوقعت ميكال وجنده فى شىء من الحيرة والاضطراب ، وكيف استحر القتال فاقتلع ميكال وجمعه الجبال وقذفوا بها الشيطان وأعوانه فزلزلوا زلزالا شديدا وأدخلوا على قلوبهم الرعب والدهشة فى اليوم الثانى ؛ وكيف أصر الشيطان على الرغم من ذلك ، فصـاول وتطاول ولج فى شره وعناده حتى أرسل الله فى اليوم الثالث ابنه المسيح الذى احتفظ له بالنصر ومجده وفخاره ؛ وكيف سـوى المسيح الملائـكة صفا وفى روحه قوة أبيه ، وقذف فى صفوف أعدائه بالرعد القاصف ، ووثب فى مركبته فدفعهم دفعا إلى أسوار السماء ؛ وكيف فتحت أبوابها . فألقى العصاة منها جماعات قد امتلأت رعبا وهوت إلى قرار سحيق أعد لها فى الظلام والحمم نـكالا من الله ؛ وكيف عاد المسيح بعد ذلك ظافرا إلى أبيه .

هذا هو موضوع القصيدة الـكبرى أتيت على سرده كى أستطيع بعد ذلك أن أتـكلم عن فلسفة القصيدة ثم عن الشعر فيها موضحا ماذا يرمى إليه الشاعر فى هذا الموضوع مفصـلا ما أجملت من حوادث القصيدة ومواضع الوصف فيها مبينا على قدر ما يسمه جهدى مبلغ ملتن فيها من الشاعرية مستعرضا ما أثبته نقدة الأدب الأعلام من آراء، وما عقدوه من موازنة بين هذه القصيدة وبين مثيلاتها من الملاحم الطويلة .

### فلسفة القصيدة الكبرى :

تدور هذه القصيدة على فـكرتين أساسيتين : أولاهما هبوط الملائـكة من السماء إلى الجحيم ؛ وثانيتهما هبوط آدم أو الإنسان من الجنة إلى الأرض ؛ والغرض من هذه القصيدة كما جاء فى مقدمتها على لسان الشاعر هو أن يبرر أحكام الله ومشيئته تلقاء الإنسان .

وقبل أن نبسط القول فى فلسفة القصيدة يجدر بنا أن نشير إلى أمر كان له أهميته فى خلق الـكثير من آراء الشاعر ، وكان له أثره فى توجيه ذهنه اتجاها خاصا بحيث أثر ذلك فى فلسفة القصيدة على العموم ، وذلك أن ملتن لم يجعل من القصيدة وسيلة لعرض آرائه الدينية مجردة فحسب كما قد يتبادر إلى الذهن بمجرد النظر فى موضوع قصيدته ، وإنما جعل الشـاعر بالإضافة إلى ذلك موضوع قصيدته فى أكثر من موضع مجالا للاشارة إلى ما فى نفسه من معان تتصل بحياته الخاصة أو بحياته العامة وحياة قومه من ناحيتيها الاجتماعية والسياسية . وهذا كما ذكرنا جانب من فلسفة القصيدة ، إذا أغفلناه نقصت فى قيمتها كعمل فنى نقصا كبيرا ، بيد أننا نؤثر أن ندع بيان ذلك حتى نعقد له فصلا خاصا نـكشف فيه عن ملتن وحياته فى الفردوس المفقود ، ولنقصر همنا الآن على ما أراده من الأفـكار الدينية .

ولـكى نستطيع أن نتبين هذه الأفـكار ، يجدر بنا أولا أن ننظر لم اختار الشاعر هذا الموضوع المستمد من الإنجيل ، ونتبين الدوافع التى دفعته إلى ذلك دون غيره .

( يتبع ) الخفيف

---

# ضيزناباذ

للأستاذ شكرى محمود أحمد

## موقعها :

أجمعت المصادر القديمة على أن هـذه المدينة « موضع بين الكوفة والقادسية ، على حافة الطريق على جادة الحج ، وبينها وبين القادسية ميل [1] » كما ذكر ياقوت فى معجمه .

والذى يظهر لنا أن صاحب معجم البلدان نقل هذا الكلام عن كتاب الديارات لأبى الحسن على بن محمد الشابشتى حيث قال فى الكلام على دير سرجس [2] « وهذا الدير كان بطيزناباذ وهو بين الكوفة والقادسية على ساقة الطريق ، وبينها وبين القادسية ميل [3] » ، وقد نقل هذا الخبر ابن فضل الله العمرى فى كتابه « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار [4] » .

تقع آثار هذه المدينة اليوم فى الشمال الغربى من قضاء أبى صخير فى لواء الديوانيـة ، وبينهما تسعة أكيال ، ولا تزال أطلالها ماثلة للعيان يتراوح ارتفاعها بين ١٥ ، ٢٠ متراً ، وعلى جوانب هـذه الأطلال آثار أبنية قديمة العهد تشبه أحجارها أحجار الخورنق . وتمتد هذه الأطلال إلى مسافة كيلين تبتدئ من موضع يسمى اليوم « المصاد [5] » وتنتهى إلى ما يقرب من قصر الخورنق .

ولا تعرف اليوم هذه المدينة « طيزناباذ » باسمها المشهور ، وإنما يطلق عليها الأعراب وسكان تلك المناطق اسم « طُمَيرزات » لأنهم استثقلوا هـذا الإسم الأعجمى فى وزنه وتركيبه فاستبدلوه بما هو أخف منه على اللسان .

## ضبط هذا الاسم :

ضبط ياقوت هذا الإسم بالحرف فقال : طيزناباذ بكسر أوله وسكون ثانيه ثم زاى مفتوحة ثم نون وبعد الفاء باء موحدة

(١) ياقوت معجم البلدان ج ٠ ص ٨٩ .

(٢) يسمى ياقوت هـذا الدير سرجس وبكس نسبة إلى راهبين بنجران ج ٤ ص ١٤٥ .

(٣) الشابشتى ورقة ١٠٢ .

(٤) مسالك الأبصار ص ٢٨٤ .

(٥) المصاد على بعد مرحلة من النجف فيه أبنية قديمة العهد جليلة الوضع .

وآخره ذال معجمة [1] ، وشكلها ابن خرداذبة والطبرى بفتح الطاء وسكون الياء .

وقد صحفت هذه اللفظة كثيراً كشأن غيرها من الألفاظ الأعجمية فقال بعضهم طيزناباذ وقال غيره طرناباد ، أما الأستاذ محمد سعيد العريان مصحح كتاب العقد الفريد فقد ضبطه «طيرناناذ [2]» وذلك عند الكلام على ضروب العروض شعراً ، حيث وردت هذه اللفظة فى بيت من أربعة أبيات فى كل بيت منها تصحيف مشين .

## معناها :

هذه الكلمة أعجمية فى معناها وتركيبها فهى مكونة من « ضيزن » و « أباذ » ، والضيزن ملك الحضر . قال ياقوت : « وسبب تسميته بهذا الإسم « طيزناباذ » أنه من عمارة الضيزن والد النضـيرة بنت الضيزن ملك الحضر ، وأن الفرس ليس فى كلامهم الضاد فتكلموا بها بالطاء فغلبت عليها ومعناها « عمارة الضيزن » لأن أباذ العمارة [3] » .

وعلى هذا الرأى أيضاً البلاذرى حيث ذكر : كانت طيزناباذ تدى ضيزناباذ نسبت إلى ضيزن بن معاوية بن عمرو بن العبيد السليحى [4] ، وعلى هذا الرأى أيضاً الكلبى .

ولما غلب الفرس على هذه المواضع غلبت لغتهم على هذه الأرجاء ، فاستبدلوا الضاد بالطاء لخلو لغتهم منها ، فاشتهرت باسمها الأخير « طيزناباذ » .

## تاريخها :

كانت طيزناباذ عاصمة الحضر ، وكان ملكها « ضيزن بن معاوية » معاصراً لسابور ذى الأكتاف ملك الفرس ، وكانت بين الضيزن والروم علاقة صداقة وحلف ، فتقدم سابور ليخضع هذا الذى تحالف مع أعدائه ، وترك رجاله يغيرون على العراق والسواد .

فلما نزل سابور الحضر تحصن الضيزن بالحصن وأقام فيه مدة طويلة ، فحاصره سابور شهراً لا يجد سبيلا إلى اقتحام الحصن ، ولا حيلة لدخوله .

(١) ياقوت ج ٦ ص ٧٩

(٢) العقد الفريد ج ٦ ص ٣٣٦ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ج ٦ ص ٧٩ .

(٤) ياقوت ج ٦ ص ٧٩ .

تقول الروايات والقصص إن النضيرة بنت الضيزن نظرت فى أحد الأيام وقد أشرفت على الحضر إلى سابور فهويته وأعجبها جماله ، وكان سابور من أجمل الناس شكلا ، وأمدهم قامة ، وأرشقهم جسما ، فبعثت إليه إن ضمن لها الزواج منه هدته إلى فتح الحصن ، فضمن لها ذلك ، فأرسلت إليه أن يذهب إلى نهر الثرثار[(1)] — وهو نهر فى أعلى الحصن — فيرمى فيه التبن ثم ينظر أين يدخل التبن فيدخل رجاله من ذلك المدخل ، لأن ذلك المكان يفضى إلى الحصن ففعل .

ولم يشعر أهل الحصن إلا وجنود سابور معهم فى حصنهم ، يعمنون فيهم قتلا وأسراً . ثم عمدت النضيرة إلى أبيها فسقته الخمر حتى أسكرته طمعاً منها فى زواجها من سابور ، ولكن سابور عند ما احتل الحصن قتل أباها ، وأمر بهدم الحصن .

هذه هى قصة هدم حصن أبى الضيزن ، وقد أكثرت كتب الأدب والسير من ذكر الضيزن وحصنه ، وخيانة ابنته له ، وزوال ملكه ، وضربت بذلك الأمثال .

كل ذلك كان بين سنة ٢٣٦ وسنة ٣٢٨ بعد الميلاد .

**ما قيل فيها :**

هى من المواضع التى ذكرت بالجمال والتهتك وشرب الخمر لأنها كانت محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر ، وكانت أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة ، وقد وصفها بهذا الوصف ياقوت والشابشتى والعمرى[(2)] ، وغيرهم من المؤرخين الذين ذكروها ، ولهذا السبب جعلها الفرس مصيفاً لهم ، يصطاف بها أمراؤهم وسراتهم .

وقد بقيت هذه المدينة عامرة جليلة القدر ، يؤمها الخلفاء والفتاك ، من أهل المجون والبطالات حتى الفتح الاسلامى حين بدأ الخراب يدب فيها . فى معركة القادسية جعلها رستم قائد الفرس مباءة لجيشه ، قال البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان[(3)]

(١) فى الكامل للمبرد أن هذا النهر بين سنجار وتكريت ، ويظهر فى هذا الخبر أن هذا النهر فى وسط العراق ، وقد ذكره ياقوت ج ٤ ص ١٢٠ عند هذا الكلام على دير أبون حيث قال : وفيه يقول بعضهم يذكر محبوبة له كردية عشقها بقربه :

فياظبية الوعسا هل فيك مطمع ... لصاد إلى تقبيل خديك ظمآن
وأنى بالثرثار والحضر حلق ... ودارك دير أبود أو دير مهران
سقى الله ذاك الدير غيثا وأهله ... وما قد حواه من قلال ورهبان

(٢) الشابشتى ورقة ١٠٢ والعمرى ص ٢٨٤ وياقوت ج٦ ص ٢٩
(٣) البلاذرى ص ٣٦٤ .

« وقدم رستم ذو الأكتاف فكان معسكراً بطيزناباذ » .

وسقطت هذه المدينة بأيدى المسلمين فى جملة ما سقط من المدن سنة ١٥ هـ ٥٣٦ م فدب إليها الخراب ولكنها استعادت بعض مجدها فى عهد المسلمين حيث اقتطعت للأشعث بن قيس الكندى[(1)] فعمرت بعد الخراب ، وازدهرت بعد الاضمحلال ، وصار للأشعث بن قيس فيها قصر فخم فى عهد الأمويين ، وكان هذا القصر يعتبر من القصور المشهورة ، والمواقع المذكورة[(2)] .

ثم سما شأنها فى عهد العباسيين حيث صارت من أنزه المواضع وأجملها يقصدها الشعراء ويؤمها الفتاك ، وقد ذكر ياقوت فيها « لأهل الخلاعة فيها أخبار يطول ذكرها » وقد قال فيها أبو نواس[(3)] :

قالوا تنسك بعد الحج قلت لهم : ... أرجو الإله وأخشى طيزناباذا
أخشى قُضَيب كروم أن ينازعنى ... رأس الخطام[(4)] إذا أسرعت إغذاذا
فان سلمت ومانفسى[(5)] على ثقة ... من السلامة لم أسلم ببغذاذا
ما أبعد الرشد ممن قد تضمنه ... قُطْربُلٌ فقرى بُنّا فكلواذا

وذكرها أبو نواس فى مواطن أخرى مثل قوله :

فتنتنى ضيزناباذ ... وقد كنت تقيا
إذ تركت الماء فيها ... وشربت الخسرويا
أرض كرم تنبت الدهـ ... ـر شراباً سابريا

ثم هى أجمل من بغداد وقصفها ولهوها ، بل هى أجمل من أى موضع فى العراق لأن أبا نواس قال فيها :

وقائل هل تريد الحج قلت له : ... نعم إذا فنيت لذات بغداذ
أمّا وقطربل منى بحيث أرى ... فقنة الفِرْك[(6)] من أكناف كلواذى[(7)]
فالصالحية فالكرخ التى جمعت ... شذاذ بغداد ما هم لى بشذاذ
فكيف بالحج لى مادمت منغمساً ... فى بيت قوادة أو بيت نباذ

(١) فى معجم البلدان « إنها كانت إقطاعا للأشعث بن قيس بن عمر بن الخطاب » .
(٢) لغة العرب السنة الثانية .
(٣) هذه القصيدة فى الديوان ثمانية أبيات .
(٤) فى الديوان رأس القطار ، وفى العمري فضل الخطام .
(٥) فى الديوان والعمرى وما قلبى .
(٦) الفرك بكسر الفاء وسكون الكاف قرية كانت قرب كلواذى
(٧) طسوج قرب بغداد ، وبنا من نواحى بغداد أيضا بينها نحو فرسخين وهى تحت كلواذى .

وهبك من قصف بغداد تخلصني كيف التخلص لي من طيزناباذ

جاء في ياقوت [١] : قال على بن يحيى حدثني محمد بن عبيد الكاتب قال قدمت من مكة فلما صرت إلى ضيزناباذ ذكرت قول أبي نواس حيث قال :

بطيزناباذ كرم ما مررت به إلا تعجبت ممن يشرب الماء [٢]

إن الشراب إذا ما كان من عنب داء وأى لبيب يشرب الداء

فهتف بي هاتف أسمع صوته ولا أراه فقال :

وفى الجحيم حميم ما تجرعه خلق فأبق له في الجو أمعاء [٣]

أقول أخطأ ياقوت في ترتيب هذه الأبيات إذ أن المعنى مضطرب جداً في البيتين الأولين ، ولأجل أن يستقيم المعنى يجب أن يكون هذا البيت « إن الشراب إذا ما كان ... » قبل هذا البيت « وفى الجحيم حميم ما تجرعه » .

وقد ذكر هذا الموضع الحسين بن الضحاك [٤] في قصيدة مطلعها :

أخوىّ ، هُبّا للصبوح صباحاً !

هُبّا ولا تعدا النديم رواحا [٥]

ثم ذكر الدير الذى في طيزناباذ واسمه دير سرجس فقال :

هل تعذران بدير سرجس صاحباً

بالصحو ، أو تريان ذاك جناحا

هذه هي أخبار طيزناباذ ، وقد اعتمدنا في هذا على المصادر الآتية :

ياقوت : ج ٦ ص ٦٩ ، ج ٦ ص ٣٩٧ ، ج ٤ ص ١٤٥

مراصد الاطلاع مادة « طيزناباذ » .

الطبرى ج ١، ٢٢٦٤، ٢٨٥٥، ج ٣٠، ٧١٨ الطبعة الأفرنجية

ابن خرداذبة ص ٧١ الطبعة الأفرنجية .

لغة العرب : السنة الثانية .

ابن الفقيه : ص ١٨٣ الطبعة الأفرنجية .

البلاذرى : ص ٢٥٥ ، ٢٧٤ ، ٢٨٤ الطبعة الأفرنجية .

العمرى : ص ٢٨٤ دار الكتب .

ديوان أبي نواس : ١٨٩٨ طبعة اسكندر آصاف ص ٢٧٢، ٣٥٤

الشابستي : مخطوط في مكتبتنا ص ١٠٢ ، ١٠٣

( بغداد )

شكرى محمود أحمد

مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) ج ٦ ص ٧٩ وهذا الخبر ينسب لأبي نواس أيضا ابن منظور ج ١ ص .

(٢) هذه الأبيات غير موجودة في الديوان .

(٣) لابن منظور رواية أخرى لهذا البيت .

(٤) هذا الاسم في ياقوت الحسين بن الضمان ج ٤ ص ١٤٥ .

(٥) هذه القصيدة في العمرى سبعة أبيات وفي الشابستي اثنى عشر بيتا

# تعقيبات . . .

للأستاذ عباس حسان خضر

أبكار الهموم وعونها — عثرتان —
زواج أم كلثوم — آه من الأسمار .

## أبكار الهموم وعونها :

كتب الأستاذ محمود محمد شاكر بعدد مضى من الرسالة[1] فى موضوع أبيات من شعر بعض الأعراب ، تحدث فيها الشاعر الأعرابى عن قصته مع أميمة ( حوائه ) التى أنكرته إذ رأته « شاحباً مهزولا رثاً أسوأ حالا مما عهدته[2] » ، وكان قد آب من سفره الذى دفع فيه لتحقيق أحلامها ، وجملت تسائله مساءلة المتجاهل المزدرى : من أى الناس أنت ، ومن تكون ؟ فإنى أراك فى حال لا تليق براعى إبل ، فضلا عن محب يطمع فى مثلى ! فقال لها — وقد تكشفت له حقيقة حواء - : إذا كان مطلبك وغاية نفسك رونق الجسم واكتناز اللحم والشحم فعليك براعى غنم يعيش فى خفض ورغد من لبنها وزبدها . . . إلى أن قال مكملا وصف هذا الراعى :

سمين الضواحى ، لم تؤرِّقه ، ليلةً
— وأنعم — أبكارُ الهموم وعُونُها[3]

وقف الأستاذ شاكر عند كلمة « أبكار الهموم وعونها » نخال فيها ما لا أراه يُخال ، إذ قال إن هذا الأعرابى « قد أراد أن يعلم ( أميمته ) الباغية أنها إذا كانت تؤثر عليه امرأً غضاً ناضراً ناعماً لم تؤرقه هموم النفس ولم يضر به الكدح فى بوادى الأحلام والآلام والآمال ، فإنه غنى عنها ، وعن سائر نساء العالمين — وأن أمثالها لسن له بهم ، وأن له من حاجات نفسه وهمومها ( أبكاراً ) كأبكار النساء و ( عوناً ) كعونها » ، وقال فيما يريد بالأبكار : « فإن للنفس الشاعرة هموماً ( أبكاراً ) لم تمسها يد ولا فكر ولا حلم » وقال فيما يقصد بالعون : « وللنفس أيضاً هموم (عون ) قد أصاب الناس منها ما أصابوا ولكن بقيت منها للنفس الشاعرة بقية فاتنة بما فيها من دلال و كبرياء وقدرة على الامتناع عند الإمكان ونبل فى الخضوع والتسليم عند العجز » .

فهل لهذه الكلمة الفطرية « أبكار الهموم وعونها » قِبَلٌ بتحمل كل هذا ؟ وهل كانت نفس ذلك الأعرابى فى باديته وحياته الساذجة تنطوى حقاً على كل هذه الأحاسيس المزدحمة المعقدة . . ؟

يخيل إلىّ أن الأستاذ محمود محمد شاكر قد تراءت له فى هذه الكلمة أحاسيسه هو ، نخالها أحاسيس الأعرابى ... وهى أمثل به منه ، فما أحسب الأعرابى يريد بأبكار الهموم وعونها أكثر من جديد الهموم وقديمها ، على أن استعمال « الأبكار » فى الجديد من الهم أدنى إلى المعنى الحقيقى من استعمالها فى المختص منه ، وكذلك استعمال « العون » فى قديم الهم أليق من أخذها إلى مشتركه .

أما تلك الظلال التى يمد الأستاذ شاكر رواقها حول البيت فهى ظلال نفسه المترفعة الآنفة الساخرة العائشة على المثل والمعانى وأما الشاعر البدوى فما يبغى بأميمته بديلا ، مهما تدللت أو بغت عليه ، فإن عاتبها أو غاضبها فإليها بعدُ هوى نفسه ، ولديها محط رحاله ، وما يليق به وهو ابن الحياة الفطرية الساذجة أن يدعها ويضرب فى بيداء المعانى ليتصيد منها أبكار الخيال وعونه

## عثرتان :

ليس من دأبى تتبع سقطات الأقلام فى اللغة وقواعدها ، ولكن يهولنى أن يعثر قلم من الأقلام التى يستأنس بها ويتأثرها الناشئون ومن فى حكمهم من غير الدارسين . والذى نحن الآن بصدد التعقيب على جموح قلمه ، هو الأستاذ ميخائيل نعيمة ، وهو من أدباء المهجر الذين جروا فى ميدان الأدب العربى الحديث أشواطاً بعيدة ، ولكنهم أحياناً يصطدمون — فى عدوهم — بأوضاع اللغة ، فلا يعبئون بها !

(١) الرسالة عدد ٦٩٦ .

(٢) من كلام الأستاذ شاكر ، وكذلك الشرح التالى :

(٣) الضواحى : ما برز من الإنسان كالمنكبين والكتفين ، يريد ممتلىء البدن من الراحة والدعة وسكون النفس . والأبكار : جمع بكر ، وهى المرأة لم تتزوج بعد . والعون : جمع عوان ، وهي المرأة كان لها قبل ذلك زوج . أما قوله : « وأنعم » فهى كلمة معترضة أراد بها أن قد طال على ذلك الراعى ماهو فيه من خفض ورغد وراحة ورفاهية حتى ربا وسمن وزاد ، فلم يشغله شىء يضنيه أو يأكل من بدنه .

كتب الأستاذ ميخائيل نعيمة فى مجلة « الكتاب[1] » مقالا عنوانه « مهماز البقاء » جاء فيه : « فمثلما نجوع إلى أشياء وأشياء كذلك تجوع إلينا أشياء وأشياء ، فنحن أبداً جائعون ومجيعون ، وآكلون ومأكولون » .

فهو يصوغ من الفعل « جاع » اللازم اسم المفعول دون صحبة ظرف أو جار ومجرور ، على أن الصياغة نفسها غير صحيحة إذ جعل واو « مجوع » ياء ، ولو تروى قليلا لقال : « فنحن جائمون ومجوع إلينا » .

تلك واحدة ، والثانية فى قوله بنفس المقال : « لكم نخاطب الأموات ويخاطبونا » فقد حذف نون الرفع من الفعل المضارع المتصل بواو الجماعة المجرد من الناصب والجازم فقال : «ويخاطبونا» والصواب أن يقول « ويخاطبوننا » فهذا هو الاستعمال القياسى للأفعال الخمسة الذى يجب أن تجرى عليه الألسنة والأقلام ، دون التفات إلى الشاذ ، مثل :

أبيت أسرى وتبيتى تدلكى ... وجهك بالعنبر والمسك الذكى

### زواج أم كلثوم :

نشرت الصحف أخيراً نبأ زواج أم كلثوم ، وقد فوجىء الناس بهذا النبأ ، وقابلوه بشىء من القلق وشىء من الارتياح ! وكأنه قد استقر لديهم أن أم كلثوم - بانقطاعها لفن الغناء - قد خلصت لهم مفردة طليقة ، فما ينبغى أن ينافسهم فيها منافس يستأثر بها . . .

والذى دعا إلى الارتياح أن زوجها الأستاذ محمود الشريف من رجال الفن الموسيقى ، فيرجى ألا يكون حائلا بينها وبين المستمعين الذين تنقلهم — بصوتها الساحر — من أماكنهم إلى حيث تحلق بفنها الرفيع . . .

وليت شعرى هل كان أبو الفتح كشاجم يطوى الزمن فيصف « بحة أم كلثوم » إذ قال :

آه من بحة بغير انقطاع ... لفتاة موصولة الإيقاع

أتعبت صوتها وقد يجتنى من ... تعب الصوت راحة الأسماع

وإذ قال :

أشتهى فى الغناء بحة حلق ... ناعم الصوت متعب مكدود

كأنين المحب أضعفه الشو ... ق فضاهى به أنين العود

لا أحب الأوتار تعلو كما لا ... أشتهى الضرب لازماً للعود

ولعل أم كلثوم تواصل حفلاتها الشهرية التى تذيعها محطة الإذاعة ، فالناس يتجاوزون للمحطة من أجلها عن كثير . . .

وبعد فإن من حق أم كلثوم التى تبعث إلى قلوبنا البهجة والغبطة — أن نفرح لفرحها ونتمنى لها أطيب التمنيات .

### آه من الأسعار :

قال لى صاحبى ، وقد لمحت على وجهه ما دلنى على أنه ظفر بشىء عزيز المنال : أتحب أن ترى شيئاً من « السماعيات » التى تسمع وتقرأ عنها فى هذه الأيام ؟ ودس يده فى جيبه بعناية ، فأخرج قلماً ثميناً من ( ماركه ) مشهورة . فتناولته من يده ، وأجريته على القرطاس ، فجرى ليناً ، يكاد يجر اليد إلى الكتابة جراً ... بل يكاد يمتح من القريحة متحاً . . . فرددت بصرى بين وجه صاحبى الظافر . . . وبين القلم الذى يقول لى : هيت لك ! ثم رجع البصر إلىّ خاسئاً وهو حسير . . وأعجلنى صاحبى — سامحه الله — فى رد قلمه ، وهو مغتبط بالحديث عنه قائلا :

— أتدرى ما ثمن هذا القلم ؟

— أعلم أنه يباع فى السوق بنحو خمسة عشر جنيهاً ، فمن لك به ... ؟

— أحضره فلان من أمريكا بمائتين وخمسين قرشاً !

عجباً ! قلم يصنعه الصانع فى أمريكا ، يشترى مواده ، ويحليه بالذهب ، ويبذل فيه بارع فنه ، ثم يشتريه التاجر هناك ليبيعه بربح ، فيكون الثمن بعد كل هذا مائتين وخمسين قرشاً ، فإذا ما جاء إلى مصر بلد العجائب صار ثمنه خمسة عشر جنيها ... ! يا ضيعة المنتج والمستهلك بين أظفار التاجر !

ولقد كنا نتلمس الأسباب لغلاء المستورد من الخارج إلى مصر ، ونحار لما يدعو إلى غلاء لحما وسمنها وفولها وعدسها وبصلها ... فإذا الحيرة تتردد بين هذا وذاك ، وتجول هنا وهناك ، كما يجول الكلب الشرطى ، وتتشمم كما يتشمم ، فتكاد تمسك بالتاجر ، وأنى لها أن تنال منه وقد انتفخ وبدا «سمين الضواحى» فلا تملك إلا أن تردد ما قال شوقى فى غلاء ما بعد الحرب التى قبل الماضية :

(١) عدد ديسمبر الحالى

# وفاء الشـــعراء

## قضـــــية

[ مهداة إلى صاحب « أنات حائرة » ]

للاستاذ عبد الرحمن صدقي

قضيــةُ أرملٍ نذر الوفاءَ حكاها الناسُ أياماً وِلاء
حكَوْا أنَّ الفتى عدِمَ الرجاء وراح يصبُّ كالحمِمِ البكاء
وقالوا ضاقت الدنيا عليه وما يجدنَّ فى امرأةٍ غَناء
وزادوا أنه نظم المــراثى وخلَّدَ ذِكرَ زوجته رثاء
وأقسَم أن يعيشَ بلا شريكٍ وأفرط فى تحدِّيه القضاء
وصار على الوفاءِ لِواءَ صدْقٍ وقد عقدوا له فيه اللَّواء
فيالله من نفرٍ حيــارَى فما يدرُون أحسنَ أم أساء
حكوا أن قد تزوج بعد حينٍ وضمَّ إليه من حسبٍ كفاء
وزادوا أنَّ أفراحاً أُقيمت وأنَّ عجيجها ملأَ الفضاء
أجل، من بعد أعوامٍ طوالٍ وكانت باللظى الكاوى مِلاء
أجل، قد أعرس الرجل المعنَّى ولكن، هل نفى هذا الوفاء؟!
عجيبٌ أمرُ هذا الناسِ تعشو نواظرُهم فلا تعدو الغِطاء
هو القلب الصديع ترون شطراً أمامكم، وسائرُه وَراء

عبد الرحمن صدقي

# لجسمك ...

للأديب محمد محمد علي

لجسمك أنغام يشيع أُهتافها بروحى، وأنسام يهب عبيرها
ودنيا من الأحلام منى قريبة يفيض بقلبى بشرها وحبورها
وسحر يلف الآن روحى نعيمه فتنمو بها أهواؤها وشعورها

***

لجسمك نجوى يا فتاتى سمعتها ورن بأعماق الفؤاد صداها
تحدثنى من غير صوت ولا فم وأسمع منها صفوها ورضاها
كأنك أشواق مجسمة بدت لعينى، أرى أحلامها ورؤاها

***

لمســتك يا أختى بجسمىَ مرة
فأحسست روحى من ملامسه تنمو
وصرت أرى فى كل موضع لمسة عبير أزاهير يجسمها الوهم
وللجسم مثل الروح حلم يروده وآفاق حب بين أقطارها يسمو

***

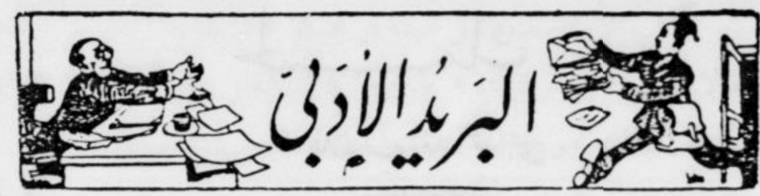
تعالى نعش فى جنة الأرض ساعة تحيط بنا غدرانها وطيورها
فما هى إلا هــدأة ثم بعــدها
خُطاً نحو أفق الروح، سوف نسيرها
ومن لم يجب للجسم داعيه لم تزل على روحه ألفافها دستورها

محمد محمد علي

عبادك رب قد جاءوا بمصر أنيلا سقت فيهــم أم سرابا
حنانك واهدِ للحسنى تجاراً بها ملكوا المرافق والرقابا
ورقق للفقير بهـــا قلوباً محجرة وأكباداً صــلابا
أمن أكل اليتيم له عقاب ومن أكل الفقير فلا عقابا؟!
أصيب من التجار بكل ضارٍ أشد من الزمان عليه نابا
يكاد إذا غــذاه أو كساه ينازعه الحشاشة والإهابا

يا ولاة الأمر، إنا نستعديكم على هؤلاء التجار، وإلا فإنا نستعدى عليكم الشعراء، فإن لم يهبوا فحسبنا أمير الشعراء، فإن لم يغنِ فحسبنا الله ونعم الوكيل.

عباس حسان خضر




### مات الأمير شكيب أرسلان :

مات الأمير شكيب أرسلان ! بهذا هتف الناعي عشية يوم الإثنين الماضي ، فوجمت النفوس للنبأ الأليم ، وجزع أبناء العروبة لفقد ذلك الرجل العظيم ، واستفاضت الحسرات أسىً ولوعة على علم من أعلام البيان العربي ، ورسول من رسل الأصلاح الأسلامي ، وقف حياته الطويلة الحافلة على الجهاد للحق، والدفاع عن الحرية ، حتى غلبه الموت ، وهو الذي طالما غلب الأهوال وارتفع على الشدائد والأحداث .

لقد كان الأمير شكيب — رضوان الله عليه — بالفكرة التي يمثلها ، والغاية التي عاش لها ، علماً من أعلام تلك المدرسة المنتجبة المنتجة التي وضع أساسها باعث الشرق السيد جمال الدين الأفغاني ، وتولى رعايتها المصلح العظيم الأستاذ الإمام محمد عبده ؛ فكان يرى الاسلام عقيدة جامعة ، والعروبة رابطة شاملة ، والاحتفاظ بتراث السلف دعامة لنهوض الخلف ، فكان هذا هو جماع الفكرة فيما يكتب وينصح به ويجاهد له .

كان الأمير شكيب فى كل ما يكتب يرعى حق الدين وحق الاصلاح الشامل ، وكان يفزع لكل مسألة إسلامية ، ويزأر لكل نازلة شرقية ، ويجاهد لكل قضية عربية ، ويوجه خطابه دائما إلى أحرار المسلمين ، ويهيب بجميع أبناء العروبة . ولقد كان له من طيب الأرومة ، ونباهة المحتد ، واتساع الثقافة والصلة بالناس ما ارتفع بمكانته ، وأسمع بكلمته .

وكان الأمير شكيب فى مطلع هذا القرن ينهض بفكرته تحت لواء الخلافة العثمانية ، وكان يعمل على توفيق الصلة بين الترك والعرب دائماً ، وكان يرجو أن تمازج الوحدة العربية وما يسمونه بالوحدة الطورانية لتكونا وحدة إسلامية جامعة للصفوف ، مانعة من تلصص الاستعمار الغربي . فلما تقلص ظل الخلافة عن الآستانة ، ونزل الهلال عن قصور آل عثمان ، وقف الأمير شكيب يدعو العرب للوحدة فى وجه الاستعمار والتكاتف ضد الدخيل الأجنبي . وفى هذا السبيل كم احتمل رحمه الله ما احتمل من الأحداث الرهيبة حتى قضى عليه ذلك أن يعيش غريباً عن أهله، نائياً عن وطنه ، فأمضى النصف الأخير من حياته يطوف آفاق أوربا ، وكان يؤثر الاقامة إما فى فرنسا لأنها أكثر مقصداً لرجالات العرب ، وإما فى سويسرا لأنها موطن الأحرار ..

وعلى أى فقد كان وجوده فى أوربا كأنه الديدبان للأمة العربية ، فما كانت تمر كلمة فى صحيفة أو فكرة فى مجالس السياسة تمس الاسلام وتنال من العروبة إلا تصدى لها وكتب فى تفنيدها . وكان وهو فى مطارح الغربة يملأ الصحف فى سائر الأقطار العربية بمقالاته وبحوثه الضافية ، وما شغلته مشاغل الحياة وأعباء الغربة عن القراءة والكتابة ونشاط الذهن لحظة .

ومنذ عام أذاعت الصحف أن الأمير فى غربته يشكو مرض القلب ، وأن كل ما يرجوه عند موته ويتمناه على الله قبل أن يدركه الموت أن يرى والدته التى حرم رؤيتها منذ سنوات ، وأنه لا يوصى بشىء إلا أن يدفن رفاته فى تراب وطنه . وبعد مشاورات بين رجالات العروبة والسلطات الأجنبية تم الاتفاق على عودة الأمير ، فعاد وهو يحمل ثقل الداء المتمكن وأقام بين عشيرته زمناً يغالب الموت حتى غلبه الموت .

مات الأمير شكيب ، ولكنه خلف من ورائه سيرة عابرة بالجهاد للحرية ، وحياة حافلة بالكفاح للقومية ، وتراثاً من الفكر يضن به الزمن على البلى . وليست هذه الكلمة العاجلة العابرة بشىء فى جانب ما أسدى وأجدى وخدم به القضية العربية والفكرة الإسلامية ، فموعدنا بوفائه سلسلة من المقالات نترحم بها لحياته ونعرض فيها لتراثه فى الأعداد القادمة من الرسالة إن شاء الله .

**محمد فهمى عبد اللطيف**

### حفل المجمع اللغوي لاستقبال الأعضاء الجدد :

كانت ساعة الحادية عشرة من صباح يوم الخميس الماضى موعداً للجلسة العلنية التى عقدها مجمع فؤاد الأول للغة العربية لاستقبال الأعضاء العشرة الذين عينوا به أخيراً .

وقد حضر إلى دار المجمع فى الموعد المحدد — عدا الأعضاء القدماء والجدد — طائفة من رجال العلم والأدب ، فافتتح الحفل سعادة رئيس المجمع أحمد لطفى السيد باشا بكلمة وجيزة رحب فيها بالأعضاء الجدد ، وقال إن أمام المجمع مهام جسيمة ترجو

بعونتهم أن نسير فيها ، وأشار إلى أن أعضاء المجمع قد بلغوا الأربعين ، وهو أقصى ما يمكن أن تتسع له حجرة الاجتماع ، وهو لذلك يذكر الحكومة بضيق مكان المجمع الحالى .

ثم ألقى الأستاذ أحمد أمين بك كلمة المجمـــع فى استقبال الأعضاء الجدد ، فبدأ ببيان ما تدل عليه كلمة « مجمع » وذكر تعريف كاتب انجليزى للمجمع بأنه هيئة متعاونة غرضها تهذيب وترقية الأدب والعلم والفن ، يدعوها إلى ذلك العشق الخالص لغرضها . وأشاد الأستاذ بكلمة « عشق الغرض » وأثرها فى الإنتاج ، وقال إن هذا العشق لم يكن بعيداً عنا نحن الشرقيين فقد قامت منا أفراد بما تقوم به المجامع كالأزهرى وابن منظور ، وذكر أن أمام المجمع مشاكل لابد أن يجد لها حلولا ، وأن له غايات ومطالب ، منهـا وضع معجم واف بحاجات العصر ، ومعجم تاريخى مطول ، وأن يكون المجمع محكمة عليا للانتاج الأدبى فى العالم العربى ، وأن يكون حارساً على اللغة ليشرف على ما يكتب فى الصحف وما يستعمل من ألفاظ وأساليب ، وأن يستحث الحكومة والأغنياء على التبرع بالمال لتشجيع الأدباء على الانتاج .

وقال إنه وجهت إلى المجمع نقود كثيرة من أن نتاجه قليل أو أنه يختار ألفاظاً لم يستسغها الجمهور ؛ ودفع بأن طبيعة المجمع دائما طبيعة محافظة ، وأن طبيعة العلماء تميل إلى التدقيق والبطء ، وتفضل النتاج الصحيح القليل على النتاج الكثير فى غير نضج ، وبأن ليس للمجمع استقلال مالى يشعره بالحرية فى العمل . ثم رحب بالأعضاء الجدد وعرف كلا منهم بكلمة قصيرة . ومن الطريف أنه قال عقب ذلك « هذا — أيها السادة — عرض سريع لهذه العشرة الطيبة » فضحك الحاضرون من كلمة « العشرة الطيبة »

ثم قام الدكتور ابراهيم مدكور ، فألقى كلمة الأعضاء الجدد فأشاد بفضل المجمع وبين حاجة البلاد اليه ؛ وشكر هيئـة المجمع على الحفاوة به وبزملائه الجدد ، وقال إن المجمع يمتـاز بخصائص ثلاثة : عمل صامت ، وتعـاون صادق ، واعتدال وحكمة . ثم أفاض فى الحديث عن قوانين علم اللغات المقارن التى من أهمها أن اللغات جميعها تخضع لقانون السير والحركة والتغير والتحول إلى أن قال » إن اللغات فى حركة مستمرة ، فمن العبث أن نعترضها ونقف فى طريقها ، أو أن نفرض عليها قوالب جامدة لا تلبث أن تخرج عليها . وإن الصورة المثالية القديمة التى كانت تفرض للغات لا يقرها العلم المعاصر ولا يقول بهـا وأصبح يدعو إلى مثالية أخرى عملية ونافعة فاللغة المثالية هى التى تصدر عن روح العصر وتتمشى مع حاجته ومطالبه ، على أخصر صورة وأوضح مظهر »

وبهذه المناسبة نذكر أن عدد أعضاء المجمع وقت إنشائه سنة ١٩٣٢ كان عشرين عضواً ، وفى سنة ١٩٤٠ زاد عشرة فصاروا ثلاثين ، وفى ٢٨ نوفمبر الماضى صدر مرسوم بتعيين عشرة جدد ، هم : الدكتور عبد الرازق السنهورى باشا ، والدكتور ابراهيم بيومى مدكور ، والدكتور عبـد الوهاب عزام بك ، والدكتور أحمد زكى بك ، والدكتور محمد شرف بك ، وزكى المهندس بك ، والدكتور مصطفى نظيف بك ، والشيخ محمود شلتوت ، ومحمد فريد أبو حديد بك ، والشيخ عبدالوهاب خلاف

وكنا نأمل أن نرى بين هؤلاء الأعضاء الذين عينوا أخيراً بعض أبناء الأمم الشقيقة ، وخاصة غير الممثلة فى المجمع كفلسطين وفيها الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى ، وهو — كما يعلم الجميع — من أعلام العصر فى اللغة والأدب .

( ع . ح . خ )

**مجلة الأزهر فى عهدها الجديد :**

الرسالات الروحية مجال واسع للدرس العميق ؛ والتحليل الدقيق ؛ والإسلام ينال من عناية هذه الدراسات المختلفة فى جميع اللغات حظاً غير منقوص . والأزهر . وهو القوام على رعاية الرسالة الإسلامية ؛ الذائد عنها ؛ الممهد لها السبل فى غمرة هذا الزحام المتضاغط من الدعايات المذهبية التى تناهض تلك الرسالات ؛ وأمضى سلاح فى يد تلك المذاهب ما ترمى به عن قوس الصحافة ، لذلك كانت الجهود المبذولة لترقية مجلة الأزهر وتدعيمها تقابل بالتأييد ، وتحف بالتشجيع . وقد جاءت — المجـلة — حاملة خلاصة مصـفاة لتلك الدراسات التى تتناول الجوانب الخليقة بالتناول من تلك الرسالة الخالدة ؛ وهذه نفحة من نفحات الأستاذ الأكبر الذى مكنته حياته العلمية النشيطة من الوقوف على ثقافة الجامعات الأوربية وأنظمتها وأهدافها ؛ وهذا خير ما تتطلبه الحياة الجامعية الأزهرية . وتتجلى فيهـا أيضاً من مجهودات الأستاذ الباحث الموفق — فريد بك وجدى — رئيس تحريرها ومدير دفتها ، حتى تستطيع أن تؤدى رسالتها فى خدمة الشرق والإسلام .

محمد عبد الحليم أبو زيد




بمناسبة مشاهدة وفود الجامعة العربية لرواية :

# حواء الخالدة

بدار الأوبرا الملكية

للأديب خليل منصور الرحيمي

مسرحية ألفها الكاتب الكبير ( محمود تيمور بك ) وأخرجها الأستاذ الكبير زكى طليمات ، ومثلتها الفرقة المصرية . وقد استطاعت هذه المسرحية أن تفرض نفسها على الجماهير — خاصتهم وعامتهم — أياما وأياما . كانت طيالها حديث الشاهد العادى وشغل الأديب والناقد . فهل أتيح لها ذلك كله اعتباطا وعفو المصادفة ، أم تهيأ لها ذلك بما أودعته من خصائص فنية هى وحدها الحكم فيما يكتب له الخلود من ثمرات القرائح . وما يكون نصيبه الموت فى ساعة ميلاده . ذلك ما سنحاول تبيين أمره فى نقدنا للمسرحية .

وقبل الدخول فى صميم النقد نحب أن ننبه إلى أمور لها دلالتها التى يجب ألا تفوت المعنيين بشئون الفن فى مصر . وبخاصة الفن المسرحى .

أولاها أن هذه المسرحية كتبت بلغة عربية فصيحة . وكان من الأراجيف الشائعة فى الأوساط الفنية ، أن لغتنا الفصحى لا تجد استجابة من الجماهير ، فضلا عن أنها تعوق المؤلف عن النفوذ إلى أغوار شخصياته مستجليا خفاياها معبراً عن خلجاتها فكانت استجابة الجمهور لمسرحية ( حواء الخالدة ) شاهدا صادقا على كذب ما يرجف به القاصدون . فليس باللغة قصور ولا بالجماهير عقم ، ولم يعد من السائغ مد يد اللاينة إلى العامية المبتذلة جريا وراء ادعاء ثبت بطلانه .

وثانيها أن المسرحية ، من المسرحيات ذات الموضوع ، وقد عولجت بطريقة علمية ، فلم يعمد فيها المؤلف إلى إثارة عواطف الجماهير بالحوادث والمفاجآت والشوقات المفتسرة . ولكنه استخدم الحوار للتعبير عن الحادث ومغزاه وسببه فى آن معاً ، فساوق بين العقل والعاطفة فى كشفه عما يختلج فى طوايا النفوس ومايستتر فى أعماقها . وتلك طرفة جديدة فى فن المسرحية المصرية ، تبعد بها عن ( بهلوانيات ) الحوادث المفتعلة والاعتماد فى التشويق على النكتة المتعمدة ... ومن هنا كانت هذه المسرحية بدء النقلة الجدية فى حياتنا الفنية ، والاتجاه بها وجهة سامية .

ونعود إلى المسرحية فنقول إنها موضوع وعلاج ، ثم عرض وإبراز . أما الموضوع والعلاج فن عمل المؤلف ؛ وأما العرض والإبراز فن عمل المخرج والممثل ، ونبدأ حديثنا بالموضوع ، وكيف عولج .

تدور المسرحية على قصة عنترة وعبلة ، تلك القصة التى انحدرت على ألسنة الرواة من أغوار الماضى ، ولا تزال شائعة على ألسنة الناس . فعنترة شاعر فارس تيمه الحب ، فلم يعد يرى من الدنيا غير محبوبته ، يهجر من أجلها الديار ، ويركب فى سبيلها الأخطار ، ويرضى إكراما لها بالهوان وإن كان أشجع الشبان . وعبلة حسناء بدوية ، امتلأ قلبها بالحب لفارسها الأسود فزهدت وفاء له فى نعيم الحياة ، وانتظرت الهناء فى ظله وحده دون الناس جميعا .

فاذا فعل تيمور بتلك المادة التى تقدمها إليه أقاصيص الرواة بيد جامدة فى قفص صلب من جلال الماضى .

لقد ارتفع تيمور بالقصة على أوضاع الزمان والمكان والحادث الخاص ، فجعل منها قصة إنسانية عامة ، دائمة الحدوث ودائمة التجدد ، غير متقيد بما يروى عنها من أخبار فالحادث لا يعنيه ، وإنما تعنيه دلالته ، وذاتيته لا تهمه ، وإنما تهمه إنسانيته ... فالفرد عنده وحدة تتركز فيها أهواء الإنسانية كلها ، بل أنموذج صادق لنوازع النوع البشرى عامته ، على شتى تباين هذه النوازع . فالمسرحية إذا من مسرحيات النماذج البشرية ، التى لا تعرض الأشخاص بخصوصياتهم ولكن بدلالاتهم الإنسانية . تلك الدلالات التى تهيىء لها نوازع أصيلة واغلة فى أعماق النفوس . بدأت مع الناس منذ بدء الخليقة ، وصاحبتهم فى موكب الحياة ، وستظل لهم مصاحبة أبدا . تلبس لهم كل لباس ، وتتبدى لهم فى كل لون .

فعى فى البادية حيية خجول ، تضع نقابها وعينها من ورائه

فاحصــة . وهى فى المجاهل مروعة نفور تستتر بأوراق الشجر ، ونفسها مشرئبة متطلعة . وهى فى المدنية الحديثة متبرجة سافرة وحيلتها حاضرة عاملة ... إنها هى هى ، فى الماضى ، والحاضر ، وستكون هى عينها فى المستقبل، فهى حواء التى لا تحول، حواء الخالدة

من هذه الزاوية نظر تيمور إلى تلك القصة . فلم تـكن عبلة غير امرأة ، امرأة من بنات حواء ، بل قل إنها حواء نفسها ؛ حواء التى مدت يدها إلى آدم بالـكأس المرة اللذيذة منـذ بدء الخليقة ، فتجرعها مستلذا مرارتها . ولم تزل تمد له يدها ولم يزل يتجرع الـكأس ويستلذها ، وليس يعنيها من أمره إلا أن تراه أمامها ، بل وراءها ، بل محيطا بها من كل أقطارها . تحاربه لتحارب به وتدنيه لتصل به إلى غايتها ، ثم تقصيه لتشبع غرورها بلذة سعيه إليها ، غير باخـلة عليه بكلمات الحب والإخلاص . ودموع العطف والرثاء . فمن هذا المزاج تملأ له تلك الـكأس المرة اللذيذة ، التى يتجرعها مستلذا مرارتها . فما هو الدافع الخفى الذى يقف المرأة من الرجل هذا الموقف ؟ ؟ بل الذى يوجه غرائزها وطباعها إلى ذلك . أرادت أولم ترد ؟ ؟

إن المرأة تعبد القوة وتهيم بها — قوتها هى — تلك الهبة التى حرمتها منها الطبيعة فـكان لزاما عليها أن تلتمسها فى غيرها ثم تفرض نفسها على ذلك الغير ، لتـكون هى الدافعة والمحركة ، فهى القــوة وهو آلتها ، أما وسيلتها إلى تحقيق تلك القوة أو أخذها قسرا من الرجل ، فهى شباك الطبيعة المعطاة لهـا من جمال ودلال ، تتلمس بهما إعجاب الرجل ، لتفرض عليه شخصها فإن بطل إعجابه بها ، فقد انهارت قوتها ، وحق لها أن تغدر وأن تخون

وتتلمس مدى صدق هذه النظرية فى عبلة فنراها تحب عنترة القوى بجسمه وروحه ، مفاخرة بنات حيها بذلك الحب . فهى (عن عنترة أخذت بلاغة الشعراء) ثم هى مفتونة به ، لأنهـا لا تجد سواه (من يحمى الذمار ويذود عن الحمى) ولـكنها كما قلنا تحب القوة فى نفسها ، فلا بد أن يكون عنترة لها تبعا ، ومن هنا جاز أن تدفعه إلى المخاطرة بمصاولة الضرغام ، ليأتيها بجلده . والويل له إذا لم يأت به . لأنها لا تعرف إذ ذاك (ماذا تقــول لنساء الحى إذا هو عاد صفر اليدين) . فنفسها وغرورها وفرض شخصيتها هو همها الأول .

ولـكن للقوة مظاهر غير الشجاعة . فهناك قوة الجاه والثراء تعرض لها متمثلة فى شخص الأمير (عمارة الـكندى)، الذى يزور الحى فتلاقيه عبلة يدفعها الحنق عن غياب عنترة ، وتأخذ فى ملاطفته ، حتى إذا ما عاد بطلها حاملا إليها جـلد الضرغام نسيت الأمير وجاهه ، لأن غرورها وجد وقوده . ولـكنها تريد أن تتأكد لنفسها من أنها تستطيع استلاب هذا البطل أعز ما يملك ، ألا وهو سمــة رجولته وعنوان شجاعته ، فتحتال عليه حتى يحلق لحيته . ثم لا يكون جزاؤه منها إلا التأبى ، لأنها لا تريد غير عنترة القوى! ويذهب عنترة إلى فارس وتطول غيبته هناك ويجد الأمير فى غيابه منفذا إلى قلبها ، فترضاه خاطبا إن جلب لها مطلبها المرهق من النيــاق العصفورية . فيرحل هو الآخر فى طلبها . ولـكن نعى عنترة يأتيها فتبكى فيه حبها ؛ بل تبكى فيه الطبل الأجوف الذى ينشر أحاديث حبها ؛ وسرعان ما تسمع بمقـدم الأمير فتخف لاستقباله مراعاة لأدب الضيافة . وأدب الضيافة أحد سيوف المرأة الفواتك . ولـكن عنترة لم يمت ، فقـد عاد إليها من (فارس) ، بقلب جديد ، لا يؤثر فيه نسيم الصحراء ، ولا يسبيه حديث الغرام ، ولا يأسره سحر العيون ... عاد عنترة الدنى الجـديد ... فتحتال لاسترجاعه ، ولـكن كيف ، وقد تفتحت عينه على ما لم يدر من الدنيا ، فتثور فيها الضغينة على قوتها المفقودة . وإذ ذاك تمد له الطعنة النجلاء ، بأن تعيده إلى رقها بما تملك من وسائل ، ثم تولى عنه انتقاما ، ويتم لها ذلك ، فتطعن عنترة الذى حركت فى قلبه الهوى ، وتنحاز إلى خاطبها الأمير ، معتذرة عن مداعبتها له بأنها كانت تلهو معه ، ولو صدقت لقالت (كنت ألهو به) !!

وتزف إلى الأمير وإن قلبها لضائق به . وما إن يعرض لها ركب عنترة ، حتى تغرى أميرها بنزاله ، وتدفعه بيدها إلى الموت بسيف عنترة . ثم تعود لتنظر إليه ، وقد أصبح سيد الموقف ، وتغنى له النداء ، كما كانت تغنه . فتنسيه ما كابد بسببها من هوان ، وما تجشم من أخطار ، ويعود إليها منصاعا مغلوبا على أمره ... فأى شجاعة فى قلب هذا البطل المقحام . وما غناء شجاعته إذا كانت الحرب بينه وبين حواء !!!

لقد استطاع تيمور بحق أن يعرض لنا صورة عارية للمرأة ، تلك التى تلعب بالرجـل لتعوض به نقصها ، بل لتسلبه قوته لنفسها ، وهو هو المطية الذلول ، سواء أكان أشجع الشجعان أم أهو من أهل الهوان ، كل هذا فى أسلوب شائق جذاب ، وحبك محـكم يستحق عليه تهنئة الناقد وتقدير الأديب .

خليل منصور الرحيمى




# وفــاء . . . !

للقصصي الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأديب السيد كمال الحريري

كانت عربة القطار غاصة بالركاب منذ « كان » ، والأحاديث تدور على ألسنتهم ، بعد أن تعارفوا أو تآلفوا . وحين مر القطار « تارا . كون » قال أحدهم .

— في هذا المكان تجرى حوادث القتل . وهنا طفق الركب يتكلمون عن سفاك مجهول ، أعجز الأمن وأخذ منذ عامين يعيث فتكا بأرواح المسافرين فكل أخذ يبدى عنه افتراضاته ويدلى برأيه ، أما النساء فكن ينظرن برعب إلى الليل البهيم من خلال زجاج العربة ، وقد خفن أن يبصرن فجأة رأس ذلك السفاح ، يطالعهن من باب غرفة القطار .

ثم أفاض المسافرون في سرد قصص مرعبة ومصادفات مفزعة ومجابهات مع المجانين في عربات القطار .

كل حاضر كان يعلم حادثة من هذا النوع راح يسردها على شرف جرأته . وما منهم على زعمه ، إلا سبق له أن خوف لصاً أو صرع مجرماً أو جندل أثيما : في ظروف غريبة وبديهة حاضرة وشجاعة فائقة . وأراد طبيب اعتاد كل شتاء عبور جنوب فرنسا أن يدلى بدلوه بين الدلاء فقال .

— أما أنا فلم يسعدنى الحظ باختبار شجاعتي في ظروف كهذه ، بيد أنى أعرف امرأة من زبائنى المرضى « وتوفيت الآن » حدث لها أغرب حادثة يمكن أن تحدث في هذا العالم .

لقد كانت روسية ، واسمها مارى بارانواى ، وهى من كرائم العقائل ، ذات جمال ساحر وحسن رائع . وأنتم تعلمون كم هن جميلات الروسيات ، أو على الأقل كم يظهرن لنا حساناً فاتنات بآنافهن الدقيقة ، وثغورهن الصغيرة ، وعيونهن الزرقاء السنجابية وإن فيهن مزيجاً غريباً من الوقاحة المغرية ، والكبرياء الحلوة والقسوة المعطوف ، التى تجتذب قلب الفرنسي وتأسره .

وفى الحق قد يكون اختلاف الجنس هو الذى يربنى فيهن هذا النوع من الجمال .

لقد كان طبيبها منذ سنين عديدة ، يراها مهددة بمرض صدرى عضال ، وكان يسعى كثيراً أن يحملها على السفر إلى جنوب فرنسا للاستشفاء ولكنها كانت ترفض بإصرار مغادرة « بطرسبورغ » .

غير أنه ، في الخريف الأخير ، وقد أيقن الطبيب أنها هالكة توصل إلى إقناع زوجها الكونت ، بالإيعاز لها بالسفر إلى « مانتو » .

فاستقلت القطار وجلست في مقصورة وحدها بالعربة ، أما خدمها ومرافقوها ، فقد شغلوا غرفة خاصة بجانبها . وهناك لبثت حزينة ، بقرب نافذة القطار تطل على الجبال والدساكر والقرى ، وهى تمر مراً خاطفاً أمام عينيها . بينما هى وحيدة منبوذة من الحياة ، ليس لها ولد ولا قريب ، غير زوج زال حبها من قلبه ، فألقى بها إلى البلد النازح كما يبعث السيد بتابعه العليل إلى مصحة دون أن يرافقه وعند كل محطة كان وصيفها « إيفان » يأتيها مستعلماً عما إذا كان هناك حاجة تنقصها . ولقد كان خادماً قديماً في خدمة مولاته ، متفانياً في إخلاصه لها ، مستعداً دائماً لإنفاذ كل رغبة أو إشارة . واعتكر الليل والقطار يدوّى ويهوى هوياً على السكة الحديدية ، وجفن « الكونتس » لم يغتمض لتهييج أعصابها وثوران نفسها . خطر لها فجأة أن تعدّ ماخلفه لها زوجها حين توديعه إياها من نقود ذهبية فرنسية . ففتحت حقيبتها الصغيرة وأفرغت منها على حجرها موجاً براقاً من المعدن الذهبى . ولكن على حين غرة هبت عليها نسمة باردة . وما كادت ترفع بصرها مذعورة مصعوقة من المفاجأة حتى أخذت قبضة باب العربة تتحرك وتهتز . فذعرت الكونتس وألقت بغتة على نقودها المنتشرة شالا كان في حضنها ثم راحت تنتظر . ومرت لحظات ظهر بعدها رجل عارى الرأس ، جريح الذراع ، يلهث وهو في ثياب المساء . فأغلق باب العربة وجلس يحدق بعينين لامعتين ، إلى جارته . ثم إنه ربط كفه التى كانت تقطر دماً بمنديل . فشعرت الصبية بالخوف يهدها هداً ، وتحقق لديها أن الرجل عاينها وهى تعد النقود ، وإنما أتى إليها كى يقتلها ويستلبها ماعندها . كان يحدق بها منبهر الصدر لاهث النفس متشنج عضلات الوجه ، وهو متهيئ لأن يهاجمها ويسطو عليها بلا ريب . وقال بغتة .

— لا تراعى منى أيتها السيدة . فلم تنطق بكلمة لعجزها عن فتح فمها رعباً ، واستمعت له وقلبهـا خفاق من الذعر ، وأذناها تطنان طنيناً مدوياً . قال لها .

— إنى لست فاتـكا ولا مجرماً أيتها السيدة . بيد أنها ظلت ملتزمة جانب الصمت ، وبدت منها حركة لجائية ، اقتربت منها ركبتاها إلى بعضهما فجرى الذهب من حجرها إلى بساط الأرض ، كما يجرى المـاء من الأنبوب . ودهش الرجل ، فأخذ يحدق فى هذا الجدول الجارى من الذهب ... ثم مال فجأة إلى الأرض لالتقاطه . أما هى فريعت ونهضت ملقية على الأرض جميع ثروتها ، ثم هربت إلى باب عربة القطار تود أن تقذف بنفسها ؛ غير أنه أدرك ما عزمت عليـه ، فوثب من مكانه وأمسكها بيديه ، ثم أجبرها على الجلوس وقال لها وهى ترتعد بين يديه :

— إصغى إلى أيتها السيدة . لست شريراً ولا فاتـكا ، ودليلى على هذا أنى سألتقط هذه النقود وأردها إليك ... إنى رجل هالك ومحكوم على بالموت ، إن لم تعينينى على اجتياز الحدود الروسية . وليس بوسعى أن أبسط لك القول أكثر من هذا . ففى خلال ساعة سنصل آخر الحدود الروسية ، فان لم تنجدينى إنى إذاً من الهالـكين . ومع ذلك أيتها السيدة ، أقسم لك أنى لم أرتكب قتـلا ، ولا اقترفت سرقة أو جرماً يسئ الشرف ويخدش الـكرامة . أحلف لك على هذا ، وليس بمقدورى أن أزيدك فى القول . ثم جثا الشاب على ركبتيه ، وأخذ يلتقط النقود ، وينقب حتى عن أصغر قطعة متدحرجة منها ، وحين أفعمت محفظة النقود كما كانت ، ناولها لجارته دون أن ينبس بنت لسان ، ثم انتقل وجلس فى الزاوية الثانية من عربة القطار ، وظل الإثنان ساكنين ، لا يبديان حركة ، ولبثت هى فى صمتها وسهومها وجمودها : أسـيرة الخوف الذى بدأ ينجلى عنها شيئاً فشيئاً . أما هو فلم يظهر حركة أيضاً ، ولم يبد إشارة . بل استمر مستقيم الجلسة تحدق عيناه إلى الأمام ، ووجهه مصفر اصفرار وجوه الموتى .

على أنها كانت من حين لآخر ترميه بنظرة خاطفة . كان رجلا فى الثلاثين من سنيه ، شديد الفتنة سليم القسمات ، فى وجهه سمة النبل والاستقامة . وظل القطار يخترق حجب الظلام ، ملقياً فى أذن الليل الدامس صفارته الحادة الصارخة ، ولا يكاد يهدأ من سيره ويخفف قليلا من سرعته حتى يستأنف لجبه وهويه وهديره ، ولـكن فجأة ، خفف من مشيته ، ثم انطلقت من قاطرته عدة صفارات ووقف تماماً عن السير .

وبدا الوصيف « إيفان » على باب الغرفة ، يتلقى أوامر سيدته فتأملت الـكونتس مارى مرة أخيرة رفيقها الغريب ، ثم قالت لتابعها بصوت أجش

— إيفان سـتعود إلى زوجى « الـكونت » ، لأنى لست بحاجة إليك الآن . فصعق الرجل وأطل عليها بعينين مفتوحتين دهشة ثم تمتم :

— ولـكن يا مولا ... فقاطعته

— لا ، لن تأتى معى ، لقد بدا لى فغيرت رأيى ، وأريد أن تبقى فى روسيا . هاك نفقة رجوعك ، وهيا ناولنى معطفك وقبعتك .

فتجرد الخادم المدهوش من معطفه ، وأنزل قبعته عن رأسه طائعاً دون كلمة ، لأنه تعود من مولاته كل إرادة فاجئة أو رغبة وهوى لا سبيل إلى مقاومته . ثم غادر عربة القطار ، وعيناه تفيضان من الدمع . وتحرك القطار ثم انقذف مخترقاً الحدود ، وحينئذ قالت « الـكونتس » لجارها :

— هذه الملابس هى لك ياسيدى ، فأنت منذ الآن « إيفان » تابعى . على أنى اشترط عليك شرطاً واحداً جزاء ما قدمته إليك من جميل الصنع : هو أن لا تكلمنى ولا تفتح معى باباً من حديث ، سواء أكان من أجل شكرى ؛ أم من أجل توضيح هذا التصرف معك . فانحنى الرجل المجهول أمامها طائعاً ، ولم تتحرك شفتاه بكلمة . وبعد قليل وقف القطار من جديد ، ثم طفق موظفون بملابس وبذلات خاصة ، يفدون إلى عربات القطار ، فمدت الـكونتس إليهم أوراق السفر ، ثم أشارت إلى الرجل الغريب القابع فى زاوية العربة وقالت :

— هذا تابعى « إيفان » ، وها كم جواز سفره . واستأنف القطار جريانه وهديره ، ومرّ عليهما الليـل بطوله ورأسها إلى رأسه لا ينطق ولا تنطق . وأقبل الصباح وقد جاز القطار قرية ألمانية فنزل الرجل المجهول من العربة ، ثم وقف على بابها يقول :

— اعذرينى أيتها السيدة ، إذا أخللت بشرطى معك ... ولـكنى حرمتك من خادمك ، فمن الظرف والعدل ، أن أحل

مكانه ... هل أنت محتاجة إلى أمر أنفذه ، فقالت فى برود .

— نعم استدع وصيفتى ، فغادر العربة ليقوم بما أمرته ثم اختفى عنها ...

ولما نزلت إلى مشرب المحطة « بوفيه » ، بصرت به عن بعد يرامقها النظر ثم ... ثم بلغ القطار « مانتون » .

وسكت الطبيب المتحدث لحظة ، ثم واصل كلامه يقول : ففى ذات يوم ، بينما كنت أتقبل زبائنى فى عيادتى ، شاهدت فتى غرانقاً يدخل علىّ ويقول :

— سيدى الطبيب ، لقد جئت أستعلم منك ، عن صحة الكونتس « مارى بارانواى » فإنى برغم كونى نكرة عندها ، صديق وفىّ لزوجها . فأجبته فى أسى : إنها مشرفة على التلف ، ولن ترجع إلى روسيا ثانية . فاستخرط الفتى فى بكاء مرّ . ثم نهض خارجاً من الغرفة ، وقد رنحه الخبر ومال بعطفه .

وفى نفس المساء ، أنهيت إلى الكونتس ، بأن غريباً جاء يستخبرنى عن أنباء صحتها ، فبدا عليها التأثر ، وراحت تقصّ كل ما سردته على مسمعكم ثم أضافت .

— هذا الرجل الذى ما كنت أعرفه قبل ذاك الوقت ، يتبعنى الآن كظلى . وإنى لألتقى به الآن دائماً ، فى مراحى ومغداى . وأراه ينظر إلىّ نظرات غريبة دون أن يناقلنى الحديث ، ثم أطرقت لحظة واستأنفت .

— انظر . إنى لأراهنك على أنه الآن واقف تحت نافذتى . قالت هذا ، ثم غادرت كرسيها الطويل ، وراحت تزيح الستار عن النافذة . فإذا بها تبصر الرجل الذى استقبلته فى عيادتى . وكان جالساً على مقعد من مقاعد النزهة ، وعيناه شاخصتان إلى نافذة الفندق . وبمشاهدته إيانا ، نهض وابتعد دون أن يلتفت إلينا ...

ومنذ يومئذ ، كنت شهيد مأساة غريبة : لحب صامت أخرس ، يقوم بين شخصين لا يعرف كل منهما عن الآخر شيئاً . أما هو فقد كان يتعلق بها قلبه ، وتهفو إليها جوانحه . بإخلاص الحيوان الشاكر منقذه من الموت . وفى كل مساء كان يزورنى متلهفاً .

— كيف حالها يا سيدى ؟ يقول هذا وهو يعلم أنى أفهم من يقصد . ولقد كان يستعبر بمرارة ، حين يعلم أن الضعف والمرض كانا يتخونانها يوماً بعد يوم . وكانت هى تقول لى :

— إنى لم أحاوره فى حياتى إلا مرة واحدة . ومع ذلك يخيل إلىّ أنى أعرفه منذ عشرين سنة . وكانا حين يلتقيان صدفة ويحييها ترد إليه تحيته فى ابتسامة وفورة فاتنة . وكنت أشيم دلائل السعادة فى وجهها : فهى المهجورة المتروكة من الزوج والأهل ، وهى التى استيقنت من موتها القريب ، كان يشيع فى وجهها الرضى والإطمئنان أن ترى نفسها محبوبة بمثل هذا الإحترام الخالص والشاعرية الملتهبة والإخلاص المحض . ومع هذا كانت ترفض بيأس استقباله والتعرف إلى شخصه أو اسمه . حتى ومكالمته ولو بكلمة . ولقد كانت تقول :

« لا ، لا . إن ذلك ليفسد علينا ما نحن فيه من صداقة غريبة . وينبغى لكل منا أن يظل غريباً عن الآخر » .

وفى الحق ، لقد كان هذا الشاب ، صورة ثانية لشخصية « دون كيشوت » لأنه لم يحاول مرة الإقتراب منها ، كأنما كان يريد أن يستمسك حتى النهاية بالوعد الذى قطعه على نفسه فى القطار : أن لا يحدثها أبدا . وفى الغالب ، حين تشتد عليها نوبات مرضها وضعفها ، كانت تنهض من كرسيها ، وتروح تزيح الستار عن النافذة ، لترى إن كان هو هناك يرقبها ؟ وإذ تبصره جالساً على المقعد جلسته المتأملة الساكنة ، تعود إلى كرسيها وعلى شفتيها بسمة الرضى والسعادة ...

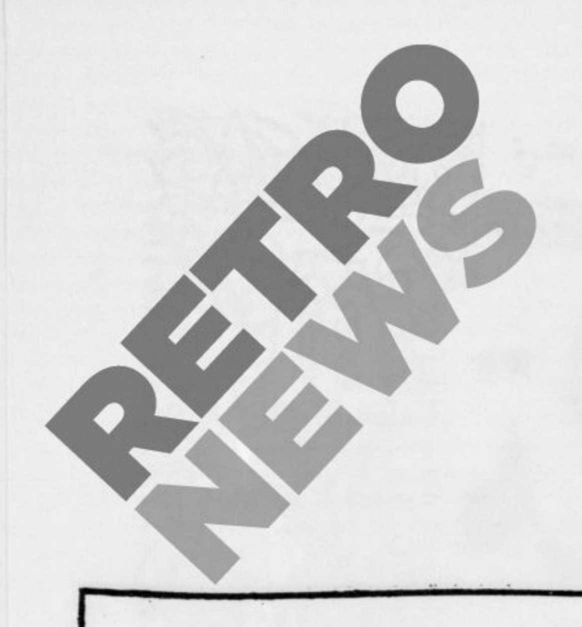
وماتت الكونتس، فى الساعة السادسة من صباح ذات يوم . فبينما كنت خارجاً من الفندق أقبل علىّ الفتى منطفىء اللون بادى الإضطراب وكان على علم بالنعى الأليم فقال ملتاعاً :

— أتمنى عليك يا سيدى رؤيتها لحظة ، ولو أمامك . فرافقته إلى غرفة المتوفاة ولما مثل أمام سرير الميتة ، تناول يدها وأخذ يلثمها لثمات حراراً طويلة مالها نهاية ... ثم انفلت من الغرفة كمن فقد صوابه وصمت الطبيب من جديد ، ثم قال :

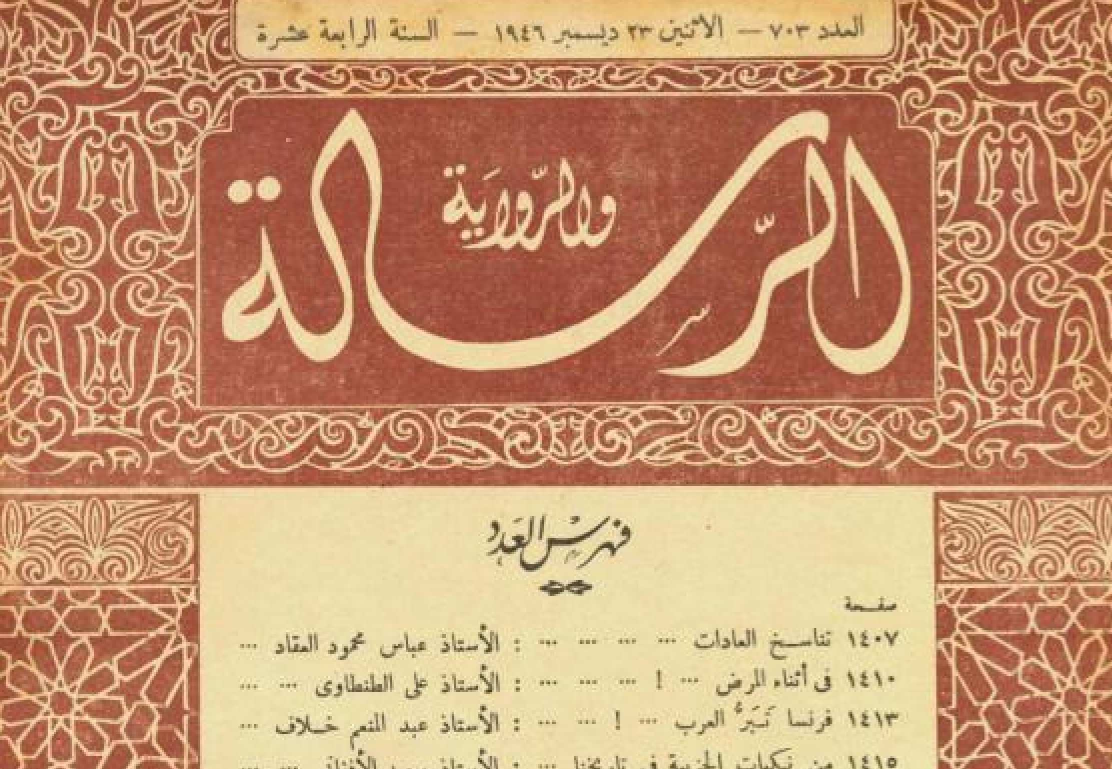
ها كم يا سادتى أغرب حادثة أعرفها عن السفر ، ويجب الإعتراف بأن الرجال مصابون بالخبل . فتمتمت امرأة بصوت خافت :

— إن ذينك المخلوقين اللذين ذكرت هما أقل خبلا وجنوناً مما تظن . لقد كانا ... لقد كانا . بيد أنها لم تستطع متابعة جملتها لأن البكاء قطعها عليها . وبما أن الحاضرين انحرفوا بالحديث عن وجهته كى يهدئوا جأشها ، لم يعلم أحد أبداً ما كانت المرأة تود أن تتم به كلتها ... لقد كانا ...

( حلب ) **كمال الحريرى**


RETRO
NEWS



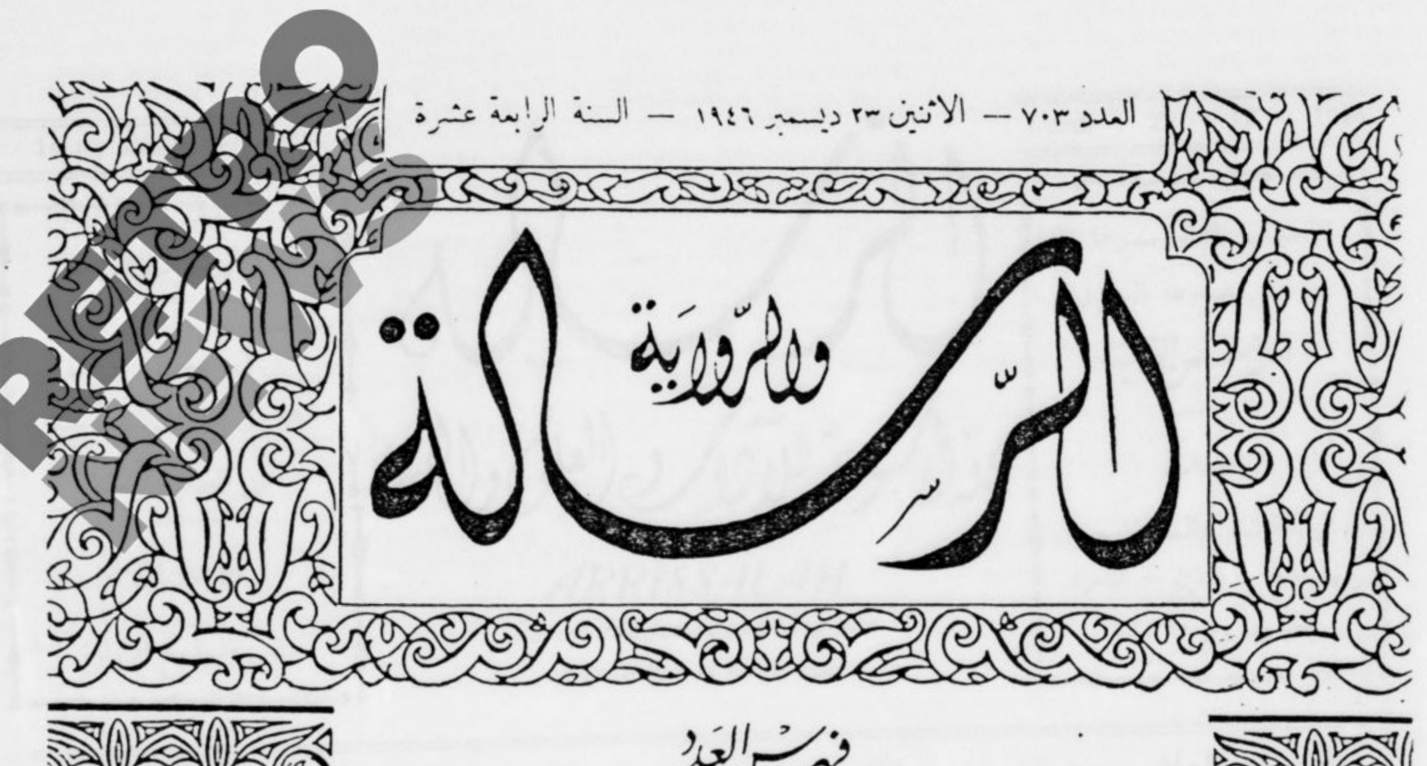



## فهرس العدد



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٠٣ — الاثنين ٢٣ ديسمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

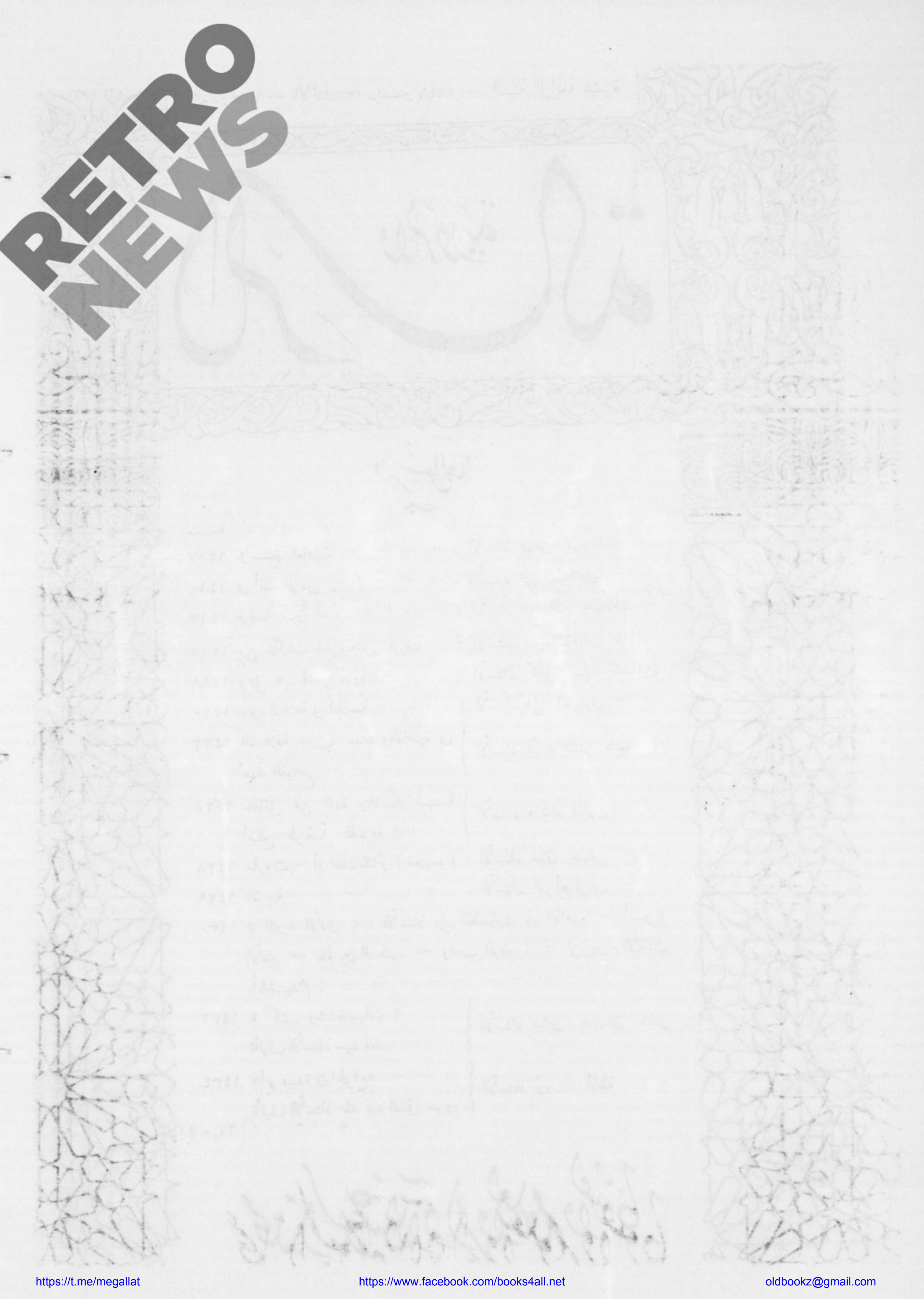


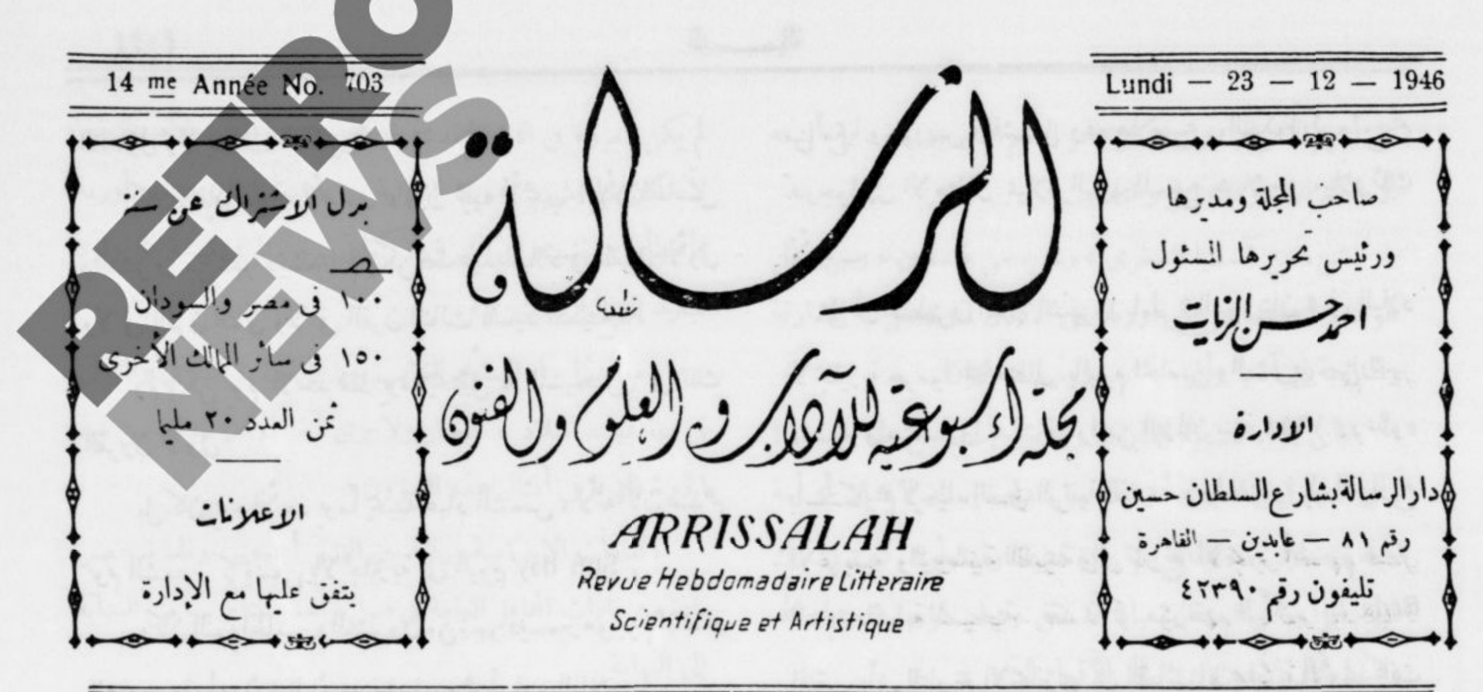

فهرس العدد



٥١، ٢٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون






العـــدد ٧٠٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ محرم سنة ١٣٦٦ — ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

# تناسخ العـــادات

للأســتاذ عباس محمود العقاد

ماذا يقول السائح الغريب إذا نزل بالقاهرة يوم الأحد فرآها — أو رأى الكثير من أحيائها — مغلقة الدكاكين والمصارف ومكاتب الأعمال ؟

إنه سيحار في تعليل هذه الظاهرة

وربما رفع بصره إلى الأسماء ليتبين أديان أصحابها فيزداد حيرة على حيرة ، لأنه يرى بينها اسم محمد وحسن ومصطفى ، كما يرى بينها اسم جرجس ونيقولا وكوهين !

فليس اليوم يوم صلاة دينية عند جميع هؤلاء ، وليست البطالة لمعنى من معاني الدين يتفق عليه أصحاب الدكاكين أجمعين

ألعل القوم إذن خاضعون لحكومة مسيحية ؟

ولا هذا أيضاً هو سبب البطالة في يوم الأحد . فإن حكومة البلاد حكومة إسلامية ، ولم يكن حكامها الأجانب — يوم كانوا يحكمونها — ممن يقترفون هذه الغلطة السياسية التي لا تؤمن عقباها ، وهي غلطة الإكراه في مسائل المعتقدات

ولا شك أن الحيرة ستزداد وتزداد إذا طال المقام بالسائح الغريب إلى العيد السنوي المشهور باسم عيد الميلاد

أي إلى اليوم الخامس والعشرين من الشهر الثاني عشر من السنة الميلادية

فإنه سيرى أناساً من المسلمين يسهرون في ليلة هذا العيد ويحتفلون به في المنازل والمحافل ، ويطربون فيه ويقصفون

أتراهم يقصدون الاحتفال لمعنى من معاني الدين ؟

كلا . ولعلهم لا يذكرون ما معناه على التحقيق . ولكن العادة الاجتماعية هي التي حسنت لهم هذا الاحتفال على سبيل المحاكاة ، والعادة الاجتماعية تعززها المصالح الاقتصادية هي التي عممت بين فريق من المسلمين بطالة يوم الأحد ، لأنهم يرتبطون بالمصارف والشركات التي تنقطع عن العمل فيه ، فلا يحبون أن ينقطعوا يومين كل أسبوع ، ولا يستطيعون أن يعملوا أيام الأسبوع كله . فبطالة الأحد إذن أيسر الحالين

لكن ما العمل إذا كان السائح الغريب من أبناء القرن الأول للميلاد ورأى هذه الأعياد الأسبوعية ، وهذا العيد السنوي ، في لندن أو باريس أو رومة أو برلين ، ولا نقول في القاهرة أو دمشق أو بغداد ؟

أيخطر على البال أنه لا يرى في الأمر عجباً ولا يحار كما حار صاحبه من إحياء هذه الأعياد بين المسلمين في العصر الحديث ؟

أيخطر على البال أنه سيرى الأمر طبيعياً مألوفاً لا يوجب

التساؤل ولا يتطلب التفسير ؟

كلا . فإن حيرته لأصعب ، وإن عجبه لأعجب ! لأن الخامس والعشرين من شهر ديسمبر لم يكن قط عيد الميلاد فى القرن الأول ولا فى القرن الثانى ولا فى القرن الثالث للسيد المسيح

ولم يكن يوم الأحد قط يوماً يحتفل به المسيحيون فى تلك القرون الأولى

بل كان يوم الأحد يوماً يحييه عباد الشمس ، لأنه كان عندهم يوم الشمس كما يسمى بالانجليزية إلى اليوم Sun day .

وكان اليوم الخامس والعشرون من شهر ديسمبر هو يوم انتصار الشمس على أعدائها الثائرين عليها ، وهم أرباب الظلام .

فى هذا اليوم — كما ظهر لهم من حسابهم — يأخذ الليل فى القصر ويأخذ النهار فى الطول ، وفى هذا اليوم — على هذا الاعتبار — ترتد جيوش الظلام أمام جيوش النور ، وترجع للشمس حصتها الوافية من الزمن ، فلا يسلبها الظلام حصتها من اللوين .

فكان المصريون يحتفلون فى هذا الموعد بعيد حوريس ، وكان اليونان الأسيويون يحتفلون فيه بعيد مترا إله النور ، وكان الرومان يقيمون فى الأسبوع كله — من اليوم السابع عشر إلى اليوم الرابع والعشرين — عيدا يسمونه الزحلى Saturnalia . ويتبادلون فيه الهدايا ويقدمون القرابين إلى الأرباب

ولم تتفق كلمة الكنيسة الغربية على الاحتفال باليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر إلا فى منتصف القرن الرابع للميلاد . أى سنة ٣٥٤ .

وكان رؤساء الكنائس قبل ذلك يرون أتباعهم يقبلون على محافل الوثنيين فى تلك الأعياد فيصرفونهم عنها ويحببون إليهم أن يشهدوا الصلوات تكريما للسيد المسيح بدلا من شهود المقاصف والملاهى ومعابد الوثنية التى تفتنهم عن الايمان الصحيح .

ولكنهم لم يفعلوا ذلك لأنهم يثبتون تاريخ الميلاد وم الاحتفال ، بل لأنهم يرون السيد المسيح أحق بالتكريم والذكرى من مترا وحوريس والشمس وغيرها من الكواكب . ثم تدرجوا إلى الاحتفال بميلاد السيد المسيح بديلا من ميلاد تلك الأرباب .

على أن المتطهرين الذين اشتهروا باسم « البيوريتان » فى البلاد الانجليزية حرموا الاحتفال باليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر واستصدروا بذلك قرارا من البرلمان سنة ١٦٤٤ ، وعللوه باستنكارهم لإحياء السنن الوثنية القديمة ، واستندوا إلى التواريخ الاغريقية والرومانية القديمة وإلى تاريخ الانجليز أنفسهم قبل التدين بالديانة المسيحية . فقد ذكر مؤرخهم الكبير بيد Bede الملقب بأبى التاريخ الانجليزى أن القبائل الانجليزية الأولى كانت تحيى ليلة الخامس والعشرين من ديسمبر وتسميها ليلة الأمومة modranecht لأنهم كانوا يقيمون احتفالهم بها قبيل الفجر استقبالا لمولد النور وهو فى باكورة أيامه ، ولم يكن « بيد » من المخالفين للكنيسة بل كان من كبار رجال اللاهوت ، وعاش فى القرن السابع للميلاد بين القساوسة والرهبان .

فعادات اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر مزيج من عادات عشرين أمة أو تزيد ، وبعض هذه العادات سابق لمولد السيد المسيح وبعضها لاحق له بل متأخر إلى أيام القرون الوسطى .

فأما العادات السابقة فقد ألممنا بطرف منها فيما تقدم .

وأما العادات اللاحقة فمنها عادة الشجرة التى تسمى بشجرة عيد الميلاد وهى من شعائر البلاد الشمالية ولا سيما بلاد الجرمان .

ومنها عادة تعليق الجوارب إلى جانب الفراش وهى مأخوذة من الفرنسيين والبلجيكيين .

ومنها تسمية القديس الذى يطوف بالهدايا على الاطفال وهم نائمون ، وهى مأخوذة من الهولنديين . واسم القديس سانتا كلوز من أسماء التدليل والاعزاز للقديس نكولا الذى سجنه القيصر دقلديانوس وأطلقه القيصر قسطنطين .. فليس هو من الهولنديين فى أصله ولا من الأوربيين على التعميم ؛ لأنه من أبناء آسيا الصغرى

على أشهر الأقوال ، واسمه كلوز هو الاسم الذى يستخف على ألسنة الأطفال الصغار للتدليل والتحبيب .

شىء من آسـيا الصغرى ، وشىء من فلسطين ، وشىء من هولندة ، وشىء من أوربة على الاجمال ، ويحتفل به المشارقة والمغاربة فى آسيا وأفريقية ... ومنهم مسلمون .

فأى دواء لعصبية العادات والشعائر أصح من هذا الدواء ؟

وأى سخف فى العقول أسخف من عداوة إنسان لانسان أو أمة لأمة لاختلاف عادة يقال إنها عادة دينية ،وقد رأينا كيف يشترك اليوم الواحد فى احتفال عباد الشمس وعباد حوريس وعباد الله وعباد سائر الأديان بين سائر الأقوام ؟

ومن الطريف أن أناسا من هنــود أمريكا الحمر تعودوا أن يقطعوا الجبن فى ليلة عيد الميلاد ولا يدرون فيم هذه العادة حين يسألون عنها .

ولـكن الانجليز حملوها معهم إلى القارة الأمريكية فأصبحت من العادات الاجتماعية التى لا علاقة لها بشعائر الدين .

وهل لهـا مع ذلك علاقة بالدين عند الانجليز أنفسهم قبـل الهجرة إلى القارة الامريكية ؟

كلا ... بل هى من بقايا عادات « القلت » التى كان يباشرها كهانهم المعروفون باسم الدرود Druid ... وكانوا يباشرونها قبل غزوة الرومان للجزر البريطانية .

وأطرف من هذا فى باب تسلسل العادات أن ولائم هذا العيد لا تخـلو فى الشرق والغرب من الديك الذى يسميه المصريون بالديك الرومى ، ويسميه أهـل الصعيد منهم بالديك المـالطى ، ويسميه الانجليز بالديك الـتركى ، ويسميه الفرنسيون بالديك الهندى poule d' inde ومنها أخذنا كلمة « الدندى » التى نسمى بها هذا الديك فى بعض الأحيان .

فما علاقة هـذا الديك الموزع الأسمـاء بين الأمم بعيد ميلاد السيد المسيح ؟

أكان له شأن فى قرابين عيد الميلاد التى اصطلح عليها المسيحيون الأسبقون ؟

لم يكن له شأن قط بذلك العيد بين المسيحيين الأولين . بل لم يكن معروفا فى الدنيا القديمة قبـل كشف القارة الأمريكية . لأنه كان من طيور أمريكا الشمالية ، ونقل منها إلى جنوب أوربة فأخطأوا فى نسبته إلى الشرق ، كعادتهم يومئذ فى نسبة كل وارد جديد إلى البلاد الشرقية .

ومع هذا يراه السائح الغريب حتما على مائدة الشرق والغرب فى ليلة عيـد الميلاد ، فيحار ولا يرى آخر الأمر مناصا من نبذ الحيرة ظهريا فى أمثال هذه الشؤون .

فالعادات الاجتماعية وراثة بين البشر أجمعين ، وقلما تنحصر عادة من عادات المحافل العامة فى قبيل واحد يستأثر بها من البداية إلى النهاية .

إنها أسرة واحدة ... ففيم الخلاف على العادات والشعائر والأيام والأعياد ؟ !

**عباس محمود العقاد**

---

**مقالات فى كلمات :**

# فى أثنـــاء المرض ...!

للأستاذ على الطنطاوى

**موازين الرجال :**

أصبحت من أيام فوجدت رأسى من ثقله كأنه حجر رحى ركّب بين كتفىّ ، وكأنه من الصداع يدقّ من داخله بالمداق ، وكأن جفنىّ قد شدّا إلى الأرض فما أفتحهما حتى يعودا فينطبقا ، ووجدت فى حلقى إذ أبتلع ريقى مثل حزّة الشفرة ، وفى كل مفصل من مفاصلى ألماً ، وفى أعصابى من الخدَر مثل مشى النّمال ، ووقفت فاصطكت ركبتاى ، ودِيرَ بى ، فعمدت إلى الفراش ...

ولم يصدق أهل الدار أنى مريض ؛ لأنهم لم يروا علىّ لمرض أثرا ، ولأن المريض عندهم إنما هو الشاحب المهزول البادى العظام ، وأ كّدت لهم القول فلبثوا مكذّبين ، يعتقدون أنى أتدلل عليهم وأنى أتكاسل وأوثر الراحة والاستمتاع برعاية المرض ، على إرهاق النفس بمعالجة نسوان المحكمة ، وصبيان المدرسة ... ويئست من إقناعهم بمرضى فأعرضت عنهم وتشاغلت بالتفكير .

***

فكرت فى هؤلاء الناس إذا كانوا لا يميزون المريض من الصحيح ، والمرض شىء ظاهرة آثاره ، بادية أماراته ، فكيف يميزون الطيب من الخبيث ، والصالح من الطالح ؟ وكيف يقيسون أقدار الناس ، وكيف تكون عندهم موازين الرجال ؟ أو لا يخطئون فى أحكامهم على الناس خطأ أهلى فى الحكم على مرضى ، إذ يقيسون المرض بالشحوب والهزال ، ورب شاحب هزيل ما فيه إلا جلد على عظم وهو الصحيح المعافى الأيّد القوى ، وربّ سمين يكاد ينفزر[1] من كثرة الشحم واللحم ، وهو محتمل أمراض وهو الضعف مجسّما والعجز ؟

وفكرت فىّ أنا . كيف أحكم على الناس ؟ فذكرت أنه يدخل علىّ الرجل لا أعرفه فأحكم عليه بادى الرأى بثيابه ، فان كان يلبس العمامة والجبة أنزلته من نفسى منازل العلماء ، وإن كان بزى الفلاحين أحللته محال الفلاحين ، فإذا تكلم بدلت رأيى فيه وحكمت عليه بكلامه ، فإذا عاملته كان الحكم عليه بمعاملته ، فهذه عدة مقاييس : الثياب والكلام والمعاملة ، فأيها هو الصحيح؟

ثم إن للناس مقاييس غيرها تعلو وتنخفض ، وتتسع وتضيق ، وتصح وتفسد ، فهم يقيسون عظمة الرجل بتقاه ، وبعلمه ، وبماله وبجاهه ، وبقوته ، وبمنصبه ، بل إن فيهم من يتخذ مقاييس أعجب وأدنى ، فصبّاغ الأحذية يقيس عظمة الرجال بلمعان أحذيتهم لا بعلمهم ولا بفضلهم ، والخياط يعتبرهم بطولهم وعرضهم ، ومفتش القطار بدرجات ركوبهم ، ونادل القهوة بحلوانهم[1] وأهل السجن يقيسون عظمة النزيل عليهم بجريمته ، فالقاتل أعظم من السارق ، وكلما عظم الجرم عظم القدر ، وعامة الناس العظمة عندهم بالشهرة[2] فإذا نزلت بلدهم المغنية أو الرقاصة ارتج لها البلد وتسامع بها الناس وتباشروا بمقدمها وهُرعوا كلهم إليها ، وإذا هبطه الأديب المفرد ، أو العلاّمة العَلَم؛ لم يدر بمهبطه إلا القليل، ولم يَسْع للسلام عليه إلا الأقلّ منهم ، وتقرأ على أحدهم المقالة تخبره أنها لرجل مغمور فيوسمها ذماً وقدحاً ، فإذا أخبرته أنها للكاتب المشهور انقلب القدح مدحاً والذم ثناء وإكباراً ...

ولو سألت الخاصة ما هى مقاييس العظمة لوجدتهم مختلفين ، وقديماً قال المثل السائر : « لو قلت للفرنسى فلان عظيم ، قال لك : ما هى شهاداته ؟ والإنجليزى يقول : ما هى معلوماته ؟ والألمانى يقول : ما هى أعماله ؟ والأمريكى يقول : ما هى آثاره ؟ » . أما نحن فنقول : من هو أبوه ؟ لأن القاعدة عندنا اليوم ، أن من قصّر به نسبه أو نشبه ، لم يسرع به علمه ولا أدبه !

فما هو الميزان الصحيح لأقدار الرجال ؟

**نقابة الأشراف :**

ولولا أن الفضل عندنا بالنسب لما قامت قيامة جماعة منا ، إذ ألغت الحكومة نقابة الأشراف ، ولما نادوا بالويل والثبور

(١) فزره فانفزر، فهو مفزور من أعرق الكلمات فى العامية الشامية والمصرية وهي من الفصيح ، ومن استقرى وجد عامية الشام أفصح اللهجات العامية

(١) النادل : صبى القهوة والحلوان : البقشيش

(٢) الشهرة لا تكون فى الأصل إلا فى القبيح .

وعظائم الأمور ، ولما زعموا أنه هدّ ركن الدين ، وهوت قبة الإسلام ، وأحدث الحدث الأكبر الذي لا يزيله إلا غسل صحيفة هذا القرار سبعاً إحداهنّ بالأشنان والتراب الأحمر ...

ولقد كانت نقابة الأشراف ملغاة فأعيدت من خمس سنين ، فما خسرنا بإلغائها شيئاً في ديننا ولا في دنيانا ، وما ربحنا بعودتها إلا ثمن عشرين ذراعاً من الحرير الأخضر اتخذها النقباء عمائم ، ولا شيء فوق هذا ولا تحته ...

وأنا أفهم أن يكون للمحامين نقيب لأن المحامين طبقة خاصة من لم يكن منها كان خارجاً عنها ، وللأطباء نقيب ، ولعمال الطباعة ، وسائقي السيارات .

أما الأشراف ... ؟ فهل تريدون أن تسيئوا إلى الإسلام كذبا وافتراء فتوهموا الأجانب أن الشرف عندنا بالنسب ؟ وأن من شعائر الدين أن يكون لأشرافكم هؤلاء ... نقيب ؟ وإذا كان الشيء يعرف بضده فهل يكون كل خارج عن هذه ( النقابة ... ) غير شريف ، أي رذيلاً ؟ وهل ترون أن نطالب نحن أيضاً الحكومة أن تعمل لنا نقابة أرذال ، أو إذا شئتموها على الوزن ... « نقابة أشرار » ؟

إنكم ستسبونني ... الله يسامحكم ! بسْ قولوا لي من فضلكم : كيف لم يدرك الصحابة والتابعون أن الشرف بالنسب ، وحسبوه ( جهلا منهم ) بالدين والمعاملة والتقوى ؟ وكيف لبثوا في الصدر الأول الذي هو خير القرون مئات من السنين بلا نقيب أشراف ولم تنقض عرى الإسلام ؟

كيف يا أيها السادة ؟ كيف ... بالله عليكم ؟ ؟ ألم يخطر على بالكم ذلك أبداً ؟ ؟

**وظائف الإنشاء :**

ودخل عليّ الطبيب ، وهو ابن عمي ولِدَتي[1] ورفيقي في مدرستي ، فرآني أكتب . فقال : ما هذا ؟ أتجبر نفسك على الكتابة وأنت مريض ، أهي وظيفة إنشاء ؟ قبح الله وظائف الانشاء . قلت : ولم ؟ قال : لأني ما أفلحت فيها قط ولا أحسنت كتابتها . قلت : ليس بعجيب وأنت طبيب أنك لم تكن تفلح فيها ، ولكن العجب بي أنا ، إذ لم آخذ في الإنشاء ما دون الدرجة الوسطى ، ولم يكن معلم يعتقد أني أصلح للكتابة ، وذلك أنهم كانوا يكلفوننا الكتابة في موضوعات لا يكتب فيها ، ولقد سئلنا مائة مرة هذا السؤال : ( ماذا تحب أن تكون في مستقبلك ؟ ) كأن الدنيا تمشي على ما أحب وما أكره ، وكانوا يقدرون الدرجة لا على حسن الكتابة بل على بعد المطمح . ولقد أبعدت فتمنيت أن أكون ملكا وحاكما بأمره وشيخ إسلام وقائداً فاتحاً وما شئت من بعيد الآمال فما أعجب المعلم شيء من ذلك ، ولا أعجبه أن أكون معلماً ولا شرطياً ولا تاجراً ولا لصاً . وسئلنا عشرين مرة أن نكتب في ( وصف روضة ) ، فكنت أكتب وصف بستان أعرفه ، فيه مزبلة وراء الباب وساقية ماؤها عكر ، وغربان تصيح على الأشجار ، فلا يرضى عنه لأنه يريد روضة ماؤها سلسبيل وحصباؤها درّ . وعلى دوحها العنادل والشحارير ، ومن أين أصل إلى هذه الروضة حتى أصفها ؟ وأعجب من هذا أنهم كانوا يكلفوننا إنشاء الحوار على ألسنة الحمير والقطط وأنواع البهائم ، وكيف لي بأن أفكر بعقل حمار حتى أتكلم بلسانه ، كما يفكر الأستاذ المحترم حين يصحح الأوراق ويميز صادقها من كاذبها !

وما كان المدرسون ينظرون إلى صورة بارعة أو معنى مبتدع ، إنما ينظرون إلى كلمة جاءت على غير الفصيح ، أو فعل عدّي بغير الحرف الذي يتعدى به ، هذا لأن المدرسين كانوا لا يفهمون إلا النحو والصرف واللغة ، أما اليوم فلم يبق ولا هذا ، مع الأسف ، لأن أكثر المدرسين تعلموا العربية في باريز على أصمعي العصر الشيخ مارسيه ... والذين نجوا من هذه السُّبة بعثوهم الآن ليتعلموا في بلجيكا وسويسرا ، أي والله ، بل إن شيخاً مدرساً في الجامع الأموي ، سيبعثونه ليتعلم علوم الدين في لندن !

على أن الذين تعلموا من طلابنا في الأزهر وجامعة مصر ، لم يكونوا أقوى ولا أحسن من أولئك ... وهذه كلمة حق قلتها ورزقي على الله !

**قيمة الفلسفة والأدب :**

ولعلّ المرض قد جعلني متشائماً أرى كل شيء في الدنيا أسود ... وكذلك الإنسان يصيبه صداع يحتاج إلى حبة (اسبرين) أو إمساك دواؤه شربة ( زيت خروع ) فتبدل نظرته إلى الحياة وآراؤه فيها ؛ فلو كان فيلسوفا لكان متشائماً ، ولو كان شاعراً

(١) اللدة للرجل والقداب كالترب والأتراب للمرأة .

لكان شاعر أحزان ، ولو كان قصصياً لكان مؤلف مآسٍ وفواجع ..

أفتكون قيمة الفلسفة المتشائمة والأدب الباكي ، قيمة حبة أسبرين وشربة زيت خروع ؟!

**ثمرات درس الأخلاق :**

ونظرت من الشباك أتسلى ، وكان تحته كومة رمل أبيض وضعها جارنا ووكل رجلا وولده بنقلها إلى حديقته . فأقبل تلاميذ المدرسة ، فقال عفريت منهم : تعالوا نسرق من هذا الرمل ، فقالوا : إن الولد يرانا . قال : نعمل مثل الراعي الكذاب الذي قال لنا المعلم قصته ، حين نادى : الذئب الذئب ، فجاءوا فلم يروا شيئاً ، وضحك منهم ، فلما طرقه الذئب حقيقة ونادى لم يجئه أحد ، قالوا : وكيف نفعل ؟ قال العفريت : انظروا .

وأقبل كأنه يريد أن يسرق فنادى الولد أباه ، فترك عمله في الحديقة وأقبل ، فلم ير شيئاً ورأى التلاميذ يضحكون فرجع ، وجعل التلاميذ يأخذون من الرمل والولد ينادي فلا يردّ أبوه ولا يصدقه ..

وكانت هذه ثمرة درس الأخلاق في المدرسة ! !

**ألف جنيه مصري :**

وتركت الشباك ، وأخذت جرائد عتيقة فجعلت أصفحها ، فوجدت في إحداها إعلانا عن جائزة قدرها ألف جنيه مصري لصاحب أحسن اقتراح يقدم إلى المجمع اللغوي لإصلاح الكتابة العربية ... فعجبت من هذه الخرافة التي لا تزال تتردد على الألسنة ، خرافة فساد الكتابة العربية وحاجتها إلى الإصلاح ، وكنا نُعظم أن نسمعها من بعض الكتاب المجددين المفسدين ، فانعكس الزمان حتى صرنا نسمعها من ألسنة من أقيموا حراسا للغة القرآن وتراث الجدود ، بل لقد سمعنا من كبير فيهم قاصمة الظهر التي أنكرناها على الأتراك ، وذاقوا غصصها ، فلما أبتها هذه الأمة وأبى لها عقلها ودينها قبولها ، جاءوهم بها في ثوب جديد ، هو إصلاح الكتابة ، وأنا لا أدري والله أيجدّ هؤلاء القوم أم هم يريدون شيئا يعملونه ويتسلون به حتى لا يقال أنهم يجتمعون على غير شيء ، ويأخذون المرتبات في غير عمل ، فإن كانوا جادين فليعلموا أن كل تبديل في كتابتنا مهما قلّ يقطع صلتنا بماضينا ، ويجعل هذه الكتب بالنسبة للناشئ الجديد كأنها مكتوبة بالكوفي لا يفهمها إلا الخاصة ، وهو كما يبدو أقصر طريق لإبادة كتب الدين واللغة ، والقضاء على المكتبة العربية حتى تصير من الآثار القديمة ، وتعود كأنها اللغة الأجنبية التي لا تفهم إلا بترجمة . ثم ما عيب كتابتنا ؟ مالها ؟ أنا أراها كاملة لا تحتاج إلى زيادة ، صحيحة لا يعوزها الإصلاح ، بل هي تفضل من جهات كثيرة كتابة الأمم الأخرى .

ومن قال لهؤلاء الناس المحترمين ، إننا أتباع لهم في كل ما يقررون ، نطيع أوامرهم ، ونمشي على آثارهم ، ونأتم بهم : نركع إن كبروا ، ونرفع إن حمدوا ، كلا والله ، ولو أن مصر — لا سمح الله — قبلت بهذا ، ما قبلنا به نحن ، ولا أقررنا أي تبديل في كتابتنا ، لأننا نثلج بذلك صدور أعداء الله وأعداء العربية الذين لا يغيظهم منا إلا أننا نتمسك بماضينا وعلومنا ، فنتخذ منها دافعا إلى المعالي ، وعاصماً من التردّي في هوّة الالحاد والضياع .

ألا إن هذه الألف ، وهي تعدل تسعة آلاف ليرة سورية وزيادة ، ربح لمثلي عظيم ، وثروة ما ملكتها قط ، وإني أستطيع كما يستطيع كل واحد ، أن يحصر ذهنه ساعة فيتخيل لها نوعا من ( الإصلاح ... ) كما يتخيل إصلاح رجل من الرجال بتقصير أنفه ، وترقيق شفته ، وتطويل قامته ، ولكني لا أريد أن آخذ هذا المال حراما وقد جمع من أيدي الفقراء والمساكين ، وربما كان ثمن ألف فراش بيع بالمزاد العلني ، أخذ من تحت المكلف لما عجز عن أداء الضريبة ... فإذا كان يزيد عن حاجتكم ولم يكن من إنفاقه بدّ فردّوه على هؤلاء الفقراء ، فما زلنا نسمع منكم ، وتقول جرائدكم ، إن في مصر المرض والفقر والجهل ، فهل داويتم هذا كله وأصلحتموه ولم يبق إلا إصلاح الكتابة ؟!

يا سادة ، إن الكتابة العربية التي صلحت خمسة عشر قرناً ، وكتب بها عشرة ملايين كتاب ، تصلح قرنا آخر لتكتبوا بها كل سنة خمسة آلاف كتاب ، منها كتب الكفر والتضليل والتقليد الأعور والسخف المضحك ككتاب « هذه هي الأغلال » !

فكفوا عنا ، اتركونا ... إننا راضون بما نحن عليه ، فأريحونا واستريحوا !

( دمشق ) **علي الطنطاوي**

# فرنسا تبر العرب!

للأستاذ عبد المنعم خلاف

كل من شاهد الجريدة الفرنسية السينمائية التي عرضت في الأسبوع الماضي في بعض دور السينما في القاهرة ، لاشك قد امتلأ قلبه بكثير من التقزز والإشمئزاز والسخط لمنظر من مناظرها . هو منظر هذه « القطع الآدمية » المشوهة التي جمعتها الدعاية الفرنسية ضد الجزائر والغرب لتعرضها على عيون الناس في العالم كله كنموذج تبرها بعرب الجزائر ! لقد جمعت قطعاً من الفقر والتشوه والعري والجهومة والضياع لتؤكلهم ثريداً في عيد الأضحى ..! واجتهدت أن تأخذ لهم صوراً من مقاطع تبرز صوراً فنية للفقر والشناعة ! ولو عرضت علينا صوراً لمجموعة من الذباب أو الكلاب الضالة لارتاحت اليها العيون بعض راحة لم نجدها في منظر هؤلاء التعساء! وإن منظر العرايا من زنوج المجاهل العائشين وراء التاريخ ، المنقطعين عن العالم لأجمل كثيراً من مناظر هؤلاء الكرام الذين أضناهم البؤس وأضواهم الحكم الذل المرهق ، وجعل على وجوههم سمات من العذاب والضيق ؛ فإن الزنوج يتمتعون بالصحة الطبيعية والحرية الطبيعيـة والمجال الحر في مجاهلهم ومتقلباتهم الواسعة ، أما أولئك العرب الذين كانوا مثال الرقة الأندلسية والنظافة الإسلامية والحرية العربيـة والذكاء اللامع والمشاركة الناجحة في الحضارة ، فقد حولهم الحكم الفرنسي إلى مجموعة أشنع من مجاميع الذباب والكلاب الضالة . وإن الكلاب الضالة ربما لاتجد القوت الميسر ولا السهر على مصالحها ، ولكنها على كل حال تجد حرية العيش ، أما هؤلاء فلا يجدون إلا قيوداً من التعس والذل والحرمان من مقومات الأجسام ومقومات الأرواح .

إنني لا أستطيع أن أفهم من عرض مثل هذه المناظر إلا اهتمام فرنسا بأن تبرهن للعالم على أن هؤلاء العرب الذين ابتلوا بحكمها منذ مائة وعشرين سنة قوم هم حثالة الناس وفي المستوى الأدنى من الحياة ، فهم أبعد الناس عن منحهم حق تقرير المصير والحريات العامة، وأقرب الناس إلى فرض القسوة الفرنسية عليهم .

ولا أستطيع أن أفهم إصرار فرنسا على إفنائهم عن طريق الجهل والفقر والحرمان والتعس — مع أن فرنسا في زعمها أمة الرقة والجمال وتسجيل حقوق الإنسان — إلا أنها تضمر لتلك الكتلة العربية والإسلامية عداوة وحقداً موروثاً لأسباب تاريخية لايجهلها أحد ، فهي تثأر منهم وتنكل بهم وتحرمهم أبسط حقوق الإنسان وهو حق الحياة وحق التعلم وحق الصحة ...

إن عاراً على فرنسا أن تظل جامدة في أسلوب حكمها للمغرب العربي مع أن الإنجليز ابتدأوا يخففون وطأة حكمهم في الهند ، درة تاجهم . وأصل بلاء العالم العربي بالاستعمار هو وقوعه على طريق الهند .

وإن من العار أيضاً عليها أن تعرض مثل هذه المناظر للذين ابتلوا بحكمها . لأنها هي المسئولة عما هم فيه من تخلف وحرمان ولوشاءت لرفعتهم واجتهدت في وصلهم بقافلة الإنسانية السائرة . والذين يملكون حظائر للحيوانات يجتهدون أن يعرضوا منها على عيون الناس للفخر بما تصل اليه من شبع وسمن وصحة وسعادة ، ولو أنها تذهب بتلك الحيوانات أخيراً للمذبح ، أو تجز صوفها أو تأخذ لبنها أو تستخدمها في حرث الأرض وزرعها . فلماذا تعرض فرنسا مثل هذه المناظر التاعسة لهؤلاء الذين انحطت بهم عن مستوى الحيوان؟! ألا إنها شهادة مسجلة على فرنسا ، سجلتها بيدها لتثير بذلك لعنات الأحرار وسخطهم عليها ! .

لقد طالما ذكرنا فرنسا برسالتها الإنسانية التي هي تاج مجدها الحقيقي ، والعنصر الباقي لفخرها على مدى الزمان ، ولكن الذين في مصر من الفرنسيين وأصدقائهم يلوح لي أنهم لايحركون ساكنا ولا يأبهون للتذكير ، وقد أخذتهم سكرة الثقة بقوة فرنسا وغلبها على هؤلاء الضعفاء المبتلين بها .

ولكن لتعلم فرنسا أن الفجر الدولي قد سطع على أوكار الرجعية السياسية الجامدة التي تنقل جراثيم الطغيان والجهالة إلى محيط العالم الواسع كله ، فلم تعد العين الانسانية تطيق أن ترى مثل هذه المناظر التي تذكرها بأشنع صور القسوة الجاهلية ، ولتعلم فرنسا أيضا أن مجدها قد أخذ في الأفول منذ أن تخلت عن رسالتها الانسانية ، رسالة ثورتها ، وأن سمعتها قد ساءت بواسطة

حكمها للمغرب العربى ذلك الحكم العنيف الظلم الذى يحرم المحكومين النور والصحة والعلم ثم يعرضهم على رءوس الاشهاد ليسمع بهم وليمن عليهم بأكلة ثريد! بينما يأكل أكبادهم بالمرض ويطمس وجوههم بالفقر ، وعقولهم بالجهل ، ثم يشنع عليهم وينسب إليهم وإلى دينهم ونظام حياتهم ماهم فيه من شقاء .

وإن وجوه هؤلاء الأطفال الذين خصهم ذلك الشريط السينمائى بالتفاتة لها مغزاها فى التشنيع على هيئة شعرهم وعيونهم كان من الممكن ، لو أرادت فرنسا ، أن تخرج منها وجوه علماء وأطباء ومحامين ومهندسين وقواد وغيرهم ، ولكن فرنسا أرادت أن تعطل قوى الحياة فى هذه الأجسام لإفناء أمتهم وضم أرضها إلى أرض فرنسا … ولكن الله العادل الرحيم المقتص من الظالمين قد أراد أن يفنى فرنسا ويحطم مجدها ويبلبل عقائدها ويضرب بعضها ببعض وقد دنس بنعال أعدائها حرمات أرضها قبل أن تفنى هؤلاء وتقضى عليهم القضاء الأخير الذى تتربصه منذ مائة وعشرين سنة . وسترى فرنسا أن هذه الأمة المغربية ستنهض وتشترك فى تجديد رسالة العلم والحضارة الحقيقية .

وما فى فرنسا من براكين الاختلاف كفيل بأن يدمر حياتها ووقوعها بين قوتى الشرق الروسى والمغرب الانجلوأمريكان سيجعل أرضها مجالا للصراع المدمر الآتى لا محالة ، وبدلا من أنها كانت تجد فى شمال إفريقية مجالا لشد أزرها لو أنها أحسنت صنعاً إلى المغاربة وحكمت قلوبهم بالحب ، ستجد فى هذا المغرب إلباً عليها وقوة تشترك فى هدمها . وقد فات أوان الظلام واختلف الحساب وانعكس عليها قصدها من إفناء المغاربة بعد سطوع الفجر الدولى .

وإن الذين يشهدون محافل المغاربة فى مصر ليرى العزم المصمم والإيمان الراسخ والجهاد المازىء بالآلام فى سبيل الحرية والحياة .

وإن قلوب المشارقة من العرب والمسلمين لتغلى غليان السخط والمداوة والاحتقار للحكم الفرنسى فى شمال إفريقية كما رأت هذه النخبة الممتازة من شباب تونس والجزائر ومراكش الذين كان من حسن حظ العرب والمغرب عموما أنهم استطاعوا الإفلات من الأغلال الفرنسية ليلفتوا النظر إليها من الخارج متعاونين مع المشارقة . وإنهم لنماذج صالحة تثير الفرح بمستقبل المغرب إذا ما انزاح عنه النير الفرنسى ، وإنهم أيضاً ليثيرون السخط على فرنسا حينما نرى وجوههم السميحة وألسنتهم الفصيحة ونقارنها بما رأيناه مع هذه الوجوه المطموسة بسمات الحرمان وأمارات النكال فى هذا الشريط السينمائى الذى أرادته فرنسا دعاية لها فكان دعاية عليها .

وإننا لنحس إحساساً صادقاً أن المغرب العربى المبتلى بفرنسا يغلى غلياناً تفور له قلوب العرب فى الشرق بالغضب والسخط على ذلك الحكم القاسى الذى يربط على الجناح الأيسر للعروبة بالحديد ويوقد عليه بالنار ويحبسه أن يخفق طليقا موازياً للجناح الأيمن لها حتى ينهض العرب معا .

فإذا كانت فرنسا لا تحسب حساباً لصداقة العرب وهم أمة كبيرة فى البحر الأبيض على الأقل ولا تعاملهم بقانون الجوار والمصالح المشتبكة فإنها تبرهن بذلك على أنها لاتنظر إلا لحاضرها وانظر إلى أمة لا تنظر حاضرها ولا تسعى لمستقبلها بكسب صداقة سبعين مليوناً من الجيران الدائمين المعتدلين الأوفياء الأشراف .

**عبد المنعم خلاف**

---

# من نكبات الحزبية فى تاريخنا

للأستــاذ سعيد الأفغانى

ليس هذا خوضاً فى السياسة ، فأنا امرؤ ساء ظنه فى محترفيها جميعاً ؛ وعلى أنى منذ خمسة وعشرين عاماً مولع بتتبع أحداثها فى الأقطار العربية وخاصة فى الشام ومصر ، شغف بمعشرة الخبيرين بخفاياها . . لم أخضها يوماً من الأيام كفاحاً وجهاً لوجه لا أنفة منها ، ولكن أنفة من حال الخائضين فيها . وإذا سألتنى عن السر فى تضييع الفرص على الشعوب العربية وحرمانها من خير لم تقصر فى السهر عليه والجهاد له ، أجبتك : « إنه فى داء واحد فى الأقطار جميعاً هو : أخلاق القادة ! »

ارجع بصرك فى أحداث الثلاثين سنة الأخيرة ، فستجد أن قطراً من الأقطار لم ين عن جهاد صادق سنة من هذه السنين ، ولم يبخل على قضيته بنفس ولا نفيس . لقد بذل فى سبيل ربه ووطنه دماءه وأمواله بسخاء كان مضرب الأمثال ، ولكن المتصدين للقيادة بهم داء الكلب والتناحر وصغار النفس والتعلق بالسفاسف ، لا يخافون الله فى أمة طوحوا بها فى المهالك من أجل تمتع بمنصب أو جاه أو مال ، أو تلذذ بقهر منافس أو معارض . . . غير خجلين من أن يمدوا أيديهم ضارعين إلى أجنبي وصلوا إلى زعاماتهم بمجاهرة أمتهم بعدائه ، وهو يتربص بهم يوماً كهذا اليوم تقودهم فيه ضمة نفوسهم إليه صاغرين ، فيضرب بهم مستقبل أمتهم ويضيع عليها ثمرات نضالها الطويل ، ثم ينبذهم من بعد ذلك إليها نبذ النواة ، فإما أن يكون الله كشف عن بصيرة الأمة فجعلتهم نكالا ، وإما أن يستغفلوا ( طيبتها ) ثانية فيستأنفوا زعامة من جديد .

ولست أطمع فى صلاح نفوس الساسة اليوم ، فالله وحده هو الذى يحيي الأرض بعد موتها ، ولكنى قوى الأمل فى الأجيال الناشئة التى لم تشهد أيام الإذعان لسيطرة الاحتلال ، ولا عاينت لعب صبيانه بلحى كبارنا وساستنا ، وإنما شهدت كفاح هذه القوى الشريرة فنشأت على الإباء والنضال .

إنى لأغتنم فرصة احتفال ( الرسالة ) بالعام الهجرى الجديد ، فأضع تحت أبصارهم عبرة ماثلة لا تنسى أبداً عسى أن يذكروها كلما حاول من سبقوهم أن يجعلوا منهم وقوداً لفتنة تضرمها الأهواء والنزوات ، أو كلما نزغ بهم فى المستقبل نزغ يحيد بهم عن خير أمتهم إلى إرضاء أهوائهم ، فيذكروا هول الخلاف الذى صلينا جحيمه فى صدر دولتنا وما تزال مرارته الأليمة فى كل نفس خيرة تدبرت عبر التاريخ .

إنى لا أخوض سياسة ، وإنما أطلع هذه النفوس المعصومة على عواقب أول خلاف سياسى فى الاسلام وما جر من ويلات متتابعات ، ناقلا إياه من كتاب انتهيت قريبا من عمله . وأنا أحب أن يحمل الناس بالهم أبداً — كما قرأوا التاريخ — إلى عبره وتجاربه فيأخذوا من كل شيء أحسنه ، ويربأوا بأنفسهم وأمتهم أن يغامروا فى تجربة ثبت ضررها وفسادها وخاصة إذا كان الثمن الذى قدمناه فيها دماء عشرات الألوف من أبطالنا :

لقد كان أمر المسلمين الأولين عجباً من العجب : امتلأت نفوسهم بكل ماحباهم ربهم من خير فى الإسلام ، فأحسنوا فهمه وأحسنوا الإستجابة لرسوله نساء ورجالا . فوطدوا أركانه فى الجزيرة ، ثم انتقل رسول الله إلى جوار ربه واندفع هؤلاء المسلمون الأخيار فى أقطار الأرض يريدون إعلاء كلمة الحق وإنقاذ عباد الله من كل الأجناس والأديان : من شرور الظلم والجهل وامتهان الإنسان ؛ فحرر الله على أيديهم بلداناً وشعوبا كثيرة ، فأشركوا الناس كافة فى سعادتهم وعدلهم وأمنهم . ومن عرف أنهم كانوا قبل عشرين عاماً فقط يأكل بعضهم بعضاً ويعدو قويهم على ضعيفهم ، قبائل متعادية ، وطوائف يغزو بعضها بعضاً . . . عرف نعمة الله عليهم وعلى الإنسانية بهذا التوحيد الذى ألف بين قلوب ما كانت لتتألف ؛ وأدرك المعجزة التى أتى بها الإسلام فى توحيدهم وخلقهم خلقاً جديداً جعل من سفكة الدماء أنبياء رحمة ورسل هداية وإسعاد للبشر .

لقد أتوا — وكلهم واحدة — بالعجائب فى حروب التحرير والفتح ثم البناء والتنظيم ، وكان منهم كل الخير لأنفسهم ولغيرهم فلما صبت الدنيا خيراتها وكنوزها بين أيديهم ، وتقادم ما كان جديداً من روعة الدين وعهد الرسول وصاحبيه ، وكان أمر الشورى المعلوم ، وكثرت فى هذه الإمبراطورية الواسعة المناصب

والولايات ... بدأت نوازع الطموح تتحرك فى نفوس هؤلاء الأبرار فيكبتونها رهبة من الله . لكن عناصر الشر والغش والفساد من أهل النحل البائدة والأمم المغلوبة كانت أيقظ من أن تغفل عنهم وهى الخبيرة بمداخل الشر ومخارجه ، فما زالوا يفتلون لأولئك الطيبين فى الذروة والغارب حتى استجاب بعضهم لأهواء نفوسهم من حيث لا يشعرون ، ودب دبيب الخلاف بينهم واشتغل بعض ببعض ، ووقفت الفتوح أيام على رضى الله عنه حتى خيف على المسلمين من فلول الروم .

أرأيت مايفعل الخلاف فى الدولة القوية الفتية المتماسكة المتينة الآساس ؟ .

إنه يطمع فيها حتى المغلوب المشرف على الدمار ، دع ما أريق فى سبيله من دماء غالية بدأت بالخليفة الصابر الشهيد عثمان بن عفان رحمه الله ، ثم أرفدت بدماء عشرات الألوف . وهذا ( يوم الجمل ) وهو يوم واحد أسفر عن خمسة عشر ألف قتيل على أقل تقدير فى بضع ساعات ، فلا تسل عما بعده من ( يوم النهروان ) و ( يوم صفين ) وغيرهما من تلك الأيام التى أعملنا فيها سلاحنا فى أنفسنا فأوقعنا الوهى فى دولتنا والتفرقة فى صفوفنا والعداوة فى قلوبنا ... وكان الله قد غسل هذه القلوب وجمع تلك الصفوف.

ولو أن هذه القوى المتطاحنة يوم الجمل ويوم صفين ... اجتمعت على الخير فسارت إلى قوى الشر شرقاً وغرباً لأكلت الدنيا بقوتها ، ولأحالت العالم حينئذ جنة يتحدث بنعيمها وسعادة أهلها الركبان . لكن الله الذى أيد هذه الأمة أول أمرها قضى أن يكون بأسها بينها ، فامتلأ تاريخنا بالحروب الداخلية وتحول عن مجراه السعيد الذى كان جرى فيه لخير الإنسانية عامة ؛ قضاء من قضاء الله لاحيلة فيه . ولست أدرى ما يكون حال دنيانا الآن لو أن العرب لم يفسدها الخلاف والتطاحن ولم تنزل بأسها بينها ؟

ولو ذهب باحث يحصى هذه الدماء المهراقة فى سبيل الخلاف منذ قتل عثمان حتى اليوم ، فى المشرق والمغرب والأندلس ... إذاً لأ فزعته هذه الملايين منها ، ملايين لو بذلت فى سبيل الحق لكان تاريخ العالم كله على غير ما نعرف ، ولكنا أهل الحضارة حتى الآن وإلى الأبد لا يلم بشمسنا أفول .

وقد خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته آثار الخلاف ، فسأل ربه ـ فيما سأل ـ أن يجنبهم إضراره ، إذ علم أن هذه القوى الهائلة المتراصة التى عمرها إيمان لم تعرف الأرض له مثيلا كفيلة بفتح الأرض كلها لدعوة الخير والحق ، لاتقف لها قوة إلا أن تنشق هى على نفسها فرووا عنه أنه قال : سألت ربى ثلاثاً فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة :

سألت ربى ألا يهلك أمتى بالسنة ( القحط ) فأعطانيها .
وسألت ربى ألا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها .
وسألت ربى ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها . »[1]
ليقضى الله أمراً كان مفعولا .

« • »

انقضت الخلافة والخلاف بخيرها وشرها ، ولم يبق منها إلا هذا التاريخ بين أيدينا مملوءاً بالعبر : فلنتعظ به ، ولنحذر أى تفرقة بيننا بكل مانستطيع ، ولتكن تلك الدماء الذاهبة ضياعاً حافزة لنا على الوحدة وجمع الكلمة ، فلا نعيدن فاجعتها جذعة ، ولنهرب من كل خلاف وتفرقة هرب السليم من الأجرب فإنهما يبدآن صغيرين لايؤبه لهما ثم يعظمان حتى يلتهما الأخضر واليابس.

وإن أعجب لشىء فلأولئك الذين مازالوا يجتمعون ويتفرقون متجادلين فى هؤلاء الصحابة الأخيار : أيهم المؤمن وأيهم الكافر ؟ أيهم على الحق فيحمد وأيهم على الباطل فيذم ؟ ويتقربون إلى الله فى لعن رجال : ما منهم أحد إلا وله السوابق الحسان فى نصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله والدفاع عن رسوله ، وما فيهم إلا من بذل ماله ودمه ودم أهله للخير العام ، تخلفوا لنا بفضل إخلاصهم هذه البلاد الواحدة على ترامى أطرافها . إنها وحدة جامعة عجزت ضربات الدهر وسطوات الدول ثلاثة عشر قرناً عن أن تنال منها مايقضى عليها ويمحوها ؛ فما زال العراقى إذا هبط أقصى المغرب فى مراكش لايحس بغربة عن أهل ولا وطن . أستغفر الله ، بل ما زال المسلم الصينى من أقصى الشرق إذا هبط ساحل بحر الظلمات تلقته القلوب بالبشر والترحاب لقد جمعهم الله بمحمد وصحبه على كلمة حق واحدة فلن يفرق أحد ماجمع الله بمحمد وصحبه .

---

(١) صحيح مسلم ٧ ـ ١٧١ (الاستانة سنة ١٣٣٣ م) وانظر مسند أحمد ١ ـ ١٧٥ .

لست بسبيل تعداد المآثر المشهورة لأولئك الأخيار الذين هم موضوع الخلاف كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعائشة ... ، فأصغر أعمالهم عند الله يمحو كل ما يذكر خصومهم من أخطاء ، وقد ذهبوا إلى خالقهم الذى أرضوه بأعمالهم ورضى عنهم ، وسجل رضاه هذا فى قرآنه الكريم يتلى ما بقى على الأرض إنسان .

فلنمحضهم جميعاً محبة واحدة ، ولنستغفر لهم ولأنفسنا ، ولنذكرهم بكل خير جزاء ما خلفوا لنا من وحدة قوية ، ودولة مثالية بنوها بجهادهم فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، جهاداً أرخصوا فيه مهجهم وضحوا بأعز ما يملكون ؛ ولنطرح عن عواتقنا مخلفات عصور الانحطاط والشعوبيات ، ولنقتد بهؤلاء الأخيار أنفسهم حين يعرض بعض لذكر بعض ، فقد نزع الله ما فى صدورهم من غل وعادوا إخوانا متحابين كما أمرهم الله أن يكونوا .

وإن الله عز وجل لم يتعبد أحداً بشتم صحابى ولا لعنه ، بل عظم من شأنهم وغفر لهم ما أخطأوا قبل أن يخطئوا ، ولولاهم لكان العرب اليوم فى وثنية أو جاهلية ؛ فما هذا جزاء من أنقذنا به من الضلال والفرقة وخلف لنا ملكا سعيداً وماضياً مجيداً وتاريخاً حافلا بكل ما يرفع الرأس ويخلد أحسن الذكر وأطيب الثناء ...

***

فرقت السياسات قديما أمر المسلمين وشتتت شملهم ، ثم عززها أهل الكيد والدس بغشهم حتى جعلوها تتغلغل فى الأديان والعقائد ، وصار الدين الواحد أدياناً والأمة الواحدة طوائف شتى وما الأمر كله بالذى يستدعى بعض ذلك ، فلنأخذه بالتوسعة والتسامح ، ولكل رأيه فى السياسة وفهمه للتاريخ فلا يضيقن أحد بفهم أخيه ، ولا نجعلن خلاف الرأى فى السياسات الماضية (والحاضرة) والحزبيات البائدة (والحاضرة) مفرقا وحدتنا وصادعاً شملنا ومخمداً نارنا ، ولا نجعلن هذه الأحقاد والمداوات تتوارث إلى يوم الدين .

إن الأمم من حولنا كالجياع على القصاع ، فلن يجدينا فى موقفنا اليوم ذلك الجدل ولا تلك الفرقة ، بخويصة أنفسنا ما يشغلنا عن هذا الباطل ، وفى مطالب الحياة الجادة ما يلفتنا عن التفرق ... فلنقابلها صفا واحداً وأمة واحدة كما بدأنا الله ، ولننبذ عصور الظلام وآثار الجهل وضيق الأفق بمخلفاتها جميعا .

إن ربنا واحد وكتابنا واحد ورسولنا واحد ، فلنعد أمة كما أراد الله لنا ولنبرأ من كل فتنة وخلاف وفرقة . فالظروف عصيبة ونحن على مفترق الطرق ، وإننا لمحاطون بالأعداء داخلا وخارجا ، وهم دائبون على توسيع الشقة بيننا ؛ فلا نعينهم على أنفسنا ، ولا نضعن فى أيديهم السلاح الذى يقتلنا ويجعلنا لهم طعمة سائغة .

***

ليت الله إذ جمع على الهدى أمرنا لم يجعل للفرقة إلينا سبيلا ، ولا جعل بأسنا بيننا ، وليت هذه السابقة التى هونت على الأمة الواحدة أن يقاتل بعضها بعضاً لم تكن قط .

فليت الظامينة فى بيتها ... وليتك (عسكر) لم ترتحل[1]

ثم ليتنا بعد هذا كله نعتبر بما فى الخلاف من ضرر بالغ فى كبير أمرنا وصغيره[2] !

سعيد الأفغانى

(١) عسكر إسم الجمل الذى ركبته السيدة عائشة على رأس جموعها فى أول فتنة قسمت العرب فى الاسلام صفين متعادين .

(٢) الفصل الأخير (عبرة الحوادث) من كتابنا (عائشة والسياسة) وسيطبع قريباً إن شاء الله .

إلى وزارة المعارف :

# وعلى هذا فنحن ندور ...

للأستاذ كامل السيد شاهين

— ٣ —

والظاهرة التي تتجلى في وزارة المعارف بوضوح وقوة، أنها لا تنظر إلى الدراسات التي تجد في مصر نظرة المستفيد، فقد قامت في مصر ثورة قوية على البلاغة ودراساتها العتيقة، حمل لواءها أول الأمر الدكتور طه حسين ثم الأستاذ أحمد أمين، ورسما للنقد الأدبي منهجاً إن لم يكن واضحاً كل الوضوح، فهو — على أية حال — يصح أن يتخذ بذرة لطرق الدراسة التي تصحح الذوق وتقوم الأديب. ورسم الأستاذ الزيات رسماً صحيحاً لطريقة تناول الدراسات الأدبية، ولو أنه لم يعرض للناحية المنهجية، ولكن وزارة المعارف لم تعبأ بهذه الصيحات، وكأنها لا تعنيها هذه الثورة على تلك الدراسات القديمة العقيمة، فليبق تلاميذ المدارس حيث هم — يتلون سورة الاستعارة التصريحية، والمكنية، ويخرجون المجاز المرسل والعقلي، دون أن يصححوا ذوقاً، أو يفهموا نقداً. وآية أخرى على غفلة الوزارة عن الدراسات العلمية أن الأستاذ ابراهيم مصطفى كتب كتابه « إحياء النحو » وفيه ثورة قوية على العوامل، وتيسير كبير على الدارسين، ولكن الوزارة مضت على غلوائها سادرة لا تلتفت ولا تنظر، ولا تقف لإهابة مهيب، ولا تصيخ لصوت داع !.

وها هو ذا المجمع اللغوي يعزم عزمته لتيسير الكتابة، وتسهيل القراءة، ويجمع اللجان ويناقش الآراء ثم يكتب في ذلك الكتب واسعة البسط، وتلقى المحاضرات طويلة الذيل، وتفحص الآراء في المجلات الأدبية والصحف السيارة، ووزارة المعارف مغمضة العين، سائرة في طريقها المعهودة ولو كانت ممتلئة بالأشواك والوحول.

ذكرت ذلك كله عند ما أمسكت بكتاب المطالعة المقرر على آخر سنة في المرحلة الابتدائية فوجدته كله مضبوطاً ضبطاً تاماً، على زعم أن في هذا تسهيلا للقراءة، وإفادة للقارئ، ولكن المعن لا يجد فيه من هذا التسهيل شيئاً، وأكاد أزعم أن فيه إرباكا له وتشويشاً عليه، ولو أن الكاتب — سهل الله له — ضبط ما هو بحاجة إلى الضبط، ولم يعن نفسه بالضبط التام، لكان في ذلك الخير كل الخير. خذ مثلا جملة : « حضارة قدماء المصريين » تجد أن الذي يحتاج إلى ضبط هو ( تاء ) حضارة ( همزة ) قدماء، ( ميم ) المصريين، وليس وراء ذلك ما يدعو إلى تعنية الكاتب والطابع بضبط ما. شقاء للكاتب، نقول : إنه هين ؛ وعناء للطابع قد نقول : إنه محتمل، ولكن — لسوء الحظ — نجد في هذا الإمعان في الضبط مساءة إلى القارئ نفسه، ومشغلة له عن القراءة، فهو لا يستطيع أن يتابع الحروف والضبوط، والمعاني في وقت معاً.

ولو أن للوزارة عيناً ترى وأذناً تعي، لفقهت ما قاله الأستاذ الجارم بك، في تقريره بشأن الضبط فهو يقرر أن القارئ للكلام التام الضبط « يقطع أوصال العبارات، لأنه مشغول بتحديد البصر، وإعمال الفكر، تحسساً لضبط ما يقرأ قبل أن يقرأ حتى يستطيع أن يقرأ ».

ولو عنيت بأبنائها لرحمتهم من تلك حال، حال المطالعة في في كتابها المضبوط التي يقول فيها عبد العزيز باشا فهمي : « فتراه كالمجذوب المتوجد، أو المكروب المتجلد، جاحظ العينين تارة، أخرزهما أو أخوصهما تارة أخرى، مضروب اللسان باللعثمة أو الغمغمة أو الفأفأة أو غيرها من ضروب الارتتاج ».

أفلا يجدر بنا — بعد — أن نقتصر على الضروري في الضبط، حتى نخلص بالتلميذ إلى قراءة غير المضبوط ولقد جربت أن أقرئ التلاميذ في بعض الجرائد بعد ضبط ما تلجئ الضرورة إلى ضبطه فكنت أجدهم في القراءة أسرع، وعلى الفهم أقدر، إذ لا يعتور ألسنتهم تلك العقل العاقلة التي تحبسها وتلويها وتحول بينها وبين الانطلاق والإسراع.

وإذن، فما كان أجدر أن يشتمل كتاب المطالعة على موضوعات قصيرة يسيرة خالية من الشكل سهلة حتى يمكن التلميذ أداؤها في ثقة واطمئنان، وتكون محكا لاستفادته في قواعد اللغة، وامتحاناً لقدرته على ضبط أواخر الكلمات ومتونها.

فاذا جاوزنا الضبط ، وذهبنا نفتش موضوعات الكتاب وجدناها شكولا وأنماطاً ، مجموعة من كل ماتباعد وتناءى وازور ووجدنا الرابط بينها هو التنافر والتناكر ، فمكة المكرمة ، تجاور الموز وفائدته ، وسياسة الرعية تتاخم الورق ، وقناة السويس تصاحب الحيـة والأخوان ، والإمام على يرافق البريد فى مصر . فهذا الخلط الذى لا يرعى للقربى ذماماً ، محال من المحال أن يكون هذا الترابط الذى ننشده وتنشده المعلومات لتتداعى وتتماسك ، وأياما كان فالكتاب من حيث موضوعاته يعتبر ثورة قوية ناجحة على طريقة المشروع التى ترمى إلى تأليف المعلومات واجتذاب بعضها إلى بعض ! ولو أن ثمت لفتة يسيرة لأمكن أن يقوم الكتاب على وحدات متناسقة متآخذة ، فاذا جئنا بموضوع مثل مصر ، جاز أن نضم إليه : نهر النيل — قناة السويس — حضارة قدماء المصريين — مصر فى عصر فاروق — واجب المصرى — مصطفى كامل — سعد زغلول . الخ فنكون بذلك وحدة وثيقة خالية من التكرير المربك بعيدة عن التشتيت المزرى .

وأشنع من هذا وأبشع أن الكتاب — الذى يعاد طبعه كل عام — قد خلا من كل ما يتصل بالاحداث الجديدة التى شهدها التلاميذ وسرت فى عروقهم ، واستشرفوا للقراءة عنها والحديث فيها — كالحرب الأخيرة ، وغلاء الأسعار ، وجشع التجار ، واختراع القنبلة الذرية ، ولؤم الاستعمار ، وخطر الصهيونية ، ونكبة فلسطين ، فكل هذا يشوق التلميذ مطالعته وحرام أن نقتل هذا الشوق فى نفس التلميذ ونرميه بموضوعات جامدة صالحة لكل زمان ومكان لا تتغير بتغير الأحداث .

ومن المضحك المبكى أن تقرأ فى القطعة الثانية من الكتاب فتجده ، يتمدح بالمعاهدة معاهدة سنة ست وثلاثين وتسعمائة وألف ، وقد طواها الزمن فيما طوى ، وأطفأ لمعانها ، وأسقط شهابها ، وبرىء منها أهلها ، ونادت مصر كلها بسقوطها ، وطالبت بإلغائها ، ويتمجد بدخول مصر فى عصبة الأمم ، وقد أصبحت العصبة اليوم فى ذمة التاريخ ، وذهبت غير مذكورة ولا مشكورة .

ومما ينبغى الالتفات اليه بعين يقظى أن المدرسين يعمدون إلى كتاب المطالعة فيختارون منه قطعا شعرية يحفظها التلاميذ ، وقد خبرت هذه القطع فوجدت كثيراً منها خالياً من الروح الشعرية والجمال الفنى ، ميتا مدرجا فى كفن بال ، وما يصح قط أن يكون من محفوظات ذلك العصر الذى يعج عجاجه بالممتع الرائع من الشعر الحديث المتصـل بالأحداث القائمة أو القريبة العهد . خذ مثلا قصيدة الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فى الحث على السفر :

ما فى المقام لذى عقل وذى أدب
من راحة ، فدع الأوطان واغترب
سـافر ، تجد عوضـاً عمن تفارقه
وانصب ، فإن لذيذ العيش فى النصب

ابحث عن الروح الشعرية الجميلة بين هذا الرصف المرصوف فلن تجد لها أثراً ، بل لن تجد مزية له على الكلام المبتذل ، إلا مزية النظم ، وهى أهون المزايا . حكم ، وإن أردت التجديد فقل: نصائح ، لا قيمة لها فى وزن التلميذ ، وأكاد أكتب : لا قيمة لها فى نفسها . فهل بمثل : سافر تجد عوضاً ، يلتذ التلميذ ، ويجد النشوة والسرور ؟ وهل بمثل : فانصب فإن لذيذ العيش فى النصب يستفيد فكرة أو عبارة طريفة ؟ اللهم لا .

ثم ابحث معى عن كلمة واحدة شعرية فى البيتين فلن تجد ، وما أكثر ما تجد هذه الطرافة والجدة فى قصيدة مثل « العصـفور الصـغير » للأسمر ، و « أنا ... » لإيليا أبى ماضى وغيرهما مما يهز قلب التلميذ ، ويثير عواطفه ، ويفتح عينيه وقلبه للحياة فتحا .

ولست أزعم أن ذلك خاص بالشعر الحديث فالقديم غنى حافل ففى رثاء « السلكة » « للسليك» وفى غزل «المنخل اليشكرى» وفى تهكمات « ابن الرومى » جمال وإمتاع وشاعرية نابضة قوية ممتنعة على عقول العلماء الذين يقتسرون الشعر اقتسارا ، ويعنفون عليه بقوة اللغة ، ولا يقودونه بفيض العاطفة ، وسلاسة الطبع ، وقوة الشاعرية !

ومما يؤسف أن يخصص للمطالعة حصتان قصيرتان لا تقرئان ولا تفيدان، والمطالعة ، مادة العربية ، تستغل فى الثقافة فلابد من المعنى ، وفى الإملاء فلا بد من تكرير النظر إلى الكلمات الصعبة وفى الإنشاء فلا بد من استعادة الجميل من العبارات ، وإدخاله مدخلا كريما فى مناسبات جديدة ، وهيهات أن تتسع الحصتان لذلك كله .

# علوم البلاغة فى الجامعة

للأستاذ على العمارى

— ٦ —

قلت فيما سبق إن رجال الجامعة لم يصنعوا شيئا فى تجديد البلاغة العربية ، غير أن ملأوا غرف الدراسة ، وأذهان الطلاب بالطعن على المتقدمين ، والتنويه بقصورهم وتقصيرهم ، فلننظر فيما بين أيدينا من كتب لنرى مصداق ذلك . فى سنة ١٩٣١ ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ أمين الخولى محاضرة فى الجمعية الجغرافية الملكية وسماها « بحثا تاريخيا تجديديا » تحدث فيها عن صلة الفلسفة بالبلاغة العربية ، وتكلم طويلا عن نشأة البلاغة وتطورها والمدارس التى احتضنتها ، ثم تحدث عن الدراسة فى كلية الآداب ودعا إلى تجديد البلاغة تجديداً شاملا وكان مما قاله « وهى — يعنى الكلية — فى إخلاص المجدد المستنير بالتاريخ تستطيع أن تختط طريق الدرس الفنى وتجعله واضح المعالم مغايراً لطريق البلاغة التى سميناها البلاغة العلمية ، كما عزمت على أن تتلافى ما كان من أثر الفلسفة فى تجدد البلاغة وقصور بحثها ، لأن إلزامها حدود دراسة الجملة قد حرمها من أبحاث ضرورية للفن الأدبى ، أبحاث نراها فى بلاغات اللغات الحية ويجب أن نتناولها بالدرس ، ومن تلك الأبحاث البحث فى الأسلوب واختلافه وأوجه تفاوته ، ومزايا أنواعه المختلفة ، ومن ذلك البحث فيما وراء المعنى الجزئى — تشبيه ، استعارة — كناية — من معنى كلى وغرض يقصد إليه الأديب ... الخ»

أبحاث كثيرة يدعو الأستاذ إلى تناولها بالدرس ، وبذلك يجدد البلاغة العربية .

ظفر فى فم الأمانى حلو  ليت منه لنا قلامة ظفر

وتمضى خمسة عشر عاما كان يمكن أن ترى فيها أثرا لهذه الدعوة ، ولكننا نفاجأ فى سنة ١٩٤٦ بكتاب للشيخ أمين يسميه « فن القول » ويقول فى الصفحة الرابعة منه « إنى أحس إحساسا قويا عنيفا بحاجة حياتنا الأدبية واللغوية إلى دراسات كثيرة واسعة لم نقم بها ، ولاهيأنا السبيل لإتمامها ؛ ولو استطعنا أن نعرف بها ونقنع بضرورتها ، وندفع إليها ونقوم بمحاولات أولية فيها لنخلق الجيل الذى يقوم بها ويتمها فذلك خير ما نسدى لعصرنا ، وجل ما نؤدى به واجبنا . ولن أظن لحظة أننا قد أوفينا فى ذلك على الأمل المرجو ، والمثل المنشود أبدا ، لأن الميدان خال بل مقفر . وسترى فى البلاغة التى نزاول درسها هنا مثلا لذلك بينا » وإذن فالشيخ أمين لم يصنع شيئا فى هذه المدة الطويلة ، ولم يصنع غيره كذلك لأن الميدان « خال بل مقفر » فهل يكون هذا الكتاب الذى يخرجه هو العمل المرجو فى تجديد البلاغة ؟ هذه محاضرات ألقاها فى معهد الدراسات العليا ، وقد وصلنى منها ١٢٠ صفحة ، وباقيها فى المطبعة كما أظن ، وكان من حق الشيخ علينا أن ننتظر حتى يتم طبع المحاضرات ، ولكننا نقول هنا كلمة ولا يزال الباب مفتوحا ، مائة وعشرون صفحة هى مقدمة لعمل تجديدى فى البلاغة ، فماذا تناول فيها ؟ تحدث فى أربع عشرة صفحة عن التفسير الحيوى والاجتماعى لفكرة إنشاء المعهد ، ثم التفت إلى ما كان نشره من محاضرات ومقالات فأعاد نشرها بشىء من البسط والإسهاب ، فتكلم عن نشأة البلاغة وعن منهج دراستها عندنا وعند غيرنا ، وتحدث عن اللغة العامية واللغة الفصحى ومشكلات اللغة الفصحى كل ذلك فى هذا العدد الضخم من الصفحات اعتبره مقدمة لكتابه . أليس ذلك حسنا ؟ لقد ذكروا أن أحد الرجاز أتى نصر بن سيار والى خراسان ومدحه بأرجوزة تشبيبها مائة بيت ومديحها عشرة أبيات ، فقال نصر : والله ماتركت كلمة عذبة ولا معنى لطيفا إلا وقد شغلته عن مديحى بتشبيبك . وأنا أرجو

---

فهذا كتاب المطالعة يا قوم ، لا عون فيه على القراءة ، ولا انسجام بين موضوعاته ولا تناول لطريف الأحداث ، ولا حسن اختيار لقطع الشعر ، فماذا بقى ؟

لا تبكوا على التلاميذ إذ يبكون فى الامتحان ، لا تصرخوا ولا تستصرخوا ...

أيها القوم ... السم فى الدواء ! !

كامل السيد شاهين
المدرس بالمدارس الأميرية

ألا يكون كتاب « فن القول » كهذه الأجوزة .

لكن جزءا من دعوة الشيخ أمين قد تحقق ، فقد أخرج الأستاذ أحمد الشايب كتاب « الأسلوب » وتكلم فيه عن كل المباحث التى دعا الشيخ إلى تناولها ، فهل هذا الكتاب عمل تجديدى ؟ لننظر . والذى نراه أن الأستاذ الشايب عمد إلى جهات ثلاث فاختطف منها كتابه .

(١) ترسم خطى أرسطو فى خطابته ، فقد تحدث هذا عن الأسلوب وقيمته ووضوحه وصفاته الخاصة ، والشروط العامة للأسلوب ، وفتور الأسلوب وسلامته وشروط ذلك ، وشرح ثراء الاسلوب وبسطته ووسائط ذلك ، كما بين الأسلوب الكتابى والأسلوب الخطابى والأسلوب الشعرى والأسلوب النثرى وتحدث عن اختلاف الأسلوب باختلافات الموضوعات وغير ذلك .

(٢) سطا على أبحاث المتقدمين من أمثال عبد القاهر والجاحظ وقدامة وابن رشيق والآمدى وصاحب المثل الثائر والقلقشندى فاختطفها اختطافا ، وحسبك أن ترجع إلى ما كتبه العمدة عن فنون الشعر ، وما كتبه قدامة فى نعت الوصف ونعت الهجاء ونعت الرثاء ونعت المديح ونعت التشبيه ، ثم تقرأ كلام الأستاذ الشايب فسوف تعتقد معى أن المسألة كما يقولون « حذو القذة بالقذة » .

وأما عبد القاهر فأمره معروف فقد كتب كتابا خاصا فى النظم الذى يسميه الأستاذ « الأسلوب » قال « للخفة والشيوع » والجاحظ كتب عن صحة المعانى وفسادها ومناسبتها للألفاظ ، وحسبنا هنا الإشارة .

(٣) الغربيون — كما يقول الشيخ أمين — يعنون فى البلاغة بدراسة الأسلوب ، ويقول غير مرة إن هذه الأبحاث التى يدعو إليها — وهى قوام كتاب الأستاذ الشايب — مما عنى به الغربيون عناية تامة ، ويخص بالذكر كتاب الأسلوب الإيطالى lo stilela Italiano للباربنى .

ولا نستبعد — بل إننا لنوقن — أن الأستاذ الشايب نظر طويلا فى البلاغة الغربية وأخذ عنها ، وإذن فهل لنا أن نقول كما قال بعض النقاد الظرفاء : « لو قيل لكل معنى فى شعر حميد بن ثور ارجع إلى صاحبك لما بقى فى يده شىء » .

وأعتقد أنا لو حذفنا منه هذه الأبحاث القديمة العربية لبقى الكتاب أبيض مغسولا . على أنه فوق ذلك كتاب وصفى وعمل البلاغة إنما هو وضع القوانين التى إذا ترسمها الأديب استطاع أن ينشىء ، وهذا الكتاب فى أكثر مباحثه أشد صلة بأدب اللغة منه بالبلاغة ، وإن ذكر مؤلفه أنه وضعه فى البلاغة ، وقدم له بأبحاث فيها .

ومهما يكن من شىء فلا زلنا عند رأينا من أن الجامعيين تركوا البلاغة العربية كما كانت على عهد السكاكى ، وإذا كانوا صنعوا فإنهم لم يزيدوا على أن رجعوا إلى كتب البلاغة قبل السكاكى ، وكتب النقد الأدبى فاغترفوا منها ، وهذا عمل يشاركهم فيه كثير من أبناء دار العلوم ومن أبناء كلية اللغة العربية بالأزهر ، فأين هو التجديد يا رئيس الأمناء ؟ !


**على العمارى**

المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

# العلاقة بين بغداد والقاهرة
# فى عهــــد الفواطم

للأستاذ عبد المنعم ماجد

لم تكن هناك فروق تميز أهل البيت من بنى العباس وبنى علىّ ، حتى وقت قيام الدولة الأموية على يد معاوية بن أبى سفيان الذى جمع فى يده سلطة قوية وحوّل الخلافة من بساطتها وديمقراطيتها إلى نوع من الأرستقراطية المتعجرفة المتعصبة ، لذلك أطلق العلويون على أنفسهم لقب الشيعة وعُرف أعداؤهم باسم بنى أمية . أما إسم أهل السنة فلم يكن له وجود ولم يظهر إلا بعد قيام الدولة العباسية . وبالرغم من أن العباسيين لم يكونوا قد طالبوا بالخلافة لأنفسهم أيام الخلفاء الراشدين إلا أنه أثناء قيام الدولة الأموية فى أواخر عهدها التجأوا إلى الدعوة للرضا من آل محمد ، أى من يقع عليه اختيار آل البيت يصير هو الخليفة . وقد وجدت هذه الدعوة أذناً صاغية وقبولا من الشيعة ، وذلك لأنهم كانوا يأملون أن تؤول الدعوة إلى بنى علىّ ، وذلك لأن علياً كان أفضل من العباس باعتراف معظم أهل البيت لأنه زوج بنت رسول الله ولسيرته وسبقه فى الاسلام . أما العباس فلم تكن له سابقة ولا سيرة ... ثم بجانب هذا لم يكن العباس ولا ابنه عبد الله قد طالبوا بالخلافة ... ولكن لما نجحت الدعوة التى بشر بها أبو مسلم الخراسانى فى خراسان ، وانتهت بقلب الخلافة الأموية والإجهاز عليها فى موقعة الزاب حوّلوا الخلافة لأنفسهم وأقصوا الشيعة عنها وادعوا أن العم أحق بالخلافة من ابن العم ، ولذلك كانوا يرون أى فتق يجىء من غير ناحية العلويين سهل الرتق . أما هؤلاء أبناء علىّ فهم الخصم الألد الذى يخاف جانبه ويُخشى بأسه ، ولذلك طاردوهم ، وشردوهم ، وضيقوا عليهم الخناق .

إزاء هذا التعنت الذى ضاقوا به ذرعاً أخذ العلويون من أبناء فاطمة يدعون لأنفسهم سراً ؛ ليستردوا هذا الحق المغصوب ويقضوا على هؤلاء الذين أقصوهم عن حقهم الشرعى فى الخلافة ، فلما ضاقت بهم وبدعوتهم أرض المشرق اتجهوا للمغرب حيث كان مركز الخلافة ضعيفاً ، ونجحوا فى تأسيس دولة هناك ، وكان هذا مبدأ الاحتكاك الفعلى بينهم وبين العباسيين ، وأول ضربة توجه للخلافة العباسية فى جزء من أملاكها فى أفريقيا من أبناء فاطمة بالذات . . ولن تكون الضربة الأخيرة ... ! ! لأن غرضهم الأساسى كان القضاء على الخلافة العباسية التى اغتصبت ملكهم وشردتهم وطاردتهم . هذا فضلا عن رغبتهم فى نشر دعوتهم ونظرياتهم فى الدين . لذلك شهر المعز لدين الله الفاطمى سيفه فى وجه العباسيين ، وطمن الخلافة فى مصر والشام والحجاز واليمن ، ومنع الناس فى هـذه الأرجاء لبس السواد شعار العباسيين ، وخطب له ولخلفائه على المنابر ، وارتفع صوت المؤذن منادياً : « حىّ على خير العمل » ، وهو آذان خاص بالفاطميين كما ظهر بطبيعة الحال كفاح وتنافس وحزازات بين الدولتين شأن كل قوتين تعتقد كل منهما أنها أحق بالخلافة والسلطان دون الأخرى . وسنلخص العلاقة بين هاتين القوتين المتزاحمتين فى ثلاث مراحل :

الأولى — تبدأ حيث عاصرت فيها الدولة الفاطمية عظماء بنى بويه وهم المتربعون فى الحكم فى بغداد والمتغلبون على الخلافة العباسية فيها .

الثانية — التى عاصرت فيهـا الدولة الفاطمية البويهيين إبان ضعفهم .

الثالثـة — التى عاصرت فيهـا الدولة الفاطمية الدولة السلجوقية التى انتزعت الحكم من الدولة البويهية .

***الفترة الأولى :***

تبدأ من سنة ٣٥٨ هـ وهى السنة التى دخل فيها الفواطم مصر إلى سنة ٣٧٢ هـ أى إلى موت عضد الدولة البويهى آخر عظماء البويهيين .. استولى الفاطميون على مصر والشام ومست حدود الدولة الفاطمية أملاك العباسيين التى كانت آنذاك تحت رحمة البويهيين وهم الذين ملكوا زمام الدولة وصارت بيدهم

مقاليد الأمور منذ سنة ٣٣٤ هـ أو سنة ٩٤٥ م . فاسمهم يقرن باسم الخليفة العباسى فى خطب المساجد ، وتضرب الدفوف أمام القصر الملكى البويهى فى الضُحى والعشى ، وهذا تكريم لم يكن يحظى به غير الخليفة من قبل ، والبويهيون متشيعون كالفاطميين بل من الشيعة الغالية التى لا تعترف بالخلافة العباسية رغم سيطرتها عليها . بل وتعتبرها مغتصبة من العلويين الذين هم أحق بها فى نظرهم ، ولذلك فى مناسبات عدة يعملون دائماً على إذلال الخليفة العباسى وإشعاره ببطلان خلافته ؛ فمثلا الخليفة القاهر عُزل والمستكفى سُمل والطائع أهين ، والمطيع عزل حتى قال ت . و . أرنولد فى كتابه الخلافة :

" The lowest depths of degration that the Caliphate of Bayhded had ever reached "

ومعنى هــذا أن الفواطم حينما امتد ملــكهم شرقاً وجدوا تشيعاً فى بغداد ، ومركز الخلافة والأراضى الخاضعة لها فى العراق والمشرق ، وأن صاحب هذا التشيع هو صاحب الأمر والنهى ، وكان هذا بطبيعة الحال من شأنه أن يقرب بين الفواطم فى مصر والمسيطرين على بغداد أصحاب الأمر والنهى ، وأن يوجد نوعاً من العلاقات الحسنة بينهما ، وإن كانت العلاقة الطيبة تظهر من ناحية البويهيين أكثر جلاء من ظهورها من ناحية الفواطم ، وكان هذا طبيعياً لأن الخليفة الفاطمى كان يُعد فى نظرهم إمامهم والرمز الروحى لهم ، وهو من النبعة الطاهرة التى يدينون بنحلتهم لها . نلمس هذه الروح والميل الصريح نحو الفواطم مما حاوله معز الدولة البويهى بالـكشف عما فى قلبه بالبيعة للخليفة الفاطمى لولا أن أشار عليــه أصحاب النظرة البعيدة من أتباعه بتركه هذا الأمر خوفا على سلطانه وسلطانهم ، ونفوذه ونفوذهم[1] فالخوف هو الحائل الوحيد فى سبيل إعلان الفاطميين أئمة عليهم ؛ ومع ذلك فالخضوع الروحى للفواطم كان يعلمه الملأ فى كل مكان وتحت سمع الخلافة السنية وبصرها ؛ فمبدأ الاحتفاظ بسطوتهم فى بغداد لا يتنافى أبداً مع إظهار ولائهم للفاطميين ، ولعل العلاقة الرسمية لم تكن من القوة والصفاء مثلما كانت فى عهد عضد الدولة البويهى . وقد احتفظ لنا أبو المحاسن[2] برسالة من العزيز الفاطمى رداً على رسالة عضد الدولة فيها يشكره على ولائه وخضوعه ، وقد انتهز عضد الدولة هذه الفرصة ووصول مندوب العزيز بهذا المكتوب ليُذل الخلافة السُنية فأمر المطيع وهو الخليفة السنى آنذاك بالخروج لاستقباله . بل تمادى عضد الدولة وقرأ الرسالة مع ما تحمله من خضوع سافر وولاء ظاهر للفواطم فى حضرته حتى دهش أبو المحاسن وتعجب ، وإن كان ليس هناك ما يدعو للعجب لاجتماع البويهيين والفواطم فى رمز واحد وإمام واحد هو « علىّ » . ويجمل بنا أن نعرض بعض ما جاء فى هذه الرسالة ففيها « ... إن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك فأدى ما تحمله من إخلاصك فى ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق إمامته ومحبتك لآبائه الطائعين الهادين المهديين .. ثم ذكر كلاماً طويلا فى المعنى » . أما بقية الـكتاب فيستدل منها على أن العلاقة لم تقف عند تبادل عبارات المودة والصداقة بل تعدتها إلى تبادل الرأى والمشورة فيما يحيط بهما فى العالم الإسلامى من خطر خارجى .

هذه هى مظاهر العلاقة الرسمية بين بغداد والقاهرة.. وهناك مظاهر أخرى لها تتمثل فى اشتراك أهل مصر من الشيعة وبغداد فى بعض الأعياد الدينية مثل النوح فى أيام عاشوراء ، وهــذه الظاهرة استمرت منذ أن استقر البويهيون فى العراق ...

هذه هى مظاهر التفاهم بين بغداد والقاهرة ، والتى كانت نتيجة للرابطة التى بينهما كما ذكرت فخلقت هذه المعاملة الحسنة كما أنهــا هى التى منعت كلا من الفاطميين والبويهيين على أن يقضى الواحد منهما على الآخر ، وذلك بالرغم من أن غرض الفواطم الرئيسى كان تدمير العباســيين المغتصبين للخلافة ، ولــكنهم لــما وجدوا تشيعاً فى بغداد مالــكا لها أحجموا عن اتخاذ هذه الخطوة العدائية . ولــكن مع هذا لم تكن العلاقة صافية تماماً فى هــذه الفترة ، لأن وجود قوتين متواجهتين يؤدى حتما إلى نوع من التنافس قد يتعدى إلى حوادث أخرى وبخاصة فى أول هــذه الفترة ، ولــكن رغم تقلب الحوادث سرعان ما تعود الأمور إلى مجراها بحكم اتفاقهم فى المبــدأ ؛ فمثلا نرى عز الدولة بختيار قد أمدَّ القرامطة بالمال والسلاح عند ما تقدم الفواطم وكادت نارهم تلفح وجه العراق وقد كان مدفوعاً

---

(١) ابن الأثير ص ١٧٧ الجزء الثامن

(٢) الجزء الرابع النجوم الزاهرة ص ١٢١

لاتخاذ هذه الخطوة خوفا على ملـكهم ، ولـكن سرعان ما عادت الحال إلى الصفاء بعد ذلك . إذ ظهرت بأجلى صورها فى عهد معز الدولة وعضد الدولة .

**الفترة الثانية :**

تأتى هذه الفترة بعد عضد الدولة إلى نهاية الدولة البويهية .

كان طبيعياً أن العلاقات الحسنة بين بغداد والقاهرة والتى استمرت على أتم صفاء ، وبلغت أقصاها فى عهد معز الدولة ، وعضد الدولة ألا تستمر إلى الأبد ، لأن السلطان البويهى الذى كان عاملا مهماً على التفاهم بدأ يضعف ، أصبح الخلفاء العباسيون قادرين على التدخل فى أمور الدولة والسياسة وانتهزوا فرصة هذا الضعف لاظهار ما يكنون من عواطف البُغض والحقد للدولة الفاطمية . لذلك يجب أن نعتبر أن العلاقة فى هـذه الفترة على نقيض الفترة السابقة إذ اتخـذت مظهراً آخر من القسوة والـكفاح وظهرت نيات الطرفين واضحة بالبغضاء . ولعل أول مظهر لاسترداد الخلفاء العباسيين سلطانهم المفقود هو منعهم ( كما يذكر أبو المحاسن ) الرافضة من أهل الـكرخ والطاق من النوح فى يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح ، ولـكن هذا التحرر نوعاً من قيود البويهيين لا يُعنى أن الخليفة العباسى قد أُطلقت يده أو أن فى استطاعته أن يعمل شيئاً إيجابياً فهذا من المحال . لأن الخلافة العباسية كانت فى أخريات أيامها عاجزة عن كل هجوم إيجابى على من قاسموهم سلطانهم وإن كانت لا تعجز عن الهجوم بسلاح آخر هو سلاح الـكلام ، والطعن فى نسبهم إلى فاطمة ، خاصة أن الدولة تأسست على هذا الإدعاء ، وكانت دعوتهم قبل أن ينشرها داعيتهم أبو عبد الله الشيعى سرية ، وذلك خوفا على أئمتهم المستورين من ولاة العباسيين فى ذلك الوقت فساعد هذا الجو على الطعن فى الظلام ، ولذلك صدر محضران الأول فى سنة ٤٠٢ هـ فى عهـد القادر بالله المعاصر للخليفة الفاطمى المستنصر وذلك بعد مضى قرن على إنشاء الدولة الفاطمية ، وقد قرئت هذه المحاضر المملوءة بالقدح فى نسب الفاطميين ونسبتهم إلى مجوس ، فى المساجد وأعلنت للناس . ولا يعنى هذا التجريح فى نسب الفاطميين بعد قرن أنه لم يكن موجوداً قبل ذلك أى قبل المحاضر فقد أيد هذا الطعن فى نسبهم بعض المؤرخين أمثال ابن خلدون ، وأما سبب ظهور هـذا الطعن بعد مضى قرن فيتحصل كما يظهر للأستاذ الأمير مامور فى كتابه :

"Polemics on the origin of the Fatimi Caliphs"

١ — الـكراهة المتأصلة فى العباسية من نسل على وفاطمة .

٢ — المرارة من مقاسمتهم أملاكهم وذلك حينما هددوا سلطانهم .

٣ — الحقد الذى تولد من منافسة القاهرة قاعدة الفواطم لبغداد قاعدة العباسيين كمركز للعلم والثقافة والفن والأدب الاسلامى

٤ — الخوف من امتداد سلطانهم لما بقى فى أيديهم .

٥ — الفرصة مواتية لاختلاف العلويين وعدم تضامنهم . فهذه هى الاثنا عشرية والفواطم والأدارسة .

٦ — إمكان التأثير على بعض العلويين وضمهم لجانبهم .

٧ — كذلك البويهيون لايمانعون ؛ لأنه قد نالهم الضعف فقدروا الخطر الفاطمى حقّ قدره .

٨ — إمكان إثارة العناصر السنية التى توجد فى الأجزاء التى امتلـكها الفاطميون .

٩ — إعلان هذه المحاضر فى مثل هذه الظروف يضعف نفوذ الفواطم ، ومن ناحية ثانية فهو لا ضرر منه على العباسيين .

١٠ — ملاءمة الوقت لوجود خليفة مكروه وهو الحاكم .

على أية حال كتب المحضران ، وحرص الخليفتان على أن يوقع عليهما كبار العلويين والقضاة والفقهاء وذلك حتى يحوز الطعن بعض الأهمية ولايتسرب الشك إلى الناس ويذكر مامور فى كتابه رأى بعض المؤرخين فى المحاضر ؛ فمثلا قال جرايف فى دائرة المعارف الإسلامية « لم يظهر الشك فى نسب الفاطميين إلا فى وقت متأخر ، وكما يظهر بوضوح أراد العباسيون اتخاذ أى وسيلة شرعية للقضاء على منافسيهم الخطرين » .

( البقية فى العدد القادم ) عبد المنعم ماجد

# حقائق عن المادة والفكر

## أيهما أصلح طريقا للمعرفة؟

للأستاذ فؤاد طرزى

الحياة لا تعرف الثبات ولا الاستقرار؛ بل هى فى تغير مستمر وفى نزوع دائم نحو التجدد والتحول، تستقر فيها جراثيم التوالد التى لا تنى تنقلها من حال إلى حال منذ الأزل وإلى اليوم وحتى يدركها الفناء. وهذه الخاصة الحية هى نداء الضرورة المطلوبة لإيجاد التوافق بين التغييرات الطبيعية والتبدلات التى تشمل مظاهر الوجود، وبين الكائنات الحية التى لا توجد إلا وهى ساعية نحو الكمال والسمو مهما اختلفت الصور التى تختارها لتعرض نفسها على مسرح هذا الكون.

وقد أطلق على هذا الجوهر الأصيل فى طبيعة الحياة اسم التطور، وهو يدل على أن كل ظاهرة من ظواهر الوجود توجد فى آن واحد، أى أنها تعمل على خلق حال جديدة لها فى نفس الوقت الذى تحيا فيه على حال معين. وبعبارة أبسط إنها تتجدد وتتجدد إلى أن تهرم وتموت. سمه التطور أو الديالكتيك أو ماشئت له من المسميات ولكن بعد أن تعرف أنه الأساس الذى تقوم عليه الحياة وأنه مفروض على الأحياء والجمادات وهو يعمل من غير أن يُطلب أو تُراق لاستحضاره الدماء، بل إن كل ذلك لايبدّل غايته ولا يغيّر وجهته.

كل هذا الذى نقوله متفق عليه من جميع الفلاسفة وعلماء الإجتماع، وهو ثابت بالبراهين الجدلية والعلمية لاينقضه برهان أو ينكره إثبات، ولكن الاختلاف هو فى ماهية هذا التطور أو فى الدافع الذى يحركه فى سيره الدائب: فنهم من يرجع هذا الدافع إلى عوامل مادية، فيقرر أن المادة هى الكل وهى التى تقود التاريخ وتوجه الأحياء، وهى الأصل الفرد الذى لا ينازعه أصل والإله الحقيقى الذى لا يشاركه إله، أو هى — كما يقول انجلز — دورات الوجود الأبدية التى تتم بها الحياة. وأما الآخرون فيؤمنون بأن الفكر الملهم هو الذى يسوس الوجود، وأن العقل المدبر هو الذى يمسك بزمام الطبيعة وهو الذى ينفث القوة فى المادة فتكتسب الحياة أو يتركها طينة باردة لاتقدر على الحركة والتحول والايجاد. فالفكر هو الخالق وهو المبدع، وفى خلقه وابداعه يستوحى سنة أبدية تعمل بغير انقطاع؛ هاتان الفكرتان ظلتا تتنازعان تارة فى ميدان الفلسفة وحينا فى ميدان الإصلاح، وأخيراً ظهرت إحداهما وهى الفلسفة المادية فى شكل مذهب يريد إقامة المجتمعات وفق أصوله وقيمه.

وإذا أردنا النزول إلى ميدان البحث المقارن، ورغبنا فى وزنهما من حيث الأساس الذى قامتا عليه، وجدنا أن التفسير الفكرى أقرب إلى الحقيقة التى يتركب منها التطور وأدخل فى باب الشروح العميقة التى لا تحكم على المشاهدات المحسة ولا تقنع دون النزول إلى أبعد الأبعاد للتعرف على ماهية الموجودات وهذه جملة أدلة تثبت صحة مانقوله:

(أولا) المادية امتداد والفكرية عمق. والفرق بين الامتداد والعمق ان الامتداد يشغل مكانا يظهر للعيون والأبصار، وأما العمق فيخلق من غير أن يظهر للحواس فهو يُعرف بالبحث المجرد والتأمل النظرى أو هو الحقيقة الفعالة وراء العضويات ينفث فيها الأكسير الذى لم يستطع العلم تحديده ... هذا الأكسير مادة أثيرية جرى العرف على تسميتها روح الحياة. وإذا أردنا أن نضرب الأمثال لنظهر الاختلاف فى هذا بين الماديين والفكريين فلنأخذ ظاهرة اجتماعية كبرى تكاد تكون حادثاً فاصلا فى التاريخ، وهى معروفة للجميع، ألا وهى الثورة الفرنسية.

فاذا قلت للماديين ما الذى أشعل نار هذه الثورة؟ أجابوك بأنه السعى وراء الخبز أو الانقياد وراء المادة، يتمثل فى ثورة الجياع على المترفين، أو هى شكل من أشكال النضال الطبقى بين المحرومين والمتخومين. وكيف لا يكون ذلك وهذه الجماهير خرجت ثائرة تصرخ (نريد الخبز). أيوجد أكثر من هذا السبب الواضح الذى يؤيد رأينا؟ دون شك أنك تلاحظ أن هذا التفسير هو الذى سميناه التفسير الأمتدادى، والذى عرفناه بأنه التفسير الذى لا يوغل فى الأعماق ولا يتعرف إلى الماهيات من معرفة أصولها وجواهرها، وأصحابه لاينفذون إلى أبعد من مرأى العين ولا إلى ماوراء البصر، فى حين أن العين لا تستطيع

الأحاطة بأ كناه الأشياء ، وأن البصر ليس بمقدوره أن يوانى البصيرة الوقادة التى تخترق الحجب وتهتك الأستار لأنها تدرى أن وراء الجسوم قوة مجهولة ووراء الأشكال الظاهرة عوامل مسيرة دافعة . إن الثورة الفرنسية تبدو ثورة من ثورات الجياع لمؤلهى المادة ، ولـكنها فى الحقيقة ثورة أوقد نارها الفـكر الثائر قبل أن يضرمها الخبز ، وانها لم تـكن لتحدث لو لم يقدح زنادها هذا المشعل المحرق . ولنعلم أن الإحساس بالظلم لم يشعر به الـكادحون الذين كانوا فى خدر لذيذ يرون العبودية جزءاً من الحياة لا محول عنها بعد أن لصقت كأشبه ما يكون بالقانون فى ضمائرهم ، بل ان الذين شعروا به هم المفـكرون الذين أيقظوا النائمين ووضعوا خطط التحرير . فهؤلاء المفـكرون أحسوا بالظلم وتألموا من الاستبداد فى الوقت الذى كان فيـه الجائعون ينظرون إلى أسيادهم كأنهم من ظلال القدرة العلية فى الأرض . وعندما تألم هؤلاء عملوا فى سبيل وجود أفضل و « مجتمع أصلح » فأخذوا ينفثون القوة فى هؤلاء الذين استكانوا للظلم وراحوا يعلمونهم معنى الحق والعدل والحرية . هذه الألفاظ التى خلقوها خلقاً وأوجدوها ايجاداً . وأما المطالبة بالخبز فلم تـكن إلا جانباً من الشعور بالحق ، هذا الشعور الذى ابتدأ فـكرة مجردة ثم أخذ يعمل ليـكون حقيقة واقعية . فبعد أن تمـكنت فـكرة الحق من النفوس عرف الناس أن من حقهم أن يشاركوا فى الرفاه والسعادة الأقلية المحتـكرة . فالفـكر هو الذى هدى وعلم ولم يكن أصحاب الخبز إلا تابعين يأمون بأمامته . كان الفـكر هو المحرك وكانت المادة عنصراً من العناصر التى تعاونت معه . كان هو الأصل ... هو الحقيقة الاصلية ، وإن شئت فقل هو الجوهر الفرد الذى يتركب منه الـكون . قل لأصحاب المادة — كما يقول لهم الأستاذ أحمد أمين — هذه عناصر الخلية اخلقوا لنا منها خلية كخلايا الوجود . وعندها ستعرف أنهم لايستطيعون فعل ذلك مهما أوتوا من مقدرة علمية ، لأن جوهر الخلية كنه مجهول ينفث فيها الحياة ، وهو سر غامض لاندرى ماهو وكل ما نعرفه عنه ما يبدو من آثاره .

( ثانيا ) يجول الماديون ويصولون ويروحون ويجيئون فى دوائر جهنمية لاحدود ولا منتهى لها . وكل ذلك ليفسروا فلسفة عمياء كليلة لا تملك من مقدمات الأسس المنطقية ماتستطيع بها أن تحيط بالوجود من جميع جوانبه . وهم يريدون تفسير الوجود فكان أمامهم طريقان : إما أن يقولوا إن هناك قوة مدركة حية تحرك الـكون وتدبر الحياة وهى بمثابة العلة الأولى لـكل هذه النتائج ، وإما أن يركبوا متن الشطط فيؤمنوا بالمادة الصماء التى لا تعقل ولا تحس ، فاختاروا التفسير الثانى وتركوا الأول . ولا أدرى لماذا نترك فلسفة تفسر الوجود بالوجود لنتعلق بأهداب فلسفة غامضة تفسر الوجود بالعدم . فأمامكم ياناس حركة وأمامكم حياة فلم لا تؤمنون بقوة الحركة وبقوة الحياة ، لتغوصوا فى أعماق مجهولة لتؤمنوا بالجماد الذى لايتحرك ولا يحس . إن مثلـكم كمثل الذى يؤثر الظلمة على النور ، أو كمثل الذى يمسك بالحقيقة البينة ولـكنه يدعها تفلت منه لأنه يستعذب الجرى والركض ولو إلى غير غاية .

( ثالثاً ) ومهما تشعب القول فان هذه المادية منقوضة علما ومنطقا ، فهى لاتستطيع أن تفسر ما الأمل وما الطموح وما الأحلام . كما لا تستطيع أن تفسر لماذا يموت الجندى فى سبيل وطنه ، والتفسير المادى يقتضى منه أن يقدم ذاته على بلده . ولا تستطيع أن تفسر أيضاً كيف تفتدى الأم وليدها فى حين أن ظواهر الأشياء ومنطق التفسير المادى يفرضان عليها حب نفسها قبل غيرها . ويثبت المنطق أن الفـكرة قوة من القوى والمادة شكل جامد ، وأن هذا الشـكل لايكتسب الحركة إلا بعد أن تحل هذه القوة فى هيكله . فالفـكرة هى التى تدفع وتوجه ، والمـادة تتشكل وتتخذ أوضاعاً ظاهرة . وقد يقال لا موسيق بلا أوتار ، ولا بناء بلا أحجار ، ولا فـكرة بغير مادة عصبية ؟ ولـكن الـكمنجة ليست هى الموسيقى ، والبنـاء ليس هو الأحجار ، والذهن ليس هو الفـكر . إن لحنا من ألحان بتهوفن — كما يقول الفيلسوف رينان — موجود على الورق ، ولـكن من يكسبه الحركة والحياة ؟ بلا شك العقل . وإن الفعل الارادى الذى يتمثل فى الاهتزاز هو الذى ينقله من عالم الجماد إلى عالم الحياة ، وهذا الاهتزاز حقيقة عضوية قابلة للوزن والقياس . إن الفـكرة قوة تريد أن تـكون والمادة تمنيها وتنقلها إلى الـكينونة والواقع . إن الفـكرة هى الموجودة فى الواقع وهى وحدها الكامنة ،

وتطمح إلى الوجود التام بإيجاد التراكب الكيميائية لاظهارها.

من كل الذى ذكرناه نرى أن الفلسفة المادية لا يمكن أن تتوافق مع الغاية التى تتحول اليها الظواهر والشيات والكائنات ، لأن هذه كلها ترتفع من الأدنى إلى الأعلى ولا ترتد إلى حالة سابقة ولو تعاونت على ذلك كل قوى الانسان ، فى حين أن التوحيد المادى ارتداد رجعى إلى حالة سابقة حيث يتحكم كل شىء فى الإنسان فلا إرادة تستطيع أن تؤثر على ماجريات التقدم لأن هناك قدرا صارما يحكم ، ولا قوة عقلية تقدر أن توجه الأعمال إلى غايات مرسومة لأن الحلقة الآلية قد وضعت الحياة فى دائرتها فلا تدع لها الحرية فى العمل . وكل هذا يعاكس منطق الأشياء حيث نلاحظ أن الانسان كلما سار مع الزمن استطاع أن يخضع الطبيعة ويخضع التاريخ لمشيئته ، وانه كلما اتجه إلى الأمام ارتفع إلى الاعلى ليتحرر من قيود الظواهر المكانية والزمانية ومن دكتاتورية الماش ويقرب من الغايات المعنوية فى كل موجود من موجوداته

إن علائم التقدم والتطور تجمع فى كلمتين اثنتين : « الحرية » و « التقدم المعنوى » فالتحرر علامة فارقة لقياس الحضارة ، والتقدم المعنوى عمود التطور إذا جسمنا كلمة التطور وألبسناها حلة التشبيه والتمثيل . وليس قولنا هذا محض سفسطة ومغالطة ، بل هو منقول عن الحياة بعد أن خضع لمعايير العلم وتجارب التاريخ وعبر الازمان . فالعلم يقرر أن الانسان كلما ارتفع صعدا فى سلم الحضارة دقت عضلاته ومرنت عظامه وخفت حركته ، أى كلما تقدم تحرر من قيود جسمه ليماشى السكون فى حركته الدائبة نحو الخروج ونحو الانفصال عن المركز إلى الخارج فى اندفاعاته الانتقالية . وتحطيم الذرة فى عصرنا الحديث ليس إلا مظهراً من مظاهر الشوق الوجودى إلى التحرر والانفصال عن الكتل والهيولى . إن كل ما فى الكون فى حركة دائمة يريد التحرر من المادة والدنو من الصورة ، ويعمل على أن يفك عنه قيود التجسم ليعود إلى النموذج والمثال . فالصراع بين الهيولى والصورة والذى كان لب فلسفة أرسطو العظيم هو ناموس الأبد ، بل قل جرثومة التطور وقانون الحياة .

ولعل التقدم المعنوى هو فرع من ناموس الحرية الذى فرض ارادته على الحياة فى كل سبيل من سبلها . وإذا أردنا أن نشرح هــذا أكثر ، فلنأخذ أشد الألفاظ لصوقا بالإنسان وأقدمها فى معاصرتها له ، ولنسر وإياها فى تاريخها الطويل ؛ فأننا سوف لا نجدها الاسائرة من التعبير عن ملابسات المادة إلى السمو والدلالة على تعبيرات الروح والفكر . خذ كلمة « الضحية » وهى الكلمة التى كتب عنها الأستاذ العقاد بحثاً قيماً فى عدد من أعداد الرسالة ، فهذه الكلمة أول ما وجدت فى الحياة ، وحياة الإنسان خاصة ، كانت تعنى « النذر » التى كانت تقدم للأرباب والمعبودين ، ولم تكن تعنى غير هذا المعنى المادى الملموس الدال على تقديم علائم الخضوع فى شكل أشياء مادية لاسترضاء الآلهة . ولكن بعد أن سار الإنسان أشواطاً جديدة فى ميدان الحضارة أخذت الكلمة تدل على معان جديدة وراحت ترتفع من الدلالة على الأشياء المادية إلى التعبير عن أشياء معنوية كأنكار الذات وفداء النفس فى سبيل الوطن أو فى سبيل الشرف أو لأراحة الضمير ونحوها من المجازات والدلالات على معانى الأخلاق السامية .

( بغداد ) **فؤاد طرزى**

# هـــاروت ...

## أو الملك الثائر

للاستاذ عثمان حلمى

في جنان الخلد مأواه    ملك أكرمه الله

ناعم فيها فما نظرت    ما يسيء النفسَ عيناه

همه تمجيد مبدعه    من بسحر الخلد سوّاه

من بنور الحسن جمّله    وبحسن النور حلّاه

تفتن الألبابَ طلعته    وبشير الحبّ خدّاه

فاتن ضاحٍ محياه    جل من سوّى محياه

ظل في الفردوس يمرح في    ظلها ، في ظل مولاه

معجز في حمد بارئه    كل لحن يتغناه

لم يدُرْ يوما بخاطره    عالم الدنيا ولا ما هو

لا ولم تدرك مشاعره    من صميم الشر معناه

ما درى للشر من وطن    أو بأن الأرض دنياه

كاد ما يدريه من قدم    عن أبي الإنسان ينساه

نبأ ضاعت معالمه    وانقضت في الغيب ذكراه

قصة عن آدم سلفت    سجلت فيها خطاياه

آدم المسكين ضيعه    ما جنت في الخلد حوّاه

قد أراد الله فتنته    فليكن ما شاءه الله

ذاك أقصى ما أحاط به    ملك في الخلد مثواه

ثم دار الدهر دورته    غيرت في الدهر مجراه

دورة جدّت فما ونيت    أفقدت هاروت سيماه

فتولاه الأسى وبكى    ما قليل ما تولاه

لفتة للأرض واحدة    بدلت منه سجاياه

الطروب القلب يزعجه    هاتف بالهمّ يغشاه

والقرير العين مكتئب    تتندى منه عيناه

ما الذى بدل فطرته    ما الذى جدّ فأشجاه

قد رأى الدنيا وقد وسعت    كل شر كان يأباه

ظالم فيها ومجترم    قاتل ضجت ضحاياه

ليس يرضى بالدماء وقد    رضيت بالموت قتلاه

وأخ يرمى أخاه وما    من ضمير ثمّ ينهاه

وعزيز الجاه ذو صلف    وضعيف الجاه يخشاه

وشرور ما لها عدد    وبنو الإنسان أشباه

ووجود كله ألم    صارخ والموت عقباه

ذلك الإنسان أكفر من    خلق الله وسوّاه

يا لقلب جُن من هلع    لم يصادف ما تمناه

يا له في الخلد من ملك    في رياض الخلد مثواه

ثار حتى لم يجد فرجاً    أو رجاء يتملاه

وتولى سائلا جزعاً    ما الذى يقصده الله

لو سكنت الأرض كنت بها    مصلحاً ترجى نواياه

أُصلح الدنيا وأجعلها    مثلا للخير أرضاه

***

صوت :

لك هذا ، إنه حسَن

هاروت :

ولك العزة والجاه

صوت :

شهوة الإنسان جامحة    ركبت فيك ودنياه

آدمى أنت فى ملك    طاهر طابت خفاياه

فامض واغسل بالطهارة من    عالم الدنيا خطاياه

وإلى بابل إن بها    ما تؤمله وتهواه

***

فأتاها باسما فرحا    ليس يدرى ما سيلقاه

يسرت بالطهر يسراه    وسرت باليمن يمناه

إن رأى خيراً يسر به    أو أرى شراً تفاداه

ورأته الغيد فابتهجت    وسباهن محياه

قلن ما أقواه من رجل    في بنى الدنيا وأحلاه

وتمنت كل غانية    لو غدت فيما تمناه

ورأى فيهن فاتنة    وله جملها الله

تخذت من قلبه سكنا    ولمهد الحب مأواه

واستبدت فى عواطفه    فهو يرجوها وتأباه

قوة قد كان يجهل ما    سرها والحب أفشاه

كم نهاه عقـله فأبى … أى عقل كان ينهاه
والهوى طاغ وأحسبه … إن طغى جلت ضحاياه
إن أصاب العقل زلزله … أو أصاب القلب أرداه
يا لهذا الحب كم جهلت … كل ما يجنيه قتلاه
يا لهاروت القوى وقد … بدل الحب سجاياه
يا لهاروت الضعيف وقد … كان ما قد كان يخشاه
الهوى والسهد أعياه … والجوى والوجد أضناه
ورأت من كان يعبدها … أن سهم الحب أصماه
فدعته فانتشى طربا … وهو لا يدرك عقباه
ثم أغرته بكأس طلى … ما تأبَّى إذ تعاطاه
ثم أغرته بقتل فتى … كان يقلاها وتهواه
فرماه فى الصميم وقد … ختمت بالقتل بلواه
وأفاقا وهو فى جزع … قاتل يلعنه الله
أى عذر بعد فعلته … أى صفح يتلقاه

***

إن سر الخلق يستره … عالم بالخلق أخفاه
غاية يضمر منشئها … كنهها من يوم أنشاه

# الغريبة (*)

[ من ديوان « أغاني الليل » الذى سيطبع قريبا ]

للاستاذ عمر أبو قوص

خرجتُ عند الأصيل منفرداً … أضرب فى الأرض حاملاً شجنا
وكان فصل الخريف قد بدأت … آفاقُه تحمل المُزُنا
وكانتِ الروحُ وهى والهةٌ … تندب حباً رعيته زمنا
فأبصرت مقلتاى عن عرض … غريبةً قد تهالكت وهَنا
فقلت للنفس هاهنا فقفى … أو فاطلبى الأفق بعدها وطنا

***

يا زهرة فى الحديقة انفردت … اما ترين الأوراقَ والغصُنا
الركب ولَّى وأنت باقيةٌ … تحيين أمجادَهُ وما فطِنا
أأنت قربانُ عاشقٍ دنفٍ … قدَّم للحب روحَهُ ثمنا
أم شاعر فى الحياة معتزل … يحلُمُ فيها ليقتلَ الزمنا
أم بسمة فى الخريف شاحبة … لما تعرَّى ليلبس الكفنا
أم نجمة فى النجوم شاردة … حطَّت على الأرض تبتغى سكنا
كأن فيك الكافورَ منتشراً … يبعث فىَّ الفتور والوهنا
فيذهب الوهم آخذاً بيدى … حيث أزور القبور والدمنا
أىّ غريب مضى لطيته … يطوى الفيافى والسهل والحزَنا
حتى إذا مات لم يجد أحداً … يبكى عليه ولم يجد سكنا
فكنت فى البر أنت شاهدة … عليه تبكين قلبه حزنا
أم هو فى أهله وقد جهلوا … أسراره والدموع والشجنا
غريب روحٍ مستوحش أبداً … إن حلَّ لم يسترح وإن ظعنا

***

وعدت للبيت والدجى ظهرت … راياته والنهارُ قد جبُنَا
وعاد كلٌّ لأهله فزعاً … حتى إذا صار بينهم أمنا
وكانت الريح وهى ثائرة … تعصف عصفاً والغيث قد هتنا

(*) اسم زهرة من زهور الخريف




**الأستاذ على الطنطاوى فى القاهرة :**

وُفقت وزارة العدل السورية إلى إيفاد القاضى الفاضل السيد على الطنطاوى إلى مصر سنة كاملة للوقوف على الأنظمة القضائية واللوائح الشرعية ، والاطلاع على تطور الأحوال الشخصية والدراسات القانونية فى المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية والمجالس الحسبية ومقارنتها بالمتبع فى سورية لتهتدى الوزارة على ضوء أبحاثه ودراساته وتقاريره إلى تنفيذ ما تريد فى محاكمها من الاقتباس أو المحاكاة أو التعديل . والأستاذ الطنطاوى بثقافته الشرعية الأصيلة ، ومواهبه النادرة الجليلة ، وخبرته العملية الطويلة ، أقدر القضاة على الاضطلاع بهذه المهمة ، وقد ورد الأستاذ القاهرة مساء الخميس الماضى ، فعلى الرحب والسعة

**١ — أسبوع الأمير :**

كان الأمير شكيب أرسلان رحمة الله عليه أضخم شخصية عربية ، وكانت له مزايا جمة كل مزية منها تجعل صاحبها لواقتصر عليها من عظماء الرجال ، منها أنه المؤلف المكثر المجود ، ولو لم يكن له إلا تعليقاته على حاضر العالم الإسلامى ، والحلل السندسية ، ولماذا تأخر المسلمون ، لكان بها من كبار المؤلفين . ومنها أنه الكاتب الذى ملأ الشرق والغرب نثراً بليغاً ، وكان لسان الإسلام ومدره العرب ؛ وأحسب أن مقالاته لو جمعت لجاء منها كتاب فى ضعف حجم الأغانى . ومنها أنه السياسى الأكبر الصادق الفراسة الصحيح الرأى البعيد النظر ، أنذر وحده العرب ( لما قاموا باسم القومية يطعنون الأتراك إخوانهم فى الدين فى ظهورهم ) وحذرهم عاقبة ما هم فيه ، وقال لهم إن الإنكليز لا وفاء لهم ، وإن الشام إن تخرجوه الآن من يد الترك تدخلوه فى أيدى غيرهم ؛ فكان والله ما قال ، فلما انقلب الأتراك وولوا وجوههم عن الإسلام لوى عنهم وجهه وكان حرباً عليهم . وهو الذى أثار الدنيا على الظهير البربرى ؛ وهو الذى أرجع عرب الجبل الأخضر ، وهو الذى كان سفيراً دائماً لنا فى ديار الغرب ، سفيراً بلا أبهة ولا رتب يرتضى حياة التقشف ويصبر على مر العيش . ومنها همته وثباته ؛ ما كتب إليه إنسان إلا أجابه ، ولا خاطبه رجل إلا رد عليه ، ورسائله تعد بعشرات الآلاف . ومنها وفاؤه ونبله ، وهذان كتابان عن شوقى والسيد رشيد يقومان دليلا ولا يعوزنا الدليل . ومنها — ولن تحصى هذه الكلمة مزاياه ، ما يحصيها إلا الدرس الطويل ؛ لذلك فكرت دمشق التى روعها نعى الأمير ، وجاءها نبأ وفاته وهى تعد العدة لاستقباله ، تأمل أن يجيئها أعز زائر وأكرمه وأعظمه ، فكرت فى أن :

١ — تقيم أسبوعا للأمير رحمه الله فى مدرج الجامعة السورية فى دمشق يتعاقب فيه الخطباء والمؤبنون .

٢ — تنشر ما ينشر من كتبه وتعيد نشر المطبوع منها .

٣ — تجمع رسائله الخاصة وتحصيها .

وتألفت لذلك لجنة تمهيدية برياسة صديق الفقيد الأستاذ السيد عارف النكدى رئيس مجلس شورى الدولة ، وعضوية الأساتذة السيد سامى العظم المفتش العام فى وزارة العدلية ، والسيد عز الدين التنوخى عضو المجمع العلمى العربى ، والسيد أنور العطار شاعر الشباب السورى ، والسيد مظهر العظمة مدير مدرسة التمدن الإسلامى ، وعلى الطنطاوى ، ورئيس الشرف فى هذه اللجنة الأمير عادل أرسلان ، لا لأنه وزير المعارف ، ولا لأنه أخو الفقيد ، بل لأنه صديقه وما كل أخ صديقاً ، ولأنه أعرف الناس به وأشدهم حباً له ، ولأنه الشاعر الفحل ، والوطنى المجاهد ، ولأنه الأمير عادل أرسلان . رحم الله الفقيد وألهم هذه الأمة الوفاء له ، والاقتداء به .

( ع . ط )

**٢ — عالم بين الكتب :**

من أنباء المعارف فى الشام التى تسر وقل فيها السار ، أن الوزارة ستجعل إدارة دار الكتب الظاهرية للأستاذ أبى قيس عز الدين التنوخى ، وهو اختيار موفق لأن دار العلم لا يجوز أن يقوم عليها إلا عالم

( ع )

## ١ — واجب الوفاء !

تألفت فى سورية عدة لجان لتأبين فقيد العروبة والبيان المغفور له الأمير شكيب أرسلان .

وسورية هى الوطن الذى ولد فيه الفقيد ، وفى ترابه دفن جثمانه العزيز ، فلا أقل من أن تنهض بهذا الواجب حكومة وشعباً جماعات وأفراداً ، نحو رجل من أبر أبنائها ، وعبقرى من أعظم شخصياتها .

ولكن ما بالنا لم نر أثراً لمثل هذا التفكير إلى الآن فى مصر وقد استوطنها الفقيد فترات من الوقت ، وكانت له برجالاتها صلات وثيقة ، وقد عاش طول حياته يفزع لأمورها كما كان يفزع لسورية وطنه ، ولكل قطر عربى ؟ ! .

لقد قضى المغفور له الأمير شكيب أرسلان حياته ينادى بالوحدة العربية ، ويدعو إلى تقوية الصلات الشرقية ، ويندد بشنائع الأستعمار فى كل بلد عربى ، فليس الأمر فى تأبينه وتخليد ذكراه أمر سورية وحدها ، ولا أمر مصر وحدها ، بل هو واجب على العالم العربى جميعه ، فهل للجامعة العربية وقد كان الفقيد من أكبر دعاتها ورعاتها فكرة حتى تمثلت عقيدة ثم أصبحت حقيقة ، أن تنهض بهذا الأمر ؟ وهل للأمين العام للجامعة سعادة عبد الرحمن عزام باشا أن يوجه الدعوة بذلك قياماً بالواجب ووفاء بالدين ؟ ! .

## ٢ — لن يترنم الأطفال بأناشيدهم !

جاء فى الأنباء البرقية الأخيرة أن سلطات الإحتلال فى ألمانيا حرمت على الأطفال أن ينشدوا أنشودة « الفارس المقدس » التى اعتادوا الترنم بها فى الإحتفالات الرسمية لعيد الميلاد ، والإحتفالات الشعبية التى ينظمها معلمو بساتين الأطفال فى مدينة شفيرين ، كما حرمت عليهم أيضاً إنشاد ترنيمة أخرى وضعها مكتب الشباب فى المدينة ؛ ومنعت المعلمين كذلك من اخراج روايات عيد الميلاد التى تظهر فيها الملائكة ! !

مساكين أولئك الأطفال فى ألمانيا ... لقد شردهم الجوع ، وقتلهم البرد ، وأفقدتهم الحرب الجهنمية ، الأب الحنون ، والأم الرؤوم ، والأسرة البرة الراعية ، وإن عيد الميلاد ليطالعهم بصبح متجهم .. يفتشون فيه عن اللقمة السائغة فلا يجدونها ، وعن اللعبة المسلية فلا يظفرون بها ، وعن البهجة المشرقة فتنخلع قلوبهم هولا مما يرون ، حتى أناشيدهم المحبوبة أصبحت حراماً على ألسنتهم . .

يقولون إن الانسانية تحضرت بالعلم ، وتهذبت بالفن ، ونضجت بالتجربة . . ولكن أين مظهر هذا وجدواه ، وما زالت الشريعة بين الغالب والمغلوب قائمة ولها ناب الأسدوظفره ، وشراهة النمر وفجوره ، ولكن ليس لها أى قلب . .

إن القسوة الغاشمة لاتربى النفوس أبداً على حب الخير والتسامح ، فحرمان الأطفال من أناشيدهم ، ومتعهم ، لن يربى عواطفهم إلا على الحقد والضغينة ؛ وغداً عند مايبلغ أولئك الأطفال مبلغ الرجال سيكون أول مايفرجون به عن عواطفهم المكبوتة هو الثأر من أولئك الذين حرموا عليهم كل شىء ، حتى الترنم فى العيد بأناشيدهم المحبوبة .

محمد فهمى عبد اللطيف




# كتب وشخصيات

تأليف الأستاذ سيد قطب

هذا كتاب فى النقد ، نقد الأدب المعاصر ، جاء فى إبانه ، فقد أصبحت المكتبة العربية الحديثة كما قال المؤلف : ( تستحق « ناقداً » ففيها أعمال أدبية ناضجة ، وفيها مذاهب فنية متبلورة كما أن فيها محاولات واتجاهات تستحق الاهتمام ، فالناقد خليق أن يجد له عملا فى هذه الظروف الجديدة ... ) (١)

وقد تناول المؤلف بالنقد فى هذا الكتاب « كتباً » فى مختلف أنواع الأدب ، ومعها « شخصيات » مؤلفيها من شتى البلاد العربية ، وحرص على أن تكون هذه الشخصيات « من جميع الأنماط والمستويات والاتجاهات » كما حرص على أن يصور شخصية كل أديب تناول أحد كتبه بالنقد ، « فالكتاب وصاحبه فى هذا الكتاب موصوفان مرسومان مميزان » (١)

لاشك أنك الآن عرفت معنى اسم الكتاب « كتب وشخصيات » وتصورت موضوعه على وجه الإجمال ، ولا أسارع — كما فعل المؤلف فى أكثر كتبه وشخصياته — فأعطيك « مفتاح » شخصية مؤلفنا ، بل أرى أن نجول معا — أولا — فى أنحائه ، ونتعرف سماته وطرائقه على قدر ماتحتمله هذه المجالة.

بدأ الأستاذ سيد قطب بفصول فى النقد العام ، بين فيهـا أصولا وأسسا نظرية للنقد ، أهمها أو رؤوسها أن حق الناقد فى الحكم على صحة الحالات النفسية والصور الذهنية رهن بالنسبة بين رصيده ورصيد الفنان من الآفاق النفسية ، والتجارب الفنية على السواء .

وأن صعوبة فهم النصوص الأدبية لا ترجع إلى غرابة اللفظ ووعورة التركيب ، إنما « هى صعوبة التصور والإدراك بسبب نقص الرصيد النفسى من التجارب الحسية والذهنية والروحية »

و « أن الطبائع الفنية الممتازة ، والنفوس الفنية الموفورة الرصيد ، أقل عدداً فى هـذه الحياة من الطبائع الشائعة المكرورة والنفوس المحدودة التجارب » .

وأن مادة الفن الأصيلة هى التجارب الانسانية ، ومهمته أن يعرضها ويصف جزئياتها ، ويسجل الانفعالات التى صاحبتها ويصور ما أحاط بها من تصورات وأخيلة ، وأن قيمة العمل الفنى فى الاحتفاظ لهذا التصوير بالحرارة التى صاحبت الانفعال ، وأما من يلق الحقيقة الأخيرة التى انتهى إليها من تجربته فإن عمله يفقد المتعة الفنية ولا يستثير الحس والخيال بالمشاركة الطويلة المفصلة

وأن التعبير الذى يرسم للمعنى صورة أو ظلا أدنى إلى الفن من التعبير الذى يلقى المعنى مجرداً .

وأن الشعر يستمد معظم مؤثراته وانفعالاته من وراء الوعى « وكلما فاض الشعور فطغى على الوعى ، وانطلق يستمد من الرواسب النفسية ويستوحى الظلال الشعورية ، كان يجرى فى ميدانه الأصيل ، وينشىء أجل آثاره ، وذلك مع عدم إغفال مقومات الشعر الأخرى من عمق وسعة واتصال بالحياة ونفاذ إلى الأسرار الكونية الخالدة » .

وبعد النقد العـام بحثان : « النفس الإنسانية فى الشعر العربى » و « والطبيعة فى الشعر العربى » ثم يمضى الأستاذ إلى الكتب والشخصيات على ضوء الأسس العامة السابقة وما يشع من تفصيلات وفروع . وهو يعنى فى معظمها بالشخصيات أكثر من الكتب ، فكثيراً مايبدأ بتسليم « مفتاح الشخصية » دون أن يبين كيف صنع هذا المفتاح . ولعله يرمى بذلك إلى عرض نتيجة دراسته للشخصية فى مختلف آثارها ، ثم يسير مع القارىء فى الكتاب الذى ينقـده . وهذا يفسر اهتمامه بالشخصيات أكثر من الكتب ، على أن حظه من التوفيق فى إبراز الشخصية كان أكثر فى الشخصيات التى جال فى أنحائها ودهاليزها وحجراتها قبل أن يعطى « مفتاحها » .

وقد تجلت براعة الأستاذ سيد خاصة فى أكثر الموازنات

(١) من كلام المؤلف فى الفصل الأول .

التي قام بها بين الشخصيات ومؤلفاتها ، كما صنع بين الدكتور طه حسين والأستاذ توفيق الحكيم ، وقد خص الثاني بقسط كبير من عنايته في تحليله وتبيين سماته وملامحه .

والجانب الذي يوجه إليه الأستاذ سيد أكبر همه في الأعمال الأدبية ، هو الصور والظلال ، فهو يجسم أهميتها في فصول النقد العام ، ويتلمسها عند كل أديب ، ويجعلها أكبر « صنجة » في الميزان ، وله ألمعية نافذة في الوقوف والدلالة عليها .

وقد أجاد في تطبيق أسس النقد العام على الأمثلة التي اختارها لولا « شنشنة » ما كنا نود أن يكون « أخزمها » فقد حرص في كل فصل من الفصول الأولى ، عند ذكر ميزات وقيم الفنون على أن يجرد أو ينقص نصيب الأدب العربي منها : فهذا الأدب يغلب عليه طابع المعاني العامة المتبلورة والقضايا الذهنية الكلية ، ويطالع القارىء بنتيجة التجربة النفسية لا بطريقتها التي تشغل الحس وتستثير الخيال ؛ وهو فقير في الصور والظلال ؛ والشعر العربي لا يستطيع أن يقف على قدميه أمام الشعر العالمي فيما يلمح وراء الألفاظ والمعاني من الظلال الإنسانية والحالات النفسية ؛ وأن الطبيعة لم تكن متصلة بإحساس الشعراء العرب اتصال الصداقة والألفة ، فالطبيعة في الشعر العربي ( تستعمل من الظاهر ! )

والأستاذ سيد يطلق هذه القذائف في وجه الأدب العربي ؛ ثم يخلو إلى قطع مختارة من الآداب الغربية والهندية والفارسية ، معظمها من كتاب « عرائس وشياطين » للأستاذ العقاد ، فيعكف على ما فيها من الميزات التي جرد منها الأدب العربي ، ويأتي من الشعر العربي بما يراه مجرداً من اللحم والدم ... وهذا صنيع عجيب لأن القطع غير العربية التي أتى بها مختارة ، والأستاذ سيد لم يطلع على كثير غيرها في آدابها ، على أن الأستاذ العقاد الذي اختار هذه القطع من معادنها التي هو خبير بها لم يفعل شيئا مما فعله سيد قطب في استخدامها في الحملة على الأدب العربي

ولست أرى المجال هنا لإثبات ما نفاه المؤلف عن الأدب العربي ، لأنني هنا بصدد التعريف والنظرات العامة .

وأستطيع الآن أن أقول إن الأستاذ يجاوز ميدانه جاهداً ، فيثير غباراً تقذى به عيون بريئة ...

ولم يكن المؤلف منصفا كل الإنصاف في الموازنة بين شوقي وعزيز أباظة في الرواية الشعرية ، ومرد ذلك — فيما ألمح — إلى ما استقر عنده من هوان أمر شوقي في الشعر ، وقد بدا تحامله على شوقي في نقد الأبيات الآتية من « مجنون ليلى » :

لمْ إذن يا هند من      قيس ومما قال تبرا

—

أنعم ( مناز ) مساء      نعمت سعد مساء

—

أوغل الليل فلنقم

بل رويدا      واسمى ( ليل )

خلى عنى دعنى

يأخذ عليه في البيت الأول تسكين ميم (لم) وتسهيل الهمزة في ( تبرا ) وفي الباقي ترخيم منازل وليلى بجعلهما ( مناز )و(ليل) ويعد هذه ضرورات يعيبها عليه ... مع العلم بأن تسكين همزة (لم) وتسهيل الهمزة كثير جداً في الشعر ، ولا غبار عليه ... أما ترخيم المنادى فليس من الضرورات ، فهو يكون في النثر كما يكون في الشعر ؛ وهذا ، وذاك ، وذلك ، أمور مستساغة ، بل كثيراً ما تستعذب وتستملح .

ومما أخطأه الإنصاف فيه نقده لتيمور إذ يصف فنه بالفتور ، وبأنه يؤثر اللطف والدعة على الانفعال والحيوية . وهو في هذا يصنع موازين ( غير مختومة ... ) ويزن بها .

فهذا أديب وديع لطيف يصدر في أدبه عن ذات نفسه ، فيؤثر فيه اللطف والدعة ، أليس هذا من « الصدق الذاتي » في الأدب ؟ أولا يكون النتاج معجباً إلا إذا صخب فيه الأديب وعربد ... ؟

وعلى الرغم من كل ذلك فكتاب « كتب وشخصيات » مرحلة من مراحل النقد في أدبنا الحديث ، فيها نضج كثير ودنو من المثال ، وأسلوب الكتاب هو أسلوب الأستاذ سيد قطب الذي يعرفه القراء دقيق التعبير نابضاً بالحياة ، وسيد قطب هو «الناقد اللازم» الآن للمكتبة العربية ، وعدته في ذلك «رصيد» ضخم من الطبيعة الفنية ، ونفاذ بارع ، وجد بالغ ، وقدر لا بأس به من التجرد من عوائق مسير النقد في سبيل الإنصاف ، على أن هذا القدر يعوز الكثيرين ...

عباس حسان خضر

# أبو عبيدة بن الجراح

تأليف الأستاذ طه عبد الباقي سرور

كتاب تاريخي لعلم من الأعلام الخفاقة في الإسلام .. الزعيم العتيد أبو عبيدة بن الجراح ، ولا شك أنه شخصية عزيزة على الإسلام أثيرة عند المسلمين كان لها يد ناصعة في رفعة الإسلام وسيف بارق في فتح البلاد التي غزاها ... كان أبو عبيدة رجلا كاملا تجتمع فيه الصفات النبيلة كلها فلا ترهبه هذا بل يزيده تواضعاً إلى ربه وخشوعا .. كان يخاف المديح ويتحاشاه وهو الذي هزأ بالموت وتحداه حتى غلب على أمره . ولم يكن هذا صادراً إلا عن النفسية الإسلامية التي لاتنتظر الجزاء عند الناس بل يمتد أفقها إلى ماهو أعلى من الناس وأرفع . كان يأتي كل خير ونظره وفؤاده إلى الله وحده يرنوان ، فتراه حين يتفشى الطاعون في قومه المحاربين بالقدس يأبى أن يعود إلى المدينة ، ويرسل إليه عمر أمراً بعودته ويشفعه بأن هناك جليلا ينتظره فيعرف قصد عمر ويسر لعاطفة الأمير النبيلة لكنه يخالف الأمر لأول مرة في حياته

وتراه قبل ذلك وهو يستقبل عمر على أبواب القدس ، ويعرف عمر بالمرض المنتشر في المدينة فيفكر في الرجوع فيقوم أبو عبيدة في وجهه صارخاً « أفرار من قدر الله يا عمر ! فيجيبه الفاروق في تأثر وخشوع : أجل ! فرار من قدر الله إلى قدر الله » ويظل النقاش دائراً حتى يأتي عثمان فيدلي اليهما بحديث عن النبي (ص) فينحسم النقاش ويرجع عمر أدراجه ، ويدخل أبو عبيدة القدس عارفاً بما ينتظره هناك فيتلقاه في رهبة أبي عبيدة وثباته .. ويجزع أن يجد الخير قد كثر والرزق قد انهمر عليه فيوزع ما لديه حتى لا يصبح عنده إلا ما يمنع العوز ويكفي السؤال . وهكذا عاش أبو عبيدة ، وهكذا مات ، يضرب الأمثال حيا وحين يموت فإذا هي خالدة تشرئب لذكرها أعناق المسلمين وترتفع بها هاماتهم مفاخرة مدلة بقواد الإسلام وأعلامه .

ولا يسعنا إلا أن نشكر للأستاذ طه سرور مجهوده القيم ، ولكن يبدو أن المصادر كانت قليلة بين يديه فدعاه ذلك إلى الكتابة بأسلوب انشائي بعض الشيء سبك به القصص التي رواها ولكنه لم يرو عن تاريخ حياته ما يروى غلة القارىء ، وهذا شيء كنا أحوج اليه من الأقاصيص ... كما أن الأستاذ طه عمد إلى الإنشاء أيضا في التحليل الذي كان يستخلصه من الأقصوصة ، وهذا شيء نأخذه عليه ؛ لأن التحليل في القصص إنما يكون لرسم الخطوط الرئيسية في الشخصية حتى تخرج من آخر كل أقصوصة بخط جديد ، وهذا لا يحتاج إلى الإنشاء بل إلى التغلغل في الناحية النفسية التي تبرزها لك الأقصوصة .

وليس معنى هذا أننا نبخس المؤلف حقه ، إنما نطالبه بما كنا نأمل . وعسى أن تحقق آمالنا في البحث الآتي إن شاء الله .

ثروت أباظة

# سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

## نظام حجز المقاعد مقدما بعربات الدرجة الأولى الفاخرة المجهزة بجهاز تكييف الهواء

---

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٦ ولحين صدور إعلان آخر تقرر إضافة عربة درجة أولى فاخرة مجهزة بجهاز تكييف الهواء على القطارين الآتيين :

١ — قطار رقم ٨٠ الذى يبرح القاهرة فى الساعة ٨٠٠ أيام الآحاد والثلاثاء والخميس من كل أسبوع إلى الأقصر .

٢ — قطار رقم ٨٣ الذى يبرح الأقصر فى الساعة ٥٣٠ أيام الاثنين والأربعاء والجمعة من كل أسبوع إلى القاهرة .

وتسهيلا لركاب الدرجة الأولى المسافرين بهذين القطارين الذين يرغبون فى حجز مقاعد لهم مقدماً فى هذه العربات يتبع الآتى : —

أولاً — تقدم طلبات حجز المقاعد إلى ناظر محطة القيام ( مصر أو الأقصر ) فى أى وقت ما بين الساعة ٨٠٠ والساعة ١٨٠٠ بشرط أن يكون ذلك قبل قيام القطار المطلوب بثلاث ساعات على الأقل .

ثانياً — يحصل رسم إضافى قدره ٣٠٠ مليم عن كل مقعد محجوز ولا يرد هذا المبلغ بأى حال من الأحوال حتى ولو تخلف الراكب عن السفر من قطار إلى آخر أو عدل عن السفر .

ثالثاً — يعطى للراكب إيصال موضحاً به جهة القيام والوصول وإسم الراكب ورقم المقعد والعربة والقطار ووقت وتاريخ القيام

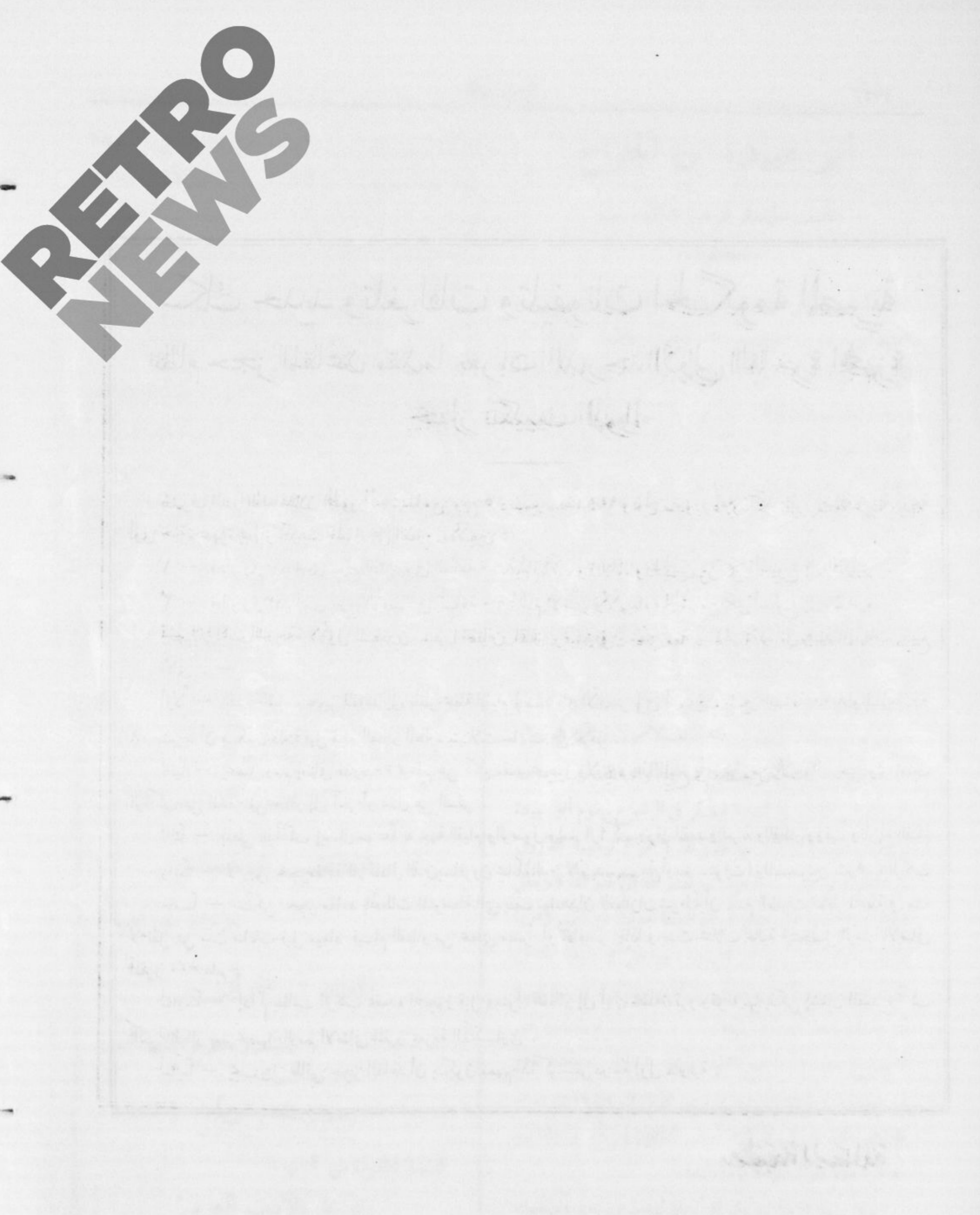
رابعاً — لا يجوز حجز مقاعد للأطفال الذين يسافرون مجاناً (الذين لا تزيد سنهم عن أربع سنوات) والمصحوبين بغيرهم من الركاب

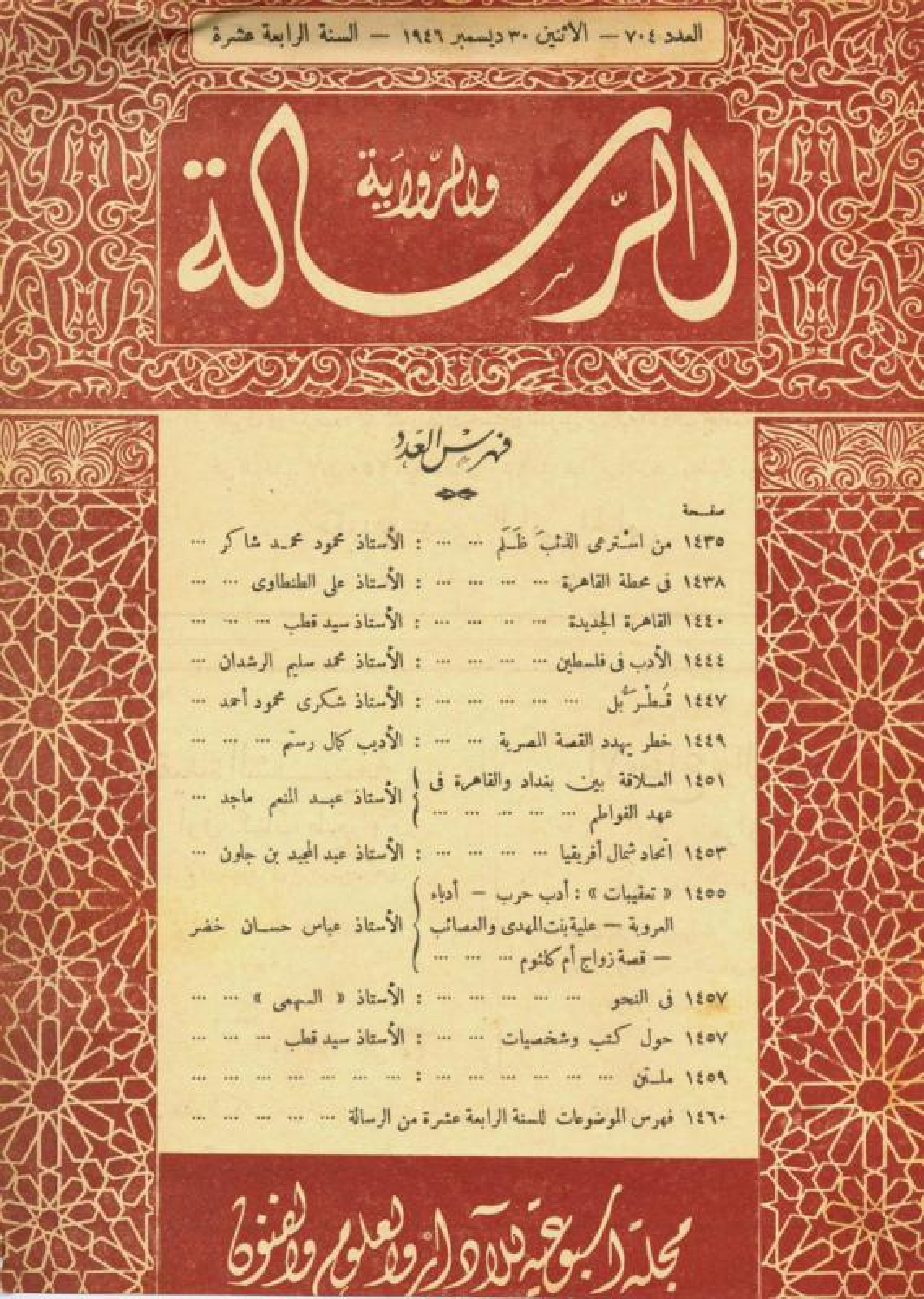
خامساً — يمكن حجز مقاعد بالمحطات المتوسطة التى يقف بها هذان القطاران شرطاً أن تقدم الطلبات لناظر المحطة فى مدة لا تقل عن ست ساعات قبل ميعاد قيام القطار من محطتى مصر أو الأقصر فاذا وجدت محلات خالية فيتحصل الرسم الاضافى المقرر ٣٠٠ مليم .

سادساً — إذا لم يطالب الركاب بمقعده المحجوز قبل وصول القطار إلى أول محطة مقرر وقوفه بها يمكن إشغال المقعد براكب آخر بالقطار بعد تحصيل الرسم الاضافى المقرر بمعرفة الكمسارى .

سابعاً — يجب على طالبى حجز المقاعد أن يكون معهم تذاكر سفر درجة أولى قانونية .

مطبعة الرسالة





العدد ٧٠٤ — الاثنين ٣٠ ديسمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

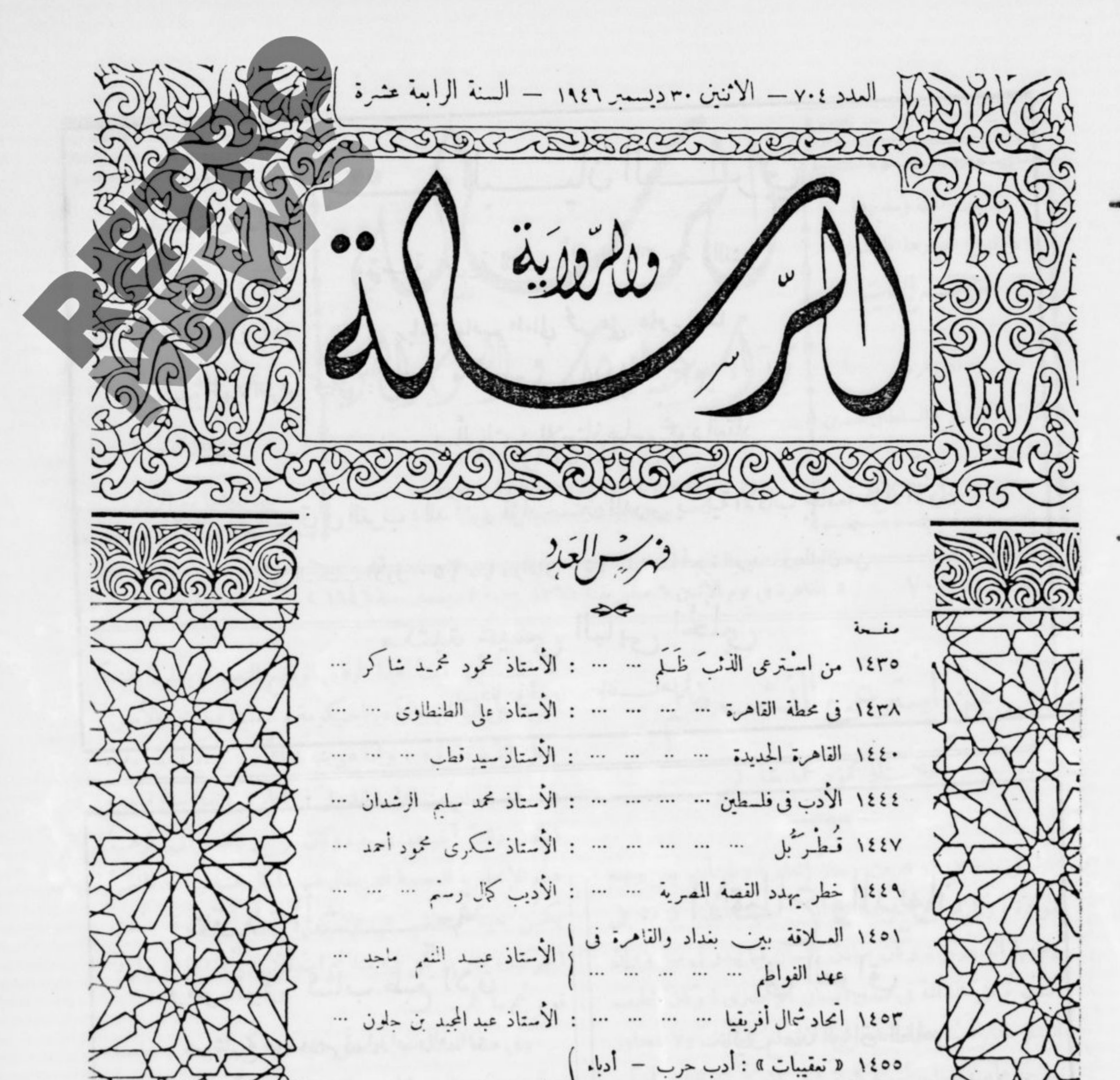
# الرسالة والرواية

## فهرس العدد



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

المدد ٧٠٤ — الاثنين ٣٠ ديسمبر ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

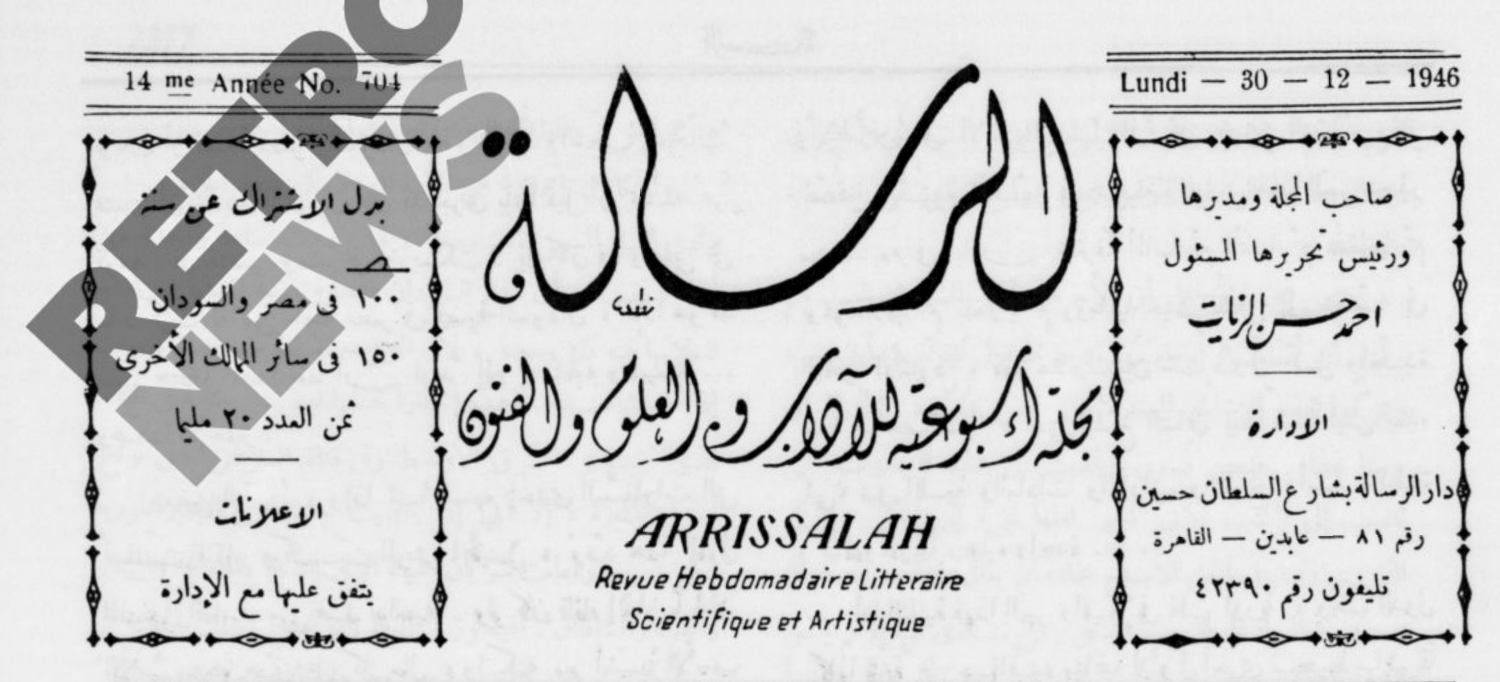



فهرس العدد



٢٧ . ٥٣

مجلة إسبوعية للآداب والعلوم والفنون


14 me Année No. 704
Lundi — 30 — 12 — 1946

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧٠٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ صفر سنة ١٣٦٦ — ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة



# مَنِ اسْترعَى الذئبَ ظَلَم

للأستاذ محمود محمد شاكر

فى سنة ١٩٢٧ عرفت رجلاً إنجليزياً ، فنشأت بينى وبينه مودّة ، وكان رجلاً حريصاً على أن يعرف أشياء كثيرة على وجهها الصحيح ، وكان صادق اللسان فيما يبدو لى منه ، وإن كنت قَلِقَ الشكّ فى صدق اللسان الإنجليزى ! وكانَ لطيف المعشر طلق المحيَّا ، فيه دُعابة رقيقة لا تبلُغُ العُنفَ ولا يتجاوز بها حدَّها . وبقينا معاً سنة كاملةً ؛ فكان كأكمل الناس أدباً ، وأزكنهم عقلاً وأبعدهم عن الملاحاةِ والمغاضبة وسوءِ العشرةِ . وكان إذا تقصَّى منّى أمراً أخلصتُه القول ، فقد ظننتُ أنى جرَّبْتُه وعرفته ونفذت فى طوايا ضميره . وكان هو يحدّثنى فلا أشكُّ أبداً أنه كسائر أهل جلدته ، بل كان خَلقاً غير الخلقِ منهم ، فهو يقول ويعنى ما يقول ، وليس كأمثالهم يتسلَّل من إهاب ليدخلَ فى إهابٍ . ولم أزل أطمئنّ إليه وإلى حديثه وإلى بثّه ما فى نفسى ونفس بلادى مِنْ شعورٍ ، فكان لا يتردّدُ فى إعطاء الحق لمن له الحقُّ ، ولا يرضَى أن يكونَ ظالماً ولا متعنتاً ولا مدافعاً بالعصبية أو الكبرياء أو المراءاةِ .

وفى سنة ١٩٢٨ جاءت امرأتُه من بلادها ودعانى مرّات فما لبثتُ أن رأيتُ هذا الرفيق الوديع المنصِف ينقلبُ خشناً جريئاً على الباطل جائراً فى الحكومة ، متعنّتاً فيما كان بالأمسِ يعطى النَّصفةَ فيه ، وإذا هو شديد اللَّدَد تيّاه الخصومةِ ، وإذا هو ينسلخُ من إهاب ليدخلَ فى إهابٍ كفعل سائر قومه ، فكانَ ذلكَ آخر عهدى به ، وكان من عاقبته أنى كرهتُ هذه الإنجليزية العجيبة التى يقال فيها ما قال الشاعر : « كالعُرِّ يكمُنُ حيناً ثم ينتشرُ » . فإنّ مجىء امرأته أعداهُ كما يُعْدى الجرَبُ ، فثار ما كمن فيه منه ثم اسْتَشْرى ، فإذا هو وافِدُ قومٍ هُم ما هُمْ .

وفى هذه السنة التى انتفض عليه فيها عُرُّ قومه ، جلسنا يوماً نتحدّث فجرى الحديث إلى ذكر السودان ، فقال لى إن قضية مصر فى مسألة السودان ليست إلا دعْوَى لا خيرفيها ، فإن هذا النِّيل الذى تزعمون أنه ربط بين مصر والسودان رباطاً لا انفصام له لاينفعكم فى إقرار الحجة لدعواكم أن مصر والسودان أمّة واحدة أو ينبغى أن تكون أمة واحدة . وقال : أرأيت إلى نهر الدّانوب ، كيف يجوزُ فى العقول أن يَدّعى مُدَّعٍ ممن يعيش على مدّه أنه يُوجِب توحيد الأمم التى عليه لتكون أمة واحدة ؟ أو ليس إذا قام شعبٌ من شعوب الدانوب فادّعى بمثل ما تدّعون ، فإن الواقع كله يبطل حُجّته ، والعقل يوجب أنْ يشكَّ المرء فى صحة إدراك هذا الشعب ؟ فهذه هذه ، فليس ينفع قضيّة مصر أن تدّعى أن النيلَ يمسكها هو الرباط الذى

يوجب أن تصير مصر والسودان أمة واحدة . والعجب العجاب عندى أن حديث السودان كان قد جرى بيننا قبل أن يمسه عزّ قومه ، فلم يقتصر يومئذ على أن يسكت ؛ بل كان قد وافقنى على ما ذكرت له من حجة مصر فى قضية السودان ، فإذا هو قد نسى كل هذا بعد أن ارتد إلى سنخه وطبيعته ... وهكذا الإنجليز .

ومضى الزمن ، وإذا بنا نسمع إحدى الببغاوات التى سلبت العقل وكسيت الريش الجميل ، تردد هذا القول الدخول الفاسد من جميع نواحيه . ولو كان قائله إنجليزياً لهان الأمر ، وهو هين على كل حال ، ولكنه مع أشد الأسف سودانى بالمولد والإهاب ، أما قلبه فقد بيع بالمزاد فوقع فى قبضة الرجل الذى رفعته إنجلترا بين عشية وضحاها من وهدة البؤس والحرمان ، وكان فيهما وحلا فاضلا ، إلى ذروة الغنى والجاه ، فأصبح بعدها جانحاً إلى النقصان ساعة بعد ساعة .

زعمت الببغاء أن ليس فى الدنيا شىء يقال له وحدة وادى النيل ، كما أنه ليس فى الدنيا شىء يقال له وحدة نهر الدانوب ، وأن الذى يبطل هذه يبطل تلك فى مقام الاحتجاج ، ويخرج من هذا إلى أن السودان ينبغى أن يكون أمة وحده ، وأن مصر أو أنرياء مصر ! « ينصبون فخاخاً تخفى أغراضهم الحقيقية ببراعة بالغة خلف الثوب اللامع من الدين واللغة والتاريخ ، وهو الثوب الذى اصطنعوه بأيديهم » . هكذا قالت الببغاء التى يزعمون أنها رئيس تحرير جريدة النيل وعضو فى وفد حزب الأمة فى لندن لهذا التاريخ !

فهذه الببغاء تجمع إلى نقيصة الترديد والتقليد نقائص كل واحدة منها شر من الأخرى هى الجهل بمعنى ما يقول ، والكذب على أهل السودان ، والجرأة فى التهجم على الناس بما ليس يعلم ، والتدليس فى التاريخ ، والعبث بمصير أمته المصرية السودانية ، وشرهن جميعاً ما يلوح فى خبىء كلامه من العداوة البغيضة التى يؤرثها هو والمستأجرون من أمثاله بين مصر والسودان .

وقصة هذا الدانوب الذى يحتج به ذلك الإنجليزى ثم احتجت به الببغاء الملقنة ، قصة فاسدة المبنى والمعنى ، والإغماض فى الاحتجاج بها دال على ضيق التصور وقلة العقل وجثوم الجهل فى جمجمة قائلها . فهذا النهر ينحدر من منبعه فى بادن مخترقاً ألمانيا ثم النمسا ثم هنغاريا ثم يوغوسلافيا ثم بلغاريا ثم رومانيا حيث ينتهى إلى مصبه فى البحر الأسود ، فهو مشترك بين ست دول كل واحدة منها لها خصائصها ، حتى يبلغ التباين بينها مبلغاً ليس بعده شىء ، فى الألسنة والعادات والآداب والتاريخ وأسباب الحياة كلها تقريباً . هذه واحدة .

أما الثانية فهذا النهر واقع فى قلب أوربة ، وهذه الدول كلها قائمة على حفافيه متاخمة لدول أخرى تحيط بها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، فهو ليس نهراً فى صحراء جرداء كما ترى فى نهر النيل الذى يحده من الشرق صحراء ، ومن الغرب صحراء ، ومن الشمال بحر ينتهى إليه مصبه ، وفيه دلتا مصر .

وأما الثالثة ، فهو أنه ليس نهراً تقوم على جوانبه الزراعة فى خط ضيق فى بلد واحد كالذى تراه فى نيل مصر والسودان ، بل لعل أكبر فوائده هى النقل لا الزراعة وحدها .

وأما الرابعة فهى أن هذا النهر يمر فى دول ست قوام حياتها الصناعة لا الزراعة وحدها . أما نهر النيل فالزراعة هى قوام حياة أهله وسبب أرزاقهم ، والذى فيه من مادة الخصب يوجب أن يكون نهراً للزراعة واستصلاح الأرضين البور التى تحف به من شرق وغرب .

وأما الخامسة فهى أن إقامة السدود على نهر الدانوب لا يمكن أن يراد بها إلحاق ضرر بالأرضين التى تقع على منحدره ، فإذا أراد ذلك مريد وعزم على أن يضر بلداً بمنع ماء الدانوب عنه فقد وقعت الواقعة بين ست دول كلها متأهب للحرب فى سبيل رد هذا البغى . فهو كما ترى أمر مستحيل بطبيعته .

وهناك قول كثير ولكن حسبنا هذا لمن يريد أن يفهم فهماً ، لا أن يردد الأقوال ترديد الببغاوات التى تباع وتشترى للأغراض الخبيثة التى تريدها إنجلترا بهذه البلاد المسكينة . فهذه المقابلة السخيفة بين مسألة الدانوب ومسألة النيل لا تدل على شىء إلا على جهل الناطق المردد لها ، ولا

تقوم حُجّة إلا على خُبْث النيّات التي أخذت تندسّ لتفرّق أوصال هذا الوادي وتزايل بين روابطه التي لن تنفصم، بإذن الله.

ونحن نحمد الله على أن الأحرارَ أهلَ السودان ليس لهم رأي أن يقطعوا أرحامَهم، ويُخربوا بُيوتهم بأيديهم، ويمزّقوا هذه الوشائج الممتدّة من أقصى عُهود التاريخ إلى يومنا هذا. فنحن نسوق الحديث إلى هذه الببغاوات التي تنتسب إلى الشعب الأبيّ الحرّ لعلها تفيء إلى الحقّ، وإلى الذين يهادنون في الحق الأبلج مخافة أن يقالَ إن مصر تريد أن تبسط سلطانها على السُّودَان في زمن تنادى فيه الأمم بالحق الأبلج أيضاً في تقرير المصير. ولولا أن هذا كله تدليس خفيّ يُرادُ أن ترَوّعَ به القلوبُ، ثم يتغلغلَ خُفية إلى معانٍ بعيدة يُراد بها قتل السودانِ ومصر جميعاً، لكان الردّ عليه هو إهمالُه وازدراؤه.

إن هذا النيل الجاري بين الصحراء الشرقية والصحراء الغربية من أقصى الجنوب إلى أدنى الشمالِ يُوجِب أن يكون أمةً واحدةً، فليس مثله كمثل الدانوب. فإنه إذا قُدّر للسودان أن يكونَ وحده مستقلاً، وهذا أبعد البعيد، أو تحت سلطان انجلترا، وهو الشيء الحادث والذي يُراد الإيغال في إقراره بفصله فصلاً تاماً عن مصر، فإن الخطر الداهم والداهية المصبوبة تكون على مصر جائمة حاضرةً في كل أوانٍ، فإن أسهل السّهل أن تُضارّنا إنجلترا في ماء النيل، وأن تمنعنا رِفْده متى شاءت وتتخذه سلاحاً مخوفاً مفزعاً وحشياً للتهديد والإرهابِ بقطع مادّة الحياة في مصر بل في الشرق الأوسط كله، فإن قحط مصر هو قحط الشرق الأوسط، بل قحط جُزءٍ عظيم من حوض البحر الأبيض المتوسط. فإذا كان ذلك فبمن نستنجد؟ ومن أين نؤمّل النُّصرة؟ برمال الصحراء الشرقية وسوافي الصحراء الغربية!! إنه إذا كان مثل ذلك في أي مكانٍ من الدانوب لهبّت أممٌ بأسرها — أم صناعية — تدفع البَغْى دفعاً رادعاً رادّاً للحق مانعاً لاستمرار هذا البغي. أما مصر، فماذا تصنعُ أيها المأجورون للدسيسة الإنجليزية! أتدافع برجالٍ هدّهم الجوعُ والظمأُ والوباء؟ تعست الحماقة!

ولو كانت إنجلترا هي الأمة التي تسكن هذا الجزء من وادي النيل المسمى باسم مصر، لما تردّدت ساعة واحدة من أجل هذا وحده أن تفتح السودان فتحاً وتنهبه انتهاباً، وتحتج لفعلاتها فيه بكل حجةٍ، لأن النيل حياة إذا جاء بمده، وموت إذا أمسك سَيْبه. وهذه إنجلترا نفسها ليس لها حُجة في البقاء الذي تريده في الشرق الأوسط وفي قناة السويسِ وفي نواح أخرى كثيرة، إلا أنها إذا خُلّيت جلبت على الإمبراطورية كل شرّ، وقطعت شرْيان الحياة الذي يمدّها بالطعامِ والمال والقوة والسلطان. أفيجوز في العقل أن تحتج إنجلترا بذلك في سبيل أن تبقى عند قناة السويس وفي فلسطين، ولا نحتجُّ نحنُ بأضرارٍ محققةٍ إذا كان في السودان إنسانٌ واحدٌ في يده قدرةٌ على الإضرار بمصر إضراراً يصيب أبدان أهلها وأرواحهم، ثم أبدان ملايين أخر من أهل الأمم التي تجاورنا ونستمين بها وتستمين بنا.

> **عدد «الرسالة» الممتاز**
>
> يصدر بعون الله حافلا كعادته بالشهي الطلي من ثمار الثقافة الاسلامية الصحيحة لكبار الكتاب في ٥ يناير سنة ١٩٤٧

ونحن لا نقول هذا ولا نسوق الحجة على هذا الوجه لندعي — كما يُراد لنا اليومَ أن ندّعي — أنّ لمصر حقاً في استعمار السودان أو احتلاله أو الوصاية عليه أو غير ذلك من الأباطيل المضللة، بل لنقول إنّ هذا وحده يوجِبُ عقلاً أن يكون وادي النيل كلّه دولةً واحدة، لها حكومةٌ واحدة، وتشريع واحدٌ، ونظامٌ نيابي واحدٌ، شأنُ السودان فيها كشأن أسْوَان، وقنا وجرجا ومديريات مصر كلها، فإن موقع أية مديرية من هذه المديريات كلها هو من الناحية الجغرافية كموقع السودان؛ فلو جاز أن يُفصل السودان اليوم عن مِصر بحجة، فهذه الحجة تنطبق كل الانطباق على أسوان ثم قنا ثم جرجا إلى أن تبتلع النيل كله. وأيضا فإن مكان السودان كمكانها من الناحية التاريخية والأدبية والأخلاقية والدينية. وإذن فالنيل يحدث بلسانٍ لا يكذبُ بأنه لا يمكن أن يتجزّأ إلا إذا جاز التجزؤ على هذه المديريات حتى تُصبح كلّ واحدة دولة قائمة برأسها. والشعب الذي يسكن أسفل الوادي (المعروف باسم مصر)، والشعب الآخر الذي يسكنُ أعلاه (المعروف باسم السودان)،

# في محطة القاهرة

للأستاذ علي الطنطاوي

دخل (المحطة) في اليوم السادس من سبتمبر سنة ١٩٢٨ وخرج من (المحطة) في اليوم التاسع عشر من ديسمبر سنة ١٩٤٦ دخل من باب، وخرج من باب، وكانت المحطة كأنها النسخة المختصرة من كتاب الدنيا، وكأنها الصورة المصغرة لها: كل يركض إلى غايته، ويزحم بكتفه، ويدفع بيده، ويعتدى ويُعتدى عليه، والحمالون ينهبون أموال الناس ما استطاعوا، والناس يتقونه ما قدروا، والقطُر تصفّر وتزمجر وتملأ الجو دخاناً وشراراً، وتسرع لتفرق أحباباً، وتجمع أحباباً، وتريق دموعاً وتضحك أفواهاً، وكأن صفيرها لحن الوصال العذب لناس، ونواح الفراق الأليم لآخرين، وكان الباب يفتح أبداً ويغلق، والناس يدخلون ويخرجون، لا يلتفت أحد إلى أحد، ولا يسأل سائل أخاه عن آلامه ولا عن آماله، فهو يستمتع بمسراته وحده ويتجرع أحزانه بلا معين ...

والمحطة كالدنيا تسعد وتشقى، وما تسعد المرء ولا تشقيه إلا نفسه وذكرياته. هذا يحبها لأنه دخلها في مسرة، واستقبل فيها الحبيب، فهو يذكر كلما مرّ بها، أو سمع صفير قطُرها، تلك الساعة التي كانت عنده العمر، ساعة جاءه البشير بقدوم حبيبه فذهب إليها يكاد يطير من الشوق، وقام ينتظر القطار لا يستطيع أن يستقر في مكان، واستبطأ الوقت فهو يخرج ساعته كل دقيقة، يحسب الدقيقة من الانتظار دهراً، فيراها لا تتحرك عقاربها، حتى إذا صفر القطار وهدر خفق له قلبه، وغلى في عروقه دمه، فركض إليه، فلما أبصره رأى سواده نوراً مشرقاً لأنه يحمل الحبيب، وناره المتقدة برداً على قلبه وسلاماً، ودخانه أرق من النسيم العليل؛ ورآه بثقله أخف من الطيف السارى وأقبل يزاحم الناس، يطأ بقدمه حيث لا يدرى لأن بصره

---

شعبٌ واحدٌ ناطقٌ بلسان عربيٍّ مبين لا يعرف نفاق اللسان الإنجليزى ولا تكاذُبه وخداعَه، بأنه أيضاً لا يستطيع أن يتجزأ، ولا هو قابل للتجزّؤ.

ولقد استزلّ الشيطانُ بعض ساستنا؛ فأخذوا يقولون إنّ مِصر لا تريد أن تستعمِر السودان، بل تريد أن تمنحه الاستقلال الذاتى! مِهلاً مهلاً أيها الرجال، فإن هذا ما يريده الإنجليز، إنهم يريدون أن تقرُّوا بألسنتكم ما الحق شاهدٌ على بُطلانه، وهو أن الشعب المصرىّ شىء، والشعب السودانى شىءٌ آخر؛ ويريدون أن تقولوا إن النيل ممكنٌ أن يتجزَّأ، ولو بعضَ التجزّؤ، فإن هذا حسبهم منكم اعترافاً وتقريراً.

فتوبوا أيها الساسة من هذا الإثم، ولا يُرهبكم حقُّ تقرير المصير، ولا مجلس الأمن، ولا هيئة الأمم المتحدة، فإن هذه الرهبة باطِلٌ كلُّها. توبوا أيها السّاسة، ولا تخافوا من أكذوبة الدانوب، فهو النهر الوحيد الذى تتعدَّدُ الدُّول على حفافيه، وهو نهر ليس له قيمة زراعية. واعلموا أنه لا يكاد يوجد فى الدنيا كلها نهرٌ زراعىٌّ واقعٌ مجراه فى أكثر من أمةٍ واحدةٍ، وهذه الأمة الواحدة يكون لها كل السلطان عليه من منبعه إلى مصبه. لا تخافوا أيها الساسة وتوبوا وتبرأوا مما قلتم، وخيرٌ لكم أن تدرسوا طبيعة النيل والأضرار المخوفة من تمزيقه، وأن تعرفوا ما ذا تريدُ إنجلترا بفصل السودان عن مِصر وضمّه إلى الجزء المفضى إلى جنوب إفريقية والجنرال سمطس، فهنالك البلاء الأعظم.

أيها المصريون السودانيون: إن النيل هو إفريقية كلُّها، فاحذروا أن تضيعوا أوطانكم، وتُذلّوا بأمجادِكم، وتضعوا أعناقكم فى نير العبودية السرمدية إذا احتوشتكُمْ العناصر الغريبة عن إفريقية النائمة التى بدأت تستيقظ من غفوة طالت عليها الآباد. احذروا كذب البغاة الطغاة المفسدين فى الأرض، واحذروا بغاواتهم وصنماءهم فإنهم الحارقة الآكلة إذا استمكنوا منكم وأوضعوا خِلالكم يبغونكم الفتنة ويَسُومونكم ذُلا مستوراً يبهرج الاستقلال وتقرير المصير. لا تخافوا مجلس الأمن ولا هيئة الأمم إذا قدمتم إليهم قضيَّة فيها كلّ دليل لا يبطله شىء من تاريخ ولا عقلٍ ولا مصلحةٍ.

وأنتم يا أخواننا وأهلنا وعشيرتنا فى السودان احذروا الدولة التى تريد استقلالكم، وتريد أن ترعاه لكم، كما رعت غيره من قبل!! فإن «من استرعى الذئبَ ظَلَم»!

**محمود محمد شاكر**

معلق بالنوافذ ينظر الوجوه فلا يحفل بها ويبصرها كالسرج المطفأة ، لأنه يريد وجهاً واحداً يراه مضيئاً بالسناء ، حتى إذا وصل إليه وصل إلى السعادة ... فهو يذكرها كما رأى المحطة .

وهذه تكرهها لأنها عرفت الشقاء فيها ، وذاقت غصة الحياة بين جدرانها ، فقد كانت سعيدة حتى حل الوداع ، ودنا السفر ، وصحبته إلى المحطة ، فوقفت معه ، ثم سايرته إلى رصيف القطار ، فصعدت معه إليه ، وقعدت تكلمه كما كانت تكلمه كل يوم ، تتحدث بتوافه الأمور ، ولو علمت أن هـذا آخر لقاء ما كان ذاك حديثها ؛ ثم صفر القطار فشـدت على يده وعانقته عناقاً خفيفاً على استحياء من الناس ونزلت ، فوقفت تنظر إليه وهو فى شباكه ، والقطار يبتعد .. ولـكنها لا تزال تعيش بقربه لم تذق بعـد طعم الهجر ولم تعرفه ، حتى إذا اختفى عن ناظريها ورأت نفسها منفردة ، صحت كما يصحو النائم من الحلم الممتع ليس فى يده شىء منـه ، وتبدلت حياتها السعيدة بالوصال شقاء وألماً ، وانطفأ النور الذى كان يهديها السبيل ، وكانت المحطة هى خاتمة سعادتها ، وهى فاتحة شقائها ، فهى تحج إليها كل يوم ، تقوم حيث قام الحبيب آخر مرة ، وتشم عبقه وتتحسس موطىء أقدامه وتبحث عنه حيث تركته فى شباك القطار ، وتذكر كل حركة من حركاته ، وكلمة من كلماته ، حتى صار ذلك مدار أفكارها ، وعماد حياتها ، ولـكنها كانت تكره المحطة ، لأنها هى سبب الفراق ...

وما فى الدنيا مكان تسفر فيه محجبات العواطف ، وتبرز مكنونات الضمائر كالمحطة ، وما فى الأمكنة ماهو أحفل بالذكريات منها ، فى كل إصبع منها ذكرى عزيزة على قلب ، وقطعة من حياة إنسان .

هنالك تبصر المختلف من ألوان الحياة قد ائتلف فى هـذه الصورة المعروضة ، والشتيت قد اجتمع ، وهنالك أمام الحاجز الحديدى ذى الأبواب المؤدية إلى الأرصفة ، لا يفصل باباً عن باب ، ورصيفاً عن رصيف إلا جدار ... ترى جموع الناس فى مدّ وجزر ، كما تضرب أمواج البحر صخرة الشاطىء ، يدخل الرجل من الباب فيصل منه إلى البلد الطيب ، ويدخل الآخر من الباب إلى جنبه فيحمله إلى القرية المقفرة ، وهـذا الرصيف فيه لقاء الأحبة ، وهذا فيه الهجر والبعاد ، وكذلك الخطوط فى الحياة تتقارب بداياتها وتتباعد نهاياتها :

يتردد الطالب إذ يخرج من المدرسة بين طريقين لا يفصل بينهما إلا القليل ، ولـكن هذا يمشى إلى الجنة وهذا إلى النار ، ويتردد التاجر بين أن يشترى البضاعة أو يدعها ، وما يتردد إلا بين الخسران والضياع والربح واليسار ...

***

دخل من باب وخرج من باب ، ولـكن المحطة لم تنظر إليه . فقد رأت من الناس وشاهدت من الأحداث ، وأبصرت من القبل والدموع ، ومن المسرات والأحزان ، ما جعلها تملّ ، فأغمضت عينيها ؛ وتركت هذا السيل البشرى يجرى على هواه يحمل معه ما شاء من لذاته وآلامه ، ونامت .

دخل شابا فى العشرين متوقدا حماسة ، يفور دمه ويتوثب يريد أن يبلغ الذروة بقفزة واحدة ، وخرج شيخا فى سن الشباب لا يفور دمه ولا يتوثب ، ولا يريد أن يبلغ الذروة ولا يفـكر فيها . لا يفـكر إلا فى شىء واحد هو أن يرى نفسه نائما على صفحة النسيم ، مرخى الأعصاب ، مغمض العينين ، لا يصنع شيئا ، ولا يعمل فـكره فى شىء حتى ... حتى يبلغ ساحل الموت .

دخل يحب الشهرة ويطمع فيها ، يريد أن يعرف الناس ويعرفوه ، وخرج زاهدا فى الشهرة ، خائفا من تـكاليفها ، يفزع من لقاء الناس لا يريد أن يعرف أحدا ولا يعرفه أحد .

دخل المحطة يستقبل الشام ، يدفعه الشوق إليها ، والغرام بها ، يستقبلها ببسمة تبدو من خـلال دموع الفرح ، كما تبدو شمس نيسان من خلال الغمام ، وترك من أجلها مقعده فى دار العـلوم ، ومستقبله فى مصر وخرج هاربا من دمشق يريد أن يبتعد عنها حتى لا يأسى على ما يرى فيها ، وما يكاد يرى فيها إلا ما يبعث الأسى ...

كان طالبا فى المدرسة همه الارتقاء من فصل إلى آخر ، وغايته الامتحان يريد النجاح فيه ، فصـار موظفا لم تعد له غاية يسعى إليها ، ولا هم يفـكر فيه فتشابهت أيامه ، وتماثلت لياليه ، وخلت من كل جديد ، يصبح خاملا متـكاسلا لأنه لا يرقب فى نهـاره شيئا ، ويمسى متـكاسلا خاملا لأنه لا ينتظر فى ليله شيئا ، ولم يعد يجد ما يعمله إلا أن يشغل نفسه ساعة كل أسبوع بالـكتابة للرسالة .

لقد كان إنسانا يحس ويشعر ، وكان له عقل يفكر ويدرس ، وقلب يحب ويصبو ، فعودته بالوظيفـة الـكسـل ، وسهلت له

العيش ، حتى خلا رأسه من الفكر ، وقلبه من الحب ، ويده من الشغل ، وصار آلة ( تعدد أياماً وتقبض راتباً ) ، ولكنها لا تستبقي من هذا الراتب شيئاً ، فالكيس أيضاً خال من المال .

إنه لا يشكو الفقر ولا المرض ولا التعب ، ولكنه يشكو البطالة ، وأن قواه معطلة ، وأن عقله صدئ ، وأنه كالجواد الأصيل المصفد بالأغلال الذي لا يستطيع أن يتحرك .

هذا هو الرجل الذي خرج من المحطة يوم الخميس الماضي . إنه مدين بحياته للرسالة ؛ لا لأنها تنشر له وتذيع اسمه ، كلا ، فهذا أمر لم يعد له عنده نفع ، بل لأنها هي التي تشعره بأنه حي ، هي التي تجعل له كل أسبوع جديداً يرقبه ويعيش له . إن الأيام عنده السبت والأحد ويوم الرسالة . فاذا انقطع عنها أسبوعاً ، محي من عمره هذا اليوم الذي يجمّل الأيام ونسي أنه يحيا كما يحيا الناس ، ويأمل في الحياة أملا .

لقد خرج من باب المحطة إلى البلد الواسع ، ولكنه ما يدري ما يجد فيه ، فالضيق في النفس لا في البلد وأعظم المدن للقلب المغلق سجن ، والسجن للقلب المتفتح جنة فيحاء ...

اللهم اشرح قلبه ، وصبّ فيه الحياة ، حتى يجد القراء في قلبه أدباً حياً .. فانه لا يخرج الأدب الحيّ قلم ميت ، يمدّه قلب مغلق ...

القاهرة **علي الطنطاوي**

---

**على هامش النقد :**

# القاهرة الجديدة

**تأليف الأستاذ نجيب محفوظ**

**للأستاذ سيد قطب**

من دلائل « غفلة النقد في مصر » التي تحدثت عنها في كلمة سابقة ، أن تمر هذه الرواية القصصية « القاهرة الجديدة » دون أن تثير ضجة أدبية أو ضجة اجتماعية ! .

ألأن كاتبها مؤلف شاب ؟ لقد كان « توفيق الحكيم » قبل خمسة عشر عاما مؤلفا شابا عندما أصدر أولى رواياته التمثيلية « أهل الكهف » فتلقاها الدكتور طه حسين ، وأثار حولها فرقعة هائلة . كانت هي مولد « توفيق الحكيم » الأدبي . ولم يمنع كونه في ذلك الحين شابا من إثارة ضجة حوله ، أبرزت أدبه للناس فانتفعوا به ، كما انتفع هو نفسه لأنه وجد الطريق بعدها مفتوحاً أمامه للنشر والشهرة .

و « القاهرة الجديدة » شأنها شأن « خان الخليلي » للمؤلف نفسه لا تقل أهمية في عالم الرواية القصصية في الأدب العربي عن شأن « أهل الكهف » و « شهر زاد » لتوفيق الحكيم في عالم الرواية التمثيلية .

فماذا حدث ؟

هل صحيح أن الملابسات الشخصية كانت أهم العوامل التي جعلت الدكتور يكشف عما في « توفيق الحكيم » حينذاك من ذخيرة فنية ... ذلك أن ألقى توفيق بنفسه وبأدبه المغمور إذ ذاك في أحضان الدكتور قائلا : إنه يضع نفسه وفنه ومستقبله بين يدي « عميد الأدب » وأن نجيب محفوظ وأمثاله من شبان هذه الأيام لا يضعون أنفسهم ولا فنهم بين يدي أحد إلا جمهور القراء

أنا شخصياً لا أميل إلى قبول هذا الافتراض ؛ ولكنني أقدر أسبابا أخرى طبيعية :

فقبل خمسة عشر عاماً كانت « أهل الكهف » شيئاً فذا يلفت النظر بقوة . كان توفيق الحكيم يخطو خطوة واسعة جداً بالقياس إلى كل من سبقه في التمثيلية العربية . حقيقة إنه لم يكن يفتح فصلا جديداً في كتاب الأدب العربي ، كما قال الدكتور طه حينذاك . فهذا الفصل كان مفتوحاً في الناحية الشكلية . إنما كان الجديد الذي له قيمة فنية حقيقية في عمل توفيق الحكيم ، هو الانتفاع بالأساطير في عمل فني له قيمة أدبية . مع التقدم الواضح في طريقة الحوار وسبكه وجريانه .

أما اليوم فعمل من نوع « خان الخليلي » و « القاهرة الجديدة » يبدو وليس فيه من البريق ما يلفت النظر . فكثيرون كتبوا روايات قصصية ، وروايات تمثيلية ، وأقاصيص ... الخ .

ولكن كان على النقد اليقظ — لولا غفلة النقد في مصر — أن يكشف أن أعمال « نجيب محفوظ » هي نقطة البدء الحقيقية في إبداع رواية قصصية عربية أصيلة . فلأول مرة يبدو الطعم المحلي والعطر القومي في عمل فني له صفة إنسانية ؛ في الوقت الذي

لا يهبط مستواه الفنى عن المتوسط من الناحية الفنية المطلقة . فهو من هذه الناحية الأخيرة يساوى أعمال توفيق الحكيم فى التمثيلية .

أم إنه لابد لنجيب محفوظ وأمثاله أن يلقوا بأنفسهم فى أحضان أحد ، ليقدمهم إلى الناس ؟ .

لقد فات الوقت الذى كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة للظهور ، والجمهور لم يعد ينتظر هؤلاء الشيوخ ليقرأ ويحكم . فعلى هؤلاء الشيوخ أن يؤدوا واجبهم إذا شاءوا أن تظل الأنظار معلقة بهم كما كانت الحال ! .

القاهرة الجديدة ...

هى قصة المجتمع المصرى الحديث ، وما يضطرب فى كيانه من عوامل ، وما يصطدم فى أعماقه من اتجاهات .

قصة الصراع بين الروح والمادة ، بين العقائد الدينية والخلقية والاجتماعية والعلمية ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين الغنى والفقر ، بين الحب والمال ... فى مضمار الحياة .

وهى تبدأ فى نقطة الارتكاز فى الجامعة ، حيث تصطرع الأفكار الناشئة هناك بين طلابها - بفرض أن الجامعة ستكون هى « حقل التجارب والإكثار » للأفكار النظرية التى تسيّر الجيل ... ثم تدفع بشتى الأفكار والنظريات النابتة فى هذا الحقل ، إلى مضمار الحياة الواقعية ، وغمار الحياة اليومية ، وتصور صراع النظريات مع الواقع خطوة لخطوة ، تصوره انفعالات نفسية فى نفوس إنسانية ، وحوادث ووقائع وتيارات فى خضم الحياة .

وصفحة فصفحة نجدنا فى صميم الحياة المصرية اليومية . هذه الأفكار المجردة نعرفها ، وهذه الوجوه شهدناها من قبل ؛ وهذه الحوادث ليست غريبة علينا . نعم فيها شىء من القسوة السوداء فى بعض المواقف ، ولكنها فى عمومها أليفة . تؤلمنا ولا ننكرها ، وتؤذينا أحيانا ، ولكننا نتقبلها !

هذا هو الصدق الفنى . فنحن نعيش فى الرواية لحظة لحظة . نعيش مصريين ، ونعيش آدميين ، وفى المواقف القاسية ، فى مواقف الفضيحة ، حيث تبدو الرذيلة كالحة شوهاء مريرة ، نود لو نديرأعيننا عنها كيلا نراها ، ولكننا نقبل عليها مضطرين فنى القبح جاذبية ! . إنها الدمامل والبثور فى جسم مصر وفى جسم الإنسانية كذلك ، وإذا انفعلنا لها مرة لأننا مصريون ، انفعلنا لها أخرى ، لأننا ناس وإنسانيون .

***

لقد اختار المؤلف من بين طلاب الجامعة أربعة ليمثلوا الأفكار والاتجاهات التى تتصارع فى المجتمع الحديث ... !

الإيمان بالدين والخلق والفضيلة عن طريقه ، والالتجاء إليه طلباً للخلاص .

والإيمان بالمجتمع والعدالة الاجتماعية ، والصراع العملى لتحقيق الفضيلة الاجتماعية والشخصية من هذا الطريق .

والإيمان بالذات ، وعبادة المنفعة ، وتسخير المبادئ والمُثل والأفكار جميعاً لخدمة هذا الإله الجديد !

وموقف المتفرج الذى يرقب هذا وذاك وذلك لمجرد التسجيل والنظر والمشاهدة ... !

ونستطيع أن نلمح فى ثنايا الرواية وفى خاتمتها ميل المؤلف لأن ينتصر للمبادئ على كل حال ، وأن يحقر الإيمان بالذات والتدهور الخلقى والاجتماعى ، والقذارة ، والانحلال .

ولكنه لم يلق خطبة منبرية واحدة فى خلال ثمانين ومائة صفحة ولم يفتعل حادثة واحدة افتعالا ...

لى بعض الملاحظات على سياقة بعض الحوادث وشكلها . فقد كان فيها قسوة فى مواجهة صاحب الإيمان الثالث بالتجارب التى يحك عليها إيمانه ومبادئه ! قسوة لم تكن الرواية فى حاجة إليها لتصل إلى أهدافها ... ولكنها على كل حال بعيدة عن التزوير والافتعال .

فمثلا هـذا الشاب الذى أسماه « محجوب عبد الدايم » ، ووصفه فى هذه السطور :

« كان صاحب فلسفة استعارها من عقول مختلفة كما شاء هواه ، وفلسفة الحرية كما يفهمها هو ، و « طظ » أصدق شعار لها . هى التحرر من كل شىء ، من القيم والمثل والعقائد والمبادئ ، من التراث الاجتماعى عامة ! وهو القائل لنفسه ساخراً : إن أسرتى لم تورثنى شيئاً أسعد به ، فلا يجوز أن أرث عنها ما أشقى به ! ، وكان يقول أيضاً : إن أصدق محاولة فى الدنيا هى :

الدين + العلم + الفلسفة + الأخلاق = طظ ، وكان يفسر الفلسفات بمنطق ساخر يتسق مع هواه . فهو يعجب بقول ديكارت : « أنا أفكر فأنا موجود » ويتفق معه على أن النفس أساس الوجود ! ثم يقول بعد ذلك إن نفسه أهم ما فى الوجود ! وسعادتها هى كل مايعنيه ؛ ويعجب كذلك بما يقوله الاجتماعيون من أن المجتمع خالق القيم الأخلاقية والدينية جميعاً . ولذلك يرى من الجهالة والحمق أن يقف مبدأ أو قيمة حجر عثرة فى سبيل نفسه وسعادتها ! وإذا كان العلم هو الذى هيأ له التحرر من الأوهام ، فليس يعنى هذا أن يؤمن به أو أن يهبه حياته ، ولكن حسبه أن يستغله وأن يفيد منه ، فلم تكن سخريته من رجال العلم دون سخريته من رجال الدين ، وإنما غايته فى دنياه : اللذة والقوة بأيسر السبل والوسائل ، ودون مراعاة لخلق أو دين أو فضيلة .

لقد استعار هذه الفلسفة بإرشاد هواه ، ولكن تهيؤه لها نما معه منذ أمد بعيد . فهو مدين بنشأته للشارع والفطرة . كان والداه طيبين جاهلين ، ولظروفهما الخاصة ، أتم تكوينه فى طرق بلدة القناطر ، وكان لداته صبية شطاراً ينطلقون على فطرتهم بلا وازع ولا تهذيب . فسب وقذف وسرق ، واعتدى واعتدى عليه ، وتردى إلى الهاوية . ولما انتقل إلى جو جديد — المدرسة — أخذ يدرك أنه كان يحيا حياة قذرة ، وعانت نفسه مرارة العار والخوف والقلق والتمرد . ثم وجد نفسه فى بيئة جديدة ، طالباً من طلاب العلم بالجامعة ، ورأى حوله شباناً مهذبين يطمحون إلى الآمال البعيدة والمثل العالية ، ولكنه عثر كذلك على نزعات غريبة ، وآراء لم تدر له بخلد . عثر على موضة الإلحاد والتفسيرات التى يبشر بها علماء النفس والاجتماع للدين والأخلاق والظاهرات الاجتماعية الأخرى ، وسر بها سروراً شيطانياً ، وجمع من مخالبها فلسفة خاصة اطمأن بها قلبه الذى نهكه الشعور بالضعة . لقد كان وغداً ساقطاً مضمحلا ؛ فصار فى غمضة عين فيلسوفا ! المجتمع ساحر قديم . جمل من أشياء فضائل وجمل من أشياء رذائل ، ولقد وقف على سره وبرع فى سحره ، وسيجعل من الفضائل رذائل ، ومن الرذائل فضائل ، وفرك يديه سروراً ، وذكر ماضيه أطيب الذكر ، ورمق مستقبله بعين الاستبشار ، وألقى عن عاتقه شعور الضعة . بيد أنه أدرك منذ اللحظة الأولى أن فلسفته فلسفة سرية . يجوز أن يدعو « مأمون رضوان » إلى الإسلام جهاراً ، ويجوز أن يعلن « على طه » اعتناقه لحرية الفكر والاشتراكية . أما فلسفته هو فينبغى أن تظل سرية — لا احتراماً للرأى العام ، فإن من مبادئها احتقار كل شىء — ولكن لأنها لا تؤتى أكلها إلا إذا كفر الناس بها وآمن بها وحده ! ألا ترى أنه إذا آمن الناس جميعاً بالرذيلة لم يتميز بينهم بما يتيح له التفوق عليهم ؟ لذلك احتفظ بها لنفسه ، ولم يعلن منها إلا ما هو فى حكم الموضة كالإلحاد وحرية الفكر ؛ إلا إذا ضاق صدره أو غلبه شعور الوحشة ، فإنه ينفس عن قلبه بالمزاح والسخرية . فبدا للقوم ساخراً ماجناً ، لا شيطاناً مجرماً ، ومضى فى سبيله شاباً فقيراً بلاخلق ، يرصد الفرص ويتوثب للانقضاض عليها بحرارة لا تعرف الحدود » .

وهو تصوير معجب لشخصية هذا « النموذج » ، وقد صور زملاءه كذلك — كما صور كل شخصية جاءت فى الرواية — ويعجبنى فيه ذلك التعليل الصامت لاتجاهات « محجوب عبد الدايم » وزملائه . إنهم كلهم فى جامعة واحدة ، يدرسون نظريات واحدة ، ويخضعون لمؤثرات واحدة ، ولكن كلا منهم يختط طريقه فى التفكير والحياة بحكم مزاجه ووراثاته ورواسب شعوره ، ويخلق لنفسه فلسفة يعتمد فيها على نفس الأسباب والعلل التى يعتمد عليها الآخرون فى تكوين فلسفة مغايرة ! ويصدق سلوكهم فيما بعد هذه القواعد أيضاً .

حقيقة إن محجوب عبد الدايم لم يكن فى سلام مع شعوره دائماً وهو يواجه التجارب . فالنظريات شىء — مهما يكن الاقتناع بها ، ومهما تكن بواعثها — والتجارب العملية شىء آخر . ولكنه سار إلى نهاية الشوط ، ولم يقف إلا حين صدمته أنانية أخرى ففضحته ، وحين انفضحت الرذيلة فى القصة لم يكن ذلك ليقظة فى ضمير المجتمع فهو مجتمع مريض . وإنما كانت غلبة رذيلة على رذيلة ! !

ولكن - كما أشرت من قبل — آخذ على المؤلف قسوة لم تكن لها ضرورة فى بعض التجارب التى تواجه هذا الشاب . لقد خيرته الظروف بين أن يبقى بلا وظيفة . أو أن يكون

فى وظيفة مغرية ( سكرتير وكيل وزارة ثم مدير مكتب حينما يصبح وزيراً ) بثمن ! هو فى ذاته فادح . أن يتزوج بفتاة عبث بها الوكيل الوزير !

وأدى الثمن - حسب فلسفته — وتسلم البضاعة . وكان هذا حسبه ، وكان حسبه أن يقبل الوضع مموهاً من الخارج وهو يدرك حقيقته . ولكن المؤلف جعله يواجه الموقف سافراً بلا تمويه . أيقبل أن يكون زوجاً للفتاة التى هذا موقفها ؟ ... ثم أيقبل أن يكون مقره « جرسونيرة » البك ، وأن يواصل البك مابدأ به وفى يوم معين يعلمه محجوب وعليه أن يغادر البيت فيه ؟!

هذه قسوة لا مبرر لها ولا ضرورة . ومثلها أن تزف إليه ( الفتاة ) بلا احتفال . وكان من كمال السخرية أن يكون الاحتفال فخما !

وشىء آخر آخذه على الرواية : لم جعل الفتى المؤمن المتدين لا تصطدم نظرياته بواقع الحياة ؟ لقد اصطدم « على طه » صاحب الإيمان بالمجتمع . اصطدم فى قلبه وشعوره . فقد كانت هذه الفتاة التى زفت إلى زميله هى فتاة أحلامه وموضع إيمانه الإجتماعى . ولكنه احتمل الصدمة ومضى يؤمن بالمجتمع الكبير . واصطدم محجوب صدمات شتى وجيف لها واضطرب ، ولكنه احتملها فى سبيل ذاته المقدسة ! فلم لم يصطدم أبداً « مأمون رضوان » ؟

هل يريد المؤلف أن يقول : إن إيمانه القوى بالله والدين والرجولة قد أعفاه من الاصطدام ، كلا . إن المجتمع الفاسد المنحل الذى صوره فى مصر — والذى هو مع الأسف واقع — لا بد أن يصطدم به كل صاحب إيمان ، سواء كان إيماناً بالمجتمع أو حتى إيماناً بالحياة !

ربما لاحظ أن التنسيق الفنى يحتم عليه ألا يبرز على المسرح إلا شخصية واحدة رئيسية . ولكن لا . فالرواية القصصية من طبيعتها أن تسمح لأكثر من شخصية بالبروز ، والتنسيق الفنى يتحقق بتنويع درجات البروز .

هذه نقطة من نقط الضعف فى الرواية ، كالنقطة الأولى كذلك .

***

وبعد فهناك صفحات رائعة قوية فى تصوير المجتمع المصرى وما فيه من انحلال يشمل الطبقات الارستقراطية ودوائر الحكومة وآثام الفقر والثراء ، وآفات المظاهر والرياء ... الخ ، ولكن يضيق عنها المقام ، وأنا معجل عنها إلى مسألة أخرى لها أهميتها فى وزن الرواية ، وفى وزن كل عمل فنى .

إن هذه الرواية على ما فيها من براعة فى العرض ، ومن قوة فى التصوير — تصوير النماذج وتصوير المجتمع وتصوير المشاعر والانفعالات — هى أصغر من قيمتها الإنسانية — وتبعاً لهذا فى قيمتها الفنية — من سابقتها « خان الخليلى » .

رواية خان الخليلى أضيق فى محيطها الداخلى ولكنها أوسع فى محيطها الخارجى . أضيق فى المجال الذى تعالجه وتضطرب فيه حوادثها . فهى قصة أسرة تفر من الموت بالقنابل فيخترم الموت أجمل زهراتها بلا قنابل ! وقصة قلب إنسانى شاخ قبل الأوان فانطوى على نفسه ورضى بنصيبه ، فإذا الأقدار تخايل له بقطرة ندية فينذى ، ثم تجف هذه القطرة قبل أن تبلغ فاه . يرشفها منه أعز إنسان عليه : أخوه المستهتر السادر . وحينما يجدّ هذا المستهتر ويقوّمه الحب العميق ، تخطفه الأقدار فيموت !

ولو استأنت الأقدار لحظة هنا أو هناك ، ولو تغير خيط واحد فى ذلك المنوال الأبدى لتغير وجه الحياة .

أما رواية « القاهرة الجديدة » فتعالج جيلا وتصور مجتمعاً . ومجالها مع هذا أضيق من مجال « خان الخليلى ! » .

فى « خان الخليلى » ننتهى من الرواية لنجد أنفسنا أمام رواية الحياة الكبرى : الإنسانية والأقدار ، الضعف الإنسانى والقوى الكونية ، أشواق الناس وأهدافهم أمام الغيب المجهول .

وفى « القاهرة الجديدة » نبدأ وننتهى ، ونحن أمام جيل من الناس ومجتمع قابل للزوال ، فلا تبقى إلا بعض الملامح الإنسانية الخالدة .

المجال هناك أوسع لأنه خالد بخلود الإنسان . والقيمة الإنسانية هناك أكبر ، وهى جزء من القيمة الفنية له أثره فى وزن الرواية ، وراء المهارة الفنية فى العرض والتنسيق والاختيار .

**سيد قطب**

فى ركب الوحدة العربية :

# الأدب فى فلسطين ...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

— ٥ —

مع الأدباء الصحفيين من أهل النثر :

قبل أن أمضى فى الحديث عن ( الأدباء الصحفيين ) لا بد لى من البر بوعد قطعته على نفسى فى الفصل الماضى ، وهو أن أسرد آثار الأستاذين الأخيرين ، ممن تحدثت عنهم فى ( الأدباء العلميين ) فأقول : إن للأستاذ عبد الله الريماوى — عدا كتبه المدرسية — كتباً أخرى عديدة بين علمية وأدبية ، أذكر منها : ( العقل فى طريق التكوين ) ، وقد ترجمه عن كتاب إنجليزى للأستاذ ( جيمس هارفى روبنسن ) أسماه Mind in the Makiqg وهو شرح مستوفى للحلقات التى تكون تاريخ الفكر البشرى . ثم كتابه : ( من طاليس إلى ناغاساكى ) ويبسط فيه بشكل مختصر الأبحاث العلمية فى حقلى الكيمياء والفيزياء ، التى انتهت أخيراً باكتشاف القنبلة الذرية . ثم كتابه ( الحضارة العلمية ) ، وفيه يحدد العلم فى منابعه وأسلوبه ، ويعين مكان العلم وحضارته بين مظاهر الفكر البشرى . فيبحث علاقته بالفلسفة والدين والفن والإجتماع ، وينتهى — بعد ذلك — ببحث رسالة العلم للانسانية .

ومن كتبه الأدبية : كتابه « مجمع العباقرة » ، وفيه يعالج كثيراً من المشاكل الإجتماعية ، ثم كتابه « تلك الأيام » وهو قصة يبسط فى ثناياها الوضع الراهن فى البلاد ، وينتقد أساليب التوجيه والغاية التى تهدف إليها .

وأما الأستاذ على شمث ، فله كتابان أخرجهما للناس ، أولهما ( من طرائف العلماء ) وفيه يتخير عدداً من أساطين العلم ، الذين ساهموا فى بناء صرحه الشامخ ، منذ فجر الإنسانية البعيد ، حتى ينتهى إلى علماء النهضة الحديثة فى أوربة ، ويعرج فى خلال ذلك على بعض أعلام العرب النابهين فى هذا الميدان . وأما كتابه الثانى فهو : « من البنسلين إلى القنبلة الذرية » ، وفيه شرح بأسلوب فريد أخاذ للمراحل التى اجتازها العلم فى تذليل العقبات الكأداء ، وإزالة العراقيل المؤذية من طريق الإنسانية . كما يورد فيه كثيراً من التنبؤات المبهجة ، التى ينتظر أن يحققها العلم عن طريق الذرة ، إذا استمر فى سيره قدماً ، ولم يحل بينه وبين ذلك عارض مفاجىء . وللأستاذ شمث — فيما عدا ذلك — كثير من الأبحاث القيمة التى كثيراً ما حاضر أو أذاع بها فى الأندية الثقافية فى البلاد ، ومن دار الإذاعة الفلسطينية ...

الأدباء الصحفيون :

وحين أتحدث عن ( الأدباء الصحفيين ) ، لا بد لى من أن أعود بالقارىء إلى عام ١٩١١ ، لأقفه حيال شابين أخوين فى مدينة يافا ، قد نهلا من الثقافة ما كشف لهما طريق الجهاد فى سبيل وطنهما المغلوب على أمره ، فإذا هما يستهدفان خدمته عن طريق الصحافة ، وينشئان من أجل ذلك جريدتهما ( فلسطين ) ويكون أحدهما وهو الأستاذ عيسى العيسى ( رئيس التحرير ) ، والآخر وهو الأستاذ يوسف العيسى ( المدير المسؤول ) ، وتمضى جريدتهما فى طريق محفوف بأشواك المنت التركى ، وإرهاق التحكم والاستبداد .

فقد أوقفت الحكومة التركية الجريدة بتهمة ( التحريض المنصرى ) ، وذلك حين نبهت للخطر الصهيونى فى تلك الأيام . ولكن المحكمة برأت ساحتها حين أثبتت أن مقاومة الحركة الصهيونية ليس معناه مقاومة اليهود .

وقد توقفت هذه الصحيفة ( النصف أسبوعية ) حين قامت الحرب الأولى ، فتفرق الأخوان ، إذ نزح أحدهما — وهو الأستاذ يوسف العيسى — إلى دمشق ، وهناك اتصل بجلالة المغفور له ( الملك فيصل ) فيما بعد ، وأخلص له الخدمة ، ثم أسس جريدة يومية ، تناصر الملكية وتعمل من أجلها ، وهذه الجريدة هى : ( ألف باء ) الغراء ، التى ما تزال تصدر فى دمشق إلى اليوم ، وهى من أكثر الصحف انتشاراً هناك . وأما جريدة ( فلسطين ) فقد استأنفت صدورها فى يافا بعد الحرب الأولى ، واستمرت نصف أسبوعية حتى عام ١٩٢٩ ، فصدرت يومية ، وما تزال

كذلك . وهى اليوم من أمهات الصحف عندنا ، وصاحبها الأستاذ عيسى العيسى — الذى هو شيخ الصحفيين بلا منازع — يعتبر من الأدباء المعدودين فى المكان الرفيع .

وأما الأستاذ يوسف العيسى ، فإنه عرف فى سوريا كما عرف فى فلسطين ، وقد التمع فى البلدين معاً . وكان — وما زال — منذ أصدر جريدته يتولى كتابة افتتاحيتها بنفسه ، ثم يكتب بالإضافة إلى ذلك فصلا انتقادياً ، يعالج فيه كثيراً من المشاكل الإجتماعية ، ويجمله تحت عنوان ( مباءة نحل ) .

وقد اجتمع لدى الأستاذ من هذه الفصول مجلدات قيمة ، فى أبحاث مختلفة . منها ما هو فى السياسة ، ومنها ما هو فى النقد ، ومنها ما هو فى الأدب . وقد حدثنى الأستاذ فى صيف هذا العام ( فى دمشق ) ، أن لديه إلى جانب ذلك كله مذكرات يحرص عليها أشد الحرص ، ويعنى بترتيبها أيما عناية ، وقد أسمعنى بعضها وكان مما نشر فى جريدته إبان عهدها الأول .

ويعجبك من ( هذا الأستاذ ) نشاطه الدائم ودأبه المتواصل وهم برغم هذا الإنصراف الشديد — الذى ينصرفه للصحافة — ما تكاد تجلس إليه حتى تلمس فيه روح الأديب الفذ ، إذ ما يتناول القول عن شىء ، حتى يستشهد بحكمة أو مثل أو أبيات من الشعر وإليك شاهدا على ذلك من كلمته الافتتاحية فى العدد ( ٧٣٥٧ ) وعنوانها : « هذا عتابك إلا أنه مقة » ويقول فيها :

« إن أحسن مثل يضرب للصحف فى هذه الأيام ، هو ما قالته العرب : ( مثقل استعان بذقنه ) ، وهو الجمل يثقل حمله فيعجز عن القيام به . وهذه حالة الصحف يثقل حملها فى جميع أبواب نفقاتها ، فتمد عنقها إلى الحكومة ، فتكون ( كالمستجير من الرمضاء بالنار ) .

إن التحكم والاستبداد بمقدرات الصحافة ، أن تطلب جاب الورق فلا يسمح لها بذلك ، وأن تنضب مستودعات الحكومات فلا تجد ما تقدمه للصحف من الورق . أليس هذا ما يسمونه بـ ( نقص القادرين على التمام ) ؟ ... »

وقد نبهنى الأستاذ خليل مردم بك إلى أديب صحفى آخر ، عاش فى دمشق شطراً من عمره ومات فيها . وهذا الأديب هو الأستاذ ( أحمد شاكر الكرمى ) نسبة إلى « طولكرم » وهى بلدة فى فلسطين ، عرف أهلها بثباتهم الذى يبلغ حد العناد ، وعروبتهم الأبية الصادقة ، وإيمانهم الذى لا يتزعزع . وقد نشأ هذا الأديب فى عائلة توارثت ( العلم والأدب والقضاء والافتاء ) كابراً عن كابر ، فأبوه قاضى القضاة الشاعر الناثر الشيخ ( سعيد الكرمى ) ، وأخوه الشاعر الأستاذ ( محمود الكرمى ) ، وأخوه أيضاً الشاعر اللامع الأستاذ ( عبد الكريم الكرمى ) المعروف بـ (أبى سلمى). وسأتحدث عنهم جميعاً حين أتحدث عن شعراء فلسطين

وقد أكمل الأستاذ ( أحمد شاكر الكرمى ) ، ثقافته فى الأزهر والجامعة المصرية . وهنالك بدأ حياته الأدبية بالكتابة فى جريدة ( الكوكب ) . ثم سافر إلى الحجاز ، وعمل هنالك محرراً فى جريدة ( القبلة ) ، ثم رجع منها إلى دمشق ، وحرر هنالك فى جريدة الفيحاء . ثم أصدر بعد حين مجلة ( الميزان ) أدبية سياسية . واستمر فى إصدارها حتى عام ١٩٢٧ . وإذ ذاك اهتصرته يد المنية وهو ما زال فى ريعان شبابه .

وله كتب مطبوعة ومخطوطة . منها كتابه ( الكرميات ) وهو مجموعة خواطر وآراء كلها قيم ، ثم قصص مترجمة عن الإنجليزية ، منها « خالد » ، وفيها تفصيل عن الصحراء ، وسرد لما يقع فى جنباتها . ثم « الوردة الحمراء » وهو صورة من الأدب الخالد ، ومؤلفها الكاتب الذائع الصيت ( أوسكار وايلد ) . ثم كتب فى النقد ، ومعظمها نشرت مادته فى الصحف التى عاصرته ، وكانت بتوقيع « قدامة » ، وهو الإسم الذى كان يحتجب وراءه .

وقد كان حجة فى اللغة العربية ، راعى فى أسلوبه التحرر من قيود الرجعية والجمود . وحسبك أن يعترف له بفضل السبق علماء أجلاء ، كالمازنى والعقاد . وقد صدر عنهما ذلك فى حفل أقيم فى مصر ، وشهده أخوه ( أبو سلمى ) الذى نقل إلى طرفاً من حديثهما عنه حينذاك وثنائهما عليه وكالأستاذين خليل مردم بك ، والشيخ المغربى فى دمشق ، وقد حدثانى عنه حديثاً يستشف منه إعجابهما به وتقديرهما له .

وهنالك أدباء صحفيون كانوا هم الطليعة الأولى فى هذا الميدان. منهم الأستاذ رشدى شمث صاحب مجلة ( النهل ) ، ثم الأستاذ جميل البحرى صاحب مجلة ( الزهور ) ، ثم الأستاذ حنا العيسى صاحب مجلة ( الأصمعى ) ، ثم الأستاذ خليل بيدس صاحب مجلة ( النفائس ) . وسوف أتحدث عنه مفصلا حين أتحدث عن ( الأدباء القصصيين ) إذ هو أحدهم . ثم الأستاذ نجيب نصار صاحب ( الكرمل الجديد ) ، ثم الأستاذ بولس شحادة صاحب

( مرآة الشرق ) ، ثم الأستاذ الشيخ على الريماوى وهو مؤسس أول مجلة فى فلسطين وهى مجلة ( بيت المقدس ) . وحين أوقفت لأسباب سياسية أسس جريدة ( النجاح ) . ولكنه شغل عنها بعد ذلك بالسياسة . فسافر إلى الآستانة مبعوثاً عن قضاء القدس وهنالك تعرف إلى كثيرين وعرفوا أدبه القيم . وهو شاعر فحل وسأورد نماذج من شعره حين أتحدث عن الشعراء .

ثم الأستاذ الشيخ سليمان الفاروقى . وهو مؤسس جريدة ( الجامعة الإسلامية ) التى صدرت عام ١٩٣٣ ، واستمرت حتى عام ١٩٣٧ ثم توقفت بعد ذلك بسبب إرهاق الحكومة لها . والأستاذ الفاروقى أديب مطبوع ، درس فى الأزهر ثم فى جامعة الحقوق فى الآستانة ، ثم اشتغل بالمحاماة أمداً من عمره ، وله شعر ونثر يجعلانه فى نظر المعجبين بأدبه ( معرى فلسطين ) ، وهو خطيب مصقع إذا تحدث ( مرتجلا ) ظننته يغترف من بحر ، وإذا ( أملى ) حسبته يستلهم من وراء الغيب . وإليك أبياتاً من شعره ، نلمس فيها الكثير من سخطه ، وتتحسس بين ثناياها بأسه المرير وهى قوله :

ولما رأيت الناس ضلت حلومهم
فلا أحد يهدِى ولا أحد يهدَى
وشمت وجوه الناس قد غاض ماؤها
فلا وجنة تحمر أو جبهة تندى
يئست من الإنسان ! إنى وجدته
يصيب الهدى سهواً ويغشى الأذى عمداً

وأما نثره فإنه يحلق فيه إلى الذروة ، وإليك بعض ما يقوله فى كلمة عنوانها « الضحايا » يفتتح بها عدد العيد الممتاز الصادر فى صباح ( ١٥ ) آذار « مارس » عام ١٩٣٥ وقد جاء فيها :

« إذا خلا وجه الدهر لأمة ، فبسطت على العالم أجنحتها ، وسلكت الشعوب بدينها ومدنيتها ، وحشرتها فيها كأن لم تكن من قبل ذكرت ، وإذا ملأت أمة الماء عوائم ، والهواء حوائم ، والأرض ذوابل وصوارم ، والتاريخ جسائم وعظائم ، حقت بالعيد وجدرت ، وقمنت بالفخر إذا افتخرت ... ليس العيد أن تلبس كفنك ، وتعبد وثنك ، وتجرف باطلك — سادراً — رسنك . وليس العيد ثوباً تستغشيه ، وعملا تؤديه ، أو مثالا تحتذيه . وإنما العيد حظ الروح ، وسمو القلب ، وإنما العيد فجوة ما بين جزأى التاريخ ، من كد وجهاد ، وراحة وجمام »

وهنالك ( أيضاً ) من الأدباء الصحفيين الأستاذ منيف الحسينى صاحب جريدة ( الجامعة العربية ) ، ثم الأستاذ عبد الله القلقيلى صاحب ( الصراط المستقيم ) ، ثم الأستاذ عيسى بندك صاحب جريدة ( صوت الشعب ) .

وهنالك جرائد محتجبة كثيرة كان يساهم فى تحريرها أدباء بارزون أذكر منها : « الكفاح » و « اللواء » و « الشباب » و « المطرقة » .

وقبل أن أختم الحديث فى هذا الفصل لا بد لى من أن أشير إلى أديب فلسطينى اتخذ القاهرة له داراً ، وأسس فيها جريدته : ( الشورى ) ثم جريدته ( الشباب ) ، وقد توقفتا كلتاهما ، بعد أن كافح فيهما ونافح وجاهد جهاد الأبطال ، وذلك الأستاذ هو الأديب المجاهد ( محمد على الطاهر ) رد الله غربته .

( له تكملة )

محمد سليم الرشدان
ماجستير فى الآداب واللغات السامية

# قُطْرَبُّل (*)

للأستاذ شكري محمود أحمد

قرية بين بغداد وعُكْبرا ، تنسب إليها الخمور وتكثر فيها المعاصر والحانات لكثرة ما فيها من الكروم . لذلك أمها المجان، وطلبها أهل الفتك ، وتطرح فيها الخلعاء ، حتى فتنوا بغلمانها ، وشغفوا بظبائها ، فكثر ذكرها في شعرهم ، ودار اسمها في قصصهم .

كانت في أنزه موضع وأجمل موقع ، تركب كاهل دجلة ، وتحاذي الصَّراة الذي يفصل بينها وبين بادوريا ، هي في غربه وبادوريا في شرقه .

جمالها الضاحك الطروب جذب قلوب الشعراء ، فمالوا إليها ، واحتفظت بالمجان حتى عكفوا يرتضمون دَرّ الكأس ، ويبتزفون النفس في صبوح ضاحك ، وغبوق دافق بالمتع واللذاذة ، فطوراً هم بدجلة يصطبحون ، وطوراً بالصراة يغتبقون .

ولقطربل أخبار ، وفيها أشعار — كما يقول ياقوت — في وسعه أن يجمع كتاباً في أجلاد يسجل أخبار الخلعاء والمجان والشعراء والبطالين والمتفجرين في هذه المدينة (١) .

تشوق إليها إبراهيم المدبر ، وطرب لذكراها قائلاً :

طربت إلى قطـــربل وبلشــكر
وراجعت عما لست عنه بمقصر (٢)

وحن لها البحتري فاهتز لمنظرها وقد بدت له مع الشروق ، فقال في مدح ابن المدبر :

وقد ساءني أن لم يهج من صبابتي
ســـنا البرق في جنح من الليل أخفر
وأنّي بهـــجر للمدام وقد بدا
لي الصبح من قطربل وبلشكر (١)

ووصفها البيغاء الشاعر ، ذاكراً مواطن الغزل والصبابة ، ومنازل اللهو والبطالة ، ومعاهد الأنس واللذة ، فقال يذكرها ويذكر كلواذى ، هي شمال بغداد ، وكلواذى في جنوبها :

كم للصـــبابة والصبى من منزل
ما بين كلواذى الى قطـــربل
راضعتُ فيه الكأس أهيف ينثني
نحوى بجيد رشاً وعيني مُغْزِل (٢)

ذكرها جَحْظة البرمكي ، وما فيها من الخمور التي تمطر في كل حين بقوله :

قد أسرفت في العذل مشغولة — بعذل مشغول عن العذَّل
تقول هل أقصرت عن باطل — أعرفه عن دينك الأول
فقلت : ما احسبني مقصراً — ما أعصرت خمر بقطربل
قالت : فأين الملتقى بعد ذا — فقلت : بين الدن والمبزل (٣)

أما الحسن بن هانىء فقد أكثر من ذكرها ، وأطال من حديثها ، لأنها كانت مسارب لهوه ، ومواطن خلاعته . فوصف حاناتها ورياضها ، وخمرها وسقاتها ، وذكر صحابته فيها . بل إنه أراد أن يدفن فيها .

خليـــليَّ بالله لا تحفرا — لي القـــبر إلا بقطربل
خلال المعاصر بين الكرو — م ولا تدنياني من السنبل
لعلي أسمع في حفرتي — إذا عصرت ضجة الأرجل (٤)

كان الكرخ مصيفه ، وقطربل مربعه ، ترضعه درها ، وتلحفه بظلها .

قطربل مربعي،ولي بقرى الكر — خ مصيف ، وأمي العنب
ترضعني درها وتلحفني — بظلها ، والهجير يلتهب (٥)

(*) قطر بل بالضم ثم السكون ، ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة ولام . وقد روى بفتح أوله وطائه ، أما الباء فمشددة في الروايتين ، كانت إحدى طساسيج بغداد وهناك موضع مقابل مدينة آمد بديار بكر ، قال فيها محمد بن جعفر الحلي :

يقولون ها قطربل فوق دجلة — عدمتك ألفاظاً بغـــير معان
أقلب طرفي لا أرى القفص دونها — ولا النخـــل باد في قرى البردان

(١) معجم البلدان ج ٧ س ١٢٣ .

(٢) ياقوت ج ٢ س ٢٧٠ وبالشكر من قرى البردان قرب بغداد تكاد تتصل بقطر بل

(١) ياقوت ج ٢ س ٢٧٠ .

(٢) ياقوت ج ٧ س ١٢١

(٣) ياقوت ج ٧ س ١٢١ .

(٤) ديوان أبي نواس طبعة أصاف س ٣٢٣ .

(٥) الديوان س ٢٤٢

وهو فى القصيدة الآتية يبدع فى وصفها ، فيذكر حانته بين الجنان الحدائق ، فى تلك الرياض المحفوفة بالشقائق ، وندمانه الغر الكماة الذين ذل لهم الدهر ، وساقيه الغرير المتوج بالريحان :

وبجلس خمار إلى جنب حانة    بقطربل بين الجنان الحدائق
تجاه ميادين على جنباتها    رياض غدت محفوفة بالشقائق
أثنا بها مع فتية خضعت لهم    رقاب صناديد الكماة البطارق
بمشمولة كالشمس يغشاك نورها
إذا ما تبدت فى نواحى المشارق
يدور بها ظبى غرير متـــوج
بتاج من الريحان ملك القراطق
إذا ما جرت فيبـــه تغنى وقال لى
بسكر : الاهات اسقنا بالدوارق[1]

وقد كان أبو نواس معجباً بخمارها « ابن أذين »[2] لأن هذا الخمار كان ظريفاً لبقاً مساعداً ، عنده شراب عتيق ، وغلمان صباح[3] . وقد ذكره فى شعره قائلاً :

اسقنى يا ابن أذين    من سلاف الزرجون[4]
اسقنى حتى ترى بى    جنة غير جنون
عتقت فى الدن حتى    هى فى رقة دينى
ولنا ســـاق عليه    حـــلة من ياسمين[5]

ويجمل الشرب فى قطربل على الورد فى نيسان ، لأن شرابها عتيق ، وليشرب الأغمار من العسل :

اشرب على الورد فى نيسان مصطبحاً
من خمر قطربل حمراء كالكاذى
واخلع عـــذارك لا تأتى بصالحة
ما دمت مستوطناً أطراف بغداذ
نعّم شبابك بالخمـــر العتيق ولا
تشرب كما يشرب الأغمار فى ماذى[6]

(١) الديوان ص ٣٠٧ .
(٢) مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار للعمرى ص ٣٩٢ .
(٣) ذكر هــذا الخبر عدا العمرى ابن منظور فى الجزء الثانى من كتابه « أخبار أبى نواس » الذى سنعده للطبع هذا العام .
(٤) لزرجون فارسية مركبة من « زر » أى الذهب و « كون » أو اللون .
(٥) فى الديوان أحد عشر بيتاً .
(٦) الديوان ص ٢٧٢

وما كان يطيب المقام لأبى نواس فى موضع من مواضع القصف والفتك على كثرتها إلا بقطربل فإنها كانت منقلبه ومرجعه .

ذكر ياقوت فى الكلام على القُفْص[1] بعد ما عرف بهذا الموضع ، وذكر ما قيل فيه من الأخبار والأشعار قصيدة لأبى نواس هى :

رددتنى فى الصبى على عقبى    وسمت أهلى الرجوع فى أدبى
لولا هواؤك ما اغتربت ولا    حطت ركابى بأرض مغترب
ولا تركت المدام بين قرى الكر    خ فبُسورى فالجوسق الخرب
وباطُرنجى فالقفص ثم إلى    قطربل مرجعى ومنقلبى
ولا تخطيت فى الصلاة إلى    تبت يدا شيخنا أبى لهب[2]

وذكر ياقوت هذا الموضع فى الكلام على « بِنّا » وأورد قصيدة لأبى نواس فيها وصف جميل لخمر قطربل يجمل أن نضعها بين أيدى القراء هى[3] :

سقيا لبنا[4] ولا سقياً لعانات    سقياً لقطربل ذات اللذاذات
وإن فيها بنات الكرم ما تركت    منها الليالى سوى تلك الحشاشات
كأنها دمعة فى عين غانية    مرهاء رقرقها ذكر المصيبات
تنزو إذا مسها قرع المزاج كما    تنزو الجنادب أوقات الظهيرات
وتكتسى لؤلؤات من تعطفها    عنـد المزاج شبيهات بواوات

مر ذكر هذه القرية فى مواطن كثيرة من شعر أبى نواس غير ما ذكرنا . ويجمل بنا أن نثبت أخيراً هذه القصة التى ذكرها الصولى عن بعض بنى نوبخت ورواها ياقوت فى معجمه[5] قال : لما انصرف أبو نواس من مصر فى طريقه إلى العراق ، اجتاز بمدينة حمص ، فرأى كثرة خمارها وشهرة شرابها . فأقام بها مدة يغتبق ويصطبح ، وكان بها خمار يهودى إسمه « لاوى » فقال لأبى نواس : كيف رأيت مدينتنا هـذه ؟ فأجابه : حدثنا بعض

(١) ياقوت ج ٧ ص ١٣٧ .
(٢) هـذه القصيدة غير موجودة فى الديوان وهى فى ياقوت ج ٧ ص ١٣٧ .
(٣) ياقوت ج ٢ ص ٢٨٦ .
(٤) فى الديوان : « سقياً لبنى ولا سقياً لعانات » والصحيح ماذكره ياقوت فى الجـزء الثانى ص ٢٨٦ . وهى فى ياقوت الثلاثة الأبيات الأولى
(٥) ياقوت ج ٧ ص ١٢٢

سرفناد فبجناد :

# خطر يهدد القصة المصرية

للأديب كمال رستم

... إن المتتبع للحركة الأدبية القصصية في مصر ، لا يستطيع أن يخفى خوفه من الخطر الذى بات يهدد أدب القصة ، وأقول « القصــة » وأعنى بذلك أن أحمل اللفظ أكبر معناه فتستوى عندى القصة الطويلة والأقصوصة !

... ليس فينا من ينكر أن الأدب القصصي مستحدث فى العربية ، وأن ظهوره كأدب ذاتى متميز لا يرجع إلى أبعد من هذا القرن العشرين . وأقول أدب ذاتى وأنا ألتمس للتعبير شيئاً غير قليل من التحفظ ، فإن لقائل أن يقول : وهل لنـا حقا أدب قصصى ذاتى ؟

والحق أن الإجابة عن هذا السؤال لا تتطلب كثيراً من الجهد متى توفرت لدى الكاتب الشجاعة فيجيب من فوره بأن ليس فى مصر قصَـص ذاتى

... أعلم سلفاً أن قولى هـذا سيقيم ويقعد جماعة نصبوا أنفسهم آلهة للقصــة فى مصر ، وليس فى هؤلاء من يهمنى رضاهم أو سخطهم ما دمت أهدف إلى غرض سام أرجو من ورائه أن يعود على أدبنا بالخير والنفع ! ... ويبقى أن ندير السؤال على وجه آخر فنقول : هل القصــة المصرية موجودة بالفعل ... وهل ما تطالعنا به المجلات الأسبوعية قصص مستمدة من صلب الحياة المصرية ؟ أكبر الظن أن الإجابة عن هذا السؤال ستكون سلباً ... فالقصة المصرية لا تعبر عن روح المجتمع بل هى الصدى الشائه لمجتمعات غريبة وأجواء أجنبية ! إن مقياس الذاتية فى القصــة أن يجد الإنسان نفسه وأسرته وعاداته وأخلاقه وآماله وآلامه فى كل ما يكتب الكاتب من القصص ، ذلك بأن القصة يراد بها أولا وقبل كل شيء تصوير المجتمع ، بل إن مقررى الحالات الاجتماعية لعصر من العصور فى بلد من البلاد ليعتمدون فى الكثير الغالب على القصــة فى تقرير الحالة الاجتماعية لهذا العصر باعتبار أنها الصــدى الحاكى له .. وليكن المثال التالى مصدقا لما نقول :

---

رواتنا أن هذه هى الأرض المقدسة لبنى إسرائيل . فقال له الخمار : أيما أفضل هذه أم قطربل ؟ فقال : لولا صفاء شراب قطربل ، وركوبها كاهل دجلة ، ما كانت إلا بمنزلة حانة من حاناتها .

ثم مر أبو نواس بمدينة عانة فسمع اصطخاب الماء فى وجداولها فقال : أذكر فى هذا قول الأخطل :

من خمر عانة ينصاع الفؤاد لها    بجدول صَـخِب الآذى مَوّار

فأقام فيهـا ثلاثاً يشرب . ثم قال لولا قربها من قطربل ومجاذبة الدواعى إليها لأقمت بها أكثر من ذلك . فلما دخـل الأنبار تسرع إلى بغداد وقال : ما قضيت حق قطربل ، فعدل إليها وأقام ثلاثاً أتلف فضـلة كانت معه من نفقته ، وباع رداءً معلماً من أردية مصر . ولما أراد الانصراف عنها اجتمع الخمارون للسلام عليه . قال الصولى : فما شبهتهم وإياه إلا بخاصة الرشيد عند تسليمهم عليه فى يوم حفل له . وقد قال فى ذلك قصيدة ظريفة هى[1] :

طـربت إلى قطربل فأتيتها    بمال من البيض الصحاح وعين
ثمانين ديناراً جياداً أعدها    فأتلفتها حتى شربت بدين
رهنت قميصاً سابرياً وجبة    وبعت رداء معلم الطرفين
لخمارة دين ابن عمران دينها    مهذبة تكنى بأم حصين
وقلت لها إن لم تجودى بنائل    فلا بد من تقبيلى الشفتين
فقالت : وهل ترضى بغيرهما هوى    با بلج كالدينـــار فاتر عين
وقد كنت فى قطربل إذ أتيتها    أرى أننى من أيسر الثقلين
فروحت عنها معسراً غير موسر    أقرطس فى الإفلاس من مائتين
وقال لى الخمار عنـــد وداعه    وقد ألبستنى الخمر خف حنين
الاعش بزين أين سرت مودعاً    وقدرحت منه حين رحت بشين

بغداد

شكرى محمود أحمد

مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) هذه القصيدة فى ياقوت تسعة أبيات وفيها تصحيف كثير فى الأصل وصححناها على ما بأيدينا من شعره .

إن مصر ترزح فى الوقت الحاضر تحت عبء ثقيل من الآلام ، فأين القصة المصرية التى يمكن أن يعتمد عليها مؤرخ فى عصر متأخر ليصل منها إلى حقيقة هذا الوقت العصيب الذى تجتازه مصر ؟ لقد كتبت قصص فى بلاد اخرى كان مدارها علاج المشاكل الاجتماعية لتلك البلاد ، فقومت من الأخلاق وهذبت من العادات ، وأسقطت حكومات وأدلعت نيران ثورات ، فأين قصتنا المصرية من هذا كله ؟

أو ليس عجيبا والشعب يعانى عللا اجتماعية لا حصر لها ألا نجد من بين كتابنا القصصيين من يجعل من هذه العلل عقد قصصه ؟ ... بل ان النفس لتقطر أسى حينما نقلب بين أيدينا المجلات الأسبوعية فلا نقف فيها على غير قصص الحب ، كأنما الشعب الذى يؤود سواده أعباء الجهل والفقر والمرض يمضى كل وقته متغنياً بالحب وما يتصل بهذا الحب من العواطف والانفعالات ؟ . حتى هذا اللون من القصة الذى استغرق كل أدبها إنما هو لون واغل دخيل !

لقد دلت التجارب على أن الناسخ أو المقتبس لا يستطيع فى الغالب الأعم أن يخلق أو يبتكر ، وهذه الحقيقة معروفة لنفر غير قليل من هؤلاء الذين توفروا على النقل والاقتباس

ولكن ليس هذا كل مافى الأمر من خطر ، ذلك بأن القصة غزت ميداناً واسعاً هو ميدان السينما وتأثيرها على العقول لا يحتاج إلى دليل ، فإن أولادنا وبناتنا وزوجاتنا يؤثرون دور العرض على غيرها من ضروب التسلية والترويح عن النفس ، وهكذا يبرز جلياً خطر عرض عادات وأخلاق غير عاداتنا وأخلاقنا على النشء والبنت والزوجة مما وضح أثره الأليم فى اصطناع هذه العادات والتخلق بهذه الأخلاق حتى أشفق المشفقون على مجتمعنا من الانحلال

وبعد فلعل ختام هذه الكلمة العاجلة هو ما كان ينبغى أن يكون مبدأها ، ذلك بأنى كتبت هذه الكلمة فى أعقاب قراءتى قصة لكاتب فى عدد المصور الأخير عنوانها « الأرض التى تكفيه » ، وقد نسبها الكاتب إلى نفسه ، وهى لروائى من أعظم روائيى العالم وأبعدهم صيتا وهو الروائى الروسى الكبير ليوتولستوى ... وهى القصة الموسومة باسم :

Hew Much Send Does a man require

« كم حاجة المرء من الأرض » . . . والنقل على هذه الصورة أبعد ما يتصوره الإنسان من الجرأة ، فلو أن الناقل نقل عن كاتب مغمور لالتمسنا له بعض العذر ، ولكن أن يضيف إلى نفسه عملا لكاتب لامع كتلستوى فهذا هو ما يحير عقلا كعقلى على الأقل .. فهل ظن الناقل أن أدب تولستوى لا يقرأه شخص عداه ؟ فإذا كان شأن أدباء القصة هنا مع مؤلف « السلم والحرب » و « أنا كارنينا » هو هذا الشأن فكيف شأنهم مع غيره ؟

هذه الظاهرة الخطيرة رأيتها كذلك فى أدب كاتب معروف هو الأستاذ توفيق الحكيم ، فقد ظهرت له قصة فى أحد أعداد مجلة أخبار اليوم بعنوان « ليلة الزفاف » وليست هذه القصة غير قصة "A usband to trust" « البحث عن زوج أمين » لكاتب أمريكى هو : Hester. G. Rabison . وهى منشورة بعدد مجلة « قصص الحب » الأمريكية Sove Story الصادر فى ٧ من يونيو سنة ١٩٤١ . وعذر الأستاذ الحكيم أن المؤلف الأصلى غير معروف لقراء العربية على الأقل ، فلم يجد حرجاً فى التغرير بعقول القراء ! ومهما كانت خطورة اعتماد الناقل فى أدبه على ما ينقله من أفكار الغرب ، فإن هذه الخطورة ستكون أبعد مدى فى تأثيرها فى المجتمع المصرى كما قدمت . ومن هنا حُقَّ لى أن أنبه إلى مقاومة هذه الظاهرة والحد من تأثيرها ضناً على ذاتية أدبنا من جهة ، وإشفاقاً على التأثير السىء الذى تخلفه بعض هذه القصص فى مجتمعنا من جهة أخرى .

كمال رستم

---

# العلاقة بين بغداد والقاهرة

## في عهد الفواطم

للاستاذ عبد المنعم ماجد

( تتمة ما نشر فى العدد الماضى )

يظهر أن أثر المحضر الأول كان بالغاً ، فالخليفة الفاطمى فى مصر وقتذاك وهو الحاكم بأمر الله الذى كان قد أباح للسنيين من أتباع مالك الحرية فى تدريس مذهبهم ؛ بل أنشأ مدرسة لتدريس هذا المذهب وخاصة من الناحية الفقهية ، فإنه لما سمع بالطعن فى نسبه فى المحضر ، ثارت ثائرته ، وحظر ما كان قد أباحه. ويقول أبو المحاسن إنه هان فى أعين الناس لكتابة العلماء فى المحضر وإنه قامت قيامته . والظاهر أن ثورته كانت شديدة حتى أنها تعدت إلى اليهود كما يذكر كردى سامى فى كتابه ( الخليفة الحاكم بأمر الله ص ٣٣ ) .

كذلك شد هذا المحضر من أزر من يحقد على الفواطم ، فاتخذه كل عدو لهم سلاحا قويا ضدهم ، فحاكم المدينة ومكة أبو الفتوح (وكان حاكما من قِبل الفواطم) ألغى الخطبة له. هذان المحضران ظهرا بلاشك كنتيجة لضعف البويهيين فى هذه الفترة ، ومع سوء العلاقة فيها فإن التفاهم يكون ممكنا فى بعض الأحيان ما وُجد البويهيون . فمثلا استمر التضامن بين أهل الكرخ من الشيعيين فى بغداد والفواطم فى مصر فى الاحتفال ببعض أعياد الشيعة ، ولكن حينما زال حكم البويهيين ساءت العلاقة بمجىء السلاجقة ، وذلك لأنهم كانوا سنيين كالخلفاء العباسيين لا يعترفون بحق للفواطم بل هم أعداء لهم .

**الفترة الثالثة :**

وتبدأ من سنة ٤٤٧ ، وهى السنة التى دخل فيها طغرلبك زعيم السلاجقة بغداد ، ولذلك تعتبر بدء العهد السلجوقى . فى هذه الفترة تسوء العلاقة بين بغداد والقاهرة ، لأن السلاجقة على عكس البويهيين ، وقفوا موقفا عدائيا تاما من الدولة الفاطمية ، وذلك لأنهم أولا كانوا من أهل السنة لا يعتقدون بشرعية الخلافة الفاطمية . وثانياً لأن الدولة السلجوقية عملت على تقوية الخلافة العباسية فحفظت لها نفوذها الروحى وكان مفقوداً فى عهد البويهيين ، ولذا كان طبيعيا أن يظهر العداء بين الطرفين وأن يتحالف السلاجقة مع الخلفاء العباسيين على الشيعيين الفواطم ، فيجب أن نعتبر العلاقة فى هذه الفترة على أسوأ ما تكون بعكس ما كانت عليه فى الفترة الأولى حينما كان للبويهيين القوة ، وحتى فى الفترة الثانية كانت العلاقة متوسطة ، أما فى هذه الفترة فقد أصبح العداء سافراً . ولذلك سنجد كلا من الدولتين تعمل الواحدة منهما على القضاء على الأخرى ، ولعل أبرز مظاهر هذه العلاقة السيئة ثورة البساسيرى ، قام بها رجل يدعى أبو الحارث أرسلان البساسيرى من موالى الديلم ينسب إلى بلد فى فارس اسمها بسا ، وكان هذا الرجل من أصل تركى قربه الخليفة القائم إليه ، حتى لم يكن يأتى أمراً إلا بعد استشارته ، وقلده الأمور ، وخطب له على المنابر فى العراق وخوزستان إلا أنه كان شيعيا كالبويهيين لا يرى الخلافة الحقة إلا فى أولاد فاطمة ، ورث هذا عن سيده بهاء الدين البويهى فقد كان مملوكا له ، وربما يمكننا أن نفسر بهذا السبب انقلابه على الخليفة القائم وتجبره عليه حتى جفاه ، وقد رأينا من قبل كيف كان يفعل أسياده البويهيون بالخلفاء العباسيين ، وإن كان معظم المؤرخين يذهبون إلى أن سبب سوء العلاقة راجعة إلى جفائه حتى اضطر القائم إلى إبعاده ، وأيد رئيس رؤسائه فى عداوته له وفسد الأمر بينه وبين الخليفة حتى أدى الأمر إلى استنجاد القائم بالسلاجقة وما كاد طغرلبك يدخل بغداد حتى فر البساسيرى إلى الموصل .

وجدت الخلافة الفاطمية فى هذه الحوادث فرصة سانحة للانتقام والعمل على تقويض ملك العباسيين ، كما أدركت الخطر من بروز السلاجقة من موطنهم فى تركستان ، كقوة فتية على أبواب بغداد ، ولذلك مشت الرسل بينها ومدته بيد المساعدة . وفى أبى المحاسن نص يؤيد وصول هذه المساعدة ( إن الذى وصل البساسيرى من المستنصر من المال خمسمائة ألف دينار ، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك ، وخمسمائة فرس ، وعشرة آلاف

قوس ، ومن السيوف ألوف ومن الرماح والنشاب شيء كثير ) .

من قيمة المساعدة يتبين مقدار حماس الفواطم ، كما يفسر قبول البساسيرى لهذه المساعدة رغبته فى الانتقام من أعدائه . ولذلك لم يتردد فى المسير إلى بغداد بعد أن مهد لذلك بإيقاع الفتنة بين طغرلبك وأخيه إبراهيم ينال ، وكان قد أطمعه فى الملك ، حتى خالف أخاه وعصاه على أية حال بالمساعدة القيمة التى قدمها له الفواطم وبولاء أهل الكرخ الشيعيين فى بغداد ، وبمساعدة حاكم الموصل تم له الاستيلاء على بغداد كلها وسارت جنوده فى شوارعها ، حاملة الرايات المستنصرية ، وعليها ألقاب المستنصر صاحب مصر ، ثم خلع الخليفة العباسى ، وبايع الخليفة الفاطمى المستنصر بالله وأرسل البردة والقضيب والمنبر إلى مصر .

وقد فرح المستنصر بنجاح ثورة البساسيرى فرحاً شديداً ، حتى إنه لما غنته إحدى القيان :

يا بنى العباس صدوا     ملك الأمر معــــد

ملككم كان معاراً     والعــوارى تســترد

وهبها هبة كبيرة . ويقول أبو المحاسن ، وكان ما وقع للمستنصر هذا تمام سعده ، والحقيقة أن ما وقع للمستنصر ما وقع لفاطمى قبله .

ولكن كانت هناك حقيقة عظيمة لا تغيب عن الذهن هى أن الدولة الفاطمية كانت قد بدأت بدورها تتدهور هى الأخرى ، ولذلك لم تتح لها مواردها السير فى مشروعها ضد العباسيين إلى النهاية . كما أن المستنصر خاف من البساسيرى فكف عن متابعة إمداده ، فما عاد طغرلبك إلى بغداد حتى تمكن من قتل البساسيرى وفتك به ، وأجلس القائم بأمر الله ثانية على عرش أجداده ، وأعاد للخلافة قوة لم تكن تحلم بها فى عهد البويهيين وإن كانت روحية أكثر منها مادية . والدولة السلجوقية دولة فتية . ولذلك نجدها تقوم بفتوحات تمتد شرقا وغربا ، فتشارك الفواطم ملكهم فى الشام ، كما نجد أن أتابكة الشام السلاجقة يتدخلون فى سياسة مصر وبخاصة أتابكة الدولة الزنكية ، وينتهى الأمر باستيلاء صلاح الدين على مصر فيما بعد .

كذلك كانت هناك حركة ثانية حديثة فى عهد السلاجقة ، وتبين نوعاً من العلاقة بين الفواطم والعباسيين ، وإن كانت علاقة غير مباشرة . وهى حركة سرية تعتبر من أقوى ما عرف من الحركات فى العالم . هذه الحركة هى حركة الحسن الصباح المشهور بالحميرى . حدثت حركته فى أواخر القرن الخامس الهجرى . وكان هذا الرجل من زملاء نظام الملك الوزير المشهور ( فى المدرسة ) وعمر الخيام الشاعر والفلكي الذائع الصيت .. وكان يأمل أن يصل إلى الحكم كزميله نظام الملك مثلا ولكنه فشل فى غرضه ، فذهب إلى بلاط القاهرة ، فتشبع بروح القاهرة الدينى وأكرمه المستنصر كما يقول ابن الأثير وأعطاه مالا وأمره أن يدعو الناس إلى إمامته . وعلى ذلك ذهب من مصر إلى آسيا فاستولى على قلعة ألموت ، وكون جماعة عرفت فى أيام الصليبيين باسم الحشاشين ، ومنها أخذت الكلمة الفرنسية Assassin بمعنى قاتل سفاك ، وكانت هذه تقاتل بالسيف والخناجر فأوجدت حالة من الفوضى فى الخلافة العباسية فأضعفتها ، واستولى على أجزاء منها ، وكان يدعو فى هذه الأجزاء للامام الفاطمى . وإن كان فى آخر أيامه دعا لنفسه وادعى أن نسب المستنصر باطل ، وتسمى بالإمام ، كذلك تغالى فى دعوته كما هو مذكور فى كتاب الشهرستانى فاختلف عن الدعوة الفاطمية .

المهم فى هذه الحركة أنها لاقت تأييداً من الخليفة المستنصر وكانت الفوضى التى أثارتها سببا دعا إلى سقوط الدولة العباسية فيما بعد بحيث أنهكت قواها الفتن والقلاقل وأضعفتها فلما جاء المنولى هولاكو ، وجدها لقمة مستساغة .

فالعلاقة فى هذه الحركة لم تكن مباشرة بين بغداد والقاهرة كما كانت فى عهد البساسيرى ، تلك هى العلاقة بين بغداد والقاهرة فى عهد الفواطم مرت بمراحل ثلاث كما ذكرت كانت فى أولاها على أحسن ما تكون العلاقات وتدرجت فى السوء حتى وصلت إلى العداء الصريح فى الفترة الأخيرة ، تدرجا يتبع مدى تشيع أصحاب الأمر والنهى فى بغداد للعقيدة الشيعية التى منها الفواطم .

وسينتهى الأمر بتحكم السلاجقة الشآميين وخاصة أتابكة الدولة الزنكية فى شئون مصر الداخلية ، ويظهر صلاح الدين الأيوبى الذى يكون على يديه القضاء على الدولة الفاطمية فى مصر وتكوين الدولة الأيوبية . فنجد أنفسنا بإزاء علاقة أخرى هى علاقة الشام بمصر ، ولذلك نتركها لفرصة أخرى .

عبد المنعم ماجد

# اتحاد شمال أفريقيا

للأستاذ عبد المجيد بن جلون

مضى عصر الموت والانحلال فى شمال أفريقيا وبدأ عصر جديد يلوح فى الأفق ، وبذلك لاتضيع السنوات الطويلة التى قضاها فى الكفاح سدى . وقد تطورت قضايا تونس والجزائر بحيث أصبح من المستحيل تجاهلها . فلا بواق الإستعمار أن تزعم ماتشاء ، وللسلطات المحلية أن تتصرف كما تريد ، فإن الفترة الحالية لن تدوم طويلا . إن حالة الضغط والإضطهاد والفوضى التى تشمل اليوم هذه الأقطار العربية الشقيقة ، إنما هى مظاهر انهيار يشق طريقه إلى القبر بخطى حثيثة ، أما هذه النهضة الوطنية المكافحة الصابرة فهى طليعة عصر جديد . ذلك أن قضايا شمال أفريقيا تخرج من حدودها الضيقة المحدودة ، إلى حدود أوسع لم يكن لها عهد بها من قبل ، فصوتها يرتفع اليوم فى العواصم العربية كلها كما يرتفع فى باريس ولندن ونيويورك ، وليس هناك من يستطيع أن يقف فى وجه شعب صمم على أن يعيش مهما كان الثمن الذى يدفعه فى سبيل أن يعيش .

وللاستعمار القاسى الشديد مساوئ لاتحصى ، ولكن له حسنة فى هذه البلاد ، فقد عرف الناس بواسطته أن الحديد لايفله إلا الحديد ، ولذلك لم يوجد فيها من يحاول اصطياد الفرص لأنه لاتوجد فرص ، وإنما عبأوا جهودهم للمقاومة الطويلة الحافلة بالصبر والكدح والشقاء ، فأكسبهم ذلك قوة قل أن يتسلح بها شعب دون أن تصل به إلى النجاح ، وبذلك برهنوا على أن بلادهم — بالرغم مما قاسته — غير قابلة للموت .

أضف إلى ذلك أن الوضعية فى شمال أفريقيا غير طبيعية ، فالناس فيها يحكمون بأساليب بعيدة كل البعد عن أن ترضى مايصبون إليه بعد أن تعرفوا إلى الحياة الحديثة ، ونزعوا إلى الحرية والإستقلال . وإذن فليس هناك بد من أن تتغير الحالة الحاضرة سواء رضى السادة المستعمرون أم كرهوا ؛ ذلك أنهم يقفون فى وجه التاريخ ، ولن يكون من اليسير الوقوف فى وجه التاريخ طويلا ...

ولست أكتب هذه الكلمة لأتحدث عن الإستعمار الفرنسى ومساوئه الشهيرة ، وإنما أريد أن أتحدث عن نوع النظام الذى يجب أن تخضع له هذه البلاد الشاسعة بعد أن يزحزح التاريخ هؤلاء السادة الواقفين فى وجهه . ماهى قواعد السياسة فى شمال أفريقيا الحرة ؟ هل يظل التقسيم الحالى قائما أم يقوم مقامه اتحاد ؟

يظن كثير من الناس أن تقسيم شمال أفريقيا الحالى يرجع إلى الإستعمار الفرنسى ، وهذا ليس بصحيح . فقد عرفت شمال أفريقيا على هذا النظام منذ زمن بعيد ، حتى قبل الإسلام خضعت أجزاؤه المختلفة إلى مقادير متباينة ، بحيث لم يستطع أحد أن يوحده فى ظل الحرية أو الإستعمار ، إلى أن جاء الإسلام ، ولم يكد ولاة القيروان يوحدون تلك الأراضى حتى تصدعت هذه الوحدة من جديد . ويكفى أن نقول إن شمال أفريقيا فى تاريخه الاسلامى الطويل لم يتوحد إلا مرتين ، أولاهما فى عصر الفاطميين إلى أن رحلوا إلى مصر ، وثانيتهما فى عصر الموحدين ملوك مراكش إلى أن انفصل عنهم بنو زيان فى الجزائر ، وبنو حفص فى تونس ، وهكذا تصدعت وحدة شمال أفريقيا لآخر مرة فى القرن السابع الهجرى بعد أن لم يكتب لها النجاح فى المحاولتين اللتين أسلفنا الاشارة اليهما . وكان هذا على أساس قيام ثلاث دول هى مراكش والجزائر وتونس ، وقد ظل الأمر على ذلك منذ هذا الحين .

ذلك هو التاريخ ، وهو دون شك عامل حيوى لايجمل إغفاله . بيد أن ظروف الحياة فى العصر الحديث قد تغيرت وبات نظام العالم يدعو إلى قيام كتل دولية كبيرة ، تقوم على أساس التعاون وتبادل المنفعة . فإذا أعدنا النظر فى اتحاد أو وحدة شمال أفريقيا على ضوء هذا استطعنا أن نلاحظ أشياء جديدة .

هذه البلاد شديدة التشابه من الناحية الجغرافية ؛ فهى مثل الجزيرة الخصبة المحصورة بين رمال الصحراء فى الجنوب والشرق ، ومياه البحر فى الشمال والغرب . والإختلاف فى الظواهر الطبيعية بينها جميعاً يشبه اختلاف هذه الظواهر فى كل قطر على حدة . ولذلك فإن هناك تشابها كبيراً بين السكان فى الجنس والعادات والخلقة والتنوع .

ولا توجد حدود طبيعية بين هذه الأقطار ، ولذلك ظلت حدودها مطاطة وغير مستقرة خلال عصور التاريخ .

وتاريخها شديد الإرتباط فى حوادثه بالرغم من انفصالها

السياسى ، وأغلبية السكان الساحقة مسلمون وهم متشابهون فى ظروف الحياة ، ومستوى الفكر ، وتركيب العقلية ، وكل اختلاف فى طبائعهم يرجع إلى عوامل استثنائية لن تلبث أن تزول مع انهيار الأنظمة الحالية . أضف إلى ذلك خضوعها فى العصر الحديث لدولة واحدة هى فرنسا — مع استثناء الجزء الشمالى الصغير من مراكش الخاضع للنفوذ الاسبانى ولا يتعدى سكانه المليون نسمة — ومهما تتعدد الأنظمة وأسماؤها ، فقد اصطبغ الاستعمار الفرنسى فيها بصبغة واحدة ، لايختلف فى جوهره مطلقاً . قام فيها بإصلاحات مادية واحدة ، وأثار فيها مشاكل واحدة أيضاً ، هى مشكلة العنصرية ونزع الأراضى وكبت الحريات العامة ومحاولة التوفيق بين التقدم الإقتصادى والاستعمار وبين الحيلولة دون تطور الأهالى واستفادتهم من التقدم الاقتصادى ، فنتجت عن ذلك حالة واحدة متشابهة .

ثم إن الموقف الفرنسى إزاء أمانى هذه البلاد القومية موقف واحد وهو موقف الحريص على الإحتفاظ بكل شىء وعدم التسامح حتى فى المسائل الصغيرة التى لا تقدم ولا تؤخر فى صميم النظام الحالى

وقد قلنا ونحن معتمدون على طبيعة الحياة وقانون التطور — إن هذه البلاد سوف تحقق أمانيها القومية مهما فعل الفرنسيون .

فالسؤال الذى نريد أن نطرحه الآن هو : هل فى استطاعة هذه الأقطار أن تكون بعد تحررها من النظام الحالى دولة واحدة أو أن تؤلف اتحاداً سياسياً ؟ .

لقد رأينا أن التاريخ لايقدم الينا أمثلة مشجعة على التفكير فى قيام دولة واحدة مؤلفة من شمال أفريقيا العربى ، ولذلك فنحن نرى استحالة قيامها فى المستقبل القريب . أما مايمكن أن يقوم فهو « اتحاد شمال افريقيا العربى » وهو مشروع يجب إطالة التفكير فيه ، ومحاولة بنائه على أسس مستمدة من التاريخ

كان هذا الاتحاد متعذراً فى الماضى يوم كان التاريخ لايسمح به لأسباب كثيرة لامجال لذكرها فى هذه العجالة . أما اليوم فإن المآسى الحديثة قد صهرت هذه الأقطار ، وقربت فيما بينها ، وجعلتها تفكر فى مشاكل واحدة ، وتقاسى أرزاء واحدة ، وتكون على اتصال دائم بحكم النظام المتشابه الذى تخضع له ، وتبعيتها لدولة واحدة فى العصر الحديث .

كان سقوط الجزائر فى يد الأتراك إيذانا بسقوط تونس فى يدهم أيضاً . ثم سقطت الجزائر مرة أخرى فى يد الفرنسيين فكان سقوطها مقدمة لسقوط جارتيها معاً . وإذن فإن من أبسط الدواعى إلى قيام « اتحاد شمال أفريقيا العربى » هو أمن هذه البلاد الإجماعى فى المستقبل . وليس ذلك لأنها لن تستطيع الدفاع عن نفسها منفردة ، ولكن لأن الحدود بينها ليست طبيعية ولذلك لايمكن أن يبنى الدفاع عن واحدة إلا على أساس الدفاع عنها جميعها . والحرب الأخيرة نفسها تقدم الينا أسطع مثال على هذا ، إذ كان مصير هذه الأقطار واحداً حين انتصر الألمان ، وواحداً حين انتصر الحلفاء ، وعجز المارشال رومل عن الصمود فى تونس أمام جيوش الحلفاء التى احتلت الجزائر ومراكش .

وعلى ذلك فنستطيع أن نصل إلى نتيجة منطقية سليمة هى أن شمال أفريقيا لن يستطيع أن يكون إلا مجتمعاً ؛ وسوف يكون اتحاده مصدر قوة ، ولن تتمتع واحدة من بلاده باستقلالها كاملا مادامت إحدى جارتيها محتلة بالجيوش الأجنبية . وإن السبيل الوحيد إلى ذلك هو قيام « اتحاد شمال أفريقيا العربى » .

وإلا فسوف يكون من سخرية الأقدار أن يجمع بينها الاستعمار ثم يعجز عن ذلك الاستقلال .

عبد المجيد بن جلون

# تعقيبـــات . . .

للأستاذ عباس حسان خضر

أدب حرب — أدباء العروبة — علية بنت المهدى والمصائب — قصة زواج أم كلثوم . . . .

**أدب حرب :**

كان من فعل الحرب الماضية أن غمرت الأسواق مصنوعات رديئة ، خلت لها بانعدام البضائع الجيدة ، فلاقت الأولى ما لم تكن تلقاه الثانية من السعر والرواج ، واهتبل الفرصة كثير من صغار الصناع والدخلاء فى الصناعات ، فجدوا ، ولم يلبث كبارهم والمهرة منهم أن باروا أولئك فلم يأبهوا بالإتقان واختبار المادة ، وأزجى أولئك وهؤلاء بضاعتهم إلى السوق، ورزءوا بها المستهلكين

ونواحى الحياة من اقتصادية وأدبية وغيرها مشتجرة متفاعلة فكان من الحتم أن يمتد ذلك التيار إلى الأدب ، وكان من النتائج ذات المقدمات أن نرى قوما قد استشرى بهم السعار ، فراحوا يؤلفون ، ويؤلفون ... أى ينتشون [1] من الكتب ويجمعون .. ويكونون من الأشتات والمنتوشات كتباً يطوفون بها على إدارات الصحف ومكاتب الصحفيين ، مرة للاعلان بالثمن ومراراً لرجاء التقريظ والتنويه !

أثار بنفسى تلك الشئون والشجون مقال الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى فى « تجار الأدب [2] » وإن كان الدكتور قصر حديثه على هؤلاء الدخلاء فإن الأمر — من حيث الإكثار وما يقتضيه من عدم الإجادة — قد امتد إلى كبار الكتاب ... فهذا كاتب يسود الصفحات ذات العدد ولم يبدأ قصته ، فإذا أخذ فى التعريف بأبطالها ترك البطل واقفا ينتظر عودة الكاتب من ( مشوار ) بعيد ... وذاك كاتب كثرت مقالاته بكثرة ما يصدر من الصحف والمجلات فى هذه الأيام ، فيجلس على ( مصطبة ) كل منها ( يدردش ) لا يكاد يرتفع حديثه عن هذر الأحلاس بالمقاهى ... وآخر يملأ الصفحة من حجم الجرائد اليومية بأمشاج من الأخلاط . كلمة من الشرق وكلمة من الغرب ، وشطحة لا تدرى من أين ... وأخرى لا تعرف إلى أين ... ولغيرهم فى مثل هذا طرائق قدد . ولا أريد أن أسمى أحداً ، فما للتجريح وجهت همى ، وإنما أقصد أن المعضلة هى مسألة هؤلاء الكبار .

أما أولئك المحتطبون فأمرهم ليس بذى بال ، فسينكشفون عن الأدب بتنبه القراء إلى زيفهم ، وأما كبارنا — ولهم فى الأدب والنتاج القيم ماض مجيد وبلاء محمود — فيظهر أنهم قد اغتروا بذلك واطمأنوا إليه وحسبوا أنهم بلغوا نهاية الشوط فأخلدوا إلى الراحة من عناء الدراسة والإجادة والإيجاز ... واستسهلوا الإكثار واستهواهم كسبه .

ولا أنكر على حملة القلم أن يكسبوا من كده ما يمكنهم من العيش الكريم ، بل أرى ذلك باعثاً على الإنتاج الأدبى ومشجعاً عليه ، ولكنا نريد جودة النتاج وعدم الذهاب إلى جشع التجار

**أدباء العروبة :**

لعلك قرأت فى الصحف أخيراً أنباء أو نشرات عن جماعتين تسميان باسم واحد هو « جامعة أدباء العروبة » ولا بد أنك إذن عجبت ، فهو أمر يدعو حقاً إلى العجب ! على أن الأعجب منه أن تتصفح ما تتضمنه هذه النشرات من الأسماء فلا تجد بينها « معرفة » فى الأدب عدا واحد أو اثنين من غير الصف الأول!

فى أوائل هذا العام دعيت إلى تأليف جماعة أدبية قيل لى — فيما قيل — إنها ستؤلف من أدباء البلاد العربية ، فلبيت ، وأنا وإن كان بى انقباض عن المجتمعات إلا أننى مصاب بحب الاستطلاع ، فرأيت هناك أفراداً من مصر ، لقليل منهم بعض النشاط الأدبى ، وبعضهم من المتخلفين فى الأدب ، وسائرهم إما غنى « يدفع » أو صاحب « مكان وتليفون » أو مخبر فى جريدة ولكل وجهة ، وتلتقى الوجهات كلها عند الرغبة فى التسلق ... ووقع الاختيار على رجل كبير ، معروف — إلى جانب صفته السياسية بالشغف بالأدب ومودة الأدباء ، هو معالى ابراهيم دسوقى أباظة باشا الذى تفضل فشمل الجماعة بعطفه ...

وشرعت « جامعة أدباء العروبة » فى العمل ، وماذا يعملون؟

---

(١) من معانى النتش : الجذب والاستخراج .

(٢) الرسالة عدد ٧٠٢

حملهم رجل كريم فى سيارات إلى القناطر الخيرية ليجتلوا الربيع هناك ، ثم إلى الأهرام ليناجوا القمر ... ومكن لهم معالى الوزير من إسماع من لم « يقفلوا الراديو ! »

ومنذ شرعوا فى العمل ظهر بينهم شىء من « مفرزات مركب النقص » ما كدت ألمحه حتى بحوت بجلدى ... وظل « مركب النقص » يعمل حتى تنازعوا وانقسموا إلى فريقين : فريق لا يزال فى كنف معالى دسوقى باشا ، والآخر قد اختار لرياسته الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، وكل من الفريقين يتسمى بجامعة أدباء العروبة !

ونعود إلى العجب من تنازع الفريقين اسماً ليس أحدهما حقيقاً به ، لأن المتبادر إلى الذهن من هذا الاسم أنه علم على جامعة عربية أدبية ، أى جماعة من رءوس الأدباء فى البلاد العربية المختلفة ، وليس بين هؤلاء ولاهؤلاء واحد منهم ، على أن الصفة الغالبة على الرئيسين هى السياسة ، فلو أنهما تخليا عن هذه الرياسة لانصرف كل من الفريقين إلى شأنه

**علية بنت المهدى والعصائب :**

نشرت جريدة « أخبار اليوم » صورة كتبت تحتها : « تسريحة للشعر عرضت فى المؤتمر الدولى الثانى للحلاقة الذى عقد فى باريس ، ويلاحظ تأثير الذوق الشرقى فى الحلية التى تستر جزءاً من الجبين فى حالة اتساعه عن المألوف . »

صحيح أن هذا ذوق شرقى ، ولكن ما أصل هذا الذوق ؟ يخيل إلى أنه يرجع إلى علية بنت المهدى أخت الرشيد ، فقد أثر عنها أنها كانت من أجمل النساء ، ولكن كان بها عيب ، كان فى جبهتها سعة تشين وجهها ، فاتخذت العصائب المكللة بالجوهر لتستر بها جبينها ، قال صاحب الأغانى فى ذلك : « فأحدثت والله شيئاً ما رأيت فيما ابتدعته النساء وأحدثته أحسن منه »

وما إخال إلا أن هذه ( المودة ) قد انتشرت بمحاكاة علية ، وسارت بين النساء على اختلاف الأجيال وتعاقب الأزمان حتى الآن ، وها هى ذى تأخذ طريقها إلى باريس ...

وتلك هى سنة الناس فى ابتداع ( المودات ) وانتشارها ، وما أظن كثيراً من أوضاع الملابس التى نرتديها الآن ، كربطة العنق وثنية السروال ، إلا من عيب كان بأحد الناس فى سالف الزمن ، أو اضطرار لمواجهة حالة ، أو ما إلى ذلك .

**قصة زواج أم كلثوم**

إن كان حقيقياً ما يقال وما تدل عليه الدلائل فقد انخدعنا — كما انخدع سائر الناس — فى ما كتبنا بالتعقيبات الماضية عن زواج أم كلثوم ، إذ أيقنا أن هذا الزواج أو العزم عليه حقيقة واقعة ، وكانت طريقة إذاعة النبأ تحمل على الوثوق به ، ولكن يظهر أنها طريقة أمريكانية ...

أسبوع واحد جرت فيه الأعاجيب : استعداد تام لعقد الزواج الذى لا بد أن يكون قد فرغ من بحث مقدماته ، فإذا المقدمات تتأخر عن ظرفها حتى تبرز فى هذا الأسبوع المسحور فتعرف أم كلثوم أن خاطبها متزوج ، فترده ! ولا ينبغى أن تسأل لم لم تعرف من قبل ؟ وهل يخفى مثل ذلك فى مثل هذه الحال ؟ ! ليس لك هذا ، لأن الأسبوع المسحور يجب أن يتسع لكل شىء

قالوا لأم كلثوم : إن بعض ( أفلامك ) لم تنجح أخيراً ، لأنه لم يعمل لها الدعاية اللازمة ، وسنكفيك هذا الأمر ، فالرواية من عندنا ، والدعاية علينا ...

ويزاد على ذلك أن ما نشر عن هذا الزواج هو الحوادث الأولى فى ( الفلم ) الجديد الذى يلحن أغانيه محمود الشريف وقد يغنى فيه من قلبه المفجوع ... وتغنى أم كلثوم مصورة أحاسيسها وانفعالاتها ...

وسواء أكان ذلك صحيحاً أم لم يكن فإن أم كلثوم ليست بحاجة إلى دعاية ولا إلى نجاح ( أفلام ) ففنها يتركز فى أنها « مطربة حفل » وهى ناجحة فيه ( بدرجة فوق الممتاز ) وهذا حسبها ، وأكثر ما يجنى من الدعاية للقائمين بها ... أما أن هذا لائق أو غير لائق فهو موضوع آخر ، وإن كان يجب ألا يغفل حسابه ...




## فى النحو :

نقد الأستاذ عباس حسان خضر فى مقالة له فى ( الرسالة الغراء ) — ٧٠٢ — الأستاذ ميخائيل نعيمة فى مقالة له فى ( الكاتب ) الغراء فى قوله ( مجيعون ) لبنائه اسم الفاعل من ( جاع ) اللازم مثل هذا البناء وفى قوله ( ويخاطبونا ) لحذفه نون الرفع من الفعل . واليقين أن الأستاذ نعيمة بنى ما بنى من ( أجاع ) لا من ( جاع ) ومعناته أنا نجوع ونجيع غيرنا ( جائعون ومجيعون ) . وإذا كان للحماسى أن يقول :

كل له نية فى بغض صاحبه . بنعمة الله نقليكم وتقلونا

وللامام محمد بن اسماعيل البخارى أن يروى فى كتابه المشهور :

« ... وذلك لقوله لا يسألونى خطة يعظمون بهـا الله إلا أعطيتهم إياها[1] » « ... قال إبراهيم وكانوا يضربونا على الشهادة والعهد ونحن صغار[2] » « . فقال أتبايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً[3] ... » .

إذا كان للحماسى أن يقول ما قال وللامام البخارى أن يروى ماروى فللأستاذ ميخائيل نعيمة أن يكتب ( ويخاطبونا ) . قال الإمام التبريزى فى ( تقلونا ) حذف النون الثانية عن الإعراب وهو لغة حجازية ، وعلى هـذا قول الآخر : إلى من بالحنين تشوقينى » .

والحذف عند التقاء النونين فى كلام الأقدمين والمحدثين فى شعرهم ونثرهم — كثير .

( السهامى )

## « حول كتب وشخصيات » :

كتب الأستاذ « عباس حسان خضر » فى عدد الرسالة الماضى كلمة مشكورة عن كتابى الأخير : « كتب وشخصيات »

وطبيعي أن يكون له ولغيره من القراء والنقاد وجهة نظر فى بعض المسائل تخالف وجهة نظرى ، ولا سيما فى كتاب نقد يتناول عدداً كبيراً من الشخصيات الأدبية تختلف حولهم الآراء .

ولكننى أحسب أنه من حقى كذلك أن أوضح وجهة نظرى للقراء فى مواضع الخلاف :

١ — قال : إننى قررت فى كتابى أن الأدب العربى « يغلب عليه طابع المعانى العامة المتبلورة ، والقضايا الذهنية الكلية ، ويطالع القارىء بنتيجة التجربة النفسية لا بطريقتها التى تشغل الحس وتستثير الخيال ، وهو فقير فى الصـور والظلال . . الخ » ثم قال : « والأستاذ سيد يطلق هذه القذائف فى وجه الأدب العربى ، ثم يخلو إلى قطع مختارة من الآداب الغربية والهندية والفارسية معظمها من كتاب « عرائس وشياطين » للأستاذ العقاد فيعكف على ما فيها من الميزات التى جرد منها الأدب العربى ، ويأتى من الشعر العربى بما يراه مجرداً من اللحم والدم ... وهذا صنيع عجيب لأن القطع غير العربية التى أتى بها مختارة ، والأستاذ سيد لم يطلع على كثير غيرها فى آدابها ... الخ » وكان فيما قاله : « وقد أجاد فى تطبيق أسس النقد العام على الأمثلة التى اختارها ، لولا « شنشنة » ما كنا نود أن يكون « أخزمها » فقد حرص فى كل فصل من الفصول الأولى عند ذكر ميزات وقيم الفنون على أن يجرد أو ينقص نصيب الأدب العربى منها »

فأحب أن أقول للأستاذ : إنه ليس بينى وبين الأدب العربى عداوة تحملنى على أن « أحرص » على تجريده من المزايا . فثقافتى عربية ودائرة بحوثى على وجه عام هى الآداب العربية . ولكننى « ناقد » يجمع الخصائص ويقدر القيم ويضع القواعد . فإذا لاحظت من مجموع دراستى فقر الشعر العربى فى الصور والظلال بقدر احتشاده بالمعانى والأفكار — كما قلت — فان محبتى للأدب العربى لايجوز أن تقف بى عند تقرير هذه الظاهرة باخلاص .

أما مدى دراستى للشعر العربى وهى التى تخول لى إصدار

---

(١) جـ ٣ ص ٢٠٠ .
(٢) جـ ٥ ص ٣ .
(٣) جـ ٦ ص ١٨٢ مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده .

هذا الحكم ، فتلك مسألة بيني وبين ضميري الأدبي ، وأنا مستريح من هذه الناحية . ولعل مما يطمئن الأستاذ أن لي بحثاً كاملا عن « الصور والظلال » في الشعر العربي رجعت فيه إلى كل ما عملك فرد أن يرجع إليه من مصادر الشعر العربي ، وهذا البحث لم ينشر بعد ولكنه بين يدي . والإحصاء الدقيق النسبي يقرر هذه القاعدة التي قررتها عن الشعر العربي بدون حاجة إلى الموازنة بين هذا الشعر والشعر العالمي الذي قد تنقصني مصادره على نحو واسع

وأحب مرة أخرى أن أقول للأستاذ إنني في الموازنة التي قمت بها لم يكن كل اعتمادي ولا جله على مجموعة « عرائس وشياطين » ففي المكتبة العربية الآن مجموعة من الشعر العالمي — ليست مختارات نخب — تكفي لبيان الاتجاه العام في التعبير . وبينها وبين الشعر العربي فوارق أصيلة في طريقة تناول الموضوع والسير فيه ، وفي طريقة التعبير .

وإذا كانت للشعر العربي القديم ظروف تاريخية وعقلية خاصة جعلته يختار طريقه ، ويكون تقاليده ، فان من واجب النقد في العصر الحديث أن يكشف عن الطرائق الأخرى لينتفع بها من يريدون التجديد الداخلي العميق لكيان الشعر في العصر الحديث .

على أنني حرصت على الاختيار من الشعر الفارسي والهندي والمصري القديم ، ومن « الكتاب المقدس » ، ومن « القرآن الكريم » لبيان خصائص التصوير والتظليل التي تقل في الشعر العربي ، وهي مصادر كاملة في المكتبة العربية لا مختارات .

ولو رجع الأستاذ إلى نقد : « ابن قتيبة » ، وأبي هلال العسكري للأبيات :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

أو للبيتين :

إن الأولى ذهبوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معينا

لعلم أن النقد العربي القديم لا يقيم وزنا للصور والظلال ولا يعدها قيمة فنية من قيم الشعر ... وهذا وحده يكفي .

٢ — قال : « ولم يكن المؤلف منصفا كل الإنصاف في الموازنة بين شوقي وعزيز أباظة في الرواية الشعرية . ومرد ذلك فيما ألمح إلى ما استقر عنده من هوان أمر شوقي في الشعر ، وقد بدا تحامله على شوقي في نقد الأبيات الآتية من مجنون ليلى :

لم إذن يا هند من قيس ومما قيل تبرا
أنعم « مناز » مساء سعدت سعد مساء
أوغل الميل فليقم . بل رويدا واسمى « ليل ... »

« يأخذ عليه في البيت الأول تسكين ميم « لم » وتسهيل الهمزة في « تبرا » وفي الباقي ترخيم منازل وليلى ، ويعد هذه ضرورات يعيبها عليه ، مع العلم بأن تسكين ميم لم ، وتسهيل الهمزة كثير جدا في الشعر ولا غبار عليه . أما ترخيم المنادى فليس من الضرورات ... وهذا وذاك وذلك أمور مستساغة بل كثيرا ما تستعذب وتستملح » .

وهنا أجدني آسفا لأن الأستاذ لم يعرض وجهة نظري كاملة . فلم تكن هذه الأشياء التعبيرية هي التي أخذتها على شوقي في الصميم ، إنما كان الذي أخذته هو الضعف في رسم الشخصيات والخوالج النفسية الإنسانية في أبطال الرواية ، والتفكك الفني في سياقها ، والخطأ في رسم نفسية « المجنون » وعواطفه ... الخ وقد برهنت على هذا بالأمثلة التي أستطيع نقلها هنا . أما هذه الضرورات فقد لاحظت كثرتها كثرة شديدة ، تخرج عما يستعذب ويستملح » ، مما لا يلجأ إليه إلا صغار النظامين الذين تعوزهم المرانة ... وقد استغربت هذا من شوقي فقلت :

« ومن العجيب أن تخون شوقي في رواياته الشعرية أقوى خصائصه التي بهرت أهل زمانه ، وهي قوة الأداء ، ووضوح التنغيم » فهذا عيب إذن خاص بالروايات لا بشوقي الشاعر ، كما بينت هناك في وضوح . وقد ذكرته على الهامش ولم يكن هو صميم النقد .

٣ — وقال : « ومما أخطأه الإنصاف فيه نقده لتيمور إذ يصف فنه بالفتور ، وبأنه يؤثر اللطف والدعة على الانفعال والحيوية . وهو في هذا يصنع موازين ( غير مختومة ) ويزن بها « فهذا أديب وديع لطيف يصدر في أدبه عن ذات نفسه فيؤثر فيه اللطف والدعة . أليس هذا من « الصدق الذاتي » في الأدب ؟ أو لا يكون النتاج معجبا إلا إذا صخب فيه الأديب وعربد ؟ » ...

ومرة أخرى أجدني آسفا لأن الأستاذ لم ينقل حقيقة رأيي

ولم يعرض مواضع نقدى « فأخطأه الإنصاف » فيما يقول :

فالذى يقوله الأستاذ هنا بديهية لا تبلغ بى الغفلة ألا ألتفت إليها . وليس كل أديب مكلفا أن يصخب ويعربد . وليست الدعة واللطف بأقل أصالة فى الفن من الصخب والعربدة .

ولـكن أكان هذا مآخذى على فن تيمور :

أرجع إلى كتابى ص ١٨٥ فأجدنى أقول :

« لقد كان لتيمور الحق أن يتبوأ مكانه الذى ينسبه إليه بعض من يكتبون فى النقد فى هذه الأيام ، لو أنه وفق إلى منح الحياة لأبطال أقاصيصه وبث الحياة فى تضاعيفها — ولو إلى حد ، ولـكنه — فيما عدا القليل من هذه الأقاصيص — يخونه التوفيق فى إطلاق روح الحياة المتحركة ... »

« ولطالما خيل إلى — وأنا أجول بين شخوص تيمور — أننى فى « متحف الشمع » ، فتماثيل الشمع هى التى تمثل هذه الشخوص أوضح التمثيل ... »

« ويحاول تيمور أن يرسم نماذج بشرية من خلال شخصيات محلية ، وهى محاولة لو أفلحت لأنشأت فنا إنسانيا رفيعا ؛ ولـكنه فيما يخيل إلى بعيد كل البعد عن « النـاس » وعن البيئة . فالنـاس — حيث كانوا — لا يتصرفون هذه التصرفات مجتمعة . والناس فى مصر ليسوا كما يتوهمهم المؤلف لا فى طبيعتهم ولا فى أحاديثهم ، ولا فى خلجاتهم النفسية ولا فى سمة من السمات المحلية الـكثيرة التى تبرز طابعهم . إنهم ليسوا مصريين لأنهم ليسوا آدميين » !

هذه هى المآخذ الأساسية : فقدان الحياة . أما حـكاية الصخب والعربدة فقد جاءت فى كتابى هكذا :

« إنه لا يخطر لهذه الشخوص — مرة واحدة — أن تنفعل انفعالا قويا — كما يقع للآدميين — وحـين تنفعل يبدو التـكلف والبعد عن الحقيقة البسيطة ... »

« والحركة العنيفة ليست مطلبا فى ذاته ؛ ولـكنها علاقة من علامات الحياة تصـدر من البنية الحية فى ميعادها فتدل على الحياة الـكامنة فيها » .

هكذا قلت . وأحسبنى كنت أعرف هذه البديهية الواضحة . إن « تيمور بك » يجد دائما وفى كل عمل يعمله من يشيد بفضله على الفن ، ومن يصعد بفنه إلى السماء . دائما دائما يجد من يقول له هذا . فإذا وجد ناقد يملك أن يتخلص من كل الملابسات ليقول مرة واحدة كلمة حق ، فيجب أن يكون لهذه الـكلمة مكان فى وسط التعاويذ والرقى ومجامر البخور !!!

وإلا فأسباب المودة الآسرة التى تربط تيمور بك بنقـاده جميعا كانت كفيلة بأن تنطقنى بغير ما نطقت . فأنا أتمتع بهـا والحمد لله . وليس هناك ما يدعونى ألا أنصف ذلك الرجـل الوديع الودود .

وبعد فشكرا للأستاذ عباس حسان خضر على جميع الحالات .

**سيد قطب**

**ملتن :**

بقى فى دراسة الأستاذ الخفيف للشاعر ملتن بعض الـكلام أرجاه إلى أن تنشر هـذه الدراسة القيمة كتاباً حتى لا تتجزأ بين السنة الرابعة عشرة والسنة الخامسة عشرة من الرسالة .

# فهرس الموضوعات للسنة الخامسة عشرة من الرسالة